

Date | 01.12.2021
Doc no. | 266-2021

حفظها الله

عناية الدكتورة/ دجال سيهام

أستاذ محاضر "ب"، جامعة الجزائر 2، جمهورية الجزائر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع: شهادة نشر بحث علمي

في البداية نهدىكم أطيب التحيات ونسأل الله لكم دوام التوفيق والسداد، وبالإشارة إلى الموضوع أعلاه يسرنا إبلاغكم بأن هيئة التحرير في مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث قد قامت بنشر بحثكم الموسوم ب:

|| دور الإدماج المدرسي في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل المعاق سمعياً ||

وذلك في الجزء الثاني من العدد الثالث من المجلد الأول، بتاريخ 1 كانون الأول/ديسمبر 2021 م.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام!!!

د. أحمد دلول

مدير تحرير المجلة



00972593276022



www.benkjournal.com



benkjournal@gmail.com



fb.com/benkjournal

E-ISSN: 2789-3359

P-ISSN: 2789-7834

Arab Impact Factor 2021: 0.5

ISI: 0.367



مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث

مجلة علمية محكمة تصدر عن "مركز ابن العربي للثقافة والنشر"

المجلد الأول

الجزء الثاني من العدد الثالث

1 ديسمبر 2021م



benkjournal@gamil.com



facebook.com/benkjournal



www.benkjournal.com



+970593276022



الهيئة التحريرية والاستشارية:

هيئة التحرير:

- أ.د. عايد صالح: أستاذ الصحة النفسية في جامعة الأقصى بغزة (رئيس تحرير المجلة).
- د. أحمد فايق دلول (فلسطين): دكتوراه في العلوم السياسية، (مدير التحرير).
- أ.د. نبيل بن يوسف (الجزائر): أستاذ دكتور في العلوم السياسية.
- أ.د. علي المرهج (العراق): أستاذ الفلسفة ورئيس قسم الفلسفة في جامعة المستنصرية، ورئيس تحرير مجلة آداب المستنصرية.
- د. وصال عبد الله محمد أحمد محمد صالح (السودان): أستاذ مساعد في العلوم السياسية، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
- د. محمود خليل القدرة (فلسطين): دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.
- د. محمد سلمان ماضي الغريب (الكويت): دكتوراه في القانون.

هيئة التحكيم:

- د. أوان الفيضي (العراق): أستاذ مساعد في كلية الحقوق، جامعة الموصل، ويحمل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية – الفقه المقارن، ودرجة الدكتوراه في القانون الخاص.
- د. بوترعة علي (الجزائر): أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، في جامعة عباس لغرور بخنشلة الجزائر.
- د. جيانا محمد علي عبدالله مخاتره (الأردن): دكتوراه في التربية الإسلامية من جامعة اليرموك.
- أ.م.د. حاكم موسى عبد الحسناوي (العراق): أستاذ مساعد في طرائق تدريس التاريخ.
- د. خديجة القصير (العراق): تحمل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم.
- د. زهرة عبد العزيز الثابت (تونس): دكتوراه في اللغة والحضارة العربية، الاختصاص الدقيق اديان مقارنة، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة القيروان.

- د. عبد الفتاح محمد علي الفرجاني (فلسطين): محاضر جامعي غير متفرغ في إدارة الأعمال، في جامعة الأقصى، جامعة القدس المفتوحة، والكلية العربية للعلوم التطبيقية
- د. عبدالله حسن علي البرغوتي (ليبيا): استاذ مساعد في الدراسات الإسلامية، وعضو هيئة تدريس بكلية التربية جامعة بني وليد في ليبيا.
- د. عفراء الفاضل محمد عثمان (السودان): أستاذ المحاسبة غير المتفرغ في جامعة بورتسودان.
- د. محمد علي حمود الدياشي (اليمن): أستاذ السياسة الاقتصادية والترجمة في I.A.S. جامعة عدن.
- د. محمود خليل القدرة (فلسطين): دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر.
- د. معتز يوسف أحمد أبو عاقلة (السودان): دكتوراه في الاقتصاد، ومحاضر في جامعة الشعب الأمريكية، كاليفورنيا.
- د. ميمونة سعيد آدم عبدالله (السودان): دكتوراه الفلسفة في الدراسات الاستراتيجية، ومدير دائرة البحوث والدراسات والنشر في المركز السوداني للتوفيق والتحكيم.
- د. ناهد كمال أحمد (بريطانيا): دكتوراه في إداة وريادة الأعمال.
- د. هنية موسى المبروك طاهر (ليبيا): أستاذ مساعد في علم النفس، كلية الآداب، جامعة عمر المختار، مينة البيضاء.

الهيئة الاستشارية:

- أ.د. نبيل بن يوسف (الجزائر): أستاذ العلوم السياسية في جامعة الجزائر (رئيس الهيئة الاستشارية).
- أ.د. إدريس لكريني (المغرب): أستاذ الحياة السياسية والعلاقات الدولية في كلية الحقوق بجامعة القاضي عياض – المغرب.
- أ.د. عايد صالح (فلسطين): أستاذ الصحة النفسية في جامعة الأقصى بغزة. أ.د. علي الربيعي (بريطانيا): أكاديمي عراقي مقيم في بريطانيا.

- أ.د. علي المرهج (العراق): أستاذ الفلسفة ورئيس قسم الفلسفة في جامعة المستنصرية، ورئيس تحرير مجلة آداب المستنصرية.
- أ.د. فتحي محمد أميمة (ليبيا): كلية الفنون والإعلام – جامعة مصراتة.
- أ.د. علاء المندلأوي (العراق): أستاذ التربية ومناهج البحث في العراق.
- أ.د. نجاه الهنشيري (ليبيا): أستاذ تربية الطفولة في جامعة طرابلس.
- أ.د. نعيم كامل شبير (فلسطيني مقيم في السعودية): أستاذ المناهج وطرق التدريس في جامعة الملك سعود.
- أ.د. خالد أبو عصابة (فلسطين): أستاذ الإدارة التربوية، الجامعة العربية الأمريكية، رام الله.
- د. طارق خالد الغريب (الكويت): دكتورة في الإدارة التربوية، وزارة التربية والتعليم الكويتية.
- د. حاتم العسولي (فلسطين): أستاذ الاعلام في جامعة غزة.
- ا.د. عبدالعاطي القدال (السودان): أستاذ دكتور في أصول التربية، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أمدرمان، السودان.

قواعد وضوابط النشر في المجلة:

الشروط العامة للنشر:

- أن يكون البحث ذا قيم علمية أو أدبية، كأن يقدم إنتاجاً جديداً في الحقل المعرفي.
- أن يتمتع البحث بتسلسل الأفكار والسلامة اللغوية والإملائية، وأن يشتمل على أكثر من مبحث.
- أن لا يكون البحث مستلماً من أطروحة دكتوراه أو رسالة ماجستير أو كتاب تم نشره مسبقاً.
- يفضل أن يحتوي البحث على مراجع أو دراسات سابقة بلغات أجنبية وخاصة الإنجليزية والعربية.
- يجب أن يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقرها المحكمون بخصوص بحثه، حيث يعد النشر مشروطاً بإجراء هذه التعديلات.
- يتم التواصل مع أصحاب الدراسات والأبحاث الواردة إلى المجلة من يوم إلى أسبوع منذ استلامها.
- تقوم المجلة بترجمة بعض الأبحاث المنشورة من الإنجليزية إلى العربية أو العكس في حال رأت أن البحث يحتوي على قيم معرفية فريدة يجب تعميمها، مع إشعار صاحب البحث مسبقاً بهذا الأمر.
- كافة الحقوق محفوظة للمجلة، ولا يجوز إعادة نشر أي من الأبحاث يجب أن إلا بموافقة خطية من المجلة، مع ذكر المصدر الأساسي.

الشروط الشكلية للبحث:

- يجب أن لا يزيد عدد صفحات البحث (25) صفحة بما في ذلك صفحة العنوان والملخصين العربي والإنجليزي، وقائمة المراجع والملحقات إن وجدت.
- تُكتب المعلومات الأساسية لبحث على الصفحة الأولى، وتشتمل على:
 - عنوان البحث باللغتين العربية والإنجليزية.
 - اسم الباحث (أسماء الباحثين) ومواقعهم الوظيفية باللغتين العربية والإنجليزية
 - (مثال: محمود سعيد بو حمد: أستاذ مشارك في الإدارة التربوية، جامعة القاهرة، مصر).
 - البريد الإلكتروني.
- يكتب البحث على ملف مستند word بحجم A4، مع ترك هوامش بمقدار 3 سم من الأعلى والأسفل واليمين واليسار.

- ملخص البحث:
 - يجب أن يحتوي البحث على ملخصين باللغتين العربية والانجليزية.
 - لا يتجاوز حجم الملخص العربي (250) كلمة والملخص الإنجليزية (300) كلمة.
 - يتبع كل ملخص بكلمات مفتاحية (Keywords) (دالة على التخصص الدقيق للبحث) بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات، ولا يقل عن (3) كلمات.
 - يجب أن يشتمل ملخص البحث على (تعريف عام عن البحث مع ذكر الهدف منه، منهجية البحث، مجتمع وعينة الدراسة في حال البحوث الميدانية، أهم النتائج التي توصل إليها، أهم التوصيات التي قدمتها)، ويمكن كتابة البحث في فقرة واحدة.
- المسافات بين الأسطر: تكون مفردة (وإذا رأت المجلة خلاف ذلك ستقوم بالتعديل بنفسها)، والتباعد بعد الفقرات 8 أو 10 نقاط.
- الخطوط: إذا كان البحث باللغة العربية فيجب تقديمه بخط Simplified Arabic، وفي اللغة الإنجليزية يُستخدم Times New Roman، كما أن حجم الخط 16 غامق لعنوان البحث وكذلك للعنوان الرئيسي، 14 غامق للعناوين الفرعية، 14 عادي لباقي النصوص.
- حجم الخط في الحواشي السفلية 12 نقطة بالعربي أو الانجليزي.
- يجب ضبط النصوص الدينية أو الشعرية بالشكل الصحيح لها مع التشكيل وفي أفواس خاصة.
- يتم ترقيم الصفحات كلها بخط Simplified Arabic، حجم الخط 14 عادي.
- الرسوم والأشكال:
 - تُدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص مباشرة.
 - من الأفضل أن تكون الرسوم والأشكال باللونين الأبيض والأسود.
 - يتم ترقيم الجداول والأشكال وخط حجمه 14 عادي.
 - ترقم الأشكال والجداول ترقيماً متسلسلاً وتكتب أسماؤها والملاحظات التوضيحية في أسفلها.
 - يجب أن يتوسط الجدول الصفحة.
 - يجب ذكر مصدر الشكل أو الجدول أسفله، وإن كان من إعداد الباحث نفسه فيجب التنويه إلى ذلك، ويكون توثيق الجدول بخط 14 غامق، مع ذكر كلمة المصدر، مثال: (المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 17 أبريل 2021م).
 - عندما يشار في متن البحث لجدول ما، يجب ذكر رقمه.

• التوثيق:

- توثيق كتاب منشور: - اسم المؤلف الأخير، الاسم الأول، (سنة النشر)، عنوان الكتاب، الطبعة، المدينة أو الدولة، دار النشر.
- مثال لتوثيق كتاب: أبو شادي، سعيد، (2008)، المحاسبة الحكومية المتقدمة، الطبعة الثانية، عمان: منشورات الجامعة الأردنية.
- Abu Shadi, S. (2008). Advanced Financial Accounting. Third Edition. Amman-Jordan. Jordan University Publications.
- مثال لتوثيق كتاب مشترك: سعد، رائد، ودرغامه، زهران، (2014)، محاسبة التكاليف في المنشآت الصحية، الطبعة الأولى، القدس-فلسطين، مطابع جامعة القدس المفتوحة.
- توثيق بحث منشور في مجلة محكمة: اسم المؤلف الأخير، الاسم الأول، (العام)، عنوان البحث، اسم المجلة، المجلد (العدد)، أرقام الصفحات.
- لتوثيق بحث منشور باللغة الإنجليزية:
- Awad, M. (2010). Input Variable Selection Using Parallel Processing of RBF Neural Networks (PP-RBFNNs). The International Journal of Information Technology. 7 (1). PP 6-13.
- مثال لتوثيق بحث منشور: درغامه، زهران، (2008)، أثر النمو والحجم ودرجة الرفع المالي على المحتوى المعلوماتي للتدفقات النقدية من النشاطات التشغيلية والأرباح المحاسبية: دليل من الأردن - قطاع الصناعة، المجلة العربية للعلوم الإدارية، 15 (3)، ص ص 1-22.
- لتوثيق بحث منشور لباحثين في مجلة أجنبية:
- Qasrawi A., and Mergen, A. (2013). Effect of Yttrium Solubility on the Structural and Optical Properties of Pyrochlore Ceramics. Ceramics International. 39(8). PP 868-862.
- توثيق كتاب مترجم: اسم المؤلف الأصلي، (السنة)، عنوان الكتاب، الطبعة، ترجمة (—)، (—)، المدينة أو الدولة: دار النشر للباحث الأصلي.

- توثيق الرسائل الجامعية: اسم المؤلف الأخير، الاسم الأول، (السنة)، عنوان البحث، عنوان الرسالة، رسالة ماجستير/ دكتوراه غير منشورة، اسم الجامعة، اسم الدولة.
- توثيق من منشورات منظمة: اسم المنظمة، (السنة)، عنوان الإصدار، رقم الإصدار.
- المراجع:
 - يمكن يجب كتابة مصادر ومراجع كل صفحة في المتن (apa) أو في الهامش.
 - إذا كان البحث مكتوباً باللغة العربية يجب أن تفصل المراجع العربية عن المراجع الاجنبية.
 - إذا كان البحث مكتوباً باللغة الانجليزية تدمج المراجع العربية والاجنبية وتكتب باللغة الانجليزية.
 - يجب ترتيب المراجع ترتيباً هجائياً.
 - المراجع الواردة في قائمة المراجع يجب أن تكون قد استخدمت بالفعل في متن البحث.
 - يجب ضبط المعادلات الرياضية بشكل صحيح، بحيث:
 - تعطى المعادلات أرقاماً تسلسلية ويوضع الرقم بين قوسين كما يلي: $(1) Y = a + Bx$
 - يفضل استخدام برنامج ميكروسوفت للمعادلات الموجود ضمن حزمة Word للكتابة المعادلات.
 - يكون حجم خط المعادلة 14.
 - يجب أن يوضع أسفل المعادلة تفسيراً وتوضيحاً للمتغيرات الداخلة فيها.

رسوم النشر:

يدفع الباحث 40 دولاراً مقابل تحكيم ونشر البحث، ويحصل على "إفادة تحكيم" قبل النشر، ثم يحصل على "شهادة نشر" بعد صدور العدد، كما تسمح المجلة باستخراج إفادة أو شهادة باللغة الإنجليزية أو إفادة وشهادة منفصلة لكل باحث، وذلك نظير رسوم اضافية في متناول اليد، وفي حال زاد البحث عن 25 صفحة يدفع الباحث مبلغ 1.5 دولار عن كل صفحة زائدة، لكن تفضل المجلة عدم زيادة الأبحاث عن الحد المسموح به. وبجانب ما سبقت الإشارة إليه؛ يدفع الباحث ٥٠ دولاراً نظير نشر تلخيصات أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير وعروض الكتب بما لا يزيد عن ٢٠ صفحة، بجانب ٢ دولار نظير كل صفحة تزيد عن ٢٠ صفحة.

ملاحظة: هذه الأسعار خاصة بعام 2021م.

معايير تحكيم الأبحاث:

الدرجة	الدرجة	المعيار
من 5	من 5	
	2. جودة أسلوب الكتابة	1. سلامة عنوان البحث
	4. السلامة اللغوية وخلو البحث من الأخطاء	3. أصالة موضوع البحث
	6. توثيق مصادر ومراجع البحث	5. وضوح الكلمات المفتاحية
	8. مراعاة البحث للمعايير الأخلاقية	7. ملخص البحث بالعربي
	10. ترجمة المشكلة البحثية تساؤلات وفرضيات في المتن	9. ملخص البحث بالانجليزية (abstract)
	12. حضور شخصية الباحث في البحث	11. وضوح مشكلة البحث
	14. اختيار عينة البحث والأدوات والإجراءات الميدانية	13. وضوح أسئلة البحث
	16. توفر خاتمة ونتائج توصيات	15. وضوح منهجية البحث
	18. توفر قائمة المصادر والمراجع	17. وجود أهداف من البحث
		19. وضوح الحدود الزمانية والمكانية (والموضوعية والبشرية حسب طبيعة البحث)
		المجموع

المقدمة:

بسم الله الأول والآخر والظاهر والباطن وهو السميع العليم، وبعد.

يسرُّ هيئة تحرير "مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث" أن تصدر الجزء الثاني من العدد الثالث من المجلد الأول، وهو العدد الأخير للعام الجاري 2021م، وبعدها يتم الحضير للعدد الأول من المجلد الثاني*، وخلال الفترة 1 أكتوبر – 1 ديسمبر تمكنت المجلة من الحصول على العديد من العضويات، وعلى سبيل المثال فقد حصلت على رقم تسجيل دولي للنسخة الورقية: P-ISSN: 2789-7834، كما دخلت في تصنيفات معامل التأثير العربي لعام 2021م، وحصلت على 0.5 وجاءت في المرتبة 543 من بين 2157 مجلة علمية عربية خضعت لمعامل التأثير العربي، كما شاركت في معامل تأثير دولي ISI: 0.367.

لقد اشتمل الجزء الثاني من العدد الحالي على 46 بحثاً في موضوعات إنسانية واجتماعية متنوعة، تفضّل بالمشاركة في نشرها أكثر من 58 باحثاً من أرجاء الوطن العربي وتركيا؛ يحملون درجات علمية مختلفة، ومع نشر هذا العدد تكون المجلة قد نشرت نحو 130 بحثاً لـ 160 باحثاً من الوطن العربي وخارجه.

تنطلق المجلة من فلسطين، وتتخذ من قطاع غزة مقراً مؤقتاً لها، في حين أنّ مقرها الدائم سيكون مدينة القدس إن شاء الله، ولديها ممثلين في كلٍّ من العراق والمغرب والسودان. تسعى المجلة للإسهام في النشر والبحث العلمي، حيث تتبع منهجية عمل واضحة، وتقوم بترتيب الأبحاث داخل دفاف أعدادها وفق طريقة قريبة إلى حدٍ كبيرٍ بالتصنيف العشري.

هيئة التحرير - 1 كانون الأول/ديسمبر 2021م

* قد يحمل العدد القادم ترتيب العدد الرابع - المجلد الأول.

قائمة الأبحاث:

الصفحات	عنوان البحث	#
794 – 759	المشترك الإنساني بين الأديان والثقافات والحضارات: دراسة في ضوء قيم التعايش والتسامح والتساكن <i>The human commonality between religions, cultures and civilizations: A study in light of the values of coexistence, tolerance and coexistence</i> - د. مونيير يونس - Dr. Mounir Younes	1.
818 – 795	الفقه الاستراتيجي في القرآن الكريم: دراسة وصفية <i>Strategic Jurisprudence in The Holy Quran: an descriptive study</i> - إخلف وسعيد - Ikhlef ousaid	2.
847 – 819	القراءة الحداثية للسنة النبوية: عرض ونقد لأطروحة محمد شحرور <i>The Modernist Approach to the Prophetic Sunnah: Muhammad Shahrour's Thesis: A Presentation and Critique</i> - د. محمد بنتاجة - Dr. BENTAJA MOHAMED	3.
869 – 848	القراءة التجديدية للنص الديني في الفكر العلماني: بحث في آليات التأويل وتعددية القراءة في فكر أركون نموذجاً <i>Renewal reading of the religious text in secular thought: a study of the mechanisms of interpretation and the plurality of reading in the thought of Arkuon as a model</i> - د. زهرة الثابت - Dr. Zohra Thabet	4.
897 – 870	من القراءة الأيديولوجية إلى القراءة الأيستمولوجية للتراث العربي الإسلامي	5.

	<p><i>From ideological reading to reading, the epistemological reading of the Arab-Islamic heritage</i></p> <p>- سمير الشريفي - Samir Echrifi</p>	
914 - 898	<p>قراءة تحليلية في قاعدة: عدم العلم ليس علماً بالعدم، وتليها قاعدة: نفي الجناح دليل الإباحة</p> <p><i>Analytical reading in Rule: Lack of knowledge is not a knowledge of nothingness, Followed by a rule: the denial of the wing proof of legalization</i></p> <p>- أ. محمد أكرت - Mohamed Akrt</p>	.6
932 - 915	<p>مقصد التيسير ورفع الحرج وتطبيقاته عند سعيد بن لب</p> <p><i>Legal objectives of facilitation, removal of hardshi, and its applications for Said ben Loub</i></p> <p>- د. محمد المصلح - Boudess Hassan & Dr. mohammed AlMosleh</p>	.7
947 - 933	<p>التأصيل النظري والتكيف التطبيقي لنفي المجاز في القرآن الكريم في ضوء نظرية أرواح المعاني</p> <p><i>Theoretical Originating and Practical Adaptation for the Negation of Metaphor in the Glorious Qur'an in the Light of A Theory of Utterances Formulating of Abstract Meanings</i></p> <p>- أ.م.د. يعقوب يوسف خلف - Ass. Prof. Dr. Yaqoob yousif khalaf</p>	.8
968 - 948	<p>وضع الدرس اللغوي بالسلك الابتدائي في المدرسة المغربية: الصرف والتحويل نموذجاً</p> <p><i>The placement of the language lesson in the primary school in the Moroccan school: Exchange and transfer model</i></p> <p>- د. إسماعيل الهرط</p>	.9

	- Dr. Smail elhorte	
992 – 967	التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم خلال المرحلة الأساسية في محافظة غزة <i>Psychological and social adjustment among children who lost their mothers during the elementary grade in Gaza Governorate</i> - محمد حسن عبد القادر العثمانة - Mohammed Alathamna	.10
1024 – 993	درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية بمديرية غرب غزة للقيادة التحويلية وعلاقتها بمستوى سلوك المواطنة التنظيمية <i>Transformational leadership of secondary school principals in west of Gaza governorate and its relation with the organizational citizenship</i> - أ. مروة عصام حسن الأضم - Marwa Esam Hassan AlAdam	.11
1053 – 1025	مشكلات الإدارة الصفية التي تواجه الطلبة " المعلمين " بقسم التعليم الأساسي في جامعة الأقصى من وجهة نظرهم وسبل التغلب عليها <i>Problems of the classroom management that facing undergraduate students in the Department of Basic Education at Al-Aqsa University from their point of view and the ways to overcome them</i> - د. محمد عوض شبير - Dr. Mohamed Awad Shbeir	.12
1079 – 1054	دور الإدماج المدرسي في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل المعاق سمعياً <i>The role of school integration in developing the mental image of the hearing-impaired child</i> - د. دحال سيهام - Dr. Dahal Siham	.13

1107 - 1080	<p>فاعلية برامج المسؤولية الاجتماعية في تشكيل الصورة الذهنية لشركات الاتصال: دراسة تطبيقية على شركة زين للهاتف السيار في الفترة من 2019 - 2020م</p> <p><i>The effectiveness of social responsibility programs in shaping the mental image of communications companies: Applied study on Zain mobile company in period from 2019-2020</i></p> <p>- د. الرشيد داود ادم سليمان & د. حذيفة احمد الامين احمد - Dr. ALRASHED SELAMAN & Dr. HOZAIFA AHMED</p>	.14
1118 - 1108	<p>مراكز التعليم في العالم الإسلامي وأثرها في تطوير التعليم الديني بدول جنوب شرق أوروبا: البوسنة والهرسك أنموذجا</p> <p><i>Education centers in the Islamic world and their impact on the development of religious education in South east European countries: Bosnia and Herzegovina as a model</i></p> <p>- د. يونس الغزوزي & أ.د. خالد الصمدي - Dr. Younes El Azzouzi & Prof. Dr. Khalid Samadi</p>	.15
1135 - 1119	<p>قراءة تحليلية في تحول الفن المقدس من الفعل التعبدية والممارسة الطقوسية إلى الفن الديني والممارسة الفنية الإستيطيقية</p> <p><i>Analytical reading in the transformation of sacred art from devotional act and ritual practice to religious art and aesthetic artistic practice</i></p> <p>- د. جوهرة القدس عكية - Dr. Jaouharat Al Qods Aggya</p>	.16
1159 - 1136	<p>قراءة في المساهمة الثقافية للمرأة في المجتمع الشنقيطي</p> <p><i>A reading of Women cultural contribution to the society of Shinqitti</i></p> <p>- د. بخوته الشيخ الصوفي - Dr. Bekhouthe Cheikh Soufi</p>	.17

1184 - 1160	<p>تطور علم الجراحة عند علماء المسلمين في الأندلس: أبو القاسم عباس الزهراوي.. رائد علم الجراحة أنموذجاً</p> <p><i>The Development of Surgery Science by Muslims' Scholars in the Andalusia: A Case Study of Abu al-Qasim Abbas Al-Zahrawi- the Pioneer of Surgery Science</i></p> <p>- د. إلهام معتصم البشير بانقا - Dr. Elham Muatasim Elbashir Banaga</p>	.18
1202 - 1185	<p>إسهامات ابن خلدون في ميادين علم الاجتماع</p> <p><i>Ibn Khaldoun's contributions to the fields of sociology</i></p> <p>- د. عبدالفتاح عبدالرحيم جبريل - Dr. Abdelfattah abdelraheem gerbil</p>	.19
1221 - 1203	<p>علماء تلمسان ومسألة تأسيس المدارس التعليمية خلال العهد الزياني: بين التأييد والمعارضة</p> <p><i>Tlemcen Scholars and the Question of Establishing Educational Schools during the Zayani Era: Between Support and Opposition</i></p> <p>- د. بكوش فافة - Dr. Bekkouche Faffa</p>	.20
1244 - 1222	<p>دور الأميرة أشرف بهلوي السياسي الفعال في القضاء على الحركات الانفصالية في إيران 1946-1941 (جمهورية كردستان او مهاباد)</p> <p><i>Princess Ashraf Pahlavi's effective political role in eliminating separatist movements in Iran 1941-1946 (Republic of Kurdistan or Mahabad)</i></p> <p>- د. عباس حسين الجابري & حبيب عمران الأعاجيبي - Assist Prof. Dr. Abbas AL- Jabri & Habeeb AL-A'jeebl</p>	.21
1265 - 1245	<p>التأصيل الإبستمولوجي النقدي للشعر لدى الشمشاطي</p> <p><i>The critical epistemological rooting of poetry for Al-Shamshati</i></p>	.22

	- أ.د. نزار شكور شاکر - Prof. Dr. Nizar Shakour Shaker	
1298 - 1266	جمالية التكرار في شعر جميل حيدر <i>The aesthetic of repetition in the poetry of Jamil Haider</i> - م.م. هدى صبيح محمد العبودي - Huda Sabeih Mohammed Al-Aboudi	.23
1314 - 1299	اللسانيات القانونية وأهميتها التطبيقية <i>Legal Linguistics and its Applied Importance</i> - أحمد بن خضر ذاخر المالكي - Ahmed AlMaleki	.24
1340 - 1315	ميناء الفاو العراقي: دراسة في الجغرافية السياسية <i>The Iraqi port of FAO: a study in political geography</i> - أ.م.د. ظلال جواد كاظم - Assistant Professor Dr. dhilal Jawad Yassin	.25
1368 - 1341	البعد الجغرافي للعدالة الصحية ومؤشرات التباينات الجهوية للمنظومة الصحية المغربية <i>The geographic dimension of health equity and indicators of regional disparities in the Moroccan health system</i> - د. بدرالدين أيت لعسري & د. محمد أنفلوس - Dr. Badr eddine LAASRI & Dr. Mohammed ANNEFLOUSS	.26
1392 - 1369	الإقليم الجغرافي للدولة: دراسة في الفكر الأصولي اليهودي <i>Geographical region of the country: A study in Jewish fundamentalist thought</i> - أ. مؤيد جبار حسن - Muayad Jabbar Hassan	.27
1415 - 1393	دور جامعة الدول العربية تجاه الأزمة في سوريا <i>The role of the Arab League towards the crisis in Syria</i>	.28

	<p>- جهاد عبد الكريم ملكه - Jehad Abdelkareem Malaka</p>	
1440 - 1416	<p>فاعلية المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في ضوء تطبيق الكوتا <i>The effectiveness of Palestinian women's political participation in light of the application of quotas</i> - د. رمزي أحمد النجار - Dr. Ramzy Elnajjar</p>	.29
1488 - 1441	<p>اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدام تقنيات التكنولوجيا الحديثة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي "دراسة ميدانية" <i>Attitudes of Palestinian Journalists Towards the Use of Modern Technology Techniques in the Verification of Information's Through Digital Media "A Field Study"</i> - فارس سلمان عبد المنعم أبو شيحة - Fares Salman abed almonem abo shiha</p>	.30
1508 - 1489	<p>دور وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج لنصرة قضية القدس <i>The Role of Social Media in Disseminating Jerusalem cause</i> - د. حاتم علي مصطفى العسولي - Dr. Hatem Ali AlAssouli</p>	.31
1529 - 1509	<p>الجريمة المستحيلة في التشريع التركي <i>The Impossible Crime in Turkish Legislation</i> - أ. جهاد ممدوح السموني - Jehad m. A. Alsammouni</p>	.32
1554 - 1530	<p>الجرائم الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية: مقاربة قانونية <i>The Israeli Crimes in the Palestinian Territories: A Legal Approach</i> - أ. محمد القاضي</p>	.33

	- Muhammad Al-Qadi	
1569 – 1555	تنفيذ القانون الدولي الإنساني: الآليات القمعية نموذجاً <i>Implementation of international humanitarian law: repressive mechanisms as a model</i> - أ. محمد القاضي - Muhammad Al-Qadi	.34
1601 – 1570	مخاطر السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية <i>The dangers of economic peace on the Palestinian cause</i> - د. رائد محمد حلس - Dr. Raid Mohammed Helles	.35
1627 – 1602	أثر الإدارة الإلكترونية على أداء العاملين دراسة ميدانية على المصارف التجارية العاملة بمدينة الأبيض – 2021م <i>The impact of electronic management on the performance of employees, a field study on commercial banks operating in the city of El-Obeid - 2021</i> - د. الخير عمارة محمد علي عامر & د. محمد مختار إبراهيم أحمد - Dr. Elkheir Aamir & Dr. Mohammed Ahmed	.36
1652 – 1628	أثر العلامة التجارية والاسم التجاري على سلوك المستهلك الشرائي: دراسة ميدانية شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة- ولاية الخرطوم <i>The Impact of the branding on consumer buying behavior: A field study: Dal Company for Food Industries Ltd. - Khartoum State</i> - د. منتصر الهادي بخيت & د. عبدالعزيز حسن آدم & د. مجاهد عبدالقادر إبراهيم - Dr. Muntasir Bakhit & Dr. Abdulaziz Hassan & Dr. Mujahid Ibrahim	.37

	<p><i>The role of social responsibility in improving the mental image of service business organizations: A field Study on Telecommunications Companies in North Kordofan State</i></p> <p>- د. أبو القاسم سلوار & د. عبدالعزيز حسن آدم & د. مجاهد عبدالقادر السيد - Dr. Abu al-Qasim Salwar & Dr. Abdulaziz Adam & Dr. Mujahid Al-Sayyid</p>	
2180 – 1772	<p>الدور الوسيط للإبداع الإداري في علاقه بين هندسة العمليات (الهندرة) وأداء العاملين: دراسة ميدانية على شركات الاتصال - السودان - مدينة الأبيض - 2021م</p> <p><i>The Mediating Role of administrative creativity in the relationship between operations engineering and employee performance - a field study on communication companies - El Obeid City - Sudan-2021</i></p> <p>- د. الخير عمارة محمد علي عامر - Dr. Elkheir Amara Mohammedali Aamir</p>	.42
1824 – 1803	<p>البعد الاقتصادي في علاقات المغرب بالدول الإفريقية بين الحضور المتميز وتحديات المنافسة الدولية</p> <p><i>The economic dimension in Morocco's relations with African countries between the distinguished presence and challenges of international competition</i></p> <p>- أ. نورالدين مورو - Nourddin Mourou</p>	.43
2185 – 1825	<p>جوهر الإعجاز التشريعي في حد الزنا</p> <p><i>The essence of legislative miracles in the limit of adultery</i></p> <p>- د. إشراقة جيب الله حامد جيب الله - Dr. Eshraga Jeeballa Hamed</p>	.44
1875 – 1853	<p>ملامح الإبداع الأدبي لدى الشعراء الكتاب: ابن أبي الخصال الغافقي نموذجا</p>	.45

	<p><i>Features of literary creativity among writers poets: Ibn Abi Al-Khesal Al-Ghafiqi as a model.</i></p> <p>- د. محمود علي عبد الحليم مصطفى - Dr. Mahmoud Ali Abdel Halim Mustafa</p>	
1891 – 1876	<p><i>THE SARS-COV-2: BIOLOGICAL WARFARE AND THE RESPONSE OF THE HEALTH COMMUNITY</i></p> <p>فيروس كورونا: الحرب البيولوجية واستجابة المجتمع الصحي</p> <p>- Mr. Benselama Ahmed Yassine - السيد بن سلامة أحمد ياسين</p>	.46

المشترك الإنساني بين الأديان والثقافات والحضارات: دراسة في ضوء قيم التعايش والتسامح والتساكن

The human commonality between religions, cultures and civilizations: A study in light of the values of coexistence, tolerance and coexistence

د. مونير يونس: باحث في العقيدة والفكر الإسلامي، جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال
المملكة المغربية

Dr. Mounir Younes: Researcher in Islamic Faith and Thought, Sultan
Moulay Slimane University, Beni Mellal, Kingdom of Morocco

البريد الإلكتروني: mouniryounes2015@gmail.com

المخلص:

يتناول هذا البحث موضوع الحوار والتواصل الحضاري ودوره في التأسيس لثقافة العيش المشترك في عالم متعدد الأديان والثقافات والحضارات، ونطمح من خلال ذلك إلى التأكيد على مشروعية دعوى الحوار والتعارف الحضاريين حتى وإن كنا في زمن يعج بالحروب ذات الخلفية الدينية والسياسية، فالسبيل الوحيد للعيش المشترك إنما يكمن في الحوار والتواصل لفهم الآخر والتفاهم معه.

غير أن تفاؤنا بنجاح الحوار بين الحضارات والثقافات، لا يمكن أن يجعلنا نغفل عن الصعوبات الواقعية العديدة التي تعترضه، خاصة تلك النزعة المتنامية للحرب بشتى أنواعها والهوس المفرط بالتسلح والنظرة الخاطئة للآخر. وعليه فإن الحوار والتواصل الحضاري يتطلب مزيدا من العمل الفكري والميداني من قبل الباحثين لتوسيع ظاهرة الإعتدال والتسامح في العالم، ويحتاج إلى الدبلوماسية الثقافية الموازية أو ما يسمى ب: "ثقافة نشر السلام"، وكثيرا من الجرأة في اتخاذ المواقف والقرارات من طرف الطبقة السياسية الحاكمة.

الكلمات المفتاحية: المشترك الإنساني، قيم التعايش، ثقافة السلم والأمان، الأديان والثقافات والحضارات.

Abstract:

This research deals with the topic of dialogue and civilized communication and its role in establishing a culture of coexistence in a world of multiple religions, cultures and civilizations, and through this we aspire to confirm the legitimacy of the claim of civilized dialogue and acquaintance, even if we are in a time rife with wars with a religious and political background. In dialogue and communication to understand and understand the other.

However, our optimism about the success of dialogue between civilizations and cultures cannot make us lose sight of the many realistic difficulties it faces, especially the growing tendency to war of all kinds, excessive obsession with armaments and a wrong view of the other. Therefore,

dialogue and civilized communication require more intellectual and field work by researchers to expand the phenomenon of moderation and tolerance in the world, and it needs parallel cultural diplomacy or the so-called "culture of spreading peace", and a lot of boldness in taking positions and decisions by the ruling political class.

Keywords: The common human, values of coexistence, a culture of peace and security, religions, cultures and civilizations.

المقدمة:

إن الظروف التي نعيشها اليوم من صراعات دينية ومذهبية وطائفية التي تجتاح العالم، بفعل الفشل في إدارة الخلاف والاختلاف التي تشكل واقعا ثابتا، وسنة كونية بين مكونات المجتمع البشري على مر العصور (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَنْ نَعْمًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)¹، (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)²، في ظروف كهذه تتزايد الحاجة بإلحاح أكثر من أي وقت مضى إلى تجاوز هذا الفشل والإخفاق بالنزوع إلى تعميق وترسيخ قيم التعايش والتسامح والتساكن وأسس العيش المشترك، وفقا لما رسمه الإسلام وأسس له في هذا النطاق، سعياً إلى توفير السلم والاستقرار، وتحقيق التنمية الشاملة في العالم.

لقد شرع الإسلام أرقى المناهج السلوكية تقنياً وضبطاً للتعامل بين الفرد ونظيره، وبين الأفراد والجماعات، في أبهى صور التعامل القائم على تقبل الآخر واحتضانه ضمن العائلة الإنسانية الكبرى في إطار التعايش المتكامل تحت سقف واحد وعلى صعيد مشترك، يتمتع كل فرد فيه بحفظ خصوصيته عبر احترام معتقده ونفسه وماله وعرضه، وقد شرع الإسلام هذا المنهج الحكيم المتميز من خلال منظومة قيم وأخلاقيات تشكل بمجموعها ما بات يعرف اليوم في مجال علم الاجتماع السياسي اصطلاحاً بمبادئ «التسامح وأسس العيش المشترك».

إن خصوصية التعايش التي وردت في الآية الكريمة أصرح دليل على تبني الشريعة الإسلامية الغراء لمبادئ وأسس العيش المشترك بين الإنسانية جمعاء، لما يتطلبه حصول التعارف من ضرورة

¹-سورة النحل، الآية 93.

²-سورة هود، الآية 118.

الاحتكاك والاختلاط بين القبائل والشعوب والأمم، والجماعات والعائلات والأسر والأفراد، في وضع يسمح لكل من موقعه بفرصة المساهمة في جو يطبعه التعاون بتوحيد الجهود البشرية والإندماج الجماعي في العمل المتكامل المنسجم، تحقيقاً لعمارة الأرض واستمرار ديمومة الجنس البشري، وتجسيداً لحكمة خلافة بني آدم في الأرض.

الإشكاليات المطروحة في البحث:

بناء على ما سبق طرح الأسئلة التالية، ما الذي تغير في ثقافة وفلسفة التعايش الديني في مختلف بقاع العالم؟ هل ما زلنا نقبل الاختلاف الديني كما عهدنا في السابق؟ ما دور وسائل الإعلام والعمولة في تفعيل التعايش بين الشعوب والأديان؟ هل التاريخ بين مختلف الأديان والحضارات والثقافات هو نفسه الحاضر؟ هل ما زلنا نعيش بدون تمييز وبدون النظر للآخر كمسيحي أو يهودي أو حتى مسلم سني أو شيعي؟ ولا ننسى أن الحضارة والمنطقة العربية هي مهد الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام، فأين نحن من التسامح والتعايش والتساكن الذي ننشده؟ هل يمكن اعتبار حوار الأديان والحضارات والثقافات مشروعاً واقعياً أنطولوجياً أمام واقع العنف والصراع المتزايد؟

المنهجية المعتمدة في البحث:

استندت في هذا البحث على المنهج التحليلي لبيان الفرضيات الضرورية، للوصول إلى إجابات وتقديم الحلول والأفكار المناسبة في ظل الدبلوماسية الثقافية، من أجل نمو وتوسيع ظاهرة الحوار الديني والثقافي بين الأديان والحضارات والثقافات.

أهمية البحث في الموضوع:

يعد موضوع المشترك الإنساني من الموضوعات التي تكتسي أهمية كبرى لدى جميع الثقافات والشعوب، في الوقت الراهن وفي المستقبل المنظور، نظراً لفشل الخطابات العنصرية والذرائعية والقومية وانفصاح الفلسفات المحرضة على الكراهية والصراع والصدام الحضاري وتدوين الثقافات، في مقابل تكاثر النداءات العالمية التي تستحسن القيم العالمية المشتركة من قبيل الحديث عن "الأخلاق العالمية" و"الأخلاق الكونية"¹، ناهيك عن تداخل المصالح المشتركة وتشابك

¹ - نستحضر هنا نظرية التواصل عند الفيلسوف الألماني كارل أوتو أبل في رسالته "في مسألة التأسيس العقلي للأخلاقيات في عهد العلم" و يورغن هابرماس في كتابه "الأخلاق والتواصل".

العلاقات الدولية وتبادل الخدمات في جميع المجالات والبيادين، وعلى كل المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والبيئية والتكنولوجية والفكرية والثقافية والعمرانية.

المبحث الأول: دراسة مفهوم الدين والحضارة والثقافة

أولاً: مفهوم الدين "Religion".

جاءت لفظة الدين في اللغة على عدة معاني، ومنها: المجازاة، كما يقول الدكتور السوري محمد الزحيلي: "الدين هو الجزاء والمكافأة والقضاء والحساب، ومنه قول العرب: كما تدين تدان، أي كما تصنع يصنع بك"¹، كما في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَكْتُمُونَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الدِّينِ) ²، ومنه الدين بمعنى الإسلام³. الطاعة: إذ يأتي الدين بمعنى الطاعة والانقياد، والدل، والدين يأتي بمعنى العادة⁴ والتوحيد: إذ يأتي الدين بمعنى التوحيد، فقد قال الله عز وجل: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ⁵. ويأتي بمعنى الحكم، فقد قال الله سبحانه وتعالى: (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) ⁶، ويأتي بمعنى الملة، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ) ⁷.

تعددت تعاريف العلماء المسلمين لمعنى الدين اصطلاحاً، فمنهم من عرف الدين بأنه: "الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي"⁸، وعرفه الدكتور السوري فراس السواح وهو مفكر وباحث في الميثولوجيا وتاريخ الأديان: "أنه عملية استرضاء وطلب عون أقوى أعلى من الإنسان، يعتقد أنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية، وهذه العملية تنضوي على عنصرين، واحد نظري والآخر

¹-الدكتور محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1401هـ/1991م، ص: 15.

²-سورة المطففين، آية: 11.

³-ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1414هـ/1994م، جزء 13/صفحة: 169.

⁴-ابن فارس القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة العربية، تحقيق الدكتور عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1399هـ/1979م، جزء 2/صفحة: 319.

⁵-سورة آل عمران، آية: 19.

⁶-سورة يوسف، آية: 76.

⁷-سورة التوبة، آية: 33.

⁸-سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م، ص: 9.

تطبيقي عملي، فهناك أولاً الاعتقاد بقوى عليا، يتلوه محاولات لاسترضاء هذه القوى، ولا يصح الدين بغير توفر هذين العنصرين، ذلك أن الاعتقاد الذي لا تتلوه ممارسة هو مجرد لاهوت فكري، أما الممارسة المجردة عن أي اعتقاد فليست من الدين في شيء¹. ويقول الدكتور الأردني سعدون محمود الساموك أستاذ الأديان في جامعة بغداد سابقاً: "ليس بين المؤسسات البشرية مؤسسة تضاهي الدين في سيطرته على نفسية الفرد وزجره وكبح جماح شهواته، سواء أكان الفرد بدانياً أو متمدناً. فالدين بنى كيانه منذ نشأته على الحلال والحرام، فالحرام مالا يجوز مسه أو التقرب منه أو أكله، وحمل الفرد على الاعتقاد بأن من يخالف هذا التحريم يآثم ويستحق العقاب"²، وجاء في قاموس الأنثروبولوجيا بأن: "الدين نظام اجتماعي يقوم على علاقة الإنسان بكائن، أو كائنات، أو قوى فوق طبيعية، أو إله، أو آلهة يؤمن بها، ويعبدها عن طريق وسطاء يعتقد أنهم يمثلونه أو يمثلونهم، ويتجسد الدين بنسق سلوكي وقانوني أخلاقي، كما تأخذ العلاقة بين العابد والمعبود شكل نسق اجتماعي مقرر، ونمط ثابت"³. أما الغربيون فلهم في تعريف الدين تعريفات شتى نذكر نماذج منها: "يقول سيسرون في كتابه (عن القوانين) الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله، ويقول كانت في كتابه (الدين في حدود العقل) الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية، ويقول شلاير ماخر في (مقالات عن الديانة) قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة، ويقول الأب شاتل في كتاب (قانون الإنسانية) الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق، وواجبات الإنسان نحو الخالق، ونحو الجماعة، ونحو نفسه"⁴. ويقول عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم في تعريف الدين أنه: "مؤسسة اجتماعية قوامها التفريق بين المقدس

1-الدكتور فراس السواح، دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الرابعة، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1422/هـ/2002م، ص: 25.

2-الدكتور سعدون محمود الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة: محور العقائد، دار المناهج، الطبعة الأولى، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 1422/هـ/2002م، ص: 18.

3-الدكتور شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا: انجليزي-عربي، منشورات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، دولة الكويت، 1401/هـ/1981م، ص: 815-816.

4-الدكتور محمد عبد الله دراز، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم للنشر، الكويت، 1371/هـ/1951م، ص: 34.

والدنيوي، لها جانبان: أحدهما روحاني مؤلف من العقائد والمشاعر الوجدانية، والآخر مادي مؤلف من الطقوس والعادات¹.

يحتوي تعريف الدين الإسلامي على أربعة عناصر أساسية: أولاً المصدر، وهو الله عز وجل، قال الله في كتابه العزيز: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾². ثانياً الوحي، وهو الذي يكون وساطة بين العبد وربّه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾³. ثالثاً الموحى به، وهو المنهج أي القرآن الكريم، والسنة الشريفة، قالتعالى: ﴿كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾⁴. رابعاً الموحى إليه، وهم الأنبياء والرسل جميعاً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّكَذِّبٍ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾⁵ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ⁵.

ثانياً: مفهوم الحضارة "Civilisation".

جاءت كلمة الحضارة من مصدر حضر، من الحضر والحضرة وهي خلاف البادية وهي المدن والقرى وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار⁶، يقول الفيروز آبادي: "الحضارة هي الإقامة في الحضر"⁷. واصطلاحاً تطلق حضارة بمعناها الذاتي

¹-الدكتور جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، الطبعة الأولى، تونس، جمهورية تونس، 1424هـ/2004م، ص: 200.

²-سورة الكهف، آية: 1.

³-سورة النساء، آية: 163.

⁴-سورة الشورى، آية: 7.

⁵-سورة الشورى، آية: 51-53.

⁶-ابن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، جزء 1/صفحة: 197.

⁷-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف الدكتور محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة الطبعة السادسة، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1418هـ/1998م، ص: 376.

المجرد على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش¹. وذهب ول وإيريل ديورانت المؤرخ والمفكر الأمريكي إلى أن الحضارة هي: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، والحضارة تتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطوع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وإزهارها"². ويعرف الفقيه والمؤرخ وعالم الاجتماع المغربي عبد الرحمان بن خلدون الحضارة بأنها: "غاية للبداءة وأن العمران كله من بداءة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس...فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضا كذلك، لأنه غاية لا مزيد وراءها. وذلك أن الترف والنعمة إذا حصل لأهل العمران، دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعواندها...والحضارة كما علمت هي الترفن في الترف واستجادة أحواله...والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران، فمن كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل."³

والحضارة الإسلامية يمكن أن تتخذ أشكالا متنوعة في تركيبها المادي والتشكيلي، ولكن الأصول والقيم التي تقوم عليها ثابتة، يضيف سيد قطب موضحا الأسس التي تقوم عليها هذه الحضارة وهي: "العبودية لله وحده، والتجمع على أصرة العقيدة واستعلاء إنسانية الإنسان على المادة وسيادة القيم والإنسانية التي تنمي إنسانية الإنسان لا حيوانيته... وحرمة الأسرة، والخلافة في الأرض على عهد الله وشرطه، وتحكيم منهج الله وشرعيته وحدها في شؤون هذه الخلافة"⁴.

¹-الدكتور جميل صليبا، المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م، جزء 1/صفحة:476.

²-ول وإيريل ديورانت، موسوعة قصة الحضارة، تقديم الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، تونس، 1433هـ/2013م، جزء 1/صفحة:3.

³-عبد الرحمان محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عادل بن سعد، الدار الذهبية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1426هـ/2006م، ص: 404.

⁴-سيد قطب، معالم على الطريق، دار الشروق، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة السادسة، 1399هـ/1979م، ص: 120.

أما الحضارة بمعناها الموضوعي فهي أعلى مستوى لتجمع ثقافي بشري للإنسانية، وتمثل أوسع مستوى من مستويات الهوية الثقافية التي يمتلكها الكائن البشري وتميزه عن الكائنات الأخرى، ومحدداتها هي العناصر الإيجابية المشتركة مثل اللغة والدين والتاريخ والمؤسسات، وهي تتداخل وتتقاطع وقد تحتوي على حضارات فرعية¹. وهناك من يعرف الحضارة بأنها حركة أُنسنة الإنسان في المجتمع، أو أنها حالة متطورة أو متقدمة من المجتمع الإنساني². كما يعرف العالم والسياسي الأمريكي صامويل هنتنغتون الحضارة بأنها: "الكيان الثقافي الأوسع الذي يضم الجماعات الثقافية مثل القبائل والجماعات العرقية والدينية والأمم وفيها يعرف الناس أنفسهم بالنسب، والدين، واللغة، والتاريخ والقيم والعادات، والمؤسسات الاجتماعية بدرجات متفاوتة وفقا للجماعات الثقافية الداخلة تحت حضارة واحدة"³.

إن المفهوم الذي يُشابه مفهوم صراع الحضارات في القرآن هو التدافع والتلاقح، حيث تكمل بعض الحضارات بعضًا وتتعاقد وتتواصل، فهي خلاصة الفكر البشري والإبداع الإنساني، وحركة التاريخ هي في المفهوم الإسلامي سنة الله في الكون، فالصراع بين الحضارات ليس واردًا بما يشبه المفهوم الغربي، لأن دورات التاريخ تطرد وفق المشيئة الإلهية، ولأن التاريخ هو من صنع الله، والإنسان يؤثر في مسار التاريخ ويصوغه ويبدع فيه، يقول الدكتور السعودي عبد العزيز بن عبد الرحمن التويجري وهو أستاذ الإدارة والتخطيط: "إن التفاعل الحضاري يستند في مفهوم الفكر الإسلامي، إلى مبدأ التفاعل الحضاري، لا الصراع الحضاري، وهو المبدأ القرآني المحض"⁴. والتدافع الحضاري مفهوم قرآني جامع للمعاني والدلالات حول تفاعل الحضارات معًا، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾⁵، ويقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ

1-دكتور ميلاد حنا، قبول الآخر فكر واقتناع وممارسة، دار الشروق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، ص: 48.

2-طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة الدكتور سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1430هـ/2010م، ص: 299.

3-صامويل هنتنغتون، صدام الحضارات: صنع النظام العالمي الجديد، ترجمة الدكتور طلعت الشايب، تقديم الدكتور صلاح قنصوه، الطبعة الثانية، 1419هـ/1999م، ص: 10.

4-الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، 1422هـ/2002م، ص: 8.

5-سورة البقرة، آية 251.

بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً¹، كما يأمر الله عباده بالدفع بالتّي هي أحسن ما أمكن ذلك، ففي قوله تعالى: (ادفع بالتّي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)²، ودفع الله الناس بعضهم ببعض لا يلغي كل أشكال الصراع بالضرورة، إلا أنه لا يشمل الصراع المؤدي لفساد الأرض، فهذا التدافع بالأساس هو لمنع فساد الأرض، ويشمل الحوار والتنافس الإيجابي.

ثالثاً: مفهوم الثقافة "the culture"

إن كلمة الثقافة تحمل عدداً من المعاني فياللغة، فيقال ثقّف الشيء إذا حدقه ومنه يُقال هذا رجلٌ ثقّف أو امرأةٌ ثقّفة، وتأتي الثقافة بمعنى الذكاء والفتنة، ومن المعاني التي تحملها هي الضبط والسّرعَة في التّعلم، فيقال عن الرجل ثقّف إذا كان قائماً بعلمه وضابطاً له، ومن معاني كلمة الثقافة لغة الظفر بالشيء والغلبة عليه، ومن هنا يقول الإمام القرطبي في تفسير ثقّف في الآية القرآنية الآتية: (فَأَمَّا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ)³، أي: "هي أسر العدو والغلبة عليه وتجعلهم في ثقاف، أو تلقاهم بحال ضعف تقدر عليهم وتغلبهم. يقال: ثقّفته أثقّفه ثقفاً، أي: وجدته، وفلان ثقّف لقف، أي سريع الوجود لما يحاوله ويطلبه وثقّف لقف، وامرأة ثقاف"⁴، ومن المعاني التي يدلُّ عليها مصطلح الثقافة في التعريف الاصطلاحي، ما أشارت إليه الدكتورة المصرية نادية شريف العمري: "أن الثقافة تتناول العقيدة والنشاط الإنساني في شتى مجالات الآداب والعلوم والفنون والعادات، والأدب الشعبي وأدب الخاصة، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية كنظم الحكم والإدارة، ونظم الأسرة، ولا يخرج عن هذه الدائرة تخطيط المدن وتطوير القرى ووسائل النقل وأساليب المأكّل والمشرب والزينة والزّي ووسائل الترفيه النفسي والاجتماعي"⁵. ويشير مفهوم الثقافة كذلك إلى مجموعة من العلوم كالدين والأدب والعلوم والفلسفة، كما أنّ الثقافة تدلُّ على العادات والتقاليد الموروثة لأمة ما وانتقالها من جيلٍ لآخر، وقد يكون للتوجه الديني والمذهبي الأثر الكبير في تشكيل

¹-سورة الحج، آية 40.

²-سورة فصلت، آية: 34.

³-سورة الأنفال، آية: 57.

⁴-أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد الحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م، جزء 10/ صفحة: 47-48.

⁵-الدكتورة نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1422هـ/2001م، ص: 15.

الثقافة، يقول عالم الاجتماع الأمريكي والباحث في الأنثروبولوجيا الثقافية دنييس كوش: "لا توجد الثقافات بمعزل عن العلاقات الاجتماعية التي تكون دوماً، علاقات غير متساوية"¹. وتقول الدكتورة زينب إبراهيم شوربا: "الثقافة هي متعددة. ولن تصير واحدة ما دامت تتعلق بإنتاج المعنى الذي يتميز به عالم الإنسان، والمعنى يزهر تنوعاً ويثمر فرادة، أي هو سبيل لإنتاج الاختلاف والتعدد"². ويعد مفهوم الثقافة من المفاهيم المحورية في علم الاجتماع بصفة عامة، والأنثروبولوجيا الثقافية بصفة خاصة. ويشكل مفهوم الثقافة أحد الأفكار الكبرى، التي ساعدت البشرية على إنجاز الكثير من التقدم العلمي والتطور الفكري، فالثقافة مفهوم يتميز بأنه ذات طبيعة تراكمية ومستمرة. فهي ليست وليدة عقد أو عدة عقود، بل هي ميراث اجتماعي لكافة منجزات البشرية.

المبحث الثاني: أهمية الثقافة في استيعاب متطلبات الحضارة الإنسانية

إنه سؤال يبدو للوهلة الأولى سؤالاً ساذجاً أو بسيطاً، ولكنه في حقيقة الأمر أعقد مما نتصور وذلك لأن مفهوم الحضارة متشابك مع مفاهيم أخرى عديدة لا تقل عنه أهمية أبداً. وعلى كل حال فإن الحضارة في مفهومها العام "هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواءً أكانت الثمرة مادية أم معنوية"³.

إن هذا التعريف الأولي والمبدئي للحضارة يبيّن لنا بوضوح العلاقة الوطيدة بين الأسس الثلاث التي تعمل على إبداع الحضارة الإنسانية، وهي: "الزمان، والفكر، والإنسان". وهذه الأسس الثلاث برأي الدكتور والمؤرخ المصري حسين مؤنس، هي: "المنطلق الجوهري والأساسي لقيام أية حضارة كانت"⁴. فالقيمة الحقيقية لأي إبداع حضاري لا تتجلى إلا إذا أخضعها الإنسان لتجربته مرة إثر أخرى وعلى مجالٍ زمنيٍّ طويل. فالزمن هو أحد العناصر الهامة في اكتشاف القيمة الحضارية

¹-دنييس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة الدكتور منير السعيداني، مراجعة الدكتور الطاهر لبيب، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1427هـ/2007م، ص: 120.

²-الدكتورة زينب إبراهيم شوربا، نحو فهم معاصر للإجتهد: حوارات في الإجتهد وإمكانات التجديد، دار الهادي، مركز دراسات فلسفة الدين، الطبعة الأولى، بغداد، جمهورية العراق، 1425هـ/2004م، ص: 338.

³-الدكتور حسين مؤنس، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الثانية، دولة الكويت، العدد 237، 1418هـ/1998م، ص: 13.

⁴-نفس المصدر، ص: 17.

لأية ثمرة إبداعية جديدة، وعندما نتحدث عن الثمار الإبداعية فإننا بطبيعة الحال نتحدث عن دور الفكر أو العقل في إنتاج هذه الإبداعات الحضارية. ومما لا شك فيه أن التفكير المنظم والمدرّس عبارة عن عملية حضارية بحدّ ذاتها حيث أنها احتاجت إلى زمن طويل لتصبح بعد ذلك عنصراً فعّالاً في توجيه أعمال الإنسان وصنع الحضارات وتطويرها باستمرار.

إن مفهوم الحضارة مرتبط بالجانب الأخلاقي لدرجة لا يمكن الاعتراف بالتقدم والتطور البشري والإنساني، ما لم يكن هذا التقدم مقترناً بالاستعداد الشخصي للعمل الإيجابي من جهة، وبالمداد والتعاليم الأخلاقية السامية من جهة أخرى. وهذا ما يؤكد عليه الفيلسوف الألماني ألبرت اشفيتسر في تعريفه للحضارة حيث يقول: "إن الحضارة بكل بساطة، معناها بذل المجهود، بوصفنا كائنات إنسانية، من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم، من أي نوع كان، في أحوال الإنسانية وأحوال العالم الواقعي. وهذا الموقف العقلي يتضمّن استعداداً مزدوجاً: فيجب أولاً أن نكون متاهبين للعمل إيجابياً في العالم والحياة، ويجب ثانياً أن نكون أخلاقيين"¹.

فالحضارة، تبعاً لذلك تنشأ حينما يشدّ الناس همهم لبلوغ التقدم والازدهار لدفع الحياة الإنسانية إلى الأمام على نهج أخلاقي واضح وصريح؟ يقول الدكتور والفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري: "تلك هي الأخلاق التي تكون فضائل في حالات وردائل في أخرى، أما الأخلاق المحمودة المعدودة فضائل فقلما تجتمع كلها في إنسان واحد، وأما المعدودة نقائص ومعائب فقلما يوجد إنسان يخلو من جميعها، خاصة لمن لم يرض نفسه ويؤذّبها. ولذلك كان أولى الأمور بالإنسان أن يتفقد أخلاقه ويتأمل عيوبه ويجتهد في إصلاحها، فإن الناس إنما يتفاضلون بأخلاقهم"². ولو أردنا أن نستعرض آراء كل الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع المتعلقة بتعريف الحضارة لرأينا أن هناك تقارباً كبيراً في تعريفاتهم لها، ولكن يمكن أن تكون هناك بعض الاختلافات الفرعية أو الإضافات الفكرية الأخرى التي يتبناها البعض، وقد رأينا كيف أن الفيلسوف الأخلاقي ألبرت اشفيتسر قد ربط مفهوم الحضارة بالأخلاق، بحيث لا يمكن أن يعتبر أن هناك خطوات أخلاقية إنسانية ما لم تكن تلك الخطوات مترافقة تماماً مع التقدم الأخلاقي والتطور الإيجابي المنعكس على الوجود الإنساني العام. وبالمقابل فإن هناك بعض الفلاسفة الآخرين أمثال دوركهيم وداوسن وماوسن رأوا أن

¹ألبرت اشفيتسر، فلسفة الحضارة، ترجمة: الدكتور عبد الرحمن بدوي، مراجعة الدكتور زكي نجيب محمود، دار الأندلس بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، ص: 5.

²الدكتور محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، ص: 333-334.

الحضارة عملية أصيلة خاصة من الإبداع الثقافي، وهي بشكل خاص عند المؤرخ والفيلسوف الألماني أوزفالد شبنجلر: "المصير الحتمي للثقافة"¹.

وعلى ما يبدو فإن المفكر والباحث الأمريكي المعاصر صامويل هنتنغتون صاحب الكتاب الشهير الذي رأى النور في أوائل التسعينيات "صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي" قد تأثر بأراء أولئك الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع، الذين يرون أن الحضارة بأبعادها المختلفة: هي صنعة الثقافة العامة. ولذلك نراه يؤكد في أكثر من مكان في كتابه المذكور، والذي ترجم إلى معظم اللغات العالمية الحية على أن: "الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي من البشر وأعرض مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يميز الإنسان عن الأنواع الأخرى. وهي تعرف بكل من العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات والتحقق الذاتي للناس"².

وهكذا، يصبح من المسلم به عموماً أن استمرار التقدم والتطور والازدهار والرفاهية في المستقبل يعتمد كلياً على استمرار الجهد الإنساني، على افتراض أن الدماغ البشري لا يعترضه الانحطاط ولا يعرف الارتداد إلى الوراء بشكل سلبي. ولكن هذه الفكرة، من الناحية النظرية، تعني أن التقدم الإنساني يسير دائماً في الاتجاه المرغوب فيه، ولكي نحكم أننا نتحرك في الاتجاه الصحيح والمرغوب فيه، علينا أن نعرف وبشكل مستمر ما الغاية من هذا التحرك الإنساني. ويربط الباحث جون بانيل بيوري مؤرخ بريطاني وباحث في تاريخ العصور الكلاسيكية بين فكرة التقدم ومفهوم الحضارة، بحيث يرى أن الحضارة نفسها يمكن أن تتحرف عن مسارها الصحيح والمطلوب منها أن تسير عليه، وبالتالي ليس من السهل علينا أن نثبت أن القصد الذي يتقدم نحوه الإنسان هو القصد المرغوب فيه، يقول جون بانيل بيوري: "وتعني هذه الفكرة تحرك الحضارة واستمرار تحركها في الحاضر والمستقبل في اتجاه مرغوب. ولكن إذا أردنا التيقن نت تحركنا صوب الإتجاه المرغوب، فإن علينا أن نعرف على وجه الدقة: ما هو هذا الهدف؟ ويظن أغلب الناس أن الثمرة المرغوبة للتقدم الإنساني عبارة عن حالة من المجتمع ينعم فيها كل سكان الأرض بحياة رغيدة هنيئة، غير أنه من المتعذر أن نتأكد من أن الحضارة في الإتجاه الصحيح"³.

¹ صامويل هنتنغتون، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، ص: 69.

² نفس المرجع، ص: 71.

³ جون بانيل بيوري، فكرة التقدم، ترجمة الدكتور أحمد حمدي محمود، مراجعة الدكتور أحمد خاكي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1403هـ/1982م، ص: 30.

إن هذه الفكرة التي يتبناها بيوري عن احتمال انحراف الحضارة عن مسارها الصحيح هي فكرة منطقية تماماً من الناحية العلمية، فالعلم بلاشك دليل الحضارة ولكن هل كل اكتشاف علمي في البلدان المتحضرة، أو على الأقل التي تدعي الحضارة، توجه هذا الكشف العلمي لخدمة المجتمع الإنساني وتخفيف المعاناة عنه؟! بالطبع لا، وما حدث في "هيروشيما وناكازاكي" في نهاية الحرب العالمية الثانية خير دليل على ذلك، فاكتشاف الذرة ودراساتها علمياً وتطبيقياً لم يوجه في تلك الفترة لخدمة وراحة الإنسان، بل تتم ذلك التخلص من الإنسان وإذلاله من خلال حرب تعد فاتحة لحروب كونية أخرى قد تجري في أي وقت لاحق وسيكون الإنسان فيها هو وقود المحرقة أولاً وأخيراً.

ومن هنا تبرز أهمية الثقافة في استيعاب متطلبات الحضارة الإنسانية ودراسة المجتمعات، فالثقافة ابتكار بشري، وهي صورة مبتكرة عن الحياة ونهج إنساني إبداعي للتعامل والتفاعل مع الوجود وعندما تكون الثقافة صورة لتفاعل الإنسان مع الوجود، فمن الطبيعي أن تكون هذه الصورة التفاعلية صلة الوصل بين الإنسان والحياة، وقد عني الباحثون في العلوم الاجتماعية والإنسانية بدراسة الظواهر الثقافية وعلاقتها بالسلوك الإنساني وبالحياة الجمعية العامة. "وقد استخدموا لذلك مفهومي، مازالا من المفاهيم الأساسية في الحقل الاجتماعي، وهما: الثقافة والمجتمع. ومعروف أن العلاقة وثيقة بين المفهومي، نظرياً وفي الواقع الاجتماعي كذلك، وحتى لو أمكن التفرقة النظرية بينهما، إلا أن الظواهر التي يعبران عنها لا ينفصل بعضها عن بعض في الحقيقة والواقع. فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع، ثم إن المجتمع لا يقوم ويبقى إلا بالثقافة. إن الثقافة طريق متميز لحياة الجماعة، ونمط متكامل لحياة أفرادها. ومن ثم تعتمد الثقافة على وجود المجتمع، ثم هي تمد المجتمع بالأدوات اللازمة لأطراد الحياة فيه. لا فرق في ذلك بين الثقافات البدائية، والثقافات الحديثة"¹. نستنتج أن من الصعب تماماً أن يتم التفريق بين الثقافة والمجتمع ولو من الناحية النظرية، فالثقافة هي ابنة المجتمع وهي شجرته التي تنمو في أحضان تربته الغنية، والمجتمع بدوره لا يحمل أي معنى ما لم يكن مزوداً وباستمرار بالنبض الثقافي والحضاري الاجتماعي الذي يغذي عروقه وشرائبه.

لعل من أبسط تعريفات الثقافة وأكثرها وضوحاً وعمقاً ارتباطها بالمجتمع وأفراده، هو تعريف عالم الاجتماع الحديث روبرت بيرستد الذي قدم تعريفاً عاماً للثقافة في كتابه "النظام الاجتماعي"

¹ مجموعة من الكتاب والباحثين: نظرية الثقافة، سلسلة عالم المعرفة، ترجمة الدكتور علي سيد الصاوي، مراجعة وتقديم الأستاذ الدكتور الفاروق زكي يونس، دولة الكويت، العدد 223، 1417/1997م، ص: 8.

الذي ظهر في بداية الستينيات من القرن العشرين، حيث يقول بيرستد في تعريفه للثقافة: "إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما ن فكر فيه، أو نقوم بعمله. أو نملكه كأعضاء في مجتمع"¹، ولا يبدو هذا التعريف للثقافة بعيداً في مرامه عن تعريف العالم الإنجليزي ومؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية² إدوارد بيرنت تايلور، إذ يقول في تعريفه الأكثر تفصيلاً: "إنها كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات. والفنون والأخلاق، والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع"³. وهذا يعني أن الثقافة تمثل المرأة التي تعكس صورة كل ما يحيط بها، فهي الانعكاس الصادق للعلوم وللمعتقدات الفلسفية والروحية المتنوعة، بالإضافة إلى أنها انعكاس فكري لشتى أنواع الفنون وكافة المبادئ الأخلاقية، والقوانين والأعراف الاجتماعية.

ولكن الفكرة الهامة التي لا نستطيع أن نغفل عنها أو أن نتجاوزها هي فكرة احتكار الثقافة كما يحاول البعض في العصر الحديث أن يروج لها. فالثقافة على صلة وطيدة مع الحضارة حتى أن الثقافة تكاد تكون سلم الحضارة وعنوانها. وبما أنهما توأمان يولدان سوية من رحم المجتمع، فهذا يعني أنهما إرث عام مشترك لكل بني البشر وذلك لأن المجتمعات تعتمد على بعضها البعض في إكمال بعضها البعض. فالثقافة اليونانية لم تكن في يوم من الأيام حكراً على أبناء "إسبرطة"⁴ أو "أبناء أثينا"، ونتاج الحضارة الفارسية ليس وقفاً على "الإيرانيين" فقط بل هو ملك عام للإنسانية جمعاء، ولا نعتقد أن هناك من الألمان من يقف ويقول مخاطباً العالم: ابتعدوا عن فكر "غوته"⁵ فهو

¹- نفس المرجع، ص: 9.

²- الدكتور فاروق مصطفى اسماعيل، الأنثروبولوجيا الثقافية، كلية الآداب جامعة الاسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1400هـ/1980م، ص: 11-42.

³- مجموعة من الكتاب والباحثين: نظرية الثقافة، سلسلة عالم المعرفة، ص: 9.

⁴- أساطير عديدة حيكّت حول إسبرطة، المدينة اليونانية التي حكمت العالم القديم فترة قصيرة في القرن الخامس قبل الميلاد والتي قيل إنها أسست من قبل أحد أبناء زيوس وإن رجالها لم ينالوا حظهم من الثقافة والتعليم؛ بل خلّقوا ليكونوا محاربين متوحشين.

⁵- يوهان فولفغانغ فون غوته (1749-1832): هو أحد أشهر أدباء ألمانيا المتميزين، والذي ترك إرثاً أدبياً وثقافياً ضخماً للمكتبة الألمانية والعالمية، وكان له بالغ الأثر في الحياة الشعرية والأدبية والفلسفية، وما زال التاريخ الأدبي يتذكره بأعماله الخالدة التي ما زالت أرفف المكتبات في العالم تقتنيها كواحدة من ثرواتها، وقد تنوع أدب غوته ما بين الرواية والكتابة المسرحية والشعر وأبدع في كل منهم، واهتم بالثقافة والأدب الشرقيين، واطلع على العديد من الكتب فكان واسع الأفق مقبلاً على العلم، متعمقاً في دراساته. ونظراً للمكانة الأدبية التي مثلها غوته تم إطلاق اسمه على

ملك لنا وحدنا نحن الألمان، ومن هنا يبرز الدور التفاعلي والوظيفة الفكرية والمعرفية للنشاطات والحركات الثقافية بين أبناء المجتمعات المختلفة والمتباعدة جغرافياً.

فالإطار العام للثقافة الواعية يقود إلى رؤية إنسانية أكثر شمولية تكشف عن الجوهر الواحد للإنسان وعن روح التفاعلات الاجتماعية والثقافية المتبادلة، وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الهندي رادها كريشنان بقوله: "إذا ما تعالينا عن مظاهر الاختلاف بين المعتقدات والثقافات، فسندجدها جميعاً واحدة، لأن الإنسانية في جوهرها واحدة، وإن تنوعت وتعددت ثقافاتنا"¹. وهذا يعني أن الثقافة ليست بضاعة مادية لأمة من الأمم، وإنما ثقافة كل أمة ملك البشرية كلها، لأنها خلاصة تفكير البشرية جمعاء. فتقافة أي أمة من الأمم كما يقول عنها الأديب المصري توفيق الحكيم: "ليست سوى عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال"². كما أن كل ظاهرة من ظواهر الثقافة الإنسانية، من الطقوس واللغة إلى اللباس والتنظيم الاجتماعي، موجهة في نهاية الأمر نحو إعادة تنسيق الجهاز الإنساني والتعبير عن الشخصية الإنسانية³. وكنيجة لذلك، فإن الحضارة الإنسانية يزداد سموها بقدر عمق واتساق ثقافتها. وبقدر طاقة تلك الثقافة على إعادة تنسيق وتنظيم التشكيلات الإنسانية والتعبير عن حاجات ومتطلبات الكينونة الإنسانية. يقول الدكتور العراقي عماد الدين خليل الطائي: "صحيح أن الصيغة الحضارية تؤثر في العملية العقلية، وتؤدي دوراً أكيداً في توجهاتها.. ولكن مفتاح الحركة، والكلمة الفاعلة فيها هي للعقل أولاً وأخيراً"⁴.

أشهر معهد لنشر الثقافة الألمانية في شتى أنحاء العالم وهو "معهد غوته"، والذي يعد المركز الثقافي الوحيد لجمهورية ألمانيا الاتحادية الذي يمتد نشاطه على مستوى العالم.

¹- مايكل كارينرس، لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ الثقافات البشرية: نشأتها وتنوعها، سلسلة عالم المعرفة، ترجمة الدكتور شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، العدد 229، 1418/هـ/1998م، ص: 13.

²- الدكتور توفيق الحكيم، من أدب الحياة، مطبوعات وزارة التربية، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1417/هـ/1997م، ص: 105.

³- لويس مפורد، أسطورة الآلة: التكنولوجيا والتطور الإنساني، ترجمة الدكتور إحسان حصني، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1401/هـ/1981م، جزء 1/صفحة 17.

⁴- الدكتور عماد الدين خليل الطائي، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، سلسلة كتب الأمة، تقديم الدكتور عمر عبيد حسنة، الطبعة الأولى، 1403/هـ/1983م، ص: 64.

المبحث الثالث: الحوار والتواصل الحضاري المشترك وفق المنهجية الإسلامية

مارس المسلمون الحوار والتواصل والتفاعل مبكرا على مستويات شتى، مع حضارات وديانات ذات منحى فكري فلسفي لا يلتقي بالضرورة مع الأفق الفكري الفلسفي للرسالة الإسلامية، بيد أن نقاط الالتقاء أسهمت في خلق مناخ ملائم لاستعراض الأفكار ومعالجة الإشكاليات التي ارتهنت عقل الآخر وأثارت تحفظاته ضد القيم الجديدة، وكان المنهج القرآني حاضرا في الحوارات العقدية والفكرية، وكان المسلمون أشد حرصا على الانطلاق من نقاط الالتقاء استجابة لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾¹.

وقد تطورت العلاقة في ظل المنهج القرآني إلى مستوى الدخول في دين الله أفواجا بعد التخلي عن ترسبات الماضي الثقافي الجاهلي والانفتاح على الحضارة الإسلامية الوافدة الجديدة. وبالأسلوب القرآني ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾² حسم المسلمون الحوار والمعارك الكلامية، وفتحوا أمام الدعوة الجديدة آفاقا رحبة امتدت لتصل أقاليم الشرق والغرب، متحدية بنموذجها كل الحضارات البشرية القائمة على الجهل واللادين، وهو نموذج فرض نفسه عبر معطيات منجزه الحضاري الذي أثر في الحياة، وأفاد الأمم بزخم معرفي انتزعها من واقعها السيء، وارتقى بها إلى مستوى إنساني رفيع في أعقاب ربح طويل من الزمن عاشته في ظل عبودية استبدادية قوامها القوة والعنف والتزوير. ويستشعر القارئ لكتاب روجي جارودي المفكر الفرنسي المسلم "في سبيل حوار الحضارات" أن المعاني التي حملها لم تقرأ فعلا كما أراد لها، وروح التسامح العابرة للقارات والأجناس والديانات لم تجد صدورا رحبة تستلهم منها تجربة إنسانية جديدة، فالمشكلة حسب روجي جارودي هي: "مشكلة إحداث تغيير جذري في الأنموذج الغربي لعلاقتنا مع الطبيعة، بفضل حكمة الصين وإفريقية والهند والإسلام، مشكلة إقامة توازن في مفهومنا ذي النزعة التقنية، بالإفادة من تجربة حية وشعرية ووصفية، هي تجربة اتصالنا ومشاركتنا في طبيعة لا نملكها بل تملكنا"³. لقد أنفق روجي جارودي

¹سورة آل عمران، آية 64.

²سورة النحل، آية 125.

³روجي جارودي، في سبيل حوار الحضارات، تعريب الدكتور عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1419هـ/1999م، ص: 215.

جل عمره في سبيل ترسيخ مبادئ حوار الحضارات التي تجاهلها الغرب نيفاً من الزمن. وقد وجد ضالته في تبنيه للمنهج الإسلامي، وسطر قاعدته المأثورة التي تؤمن بأن تحقيق الحوار المنشود بين الإسلام والغرب يقتضي إعادة طرح جديد يُبنى على الوضوح ويلتزم بأخلاقيات الحوار، ويعيد النظر في الأهداف والوسائل الموصلة إلى ذلك، ولن يتأتى هذا الهدف المنشود والمتوخى إلا بتوسيع قاعدة هذا الحوار ليصير حواراً ثقافياً مدنياً، يشمل كل المكونات والفعاليات الثقافية في المجتمعات المتحاوره.

ولم يواجه الحوار الحضاري الإسلامي في مراحلها الأولى تحدياً إلا من قبل شعوب كانت تحتفظ بأنساق فلسفية وسياقات فكرية تتحكم في أداء العقل وتمنع أي مراجعة من شأنها تقويض البنى الفكرية له. فاضطرت هذه الشعوب أخيراً إلى التكيف مع الوافد الإسلامي بعد مقاومة عنيدة، ونجحت في تقديم نموذج حضاري إسلامي ممزوج بفضائل موروثها الثقافي على أساس أن: "التنوع والتعدد الثقافي حق طبيعي يؤسس للثقافات البشرية فضاء حيويًا للنمو والتفتح والإزدهار والتبادل في أحضان حضارة إنسانية يؤمل دائماً أن تكون رحبة لجميع مكوناتها"¹. يقول الدكتور طه جابر العلواني وهو مفكر وفقه إسلامي عراقي. كان رئيس المجلس الفقهي بأمريكا، ورئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بهيرندن الأمريكية: "لقد استطاع المسلمون أن يتجاوزوا بذلك ثنائية الشرق والغرب، كما استطاعوا استيعاب التعدديات الدينية والثقافية والحضارية كلها في إطار عالمية الخطاب الإسلامي، وإذا كان أقصى ما وصلت إليه الحضارة المعاصرة هو إقرار التعدد فإن عالمية الخطاب الإسلامي عملت وتعمل على استيعاب التعدد بعد الإقرار به، ودفعه باتجاه العالمية ليتحول إلى عامل دفع في إطار تنوع بشري إيجابي تظل عليه أنوار الهدى ودين الحق."².

كما لم يتخلّ المسلمون عن شروط الحوار مع الآخر، رغم تماديه وإصراره على التمسك بموروثه الثقافي المثقل بحمولته الفكرية اللا دينية واللاحضارية في أحيان كثيرة. فلم يرفضوا الآخر ولم يتعالوا عليه، وظل بعده الإنساني نقطة مضيئة في نسيج الحضارة الإسلامية. وبهذا الشكل ظلت العلاقة تحتضنها الروح الإسلامية بخصائصها الإنسانية وبشجاعتها في الانفتاح على الآخر مهما كانت درجات الاختلاف معه. يرى الدكتور والفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري حول دعوات

¹-الدكتور الداودي عبد الرزاق، الفلسفة في عصر العولمة وتكنولوجيات الاتصال، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1432هـ/2012م، جزء 41/صفحة: 79.

²-الدكتور طه جابر العلواني، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، مركز دراسات فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ص: 67.

الحوار والرؤى الحاملة لعالم أفضل أنها لم تتجاوز فيما يبدو الخطابات الطوباوية والكتابات المتفائلة والقاعات المغلقة يقول أن: "الذين يرفعونه واقفين عند منطوقه ينطوي موقفهم على نوع من الغفلة، ذلك لأن الحوار بين الحضارات إما أن يكون عفويا تلقائيا نتيجة الاحتكاك الطبيعي فيكون عبارة عن تبادل التأثير، عن أخذ وعطاء، بفعل الصيرورة التاريخية، وهذا النوع من تلاقح الحضارات لا يحتاج إلى دعوة ولا يكون بتخطيط مسبق، بل هو عملية تاريخية تلقائية"¹.

وقد أثمر الانفتاح تخصيص العلاقة وتطويرها، ومن تم استثمار العناصر الإيجابية في الحضارات الأخرى بغية تمثلها وإعادة صياغتها في ضوء البنى الفكرية والعقدية للحضارة الإسلامية. ولعل الترجمة عن اليونان والفرس والهنود والروم تؤكد صدقية الإسلام في الانفتاح على الحضارات الأخرى، كما أن نجاح الإسلام في إقامة دول في: المدينة المنورة، والشام، وبغداد، والقيروان، والمغرب، والأندلس، وآسيا الوسطى، وتركيا، يؤكد حجم التأثير في الأوساط التي امتد إليها بفعل الغزارة المعرفية والعلمية والقدرة والإحاطة على توصيل المعرفة الإسلامية للآخر في إطار الشمولية الإسلامية. يقول الدكتور التونسي عبد المجيد النجار: "إن وظيفة الخلافة التي جعلت غاية للوجود الإنساني تعني بما تقدم من المعاني مباشرة الإنسان للكون بالروح وبالجسم: اعتبارا به واستثمارا لمنافعه وخيراته، كل ذلك تكميلا للذات في بعدها الفردي والجماعي وترقية لها في وجهتها إلى الله تعالى غير منهاج العبادة انتمارا بما أمر وانهاء عما نهى"².

لذلك، لم يكن الغرب في شتى مراحل تطوره بعيدا عن التأثير بإشعاعات الحضارة الإسلامية، وقد اعترف كثير من علمائهم بفضل الثقافة الإسلامية على تطور العنصر العلمي والمعرفي الغربي الذي أوجد النهضة الحضارية الحديثة. والحق يقال أنه بالتوازي مع نبرات الكراهية والعداء وصناعة الحروب، كانت تتعالى على الدوام من بين العوالم المختلفة، أصوات العقل والحكمة ودعوات السلام لجعل الأرض مكان أفضل للعيش المشترك ولو من باب تسجيل المواقف، فقد رأى الدكتور هارولد مولر مثلا في مشروعه المضاد للمفكر الأمريكي صامويل هنتنغتون، وهو أستاذ العلاقات الدولية في جامعة فرانكفورت، وعضو الهيئة الاستشارية للأمم المتحدة لشؤون نزع السلاح،

¹-الدكتور محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1427/2007م، ص: 131.

²-الدكتور عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: بحث في جدلية النص والعقل والواقع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الثالثة، 1420/2000م، ص: 63.

ومدير مؤسسة هيسن لأبحاث السلم والنزاعات في فرانكفورت الألمانية: "أن صراع الثقافات ليس من صنع قوى الطبيعة بل من صنع البشر ولذلك يمكن لهم أن يتخطوه"¹.

وعندما نراجع فصول الحوار الحضاري التي خاضها المسلمون في القرون الأولى من تاريخ حضارتهم، لا نجد أي إشكالية تعيق حركة الحوار آنذاك أو تغيير وجهته، فأشكاليات الحوار الحضاري مع أي حضارة تتلخص في الاعتراف بالآخر المختلف وعدم إلغائه وتهميشه، والقدرة على الانفتاح والتفاعل الثقافي معه. وهذه الصورة البنائورية أكد عليها الباحث السعودي في الدراسات الإسلامية الدكتور زكي الميلاد في تبنيه لمفهوم تعارف الحضارات الذي رأى أنه أكثر ضبطاً وصواباً من مفهوم حوار الحضارات، وأوضح تعبيراً عن الرؤيا الإسلامية يقول أن: "التعارف هو الذي يؤسس للحوار وينهض به، وما تحتاج إليه الحضارات في عالم اليوم هو التعارف الذي يرفع الجهل بصورة كافة، الجهل المسبب للصدام بين الحضارات، في المقابل أن التعارف هو الذي حافظ على تعاقب الحضارات في التاريخ الإنساني"². حيث إن التفاعل الحضاري لا يمكن أن يتم ويتحقق إلا عن طريق حوار بناء وفعال بين الأديان، ولعالم اللاهوت السويسري هانز كونج³ قول شهير في الموضوع بحيث يقول: "لا حوار بين الحضارات بدون سلام ولا سلام بدون حوار بين الأديان"⁴، والهدف من هذا الحوار هو تحقيق "العيش المشترك" في عالم يسع الجميع مهما كانوا متباينين على المستوى العقائدي والثقافي والحضاري، ويطلق على هذا المصطلح كما حددته الدكتورة والخبيرة المغربية في الأديان مريم آيت أحمد بـ "حوار الحياة"، حيث إن عملية التفاعل مع الآخر الحضاري، لا تعني

1- هارالد مولر، تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتنغتون، تعريب الدكتور ابراهيم أبو هشيش، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2005/هـ، ص: 10.

2- الدكتور زكي الميلاد، تعارف الحضارات، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2014/هـ، ص: 87.

3- وهو من أشهر اللاهوتيين (توفي في 21 أبريل 2021) الذين وجهوا انتقادات حادة للكنيسة الكاثوليكية، مطالباً إياها بإدخال إصلاحات جوهرية، فيما يتعلق بعصمة "بابا الفاتيكان"، كذلك نادى بالسلام بين الأديان باعتباره مدخلاً للسلام العالمي، كما أنه من المستشرقين الكبار الذين أظهروا احتراماً عظيماً للإسلام، وتجاه النبي-صلى الله عليه وسلم-، مبدياً تعجبه من المؤسسات الدينية المسيحية التي تظهر الاحترام لشخص المسلم العادي، في حين أنها تنكر الاعتراف بالقرآن الكريم، أو برسول الإسلام، فيقول: "إن إحدى مفارقات الفاتيكان أن يقرر النظر للمسلم العادي بكل احترام، وفي الوقت نفسه يتجنب الإشارة للقرآن أو محمد"، ولعل هذا الاحترام كان وراء ترويج البعض لإسلامه.

4- الدكتورة مريم آيت أحمد، جدلية الحوار: قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر، تقديم الدكتور عبد المجيد النجار، منشورات مجلة علوم التربية، الرباط، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 2011/هـ، ص: 8.

الدوبان أو الانسلاخ من المدى الثقافي الأصيل، والانتقال أو القفز إلى المدى الثقافي المضاد، المهيمن، والغالب. وإنما التفاعل يعني إن ما من جسم حضاري إلا وله ركائزه ومقوماته ونقاط قوته، يحاول تعميمها ونشرها في ربوع دول العالم. يقول الدكتور راغب السرجاني وهو داعية إسلامي مصري مهتم بالتاريخ الإسلامي ومشرف على موقع قصة الإسلام: "لقد اتفقت الكثير من العلوم الإنسانية على أن وصول الإنسان إلى المدنية والتقدم الحالي، وهي مصلحة بشرية مشتركة لم يأت إلا من خلال التقارب والتعارف"¹.

إن مفهوم الآخر في الإسلام كيف ما كان انتسابه الديني والعنقي، يتصف بذات المواصفات الإنسانية للفرد المسلم، وعند اعتناقه الإسلام يقف على قدم المساواة في الحقوق والواجبات مع جميع المسلمين بقطع النظر عن انحداره الطبقي أو القبلي أو الإقليمي. وقد جاءت معظم خطابات القرآن الكريم موجهة إلى مطلق الإنسان: "يا أيها الإنسان" "يا أيها الناس" واعترفت تلك الخطابات القرآنية أيضاً بمعتقدتي الديانات الأخرى: "يا أهل كتاب"، ولم يشعر المخاطب بأي لون من ألوان التهميش أو الرفض. ولم يعيش الآخر في ظل النموذج الحضاري الوافد عليه أية دونية أو تبعية تختزل الإنسان أو تشيئه، وظلت تشملته كغيره من المسلمين قيم التفاضل والعيش المشترك على أساس التقوى، بعيداً عن اللون واللغة والجنس والدين والثقافة. لأن القرآن الكريم هو: "كتاب حوار فهو الذي يجب أن ندرسه دراسة واعية، لنجد فيه الوثيقة الرائعة من وثائق الحوار الديني الذي يتعلق بكل قضايا العقيدة ابتداءً من فكرة وجود الله، ووحدايته، إلى الأحكام الشرعية"²، وسار على هذا النهج المفكر السوداني أبو القاسم حاج حمد بحيث يقول: "بهذا يصبح المنهج الإلهي بديلاً... فليس إعجاز القرآن في المبنى اللساني ولكنه في المعنى المنهجي الذي يعتبر حجته الآن على أهل الحضارات العلمية ضمن أرقى أشكالها الوضعية العالمية... التي تظل محتوى للوعي الكوني أكبر من موروث النبوات، بل هو الحكمة المهيمنة على حكمة الأنبياء والوعي الذي يتجاوزهم زماناً ومكاناً، كما يتجاوز كل زمان ومكان... لقد منحنا الله بمحمد منهجاً يرقى على كلالمناهج ونوراً نافذاً إلى كل التفاصيل، وساطعاً في كل الأرجاء، محيطاً بكل التجارب ويتجاوزها في الوقت نفسه بالنقد

¹-الدكتور راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1432هـ/2010م، ص: 16.

²-الدكتور محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم: قواعده، أساليبه، معطياته، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1417هـ/1996م، ص: 10.

والتحليل... وبه ندرك أبعاد الماضي والحاضر والمستقبل¹. ومن الشواهد الغربية يقول العالم الأمريكي والبروفيسور الجيولوجي أليسون بالمر: "إن القرآن الكريم بما يحتويه من حقائق وأسرار علمية لا يزال العقل يجهل بعضها ويعجز عن تفسير البعض الآخر..إنما هو كتاب للماضي والحاضر والمستقبل..فهو كتاب القرن العشرين الذي ينبغي على العلماء أن يزيدوا من اهتمامهم به في المستقبل"، جاء هذا التصريح أثناء عقد المؤتمر الطبي العالمي الذي عقد بالقاهرة بجمهورية مصر العربية عام 1409هـ/1989م، تحت عنوان "الإعجاز الطبي في القرآن الكريم والسنة الشريفة"².

وفي ظل الوضع الكارثي لاغتراب البشر في هذا العالم عن الشرط الإنساني نفسه، فإن رفع رهان الاعتراف بالآخر والمعرفة العميقة به، بات شرطاً ضرورياً لرهان التكامل، وإلا فإن العكس قد يحيل الآخرين إلى اللامعنى الذي يلغي قيمة الوجود الإنساني نفسه، لذلك فإن المشهد العالمي يحتاج إلى حضارة إنسانية موحدة تختزل نتاج الآخرين ووجودهم، وتكرس تبعيتهم دون إرادة منهم، بل يكتمل بتكافؤ تمثيل جميع الحضارات بأطيافها العرقية وألوانها الثقافية وتركيباتها الاجتماعية. يقول الدكتور عمر عبيد حسنة وهو مفكر إسلامي سوري بارز، أديب صحفي واسع الاطلاع على التراث العربي والفكر الغربي، مدير مركز البحوث والدراسات التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وعضو مجلس كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر: "ولولا هذا التدافع وإمكانية دفع سنة بسنة وقدر بقدر، لكانت الحياة عبارة عن قوالب حديدية تصب فيها حركة الإنسان كسائر المخلوقات المبرمجة غريزيا، بعيدا عن أية إرادة وقدرة"³. يقول في هذا الصدد الدكتور العراقي ماجد الغرباوي: "التسامح ضرورة حياتية تبقى الحاجة قائمة لها ما دام هناك انسان يمارس العنف والاقصاء والتكفير، ويرفض التعايش السلمي مع الآخر المختلف أيا كان الاختلاف: ثقافيا أو دينيا أو سياسيا. بل الحاجة إلى التسامح تشتد مع اتساع رقعة التنوع الاثني

1- محمد أبو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة: العالمية الإسلامية الثانية، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م، ص: 691.

2-الدكتور محمد حلمي، علماء الغرب يدخلون الاسلام، النهضة العربية للصحافة والاعلان، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م، ص: 13.

3-الدكتور عمر عبيد حسنة، الوراثة الحضارية، منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1424هـ/2003م، ص: 66.

والديني، لامتناسص تداعيات الاحتكاك بين القوميات والثقافات والأديان، والخروج بها من دائرة المواجهة إلى مستوى التعايش والانسجام¹.

المبحث الرابع: متطلبات الحوار الديني المعاصر كرافعة للتدافع الإنساني المشترك

تبقى غاية البحث عن مساحة مشتركة بين أتباع الأديان والحضارات والثقافات على اختلافها للعيش السلمي المشترك، بعيدا عن أي عنف سواء كان ماديا أو معنويا، من هنا جاءت ضرورة بحث سبل إرجاع الإنسانية إلى إنسانيتها بالدين نفسه، وليس من خلال النظريات الجاهزة التي قد لا تتسجم مع الواقع الديني للمجتمعات²، يقول الدكتور السوري وهبة الزحيلي حول التسامح أو السماح في المفهوم الحضاري الإسلامي: "وغايته الانفتاح على الشعوب الأخرى، وإشعاع الخير والمعروف، والحفاظ على تآلق الحضارة، ونشر ثقافة الحوار ونبذ التعصب والصراع، واحترام كرامة الإنسان، والحرص على توفير الأمن والسلام، والحب والعطاء، والعيش الودي المشترك بين المذاهب والأديان والفلسفات والقيم الخلقية السامية، ونشدها الإستقرار، وزرع الثقة والطمأنينة بين الناس"³. ولذلك سيكون البحث عن المتطلبات الدينية للحوار الديني والحضاري والثقافي بشكل لا يبقى معه أي جاهز أو معوق قد يسهم في إرباك عملية الحوار أو تعطيلها، ويمكن إجمال مجموعة من المتطلبات للإقرار والاعتراف بالتعددية والمشاركة الإنسانية:

أولاً: إعادة فهم النص الديني: والسؤال هنا هل هناك مشروعية لإعادة قراءة النص المقدس عموماً والنص الذي يحدد وينظم العلاقة بالآخر على وجه الخصوص، أو أنه يجب أن يبقى على القراءات السابقة له؟ وهل تعد القراءة الجديدة له خروجاً من دائرة المسموح إلى دائرة المحذور؟ ثم هل النص القرآني يتحمل قراءات جديدة؟ وهل يمكن وصف القراءة الجديدة بأنها نقد أو توجيه للقراءة

¹الدكتور ماجد الغريابوي، التسامح ومناخ التسامح: فرص التعايش بين الأديان والثقافات، منشورات الحضارية للطباعة والنشر، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية، بغداد، جمهورية العراق، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م، ص: 11.

²إي كريساك بول، نقد التعددية الدينية عند جون هيك، ترجمة الدكتور فراس سلوادي، الطبعة الأولى، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1437هـ/2017م، ص: 17.

³الدكتور وهبة الزحيلي، مقال ثقافة التسامح بين الغرب والشرق، تحرير الدكتور عماد علي، مجلة التسامح تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، سلطنة عمان، العدد 23، 1429هـ/2008م، ص: 280.

القديمة¹، إن إعادة قراءة وفهم النص المقدس، تكفل إيجاد بيئة معرفية مناسبة للحوار الديني والانفتاح على الآخر معرفيا وأخلاقيا من دون إلغاء للثوابت الدينية من جهة، وحفظ خصوصية الهوية الدينية التي ينتمي إليها أطراف الحوار الديني من جهة أخرى، ولا يتوقف الأمر عند ذلك الحد بل يتعداه إلى إعادة بناء خطاب ديني جديد يسهم في إنجاح عملية الحوار وتقبل الآخر. تقول الدكتورة المصرية منى إبراهيم اللبودي: "تزداد حاجة الأفراد إلى امتلاك مهارات الحوار البناء في مواجهة التحديات التي تفرضها طبيعة الحياة المعاصرة، حيث يتعرض الفرد في كل وقت لسيل من المعلومات والأفكار والثقافات، عبر الإقمار الصناعية وشبكات المعلومات وأجهزة الإعلام والاتصالات"²، وتستطرد الدكتورة منى إبراهيم الحديث عن أهمية لغة الحوار والتواصل الفعال بين الأفراد والجماعات وتقول: "وتأتي أهمية استخدام أساليب الحوار البناء، لإشباع حاجة الإنسان للانتماء في جماعة والتواصل مع الآخرين مع الاحتفاظ بمسافة بينه وبينهم، للحفاظ على وجوده وتفردته. فالحوار الفعال يحقق التوازن بين حاجة الإنسان للاستقلالية وحاجته للمشاركة والتفاعل مع الآخرين"³.

ثانيا: بناء خطاب ديني جديد: فالبناء الجديد هو المجيء بأمر لم يكن موجودا سابقا، فلا يكفي أن يأتي خطاب ديني قديم بعبارات معاصرة، بل لا بد من المجيء بخطاب ديني يقوم على أساس فهم صحيح للنص الديني من جهة والموروث الديني من جهة أخرى⁴، ولا تتوقف تلك الصياغة على الألفاظ فقط بل تتعداها إلى المعاني والأسس المعرفية والأخلاقية التي يتضمنها النص الديني. يقول الدكتور إدريس هاني الباحث في فلسفة الدين والكلام الجديد حول الخطاب الديني والأخلاقي: "لقد عانى الوسط الديني من ظاهرة تراجع الأخلاق ما عانت منه قطاعات أخرى حتى كاد أن يصبح الدين نفسه في بعض الأوساط ممارسة سطحية بلا روح. وها هنا يصبح الخطر مضاعفا، لما يستعيز المكلف الشرعي عن مكارم الأخلاق"⁵.

1- الكرابادي علي أحمد، قراءة في تعدد القراءات، دار الصفوة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1430هـ/2010م، ص: 55.

2- منى إبراهيم اللبودي، الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1423هـ/2003م، ص: 21.

3- نفس المرجع، ص: 21.

4- برهان غليون، فلسفة التجدد الإسلامي، مجلة الإجهاد، العدد الأول/ص: 327، 1411هـ/1991م.

5- إدريس هاني، الإسلام والحداثة: إخراجات العصر وضرورات تجديد الخطاب، دار الهادي، مركز دراسات فلسفة الدين، الطبعة الأولى، بغداد، جمهورية العراق، 1426هـ/2005م، ص: 456.

ثالثاً: تفعيل الحوار والتواصل من النظرية إلى التطبيق: يعتبر من أهم المتطلبات وهو تفعيل أسس التواصل والحوار وشرعيته وضوابطه وإخراجها من حيز التنظير في بطون الكتب والمؤلفات والأبحاث إلى حيز التطبيق العملي في المجتمعات المتعددة الأديان والمذاهب والثقافات¹، وهذا لا يتم إلا من خلال:

أ-توعية العقل الجمعي إزاء قضية الحوار الديني وتفعيل متبنياته العقدية والفكرية وهي من القضايا الكبرى المعاصرة.

ب-الحد من توظيف الدين سياسياً: ويقصد به جعل الدين طوع الغايات السياسية وفي خدمتها لغرض تحقيق مصالح سلطوية تتلبس بلباس ديني لإضفاء المشروعية عليها من جهة، واستقطاب النفوس والتأثير فيها لإحراز عدم المعارضة لها من جهة أخرى².

ج-توجيه الإعلام الديني: وتتلخص خطوات توجيه الإعلام الديني فيما يتعلق في بيان حقيقة العلاقة مع الآخرين في ضوء التعاليم الدينية من خلال ما يأتي:

- تنقية الإعلام الديني الداخلي من الإزدواجية التي تحكمه، إذ يكون الإعلام الديني الداخلي يتسم بالتطرف والتعصب الديني والمذهبي وفي الوقت نفسه، يكون إعلامه الخارجي داعياً للإنفتاح على الآخر واحترامه، مما يفقد ذلك الإعلام مصداقيته وتأثيره في المتلقي.
- الإستماع إلى الآخر وإعطائه فرصة الحديث عن نفسه، من غير التخوف أن يكون ذلك جزء من الترويج للأفكار الخاطئة.
- قراءة الواقع الديني الذي تعيشه المجتمعات قراءة واعية، بعيداً عن أية مؤثرات قد تؤدي إلى فقدان الموضوعية في إيصال حقيقة ذلك الواقع إلى الناس³.
- في ظل الأوضاع الدولية المتغيرة، ينبغي على المجتمعات المحافظة على موقف موحد في الشؤون المتعلقة بالمصالح الخاصة بهما والقضايا الدولية والإقليمية الهامة وتوسيع المساحة

¹ - حب الله حيدر، التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، ص: 19.

² - قرم جورج، تعدد الأديان وأنظمة الحكم، دار الفارابي، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، 1431هـ/2011م، ص: 15-21.

³ - الساعدي نور مهدي كاسم، أثر النص القرآني في التعددية الدينية: دراسة في متطلبات الحوار الديني المعاصر، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1437هـ/2017م، ص: 278.

الإقليمية والدولية للحوار السياسي. وفضلا عن ذلك، في موجة العولمة الاقتصادية، يجب على المجتمعات توسيع عمق ونطاق التعاون الاقتصادي لتحقيق الفوز المشترك في التبادلات الاقتصادية والتجارية والصناعية. يمكننا أن نقول إن التبادلات الثقافية والحوار الحضاري بصورة فعالة وعميقة، أساس وضمن لتوسيع التعاون السياسي والاقتصادي والأمني.

- تلعب التبادلات الثقافية والحوار الحضاري بين المجتمعات دورا نموذجيا على الساحة الدولية. في سياق وجود الثقافات المختلفة والمتعددة العناصر في العالم في الوقت الحاضر، يجب على الشعوب من الحضارات المختلفة تعزيز ثقافة الحوار، الذي يعتبر الطريقة الفعالة الوحيدة للبشرية لتحقيق التعايش والتساكن والتطور معا.
- علينا أن نحترم تنوع الثقافات وإجراء التبادلات الثقافية والحوار الحضاري. هذا طريق ضروري لدفع تطور الحضارة الإنسانية بصورة سليمة ومنسجمة. لأن التبادلات الثقافية تعتبر قوة محرّكة لكل الحضارات. ويساهم الحوار في دفع التبادلات والاندماج الثقافي بين الدول المختلفة، وأنه قوة هامة لتقدم المجتمع البشري وازدهار الحضارة الإنسانية.
- تقول العرب "الأقوال ورقة والأفعال ثمرة". وإن مسيرة تحقيق حلم الحضارات المختلفة في العالم، هي عملية تطور مادي ومعنوي في نفس الوقت. مع التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي المطرد.

استنادا إلى ما سبق، نعتبر أن التقاء الأديان والثقافات والحضارات هو معلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية جمعاء، وهو قدر لا سبيل إلى مغالته أو تجنبه، وقد تم دائما وأبداً وفق هذا القانون الحاكم التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام وبين ما هو خصوصية حضارية. ففي نظر زعيم الثورة الفكرية الفرنسي روجي جارودي لا سبيل للخروج من هذه الحلقة المفرغة إلا بفتح الحوار والتواصل بين الأديان والحضارات والثقافات يقول: "إننا نحن مالكي الحضارة التقتية وعبدها إنما علينا أن نرقب من ثقافة الآخرين قدرتنا على البقاء"¹. يقول عالم الدراسات المستقبلية الدكتور المغربي المهدي المنجرة في هذا الصدد: "إن الدعوة للسلام المبنية على احترام ميثاق الأمم المتحدة ضرورة أخلاقية وقانونية ولعل مرجعيتنا في الماضي وبوجه خاص خلال الحرب العالمية الثانية لا يمكنها أن تتخلى عنها لا في الزمان ولا في المكان لان الإنسانية كانت حينها قادرة على تدمير

¹-روجي جارودي، في سبيل حوار الحضارات، ص: 78.

نفسها.. إن بناء نظام عالمي جديد يمر باحترام القواعد القانونية العالمية المثبتة في ميثاق الأمم المتحدة وقد أصبح من المستعجل العمل على احترامها إذا ما كنا نطمح لسلام دائم.¹

الخاتمة:

في الختام لابد من القول إن الحاجة إلى تكريس مبدأ التعايش الديني ضرورة ملحة في وقتنا الحالي لما وصلنا إليه من مظاهر العنف وأدواته، وارتكابه بحق الإنسانية والإنسان عموماً في كل بقاع الأرض، وباتت الدعوة لأهمية التعايش الديني والحضاري والثقافي، هدفاً ومبتغى في آن، فلا بد من نشر مبادئ العيش المشترك، وتطبيق تلك المبادئ بين تلك الأمم المختلفة، دون أن يتم تهيمش حضارة دون أخرى. وأن يكون التعايش والمشاركة الإنسانية بكل صورته الإيجابية قائماً ومصاناً من طرف الجميع.

من هنا نؤكد على ضرورة مواصلة المشروع الأخلاقي البشري باعتباره بداية جديدة من أجل علاج تجاوز منطق الاختلاف الديني بين الأديان والحضارات والثقافات إلى رحابة المشترك الإنساني الموحد، حيث تستشعر البشرية حاجاتها إلى لغة إنسانية جديدة، قادرة على الحوار والتواصل والإقناع والتفاهم، مثلما هي في حاجة إلى التأكيد على أهداف وغايات مغايرة، لأهداف الحضارة التكنولوجية المادية؛ التي تحيا في حيرة بين حريّات تعمق التفاوت في الرفاهية بين البشر، وفي إقامة العدل والمحافظة على الكرامة الإنسانية وهي قيم تكاد تكون مفقودة لا تجد لها مكاناً في أسواق العولمة اليوم. مما يطرح علينا بالحاح ضرورة التوجه نحو المستقبل والحديث ليس فقط عن أخلاقيات اليوم بل أخلاق الغد. ويأتي الحديث عن "أخلاقيات المستقبل" في ذلك السياق الذي ينشد العيش المشترك والضيافة العالمية والمواطنة الكونية ممّا أسماها الإمام القشيري قديماً "نحو القلوب"²، ويمكن أن نطلق عليه ب: "قانون الروح" أو "دستور المثال الأعلى الكوني".

¹ المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى: مستقبل الماضي وماضي المستقبل، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة السابعة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1421هـ/2001م، ص: 81.

² إبراهيم بسيوني، الإمام القشيري: حياته، وتصوفه، وثقافته، مكتبة الآداب، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م، ص: 64-65.

النتائج:

- إن انتهاج مبدأ التسامح والحوار واعتماد أسس العيش المشترك هو الخيار الوحيد لإيجاد صيغة تعايش حضاري، تأخذ في الحسبان ضرورة مراعاة حقيقة الاختلاف البشري في ظل حياة مستقرة، وظروف آمنة، تحفظ حياة الفرد، وتصون المصالح العامة على وجه يجعل من الأوطان فضاء مشتركاً يسع كل أبنائها وقاطنيها على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم وتوجهاتهم، تحت سلطة القانون والنظام، بعيداً عن الاستقطاب وراء الشعارات الضيقة والانتماءات القائمة على أسس العقائد أو المذاهب والطوائف والأعراق.
- إن بوابة العيش المشترك في كل الأمم والمجتمعات، هي صيانة حقوق الإنسان وحماية كرامته وتعزيز حضوره ودوره في مشروعات التنمية وال عمران. مشيراً إلى أن الاختلاف في الهوية أو الانتماء الأيديولوجي أو القناعات الفكرية لا يشرع بأي حال من الأحوال انتهاك الحقوق، فالاختلافات ليست سبباً أو مدعاة لنقصان الحقوق، وإنما تبقى حقوق الإنسان مصانة وفق مقتضيات العدل ومتطلبات العيش المشترك.
- على الإنسان قبول الأديان على الرغم من اختلافها واختلاف معتنقيها، والتعايش هو دعوة إلى الحياة بمختلف تجلياتها، والمساهمة الوازنة لوسائل الاعلام في نشر ثقافة التعايش الديني بين الديانات، ونبذ التعصب والتمييز بين الناس على اختلاف أديانهم وثقافتهم.
- إن العيش المشترك، يقتضي العمل على إعادة صياغة العلاقة بين مختلف المكونات والتعبيرات، وبالأفكار التي شكلتها أو انبثقت عنها. لأن العيش المشترك لا يعني حبس كل فئة في إطارها الفكري الضيق، وإنما يعني الانفتاح والتواصل المستدام مع بقية المكونات، من أجل نسج العلاقات الايجابية، وتجاوز كل الأوهام والهواجس تجاه بعضنا البعض. بتعبير آخر فالعيش المشترك في أي تجربة إنسانية، ليس وصفاً جاهزة، وإنما هو رؤية واضحة وإرادة صلبة وعمل مستدام؛ باتجاه خلق الحقائق وتعزيز متطلبات التلاقي والتفاهم بين الجميع.
- تتسع أهداف المشترك الإنساني لتتضمن القيم الإنسانية بمفهومها العام والشامل، تلك التي تؤكد عليها الأديان من فهم الذات واحترام الآخر وتعدد الثقافات الاجتماعية والإثنية، وتنوع المعتقدات والمذاهب في سبيل تحقيق الذات المشتركة المثلى.

- التأكيد على ضرورة الوعي الشامل؛ المؤمن بحقوق الإنسان أيًا كان بلده ودينه وعرقه. سواء أكان رجلاً أم امرأة؛ أوروبياً أم أفريقيًا أم أمريكيًا، يحيا في الصحراء أم في المدينة، يتمتع ببيئة طبيعية خضراء متفائلة وصافية، لا تنخر فيها نفايات العداوة والحقد والكراهية.
- الأخلاق والقيم الكونية المشتركة أو ما نطلق عليه؛ "أخلاق المستقبل" و "قانون الروح" و "المشترك الثقافي"، هي ما يمثل الأساس الذي يقوم عليه الحوار الديني والحضاري والثقافي، وهي قيم تقوم على الإيمان بالتعدد والاختلاف واحترام الآخر والتنوع الثقافي للجماعات والأمم وما قدمته الحضارات المتعددة من إسهامات تمثل فينومينولوجيا الروح¹ للبشرية؛ وذلك بما طرحته أحدث الفلاسفات في عالم اليوم، وهي الفلسفة النقدية التواصلية الداعية للحوار وجميع الأفكار المؤسسة لتلاقي وتعاون وتلاقح الثقافات.
- إن الحوار بين الثقافات يؤكد أهمية كل ثقافة وهويتها وإسهامها التاريخي في تطور البشرية، مما يطرح علينا التأكيد على مفهوم الهوية المفتوحة باعتبارها أساس الوعي الجمعي التاريخي المتنوع المنفتح على الغير.

التوصيات:

- تأسيس معاهد ومراكز البحث العلمي، للتوفيق بين الأديان والحضارات والثقافات، ونشر مجالات ودراسات تختص بشؤون العالم الإسلامي، وهذا يشمل على: إعادة النظر في المناهج و الكتب الدراسية التي تتعلق بالعالم العربي والإسلامي، وكذلك العالم الغربي، وضرورة أن يتم تنقيح هذه الكتب على أسس تعاون متبادل بين الطرفين، وكذلك القيام بمثل هذه الأعمال مع العالم الغربي.
- ضرورة أن تعتنى وسائل الإعلام والتنقيف والتوعية بقيم التعايش والتسامح والعيش المشترك، وتعمل على تكريسها في خطابها الثقافي والإعلامي، حتى يتوفر المناخ المناسب؛ لأن تصبح هذه القيمة جزءاً من نسيجها الثقافي والاجتماعي.
- ضرورة إشاعة وتعميق متطلبات التسامح والتعايش الديني والحضاري في واقعنا الاجتماعي والثقافي، وتجريم كل أشكال الكراهية والحقد في الدساتير بين المجتمعات.

¹-غيورغ فلهلم فردريش هيغل، فنومينولوجيا الروح، ترجمة وتقديم الدكتور ناجي العونلي، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، منشورات المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1426هـ/2006م، ص: 13-32.

- -إعادة النظر في مفاهيم الوحدة والاختلاف، لأن الوصول إلى حقيقة الوحدة في المجتمع الإنساني، تتطلب احترام الاختلافات وإدارتها بعقلية حضارية ومنفتحة، فالوحدة مهما كان شكلها أو مستواها، لا تُبنى حين نغرس بذور العداوة والكراهية والخصومة، فهذه الأمور تزيد الواقع تشظياً وانقساماً وتباعداً بين الأمم والمجتمعات، وبالتالي ضياع الوحدة وضياع فرص التعايش الإنساني المشترك ووحدة المصير.
- -أضحى العالم بحاجة ماسة، أكثر من أي وقت مضى، لسيادة التسامح، في إطار من الأخوة الإنسانية الجامعة، التي لا تفرق بين المجتمعات؛ بناء على الدين أو العرق أو الجنس، أو غير ذلك من مظاهر التنوع البشري. فالتسامح هو الضامن الأساسي لتحقيق التعايش والتآخي والرحمة، الكفيلة؛ بإحلال الأمن والاستقرار، ونبذ كل أشكال العنف والكراهية والتشاحن، الدافع لإقصاء الآخر المختلف دينياً وثقافياً.
- إن الاحتفال باليوم العالمي للتسامح يشكل دعوة للمنظمات الدولية والإقليمية ومنظمات المجتمع المدني، إلى تنسيق جهودها وتكثيفها لنشر قيم التسامح من أجل التعايش، لتحقيق الأهداف المشتركة، وإقامة نظام عالمي جديد على أساس من التسامح والقيم الأخلاقية المثلى والمبادئ الإنسانية السامية.
- تؤكد مبادئ التسامح الواردة في "إعلان اليونسكو" على أن "هذا التسامح يتعزز بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد"، محددًا مسألة التسامح ليس فقط كواجب أخلاقي، ولكن أيضاً كشرط سياسي وقانوني للأفراد والجماعات والدول ومختلف الثقافات والحضارات والأديان.
- أكد جلالة الملك محمد السادس ملك المملكة المغربية الشريفة في الرسالة السامية التي بعثها إلى المشاركين في الدورة الثانية للمؤتمر الدولي لحوار الثقافات والأديان بفاس سنة 2018: "وأما النظام الجديد للسلم العالمي، فهو ما نرجو أن نسهم في بنائه جميعاً، على أساس مبدأ التعايش وقبول التعدد والاختلاف، بما يسمح بالبناء والتطوير، وتوطيد الأمن والنمو والازدهار".
- جاء دستور 2011 للمملكة المغربية ليجدد التأكيد على هذه القيم، حيث شدد في ديباجته على أن "المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، متشبثة بوحدتها الوطنية والترايبية، وبصيانة تلاحم وتنوع مقومات هويتها الوطنية، الموحدة بانصهار كل مكوناتها، العربية-الإسلامية، والأمازيغية، والصحراوية الحسانية، والغنية بروافدها الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية. كما أن الهوية المغربية تتميز بتبوء الدين الإسلامي مكانة الصدارة

فيها، وذلك في ظل تشبث الشعب المغربي بقيم الانفتاح والاعتدال والتسامح والحوار، والتفاهم المتبادل بين الثقافات والحضارات الإنسانية جمعاء¹.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

- 1- ابن فارس القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة العربية، تحقيق الدكتور عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1399هـ/1979م..
- 2- ابن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1414هـ/1994م.
- 3- ألبرت اشفيتسر، فلسفة الحضارة، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، مراجعة الدكتور زكي نجيب محمود، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.
- 4- إي كريساك بول، نقد التعددية الدينية عند جون هيك، ترجمة الدكتور فراس سلوادي، الطبعة الأولى، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1437هـ/2017م.
- 5- برهان غليون، فلسفة التجدد الإسلامي، مجلة الاجتهاد، العدد الأول، 1411هـ/1991م.
- 6- توفيق الحكيم: من أدب الحياة، مطبوعات وزارة التربية، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1417هـ/1997م.
- 7- جون بانيل بيوري، فكرة التقدم، ترجمة الدكتور أحمد حمدي محمود، مراجعة الدكتور أحمد خاكي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1403هـ/1982م.
- 8- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م.
- 9- حب الله حيدر، التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م.

¹ دستور المملكة المغربية، نشر في الجريدة الرسمية عدد 5964 مكرر الصادرة بتاريخ 30 يوليوز 2011 الظهير الشريف عدد 1,11,91، 01 غشت 2011م.

- 10-حسين مؤنس، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الثانية، دولة الكويت، العدد 237، 1418هـ/1998م.
- 11-عبد العزيز بن عبد الرحمن التويجري، صراع الحضارات في المفهوم الاسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، 1422هـ/2002م.
- 12-زكي الميلاد، تعارف الحضارات، دار الكتاب اللبناني بيروت، الطبعة الأولى، 1434هـ/2014م.
- 13-الساعدي نور مهدي كاضم، أثر النص القرآني في التعددية الدينية: دراسة في متطلبات الحوار الديني المعاصر، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1437هـ/2017م.
- 14-سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م.
- 15-صامويل هنتنغتون، صدام الحضارات: صنع النظام العالمي الجديد، ترجمة الدكتور طلعت الشايب، تقديم الدكتور صلاح قنصوه، الطبعة الثانية، 1419هـ/1999م.
- 16-طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة الدكتور سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1430هـ/2010م.
- 17-قرم جورج، تعدد الأديان وأنظمة الحكم، دار الفارابي، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، 1431هـ/2011م.
- 18-الكربابادي علي أحمد، قراءة في تعدد القراءات، دار الصفاة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1430هـ/2010م.
- 19-لويس ممفورد، أسطورة الآلة: التكنولوجيا والتطور الإنساني، ترجمة الدكتور إحسان حصني، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1401هـ/1981م.

- 20- مايكل كاريذرس، لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ الثقافات البشرية: نشأتها وتنوعها، سلسلة عالم المعرفة، ترجمة الدكتور شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، العدد 229، 1418هـ/1998م.
- 21- مجموعة من الكتاب: نظرية الثقافة، سلسلة عالم المعرفة، ترجمة، الدكتور علي سيد الصاوي مراجعة وتقديم، الأستاذ الدكتور الفاروق زكي يونس، دولة الكويت، العدد 223، 1417هـ/1997م.
- 22- ول وايريل ديورانت، موسوعة قصة الحضارة، تقديم الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، تونس، 1433هـ/2013م.
- 23- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف الدكتور محمد نعيم العرقسوسي، منشورات مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1418هـ/1998م.
- 24- محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1401هـ/1991م.
- 25- سعدون محمود الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة: محور العقائد، دار المناهج، الطبعة الأولى، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 1422هـ/2002م.
- 26- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة الدكتور منير السعيداني، مراجعة دكتور الطاهر لبيب، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1427هـ/2007م.
- 27- ميلاد حنا، قبول الآخر فكر واقتناع وممارسة، دار الشروق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م.
- 28- نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1422هـ/2001م.
- 29- هارالد مولر، تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتنغتون، تعريب الدكتور ابراهيم أبو هشيش، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 1425هـ/2005م.

- 30-مريم آيت أحمد، جدلية الحوار: قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر، تقديم الدكتور عبد المجيد النجار، منشورات مجلة علوم التربية، الرباط، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 1431هـ/2011م.
- 31-محمد أبو القاسم حاج حمد، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة: العالمية الإسلامية الثانية، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.
- 32-محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم: قواعده، أساليبه، معانيه، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1417هـ/1996م.
- 33-عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: بحث في جدلية النص والعقل والواقع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الثالثة، 1420هـ/2000م.
- 34-إبراهيم بسيوني، الإمام القشيري: حياته، وتصوفه، وثقافته، مكتبة الآداب، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م.
- 35-محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1427هـ/2007م.
- 36-أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد الحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م.
- 37-راغب السرجاني، المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1432هـ/2010م.
- 38-محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م.
- 39-عمر عبيد حسنة، الوراثة الحضارية، منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1424هـ/2003م.

- 40-منى إبراهيم اللبودي، الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، منشورات مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1423هـ/2003م.
- 41-إدريس هاني، الإسلام والحدثة: إخراجات العصر وضرورات تجديد الخطاب، دار الهادي، مركز دراسات فلسفة الدين، الطبعة الأولى، بغداد، جمهورية العراق، 1426هـ/2005م.
- 42-زينب إبراهيم شوربا، نحو فهم معاصر للإجتهد: حوارات في الاجتهاد وإمكانيات التجديد، دار الهادي، مركز دراسات فلسفة الدين، الطبعة الأولى، بغداد، جمهورية العراق، 1425هـ/2004م.
- 43-فراس السواح، دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الرابعة، دمشق، جمهورية سورية العربية، 1422هـ/2002م.
- 44-جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، الطبعة الأولى، تونس، جمهورية تونس، 1424هـ/2004م.
- 45-المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى: مستقبل الماضي وماضي المستقبل، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة السابعة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1421هـ/2001م.
- 46-عبد الرحمان محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عادل بن سعد، الدار الذهبية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1426هـ/2006م.
- 47-سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة السادسة، 1399هـ/1979م.
- 48-طه جابر العلواني، الخصوصية والعالمية في الفكر الاسلامي المعاصر، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، مركز دراسات فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد، الطبعة الاولى، 1424هـ/2003م.
- 49-ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع التسامح: فرص التعايش بين الأديان والثقافات، منشورات الحضارية للطباعة والنشر، معهد الابحاث والتنمية الحضارية، بغداد، جمهورية العراق، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م.
- 50-غيورغ فلهلم فردريش هيغل، فنومينولوجيا الروح، ترجمة وتقديم الدكتور ناجي العونلي، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، منشورات المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1426هـ/2006م.

- 51-محمد حلمي، علماء الغرب يدخلون الاسلام، النهضة العربية للصحافة والاعلان، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1414/هـ1994م.
- 52-فاروق مصطفى اسماعيل، الأنثروبولوجيا الثقافية، كلية الاداب جامعة الاسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1400/هـ1980م.
- 53-دستور المملكة المغربية، نشر في الجريدة الرسمية عدد 5964 مكرر الصادرة بتاريخ 30 يوليوز 2011 الظهير الشريف عدد 1,11,91، 01 غشت 2011م.

الفقه الاستراتيجي في القرآن الكريم: دراسة وصفية

Strategic Jurisprudence in The Holy Quran: an descriptive study

إعداد الباحث: إخلف وسعيد: موظف بوزارة التربية الوطنية، المملكة المغربية، وباحث في
دكتوراه فكر الإصلاح والتغيير في جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، المغرب

Prepared by: Ikhlef ousaid: An employee at the Ministry of National
Education, Morocco

البريد الإلكتروني: islamousaid2017@gmail.com

المخلص:

يهدف البحث إلى الكشف عن الفقه الاستراتيجي في القرآن الكريم، وبيان بعض تجلياته المعرفية، التي يرتبط فيها هذا الفقه بحياة الإنسان في عز الأزمات والنكبات، وتأكيد حاجة الإنسان في هذا العصر إلى هذا الفقه، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قانون تدبير للموارد والمسخرات، ورؤية تفعيل فقه الأولويات، وتقديم الأهم المناسب للمرحلة، ورؤية تفعيل المقاصد والعلل الشرعية والكونية؛ كل هذا لتحقيق حفظ الإنسان في وجوده الحضاري والحياتي.

وقد اعتمدت الدراسة منهجا معرفيا تحليليا تقر ما أقره القرآن من منهجية معرفية في عملية تحريك الوعي الإنسان نحو إعادة ربط الدين والفقه بالحياة.

أما من حيث النتائج التي توصل إليها البحث فهي: كون القرآن في تشريع قانون التدبير للوضعيات المختلفة والمتعددة، والحلول للمخاطر والأزمات؛ كل هذا يفسر ويؤكد، ما يزال ينعش به القرآن مستويات العيش البشري بمعارف وعلوم وفنون، أغنت عند الحاجة وحقق المراد عن الإجابة لأسئلة الأوضاع الصعبة.

الكلمات المفتاحية: الفقه، الاستراتيجيات، التدبير، المقاصد، الأمن.

Abstract:

The aim of the research is two-fold. The first objective is to discover the strategic Islamic jurisprudence existing in the Sacred Quran as well as elucidating some of its cognitive manifestations in which the aforementioned jurisprudence is connected with humans in the midst of their crisis and calamities. Concerning the second objective, the research highlights the prominent role this jurisprudence plays in the lives of humans nowadays as it provides them with legislative instruments including the law of resources' management, the vision of activating the jurisprudence of priorities, providing the most important and the efficient for each particular period, and the vision of putting into action the ethical and the tangible “makassid” (the objectives) and “ilal” (arguments), to list a few. All of

this aims at realizing humans' continuation reflected in the preservation of their lives and civilization.

The study has adopted an analytic cognitive methodology. It confirms what the Quran approves regarding the cognitive methodology in the process of activating humans' conscience in order to connect religion and jurisprudence with life's daily situations.

Concerning the research results, it has been found out that the Quran plays different roles in the lives of humankind. To begin with, the Qur'an is considered the main source vis-à-vis the legislation process for the management of the numerous and the different life's situations; the Quran also finds out solutions for crisis and hazards. To add, the Qur'an is continuously legislating for what revives humankind's living standards by enriching them through enhancing knowledge, science, and arts which have the ability to meet human needs, and which can also find answers for different questions dealing with emerging issues and difficult situations.

Keywords: jurisprudence, strategies, management, objectives, security.

المقدمة:

إن القول القرآني، بفضل ما اختص به من خصائص، وبما امتاز به من مميزات معرفية ومنهجية حضارية ذات أبعاد ابستمولوجية ممتدة الآفاق، وباعتباره كتاباً للإنسانية، ومنهجاً متكاملًا، ومن حيث ما قدمه من تقريره لمقومات الفعل الحضاري ووسائل التمكين للإنسان في الأرض، وقوانين الوجود الأنطولوجي، بما فيها قانون التدبير للوضعيات المختلفة والمتعددة والحلول للمخاطر والأزمات، كل هذا يفسر ويؤكد، ما يزال ينعش به القرآن مستويات العيش البشري بمعارف وعلوم وفنون، أغنت عند الحاجة وحققَت المراد في الإجابة عن أسئلة الأوضاع الصعبة، ما يدل على المنطق الاستراتيجي الذي تضمنه القرآن وما وضعه للإنسان قصد التدبير والتأمل والتوجيه والإرشاد والاهتداء إلى أحسن سبيل وأقوم طريق.

يأتي الحديث عن الفقه الاستراتيجي القرآني في سياق ما تعانیه البشرية اليوم من تخطيط في العيش، و من أزمة في القيم التي ورثها العقل الإنساني عن الحداثة العمياء التي زودت الإنسان بالقلق والحيرة والتهيه والضلال، والتي أفقدته الصواب والرشد، و عمقت في ذهنه القلق الوجودي بسبب الإعراض عن رب السموات والأرض، وبتوظيفها لمناهج فلسفية جردت العقل من الأصل الغيبي نحو الأصل المادي، ومارست قواطع ابستمولوجية بين قيم السماء وقيم الأرض وفصلت بين العالم الغيبي والعالم الأرضي، واستمرت في تأليه الفرد وإنتاج الإنسان ذي البعد الواحد.

مشكلة الدراسة:

إن الفقه الاستراتيجي الذي سطره القرآن في مختلف عناصره المعرفية وآلياته الدلالية والمنهجية؛ يؤكد أن الركن الأساس في الوجود، هو الإنسان نفسه، وأن الله سخر له كل المخلوقات لخدمته عبر قانون التسخير والتطوير لأداء الأمانة الكبرى التي هي أمانة العبادة والتدين، وهي الأمانة التي أبت السماوات العظام والأراضي الشاسعة على حملها. لذلك فعلماء الفقه والأصول في استقراءهم للشريعة وجدوا أن الغايات التي يدور عليها خطاب الله هي حفظ مصالح العباد في المعاش والمعاد. يقول الإمام الشاطبي رحمه الله مبيناً: «أن وضع الشارع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً»¹، قال الله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» [الأحزاب: الآية 72]. ونصوص الشرع موضوعة لمناسبة البشر في سائر التحولات، وفي الأحوال المتقلبة للعرمان والإنسان، سايرت أطواراً مختلفة، وأنتجت بفضل تفاعلها مع الواقع والعقل معارف شملت سياقات متنوعة، من القيمة القيمية ومركزيتها والتكامل بينها والجوانب المعرفية والاقتصادية والسياسية...؛ ما يمكن لنا كشف أصالة القيم، ومركزية الأخلاق الرؤيوية في القول القرآني والتنزيل النبوي. وبالتالي تبين لنا مجموعة من الآيات في القول القرآني، عن أن ثمة أساسات تبقى ذات جوهر حضاري في عز كل الأزمات والشدائد، وفي زمن المحن المتعددة. وهذا الفرق رهان الأمة في كل اللحظات.

تساؤلات الدراسة:

يسعى البحث إلى الإجابة على التساؤلات التالية: فما هي أسس فقه الاستراتيجيات في القرآن الكريم؟ وما تجلياتها؟ وإلى أي حد تناسب هذه التجليات الوضع الإنساني الحالي في تجاوز الأزمات؟.

¹ - أبو اسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، طبعة 1428هـ / 2007م، الجزء الثاني، ص 5.

منهج الدراسة:

أما منهج الدراسة يتحدد انطلاقاً من موضوع البحث، وهو عبارة عن دراسة وصفية تحليلية لمختلف الآيات التي ذكرت الفقه الاستراتيجي صراحة أو ضمناً، فقد قمت بتحليل مجموعة من الآيات بما يناسب منهجية البحث.

أهداف الدراسة:

نريد أن نخصص الحديث في هذه الورقات عن بعض الأحكام والحكم والمقاصد الحضارية التي سطرها القرآن الكريم في مختلف الآيات، والتي تنفع الإنسانية في هذا الزمان خاصة ما بعد هذه الأزمة التي اجتاحت العالم، والتي سميتها بفقه الاستراتيجيات، اهداء بالموضوع نحو القراءة الجديدة للآليات التي وضعها القرآن للتفاعل مع السياق المعاصر، كثيرة هي الاستراتيجيات التي تضمنها الوحي الكريم، لكن هذا لا يمنعنا أن ندلو بدلونا لكشف النقاب عن بعضها، وحسبنا ما جادت به قريحتنا.

أولاً: التدبير المحكم للموارد

إن منطلق هذا العنصر هو مجال الكون وما يزخر به من آيات معرفية متكاملة يحكمها نظام وإتقان في الصنعة والإبداع، والمسوغ الذي يحكم على استدعائه ضمن مجالات المعرفة بمختلف تجلياتها هو الحالة التي تعيشها البشرية اليوم من العبث في الاستغلال السيء للموارد والعناصر الكونية من ظهور وانتشار لحالات من الفوضى والفساد والإعتداء عليها جراء الإسراف. والشرع الحنيف قرأنا سنة وضع ضمن ما وضع استراتيجيات التنمية الحضارية والبيئية.

وهي من استراتيجيات عملية تقبل التجدد عبر المراحل المتعددة ما دام الإنسان باقياً على هذه الأرض، وبين عبر هذه الآيات السنن الماضية في الأولين والأقوام السابقة، أخذنا من ذلك العبر والعظات والدروس المعرفية والدلالات، على أن التدبير في الموارد والحفاظ عليها، والانتفاع بها وفق منهج الوسطية والاعتدال سبب بقائها، وأن استغلالها بالتبذير والإسراف سبب الأزمات وذلك بنهايتها وفنائها، فكم من نعمة من نعم الله وكم من آثمه، فقدت وانقرضت بفعل التدخل الإنساني المهلك، قال الله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي

وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَفَأَهُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» [سبأ: 15-19].

فقد بين القرآن الكريم، الكون على أنه مجال خاضع لسنن الله التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا، كما أوحى للإنسان أنه قادر على معرفة تلك السنن ودعاه ليقوم بدور الاستخلاف في الأرض، وممارسة مهمة الإعمار.

وفي الفقه الإسلامي ظلت مثل هذه المواضيع محدودة الطرح وقليلة النقاش وضعيفة التأليف، ومنعدمة الذكر إلا ما تم نقاشه في ما له علاقة بإحياء الأرض الموات في الفقه الإسلامي وما له علاقة بالمزارعة والمغارسة والجماعة في كتب الفقه، وفي بعض البرامج السياسية للحكومات والمشاريع الضعيفة في المجتمعات العربية لاتزال ضعيفة الذكر، رغم أن القرآن الكريم حقق القول في عناصر الكون: من أراض وجبال وسماء وبحار ومياه وسموات وأشجار وفواكه وزروع وثمار وحيوانات وسائر المخلوقات...، ضمن آيات كثيرة في كتابها المنظور داخل كتابها الأصلي الذي هو الكتاب المسطور، مع الدعوة المتكررة نحو التأمل والتفكير والإبصار والتدبير، والنظر فيما تعانیه من إشكالية التنزيل والممارسة.

ففي الفقه الإسلامي والفكر الإسلامي عموما هناك توجس عن النقاش في القضايا المستقبلية اعتبر أكثر تأثير على الدراسات الاستراتيجية في العالم الإسلامي⁽¹⁾، وبالتالي اعتبار ذلك من المحرمات عند البعض، الأمر الذي جعل العقل يمتنع عن ذكره في المصنافات والكتب التراثية، لكن أمام التحديات الحضارية التي تعرفها المجتمعات أصبح الرهان كبيرا أمام صانعي القرار من السياسيين والمفكرين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع والنفوس وعلماء الفقه والشريعة والدين ككل، من أجل التدبير الجيد وتحكيم الرؤية وإتقان التخطيط برؤية كلية تكاملية وتعاونية بين سائر الأطراف والمسؤولين وكل الفاعلين، ووضع قضايا تستشرف خلالها المستقبل وتفهم التحولات التي يمكن أن تتحكم فيه، انطلاقا من فهم الماضي وأخذ العبرة منه والعمل في الحاضر استشرافا للمستقبل، والربط بين هذه العناصر الزمانية الثلاثة وإقامة جسر التواصل وممارسة الوصل لا الفصل والخيط لا القطع والربط برباط الرؤية القرآنية، لأن القرآن الكريم في

1- " إن الفراغ الذي تركته الدراسات الاستشرافية والمستقبلية الإسلامية، مثل نقطة جذب للمؤسسات الدولية ومراكز الأبحاث الغربية، التي تنطلق في رؤيتها للمستقبل من منظور حضاري غالبا ما يستند في رؤيته للأخريين للمركزية الغربية، ومن هنا جاء موقع العالم الإسلامي ضمن " النماذج العالمية" هامشيا، حيث لم تتعامل النماذج مع العالم الإسلامي ككتلة واحدة، تجمع بينها روابط الدين والتاريخ والاتصال الجغرافي والحضارة المشتركة، كما تجاهلت الزخم النسبي الذي حققه العالم العربي والإسلامي في مجال العمل المشترك"، فؤاد بلمودن: المستقبل الحضاري للأمة الإسلامية، دراسة في البدائل والتحديات، مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الإستراتيجية، مطبعة المعرفة الجديدة، الرباط، السنة 2019، ص 209.

حديثه عن الماضي دائما يرشد الإنسان نحو أخذ الموعظة والإفادة والدرس من سنن الأولين وما يحيط بهم من أحوال وتقلبات في العمران.

ولأن الملاحظ أيضا في الذات الإسلامية هو عدم وجود المنهجية المعرفية والعلمية في تحديد الأهداف وفق تصور صحيح، « فمهمة الوعي بالمستقبل تتركز على تحويل علم المستقبل من تخرصات وظنون ونبوءات خرافية إلى علم له أساساته المنهجية، وتكوين إرادة التغيير والمدافعة الذاتية لتحديات المستقبل¹؛ لأن تجاوز التحديات التي تعيشها الأمم تفرض التفكير العميق في إعادة الإصلاح والتغيير والإحياء من جديد وقراءة المستقبل وأن هذا المستقبل الحضاري الإسلامي في هذا الزمان «لا بد أن يستند إلى قواعد راسخة ومتينة تتمثل في العمل على التجديد الشامل والعميق الذي يشمل إعادة بناء الرؤية الإسلامية للإنسان والكون والزمن، والعمل على تجديد الأساليب التي يتوسل بها في الحياة العامة، تحقيقا للمصلحة مع العصر، ووقف حالة الهروب أو الهجرة التي يباشرها العقل المسلم المعاصر، إما نحو التاريخ بوصفه منطقة آمنة، أو نحو حداثة مستوردة بقدر ما تحقق إشباعه المادي، تفاقم من أزمته الحضارية وظمئه الروحي وتزيده رهقا²».

ومن شروط الإصلاح؛ البناء للمستقبل وكل أمة غابت عنها رؤية المستقبل لا يمكن لها أن تحقق النجاح لأن البناء أصلا يكون للمستقبل، من هنا تتأكد قيمة المستقبل ويتبين دوره، « كما تبرز أهمية الوعي المستقبلي في فهم وإدراك طبائع السنن التغييرية والتحويلات الإنسانية وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن المستقبل وإهمال التعامل مع تحدياته. وهذا التحفيز الذهني لاستشراف المستقبل سيدعو إلى المشاركات الجماهيرية في عمليات التغيير وتكوين فرص التأهب الاجتماعي استعدادا للمستقبل بدلا من ترقب وقوع المشكلات بصورة مفاجئة³».

باعتبار الفقه وأصول الفقه وعلم التفسير في الخطاب الديني، أحد وأبرز العلوم التي لها علاقة مباشرة بالوحي الإلهي عبر استنطاق معانية واستمداد مقاصده وتنزيل استراتيجياته، فالمهمة تظل صعبة على هذه العلوم في البحث عن الأجوبة المناسبة والشفافية للواقع وتقلباته، إنطلاقا من الآليات العقلية التي تربط بين

¹- مسفر بن علي القحطاني: سؤال التدبير، رؤى مقاصدية في الإصلاح المدني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2014، ص 277.

¹- المرجع نفسه، 277.

²- فؤاد بلمودن: المستقبل الحضاري للأمة الإسلامية، دراسة في البدائل والتحديات، مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الإستراتيجية، مطبعة المعرفة الجديدة، الرباط، 2019، ص 7.

³- مسفر بن علي القحطاني: سؤال التدبير، ص 277- 288 .

النص والواقع، من الاجتهاد والتجديد والإصلاح. « هذه بعض البنى المهمة في الوعي المستقبلي ينبغي أن تتحقق كأرضية صلبة لأي مشروع استراتيجي يراد له النجاح في واقع حياة الناس، وهي لا شك رؤية فكرية وثقافية تنطبع تلقائيا في سلوك الفرد الواعي باستشراف المستقبل، عندما يفكر في دراسة وتكوين أسرته وتأمين كفايته المادية وأحلامه الحياتية، وبالتالي تتشكل لنا نخبا واعية ترفض العودة إلى تجارب الماضي ما لم تثبت معطيات الحاضر جدواها وتحليلات المستقبل فاعليتها»¹

وسنة التحول لم تستوعبها المجتمعات العربية والإسلامية بقدر ما تؤمن بها من حيث الوجود، ولا تعمل لأجلها على مستوى التدبير وحسبها فقط من الزمان ولا تعدها من الحضارة، ولم يهتدوا في ذلك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يضع استراتيجيات انطلاقا من الوحي الكريم في استشراف المستقبل الحضاري لربح الرهان،

وإن المتتبع لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، يجد نماذج كثيرة ومواقف متعددة جسدت من خلالها فقه الاستراتيجيات الحضارية القرآنية، انطلاقا من حساب الزمان، ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، وثيقة المدينة التي ضمن من خلالها المدينة وكسبها، وذلك من خلال حفظ الحقوق والأعراض للناس والتعارف والتواصل الإنساني، ومن دمج أهل الكتاب فيها خاصة اليهود، ومما يمكن الاستفادة منه؛ تدبير السلم ودفع الحرب وبناء الصف الداخلي للمدينة وممارسة التعايش ونشر التسامح والتواصل على أكبر قدر وأحسن امتداد؛ فهذا تخطيط ناجح في أعلى مستوياته، حيث استطاع عليه السلام الحفاظ على حقوق الناس، كما ما للهجرة من تخطيط في تغيير الأوضاع والأحوال وتوظيف استراتيجي ناجح للعمل وفق فقه المكان فالنبي صلى الله عليه وسلم أفقه الناس لمجاله ومناخه الذي يعيش فيه، وأعلم الناس لعلوم التحول ولعلوم الجغرافية،

كما يمكن هنا أن نذكر أيضا نماذج ومواقف أخرى سجل من خلالها الرسول صلى الله عليه وسلم بطولات وانتصارات من خلال الفقه الاستراتيجي، مثل حدث صلح الحديبية، وهو الحدث التاريخي الذي يبين معاني النضج الفكري للفقه الاستراتيجي للإسلام، وللتدبير القرآني، كما يجسد المعاني السامية والدلالات الحضارية التي جاء بها الإسلام، فهذا الصلح فيه معاني السلم والسلام والتواصل الإنساني في أرقى معالمه حيث يكمن ذلك في الأساليب الاستراتيجية التي تعلمها الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم؛ مثل التفاوض والتشاور والحوار والتواصل لمقاصد جليلة وغايات كثيرة منها منع الحرب ووقف العنف وسفك الدماء، تلك معالم الدين الإسلامي الراقي الذي تبني المجتمع الاستخلافي والعمراني.

¹ - المرجع السابق، ص 278.

والإنسان محتاج لفهم وتدبر فقه التحول والتدبير في كل الأزمنة والأوقات خاصة في زمن الضعف والانتكاسة؛ لأن الله أرشد كثيرا إلى هذا الفقه الغائب في العقل الإسلامي مع العلم أن له جذوره المعرفية والمنهجية في القرآن والتي تتطلب الاجتهاد والتدبير والتفكير، «والله أعطى الإنسان من وسائل التحويل لما حوله مقدارا كبيرا وقوة حسية ومعنوية أكبر من تقديره غالبا، وهو أقل تقديرا لقوته وقدرته – وبخاصة في زمن الخمول والضعف ونقص الثقة- ويرى في ظروف الانكسار رأيا يحقر فيه نفسه، ويحقر فيه قيمة جهده ومستقبل أمره، وعميق أثر عمله، ولكن لله في الكون سنة تجعل أثر الإنسان أكبر من تقديره، ونتاج عمله يتضاعف بطريقة فوق تصوره ويحقق الله في ذلك سنة (وإنا لموسعون)، فوعي الإنسان غالبا مرتبط بظرفه»¹.

ولفهم منطق السنن يمكن إدراك المستقبل عبر فهم التحولات التي تتحكم في الأحكام والمقاصد والوسائل، «إن بؤرة الرؤية المستقبلية ونقطة الإنطلاق الأساس في النهوض وإبصار المستقبل من خلال مقدماته، أو التمكن من تشكيل المستقبل والمداخلة في بنائه، إنما تتحقق من خلال اعتماد المنهج السنني، ومحاولة الكشف عنه وملاحظة اطراده في الحياة، ومن ثم تأتي مرحلة التسخير والقدرة على المداخلة في المقدمات من خلال القانون ذاته»²، لأن فهم المستقبل وفق استراتيجيات علمية ومنهجية مستنبطة من القرآن يسهم بشكل كبير في الوعي به أولا وبقيمته ثانيا على مستوى وجوده الحضاري كزمن له دوره في الحضارة وبناء الثقافة، كما أن لذلك غايات ومقاصد حضارية والتوسع في فهمها وتنزيلها وتطبيقها يثمر فعالية هذه المقاصد التي تتجلى في:

«- تحويل علم المستقبل من تخرصات وظنون وتنبؤات خرافية إلى علم له أساساته المنهجية.

- فهم طبائع السنن التغييرية وإدراكها والتحويلات الإنسانية.

- تكوين إرادة التغيير والمدافعة الذاتية لتحديات المستقبل.

- تصحيح المفاهيم الخاطئة عن المستقبل و التعامل مع تحدياته.

¹ محمد بن حامد الأحمدى: ملامح المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 2010، ص27.

² الياس بلكا: استشرف المستقبل في الحديث النبوي، كتاب الأمة، سلسلة دورية بدولة قطر، الطبعة الأولى، رجب 1429 هـ / غشت 2008م، ص 12.

- التحفيز الذهني للمشاركات الجماهيرية في عمليات التغيير وتكوين فرص التأهب الاجتماعي استعدادا للمستقبل بدلا من ترقب وقوع المشكلات بصورة مفاجئة»¹.

ثانيا: رؤية تفعيل الرخص لتجاوز الشدائد والمخاطر:

إن الإسلام قدم رؤى حضارية ومستقبلية لوضع خطط واستراتيجيات معرفية عملا وتشريعا لفقه اللحظة أو الفقه المستقبلي، ومن ذلك ما سنه من الرخص التي اعتبرها جزءا من العبادة يحتاجها المسلم في اللحظات العسيرة والصعبة، والعقل الإسلامي اليوم أكثر حاجة وإلحاحا إلى إعادة النظر في هذا النوع من الفقه في مناسبات كثيرة لكي لا يعيش المسلم أو الإنسان بصفة عامة في ضيق وحرَج، ومن ذلك مثلا ما ذكر به القرآن من قصر الصلاة في السفر أو عند حصول الحرب أو الخوف.

فقد شرع الإسلام هذا المبدأ حفاظا على الأنفس وحماية لها من المخاطر قال الله تعالى: « وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا» [النساء: الآية 102]، ومن ذلك أيضا إباحة بعض المحظورات عند الضرورات، التي قصد الشارع من خلالها الحفاظ على الأنفس من الزوال، كأكل الميتة أو شرب الخمر عند الضرورة قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [البقرة: الآيات 172-173]..

هذه الرخص الشرعية هي التي تمكن من تطبيق بعض الأحكام، كما تعني أيضا التنازل الشرعي عن بعض الأحكام في فترات معينة من الزمن لبعض أصحاب الأعداء، ويكون ذلك في العبادات. ومن مميزاتها أنها رؤية قرآنية مناسبة تدل على صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وتغيير الفتوى بتغيير الأعراف والأحوال والعبادات كما قرر علماء الأصول في مصنفاتهم من تلك القواعد، كما أنها تدل على سماحة الإسلام ويسره واعتداله في كل جوانبه.

والمسلمون مطالبون دائما بتفعيل رخص دينهم، وعدم تركها لأنها تدل على حفظ الله سبحانه للمكلف الإنسان والعمل بها فيه طاعة الامتثال، كما « أن ترك الترخص مع ظن سببه قد يؤدي إلى الانقطاع عن

¹ - مسفر بن علي القحطاني: سؤال التدبير، رؤى مقاصدية في الإصلاح المدني، ص 287.

الاستباق إلى الخير، والسامة والملل، والتنفير عن الدخول في العبادة، وكراهية العمل، وترك الدوام. وذلك مدلول عليه في الشريعة بأدلة كثيرة. وربما عجز عنه في بعض الأوقات فإنه قد يصبر أحياناً وفي بعض الأحوال، ولا يصبر في بعض والتكليف دائم. فإذا لم يفتح له من باب الترخيص إلا ما يرجع إلى مسألة تكليف ما لا يطاق، وسد عنه ما سوى ذلك، عد الشريعة شاقاً»¹

وذلك كلما حلت بالناس حاجة أو جائحة من الجوائح أو مرض من الأمراض أو عذر من الأعذار، لكي لا يعيش المسلم في مشقة وعسر، وتكون بتفعيل جهاز الاجتهاد والتجديد لفقه الواقع وفقه التنزيل الذي يعد من الآليات التي تربط النص بالواقع الحضاري للمسلمين في كل أماكن الأرض، ومن فهم للسنن الحضارية والإنسانية التي دعا الشرع الحنيف إلى التأمل فيها، وهذه الرخص تعد استراتيجيات شرعية وخطط تعبدية صحيحة وضعها القرآن الكريم لاستمرار التدين وممارسته على أرض الواقع، وتحقيق مقاصده الأولى وغاياته الكبرى المنسجمة مع البناء الحضاري.

والأمة في حاجة إلى تفعيل هذه الاستراتيجيات خاصة في زمن التحولات الحضارية التي تقع في العالم، خاصة مع المسلمين في غير بلدانهم الأصلية تفعيلاً لفقه الأقليات، وإعادة النظر في ذلك باستمرار، كما قال الإمام الشاطبي رحمه الله في الموافقات: «والرخصة راجعة إلى جزئي بحسب بعض المكلفين ممن له عذر، وبحسب بعض الأحوال وبعض الأوقات في أهل الأعذار، لا في كل حالة ولا في كل وقت، ولا لكل أحد. فهو كالعارض الطارئ على الكلي. والقاعدة المقررة في موضعها أنه إذا تعارض أمر كلي وأمر جزئي، فالكلي مقدم؛ لأن الجزئي يقتضي مصلحة جزئية، والكلي يقتضي مصلحة كلية. ولا ينخرم نظام في العالم بانخام المصلحة الجزئية؛ بخلاف ما إذا قدم اعتبار المصلحة الجزئية، فإن المصلحة الكلية ينخرم نظام كليتها»².

ثالثاً: فقه الأولويات وتقديم الأهم المناسب للمرحلة

إن فقه الأولويات فقه قرآني؛ رتب الله فيه المصالح بعضها البعض، والمفاسد بعضها البعض، وهو فقه واقعي لما فيه من تقدير الأعمال وفق الزمان والمكان الذي يعيشهما الإنسان، وعلى اعتبار اللحظة التي يحيها المسلم، وهذه اللحظة ترتبط بالمقاصد من حيث ترتيبها في الخير والأهمية أو في المفسدة، حيث تقدم

¹- أبو اسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، 240/1.

²- المرجع السابق، 1 / 228.

الأمر الكبرى على الأمور الصغرى، وتدفع المفاصد والمضار الكبرى على المفاصد والمضار الصغرى، وهي تعيد بناء الإنسان وتركب ماهيته وفق تحولات الزمان الذي يتحول معه الوجود.

وفي مختلف الآيات حدد الله تعالى أن الأهم هو الإنسان وأن كل ما سخره فهو لصالح الإنسان من علوم وفنون وآيات كونية، كما أن أي شيء يسعى إلى فوات النفس أو تعطيلها حرمها وأزالها بالتحريم والتعطيل من المحرمات التي تدمر المجتمعات ومن الرذائل والفواحش والمنكرات والتي تسبب الأمراض والفتن الاجتماعية من الزنا والربا والخمر والقتل والسرقة، وكل ما يهدد الأمن المعرفي والروحي والاجتماعي والاقتصادي للإنسان، وللحفاظ على نسل ونفس الإنسان من الزوال والضياع، وعلماء الشرع قدموا قواعد في ذلك من مثل قولهم " حفظ الأبدان مقدم على حفظ الأديان"،

وأن الأمم التي ركزت على الاقتصاد في هذه اللحظات، انهارت مقوماتها الإنسانية حيث مجدت الربح والمادة على حساب الإنسان، لكن الدول التي تقدر مكانة الأفراد قامت بالحجر عليهم حفاظا على أرواحهم التي هي أصل قيام الاستخلاف وقيام العمران، حيث تنازل الفرد على العبادات الجماعية في المساجد والمجامع الكبرى كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والأقصى أخذا الحيطة والحذر من الداء ومن الخوف من انتقاله عبر البلدان، وهذا المنع الذي قامت به المجتمعات للصلوات الجماعية في زمن كورونا لا يتناقض مع تعاليم الإسلام ولا يعني إلغاء أحكام الصلوات أو تجاوز الدين كما يعتقد البعض من المتشددون الذين يتمسكون بألفاظ الشريعة دون معانيها كما نسمع ونشاهد؛ بل إن هذا يعد من صميم المقاصد الشرعية وغاياتها الحضارية.

ما يدل على الرؤى الاستراتيجية التي يجسدها الوحي الكريم في كل المناسبات والأوقات، وتبعا لذلك فمن الأولويات التي تحتاجها الأمة مستقبلا أولوية العلم وإعادة التذكير بمركزيته في البناء الحضاري، من مراكز العلم والمعاهد الخاصة بالتجارب الطبية والحربية وتدبير الأولويات والتخزين للموارد مادية كانت أم بشرية، إلى وقت الحاجة لنفع البشر، ومن الأولويات الحضارية أيضا، أولوية التكامل بين مجالات الحياة فعلى الأمة الإسلامية إعادة الاعتبار لهذا العلم والعمل على تطبيقه، بدءا من تكامل علوم المعرفة والفكر، وتكامل الرؤى الفكرية والتربوية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية والصناعية...، وتجاوز المقاربات التفكيكية والنظريات التشكيكية الغربية التي تسعى دوما إلى فصل الدين عن الوجود، وقطع صلة عالم الشهادة عن عالم الغيب عبر سن قوانين ورؤى مادية فارغة الجوهر « فحوار الأنظمة المعرفية، في سياق الرؤية التوحيدية، هو الذي يوسع دائرة الفهم والوعي والتأويل، وينقل العقل من مستوى (الإدراك العيني)

إلى (الإدراك الاستبصاري الإحساني) الذي يقوم على الاستغفار، والاصطبار والخشوع والتدبر والتقوى»¹.

إن هذا التكامل يسعى لإيجاد البديل الحضاري للخروج من المخلفات الحضارية والأزمات الإنسانية، كما أن الأولى يكمن في إعادة الاعتبار لمنظومة القيم وفلسفة الأخلاق، التي هي أساس الوجود الحضاري وذلك عبر تربية الناشئة في المجتمعات الإسلامية على رؤى التوحيد والإيمان والإخلاص والجد والاجتهاد والتفاني في العمل والعلم وتحقيق مبدأ الإنصاف وتكافؤ الفرص والمساواة والتنافس الجيد والإيجابي، كل هذه السبل كفيلة بالنجاح في المستقبل الحضاري، والرهان عليها قائم لتحقيق النهوض والتغيير والانخراط في التنمية الشاملة.

رابعا: رؤية المقاصد والعلل الكونية

من أسس الاستمولوجيا التي تضمن الوجود البشري وتحفظ بقاءه على الأرض، الرؤية المقاصدية للوجود في الخطاب القرآني، فالرؤية القرآنية في حفظ المقاصد ورعاية المصالح الإنسانية في المعاش الوجودي والأخروي، تعتبر الجوهر الحضاري للإنسان للقيام بعملية الاستخلاف ومهمة الإعمار، « إن الشريعة الإسلامية نظام متكامل من الغايات والأفعال العاملة على تحقيقها، فأسسها الكونية المعبرة عن حكمة الصلاح، تقدم ذاتها بوصفها الخطوط العامة، التي تمكن من التنظير للمجتمع الإسلامي، لتدرا عنه آفات المفاصد التي سقطت فيها مجتمعات أخرى، إذ تمكن هذه الحكم من بناء أحكام ضابطة للسلوك، تكيف أوضاع المجتمع حسبما تقتضيه الغايات النهائية للشريعة، وبالنظر إلى البنية المعقولة للمقاصد، وانبنائه على مفهوم الفطرة السليمة»²، بدءا من الأساسات أو الكليات مرورا بالوسائل التي تحوم حول هذه الكليات.

والمقاصد سمة اتسم بها الإسلام على سائر الأديان، يقول الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله في الفتاوى: «وإن الدين تحصيل الحسنات والمصالح وتعطيل السيئات والمفاصد»³، والمقاصد منهج إلهي يتجدد دوما وتبعا للمتغيرات الحضارية، وأهميتها تكمن في ربط الواقع الإنساني بالدين، «فإن تفعيلها في مجالات

¹ - شراف شناف: من ابستمولوجيا التعقيد إلى معرفة التوحيد، العقل المعرفي التوحيدي المعاصر ومجاورة قلق ابستمولوجيا الغربية، نظرية المعرفة والسياق الكوني المعاصر التكييفات المرجعية، والمستلزمات العلمية، مجلة الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة ندوات علمية، رقم 08، شعبان 1436هـ / يونيو 2015م، الرباط، المغرب، ص 71.

² - نورة بوحناش: الاجتهاد وجدل الحداثة، كلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1437هـ / 2016م، ص 208.

³ - أحمد بن تيمية: الفتاوى، اعتنى بها وخرج أحاديثه عامر الجزار، وأنوار البار، الجزء العاشر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الثالثة، 1426هـ / 2005م، ص 212.

الحياة المختلفة ينتج أفقا إنسانيا رحيبا، على مستويات: الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والإنسانية جمعاء.. إننا اليوم في حاجة ماسة لرفع راية الفكر المقاصدي في مرحلة دقيقة تمر بها الأمة، تريد فيها النهوض، وترنو فيها للوحدة والقوة والتماسك واستعادة دورها المنشود.. وتاريخنا كله يخبرنا بأن الفكر المقاصدي كان يستلهم ويستنزل في مثل هذه الفترات؛ فهو أحد الضمانات الكبيرة لخير أمتنا وخير الإنسانية جمعاء»¹.

والذين يهملون هذا الجانب المهم والكبير في الوحي الرباني من التيارات الإسلامية مثل الظاهرية اللفظية، أو التيارات الحدائثية التي تريد تجريد الدين من جوهره، لا يمكن لها أن تؤسس لخطاب إسلامي أو إنساني معاصر وفق إهمال المقاصد الشرعية، والتي هي الأساس المعرفي، إذ «إن القرآن يقدم نفسه قوة اقتراحية في سبيل الإصلاح، يدعو إلى المصالح كلها، وينهى عن المفسدات كلها، وقوته الاقتراحية هاته تبتدئ بالاقتناع الذاتي، وتنعكس على سلوك الأفراد والجماعات والمؤسسات، ولا يقبل منهم تغيير أحوالهم إلا بمقدار ما تكون مناشطهم متحققة بصفتي الإخلاص والاتباع، إخلاص النية والقصد لله عز وجل، واتباع سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام»².

فالله سبحانه بين في القرآن أن هناك حالات تحتل فيها بعض المقاصد مكانة مهمة في حياة الإنسان، من بين هذه المقاصد.

مقصد الأمن:

وهو أساس بقاء الإنسان، وكلما انعدم الأمن في الأمم والشعوب يحس الإنسان بالرعب والخوف والهلع، وتتعدد معاني الأمن في القرآن، بتعدد حالات حاجة الإنسان إليه، واحتل مواضع ضمن سياقات مهمة، كونت نسقية حضارية ورؤية تكاملية وشاملة للقضايا، ومن ذلك الأمن الأول وهو الأمن من الخوف والجوع، الذي هو أساس قيام العبادات والشعائر، قال الله تعالى مبينا أهميته: «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ»³، وارتبط أيضا بالاجتهاد والاستنباط التي تعد من الآليات المعرفية والمنهجية التي تحفظ الدين من الجمود والتقليد، وتضمن له الحركية والتجدد لذلك قال الله تعالى: «وَإِذَا

¹- وصفي عاشور أبو زيد: رؤى مقاصدية في أحداث عصرية، دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1439هـ / 2018م، ص 15.

²- محمد إقبال عروي: المقولات بين التعريف والتصريف، رؤوس أقلام .. لا رؤوس ألغام، نظرية المعرفة والسياق الكوني المعاصر التكميقات المرجعية، والمستلزمات العلمية، مجلة الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة نوات علمية، رقم 08، شعبان 1436هـ / يونيو 2015م، ص 242.

جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» [قريش الآيات: 3-4]،

وفي آية أخرى جاء مفهوم الأمن باعتباره المقصد الأسمى الذي يضمن للإنسان الحرية والاطمئنان؛ مقرونا بالإنفاق الاقتصادي والاجتماعي الحضاريين، وهو الأساس الذي يركز عليه الأنبياء في دعواتهم الناس إلى عبادة الله وتوحيده، قال الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» [إبراهيم الآيات: 35-41].

والأمن فعل استراتيجي سبق إليه الأنبياء عليهم السلام باعتباره من المخططات الناجحة في تدبير الوضع البشري ووجوده الحضاري على الأرض، ويزكي هذا موقف يوسف عليه السلام الذي وظف إمكانات تجاوز المخاطر بفضل ما مكن الله له في التدبير والتمكين الإنساني، وهو الأمن الصادر من الحاكم أو الملك، ويكون من الدولة، وفيه عبرة على أن الدولة هي التي تضمن الأمن والسلم والحفظ من الجوع والخوف، هي دولة ناجحة،

كما أن الأمن مسؤولية كبيرة على عاتقها عبر تشريع المخططات الاقتصادية والتنموية وتوزيع الثروات بالقسط والعدل، قال الله تعالى: «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ» [يوسف الآية: 99] وفي التخطيط وحفظ الامانات في السياق العام لسورة يوسف قال الله تعالى: «وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» [يوسف الآيات: 54-56].

يجب أن يفهم الأمن في سياقات متعددة ومتنوعة وفق حالات ومقامات معرفية واجتماعية واقتصادية وسياسية، من الأمن المعرفي حماية وحدة الشعوب من التطرف والانغلاق الطائفي الناتج عن التعصب والتشدد المذهبي، والدعوة إلى الوعي المعرفي بالمبادئ الإنسانية التي من سماتها التواصل والتعارف والحوار، والحكمة في الفهم والتأويل الصحيح وقبول الرأي وتشريع القانون المعرفي العادل وممارسة الدين وفق وسطية واعتدال، ورفق ولين وحكمة، قال الله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ

النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ
عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ
رَحِيمٌ» [البقرة: الآية 143] إن مع المسلمين بعضهم البعض، أو بين المسلمين وغير المسلمين وفق
استراتيجيات قرآنية واضحة كالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى قال الله تعالى: « وَلَا
تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا
وَالْهُكْمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» [الروم: الآية 46]

ومن الرؤية الاستراتيجية التي سنها الله للبشرية في تنزيل الأمن المعرفي قبول الحوار والجدال
المبنيين على الفهم السليم، وممارسة النقد والمنهج الابستمولوجي في دحض الأفكار اللاحادية التي تدمر
أفكار وعقول المجتمعات الإسلامية، لذلك على الأمة الإسلامية العودة إلى الرؤية المعرفية القرآنية ومنهجية
الابستمولوجية التي تحقق عالمية رسالة الختم ومصادقيتها وهيمنتها في زمن التحولات الحضارية انطلاقاً
من النقد القرآني القائل: «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِسْلَمُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بَغِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَقُلْ
لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِصِيرِ الْعِبَادِ
[آل عمران: الآيات 18-19].

واستمداد مقومات الأمن المعرفي الحضاري الذي يمهد لباقي أنواع الأمن؛ مثل الأمن الاجتماعي
والأمن الاقتصادي والأمن الروحي، التي تشكل مقومات الأمة الوسطية والذات الحضارية والوعي
الوجودي؛ لأن الأمم تنطلق في البناء الحضاري من هذا النوع، وروح الثقافة القرآنية والاستراتيجية الأولى
التي بنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم الأمة هي كلمة " إقرأ" التي هي المفتاح الحضاري والمعرفي
للوجود الإسلامي، وكلما كان الأمن المعرفي قويا كلما كانت القيم الإسلامية صحيحة وثابتة، حيث لا يصح
إلا الصحيح، وما بني على باطل فهو باطل.

الرشد الحضاري:

معناه ملكة الفهم والوعي الفكري التي تمكن الإنسان من تدبير وإنجاز معارف واجتهادات وقوانين
تيسر الطريق للإنسان في فهم طبيعة التحولات الحضارية والتوجه نحو الخير والإقبال على الفلاح، ومن
ذلك أن تتصف مختلف الفنون العقلية والأنماط الفكرية من الفلسفة والعلم بهذه الصفة، حتى تهدي الإنسان
إلى أقوم سبيل، « فهي تفتح كل يوم مجالات أوسع لإدراك عظمة الخلق والخالق، وما تزال تلك الآفاق
تشكل مجالاً هائلاً للتأمل والتفكير الذي يولد المزيد من الاقتناعات التي تبعث الكثير من الطمأنينة في النفس،

وتعمق الإيمان في الذات، دون أن يغير ذلك الأمر شيئا من الثوابت المتعلقة بمحدودية الإنسان وإدراكه ومنطقه، إلى جانب عظمة الخلق والخالق، وخيرية غايته»¹.

ولقيمته اقترن في البنية القرآنية ببعض العبادات من ذلك الصيام قال الله تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» [البقرة: الآية 186] «وقوله سبحانه " لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"، يعني: يرشدون بالجمع بين الإيمان والإذعان لأوامر الله ونواهيه؛ لأنها جامعة لكل أسباب الخير والنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، فمن حققها حصل الرشد، ومن لم يحققها كان محروما من الرشد بقدر ما أضاعه منها.

والرشد هنا ضد الغي والفساد، كما قال تعالى في شأن الفراعنة الكافرين ومن قلدتهم من بعدهم " «سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ» [الأعراف: الآية 146]»²، وهو صفة من صفات الأنبياء التي بواسطتها استطاعوا البناء الحضاري، فهذا ابراهيم عليه السلام قاد أمة برشده إلى الإيمان والتوحيد وأنقذها من الجهل الشرك، قال الله تعالى « وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ» [الأنبياء: الآية 50-51]

كما أنها صفة من صفات الأهلية الحضارية في حسن التصرف والتدبير الحضاري للقضايا الخاصة بتجاوز الأزمات، فالأمة الرائدة تتصرف بوعي حضاري في الوجود، قال الله تعالى: « وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ» [النساء: الآية 6]. فالرشد القرآني منهج للفهم وحسن الاستغلال والتمكين والتكوين الفكري والعلمي والمعرفي في كل مجالات الحياة، ومن معاني الرشد الصلاح والإصلاح في جميع الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، التي تتكون منها منظومات الدول.

¹ - عبد الحميد أبو سليمان: الإنسان بين شريعتين، ص 16 17.

² - عبد الرحمن بن محمد الدوسري: صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م، ص 176-177.

الهدى الحضاري:

إن من مقاصد القرآن الكريم في الرؤية للحياة، ومن آياته المعرفية التي شرعها للإنسان، فلسفة الهدى⁽¹⁾ والاهتداء، فالقرآن الكريم في كل الأوقات والأحوال يهدي الإنسانية إلى أحسن السبل وأقوم الطرق قال الله تعالى: «هُذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ» [آل عمران: الآية 138] كما أن المقصد من إنزال الكتب وبعثة الرسل وتحريم المحرمات وإباحة الطيبات وتشريع كل الأحكام، هو الهداية والإرشاد.

فما أوج البشرية اليوم إلى هذا المقصد الحضاري وإلى هذه الغاية، التي تعيد تأسيس وعي الإنسان بالمنهج الإلهي وبقيمته وإدراك أبعاده التي شرعها الله للخروج من الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والأخلاقية، فالله تعالى شرع هذه الرؤية الحضارية وبين قيمتها في سياق منهجية معرفية تكاملية وضمن مقامات متعددة والغاية منها هي تحقيق الوجود البشري عبر ممارسة الفعل الخلقى التعبدي والتربوي الاستخلافي.

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، قول الله تعالى: «سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ يَكُفِّرْ إِلَّا اللَّهَ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» [آل عمران الآيات: 133-140].

والبيان، أن القرآن الكريم وأثناء كل لحظة صعبة فيها شدائد ومحن يذكر بأهمية مثل هذه المقاصد، والسياق الذي جاء فيه ذكر الهدى هنا هو، سياق الدعوة إلى الإنفاق والاعراض عن الفواحش والأمر بالتأمل والتبصر من السنن الكونية وما مس الناس من القرحة والأزمات التاريخية والنفسية التي تدل على أن السنة التي تحكم الكون هي سنة التداول، وما في الآيات من الحث على المسارعة في أسباب المغفرة والإنفاق من قبل ذوي أصحاب الأموال في عز الأزمات مثل هذه الأزمة التي عاشها العالم اليوم جراء هذا

¹ - يأتي تعريف الهدى على أنه: «بيان طريق الرشده وتمييزه من طريق الغي والهلاك، وبالتالي سلوك طريق الرشده وترك طريق الغي المهلك»، (عبد الرحمن بن محمد الدوسري: صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م، المجلد الرابع، ص 316).

الوباء الخطير كوفيد 19، الذي اهتزت من خلاله الاقتصاديات الكبرى في العالم، وحبس الناس في ديارهم تحت الحجر الصحي، وأمام صمود الرؤية الأخلاقية للمسلمين من التضامن والإحساس بالأخوة الإيمانية وتبادل الإنفاق على المحتاجين والأعمال التطوعية لهيئات المجتمع المدني، خاصة في المجتمع المغربي الذي يستمد هذه الخاصية وهذه الصفات من الدين الإسلامي المتجذر في الوعي الحضاري للأمة المغربية، بالإضافة إلى التفاني في خدمة الصالح العام لكل الهيئات والأجهزة التي تتكون منها الدولة؛ كالجهاز الطبي الذي قدم نفسه وروحه فداء للوطن وخدمة له، والجهاز الأمني والتعليمي لحماية الأمن الروحي والمعرفي للإنسان المغربي، فهذا زمن تنزيل هذه القيم وهذه المقاصد العليا التي تنقذ البشرية من القرح والقنط.

ولأهمية الهدي فقد اقترن في السياق القرآني بالأمن والاستقرار الحضاري والنفسي للمجتمعات، ومن ذلك، قول الله تعالى: « قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » [البقرة الآية: 38] وأيضا قوله تعالى: « وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا » [الكهف الآيات: 54-55]

هناك معالم التوجيه الحضاري، لتزكية السلوك والنفس بالمقوم الإيماني، وكل ما يقع في الكون هو من باب الابتلاء والامتحان، الذي يحرك الإنسان نحو فعل الخير والدفء به نحو الفلاح، قال الله تعالى: « تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ » [الملك الآيات: 1-2] ورافق هذا الابتلاء الكدح الإنساني الذي هو المجهود الذي يقوم به الإنسان للعيش، لكي يثمر هذا الكدح الفلاح والخير، يجب أن يكون ذا قصد شرعي إيماني، قال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْجِبُهُ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا » [الإنشاق: الآيات 6-12]

مقصد الانتفاع المادي والسمو والتزكي:

ومن استراتيجيات الوحي الرباني في عالم الماديات الاعتراف بأن أصل الإنسان والمخلوقات مادة وطين وماء، فهذا الاعتراف خطوة أولى على أن الجوانب المادية في التشكيل والبناء الحضاري وأداء الدور الاستخلافي من قبل الإنسان يبنني على الماديات التي هي جزء من الأساس ومن المواد والعناصر المهمة، لكن في التصور الإسلامي خاصة في عالم الإنسان يتم تزكيته بالرفع به إلى عالم الطهارة والسمو والتزكية ودرجة المعنويات التي تنتهي إلى الجوهر الحضاري، و« لانتشال الإنسان من هوة النسيان السحيقة، كما تعد أيضا استنفا شغوفًا للبرامج الحضارية في تاريخ التغيير الثقافي، ومحاولة كبرى لجعل المفهومية

القرآنية مصدقة ومهيمنة على كافة المفاهيم المنبثقة عبر مسارات التاريخ المعرفي البشري، وربط العلاقات المعرفية الايجابية ببعضها البعض وتطهير الذهن البشري من شتى صنوف الوثنيات والشوفينيات. إنها استراتيجية لاستدعاء النمذجة القرآنية في كل تفاصيل الحياة وتوليد المعرفة الأخلاقية والأخلاق المعرفية التي تعقلن وتروحن علاقة الإنسان بالخالق والمخلوق»¹

ومن ذلك تزكية الماديات المتعلقة بالشهوات والملذات بالعبادة والأحكام والقوانين، فشهوة الجنس التي هي أساس استمرار الجنس البشري تطعم في التصور الإسلامي بقانون الزواج الذي يثمر البنوة الصالحة والثمرة الجميلة ومقصد الإسلام هنا هو الحفاظ على كلي النسل بالدرجة الأولى، وشهوة المال وحب الادخار محكومة بالضوابط الاقتصادية والمعاملات الصحيحة لكي لا يكون هناك إعتداء وفحش وتسلط.

ومن بين القوانين الضابطة لهذا الجانب حلية البيع والشراء والدين، وتحريم الربا والسرقة والغصب...، حفاظا على كلي المال. كل هذا من أجل النمو بالمادية إلى درجة الرقي الحضاري والسلم الاجتماعي والأمن الإنساني ودرء القيم السلبية المبنية على الصراع والعدوانية والتظالم والتجسس والقتل والافتراس الحضاري والنهب والاعتداء « وما يلحق بذلك الصراع من شرائع الغاب الطينية العدوانية المنحطة، حيث يطغى جانب القوة على جانب الحق في حياة الدواب وحياة الإنسان الضال، بصفته مظهرا من مظاهر الوجود المادي، وطبيعة الوجود المادي المنحط وما يماثل هذا الوجود من صراعات في نفس الإنسان بين الروح النورانية والحيوانية الطينية المادية، وبين التسامي والضلال، وما يجره الضلال من الإخلاق إلى الأرض، بعكس أشواق الروح وشريعة النور التي ترتقي بالنفس الإنسانية في معارج الحق ومعاني الخير»².

والعودة إلى تذكير البشرية بالقيم النبيلة النافعة في سائر الأوقات والأحوال من اليسر والرخاء إلى الضيق والشدة، فالنص الشرعي باعتباره مخاطبا البشرية جمعاء باعتبارها كلها أمة دعوة؛ حيث دعا إلى التمثل والتحلي بالفضائل والقيم التي تعيد التأسيس للمشارك الإنساني الذي تجتمع فيه البشرية قال الله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [الأعراف: الآية 158]

¹ - شراف شناف: من ابستمولوجيا التعقيد إلى معرفية التوحيد، العقل المعرفي التوحيدي المعاصر ومجاورة قلق الابستمولوجيا الغربية، نظرية المعرفة والسياق الكوني المعاصر التكيفات المرجعية، ص 63- 64.

² - عبد الحميد أبو سليمان: الإنسان بين شريعتين، 43- 44 .

خامسا: جهاز الاجتهاد والتجديد:

إن من بين المعطيات الحضارية والمقومات الذاتية التي يستند إليها وحي الأمة الإسلامية والتي سنها القرآن الكريم واعتبرها استراتيجية تنزيلية للمقتضيات الإلهية على الواقع الإنساني، والتي تسهم في نقل النصوص من فضاء خاص إلى فضاء أكثر تطبيقا وممارسة، هي آليات التفعيل الحضاري والأجراً التطبيقية والتي تمنح الشريعة الإسلامية صلاحيتها لكل زمان ومكان، هما الاجتهاد والتجديد التي تعطي الشريعة أيضا الوراثة الحضارية بين أمم الأرض وشعوبها.

والاجتهاد بشقيه الإصلاحي والمقاصدي يحرر الوعي من التقليد وطغيان فكر التراث الذي دخل في سجلات فكرية مع الوحي في فترات متعددة وطويلة مضت حيث أنتجت وعيا بالزمان المؤسس للاجتهاد، إلى زمن إعادة فحص هذه المكونات لصياغة بعد ابستمولوجي حضاري، لمعرفة الذات معرفة حقيقية وربط ذلك بالمقوم العقدي الإيماني، والتعدي العملي.

ذلك أن الاجتهاد والتجديد يمنحان الشريعة إمكانية الترتيل والتنزيل والتأويل، ويبين الوجهة الحضارية التي حددها الوحي للإجابة على أسئلة الواقع ومتغيراتها المتعددة. وهذه مسؤولية العقل الإسلامي الذي يسهم بشكل مستطاع في تحرير البشرية من الجاهلية الأخيرة، ويبدل الجهد في إيجاد الحلول وإزالة الصراع الحضاري القائم على الأرض من منطلق قيمي اجتهادي عملي وفي نفس الوقت يكون للأمة دور ومكانة من بين شعوب الأرض في المساهمة الأمنية من الخوف والجوع، « إن الإنسانية اليوم بما هي عليه من حيوانية مدمرة في أشد الحاجة من أي وقت مضى إلى هديها، مما يضع على كاهل الأمة الإسلامية مسؤولية أكبر من مجرد مسؤولية إصلاح أمرها واستعادة تمثلها لرسالة إسلامها، وذلك هو مسؤولية إصلاح الحضارة الإنسانية واستنقاذ شعوبها من بين أنياب شريعة الغاب وما تحمله في طواياها من آفاق أبعد وأخطر من الفساد والدمار، الذي إن ترك دون مراجعة وإصلاح فإنه حتما ستعود الإنسانية بروح حيوانية عنصرية عدوانية إلى الخراب والدمار»¹.

فالأساس الأول الذي بني عليه العيش في الحياة وقام عليه التكليف، هو أن الله تعالى خلق الخلق وعلمه كل شيء، قال الله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» [البقرة: الآية 31 33]،

¹ - عبد الحميد أبو سليمان: الإنسان بين شريعتين، رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1323هـ/2003م، ص 75.

علم آدم الأسماء وعلم الإنسان البيان، والبيان من العلم، قال الله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» [الرحمن: الآيات 1-4] وتعليم العلم والبيان من تعليم الفنون والتجارب والمناهج المتعددة التي تستطيع إسعاد البشرية دون تركها تائهة في الحياة، قال الله تعالى: «مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا» [الإسراء: الآية 15]

استطاع القرآن الكريم بفعل رؤيته الحضارية والابستمولوجية المعرفية والمنهجية الشاملة أن يؤسس للإجابات الإنسانية للتحديات المعاصرة التي تفرضها الحداثة والعولمة من تعقيدات الحياة والتحول في منظومة القيم والأخلاق، وهذه مهمة وخاصية الشريعة الإسلامية، « ولا تجد في الشريعة حكما شرعيا لا يتقبله العقل، بل ولا بد من إعمال العقل والاجتهاد، وإلا كان ترك الاجتهاد تعطيلًا لنعمة العقل، وقد أراد الله ألا يهمل عقول أبناء الأمة، وبيان الفرق بين أمة الإيمان المتعقلة، وبين فئات الجهل الذين دأبوا على تعطيل أدوات المعرفة والحواس من سمع وبصر ونطق ووعي وقلب، فوقعوا في الكفر والتشبه بعبدة الأوثان وأقوام الجاهلية المتخلفة»¹.

الخاتمة:

بما أن القرآن يحوي في بنيته المعرفية والمنهجية قوانين الوجود البشري، ورؤى التدبير العمراني من فقه استراتيجي التي تعد المقاصد الشرعية وفقه الأولويات والاجتهاد والتجديد من معالمه. فإن العقل الإسلامي في كل مرحلة من مراحل البشرية على الأرض مطالب أن يحرك ذاته وفق هذه المعالم للإجابة المقتعة للأسئلة المعقدة، وما يصاحب ذلك من اهتزازات متعددة على فلسفة القيم والأخلاق والاقتصاد، وحتى على الوعي الحضاري لهدف إسعاد البشرية من القلق الأنطولوجي ومن التيه الحضاري.

النتائج:

كون الفقه الاستراتيجي في القرآن مادة واسعة، ومنهج كبير؛ لأن القرآن الكريم ربطه بحياة الإنسان انطلاقاً من:

- أن التدبير المحكم للموارد المادية والبشرية من الاستراتيجيات المهمة في بناء الحضارة، لذلك له القرآن مكانة مهمة.

¹ - الإجهاد الفقهي، أي دور وأي جديد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 53، تنسيق محمد الروكي، الطبعة الأولى، 1996، ص 25.

- أكد القرآن الكريم على ضرورة تفعيل الرخص لتجاوز الشدائد والمخاطر، ولرفع المشقة عن المكلفين.
- يفهم فقه الأولويات وتقديم الأهم المناسب للمرحلة، على أنه فقه ترتيب الأعمال حسب حاجات الإنسان وضروراته الحياتية.
- كون رؤية المقاصد والعلل الكونية، تعتبر الجوهر الحضاري للإنسان للقيام بعملية الاستخلاف ومهمة الإعمار، لما فيها من حفظ مصالح العباد من كل أنواع الضرر.
- إن جهازي الاجتهاد والتجديد يساعدان على تجدد الفقه وربطه بواقع الإنسان عن طريق تجديد الفهم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الاجتهاد الفقهي، أي دور وأي جديد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 53، تنسيق محمد الروكي، الطبعة الأولى، السنة 1996.
3. استشراف المستقبل في الحديث النبوي، الياس بلكا كتاب الأمة، سلسلة دورية بدولة قطر، الطبعة الأولى، رجب 1429 هـ / غشت 2008م.
4. الإنسان بين شريعتين، رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر، عبد الحميد أبو سليمان، دار السلام للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، السنة 1323 هـ/ 2003م.
5. سؤال التدبير، رؤى مقاصدية في الإصلاح المدني، مسفر بن علي القحطاني: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، السنة 2014.
6. صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد الدوسري، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، السنة 1425 هـ/ 2004م.
7. الفتاوى، أحمد بن تيمية اعتنى بها وخرج أحاديثه عامر الجزائر، وأنوار البار، الجزء العاشر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الثالثة، السنة 1426 هـ — / 2005م.
8. مجلة الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة ندوات علمية، رقم 08، نظرية المعرفة والسياق الكوني المعاصر التكييفات المرجعية، والمستلزمات العلمية، شعبان 1436 هـ / يونيو 2015م، الرباط، المملكة المغربية.
9. المستقبل الحضاري للأمة الإسلامية، فؤاد بلمودن، دراسة في البدائل والتحديات، مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية، مطبعة المعرف الجديدة، الرباط، السنة 2019.
10. ملامح المستقبل، محمد بن حامد الأحمد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، السنة 2010.

11. الموافقات في أصول الشريعة، أبو اسحاق الشاطبي، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، الطبعة السنة 1428 هـ / 2007م، الجزء الثاني،
12. نورة بوحناش: الاجتهاد وجدل الحداثة، كلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1437 هـ / 2016م.
13. وصفي عاشور أبو زيد: رؤى مقاصدية في أحداث عصرية، دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، السنة 1439 هـ / 2018م.

القراءة الحداثية للسنة النبوية

عرض ونقد لأطروحة محمد شحرور

The Modernist Approach to the Prophetic Sunnah

Muhammad Shahrour's Thesis: A Presentation and Critique

إعداد: د. محمد بنتاجة؛ باحث في الفكر الإسلامي المعاصر، المغرب

BENAJA MOHAMED

المخلص:

تعدّ إشكالية تجديد الفكر الإسلامي أحد المواضيع الخلافية بين النخب الإسلامية المعاصرة لتجاوز تبعات الفجوة الحضارية بين العالم الإسلامي والعالم الغربي. وقد تعددت مناهج نقد التراث الإسلامي بين تيارات ارتأى أصحابها استلهاً التجربة النقدية الغربية وبين تياراتٍ أخرى اختارت التجديد من داخل المنظومة التراثية. وتهدف هذه المقالة إلى محاولة فهم مشروع من المشاريع الحدائرية المهمة التي برزت مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي، رافعة لواء تجديد الفكر الإسلامي من خلال إعادة قراءة الأصول الإسلامية وفهمها فهما معاصراً على ضوء الأرضية المعرفية الغربية. وقد أحدثت أطروحة الدكتور محمد شحرور في السنة النبوية رجت كبيرة في مجال الدراسات الفكرية المعاصرة، من حيث جدة الطرح وجمالية العرض التي أعادت من خلالهما تشكيل تصورنا لمنزلة السنة واختزال دورها في التشريع الإسلامي وبالتالي اختزال دورها في الحياة اليومية للمسلم المعاصر. اخترنا الوقوف مع هذه الأطروحة من حيث عرض وجهة نظر صاحبها وتتبعها وتتبعاً نقدياً بتفكيك بنيتها الداخلية وأصولها الاستدلالية من جهة أولى (تحليل ونقد براديجم الكتاب والقرآن)، ومن جهة ثانية: سعينا إلى رصد مواطن الخلل والتناقض في نسيجها (ضعف الاستقراء التام للنص المؤسس). أما من حيث البنية الخارجية فقد أوضحنا الجذور النقدية التي اعتمدها محمد شحرور في تفكيك السنة، ساعياً إلى استلهاً التطبيقات الإسلامية المعاصرة المعمول بها في النقد الاستشراقي للتراث الإسلامي، مستعينا بجملة من مناهج النقد الغربية المادية كالفيلولوجيا والتاريخانية وغيرها. كما عملنا على بيان موقف علماء الإسلام مما كان محل نقد جذري في نظرية محمد شحرور، مؤكداً على أن المسلمين الأوائل كانوا على وعي متقدم بتلك الإشكالات وقدموا فيها حلولاً مبتكرة.

الكلمات المفتاحية: النقد – السنة – المناهج – القراءة – الحدائرية – المعرفة

ABSTRACT

Innovation in Islamic thought as a way to bridge the gap between the Islamic and western worlds has always been considered as one of the controversial issues among the Islamic elites. Endeavors and approaches to innovate the Islamic heritage were diverse and modeled to stem either from within the religion and only through its tools or from the western civilization and through its ideals. This article is an attempt to understand one of the most eminent, 21st-century, modernist projects which advocates the renewal and innovation of Islamic thought through a reinterpretation and, hence, a contemporary understanding of the

Islamic fundamentals in the light of western epistemological values. Muhammad Shahrour's thesis on the prophetic Sunnah has provoked a massive and wide-ranging contemporary intellectual controversy. The beautifully-modeled thesis has raised serious questions and has aimed at reshaping our concept towards the status of the Sunnah through minimizing and reducing its role in the daily lives of contemporary Muslims. We aim here at both displaying and criticizing Shahrour's perspective through de-structuring its evidentiary foundations, on the one hand (an analysis and critique of the book: "Al-Kitab Wal Quran"), and through spotting its shortcomings and anomalies as well as the contradictions into its fabric. As to the exterior sources, we have noted the critical foundations and principles espoused by Shahrour to deconstruct the Sunnah, through his attempt to inspire the current, contemporary Islamic applications, mainly prevailing in the orientalist thinking, and to use western critical and materialistic approaches, including among others, philology and historicism. We have also noted the position statement of Islamic scholars, and their radically critical views on Shahrour's thesis, stressing that early Muslims were initially aware of such issues to which they offered innovative solutions.

Key Words: Critique - Sunnah - Approaches - Interpretation - Modernism

المقدمة:

لم تزل السنة النبوية هي الضامن الأساسي لمعاني القرآن الكريم، والموجه لمقاصده الكبرى في تحقيق مناطها في الواقع التاريخي الإنساني. فهي التطبيق العملي للبيان القرآني؛ المفصلة لمجمله والمخصّصة لعمومه والمقيدة لمطلقه... لذلك اشتدت عناية المسلمين بتراث النبوة المحمدية منذ البدايات الأولى للدعوة الإسلامية. وكما استطاعوا خلق ثورة علمية في علوم الحديث والفقه وأصوله غير أنه بعد القرن الرابع الهجري ستشهد هذه العلوم تدهورا كبيرا سيعرف لدى الباحثين بعصر التقليد والجمود. وقد أحدثت الصدمة الحضارية التي واجهت المسلمين بعد غزو نابليون لمصر سنة 1798م وعيا ذاتيا وتاريخيا بالفجوة الشاسعة بين العالم الإسلامي وأوروبا الغربية باعتبارها الشريك الأساسي في الدين والحضارة والعلوم والجغرافيا (ثقافة حوض البحر الأبيض المتوسط) بل والثقافة الانسانية بشكل عام. وفي سياق التدهور العام للمعارف الإسلامية ظهرت دعاوى التجديد والإصلاح الدينيين ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر، فانبرت مشاريع

نقدية لم تكتف بالدعوة إلى هدم الفروع الفقهية الاجتهادية فقط بل امتدت إلى هدم المصادر التأسيسية للإسلام والتشكيك في مصداقيتها.

طالت القراءات الحدائية للتراث الاسلامي كل المستويات المعرفية للعلوم الشرعية الكلاسيكية سواء على مستوى ثبوتها التاريخي، وعلى مستوى تداولها التأويلي والرمزي، بالإضافة إلى تحويل وظيفتها التشريعية التي تحدد منزلتها داخل المنظومة الشرعية. ويعد كل من أحمد أمين في كتابه «فجر الاسلام» صادر سنة 1933م وإسماعيل أدهم في رسالة له نشرت عام 1934م ومحمود أبو رية في كتابه «أضواء على السنة المحمدية» المنشور سنة 1957م من أوائل الذين أعمالوا منهج النقد التاريخي في علوم السنة استكمالاً للنقد الذي بدأه المستشرقون الأوروبيون من قبل؛ من حيث التشكيك في عدالة الرواة وتعدد أسباب الوضع، كما شككوا في متانة منهج علماء الجرح والتعديل في تمحيص الرواة ورواياتهم وتمييز الأحاديث المكذوبة عن غيرها. وإن كان أحمد أمين ومحمود أبو رية ناقشا قضايا التدقيق التاريخي للأحاديث المنقولة عن النبي، فإنهما لم يحرفا الاعتقاد في طبيعتها القدسية وفي وظيفتها التشريعية. لم يكتف الفكر الوضعي إلا بالدفع بالنقد التاريخي إلى منتهاه من خلال توسيع المنهجية النقدية للسنة لتدخل مرحلة جديدة وهي مرحلة تفكيك المسلمات الاسلامية من الداخل فيما سمي بالتأسيس لـ«مرحلة ما بعد ارسلات السماوية». وفي هذه المرحلة تمّ مراجعة وظيفة السنة التشريعية باعتبارها اجتهادات الرسول في فهم الوحي، لا تختلف بأي حال من الأحوال عن باقي اجتهادات المجتهدين المطلقين في الإسلام كمالك والشافعي وابن حنبل وغيرهم! وكانت الغاية من ذلك اعادة فهم تموضع الأحاديث تجاه القرآن من جهة، ثم تجاه العلوم الإنسانية من جهة ثانية لإخراج بالفكر الإسلامي-زعموا- من حالة المحلية إلى حالة العالمية!

من أهم القراءات الحدائية للسنة النبوية نقف على مشروع الدكتور محمد شحرور. وتأتي أهمية هذا المشروع في كونه نموذجاً أمثل للمشاريع الجزرية في الفكر الإسلامي المعاصر، نظراً لطبيعته الجدلية الكبيرة التي تدعو إلى القطيعة الاستمولوجية مع التراث الإسلامي، وإقامة بديل معرفي قرآني بناء على الأرضية المعرفية الوضعية للفكر الغربي بالاستعانة بالديالكتيك المادي الماركسي. لقد وجه شحرور ترسانته التحليلية والتأويلية نحو النصوص المؤسسة للإسلام قصد التشويش على الفاهمة الجمعية للمسلمين التي ورثوها عن السلف؛ مستخدماً مسالك منهجية لا يمكن أن تقوم على أساساً متينة أمام البحث العلمي الرصين، فجعل منها براديجمات مؤسسة لقراءته الحدائية. تُرجمت تلك المسالك النقدية في مواقف جزرية من السنة في دعوته إلى تهميشها واعتبارها مصدراً تشريعياً وضعياً لا إلهياً من حيث كونها نتاج البيئة العربية البدائية في تزمها ومحدوديتها. كما نظر إلى الفهومات النبوية للنص القرآني كظواهر فهمية بدائية لا ترقى إلى التوسع الدقيق للعلوم الكونية الحديثة مما كان غائباً عن علم النبي الأمي.

ومن المعلوم أن الدراسات النقدية شديدة الأهمية والراهنية؛ نظرا لما تساهم به في خلق وعي نقدي لدى المتلقين، وتساعدهم على تلقي الأفكار بحس نقدي قبل اعتمادها كحقائق مسلّمة. كما تساهم في توسيع النقاش بين المختصين حول فاعلية النزعة الجذرية في الفكر الإسلامي المعاصر في مواجهة تحديات التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي. كما ستضع هذه الدراسة المتواضعة مشروع محمد شحرور موضع المسائلة الحضارية أمام العقل المسلم بعد تهاوي المادية في مجالها التداولي سواء مع التجربة الشيوعية أو مع الفلسفات الماركسية الأوروبية. وهي مدارس فكرية طالما غدت النزعة الوضعية في فكر صاحب هذه الأطروحة محل العرض والنقد التي تسعى إلى تحرير الإنسان من كل القيود مطلقا، وعلى رأسها القيد الدّين والغيب وكل معنى خارج الوعي الانساني. إن الأحدية المادية كامنة خلف مشروع الدكتور شحرور هي التي حالت بينه وبين التوغل في أعماق الوجدان الإسلامي المتعدد المشارب والموارد، وهي التي قوضت تحقيق أهدافه التحريرية المزعومة.

تولت دراسات سابقة نقد وتمحيص القراءات الوضعية الحداثية للفكر الاسلامي؛ منها كتاب الأكاديمي الجيلاني مفتاح المسمى «الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم: دراسة نقدية» وكتاب «القراءات الجديدة للقصة القرآنية دراسة تحليلية نقدية تكميلية» لمحمد الكنفودي، وكتاب «النزعة المادية في العالم الإسلامي: نقد كتابات جودت، محمد اقبال، محمد شحرور على ضوء الكتاب والسنة» لعادل التل، وكتاب «بحوث مؤتمر (الانتصار للصحيحين): نحو منهجية علمية للتعامل مع الصحيحين» الذي نشرته الجامعة الأردنية، وغيرها من الدراسات التي رامت نقد الرؤية الحداثية في شموليتها، غير أننا سلطنا في هذه الدراسة منحى أكثر خصوصية بالتركيز على مشروع معين وهو أطروحة الدكتور شحرور الحداثية في قضية معينة أيضا وهي موقفه الاستمولوجي من السنة التي تعتبر العمود الثاني الذي تتأسس عليها نظرية المعرفة الاسلامية. وغايتنا من ذلك المساهمة في تدعيم البحث العلمي في تجديد الفكر الاسلامي المعاصر، وهذا من جهة أولى، ومن جهة ثانية: البحث عن الجذور التأسيسية التي انطلق منها محمد شحرور في بناء مرجعيته الفكرية سواء في تنزيلها النقدي للتراث أو في تقديم البدائل التأويلية للنص الشرعي. ومن جهة ثالثة: الكشف عن سوء فهم صاحب الأطروحة لمنهج علماء الإسلام خصوصا المحدثين والأصوليين منهم، وعدم استيعابه لطرقهم المختلفة في فهم الإشكاليات التي صاحبت الأحاديث النبوية في مسيرتها التاريخية. كما رما التأكيد على زمرة المقترحات والحلول الناجمة التي سجلها علماؤنا في مصادرهم وأنزلوا القواعد المصطلحية منزلة العلوم التمحيصية المعتمدة. وفي نفس الإطار فقد اعتمدنا في هذه المقالة على ما أصدره محمد شحرور من كتب قيد حياته، خصوصا كتابه التأسيسي المسمى بـ «**الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة**» وكتاب «**تجفيف منابع الإرهاب**» وكتاب «**نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي**» وهي كتب مرجعية في مشروعه النقدي،

توزعت بين التنظير المعرفي حول (الكتاب والقرآن) وبين تقديم البديل التطبيق للفقهاء التراثي (نحو اصول الجديدة للفقهاء الإسلامي) وبين التأصيل السياسي (تجفيف منابع الارهاب).

وقد تهيكل هذا البحث في ثلاثة مباحث أساسية يتقدمها تمهيد عام كما يلي:

- المبحث الأول: تمهيد عام في اختراق الأصول الإسلامية: نحو مرحلة ما بعد الرسائل السماوية
- المبحث الثاني: محمد الرسول ومحمد النبي
- المبحث الثالث: الموقف من فهم النبي للوحي في زمن ما بعد الرسائل
- المبحث الرابع: السنة وآفات النقل والرواة

المبحث الأول: تمهيد عام: اختراق الأصول الإسلامية: نحو مرحلة ما بعد الرسائل السماوية

دعا الدكتور محمد شحرور إلى اختراق المسلمات الإسلامية معتبرا إياه المدخل المنهجي الوحيد لتجديد الفكر الإسلامي وعالميته. ومن أجل تحقيق هذه الغاية نادى إلى تفكيك الأصول الإسلامية التي يقوم عليها الإسلام التاريخي، كمدخل لتجديد وتنمية الوعي الديني للمسلمين لـ «ينتج عن ذلك فكر إسلامي معاصر يحمل مقومات المعاصرة شكلا ومضمونا دون الخروج عن المقومات الأساسية للعقيدة الإسلامية في أبسط أشكالها وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»⁽¹⁾. وبغض النظر عن سبب استثناء المسلمات الايمانية الست من التفكيك دون غيرها من المسلمات الأخرى، فيحق لنا أن نتساءل عما يعنيه باختراق هذه المسلمات الإسلامية؟ وماذا يريد صاحبها أن ينتهي إليه الفكر الإسلامي المعاصر في شكله ومضمونه؟

1. مرحلة ما بعد الرسائل في فكر محمد شحرور

يؤكد محمد شحرور على أن مراجعة الثوابت الإسلامية أمر ضروري وملح حتى نصل بالإسلام والمسلمين إلى ما يسميه بـ «مرحلة ما بعد الرسائل». والمقصود بـ الثوابت الإسلامية /المسلمات؛ القضايا التي تعتبر أساس الدين ومحل إجماع المسلمين ولا يقبل التشكيك فيها بأي حال من الأحوال في مجال العلوم الإسلامية. وكل تجديد يدخل على هذه المسلمات سواء أكان إعادة قراءة وتأويل أو تبديل وتغيير فإنه يعتبر

(1) محمد شحرور، تجفيف منابع الارهاب، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة والأهالي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2008، ص: 26.

خطوة نحو زحزحة الحالة المعرفية الراهنة في اتجاه مرحلة سيتجاوز فيها العقل المسلم حاجته إلى الوحي كلية. يقول شحرور: «... (وهي المرحلة) التي نعيشها نحن. أي أن الإنسانية الآن لا تحتاج إلى أية رسالة أو نبوة بل هي قادرة على اكتشاف الوجود بنفسها دون نبوات وقادرة على التشريع بنفسها دون رسالات»⁽¹⁾. وكأننا أمام أطروحة ترمي إلى إحداث شرخ بين المسلم ونموذجه المعرفي الذي يحدّد هويته الحضارية. والحضارة الإسلامية تدخل ضمن نسق الحضارات النصية؛ أي أنها تتمركز حول الوحي (قرآنا وسنة) لتستمد منه رؤيتها للوجود والتفريق بين الحق والباطل وفي سياسة الحياة ككل؛ وأي تهميش لدور الوحي يعني تهديم لروح الحضارة الإسلامية وضربها في مقتل، لأنه طريق نحو هدم كل مشروع حضارية قامت على هذا المركز. كما يؤكد الدكتور شحرور على أن الغاية من هذا الشرخ هو إيجاد مساحة ليستعيد فيها المسلم ذاته، ويمارس حرّيته في إقامة تشريع متغير لنفسه، وهذا يعني تنزيل الإنسان مقام الإله في المعرفة وزعم امتلاكه المقدرة على ادراك حقائق الأشياء في ذاتها؛ سواء في شقها التشريعي والمعرفي والأخلاقي بل وحتى الشعائري؛ يقول شحرور في هذا الصدد «... فالبكاء على عصر الرسالات لا جدوى منه، لأننا الآن في مستوى أرقى معرفيا وتشريعيًا وأخلاقيا وشعائريًا»⁽²⁾. وهذا الرقي الإنساني-في مفهوم شحرور للإنسانية- ليس الرقي الإنسانية الغربية العلمانية المادية، أما الإنسانية في الشرق الأقصى وأمريكا الجنوبية وسيبيريا وفي إفريقيا فليست إنسانية متقدمة بل هي إنسانية متخلفة ولا يمكنه القبول بإدراجها ضمن مسمى «الإنسانية الراقية» المتفوقة على هدي النبوات! وهذا يعني فيما يعنيه إحلال النموذج الفكري الأوروبي الغربي بديلا عن الفكر الإسلامي النابع من أحضان الثقافة العربية الإسلامية في روافدها الثقافية والعرفية المختلفة.

2. شحرور بين نظرية المعرفة المادية ونظيرة المعرفة القرآنية

إن مشكلة الديالكتيكيين الإسلاميين في علاقتهم بمنظومة العلوم الحديثة هو سوء فهمهم لمنظومة القيم خلف نظرية المعرفة الغربية، الذي يوقعهم في سوء تقدير الأمور ومعرفتها ويعميهم عن حقائق الأمور. لم يكن شحرور الا واحدا ممن سلك مسلك البعد الواحد في المعرفة حيث تأثر بالديالكتيك الماركسي للتاريخ لما كان يدرس في الاتحاد السوفياتي وأراد نقله إلى نظرية المعرفة الإسلامية. أسس صاحب هذه الأطروحة نظريته على مسلمة مفادها أن «خط سير التاريخ هو إلى الأمام لا إلى الوراء، وكل محاولة لتثبيت هذا الخط هي وقوع في شرّك مهلك هو تحنيط المجتمع وإيقاف عجلة الزمن. وهناك من يحاول أن يرجع الزمن إلى الوراء ضد سير التاريخ وهذا مهلك أيضا. وفي هذه الناحية يظهر دور الفرد في صنع التاريخ وفي قيادة المجتمع

(1) المصدر السابق.

(2) محمد شحرور، تجفيف منابع الارهاب، ص: 26.

نحو الرقي والتقدم أو نحو الهلاك ... وهنا ندرس القصص القرآني على أنه خط سير التاريخ وتطور الرسائل والنبوات. أي تطور المعرفة بالنبوات والمثل العليا والتشريع بالرسالات. وإنما الآن نعيش عصر ما بعد الرسائل (اليوم أكملت لكم دينكم) المائدة 3 فعلينا ألا نتوقع أي رسل أو صحابة أو تابعين. وبالتالي فإن أهل هذا العصر هم أفضل حالا من الناس في عصور الرسائل لأننا لسنا بحاجة إلى رسل وهذا قرار رب العالمين وليس قرارنا نحن»⁽¹⁾. صحيح أن الدكتور شحرور قد انتقد الحتمية التاريخية للديالكتيك الماركسي لكنه في نفس الآن قد قام بعملية تحويل بسيط في لاسترجاعها من جديد لكن هذه المرة داخل المعرفة الاسلامية. فعندما جعل «**الانسان هو العامل الفاعل والرئيسي في حركة التاريخ**»⁽²⁾ فهو بذلك يعيد صياغة الحتمية الماركسية التي تحصر الفاعلية التاريخية في العامل الاقتصادي حيث تتحكم وسائل الانتاج في علاقات الإنتاج الاجتماعية، وتحدد بشكل أساسي تنظيم المجتمع وتطوره. وهما سياتن تقريبا لأن الاقتصاد ووسائل إنتاجه في نهاية الأمر من اختراع الانسان، فهي أدوات ابستمولوجية انسانية لذلك قالوا عن الماركسية بأنها "مذهب إنساني" بامتياز. ومع أن شحرور يقصر الفاعلية التاريخية على الانسان فإنه ينافي أي تدخل لسلطة الله الخالق في تدبير التاريخ وحركيته. يقول «**أما علم الله المستقبلي فهو احتمالي رياضي لا يوجد فيه مفاجآت بالنسبة إلى الله لوجود مشترك بين الله والانسان وهو الروح. ونبني على ذلك قولنا بأن خيار الإنسان الواعي خيار حر يستلزم الثواب والعقاب. وعلم الله بكافة الاحتمالات التي يمكن أن تؤول إليها خيارات الانسان يُدخل في علم الله العلم بكافة الاحتمالات الممكنة للسلوك الانساني. ولذلك لا يدخل في علم الله مسبقا أي الاختيارات أو الاحتمالات سيسلك هذا الانسان على وجه التحديد**»⁽³⁾. وبناء عدم معرفة الله بالجزئيات في هذا العالم يكون تدخله في سيرورة التاريخ وصيرورته أمرا غير ممكن بل هو «**نقصان معرفة الله. ولو آمننا بأن معرفة الله محددة بمعرفة هذا الاحتمال الواحد حصرا لما جاز لنا أن نقول إن الانسان حر في ما يختاره**»⁽⁴⁾. قلت: هذا منطق غريب، عندما يؤسس شحرور لضرورة سببية بين علم الله بالاحتمال الذي سيختاره العبد زمن الفعل ذي الاحتمالات المتعددة وبين قضية الجبر، رغم أن الجبر لا يرتبط بقضية العلم أصلا وإنما يرتبط بتوجيه الانسان إلى احتمال ما بغير ارادته. وإذا نظرنا إلى محركات التاريخ في نظرية المعرفة عند محمد شحرور وهي **الانسان الحر الواعي** وهو مكون مادي والسيرورة "تشكل حركة الزمن" و**الصيرورة** وهي "بُعد التطور فيها" فكل هذه القوانين المتحكمة في البعد التاريخي

(1) شحرور، محمد، القصص القرآني: الجزء الأول، مدخل إلى القصص وقصة آدم، دار الساقى ومؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، الطبعة الأولى 2010، ص: 158.

(2) المرجع السابق، ص: 156.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

تجعل منه كيانا منفصلا عن باقي الكيانات الوجودية الأخرى حتى داخل النسق المادي. فهذه الأحدية في النموذج التفسيري دفع بمفكرنا إلى نفي كل ميتافيزيقا في التاريخ ما يعني نفي الطبيعة التعددية في نظرية المعرفة القرآنية. ونقصد بتعددية نظرية المعرفة القرآنية أنها تنفي كل حتمية مادية أو ميتافيزيقية بحيث يمكن أن يؤثر في سيرورة التاريخ وصيرورته كل عنصر وجودي مهما كان حجمه لكن تحت مظلة الغيب وتدبيره. ولا يمكن أن تصير جزئية صغيرة ولا كبيرة في نسق احتمالات الفعل الانساني إلا بأمر الله؛ لذلك شنع المتكلمون من شتى الطوائف الإسلامية على القدرية الذين قالوا «... بأن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها وإن ما يفعله العباد أيضا» لا يعلم به إلا بعد وقوعه فلا تأثير له في أي فعل يفعله العبد وهذا مذهب غلاة القدرية⁽¹⁾ كما شنعوا على الفلاسفة قولهم (إن الله لا يعلم الجزئيات) الذي حصرنا علمه تعالى بالكليات وحدها كالرئيس أبي علي بن سينا وأبي نصر الفارابي وغيرهم. قال الامام أبي حامد الغزالي «... وهؤلاء هم الفلاسفة. ويجب القطع بتكفيرهم في ثلاثة مسائل وهي: إنكارهم لحشر الأجساد والتعذيب بالنار، والتنعيم في الجنة بالحوار بالعين والمأكول والمشروب والملبوس. والأخرى: قولهم إن الله لا يعلم الجزئيات وتفصيل الحوادث وإنما يعلم الكلّيات، وإنما الجزئيات تعلمها الملائكة السماوية.»⁽²⁾

اعتبر المتكلمون الإسلاميون مقالة القدرية (استثنى بعضهم القدرين المقرين بالعلم)⁽³⁾ والفلاسفة، تستوجب التكفير لأنها تقتضي النقص في كمال العلم الالهي كما تقتضي نقض الطبيعة الإلهية التي توجب في ذاتها لذاتها أن لا يخفى على الله من العالم شيء. كما أن مقالة الفلاسفة الإسلاميون هذه تستوجب انفصال الإله عن العالم وبالتالي خروجه عن التاريخ وإن بقي ضمنه ظاهريا، وهو أمر يتناقض مع ظاهر نصوص القرآن الكريم التي تدل على سعة علم الله بكل جزئيات الوجود؛ قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ

(1) عواجي، غالب بن علي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام: وبيان موقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الرابعة، 2001، ج2، ص: 122. انظر كتاب أبي الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: د. فؤاد حسين محمود، دار الأنصار - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1397، ج1، ص: 227.

(2) الغزالي، أبو حامد، الاقتصاد في الاعتقاد، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، ص: 134. دافع الفيلسوف المشائي ابي الوليد بن رشد الحفيد عن الفلاسفة فقال "والى هذا كله فقد نرى أن أبا حامد قد غلط على الحكماء المشائين بما نسب إليهم من أنهم يقولون أنه قدس وتعالى لا يعلم الجزئيات أصلاً. بل يرون أنه تعالى يعلمها بعلم غير مجانس لعلمنا بها وذلك أن علمنا بها معلول للمعلوم به فهو محدث بحدوثه ومتغير بتغيره. وعلم الله سبحانه بالوجود على مقابل هذا، فإنه علة للمعلوم الذي هو الموجود. فمن شبه العلمين أحدهما بالآخر فقد جعل نوات المتقابلات وخواصها واحداً، وذلك غاية الجهل..." انظر كتابه فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص: 36.

(3) انظر، ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، دار الكتب العلمية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ج7، ص: 215.

وَلَا فِي السَّمَاءِ) آل عمران 5، وقال (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) الأنعام 59. كما أخبر الله في كتابه عن أحداث كثيرة الاحتمالات، فأخبر ما سيقع في مستقبل التاريخ قبل حدوثها كإخباره تعالى عن فوز الروم المسيحيين على الفرس الوثنيين بعد بضع سنين من هزيمتهم أمامهم، كما قال تعالى (غَلَبَتْ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}، وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم 2-3-4-5.

وفي نفس السياق نقول، بأنه ليس في التاريخ نمط واحد للتطور نحو الأمام بل تقبل النظرية القرآنية التطور نحو الخلف أيضا كما تقبل الستاتيكية التاريخية المناقضة لمنطق التطور والتغير، واستحضار منطق السير في الأرض والبحث في سنن الأولين أكبر دليل على ذلك. قال تعالى (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) آل عمران 137، وقال (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) الأنعام 11، وقال (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يوسف 109 وقال عز من قائل (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) النمل 69، (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) الروم 42. وتقوم فلسفة السير في الأرض على تتبع قوانين التاريخ وتدبر حكمة الله في تدبير احتمالاتها وفق أنساق معينة لا يمكن للإنسان أن يتحكم في سيرورتها فضلا على أن يتنبأ في صيرورتها. والاسترجاعية التاريخية كما هي ظاهرة في الرؤية القرآنية فإنها أيضا حاضرة في الرؤية الوثنية للتاريخ والوجود من خلال النزعة الأبائية التاريخية التي نقلها القرآن نفسه عن الوثنيين المشركين. قال تعالى (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) الزخرف 22 (قَالُوا بَلْ تَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) البقرة 170. فمنطق التاريخ في الفكر الوثني - كما ينقله القرآن - منطق استرجاعي للخلف تدافع مع منطق التطور الرسالي التقدمي بطبيعته المتجلي في دعوة الرسل للوثنيين إلى الإيمان فتبلورت الاستاتيكية التاريخية في أبهى تجلياتها.

كما أن الستاتيكية السالفة الذكر دليل على وجود نزعة تاريخية نحو الخلف لكن داخل النسق الانساني الذي لا يجوز -في منطق شحرور- إلا أن يكون تطورا نحو الأمام، لذلك لا يمكننا أن نقبل بالأحادية المادية قانون الحركة في التاريخ لأنه مقوض لنظريتنا في المعرفة الاسلامية ومفارق لها عن التماهي مع محيطها الوجودي. يقول الدكتور أحمد الدغشي « يبدو أن من المناسب -قبل الدخول مباشرة في الموضوع- الإشارة

إلى أن تقسيم ميدان المعرفة في القرآن إلى ميدانين هما: الغيب والشهادة، أمر ينسجم وثنائية الوجود أساسا، تلك التي تقوم على مسلمة مفادها أن الله تعالى يمثل الطرف الأول في الوجود، في حين تمثل عناصر هذا الكون طرفه الثاني»⁽¹⁾. إنَّ قوانين الوجود التي يسميها القرآن بـ "السنن" لا يمكن أن تستقل بذاتها لأنها ليس من صنع نفسها، بل هي من صنع الله قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) فاطر 41. فقوانين العالم الطبيعي (عالم الشهادة) يمسكها الله بمعنى أنه يمسك وجودها الفيزيائي فلا تزول، ويمسك وجودها الوظيفي فلا تعبت ولا تختل موازينها (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) القمر 49، فالعلاقة بين الحقلين الداليتين في القرآن الكريم وطيدة تتساق نحو التكامل والتعاقد والتطابق.

كما أن مقارنة الشريعة الإسلامية بالتشريعات الوضعية أمر لا يمكن أن يستقيم نظرا لما تتسم به شريعة الوحي من عوامل الثبات والهداية العابرة للتاريخ والحضارات نظرا لطبيعتها الكونية؛ يقول الدكتور محمد عمارة «... كما جاءت هذه الشريعة الإسلامية الخاتمة بالانتقال بنطاق التشريع الإلهي من المحلية إلى العالمية .. ومن التوقيت إلى الخلود .. ومن مجرد الدعوة الدينية إلى المنهاج الشامل للدين والدولة والأمة والحضارة والاجتماع.. وذلك حتى تحرس الدولة الدين، ويسوس الدين الدولة.. فلم تقف هذه الشريعة فقط- عند مملكة السماء- خارج هذا العالم وغنما شملت الدنيا والآخرة، والفرد والمجموع، والآخر مع الذات .. (قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الأنعام 162»⁽²⁾.

وفي نفس السياق قد يكون الرقي الذي يريده شحرور هو سياق العقل الحدائي الذي صار «أرقى معرفيا وتشريعيا وأخلاقيا وشعائريا» من الله نفسه، ورغم خطورة هذا الادعاء فإنه من الناحية المعرفية يفترض أن بينهما (التشريع الوضعي والتشريع الإلهي) تعارضا، والواقع خلاف ذلك لأن العقل والوحي الإلهي متلازمان يكمل بعضهما البعض؛ يقول الشيخ رفاعة الطهطاوي «إن تحسين النواميس الطبيعية لا يعتد به إلا إذا قرره الشارع .. وليس لنا أن نعتمد على ما يحسنه العقل أو يقبحه إلا إذا ورد الشرع بتحسينه وتقبيحه .. فكل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لا تثمر العاقبة الحسنى..»⁽³⁾. وقد رأينا الآثار المدمرة للعقلانية الغربية

(1) الدغشي، أحمد محمد، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، دار الفكر-دمشق، الطبعة الأولى، 2002، ص: 135.

(2) عمارة، محمد، الدين والحضارة: عوامل الامتياز الإسلام (شهادة غربية)، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى 2005، ص: 10.

(3) نقلا عن تقديم الدكتور محمد عمارة، لكتاب الشيخ محمد الخضر حسين، الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، دار نهضة مصر، في التنوير الإسلامي، العدد: 37، يونيو 1999، ص: 6.

على الإنسان الغربي حتى صار «ذو البعد الواحد» كما قال هربرت ماركيز، وسببه مصيبة «الاغتراب» على حد تعبير ايريك فروم، لينتهي بـ«موت الغرب» كما قال ايريك بوكانن وبالتالي «سقوط الحضارة الغربية» كما تنبأ بذلك شبلنغر وكولن وسلون وغيرهم. وليس هذا فحسب فهذا الرقي المعرفي المزعوم لم يدمر الحياة الغربية فحسب بل هو سائر نحو تدمير العالم بأسره من خلال فلسفة الاستهلاك النيوليبرالية المستنزفة للطبيعة ومنتجات الحداثة التكنولوجية اللاتربوية وأثارها المدمرة لعقول ملايين من أطفال العالمين الذين عليهم المعول في إصلاح ما دمرته النماذج المعرفية الغربية (الراقية)، فعلى من المعول إذن بعد أن صار ما صار؟؟

3. نقض المسلمات واجندات دوائر الاستشراق الغربية

قد يكون شحور بدعواه هدم المسلمات الاسلامية يخدم اجندات استشراقية استعمارية جديدة وجدت لتفكيك وحدة المسلمين، واضعاف انتمائهم العقدي للإسلام وتقويض حركة الوعي الاسلامي المتنامية بين شباب المسلمين التواقين إلى التغيير والاصلاح في إطار الهوية الحضارية والتاريخية للأمة الاسلامية. ويمكن أن تتجح هذه الأجندات إذا تمكنت في نقض هذه المسلمات، وعلى رأسها السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني لأكثر من ثمانين بالمائة (80%) من القيم الأخلاقية والأحكام الشرعية الإسلامية. وفصلها عن القرآن تارة، أو تقويض وظيفتها التشريعية تارة أخرى هو عين ما وصى به تقرير وليام كليفورد (1976) مدير معهد علوم الإجرام في استراليا الذي قدمه إلى دوائر أمريكية تعنى بالشرق الأوسط بعد وفادته من لدن الأمم المتحدة ممثلاً لها لحضور سلسلة مؤتمرات «المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة» المنبثقة عن جامعة الدول العربية بصفة مراقب. ويوصي كليفورد في تقريره -ذي الثلاثين صفحة- لمواجهة مد الوعي الاسلامي بـ

«1- فصل القرآن عن السنة وإقناع المسلمين بأن ما يسمى سنة ليس إلا اجتهادات شخصية من النبي ﷺ والتشكيك في مصادر السنة والكتب التي احتوت الأحاديث الشريفة. 2- إخضاع القرآن للاجتهادات والتأويلات المفتوحة الكفيلة بمسايرة الاسلام للحضارة الغربية واندماجها في سياسة الغرب...»⁽¹⁾. وكيف يمكن اقناع المسلمين بالتخلي عن المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، بينما نجد الجامعات الغربية إلى يومنا هذا تدرس وبحرص وتفان شديدين التراث اليوناني الاغريقي والروماني الهلنستي كمراجع اصيلة للثقافة الغربية المعاصرة؛ رغم اندثار وثائقها الأصلية منذ آلاف السنين، ومع ما في هذه المصادر

(1) مقال للدكتور خلدون مخلوطه بعنوان "تقرير خطير يكشف عن خطط خبيثة لفصل القرآن عن السنة النبوية والتشكيك في

كتب السنة مثل صحيح البخاري وغيرها" على الرابط التالي: www.menoflostglory.wordpress.com

التراثية من أساطير وخرافات أكثر ما تعاديه في تعاليمها العقل والعلم والتجربة؟ وكيف يمكننا التخلي عن تراث المسلمين الأوائل المنقول في ضوء أقوى علوم الاحتياط التاريخية (علم الجرح والتعديل، الأسانيد، علم الرواية والدراية) مما تفرد به المسلمون عما سواهم من الأمم والشعوب في سبيل الحفاظ على تراثهم الديني المجموع بين دفتي القرآن الكريم وكتب السنة النبوية المختلفة؟ لقد عكست المصادر الإسلامية النموذج الرباني للإنسان وحددت المنهاج الذي يجب أن يسير عليه بعيدا عن أهواء الزمان والمكان والتاريخ، وهي الهداية التي ترجمتها الشريعة الإسلامية من خلال الشعائر الدينية ومنظومة القيم الأخلاقية وسيرورة الأعراف الإسلامية النبيلة المتوارثة من جيل إلى جيل.

المبحث الثاني: محمد الرسول ومحمد النبي

أسس محمد شحرور نظريته حول السنة النبوية على براديجم يفرق به بين القرآن والكتاب. وقد لا تُلاحظ العلاقة بين جدلية القرآن والكتاب ومنزلة الأحاديث النبوية والسيرة في الإسلام من ظاهر القول، غير أن صاحب هذه النظرية يعتقد أن العلاقة بين الحقلين المعرفيين وطيدة وتكاملية. يقول الدكتور شحرور «القرآن حقيقة موضوعية مطلقة في وجودها خارج الوعي الإنساني. وفهم هذه الحقيقة لا يخضع إلا لقواعد البحث العلمي الموضوعي وعلى رأسها الفلسفة وكل العلوم الموضوعية...»⁽¹⁾. والحقائق الموضوعية خارج الوعي الإنساني هي مجمل الظواهر الطبيعية والنواميس الفيزيائية التي بثها الله في عالم الشهادة (الكون)، وهي حقائق وجودية نهائية لا يمكن أن تتغير بعلم الناس أو بجهلهم بها، وكل الآيات الواردة في المصحف تتطرق للنواميس الكونية الوجودية هي مجمل ما يصطلح عليها شحرور بـ «القرآن». والقرآن «هو نبوة محمد ﷺ، والآيات البينات وهو الحق خارج الوعي الإنساني»⁽²⁾. أما الكتاب فهو مجموع الآيات الدالة على الحقيقة داخل الوعي الإنساني، و«ليس لها وجود قائم في ذاته ومنفصل عن الإنسان»⁽³⁾، وهي أيضا ترتبط بمفهوم الرسالة التي هي أيضا «ذاتية» وليست موضوعية. وبمعنى آخر فأحكام الرسالة «قابلة لأخذ بها أو تركها، لذا فهي مناط التكليف وفيها القضاء أي 'الاختيار' الإنساني. أي أن الإنسان يقضي فيها بنعم أو لا، وله ملء الخيار فيها (لا إكراه في الدين)»⁽⁴⁾. وتظهر تعاليم الكتاب في التكليف الشرعية كـ «الشريعة والأخلاق والعبادات والقانون والسياسة والتربية، فليس لها علاقة بالقرآن من قريب ولا

(1) شحرور، محمد، الكتاب والقرآن، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق-سوريا، دون تاريخ، ص: 103.

(2) المصدر السابق، ص: 104.

(3) المصدر السابق، ص: 106.

(4) المصدر السابق ص: 105.

بعيد...»⁽¹⁾. فهي تكاليف ليس لها وجود مادي مشهود، كما أن المكلف مخير في الاتيان بها، كما أنها معدومة التأثير في الوجود الموضوعي خارج الوعي. فلو «قامت حرب ذرية وفني الجنس البشري فإن هذا لا يؤثر على الشمس والمريخ... ولا يؤثر على نواميس الكون والوجود لأن الانفجار الذري هو من نواميس الوجودي المادي. ولكن في الوقت نفسه إذا فني الانسان ولم يبق هناك جنس إنساني فتذهب معه الصلاة والصوم والحج والزكاة وبر الوالدين...»⁽²⁾. ومحصل هذه الأطروحة منهجيا يرجع إلى «أن النبوة مربوطة بالعلوم الموضوعية والتاريخية. والرسالة مربوطة بالعلوم الاجتماعية والشرعية»⁽³⁾.

وبناء على ما سبق رفض الكاتب عصمة النبي مؤكدا على عصمة الرسول في شخص محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ فـ «محمد الإنسان ليس معصوماً ومحمد النبي ليس معصوماً، ومحمد الرسول هو المعصوم في حدود رسالته حصراً الموجودة في التنزيل، وأدلتنا من التنزيل والأخبار أكثر من أن تحصى... إن النبوة تحتل التصديق والتكذيب فهي حقل (يكون أو لا يكون) أما الرسالة فتحتل الطاعة باعتبارها من حقل (أقبل أو لا أقبل). ومن هنا نجد أن النبي حين يبلغ للناس مثلاً (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) الحج 1، أو يبلغ مثلاً (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) البقرة 255 يكون جواب السامع صدقت أو كذبت أما حين يبلغ الرسول (أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) البقرة 184 فلا محل هنا للتصديق والتكذيب وعلى السامع إما أن يقبل ويطيع أو أن لا يقبل ويعصي»⁽⁴⁾. لكن ما المستند التنزيلي الذي استند عليه شحرور في التفريق بين النبي والرسول؟ أجاب قائلاً: «ولكن أقول إن هذه الرسالة بها أصبح محمد رسولا ولها الطاعة المنفصلة والمتصلة لذا قال (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) آل عمران 3. وطاعة متصلة (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَيَّ رَسُولُنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) المائدة 92. طاعة منفصلة ولم يقل أبداً وأطيعوا النبي لأن الرسالة أحكام والنبوة علوم»⁽⁵⁾.

وفي الرد على هذه النظرية نقول: ربط مفهوم «القرآن/ النبوة» في التنزيل الحكيم بعالم الشهادة وقوانينه الفيزيائية مجرد تحكم لا حقيقة له في المصحف الشريف. ذلكم أننا وجدنا الكثير من الآيات التي تأتي على ذكر القرآن في سياقات معرفية غيبية ورمزية وذاتية وتشريعية مثلها من الكتاب/ الرسالة. ومن

(1) شحرور، محمد، الكتاب والقرآن، ص: 103.

(2) المصدر السابق، ص: 105.

(3) المصدر السابق، ص: 104.

(4) محمد شحرور، نحو أصول جديدة للفقهاء الإسلاميين، دار الأهالي، دراسات إسلامية، العدد: 4، دون معلومات، ص: 60.

(5) شحرور، محمد، الكتاب والقرآن، ص: 112.

الأمثلة على ذلك ربط القرآن بالقلوب وذكر الله سرا كقوله تعالى (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) الإسراء 46. وربطه بالرؤيا المنامية وهي ذاتية غيبية وليس شهودية وجودية كقوله (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَحْوَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) الإسراء 60. ربطه بالسؤال عن الأحكام التي جعلها من علامات الرسالة والكتاب كقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن شَيْءٍ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ سُوؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلْ لَكُمْ عَمَّا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ) المائدة 101، وكقوله (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ) التوبة 111. ربطه بقصص القصص القرآني للأمم الغابرة وهي معاني اعتبارية مجردة تتناقضها أجيال الناس قد تصدق أو تكذب كقوله (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) يوسف 3. وربطه القرآن بالهداية كقوله (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) الإسراء 9، والحاصل أن مفهوم «القرآن» في التنزيل الحكيم من المفاهيم الشمولية التي يأتي على ذكرها في العديد من الأنساق المعرفية سواء منها ما كان موضوعيا وأيضا ما كان منها ذاتيا؛ وإلى ذلك يشير قوله تعالى (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ) الروم 58. إن القرآن من حيث هو قرآن شمولي في الأمثال الهدائية التي يقدمها للناس، وحصره بنمط معين من الأمثال يعني اختزال هذه الشمولية التي تؤسس لعالميته وربانيتها. وبناء عليه فالقرآن أيضا يعطي العصمة مثل الكتاب نظرا لارتباطه أيضا بالأحكام والأخلاق التي يكون المكلف إزائها في حالة اختيار لا إكراه فيه. كما أن النبوة في الشخصية المحمدية أيضا مثل الرسالة من حيث ذاتيتها وارتباطه الوثيق بالدلالات الرمزية في المصحف الشريف (القصص القرآني، الهداية، الايمان، الرؤية المنامية...) وغيرها.

كما أن آيات وجوب طاعة الرسول لا تشير إلى عدم وجوب طاعة النبي؛ لأن ارتباط مقام النبوة بالأحكام وثيق في نصوص مصحفية كثيرة؛ كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) التحريم 9، وقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) التحريم 1، وقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) الطلاق 1، وقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَعْوِزْ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) الممتحنة 12 وقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى

أَنْ يُعْرَفَنَّ فَلَا يُؤَدِّينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) الأحزاب 59 وغيرها من الآيات التي يخاطب الله فيها النبي بالأحكام الشرعية. ويجب شحرور عليها بأن هذه الأحكام « ليست أحكاما شرعية، بل هي تعليمات أو حالات خاصة للنبي أو هي تعليمات عامة وليست تشريعات، أي أنها ولله المثل الأعلى تعليمات إجرائية وليست مراسيم تشريعية»⁽¹⁾. قلت: هذا الجواب متكلف لم يقدم عليه صاحب النظرية دليلا واحدا، من حيث التفريق بين الأحكام الشرعية التفصيلية الإلهية المصدر وبين التعليمات الإلهية في منشئها أيضا. وفي هذا السياق ينبغي أن نتذكر أن التعليمات ترتبط أساسا بالبيداغوجيا وهي الكفايات المعرفية البشرية الموجهة للجمهور من أجل العمل بها وإصلاح الأحوال بتوجيهاتها، أما الشرائع فهي خطاب الله للعالمين قصد إصلاح معاشهم ومعادهم يقول حميدة الأعرجي « إن الشرائع السماوية هي: (التعاليم والأحكام النازلة من الله تعالى على رسله الكرام بوحى منه). والهدف منها اطلاق المكلفين عليها والعمل بها وكما تقدم فإن هذه الأحكام شاملة للعقيدة والفقهاء والأخلاق»⁽²⁾ والعقيدة تنقسم إلى إلهيات غيبية ترتبط بالرسالة وطبيعات وجودية ترتبط بالنبوة - على حد تعبير صاحب هذا التفريق المعرفي- وكلاهما خاص بالقرآن تعطيه في نظرنا العصمة مثله مثل الكتاب. وإذا كانت التعليمات مصدرها الله فهي لها نفس معنى الشرائع، غير أن صاحب النظرية يريد أن يجعل من الأحكام الإلهية تعاليم تاريخانية أي لا تصلح أن تكون صالحة لكل زمان ومكان وأقوام ولا مصلحة لهم. وهذا التفريق بين ما كان تشريعا وما كان تعليما يستقيم مع النظرة الغنوصية التي سادت آسيا الوسطى والبلاد اليونانية نهاية العصر الهلنستي وبداية بزوغ مدرسة اللاهوتية المسيحية الجدلية. فأراد منظرا أن يدرجها ضمن نسق نظرية المعرفة الإسلامية؛ غير أنها نظرية لا يمكن أن تستقيم مع طبيعة القرآن الكريم العربي الأمي في منطقته، مع أن مفهوم التعليمات في حد ذاته غير عربي فضلا أن يكون قرانيا فإن كل ما يأمر به الله لا يمكن أن يميز بعضه عن بعض؛ طالما هو خطاب الله لعباده بالتكليف في تنزيل عمل ما في الوجود الحق الذي سخره الله لهم. وخطاب الله للمؤمنين أن يفعلوا كذا وكذا هل هو كالأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة؟ إنها تكاليف من مكلفٍ واحدٍ أراد أن ينزل التكاليف بناء على صيغ تكليفية تختلف مراتبها بحسب سياقها وروح الشريعة الإسلامية (مقاصد الوحي العليا). وكما أن النبوة تتضمن أحكاما مثلها مثل الرسالة لا فرق، فلا يمكن للنبي أن يمارس نبوته بمعزل عن شرائعه، كما أن الرسول لا يمكن أن يقوم برسالته بمعزل عن البراهين الموضوعية الدالة على صدق رسالته. والذي درج عليه علماء الإسلام في التفريق بين الرسول والنبي؛ هو أن الرسول مكلف بتشريع مستقل والنبي مكلف بتشريع تابع للرسول أو يبعث مجدداً لتشريع رسول قبله؛ «وذهب جماهير العلماء إلى أن الرسول من أوحى إليه وأمر

(1) شحرور، محمد، الكتاب والقرآن، ص: 113.

(2) حميدة الأعرجي، فقه الأخلاق في الشرائع السماوية، دار أمجد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2019، ص: 51.

بتبليغ الأحكام، وإن النبي أعم منه، فيشمل كل من أوحى إليه، سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر»⁽¹⁾. وكلاهما متصف بوصف العصمة من الزلل والخطأ في التبليغ وسوء الفهم عن المبلغ عنه؛ قال ابن تيمية «النبي هو المنبئ عن الله، و«الرسول» هو الذي أرسله الله تعالى، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين»⁽²⁾. كما أن الأمر بطاعة الرسول لا ينافي الأمر بطاعة النبي وإن لم يصدر له أمر صريح بالطاعة كما هو الحال بالنسبة للرسول؛ لأن الآيات كما سنوردها تشير إلى أن النبي مطالب بإصدار أوامر للمؤمنين به لا يمكنهم التخلف عنها مطلقا من قبيل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسْرِحْكِنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً) الأحزاب 28 وقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ وَبَنَاتِكِ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) الأحزاب 59 ، وقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً) الطلاق 1.

إن من أنكر العلوم الموضوعية والتاريخية الواردة في القرآن لا يمكن أن يؤخذ على ذلك -بحسب هذه النظرية- لأنه أنكر ما ضمن النبوة للناس جميعا لهم أن يأخذوا منها ما يشاؤون ويذروا منها يشاؤون ولو كانوا مؤمنين طالما هم مؤمنين برسالة محمد! وهذا كلام يضرب الإسلام في صميمه لأن تكلم الحقائق الكونية إنما هي إخبارات الإلهية نهائية أنزلها الله في القرآن كحجج وبراهين للعالمين على صدق نبوة محمد وتكذيبها يعني تكذيب الله فيما أخبر به من حقائق ما خلق. وهي أيضا هدم لبعض براهين صدق الرسالة المحمدية لذلك اعتبرت لدى علماء المسلمين جزءا لا يتجزأ من صميم العقيدة البرهانية.

(1) محمد خارز المجالي، سليمان الدقور، مقالة بعنوان "النبوة في القرآن الكريم: دراسة في التأصيل المقاصدي والحاجة البشرية"، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد: 66، ص: 54.

قال ابن أبي العز الحنفي " وَقَدْ ذَكَرُوا فُرُوقاً بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، وَأَحْسَنُهَا. أَنَّ مَنْ نَبَّأَهُ اللَّهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ، إِنَّ أَمْرَهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ. فَالرَّسُولُ أَحْصُ مِنَ النَّبِيِّ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولاً، وَلَكِنَّ الرِّسَالَةَ أَعْمُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهَا، فَالْنُّبُوءَةُ جُزْءٌ مِنَ الرِّسَالَةِ، إِذِ الرِّسَالَةُ تَتَنَاوَلُ النُّبُوءَةَ وَغَيْرَهَا، بِخِلَافِ الرُّسُولِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَتَنَاوَلُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَغَيْرَهُمْ، بَلِ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ. فَالرِّسَالَةُ أَعْمُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهَا، وَأَحْصُ مِنْ جِهَةِ أَهْلِهَا" انظر شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاکر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - 1418 هـ، ص: 117.

(2) ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، ج 10، ص: 290.

المبحث الثالث: الموقف من فهم النبي للوحي في زمن ما بعد الرسالات

يقول شحرور « أما موقفنا من النبي مشرعا فهو موقف دقيق جدا؛ إذ كيف يمكن أن نقول إن ما فعله النبي هو الاحتمال الأول لتطبيق الإسلام في القرن السابع، وفي شبه جزيرة العرب وبالوقت نفسه نقرأ (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب 21. لقد بحثنا في السنة فوجدنا أن تعريف السنة بأنها «كل قول أو فعل أو إقرار أو نهي قام به النبي إنما جاء من قبل الفقهاء وليس من قبل النبي نفسه، ... فمن هذا خلصنا إلى مفهوم معاصر للسنة النبوية، حيث كان دور النبي هو تحويل المطلق إلى نسبي والحركة ضمن حدود الله في القرن السابع في شبه جزيرة العرب...»⁽¹⁾. أي أن دور محمد نبيا هو ممارسة فعل الاجتهاد المناسب لزمانه ومكانه من أجل الانتهاء إلى تاريخية الفعل النبوي وعدم الزاميته للمسلمين المعاصرين (زمن ما بعد الرسالات). وهذا الموقف الشحروري يتمشى مع المقصد الكلي من نظريته وهو فتح المجال للتشريع الانساني بديلا عن التشريع الالهي، على اعتبار أن « تعامل الرسول مع التنزيل الحكيم من خلال السيرورة والصيرورة التاريخية البحتة للعرب في شبه جزيرتهم، أي في حدود التاريخ والجغرافيا، ضمن مستواهم الاجتماعي والمعرفي وضمن الاشكاليات المطروحة أمامه، ... لقد كان تطبيق الرسول لآيات الأحكام على الواقع المعاش هو تطبيق نسبي تاريخي وبهذا يبطل القياس ويبقى الاجتهاد في آيات الأحكام هو الأساس هو العقل ومصادقية الاجتهاد في الواقع الموضوعي ضمن النظام المعرفي المتبع والإشكالية الموضوعية»⁽²⁾. السبب في هذا الجهل بطبيعة الفهم النبوي للوحي التي كانت تنقسم إلى فهومات نبوية متحيزة زمنيا ومكانيا وتاريخيا، وفهومات نبوية عابرة للتاريخ كلية في مقاصدها ونهاية في تجلياتها. أما النوع الأول من الفهومات النبوية فهو الذي يصدق عليه ما قاله محمد شحرور: « أما أقوال النبي حول المجتمع والسياسة والتنظيم والعادات واللباس والأخلاقيات التي وردت تحت عنوان الحكمة، فهو سنة نبوية ظرفية غير ملزمة ولا تحمل الطابع الأبدي، ويمكن الاستئناس بها ولكنها لا تشكل أحكاما شرعية»⁽³⁾. أما النوع الثاني فـ «هي ثابتة شكلا ومحتوى على مر الزمان»⁽⁴⁾.

لقد كان المسلمون منذ زمن النبي والصحابة على وعي تام بجدل الإنساني والإلهي في ما يصدر عن النبي خارج النص القرآني؛ وهي أسئلة سبق إلى الاختلاف فيها الفكر اللاهوتي المبكر في الديانة المسيحية في إطار نظرية اللاهوت والناسوت وعلاقتها بطبيعة المسيح عليه السلام، الأمر الذي انتهى بهم

(1) شحرور، محمد، الكتاب والقرآن، ص: 39.

(2) شحرور، محمد، تجفيف منابع الإرهاب، ص: 41.

(3) المصدر السابق، ص: 42.

(4) شحرور، محمد، تجفيف منابع الإرهاب، ص: 42.

إلى تأليه المسيح باعتباره كلمة الأب والناطق به! وظهور تيارات لاهوتية كثيرة جدا تفسر العلاقة التفاعلية بين الطبيعتين، فضاعت الحقيقة المسيحية من خلال هذا الكم الهائل المتراكم من المجامع المسكونية. وقد انتقد الله تعالى المسحيين في اختلافهم في طبيعة المسيح فقال (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) النساء 157. ولتفادي ما وقع في المسيحية من ضياع للأصول العقدية فقد قطع المسلمون مع أي شبهة قد تعترى عقل المسلم فيما يصدر عن النبي من أقوال وأفعال وتقريرات قد تنتسب إليها الطبيعة الإلهية ما لم تضبط علاقة الإلهي والإنساني في تصرفاته. فعن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ، أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر ينكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأوماً بأصبعه إلى فيه، فقال: « اكتب؛ فوالذي نفسي بيده، ما يخرج منه إلا حق»¹. ومعنى قوله « فنهتني قريش» أي مسلمي قريش؛ وفيه دليل على قدم الوعي بهذه القضية منذ زمن التأسيس الأول للإسلام خلال العهد المكي.

كان الصحابة الأوائل يفرقون في تصرفاته ﷺ بين ما كان وحيا إلهيا وما كان عملا اجتهاديا، وإذا استشكل عليهم الأمر سألوا النبي كما فعل الحباب بن المنذر بن الجموح يوم بدر قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمزلا أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون؛ فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي...². ومن نماذج اجتهاده ﷺ بالقياس: «سؤال عمر عن قبلة الصائم وتحريمه الصدقة على بني هاشم وحكم ملامسة النساء. ومن اجتهاده بالرأي: تأبير النخل، المصالحة في غزوة الخندق على ثلث ثمار المدينة»³. لذلك نجد علماء أصول الفقه قد أفردوا أبوابا في كتبهم لما أسموه باجتهادات الرسول ﷺ أو اجتهادات الأنبياء حتى تنضبط علاقة الرسول بالله عز وجل، وقد كان « تحديد هذه العلاقة بالذات كما جاء بها القرآن كانت من الآيات الواضحة -كما أسلفنا- على

(1) ابن حنبل، أحمد، المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م، ج6، ص: 69.

(2) ابن حبان البستي، التقات، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، 1393 هـ = 1973. ج1، ص: 161.

(3) محمد علوي بنصر، مقالة في موضوع " اجتهاد الرسول ﷺ"، مجلة دعوة الحق، العددان 351-352 محرم-صفر ربيع 1421 1، أبريل-مايو-يونيو 2000، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

أن الإسلام دين الله الحق لا دخل لإنسان فيه ... ووجودها واضحة في جيل من أجيال المسلمين أمانة على أنهم لم ينحرفوا عن الإسلام الذي هو دين الله. كما أن وجودها مشوهة في جيل آخر علامة على أن هذا الجيل له من الإسلام اسمه فحسب»⁽¹⁾.

ميّز علماء أصول الفقه في الحديث النبوي بين ما كان وحيا من الله وبين ما كان اجتهادا بشريا تاريخانيا يعتريه ما يعترى سائر أعمال البشر النسبية، غير أنهم أحالوا وقوع الخطأ منه؛ لأنه - كما قال إمام الحرمين أبي المعالي الجويني - «واجب العِصْمَة فيتنزل في اجتهاده منزلة ما لو اجتمع كافة الأمة على ضرب من الاجتهاد» «إجماعاً» «منهم فلا يسوغ خطأهم»⁽²⁾. ويقول الإمام الشاطبي الغرناطي «الحديث إِمَّا وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ صِرْفٌ، وَإِمَّا اجْتِهَادٌ مِنَ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مُعْتَبَرٌ بِوَحْيٍ صَحِيحٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ. وَعَلَى كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ لَا يُمَكِّنُ فِيهِ التَّنَاقُضُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، وَإِذَا فُرِعَ عَلَى الْقَوْلِ بِجَوَازِ الْخَطَأِ فِي حَقِّهِ؛ فَلَا يُفَرِّغُ عَلَيْهِ الْبَتَّةَ؛ فَلَا بَدَّ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الصَّوَابِ، وَالتَّفْرِيعُ عَلَى الْقَوْلِ بِنَفْيِ الْخَطَأِ أَوْلَى أَنْ لَا يَحْكَمَ بِاجْتِهَادِهِ حُكْمًا يُعَارِضُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَيُخَالِفُهُ. نَعَمْ، يَجُوزُ أَنْ تَأْتِيَ السُّنَّةُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ مُخَالَفَةٌ وَلَا مُوَافَقَةٌ، بَلْ بِمَا يَكُونُ مَسْكُوتًا عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ؛ إِلَّا إِذَا قَامَ الْبُرْهَانُ عَلَى خِلَافِ هَذَا الْجَائِزِ، وَهُوَ الَّذِي تَرَجَّمَ لَهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؛ فَحِينَئِذٍ لَا بَدَّ فِي كُلِّ حَدِيثٍ مِنَ الْمُوَافَقَةِ لِكِتَابِ اللَّهِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ؛ فَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ صَحَّ سَنَدُهُ أَوْ لَا»⁽³⁾. وقد مثل الفقهاء لتصرفات النبي القولية والفعلية والتقريرية الاجتهادية بأمتثلة كثيرة ذكروها في كتب الفقه وأصوله؛ **كتاب الاجتهاد** من كتاب التلخيص لإمام الحرمين، وبعضهم أفرد لها كتابا خاصة ككتاب «اجتهاد الرسول» لنادية الشريف العمري⁽⁴⁾ وكتاب الشيخ عيسى أبو النصر، عبد الجليل، «اجتهاد الرسول ﷺ»⁽⁵⁾. وعلامة هذا النوع من السنة أن يأتي التصريح بذلك في النص أو علامة تدل على أن مصدر المعنى فيه الفهم الذاتي للرسول وليس وحيا إلهيا، قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي المالكي «الذي يظهر أن التحقيق في هذه

(1) عيسى أبو النصر، عبد الجليل، اجتهاد الرسول ﷺ، مكتبة الشروق، الطبعة الثانية، 2003، ص: 11.

(2) الجويني، إمام الحرمين، كتاب التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ج3، ص: 403.

(3) الشاطبي، ابراهيم اللخمي، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م. ج4، ص: 335. انظر الشوكاني محمد بن علي، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م. ج2، ص: 218.

(4) مؤسسة الرسالة، 1981.

(5) سبق توثيقه.

المسألة أنه ﷺ ربما فعل بعض المسائل من غير وحي في خصوصه، كإذنه للمتخلفين عن غزوة تبوك قبل أن يتبين صادقهم من كاذبهم ، وكأسره لأسارى بدر [وأخذ الفداء منهم] ، وكأمره بترك تأبير النخل ، وكقوله: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت...) الحديث. . إلى غير ذلك. وأن معنى قوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) لا إشكال فيه ؛ لأن النبي ﷺ لا ينطق بشيء من أجل الهوى ، ولا يتكلم بالهوى ، وقوله تعالى (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) يعني أن كل ما يبلغه عن الله فهو وحي من الله، لا بهوى، ولا بكذب، ولا افتراء، والعلم عند الله تعالى»⁽¹⁾. والنبي ﷺ لم يكن مشرعاً، بمعنى أنه يأتي بالأحكام من عند نفسه، ولكنه كان بحسب حالاته إما ناقلاً لتشريعات الله التي أراد أن لا يوردها في القرآن تسهيلاً على الأمة حفظه، وتيسيراً عليهم كتابته وتدوينه أو صادراً عن كونه قاضياً أو قائداً سياسياً وعسكرياً أو رب أسرة غيور على أهل بيته... الخ، يقول الدكتور محمد عمارة: «نحن مطالبون حتى نكون متبعين للرسول الله ﷺ بالتزام سنته التشريعية -أي تفسير القرآن- لأنها دين، أما سنته غير التشريعية، ومنها تصرفاته في السياسة والحرب والسلم والمال والاجتماع، والقضاء ومثلها ما شابهها من أمور الدنيا، فإن اقتداءنا به يتحقق بالتزامنا بالمعيار الذي حكم تصرفه ﷺ، فهو كقائد للدولة كان يحكم فيها على النحو الذي يحقق المصلحة للأمة، فإذا حكمنا كساسة بما يحقق مصلحة الأمة وكنا مقتدين بالرسول ﷺ حتى ولو خالفت نظمنا وقوانيننا ما روي عنه في السياسة من أحاديث، لأن المصلحة بطبيعتها متغيرة ومتطورة»⁽²⁾.

أما عن عدم كفايات الأحكام على اعتبار -كما قال شحرور- أن الرسول عاش «في يثرب مدة عشر سنوات فقط فهل هذه السنوات العشر في يثرب كافية لاستنفاد كل احتمالات آيات الأحكام جميعها على أرض الواقع المعاش؟ علماً بأنه النبي والرسول الخاتم، وجاء لكل أهل الأرض وإلى أن تقوم الساعة. فلو كان هناك رسول بعده قلنا إن عشر سنوات كافية...»⁽³⁾. أما عن إشكالية عدم كفاية الأحكام لاستيعاب المستجدات الإنسانية عبر الزمان أو كفايتها فهي محل نظر قديم واختلاف تليد بين الأصوليين؛ وبينما يرى الظاهريون من أصحاب داود بن علي في المشرق وابن حزم الأندلسي في المغرب القول بوفاء النصوص بالأحكام من غير حاجة إلى القياس ولا إلى غيره من مسالك الاستنباط؛ بناء على مذهبهم في توسيع الإباحة الأصلية إلا بدليل صحيح صريح يخرج الحكم عنها، يرى الجمهور من الفقهاء القياسيين «أنَّ الشَّرِيعَةَ لَمْ تُنصَّ عَلَى حُكْمِ كُلِّ جُزْئِيَّةٍ عَلَى جَدَّتِهَا، وَإِنَّمَا أَنْتَ بِأُمُورٍ كَلِّيَّةٍ وَعِبَارَاتٍ مُطْلَقَةٍ تَتَنَاوَلُ أَعْدَادًا لَا تَنْحَصِرُ، وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَلِكُلِّ مُعَيَّنٍ خُصُوصِيَّةٌ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهِ وَلَوْ فِي نَفْسِ النَّعْيِينَ...»⁽⁴⁾. وهذا يعني تعقد انشاء الحكم الشرعي

(1) محمد الأمين الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص: 226.

(2) عمارة، محمد، الإسلام وقضايا العصر، بيروت، دار الوحدة، الطبعة الأولى، 1980، ص: 25.

(3) نحو أصول جديدة للفقهاء الإسلامي، ص: 63.

(4) الشاطبي، الموافقات، ج5، ص: 14.

حول النازلة الواحدة وفقاً لهذه النظرية، فتم ابتداءً منهجية القياس ومسالك العلة والمصالح المرسلّة وعلم المقاصد الشرعية وغيرها من الأصول العقلية للمذاهب القياسية التي يرام بها تخريج مناط الحكم وتنقيحه ثم تحقيقه على أرض الواقع. والغاية من هذه الأصول الاستدلالية أن يكون المسلم في حياته «تَابِعًا لِوَضْعِ الشَّارِعِ، وَغَرَضُهُ مَأْخُودًا مِنْ تَحْتِ الإِذْنِ الشَّرْعِيِّ لَا بِالإِسْتِزْسَالِ الطَّبِيعِيِّ، وَهَذَا هُوَ عَيْنُ إِخْرَاجِ المُكَلَّفِ عَنِ دَاعِيَةِ هَوَاهُ حَتَّى يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ»⁽¹⁾.

المبحث الرابع: السنة وآفات النقل والرواية

كانت إشكالية الوضع إحدى الذرائع التي اعتمدها شحرور والمستشرقون من قبله للطعن في السنة وردّها، «ومنذ ذلك الوقت.. وقت الخليفة المتوكل.. تم وضع الصحابة خارج التاريخ، وولدت مصطلحات (إجماع أهل السنة) و(إجماع الصحابة) و(عدالة الصحابة). وتمت فبركة الأحاديث النبوية التي تدعم ذلك كله، ومنذ ذلك الوقت صار علماء السنة النبوية علماء السلطة، وأصبح الفقه والسلطة توأمين لا يفترقان، وأصبح الإرهاب ومصادرة العقل وتفويض الآخر بالتفكير هو الأساس، وغدت شعارات الردة والزندقة والهزقة والخروج عن الإجماع هي معايير التعامل مع الآخر حتى يومنا هذا. فتحوّلت الثقافة العربية الإسلامية بالتدريج منذ عهد المتوكل إلى ثقافة مسطحة لا محل فيها لبعد الصيرورة، وإلى ثقافة ضعيفة هشة الصمود أمام الثقافات ذات الثلاثة أبعاد إلا بالقوة والعنف (افغانستان) أو بمصادرة العقل (المؤسسات الدينية) التي لا تسمح لأحد أن يقول شيئاً إلا بموافقتها ومباركتها»⁽²⁾. وفي هذا الكلام تعميمات غير موضوعية تضرب في مصداقية المسلمين الأوائل وإخلاصهم لدينهم وهم الذين علّموا العالم حب الله والأنبياء وبناء الحضارة والتقانة والسمو الأخلاقي والرقي المدني. أما وضع المصطلحات التي أشار إليها الكاتب فذلك ناتج حركة تععيد العلوم الإسلامية الناشئة ما أدّى إلى ظهور معجم مفاهيمي يعبر عن مقاصد هذه العلوم التي هي ركن أصيل في نظرية المعرفة الإسلامية. أما عن إشكالية الوضع في الروايات الحديثية فهي ظاهرة ظهرت متأخراً؛ يقول الدكتور مصطفى السباعي «أما التاريخ، فقاطع بأنه لم يقع في حياة الرسول أن أحداً ممن أسلم وصحبه زور عليه كلاماً ورواه على أنه حديثه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، ولو وقع مثل هذا لتوافر الصحابة على نقله لشناعته وفضاعته...»⁽³⁾. نشطت حركة الوضع في المجتمعات الإسلامية لأسباب كثيرة منها ما هو ديني كما فعل أتباع عبد الله بن سبأ في اتفاقهم «.. على وضع الأحاديث

(1) المرجع السابق، ج2، ص: 293-230

(2) شحرور، محمد، الكتاب والقرآن، ص: 61.

(3) السباعي مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1402 هـ - 1982 م (بيروت)، ص: 239.

المفترة، لكن كان هذا الوضع في نطاق ضيق»⁽¹⁾، ومنها ما كان سياسيا، وهذا النوع استقبل بداية القرن الثاني الهجري جراء «الاختلاف السياسي بين الصحابة، وما أدى إليه من انقسام المسلمين إلى سنة وشيعة وخوارج، وأصبح كل فريق يحاول أن يدعم مركزه السياسي بكل الوسائل...»⁽²⁾ بعد أن عجزوا عن الوصول إلى مبتغاهم عن طريق التأويل المتحيز؛ لذلك «قرر العلماء أن الحد الفاصل بين نقاء الشريعة ووضع الأحاديث هي سنة 41 للهجرة فما بعدها»⁽³⁾.

لكن هل يمكننا اعتبار انتعاش حركة الوضع أمرا سلبيا على السنة؟

يقول الدكتور محمد فاروق النهبان في حديثه عن انتعاش حركة الوضع بأنه «كان يمكن لهذا العامل أن يقضي على السنة النبوية كمصدر للتشريع، وبخاصة عندما اختلطت الروايات المكذوبة بالروايات الصحيحة»⁽⁴⁾. لكن حركة الوضع هذه كانت لها في المقابل «... نتائج إيجابية في إشادة صرح السنة وبناء علوم الحديث، فقد دفعت العلماء لاتخاذ ما يلزم لحفظ الحديث وتلقيته ومنع التلاعب فيه نشطوا في تدوينه بنطاق واسع في فترة مبكرة منذ أواخر القرن الأول وخلال القرن الثاني الهجري، وخلال جهود بذلت في فترة التدوين لتمييز الأحاديث ظهرت قواعد نقد الحديث ثم تبلورت هذه القواعد على مر الزمان حيث ظهرت بشكل منسق ودقيق في كتب الحديث، كما تجمعت الملاحظات المنوعة عن رواة الحديث في كتب الرجال»⁽⁵⁾. فما كان حركة الوضع أن تنتهي إلى تحريف السنة أو ضياع أصولها بأي حال من الأحوال نظرا لتصدي جهابذة علم الجرح والتعديل للوضاعين بمختلف المناهج العقلية والعلمية الإفتحاصية والسببية. ومن أمثلة الدقة عند صياغة الحديث ما ذكره الوليد بن مسلم قال: سمعت الأوزاعي يقول «كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا (يقصد أهل الجرح والتعديل) كما يعرض الدرهم الزيف على الصيارفة، فما عرفوا أخذنا وما تركوا تركنا»⁽⁶⁾. أما عن الرواة الذين لم يعاصروهم النقاد وكثيرا ما يكون حديثهم مثار شكوك على صدقية سنة النبي الموروثة، فقد وضح هذه الإشكالية العلامة يحيى المعلمي مبينا مناهج المحدثين في صيرفة حديث هؤلاء بقوله: «من الأئمة من لا يوثق من تقدمه حتى يطلع على عدة

1- النعمة، ابراهيم، السنة النبوية في مواجهة التحديات: شبهات وردود، ص: 99.

2- النهبان، محمد فاروق، مقال بعنوان "أثر الامام مالك في المنهج الفقهي العام" مجلة الفيصل، العدد 75، رمضان 1403هـ- السنة السابعة-حزيران يونيو/ تموز 1983، ص: 41-42.

(3) النعمة، ابراهيم، السنة النبوية في مواجهة التحديات: شبهات وردود، ص: 100.

(4) النهبان، محمد فاروق، مقال بعنوان "أثر الامام مالك في المنهج الفقهي العام" مجلة الفيصل، ص: 41.

(5) العمري، أكرم ضياء، بحث في تاريخ السنة المشرفة، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة، دون تاريخ، ص: 12.

(6) ابن أبي حاتم، الرازي، الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1271 هـ 1952م، ج2، ص: 21.

أحاديث له تكون مستقيمة وتكثر حتى يغلب على ظنه أن الاستقامة كانت ملكة لذاك الراوي، وهذا كله يدل على أن جل اعتمادهم في التوثيق والجرح إنما هو على سبر حديث الراوي، وقد صرح ابن حبان بأن المسلمين على الصلاح والعدالة حتى يتبين منهم ما يوجب القبح. نصّ على ذلك في (الثقات) وذكره ابن حجر في (لسان الميزان)⁽¹⁾ واستغربه، ولو تدبر لوجد كثيراً من الأئمة يبنون عليه؛ فإذا تتبع أحدهم أحاديث الراوي فوجدها مستقيمة تدل على صدقه وضبطه ولم يبلغه وما يوجب طعناً في دينه وثقه. وربما تجاوز بعضهم هذا كما سلف، وربما يبني بعضهم على هذا حتى في أهل عصره⁽²⁾. لذلك قلنا إن علماء الجرح والتعديل لم يكونوا ينطلقون عن هوى مطاع أو عن سياسة غاشمة يبتغون بها عرض الدنيا بل كانوا يسلكون مناهج علمية دقيقة في تمحيص الأحاديث وتمييز صحيحها عن ضعيفها لا يوجد لها مثيل في باقي الأمم السالفة. ولا يعني هذا عصمة أحد من الرواة عن المآرب السياسية وابتغاء المصالح الخاصة غير أنها تصرفات كانت سهلة التمييز والاستيعاب من لدن صيرافة علم الرجال وأئمة الجرح والتعديل الذين غلب عليهم النقد الموضوعي وقلّ فيهم التحيز السياسي.

الخاتمة:

لم تكن أطروحة الدكتور محمد شحرور في السنة إلا انعكاساً لواقع الأزمة التي يعاني منها الفكر الإسلامي المعاصر في محاولته البحث عن مخرج أيا كان للانعتاق من عنق الزجاجة. وما اختياره لمنهج التعميم في نفي الأحكام عن مقام النبوة وما ترتب عنه من أحكام معرفية تنفي حجية الفهم النبوي للرسالة وتقر بتاريخية الرسالة إلا انعكاس عن حالة نفسية أراد من خلالها الكاتب إيجاد منافذ معرفية قادرة على تحرير العقل الإسلامي من مخرجاته التي ابدعها بنفسه في التاريخ. ونحن في خاتمة مقالنا هذه نؤكد على حاجتنا اليوم للاجتهاد في قراءة التراث الديني وتجديد العلوم الإسلامية أكثر من أي وقت مضى، غير أنه لا بد من مراعاة أمر ضروري وهو أن التجديد الجذري لا يخلو من تأثير تجربة الآخر المهيمن ثقافياً على فكر النخب الإسلامية الحداثية، تلكم التجربة بما فيها من إيجابيات ونقائص سبق وأن مرت في مسيرتها التاريخية النهضوية على عبقرة علمنة الشاملة التي تنزع القداسة والتقدّيس من كل نص وضع موضع التفكيك ومحاوله الفهم من جديد. ومعلوم أن القداسة والتقدّيس هما جزءان لا يتجزأان من طبيعة النص الشرعي نفسه؛ لذلك يحصل الخلل المنهجي عندما يتم الفصل بين المكونات البنيوية للدين الإسلامي عندما نعطي

(1) انظر، ابن حجر، العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، 2002 م، ج1، ص: 14.

(2) يحي المعلمي اليمني، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تحريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني - زهير الشاويش - عبد الرزاق حمزة، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1406 هـ - 1986 م، ج1، ص: 256.

الأولوية لعالم الشهادة (العالم المادي المحسوس) على حساب عالم الغيب (العالم اللامحسوس). هذا الغيب الذي سعى محمد شحرور إلى تهميشه في أطروحته من خلال تهميش منزلة السنة وإحلال تفسير مادي للقرآن هو ذاته مصدر السلوان ومركز الإيقان وبؤرة الاستلهام والميزة الوجودية بالنسبة للتجربة الإسلامية المعاصرة المليئة بالتحديات.

النتائج:

- دعوة محمد شحرور إلى استقلال المسلم عن الوحي في ما سماه بمرحلة ما بعد الرسائل ضرب من ضروب الانقلاب عن الإسلام أراد التأسيس له من داخل الدين نفسه.
- التفسير المادي للعلوم الشرعية نسق لا يتسق وطبيعة الإسلام المتعددة المشارب والتي تتخذ من الغيب جذورا ومن الشهادة فروعا.
- النبوة والرسالة مفهومان قرآنيان متطابقان لا يمكن فصلهما عن سياقهما في النص الشرعي.
- كما خوطب الرسول بالأحكام فقد خوطب النبي أيضا بها، فالأحكام العملية بنية فيهما معا.
- كما تجب طاعة الرسول تجب أيضا طاعة النبي.
- ضروري أمام المسلم طاعة النبي والرسول معا في شخص محمد ﷺ لأنهما صادران عن الوحي الإلهي نفسه.
- السنة النبوية نقلت إلينا تحت رعاية جملة من العلوم التوثيقية (علم مصطلح الحديث والجرح والتعديل والتراجم والسير، وعلم الدراية، علم الرواية...) مما يجعل التشكيك في وثوقيتها ضرب من عدم الوعي ومغالطة للواقع العلمي والتاريخي.

التوصيات:

- ضرورة توسيع حركة نقد النقد لتقويم المشاريع النقدية للتراث.
- توجيه الدراسات النقدية للأصول الإسلامية إلى عدم التجذر في النقد حتى لا تفقد طبيعتها الإسلامية الربانية.
- دعم الدراسات الكاشفة عن جوانب الإعجاز والهداية المتضمنة في السنة النبوية.
- ضرورة إعادة قراءة السنة النبوية بتساوق مع القيم العمرانية المؤسسة في القرآن الكريم فهما لا يختلفان أبدا.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر باللغة العربية

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1. اجتهاد الرسول ﷺ، عيسى أبو النصر، عبد الجليل، مكتبة الشروق، الطبعة الثانية، 2003.
2. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1999 م.
3. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء.
4. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية.
5. الأسرة المسلمة في مواجهة التحديات الحداثية المعاصرة، محمد بنتاجة، طبع مركز دراسات الأسرة والبحث في القيم والقانون، الطبعة الأولى، 2015، المغرب.
6. الإسلام وقضايا العصر، عمارة، محمد، بيروت، دار الوحدة، الطبعة الأولى، 1980.
7. الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل، الباجي، أبو الوليد، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد علي فركوس [أستاذ بالمعهد الوطني العالي لأصول الدين (الخروبة - جامعة الجزائر)، المكتبة المكية (مكة المكرمة) دار البشائر الإسلامية (بيروت) الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1996 م.
8. اشكاليات التجديد، ماجد الغرباوي، دار الهادي، الطبعة الأولى، 2001.
9. الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، أبو حامد، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.
10. بحوث في تاريخ السنة المشرفة، العمري، أكرم ضياء، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة، دون تاريخ.
11. تجفيف منابع الارهاب، محمد شحرور، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة والأهالي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2008.

12. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
13. الثقات، ابن حبان البستي، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، 1393 هـ = 1973.
14. التلخيص في أصول الفقه، الجويني، إمام الحرمين، حقيق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية – بيروت.
15. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، يحي المعلمي اليمني، تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني - زهير الشاويش - عبد الرزاق حمزة، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1406 هـ - 1986 م.
16. الثقات، ابن حبان البستي، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، 1393 هـ = 1973.
17. الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1271 هـ 1952 م.
18. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، مكتبة الخراز - جدة، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م.
19. الدين والحضارة: عوامل الامتياز الإسلام (شهادة غربية)، عمارة، محمد، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى 2005.
20. الدين والحضارة: عوامل الامتياز الإسلام (شهادة غربية)، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى 2005.
21. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، السباعي مصطفى، المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1402 هـ - 1982 م (بيروت).

22. سنن الترمذي، محمد بن عيسى، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، 1395 هـ - 1975م.
23. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
24. الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، محمد الخضر حسين، دار نهضة مصر، في التنوير الإسلامي، العدد: 37، يونيو 1999.
25. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
26. فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، ابن رشد، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، الطبعة الثانية.
27. فقه الأخلاق في الشرائع السماوية، حميدة الأعرجي، دار أمجد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2019.
28. القصص القرآني: الجزء الأول، مدخل إلى القصص وقصة آدم، شحرور
29. الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة، محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق-سوريا، دون تاريخ.
30. كيف صنع الإسلام العالم الحديث، مارك غراهام، ترجمة: عدنان خالد عبد الله، الطبعة الأولى، 2010.
31. لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ.
32. لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، 2002 م، ج 1، ص: 14.
33. مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416 هـ/1995م.
34. محمد، دار الساقى ومؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، الطبعة الأولى 2010.
35. المسند، ابن حنبل، أحمد، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995م.

36. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008م.

37. نحو أصول جديدة للفقهاء الإسلامي، محمد شحرور، دار الأهالي، دراسات إسلامية، العدد: 4، دون معلومات.

38. نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، الدغشي، أحمد محمد، دار الفكر-دمشق، الطبعة الأولى.

39. نفائس الأصول في شرح المحصول، القرافي شهاب الدين، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1995م.

قائمة المجالات

1. مجلة دعوة الحق، العددان 351-352 محرم-صفر ربيع 1 1421 / أبريل-مايو-يونيو 2000، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
2. مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد: 66، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا.
3. مجلة الفيصل، العدد 75، رمضان 1403 هـ-السنة السابعة-حزيران يونيو/ تموز 1983.

قائمة المواقع الإلكترونية

1. <http://www.noonpost.org/content/19574>
2. <https://menoflostglory.wordpress.com/2015/05/09/-عن-خطير-يكشف-عن-خطط-خبیثة-لفصل-القرآن>
3. www.menoflostglory.wordpress.com

القراءة التجديدية للنص الديني في الفكر العلماني:

بحث في آليات التأويل وتعددية القراءة في فكر أركون نموذجا

Renewal reading of the religious text in secular thought:

a study of the mechanisms of interpretation and the plurality of reading in the thought of Arkuon as a model

إعداد: د. زهرة الثابت؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، تونس

Dr. Zohra Thabet: University of arts and humanities, Kairouan, Tunisia

المخلص:

مثل النص القرآني نصا مشكليا بامتياز لأن الحضارة الإسلامية إنما هي حضارة نص. وعاش العرب المسلمون منذ انقطاع الوعي ما يسمى باللحظة التأويلية لأن القرآن كان نصا غامضا يحتمل التأويل، لذلك تباينت مقاربات هذا النص المقدس بين مقاربة تمسكت بظاهر النص وأخرى تجديدية حدائثة حاولت أن تلج بواطن هذا النص بالاستئناس بعلم العصر الحديث. ويعتبر محمد أركون نموذجا باهرا للقراءة التجديدية لنص الوحي الإسلامي. وتروم هذه الورقة العلمية الوقوف عند خصائص القراءة العلمية عند هذا المفكر وتبين آليات التأويل الممكنة لقراءة نص الوحي الإسلامي من أجل إمطة اللثام عما غمض فيه.

استخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي النقدي وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات أهمها:

- أن القراءة التجديدية للنص القرآني في الطرح الأركوني ضرورة لا بد منها لرفع الاختلاف حول هذا النص المقدس.
- أن التجديد لا يتسنى إلا بأنسنة الخطاب المقدس ورفع طابع القداسة عنه ولن يكون ذلك إلا بالتأويل وفهم النص انطلاقا من مقولات الأسطورة والمجاز والمتخيل.
- أن التأويل باعتماد هذه الأدوات يفسح المجال أمام قراءات متنوعة للنص الديني منها القراءة السيميائية والقراءة التاريخية والقراءة الأنثروبولوجية.

الكلمات المفاتيح: محمد أركون - التأويل - القراءة - القرآن الكريم.

Absract:

Like the Qur'anic text, a problematic text par excellence, because Islamic Civilization is a civilization of text. Since the interruption of revelation, the Muslim Arabs have lived the so- called interpretive moment because the Qur'an was a vague text that could be interpreted. Therefore, the approaches to this sacred text varied between one that adhered to the apparent meaning of the text, and a modernist approach that tried to penetrate the interiors of this text by drawing on modern sciences. Muhammed Arkoun is considered a brilliant model for reading the renewal of the text of the Islamic revelation. And this scientific paper aims to stand at the characteristics of scientific reading of this thinker and to show the

possible interpretation mechanisms for reading the text of the islamic revelation in order to unmask what was hidden in it.

Key words: Muhammed Arkoun – interpretation – reading – Holy Coran.

المقدمة:

"إن الذي أنشأ الحضارة وأقام الثقافة جدل الإنسان مع الواقع من جهة وحواره مع النص المقدس من جهة أخرى" (نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، المركز الثقافي العربي 1998 ، ص.9)

ظل النيش في التراث الإسلامي من أوكد المسائل التي أرقت المفكرين العرب، لأنه بات من اليقين أن لا سبيل إلى النهوض والالتحاق بركب الحضارة ما لم تقع إعادة قراءة هذا المخزون الموروث من الأدب واللغة والبلاغة والفلسفة والخطاب الديني قراءة نقدية حسيمة تأخذ بعين الاعتبار الواقع المعقد وتطوره وتفتح "باستمرار على الممكن والمستبعد وحتى الممتنع وبالممنوع"¹.

وكان النظر في النص المقدس من أهم مشاغل الفكر الحدائي لأن الحضارة الإسلامية حضارة نص، وقد تباينت المواقف إزاء هذا النص بين موقف سلفي متشبث بقديسية النص الديني، وموقف علماني ثمن العقل فكرسه لفهم الخطاب الديني فهما سليما بتنزيله في سياقه التاريخي وقراءته باعتباره نسقا من العلامات التي لا بد من فك شفرتها، لأنه هناك فقط ينطوي المعنى المضمحل الخفي. وهي قراءة لن تستقيم إلا بإدراك مثلث المؤول والمؤول له والنص.

وقد كان محمد أركون من أهم العلمانيين - إلى جانب محمد عابد الجابري ونصر حامد أبي زيد وطه عبد الرحمان بدر وعلي حرب وغيرهم كثير - الذين أولوا العملية التأويلية أهمية كبيرة باعتبارها المفتاح الأمثل لقراءة تجديدية للنص الديني المقدس وهومن الذين انتحوا سمت الفكر الغربي فاستفادوا من أفكار شيلارماخر (1843 م) وديلثاي وثنوا جهود غادمير وبول ريكور لأنهم أيقنوا أن المعضلة الأساسية تكمن

1 - علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، الطبعة الثانية، 1995، ص.71

في "كيف يمكن الوصول إلى المعنى الموضوعي للنص القرآني؟ وهل في طاقة البشر بمحدوديتهم ونقصهم الوصول إلى القصد الإلهي في كماله وإطلاقه؟"¹.

واستقر "أركون" على حقيقة مؤداها أن القرآن يمثل المرجعية العليا التي تحدد للمسلمين الخطأ والصواب والحق والشرعي، لذلك يغدو من الضروري قراءة هذا النص قراءة علمية وتأول معانيه، لأن منتهى ما يصبو إليه هذا المفكر "أن يقتنص أو يفتتح فضاء جديداً للتحري العلمي عن الظاهرة القرآنية"². ولا سبيل إلى تأول الخطاب القرآني إلا بأنسنته ورفع طابع القداسة عن النص، ومن ثمة قراءته بالبحث عن أوجه المجاز فيه والكشف عن البعد الأسطوري أو العجيب المدهش وتقفي معاني النص الدنيّة والقصيّة. غير أن هذه الآليات التأويلية من شأنها أن تفسح المجال لتعدد قراءة نص الوحي الإسلامي، فإذا بهذا النص خطاب يستوعب المنهجية الدلالية الألسنية، والمقاربة التاريخية والمقاربة الأنتروبولوجية وغيرها من القراءات.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

مثل فهم القرآن مأزقا فكريا ومعرفيا عظيما شغل المفكرين منذ القديم، لذلك تعددت القراءات واختلفت لأن نص الوحي الإسلامي إنما هو نص غامض لا يعلم تأويله إلا الله. لذلك تباينت طرائق تناول هذا الخطاب بالتفسير والتحليل. فإذا كانت القراءة السلفية التقليدية قد تشبثت بالنص وعولت على الأخبار والأحاديث النبوية لتوضيح معانيه فإن القراءة الحداثية وخصوصا مع أركون قد عمدت إلى نسف القراءة التقليدية وذلك بأسنه النص القرآني ورفع القداسة عنه من أجل تثبيت معالم قراءة تجديدية له.

وتروم هذه الدراسة تبين ملامح التجديد في قراءة أركون وهي تطرح سؤالا جوهريا ورئيسيا نصه:

ما مفهوم التجديد في قراءة نص الوحي الإسلامي في طرح أركون؟

ويتفرع من السؤال الرئيسي مجموعة تساؤلات فرعية، وهي:

- ما كُنه العملية التأويلية عند أركون؟
- ما هي آلياته في الكشف عن معاني الخطاب الديني المتوارية؟
- كيف كانت هذه الآليات سببا في تعدد القراءات؟

¹ - نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، بيروت /لبنان، الطبعة السابعة، 2005 م، ص.15

² - محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ص.38.

• إلى أي مدى وفق أركون في مشروعه التأويلي؟

① - في مفهوم التأويل

✓ التأويل لغة: إن استكشافا للقواميس وجوسا لحقيقة التأويل يحيلنا على أن هذا المصطلح مصدر من "أول الكلام وتأوله: دبره وقدره. وآل الشيء يؤول إلى كذا أي رجع وصار إليه. والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، والتأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه"¹. ويضيف صاحب اللسان أن التفسير يراد به الإبانة والتوضيح وأنه يختلف عن التأويل في كونه يعني "كشف المراد عن اللفظ المشكل"² في حين أن التأويل هو "رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر"³.

✓ التأويل اصطلاحا: التأويل (Herméneutique) أو الهرمينوطيقا هي لفظة تعود إلى الفعل اليوناني (hermeneuein) الذي يعني ثلاثة معان:

• عبر عن فكره بواسطة الكلام

• عرف شيئا ما وأشار إليه وعرضه

• أول وترجم⁴

ولعل ما يعضد هذه المعاني أن هذا المصطلح في الأسطورة وثيق الصلة برسول الآلهة وحامي التجارة "هرمس" الذي كان يتولى إيضاح ما غمض بل ترجمته. فكان المؤول والمترجم.

وتترجم عادة الهرمينوطيقا ب"فن التأويل" ويقصد بها فن تأويل النصوص وتفسيرها بتحليل بنيتها الداخلية وقراءة المضمرة والثاوي بين سطورها. وقد اتصل هذا المصطلح في أصله الإغريقي بقراءة الأعمال الشعرية والأعمال النثرية وصنوف الأعمال الفنية والقصص الأسطورية والأحلام ومختلف الأشكال الأدبية

1 - ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار الجيل، د.ت.، مادة "أول".

2 - المرجع نفسه، مادة "فسر".

3 - المرجع نفسه.

4 - راجع فتحي المسكيني، كيف صارت التأويلية فلسفة؟ مدخل إلى مسألة الفهم، مقال بموقع الحوار المتمدن، 2 أبريل 2012

وسبل فهمها وتفسيرها¹. فمفهوم التأويل إذن قديم إذ هو قد راج في الأوساط الفلسفية حتى أن أرسطو قد أكد على قيمته في إحدى كتبه الموسومة ب(Peri Hermeneias) وشاع عند الإغريق أن قول شيء ما عن أمر ما هو في حد ذاته تأويل².

بل إن أرسطو يعتبر أن المنطق أساسه الجوهري التأويل لأنه ينهض على توسعة المعنى. ويعتبر "غدامير" أن أرسطو هو "أول من وضع معالم التجربة التأويلية داخل مذهب القانون من خلال مناقشته لمشكل القانون الطبيعي ومفهوم ال(epikeia) في (الأخلاق إلى نيقوماخوس)"³، ويضيف أيضاً أن كلمة "هيرمينوطيقا" قد ظهرت في بداياتها عنواناً لإحدى كتب دانهاور سنة 1654 للميلاد⁴، ثم اتصل هذا المفهوم بعلم اللاهوت بعد أن عاشت الكنيسة صراعاً بين تاريخ الخلاص اليهودي وخلاص السيد المسيح فأضحى هذا المصطلح دالاً على "فن تأويل وترجمة الكتاب المقدس (الأسفار المقدسة) بدقة"⁵.

وبذلك أصبح مصطلح التأويل وثيق الصلة بقراءة النصوص اللاهوتية والنصوص المقدسة المنطلقة من "تواز أو موازنة بين معنيين: المعنى الحرفي وهو العهد القديم والمعنى الروحي وهو العهد الجديد وقد تجاوزت هذه الثنائية إلى ثلاثية فرباعية وهي: أن النص يحتوي على المعنى الحرفي أو المعنى التاريخي والمعنى الأخلاقي والمعنى الصوفي أو المعنى الروحي، أو على أربعة وهي: المعنى الحرفي والتمثيلي والخلقي والغيبى"⁶. هكذا إذن بات التأويل موصولاً بقانون النص التوراتي وقراءة مماثلة لشرح التوراة لكن هل ستظل الهرمينوطيقا حبيسة هذا النص أم أن معنى التأويل سيتسع لسياقات ثقافية أخرى؟ لعل الظفر

¹ - جاء في الموسوعة الكونية قوله:

« Le terme (herméneutique) est utilisé surtout à propos des œuvres de prose ou de poésie pour désigner l'ensemble des problèmes de lecture et de compréhension de celles –ci , mais il est employé aussi à propos de toutes les catégories d'œuvres d'art, des récits mythologiques, des rêves, des diverses formes de littérature et du langage en général » Encyclopaedia Universalis, Paris, corpus11, article(Herméneutique), p362.

² - « Dire quelque chose de quelque chose, c'est déjà dire autre chose, interpréter » ibid, p. 362

³ - راجع هانس غيورغ غدامير، فلسفة التأويل، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 1427 هـ / 2006 م، ص.83

⁴ - المرجع نفسه، ص.63

⁵ - المرجع نفسه، ص.64

⁶ - محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال، المغرب، 1990، صص.90/ 91.

بالإجابة المقنعة عن مثل هذا التساؤل لن تكون إلا بتتبع سيرورة هذا المصطلح وتطوره من الغرب إلى حين أن استعاره المفكرون العرب.

•التأويل عند الغرب:

منذ عصر النهضة وانطلاقاً من القرن الثامن عشر خصوصاً سيصبح مصطلح "الهرمينوطيقا" دالاً على فن قراءة النص وكشف معانيه المتوارية أيّاً كان نوع النص. بل إن هذه القراءة ستتجاوز المجال الديني لتتصل بمجالات علم النفس والاجتماع والانتروبولوجيا والتاريخ وبقية العلوم الإنسانية.

وربما يعود الفضل إلى "شلييرماخر" (Schleiermacher) (1768 - 1834) في توسيع مفهوم "الهرمينوطيقا" إلى ما وراء نطاق اللاهوت. فهو قد اعتبر أن التأويلية هي "فن تجنب سوء الفهم"¹، لأنه كان يعتقد أن مشكل التأويل وثيق الصلة بالقدرة على الفهم وأن "المؤلف يمكن أن يفهم فهما حقيقياً فقط عبر الرجوع إلى أصل فكره"². ومن ثمة رأى هذا المفكر الألماني أن عملية التأويل رهينة أمرين اثنين: هما التأويل القواعدي والتأويل النفسي³. يقول غادامير في هذا السياق: "يضع شلييرماخر التأويل النفسي جنباً إلى جنب التأويل القواعدي وهذه هي مساهمته الأميز"⁴. أما المحدد الأول فيراد منه فهم معنى النص انطلاقاً من لغته وجمله وتراكيبه النحوية والمحدد الثاني يقصد به التعرف على حياة المؤلف والدوافع التي أملت عليه الكتابة، أي تنزيل الأثر في سياقه التاريخي الذي ينتمي إليه.

غير أن هذا المنهج في التأويل لم يكن ليقنع رفيق درب شلييرماخر في "فن التأويل الرومنطقي" وهو ديلتاي (Dilthey) (1833 - 1911) الذي صاغ في هذا المضمار دراسة وسمها بـ "أصل الهرمينوطيقا" وقد ظهرت عام 1900 م ويذكر "بول ريكور" أن "مشكلة ديلتاي كانت تتمثل في إعطاء علوم الروح صلاحية تقارن بصلاحية علوم الطبيعة وذلك في عصر الفلسفة الوضعية"⁵، وهو يمثل المنعطف النقدي

1 - هانس غيورغ غادامير، الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أوبيا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، الطبعة الأولى، آذار/ مارس 2007، ص.271

2 - المرجع نفسه، ص.273

3 - انظر

F.Schleiermacher, Herméneutique, labor et fides, 1987, p.77

4 - هانس غيورغ غادامير، الحقيقة والمنهج، ص.273

5 - بول ريكور، صراع التأويلات، ترجمة منذر عياشي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، كانون الثاني/ يناير 2005، ص.43

الحاسم في تاريخ الهرمينوطيقا لأنه تجاوز سؤال: كيف نفهم نصا ما؟ إلى سؤال: كيف يمكن أن تكون المعرفة التاريخية ممكنة؟ وميزة دلتاي أنه أقحم مفهوم التجربة في العملية التأويلية وميز بين نوعين من التجربة "التجربة المعيشة التي استعملها في وصف علوم الفكر أو العلوم الإنسانية والتجربة العلمية التي تخص علوم الطبيعة وهذه التجربة تتمتع بطابع العلمية الذي يجعل من التجربة المعيشة والتجربة الممارسة وجهين لنفس الحقيقة"¹. واستقر ديلتاي على حقيقة مؤداها أنه من خلال الهرمينوطيقا فقط نستطيع قراءة التاريخ واستيعابه، فتجاوز "المعرفة المطلقة على التاريخ ليقرر معرفة تاريخية ومتجدرة في تجربة الحياة. وكل من الدين والفن والفلسفة والعلم والمنطق هي عبارة عن تجارب حيوية واستعمالات تعبر عن الطابع الخلاق وتجليات الحس التاريخي"².

لكن "فن التأويل الرومنطقي" كما رسم معالمه شليرماخر وديلتاي لم يقنع أتباعهما من المفكرين الفلاسفة أمثال هانس غيورغ غادامير (H.G.Gadamer) الذي دعا إلى انفتاح الذات على الآخر وصاغ مصطلح "الفهم" بعد أن انتقد تاريخ الهرمينوطيقا بدءا من شليرماخر وديلتاي وصولا إلى عصره. فميز بين نوعين: الفهم الجوهرية وهو فهم محتوى الحقيقة التي تتكشف بقراءة النصوص والفهم القصدي وهو فهم مقاصد المؤلف وأهدافه³. وحلل غادامير عملية الفهم فبحث عن الحقيقة في الفن والتاريخ والفلسفة واعتبر أن قيمة الفن مثلا لا تكمن في المتعة الجمالية بل في المعاني التي يرشح بها العمل الفني، وهي معان خلقتها العلاقة الجدلية بين المتلقي والعمل الفني. إذ فهم هذا العمل يضحى جزءا من فهم الذات، فيكون التفاعل بين التجربة الذاتية والحقيقة التي يجسدها العمل الفني⁴. وانتهى إلى فكرة مهمة مؤداها أن بلوغ اليقين مطلب عزيز المنال لأن "الفهم يبقى دائما فهما مفتوحا أو تحسينا متواصلا لمعرفتنا بالعالم"⁵.

وإذا كان تصور غادامير للهرمينوطيقا على هذا النحو فإن بول ريكور يعتبر أن التأويل هو نتيجة حتمية لفعل القراءة لأن "النص غير منغلق على نفسه بل يفتح على شيء آخر. والقراءة تعني في كل فرضية ربط خطاب جديد بخطاب النص، هذا الربط لخطاب بخطاب يشي في صياغة النص ذاتها بقدرة

¹ - حفناوي بعلي، إشكالية التأويل ومرجعياته في الفكر العربي المعاصر، مقال نشر بموقع المفكر الصغير، الجمعة 21 كانون الأول / ديسمبر 2012 .

² - حسني إبراهيم عبد العظيم، الهرمينوطيقا والوعي التاريخي: قراءة في كتاب "إشكاليات القراءة وآليات التأويل" ل"نصر حامد أبو زيد"، منتدى آفاق الفلسفة والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، 7 يوليو 2011

³ - راجع حفناوي بعلي، إشكالية التأويل ومرجعياته في الفكر العربي المعاصر.

⁴ - انظر نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، صص.39-40

⁵ - حفناوي بعلي، إشكالية التأويل ومرجعياته في الفكر العربي المعاصر.

أصلية على الاستئناف التي هي ميسمه المفتوح. والتأويل هو النتيجة الملموسة لهذا التسلسل والاستئناف¹. بل إن ريكور يذهب إلى أن مهمة المفسر النفاذ إلى باطن النص وتقصي معناه "الظاهر والباطن، الحرفي والمجازي، المباشر وغير المباشر"². والطريف في نظرية ريكور التأويلية أن غاية الهرمينوطيقا هي تفسير الرموز، وهو يعتبر التأويل الرمزي مهما لأنه "يمثل جزءا من فهم الذات لذاتها ومن فهم الكائن"³ لذلك يميز ريكور بين طريقتين للتعامل مع الرموز: الأولى اعتبار الرمز نافذة نطل معها على المعاني، وهذه الطريقة يمثلها بولتمان وأطلق عليها ريكور تسمية (Dymythologizing). والطريقة الثانية يمثلها كل من فرويد وماركس ونيثشه وقد سماها ريكور ب (Dymystification)، وهي تتعامل مع الرمز باعتباره حقيقة زائفة لا يمكن الوثوق بها لأن الرمز "في هذه الحالة لا يشف عن المعنى بل يخفيه وي طرح بدلا منه معنى زائفا"⁴.

وجلي في كتابات ريكور أنه يهتم بقيمة الإنسان فاعلا ومنفعلا لأن الوجود الإنساني له معنى عنده، لذلك فإن الانفتاح على النص ينبغي أن يكون انفتاحا على عوالم متعددة لحياة الإنسان لا بحثا عن نوايا كاتب النص الخفية. وشرف القارئ المؤول في العملية التأويلية تحقيق ذاته من خلال فعل القراءة واتخاذ مسافة فاصلة بينه وبين النص المقروء. هكذا إذن بات التأويل عند فلاسفة الغرب مشغلا فكريا مهما أبان على أن النص الديني احتل مكانة أساسية في الفكر، بل إن تقصي حقيقته شكلت معضلة حضارية لن تكون أعقد من معضلة فهم القرآن عند المفكرين العرب الذين وطنوا النفس على كنه حقيقة هذا النص تأسيا بمفكري الغرب وطرقهم العلمية فكيف فهم العرب قضية التأويل؟

• التأويل عند العرب أو ارتحال المصطلح من التفسير إلى التأويل:

لم يكن التأويل مصطلحا غير مألوف في الأوساط العربية المسلمة. فهو المفهوم الذي تواتر ذكره في القرآن سبعة عشر مرة وقد أريد به في البدء معنى التفسير كما هو الشأن مع الطبري أو صرف اللفظ عن

¹ - راجع بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 2001، ص.117 وانظر أيضا:

Paul Ricoeur, Du texte à l'action: Essais d'herméneutique, 2, Editions du Seuil, Novembre 1986, p.117

² - نصر حامد أبوزيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص.47

³ - بول ريكور، صراع التأويلات، ص.62

⁴ - نصر حامد أبوزيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص.44

ظاهر معناه وهو ما سماه البعض تأويلاً. غير أن هذا المفهوم لم يتبلور بشكل واضح إلا مع المعتزلة تليها الأشعرية ممثلة في الغزالي الذي وضع قانوناً في التأويل ثم أكد هذا التصور الرازي في كتابه "نهاية العقول في دراسة الأصول" ليبلغ أمر التأويل ذروته مع ابن رشد الذي تشدد في إرساء قواعده، واعتبر أن التأويل هو "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل في ذلك بعادة اللسان العربي في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنة أو غير ذلك من الأشياء التي عدت في تعريف أصناف الكلام المجازي"¹. غير أن المفكر العربي حاول كسر طوق ثنائية النقل والعقل التي ظل الفكر مشدوداً إليها ليستحيل التأويل دالاً على حركة ذهنية عقلية في إدراك الظواهر.

وقد تباينت في هذا السياق مواقف المفكرين العرب الذين اطلعوا على تراث الفلسفة التأويلية فهذا "نصر حامد أبوزيد" يعرف التأويل بكونه "فعالية ذهنية استنباطية"² تتطلب النظر إلى النص من زاويتين: "الزاوية الأولى، زاوية التاريخ بالمعنى السوسيولوجي لوضع النصوص في سياقها من أجل اكتشاف دلالتها الأصلية، ويدخل في ذلك السياق التاريخي، وبالطبع السياق اللغوي الخاص لتلك النصوص. والزاوية الثانية زاوية السياق الاجتماعي والثقافي الراهن الذي يمثل دافع التوجه إلى تأويل – أو بالأحرى إعادة تأويل - تلك النصوص"³.

أما "علي حرب" فيعرف التأويل بكونه "صرف اللفظ إلى معنى يحتمله إنه انتهاك للنص وخروج بالدلالة ولهذا فهو يشكل استراتيجية أهل الاختلاف والمغايرة وبه يكون الابتداع والتجديد أو الاستئناف وإعادة التأسيس ومأزق التأويل أنه يوسع النص بصورة تجعل القارئ فيه كل ما يريد أن يقرأه"⁴. ويعتبر علي حرب التأويل عملية اكتشاف حقيقة لا يمكن القبض عليها ورسم حدود لا نهاية لها لأنه فيض من المعاني التي لا يمكن حصرها. فهو القائل: "إن التأويل يعني أن الحقيقة لم تقل مرة واحدة وأن كل تأويل هو إعادة تأويل أو يعني كما في الحالة الإسلامية أن الوحي لم يقل فيه مرة واحدة وفي مطلق الأحوال فإن

1 - ابن رشد، فصل المقال، من كتاب فلسفة ابن رشد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص.22

2 - نصر حامد أبوزيد، نقد الخطاب الديني، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الرابعة، أبريل 2003، ص.142

3 - المرجع نفسه، صص.142 / 143

4 - علي حرب، الممنوع والممتنع: نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، عام 2000، ص.21

التأويل ينبني على الفرق والتعدد ويفترض الاتساع في اللفظ وفيض المعنى، لذلك من غير الممكن أن تكون الحقيقة أحادية الجانب أو يكون التأويل نهائيا¹.

غير أن القراءة الأركونية تظل من أهم الإسهامات العربية الحديثة في فهم النص الديني، وهي قراءة تخطى فيها صاحبها الأطر التي طرحها المستشرقون في قراءة التراث الإسلامي حينما أكد على ضرورة عقلنة الإيمان والكف عن اعتبار نص الوحي الإسلامي نصا مقدسا متعاليا فهو القائل: "إذا ما استمررنا في النظر إلى القرآن كنص ديني متعال، أي يحتوي على حقيقة تجعل حضور الله حاضرا، فإننا لا نستطيع عندئذ أن نتجنب مشاكل التفكير الثيولوجي والبحث الثيولوجي. فالثيولوجيا ليست محصورة بالمفتي أو الإمام أو الشيخ. الثيولوجيا تعني عقلنة الإيمان، كما أنها تعني أيضا تلك المجابهة القائمة بين نظام المعرفة السائدة في فترة معينة والمشاكل التي تطرحها آلية اشتغال نص ديني أو تراث ديني، أي أنها تعني المجابهة القائمة بين التراث والتاريخ وتطرح مشكلة الحداثة والإجابة عن مشاكل الحاضر بطريقة معقولة تراعي التطور والتغير وهذا ما فعله المتكلمون المسلمون في الفترة الكلاسيكية"².

وهذا ما دفع أركون إلى قراءة النص الديني وإعادة تأويل معانيه بالاستناد إلى جملة المعارف والعلوم الإنسانية الحديثة وميز بين مرحلتين أساسيتين في فهم النص الديني: الأولى الحالة التأويلية تلك التي يسبق فيها الإيمان الفهم والثانية الدائرة التأويلية تلك التي تجمع بين الإيمان والفهم. يقول أركون في هذا الصدد: "نحن نعلم أن الاعتقاد والفهم هما اللذان يشكلان جدلية الدائرة التأويلية، أي أن نفهم لكي نؤمن، وأن نؤمن لكي نفهم في داخل هذه الدائرة فنموضع كل فعاليات الروح"³. ويستشف من هذا أن التأويل بات عند الباحثين العرب حاجة أكيدة لأن إدراك حقيقة النص الديني أضحت أمرا مستحيلا. لذلك انبرى أركون متصفا هذه المدونة باحثا عن شتى السبل لفهم النص واسكناه معانيه القصية. فماهي الآليات التي توصلها في هذا الغرض؟

1 - علي حرب، التأويل والحقيقة: قراءات تأويلية في الثقافة العربية، دار التنوير للطباعة والنشر، لبناء، الطبعة الثانية، عام 1995، ص.17

2 - محمد أركون، الإسلام والتاريخ والحداثة، (محاضرة أقيمت في المركز الثقافي الجزائري بباريس، يونيو 1987)، مجلة الوحدة، الرباط، 1/ 1989، ص.25

3 - محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص.280

2- في آليات التأويل

استقر أركون على حقيقة مؤداها أن فهم النص الديني بات من المشاغل الأكيدة التي ينبغي التفكير فيها لأن ما يجمع المسلمين كامن في ذات النص وفي معانيه التي لن تدرك إلا بالعملية التأويلية "باعتبار التأويل العملية الأمثل للتعبير عن عمليات ذهنية على درجة عالية من العمق في مواجهة النصوص والظواهر"¹. لذلك عمد أركون إلى فهم هذا النص انطلاقا من معطيات عديدة حصرها في مفاهيم الأسطورة والمجاز والتمثيل لأن التفكير الأصولي في نظره يفتقر إلى مثل هذا الجهاز المفهومي الذي يغدو ضروريا في البحث العلمي المعاصر² وفي دراسة اللامفكر فيه.

◆ الأسطورة:

يذكر "مرسيا إلياد" أن الأسطورة هي القصة التي "تروي تاريخا مقدسا، حدثا بدنيا جرى في بداية الزمان"³، وهي مكون أساسي من مكونات الدين لأنها تشكل "التعبير الأرقى والأصدق عن الحقيقة"⁴. وقد تنبه أركون إلى أهمية هذا المعطى لأنه يشف عن معاني عميقة ذات صلة بالكون والوجود وحيات الإنسان. ثم إن الأسطورة قد رفضتها النزعة العلمية الوضعية وغيبتها التفكير الأصولي لذلك ألح عليها أركون رغبة منه في تجاوز الفهم الدوغمائي للنص الديني، كما إنها تضطلع بـ"قيمة توضيحية وبتقيفية وتأسيسية بالنسبة للوعي الجماعي الخاص بجماعة بشرية معينة"⁵.

وقد حدا الأمر بأركون إلى اعتبار "القرآن" خطابا ميثيا من ذلك مثلا إقراره أن "قصة أهل الكهف" مثلا هي قصة أسطورية "أي قصة تعني بعبقرية التشكيل والتركيب والإبداع والمقدرة على الإحياء وتقديم

1 - نصر حامد أبوزيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص. 192.

2 - يقول أركون: "إن الأسطورة والميثولوجيا والطقس الشعائري والرأسمالي الرمزي والعلامة اللغوية والبنى الأولية للدلالة والمعنى المجاز وإنتاج المعنى وفن السرد القصصي والتاريخية والوعي واللاوعي والمخيال الاجتماعي والتصور ونظام الإيمان واللايمان، كل ذلك يمثل مصطلحات تعاد بلورتها وتحديدها دون توقف من خلال البحث العلمي المعاصر. إن هذا الجهاز المفهومي غائب تماما عن ساحة التفكير الأصولي". راجع محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 1996، ص. 17.

3 - مرسيا إلياد، المقدس والديني، ترجمة نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1987، ص. 90.

4 - مرسيا إلياد، البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، ترجمة سعود مولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، كانون الأول (ديسمبر)، 2007، ص. 164.

5 - محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص. 210.

العبرة للناس أكثر من عنايتها بمطابقة الواقع والتاريخ¹. واعتقاده أيضاً أن النفس الأسطوري حاضر بشكل واضح وجلي في سير الصحابة إلى حدّ أضحت معه الأسطورة عنصراً فاعلاً في رسم ملاح شخصيات نموذجية مقدسة تتعالى عن شروطها التاريخية وعن حقيقة واقعها. يقول أركون في هذا السياق: "إنما نريد أن نبين كيف أن العناصر الأسطورية الزائدة المضافة على سير الصحابة من أجل تشكيل شخصيات نموذجية مقدسة كانت قد عمت حقيقة المعلومات التأسيسية المكونة لكل التراث بشكل أقوى مما فعلته المعطيات والأحداث التاريخية الواقعية التي حصلت بالفعل²."

ويميز أركون بين صنفين من الأسطورة: الأسطورة المثالية التي تؤمن وظفتي التقديس والتميز، فهي: "تلخص بواسطة التعبير النموذجي والرائع عن المعنى التصرفات المثالية والشخصيات الرمزية المقدمة للاستبطان والتقليد من قبل كل عضو من أعضاء الجماعة. وبالتالي فإنها أي الأسطورة المثالية تؤدي دوراً أساسياً لا يعوض،... دور ابتكار القيم التي تشكل العصب الروحي والأخلاقي للجماعة أو الطائفة بواسطة التطبيقات المستمرة التي تتلقاها في الوجود اليومي لكل شخص وللجميع³". أما الصنف الثاني من الأسطورة فهو الأسطورة الخرافية التي تشير إلى "التوسيعات والتحويلات والانحرافات التأويلية والتقنيّات التنكّرية التي تتعرض لها الأساطير المثالية التأسيسية في السياقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتغيرة⁴". وتبدو هذه الأسطورة في زعم أركون مهمة لأنها منشأ الإيديولوجيا التي ستفرض على الجماعات الاجتماعية.

◆ المجاز:

لاشك أن المجاز مبحث وثيق الصلة باللغة وبعلم البلاغة أساساً، وربما كان عبد القاهر الجرجاني (ت. 471 هـ) من أهم البلاغيين الذين اهتموا بهذا المبحث حينما ميز بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي⁵ معتبراً التأويل الوجه الآخر للمجاز. وانتهى به التفكير في التأويل "إلى مقولة تصنيفية تتحدد على

1 - راجع محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، صص. 145 – 175

2 - المرجع نفسه، ص. 17

3 - محمد أركون، معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، 2001، ص. 297

4 - المرجع نفسه، ص. 287

5 - راجع عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1972م.

أساسها الفروق الدقيقة لأنماط البلاغية فالفرق بين الاستعارة التحقيقية والاستعارة التخيلية مثلا فارق في درجة التأويل المطلوبة في كل منهما للوصول إلى الدلالة والنفوذ إليها¹. والمجاز أيضا مبحث موصل بالنص الديني (القرآن)، إذ طالما خاض فيه المفسرون العرب القدامى حينما تأولوا صفات الله. فكان للأشاعر وأهل السنة حضورهم البارز في الرد على المعتزلة الذين اعتمدوا على الأدوات البلاغية وخاصة منها المجاز آلية هامة في التأويل.

غير أن أركون يتخذ المجاز آلية من آليات التأويل على اعتبار أن التأويل هو الوجه الآخر للمجاز. بل يذهب إلى القطع بأن النص القرآني هو نص مجازي لتوفره على الاستعارات والتشابهية وضرب الأمثال. ونبه من مغبة أن تختزل قيمة المجاز في كونه حلقة للخطاب الديني، فتصبح وظيفته جمالية فنية بالأساس، وذلك ما يكرس الفهم السطحي للنص. فالأحرى إذن أن يمتلك المجاز طابعا ابستمولوجيا ليفتح آفاق المعنى.

◆ المتخيل:

يحتل المتخيل مكانة رئيسة لدى أركون لكونه قادرا على إنتاج المعنى وبلورة الحقيقة لكل جماعة بشرية. ثم إنه قد أقصته العقلانية لأنه خطأ ووهم وخرافة². ويميز أركون بين نوعين من المتخيل:

★-المتخيل الديني: وهو جملة الشعائر والعقائد التي يقرها النص التأسيسي والتي من الواجب الإيمان بها واعتبارها حقيقة لا يمكن التغاضي عنها.

★- المتخيل الاجتماعي: وهو عبارة "عن تركيبية ديناميكية مؤلفة من الأفكار والقوى والتصورات المهيمنة مع دعائم وجودية متكررة. وهو يتغذى من الخطاب الإيديولوجي الذي تنتجه الفئات الاجتماعية المتنافسة من أجل الهيمنة على الرأسمال الرمزي أي على القيم المحورية التي تحدد هوية كل فئة من الفئات الاجتماعية"³. ويعتبر أركون أن المتخيل يحتل مكانة مهمة في الوعي الجماعي لذلك يحسن أن تهتم به العلوم الإنسانية. كما أشار أيضا إلى أن المسلمين قد حطوا من قيمة الخيال على الرغم من اهتمام القرآن به، فهو القائل: "إن القرآن يحفز على الفكر كما يحفز على الخيال، ولكن للأسف فإن عمل المخيال كان قد

1 - نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الرابعة، 2000، ص183.

2 - انظر محمد أركون، الإسلام، الأخلاق والسياسة، ترجمة هاشم صالح، اليونسكو باريس، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الأولى 1990، ص.8.

3 - المرجع نفسه، ص.11.

سفه في الإسلام كما في اليونان الكلاسيكية وكما في الغرب عن طريق العقل المعقلن¹. وينتهي أركون إلى أن المتخيل عنصر مكمل للعقل وفاعل في فهم النص الديني.

هكذا تغدو الأسطورة والمجاز والمتخيل أسلحة أركون الضرورية في مقارنة النص الديني، وهي وسائل لا شك أنه استلهمها من إسهامات رواد الفلسفة التأويلية والأنثروبولوجيين ومن أفكار ريكور خاصة مما سيفسح المجال أمامه إلى قراءة النص الديني من زوايا نظر متعددة. فما هي مداخل أركون في قراءة النص الديني؟

③ - تعددية القراءة

للقراءة صلة وطيدة بالكتابة، بل هي ضرورية لاستشفاف معاني النص. فكلاهما مكمل للآخر إذ: "الفعل الإبداعي لحظة غير مكتملة في العمل الأدبي، لأن عملية الكتابة تفترض عملية القراءة كتلازم جدلي، وهذان الفعلان المترابطان يتطلبان فاعلين مختلفين هما المؤلف والقارئ"². فلا قوام للنص إذن بدون القراءة، وهي القدرة على فك شفرات المادة المكتوبة وكشف أسرار النص حينما يلتقي النص المكتوب بالقارئ الذي يحاوره ويعمد إلى فهمه فيكون التأويل. وعليه إذن فالقراءة سبيل التأويل، بل هي ضرورية لأنها تغري القارئ بإتيان النص وتجره إلى عالم التأويل جرا. فيخترق طبقات النص التحتية بعد أن أجال النظر في النص المقروء ليعقد صلة حسية معه ويمسي التأويل حينئذ كتابة للبياضات التي لم يكن بوسع القراءة الحسية التقاطها وكتابة نص غائر مضمير لم يخلق بعد.

ويعتقد أركون أن النص القرآني هو نص التأويل بامتياز، وهو النص الذي ينهض على الأماكن الشاغرة ويتضمن معطيات اللغة والأسلوب والمجاز والأسطورة التي تساعد على تفاعل القارئ مع النص وإنتاج معانيه، وتساعده أيضا على التخلص من تلك القراءة الدوغمائية التي سيجت الفكر المسلم لقرون طوال. لذلك كان لا بد في هذا التفاعل مع هذا النص المقدس من الانفتاح على علوم الغرب المتنوعة كعلوم اللسان والتاريخ والأنثروبولوجيا وغيرها من المعارف، لأن القراءة حسب أركون "عملية معرفية شاملة تجمع بين التحليل والتساؤل التاريخي والتدبير الفكري لاستخراج الجدلية الكامنة بين الحقول الثلاثة على الشكل التالي:

¹ - انظر محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص.138

² - voir J.P.Sartre, Qu'est ce que la littérature ? cité par W.Iser, l'acte de lecture, Mardaga, Bruxelles 85, p.199

اللغة ↔ التاريخ ↔ الفكر ↔ اللغة¹

وبناء على هذا التعريف يميز أركون بين ثلاثة أنواع من القراءات في التفاعل مع النص القرآني هي: القراءة السيميائية/ الدلالية اللغوية، والقراءة التاريخية السوسولوجية، والقراءة التكنولوجية². إذ ثبت لدى هذا المفكر أن آليات التأويل التي عرضنا أنفا (المجاز، الأسطورة) هي "الضامن الوحيد للفهم الموضوعي المنفصل من قبضة الإسلاميات الاستشراقية التي تحاول حرمان العقل من قراءة النص القرآني"³، وهي الكفيلة أيضا بقراءة نص الوحي الإسلامي قراءات متعددة ومختلفة اختلافا بينا عن تلك التي خلفها الأسلاف. يقول أركون في هذا المضمار: "كنت قد بينت كيف أن الدراسة الحديثة (أو المعالجة الحديثة) للمجاز والرمز والأسطورة تتيح لنا القيام بقراءات أخرى للقرآن مختلفة جدا عن كل تلك القراءات التي خلفها لنا التراث التفسيري الكلاسيكي"⁴.

✓ القراءة السيميائية: يعتبر أركون أن المدخل السيميائي مهم في قراءة النص الديني وفهمه لأنه يحرر المرء من أسر النص وسلطته، فيخلق مسافة فاصلة بينه وبين هذه المدونة التي يقرأ، يقول أركون: "إن علم الدلالات (أو علم السيميائية *la sémiotique*) يطمح إلى الاستعادة النقدية التي تتخذ مسافة بينها وبين المواد

¹ - محمد أركون، الفكر العربي، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات بيروت/لبنان، الطبعة الثالثة، 1988، ص.21

² - يقول أركون في هذا الصدد:

« Notre lecture devra nécessairement comporter trois moments:

- un moment linguistique qui nous permettra de découvrir un ordre profond sous un désordre apparent,

- un moment anthropologique qui consistera à reconnaître dans le Coran le langage de structure mythique,

- un moment historique où seront définies la portée et les limites des exégèses logico-lexicographiques et des exégèses imaginatives tentées jusqu'à nos jours par les musulmans » voir Mohamed Arkoun, Lectures du Coran, Alif, 1991, p.40

³ - عبد القادر بودومة، النص وآليات القراءة: محمد أركون، نصر حامد أبوزيد، ضمن:

Revue Insaniyat, 11- 2000(le sacré et le politique), p.5

⁴ - محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 1996، ص.35

المقروعة الأولية ثم كل المواد الثانية أو الثانوية التي أنتجها التراث في آن معاً¹. وعلم الدلالة موصول بالتحليل الألسني وقد اختبر أركون هذا المنهج فأجراه على سورة الفاتحة²، واستقر على أن هذا النص هو خطاب تلفظي تنهض فيه الأفعال (Les verbes) والضمائر (Les pronoms) والمحددات أو المعرفات (Les déterminants) بدور علاماتي بارز.

✓ القراءة التاريخية: تعني التاريخية عند أركون "أن حدثاً ما قد حصل بالفعل وليس مجرد تصور ذهني كما هي الحال في الأساطير أو القصص الخيالية أو التركيبات الإيديولوجية"³. وهو يعتبرها فاتحة النهج العلمي الذي لا بد منه في مقارنة النص الديني وتأويله، فهو القائل: "يمكن أن نفهم تبعاً لذلك، لماذا أن القرآن والتاريخية يشكلان بالنسبة للفكر الإسلامي، نقطة الانطلاق الإيجابية من أجل الافتتاح المنهجي للعقلية العلمية"⁴. وقد تنبه هذا المفكر إلى أهمية هذه المقاربة حينما قارن إياها بمنهجية المستشرقين وأنه من الأحرى تطبيقها على تاريخ المجتمعات العربية والإسلامية لنخرج بنتائج ذات جدوى⁵. إذ هذه القراءة كفيلة بأن تحرر القارئ من ربة قداسة النص وتخضع النص للتاريخ فيفهم ويماط اللثام عن أسرارها. بل إن هذا الصنف من القراءات يغدو في نظر أركون أمانة على الأخذ بأسباب الحضارة خصوصاً وأنها كانت عدة المفكر الغربي في قراءة الخطاب الديني قراءة حدائثية متفتحة، يقول أركون في هذا السياق: "نحن نعلم أن مسألة التاريخية اتخذت مكانة مركزية بالنسبة للفكر الحديث بدءاً من القرن الثامن عشر"⁶.

وجلي أن أركون قد يرهن عن نجاعة هذه المقاربة في قراءته لسورة "التوبة" إذ اتضح له أنها "تشكل في آن معاً كل الأشياء التالية: التاريخ الحدتي أو الوقائي الناتج عن طريق الجماعة الوليدة للمؤمنين ومن أجلها (أقصد الجماعة التي تشكلت بين عامي 610 و632 م). كما وتشكل هذه التاريخية ديناميكية المتغيرات الحاصلة في المجتمع العربي أثناء الفترة نفسها. كذلك تشكل الوعي الأسطوري – التاريخي القادر على مفصلة التاريخ الأرضي المحسوس أو ربطه بالتاريخ المثالي والمقدس للنجاة في الدار

1 - المرجع نفسه، ص.33

2 - voir Mohamed Arkoun, Lectures du Coran, pp.85 /96

3 - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، نيسان (إبريل) 2001، ص.48

4 - محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ص.124

5 - محمد أركون، الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة الأولى، 1990، ص.269

6 - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص.47

الآخرة"¹. ويرى أركون أن طابع القداسة الذي خلعه النص على وقائع سورة "التوبة" هو الذي طمس تاريخيتها وإذن لابد من الحفر الأركيولوجي في تلافيف هذه السورة لكنه معانيها الدقيقة واستخلاص الحقيقة.

✓ القراءة الأنتروبولوجية: لاشك أن الأنتروبولوجيا مفهوم متشعب ظهر في بداياته الأولى في الأوساط الأمريكية وكان يراد به دراسة الإنسان من الناحيتين العضوية والثقافية على حد السواء²، ثم شاع هذا المصطلح في أوروبا ليعني دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان وظل معنى هذا المفهوم متقلبا من قطر إلى آخر إلى حين أن استقر عند الكاتب "شاكر سليم" الذي سعى إلى حصر مفهوم هذا المصطلح في كونه "علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا"³، وواضح من هذا التعريف أن صاحبه قد حصر فروع الأنتروبولوجيا الشائكة في تخصصات ثلاث هي: الأنتروبولوجيا الطبيعية والأنتروبولوجيا الاجتماعية والأنتروبولوجيا الثقافية(الحضارية).

وقد أولى أركون هذه المقاربة أهمية لسيطرة علوم أخرى كعلم الألسنيات والتحليل النفسي وتاريخ الأديان في معالجة النص الديني. وفشل هذه القراءة في فرض نفسها في مجال الديانات التوحيدية. يقول أركون: "لم تنجح المقاربة الأنتروبولوجية في فرض نفسها حتى الآن على الأديان التوحيدية"⁴. ثم إن هذا العلم هو "الذي يخرج العقل من التفكير داخل السياج الدوغماني المغلق إلى التفكير على مستوى أوسع بكثير أي على مستوى مصالح الإنسان أي إنسان كان في كل مكان كما أن العلم الأنتروبولوجي يعلمنا كيفية التعامل مع الثقافات الأخرى بروح متفتحة متفهمة وضرورة تفضيل المعنى على القوة أو السلطة ثم تفضيل السلم على العنف والمعرفة المستنيرة على الجهل المؤسس أو المؤسساتي"⁵

هكذا يسلمنا النظر في مشروع أركون التأويلي إلى أنه مشروع علمي تنوعت أساليبه بين الأسطورة والمجاز والمتخيل مما جعل النص الديني نصا منفتحا على عديد القراءات ومما جعل التأويل لامتناهيا لكن أ لن ينقلب هذا العمل التأويلي إلى متهاة لا تحكمها أية غاية؟ وجهذا تتداخل فيه المرجعيات دون ضابط بحيث يصبح هاجس القبض على الحقيقة حلما جميلا لكنه مستحيل؟.

1 - المرجع نفسه، ص.50

2 - حسني فهميم، قصة الأنتروبولوجيا، عالم المعرفة، عدد 98، فبراير 1986، ص.14

3 - شاكر سليم، قاموس الأنتروبولوجيا (عربي/ إنجليزي)، جامعة الكويت، 1981، ص.56

4 - المرجع نفسه، ص.140

5 - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص.6

الخاتمة:

التأويل عند أركون إلى أين؟

لقد بات من الأكيد أن تأويل النص الديني الإسلامي كان من القضايا الهامة التي شغلت أركون لأنه كان يؤمن أن نجاح مشروع "الإسلاميات التطبيقية" الذي كان يهفو إليه هو رهين الفهم العقلاني الموضوعي لأسرار النص الديني، ورهين المنهج الابستمولوجي الذي لا بد لهذا النص أن يخضع له، وذلك بالانفتاح على علوم العصر الحديثة كعلم الاجتماع والتاريخ والأنثروبولوجيا والألسنيات والسيمانيات. لذلك اتسعت الفجوة بين النص ومؤلفه أركون فاكتسب النص تعددية وتحرر معناه من الأحادية والقداسة، إذ حاول أركون القارئ أن يرسم تخوما جديدة لمعنى النص الديني فتأوله متوسلا آليات شتى لعل أبرزها المجاز والأسطورة والمتخيل، وحاول فهم هذا النص في ضوء معطيات العلوم الإنسانية الحديثة ومناهج التحليل الغربية متأسيا في ذلك بجهود شلاميخر وهيدجر وديلتاي وغادامير وبول ريكور وغيرهم كثير لأنه أيقن أنه لا بد من تأسيس وعي تأويلي (Conscience herméneutique) قوامه الحس النقدي في تناول موضوعات التراث.

غير أنه من البين أن أركون قد استأصل العديد من المفاهيم والمناهج العلمية من مظانها الغربية وأسقطها على التراث الديني الإسلامي إسقاطا محاولا أن يطوع إياه كي يتقبل هذه المفاهيم، فلم يعدلها ولم ينتق منها ما يتناسب والتراث الإسلامي. لذلك ظلت غامضة عصية على الفهم والمحاصرة وكان الأحرى بأركون المفكر أن يلائم بين المفهوم المنقول والحقل المعرفي المنقول إليه وهو أمر نبه إليه "الجابري" حتى تكون عملية النقل مشروعة فهو القائل: "وإذن فالحاجة إلى التعبير عن معطيات جديدة في حقل معرفي معين هي التي تقف وراء إبداع مفاهيم جديدة أو استعارتها من حقل معرفي آخر. وهذه العملية- عملية نقل المفاهيم من حقل إلى آخر – تكون مشروعة عندما تتجح في ملائمة المفهوم المنقول مع الحقل المعرفي المنقول إليه وتبينته فيه. والتبينة في اصطلاحنا هنا تعني ربط المفهوم بالحقل المنقول إليه ربطا عضويا، وذلك ببناء مرجعية له فيه تمنحه المشروعية والسلطة، سلطة المفهوم في آن واحد. وعملية بناء المرجعية للمفهوم في الحقل المنقول إليه تتطلب بطبيعة الحال الاطلاع على مرجعيته الأصلية، على ظروف تشكلها ومراحل تطورها، وبعبارة أخرى استحضار تاريخيتها وذلك حتى يتأتى التعامل مع المعطيات التي وضع لها المفهوم للتعبير عنها في الحقل الأصل، والمعطيات التي يراد من ذلك المفهوم للتعبير عنها في

الحقل الفرع تعاملًا من نوع "قياس الأشباه والنظائر" مع الاحتفاظ دوماً بـ "الفارق" ولكن لا بوصفه جداراً حديدياً بل بوصفه جسراً ومعبراً¹.

أضف إلى ذلك أن هذا المفكر لم يكلف نفسه عناء القيام بإنجاز تطبيقي لهذه المناهج فاعتور عمله النقص وظل ترويجاً لمنهج نقدي لا تعبيراً عن نسق فكري محكم البناء. خصوصاً وأن أركون قد غالى في تأويل النص الديني فانتهك حرمة وأتلف عالم القداسة في سبيل "أنسنة" الخطاب الديني. لذلك طغت سلطة المؤول على سلطة النص وضاعت المعاني وتشظت الدلالات على خلفية تصنع الموضوعية العلمية في تناول الظاهرة الدينية. وربما ذاك ما حمل زمرة من المفكرين العرب أمثال نصر حامد أبي زيد والجابري وعلي حرب وطه عبد الرحمان بدر وغيرهم كثير على مراجعة تأويلية أركون وانتقادها في سبيل اقتراح قراءة بديلة للخطاب الديني لأنه خطاب منفتح على الدوام. فالى أي مدى وفقت هذه النخبة في فهم هذا النص وتقصي معانيه الغائرة؟

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن رشد، فصل المقال، من كتاب فلسفة ابن رشد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978.
- ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار الجيل، د.ت.، مادة "أول".
- بول ريكور، صراع التأويلات، ترجمة منذر عياشي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، كانون الثاني/يناير 2005.
- حسني إبراهيم عبد العظيم، الهرمينوطيقا والوعي التاريخي: قراءة في كتاب "إشكاليات القراءة وآليات التأويل" لـ "نصر حامد أبو زيد"، منتدى آفاق الفلسفة والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، 7 يوليو 2011
- حسني فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، عالم المعرفة، عدد 98، فبراير 1986 .
- حفناوي بعلي، إشكالية التأويل ومرجعياته في الفكر العربي المعاصر، مقال نشر بموقع المفكر الصغير، الجمعة 21 كانون الأول / ديسمبر 2012 .
- شاكر سليم، قاموس الأنثروبولوجيا (عربي/ إنجليزي)، جامعة الكويت، 1981.
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1972م.

1 - محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص. 14 .

- علي حرب، التأويل والحقيقة: قراءات تأويلية في الثقافة العربية، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الثانية، عام 1995.
- علي حرب، الممنوع والممتنع: نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، عام 2000.
- علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، الطبعة الثانية، 1995.
- فتحي المسكيني، كيف صارت التأويلية فلسفة؟ مدخل إلى مسألة الفهم، مقال بموقع الحوار المتمدن، 2 أبريل 2012
- محمد أركون، الإسلام والتاريخ والحداثة، (محاضرة أقيمت في المركز الثقافي الجزائري بباريس، يونيو 1987 (، مجلة الوحدة، الرباط، 1/ 1989).
- محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 1996.
- محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999.
- محمد أركون، الفكر العربي، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات بيروت/لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.
- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، نيسان (إبريل) 2001.
- محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 1996.
- محمد أركون، معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، 2001.
- محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.
- محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال، المغرب، 1990.
- مرسيا إلياد، البحث عن التاريخ والمعنى في الدين، ترجمة سعود مولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، كانون الأول (ديسمبر)، 2007.
- مرسيا إلياد، المقدس والديني، ترجمة نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1987.
- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، بيروت/لبنان، الطبعة السابعة، 2005.

- نصر حامد أبوزيد، النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الرابعة، 2000.
- نصر حامد أبوزيد، نقد الخطاب الديني، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الرابعة، أبريل 2003.
- هانس غيورغ غادامير، فلسفة التأويل، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 1427 هـ/ 2006 م.
- F.Schleidrmacher, Herméneutique, labor et fides, 1987.
- Paul Ricoeur, Du texte à l'action: Essais d'herméneutique, 2, Editions du Seuil, Novembre 1986.
- voir J.P.Sartre, Qu'est ce que la littérature ? cité par W.Iser, l'acte de lecture, Mardaga, Bruxelles 85.

من القراءة الأيديولوجية إلى القراءة الأبيستمولوجية للتراث العربي الإسلامي

From ideological reading to reading, the epistemological reading of the Arab-Islamic heritage

إعداد: سميير الشريفي؛ طالب باحث، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب.

Prepared by: Samir Echrifi: Student Researcher, University of
IbnTofailKénitra. Morocco

البريد الإلكتروني: echrifi2020@gmail.com

المخلص:

هدفت الدراسة لتسليط الضوء على جانب مهم من القراءات الموسومة بالقراءة الأيديولوجية، والتي تشمل القراءة الاستشراقية والقراءة الاستشراقية التي تدخل جميعها - حسب الجابري- تحت عنوان واحد، هو: القراءة السلفية للتراث. إنها قراءات توجهها خلفيات محددة، تتجلى أساسا في إبراز الجوانب المشرقة بالنسبة للقراءات العربية، لأن ما كان يحركها هو؛ عقدة الأصالة. أما ما كان يحرك القراءات الاستشراقية هو خدمة المركزية الأوربية، وبالتالي فهي تركز للنزعة الاستعمارية. فكل هذه القراءات – من منظور الجابري- تعاني من آفتين: غياب الموضوعية وفقدان النظرة التاريخية، لتحل محلها على التوالي الذاتية واللاتاريخية. مما يجعلها قراءات تعاني من نوع من الاستلاب.

استخدم الباحث المنهج التحليلي المقارن في دراسته. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: إن قراءة الجابري شكلت فتحا جديدا في قراءة التراث العربي الإسلامي، إذ انتقلنا معه من القراءة التجزيئية إلى القراءة الكلية، ومن الذاتية إلى الموضوعية، ومن اللاتاريخية إلى التاريخية. **الكلمات المفتاح:** التراث العربي الإسلامي، القراءة الأيديولوجية، القراءة الأيستمولوجية. المعالجة البنيوية.

Abstract:

This study sheds light on a particular aspect of readings that are identified as ideological readings. They include orientalist and pseudo-orientalist readings. These two kinds of readings, according to Al-Jabri, fall under one heading- the Salafi-oriented reading of heritage. The aforementioned readings are essentially influenced and directed by particular backgrounds whose main aim is to highlight the bright sides of the Arabic readings, and that the complex of originality (authenticity) is the driving force that generated these readings.

Concerning the orientalist readings, they were driven by the intention of serving the European centralism, hence giving rise to à colonial flair or dominion.

All of these readings, according to Al-Jabri, suffer from two shortcomings : absence of objectivity and historical perspective, whose

positions are overtaken by subjectivity and ahistory. This resulted in the aliénation of these readings/ interpretations.

The researcher relied on the comparative analytical method in his study, that reached a set of results, the most important of which are:

Al-Jabri's reading constituted a new breakthrough in reading the Arab-Islamic heritage, as we moved with him from partial reading to total reading, from subjectivity to objectivity, and from non-historical to historical.

Despite what Al-Jabri provided, we record the following:

- The absence of historical depth, and the sign of this is his lack of interest in the philological method.
- He fell into the trap of the Orientalist view - which he warned against - when he compared the East and the West and thus made rational sciences and philosophy a commodity alien to our culture.
- He fell into the ideological reading that he criticized

Keywords: Arab-Islamic heritage, ideological reading, epistemological reading, structural processing.

المقدمة:

ما السبيل لتحقيق نهضة عربية إسلامية، قادرة على جعل هذه الأمة، تستعيد دورها التاريخي وإسهامها الحقيقي الذي لعبته على مسرح الثقافة العالمية لقرون خلت؟

إن مقاربة هذا السؤال تقتضي بداية تحديد مواطن الخلل، التي اعترت الجسد الثقافي، السياسي، الاقتصادي، العسكري والاجتماعي العربي الإسلامي، على الأقل منذ هزيمة العقاب (609هـ- 1212م)* كبداية للتراجع الشامل الذي شهده الغرب الإسلامي، والذي بكل تأكيد ستعقبه تراجعات وتدهور مس مختلف البنى، مما جعل الانغلاق والتفوق حول الذات المجروحة السمة البارزة لثقافتنا. لتستفيق على وقع صدام عنيف وغير متكافئ بين حضارة قطعت أشواطاً في دروب العلم والتقنية،

* سميت معركة العقاب بهذا الاسم لأنها وقعت قرب حصن أموي قديم يسمى العقاب، والتي شكلت تحولاً جذرياً أثر بشكل كبير على الوجود الإسلامي في الأندلس. حيث انهزم فيها الجيش الموحد بقيادة السلطان الناصر لدين الله. حيث كان النصر للقوات الصليبية بقيادة الملك ألفونسو الثامن ملك قشتالة.

وأقطارا لا زالت رهينة لما أنجز في السابق. وقع هذا أثناء حملة نابليون على مصر (1798م) أو ما عرف بصدمة الحداثة. لذا، ومنذ ذلك التاريخ حاولت النخبة المثقفة مع زمرة من السياسيين مقاربة سؤال التأخر والتقدم، (لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟)¹. توالت بعدها المحاولات والمقاربات من مختلف التيارات الفكرية والسياسية العربية (الكواكبي 1854-1902) " طبائع الاستبداد ومصارع العباد". الطهطاوي (1801- 1873 " تخليص الإبريز في تليخيص باريز". الأفغاني 1838-1897م "العروة الوثقى" بالاشتراك مع الشيخ محمد عبده. خير الدين التونسي 1820-1890م " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"، محمد عبده 1849-1905) الإسلام بين العلم والمدنية.. كل هذه المحاولات وغيرها كثير، لم تصب الهدف، أي لم تستطع التأسيس لنهضة منشودة. وسبب هذا الفشل حسب المفكر المغربي محمد عابد الجابري، يعود إلى كونها لم تستطع توجيه بوصلة الاشتغال تجاه العطب الحقيقي الذي يعاني منه الواقع العربي اليوم. فسؤالها الذي انطلقت منه سؤال عام وليس سؤالاً مخصوصاً يحدد بدقة كنه المشكلة. لذا سيتحرك الجابري متسلحاً بأحدث المناهج العلمية (الموظفة في العلوم الإنسانية) ليتساءل: لماذا لم تتطور أدوات المعرفة (مفاهيم، مناهج، رؤية..) في الثقافة العربية خلال نهضتها في القرون الوسطى، إلى ما يجعلها قادرة على إنجاز نهضة فكرية وعلمية مطردة التقدم، على غرار ما حدث في أوروبا، ابتداء من القرن الخامس عشر ميلادي؟²

لمقاربة هذا السؤال، ننتقل على مشروع الجابري، لنتلمس سر تأخر العرب والمسلمين عن الركب الحضاري. لذا، يلزمنا تتبع مراحل تكوين العقل العربي داخل الثقافة العربية العالمية(*)، التي يتحدد إطارها الزمني خلال عصر التدوين وامتداداته.. على هذا الأساس ستكون محاولة الجابري هي توجيه سهام النقد للماضي والحاضر معا (النقد الأيستمولوجي وليس الأيديولوجي). من هنا نتساءل أين يمكن موضعة فكر الجابري؟ بصيغة أدق، ما المكانة التي يستحقها في النسيج الثقافي العربي المعاصر؟ ألا يمكن القول بأنه يشكل استمرارية مع البعض وقطيعة، ومن ثم تجاوزا للبعض الآخر؟

¹ فكرة هذا الكتاب كان جوابا عن سؤال وجهه الشيخ محمد بسيوني عمران إمام مهرجا جزيرة سمبس برنيو (جاوه) للشيخ رشيد رضا، طالبا منه نقله لأمير البيان شكيب أرسلان (1869-1946م) ليكتب للمنازل مقالا بقلمه في أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر وأسباب قوة الإفرنج واليابان، وعزتهم بالملك والسيادة والقوة والثروة. فكان الرد هو هذا الكتاب " لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ مكتبة الفنون والآداب، مؤسسة اقرأ، 2014

² الجابري محمد عابد، (2014)، **تكوين العقل العربي**، ط 12، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص 335.

(*) على اعتبار أن الجابري يقصي من اهتمامه الثقافة العربية غير العالمية، يقول: " ولا بد من الإشارة أخيرا إلى أننا اخترنا بوعي التعامل مع الثقافة " العالمية" وحدها، فتركنا جانبا الثقافة الشعبية من أمثال وقصص وخرافات وأساطير وغيرها.. (تكوين العقل العربي. ص 7)

1- الفطبعة مع القراءات الأيديولوجية التجزئية للتراث

" هل يمكن بناء نهضة بعقل غير ناهض؟"¹ بهذا السؤال المشروع، يفتح الجابري مشروعه الفكري، إذ لا يُعقل أن نبني نهضة شاملة (ثقافية سياسية علمية اقتصادية ..) بعقل لم يتمكن بعد من القيام بمراجعة شاملة وجذرية تستهدف الأسس التي يستند عليها في تكوينه عبر التاريخ، أي الآليات والمفاهيم والتصورات والرؤى.. إن هذا السؤال – في اعتقادي- انتقاد مبطن لكل المشاريع الفكرية والمحاولات الفردية التي سعت للبحث عن أنجع الطرق لاستعادة دورنا الحضاري، من خلال الإسهام في ما ينجز عالميا في الوقت الراهن.

إن كل هذه المقاربات – من وجهة نظر الجابري- اشتغلت بالطريقة نفسها التي اشتغل بها أسلافهم، حتى على مستوى التفكير، فكروا بأساليب عتيقة ومتجاوزة وكأن الزمن الثقافي العربي أصيب بالعمى الإبداعي. مما أبعده هذه المقاربات عن روح العصر رؤية ومنهجاً، (أي فقدت راهنيتها). فكانت النتيجة الحتمية هي إنجاز قراءات تجزئية موجهة بهواجس وانشغالات أيديولوجية، "والنتيجة أننا في عملنا هذا لا نعاني فقط من غياب محاولات رائدة وأخرى متابعة ومدققة، بل نعاني وبدرجة أكثر من آثار هذا الغياب وانعكاساته على الموضوع ذاته"². إن شكوى الجابري من هذا الغياب تمتد أيضا لمحاكمة التاريخ الفكري العربي الحديث، حيث إن الاشتغال على نقد العقل العربي، كان من الواجب أن ينطلق على الأقل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي " يتناول هذا الكتاب موضوعا كان يجب أن ينطلق القول فيه منذ مائة سنة"³. أي منذ ذلك الاحتكاك العسكري والتقني العنيف بالغرب، والذي عرى الواقع العربي الإسلامي، وأبان عن مدى تخلفه على جميع الأصعدة؛ (سياسيا: نظم سياسية عتيقة دون تمثيلية تذكر. عسكريا: عتاد عسكري لم يُطوّر ليوأكب التقدم التقني الحاصل في الغرب. اقتصاديا: بناء اقتصادي هش دون طبقة برجوازية قادرة على تحقيق النهوض الاقتصادي وخلق الثروة...) باختصار كان العنوان هو الركود والسكون الأشبه بالموت ليبقى التغني

¹تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص5.

²تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص5

³تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص5

*أي على الأقل منذ 1883م. وهنا نتساءل لماذا هذا التاريخ بالضبط؟ لننلمس الجواب من عند صاحب تكوين العقل العربي " ولما كانت وقائع الحياة منذ البعثة المحمدية إلى بداية القرن الماضي (أي القرن التاسع عشر ميلادي) متشابهة متناظرة، فلم يكن هناك ما يدعو إلى طرح السؤال: كيف نتعامل مع التراث؟ لم يكن في وقائع حياة الإنسان العربي المسلم آنذاك ما يجعله يشعر بأنه منفصل عن التراث، لقد كان حاضره امتدادا لماضيه ونسخة منه" (التراث والحدثة، مرجع سابق، ص10)

بأمجاد الماضي، أو التعلق بأهداب الغرب المسيطر حضارياً.. مما غيبتنا عن الواقع لنصبح من دون مواقع تذكر.

أمام هذا الوضع نتساءل عن أهم القراءات التي تصدت لثرائنا؟ وماهي أبرز الاعتراضات التي قدمها الجابري عليها؟ وأخيراً ما البديل الذي يقترحه صاحب رباعية نقد العقل العربي؟

أ- القراءة السلفية أو الفهم التراثي للتراث:

يمثل هذا الاتجاه مجموع النخبة الفكرية التقليدية التي تلقت تكوينها من " الجامعات " و" المعاهد " التقليدية (القرويين بالمغرب، الزيتونة بتونس، الأزهر بمصر) هؤلاء سلخوا منها قائم على " الاستنساخ والانخراط في إشكالية المقروء والاستسلام له"¹. إن هؤلاء على حد تعبير طه حسين يدعون كل شيء حيث تركه القدماء لا يناله بتغيير ولا تبديل ولا يمسه في جملته وتفصيله إلا مساً رقيقاً². آفة هؤلاء هو التسليم بما قيل، لا مجال فيه للشك أو النقد والتمحيص لأنهم "أخذوا على أنفسهم بالاطمئنان إلى ما قاله القدامى وأغلقوا على أنفسهم باب الاجتهاد في الأدب والفقہ والكلام"³. وعليه فقرءاتهم قراءة تقديسية تمجيدية تُشيد وتُعلي من إنجازات السلف، مغيبة بشكل تام الروح النقدية التي هي أساس كل قراءة تتوخى الموضوعية والتاريخية. فهو التيار الذي انشغل أكثر من غيره بقضية التراث ومحاولة بعث الحياة فيه من جديد، ولو بتقويله ما لم يقله.. مما جعلها قراءة أيديولوجية أساسها إسقاط صورة " المستقبل المنشود" المستقبل الأيديولوجي على الماضي، ثم البرهنة انطلاقاً من عملية الإسقاط هذه، على أن " ما تم في الماضي يمكن تحقيقه في المستقبل"⁴.

إن ما يؤخذ به أصحاب هذه القراءة أو المنهج. هو أنهم سقطوا في الانتقائية التي تتوخى إثبات وتأكيذ الذات، موظفين في الغالب منهج خطابي* يمجذ الماضي بقدر ما يبكي الحاضر، ومن هنا تظل الذات التي يسعى تأكيذها هي "ذات" الماضي، الذي يعاد بناؤه بانفعال تحت ويلات ضغط الحاضر

¹ الجابري محمد عابد، (1991)، التراث والحدائثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت ص 26.

² طه حسين، (د.ت)، في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، الطبعة العاشرة، ص 62.

³ في الأدب الجاهلي، مرجع سابق، ص 63.

⁴ التراث والحدائثة، مرجع سابق، ص 12

* من الشواهد الدالة على هذا الادعاء، في رسالة وجهها الشيخ محمد بسيوني عمران إلى الشيخ رشيد رضا عام 1348 هـ يطلب منه أن يتفضل أمير البيان شكيب أرسلان بكتابة خطاب لتجديد التأثير في أنفس المسلمين بما يناسب حالهم الآن، لتبنيه غافلهم، وتعليم جاهلهم، وكبت خاملهم، وتنشيط عاملهم.. (مقتطف من نص الرسالة التي وجهها محمد بسيوني للشيخ رشيد رضا. ضمن مقدمة كتاب لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ مرجع سابق، ص 15)

وانحرافات¹. بهذه الكيفية تصبح هذه القراءة، قراءة تغيب عنها الموضوعية وفقدان النظرة التاريخية، مما يجعل فهمها مجرد فهم تراثي للتراث، وليس فهما عصريا مسلحا بأدوات البحث العلمي. إن قراءة تسير في هذا الاتجاه لن يكون في مقدورها استحضار الروح النقدية مقابل حضور – وبشكل لافت- لثقافة الخنوع والاستسلام. أمام هاتين الأفتين ستكون النتيجة اللازمة لزوما ضروريا هي إعادة الإنتاج بشكل مشوه؛ أي التراث يكرر نفسه في الغالب بصورة مجزأة أو رديئة².

ب- القراءة الاستشرافية:

يمكن إجمالها من خلال نماذج ثلاثة:

- 1- المنهج الفيلولوجي صاحب النظرة التجزيئية، وتمثل له بالمستشرق S, PINES.
- 2- المنهج التاريخي صاحب النظرة الشمولية، وتمثل له بالمستشرق DE. BOR.
- 3- المنهج الفردي الذاتي صاحب النظرة الانتقائية، وتمثل له بالمستشرق HENRY. CORBIN.

لنلقي في البداية نظرة موجزة لأهم ما جاءت به هذه القراءات. ثم بعدها نبين أهم المآخذ التي أخذها عليها الجابري.

1- المنهج الفيلولوجي*:

ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، عرف هذا المنهج نشاطا واضحا. متخذاً من تحقيق النصوص، والكشف عما لا زال مغمورا منها أو منسيا موضوعا له، كان مجال اشتغاله في بادئ الأمر؛ النصوص اليونانية واللاتينية (الرومان والقرون الوسطى المسيحية).

¹ التراث والحداثة، مرجع سابق، ص42.

² التراث والحداثة، مرجع سابق، ص26.

*يمكن القول بأن الفيلولوجيا في معناها العام، هي الإحاطة بالعبرية الخاصة بشعب ما، أو حضارة ما، وتطورها الثقافي، وبذلك فهي تسعى إلى فحص كل الإرث المكتوب الذي ورثناه عن هذه الحضارة. وبشكل عام يمكن أن نقول بأن الفيلولوجيا تشكل نسقا متكاملا هو الماضي الانساني كما نحاول أن نفهمه اليوم. أما في المعنى الآخر للفيلولوجيا؛ أي ما يشكل مادتها خاصة فنقول: بأنها مجال مستقل من حيث إنها تدرس قضايا فكرية خاصة جدا، هي تاريخ المخطوطات الموجودة والمقارنة النقدية بين متغيرات النص، ومن هذه الجهة فالعالم الفيلولوجي هو الباحث المحقق. (محمد أبلأغ. ما قبل بيت الحكمة ببغداد، ضمن مؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الإسلامية. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 150. ص45).

وبفضل استخدام هذا المنهج، ظهرت معطيات وشواهد جديدة غيرت النظرة التي كانت سائدة، و عدلت
المواقف المتخذة من هذا التراث أو ذلك. مما حتم تعديل الرؤى الشمولية، أو على الأقل التخلي عنها،
لصالح نظرة تجزيئية تسعى إلى الاجتهاد من أجل رد كل فكرة إلى أصل سابق لها¹.

من أبرز ممثلي هذا المنهج عند المستشرقين، شلومو بينس (SHLOMO. PINES). (1908-
1990م) مؤلف كتاب " مذاهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود" الصادر في
الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي. والذي يعد نموذجا حيا لتطبيق المنهج الفيلولوجي على التراث
العربي الإسلامي. معتمدا في بناء موضوعه على مسلكين منفصلين لكنهما متكاملين:

يتحدد المسلك الأول في عملية جمع النصوص من خلال المصادرة التي توفرت لديه. أما
المسلك الثاني فهو التركيز على جزئيات الموضوع إن وجدها جاهزة هنا أو هناك. وإن تعذر الحصول
عليها يلجأ إلى تجزئة الموضوع إلى أجزاء إن كان فيه تركيبا. بعدها يجتهد في رد كل جزء لأصله
المتفرع عنه، من الثقافات السابقة على الثقافة الإسلامية. إن ما يميز هذا المنهج هو ترك الباب مفتوحا
على كل الاحتمالات والقراءات، بمعنى أنه لا ينتهي إلى نتيجة صريحة خوفا من أن تكتشف نصوص
جديدة قد لا تؤيد الحكم الذي تم إصداره سابقا.

رغم ما لهذا المنهج من دور هام في الحفر بعيدا في طبقات تراثنا، إلا أنه لم يسلم من نقد
الجابري له، على اعتبار أن توظيفه من لدن المستشرقين -خاصة- في دراستهم للتراث العربي
الإسلامي تحركه خلفية أيديولوجية وليس معرفية محضة. كيف ذلك؟

يجيبنا الجابري قائلا: " لنؤكد أولا أن النظرة التجزيئية التي يصدر عنها هذا المنهج، تمارس
عدوانا خطيرا على النصوص، وبالتالي على فكر صاحب النص، وذلك عندما تفتته وتقتل الحياة في
سياقه، وتنتزع منه ما تريد لتلقي بالباقي في سلة المهملات².

أما الآفة الثانية، فتتلخص في كون هذا المنهج وظيفه أصحابه للدفاع أو لإثبات فكرة – يؤمنون
بها بشكل مسبق وقطعي- أن الإبداع في ميدان الفلسفة والعلم ليس من اختصاص العرب والمسلمين،
فحضارتهم من خلال ما تم التوصل إليه بالاعتماد على هذا المنهج هي حضارة تقليد ونقل في أحسن

¹ التراث والحدائثة، مرجع سابق، ص28.

² التراث والحدائثة، مرجع سابق، ص83.

الحالات. مما يجعل توظيف هذا المنهج – في نظر الجابري- ينتهي إلى حكم عام أكثر تعسفا وعدوانية من أي منهج آخر¹.

2- المنهج الفردي الذاتي: صاحب النظرة الانتقائية.

إن أصحاب هذا المنهج يرفضون استخدام المنهج الفيلولوجي اعتبارا لنظرته التجزيئية التفتيتية للنصوص. كما يرفضون الاشتغال بالمنهج التاريخي الذي يكرس النظرة الشمولية. مقابل هذا الرفض يقترح أصحاب هذا المنهج التعامل مع كل مفكر أو مبدع.. بشكل مخصوص، بمعنى تعاطفه مع الأشخاص وتجاربههم حتى لو كان هؤلاء من خارج المركزية الغربية في نسختها اليونانية أو الأوربية الحديثة. كالحلاج مثلا الذي حاول ماسينون* تقمص تجربته الصوفية. إلا أنه مع ذلك- بحسب الجابري- ظل موجها من داخل ذات الإطار (أي المركزية الأوربية) مشدودا إليه غير قادر ولا راغب أبدا في الخروج عنه أو القطيعة معه².

أما النموذج الثاني فيمثله المستشرق الفرنسي هنري كوربان*، صاحب كتاب " تاريخ الفلسفة الإسلامية" الصادر عام 1964. الذي قال عنه عبد الرحمان بدوي: " وفي هذا الكتاب بالغ مبالغة شديدة في إبراز نصيب الفكر الشيعي، وأجحف بالفكر السني إجحافا غريبا"³. بالإضافة لهذا العيب المتمثل في الانحياز غير المبرر علميا، فاهتمام كوربان بالفلسفة الإسلامية في جانبها الإشرافي العرفاني لم يكن رغبة منه في خدمة الجانب المجهول، أو المسكوت عنه، في الفكر العربي الإسلامي.

¹التراث والحداثة، مرجع سابق. ص84.

LOUIS MASSINON* (1883-1962) مستشرق فرنسي، عرف بدراساته في التصوف الإسلامي عامة وفي الحلاج بخاصة.. وعن سبب اهتمامه بالحلاج فيعوج أساس إلى قراءته – في مارس 1907- لأشعار فريد العطار الشاعر الفارسي الصوفي تدور حول مصير الحلاج. هذا الإعجاب بشخصية الحلاج سيترجم إلى تخصيص دراسات وافية عنه. تعود أول دراسة له عن هذه الشخصية إلى بحث في الكتاب التذكري المهدى إلى هرتفج دارنبور سنة 1909، بعنوان " عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية" وتثنى عليه بمقال نشر سنة 1911 بعنوان " الحلاج الشيخ المصلوب والشيطان عند الزيدية". أما أول بحث كبير عن الحلاج فهو نشره لكتاب " الطواسين" سنة 1913. كما عهدت إليه " دائرة المعارف الإسلامية" أن يكتب مادة "حلاج" فيها سنة 1914. وكذلك مادة " الحلول" وهي أيضا تتصل بالحلاج. لمزيد من التفاصيل حول هذا المستشرق يمكن الرجوع (عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين بيروت لبنان، الطبعة الثالثة 1993. من ص 529 إلى 535).

²التراث والحداثة، مرجع سابق. ص78.

HENRY CORBIN* (1903-1978م) من أهم مؤلفاته: " في الإسلام الإيراني" في أربعة أجزاء سنة 1971م.. وعلى العموم كما دار إنتاج ماسينون حول شخصية الحلاج، دار إنتاج كوربان حول شخصية السهروردي. (انظر موسوعة المستشرقين، مرجع سابق. من ص 482 إلى 485)
³بدوي عبد الرحمان (1993)ن موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين بيروت لبنان، الطبعة الثالثة. ص 485.

بل من أجل الغرب، وبضغط من أزمته الفكرية في فترة ما بين الحربين. وأمام هذا الفراغ الروحي انصرف كوربان يبحث في الفلسفة الإسلامية عن حلول تخفف من وطأة تلك الأزمة على نفسه. لذلك توجه نحو الشرق (وخاصة عند السهروردي) حاملا معه أزمة الغرب الروحية وصراعاته الفكرية، لعله يجد في الشرق ما افتقده في الغرب، وفي الفلسفة والمتصوفة المسلمين ما غاب عن فلاسفة ومفكري الغرب. من هنا يبدو أن الاتجاه إلى الشرق لم يكن من أجل خدمته والتعريف بمنجزاته، بل لإرضاء حاجات ذاتية على وجه الخصوص.

3- المنهج التاريخي الشمولي

يمتاز هذا المنهج الموظف من لدن بعض المستشرقين بتناوله للتراث العربي الإسلامي في مجموعه، أي بشكل شمولي وعام، مع البحث دائما عن الأصل المستقى منه. لهذا الغرض نفتح على نموذج يمثل هذا المنهج، يتعلق الأمر بالمستشرق الألماني دي بور DE BOR. صاحب كتاب " تاريخ الفلسفة في الإسلام" الذي يعد أول كتاب* يؤرخ للفلسفة ككل يكتبه مستشرق. يقول مؤكدا هذا السابق: " هذه أول محاولة لبيان تاريخ الفلسفة الإسلامية في جملتها، بعد أن وضع الأستاذ مونك SALOMON MUNK** في ذلك مختصره الجيد (المقصود به كتاب أمشاج من الفلسفة اليهودية والعربية) فيمكن أن يعد كتابي هذا بدءا جديدا لا إتماما لما سبق من مؤلفات"¹.

رغم ما لهذا المجهود من منافع أقلها إعادة إحياء الفلسفة الإسلامية، من خلال الحفر عميقا عن جذورها. إلا انه – بحسب الجابري- لا يخلو من عيوب وجب التنبيه لخطورتها. منها: اعتبارهم العقل العربي الإسلامي خاصة والعقل السامي عامة عاجز عن الإبداع والتميز، دليلنا على هذا الإدعاء قوله في فقرة تحت عنوان " النظر العقلي عند الساميين": "لم تكن للعقل السامي قبل اتصاله بالفلسفة اليونانية، ثمرات في الفلسفة وراء الألغاز والأمثال الحكمية؛ وكان هذا التفكير السامي يقوم على

*أما أول كتاب في الموضوع لمؤلف عربي، فهو كتاب " فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب" لصاحبه محمد لطفي جمعة. الصادر عن دار المعارف بالقاهرة عام 1927.

SALOMON MUNK** (1803-1867م) مستشرق فرنسي برز في تاريخ الفلسفة اليهودية والإسلامية، أصيب بالعمى عام 1947م، فترك العمل بالمكتبة الوطنية، لكنه ظل مع ذلك يتابع البحث بمعونة سكرتير كان يقرأ له ويكتب تحت إملائه إلى أنه أنتج في فترة عماه (حوالي عشرين سنة) مؤلفاته الرئيسية من أهمها- بالنسبة لموضوعنا- " أمشاج الفلسفة اليهودية والعربية" باريس 1859م. في 532ص. (موسوعة المستشرقين، مرجع سابق. من ص 571 إلى 573).

¹دي بور، (1948)، تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريده، الطبعة الثانية، القاهرة. (الطبعة الأولى كانت عام 1938م) ص؛ مقدمة الكتاب.

نظرات في شؤون الطبيعة كتفرقة لا رباط بينها، ويقوم بوجه خاص على النظر في حياة الإنسان ومصيره، وإذا عرض للعقل السامي ما يعجز عن إدراكه، لم يشق عليه أن يرده إلى إرادة الله التي لا يعجزها شيء، والتي لا ندرك مداها ولا أسرارها¹. ويضيف قائلاً: "وظلت الفلسفة الإسلامية على الدوام فلسفة انتخابية عمادها الاقتباس مما ترجم من كتب الإغريق [...] ولم تتميز تميزاً يذكر عن الفلسفة التي سبقتها، لا بافتتاح مشكلات جديدة ولا هي استقلت بجديد فيما حاولته من معالجة المسائل القديمة. فلا نجد لها في عالم الفكر خطوات جديدة تستحق أن نسجلها عليها"². فهو بهذا الحكم المجانب للصواب، والمتحامل على حضارة ساهمت بشكل كبير في تحقيق التراكم اللازم لقيام النهضة العلمية الحديثة، يتفق مع المستشرق الفرنسي رينان* الذي اعتبر بدوره أن التفرد والجدة والأصالة مقصورة على الجنس الآري وليس السامي يقول: "ولم تكن الفلسفة لدى الساميين، غير استعارة خارجية صرفة، خالية من كبير خصب، غير اقتداء بالفلسفة اليونانية"³.

لكن أليس من حقنا التساؤل؛ إذا كان هذا هو حال الفلسفة الإسلامية (مجرد اقتباس، اقتداء، عجز...) لماذا كرس هؤلاء وقتهم وجهدهم.. لهذا الإرث الإسلامي؟ عن هذا السؤال المشروع يجيبنا الجابري قائلاً: "إن دي بور وزملاءه المستشرقين كان هدفهم من البداية، ليس البحث فيها عن عناصر أصيلة، ولا عن لون آخر من الفكر الإنساني. كلا، إن التأريخ لها ليس لذاتها ولا حتى بوصفها "واسطة" بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الأوربية في القرون الوسطى. بل إن ما يهم المستشرق منها أكبر كثيراً بالنسبة لما يشغل اهتمامه. إنه العمل على تكملة وتتميم تاريخ النهر الخالد؛ نهر الفلسفة في أوروبا، خدمة للمركزية الأوربية التي تعتبر نفسها الوريث الوحيد والشرعي لمنتجات العقل اليوناني. نفهم من قول الجابريين أنها قراءة تعمل على تكريس النزعة الاستعمارية ومعاداة العقلية السامية، وذلك باعتبارها أدنى قيمة وأضعف إبداعاً على المستوى الفلسفي والعلمي على وجه التحديد،

¹ تاريخ الفلسفة في الإسلام، مرجع سابق، ص 11.

² تاريخ الفلسفة في الإسلام، مرجع سابق، ص 34.

ERNEST RENAN (1823-1892م) مستشرق ومفكر فرنسي، لم يكن متمكناً من اللغة العربية بشهادته هو، إذ يرجع ذلك لكون أستاذه في اللغات السامية لو هير LEHIR لم يكن بدوره متمكناً منها، يقول عنه: "فهو مثلاً لم يكن ضليعاً في العربية، ولهذا السبب بقيت أنا دائماً مستعرباً ضعيف المستوى؛ Je suis toujours reste mediocre arabisant" (ذكريات الطفولة والشباب مجموع من مؤلفاته، ج 2. ص 864. نقلاً عن موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص 311)، ولقلة معرفته باللغة العربية لم ينشر رينان أي نص عربي، وحتى النصوص التي ألحقها برسالة الدكتوراه "ابن رشد والرشدية" سنة 1852، هي نصوص كان قد حقق مونك MUNK ثلاثة منها.
³ إرنست رينان، (1957)، ابن رشد والرشدية، نقله إلى العربية عادل زعيتر، طبع بدار إحياء الكتب العربية، القاهرة. ص 15.

مقارنة بالعقلية الآرية التي يعتبر العقل الغربي الوريث الشرعي والوحيد لها في تصورهم. تجلى هذا واضحا في عدم اعترافهم وتقديرهم، بل وتبخيهم لمجمل الإسهام العربي الإسلامي في مجالات العلم والفلسفة، فهم يعتبرون أن العقلية السامية (عقليتنا نحن) عقلية قاصرة " ذلك أن العرب لم يصنعوا غير انتحال مجموع الموسوعة اليونانية¹، كما عبر عن ذلك بشكل لا لبس فيه كبير المستشرقين إرنست رينان.

ج- القراءة الاستشراقية

إن القراءات الاستشراقية لتراثنا العلمي والفلسفي تولد عنها قراءات عربية، سعى أصحابها الدفاع عن أصالة وتميز الفلسفة العربية الإسلامية. لذلك وسماها بالقراءة الاستشراقية، بمعنى أنها لم تخرج عن جلباب القراءات السابقة على الأقل كمنهج متبع في الدراسة. هذا ما سنوضحه من خلال النماذج التالية:

1- قراءة الشيخ مصطفى عبد الرازق:

من خلال اطلاعنا على مؤلفه " تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية" نجده يؤكد على أن المواقف العنصرية الاستعمارية التي طبعت أعمال جل المستشرقين بدأت تتلاشى تدريجيا، وآية ذلك، المؤشرات التالية:

- أولا: تلاشي القول بأن الفلسفة العربية الإسلامية ليست إلا صورة مشوهة من مذهب أرسطو.. حيث أصبح في حكم المسلم به أن للفلسفة الإسلامية كيانا خاصا يميزها عن مذهب أرسطو ومذاهب مفسريه. هذا ما أكده موريس ولف" على أنه من الخطأ أن يُظن أن الفلسفة العربية هي نسخة منقولة عن مذاهب المشائية . وهم بذلك انتهوا إلى نسق فلسفي فريد في بابه"².
- ثانيا: تلاشي القول كون الإسلام وكتابه المقدس، شكلا بطبيعتهما سجنا لحرية العقل وعقبة في سبيل نهوض الفلسفة. مستشهدا بما أورده الأستاذ بيكافيه (Picavet) في كتابه* " تخطيط لتاريخ عام مقارنة لفلسفة العصور الوسطى، المطبوع سنة 1905. يقول فيه: " إذا قارنا بين المؤلفات

¹ابن رشد والرشدية، مرجع سابق، ص10.

² Maurice de Wulf ; Histoire de la philosophie Médiévale ; Louvain 1924

نقلا عن تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مرجع سابق، ص26.

*Pecavet. Esquissed'une Histoire générale et comparée des philosophes Médiévales. Paris. 1905.

التي قرأها المسيحيون الغربيون والمؤلفات التي كانت في متناول العرب. عرفنا أن هؤلاء ينبغي أن يكونوا أدنى إلى الابتداع، فقد تميزوا بفضل معارفهم¹.

إن المجهود الذي بذله الشيخ مصطفى عبد الرزاق في سبيل التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، إذا ما قرئ تبعاً للحظة التاريخية التي عاشها، فإنه يعد إسهاماً حقيقياً في الرد، بل ودحض شبهات المستشرقين غير المنصفين، وفي الوقت ذاته إبراز جوانب من أصالة وتفرد المنجز الفلسفي العربي الإسلامي.

إلا أنه- وبالرغم من هذا المجهود الذي يشكل سبقاً بالنظر لسياقه- ستعرض هذه القراءة لانتقادات من لدن محمد عابد الجابري. الذي اعتبر أن أقصى ما أنجزه الشيخ بقي محصوراً في محاولة إثبات البراءة من التهم التي وجهها ثلثة من المستشرقين للإسهام العربي الإسلامي فلسفياً على وجه التحديد. لذا بقي اشتغاله مركزاً في " عرض وتقنين الآراء التي تطعن في قدرة العرب على التفلسف، والتي تنكر بالتالي وجود أية أصالة في الفلسفة العربية الإسلامية. بل حتى في طريقة إثبات هذه البراءة اعتمد على آراء ومواقف وأحكام المستشرقين أنفسهم. مفضلاً أسلوب " وشهد شاهد من أهلها"².

وبالتالي فإن الهاجس الأكبر الذي كان يحركه، ليس " عقدة الاستشراق " بل عقدة الأصالة إن صح التعبير³. لأنه لو كان الهاجس هو تفكيك والتخلص من العقدة الاستشراقية لما وجدناه يتعامل بوجهين مع المنتوج الاستشراقي في علاقة بالفلسفة العربية الإسلامية. فهو إذ يقلل من إسهامات البعض ويعتبرها متحاملة وغير منصفة، يعلي من البعض الآخر، ويعتبرهم قدوة لنا في مجال البحث " أما بعد، فإن الناظر فيما بذله الغربيون من جهد في دراسة الفلسفة الإسلامية وتاريخها، لا يسعه إلا الإعجاب بصبرهم ونشاطهم وسعة اطلاعهم وحسن طريقتهم"⁴. فهل معنى هذا أن الشيخ مصطفى عبد الرزاق لم يكن – كما ذهب إلى ذلك الجابري- يعي تمام الوعي طبيعة الرؤية الاستشراقية، ودوافعها ومكوناتها. بصيغة أخرى الخلفية التي توجه عملها؟ أم أن الالتزام بالموضوعية العلمية،

¹Pecavet. Esquissed'une Histoire générale et comparée des philosophes Médiévaux. Paris. 1905

نقلاً عن: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مرجع سابق، ص 26

²التراث والحداثة، مرجع سابق، ص 65.

³التراث والحداثة، مرجع سابق، ص 65.

⁴عبد الرزاق مصطفى (1944) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص 27.

وبالتالي خصلة الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، دفعته للاعتراف بصنيع هؤلاء؟ لنترك المسألة جانبا دون الدخول في التفاصيل لأن هذا الموضوع لا يدخل بشكل مباشر في صلب بحثنا، لذا لنتركه لعمل مستقل لاحقا. ولنركز على المبررات التي ساقها الجابري لدعم اتهاماته للشيخ. من هنا يعتبر صاحب تكوين العقل العربي أن كل ما قام به الشيخ مصطفى لا يعدو كونه مجرد استنساخ وليس تقديم بديل¹. كيف ذلك؟

إن ما يشد من عضد هذا الادعاء هو اعتماده على المنهج نفسه الذي وظفه مؤرخ الفلسفة إميل برهيه، الذي يتأسس على خاصية الوحدة والاطراد. هذا الاستدعاء والتوظيف لم يكن عن - بحسب الجابري- خاصة وأن مفهوم الاستشراق بمعناه المتداول في الفكر المعاصر اليوم، لم يكن حاضرا في ذهن الشيخ.. لذا ما حركه في حقيقة الأمر هو محاولة رد الاعتبار وذلك بإضفاء صبغة الأصالة والعراقة والتفرد على الفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى، فهو بقدر ما حاول إضفاء نوع من الوحدة والاطراد على المجالات المعرفية الإسلامية (ممثلة بأصول الفقه، علم الكلام، الفلسفة والتصوف). إلا أن عيب هذه المحاولة، كونها لم توضح بشكل مفهوم الارتباط والوحدة التي تجمعها. بل بقيت على شكل جزر معزولة لا رابط بينها لا على المستوى الأفقي البنيوي ولا على المستوى العمودي التاريخي. وبالتالي فلا وحدة ولا اطراد². إذا كان هذا هو حال المحاولة الأولى التي بذلها الشيخ مصطفى عبد الرزاق. فلننتقل الآن، إلى البحث في قراءة ثانية لتراثنا الفلسفي مستتبعين ذلك بأهم الردود التي رد بها الجابري على هذه القراءة. لنتابع..

2- قراءة إبراهيم مذكور:

بدوره سعى إبراهيم مذكور من خلال مؤلفه " في الفلسفة الإسلامية". الرد على منكري الأصالة والجدّة في الفلسفة الإسلامية، من جانب المستشرقين المتحاملين الذين لم تكن معرفتهم واطلاعهم على مجالات الثقافة العربية الإسلامية إلا اطلعا محدودا. خاصة قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي. إلا أن هذا الحكم لا ينسحب على مستشركي المرحلة الثانية (أي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين) لأن هؤلاء، أصبحت لهم دراية كافية بترائنا، بل إن فضلهم لا ينكره إلا جاحد أو معاند. فهم من نفص الغبار عن جزء أساسي من هذا الإرث الفلسفي

¹ التراث والحداثة، مرجع سابق، ص68.

² المرجع السابق، ص69.

خاصة "ولو لم يُقيض الله لفلاسفة الإسلام جماعة من المستشرقين وقفوا عليهم ببعض بحوثهم ودراساتهم، لأصبحنا اليوم، ونحن لا نعلم من أمرهم شيئاً يذكر"¹.

يتضح جلياً أن مذكور بدوره تعامل مع منتجات الظاهرة الاستشرافية بوجهين؛ فهو يبخر إنجاز الفئة الأولى (أي النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي) مقابل الإعلاء من شأن الفئة الثانية (النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع العشرين) نظير مساهمتها البناءة في التعريف بالمنتوج الفلسفي الإسلامي.

في قراءته هذه توسل الباحث "المنهج التاريخي" الذي يصعد بنا إلى الأصول الأولى، وينمي معلوماتنا ويزيد من ثروتنا العلمية، وبواسطته يمكن استعادة الماضي، وتكوين أجزاءه البالية، وعرض صورة منه تطابق الواقع ما أمكن². بالإضافة لهذا المنهج وظف مذكور المنهج المقارن الذي يسمح بمقابلة الأشخاص والآراء وجهاً لوجه، والعمل على كشف ما بينها من شبه أو علاقة³.

وهنا نسائل مذكور، ما الغاية من وراء هذا التوظيف؟ وهل بهذه الكيفية سيقدم خدمة لنفض الغبار عن الفلسفة الإسلامية؟ يجيبنا قائلاً: " فنحن بحاجة إلى متابعة السير وإتمام كشف تلك الحلقة المفقودة من تاريخ الفكر الإنساني، وبذل الجهد في وضعها في مكانها الطبيعي"⁴. وبالتالي العمل بشكل متواصل من أجل تعزيز وإتمام العمل الذي دشنته المستشرقون " فواجبنا أن نقف إلى جانبهم إن لم نتقدمهم"⁵.

إنه بهذه الدعوة يتماهى مع دعوة الشيخ مصطفى عبد الرزاق، في ضرورة البحث عن الحلقة المفقودة ليكتمل عقد الفلسفة، فلا بد في نظره، أن نربط الفلسفة الإسلامية بالفلسفات القديمة والمتوسطة والحديثة، لكي تبرز في مكانها اللائق، وتكتمل مراحل تاريخ الفكر الإنساني، الذي شاركت في بنائه مختلف الحضارات الإنسانية.

إن ما تُؤاخذ به هذه القراءات – حسب الجابري- هو عدم اشتغالها على توجيه سهام النقد لكل المفاهيم والتصورات التي أبعدت الفلسفة الإسلامية عن المكانة التي يجب أن تتبوأها داخل المنظومة

¹ مذكور إبراهيم، (1947)، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار إحياء الكتب العربية. ص 26.

² المرجع السابق، ص 4.

³ المرجع السابق، ص 5.

⁴ المرجع السابق، ص 27.

⁵ المرجع السابق، ص 27.

الفكرية العالمية. ويأتي في صدارة هذه المفاهيم، التي يجب أن تكون موضع نقد؛ مفهوم "الفكر الإنساني" الذي يحصر الإنسانية، وفكرها فقط في الفكر الأوربي منظورا إليه كفكر عالمي، أي إنه فكر إنسانية جمعاء.. وبالتالي فوضع الفلسفة الإسلامية في مكانها اللائق في تاريخ الفكر الإنساني، بهذا المفهوم، يعني جعلها ترمم وتكمل تاريخ الفكر الأوربي¹.

من خلال هاتين القراءتين (قراءة الشيخ مصطفى عبد الرزاق وإبراهيم مدكور) يمكن استخلاص ما يلي:

عوض خدمة الفلسفة الإسلامية - كما كانت نيتها- خدما الرؤية الإستشراقية، أي عوض نقد الاستشراق كروية ومنهج، اكتفيا فقط بمحاولة نفي التهم الموجهة للفلسفة الإسلامية، بكونها تقليد واجترار.. وبالتالي ابتداع وليس إبداع. قد يُفسر هذا المعطى بكون قراءتهما تقوم على الفهم من خارج لهذا التراث. مما جعلهما - بكيفية أو بأخرى- في وضعية التبعية للغرب المتفوق، الذي يسعى لترسيخ فكرة واحدة هي: المركزية الأوربية، وما عداها مجرد روافد أو هوامش لا أقل ولا أكثر.

خلاصة مجمل القراءات التي تصدت للتراث العربي الإسلامي:

من خلال ما سبق، وفي محاولة للخروج بنتيجة عامة لهذه القراءات. يمكن التأكيد على ما يلي:

كل هذه القراءات - في نظر الجابري- سلفية بمعنى من المعاني، رغم أن البعض منها ينفي نفيًا قاطعا أن يكون سلفيا في تفكيره. الشاهد على هذا الحكم؛ أنها على مستوى الفعل العقلي تنطلق من أساس واحد، فهي مؤسسة على طريقة واحدة في التفكير. الطريقة التي سماها الباحثون العرب القدامى " قياس الغائب على الشاهد" مما جعلها تقع في آفتين هما:

- أولا: غياب الموضوعية.
- ثانيا: غياب الرؤية التاريخية (لتحل محلها اللاتاريخية).

¹ التراث والحادثة، مرجع سابق، ص72.

2- القراءة الأيستمولوجية للتراث العربي الإسلامي:

إن النتيجة المترتبة القراءات السابقة، هي وقوعها في نوع من الاستلاب، الذي يرجع أساسا إلى التوقع أو الانغلاق داخل حقل معرفي معين¹.. أي أن كل هذه القراءات لم "تتقيد بالنظرة العلمية الموضوعية للأشياء"². وبالتالي كل ما أنجز لم يكن في مستوى حجم الانتظارات والأمال المعقودة على هؤلاء. لذا فإن "تاريخنا الثقافي، إذن، في حاجة إلى إعادة كتابة، لا، بل إلى قراءة جديدة تنظر إلى الأجزاء من خلال الكل وتعمل على إبراز الوحدة من خلال التعدد وتعتمد في التصنيف البنوية الداخلية وليس المظاهر الخارجية وحدها"³.

من خلال هذه الفقرة تتضح جليا الخطوات العملية التي يقترحها الجابري، من أجل قراءة جديدة ومتجددة لتاريخنا الثقافي. وهي التي ستكون موضع الإسهام الذي أسهم به الجابري من خلال مشروعه "نقد العقل العربي".

أمام هذا الوضع الذي اتسم بوجود آفات متعددة، عانت منها القراءات السابقة في مقاربتها للتراث العربي الإسلامي. والتي لخصناها في آفتين هما: غياب كل من الموضوعية والنظرة التاريخية. يقترح الجابري القيام بقراءة جديدة لتراثنا العربي الإسلامي، تتأسس على أسس ثلاثة:

- **المعالجة البنيوية:** ويقصد بها؛ الانطلاق في دراسة التراث من النصوص كما هي معطاة لنا⁴. ولتحقيق هذا المبتغى يجب تجاوز جميع أنواع الفهم السابقة، والاقتصار فقط على ما دُون من نصوص. مما يسمح لنا بقراءة الألفاظ قبل قراءة المعنى. وأية ذلك تتجلى في استخلاص معنى النص من ذات النص - وليس من خارجه- أي من خلال العلاقات القائمة بين أجزائه⁵.

- **التحليل التاريخي:** ويتعلق الأمر أساسا، بربط فكر صاحب النص الذي أعيد تنظيمه أثناء المعالجة البنيوية، بمجاله التاريخي (كي لا نسقط في النظرة اللاتاريخية لتراثنا، كما سقطت فيها القراءات

¹ التراث والحدائثة، مرجع سابق، ص36

² تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص333.

³ تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص333.

⁴ التراث والحدائثة، مرجع سابق، ص32.

⁵ التراث والحدائثة، مرجع سابق، ص32.

السابقة) بكل أبعاده الثقافية والسياسية والاجتماعية¹. لماذا إذن هذا الربط؟ بماذا يمكن أن يفيدنا في مواربتنا لثرائنا؟ إن هذا الربط -على ما يبدو- ضروري من ناحيتين:

- الناحية الأولى: تفهم تاريخية الفكر المدروس وجينالوجيته.
- الناحية الثانية: كونه يشكل ضرورة لا غنى عنها، لاختبار صحة النموذج البنيوي الذي قدمته المعالجة السابقة. يضيف الجابري قائلاً: " ولا ينبغي أن يفهم هنا أننا نبحث عن الصدق المنطقي، فهذا تتكفل به المعالجة البنيوية. بل المقصود هو الإمكان التاريخي، الإمكان الذي يجعلنا نتعرف على ما يمكن أن يقوله النص وما لا يمكن أن يقوله، وما كان يمكن أن يقوله لكنه سكت عنه².

- **الطرح الأيديولوجي:** غايته الكشف عن الوظيفة الأيديولوجية (أي الاجتماعية والسياسية) التي أداها الفكر المعني، أو على الأقل كان يسعى لأدائها داخل الحقل المعرفي العام الذي ينتمي إليه. ما وظيفة هذا الكشف؟ إن هذا الكشف للنص التراثي عن مضمونه الأيديولوجي يعتبر الوسيلة الوحيدة لجعله معاصراً لنفسه بإعادة التاريخية إليه³.

بهذه الخطوات الثلاث (المعالجة البنيوية/ التحليل التاريخي/ الطرح الأيديولوجي) تصبح قراءة الجابري للتراث قراءة معاصرة بمعنيين:

فمن جهة، تحرص هذه القراءة على جعل المقروء معاصراً لنفسه، على صعيد الإشكالية والمحتوى المعرفي والمضمون الأيديولوجي⁴.

ومن جهة أخرى تحاول هذه القراءة، جعل المقروء معاصراً لنا، ولكن فقط على صعيد الفهم والمعقولة⁵.

¹ التراث والحدائثة، مرجع سابق، ص32.

² التراث والحدائثة، مرجع سابق، ص32.

³ التراث والحدائثة، مرجع سابق، ص32.

⁴ الجابري محمد عابد، (1985)، **نحن والتراث**، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان. الناشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة 1985. ص 11.

⁵ نحن والتراث، مرجع سابق، ص12.

إذن، فقراءته تعتمد على الوصل والفصل كخطوتين منهجيتين رئيسيتين؛ فجعل المقروء معاصرا لنفسه معناه فصله عنا.. وجعله معاصرا لنا، معناه وصله بنا. فهل يفهم من هذا أن الجابري يدعو لإحداث قطيعة مع تراثنا؟

بالفعل هذا ما يعتبره الجابري ضروريا لتجديد العقل العربي؟ لكن عن أية قطيعة يتحدث؟ هل مثل قطيعة العروي أو أركون؟

إن القطيعة* التي ينادي بها، هي القطيعة الأيستمولوجية التامة مع بنية العقل العربي في عصر الانحطاط وامتداداته إلى الفكر العربي الحديث والمعاصر¹.. وبالتالي التحرر من رواسب "القياس" الفقهي الكلامي في صورته الآلية اللاعلمية، التي تتأسس على ربط جزء بجزء ربطا آليا. فهذه الآلية "القياس" لا تعمل إلا على تفكيك الكل وفصل أجزائه، عن إطارها الزماني والمعرفي والأيديولوجي. ما هي النتيجة التي تترتب عن هذا التوظيف؟ إنها بكل بساطة، بعدما تعمل على فصل الأجزاء عن الكل الذي تنضوي تحته، كخطوة أولى، يتم في الخطوة الثانية، نقلها إلى "كل" آخر، يمثل الحقل المعرفي الذي ينخرط فيه الموظف للقياس – بتلك الصورة التي تحدثنا عنها سابقا- لتكون النتيجة اللازمة لزوما ضروريا عن هذا النقل التعسفي، وهذا الاستعمال غير العلمي هي تداخل الذات بالموضوع الشيء الذي قد يؤدي في- في نظر الجابري- إلى آفتين:

- الآفة الأولى: تشويه الموضوع المدروس.

- الآفة الثانية: الانخراط غير الواعي للذات الدارسة.

وعندما يكون الموضوع هو التراث فإن النتيجة هي اندماج الذات فيه، مما يفقدها بالتالي الموضوعية².

من خلال ما سبق يمكن التأكيد على أن الجابري في دعوته للقطيعة مع التراث -بالكيفية التي أشرنا إليها آنفا- تعني القطيعة مع نوع من العلاقة مع التراث العربي الإسلامي، أي، القطيعة مع الصورة التي تجعل منا مجرد كائنات تراثية، لتحل محلها الصورة التي ناضل الجابري من أجل تحقيقها، المتمثلة في القراءة التي تجعل منا كائنات لها تراث، ليصبح هذا الأخير مجرد مَقوم من

*يجب التنبيه إلى الحذر من السقوط في فخ فهم مضمون القطيعة بالمعنى اللغوي. إن المعنى الذي يتبناه الجابري هو ضرورة القطع مع الفهم التراثي للتراث؛ أي التحرر من الرواسب التراثية في عملية فهمنا للتراث.

¹نحن والتراث، مرجع سابق، ص20.

²المرجع السابق، ص21.

مقومات شخصيتنا، فنصبح بالتالي متمكين لهذا التراث، عوض تملكه لنا، ولنحتويه عوض احتوائه لنا، ليسهل علينا توظيفه لخدمة الأهداف التنموية - في جميع المجالات- التي نسعى تحقيقها في الحاضر والمستقبل. بعد هذه الجولة السريعة لعلاقة الجابري المعرفية مع معاصريه ومن سبقه. والتي خلصنا فيها إلى معطين أساسيين:

فمن جهة؛ نؤكد أنه يشكل امتدادا للمشروع الذي افتتحه طه حسين من خلال إدخال آلية النقد في الفكر العربي المعاصر، والتي لم تكن مألوفة في حينها. ومن جهة ثانية؛ أبرزنا أهم القراءات التي تصدت للتراث العربي الإسلامي سواء في ثوبها الاستشراقي أو العربي، مبرزين أهم ما تميزت به كل قراءة. ثم أتبعنا ذلك بأهم المؤاخذات التي أخذها عليها الجابري. وأخيرا ختمنا بالطريقة التي يعتبرها الجابري فعالة من أجل قراءة موضوعية لتراثنا والتي تقتضي إحداث قطعة معرفية مع نوع من العلاقة مع التراث، لكي لا نتحول إلى كائنات تراثية.

من هنا يمكن التأكيد، على أن أهم مساهمة يمكن رصدها في قراءتنا لمشروع الجابري تتمثل أساسا في إدخال العلوم الإنسانية في دراسة التراث العربي الإسلامي*. كيف ذلك؟

يمكن بيان ذلك من خلال نقطتين رئيسيتين هما:

أ- الدراسة الكلية الشمولية لهذا التراث،

ب- إدخال النقد الأيستمولوجي.

أ. الدراسة الكلية الشمولية وليس الجزئية لهذا التراث:

هذا يقتضي النظر إلى التراث في كل جوانبه وتتبعه منذ نشأته (تدوينه)، هذا ما تلخصه الفقرة التالية المقتطفة من تكوين العقل العربي " فنتبعنا "تطور" الثقافة العربية ككل، منذ البداية التي

*يعتبر الباحث المغربي محمد أبلأغ، أن كتاب محمد أركون المعنون ب " الفكر العربي"، هو أول كتاب يقول بضرورة الاعتماد على مناهج العلوم الإنسانية المعاصرة في دراسة التراث العربي الإسلامي. ضدا على المنهج الفيلولوجي الذي تمسك بتوظيفه المستشرقون والقراءة الأيديولوجية التي سادت في دراسة هذا التراث. وعليه فكل ما قام به الجابري في "تكوين العقل العربي" والعروي في "مفهوم العقل" توجد أسسه الأولى في هذا الكتاب الصغير. وبالتالي فالانطلاق منه - في نظر الأستاذ أبلأغ- يتيح لنا فهما أفضل لا للمشروع الفكري لأركون، بل أيضا للجابري في كتبه المنهجية (تكوين العقل العربي، بنية العقل العربي) وكذلك الكتب التي خصصها العروي للمفاهيم (= مفهوم الأدلوجة، مفهوم الدولة، مفهوم الحرية، مفهوم التاريخ والتي توجهها بكتاب "مفهوم العقل". هذا ما يتضح جليا من خلال قول أركون في التقديم الذي كتبه للترجمة العربية: " إذ لم يزل قصدي الأول في البحث والنشر توجيه عامة المسلمين نحو الطرق المستحدثة في التفكير والاتصال بالتاريخ وتفهم ما يجري في مجتمعاتنا المعاصرة" (" الفكر العربي" ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت/ باريس، الطبعة الثالثة 1985. ص 6)

اخترناها، حريصين على النظر في كل فروع هذه الثقافة (نحو، كلام ، بلاغة، تصوف، فلسفة..).
كغرف في قصر واحد متصلة مترابطة يقود بعضها إلى بعض عبر أبواب ونوافذ..وليس كخيام
منعزلة مستقلة منصوبة في ساحة غير ذات سور ولا سياج، كما هو حال النظرة السائدة. لقد قمنا
برحلة داخل أروقة الثقافة العربية، رحلة نقدية انصرف اهتمامنا من خلالها إلى أسس هذه الأروقة
وأعمدتها وليس إلى معروضاتها¹.

إن الجابري بسلوكه هذا المسلك (أي القراءة الكلية لكل جوانب التراث) يكون قد دشّن لقراءة
غير مسبوقة؛ تمثلت أساسا في القطع بشكل نهائي مع النظرة التراثية للتراث، باعتبارها هدفا
استراتيجيا يمكننا من الدخول في العالم المعاصر. بهذه الكيفية سنتخطى الرؤية الجامدة المغلقة، التي
ترفض كل قراءة تسائل هذا التراث، ومستلهمة في الوقت ذاته للمناهج العلمية المعاصرة. إن هذه
القراءة التي يرفضها الجابري تعمل على عزل التراث العربي الإسلامي وتغلق عليه كل المنافذ التي
من خلالها يمكن أن نقرأه قراءة أكثر ملاءمة لحاضرنا ومستقبلنا. على اعتبار أن التراث العربي
الإسلامي تراث عالمي، شكل في فترة زمنية (العصر الوسيط ،على الخصوص، من القرن السابع
ميلادي إلى القرن الثالث عشر ميلادي) حضارة الإنسانية جمعاء، وليس عرق ما، أو منطقة جغرافية
محددة. حيث كانت تشمل خلال ازدهارها ثقافة عصرها على مستوى عالمي. فلم تكن محدودة ولا
مغلقة؛ كثقافة الهند أو الصين أو الفرس. بل بالعكس كانت ثقافة منفتحة قابلة لاستيعاب كل أنواع
الثقافات التي احتكت بها ومن هنا عالميتها².

هذا الاستيعاب تتضح ملامحه من خلال صعوبة - تصل حد الاستحالة- امكانية الفصل - طبعا
بطريقة علمية- في إرثنا الثقافي العربي الإسلامي، كما وصلنا اليوم، بين إسهامات كل من العرب
واليونان والفرس.. فهذا الفصل إذا ما تبناه أحدهم، سيكون فصلا تعسفيا، سواء على صعيد اللغة، أو
على صعيد الفكر.

وبالتالي يمكن التأكيد على أن عالمية هذا التراث، ناتجة عن المشاركة - بهذا القدر أو ذاك-
الفعلية لمختلف القوميات والألسن. أما خاصية الشمولية فمعناها؛ أنه تتأطر داخله مختلف مناحي
الحياة الجماعية والفردية والاجتماعية والفكرية .. إنه بتعبير الجابري تراث حضاري. وما يجسد هذه

¹تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص6.

²التراث والحدائث، مرجع سابق، ص37.

النظرة الشمولية لثرائنا أنه يحوي داخله كل المذاهب والاتجاهات" فالفكر الأشعري والمعتزلي والفكر الشيعي والفكر الصوفي والفكر الفلسفي.. كل ذلك يجب أن نتقبله كتراث من الجميع وإلى الجميع¹.

هذا يقودنا إلى التفصيل أكثر في هذه النقطة؛ أي الدراسة الكلية والشمولية وليست الجزئية لثرائنا، وذلك من خلال إبرازها في تجليات ثلاث.

• التجلي الأول: عدم الانتصار لطرف سياسي على حساب طرف آخر.

حيث سعى الجابري إلى توخي أكبر قدر ممكن من الحياد في دراسته لثرائنا. يقول: " لم يكن هدفنا، وليس في نيتنا أبدا الانتصار لطرف على آخر"². يقصد من وراء هذا التأكيد أنه سيقف موقف الحياد وسيدرس كل ما تركه هؤلاء دون تحامل أو محاباة. أي سيوجه سهام النقد الأيستمولوجي سواء للثقافة التي كانت تشرف عليها الدولة، أو التي كانت تتبناها المعارضة (سنة/ شيعية. بيان/ عرفان) مع قلب الأدوار أحيانا حيث تصبح المعارضة الشيعية في الحكم والسنة في المعارضة. لذا ينبغي أن نعتبر " الماضي ملكا للجميع"³.

نظرته الكلية أيضا تنسحب إلى النظرة إلى الإسلام باعتباره واحدا لا إسلامات بصيغة التعدد (إسلام السنة/ إسلام الشيعية/ إسلام الخوارج...) يقول: " ولا معنى كذلك لتصنيف الإسلام إلى صنفين: إسلام السنة وإسلام الشيعية، كما يفعل بعض المستشرقين. فالإسلام واحد عقيدة وشريعة وتاريخا. والتعدد في المذاهب والاتجاهات والدول والإمارات، سيفقد معناه إذا نظر إليه من خارج الوحدة، وحدة الإسلام، وحدة التراث ككل. إن التعدد نشأ داخل الوحدة لا خارجها. وكانت إشكاليته هي تحقيق وحدة أمتن وأفضل لا تفتيت الوحدة⁴. بهذا فهو يدعو بشكل واضح إلى تجنب السقوط في آفة النظرة التبسيطية التي تفصل بشكل تعسفي بين المنجز الثقافي الشعبي (أي ما يمثل المعارضة السياسية للنظام الحاكم) وبين المنجز الثقافي الرسمي (أي ما يجسد إيديولوجية الدولة الحاكمة)، لماذا؟ لأن هذه النظرة التبسيطية تجعل كل ما هو شعبي معارض ذا نفحة تقدمية، وأن كل ما هو رسمي (منجز

¹ التراث والحدائثة، مرجع سابق، ص 38.

² تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص 7.

³ تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص 7.

⁴ التراث والحدائثة، مرجع سابق، ص 39.

الدولة الحاكمة) رجعي محافظ.. يقول الجابري: " فليس صحيحا أن كل ما هو "شعبي" أو معارض في تراثنا، هو تقدمي. وليس صحيحا أن كل ما هو "رسمي" رجعي¹.

معنى هذا أن كل توجه سياسي له نصيب من أفكار وتصورات تقدمية وأخرى رجعية. منها ما هو مناهض لكل أشكال الظلم والاستبداد، ومنها ما هو داعم للاستبداد، ويعمل على تكريس التواكل والاستسلام.

• التجلي الثاني: لا يمكن فصل الثقافة عن السياسة.

يصر الجابري على فكرة الترابط، بل والتداخل الذي يصعب فك طرفيه بين السياسة من جهة والثقافة من جهة ثانية، يقول مؤكدا ذلك: " ليس من الممكن فصل الثقافة عن السياسة في التجربة الثقافية العربية"². معنى هذا أن هناك ترابطا وتلاحما، بين مختلف مكونات الثقافة العربية الإسلامية. وكل فصل بينها سيجعل " التاريخ لها عرضا لأشلاء متنافرة لا روح فيها ولا حياة"³. على اعتبار أن الثقافة - خاصة في الفضاء العربي الإسلامي- في عمقها عملية سياسية بالأساس. فلم نشهد في يوم من الأيام، توقفا لهذا التداخل، أو إن صح التعبير، هذا التدخل السافر للسياسي في الثقافي. فقد تم توظيفها (أي الثقافة) من مختلف التوجهات السياسية المتصارعة على الحكم، فهي لم تكن - بتعبير الجابري- في يوم من الأيام مستقلة ولا متعالية عن الصراعات السياسية والاجتماعية، بل لقد كانت باستمرار الساحة الرئيسية التي تجري فيها هذه الصراعات⁴.

• التجلي الثالث: تداخل وتكامل المعقول واللامعقول في ثقافتنا.

لفهم هذه النقطة ننطلق من قول الجابري: " لم يكن من الممكن كذلك ونحن نبحث في تكوين العقل العربي إهمال اللامعقول، والاهتمام بالمعقول وحده. بل لقد تتبعناهما معا في نموها وتأثيرهما المتبادل. وأكثر من ذلك وأهم، في نظرنا، لم نحاول التماس المعقولية بصورة من الصور لهذا القطاع أو ذاك من قطاعات اللامعقول في الثقافة العربية، بل لقد احترمنا في كل قطاع طبيعته وربطناه بالبنية الأم التي منها تفرع وإليها ينتمي"⁵.

¹ التراث والحداثة، مرجع سابق، ص39.

² تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص7.

³ تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص7.

⁴ تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص6.

⁵ تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص7.

من هنا كان التقسيم (على المستوى المنهجي) ثنائيا لكن بنظرة ذات أفق تكاملي. فبقدر ما سلط سهام النقد على الجانب المعقول في ثقافتنا، سواء في مجال المعقول الديني المتمثل أساسا في علوم البيان (من نحو وفقه وكلام وبلاغة..) التي يؤسسها نظام معرفي واحد يعتمد على قياس الغائب (علم الله) على الشاهد (علم البشر) كمنهاج في إنتاج المعرفة. أو في جانب المعقول العقلي المتجسد أساسا في علوم البرهان (من منطق ورياضيات وطبيعيات..) التي يؤسسها نظام معرفي واحد يقوم على خطوات المنهج العلمي الذي يجمع بين الشق التجريبي العملي والشق النظري العقلي؛ أي يقوم على الملاحظة التجريبية والاستنتاج العقلي كمنهج.

ولكي تكتمل تلك النظرة التي سماها بالكلية التكاملية، كان لا بد من الانفتاح كذلك، - وبالقدر نفسه- على الجانب اللامعقول العقلي في هذه الثقافة، الذي يجسده النظام المعرفي لعلوم العرفان(من قبيل؛ التصوف، فكر شيعي، فلسفة إسماعيلية، تفسير باطني للقرآن، فلسفة إشراقية وكيمياء..) التي يؤسسها نظام معرفي يقوم على "الكشف والوصال". وعلى التجاذب والتدافع كمنهج. فهذا اللامعقول ينسب إلى العقل - حسب الجابري- لا إلى الدين، والذي كرسته الهرمسية* كروية واستشراف.

ب. إدخال النقد الأيستمولوجي في دراسة التراث العربي الإسلامي

عن هذه الآلية يصرح الجابري قائلا: " لقد حددنا منذ اللحظة الأولى نوع النقد الذي ننوي القيام به للخطاب العربي الحديث والمعاصر: إنه النقد الأيستمولوجي لا الأيديولوجي¹. بمعنى أن ما سيُشرحه الجابري من خلال الأدوات المنهجية المستعارة من الحقول المعرفية الأخرى ليس الأيديولوجيا (باعتبارها مضامين معرفية وأفكار ناتجة عن إبداعات العقل العربي الإسلامي طيلة تاريخه). بل سيوجه سهام النقد لآليات اشتغاله اللاشعورية* على الخصوص. على اعتبار أن تاريخ

*الهرمسية نسبة إلى هرمس " المثلث بالحكمة" كما هوشائع في المؤلفات العربية، أو " المثلث بالنبوة والحكمة والملك" كما ورد في كتاب مختار الحكم فيمحاسن الكلم لأبي الوفاء المشرين فاتك أو " العظيم ثلاث مرات" كما يرد في المراجع الأجنبية ترجمة لكلمة Trismégiste الملازمة لإسمه المميزة له عن باقي الهرامسة فيقال Hermes Trismégiste. وهرمس في الأصل اسم لأحد آلهة اليونان المرموقين عندهم. وقد طابقوا بينه وبين إله مصري قديم هو الإله طوط thoth. للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع لكتاب تكوين العقل العربي من الصفحة 174 إلى 183. مرجع سابق.

¹الجابري محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر، ص 15.

*إن هذا المفهوم استعاره الجابري من بياجى الذي وظفه في ميدان السيكولوجيا التكوينية (علم النفس الطفل)، ليوظفه في ميدان الأيستمولوجيا الثقافية، وذلك بهدف تفسير البنية اللاشعورية لتكوين العقل العربي. ولضبط هذا التكوين كان لزاما الانفتاح ثم الاستيعاب للمنجز الأوربي متمثلا في فلسفة نيتشه وتاريخ الأفكار لفوكو في أفق هدم أصنام الفكر التي ترسبت في البنية اللاشعورية العربية. ومن هنا يمكن نعتة باللاشعور المعرفي الذي يعني به الجابري "

الذهنيات يسمح لنا باكتشاف ما هو مترسب، خفي، غير واع، في ثقافتنا اليوم. لهذا الغرض استدعى المنهج الأيستمولوجي الذي يعرض صفحا عن الأفكار (المحتوى) ويتجه بشكل كلي ومباشر إلى العقل**، كأداة للإنتاج النظري؛ أي البحث فيما يؤسس المعرفة داخل الثقافة العربية¹.

أما عن المنهج المستعمل في عملية النقد، فسوف يتوزع بين التحليل التكويني الذي سيطغى في الجزء الأول، المعنون بـ " تكوين العقل العربي" والتحليل البنيوي الذي سيوظف في الجزء الثاني "بنية العقل العربي". فمن خلال رصدته للأساس الأيستمولوجي لإنتاج المعرفة داخل الثقافة العربية، استطاع الجابري أن يعتمد تصنيفا جديدا يتجاوز به التصنيف القديم (علوم نقلية مقابل علوم عقلية..). وهو تصنيف لا يأخذ بعين الاعتبار سوى البنية الداخلية للمعرفة؛ أعني آلياتها ووسائلها ومفاهيمها الأساسية². وبالاعتماد على هذه الآلية استطاع الجابري تصنيف العلوم وجميع أنواع المعارف في الثقافة العربية الإسلامية إلى ثلاث مجموعات:

- المجموعة الأولى: هي علوم البيان، وتشمل: النحو، الفقه، علم الكلام، البلاغة..
- ثم المجموعة الثانية: هي علوم العرفان، وتضم: التصوف، الفكر الشيعي، الفلسفة الإسماعيلية، التفسير الباطني للقرآن، الفلسفة الإشراقية، الكيمياء، علم التنجيم...
- وأخيرا المجموعة الثالثة: هي علوم البرهان وتتكون من: المنطق، الرياضيات، الطبيعيات، الإلهيات..

جملة المفاهيم والتصورات والأنشطة الذهنية التي تحدد نظرة الإنسان العربي- أي الفرد البشري المنتمي للثقافة البشرية- إلى الكون والإنسان والمجتمع والتاريخ.. (يمكن الرجوع لكتاب تكوين العقل العربي، ص 40- 41) مرجع سابق.

**لقد استعان بالتمييز الذي يقيمه لالاند (Lalande) بين العقل المُكوّن أو الفاعل La raison constituante والعقل المُكوّن La raison constituée. فالأول يقصد به النشاط الذهني الذي يقوم به الفكر حين البحث والدراسة والذي يصوغ المفاهيم ويقرر المبادئ، أما الثاني فهو مجموع المبادئ والقواعد التي نعتمدها في استدلالنا. إن ما يقصده الجابري في استعماله " للعقل العربي" فهو العقل المُكوّن La raison constituée، أي جملة المبادئ والقواعد التي تقدمها الثقافة العربية للمنتهين إليها كأساس لاكتساب المعرفة. أو لنقل تفرضها عليهم كنظام معرفي. كما انه لم يستعمل مصطلح "فكر" لأنه هو والأيديولوجيا اسمان لمسمى واحد. (يمكن الرجوع لتكوين العقل العربي ص 15، 16، 17).

¹تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص 333.

²تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص 333.

الخاتمة:

من خلال ما تم عرضه، نصل إلى ما يلي:

إذا كان الاشتغال بالجانب الأيستمولوجي دون الأيديولوجي في مقاربة الجابري لمنتجات الثقافة العربية الإسلامية العالمية*، قد قاده، إلى إعادة تصنيف العلوم والمعارف العربية الإسلامية انطلاقاً من بنيتها الداخلية، إلى المجموعات الثلاث السالفة الذكر. فإن القيمة الثانية لهذا الرصد (الأيستمولوجي) قد قادت إلى تبيان طبيعة الحركة داخل هذه الثقافة باعتبارها حركة اعتماد واهتزاز، حركة اصطدام وتداخل، بين النظم المعرفية الثلاث، المؤسسة لها، وليست حركة "نقلة" أي؛ حركة يتم الانتقال بها من مرحلة لأخرى، ويتجاوز بفضلها اللاحق السابق، يفييه ويلغيه، بعد أن يحتفظ منه بما يقبل الحياة والتجدد¹. فهل بهذا تكون قراءة الجابري- التي ادعى أنها موضوعية وتاريخية، وبالتالي فهي قراءة أيستمولوجية- حسمت الإشكال المتعلق بالطريقة الأنسب لقراءة تراثنا؟

أعتقد أن مقاربة هذا السؤال تحتاج إلى بحث آخر، نفصل فيه مجمل الملاحظات -التي لو أخذ بها الجابري لكانت قراءته قراءة موضوعية تاريخية بالفعل- من هذه المآخذ نذكر:

- غياب العمق التاريخي في قراءة الجابري للتراث العربي الإسلامي، وأية ذلك عدم اهتمامه بالمنهج الفيلولوجي. وبالتالي سقط في فخ الانتقائية مع تغييب واضح للربط بين القرون.
- سقوطه في النظرة الاستشراقية المتحيزة التي حذر منها، وذلك عندما قارن بين الشرق والغرب، معتبراً أن العقل الغربي عقل علم وفلسفة أما عقل الشرق فهو عقل بياني.. وبذلك فهو أبعد العلم من مجال دراسته للتراث العربي الإسلامي.
- وعليه نعتقد أنه وقع في فخ القراءة الأيديولوجية – التي حاول جاهداً انتقادها-

فهل من حل عملي لتجاوز هذا النقص؟ هذا ما سيكون موضوع الجزء الثاني من هذا البحث.

*تجدر الإشارة إلى أن الجابري في اشتغاله على نقد العقل العربي سيركز اشتغاله على الثقافة العالمية، وبالتالي سيقصي الثقافة غير العالمية يقول: "ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أننا قد اخترنا بوعي التعامل مع الثقافة "العالمية" وحدها، فتركنا جانباً الثقافة الشعبية من أمثال وقصص وخرافات وأساطير – مبرراً هذا الاختيار بكون مشروعه مشروعاً نقدياً، ولأن موضوعه هو العقل- ولأن قضيتنا التي ننحاز لها هي العقلانية. (تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص 7).

¹تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص334.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أرسلان شكيب، (2014) "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ مكتبة الفنون والآداب، مؤسسة اقرأ.
- 2- أركون محمد، (1985) **الفكر العربي، الطبعة الثالثة** ترجمة عادل العوا، بيروت/ باريس، منشورات عويدات،
- 3- إرنست رينان، ابن رشد والرشدية، نقله إلى العربية عادل زعيتر ، طبع بدار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1957.
- 4- الجابري محمد عابد، **التراث والحداثة، دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت يوليو 1991.
- 5- الجابري محمد عابد، **التراث والحداثة، دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت يوليو 1991.
- 6- الجابري محمد عابد، **تكوين العقل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية عشرة، بيروت. يناير 2014.
- 7- الجابري محمد عابد، **نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي**، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان. الناشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة 1985.
- 8- دي بور، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبوريدة، الطبعة الثانية، القاهرة 1948
- 9- طه حسين، **في الأدب الجاهلي**، دار المعارف بمصر، الطبعة العاشرة، (د.ت)
- 10- طه حسين، **في الشعر الجاهلي** ، تقديم ودراسة وتحليل سامح كُرَيْم، الدار المصرية اللبنانية،
- 11- عبد الرازق مصطفى، **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1363هـ/ 1944م

- 12- عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين بيروت لبنان، الطبعة الثالثة 1993
- 13- لطفي محمد جمعة، فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب. الصادر عن دار المعارف بالقاهرة عام 1927.
- 14- محمد أبلانغ. ما قبل بيت الحكمة ببغداد، ضمن مؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الإسلامية. منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط. سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 150.
- 15- مدكور إبراهيم، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار إحياء الكتب العربية. 1367هـ/ 1947م
- 16- Maurice de Wulf; Histoire de la philosophie Médiévale; Louvain 1924.
- 17- Pecavet. Esquissed'une Histoire généraleetcomparée des philosophes Médiévales. Paris. 1905.

**قراءة تحليلية في قاعدة: عَدَمُ الْعِلْمِ لَيْسَ عِلْمًا بِالْعَدَمِ،
وتليها قاعدة: نَفْيُ الْجَنَاحِ دَلِيلُ الإِبَاحَةِ**

*Analytical reading in Rule: Lack of knowledge is not a knowledge
of nothingness, Followed by a rule: the denial of the wing proof of
legalization*

إعداد: أ. محمد أكرت: طالب باحث في سلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان،
المغرب

Prepared by: **Mohamed Akrt**: PhD student, Faculty of Letters and Human
Sciences, Tetouan, Morocco.

الملخص:

يعدّ البحث في القواعد الفقهية والأصولية من الأمور المهمة لبناء العقل الأصولي الفقهي. والبحث يتناول الحديث عن قاعدتين مهمتين؛ وهما قاعدة: (عَدَمُ الْعِلْمِ لَيْسَ عِلْمًا بِالْعَدَمِ) وهي من القواعد المنهجية التي تختص بالقواعد العقلية والمنطقية التي كثر استعمالها عند الأصوليين، وتترتب عليها آثار وفروع وتطبيقات عملية مهمة، وتليها قاعدة: (نَفْيُ الْجَنَاحِ دَلِيلُ الْإِبَاحَةِ) وهي من قواعد الحكم التكليفي.

وتهدف الدراسة للتعرف على قاعدة "عَدَمُ الْعِلْمِ لَيْسَ عِلْمًا بِالْعَدَمِ"، وكذلك قاعدة "نَفْيُ الْجَنَاحِ دَلِيلُ الْإِبَاحَةِ"، وذلك بهدف تقديم رؤية أوضح لفهم هاتين القاعدتين، حيث اتبع الباحث لكل قاعدة: 1- الصيغ الأخرى التي جاءت بها القاعدة، 2- قواعد أخرى لها علاقة بالقاعدة المدروسة، 3- شرح ألفاظ القاعدة مع إعطاء المعنى الإجمالي، 4- تقديم الأدلة التي تبين صحة القاعدة، 5- إعطاء تطبيقات مناسبة للقاعدة، 6- إن كان للقاعدة استثناءات بينتها. كما اعتمد البحث على معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية مع الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع التي أشار إليها مؤلفو المعلمة.

الكلمات المفتاحية: القواعد الفقهية والأصولية – عدم العلم – الإباحة – التطبيقات.

Abstract:

Research in jurisprudence and fundamentalist rules is one of the important matters for the development of the jurisprudential mind. The research deals with talking about two important bases; They are the rule: (lack of knowledge is not knowledge of nothingness), which is one of the methodological rules that are specific to the rational and logical rules that are widely used by the fundamentalists, and it has important practical implications, branches and applications, followed by the rule: (the negation of the wing is evidence of the permissibility of the mandate rules).

The study aims to identify the rule "lack of knowledge is not knowledge of nothingness", as well as the rule of "negating the wing is evidence of

permissibility", with the aim of providing a clearer vision to understand these two rules. It is related to the rule studied, 3- Explanation of the words of the rule with giving the overall meaning, 4- Presenting evidence that shows the validity of the rule, 5- Giving appropriate applications to the rule, 6- If the rule has clear exceptions. The research also relied on Zayed's parameter of jurisprudence and fundamentalism, with reference to some sources and references referred to by the teacher's authors.

Keywords: jurisprudence and fundamentalist rules - lack of knowledge - permissibility - applications.

المقدمة:

اجتهد العلماء في خدمة الشريعة الإسلامية وتيسير الفقه على الناس ولَمَّ شتاتة، فوضعوا قواعد لعبت دورا أساسيا في تحقيق هذا المقصد الذي تغيى نظم الفروع المتناثرة في سلك واحد.

ويتناول الموضوع دراسة القواعد الفقهية والأصولية، التي اجتهد العلماء في تحديدها وصياغتها، من خلال قاعدتين وهما: قاعدة "عَدَمُ الْعِلْمِ لَيْسَ عِلْمًا بِالْعَدَمِ"، وكذلك قاعدة "نَفْيُ الْجُنَاحِ دَلِيلُ الْإِبَاحَةِ". بدراستهما دراسة تكشف غوامضهما، وتؤصل لهما.

إن العلم بالقواعد الفقهية والأصولية، له أهمية كبرى في تكوين الملكة الفقهية لدى طلبة العلم الشرعي، وقد نبه على فضله وشرفه، غير واحد من العلماء. قال ابن رجب: "فهذه قواعد مهمة وفوائد جمة، تضبط للفقيه أصول المذهب، وتطلعه من مأخذ الفقه على ما كان عنه قد تغيب، وتنظم له منشور المسائل في سلك واحد، وتقيد له الشوارد، وتقرب عليه كل متباعد" (1).

فالقواعد تضبط الأمور والمسائل المتعددة، وتنظمها في سلك واحد ليسهل حفظ الفروع، وإدراك أسرار الشريعة ومقاصدها.

يهدف البحث إلى الكشف عن مدلول القاعدتين، وبيان تطبيقاتهما في الفروع الفقهية، ومن أجل ذلك كان المنهج المعتمد في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، من خلال شرح وبيان معنى القاعدتين، والصيغ الأخرى التي جاءت به، والكشف عن القواعد الأخرى التي لها علاقة بالقاعدة

(1) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: 795 هـ)، تقرير القواعد وتحرير الفوائد، ط1، دار ابن عفان للنشر والتوزيع 1419هـ، الجزء الأول، ص4.

المدروسة، ثم تحليل القاعدتين بتقديم الأدلة التي تبين صحتها والتطبيقات المناسبة لهما، وتبين الاستثناءات الواردة عليهما.

تتجلى مشكلة البحث في تحديد مدى خدمة القواعد الفقهية والأصولية للفقه الإسلامي، وكيف ساهمت هذه القواعد في معالجة مستجدات الناس؟

جاء هذا البحث لدراسة وتحليل قاعدتين من القواعد الفقهية المهمة وهما، قاعدة: عدم العلم ليس علماً بالعدم، وقاعدة: نفي الجناح دليل الإباحة. وبديهي أن نتساءل عن:

- تعريف القاعدتين وشرح مصطلحاتهما وفك غوامضهما؟

- هل من أدلة تثبت صحة القاعدتين؟

- هل القاعدتين عامتين في كل جزئياتهما؟ أم لهما استثناءات؟

- ماهي تطبيقات القاعدتين؟

المبحث الأول: قاعدة عَدَمُ الْعِلْمِ لَيْسَ عِلْمًا بِالْعَدَمِ

1- نص القاعدة: عَدَمُ الْعِلْمِ لَيْسَ عِلْمًا بِالْعَدَمِ

تعدّ هذه القاعدة من القواعد المنهجية المنظمة لعلاقة الدليل بمدلوله، وعلاقة العلم بالأشياء المعلومة.

2- صيغ أخرى للقاعدة⁽¹⁾:

1- عدم العلم بالشيء لا يستلزم عدمه في نفس الأمر.

2- عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

3- عدم العلم لا يكون حجة.

(1) مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، ط1، أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية 1434 هـ، المجلد السابع والعشرون، ص253.

3- قواعد ذات علاقة⁽¹⁾:

- 1 -الدليل يستلزم المدلول ولا ينعكس. (أصل).
- 2 -عدم الدليل يستلزم عدم الحكم. (مكملة).
- 3 -عدم الوجودان بعد الاستقصاء في الطلب يدلُّ على عدم الوجود. (قيد).

4- شرح مصطلحات القاعدة:

* العَدَمُ: فقدان الشيء وذهابه، نقيض وجوده⁽²⁾.

* المعدوم: بفتح الميم وسكون العين، ما ليس موجودا⁽³⁾.

وفارق العدم الفقد؛ لأن الفقد: عدم الشيء بعد وجوده، فهو أخص من العدم؛ إذ العدم يقال فيه وفيما لا يوجد. فعلى هذا لا يقال: شريك الباري مفقود، بل يقال: معدوم⁽⁴⁾.

* العلم لغة: هو المعرفة؛ يقال: علمتُ الشيء علمًا: إذا عرفته. قال أبو بكر النفاش سمي علما؛ لأنه علامة يهتدي بها العالم إلى ما قد جهله الناس⁽⁵⁾.

-
- (1) المرجع السابق، المجلد السابع والعشرون، ص254.
 - (2) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، دت، الجزء الثاني، ص56.
 - (3) محمد رواس قلنجي - حامد صادق قنبيبي، معجم لغة الفقهاء، ط2، بيروت: دار النفاث للكتابة والنشر والتوزيع 1408هـ، ص440.
 - (4) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ط1، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين 1412هـ، ص 408-409.
 - (5) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، دار الكتبي1414هـ، المجلد الأول، ص76.

واصطلاحا عرف بتعريفات كثيرة، منها: حكم الذهن الجازم المطابق لموجب. ومنها:
الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، إذ هو صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض (1).

5- المعنى الإجمالي للقاعدة:

تقرر القاعدة أن عدم العلم بالشيء وبالذليل والجهل بهما، ليس علما بعدم وجود ذلك الشيء
أو المدلول في ذاتهما، فقد يكون الشيء موجوداً ولا تعلم دليل وجوده، وقد يكون له أكثر من دليل
وحجة مع عدم العلم بها. وعدم العلم بدليل الإثبات ليس دليلاً على نفي الوجود، بل هو دليل على
الجهل بدليل الإثبات، وما يجهله الشخص قد يعلمه غيره بدليله وبرهانه، فعدم العلم بالشيء ليس
حجة ولا دليلاً على انتفائه وعدم وجوده.

فما لم يعلم وجوده بدليل معين، قد يكون معلوماً بأدلة أخرى، فمثلاً: عدم الدليل العقلي على
وجود أمر ما، لا يعني عدم وجوده، لأنه قد يكون ثابتاً بالدليل السمعي، أو غيره .

والدليل يجب فيه الطرد لا العكس، بمعنى أنه يلزم من وجوده الوجود، ولا يلزم من عدمه
العدم. وذلك لأن الأصل في الإنسان الجهل، والعلم طارئ عليه؛ قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)
[النحل:78]. فإذا كان هذا شأن الإنسان، فلا يكون جهله أبداً سبباً للعلم.

قال ابن تيمية: "النفي بلا دليل قول بلا علم، وعدم العلم ليس علماً بالعدم، وعدم الدليل عندنا
لا يوجب انتفاء المطلوب الذي يطلب العلم به والدليل عليه، وهذا من أظهر البديهيّات" (2).

(1) زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري
(المتوفى: 1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، القاهرة: عالم الكتب 1410هـ، ص246.
(2) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني
الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الفتاوى الكبرى، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية 1408هـ، المجلد السادس،
ص533.

6- أدلة القاعدة :

1- قال تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) [يونس:

39].

فهذا نعي على كل من كذب بما قصر عنه علمه. فمن نفى كثيراً من الغيبات كالصفات،
والقدر، والملائكة، والجن، وأحوال البرزخ، والمعاد، لعدم قيام دليل الحس والمشاهدة، أو دليل
العقل - كما يزعم - كان غلطاً، لأنه أخبر عن نفسه، ولا يمنع أن يكون غيره قد قام عنده دليل
العقل، أو دليل السمع، أو دليل المشاهدة كما وقع ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم في مشاهدة
الجن، والملائكة، وأحوال البرزخ، والمعاد.

2- أن العدم لا يَصِحُّ أن يَكُونَ دليلاً؛ إذ الدليل لا بد له أن يتعلق بالمدلول، والعدم لا
يتعلق بشيء على أية حال.

3- أن الحكم الشرعي لا يثبت إلا بدليل ومن شرط هذا الدليل: أن يكون دليلاً وجودياً
مثبتاً للحكم؛ إذ العدم لا يثبت وصفاً وجودياً، بل غاية ما يثبت العدم هو البراءة الأصلية؛ فلم يكن
عدم العلم كافياً في إثبات العلم بالدليل الوجودي.

7- تطبيقات القاعدة :

1- رد الفخر الرازي على النصارى دعواهم إلهية عيسى عليه السلام لظهور الخوارق
على يديه، بأن عدم ظهور هذه الخوارق في حق غيره لا يلزم منه عدم إلهية ذلك الغير، بل غاية ما
هناك أنه لم يوجد هذا الدليل المعين، وعليه، فيجوز - كما هو لازم قولهم - حلول الله تعالى في كل
مخلوق من مخلوقاته، إذ لا دليل على اختصاص عيسى عليه السلام بذلك، لأنه لا يلزم من عدم
الدليل عدم المدلول، وهذا باطل لأنه يؤدي إلى القول بتجويز حلول ذات الله تعالى في بدن الكلب
والذباب لفي غاية الخسة والردالة ومحض الكفر والضلالة (1).

(1) فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر (المتوفى: 606هـ)، مناظرة في الرد على النصارى، تحقيق: عبد
المجيد النجار، د. ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1986م، ص 27.

2- الإجماع السكوتي ظني، والاحتجاج به ظاهر لا قطعي، وإنما كان هذا النوع من الإجماع كذلك لاعتماده على نفي العلم باعتراض الساكت، ونفي العلم لا يفيد نفي المعلوم؛ ولذلك اشتهر عن الإمام الشافعي قوله: "ولا ينسب إلى ساكت قول قائل ولا عمل عامل" (1).

3- الجرح المفسر من الجرح مقدم على التعديل المفسر من المعدل؛ لأن الجرح المفسر مبني على دليل وجودي يثبت حصول الجرح في المجروح، بخلاف التعديل؛ فإنه معتمد على عدم علم المعدل بوجود جرح في الراوي المعدل، وعدم العلم ليس علما بالعدم.

4- الشهادة على النفي لا تقبل، وإنما أهدرت الشهادة على النفي؛ لأنها مبنية على عدم علم الشاهد بارتكاب المشهود عليه ما يدان به، وعدم العلم لا يكون علما بالعدم.

5- استدلال القائلون بعدم جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة إلى العمل به، بأنه لو كان جائزا لعرف بدليله، وهو منتف؛ فأجيب عليهم من الجمهور القائلين بجواز تأخير البيان إلى وقت العمل بأن؛ عدم العلم بدليل الجواز لا يثبت الإحالة والمنع؛ فعدم الدليل ليس دليلا على عدم، وخصوصا مع قيام الأدلة الكثيرة على الجواز.

فمثلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين قوله: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة" وقوله: "لا توارث بين ملتين مختلفتين" وقوله: "القاتل لا يرث" و "الرقيق لا يرث ولا يورث"، عند نزول قوله: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) [النساء: 11] (2).

1- استثناءات القاعدة :

ينبغي أن يعلم أن هذه القاعدة ليست مطردة على حد قول أهل العلم: "من القواعد عدم اطراد القواعد"، وعدم الانتباه إلى ذلك أدى بالبعض إلى الفهم الخاطئ للقاعدة، ووضعها في بعض الحالات التي لم تُقرّر القاعدة من أجلها كالقول بمشروعية بعض العبادات استنادا إلى عمومات النصوص الشرعية في ذلك مع أن تلك العبادة بعينها لم يجر عليها عمل السلف الصالح، والدواعي متوفرة على

(1) الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت 204هـ)، الأم، د.ط، بيروت: دار المعرفة 1410هـ، المجلد الأول، ص178.

(2) صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (715 هـ)، نهاية الوصول في دراية الأصول، تحقيق: صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح، أصل الكتاب: رسالتنا دكتوراه بجامعة الإمام بالرياض، ط1، مكة المكرمة: المكتبة التجارية 1416 هـ، المجلد الخامس، ص1914.

نقلها لو كانت حاصلة واقعة، فإذا أتى من ينص على بدعية صفة تلك العبادة -مثلا- استنادا إلى أنها
لم تنقل يرد عليك من يرد بقوله: "عدم العلم بالدليل ليس علما بالعدم!"

وعليه فالقاعدة صحيحة، لكن يستثنى منها:

1- ما إذا توفرت الدواعي على نقل شيء ما ولم ينقل، فالأمر يكون على خلاف القاعدة
لأن عدم اللازم.

دليل على عدم الملزوم، مثاله قد ثبت توافر الدواعي على نقل كتاب الله تعالى ودينه، فإنه لا
يجوز على الأمة كتمان ما يحتاج الناس إلى نقله، فلما لم ينقل ما يحتاجون إليه في أمر دينهم نقلًا
عامًا، علمنا يقينًا عدم ذلك، نحو سورة زائدة، أو صلاة سادسة ونحو ذلك (1).

2- الأمور العقلية فإن عدم العلم فيها قد يكون دليلًا صالحًا وحجة على نفي غير المعلوم.
وذلك في مجال البحث العقلي، فإن كثيرا من المتكلمين كثيرا ما يقولون: مالا دليل عليه يجب
نفيه.

لأننا لو لم ننف مالا دليل عليه، لجاز وجود جبال شامخة بحضرتنا وبحر من زئبق وأنهار من
لبن لا نراها مما لا دليل على ثبوته، وعدم وجود ما سبق معلوم بالضرورة. فوجب نفي مالا دليل
عليه (2).

(1) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني
الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، د. ط، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد 1403 هـ، ص 53.

(2) أحمد بن عبد اللطيف بن عبد الله آل عبد اللطيف، منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة، ط1، الرياض: مركز
الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية 1993م، ص 195.

المبحث الثاني: قاعدة نفي الجناح دليل الإباحة

1- نص القاعدة: نفي الجناح دليل الإباحة

هذه القاعدة تندرج تحت قواعد الحكم التكليفي:

2- صيغ أخرى للقاعدة:

- 1- لفظ لا جناح للإباحة.
- 2- قول لا جناح إنما يراد للإباحة لا للوجوب.
- 3- لا جناح عليك ألا تفعل إباحة لترك الفعل.
- 4- لا جناح عليك أن تفعل إباحة للفعل.
- 5- نفي الجناح من صيغ المباح⁽¹⁾.

3- قواعد ذات علاقة:

- 1- ما خير الشارع المكلف بين فعله وتركه بلا بدل من غير مدح ولا ذم فهو مباح. (أصل).
- 2- لامتان دليل الإباحة. (قسيم).
- 3- المباح بالجزء يكون مطلوبًا بالكل أو منهيًا عنه بالكل⁽²⁾. (مكملة).

1- شرح مصطلحات القاعدة:

* لا جناح: (أي لا إثم ولا ضيق ولا حرج) وأصل الجناح الميل، ومنه الجوانح أي الضلوع، سميت جوانح لميلها واعوجاجها⁽³⁾.

(1) معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، المجلد السابع والعشرون، ص493.

(2) المرجع السابق، المجلد السابع والعشرون، ص494.

(3) إسماعيل بن عباد الصاحب أبو القاسم (المتوفى: 385هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط1، بغداد: مطبعة المعارف 1395هـ، المجلد الأول، ص181.

*الإباحة لغة: أصلها من باح، يقال باح بسرره يباح بوحاً إذا أظهره (1). وعند الأصوليين:

تخيير المكلف بين الفعل والترك من غير بدل (2).

2- المعنى الإجمالي للقاعدة (3):

إذا ورد النص الشرعي بصيغة (نفي الجناح) عن الفعل، كان ذلك دليلاً على إباحته، أي
تخيير المكلف بين فعله وتركه، من غير ترتب ثواب ولا عقاب.

وهذه الصيغة من الصيغ والألفاظ الصريحة في الدلالة على الإباحة. ومثالها قوله تعالى: (لَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى
الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُفْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) [البقرة: 236].

ومن الصيغ الصريحة في الدلالة على الإباحة - كذلك - نفي الإثم؛ كقوله تعالى: (وَأذْكُرُوا
اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ
اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [البقرة: 203].

ونفي الحرج؛ كقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا
عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُنَّ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا) [النور: 61].

(1) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج
العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، د. ط، الكويت: دار الهداية، د. ت، المجلد السادس،
ص323.

(2) أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: 631هـ)، الإحكام في أصول
الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، د. ط، بيروت: المكتب الإسلامي، د. ت، المجلد الأول، ص123.

(3) معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، المجلد السابع والعشرون، ص495. بتصرف في الآيات.

ونفي السبيل؛ كقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: 91].

ونفي المؤاخضة؛ كقوله تعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) [المائدة: 89].

واستنكار التحريم؛ كقوله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِّصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [الأعراف: 32].

ومنها كذلك أن يُصْرِحَ بِالْحَلِّ؛ كقوله تعالى: (أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ) [البقرة: 187].

والاستثناء من التحريم؛ كقوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) [الأنعام: 119].

وقد خرج من هذه القاعدة نفي الجناح في قوله تعالى: (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) [البقرة: 158]. فنفي الجناح في الآية لا يستلزم التخيير بين الفعل والترك؛ لأن الطواف بالبيت علم وجوبه بأدلة أخرى.

3- أدلة القاعدة:

دليل هذه القاعدة استقراء المواطن التي ورد فيها (نفي الجناح) في النصوص الشرعية لا سيما في القرآن الكريم؛ وشواهد هذا الاستقراء تظهر في النصوص الجزئية - وقد ذكر بعضها في تطبيقات القاعدة- التي استنبط العلماء منها حكم الإباحة للفعل الذي نُفي الحرج عن فاعله.

4- تطبيقات القاعدة:

1- يباح التعريض بالخطبة للمعتدة؛ لقوله تعالى: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ) [البقرة: 235]. قال الإمام الطبري: "ولا

جناح عليكم أيها الرجال فيما عرضتم به من خطبة النساء للنساء المعتدات من وفاة أزواجهن في عددهن، والحال أنكم لم تصرحوا بعقد النكاح" (1).

2- قوله تعالى: **(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ)** [البقرة: 198]؛ فقد نفى الله تعالى الجناح والإثم عن الذين كانوا يتحرّجون من البيع والشراء في مواسم الحج، فأباح لهم ما كانوا يظنون حرّمته. ولو لم تكن صيغة نفي الجناح تفيد الإباحة لما أفادت الآية المعنى الذي أتت من أجله(2).

3- قوله صلى الله عليه وسلم: **"خمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والإحرام؛ الفأرة والعقرب، والغراب، والحدأة، والكلب العقور"** (3).

فَنَفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُنَاحَ عَنْ قَتْلِ هَذِهِ الْخَمْسَةِ لِلْمَحْرَمِ فَدَلَّ عَلَى إِبَاحَةِ قَتْلِهَا لَهُ.

4- استنبط بعض العلماء من قوله تعالى: **(وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ)** [البقرة: 233]. إباحة اتخاذ المرضعات غير الوالدات(4).

5- استنبط بعض العلماء من قوله تعالى: **(فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)** [البقرة: 233]. إباحة فطام الرضيع قبل تمام الحولين إذا كان

(1) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة 1420 هـ، المجلد الخامس، ص95.
(2) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع 1420 هـ، المجلد الأول، ص594.
(3) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي. د. ت، كتاب الحج. بَابُ مَا يَنْدُبُ لِلْمَحْرَمِ وَغَيْرِهِ قَتْلُهُ مِنَ الدَّوَابِّ فِي الْجِلِّ وَالْحَرَمِ. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
(4) جامع البيان في تأويل أي القرآن للطبري. المجلد الخامس، ص71.

ذلك عن تراض وتشاور من الزوجين. وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ جُرَيْجٍ وَالثَّوْرِيِّ، وَرَوَايَةُ الْوَالِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا⁽¹⁾.

6- ذهب الشافعية إلى تخيير المكلف بين القصر والإتمام في السفر؛ ومما استدلوا به نفي الجناح في قوله تعالى: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ) [النساء: 101]⁽²⁾.

7- استتبط بعض العلماء من نفي الجناح في قوله تعالى: (وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا) [النساء: 128]. إباحة تنازل المرأة لزوجها عن بعض حقها استدامة للعشرة بينهما⁽³⁾.

الخاتمة:

تناول البحث قاعدتين من القواعد التي سطرها العلماء في الجانب المنهجي والفقهية. حيث أبرز الجهود المبذولة في صياغة قواعد جامعة تضبط الأمور المتعددة في نظم واحد للتأكيد على الروابط بين الجزئيات المتفرقة، من خلال بيان معنى القاعدتين، وتحديد القواعد الأخرى المرتبطة بها، وبيان التطبيقات المتعلقة بهما، وذكر الأدلة التي تثبت القاعدتين، لأن هذه القواعد مستخرجة من الاستقراء التام للأدلة الشرعية.

النتائج:

خُصَّ البحث إلى جملة من النتائج، أهمها:

- الجهود التي بذلها العلماء في ضبط أمور الشريعة من خلال تقنينها بقواعد تضبط مسائلها.
- أن القواعد الفقهية والأصولية إنما يُتوصَّل إليها باستقراء نصوص الشريعة.
- مرونة الشريعة الإسلامية وقدرتها على استيعاب مستجدات الناس.

(1) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي 1420هـ، المجلد الأول، ص313.

(2) معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، المجلد 27، ص497.

(3) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط للزحيلي، ط1، دمشق: دار الفكر 1422 هـ، المجلد الأول، ص389.

- أن عملية الفتوى تخضع لضوابط منهجية وعلمية يجب استيعابها والإمام بهان قبل التصدّر للفتوى.
- أن الجهل بالشيء أو بدليله، ليس علما بعدم وجود ذلك الشيء أو المدلول.
- أن نفي الجناح عن الفعل، دليل على إباحته، والمكلف مخير بين فعله وتركه.

التوصيات:

- 1- يوصي البحث بدراسة القواعد الأصولية والفقهية، تأصيلا وتطبيقا، للوقوف على أهميتها وبيان خدمتها للأحكام الشرعية.
- 2- يوصي البحث بضرورة بذل جهود مشتركة بين المجمع الفقهي الإسلامية، لإعادة قراءة القواعد الموجودة لتخليها وصياغتها صياغة علمية دقيقة.
- 3- يوصي البحث بالإهتمام بالقواعد الفقهية والأصولية وتطوير تدريسها في الجامعات.
- 4- استغلال القواعد في بيان محاسن الشريعة لغير المسلمين، لأن الكثير من هذه القواعد مبنية على رفع الحرج والتيسير على الناس.
- 5- اطلاع غير المتخصصين في علوم الشريعة على هذه القواعد بما ييسر لهم الاطلاع على التراث العلمي الإسلامي دون الرجوع إلى المطولات الفقهية.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: 631هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، دط، بيروت: المكتب الإسلامي، د. ت.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع 1420هـ.

- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170 هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794 هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، دار الكتبي1414 هـ.
- أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510 هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي 1420 هـ.
- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395 هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ط1، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين 1412 هـ.
- أحمد بن عبد اللطيف بن عبد الله آل عبد اللطيف، منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة، ط1، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1993 م.
- إسماعيل بن عباد الصاحب أبو القاسم (المتوفى: 385 هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط1، بغداد: مطبعة المعارف 1395 هـ.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728 هـ)، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، د.ط، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد 1403 هـ.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728 هـ)، الفتاوى الكبرى، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية 1408 هـ.
- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: 795 هـ)، تقرير القواعد وتحرير الفوائد، ط1، دار ابن عفان للنشر والتوزيع 1419 هـ.
- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031 هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، القاهرة: عالم الكتب 1410 هـ.

- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت 204هـ)، الأم، د.ط، بيروت: دار المعرفة 1410هـ.
- صفى الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (715 هـ—)، نهاية الوصول في دراية الأصول، تحقيق: صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح، أصل الكتاب: رسالتا دكتوراه بجامعة الإمام بالرياض، ط1، مكة المكرمة: المكتبة التجارية 1416 هـ.
- فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر (المتوفى: 606هـ)، مناظرة في الرد على النصارى، تحقيق: عبد المجيد النجار، د. ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1986م.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة 1420 هـ.
- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ—)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، د.ط، الكويت: دار الهداية، د.ت.
- محمد رواس قلجعي - حامد صادق قنبيبي، معجم لغة الفقهاء، ط2، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع 1408هـ.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ—)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي. د. ت.
- مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، ط1، أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية 1434هـ.
- وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط للزحيلي، ط1، دمشق: دار الفكر 1422 هـ.

مقصد التيسير ورفع الحرج وتطبيقاته عند سعيد بن لب

Legal objectives of facilitation, removal of hardshi, and its applications for Said ben Loub

إعداد: حسن بودس؛ طالب باحث في سلك الدكتوراه

إشراف الدكتور/ محمد المصلح

جامعة محمد الأول، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب

Boudess Hassan

Dr. mohammed AlMosleh

Boudess85hassan@gmail.com

المخلص:

تهدف هذه الدراسة لأثبات أن الشريعة الإسلامية مبنية على السهولة واليسر والسعة، نابذة للتشديد والحرج. وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تميظ اللثام عن جهود سعيد بن لب في هذا المضمار، إذ يعتبر شخصية علمية نزيهة متعمقة في دراسة الشريعة الإسلامية، فهو وإن كان عمدته الدليل فليس يغفل في استنباطاته واختياراته مقصد التيسير ورفع الحرج، بل يجمع بين النظر في الدليل الجزئي ومراعاة القواعد الكلية، التي قامت عليها الشريعة، فقد كان ذا نظرة شمولية تجمع بين تعظيم النصوص والتزامها، مع التعمق في فهمها واستنباط مقاصدها وغاياتها ومراميها.

الكلمات المفتاحية: سعيد بن لب، التيسير، التخفيف، رفع الحرج.

Abstract :

The purpose of this study is to show that the tolerant islamic law is built on facilitation while it avoids rigorism and hardship.

Its importance stems from the fact that it sheds light on Said ibou loub efforts in this field since he is truely considered an impartail scholar who studied islamic law deeply. For though he emphasises evidence but does not neglect in his deductions and choices the islamic law legal objectives of facilitation and removal of hardship. Furthermore, he combines looking into the partial evidence and considering the global rules on which islamic law is built. He had, may the Almighty have mercy on his soul, a comprehensive perspective which brings together reverence and commitment to the scripture while deepening its undstanding and deducing the purposes and the objectives governing it.

Keywords: Said ibnou loub, facilitation, removal of hardship.

المقدمة:

لقد أجمع أهل الملة قديما وحديثا على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ما بقيت على وجه الأرض حياة؛ وما ذاك إلا لأنها نظام تشريعي متكامل، قائم بذاته، يجد فيه الناس كل ما يحتاجون إليه من أحكام وتشريعات، إما منصوصا عليها بذاتها، أو مندرجة تحت مقصد أو أكثر من المقاصد العامة التي تشمل ما لا يحصى من صور السلوك والتعامل الإنساني.

انطلاقا من هذا فإن من خصائص التشريع في الإسلام: التيسير ورفع الحرج عن المكلفين، وهذا التخفيف مبني على رعاية ضعف الإنسان، وكثرة أعبائه، وتعدد مشاغله، وضغط الحياة ومتطلباتها عليه، وشارع هذا الدين رؤوف رحيم، لا يريد بعباده عننا ولا رهقا، إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمآل في المعاش والمعاد. لذلك عني علماء المسلمين ببيان مقاصد الشريعة وغاياتها، من هنا جاء هذا البحث موسوما بـ: مقصد التيسير ورفع الحرج وتطبيقاته عند سعيد بن لب.

إشكالية البحث:

يسعى الباحث في هذا البحث إلى إثارة الجوانب المتعددة للمقصد التيسير ورفع الحرج ومدى حضوره في كتب النوازل مركزا على أبي سعيد بن لب نموذجا للتطبيق من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما مدى مراعاة مقصد التيسير ورفع الحرج في تراثنا؟ وما أثر مقصد التيسير ورفع الحرج في تكييف المستجدات والنوازل؟ وإلى أي مدى راعى سعيد بن لب مقصد التيسير ورفع الحرج وطبقه؟

منهج البحث:

طبيعة هذا البحث تقتضي أن يكون منهج دراسته مركبا بين التحليلين الاستقرائي والاستنباطي:

- أما الاستقراء فيظهر في تتبع النوازل عند سعيد بن لب وتجزئتها وتفتيتها، وبيان كيفية تفعيل مقصد التيسير ورفع الحرج عنده.
- إضافة إلى المنهج الاستنباطي أثناء الكلام عن أصوله وأسلوبه المتبع من خلال نوازله.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

- بيان أن شريعة الإسلام السمحة مبنية على السهولة واليسر والسعة، نابذة للتشديد والحرص.
- تسليط الضوء على مكانة ابن لب – رحمه الله- في هذا العلم الجليل، والإسهام في إحياء جانب من تراثه العلمي الضخم.
- الوقوف على الأدوات المنهجية التي أعملها الفقهاء في فهم واقع الناس وفي حل الملمات والمستجدات.

أسباب اختيار البحث:

لاختيار هذا البحث جملة دوافع منها:

- أولاً: ما نلاحظه من استبعاد مقصد التيسير ورفع الحرج في التعامل مع النوازل، خاصة عند بعض المعاصرين ممن يتعصبون لأرائهم فأساءوا إلى الشريعة الإسلامية؛ وإن كانوا قد قصدوا الإصلاح في أغلب الأحيان.
- ثانياً: أيضاً ما نراه من محاولات لاستغلال مقصد التيسير ورفع الحرج سبيلاً للتلاعب بالنصوص، وتكييف مختلف القضايا وفق الأهواء، بدعوى أن الشريعة قد راعت هذا المقصد.
- ثالثاً: أخيراً هناك فئة مهمتهم الغلو والتشدد في الدين، فيعسرون ما يسر الله، ويعقدون ما بسط الشرع، ويجنحون إلى القسوة في كل شيء، ويغفلون عن هذا المقصد العظيم.

الدراسات السابقة:

رغم حرص الباحث على كل ما كتب عن ابن لب وتراثه الفقهي، إلا أنني لم أقف على دراسة تناولت مقصد التيسير ورفع الحرج عنده، وإنما الذي حام حولها بحثان:

الأول: ابن لب وفتاواه: عرضاً ودراسة: وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بالجمهورية الجزائرية للباحثة بوجنان خضرة، يشتمل البحث على ثلاثة فصول: الفصل الأول مهدت فيه بترجمة لابن لب ونبذة عن الفتاوى الغرناطية، والفصل الثاني عرجت على موضوعات فتاوى ابن لب ومصادره في الإفتاء، والفصل الثالث تناولت فيه نماذج من فتاوى ابن لب في مختلف الأبواب الفقهية،

ورغم ما بذلته الباحثة في هذه الرسالة من جهد واضح يلاحظ عدم تعرضها لما يتعلق بالمقاصد عند ابن لب ولا مقصد التيسير عنده.

الثاني: فقه النوازل عند المالكية تاريخاً ومنهجاً: مصطفى الصمدي وهي دراسة مهمة كما وكيفا، حيث تناول الباحث مدرسة فقه النوازل بالأندلس، وما تميزت به، قبل أن ينتقل إلى تحليل مكونات هذه المدرسة ومسالكها في التأليف والمنهج، والمميز عند الباحث أنه استعرض منهج ابن لب في نوازله مما ذكر من أصول الإفتاء عنده: الإفتاء بالمقاصد، لكنه لم يفصل فيها جيداً، بل ذكرها في حدود صفحتين، أما مقصد التيسير ورفع الحرج لم يشير إليه.

المبحث الأول: ترجمة سعيد بن لب وأصوله في الإفتاء.

المطلب الأول: نسب سعيد بن لب ونشأته

هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الغرناطي الثعلبي⁽¹⁾، وهذه النسبة جاءت في كتب التراجم بالمثلثة الفوقية فالعين المهملة تارة، وبالمثناة الفوقية فالعين المعجمة تارة أخرى، وليس ثمة ما يرجح احداهما على الأخرى⁽²⁾.

بغرناطة نشأ ابن لب وترعرع، فقد تكلم مترجموه⁽³⁾ كلهم على أن شيوخه من غرناطة وحتى تلاميذه، ونشاطه كله كان بغرناطة، ولم يتحدثوا عن أي مكان آخر أقام به أو سافر إليه، وهذا ما يفيدنا أن ابن لب كانت كل حياته بغرناطة إلى أن توفي بها.

ولا يعرف عن أسرته شيئاً ذا بال، غير أن تلميذه السراج وصف أباه بقوله: «شيخنا الفقيه الخطيب الأستاذ المقرئ العالم العلم الصدر الأوحى الشهير ابن الشيخ الأجل الفاضل. المرحوم أبي محمد قاسم ومنهم من يفهم أن قاسما والد أبي سعيد كان ذا مشاركة في العلم، ولعل ابنه أفاد منه شيئاً»⁽⁴⁾.

(1) خير الدين الزركلي، الإعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، دار العلم بيروت. ج 5 ص 140. تقريب الأمل ج 1 ص 17.

(2) محمد بن الحسن الحجوي الثعلبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، خرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، المكتبة العلمية المدينة المنورة الطبعة 1397 هـ / 1997 م. ص 275.

(3) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، 1399 هـ / 1987 م، ج 2 ص 243.

(4) لسان الدين الخطيب، الإحاطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الحانجي بالقاهرة الطبعة الأولى 1977 ج 4 ص 253.

المطلب الثاني: ثناء العلماء عليه

ذاع صيت ابن لب بين طلبته وكثير من معاصريه الذين كانوا يعتبرونه شيخ الشيوخ وأستاذ الأستاذيين ومفتي الجماعة وعمدة فقهاء غرناطة وإمام الأندلس ومرد ذلك في عصره ما اشتهر عنه أنه كان عارفا بالعربية واللغة، مبرزاً في التفسير، قائماً على القراءات مشاركا في الأصليين والفرائض والأدب⁽¹⁾.

حتى كتب التراجم التي ترجمت لابن لب أبرزت مكانته العلمية، ونوهت بقدره وشأنه وكيف أنه كان معظماً عند الخاصة والعامة.

هذا التنبكتي يقول عنه: «هو من أكابر متأخري علماء المذهب ومحققهم وصل درجة الاجتهاد في المذهب إلى التام على الفنون وتحقيق العلوم، وله اختيارات خارجة عن مشهور المذهب»⁽²⁾.

كذلك المواق يقول في حقه: «تلميذ ابن سراج تلميذ ابن لب في حق شيخ شيخه: شيخ الشيوخ أبو سعيد ابن لب، الذي نحن على فتاويه في الحلال والحرام»⁽³⁾.

لهذا لا يخلو مصدر من مصادر التراجم التي جاءت بعد ابن لب من التنويه بمكانة الرجل في العلم والإفتاء وطول باعه في الشورى⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: أصول ابن لب في الإفتاء

إن اشتغال ابن لب بالنوازل الفقهية وإسهامه العزيز في الإفتاء ملاً عليه حياته العلمية وبوأه بين معاصريه المكانة المرموقة والدرجة الرفيعة، فجمع بين غزارة الحفظ والقيام على الفقه والاضطلاع بالمسائل، والمعرفة بالعربية وقواعد اللغة والمران بالتوثيق والقيام على القراءات والتبريز في التفسير والمشاركة في الفرائض⁽⁵⁾.

(1) السيوطي، بغية الوعاة، ج 2 ص 243.

(2) التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ضبط النص وعلق عليه أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت لبنان الطبعة الأولى 1422 هـ / 2002م، ص 276

(3) فنج الطيب، ج 5 ص 513.

(4) مقال لحسن الوراكلي : لمحات من حياة غرناطة النصرية من القرن الثامن الهجري من خلال مسائل ابن لب، مجلة كلية الآداب تطوان عدد 1/ 1986.

(5) الإحاطة ج 4 ص 253 و254

وقد تحدث محمد بن شريفة عن وجود مدرستين فقهيتين⁽¹⁾:

● مدرسة أنصار السنة: وأصحابها أبو إسحاق الشاطبي وأبو جعفر القصار وأبو يحيى بن عاصم الشهيد وأبو إسحاق أبراهيم بن فتوح وغيرهم.

● المدرسة التقليدية: وهي مدرسة ابن لب شيخ الجماعة وشيخ الشيوخ في وقته، وكانت المدرسة الغالبة.

يمكن أن نعت الأولى بأنها مدرسة الرواية، والثانية بأنها مدرسة الدراية، وهذه الأخيرة كانت تقول: «إن الاهتمام بالفهم والاجتهاد ينبغي أن يكون أكثر من الحفظ والتقليد وتنتقد اقتصار العالم على الإكثار من الرواية حتى يصبح كالدفاتر الممتلئة علما وحكمة»⁽²⁾.

وقد ظهر الخلاف بين هاتين المدرستين في مسائل مختلفة، منها مسألة الدعاء بعد الصلاة، ومسألة هل يقبل الدعاء إذا كان فيه لحن وغيرها مما هو مشروع في المعيار وغيره، وهو خلاف يرجع في أصله إلى القضية الكبرى: قضية البدع التي كان ابن وضاح أول من ألف فيها بالأندلس وتبعه الطرطوشي وابن الحاج والشاطبي⁽³⁾.

على ضوء تتبع الباحث وتصفحه لمحتوى نوازل ابن لب وصنيعه في أجوبته تبين للباحث أنه لم يخرج عن الأصول المعتمدة عند المالكية في الإفتاء، فوجدته يعتمد على القرآن الكريم، والسنة⁽⁴⁾، وعمل الصحابة⁽⁵⁾، والاستصحاب، والاستحسان، والعرف، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

● الإفتاء بالاستصحاب: وهذا الأصل استند عليه ابن لب، فيما كان من العوائد المعلومة عند أعيان الأنديلسيين سترهم لموتاهم بثياب الحرير والذهب، وقد علم خلاف بين الفقهاء في ذلك بين

(1) محمد ابن شريفة: من أعلام أواسط العصر الغرناطي المنتوري، أعمال الملتقى الإسباني المغربي الثاني غرناطة نونبر 1989م.

(2) مصطفى الصمدي، فقه النوازل بالأندلس تاريخا ومنهجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء المغرب 1421 هـ / 2000م. ص 287

(3) محمد ابن شريفة: من أعلام أواسط العصر الغرناطي المنتوري، أعمال الملتقى الإسباني المغربي الثاني غرناطة نونبر 1989م.

(4) قد استدلت ابن لب في مجموعة من نوازله بالسنة من أحاديث وأثار، وقد كان في بعض مرات يذكر الحديث براويه، وكذلك في بعض المرات يذكر مرتبة الحديث إن كان صحيحا أو غير ذلك ومثال ذلك قوله: "...وقد تمسكوا في ذلك بالحديث الصحيح" وقد استدلت به على مسألة قراءة الحزب في جماعة التي سبق ذكرها، وكذلك قوله هو حسن رواه الترمذي. تقريب الأمل، ج 2 ص 32.

(5) استند بعمل أبي بكر رضي الله عنه في مسألة: عدم جواز تعدد الأئمة في مسجد واحد المعيار ج 7 ص 96

الإباحة والكراهة والمنع، فرفع ذلك إلى ابن لب، فقد سئل رحمه الله هل يمتنع المصلي إذا كان إماماً من الصلاة عليها بسبب ذلك أم لا؟

فأجاب: «بأنه قد اختلف المذهب في التكفين في الحرير والذهب للرجال والنساء بالإباحة والمنع والكراهة بالتفرقة بين الصنفين، وذلك الساتر أقرب لظهوره يصحبه في الغالب قصد التظاهر بالدنيا وزينتها والتفاخر بها في غير محلها ولغير أهلها، فيدخل المنع من هذا الوجه مع أن الإباحة هي الأصل، لقد كان بعض الأئمة يأمر بنزع ذلك الساتر عنها ثم يصلى عليها، والحق لا تأثير»⁽¹⁾.

● الإفتاء بالاستحسان: ومن أمثلة الاستحسان، ما جاء في جواب ابن لب على سؤال ورد عليه حول امرأة أغضبته خادم لها فقالت المرأة: صيام العام يلزمها كما يلزمها طوقها لأخرجتك، وإن رذك سيدك تعني زوجها ما تبقى في هذه الدار، فهل لهذه الحالفة وجه تخرج به من الحنث؟

فأجاب: إن اليمين عن الخروج موضع الانتقال عنه محلها عند الفقهاء بحسب مقتضى اللفظ إنما هو على غير التأبيد، فلا يحنث الحالف بالرجوع إلى ذلك الموضع بعد خمسة عشر يوماً في قول ابن القاسم أو بعد زيادة ما عليها في قول مالك، وقد استحب ابن القاسم أن لا يرجع إليها إلا بعد شهر، ورأى ابن كنانة وابن المواز أن لا حنث في الرجوع بعد ما قل أو كثر من الزمان، وفسر ابن رشد الأقل بيوم وليلة، وقد حمل التحرير بخمسة عشر يوماً وبالشهر على أنه استحسان وليس بقياس، وهذا كله مذكور في العتبية والموازية، وبسط الكلام في ذلك ابن رشد في البيان.⁽²⁾

● الإفتاء بالعرف والعادة: بالرجوع إلى نوازل ابن لب بحثاً عن التطبيقات الفقهية لهذا الأصل وجدت أساليب شتى لهذا الاعتماد مثل نازلة سئل فيها عن رجل حلف على زوجته ألا تخرج على باب داره حتى ينقضي العام، وكانت يمينه باللازم، ولم يبين في اليمين المذكورة طلاقاً ولا نواه، فخرجت فحنث، فما كفارته في ذلك؟ فأجاب الذي جرت به الفتوى من فقهاء الأندلس فيمن حلف بالازمة وحنث فيها أنه يلزمه الطلاق البتات لأجل العرف المعلوم من مقاصد الناس بتلك اليمين حتى كأنها عبارة عن ذلك.⁽³⁾

(1) المعيار ج 9 ص 180.

(2) تقريب الأمل ج 2 ص 163.

(3) تقريب الأمل ج 2 ص 213 و 214.

وسئل أيضا عن إجابة الداعي إلى وليمة النكاح مع ما تشتمل عليه من الملاهي والطر المزنج⁽¹⁾ وأصوات النساء وغير ذلك.

فأجاب: «الحكم في حضور الوليمة التي تكون على ما وصفتم جواز التخلف عنها، وقد شرط في توجيه الحضور على المدعو إلى وليمة النكاح خلوها من المنكر والباطل، وأما سماع الطر بتلك الزوج المعروفة ففيه اختلاف الإباحة والكرهية والمنع ولكن جرت عادة شيوخ العلماء وأئمة الفقهاء حضور موضع ذلك وسماعه ترخص بمكان الخلاف»⁽²⁾.

المبحث الثاني: مفهوم التيسير ورفع الحرج

المطلب الأول: مفهوم التيسير ورفع الحرج لغة واصطلاحا

التيسير لغة: مصدر يسر ييسر تيسيرا، يقال: يسر الأمر إذا سهله، ولم يعسره، ولم يشق على غيره، أو على نفسه، وتيسر الشيء: سهل، واليسر: ضد العسر، يطلق على معان منها: اللين، والانقياد، والسهولة، والخفة³.

وفي الاصطلاح عرف بعدة تعاريف⁽⁴⁾ منها: تشريع الأحكام على وجه روعيت فيه حاجة المكلف، وقدرته على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، مع عدم الإخلال بالمبادئ الأساسية للتشريع⁽⁵⁾.

المقصود بالتيسير هنا: التسهيل على المكلفين والتخفيف عنهم في التكاليف الشرعية التي أمروا بها، فعلا أو تركا.

أما الحرج في اللغة يطلق على معان: منها الضيق، وما لا مخرج له، والموضع الكثير الشجر الذي لاتصل إليه الراعية، ويطلق أيضا على: الإثم⁽⁶⁾.

(1) طر مزنج: آلة من آلات النقر أو آلات الإيقاع تشبه طبل الباسك غير أنها لا جلد لها.

(2) المعيار، ج 8 ص 212.

(3) لسان العرب، مادة يسر ج 5 ص 295.

(4) صالح اليوسف المطابع الأهلية، المشقة تجلب التيسير دراسة نظرية تطبيقية، الطبعة الأولى 1408هـ. ص 57 وما بعدها.

(5) جمال جودة مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية، بحث دكتوراه بجامعة الأزهر القاهرة 1975م ص 7

(6) لسان العرب، ج 2 ص 233 مادة حرج.

وفي اصطلاحا فقد شاع استعمال لفظ «الحرج» على السنة العلماء من قديم، ولم يخرج تعريفهم له عن معناه اللغوي، لهذا حاول بعض المعاصرين صياغة تعريف مناسب للحرج، ومن هذه التعريفات:

أن الحرج: «كل ما أدى إلى مشقة زائدة في البدن، أو النفس، أو المال، حالا أو مآلا»⁽¹⁾.
وعرفه يعقوب الباحثين بقوله: «ما أوقع على العبد مشقة زائدة على المعتاد، على بدنه أو نفسه، أو عليهما معا، في الدنيا أو الآخرة، أو فيهما معا، حالا أو مآلا، غير معارض بما هو أشد منه، أو بما يتعلق به حق الله، أو حق للغير مساو له أو أكثر منه»⁽²⁾.
فما كان فيه مشقة زائدة لكنه عورض بما هو أشد منه من مصالح عامة تحتاج إليها الأمة - كالجهد- فإن المشقة فيه لاتعد حرجا شرعيا.

ورفع الحرج: إزالة ما يؤدي إلى هذه المشقة⁽³⁾.

المطلب الثاني: مكانة التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية

إن من خصائص شريعة الإسلام السمحة اتصافها بالتيسير ورفع الحرج، فهو سمتها الواضحة، وعليه بنيت أحكامها.
وهذا المقصد له علاقة وثيقة بالمصلحة، فعناية الشريعة به منبثقة من المقصد العام للشريعة، فبالتيسير ورفع الحرج تجلب المصالح وتدرأ المفاسد.

(1) صالح بن حميد، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، مطابع جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى 1403 هـ. ص 47.

(2) نفسه، ص 48

(3) عبد الرحمن الكيلاني، قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي دار الفكر، دمشق الطبعة الثانية 1430 هـ ص 273

يعد مقصد التيسير ورفع الحرج من المقاصد المقطوع بها في الشريعة⁽¹⁾، وهو – وإن كان معدودا في مرتبة الحاجيات- إلا أن عناية الشارع به، وتظافر الأدلة عليه تجعله من كليات الشريعة التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها⁽²⁾.

من النصوص الدالة على يسر هذه الشريعة ونفي الحرج فيها:

قوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)⁽³⁾.

وقوله عز وجل: (وما جعل عليكم في الدين من حرج)⁽⁴⁾.

وقوله تباركت كلماته: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج)⁽⁵⁾.

وقوله سبحانه: (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)⁽⁶⁾.

والرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تيسيرا، وأشدّهم نفورا من الغلو والتنتع في الدين، فروى عنه ابن مسعود: «هلك المتنطعون»⁽⁷⁾ قالها ثلاثا، وروى عنه ابن عباس: «إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»⁽⁸⁾.

من هنا تعلم الصحابة التيسير، وشربوه من الهدى النبوي.

ينبغي الاستئناس هنا بقول الإمام سفيان بن سعيد الثوري، -رضي الله عنه- إنما الفقه الرخصة من ثقة، فأما التشدد فيحسنه كل أحد⁽⁹⁾.

(1) محمد سعد اليبوي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار بن الجوزي، الطبعة الثانية 1430 هـ. ص 400

(2) الطاهر ابن عاشور مقاصد الشريعة، ص 268.

(3) سورة البقرة: الآية 184

(4) سورة الحج: الآية 76

(5) سورة المائدة: الآية 7

(6) سورة البقرة: الآية 285

(7) صحيح مسلم كتاب العلم باب هلك المتنطعون حديث رقم 4952.

(8) سنن ابن ماجه رقم الحديث 2473

(9) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت 1398 هـ، ص 485.

وهو قول رجل انعقدت له الإمامة في ثلاثة مجالات: في الفقه، حيث كان له مذهب متبوع لمدة من الزمن، وفي الحديث حيث سمي أمير المؤمنين في الحديث وفي الورع والزهد، حيث كان من الشيوخ المقتدى بهم في هذا الجانب.

كما يحسن بنا أن نذكر هنا ما كان يذكره الفقهاء المتأخرون في ترجيح بعض الأقوال على بعض، فيقولون هذا القول أرفق بالناس.

المبحث الثالث: تطبيقات على مقصد التيسير ورفع الحرج عند ابن لب

يؤكد ابن لب -رحمه الله- دائما أن شريعة الإسلام السمحة مبنية على السهولة واليسر والسعة، نابذة للتشديد والحرج، وهنا نستحضر وصية ابن لب لتلميذه الشاطبي وبعض أصحابه، بعد أن أطلعهم في مجلس على مستند احدى نوازله المتعلقة باليمين نزع فيها إلى التيسير، قال: «أردت أن أنبهكم على قاعدة في الفتوى، وهي نافعة جدا، ومعلومة من سنن العلماء، وهي أنهم ما كانوا يشددون على السائل في الواقع إذا جاء مستفتيا»⁽¹⁾.

قال الشاطبي: «وكننت قبل هذا المجلس مترادف علي وجوه الإشكالات في أقوال مالك وأصحابه، فلما كان بعد هذا المجلس، شرح الله بنور ذلك الكلام صدري، فارتفعت ظلمات تلك الإشكالات دفعة واحدة، لله الحمد على ذلك، ونسأله تعالى أن يجزيه عنا خيرا، وجميع معلمينا بفضل»⁽²⁾.

ومن مشارب الإفتاء عند ابن لب بحثه عن الراجح والمشهور من الآثار في الخروج من مسائل الخلاف، وهكذا تتردد عنده عبارات من قبيل ويجوز ذلك على المشهور والصحيح ومشهور مذهب مالك. وهو في عرضه للقول المشهور لا يلزم مستفتيه به، بل يحكي الخلاف كما هو، ويورد الأقوال، ويترك للمستفتي سعة في الأخذ بأي الأقوال شاء، وما أظنه فعل ذلك إلا لأجل التوسعة على الناس وإخراجهم من المضايق، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

(1) تقريب الأمل ج 1 ص 156.

(2) الشاطبي الإفادات والإنشادات، ص 153 و 154.

● الشاة المقطوعة النخاع:

فقد سئل عن شاة تردت وهوت من جبل فقطع نخاعها، فهل تعمل فيها الزكاة أم لا؟ فأجاب: إن مشهور مذهب مالك أن الشاة المقطوعة النخاع لا تعمل فيها الزكاة، لأنها بإنفاذ مقاتلها في حكم الميتة، وقيل تعمل فيها الزكاة إذا أدركت حية وظهرت أمارة الحياة بعد ذبحها، وهذا القول هو الذي رجحه كثير من الفقهاء، وهو الصحيح، وقاله جماعة من الصحابة كعلي بن طالب وابن عباس وزيد بن ثابت وقد نسب لابن القاسم.⁽¹⁾

وسئل أيضا عن بقرة انكسر صلبها وشك في سلامة نخاعها فكشف عنها فأجاب: «الذي يظهر لي في هذه النازلة أن المقتل هو قطع ذلك العرق جملة، وهو ظاهر لكلام الفقهاء، وقد اختار بعض الفقهاء المحققين القول الشاذ في المذهب بجواز أكل ما نفذت مقاتله إذا أدركت ذكاته سوى مقتل واحد، وهما الودجان والحلقوم، لأنه حينئذ قد فاتت ذكاته، وبهذا كان القاضي أبو بكر يفتي، والأمر فيه سعة ورفق»⁽²⁾.

من هنا نلاحظ حرص سعيد بن لب على اختيار أيسر الأقوال وأرفقها بالناس وأكثرها تحقيقا لمصلحة المسلمين، ومن شدة حرصه على مقصد التيسير والسهولة وجدناه ينتقل إلى منهج الأحناف في أخذهم بالحيل الفقهيّة تلمسا للمخارج، وخصوصا في مجال الأيمان، ففي رده على سؤال ملخصه الحلف بالطلاق، بعد أن يستعرض تفاصيل المسألة على طولها، والبحث في نية الحالف وقصده، يختم جوابه بمخرج يمليه على الحالف تحلة ليمينه دفعا للحرج وجلبا للتيسير فيقول: «...ولهذا الحالف حيلة في الخلاص من بتات الطلاق في زوجه بأن يطلق زوجه واحدة تملك بها أمر نفسها دونه، ثم يراجع زوجته، فيكون حنثه من الزوجة في غير عصمته، فلا يلزمه فيها شيء بعد المراجعة، ولكن عليه كفارة يمين بالله تعالى، وهذه الحيلة إنما تفيد إذا لم يكن بينه وبين زوجه طلقان»⁽³⁾.

إذا كان الاستقراء التام لنوازل ابن لب يجعلنا نوقن بجنوح الرجل إلى التوسع والتيسير ورفع الحرج، وأخذ الناس بالحكمة واللفظ، فإنه يزيد ذلك تأكيدا من خلال تصريحه برغبته في البحث عن التوسعة والرحمة والتماس المخارج.

(1) المعيار ج 6 ص 140

(2) المصدر السابق، ج 4 ص 214 و 216.

(3) المعيار، ج 6، ص 237.

فيقول في ختام جواب له: «...هذه الأصول محكمة جدا حسنة في كلام القاضي، مفيدة في هذا الباب، جمعتها لكم من أماكنها، وهي كافية شافية، تؤذن بتوسعة ورفق في ذلك الباب الذي ضمنه ذلك الرجل الذي ذكرتم ضيقا وحرجا، والله يدخلنا في سعة رحمته ويوسعنا فضل عفوهِ ومغفرته»⁽¹⁾.

● الزيادة في الإشفاع في رمضان:

كما أن أخذ سعيد بن لب بالتيسير لا يعني إشفاء هذا الجانب على حساب الجوانب الأخرى التي يتطلب الأمر فيها التزام الحذر والشدة أحيانا - كما إذا كان من الأمور المبتدعة المذمومة المخالفة لمقصود الشرع وأحكامه، أو من باب الذرائع التي توصل إلى الضرر والفساد- فإن ابن لب أشد ما يكون في هذا.

وهنا نفق مع نازلة على نموذج تشدده، فقد سئل عن قارئ في الإشفاع في رمضان، فلما بلغ سورة الضحى أخذ يقول في آخر كل سورة: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا، فأنكر عليه ذلك بقوله: «أن ذكر الله حسن وفيه الأجر والثواب، لكن على طريقة الاقتداء والاتباع، لا على مقتضى الأهواء والابتداع، ومن الكلمات الجامعة لخير الدنيا والآخرة، اتبع ولا تبندع، اتضع ولا ترتفع من ورع لا يتسع، أفيحسن أن يعوض من قراءة في الصلاة ذكر غيرها، أو يشتغل المأموم بالذكر عن سماع قراءة الإمام في الجهر والعبادات، ووظائف الطاعات لها حدود وخصوص وشروط، والقراءة سنة تتبع»⁽²⁾.

● مقدار مد النبي صلى الله عليه وسلم بالقياس إلى المكايل الغرناطية:

ومن مظاهر التيسير ورفع الحرج البارزة في فقه ابن لب -رحمه الله- مراعاة أعراف الناس وعاداتهم والعرف المعترف هنا ما لم يخرج الناس فيه على مقتضى الشرع، وهذه بعض الفروع التي يظهر فيها التيسير ورفع الحرج جليا، مما بناه ابن لب على مراعاة أعراف الناس وعاداتهم:

ففي مجال الزكاة وردت مسألة مقدار مد النبي صلى الله عليه وسلم بالقياس إلى المكايل الغرناطية.

(1) تقريب الأمل ج 2 ، ص 98-99.

(2) المعيار، ج 1 ص 148

فقد سئل عن مقدار مد النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب: «الذي صححه العلماء في مقدار مد النبي صلى الله عليه وسلم أنه رطل واحد من أرطالنا اليوم بترجيح ما يكون الصاع، إذ يكون أربعة أرطال، لكن كان شيوخ العلماء في بلدنا يفتون في قدر زكاة الفطر أربعة أرطال ونصف رطل احتياطاً لأجل الترجيح اليسير الذي في المد وأربعة أرطال تجزيه»⁽¹⁾.

إن هذا الحكم مبني على اليسر والسهولة، وهذان المبدآن من مقاصد الشريعة الإسلامية وخصائصها.

● إجابة الداعي إلى وليمة النكاح تشتمل على الملاهي:

سئل أيضاً عن إجابة الداعي إلى وليمة النكاح مع ما تشتمل عليه من الملاهي والطر المزنج⁽²⁾ وأصوات النساء وغير ذلك.

فأجاب: «الحكم في حضور الوليمة التي تكون على ما وصفتم جواز التخلف عنها، وقد شرط في توجيه الحضور على المدعو إلى وليمة النكاح خلوها من المنكر والباطل، وأما سماع الطر بتلك الزوج المعروفة ففيه اختلاف الإباحة والكراهة والمنع ولكن جرت عادة شيوخ العلماء وأئمة الفقهاء حضور موضع ذلك وسماعه ترخص بمكان الخلاف»⁽³⁾.

● تبديل الحب بالدقيق:

بالإضافة إلى هذا فقد راعى ابن لب -رحمه الله- ما يقع للناس من حال تضطرهم إلى بعض المعاملات بحيث يلحقهم أذى أو حرج وضيق بالغ إذا امتنعوا عنها، مع حاجتهم إليها وقيام معاشهم عليها.

فقد سئل -رحمه الله- عن تبديل الحب بالدقيق في الارحى⁽⁴⁾ وزنا يوزن عند الازدحام ببذل بعض الناس مع بعض ويأخذ صاحب الرحى من صاحب الحب أجرة على طحنه.

فأجاب: الحكم في ذلك جواز الصورة التي صورتها بناء على صحة مبادلة الحب بالدقيق إذا كان بالوزن والصحيح في المذهب جواز ذلك ثم وجب لأحد المتبادلين ما صار في وجهته من الدقيق

(1) المعيار، ج 7 ص 203.

(2) طر مزنج: آلة من آلات النقر أو آلات الإيقاع تشبه طبل الباسك غير أنها لا جلد لها.

(3) المعيار، ج 8 ص 212.

(4) وجدت كلمة الارحى لم أفهم المقصود منها أنا أعرف كلمة الرحى والجمع أرحاء .

أخذ الطاحن منه بحق طحنه ولا حرج فإن قيل إنما وجبت الأجرة في الأصل على مستأجر المطاحن وصار أخذ الدقيق إنما يدفعها في الحقيقة عن المتاجر أولاً فيكون مأل الأمر إلى مبادلة القمح بالدقيق مع دارهم وذلك مؤد إلى المفاضلة فيقال إن مواضع الخلاف الشهير يكفي فيه الخروج عن صورة الممنوع بوجه ما كما ذكر الباجي في اقتضاء الطعام من ثمن الطعام أن المشتري الثاني له أن ينقد ثمن الطعام الذي اشتراه ثم يسترجع ما دفع بأخذه من ثمن طعامه الذي باع أولاً وإن كان استرجاعه في المجلس لأن أصل اقتضاء الطعام من ثمن الطعام قد أجازته الشافعية وغيرهم وكذلك هنا رأى الطحن ناقلاً عبد العزيز أبي سلمة وغيره فأجازوا التفاضل بينه وبين حبه لأنهما جنسان والمبادلة بين المتبادلين وقعت فيما يملكان حقيقة على المساواة الواجبة وهذا على بحث ونظر وفي المذهب مسألة المسافر يأتي دار الصرف بفضة فيأخذها الصانع موزونة بعد تخليصها ويعطي زنتها دارهم مصروفة ويأخذ أجر عمله ما في علمكم من الخلاف للضرورة مع أنها الفضة بالفضة فكيف في هذه النازلة مع قوة الخلاف ومخالفة الصورة ومع وجود الضرورة إذ لا يقدر أحد على طحن مد ونحوه من الحب ولا يكون مثل هذا إلا مع الحاجة والضرورة⁽¹⁾.

الخاتمة:

هكذا نخلص في الأخير إلى أن أبا لب -رحمه الله- اقتفى أثر الشريعة في رعاية مقصد التيسير ورفع الحرج فيما استنبطه من أحكام من عمومات نصوصها، وكليات مقاصدها، فأخذ به في فتاويه ونوازلها، وجعله مستنداً لأحكامه فيها.

كما أن مفهوم التيسير عند ابن لب منضبط بما جاءت به النصوص الشرعية، وسهلت فيه، وفي حدود ما يدركه -رحمه الله- من مقاصد الشريعة وغاياتها، فالأصل عنده التيسير والتخفيف ما لم يكن مانع شرعي، وعدم التشديد فيما لم يشدد فيه الشارع الحكيم.

النتائج:

- الاعتراف بجهود ابن لب في مضمار علم المقاصد، إذ يعتبر بحق شخصية علمية نزيهة متعمقة في دراسة الشريعة الإسلامية. فلم يغفل في استنباطاته واختياراته مقصد التيسير ورفع الحرج، بل يجمع بين النظر في الدليل الجزئي ومراعاة القواعد الكلية، التي قامت عليها الشريعة، فقد

(1) المعيار ج 6 ، ص 35.

كان -رحمه الله- ذا نظرة شمولية تجمع بين تعظيم النصوص والتزامها، مع التعمق في فهمها واستنباط مقاصدها وغاياتها وراميها.

- يبقى التيسير على الناس وتلبية احتياجاتهم في معاشهم السمة العامة لاختيارات ابن لب، وهو الأصل الذي بناها عليه، مالم يخالف نصاً أو مقصداً أهم، أو يوقع في مفسدة أعظم.
- التيسير في مفهوم ابن لب منضبط بما جاءت به النصوص الشرعية، وسهلت فيه، وفي حدود ما يدركه -رحمه الله- من مقاصد الشريعة وغاياتها.
- تأكيده أن الشريعة الإسلامية مبناهما على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد.
- ادراكه الكبير لواقع عصره، واحتياجات أهله، وتصوره الدقيق لتفاصيله، وملاحظة ذلك عند إصدار الأحكام، فكثيراً ما يصور -رحمه الله- النازلة تصويراً دقيقاً، ويربطها بالواقع، ويستثمر هذا الربط في الوصول إلى قول موافق لمقصد التيسير ورفع الحرج، ومحقق له، ويستنتج أحياناً من هذا الربط ضعف قول وقوة آخر، فيرجح بناء على النظر في المصالح والمآلات وغيرها.

التوصيات:

- على ضوء ما سبق، وبناء على ما تم استخلاصه من نتائج، يوصي الباحث بضرورة:
- الاهتمام بجمع هذه النوازل من مصادرها المختلفة وطبعها تعميماً للفائدة، وذلك لوجود كم معتبر من النوازل في مختلف الأبواب الفقهية، التي يحتاجها الناس في أمورهم.
- إعادة النظر في ثرائنا على ضوء هذا المقصد، حتى نستدفع عن الشريعة تهمة العجز عن مسايرة الزمن، ولتعود غضة طرية لم يشبها إشكال، بيضاء نقية كما كانت في ثوبها الأول.
- البحث عن مقصد التيسير ورفع الحرج الخاصة في كل أبواب الفقه عند ابن لب.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- 1- المشقة تجلب التيسير دراسة نظرية تطبيقية، صالح اليوسف المطابع الأهلية، الطبعة الأولى 1408هـ
- 2- مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية، جمال جودة بحث دكتوراه بجامعة الأزهر القاهرة 1975م

- 3- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، صالح بن حميد، مطابع جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى 1403 هـ
- 4- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والاندلس والمغرب، أحمد بن يحيى النونشريسي، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، 1401 هـ / 1981 م.
- 5- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق الحسين ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر، 1425 هـ / 2004 م.
- 6- قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي، عبد الرحمن الكيلاني، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي دار الفكر، دمشق الطبعة الثانية 1430 هـ
- 7- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد سعد اليوبي، دار بن الجوزي، الطبعة الثانية 1430 هـ.
- 8- لسان العرب، ابن منظور، الطبعة الأولى 1410 هـ / 1990 م، دار صادر بيروت.
- 9- تقريب الأمل البعيد في نوازل الاستاذ أبي سعيد بن لب الغرناطي، تحقيق: حسين مختاري وهشام الرامي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة 1424 هـ
- 10- الأعلام للزركلي، الإعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم بيروت.
- 11- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، خرج أحاديثه وعلق عليه،: عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، المكتبة العلمية المدينة المنورة الطبعة 1397 هـ / 1997 م.
- 12- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، 1399 هـ / 1987 م،
- 13- الإحاطة، لسان الدين الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الحانجي بالقاهرة الطبعة الأولى 1977
- 14- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، التنبكني، ضبط النص وعلق عليه أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت لبنان الطبعة الأولى 1422 هـ /
- 15- فقه النوازل بالاندلس تاريخاً ومنهجاً، مصطفى الصمدي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء المغرب 1421 هـ / 2000 م.

التأسيس النظري والتكيف التطبيقي لنفي المجاز في القرآن الكريم في ضوء نظرية أرواح المعاني

Theoretical Originating and Practical Adaptation for the Negation of Metaphor in the Glorious Qur'an in the Light of A Theory of Utterances Formulating of Abstract Meanings

أ.م.د. يعقوب يوسف خلف: قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، العراق

Ass. Prof. Dr. Yaqoob yosif khalaf: Department of Arabic Language,
College of Education for Human Sciences, University of Dhi Qar, Iraq

dr.yaqoob.yosif.alvassri@utq.edu.iq

المخلص:

قدّم البحث تصوراً نظرياً عن نظرية وضع اللفظ لروح المعنى، فظهر أنّ من آثار هذه النظرية أنها تنفي المجاز، بل إن أصحابها يصرحون أن تبنيهم لهذه النظرية سوف يبطل القول بالمجاز، ومضمون هذه النظرية أن اللفظ موضوع لما هو أعم من المادي الحسي، بل موضوع للمعنى المجرد العام وما مداليه المستعملة إلا مصاديق لهذا المعنى الكلي، وعليه فالمعنى المجازي (المزعوم) -بحسب قائله النظرية- هو استعمال حقيقي لأنه أحد مصاديق المعنى الكلي، وليس المعنى جديداً في قبيل المعنى الأصلي كما هو تصور القائلين بالمجاز.

استخدم الباحث المنهج التحليلي في عرض الأفكار الواردة ونقدها. توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: إن نظرية أرواح المعاني لا تتسجم وفكرة المجاز، لأن النظرية تتمسك بالأصل وبالدلالة الحقيقية، بينما المجاز يصرف اللفظ عن ظاهره الأصلي

الكلمات المفتاحية: الوضع، روح المعاني، الاستعمال، الدلالة

Abstract:

The research presented a theoretical conception of the theory of the placement of the word for the spirit of meaning, and it appeared that one of the effects of this theory is that it negates the metaphor. Rather, its proponents declare that their adoption of this theory will dispel the saying of the metaphor, and the content of this theory is that the word is a subject of what is more general than the material sensual, rather it is a subject of meaning. The general abstract and its used indications are only confirmations of this total meaning, and therefore the figurative (alleged) meaning is a real use because it is one of the confirmations of the total meaning, and the meaning is not new in opposition to the original meaning as it is imagined by those who say the metaphor.

المقدمة:

تعد مسألة انكار المجاز من المسائل التي تناولها علماء العربية بالبحث والتحليل، ويمكن تصنيف المنكرين على وفق منطقتين:

- الاول: منطلق ديني قائم على أن المجاز أمر مبتدع في الدين، يندرج ضمن الكذب وقول الباطل الذي ينتزه القرآن عنه
- الثاني: منطلق دلالي قائم على اعادة صياغة ثنائية الوضع والاستعمال بنحو لا يسمح بتمرير فكرة المجاز.

ولعل نظرية الحمل السياقي التي قال بها ابن تيميه وتلميذه ابن القيم تندرج ضمن هذا الاتجاه. ولكن هناك نظرية ذات منطلق دلالي أيضا لم يحار إلى التركيز عليها والاشتغال على بنائها اللغوي، ومركزاتها المعرفية وهي نظرية قال بها العرفاء وتبناها عدد من المفسرين واللغويين، وهي نظرية تتقاطع مع فكرة المجاز وتصطدم معها، وتقدم تصورا دلاليا ينتقي معه المجاز.

وسنحاول في هذا البحث التعريف بهذه النظرية في اطارها المغاهيمي، ثم نبين التأسيس النظري لنفي المجاز وفقا لمتبنيات هذه النظرية وبعد ذلك نورد نماذج تطبيقية شكلت تكييفا تطبيقيا لفكرة النظرية في رفض المجاز، ويعد ذلك تقدم جملة من الملاحظ النقدية التي تتصور بحق هذه النظرية، ومن الله التوفيق:

تساؤلات البحث:

وأجاب البحث عن تساؤلات مهمة هي: ما وجه المفارقة بين المجاز ونظرية أرواح المعاني؟ وماهي النتائج المترتبة على كلتا النظريتين؟ وكيف أسنُتُمرت نظرية أرواح المعاني في حل اشكاليات عقائدية؟

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج التحليلي المقارن في عرض الأفكار ونقدها.

الإطار المفاهيمي لنظرية أرواح المعاني:

ترتبط فكرة هذه النظرية مرتبطة بقضية الوضع، إذ إن هذه النظرية تجعل من الوضع شاملاً ليتسع ويشمل المعنى العام الذي ينطبق على مصاديق متعددة، وعذا المعنى العام هو ما يسمونه بـ (روح المعنى).

فمفاد هذه النظرية (إن اللفظ موضوع للشيء في غايته وحقيقته وروحه لا في شكله وصورته، ومن ثم فإن المدار في صدق اللفظ على مصداقه هو اشتمال المصداق على الغاية والغرض لا جمود اللفظ على صورة واحدة، فمثلاً يطلق لفظ السراج على كل ما يحقق الاستضاءة سواء أكان مصداقه الأشكال البدائية أو وسائل الأثارة المتطورة في عصرنا، فلفظ السراج يصدق على الفتيلة البدائية والفانوس النفطي، والمصباح الذي يشتعل بالطاقة الكهربائية، كما يصدق على مصداق تفرزه التجربة الإنسانية على خط تطورها⁽¹⁾)

لقد اكتسبت هذه النظرية طابعاً تنظيرياً مع جملة من العرفاء منهم: صدر الدين الشيرازي، ومحسن الكاشاني، فالشيرازي يرى أن (جميع ما في هذا العالم أمثلة وقوالب لما في علم الآخرة أو ما في الآخرة مثل وأشبه للحقائق والأعيان الثابتة، التي هي مظاهر أسماء الله تعالى)⁽²⁾ وأشار الكاشاني لهذه النظرية بشكل صريح قال (إن لكل معنى من المعاني حقيقة وروحاً، وله صورة وقالب، وقد تعددت الصور والقوالب لحقيقة واحدة، وإنما وضعت الألفاظ للحقائق والأرواح، ولوجودهما في القوالب، تستعمل الألفاظ فيهما على الحقيقة لإتحاد ما بينهما)⁽³⁾

لقد تجلّى تطبيق هذه النظرية واضحاً في النص القرآني فقد تعاطى العرفاء مع ألفاظه على أساس روح المعنى لهذا اللفظ، فلفظ الميزان لا يحدد المعنى بما فهم في الميزان عندنا حصراً، بل يرجع إلى روح معنى هذه اللفظة، فالميزان موضوع لما يوزن به الشيء، وهو أمر مطلق عقلي هو بالحقيقة روح معناه وملاك أمره من غير أن يشترط فيه التخصص بهيأة مخصوصة، وكل ما يقاس به شيء باي خصوصية كانت حسية كانت أو عقلية يصدق عليه أنه ميزان، فالمسطرة والشاقول، والذراع وعلم النحو، والعروض، والمنطق والعقل كلها مقاييس وموازين بها يقاس ويوزن الأشياء، والكامل والعارف إذا سمع لفظ الميزان لا يحتجب عن معناه الحقيقي بما يكثر إحساسه ويتكرر مشاهدته من الأمر الذي له

(1) جواد علي كسار فهم القرآن، ط1، طهران: مؤسسة المروج، 1424هـ، ص670.

(2) تفسير القرآن الكريم، صدر الدين الشيرازي: 166/4.

(3) تفسير الصافي: 1/ 67.

كفتان وعمود ولسان، وهكذا حاله في كل ما يسمع ويراه فإنه ينتقل إلى فحواه، ويسافر إلى روحه ومعناه وباطنه واحزانه ولا يتقيد بظاهره واولاه وصورته ودينياه⁽¹⁾.

لقد تحولت هذه النظرية عند الطباطبائي إلى قاعدة من أهم القواعد التي تدخل في بناء منهجه التفسيري وتكوينه، بل إلى مفتاح منهجي أساس استطاع توظيفه والإفادة منه على نطاق واسع شمل عددا كبيرا من الحقائق القرآنية، فهو يرى أن كثيرا من الاختلافات في فهم مداليل ألفاظ القرآن ليس منشؤه من اختلاف النظر في مفهوم الكلمات والآيات، إنما الاختلاف كل الاختلاف في المصداق الذي تنطبق عليه المفاهيم اللفظية من مفردتها ومركبها، وفي المدلول التصوري والتصديقي تكمن المشكلة تحديداً في إلفه الذهن الإنساني بالمعاني المادية حال تعاطيه الألفاظ واستماعه إليها، فإذا سمعنا ألفاظ الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والرضا والغضب والسماء والارض واللوح والقلم والكرسي وغيرها كان المتبادر إلى أذهاننا الوجودات المادية لمفاهيمها ومصاديقها الطبيعية⁽²⁾.

فالتباطبائي لا يرى غضاضة في ذلك، بل يرى (أن من حقنا ذلك، فإن الذي أوجب علينا وضع ألفاظ إنما هي الحاجة الاجتماعية إلى التفهيم والتفهم، والاجتماع إنما يتعلق به الإنسان ليستكمل به في الأفعال المتعلقة بالمادة ولو احقها فوضعنا الألفاظ علائم لمسمياتها التي تريد منها غايات وأغراضاً عائدة إلينا)⁽³⁾ بيد أن الطباطبائي يرى أنه كان علينا أن نتنبه إلى التغيير الذي يطراً على تلك المسميات المادية فهي محكومة بالتبدل دائماً تبعاً للاحتياجات نفسها وسيرها في طريق التحول والتكامل، وعلى سبيل المثال اكتسب السراج الذي يستضيء به الإنسان صيغة بدائية تتألف من فتيلة وشيء من الزيت ثم لم يزل يتكامل حتى بلغ اليوم السراج الكهربائي بحيث تلاشت أجزاء السراج الذي وضعه الإنسان في البداية ووضع بأزائه لفظ السراج⁽⁴⁾. وكذلك الحال في الميزان⁽⁵⁾، وغيرها من المسميات التي يذكرها الطباطبائي التي بلغت حداً من التغيير إلى درجة فقد معها جميع أجزائها السابقة ذاتاً وصفة، والاسم مع ذلك باق، وليس ذلك إلا إن المراد في التسمية إنما هو الشيء في غايته لا شكله وصورته⁽⁶⁾.

(1) ينظر: تفسير القرآن الكريم، صدر الدين الشيرازي: 151/4

(2) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 12/1

(3) الميزان: 13 / 1

(4) ينظر: الميزان: 13/1

(5) ينظر: المصدر نفسه.

(6) ينظر: المصدر نفسه.

لقد وجدنا لهذه النظرية حضوراً عند أحد المعاصرين وهو العلامة المصطفوي، إذ إنّه صاغ معجمه القرآني المتكون من أربعة عشر جزءاً وفقاً لنظرية أرواح المعاني فهو يعمد إلى كل لفظة قرآنية يُقَلِّب اشتقاقاتها اللغوية ودلالاتها المعجمية، فينتزع مفهوماً كلياً عاماً يصح إطلاقه على موارد استعماله المتعددة دون اعتماد آلية المجاز، لذلك هو يصرح بذلك فيقول: (بالمراجعة إلى موارد استعمال المادة في القرآن الكريم والدقة والنظر الخالص فيها، وتحصيل ما هو الجامع بينها والصادق حقيقة على جميعها، بحيث لا يبقى تجوز ولا التباس، فإن الألفاظ القرآنية إنما استعملت في المعاني الحقيقية)⁽¹⁾

جذور النظرية في التراث العربي:

إذا كانت ثمة جذور لهذه النظرية فإننا نجدها عند العالم اللغوي أحمد بن فترس في معجمه (مقاييس اللغة) فقد حرص على إيجاد صلة بين المدلولات المختلفة للجذر اللغوي الواحد، وارجاعها إلى أصولها، وبنى معجمه كله على هذا الأساس فقد كان يجمع المدلولات المختلفة والمتباعدة والمتقاربة ويحاول إيجاد الصلة بينها ضمن دلالة محورية تجمع كل هذه المدلولات⁽²⁾

فالمعنى المحوري عند ابن فارس هو (المعنى الذي يتحقق تحققاً علمياً في كل الاستعمالات المصوغة من هذا الجذر)⁽³⁾ فابن فارس جمع المدلولات المتفرقة للجذر اللغوي الواحد، فعَدّ المدلولات التي بينها صلة أصلاً واحداً واختار له معنى محورياً يجمعها⁽⁴⁾، أما سائر المدلولات فهي مصاديق لذلك المعنى المحوري.

فالمطابقة بين نظرية روح المعنى ونظرية ابن فارس تتضح لنا حين نطابق بين فكرة الأصل عند ابن فارس وروح المعنى عند العرفاء والجامع بينهما هو المعنى المحوري وهذا لا يعني أن نظرية روح المعاني تطابق تطابقاً تاماً نظرية ابن فارس، إذ إن منطلق النظريتين مختلف، فمنطلق نظرية ابن فارس لغوي، بينما منطلق نظرية أرواح المعاني عقلي، ويمكن القول إن فكرة ابن فارس تذهب المعنى إلى

(1) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: 1/ 14.

(2) ينظر: عبد الكاظم الياسري وحيدر جبار عيدان، عناية ابن فارس في معجم مقاييس اللغة بالدلالة المحورية، مجلة آداب الكوفة، ص 11.

(3) المصدر نفسه: 15.

(4) المصدر نفسه: 39.

روح اللفظ الذي هو المعنى لا روح المعنى، بينما نظرية أرواح المعاني فتذهب إلى روح المعنى فهو الهدف والقصد، فابن فارس تصوره مقصور على اللفظ والمعنى لا روح المعنى⁽¹⁾.

في الإطار النظري لنفي المجاز:

حينما عرّف علماء العربية المجاز بأنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لوجود قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، على اختلاف في صياغة التعريف بين علماء العربية على اختلاف توجهاتهم، ووفقاً لهذا التعريف اقتضى أمران:

- الأول: أن يكون المجاز مسبقاً بوضع أول أي بحقيقة لها دلالة أصلية.
- الثاني: أن يشترط فيه وجود علاقة صحيحة أو مقبولة بين المعنى الأصلي والمعنى الثاني منعاً للفوضى اللغوية⁽²⁾.

فالمجاز يقتضي انتقال في الدلالة من المعنى الأصلي (الوضع الأول) إلى المعنى المجازي ووفقاً لنظرية أرواح المعاني لا يبقى للمجاز وجود، لعدم الحاجة إليه، فلا يوجد تحول الدلالي، بل يتمسك بالمعنى الأصلي الحقيقي من منظور هذه النظرية لا من منظور ما عليه مشهور اللغويين.

فمخرجات هذه النظرية رفض المجاز، فهذه النظرية على عكس نظرية الحمل السياقي تتمسك بالوضع وتدافع عنه، لكن صياغة تصور حقيقة الوضع عندهم جاء بطريقة ينتقي معه المجاز، إذ إن هذه النظرية أعادت صياغة فكرة الوضع، فليس اللفظ - موضوعاً للمعنى المادي الحسي، أو المصادق الواحد المعين، بل اللفظ موضوع لروح المعنى الذي ينطبق على مصاديق متعددة منها المادي الحسي ومنها المجرد العقلي، وبذلك فلا مسوغ للقول بالمجاز لأن المعنى المجازي ما هو إلا مصادق لروح المعنى الموضوع له اللفظ، فدلالة اللفظ على المعنى التطوري المجازي - عند أصحاب هذه النظرية دلالة حقيقية لا مجازية.

لقد صرّح أصحاب هذه النظرية أنهم رافضون للمجاز، قال صدر الدين الشيرازي: (إن ألفاظ القرآن يجب حملها على المعاني الحقيقية لا على المجازات والاستعارات البعيدة)⁽³⁾ وما دام اللفظ دل على المعاني المتعددة كلها على نحو الحقيقة، فلا يبقى مكان - عندئذ - للمجاز، ولا سيما إذا عرفنا أن

(1) ينظر: المعنى في ضوء التفسير العرفاني للقرآن، د. حسين علي حسين: 303

(2) التغيير الدلالي واثره في فهم النص القرآني، د. محمد التشيوي: 119

(3) تفسير القرآن الكريم: 166 / 4

من الثابت في الدراسات الأصولية أنه مادام الظاهر القرآني التي تمثله الحقيقة اللغوية يمكن الإبقاء عليه، فإنه لا يلجأ إلى المجاز فـ (قد ثبت أن المجاز ليس أصلاً يجري في الكلام ولا يصح عليه القياس، ولا يجوز لنا أن نعدل عن ظواهر القرآن وحقيقة الكلام إلا بدليل يلجأ إلى ذلك)⁽¹⁾ فلا حاجة – عندئذ للبحث عن الدلالات المجازية لعدد من الألفاظ القرآنية، إذ إن القول بهذه النظرية يستلزم أن تكون لهذه الألفاظ دلالات حقيقية إلا إن مصاديقها الخارجية مختلفة وهذا ما ظهر في التطبيقات القرآنية لهذه النظرية، فالكرسي والعرش في الاستعمال القرآني لهما حقائق خارجية حقيقية تعكس قدرة الله وربوبيته، وكمال تدبيره، وهذا مالا نصل إليه لو اقتصرنا على المعاني المجازية، إذ إن هذه التعبيرات المختلفة تكشف لنا عن مراد واحد وهو الإشارة إلى قدرته واستيلائه على عالم الخلق.

إن مشكلة أصحاب هذه النظرية من المجاز أن المجاز يفرغ الألفاظ القرآنية من حقائقها ومدلولاتها العالية، فالمجاز (اتجاه يصب في تفرغ النص الديني من دلالاته على وجود حقائق واقعية ومصاديق خارجية وراء ألفاظها مكتفياً بالمجال الكنائي والاعتباري لها)⁽²⁾ وسيتبين لنا ذلك حين نعرض نماذج تطبيقية لهذه النظرية.

إذن هذه النظرية (لا تلغي المعاني اللغوية للألفاظ ولا مدلولاتها المفهومية، إنما تقول بتعدد المصاديق للمفهوم الواحد، وبإمكان أن تشمل هذه المصاديق عالم الحس والمادة كما العال ك الذي وراءه معاً)⁽³⁾.

لقد رأى العرفاء أن هذه النظرية تمثل حلاً أمثلاً في التعاطي مع الألفاظ القرآنية ذات الملول التشبيهي التجسيمي كألفاظ اليد والساق والوجه والعرش والكرسي وغيرها، وكذلك هي للألفاظ ذات المدلول النقصي كألفاظ المكر والخداع والاستهزاء حين تنسب إلى الله تعالى، ووفقاً لهذه النظرية فإن الألفاظ تجاوزت دلالتها التجسيمية النقضية وتم تنزيه الله تعالى، كما إنها لم تهدر دلالتها الغيبية بفعل آليات المجاز، بل بقت هذه الألفاظ محتقظة بمدلولاتها الحقيقية العالية⁽⁴⁾، ف (تطبيق هذا المبدأ لقاعدة بارزة من قواعد المعرفة التفسيرية يفضي إلى حل كثير من المعضلات في المعارف العقدية ولاسيما

(1) الفصول المختارة من العيون والمحاسن، الشريف المرتضى: 45

(2) منطق فهم القرآن، السيد كمال الحيدري: 251 / 3

(3) التوحيد، كمال الحيدري: 340 / 2

(4) التوحيد، كمال الحيدري: 340 / 2.

على صعيد المعرفة التوحيدية، ويؤدي إلى تجاوز عدد من الالتباسات الخطيرة⁽¹⁾ والأهم في موضوع بحثنا ان انتفاء مجاز في النص القرآني، لأن النظرية قائمة على (مفهوم انتزاعي يؤخذ من الجامع المشترك بين المعاني المراد التعبير عنها، وتكون معاني ألفاظها ذات معنى واحد عام طولي تراتبي خالية من المجاز والاشتراك اللفظي)⁽²⁾.

إذن هذه النظرية أراد لها أصحابها أن تكون آلية للخروج من محذورين:

- الأول: التشبيه والتجسيم واثبات النقص لله تعالى نتيجة للالتزام بوضع لغوي يجمد على المعاني المادية الحسية.
- الثاني: المجاز الذي يفضي الى إهدار الحقائق والغيبيات للمدلولات اللفظية القرآنية.

وأعتقد أن نظرية أرواح المعاني نجحت إلى حد جيد في تجاوز هذين المحذورين، لذا فهي نظرية مستحسنة يلزم على الباحثين في الدراسات القرآنية أن يعمقوا البحث في منطلقاتها ومعطياتها ونتائجها إذ إن حضورها -ولأسف الشديد- في البحث القرآني غير متناسب مع ثرائها الدلالي، ومعطياتها المعرفية.

في المجال التطبيقي لنظرية أرواح المعاني:

سنعرض بعض النماذج لألفاظ قرآنية لنرى كيف أن مدلولاتها وفقا لهذه النظرية تتقاطع مع فكرة المجاز عند تفسير هذه الألفاظ.

ومن ذلك لفظة القلم، إذ ذكر الراغب الاصفهاني أن أصل القلم: القص من الشيء، وخص ذلك بما يكتب به⁽³⁾ واستعمل (القلم) في القرآن بدلالته الحقيقية بها كما في قوله تعالى: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)⁽⁴⁾ وفي قوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)⁽⁵⁾ فالمراد بـ أقلامهم هي (الأقلام التي يكتبون بها التوراة

(1) اصول التفسير والتاويل، كمال الحيدري: 469.

(2) عباس عبد الحسين غياض، السياق واثره في دلالة النص القرآني، أطروحة دكتوراه، ص153.

(3) ينظر: مفردات الفاظ القرآن: 683.

(4) العلق: 3-4

(5) آل عمران: 44

كانوا يقترحون بها في المشكلات⁽¹⁾. ولكن حين جاء المفسرون إلى قوله تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)⁽²⁾ أخذوا ينقلون أقوالاً في تفسير القلم منها: إن القلم نور طوله ما بين السماء والارض، وغيرها من الأقوال، وحمل هذه الأقوال لا ينسجم مع أصلها اللغوي الحقيقي، لذا قال الفخر الرازي: (إن مثل هذه الأقوال تحمل على المجاز)⁽³⁾.

لكن أصحاب نظرية أرواح المعاني لهم وجهة نظر أخرى في دلالة هذه اللفظة، إذ إن هذه اللفظة عندهم لا تعبر عن معنى القلم الحسي فقط، بل إن هذا اللفظ يعبر عن حقيقة كبرى لها ظهورات في العوالم المختلفة، لكن يجمعها مفهوم كلي، تلتقي فيه كل المعاني المتعددة، قال القاضي سعيد القمي: (القلم هو موضوع لآلة النقش أي نقش الصور في الألواح دون اعتبار كونه قصباً أو حديداً، ولا أن يكون جسماً أو غيره ولا كون النقش محسوساً أو معقولاً)⁽⁴⁾ وبهذا يكون (القلم) في كل موارد استعماله جاء على نحو الحقيقة دون الحاجة إلى تأويل المجاز.

وصاغ المصطفوي هذا المفهوم الكلي الذي ذكره أصحاب نظرية أرواح المعاني، فرأى أن للقلم مفهوماً عاماً هو الأصل الواحد في هذه المادة (هو التبري والتهيئة والعمل حتى يكون وسيلة في ضبط أمر واحداً مادياً أو معنوياً)⁽⁵⁾ ورأى أن موارد استعماله في القرآن تعد مصاديق لهذا المفهوم⁽⁶⁾، فلا حاجة عندئذ لتأويل المجاز، لأن المصاديق تمثل استعمالاً حقيقياً للمفهوم.

ومن ذلك لفظة العرش، إذ تكاد تجمع المعجمات العربية أن العرش موضوع في الأصل لسرير الملك، كما ذكر ذلك الخليل وغيره⁽⁷⁾، وهو البناء المرتفع كما ذكر ابن فارس⁽⁸⁾، وهو شيء مُسَقَّف كما ذكر الراغب الأصفهاني⁽⁹⁾، وهذا يعني أن الدلالة المادية المحسوسة هي الدلالة الأصل لـ (عرش) وقد استعمل القرآن (العرش) بلحاظ هذه الدلالة المادية المحسوسة في موارد متعددة، ومن ذلك قوله تعالى:

(1) التحرير والتنوير

(2) سورة القلم: 1.

(3) التفسير الكبير: 10 / 599.

(4) شرح توحيد الصدوق: 2 / 519.

(5) التحقيق في كلمات القرآن: 9 / 345.

(6) ينظر: المصدر نفسه.

(7) ينظر: العين، الفراهيدي: مادة (عرش).

(8) ينظر: معجم مقاييس اللغة: مادة (عرش).

(9) ينظر: مفردات الفاظ القرآن: مادة عرش: 558.

(وَرَفَعَ أَبَوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)⁽¹⁾ وقوله تعالى: (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)⁽²⁾ إلا إن العرش حين استعماله بلحاظ كونه لله تعالى كما في قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا)⁽³⁾ (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)⁽⁴⁾ وغيرها من آيات الاستواء على العرش، عندئذ نرى أن علماء المسلمين انقسموا على اتجاهين في تحديد دلالة العرش:

- **الاتجاه الأول:** يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الدلالة الحسية التي وُضع لها هذا اللفظ في أصل استعماله هي الدلالة المنظور إليها في الاستعمال القرآني، ولا مبرر لتأويلها وصرفها عن ظاهرها اللغوي، فدلالة للعرش على السرير هي الدلالة المقصودة وإن كان منسوبا لله تعالى، ولا فرق في أصل المعنى سوى في الحجم والهيئة.
- **الاتجاه الثاني:** أصر أصحاب هذا الاتجاه على صرف دلالة العرش من دلالتها الحقيقية إلى الدلالة المجازية، فالمقصود من العرش حين يكون منسوبا إلى الله فهو تعبير مجازي عن مقام الربوبية وتدبير العالم ف (المقصود من العرش هو مقام السلطة والربوبية والتدبير الإلهي، ولا سيما إذا اخذنا بعين الاعتبار أن القرآن الكريم يذكر بعده غالباً لفظ التدبير ونظائره ومصاديقه)⁽⁵⁾

فإذا ما جننا إلى نظرية وضع الالفاظ لأرواح المعاني نجدها أصلت للدلالة الحقيقية لهذا اللفظ دون الوقوع في شرك التجسيم ودون اللجوء لأصرف اللفظ عن ظاهره إلى الدلالة المجازية، فالعرش في الاستعمال القرآني له حقيقة خارجية حقيقية تعكس قدرة الله وربوبيته، وكمال تدبيره، وهذا ما لا نصل إليه لو اقتصرنا على المعاني المجازية⁽⁶⁾.

وقد جسد المصطفوي في معجمه القرآني مباني هذه النظرية حين أصّل للعرش بأنه (ما يكون منبسطة وممتدا فوق الرأس)⁽⁷⁾ وهو بهذا التأسيس جعل للعرش مفهوماً عاماً يصح انطباقه على مصاديق

(1) سورة يوسف: 100.

(2) سورة النمل: 38.

(3) سورة الأعراف: 54.

(4) سورة يونس: 3.

(5) معارف القرآن الكريم، محمد تقي مصباح اليزدي: 36/2.

(6) ينظر: منطق فهم القرآن، السيد كمال الحيدري: 251 / 3.

(7) التحقيق في كلمات القرآن: 102 / 8.

عدة، فالسقف بالنسبة الى البيت وساكنيها عرش، وسرير الملك اذا ارتفع وانبسط فوق الجلاس عرش، والهودج المبني لاستحفاظ العائلة واستظلالهم عرش، وقد يطلق العرش على ما ينبسط ويحيط في جهة معنوية، كما في حسن الحال ووسع العيش والبهجة، ومن ذلك العرش المنتسب إلى الله فإنه من قبيل سرير الملك وهو ما يحيط الخلق ويعلو على كافة السماوات والارض، ولازم ذلك أن يكون السرير مناسباً ومجانساً مع صاحبه، فإن كان المستوي عليه من عالم المادة فهو مادي، أو من الملكوت فهو الملكوتي، أو من العقول فهو جبروتي، أو من اللاهوت فهو لاهوتي⁽¹⁾.

وبهذا التأسيس النظري الممثل لنظرية ارواح المعاني تكون النظرية قد بددت الحاجة للجوء إلى المعنى المجازي فلا مبرر للقول بالمجاز ما دمنا قد حملنا اللفظ على معناه الحقيقي، وهذا المعنى الحقيقي لا يستلزم الوقوع في مغبة التجسيم والتشبيه، إذ جرى التأسيس له بنحو يتجاوز المدلول الحسي المادي إلى ما هو أعم من ذلك وأشمل.

ومن نماذج ذلك لفظة المكر في الاستعمال القرآني، فبحسب هذه النظرية اللفظ موضوع لما هو أعم فهو اعمال خفية وهو (تدبير وتقدير للإضرار من غير أن يعلم ويعلم اضاراه)⁽²⁾ وهذا يعني أن اللفظ غير موضوع للخديعة والاحتيال بل لما هو أعم، والخديعة والاحتيال أحد مصاديقه، وحينما يستعمل المكر منسوبا الى الله كما في قوله تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} ⁽³⁾ فهذا الاستعمال ليس مجازيا بحسب ما عليه مشهور المفسرين والبلاغيين، بل يطلق عليه تعالى على نحو الحقيقة بمراعاة صياغة الوضع وفق نظرية أرواح المعاني لأنه - كما قلنا - يطلق على كل ما يعرف الانسان مقصوده خفية وسراً، وبهذا المعنى يصح اطلاقه عليه بلا محذور فيه من عقل أو نقل⁽⁴⁾.

إشكاليات على النظرية:

مع أن البحث سجل لجانباً ايجابياً لهذه النظرية إلا إنها مع ذلك لا تخلو من انتقادات يمكن تصورها وتوجيهها للنظرية منها:

1- إن الاعتقاد بهذه النظرية يلزم منه أن يكون الواضع مدرك لجميع المصاديق لدرجة أنه وضع لفظاً لمفهوم عام مجرد يصح انطباقه على جميع المصاديق إلى يوم القيامة، وهذا أمر نعتقه مبعدا فيما إذا

(1) التحقيق في كلمات القرآن: 8 / 103.

(2) التحقيق في كلمات القرآن: 11 / 155.

(3) آل عمران: 54.

(4) ينظر: مواهب الرحمن، السبزواري: 5 / 384.

كان الواضع بشراً، فالقول ببشرية اللغة لا يساعد أن يكون الواضع لديه القدرة على هذا الوضع الدقيق والتخطيط المحكم للنظام الدلالي للغة، علماً أن أكثر القائلين بهذه النظرية هم من المعتقدين ببشرية الوضع اللغوي.

2- لم يتم الاستقراء لهذه النظرية، فلم تقم بتتبع بنية اللغة في تمام مواردها، إذ لا يصح الجزم بالتعميم في جميع المفردات والكلمات رغم استقراء عدد قليل منها، لذا يرى البحث أن منطلقات هذه النظرية غير لغوية، إذ إن أصحابها أرادوا حل معضلة التجسيم، وعدم اهدار الدلالات الغيبية للألفاظ القرآنية فعمدوا إلى التأويل بألية نظرية روح المعنى.

3- إن نظرية أرواح المعاني لاحظت عنصر الوضع، لكنها لم تشرح لنا جوهر عنصر الاستعمال اللغوي، والوضع غير الاستعمال، فإذا كان اللفظ وضع لجوهر المعنى، فكيف نشخص أن المصداق هنا هو مادي أو معنوي؟ فإذا كانت القرينة تفعل ذلك فهذا يعني أن المعضل القرآني الذي نحن بصددده لم يحل، لأن صاحب هذه النظرية (العارف) مازال يحتاج لقرينة لاثبات مجرد الألفاظ، كتجرد الكرسي الالهي عن المادة، ولم يرد المعنى الملازم للمادة، فكيف نميز بين موارد الاستعمال دون قرينة، فلا فرق في الاستعمال بين روح المعنى ونظرية المجاز، إنما الفرق في التسمية⁽¹⁾.

4- إذا كان منطلق هذه النظرية أن الواضع راعي أن اللفظ وضع لمعنى مجرد عن المادة، ومصاديقه قد تكون مادية وغير مادية، فكيف عندئذ تتعاطى هذه النظرية مع الألفاظ الخاصة ذات المدلول الحسي المادي مثل الأفعال الدالة على الزمان؟ ثم كيف تتعامل هذه النظرية مع النصوص الاعتبارية كالتكاليف الشرعية؟ فهل الحج استعمل الروح المعنى بما يشمل غير حج بيت الله الحرام⁽²⁾؟

الخاتمة:

الأمر الذي نود أن نثبتته في خاتمة هذا البحث هو إن نظرية وضع الألفاظ لأرواح المعاني وإن كان لها جذور في التراث العربي، ولا سيما مع ابن فارس، إلا إنها تمثل ابداعاً لجماعة العرفاء، وقد تبناها لغايات عقائدية، إذ شكلت هذه النظرية عندهم حلاً لإشكالية التجسيم والتشبيه اللذين كانا نتيجة طبيعية للقول بأن الألفاظ موضوعة في أصلها اللغوي لتدل على معاني مادية حسية. والنظرية تعد عندهم حلاً لإشكالية القول بالمجاز وتبعاته السلبية _ بحسب رأي العرفاء - المتمثلة بهدر الدلالات

(1) تفسير سورة القارة، موضع الشيخ حيدر حب الله.

(2) المصدر السابق

الألفاظ الحقيقية. وبالفعل نجحت النظرية في تجاوز هذين المحذورين، إلا إن الأشكالية الأساسية التي تواجه هذه النظرية أنها تمثل اجتهادا غير قائم على أدلة واضحة، إذ إنها لا تستند إلى معطيات لغوية واضحة.

النتائج:

إن من أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- 1- نظرية وضع الألفاظ لأرواح المعاني لا تتوافق مع فكرة المجاز، فالمجاز صرف لظاهر اللفظ عن معناه، بينما نظرية أرواح المعاني تتمسك بالوضع الأصلي للفظ.
- 2- صياغة نظرية أرواح المعاني تستند إلى توظيف العقل في انتزاع مفهوم كلي معنوي مجرد يصح انطباقه على معاني متعددة بدلا من التمسك بالمعنى المادي والتقيد به.
- 3- لهذه النظرية جذور قوية في التراث العربي ولاسيما مع فكرة ابن فارس، إذ إن كلتا النظريتين تبحثان عن المعنى المحوري مع اختلافهما في المنطلقات.
- 4- نظرية أرواح المعاني أنتجها العرفاء لتحل اشكالية تفسير الألفاظ ذات الحقائق الغيبية بطريقة تختلف عن تفسير المجاز لها.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أصول التفسير والتأويل، السيد كمال الحيدري، دار فراق، ط2، 2006.
- التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور (ت1392)، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط1 (د.ت).
- التحقيق في كلمات القرآن، حسن مصطفي، مركز نشر آثار العلامة المصطفي، ط1، 1385هـ.
- التغيير الدلالي وأثره في فهم النص القرآني، د. محمد الشتيوي مكتبة حسن العصرية، بيروت، ط1، 2011.
- تفسير سورة الفارعة، الموقع الرسمي للشيخ حيدر حب الله.
- تفسير الصافي، محمد محسن الفيض الكاشاني (ت 1091 هـ) تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الهدى، طهران، ط3، 1416 هـ.

- تفسير القرآن الكريم، صدر الدين الشيرازي، منشورات بيدار، قم، 1985.
- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي (606 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1291هـ، 2008م.
- التوحيد، بحوث في مراتبة ومعطياته، تقرير لدروس السيد كمال الحيدري، دار فراقده، ايران، 2006.
- شرح توحيد الصدوق، القاضي سعيد محمد بن محمد القمي (ت 1107 هـ) تحقيق: نجفي حبيبي، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، طهران، ط3، 1429.
- السياق وأثره في دلالة النص القرآني، عباس عبد الحسين غياض، اطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2013م.
- عناية أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة بالدلالة المحورية، د. عبد الكاظم الياسري، ود. حيدر جبار عيدان، مجلة آداب الكوفة، ع2، 2008.
- الفصول المختارة من العيون والمحاسن، الشريف المرتضى (ت436هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف (د.ت).
- فهم القرآن، جواد علي كسار، مؤسسة المروج، ايران، ط1، 1424هـ.
- معارف القرآن الكريم، محمد تقي مصباح اليزدي، دار المصطفى العالمية، بيروت، ط4، 2016.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد فارس بن زكريا (ت 395)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175) تحقيق: مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت495)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، انتشارات ذوي القربى، ط4، 1425هـ.
- حسين علي حسين، المعنى في ضوء التفسير العرفاني للقرآن الكريم، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ط1، 2014.
- منطق فهم القرآن، من ابحاث السيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، مؤسسة ام ابيها، بيروت، ط1، 2012م.
- مواهب الرحمن، السيد عبد الاعلى الموسوي السبزواري انتشارات دار التفسير، ط2، 1998.
- الميزان، محمد حسين الطباطبائي (ت1402هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1417 - 1997.

**وضع الدرس اللغوي بالسلك الابتدائي في المدرسة المغربية:
الصرف والتحويل نموذجاً**

*The placement of the language lesson in the primary school in the
Moroccan school: Exchange and transfer model*

إعداد: د. إسماعيل الهرط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله،
المغرب

Dr. **Smail elhorte**: Faculty of Arts and Humanities, University of Sidi
Mohamed Ben Abdallah, Morocco

المخلص:

نتناول في هذا المقال تدريسية الدرس اللغوي بالمدرسة الابتدائية المغربية وخاصة تدريس الصرف والتحويل، ونقف على العوامل التي تشكل صعوبات أمام المتعلم. ولعل أولها تأثير اللغة الأم على معجم المتعلمين الذي غالبا ما يفضي إلى ندرة المفردات وبروز ظاهرة التعثر اللغوي، وثانيها بنية الكلمة العربية التي يتسم بعضها بالتعقيد مقارنة مع لغة أجنبية أخرى. ونعتمد في هذه المقارنة على اللغة الفرنسية باعتبارها اللغة الأجنبية الأولى في المغرب. وتتمحور هذه المقارنة حول نطق الأصوات وتصريف الأفعال والأسماء التي تتم غالبا داخل الفصول الدراسية، لذا سنتطرق إلى الحديث عن الصيرورة المنهجية التي عرفها الدرس اللغوي في المدرسة الابتدائية، وعن النتائج التي حققها تعاقب المنهجيات باعتماد الصرف والتحويل نموذجا. مع التطرق إلى الحديث عن العلاقة بين القراءة والدرس اللغوي. كما نتطرق إلى الصعوبات القرائية والإعرابية التي يواجهها المتعلم وهو يتلقى درسا في الصرف والتحويل، والتي من شأنها أن تؤدي إلى تعثره اللغوي. ونذكر فيما يلي أهم الأسباب الكامنة وراء هذه الصعوبات وهي: المحيط الاجتماعي والبيئي الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتقصير الأسرة في دورها التربوي، وكذا التراجع الحاد في وظائف المدرسة التربوية والديداكتيكية، بالعزوف عن استخدام وسائل الإعلام والتواصل في العملية التعليمية-التعلمية ثم التقليل من استغلال وسائط التكنولوجيا الرقمية أو انعدامها.

الكلمات المفتاحية: تعثر، الدرس اللغوي، الصرف والتحويل، التعليم الابتدائي

Abstract:

In this article, we discuss the teaching of the language lesson in the Moroccan primary school, especially the teaching of morphology and conversion, and we stand on the factors that pose difficulties for the learner. Perhaps the first is the effect of the mother tongue on the learners' lexicon, which often leads to a scarcity of vocabulary and the emergence of the phenomenon of linguistic stumbling, and the second is the structure of the Arabic word, some of which are complicated compared to another foreign language. In this comparison, we rely on the French language as the first foreign language in Morocco. This comparison revolves around the

pronunciation of sounds and the conjugation of verbs and nouns that often take place in the classroom, so we will talk about the systematic process that the language lesson knew in primary school, and the results achieved by the succession of methodologies by adopting exchange and conversion as a model. With reference to talking about the relationship between reading and the language lesson. We also address the reading and syntactic difficulties that the learner faces while receiving a lesson in morphology and conversion, which may lead to his linguistic stumble. The following are the main reasons behind these difficulties: the social and environmental environment, which is closely related to the family's failure in its educational role, as well as the sharp decline in the educational and dialectical functions of the school, with the reluctance to use the media and communication in the educational-learning process and then reducing the use of technology media digital or not.

Keywords: linguistic, difficulty, primary education

المقدمة:

يؤدي التطور الذي يعرفه البشر باستمرار إلى تطور الظواهر الاجتماعية، ومنها اللغة باعتبارها أداة للتفكير والتواصل ونقل المعارف وتحيينها. وفي حديثنا عن هذا التطور، نتناول اللغة العربية كنموذج يعرف اكتسابها مجموعة من الصعوبات، نتطرق لبعضها بدءاً من اكتساب اللغة الأم داخل البيت، وبداية تعليم اللغة العربية وتعلمها في الرياض أو مؤسسات التعليم الأولي، بالاستناد إلى وجهات النظر من مدارس مختلفة (السلوكية، والبنائية، والمعرفية) التي اشتهرت بتأطير عملية التعليم والتعلم خاصة في مرحلة الطفولة الأولى (من ميلاد الطفل حتى بلوغه السنة السادسة). ثم نتنقل إلى الحديث عن تدريسية اللغة العربية بالمدرسة الابتدائية لمعرفة العوامل المسهمة في إنجاح عملية التعليم والتعلم التي لا نغيرها في هذا البحث اهتماماً بقدر ما سنهتم بالعوامل التي تشكل صعوبات أمام المتعلم. وأولها تأثير اللغة الأم على المعجم الذهني للمتعلمين الذي غالباً ما يفضي إلى ندرة مفردات اللغة العربية وبروز ظاهرة التعثر عندهم، وثانيها بنية الكلمة العربية التي يتسم بعضها

بالتعقيد مقارنة مع لغة أجنبية أخرى تختلف عن اللغة العربية من حيث الشفافية. ونعتمد في هذه المقارنة على اللغة الفرنسية باعتبارها اللغة الأجنبية الأولى في المغرب. وتتمحور هذه المقارنة حول نطق الأصوات وتصريف الأفعال والأسماء التي تتم غالباً داخل الفصول الدراسية، لذا سنتطرق إلى الحديث عن الصيرورة المنهجية التي عرفها درس اللغوي في المدرسة الابتدائية، وعن النتائج التي حققها تعاقب المنهجيات باعتماد الصرف والتحويل نموذجاً، مع التطرق إلى الحديث عن العلاقة بين القراءة والدرس اللغوي.

1 - منهج الدراسة ومشكلتها

سنعتمد في هذا البحث على المنهج الوصفي لمعالجة موضوع تقديم درس اللغوي بالمدرسة الابتدائية المغربية وخاصة درس الصرف والتحويل لما يتسم به هذا المكون من صعوبات في فهم بعض الدروس وإفهامها مثل: تصريف الأفعال المعتلة والممنوع من الصرف والتفريق بين همزتي الوصل والقطع وكتابة الهمزة في حالاتها المتنوعة وغيرها. وذلك بالإجابة عن التساؤلات التالية:

"هل يمكن رَدُّ التعثر في درس الصرف والتحويل إلى المتعلم نفسه؟"

"هل يمكن رَدُّ ذلك إلى المدرس؟"

"ألا يمكن أن تكون المعرفة المقدمة للمتعلم سبباً في هذا التعثر؟"

2- اللغة بمرحلة الطفولة الأولى

اتخذ الباحثون اللغويون، واللسانيون، وبعض علماء النفس مثل: جون بياجى، وفريدريك سكينر اللغة موضوعاً لبحوثهم، فأفضى ذلك إلى إبراز مختلف الوظائف التي تؤديها اللغة. ورغم اختلاف هؤلاء الباحثين في طرق تناولهم لموضوع اللغة بسبب تنوع اختصاصاتهم، فإنهم يتفقون على أن اللغة تُكتسب عن طريق التعلم وليست ملكة فطرية. وتُعد اللغة من الظواهر الاجتماعية الأعلى التي يكتسبها الطفل، ويتم ذلك سماعياً انطلاقاً من البيئة التي يتربى فيها. كما يتفقون على أن القدرة على الكلام متوفرة بالفطرة عند كل فرد جهازه الصوتي سليم. لكنهم يختلفون في أمور كثيرة؛ أهمها الطريقة التي تُكتسب بها اللغة، وفيما يلي عرض لبعض وجهات النظر:

– النظرية السلوكية: يعتبر السلوكيون (إدوارد ثورندايك، وجون واطسون، وإيفان بافلوف، وفريدريك سكينر، وإيدوارد تورمان، كلارك هل) أن الطفل يبدأ الحياة بدون لغة، فيكتسبها مع مرور الزمن. وفي غياب الكلام، يستخدم الطفل الصغير في تواصله مع أسرته ما يتوفر عليه من إمكانيات

حددها حامد عبد السلام زهران وآخرون¹ في قوله: "إن الطفل يستخدم الحركات، والإيماءات بصورة تلقائية لكي ينقل مطالبه، ورغباته إلى الآخرين، كما أن الحركات الجسمية كتقطيب الوجه، والإشارات بالأيدي تفهم عالميا عندما تحدث بين فرد وآخر لا يملكان لغة مشتركة، ومنه فإن اللغة من وجهة النظر هذه، ما هي إلا تعبير عن انفعال معين، وذلك لأن الإيماءات بمثابة ظواهر علنية لأحوال انفعالية".

وتعتبر البيئة التي يعيش فيها الأطفال – حسب النظرية السلوكية – من العوامل الأساس في عملية تعلّمهم اللغة واكتسابها بواسطة التقليد وتكرار بعض العادات. ومن ثم فالتعلم عند السلوكيين يتسم بالتمطية (مثير – استجابة)، لأنهم أهملوا في التجارب التي قاموا بها جميعها، ما يقع في دماغ الأطفال، كما أهملوا المراحل النمائية والتطورية عند الأطفال، فانصب اهتمامهم فقط على أساليب، وقوانين التعلم معتبرين أن الأطفال – كما قال حامد عبد السلام زهران وآخرون² – "يستطيعون امتلاك ثروة لفظية لا بأس بها، واستخدام تراكيب لغوية صحيحة، والتميز بالسليقة، بين ما هو صحيح، وما هو خطأ".

– النظرية البنائية: اختلف جون بياجى Jean Piaget، مع السلوكيين في كثير من الأمور، فهو يرى أن نمو اللغة مماثل للنمو المعرفي في طريقة بنائه؛ حيث يتعلم الطفل الكلمات ليعبر بها عما يحيط به، وهذا ما يؤكد مصطفى ناصف³ من خلال قوله، "إن ما يعرفه إنسان ما، إنما ينجم جزئيا عما يتعلمه هذا الإنسان من بيئته الاجتماعية والمادية أي من عالم الناس والأشياء". ويتفق بياجى مع السلوكيين في كون اللغة تكتسب عن طريق التقليد، والتكرار، مؤكداً على ضرورة اقتران الاكتساب بالتجربة التي غالبا ما يستخلص منها الطفل العبر بعد الوقوع في الخطأ؛ لذا اعتبر بياجى الخطأ شرطا أساسيا في التعلم، وليس التلقين (السلوكية)، أو التعلم بالاستبصار (الجشطولتية) الذي يجنب الوقوع في الخطأ؛ فالتعلم بالنسبة إليه كما يراه حسن حسين زيتون وكمال عبد الحميد⁴ "هو بالدرجة الأولى، عملية تنظيم ذاتية لتركيب المعرفة للفرد، تستهدف مساعدته على التكيف"، ومن ثم، فالطفل

¹ - حامد عبد السلام زهران وآخرون، المفاهيم اللغوية عند الأطفال، دار المسيرة للنشر، عمان، الطبعة الأولى، 2007، ص 195

² - حامد عبد السلام زهران وآخرون، ص 195 .

³ - ناصف مصطفى، نظريات التعلم، دراسة مقارنة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 70، السنة 1983.

⁴ - زيتون حسن حسين، كمال عبد الحميد، التعلم والتدريس من وجهة النظر البنائية، عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، 2006، ص 94.

بالنسبة إلى "بياجي"، هو الذي يسعى إلى التعلم برغبة منه ليتكيف مع ما يحيط به من معرفة، وأهم ما يسعى الطفل إلى تعلمه هو اللغة لاعتبارها قناة تمكنه من التواصل مع غيره.

– النظرية المعرفية: تقوم هذه النظرية على مفاهيم عدة من أجل تفسير عملية التعلم، وأهم هذه المفاهيم: الكل أو الموقف الكلي، والمعنى، والمعرفة، ومعالجة المعلومات.

إن أصحاب هذه النظرية (ماكس فرتهيمر، وكيرت كوفكا، وكيرت ليفيه، وأوزوبل) يرون أن الطفل يتوفر على معارف ومعلومات، ولديه أفكار اكتسبها داخل فضاء الأسرة، والشيء نفسه يحصل مع اكتساب اللغة، ومن ثم ينبغي استحضار هذا المعطى في دراسة عملية تعلم اللغة واكتسابها من قبل الطفل. وقد فسر أوزوبل كيفية تعلم اللغة من منظور هذه النظرية التي تسعى إلى تقديم معلومات مفاتيح للمتعلمين منذ البدء، قصد توجيههم، ويحصل هذا حينما يأخذ المتعلمون الأفكار من المدرس بدل البحث عنها. وتعلم اللغة العربية لا يخرج عن القواعد التي ذكرت، لأن الأطفال يولدون متشابهين من حيث الذات والصفات، إذ لا فرق بين مولود عربي وآخر غير عربي، وهذا ما أكده نعوم شومسكي Noam Chomsky من خلال النظرية الفطرية⁵ (1965) حين ذكر أن للغات مبادئ مشتركة في لارتباطها بالطبيعة البشرية الموحدة بيولوجيا، وتأتي بعدها التجربة والبيئة اللغوية التي يعيش فيها الطفل ويكتسب قواعدها عن طريق السماع، وبذلك تتنوع القدرات.

اختلف شومسكي مع النظرية السلوكية حول الطرق التي يتم بها اكتساب اللغة، كما انتقدها في مسألة نتائج التجارب التي أجراها السلوكيون على الحيوانات وتم تعميمها على البشر المتسم بالعقل.

ومهما اختلف الباحثون من خلال دراساتهم في طرق تعلم اللغة واكتسابها، فإنهم يتفقون جميعهم على أن الأطفال يكتسبون اللغة في غضون شهور قليلة بعد ميلادهم سماعيا عن طريق محاكاة ما تتلقاه آذانهم من الأصوات الصادرة عن المربين (الأمهات)؛ فيكتسب الطفل قبل مَتَمِّ سنَّته الثانية رصيذاً بسيطاً من اللغة التي يتكلمها أهله يُمكنه من التواصل معهم. وتشكل الفترة الممتدة بين السنة الثانية والسادسة من عمر الطفل بداية مرحلة تعلم اللغة العربية، لأن الطفل في هذه الفترة يلتحق بالروضة أو بمؤسسة التعليم الأولي، مما يتيح له فرصة تعلم اللغة العربية بشكل منتظم يسهر على تعليمها أطر تربوية مؤهلة لذلك.

⁵ النظرية الفطرية أو النظرية اللغوية أو النظرية البيولوجية أو النظرية التوليدية؛ كلها تسميات لنظرية تشومسكي، تعتمد على النزعة العقلية حيث تستمد أصولها من فلسفة رينيه ديكارت (1650-1596). وهي نظرية قائمة على أنقاض مبادئ النظرية السلوكية.

يستثمر الطفل رصيده اللغوي الذي اكتسبه داخل أسرته في تعلمه اللغة الثانية (العربية) لأن اللغة الأم هي الوسيلة المتوفرة لديه في هذه الفترة، فيتم استثمارها كآلية للتواصل بين المدرس والمتعلم إذا كانا يتكلمان اللغة الأم نفسها؛ ومنه فإن الاستناد إليها أحياناً يشكل ضرورة ملحة من أجل الانتقال بالمتعلم من لغته الأم إلى اللغة العربية بشكل سلس.

أما إذا كانت لغة المتعلم الأم تختلف عن اللغة الأم للمدرس فإن ذلك يشكل صعوبات في التواصل بينهما، فتمتد هذه الصعوبات لتتطال عملية تعليم اللغة الثانية (العربية) وتعلمها، وكمثال على ذلك؛ لما يتعلق الأمر بتعليم العربية للأطفال الناطقين بإحدى اللهجات (تاريفيت، أو تاشلحيت، أو تامازيغت) من قبل مدرس لا يعرف هذه اللهجات فيصعب عليه التواصل معهم، ومع ذلك فعملية التعليم ليست مستحيلة وإنما هي عملية شاقة.

3- تدريسية العربية بالمدرسة المغربية

تشكل المدرسة فضاء للتعليم والتعلم بطريقة منتظمة، يسهر على هذه العملية فريق تربوي، مهمته - كما جاء في الفقرة السادسة من الميثاق الوطني للتربية والتكوين - الإرشاد والمساعدة على التقوية التدريجية لسيرورة المتعلمين الفكرية والعلمية، والتنشئة على الاندماج الاجتماعي، واستيعاب القيم الدينية والوطنية. لذا تُعتبر المدرسة من أهم المؤسسات التي تعكس الوضع الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي للبلاد. كما تعكس خيال المتعلمين وقدراتهم، مما يجعلها تتطور بالموازاة مع التطور البشري.

تسعى المدرسة المغربية حسب الفقرة التاسعة من الميثاق الوطني للتربية والتكوين إلى أن تكون:

— "مفعمة بالحياة، بفضل نهج تربوي نشيط، يجاوز التلقي السلبي والعمل الفردي إلى اعتماد التعلم الذاتي، والقدرة على الحوار، والمشاركة في الاجتهاد الجماعي.

— مفتوحة على محيطها بفضل نهج تربوي قوامه استحضار المجتمع في قلب المدرسة، والخروج إليه منها بكل ما يعود بالنفع على الوطن، مما يتطلب نسج علاقات جديدة بين المدرسة، وفضائها البيئي، والمجتمعي، والثقافي، والاقتصادي".

تبدأ عملية التعليم والتعلم في المدرسة المغربية بتعليم اللغة العربية لاعتبارها وسيلة رئيسية تُستخدم في تدريس المواد الأخرى، مثل: الرياضيات، والنشاط العلمي، والتربية الإسلامية، والتاريخ،

والجغرافيا غيرها. ومن هذا المنطلق، يتم في السنوات الأولى من التعليم الابتدائي التركيز على تعليم اللغة العربية وتعلمها مع الأخذ بعين الاعتبار التسلسل المنطقي لمكوناتها، لذا تَمَّت الإشارة في الدليل البيداغوجي للتربية والتعليم الابتدائي في المغرب (2009: 77) إلى أن "دروس اللغة العربية بالمستويات الأولى تستند، بالدرجة الأولى، إلى مكتسبات التعبير الشفهي، إذ في غياب هذه المكتسبات تصبح القراءة، والكتابة، والقواعد اللغوية عمليات بدون معنى". ومنه فإن اعتماد هذا الترتيب داخل الفصول الدراسية لم يأت بالصدفة، بل هي ضرورة فرضتها طبيعة عملية تعليم اللغة العربية وتعلمها كباقي اللغات الأخرى، فهي تقوم على التعبير الشفهي أولاً، ثم القراءة فالتعبير.

تستمد اللغة العربية في السنوات الأولى من التعليم (كما سبقت الإشارة إليه) قوتها من اللغة الأم. فالطفل الوافد إلى المدرسة لا يعرف إلا هذه اللغة التي يعتمد عليها في تواصله اليومي (مع أسرته ومحيطه)، بواسطتها يحصل اندماجه مع أقرانه داخل المدرسة. ولعل هذا ما جعل تعليم اللغة وتعلمها يقوم في بدايته على ترتيب مكوناتها على النحو الذي ذكرناه سلفاً.

أما الدرس اللغوي حسب منهاج اللغة العربية المنقح، فيقوم في المستويات الثلاثة الأولى من التعليم الابتدائي (الأول، والثاني، والثالث) على مبدأ الاستضمار (يقدم بشكل ضمني)، ثم يقوم في المستويات الثلاثة الأخرى (الرابع، والخامس، والسادس) على مبدأ التصريح حيث تُقدم دروس في التراكيب، والصرف والتحويل، والإملاء.

وقد نَبَّنت المدرسة المغربية منهاجاً جديداً للغة العربية، يقوم على الطريقة المقطعية، بعدما جربت كلا من الطريقتين الاستقرائية والاستنباطية القائمتين على مبدأ التركيب والتجزئ. ونتحدث فيما يلي عن الوحدات اللغوية الصرفية المتكونة من مقاطع صوتية، وعن المنهجية المتبعة في تدريس الصرف والتحويل في المدرسة الابتدائية المغربية.

أ - بنية الوحدات اللغوية

إن نطق الفرد كلمة أو كتابتها لم يأت بالصدفة، وإنما يخضع لسيرورات منتظمة، منها ما هو ذاتي يرتبط بالذهن، والجهاز العصبي، وجهاز النطق للطفل المتعلم، ومنها ما هو بيئي، لأن الطفل لما يتكلم فهو يقدم إنجازاً لغوياً تتحكم فيه مجموعة من المتغيرات المنبثقة من البيئة التي يعيش فيها لأنه يكتسب اللغة انطلاقاً من التنشئة الاجتماعية قبل أن ينجزها، كما يكتسب بعض المواصفات، والخصائص، والتقاليد كتلك التي أشار إليها تمام حسان⁶ واختصرها في "وجود النبر والتنغيم، بالذات

⁶ - تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، طبعة 1994، ص47.

في الكلام المسموع دون المكتوب يجعل الأول أقدر في الكشف عن ظلال المعنى ودقائقه من الثاني؛
يُبين هذا الكلام أن اللغة العربية تنطوي على ظواهر صوتية لا يمكن اكتشافها إلا عبر الصوت
المسموع (النطق) كما هو الشأن بالنسبة إلى النبر، حيث يستحيل تعويضه بظواهر مكتوبة بخلاف
ظاهرة التنغيم التي يمكن تعويضها بعلامات الترقيم مثل: (؟) لإنشاء السؤال، و(!) لإنشاء التعجب
وغير ذلك.

إن الحديث عن تعليم اللغة وتعلمها يستدعي الحديث عن سيكولوجيا الطفل، إذ هناك عوامل
مرتبطة بذات المتعلم وخاصة ما يتعلق منها بالجانب النفسي، ينبغي توفرها كشرط أساس في عملية
التعلم والاكساب. وفيما يلي ذكر لأهم هذه العوامل مع الوقوف على معانيها:

- النضج: عرّفه مصطفى ناصف⁷ بالنمو والتطور الفسيولوجي الدال على اكتمال نمو
الأعضاء، والأجهزة، الجسمية المختلفة، والأجهزة الحسية، والعصبية، حيث تصبح قادرة على القيام
بوظائفها المتعددة.

يتميز الطفل الناضج بقدرته على التعلم دون عناء عكس غير الناضج، لأن نضج جهازه
الصوتي يُمكنه من النطق السليم للحروف والكلمات، ونضجه الفكري يساعده على فهم المسموع
والمقروء. ونضجه الجسمي يساعده على تعلم الكتابة بتمكّنه من مسك القلم والتحكم في حركات اليدين
الذي يستوجب بدوره نضج الجهاز العصبي.

- الدافعية: يُعرفها أنور محمد الشرقاوي⁸ "على أنها حالة تغير ناشئة في نشاط الكائن
الحي، تتميز بالاستثارة، وبالسلوك الموجه نحو تحقيق هدف"، يفهم من هذا التعريف أن توفر
الطفل على الدافعية أمر ضروري لتحقيق عملية التعليم والتعلم. وأن تعزيز التعلم لدى متعلم ذي
دافعية لا يكون مصدره خارجيا، بل هو نابع من الداخل، ومنه فإن الدوافع، والميول، والرغبات
ينبغي استثارتها بالتحفيز من أجل تحقيق الأهداف المنشودة.

- الاستعداد: عرفه مصطفى ناصف⁹ على أنه "مبدأ يعبر عن خصائص الظروف التي
تجعل المتعلم يميل إلى أن يكون مشبعا أو متضايقا".

⁷ - مصطفى ناصف، ص 12

⁸ - أنور محمد الشرقاوي، التعلم، نظريات وتطبيقات، مطبعة محمد عبد الحكيم حسان، مصر، بدون طبعة،

2017، ص 234

⁹ - مصطفى ناصف، ص 20

ويعتبر الاستعداد للكلام عند الطفل في النظرية السلوكية فطرياً، حيث يُكتسب الكلام داخل الأسرة في البداية عن طريق السماع والتقليد وذلك ببُلورة ملكة استعداد الطفل للتعلم، فيؤدي ذلك إلى زيادة اكتساب المفردات اللغوية ومعانيها.

– الخبرة والتدريب: عرفها عبد الرحمن صالح عبد الله¹⁰ ب "عملية التفاعل بين المتعلم وبين العوامل الخارجية المحيطة به في بيئته سواء كانت مادية أو اجتماعية". والخبرة هي كل ما ينتج عن عبد الرحمن صالح عبد الله، (1985)، المنهاج الدراسي، أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى.

هذه العملية ويكتسب من معارف. أما التدريب فهو من العوامل المهمة في التعلم، فكلما كثر المتعلم منه كلما قلّت نسبة أخطائه وزادت نسبة التعلم لديه.

ب - بنية الوحدات الصرفية العربية:

إن دراسة الظواهر الصرفية للغة العربية تحتاج إلى مقارنة بينها وبين لغات أخرى لمعرفة الفروق بينها؛ ونظراً لكون اللغة الفرنسية تشكل اللغة الثانية في المنظومة التعليمية المغربية، فإنه من الأجدر - في اعتقادي - اعتمادها في هذه المقارنة.

إن الهدف من المقارنة في هذا المقال هو الوقوف على أوجه الاختلاف بين البنية الصرفية للكلمة العربية والكلمة الفرنسية.

يُعد تعلم اللغة العربية أكثر تعقيداً من تعلم اللغة الفرنسية بالنظر إلى المكون الصوتي والصرفي لكل واحدة منها. نعرض فيما يلي بتفصيل شديد بعض هذه التعقيدات المرتبطة بنطق الحروف وتصريف الأفعال والكلمات:

– نطق الحروف: تضم اللغة العربية ثمانية وعشرين صامتاً (حرفاً) وثلاثة مصوتات (الفتحة، والضمة، والكسرة)، وثلاثة صوائت (و - ا - ي)، تُنطق بسهولة بالنسبة إلى العربي، بينما يجد الفرنسي صعوبة في نطقها، خاصة لما يتعلق الأمر ببعض الصوائت غير الموجودة في الفرنسية مثل (ض) و (ع)، كما يجد صعوبة في تشكيل الكلمات فيضطر إلى تسكين أواخرها، ويقع هذا الأمر حتى عند العربي غير المتمكن من النحو.

¹⁰ - عبد الرحمان صالح عبد الله، المنهاج الدراسي، أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، 1985، ص17.

أما الفرنسية فتتكون من ستة وعشرين حرفاً، تُنطق أغلبها مشابه لنطق الحروف العربية ما عدا بعضها مثل: الحرف (R) الذي يقابل حرفه الراء في العربية، لكنه يُنطق في الفرنسية "إيغ". والحرف (H) الذي يُنطق تارة "حاء" وتارة أخرى "هاء" وقد لا يُنطق في أحيان أخرى مثل: (hôpital). وبالنسبة إلى المصوتات في اللغة الفرنسية، فهي تتشكل من الحروف (i,e,o,u,a) عكس اللغة العربية التي تتكون علامات تشكيلها من الحركات الثلاثة التي ذُكرت سلفاً. وما يميز مصوتات اللغة الفرنسية عن مصوتات اللغة العربية هو كون الأولى تارة تكون مصوتات (لا تُنطق) إذا وقعت بعد الصوامت مثل: ma /mo/me/mi/mu، وتارة أخرى تكون صوامت إذا وقعت في بداية الكلمة مثل: Omar , Ali, Imane ، في هذه الحالة فهي تُنطق. بينما الحركات في اللغة العربية لا تُحيد عن وظيفتها الوحيدة وهي التشكيل.

– تصريف الأفعال والأسماء: تتفوق اللغة العربية من حيث عدد الضمائر على اللغة الفرنسية، فضمائر الخطاب في اللغة العربية: أَنْتَ – أَنْتِ – أَنْتُمْ – أَنْتُنَّ. بينما تتوفر اللغة الفرنسية فقط على ضميرين هما: "tu" et "vous"، فاللغة الفرنسية لا تُعرف معنى للمثنى ولا لتتبع الصور للفعل أثناء تصريفه كما هو الحال في اللغة العربية، لأن الفعل العربي تتنوع صورته بتنوع الضمائر مثل: (أنا أَقْرَأُ، أَنْتِ تَقْرَأِينَ، هُمَا يَقْرَأَانِ، هُمْ يَقْرَأُونَ، هُنَّ يَقْرَأْنَ). بينما يحافظ الفعل الفرنسي في الغالب على جذره مع إضافة اللواحق مثل:

“je marche – tu marches – il/elle marche – nous marchons – vous marchez – ils/elles marchent”

إن الاختلاف بين اللغتين (الفرنسية والعربية) لا يقتصر فقط على تصريف الأفعال، وإنما يشمل كذلك حتى الأسماء، فالجمع في اللغة الفرنسية يقوم في الغالب على زيادة الحرف (s) أو (x) إلى صيغة الاسم، وفي اللغة العربية تتغير أحيانا صيغة الاسم عند تحويله من المفرد إلى الجمع، إما بتكسیر بِنْيَتِهِ فَيُسمى جمع التكسير مثل: (بخيل - بخلاء) و (كتاب - كتب)، أو الحفاظ على بنية الاسم نفسها في صيغة المفرد المذكر وإضافة حَرْفِي الألف والتاء بالنسبة إلى الجمع المؤنث السالم مثل: (مُدرّس - مُدرّسات)، والواو والنون بالنسبة أو الياء والنون بالنسبة إلى الجمع المذكر السالم مثل: (مُدرّس - مُدرّسون/مُدرّسين). وقد تتقاطع اللغتان في بعض القواعد مثل: ارتباط الفعل بالجنس والعدد أو المطابقة بين العدد والمعدود (Accord de l'adjectif qualificatif avec le nom) .(qualifié).

وبناء على هذه المعطيات ومعطيات أخرى، يمكن القول: إن اللغة الفرنسية تنسم بالمرونة في تعلمها بالمقارنة مع اللغة العربية.

ج - مجال اشتغال الصرف

يشتغل علم الصرف على دراسة التغييرات التي تطرأ على بنية الكلمة نتيجة لعوامل متعددة تفرضها قواعد لغوية كالحذف والإضافة والقلب وغير ذلك. إلا أن وجود بعض المفردات في اللغة العربية (الجامدة والمبنية) تشكل عائقاً أمام علم الصرف لكونها تحتفظ على البنية نفسها أينما وجدت في الجملة. لذلك فعلم الصرف يهتم بالأفعال المتصرفة والمفردات غير المعربة ويهمل المفردات الجامدة والمبنية مثل: حروف الجر، وحروف الاستقبال، وحروف التمني، وحروف الترجي، والأسماء الأعجمية، وأسماء الأفعال، وأسماء الأصوات، غير ذلك.

أما بالنسبة إلى الكلمات الأخرى، فيتم استخدام الميزان الصرفي لمعرفة حروفها الأصلية من الحروف الزائدة فيها. والميزان الصرفي يستخدم في تحويل الكلمات المتصرفة إلى جذورها الأصلية في اللغة العربية، والتي تتكون من ثلاثة أحرف أساسية (ف ع ل = فَعْل) ولكل كلمة أو فعل مقابل وزني يرجع ل (فعل) في الأصل ومن ثم يمكن معرفة الأحرف الزائدة.

يُطبق الميزان الصرفي على الأسماء والأفعال ولا يشمل الحروف لأن الهدف منه - كما ذكرنا سلفاً - هو معرفة الحروف الأصلية من الزائدة بسبب الاشتقاق الذي ينعلم في الحروف.

يبدو أن متعلم المرحلة المبكرة (التعليم الأولي) لا يحتاج إلى كل ما ذكر حول الوعي الصرفي، لكن المدرس بطرقه الخاصة وبلورته لمعارفه الصرفية يُمكن المتعلمين الصغار من الاستفادة منها بشكل ضمني من خلال استخدامه مثلاً، اشتقاقات متنوعة لكلمة واحدة في تعبيره أو أثناء بسطه للأسئلة مثل قوله: (من يجيب؟ أو من عنده الجواب؟ أو من يقول جوابه؟ أو من أجاب بسرعة سأمحه نقطة زائدة، أو أنا أنتظر أجوبتكم)، فالمدرس يستخدم الجذر (ج - و - ب) في صور مختلفة. ومن ثم يَألف المتعلم الصغير سماع هذه الكلمات ويستخدمها فيما بعد بتلقائية. وبهذا يكتسب المتعلم القدرة على استخدام اشتقاقات الكلمة الواحدة رغم عدم علمه بقواعد الاشتقاق، فَنَمَى عنده مهارات المحادثة. ويكتسب المتعلم في المدرسة الابتدائية مهارات لغوية أخرى كالقراءة، والكتابة، والقواعد اللغوية (الإملاء، والتراكيب، والصرف والتحويل) التي يتم تطويرها بالتدرج باستخدام منهجيات متنوعة ودقيقة.

د - منهجية الصرف والتحويل في المدرسة الابتدائية

تُدرس القواعد اللغوية (كما ذكر سلفاً) ابتداءً من المستوى الرابع بشكل تصريحي بعدما كان إدراجها ضمنياً في المستويات السابقة من أجل استئناس المتعلمين بها من خلال استخدامهم اللغة العربية محادثة وكتابة دون الاكتراث إلى قواعدها، حيث يُنظر إلى القواعد اللغوية في التعليم الابتدائي على أنها وسيلة مساعدة على تعلم اللغة واكتسابها وليست أساساً؛ وهذا ما يؤكد ما ورد في الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي (2009: 72) 11 من خلال القول: "القواعد اللغوية ليست هدفاً في حد ذاتها في مرحلة الابتدائي، بل تعتبر أساساً لدعم، وتيسير استعمال اللغة المكتسبة"، لذا تم التنصيص في المنهاج المنقح في محور درس اللغوي (في المستويات الثلاثة الأخيرة من التعليم الابتدائي) على تَبْنِي منهجية موحدة، نوضحها من خلال مكون الصرف والتحويل كالتالي:

يُقدم درس الصرف والتحويل في المدرسة الابتدائية بشكل تصريحي ابتداءً - كما ذكر سلفاً - من السنة الرابعة بالاعتماد على مبدأ التدرج (من التحسيس والاكْتساب إلى الترسخ والتعمق).

وتروم الظواهر الصرفية المدروسة بالابتدائي إلى تحقيق أهداف، نعرضها كما وردت في دلائل الأستاذة والأستاذ للمستويات الثلاثة؛ الرابع، والخامس، والسادس. ونظراً لكونها موحدة بين هذه الدلائل، فإنه يكفي في ذكرها اعتماد دليل واحد (في رحاب اللغة العربية للمستوى السادس من التعليم الابتدائي).

وردت الأهداف من تدريس الصرف والتحويل في الدليل البيداغوجي 12 كما يلي:

- يتعرف المتعلم الظواهر الصرفية المقررة.

- يستثمر الظواهر الصرفية أثناء الإنجازين الشفهي والكتابي وأثناء الشكل.

- يُحسن أداءه التواصل شفهياً وكتابياً بالاستثمار الإيجابي للظاهرة المدروسة.

- يوظف اللغة العربية توظيفاً سليماً في إنتاجاته الشفهية والكتابية.

11 - وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني، الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي بالمغرب، طبعة 2009، ص 72.

12 - نفسه، ص 133.

يتم السعي إلى تحقيق هذه الأهداف وفق خطة منهجية موحدة، في المستويات الثلاثة العليا في الابتدائي، حيث تتم دراسة الظاهرة الصرفية المستهدفة على مدى حصتين، بمعدل حصة واحدة في الأسبوع مدتها الزمنية ثلاثون دقيقة (30 د).

تُخصّص الحصة الأولى لاستكشاف الظاهرة بالانطلاق من وضعية غالباً ما تكون نصاً مقتطفاً من القراءة الوظيفية، أو جملاً من اختيار المدرس.

ينبغي أثناء تحليل الظاهرة الصرفية موضوع الدرس، كما جاء في الدليل (2020: 134) 13 الحرص على تبسيط المفاهيم والقواعد اللغوية للمساعدة على فهمها وإدراكها واستيعابها وتوظيفها في سياقات لغوية تواصلية دالة، ضمن إنتاجات شفوية وكتابية ملائمة وتجنب الإغراق في تفريع الظاهرة المدروسة في الاستثناءات اللغوية لبعض حالاتها المعقدة على مستوى الفهم والاستعمال، كما ينبغي إشراك المتعلمين جميعهم في استنتاج القاعدة وبنائها باستدراجهم من لدن المدرس بأسئلة موجهة. وبعدها يُطلب إنجاز تطبيق شفهي أو على الألواح كتقويم مرحلي مع ضرورة الحرص على تصحيح الأخطاء الواردة في أجوبة المتعلمين.

أما الحصة الثانية فتخصص لإنجاز تطبيقات كتابية حول الظاهرة الصرفية المدروسة، الهدف منها تقويم مكتسبات المتعلمين السابقة المرتبطة بالظاهرة المدروسة ودعم حصيلة المتعلمين اللغوية وتحسين مردوديتهم ومعالجة تعثراتهم.

4- تأثير اللغة الأم على معجم المتعلمين

يتأثر تعليم اللغة العربية وتعلمها داخل الفصل بعوامل كثيرة مثل: ظاهرة التداخل اللغوي بين لغة التدريس (العربية) واللغة المنطوقة (المستخدمة في التدريس) بفعل انصهار بعضهما في بعض. قد يكون هذا التأثير إيجابياً، إذا اعتُمدت الدارجة كوسيط للتواصل بين المدرس والمتعلم، وذلك بالاستعانة بها لتمير المعارف إلى المتعلم خاصة إذا كان الأمر يتعلق ببدايات التعليم والتعلم. وقد يكون تأثيرها سلبياً على اكتساب اللغة العربية مع كثرة تداولها في المراحل المتقدمة من التعلم (في المستويات العليا من التعليم الابتدائي). مما يخلق نوعاً من التشويش على الإنجاز اللغوي عند المتعلم، خاصة وأنه في هذه المرحلة يكون قد تعلم لغة أجنبية (الفرنسية) تؤثر بدورها على اللغة العربية، وهذا ما وضحه حسيب عبد الحليم شعيب 14 حين قال: "وجود لغة أجنبية مزاحمة للغة الأم، أو منافسة

¹³ - الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي، ص 72.

¹⁴ - المصدر السابق، ص 72.

لها، قد يخلق نوعاً من التذبذب، أو الحيرة، ويمنع من التركيز في الاهتمام باللغة الأصلية، ومن التمكن منها".

إن جهد المتعلم ازدواجي اللغة ووقته يصيران موزعين بين لغتين مما يقلل من فرص تلقي عناصر اللغة العربية اللفظية واستيعابها، أو من فرص استخدام هذه العناصر؛ فيؤدي ذلك إلى ركوضها في الذهن فيصعب استدعاؤها وقت الحاجة إليها.

يواجه متعلم اللغة العربية في بداية التعلم صعوبات كثيرة، منها عدم فهم معاني الكلمات ومقاصدها، فيستعين عن طريق التقييس باللغة الأم، ومن ثم يسقط في ظاهرة التداخل اللغوي دون قصد منه، مما يفسد العلاقة بين اللغة والفكر؛ لأن استخدام اللغة بشكل سلس يستوجب اشتغالها معاً.

يؤدي التداخل بين العربية والدارجة في الغالب إلى الركاكة وعدم التناغم بين الأسلوب ونمط الاستخدام، لذا فدور المدرس في هذه الحالة حاسم، وعليه أن يعمل على إبعاد المتعلم عن استخدام لغته الأم، وأن يسهر على استخدام التكنولوجيا الرقمية التي تضع بين أيدي المتعلم معاجم لغوية مختلفة.

تكتسب اللغة العربية عن طريق التكرار كما أكدته النظرية السلوكية وعززته العلوم المعرفية، ويتجسد هذا النوع من التعلم والاكْتساب في القراءة، لذا ينبغي الاهتمام أكثر بالقراءة والاستمرار في تشجيع المتعلمين وتحفيزهم على المطالعة. وقد تنبه المشرفون على الشأن التربوي إلى أهمية القراءة في تحسين التحصيل اللغوي، فسعى الساهرون منهم على الإصلاح في إطار التنزيل الأولي للرؤية الاستراتيجية لوزارة التربية الوطنية 2015 – 2030، في سياق تطبيق البرنامج المتعلق بتعلم القراءة باللغة العربية، حيث عُرف هذا المشروع بـ "القراءة من أجل النجاح"، إلى اعتماد القراءة المقطعية، التي تقوم بالدرجة الأولى على الوعي الصوتي ثم الوعي الصرفي فالوعي التركيبي والدلالي.

5 - علاقة الوعي الصرفي بالوعي الصوتي

تعرف غياسون¹⁶ الوعي الصوتي، على أنه مهارة "تمثل اللغة الشفوية كما لو كانت سلسلة من الوحدات أو القطع من قبيل المقاطع والقافية والفونيم". وعرفه غولدسوورثي¹⁷ بقوله: هو "قدرة عقلية تتصل بتجزئ بنية أصوات اللغة". أما بركيت¹⁸ فقد اعتبر الوعي الصوتي هو "القدرة الميثالغوية ذات الصلة بالقيام بمهمات حول اللغة الشفوية".

إن الوعي الصوتي، بناء على هذه التعاريف، هو معرفة نظام النطق المستخدم في اللغة انطلاقاً من معرفة مبنى الأصوات وإدراك أن الوحدات اللغوية المنطوقة هي عبارة عن تركيب يتألف من أجزاء (أصوات، ومقاطع). وتقوم هذه المعرفة على القدرة العقلية للفرد التي تمكنه من تجزئ الكلمة إلى وحدات لغوية صغرى.

يستخدم مصطلح "الوعي الصوتي" في الكتابات اللسانية للدلالة على أصغر وحدة في السلسلة الكلامية ذات صفات مميزة تختلف باختلاف نسق الكلام (من لغة إلى أخرى)، والأمثلة في هذا الباب كثيرة نذكر بعضها فقط على سبيل التمثيل، كالباء في اللغة العربية يقابلها في الفرنسية صامتان (P وB)، لذا توصف الباء في الفرنسية بالجهر حيث يفرق الجهر بين الكلمتين "Bas/Pas". وفي مقابل ذلك، الصامت (S) في الفرنسية يقابله الصامتان (س - ص) في العربية والفرق واضح من خلال المثال: سار/ صار. من ثم يستحيل التقابل بين بعض الصوامت في اللغتين الفرنسية والعربية.

ويُعد الوعي الفونيمي جزءاً من الوعي الصوتي، لأن الوعي الأول يمثل القدرة على التمييز بين الوحدات الصوتية الصغرى، والتي تتمثل في الفونيمات، نمثل لذلك انطلاقاً من تحليل كلمة "عاشق" كما يلي: (ع/أش/ق)، بينما يمثل الوعي الصوتي القدرة على التمييز بين الوحدات الصوتية بعيداً عن حجمها، فيصير تحليل كلمة "عاشق" كما يلي: (ع/أش/ق). ومن ثم يبدو الفرق بين الوعي الفونيمي والوعي الصوتي. وقد تنبه الخبراء التربويون إلى أهمية الوعي الصوتي في تعليم اللغة وتعلمها، فتم تبنّيه أول الأمر في المنظومة التربوية الأمريكية في إصلاحها الذي انطلق من

¹⁶ -Jacelyne Gaisson, la lecture: Apprentissage et défficultés, Adapté par: Genevière Vandecasteele, de boeck. Outils pour enseigner, 1ere édition, 2011, p 83.

¹⁷ -Candace L. Goldsworthy, C.L sourcebook of phonological awareness activities, volume 6- children's core literature, DELMAR cenguage learning, 2011, p 2.

¹⁸ -Sophie Briquet –duhazé, entrainement de la conscience phonologique et progrès en lecture d'élèves en grand difficulté, enfance et langages, l'harmattan, 2013, p 9.

دراسات ميدانية عديدة مباشرة بعد صدور تقرير "الهيئة الوطنية للقراءة" (National Reading Panel⁽¹⁹⁾) سنة 2000، الذي خلص - حسب Ziegler 20 - إلى أن 70% من المتعلمين الأمريكيين في القسم الرابع في وسط حضري، خضعوا لاختبارات وطنية وتبث أنهم لا يقرؤون بالشكل المطلوب. ومن ثم تأكد للخبراء التربويين الأمريكيين من خلال المعاينة الميدانية أن السبب في تراجع المستوى التعليمي راجع إلى اعتماد الشمولية في تقديم الدروس، فتخلوا عنها واعتمدوا الطريقة المقطعية في القراءة التي انتشرت بعد ذلك في العديد من الدول العربية ومنها المغرب.

تُعتمد الطريقة المقطعية في المدارس المغربية في السنوات الأولى من التعليم الابتدائي، كبديل لإصلاح المنظومة التربوية وفق ما يعرف اليوم بالمنهج المنقح الذي يشكل الخطوة الأولى لتنزيل الرؤية الاستراتيجية لوزارة التربية الوطنية (2015 - 2030).

6 - من الصعوبات القرائية والإعرابية عند المتعلمين إلى التعثر اللغوي

تعد الوظيفة التواصلية من أهم الوظائف التي تؤديها اللغة العربية، إلى جانب اللغات الأخرى. ولكي تُؤدى هذه الوظيفة بالشكل المطلوب داخل الفصل الدراسي، ينبغي أن يكتسب المتعلم مهارة الاستماع، ومهارة الحديث، ومهارة الكتابة، ومهارة القراءة في المستويات الأولى من التعليم الابتدائي كي يستطيع المتعلم في غضون المستوى الثالث التعبير شفهيًا عما يريد، ويستطيع قراءة النصوص بسلاسة. ويختلف الوضع مع الكتابة حيث يواجه المتعلم بعض الصعوبات بسبب عدم معرفته قواعد الإملاء. ومن ثم فمهارة الكتابة لا تُكتسب إلا في المستويات العليا من التعليم الابتدائي بعد التصريح بالقواعد اللغوية (دراسة القواعد الإملائية، والتركيبية، والصرفية الذي صار، مع المنهج المنقح، ينطلق من السنة الرابعة ابتدائي).

إن تحقيق كفايات درس اللغوي ليس أمراً هيناً بسبب وجود مجموعة من العوامل التي تحول دون فهم درس من قبل بعض المتعلمين، وقد تكون هذه العوامل ناتجة عن المتعلم نفسه، أو عن المدرس، أو عن المعرفة (محتوى البرنامج الدراسي)، أو عن الإطار المرجعي النظري والبيداغوجي

(19) التقرير متوفر على الرابط التالي:

<https://www.nichd.nih.gov/sites/default/files/publications/pubs/nrp/Documents/report.pdf>

²⁰- Ziegler, J.C (2009). Lire: casse-tête ou jeu d'enfant? Les dossiers de la recherche, p75.

المعتمدين. وفيما يلي نذكر مثالا لهذه العوامل لتوضيح كيفية إسهامه في تراجع مستوى التحصيل اللغوي عند المتعلمين.

يرى بنعيسى زغبوش²¹ أن أهم العوامل التي تؤثر سلبا على عملية التعليم عامة، وتعليم اللغة العربية خاصة، هو اعتماد التفسير نفسه الذي قدمته النظريات لعملية التعليم والتعلم في مرحلة تاريخية معينة، زمنها المعرفي مخالف للزمن المعرفي الحالي الذي يعرف تطوراً ملحوظاً بفعل تطور العنصر البشري. ومن ثم لا يمكن اعتبار تفسير النظريات مطلقاً، خاصة لما يتعلق الأمر بالعلوم الإنسانية ومنها علوم اللغة، لأن العلم مُنَسَّب بالأخطاء؛ كما وصفه باشلار ب "تاريخ أخطاء" على اعتبار أنه إذا كان الخطأ يردُّ في العلوم الحقة، فكيف لعلم اللغة المنتمي للعلوم الإنسانية أن يسلم من الأخطاء التي ترتكبها الذات الإنسانية، إما عن قصد أو غير قصد؟

بناء على ذلك، ينبغي تحديث آليات تعليم اللغة العربية وتعلمها وفق المعطيات اللسانية الحديثة والمتطلبات البيداغوجية، ووضع برامج تعلمها انطلاقاً من المعرفة الدقيقة لطبيعة اللغة العربية، وطبيعة متعلميها، وكيفية حصول الاكتساب والتعلم، واعتماد المقاربة التواصلية الوظيفية الرامية إلى خلق الاندماج داخل الفصل من أجل تدارك ما تم ارتكابه من هفوات التي تؤدي إلى قصور حاد في اكتساب اللغة العربية خاصة، وتراجع في المستوى التعليمي عامة. وقد أكد هذا التراجع التقرير الموضوعاتي²² حول نتائج البرنامج الوطني لتقوية التحصيل الدراسي لسنة 2008. مفاده أن تدني مستوى التعليم بالمغرب مرده بالدرجة الأولى إلى عدم التمكن من القراءة، وضعف في اكتساب الموارد اللغوية (فقر المعجم الذهني)، وهي أسباب رئيسة في عدم قدرة المتعلم على الإنجاز الشفهي والكتابي، ليس فقط في السلك الابتدائي، وإنما امتد ذلك إلى السلك الثانوي الإعدادي (حسب التقرير)، وقد صار اليوم تدني المستوى التعليمي ملحوظاً حتى في الثانوي التأهيلي والجامعي أيضاً. ومن ثم، يمكن ردُّ التعثر اللغوي - حسب هذا التقرير - إلى مكونات اللغة جميعها.

الخاتمة:

تشكل الطفولة الأولى أهم مرحلة لاكتساب اللغة وتعلمها، لذا انصب اهتمامنا في هذا المقال على أهم الخطوات التي يمر بها الطفل في اكتساب اللغة ابتداء من ميلاده ثم تعلمها داخل مؤسسة

²¹ - زغبوش بنعيسى، السيرورات المعرفية واستراتيجيات التعلم "نموذج المقاربة التربوية الاستراتيجية للتركيب الذهني لدى الطفل"، مجلة الطفولة العربية، العدد 35، السنة 2008، ص 57.

²² - المجلس الأعلى للتعليم، التقرير الموضوعاتي لسنة 2009 حول نتائج البرنامج الوطني لتقوية التحصيل الدراسي 2008م.

للتعليم الأولي أو الروض ويستمر هذا التعلم حتى بلوغه السنة السادسة من عمره. وقد اعتمدنا في ذلك على أهم نظريات التعلم التي تفسر سيرورات التعلم عامة وتعلم اللغة خاصة، للتقرب أكثر من معرفة دقائق هذه العملية، فتوصلنا إلى أن الطفل في مرحلة الطفولة الأولى يكتسب رصيماً لغوياً من لغته الأم، فيصير قادراً على اللعب بالكلمات بطريقة تتضبط للقواعد والقوانين التي تنتظم بواسطها هذه اللغة، مما يُمكنه من التواصل مع من يحيط به بطريقة سلسة، كما يتعلم بعد التحاقه بمؤسسة التعليم الأولي أو الروض كلمات من اللغة العربية تمكنه من تركيب جمل بسيطة. وبعد التحاقه بالمدرسة الابتدائية يستمر في تعلم اللغة العربية وفق خطط بيداغوجية محكمة تحترم خصوصياته.

وتُقدم اللغة العربية في بداية التعليم الابتدائي (السنوات الثلاثة الأولى) باعتماد التعبير الشفهي ثم القراءة فالكثابة، وهي مكونات أساس لتعلم اللغة العربية في المدرسة الابتدائية؛ حيث يتمكن أغلب المتعلمين بفضل هذه المكونات من التعبير عما يشاهدونه شفهيًا أو كتابيًا دون ارتكاب أخطاء لغوية رغم عدم خوضهم في تعلم القواعد اللغوية بشكل صريح.

ويبدأ المتعلم في تلقي الدرس اللغوي في المدرسة الابتدائية المغربية بشكل تصريحي ابتداء من السنة الرابعة، ويشمل الدرس اللغوي المكونات: الصرف والتحويل والتراكيب ثم الإملاء. وقد تناولنا في هذا المقال بشيء من التفصيل مكون الصرف والتحويل لارتباطه الوثيق بالقراءة، التي تقوم على الوحدات الصرفية المكوّنة بدورها من وحدات لغوية صغرى (أصوات - مقاطع). لذا بيّنا العلاقة التي تربط الوعي الصرفي بالوعي الصوتي سواء تعلق الأمر بنطق الأصوات أو تصريف الأفعال والأسماء من خلال المنهجية المعتمدة في تقديم درس الصرف والتحويل، مع الإشارة إلى بعض العوامل التي تشكل صعوبات في تعليم اللغة وتعلمها كتأثير اللغة الأم على معجم المتعلمين، مما يؤدي إلى التعثر اللغوي عند بعض المتعلمين.

النتائج

أسفرت هذه الدراسة عن مجموعة من الأسباب تحوّل دون إنجاح تقديم درس في الصرف والتحويل نذكر منها:

- نفور المتعلم من المدرسة أو من مادة اللغة العربية وانشغاله بتعلم لغة أو لغات أخرى.
- خلل في منهجية المدرس بالقصور في شرح الدرس ونقص في التمارين التطبيقية، أو إلى عدم ملاءمة الطريقة المتبعة في تقديم الدرس مع القدرات العقلية للمتعلمين، أو تغييبه للمنهجية الفارقة التي تراعي الفروق بين القدرات العقلية للمتعلمين.

- قصور في التقويم والدعم أو غيابهما معاً، أو عدم تصحيح التمارين الداعمة.
- طبيعة اللغة العربية المنسّمة بالتعقيد لكثرة الاشتقاقات وتنوع الحالات التي تُبنى بها الكلمة.
- عدم ملاءمة موضوع الدرس مع القدرات العقلية والمعرفية للمتعلم.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

- أنور محمد الشرقاوي، التعلم، نظريات وتطبيقات، مطبعة محمد عبد الحكيم حسان، مصر، بدون طبعة، 2017.
- تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1994.
- حامد عبد السلام زهران وآخرون، المفاهيم اللغوية عند الأطفال، دار المسيرة للنشر، عمان، الطبعة الأولى، 2007.
- حسيب عبد الحليم شعيب، (2015)، طرائق تدريس اللغة العربية، ترجمة، محمد أسليم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
- زغبوش بنعيسى، السيرورات المعرفية واستراتيجيات التعلم "نموذج المقاربة التربوية الاستراتيجية للتكرار الذهني لدى الطفل"، مجلة الطفولة العربية، العدد 35 السنة 2008.
- زيتون، حسن حسين، كمال عبد الحميد، (2006)، التعلم والتدريس من وجهة النظرية البنائية، عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى.
- عبد الرحمان صالح عبد الله، المنهاج الدراسي، أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، 1985.
- ناصف، مصطفى، (1983)، نظريات التعلم، دراسة مقارنة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 70.
- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني، الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي بالمغرب، طبعة 2009.

المراجع الأجنبية:

- Ziegler, J.C. Lire: casse-tête ou jeu d'enfant? Les dossiers de la recherche, 2009.
- Jacelyne Gaisson, la lecture: Apprentissage et difficultés, Adapté par: Genevière Vandecasteele, de boeck. Outils pour enseigner, 1ere édition, 2011.
- Candace L. Goldsworthy, C.L sourcebook of phonological awareness activities, volume 6- children's core literature, DELMAR cenguage learning, 2011.
- Sophie Briquet –duhazé, entraînement de la conscience phonologique et progrès en lecture d'élèves en grand difficulté, enfance et langages, l'harmattan, 2013.

التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم خلال المرحلة الأساسية في محافظة غزة

Psychological and social adjustment among children who lost their mothers during the elementary grade in Gaza Governorate

إعدادُ البَاحِث:

محمد حسن عبد القادر العثمانة: باحث دكتوراه في علم النفس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس

Prepared by: **Mohammed H. A. Alathamna**

PhD researcher in Psychology, College of Humanities and Social Sciences,
University of Tunisia, Tunisia

الملخص:

هدفت الدراسة الكشف علي مستوى التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم خلال المرحلة الأساسية في محافظة غزة، والتعرف إلى الفروق في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم خلال المرحلة الأساسية في محافظة غزة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، واستخدم الباحث استبانة التكيف النفسي والاجتماعي، وتكونت عينة الدراسة من (50) طفل وطفلة من طلبة المرحلة الأساسية بمحافظة غزة، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن مستوى التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم قد بلغ 51.4% وهو مستوى منخفض، أن التكيف الاجتماعي كان أكبر بقليل من التكيف النفسي، حيث جاء الوزن النسبي لهما على التوالي 52%، 50.9%، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف الاجتماعي والدرجة الكلية للتكيف لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للجنس، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي وللدرجة الكلية للتكيف لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للصف، عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي وللدرجة الكلية للتكيف لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى لمكان إقامة الطفل، وتوصيات الدراسة تقديم الدعم النفسي والاجتماعي لدي الاطفال فاقدى الأم من خلال وزارة التربية والتعليم.

Abstract:

This study aimed to measure the level of Adaptation psychological and social adaptation among children who lost their mothers during the elementary grade in Gaza governorate and to identify the differences in the average psychological and social adaptation among children who lost their mothers during the elementary grade in Gaza Governorate, The method used: the descriptive analytical approach, The researcher used a psychological and social adjustment questionnaire, The study population: consisted of (50) male and female students from the elementary grade(in Gaza Governorate, Study results: the study showed that the level of psychological and social

adaptation among children who lost their mothers reached 51.4%, which is a low level, and that the social adaptation was slightly greater than the psychological adaptation, as the relative weight for them was 52% and 50.9%, respectively. And the absence of statistically significant differences at the significance level of 0.05 in the average social adaptation and the total degree of adjustment among children who lost their mothers is due to the gender, And the absence of statistically significant differences at the significance level of 0.05 in the average psychological and social adaptation and the total degree of adaptation, among children who lost their mothers is due to the grade, And the absence of statistically significant differences at the significance level of 0.05 in the average psychological and social adaptation and the total degree of adaptation among children without a mother due to the child's place of residence, Study recommendations: providing psychological and social support to children who lost their mother, by the Ministry of Education.

المبحث الأول: الإطار المنهجي للدراسة

مقدمة:

تعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل نمو الإنسان حيث تكمن أهميتها في كونها ليست مرحلة إعداد للحياة المستقبلية فحسب وإنما أيضاً مرحلة لنمو الفرد من جميع جوانبه، ففي ضوء ما يتلقاه فيها من رعاية وتنشئة اجتماعية وما يكتسبه من خبرات تحدد معالم شخصيته في المستقبل .

ويحتاج الطفل في مراحل حياته الأولى بصفة خاصة إلى الشعور بالأمن الذي يوصله إلى التوافق النفسي والاجتماعي ويحفظ توازنه النفسي وتؤكد استقراره، وهو في هذا يحتاج إلى الحب والاستقرار كعناصر أساسية لإحساسه بالأمن والطمأنينة وهذه العناصر يستقيها ممن يحيطون به خاصة الأم لأن الحب والأمن الذي يجده الطفل عند أمه يؤثر على نموه الانفعالي والجسمي والعقلي والاجتماعي (المؤمن، 1986: 20).

ويكتسب الطفل في الأسرة مجموعة من عادات التكيف التي تمكنه من أن يتوافق مع معظم الظروف التي يتعرض لها وتعد هذه العادات والسلوكيات المقبولة من المجتمع، هو الذي يجعلنا نؤكد القول أن الطفل في السنوات الأولى من حياته يمر بعملية تربية لها من الأثر ما يفوق أي عملية تربية أخرى (فهمي، 1978: 80).

والطفل في حاجة إلى تكوين علاقات اجتماعية مع غيره وخاصة من هم في سنه أو سن متقارب منه، وتظهر الحاجة إلى الأصدقاء والتي تعد ضرورة من ضروريات الحياة وهي حاجة أساسية للطفولة لأنها تمثل له المجتمع الحقيقي الذي يحيا فيه، وجماعات الأطفال تمثل للطفل المجال الذي يوفر له فرص الاستمتاع والمنافسة والاندماج مع الآخرين، وتعتبر الأسرة من أهم المجالات التي تعمل على تكوين صداقات للطفل وإشباع حاجاته إلى العلاقات الاجتماعية (يونس، 1987: 392).

إن حرمان الطفل من الأسرة يؤدي إلى عجزه عن تقدير الآخرين، واختلال علاقاته الاجتماعية، مما يؤثر في تقديره لذاته وينمي عنده الشعور بالقلق، هذا إلى جانب عجزه عن تحقيق ذاته الذي يتمثل في استخدام مواهبه ومهاراته (غيت، 1982: 70).

الطفل الذي يعاني من ألوان الحرمان الشديدة في حياته العاطفية المبكرة لأي سبب من الأسباب كوفاة أحد الوالدين أو كليهما أو مرضهما، أو سجن الوالدين أو إحداهما، تكون استجابته دائماً ضعيفة لا تقوى على تحمل أعباء الحياة ومتاعبها بل أن هذا يجعله عاجزاً بصفة مستمرة على تكوين علاقات المحبة مع الآخرين، وذلك بسبب عدم استقرار الطفل وتأهبه لمواجهة الحياة، وعجزه عن إشباع رغباته داخل الأسرة، كل تلك العوامل تخلق فيه إحساساً بعدم الاطمئنان إلى غيره من الناس، ذلك أن الشعور بالحرمان ينتج عن وجود حائل دون الطفل وإشباع رغباته وحاجاته، وفي نفس الوقت يتضمن هذا الشعور تهديداً للطفل وشخصيته وبالتالي كلما زاد هذا الشعور عند الطفل تعرضت شخصيته للاضطراب، وزادت مشاعر القلق لديه وحاجته لدى الأطفال الصغار الذين لا يستطيعون تحمل مواقف الحرمان المختلفة.

ولقد خلق الله سبحانه الإنسان بل الكائن الحي بشكل عام في أطوار وجعله يمر بعدد من المراحل العمرية تتفاوت في قوتها وطبيعتها ودرجة استجابتها للمؤثرات المحيط بها، وهذه المراحل تبدأ بمرحلة الطفولة ثم الشباب أو المراهقة ثم الرجولة أو الرشد ثم يبدأ الإنسان بالعودة في السلم البيولوجي والنفسي في مرحلة الشيخوخة. وهذه المراحل المتعدد التي يمر بها الإنسان لكل منها

خصائصها ومميزاتها وكذلك مشكلاتها ومعيقاتها التي تؤثر وتتأثر بالمناخ المحيط بها، وبالتالي لكل من هذه المراحل طبيعة تعامل خاصة مع البيئة المحيطة بها وكذلك تعامل البيئة معها.

ومن هنا تبرز أهمية الدراسة التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم بالمرحلة الأساسية في محافظة غزة.

مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة في الإجابة عن الاسئلة التالية:

- 1) ما مستوى التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم؟
- 2) هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للجنس؟
- 3) هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للصف الدراسي؟
- 4) هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى لمكان إقامة الطفل؟

فروض الدراسة"

في ضوء الإطار النظري، والدراسات السابقة يمكن صياغة فروض الدراسة على النحو الآتي

- 1) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للجنس.
- 2) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للصف الدراسي.
- 3) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى لمكان إقامة الطفل.

أهداف الدراسة:

- (1) الكشف عن مستوى التكيف النفسي الاجتماعي لدى طلبة المرحلة الأساسية في محافظة غزة.
- (2) التعرف علي العلاقة ذات الدلالة الإحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$) بين فقدان الأم والتكيف النفسي الاجتماعي لدى طلبة المرحلة الأساسية في محافظة غزة.
- (3) التعرف إلى الفروق ذات الدلالة الإحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$) في متوسط التكيف النفسي الاجتماعي لدى طلبة المرحلة الأساسية في محافظة غزة تعزى للمتغيرات التالية (الجنس، الصف الدراسي، مكان الإقامة).

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الجانب التي تتناوله، وهو فقدان الأم والتكيف النفسي الاجتماعي لدى طلبة المرحلة الأساسية في محافظة غزة ولعل هذا الجانب ينطوي علي أهمية كبرى سواء من الناحية النظرية أو الناحية التطبيقية والتي يتمثل في النقاط التالية:

أولاً من الناحية النظرية:

- تعتبر الدراسة امتداداً لدراسات بعض الباحثين السابقين الذين قاموا بدراسة فقدان الأم والتكيف النفسي الاجتماعي .
- يعد هذا البحث إثراء للمعرفة النظرية لمجموعة البحوث حول فقدان الأم والتكيف النفسي الاجتماعي.
- تعود أهمية هذه الدراسة في أنها تعتبر الأولى حسب علم الباحث التي تناولت فقدان الأم والتكيف النفسي الاجتماعي لدى طلبة المرحلة الأساسية في محافظة غزة.
- تعد نتائج الدراسة إثراء للأدب التربوي والنفسي من الناحية المعرفية.

ثانياً من الناحية العملية (التطبيقية):

- قد تتيح هذه الدراسة المجال لاستحداث برامج ذات فعالية في مجال التكيف النفسي الاجتماعي لدى طلبة المرحلة الأساسية في محافظة غزة .
- قد يستفيد من الدراسة المشرفون علي رعاية الأيتام.

■ قد يستفيد من الدراسة الأخصائيون النفسيون العاملون في المؤسسات الأهلية والمجتمعية.

مصطلحات الدراسة:

◀ فقدان الأم:

عرفه (الكافي، 2005: 206-207) هو الطفل الذي فقد أبويه أو أحدهما في مرحلة من مراحل الطفولة وتولى الأقارب ومؤسسات المجتمع كفالته وتعليمه ومعيشته، ويستمر اليتيم حتى زواج الفتاة، وحتى انتهاء التعليم للذكر أو بلوغه 21 سنة".

◀ التكيف النفسي الاجتماعي:

ويعرف الباحث التوافق النفسي الاجتماعي: هو قدرة الفرد التي تؤهله إلى الشعور بالرضا والتقبل لذاته، من خلال المبادئ والقيم والأهداف التي ارتضاها لذاته، بالإضافة إلى الشعور بالرضا الاجتماعي وتقبل الجماعة التي يعيش بداخلها، ويقاس إجرائيا بالدرجة التي يحصل عليها أفراد العينة على استبانة التكيف النفسي الاجتماعي.

حدود الدراسة:

الحد المكاني: تم تطبيق الدراسة في المدارس الاساسية بمحافظة غزة .

الحد الزمني: تم تطبيق الدراسة في العام 2021.

الحد البشري: تم تطبيق الاستبانة على عينة من (الاطفال فقيدين الأم من الصف الأول إلى الرابع).

دراسات سابقة:

تناولت الباحثة هنا العديد من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة، ضمن محورين يمثلان متغيري الدراسة الرئيسيين التكيف النفسي والاجتماعي، والايتم، كما سيتم عرضها متسلسله زمنياً من الأحدث إلى الأقدم.

بعد الإطلاع على الأدب التربوي والتراث العلمي وعلى مخزون علم النفس في هذا المجال، قام الباحث بتجميع أكبر عدد من البحوث والدراسات السابقة سواءً المحلية أو العربية أو الأجنبية، قام الباحث بإنتقاء بعض البحوث والدراسات السابقة في جميع المجالات التي تخدم وتقوي الدراسة الحالية، قام الباحث بعرض أهم البحوث والدراسات العربية والأجنبية التي تناولت التكيف النفسي والاجتماعي بصورة مباشرة أو غير مباشرة مع موضوع الدراسة الحالية.

هذا وقد تم تصنيف الدراسات السابقة إلى مجموعتين على النحو التالي.

- المجموعة الأولى: دراسات تناولت التكيف النفسي والاجتماعي وعلاقته ببعض المتغيرات.
- المجموعة الثانية: دراسات تناولت الايتام وعلاقته ببعض المتغيرات.

أولاً. دراسات تناولت التكيف النفسي والاجتماعي وعلاقته ببعض المتغيرات.

أجرى (يحيى، 2016) دراسة هدفت الدراسة الي التعرف على مستوى المناخ المدرسي والتكيف الاجتماعي للعينة وبحسب الجنس والعلاقة بينهما، وقادعت الباحثان مقياس للمناخ المدرسي، أما مقياس التكيف الاجتماعي تبنت الباحثان مقياس (الكندي، 2001) وتم تطبيق مقياس المناخ المدرسي على (112) تلميذ وتلميذة حيث تم اختيار المدارس والتلاميذ بطريقة عشوائية اما مقياس التكيف الاجتماعي فقد طبق على (30) معلم ومعلمة لمعرفة مدى تكيف التلاميذ لديهم، وظهرت النتائج رضى التلاميذ عن المناخ المدرسي الخاص بمدارسهم لمجالات (المدير والمعلم وطرق التدريس) وارتفاع مستوى التكيف الاجتماعي لديهم، اما الفروق بحسب الجنس لاتوجد فروق في مجال المدير وطرق التدريس وظهرت النتائج فروق في مجال المعلم ولصالح الاناث، وظهرت النتائج وجود علاقة وتوافق بين المتغيرين.

كما قام (عزراية، 2016) دراسة هدفت الدراسة الي التعرف على دور مؤسسات الرعاية الإيوائية في تحقيق التكيف الاجتماعي للمسنين في مدينة "عمان" ومن أجل تحقيق أهداف هذه الدراسة فقد تم تصميم استبانة ضمت جميع محاور التكيف الاجتماعي، وتكونت عينه الدراسة من (203) مسنا ومسنة، وقد توصلت الدراسة إلى أن مؤسسات الرعاية الإيوائية تلعب دورا في تحقيق التكيف النفسي للمسنين كما بينت النتائج أن مؤسسات الرعاية الإيوائية تلعب دورا في تحقيق التكيف الاجتماعي للمسنين.

وقام (العبيدي، 2015) بدراسة هدفت التعرف الى التعلق الأمن وعلاقته بالتفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، ولتحقيق هدف البحث استخدم الباحث مقياس التعلق الأمن الذي أعدته الباحثة (أحمد، 2011)، وقد بنى الباحث مقياس التفاعل الاجتماعي، تكونت عينه البحث من (400) تلميذ من تلاميذ المرحلة الابتدائية (الأول/ الثاني)، وقد اظهرت النتائج يتمتع تلاميذ المرحلة الابتدائية بتعلق أمن، ولا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين الذكور والاناث في متغيري البحث (التعلق الأمن

والتفاعل الاجتماعي)، وإن أفراد عينة البحث لديهم تفاعل اجتماعي، وتوجد علاقة ارتباطية موجبة بين التعلق الآمن والتفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية.

وأجرى (عباس، 2015) دراسة هدفت التعرف على السلوك التوكيدي وعلاقته بالتكيف الاجتماعي المدرسي لدى طالبات المرحلة الإعدادية، وتكونت عينة البحث من (100) من طالبات المرحلة الإعدادية في مركز مدينة الديوانية وتبنت الباحثة مقياس للسلوك التوكيدي ومقياس للتكيف الاجتماعي، وتوصلت الي النتائج التالية: ان هناك علاقة ارتباطية بين السلوك التوكيدي والتكيف الاجتماعي المدرسي.

كما قام (محمد، 2014) دراسة هدفت إلى تعرف درجة التكيف النفسي، والاجتماعي، ودرجة الخوف من المدرسة، وتعرف العلاقة بين التكيف النفسي والاجتماعي، وتقليل الخوف من المدرسة، وتكونت عينة الدراسة من (45) تلميذاً، واستخدم الباحث الادوات التالية: مقياس الخوف من المدرسة ومقياس التكيف الاجتماعي والنفسي من اعادة , وتوصلت الدراسة الي النتائج التالية: إن هناك درجة منخفضة من التكيف النفسي، والاجتماعي، واعتدال درجة الخوف، وارتباط الخوف عكسياً مع التكيف النفسي، والاجتماعي.

كما أجري (غريب، 2013) دراسة هدفت إلى التعرف على العلاقة بين سيولة المعلومات الفضائية والتكيف النفسي الاجتماعي وذلك من خلال أنماط المشاهدة وأثرها علي طلبة المرحلة الثانوية الصم، وتكونت عينة الدراسة من (100)، وتلخصت ابرز النتائج إلي عدم اختلاف المهارات النفسية الاجتماعية بالنسبة لأبعاد التعبير الانفعالي، والحساسية الانفعالية، والضبط الانفعالي، والتعبير الاجتماعي، والدرجة الكلية للمهارات النفسية الاجتماعية باختلاف نوع البرامج الفضائية التي يشاهدها الصم، بالإضافة إلي عدم اختلاف المهارات النفسية الاجتماعية بالنسبة للأبعاد التالية "التعبير الانفعالي والحساسية الانفعالية والتعبير الاجتماعي والحساسية الاجتماعية" والدرجة الكلية للمهارات النفسية الاجتماعية بينما اختلف الضبط الانفعالي والضبط الاجتماعي باختلاف عدد ساعات مشاهدة القنوات الفضائية لصالح الصم الذين يشاهدون القنوات الفضائية بصورة اقل.

كما أجري (Prior & Niesz, 2013) دراسة هدفت إلى التعرف على تكيف الأطفال اللاجئين في الولايات المتحدة، وتكونت عينة الدراسة من (30) لاجئة. أظهرت النتائج أن مستوى التكيف النفسي والاجتماعي جاء بدرجة عالية، وعدم وجود فروق في مستوى التكيف تعزى لمتغير العمر، ووجود فروق تعزى إلى فترة المكوث لصالح الفترات الأقل.

وقام (Meyer, Murray, Puffer, Larsen & Botton, 2013) بدراسة هدفت إلى التعرف على مستوى التكيف النفسي والاجتماعي لدى عينة من الأطفال اللاجئين في تايلاند، وتكونت عينة الدراسة من (46) طفلاً. أظهرت النتائج وجود عدد من المشكلات المؤثرة على الصحة النفسية والاجتماعية، وأن مستوى التكيف النفسي والاجتماعي جاء بدرجة متوسطة.

وأجري Ferguson, Gail M, et,al (2010) دراسة هدفت التعرف الي التوافق النفسي والاجتماعي للمراهقين بوصفة وظيفة في التناقضات بين التصورات الفعلية والتصورات المثالية للذات والأهداف، وتكونت عينه الدراسة من (212) طالباً في جاميكا، وتوصلت الدراسة إلى ارتباط التناقض بين الذات المثالية والذات الواقعية بأعراض الاكتئاب وانخفاض تقدير الذات والتحصيل الأكاديمي المنخفض في مجالات الصداقة والعلاقات والعمل والتأثيرات كانت أكثر دلالة لدى المراهقين الأكبر مقارنة بالأصغر منهم سناً.

ثانياً : دراسات تناولت الأيتام وعلاقته ببعض المتغيرات:

قام (عبد الفتاح، 2014) دراسة هدفت التعرف الي مفهوم الذات لدى الأطفال المطعون في نسبهم وتحديد هل هو مفهوم ذات مرتفع (إيجابي) أم مفهوم ذات منخفض (سلبى)، والتعرف الي الفروق بين الجنسين على مقياس مفهوم الذات، والتعرف الي الفروق بين الأصغر سناً في مرحلة الطفولة الوسطى من 6-9 عام، الأكبر سناً في مرحلة الطفولة المتأخرة من 9-12 عام في كل من مفهوم الذات، وتكونت عينه الدراسة من (73) طفلاً من الأطفال المطعون في نسبهم، واستخدمت الباحثة الادوات التالية: مقياس مفهوم الذات للأطفال المطعون في نسبهم (إعداد الباحثة)، واستمارة بيانات أولية عن الطفل. (إعداد الباحثة)، وتوصلت الدراسة الي اهم النتائج التالية: وجود فروق بين متوسط درجات الأطفال المطعون في نسبهم (الذكور، والإناث) على مقياس مفهوم الذات، كما بينت وجود فروق بين متوسط درجات الأطفال المطعون في نسبهم في المرحلة العمرية من 6-9 عام، ومن 9-12 عاما على مقياس مفهوم الذات.

كما قام (الظفيري والسعيد، 2014) دراسة هدفت الي التعرف مفهوم الذات ومستويات أبعاد مفهوم الذات، لدى الطلبة المحرومين من الوالدين أو احدهما بسبب الوفاة والطلبة من آباء مطلقين والطلبة المحرمين من الوالدين بسبب عدم الشرعية والطلبة غير المحرمين، كما هدفت التعرف ما اذ كانت هناك فروق في مستويات ابعاد مفهوم الذات بين الابناء المتوفي والديهم أو أحدهما وأبناء المطلقين، وغير الشرعيين وغير المحرمين من الوالدين في سلطنة عمان، وتكونت عينه الدراسة

من (1126) من جميع طلبة مركز رعاية الطفولة، واستخدم الباحثان الادوات التالية: مقياس بيرس- هاريس لمفهوم الذات لدى الأطفال من سن 7-17 سنة، وتوصلت الدراسة الي اهم النتائج التالية: ان مستوي مفهوم الذات لدي افراد العينة مرتفع، كما توصلت أن توجد فروق في ابعاد مفهوم الذات بين المحرومين والغير المحرومين من الوالدين لصالح غير المحرمين، كما بينت أن توجد فروق في البعد العقلي والتحصيلي بين الابناء غير المحرومين من الوالدين وبين كل من الابناء المحرمين من الوالدين او احدهما بسبب الوفاه والابناء غير الشرعيين وذلك لصالح المجموعة الأولى، وفي البعد الاجتماعي توجد فروق بين الابناء غير المحرومين وبين المحرومين بسبب الوفاه لصالح المجموعة الاولى وفي بعد السعادة والرضا توجد فروق في بين الابناء غير المحرومين من الوالدين وبين كل من الابناء المحرومين من الوالدين او احدهما بسبب الوفاه.

كما قام دراسة (حسون، 2012) هدفت الي مقارنة مجموعة من المراهقين المحرومين من الرعاية، والذين يعيشون في المؤسسات الإيوائية بمجموعة من المراهقين العاديين الذين يعيشون مع والديهم في بعض الخصائص الشخصية باعتبارها مكونات لمفهوم الذات، وتكونت عينه الدراسة من (112) من المحرومين والعاديين من كلا الجنسين وقد تم اختيار مجموعة من المراهقين ضمن المؤسسات الإيوائية أما مجموعة المراهقين العاديين فقد تم اختيار أفرادها من مدارس المنطقة التعليمية نفسها التي يعيش فيها المراهقون المحرومون، استخدمت الباحثة الادوات التالية: مقياس مفهوم الذات لتنسي، وتوصلت الدراسة الي اهم النتائج التالية: وجود فروقاً دالة بين الذكور العاديين والمحرومين في مفهوم الذات لصالح العاديين في "جميع أبعاد المقياس"، وكذلك أظهرت فروقاً دالة بين الإناث العاديات والمحرومات في مفهوم الذات لصالح العاديات في "جميع أبعاد المقياس"، - وليس هناك أثر لتفاعل الحرمان مع العمر، وأكدت الدراسة فروقاً دالة بين الذكور والإناث المحرومين في مفهوم الذات لصالح الذكور "ماعدا بعد الذات الجسمية.

تعقيب على الدراسات السابقة:

نلاحظ من خلال العرض السابق للدراسات أنها تمت في بيئات أجنبية وعربية، وأنها لم تتناول متغيرات البحث الحالي مجتمعة وهي علاقة فقدان الأم بالتكيف النفسي والاجتماعي، وأن بيئتنا الفلسطينية في غزة تفتقر لمثل هذه الدراسات، مما يشير إلى أهمية هذه الدراسة ودفع الباحث للقيام بها.

ونلاحظ أن بعض هذه الدراسات تناولت علاقة التكيف النفسي والاجتماعي مع متغيرات نفسية عدة، أهمها: المناخ المدرسي، التعلق الأم، السلوك التوكيدي، مهارة حل المشكلات، التسريع الاكاديمي الافكار اللاعقلانية، مفهوم الذات، الخوف من المدرسة، سيولة المعلومات.

وأسفرت نتائج الدراسات السابقة عن الآتي:

1. أنها تناولت عينات مختلفة.
2. استخدمت أدوات مختلفة.
3. وجود ارتباط بين التكيف النفسي والاجتماعي وبين المناخ المدرسي، التعلق الأم، السلوك التوكيدي، مهارة حل المشكلات، التسريع الاكاديمي الافكار اللاعقلانية، مفهوم الذات، الخوف من المدرسة، سيولة المعلومات.

علاقة الدراسة الحالية بالدراسة السابقة:

من خلال اطلاع الباحث علي الدراسات السابقة، وجد أنها:

تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تناولها لمتغير : التكيف النفسي والاجتماعي . إلا أن الباحث لم يعثر على أي دراسة تناولت هذا المتغير مجتمعه على عينه من الاطفال فاقدى الأم بالمرحلة الاساسية بمحافظة غزة، وان المتتبع للدراسات النفسية المحلية يجد نقصاً واضحاً في دراسة متغيرات الدراسة الحالية؛ ولهذه الندرة، وغياب مثل هذه الدراسة- محليا جاءت الدراسة الحالية لسد هذا النقص، بهدف التعرف على مستوى التكيف النفسي والاجتماعي لدى الاطفال فاقدى الأم بمحافظة غزة. كما تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في التعرف على الفروق كل من: التكيف النفسي والاجتماعي لدى فاقدبن الأم لدى طلبة المرحلة الأساسية في محافظة غزة، وتناولت كل من الدراسة الحالية وبعض الدراسات السابقة عينات مجتمعه من الطلبة في المرحلة الجامعية والابتدائية، في حين تفتقر المكتبة الفلسطينية إلي دراسات على فاقدى الأم، وأستخدم كل من الدراسة الحالية، والدراسات السابقة المنهج الوصفي طريقاً لها للإجابة على فروض الدراسة.

أما أهم ما تتميز به الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة:

اهتمت الدراسة الحالية بفئة الاطفال فاقدى الأم بمحافظة غزة فقط، في حين أن هناك دراسات قليلة تناولت هذه الفئة بشكل مستقل، وتتميز الدراسة الحالية كونها وصفية حيث تسعى إلي التعرف

علي مستوى التكيف النفسي والاجتماعي لدى فاقدى الأم لدى طلبة المرحلة الأساسي في محافظة غزة، والتعرف إلي الفروق في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي لدى فاقدبن الأم لدى طلبة المرحلة الأساسية في محافظة غزة تعزى للمتغيرات التالية : الجنس، مكان الإقامة، الصف. ولم تجمع الدراسات السابقة بين متغيرات الدراسة الحالية مجتمعة في حدود علم الباحث، وهذا يؤكد على أن الدراسة الحالية من الدراسات الباكرة في الميدان محلياً، وتبني أدوات سيكومترية للتعرف على التكيف النفسي والاجتماعي لدى فاقدى الأم لدى طلبة المرحلة الأساسية في محافظة غزة، ومساعدة الباحثين الفلسطينيين في إجراء دراسات لاحقة في مجال الاختصاص تتناول متغيرات الدراسة الحالية لدى شرائح أخرى من المجتمع الفلسطيني.

الاستفادة من الدراسات السابقة:

من خلال الدراسات التي اعتمد عليها الباحث في دراستها الحالية، فقد استفاد الباحث من هذه الدراسات في إعداد المقدمة، ومن خلال التعليق السابق علي الدراسات التي استخدمها الباحث، فقد استفاد الباحث في اختيار منهج الدراسة، وتحديد العينة المستخدمة في الدراسة، كما استفادت من المعلومات الواردة في الدراسات، في تبني مقياس التكيف النفسي والاجتماعي، ثم تمت الاستفادة من هذه الدراسات في بناء الدراسات السابقة، بالإضافة إلي استفادتها الكبرى في وضع الفروض لدرسته، بجانب الاستفادة الكبيرة منها إنشاء الله في عرض وتفسير النتائج التي سوف تتوصل إليها دراسته الحالية، وكذلك الاستفادة منها في وضع مقترحات وتوصيات.

المبحث الثاني إجراءات الدراسة

أولاً- منهج الدراسة Study Method

من أجل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي، وذلك لمناسبته لأهداف الدراسة، وفروضها".

ثانياً- مجتمع الدراسة Study Population

و مجتمع الدراسة الحالية هي جميع طلبة المرحلة الأساسية من الصف (الأول – الرابع) بالمدارس الحكومية بمحافظة غزة .

ثالثاً: عينة الدراسة Study Sample

يقصد بعينة الدراسة : تكونت (50) طفل وطفلة من فاقدى الأم بالمرحلة الأساسية بمحافظة غزة من الصف (الأول – الرابع)، هذا وقد تألفت عينة الدراسة من عينتان وهما :

أ. العينة الاستطلاعية Sample Exploratory

قام الباحث بتطبيق أداة الدراسة على عينة استطلاعية مكونة من (10) طفل وطفلة من فاقدى الأم بالمرحلة الأساسية بمحافظة غزة.

ب. العينة الفعلية The Actual Sample

تكونت عينة الدراسة الفعلية من (50) طفل وطفلة من فاقدى الأم بالمرحلة الأساسية بمحافظة غزة لعام (2021) والتي تم اختيارهن بالطريقة العشوائية من المجتمع الاصلى.

خصائص عينة الدراسة:

جدول رقم (1): يوضح خصائص العينة

النسبة	التكرارات	الجنس
48	24	ذكر
52	26	أنثى
100	50	الإجمالي
النسبة	التكرارات	الصف
12	6	الأول
10	5	الثاني
20	10	الثالث
58	29	الرابع
100	50	الإجمالي

النسبة	التكرارات	الإقامة
38	19	الوالد
20	10	الجد
42	21	المؤسسة
100	50	الإجمالي

أدوات الدراسة Study Tools

من أجل تحقيق أهداف الدراسة؛ تم استخدام الأداة الآتية:

التكيف النفسي والاجتماعي لدى فاقدى الأم

الأداة. استبانة التكيف النفسي والاجتماعي لدى فاقدى الأم لدى طلبة المرحلة الأساسية في محافظة غزة.

وصف المقياس:

بعد الاطلاع على عدد من المقاييس ذات العلاقة بمتغيرات الدراسة كمقياس دراسة يحيى (2016) ودراسة العبيدي (2015) ودراسة عباس (2015)، ودراسة محمد (2014)، ودراسة غريب (2013) ودراسة (Prior & Niesz, 2013)، أعد هذا المقياس الباحث، ويتكون من (23) فقرة، ويجب المفحوص على عبارات المقياس باختيار الإجابة التي تتلاءم معه للإجابات الآتية: موافق بشدة تأخذ خمس درجات، " و موافق " تأخذ أربع درجات، "وأحياناً" تأخذ ثلاث درجات ومعارض تأخذ درجتين، ومعارض بشدة تأخذ درجة واحدة، والدرجة الصغرى للمقياس (23) والدرجة الكبرى (115) درجة.

صدق استبانة وثبات مقياس التكيف النفسي والاجتماعي لدى فاقدى الأم

أولاً: الصدق

1. صدق المحتوى (المحكمين)

وتم عرض فقرات المقياس على مجموعة من الخبراء في مجال الاختصاص في دولة فلسطين، والمملكة العربية السعودية، للحكم على فقراته، من حيث صياغتها، ومناسبتها، وملاءمتها لقياس ما وضعت من أجله، فقاموا بإجراء بعض التعديلات والتزم الباحث بالتعديلات.

2. صدق الاتساق الداخلي

تم حساب صدق الاتساق الداخلي من خلال العينة الاستطلاعية البالغ حجمها 10 شخص وذلك من خلال حساب معامل الارتباط بين كل فقرة من لفقرات الاستبانة مع الدرجة الكلية للبعد التي تنتمي له، والنتائج موضحة بالجدول رقم (2).

جدول رقم (2) : يوضح نتائج معامل الارتباط بين كل فقرة من لفقرات الاستبانة مع الدرجة الكلية للبعد التي تنتمي له

التكيف الاجتماعي			التكيف النفسي		
رقم	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	رقم	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1	.543(**)	0.002	1	.781(**)	0.000
2	.681(**)	0.000	2	.366(*)	0.047
3	.444(*)	0.014	3	0.120#	0.527
4	0.355#	0.054	4	0.067#	0.727
5	-.485(**)#	0.007	5	.758(**)	0.000
6	.452(*)	0.012	6	.450(*)	0.013
7	.590(**)	0.001	7	.778(**)	0.000

0.000	.683(**)	8	0.000	.629(**)	8
0.000	.641(**)	9	0.002	.535(**)	9
0.447	0.144#	10	0.693	0.075#	10
0.318	0.189#	11	0.032	.393(*)	11
0.000	.672(**)	12			

**دالة عند 1% *دالة عند 5% # غير دالة عند 5%

يتبين من الجدول رقم (2) أن معامل الارتباط بين كل فقرة من فقرات الاستبانة مع الدرجة الكلية للبعد التي تنتمي له الفقرة كان لجميع الفقرات موجبا ودالة عند مستوى دلالة 0.05، باستثناء الفقرات رقم (4، 10) كانت غير دالة والفقرة رقم 5 دالة ولكن سالبة في بعد التكيف النفسي، وأيضا الفقرات رقم (3، 4، 10، 11) كانت غير دالة في بعد التكيف الاجتماعي مما قام الباحث بحذفها لكي يكون هناك اتساق داخلي بين جميع الفقرات وبعدها التي تنتمي له.

ثانياً: الثبات

تم حساب ثبات مقياس التكيف النفسي والاجتماعي على أفراد العينة الاستطلاعية البالغ عددها 10 فرد، من خلال طريقة ألفا كرونباخ، وذلك بعد حذف الفقرات التي لم تحقق ارتباط جوهري مع البعد التي تنتمي له، وجاءت النتائج على النحو التالي:

جدول رقم (3): يوضح معامل الثبات وفقا لطريقة ألفا كرونباخ

معامل الثبات	عدد الفقرات	البيان
0.665	8	التكيف النفسي
0.823	8	التكيف الاجتماعي
0.796	16	الدرجة الكلية

يتبين من الجدول رقم (3) أن معامل الثبات للدرجة الكلية لمقياس التكيف وفقا لطريقة ألفا كرونباخ كانت 0.796 ويعد معامل ثبات مرتفع، مما يدل على أن المقاييس تتمتع بثبات مرتفع.

الأساليب الإحصائية للدراسة.

1. التكرار والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي.
2. معامل ارتباط سبيرمان براون ومعامل جتمان.
3. معامل ارتباط بيرسون.
4. اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA).
5. اختبار t-test للعينات المستقلة.

المبحث الثالث: عرض النتائج

نتائج التساؤل الأول وتفسيره : ما مستوى التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم؟

وللإجابة على هذا التساؤل تم حساب الوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي للدرجة الكلية وللإبعاد مقياس التكيف، والجدول رقم (4) يوضح النتائج.

جدول رقم (4) الوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي للدرجة الكلية وللإبعاد مقياس التكيف النفسي والاجتماعي

الترتيب	الوزن النسبي%	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	البعد
2	50.9	0.721	2.543	التكيف النفسي
1	52.0	0.802	2.598	التكيف الاجتماعي
	51.4	0.577	2.570	الدرجة الكلية

يتبين من الجدول رقم (4) أن مستوى التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم قد

بلغ 51.4% وهو مستوى منخفض.

كما يتبين أن التكيف الاجتماعي كان أكبر بقليل من التكيف النفسي، حيث جاء الوزن النسبي

لهما على التوالي 52%، 50.9%.

اتفقت نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة كل من دراسة(محمد، 2014) و دراسة (أبو زيتون، 2010) حيث بينت تلك الدراسات ان مستوى التكيف منخفض، بينما اختلفت مع دراسة (يحيى، 2016) ودراسة(العبيدي، 2015) ودراسة(عباس، 2015) حيث دلت تلك الدراسات ان مستوى التكيف مرتفع.

ويعزو الباحث النتيجة الي طبيعة مرحلة النمو ان الطفل في هذه المرحلة يكون نموه الاجتماعي ضعيف يتمثل في اقرنه بالمدرسة والمعلمين، اما وجود الفروق في التكيف النفسي قد يعود لما يقدم من دعم نفسي من قبل المرشدين والمؤسسات المجتمعية للطفل سواء كان ايتام او غير أيتام.

نتائج التساؤل الثاني وتفسيره : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للجنس"

للإجابة على هذه الفرضية تم استخدام اختبار t للعينات المستقلة للتعرف على الفروق بين مجموعتين من البيانات المستقلة والجدول رقم (5) يوضح النتائج.

جدول رقم (5) : يوضح نتائج اختبار t للفروق في التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للجنس

مستوى الدلالة		قيمة t	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	الجنس	
دالة	0.044	2.079	0.665	2.755	24	ذكر	التكيف النفسي
			0.727	2.346	26	أنثى	
غير دالة	0.887	0.143	0.797	2.614	24	ذكر	التكيف الاجتماعي
			0.822	2.581	26	أنثى	
غير دالة	0.179	1.364	0.510	2.684	24	ذكر	الدرجة الكلية
			0.623	2.463	26	أنثى	

يتبين من الجدول رقم (5) أن مستوى الدلالة لكل من التكيف الاجتماعي والدرجة الكلية للتكيف كان أكبر من 0.05 وهو المستوى المقبول في الدراسة مما يشير إلي عدم وجود فروق ذات دلالة

إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف الاجتماعي والدرجة الكلية للتكيف لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للجنس.

اتفقت نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة كل من (يحيي، 2016) ودراسة (العبيدي، 2015) حيث توصلت تلك الدراسات ان لا توجد فروق في التكيف يعزى للجنس.

كما يتبين من الجدول رقم (5) أن مستوى الدلالة للتكيف النفسي كان أقل من 0.05 وهو المستوى المقبول في الدراسة مما يشير إلي وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للجنس، حيث كانت الفروق لصالح الذكور.

اتفقت نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة كل من (جرون، 2009) ودراسة (نوري، 2009) ودراسة (عبد الفتاح، 2014) ودراسة حسون (2012) حيث توصلت تلك الدراسات ان توجد فروق في التكيف يعزى للجنس.

ويعزو الباحث النتيجة الي ان الطفل اليتيم له علاقات طيبة مع أسرته، ويشعر بأن الأسرة تحبه وتقدره، وتعامله معاملة حسنة، كما يشعر بالأمن والاحترام من أفراد أسرته له، وهذه العلاقات لا تتنافى مع ما للوالدين من سلطة عادلة على الطفل اليتيم وتوجيه سلوكه.

نتائج التساؤل الثالث وتفسيره : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للصف الدراسي"

للإجابة على هذه الفرضية تم استخدام اختبار التحليل التباين الأحادي ANOVA للعينات المستقلة للتعرف على الفروق بين ثلاثة مجموعات من البيانات المستقلة والجدول رقم (6) يوضح النتائج.

جدول رقم (6) نتائج اختبار تحليل التباين للفروق في التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للصف الدراسي

مستوى الدلالة	قيمة F	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين	البعد
0.356	1.106	0.572	3	1.715	بين المجموعات	التكيف النفسي
		0.517	46	23.772	داخل المجموعات	
			49	25.488	الإجمالي	
0.236	1.468	0.918	3	2.755	بين المجموعات	التكيف الاجتماعي
		0.626	46	28.785	داخل المجموعات	
			49	31.54	الإجمالي	
0.284	1.306	0.427	3	1.282	بين المجموعات	الدرجة الكلية
		0.327	46	15.051	داخل المجموعات	
			49	16.333	الإجمالي	

يتبين من الجدول رقم (6) أن مستوى الدلالة لكل من التكيف النفسي والاجتماعي وللدرجة الكلية للتكيف لدى الأطفال فاقدى الأم كان أكبر من 0.05 وهو المستوى المقبول في الدراسة مما يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط لتكيف النفسي والاجتماعي وللدرجة الكلية للتكيف لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى للصف الدراسي، ويعزو الباحث تلك النتيجة إلى أن الطفل اليتيم بحاجة إلى مساندة اجتماعية ودعم نفسي ورعاية بغض النظر عن الصف الدراسي فيجب توفير احتياجاته من فسيولوجية واجتماعية ونفسية.

اتفقت نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة كل من (جرون، 2009) حيث دلت على وجود فوق تعزى للمرحلة التعليمية، واختلفت مع ودراسة (نوري، 2009) ودراسة (عبد الفتاح، 2014) ودراسة (حسون، 2012) حيث أن تلك الدراسات لم تتناول متغير الدراسة الحالي وهو الصف.

نتائج التساؤل الرابع وتفسيره : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى لمكان إقامة الطفل"

للإجابة على هذه الفرضية تم استخدام اختبار التحليل التباين الأحادي ANOVA للعينات المستقلة للتعرف على الفروق بين ثلاثة مجموعات من البيانات المستقلة والجدول رقم (7) يوضح النتائج.

جدول رقم (7) نتائج اختبار تحليل التباين للفروق في التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى لمكان إقامة الطفل

مستوى الدلالة	قيمة F	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين	البعد
0.869	0.141	0.076	2	0.152	بين المجموعات	التكيف النفسي
		0.539	47	25.336	داخل المجموعات	
			49	25.488	الإجمالي	
0.407	0.916	0.592	2	1.184	بين المجموعات	التكيف الاجتماعي
		0.646	47	30.356	داخل المجموعات	
			49	31.54	الإجمالي	
0.544	0.618	0.209	2	0.418	بين المجموعات	الدرجة الكلية
		0.339	47	15.915	داخل المجموعات	
			49	16.333	الإجمالي	

يتبين من الجدول رقم (7) أن مستوى الدلالة لكل من التكيف النفسي والاجتماعي وللدرجة الكلية للتكيف لدى الأطفال فاقدى الأم كان أكبر من 0.05 وهو المستوى المقبول في الدراسة مما يشير إلي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 في متوسط لتكيف النفسي والاجتماعي وللدرجة الكلية للتكيف لدى الأطفال فاقدى الأم تعزى لمكان إقامة الطفل .

اختلفت نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة كل من دراسة(محمد، 2014) ودراسة (أبو زيتون، 2010) ودراسة (يحيي، 2016) ودراسة(العبيدي، 2015) ودراسة(عباس، 2015) حيث أن تلك الدراسات لم تتناول متغير الدراسة الحالي وهو فقدان الأم.

ويعزو الباحث تلك النتيجة إلي فقدان الأم يمثل صدمة لكل من الجنسين لانهما يفقدان العطف والحنان، وان اي إيواء أو إقامة للطفل لا يعوضه حنان وعطف أمه وتبقي نفسيته مهزوزة.

التوصيات:

وفقا لنتائج البحث يضع الباحث التوصيات الآتية

- تقديم الدعم النفسي والاجتماعي لدى الاطفال فاقدى الأم من خلال وزارة التربية والتعليم.
- العمل على الاهتمام بالأنشطة والبرامج المختلفة التي تعزز مستوى التكيف النفسي والاجتماعي لدى الأيتام باعتبارهم العامل الرئيس للنجاح في الحياة.
- توفير أخصائيين نفسيين واجتماعيين للكشف عن مشاكل الأيتام النفسية ومعالجتها.
- حث المرشدين بالمدارس بالاهتمام بهذه الفئة وتصميم برامج نفسية واجتماعية تساعد تلك الفئة علي التكيف.
- توعية الأيتام بأهمية امتلاك المزيد من آليات التكيف النفسي والاجتماعي لتحقيق صحة نفسية أفضل.
- تدريب الأيتام من خلال ورش العمل والندوات على الأساليب الإيجابية لتكيف النفسي والاجتماعي لمواجهة مشكلات المستقبلية.

دراسات مقترحة:

في ضوء إجراء البحث وما توصل إليه الباحث من نتائج يقدم الباحث المقترحات التالية :

1. إجراء دراسة عن التكيف النفسي والاجتماعي على مراحل عمرية أخرى.
2. إجراء دراسات ارتباطية بين التكيف النفسي والاجتماعي ومتغيرات أخرى.
3. إجراء دراسة تشمل عينة من الطلبة في مديريات التربية في محافظات غزة .

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

- أبو زيتون، جمال عبد الله. (2010). التكيف النفسي وعلاقته بمهارة حل المشكلات لدى الطلبة الموهوبين المتفوقين. مجلة العلوم التربوية والنفسية. (11) 2، 34-39.
- جروان، فتحي عبدالرحمن. (2009). أثر التسريع الأكاديمي على التحصيل الدراسي والتكيف النفسي والاجتماعي المدرسي للطلبة المسرعين في محافظة عمان. المجلس العربي للموهوبين والمتفوقين وواجهة الأردن للتعلم والتبادل الثقافي. (1)، 127 - 153
- حسون، هنادي عبد القادر. (2012). مفهوم الذات لدى المراهقين المحرومين من الرعاية الوالدية والعاديين، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس. دمشق. سوريا. (10) 1.
- الظفيري، سعيد بن سليمان والسعيد، دانه خالد (2014). مفهوم الذات لدى الطلبة المحرومين وغير المحرومين من الوالدين في سلطنة عمان. مجلة العلوم التربوية جامعه السلطان قابوس. (22) 4.
- عباس، فردوس خضير. (2015). السلوك التوكيدي وعلاقته بالتكيف الاجتماعي المدرسي لدى طالبات المرحلة الاعدادية. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية. (23) 446-475.
- عبد الفتاح، كامليا (2014): مفهوم الذات لدى الأطفال المطعون في نسبهم، مجلة دراسات الطفولة جامعه عين شمس. (12) 62.
- العبيدي، مظهر عبد الكريم. (2015). التعلق الأمن وعلاقته بالتفاعل الاجتماعي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية. مجلة ديالى للبحوث الانسانية. (66)، 1-29.
- عذاربه، غسان عوض سالم. (2016). دور مؤسسات الرعاية الإيوائية في تحقيق التكيف الاجتماعي للمسنين في الأردن : دراسة ميدانية مسحية للمسنين في الدور الإيوائية في مدينة عمان رسالة ماجستير. جامعة اليرموك

غريب، أيمن عواد. (2013). أثر سيولة المعلومات الفضائية في التكيف النفسي والاجتماعي بين طلبة المرحلة الثانوية الصم في الأردن وعلاقته بعدد من المتغيرات الناجمة عنها. جمعية الثقافة من أجل التنمية . جامعة سوهاج . أكاديمية البحث العلمي.(7)، 505 – 548.

غيث، محمد عاطف.(1982). المشاكل الاجتماعية السلوك الانحرافي. الإسكندرية: دار المعارف الجامعية.

فهيمى، مصطفى (1978): التكيف النفسي. مصر: دار مصر للطباعة.

الكافي إسماعيل عبد الفتاح عبد (2005). موسوعة مصطلحات الطفولة: مركز الإسكندرية للكتاب.

محمد، عصام سعدي. (2014). علاقة الخوف من المدرسة بالتكيف النفسي والاجتماعي لدى تلاميذ الصف الثالث الابتدائي. مجلة التربية الرياضية جامعة بغداد كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة. (26) 3، 209-221.

المؤمن محمد عبد(1986). مشكلات الطفل النفسية. الإسكندرية: دار الفكر الجماعي.

نوري، أحمد محمد محمود.(2009). الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها بالتكيف النفسي والاجتماعي لدى الطلبة في جامعة الموصل. مجلة علمية للبحوث التربوية والإنسانية.(16) 2، 172-195.

يحيى، بان صباح.(2016). المناخ المدرسي وعلاقته بالتكيف الاجتماعي لدى تلاميذ الصف الأول الابتدائي في محافظة أربيل / المركز. مجلة البحوث التربوية والنفسية.(51)، ص 84 – 108.

يونس انتصار محمد(1978). السلوك الإنساني. القاهرة : دار المعارف.

المراجع الأجنبية:

Ferguson ,Gail M. Hafen,Christopher A, Laursen,better(2010) Adolescent Psychological and Academic Adjustment as a Function of Discrepancies between Actual and Ideal Self - perception Journal of Youth And Adolescence,v93 n12 p1485

Meyer, S., Murray, L., Puffer, E., Larsen, J. & Botton, P. (2013). The nature and impact of chronic stressor on refugee children in ban Mai Nai Soi camp, Thailand. *Global Public Health*, 8(9), 1027- 1047.

Prior, M. & Niesz, T. (2013). Refugee children's adaptation to american early childhood classrooms: A narrative inquiry. *The Qualitative Report*, 39, 1 -17.

درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية بمديرية غرب غزة للقيادة التحويلية وعلاقتها بمستوى سلوك المواطنة التنظيمية

Transformational leadership of secondary school principals in west of Gaza governorate and its relation with the organizational citizenship

إعداد الباحثة:

مرورة عصام حسن الأضم؛

باحثة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس

Prepared by

Marwa Esam Hassan AlAdam

PhD Student in Educational Science, University of Tunis - Faculty of Humanities and :
Social Sciences of Tunis

المخلص:

هدفت الدراسة للتعرف على درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية بمديرية غرب غزة للقيادة التحويلية وعلاقتها بمستوى سلوك المواطنة التنظيمية، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وتكون مجتمع الدراسة من معلمي المرحلة الثانوية بمدارس مديرية غرب غزة للعام 2021، عينة الدراسة على (263) معلماً ومعلمة من معلمي المرحلة الثانوية بمديرية غرب غزة للعام 2021، نتائج الدراسة عن أن درجة ممارسة مديري المدارس للقيادة التحويلية من وجهة نظر المعلمين كان متوسطاً، وأن درجة ممارسة معلمي المدارس لسلوك المواطنة التنظيمية كان متوسطاً من وجهة نظر المعلمين أنفسهم. وكانت توصيات الدراسة: تنمية مهارات القيادات التحويلية لدى المديرين والمعلمين من خلال إعداد ورش العمل التدريبية، وعقد الندوات.

الكلمات المفتاحية: القيادة التحويلية – المواطنة التنظيمية- محافظة غزة

Abstract:

This study aimed to measure the degree of transformational leadership practiced by secondary school principals in West Gaza Governorate and its relationship to the level of organizational citizenship behavior. The method used: the descriptive analytical approach. The study population: consisted of secondary school teachers in West Gaza District schools for the year 2021. The study sample: consisted of (263) male and female secondary school teachers in West Gaza Directorate for the year 2021. Study results: the results of the study showed that the degree of school principals' practice of transformational leadership from the teachers' perspective was average, and that the degree of school teachers' practice of organizational citizenship behavior was average from the teachers own perspective. Study recommendations: developing the skills of transformational leadership among principals and teachers through preparing training workshops and holding seminars.

Keywords: Transformational leadership - organizational citizenship - Gaza governorate.

المقدمة:

من الملاحظ أن الاهتمام بمفهوم القيادة التحويلية يشكل عنصر أساسي للمؤسسات خصوصاً في ظل التحديات والتغيرات المتسارعة. حيث أن القيادة هنا تمثل المفتاح الأساسي لنجاح التغيير.

جميع المنظمات هو الحاجة إلى التغيير فإن المبدأ الذي يجب الاتفاق عليه تجاه هذه التغييرات هو دور القيادة في إدارة وتوجيه هذا التغيير. وهذا يعني أن المنظمات المعاصرة بحاجة إلى قيادة لديها القدرة على إدارة التحولات والتغييرات، وتحقيق الاستمرارية (LOWER & DARDNER, 2001)

حتى النظريات الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين والتي أطلق عليها نظريات القيادة الجديدة كنظرية القيادة الإلهامية، والقيادة التحويلية، والقيادة التبادلية (KNEI, 1999)

لقد أدرك الباحثون في المجال التربوي على أهمية نظرية القيادة التحويلية، وعلى الرغم من أنها لم تدخل في المجال التربوي إلا في فترة التسعينات من القرن المنصرم، واعتبروا ظهورها بمثابة استجابة لحاجات المجتمع الأكاديمية الملحة والداعية لتحقيق الفاعلية في أداة المنظمات بضرورة توظيف القيادة التحويلية لإصلاح وتطوير أداء المؤسسات التربوية (BRGANL, 2003)

مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤلات التالي: هل يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين درجة ممارسة مديرو المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في محافظة غزة للقيادة التحويلية وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي هذه المدارس؟

أسئلة الدراسة:

- 1- ما درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في مديرية غزة للقيادة التحويلية من وجهة نظر المعلمين؟
- 2- ما مستوى سلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في مديرية غزة في فلسطين من وجهة نظرهم؟
- 3- هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين؟

فروض الدراسة:

تختبر الدراسة الفروض التالية:

- 1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، بين السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين تعزي متغير الجنس (ذكر/ أنثي)
- 2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، بين السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين تعزي متغير المؤهل العلمي.
- 3- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، بين السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين تعزي متغير سنوات الخبرة.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من أهميته المتغيرات الخاضعة للبحث فالقيادة التحويلية، والمواطنة التنظيمية في الموضوعات الحديثة، ونالت الاهتمام المتزايد في البحث والدراسة من قبل الباحثين في مختلف القطاع التربوي، كما يأتي أهميتها من كونها ستشجع على إجراء دراسات أخرى حول القيادة التحويلية وعلاقتها بمتغيرات تنظيمية أخرى، التي من شأنها تحويل المؤسسات التربوية إلى مؤسسات فاعلة.

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى:

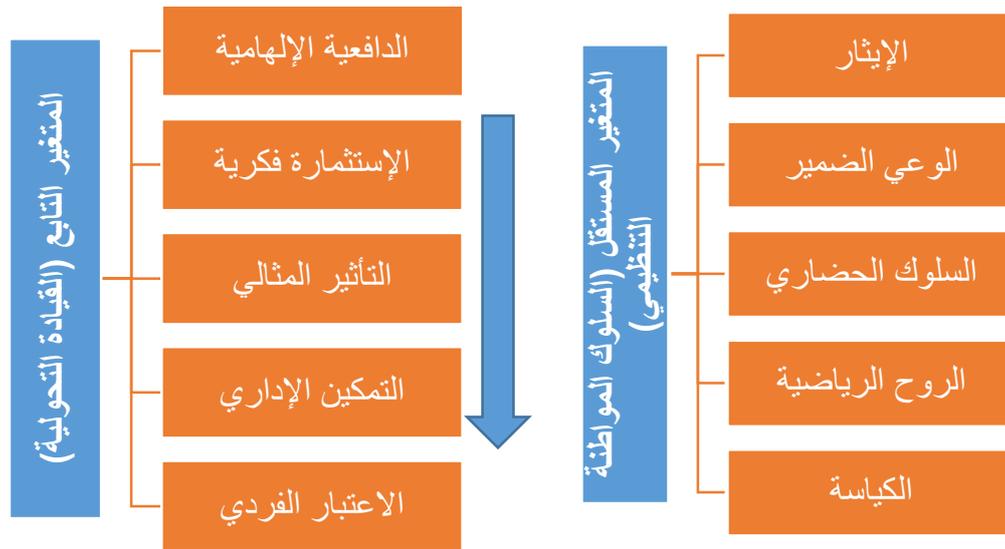
- 1- التعرف على درجة ممارسة الثانوية الحكومية في مديرية غزة من وجهة نظر المعلمين.
- 2- التعرف على مستوى سلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية في محافظة غزة من وجهة نظر المعلمين أنفسهم
- 3- التعرف على العلاقة بين درجة ممارسة مديري المدارس للقيادة التحويلية وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية في محافظة غزة من وجهة نظر المعلمين

متغيرات الدراسة:

تتكون الدراسة من متغيرين؛ مستقل وتابع، وهما:

- 1- المتغير المستقل: (ممارسة القيادة التحويلية) وينبثق عنه المتغيرات التالية: (الدافعية الإلهامية، الإستثمار فكري، التأثير المثالي، التمكين، الاعتبار الفردي)
- 2- المتغير التابع: (السلوك المواطنة التنظيمية) وينبثق عنه المتغيرات الفرعية التالية: (الإيثار، الوعي الضمير، السلوك الحضاري، الروح الرياضية، الكياسة).

انموذج متغيرات الدراسة



الغيات الألية، اله العلي، سات الة

شكل رقم (1): أنموذج الدراسة

إعداد الباحثة

حدود الدراسة:

تحددت الدراسة بالحدود الآتية:

الحد المكاني: طبقت الدراسة في المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في محافظة غزة

الحد الزمني: تم تطبيق الدراسة في الفصل الدراسي الأول.

الحد الموضوعي: اقتصرت هذه الدراسة على قياس مدى ممارسة مديري المدارس للقيادة التحويلية من وجهة نظر المعلمين، وفقاً للأبعاد التالية: (الدافعية الإلهامية، الاستثمار الفكرية، التأثير المثالي، التمكين الإداري، الاعتبار الفردي).

المصطلحات الدراسة:

اشتملت الدراسة على المصطلحات التالية:

● القيادة التحويلية: عرفها (القحطاني، 2008، 140) بأنها: "قيادة جديدة قادرة على الابتكار والتجديد والتعامل مع المتغيرات بشكل أكثر كفاءة وقدرة على إدارة التجولات وتحقيق الاستمرارية".

تعرف الباحثة القيادة التحويلية إجرائياً بأنها: هي القدرة على إقناع على التجديد والتغيير وتلبية حاجاتهم وتحقيق أهداف المنظمة

● المواطنة التنظيمية: هي "سلوك وظيفي يؤديه الفرد طواعية يتعدى حدود الواجبات الوظيفية ولا تتم مكافأة الفرد عليه من خلال منظمة الحوافز الرسمية في المنظمة (ORGAN, PODSAKOFF & MACKENZIE, 2006)

● سلوك المواطنة التنظيمية: تعرفه خطاب (13: 2004) أنه: يتضح في رغبة الأفراد في التعاون وتعني استعدادهم للمساهمة بالجهد في النظام التعاوني هي أمر حيوي لا غنى عنه.

تعرف الباحثة سلوك المواطنة التنظيمية إجرائياً: بأنها السلوكيات التطوعية التي سيقوم بها المعلمون لمصلحة مدارسهم، ودون أي تكليف خارجي، ويتحدد سلوك المواطنة التنظيمية عند المعلمين بالإيثار والمجاملة والضمير الحي.

الإطار المفاهيمي للدراسة:

القيادة التحويلية:

القيادة التحويلية تتمثل بقدرة مدير المدرسة على مخاطبة العاملين معه بلغة تنطلق من تقدير ذواتهم لتحريكهم كفريق عمل متعاون نحو رؤية مستقبلية مشتركة يقودون بها المدرسة، وتعديل السلوكيات الخاطئة بغرس القناعات التحويلية، بهدف أحداث تغييرات جوهرية ليسود مناخ إيجابي (الأغا، 2011).

القيادة التحويلية هي مفهوم حول القيادة تشرح الآليات المتبعة لتحقيق تغييرات مخططة مرغوبة من خلال مشاركة القادة والمروسين في تحقيق أهداف عالية المستوى. ترى الباحثة ضروري القيادة التحويلية في المؤسسات التربوية من رأس الهرم إلى القاعدة، للتعديل في سلوك الفرد.

خصائص القيادة التحويلية:

أهم ما يميز القيادة التحويلية عن غيرها الرؤية المستقبلية، وتمتاز القيادة التحويلية بمجموعة من الخصائص والتي بينها ذكرها (عمارة، 2020، 390) فيما يلي:

- 1- الاعتراف بإنجازات الآخرين، وتشجيع العاملين على الإبداع.
- 2- يعتبر الأخطاء الذي يقع فيها أثناء عملية بمثابة تجربة مفيدة للعمل في المستقبل.
- 3- يهدفون للوصول بالعاملين الى تحقيق أعلى مستويات الإنتاجية.
- 4- تهيئة الفرص للعاملين لتحمل المخاطر المختلفة، وليكونوا قادة المستقبل.

القيادة التحويلية في المجال التربوي:

ويمكن لأي مؤسسة تعليمية أن تستخدم القيادة التحويلية كي تحدث تغييراً في نظامها التعليمي واكتساب الكفاءة التعليمية الجديدة للعالمين فيها، وذلك لعدة أسباب ذكرتها (عمارة وآخرون، 2020، 391):

- 1- حاجة المؤسسة التربوية لتدريب وإعداد الطاقات الفردية والجماعية لنشر المعرفة الناتجة عن الخبرة بالعمل فيها.
- 2- القيادة التحويلية قيادة فنية تحتوي على أساليب إدارية على درجة كبيرة من الأهمية

3- حاجة المؤسسات التربوية إلى القيادات الرمزية مع التركيز على الأهداف والسلوكيات الإيجابية المهمة.

أبعاد القيادة التحويلية:

- 1- الجاذبية: حيث تصف سلوك القائد الذي يحظى واحترام التابعين، والقيام بتصرفات ذات طابع أخلاقي.
- 2- الحفز الإلهامي: يركز هذا البعد على تصرفات وسلوكيات القائد التي تثير في التابعين حب التحدي وتلك السلوكيات تعمل على إيضاح التوقعات للتابعين
- 3- الاعتبار الفردي: وتظهر هذه الصفة من خلال أسلوب الذي يستمع بلطف، ويولي اهتمام خاص لاحتياجات التابعين (رؤوف وآخرون، 2020، 412)

أهداف القيادة التحويلية في المجال التربوي:

أهداف للقيادة التحويلية في المجال التربوي وهي:

- 1- حل المشكلات التي يتعرض لها المعلمين بطرق أكثر إيجابية من الطرق التقليدية: تجنب الالتزام بحلول محددة مسبقاً، وآراء واعتبارات شخصية، مع ضرورة الاستماع بشكل فعال للآراء المتباينة والعمل على توضيحها.
- 2- مساعدة فريق العمل المدرسي على تطوير وتشكيل ثقافة مهنية: من خلال وضع أهداف تعاونية مشتركة تسعى لتحقيقها، ومشاركة الآخرين بتفويض السلطة إلى فريق العمل ليكون قادراً على التحسين والتطوير.
- 3- تعزيز الدافعية لدى المعلمين: ويتم تسهيل ذلك من خلال ارتباطها بأهداف المدرسة والنتائج فيها، مما يولد لديهم شعوراً بالالتزام بها (عاشور وآخرون، 2020، 388).

سلوك المواطنة التنظيمية:

هو سلوك طوعي يقوم به الموظفون بهدف المساعدة في أداء الأنشطة والمهام التي لا تدخل ضمن متطلبات الوظيفة.

غير أنه يعتبر سلوكاً مفيداً لجميع أعضاء الفريق ويشجع على الوصول إلى مستويات عالية من الأداء والكفاءة بدون أي مقابل.

أهمية سلوك المواطنة التنظيمية:

إن أهمية سلوك المواطنة التنظيمية تتبع من كونه يساهم الأداء الكلي للمؤسسة، وذكر سومك وزاهافي (Somech & Zahavy, 2000) أن السلوك على ما يعزز فائدة الفرد والجماعة، فعلى المستوى فإن المستوى الفردي فإن أهميته تكمن من خلال وذكرها (أبو نعمة، 2016، 35)

- 1- تشجيع التطوير المهني وروح الإنجاز في العمل وتعزيزها.
 - 2- تحقيق الفرد لذاته وشعوره بأهميته بشكل مستقل عن باقي العاملين.
 - 3- تنمية وتعزيز روح المبادرة والإيثار والاتجاهات والمعتقدات الإيجابية في العمل.
- أما على مستوى الجماعة فتكمن أهميته في:

- 1- تطوير جماعات العمل لمهاراتهم وتقوية ثقتهم بأنفسهم مما ينعكس إيجاباً على أدائهم
- 2- وضع جماعات العمل لمعايير طموحة في العمل والإصرار على تحقيقها.
- 3- استغلال جماعة العمل الفرص التي تعزز الإدراك الحسي الذاتي

أبعاد سلوك المواطنة التنظيمية:

وتشمل سلوكيات المواطنة التنظيمية من وجهة (ORGAN, 1988) خمسة أبعاد هي: ذكرها (أبو نعمة، 2016، 36)

- 1- الوعي والاهتمام: ويصف هذا البعد إنجاز المعلم للأعمال والمهام المطلوبة بطريقة صحيحة والأمر الذي يدفعه إلى تعدى الحدود الدنيا المقبولة لإنجاز الأعمال. والوصول إلى درجة الكمال بكل إخلاص وأمانة
- 2- الكياسة: يشير هذا البعد إلى حرص المعلم على التزام اللباقة في التعامل، مع زملائه المعلمين وطلبتهم، وأولياء الأمور مع الأخذ بالاعتبار مراعاة مشاعرهم، والحذر من التسبب بإحداث المشكلات أو الخلافات بينهم.
- 3- التعاون: ويشير هذا البعد إلى ميل المعلم نحو مساعدة زملائه والطلبة طواعية في المواقف العملية والتربوية المختلفة.
- 4- السلوك الحضاري: ويتضمن هذا البعد شعور المعلم بالمسؤولية، وتقديم مساهمات بناءة لتسيير أعمال المدرسة وسعيه إلى أن يكون ذو حضور دائم في مختلف المحافل

5- الروح الرياضية: ويشير الى مرونة ومقدرة المعلمين على التكيف مع ظروف العمل الاستثنائية غير الملائمة والمزعجة دون أي تدمير.

الدراسات السابقة:

في هذا الجزء من الدراسة يتم عرض لبعض الدراسات السابقة المتعلقة بمتغيرات الدراسة:

1- دراسة أروكساميو عبدالله والشاري واسماعيل (Arokiasamy, Abdullah, Shaari) (& Ismil, 2016

هدفت الدراسة للتعرف مستوى القيادة التحويلية لدى مديري المدارس الأساسية الحكومية من وجهة نظر المعلمين العاملين فيها، استخدم الباحث المنهج الوصفي المسحي، أداة الدراسة الإستبانة، عينة الدراسة (275) معلماً، نتائج الدراسة: أن درجة ممارسة القيادة التحويلية لدى مدراء المدارس كان متوسطاً

2- دراسة ماكنزي سكوتغاري (Mckenzie, Scott Gary, 2011)

هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين مرجعيات ثلاثة من الثقة والمواطنة التنظيمية لمعلمي المدارس الابتدائية والتعرف إلى ثقة أعضاء هيئة التدريس والمواطنة التنظيمية، استخدم الباحث المنهج الوصفي، أداة الدراسة: الإستبانة، وعينة الدراسة: (112) مدرسة ابتدائية في جنوب وسط ولاية تكساس، وكانت البيانات التي تم جمعها من المعلمين بشكل فردي

نتائج الدراسة: الثقة بالزملاء والثقة بالعملاء ظهرت ومؤشرات مهمة كما بالمواطنة التنظيمية في المدارس الابتدائية وأن الثقة جماعية أفضل مؤشر بالمواطنة التنظيمية وأظهرت المؤشرات أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي وحجم المدرسة لها تأثير ذو دلالة إحصائية مع المواطنة التنظيمية

3- دراسة (الرقب، 2010):

هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعية بين القيادة التحويلية بأبعادها، ومجتمع الدراسة: العاملين في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي أداة الدراسة الإستبانة، ونتائج الدراسة: توافر أبعاد سلوكيات القيادة التحويلية بدرجة كبيرة في الجامعات الفلسطينية.

4- دراسة (خلف، 2010):

هدفت الدراسة: إلى التعرف على العلاقة بين امتلاك القيادات الأكاديمية بالجامعة الإسلامية في فلسطين (غزة) لعناصر القيادة التحويلية. وتنمية القدرات الإبداعية لدى رؤساء الأقسام الأكاديميين، استخدم الباحث المنهج الوصفي، وأداة الدراسة: الإستبانة، مجتمع الدراسة: رؤساء الأقسام الأكاديميين في الجامعة الإسلامية

نتائج دراسة: توصلت الدراسة إلى أن ممارسة القيادة التحويلية من قبل القيادات الأكاديمية في جامعة الإسلامية بنسبة تساوي (80.6%) في عينة تقديرات أفراد عينة الدراسة

التعقيب على الدراسات السابقة:

اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تسليط الضوء، واستفادة الدراسة الحالية درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية بمحافظة غزة للقيادة التحويلية وعلاقتها بمستوى سلوك المواطنة التنظيمية من الدراسات السابقة في جوانب عدة أهمها التعرف على طبيعة المشكلة، وفي بناء الإطار النظري واختيار المنهج المستخدم وبناء أدوات الدراسة، وتميزت الدراسة الحالية بتناولها لموضوع مهم في القيادة التحويلية وعلاقتها بمستوى سلوك المواطنة التنظيمية في محافظة غزة.

الدراسة الميدانية ونتائجها:

منهج الدراسة:

استخدم المنهج الوصفي التحليلي التي تعتمد على دراسة الظاهرة موضوع الدراسة (درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية بمديرية غرب غزة للقيادة التحويلية وعلاقتها بمستوى سلوك المواطنة التنظيمية) وتحليل بياناتها وبيان العلاقة بين مكوناتها والآراء التي تطرح حولها والعمليات التي تتضمنها والآثار التي تحدثها، وهو أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة وتصويرها كمياً عن طريق جمع بيانات ومعلومات مقننة عن الظاهرة أو المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسات الدقيقة.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من معلمي المرحلة الثانوية بمدارس مديرية غرب غزة للعام 2021.

توزيع العاملين في المدارس غرب غزة ذكور: 555، وإناث: 490، مجموع: 1045

توزيع المعلمين في مديرية غرب غزة ذكور: 947، وإناث: 1223، مجموع: 2170

(الكتاب الإحصائي السنوي، 2020)

عينة الدراسة:

اشتملت عينة الدراسة على (263) معلماً ومعلمة من معلمي المرحلة الثانوية بمديرية غرب غزة للعام 2021.

والجدول التالي يوضح أفراد عينة الدراسة:

جدول رقم (1): يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة

النسبة المئوية %	العدد		
51.7	136	ذكر	الجنس
48.3	127	أنثى	
100.0	263	المجموع	
65.4	172	بكالوريوس	المؤهل العلمي
34.6	91	دراسات عليا	
100.0	263	المجموع	
27.0	71	أقل من 5 سنوات	سنوات الخبرة
52.1	137	من 5-10 سنوات	
20.9	55	أكثر من 10 سنوات	
100.0	263	المجموع	

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

أداة الدراسة:

في إطار الأدب التربوي الحديث، وفي ضوء الدراسات السابقة المتعلقة بمشكلة الدراسة التي تم الاطلاع عليها، وفي ضوء استطلاع رأي عينة من الأساتذة في الجامعات عن طريق المقابلات الشخصية، قامت الباحثة ببناء مقياس القيادة التحويلية الذي بلغ عدد عباراته بعد صياغتها النهائية إلى (27) عبارة بينما مقياس سلوك المواطنة التنظيمية (50) فقرة، حيث أعطى لكل عبارة من المقاييس وزن مدرج وفق سلم متدرج خماسي (كبيرة جداً، كبيرة، متوسطة، قليلة، قليلة جداً) أعطيت الأوزان التالية (5، 4، 3، 2، 1).

صدق المقياس:

1- صدق المحكمين:

تم عرض المقياس في صورتها الأولية على مجموعة من الأساتذة المتخصصين الذين يعملون في الجامعات بلغ عددهم (5) محكمين، حيث قاموا بإبداء آرائهم وملاحظاتهم حول مناسبة فقرات المقياس، ومدى انتماء الفقرات إلى المقياس، وكذلك وضوح صياغاتها اللغوية، وفي ضوء تلك الآراء تم استبعاد بعض الفقرات وتعديل بعضها الآخر.

2- صدق الاتساق الداخلي:

جرى التحقق من صدق الاتساق الداخلي للمقياس بتطبيق المقياس على عينة استطلاعية مكونة من (40) من خارج عينة الدراسة، وتم حساب معامل ارتباط بيرسون بين كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية للمقياس، وكذلك تم حساب معامل ارتباط بيرسون، وذلك باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS).

أ- مقياس القيادة التحويلية:

الجدول (2) معامل ارتباط كل عبارة من عبارات القيادة التحويلية مع الدرجة الكلية للبعد التي تنتمي إليه العبارة

معامل الارتباط	م	البعد	معامل الارتباط	م	البعد
.688**	1	الاستشارة الفكرية	.501**	1	الجاذبية والتأثير
.626**	2		.519**	2	
.686**	3		.545**	3	
.608**	4		.598**	4	
.731**	5		.634**	5	
.649**	6		.573**	6	
.572**	7		.705**	7	
.650**	8		.617**	8	
.627**	1	الاهتمام الفردي	.597**	1	التحفيز والإلهام
.610**	2		.662**	2	
.564**	3		.680**	3	

معامل الارتباط	م	البعد	معامل الارتباط	م	البعد
.571**	4		.601**	4	
.567**	5		.637**	5	
			.716**	6	

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

**ر الجدولية عند درجة حرية (38) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.304

*ر الجدولية عند درجة حرية (38) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.393

يبين الجدول رقم (2) أن معاملات الارتباط بين كل عبارة من عبارات البعد والدرجة الكلية لعباراته دالة عند مستوى دلالة (0.01)، وتراوحت معاملات الارتباط بين (0.501-0.731)، وبذلك تعتبر عبارات المقياس صادقة لما وضعت لقياسه.

وللتحقق من الصدق البنائي للمقياس قامت الباحثة بحساب معاملات الارتباط بين درجة كل بعد بالدرجة الكلية للمقياس والجدول (3) يوضح ذلك.

الجدول رقم (3): يوضح مصفوفة معاملات ارتباط كل بعد من أبعاد المقياس مع الدرجة الكلية للمقياس

معامل الارتباط	البعد
.886**	الجاذبية والتأثير
.915**	التحفيز والإلهام
.935**	الاستثارة الفكرية
.825**	الاهتمام الفردي

**ر الجدولية عند درجة حرية (38) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.304

*ر الجدولية عند درجة حرية (38) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.393

يتضح من الجدول السابق أن جميع الأبعاد ترتبط بالدرجة الكلية للمقياس ارتباطاً ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01)، وهذا يؤكد أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الاتساق الداخلي، مما يطمئن الباحثة إلى تطبيقها على عينة الدراسة.

ب- مقياس سلوك المواطنة التنظيمية:

الجدول (4) معامل ارتباط كل عبارة من عبارات سلوك المواطنة التنظيمية مع الدرجة الكلية للبعد التي تنتمي إليه العبارة

معامل الارتباط	م	البعد	معامل الارتباط	م	البعد	معامل الارتباط	م	البعد
.699**	1	القيادة	.689**	1	السلوك الحضاري	.457**	1	الإشراف
.589**	2		.645**	2		.409**	2	
.643**	3		.723**	3		.537**	3	
.692**	4		.663**	4		.559**	4	
.667**	5		.651**	5		.509**	5	
.571**	6		.626**	6		.534**	6	
.617**	7		.579**	7		.540**	7	
.603**	8		.610**	8		.660**	8	
.616**	9		.607**	9		.514**	9	
.566**	10		.623**	10		.508**	10	
			.636**	1	الروح الرياضية	.630**	1	وعي الضمير
			.690**	2		.636**	2	
			.618**	3		.657**	3	
			.687**	4		.682**	4	
			.661**	5		.661**	5	
			.651**	6		.640**	6	
			.655**	7		.667**	7	
			.600**	8		.717**	8	
			.557**	9		.670**	9	
			.664**	10		.586**	10	

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

**ر الجدولية عند درجة حرية (38) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.304

*ر الجدولية عند درجة حرية (38) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.393

يبين جدول (4) أن معاملات الارتباط بين كل عبارة من عبارات البعد والدرجة الكلية لعباراته دالة عند مستوى دلالة (0.01)، وتراوحت معاملات الارتباط بين (0.409-0.717)، وبذلك تعتبر عبارات المقياس صادقة لما وضعت لقياسه.

وللتحقق من الصدق البنائي للمقياس قامت الباحثة بحساب معاملات الارتباط بين درجة كل بعد من أبعاد المقياس والأبعاد الأخرى، وكذلك كل بعد بالدرجة الكلية للمقياس والجدول (5) يوضح ذلك.

الجدول (5) مصفوفة معاملات ارتباط كل بعد من أبعاد المقياس مع الدرجة الكلية للمقياس

معامل الارتباط	البعد
.814**	الإيثار
.899**	وعي الضمير
.898**	السلوك الحضاري
.902**	الروح الرياضية
.873**	الكياسة

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

**ر الجدولية عند درجة حرية (38) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.304

*ر الجدولية عند درجة حرية (38) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.393

يتضح من الجدول (4) أن جميع الأبعاد ترتبط بعضها البعض وبالدرجة الكلية للمقياس ارتباطاً ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01)، وهذا يؤكد أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الاتساق الداخلي، مما يطمئن الباحثة إلى تطبيقها على عينة الدراسة.

ثبات المقياسين Reliability:

أجرت الباحثة خطوات التأكد من ثبات المقياسين وذلك بعد تطبيقها على أفراد العينة الاستطلاعية بطريقتين وهما التجزئة النصفية ومعامل ألفا كرونباخ.

1- طريقة التجزئة النصفية Split-Half Coefficient :

تم استخدام درجات العينة الاستطلاعية لحساب ثبات المقياسين بطريقة التجزئة النصفية حيث احتسبت درجة النصف الأول لكل مقياس من المقياسين وكذلك درجة النصف الثاني من الدرجات وذلك بحساب معامل الارتباط بين النصفين ثم جرى تعديل الطول باستخدام معادلة سبيرمان براون، والجدول (6) يوضح ذلك:

الجدول (6) يوضح معاملات الارتباط بين نصفي كل مقياس من المقياسين قبل التعديل ومعامل الثبات بعد التعديل

البعد	عدد العبارات	الارتباط قبل التعديل	معامل الثبات بعد التعديل
الجاذبية والتأثير	8	0.677	0.808
التحفيز والإلهام	6	0.637	0.779
الاستثارة الفكرية	8	0.630	0.773
الاهتمام الفردي	5	0.761	0.790
الدرجة الكلية للقيادة التحويلية	27	0.899	0.900
الإيثار	10	0.630	0.773
وعي الضمير	10	0.779	0.876
السلوك الحضاري	10	0.721	0.838
الروح الرياضية	10	0.748	0.856
الكياسة	10	0.825	0.904
الدرجة الكلية لسلوك المواطنة التنظيمية	50	0.816	0.899

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

يتضح من جدول (6) أن معامل الثبات الكلي لمقياس القيادة التحويلية (0.900) ولمقياس سلوك المواطنة التنظيمية (0.899)، هذا يدل على أن المقياسين يتمتعان بدرجة عالية من الثبات تطمئن الباحثة إلى تطبيقها على عينة الدراسة.

2- طريقة ألفا كرونباخ:

استخدمت الباحثة طريقة أخرى من طرق حساب الثبات وهي طريقة ألفا كرونباخ، وذلك لإيجاد معامل ثبات المقياسين، حيث حصلت على قيمة معامل ألفا لكل مقياس من المقياسين والجدول (7) يوضح ذلك:

الجدول (7) يوضح معاملات ألفا كرونباخ لكل مقياس من المقياسين

البعاد	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ
الجاذبية والتأثير	8	0.817
التحفيز والإلهام	6	0.801
الاستثارة الفكرية	8	0.848
الاهتمام الفردي	5	0.756
الدرجة الكلية للقيادة التحويلية	27	0.938
الإيثار	10	0.843
وعي الضمير	10	0.901
السلوك الحضاري	10	0.893
الروح الرياضية	10	0.891
الكياسة	10	0.895
الدرجة الكلية لسلوك المواطنة التنظيمية	50	0.967

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

يتضح من جدول (7) أن معامل الثبات الكلي لمقياس القيادة التحويلية (0.938) ولمقياس سلوك المواطنة التنظيمية (0.967)، هذا يدل على أن المقياسين يتمتعان بدرجة عالية من الثبات تطمئن الباحثة إلى تطبيقها على عينة الدراسة.

الإجابة السؤال الأول من أسئلة الدراسة:

ينص السؤال الأول من أسئلة الدراسة على: ما درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في محافظة غزة للقيادة التحويلية من وجهة نظر المعلمين؟

وللإجابة عن هذا السؤال قامت الباحثة باستخدام التكرارات والمتوسطات والنسب المئوية، والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول (8): يوضح التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لمقياس القيادة التحويلية

الترتيب	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط	البعد
2	71.89	0.567	3.595	الجاذبية والتأثير
4	71.52	0.611	3.576	التحفيز والإلهام
1	72.36	0.583	3.618	الاستشارة الفكرية
3	71.74	0.590	3.587	الاهتمام الفردي
	71.92	0.524	3.596	الدرجة الكلية للقيادة التحويلية

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

يتضح من الجدول (8) أن الاستشارة الفكرية حصل على المرتبة الأولى بوزن نسبي (72.36%)، تلي ذلك الجاذبية والتأثير حصل على المرتبة الثانية بوزن نسبي (71.89%)، تلي ذلك الاهتمام الفردي حصل على المرتبة الثالثة بوزن نسبي (71.74%)، تلي ذلك التحفيز والإلهام حصل على المرتبة الرابعة بوزن نسبي (71.52%)، أما الدرجة الكلية للقيادة التحويلية حصل على وزن نسبي (71.92%).

وتفسر الباحثة ذلك إلى أن الحصول المعلمين على نسبة جيدة دليل على عدم اهتمام للمعلمين في الجوانب المختلفة. كما تتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة (الرقب، 2010).

الإجابة عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة

ينص السؤال الثاني من أسئلة الدراسة على: ما مستوى سلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في محافظة غزة في فلسطين من وجهة نظرهم؟

وللإجابة عن هذا السؤال قامت الباحثة باستخدام التكرارات والمتوسطات والنسب المئوية، والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول (9) التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لمقياس سلوك المواطنة التنظيمية

الترتيب	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط	البعد
1	72.65	0.540	3.633	الإيثار
2	71.95	0.667	3.598	وعي الضمير
4	71.57	0.654	3.578	السلوك الحضاري
5	71.10	0.637	3.555	الروح الرياضية
3	71.77	0.683	3.589	الكميصة
	71.81	0.559	3.590	الدرجة الكلية لسلوك المواطنة التنظيمية

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

يتضح من الجدول (9) أن الإيثار حصل على المرتبة الأولى بوزن نسبي (72.65%)، تلي ذلك وعي الضمير حصل على المرتبة الثانية بوزن نسبي (71.95%)، تلي ذلك الكميصة حصل على المرتبة الثالثة بوزن نسبي (71.77%)، تلي ذلك السلوك الحضاري حصل على المرتبة الرابعة بوزن نسبي (71.57%)، تلي ذلك الروح الرياضية حصل على المرتبة الخامسة بوزن نسبي (71.105%)، أما الدرجة الكلية لسلوك المواطنة التنظيمية حصل على وزن نسبي (71.81%).

وتفسر الباحثة ذلك إلى أن عدم حصول على نسبة جيدة عدم الاهتمام بالمعلمين في جميع الجوانب، حصول على نسبة مرتفعة علي الإيثار دليل على أهمية العامل النفسي للمعلمين. كما تتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة (خلف، 2010)، واختلفت الدراسة (Mckenzie, Scott (Gary, 2011

الإجابة عن السؤال الثالث من أسئلة الدراسة:

ينص السؤال الثالث من أسئلة الدراسة على: هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين؟

وللإجابة عن هذا التساؤل قامت الباحثة باستخدام معامل ارتباط بيرسون والجدول (10) يوضح

ذلك:

جدول رقم (10): يوضح معامل ارتباط بيرسون بين السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين

الدرجة الكلية للقيادة التحويلية	الاهتمام الفردي	الاستثارة الفكرية	التحفيز والإلهام	الجاذبية والتأثير	
.726**	.690**	.660**	.662**	.604**	الإيثار
.686**	.655**	.601**	.606**	.609**	وعي الضمير
.678**	.578**	.623**	.628**	.592**	السلوك الحضاري
.592**	.475**	.496**	.592**	.551**	الروح الرياضية
.524**	.411**	.420**	.510**	.525**	الكياسة
.725**	.633**	.632**	.679**	.654**	الدرجة الكلية لسلوك المواطنة التنظيمية

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

*ر الجدولية عند درجة حرية (261) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.113

**ر الجدولية عند درجة حرية (261) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.148

يتضح من جدول (10) وجود علاقة إرتباطية موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.01) بين السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين.

وتعزو الباحثة هذه النتيجة على وجود علاقة إرتباطية بين السلوك القيادي التحويلي للمديري وسلوك المواطنة التنظيمية من وجهة نظر المعلمين. كما تتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة (خلف، 2010)، (الرقب، 2010)

الإجابة عن السؤال الرابع من أسئلة الدراسة:

ينص السؤال الثاني من أسئلة الدراسة على: " هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين استجابات أفراد عينة الدراسة حول السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين تعزى للمتغيرات (الجنس، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة)؟

وللإجابة عن هذا السؤال قامت الباحثة بصياغة الفرضيات التالية:

الفرض الأول:

ينص الفرض الأول من فروض الدراسة على: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، بين السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير الجنس.

وللإجابة عن هذا الفرض قامت الباحثة باستخدام اختبار "T. test" والجدول (11) يوضح

ذلك:

جدول (11): يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" للاستبانة تعزى لمتغير

الجنس

البعد	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الجاذبية والتأثير	ذكر	136	3.547	0.527	1.415	0.158	غير دالة إحصائياً
	أنثى	127	3.646	0.605			
التحفيز والإلهام	ذكر	136	3.523	0.568	1.453	0.148	غير دالة إحصائياً
	أنثى	127	3.633	0.651			
الاستثارة الفكرية	ذكر	136	3.579	0.533	1.119	0.264	غير دالة إحصائياً
	أنثى	127	3.659	0.631			

البعد	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الاهتمام الفردي	ذكر	136	3.519	0.539	1.944	0.053	غير دالة إحصائياً
	أنثى	127	3.660	0.634			
الدرجة الكلية للقيادة التحويلية	ذكر	136	3.546	0.473	1.603	0.110	غير دالة إحصائياً
	أنثى	127	3.649	0.572			
الإيثار	ذكر	136	3.549	0.492	2.647	0.009	دالة عند 0.01
	أنثى	127	3.723	0.575			
وعي الضمير	ذكر	136	3.453	0.561	3.733	0.000	دالة عند 0.01
	أنثى	127	3.753	0.735			
السلوك الحضاري	ذكر	136	3.474	0.575	2.722	0.007	دالة عند 0.01
	أنثى	127	3.691	0.715			
الروح الرياضية	ذكر	136	3.460	0.560	2.533	0.012	دالة عند 0.01
	أنثى	127	3.657	0.698			
الكمياسة	ذكر	136	3.479	0.598	2.713	0.007	دالة عند 0.01
	أنثى	127	3.706	0.749			
الدرجة الكلية لسلوك المواطنة التنظيمية	ذكر	136	3.483	0.479	3.288	0.001	دالة عند 0.01
	أنثى	127	3.706	0.616			

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

قيمة "ت" الجدولية عند درجة حرية (261) وعند مستوى دلالة (0.05) = 1.96

قيمة "ت" الجدولية عند درجة حرية (621) وعند مستوى دلالة (0.01) = 2.58

يتضح من الجدول السابق أن قيمة "ت" المحسوبة أقل من قيمة "ت" الجدولية في جميع أبعاد القيادة التحويلية والدرجة الكلية للقيادة التحويلية، وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس.

كما يتضح أن قيمة "ت" المحسوبة أكبر من قيمة "ت" الجدولية في جميع أبعاد سلوك المواطنة التنظيمية والدرجة الكلية لسلوك المواطنة التنظيمية، وهذا يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس. ولقد كانت الفروق لصالح الإناث.

الفرض الثاني:

ينص الفرض الثاني من فروض الدراسة على: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، بين السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين تعزي لمتغير المؤهل العلمي.

وللإجابة عن هذا الفرض قامت الباحثة باستخدام اختبار "T. test" والجدول (12) يوضح

ذلك:

جدول (12) المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" للاستبانة تعزي لمتغير المؤهل العلمي

العلمي

البيد	المؤهل العلمي	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الجاذبية والتأثير	بكالوريوس	172	3.536	0.533	2.340	0.020	دالة عند 0.05
	دراسات عليا	91	3.706	0.614			
التحفيز والإلهام	بكالوريوس	172	3.496	0.580	2.960	0.003	دالة عند 0.01
	دراسات عليا	91	3.727	0.642			
الاستثارة الفكرية	بكالوريوس	172	3.541	0.565	2.997	0.003	دالة عند 0.01
	دراسات عليا	91	3.764	0.590			
الاهتمام الفردي	بكالوريوس	172	3.500	0.593	3.356	0.001	دالة عند 0.01
	دراسات عليا	91	3.752	0.549			
الدرجة الكلية للقيادة التحويلية	بكالوريوس	172	3.522	0.502	3.211	0.001	دالة عند 0.01
	دراسات عليا	91	3.736	0.540			
الإيثار	بكالوريوس	172	3.591	0.520	1.742	0.083	غير دالة إحصائياً
	دراسات عليا	91	3.712	0.569			
وعي الضمير	بكالوريوس	172	3.528	0.680	2.355	0.019	دالة عند 0.05
	دراسات عليا	91	3.730	0.624			
السلوك الحضاري	بكالوريوس	172	3.473	0.625	3.688	0.000	دالة عند 0.01
	دراسات عليا	91	3.778	0.664			
الروح الرياضية	بكالوريوس	172	3.492	0.629	2.217	0.028	دالة عند 0.05
	دراسات عليا	91	3.674	0.640			

البعء	المؤهل العلمي	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
القياسة	بكالوريوس	172	3.553	0.662	1.146	0.253	غير دالة إحصائياً
	دراسات عليا	91	3.655	0.722			
الدرجة الكلية لسلوك المواطنة التنظيمية	بكالوريوس	172	3.527	0.546	2.540	0.012	دالة عند 0.05
	دراسات عليا	91	3.710	0.568			

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

قيمة "ت" الجدولية عند درجة حرية (261) وعند مستوى دلالة (0.05) = 1.96

قيمة "ت" الجدولية عند درجة حرية (261) وعند مستوى دلالة (0.01) = 2.58

يتضح من الجدول السابق أن قيمة "ت" المحسوبة أقل من قيمة "ت" الجدولية في بعد الايثار والقياسة، وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

كما يتضح أن قيمة "ت" المحسوبة أكبر من قيمة "ت" الجدولية في جميع الأبعاد، عدا بعدي الايثار والقياسة، وهذا يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المؤهل العلمي. ولقد كانت الفروق لصالح الدراسات العليا.

الفرض الثالث:

ينص الفرض الثالث من فروض الدراسة على: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، بين السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير سنوات الخبرة.

وللإجابة عن هذا الفرض قامت الباحثة باستخدام أسلوب تحليل التباين الأحادي One Way

.ANOVA

جدول (13): يوضح التباين ومجموع المربعات ودرجات الحرية ومتوسط المربعات وقيمة "ف" ومستوى الدلالة تعزى لمتغير (سنوات الخبرة)

البعء	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الجانبيهة والتأثير	بين المجموعات	7.345	2	3.673	12.431	0.000	دالة عند 0.01
	داخل المجموعات	76.817	260	0.295			
	المجموع	84.163	262				
التحفيز والإلهام	بين المجموعات	9.585	2	4.793	14.132	0.000	دالة عند 0.01
	داخل المجموعات	88.172	260	0.339			
	المجموع	97.757	262				
الاستشارة الفكرية	بين المجموعات	5.271	2	2.635	8.186	0.000	دالة عند 0.01
	داخل المجموعات	83.700	260	0.322			
	المجموع	88.971	262				
الاهتمام الفردي	بين المجموعات	5.204	2	2.602	7.874	0.000	دالة عند 0.01
	داخل المجموعات	85.912	260	0.330			
	المجموع	91.116	262				
الدرجة الكلية للقيادة التحويلية	بين المجموعات	6.668	2	3.334	13.255	0.000	دالة عند 0.01
	داخل المجموعات	65.398	260	0.252			
	المجموع	72.066	262				
الإيثار	بين المجموعات	7.662	2	3.831	14.504	0.000	دالة عند 0.01
	داخل المجموعات	68.677	260	0.264			
	المجموع	76.339	262				
وعي الضمير	بين المجموعات	17.827	2	8.913	23.501	0.000	دالة عند 0.01
	داخل المجموعات	98.612	260	0.379			
	المجموع	116.439	262				
السلوك الحضاري	بين المجموعات	16.015	2	8.007	21.679	0.000	دالة عند 0.01
	داخل المجموعات	96.032	260	0.369			
	المجموع	112.046	262				
الروح الرياضية	بين المجموعات	14.228	2	7.114	20.065	0.000	دالة عند 0.01
	داخل المجموعات	92.183	260	0.355			
	المجموع	106.412	262				

البعد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
القياسية	بين المجموعات	17.156	2	8.578	21.198	0.000	دالة عند 0.01
	داخل المجموعات	105.210	260	0.405			
	المجموع	122.366	262				
الدرجة الكلية لسلوك المواطنة التنظيمية	بين المجموعات	14.144	2	7.072	27.092	0.000	دالة عند 0.01
	داخل المجموعات	67.868	260	0.261			
	المجموع	82.012	262				

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

ف الجدولية عند درجة حرية (2، 260) وعند مستوى دلالة (0.01) = 4.66

ف الجدولية عند درجة حرية (2، 260) وعند مستوى دلالة (0.05) = 3.02

يتضح من الجدول السابق أن قيمة "ت" المحسوبة أكبر من قيمة "ف" الجدولية في جميع

الأبعاد، وهذا يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير سنوات الخبرة.

ولمعرفة اتجاه الفروق قامت الباحثة باستخدام اختبار شيفيه البعدي والجدول (14) يوضح

ذلك:

جدول (14): يوضح يوضح اختبار شيفيه لمقياس القيادة التحويلية وسلوك المواطنة التنظيمية تعزى لمتغير سنوات الخبرة

أقل من 5 سنوات	من 5-10 سنوات	أكثر من 10 سنوات	الجاذبية والتأثير	
3.864	3.518	3.436		
أقل من 5 سنوات	من 5-10 سنوات	أكثر من 10 سنوات	3.864	أقل من 5 سنوات
0	0	0	3.518	من 5-10 سنوات
*0.346	*0.428	0	3.436	أكثر من 10 سنوات
أقل من 5 سنوات	من 5-10 سنوات	أكثر من 10 سنوات	التحفيز والإلهام	
3.887	3.479	3.415		
أقل من 5 سنوات	من 5-10 سنوات	أكثر من 10 سنوات	3.887	أقل من 5 سنوات
0				

	0	*0.408	3.479	من 5-10 سنوات
0	0.064	*0.472	3.415	أكثر من 10 سنوات
أكثر من 10 سنوات	من 5-10 سنوات	أقل من 5 سنوات	الاستشارة الفكرية	
3.545	3.526	3.850		
		0	3.850	أقل من 5 سنوات
	0	*0.324	3.526	من 5-10 سنوات
0	0.019	*0.305	3.545	أكثر من 10 سنوات
أكثر من 10 سنوات	من 5-10 سنوات	أقل من 5 سنوات	الاهتمام الفردي	
3.473	3.514	3.817		
		0	3.817	أقل من 5 سنوات
	0	*0.303	3.514	من 5-10 سنوات
0	0.041	*0.344	3.473	أكثر من 10 سنوات
أكثر من 10 سنوات	من 5-10 سنوات	أقل من 5 سنوات	الدرجة الكلية للقيادة التحويلية	
3.471	3.511	3.857		
		0	3.857	أقل من 5 سنوات
	0	*0.345	3.511	من 5-10 سنوات
0	0.041	*0.386	3.471	أكثر من 10 سنوات
أكثر من 10 سنوات	من 5-10 سنوات	أقل من 5 سنوات	الإيثار	
3.458	3.561	3.906		
		0	3.906	أقل من 5 سنوات
	0	*0.344	3.561	من 5-10 سنوات
0	0.103	*0.447	3.458	أكثر من 10 سنوات
أكثر من 10 سنوات	من 5-10 سنوات	أقل من 5 سنوات	وعي الضمير	
3.485	3.422	4.024		

		0	4.024	أقل من 5 سنوات
	0	*0.602	3.422	من 5-10 سنوات
0	0.064	*0.538	3.485	أكثر من 10 سنوات
أكثر من 10 سنوات	من 5-10 سنوات	أقل من 5 سنوات	السلوك الحضاري	
3.396	3.442	3.983		
		0	3.983	أقل من 5 سنوات
	0	*0.541	3.442	من 5-10 سنوات
0	0.045	*0.587	3.396	أكثر من 10 سنوات
أكثر من 10 سنوات	من 5-10 سنوات	أقل من 5 سنوات	الروح الرياضية	
3.389	3.423	3.937		
		0	3.937	أقل من 5 سنوات
	0	*0.513	3.423	من 5-10 سنوات
0	0.034	*0.548	3.389	أكثر من 10 سنوات
أكثر من 10 سنوات	من 5-10 سنوات	أقل من 5 سنوات	الكيافة	
3.445	3.428	4.008		
		0	4.008	أقل من 5 سنوات
	0	*0.580	3.428	من 5-10 سنوات
0	0.017	*0.563	3.445	أكثر من 10 سنوات
أكثر من 10 سنوات	من 5-10 سنوات	أقل من 5 سنوات	الدرجة الكلية لسلوك المواطنة التنظيمية	
3.435	3.455	3.972		
		0	3.972	أقل من 5 سنوات
	0	*0.516	3.455	من 5-10 سنوات
0	0.020	*0.537	3.435	أكثر من 10 سنوات

المصدر: تم إعداد الجدول بواسطة الباحثة من خلال نتائج الدراسة الميدانية

*دالة عند 0.01

يتضح من الجدول السابق وجود فروق بين بين الخبرة الأقل من 5 سنوات والخبرة الأكثر من 5 سنوات لصالح الخبرة الأقل من 5 سنوات، ولم يتضح فروق في الخبرات الأخرى.

النتائج:

- 1- أسفرت نتائج الدراسة عن أن درجة ممارسة مديري المدارس للقيادة التحويلية من وجهة نظر المعلمين كان متوسطاً، وأن درجة ممارسة معلمي المدارس لسلوك المواطنة التنظيمية كان متوسطاً من وجهة نظر المعلمين أنفسهم.
- 2- أسفرت نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.01) بين السلوك القيادي التحويلي لدى مديري المدارس وسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة في فلسطين من وجهة نظر المعلمين.

التوصيات:

- 1- تنمية مهارات القيادات التحويلية لدى المديرين والمعلمين من خلال إعداد ورش العمل التدريبية، وعقد الندوات.
- 2- العمل على تعزيز مفهوم المواطنة التنظيمية بتقديم الحوافز المادية والمعنوية وإشراك المعلمين في الإدارة المدرسية واتخاذ القرارات.
- 3- إجراء المزيد من الدراسات في موضوع القيادة التحويلية وسلوك المواطنة التنظيمية وعلاقته بمتغيرات ديموغرافية أخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

- الأغا، بلال (2011) تصور مقترح لتنمية مهارات القيادة التحويلية لدى مديري المدارس الإعدادية بوكالة الغوث بمحافظة غزة. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، فلسطين.
- خلف، حسنى سعيد (2010) علاقة القيادة التحويلية بالإبداع الإداري لدى رؤساء الأقسام الأكاديميين في الجامعة الإسلامية بغزة. رسالة ماجستير.
- الرقب، أحمد (2010): علاقة القيادة التحويلية بتمكين العاملين في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة- فلسطين
- القحطاني، سالم (2001) القيادة الإدارية – التحول نحو النموذج القيادي العالمي: الرياض: مطابع مرار
- كنعان، رؤيا (2014) درجة توفر سمات القيادة التحويلية لدى مدراء المدارس الحكومية الثانوية وعلاقتها بالانتماء المهني للمعلمين من وجهة نظر المعلمين في محافظات شمال فلسطين. رسالة غير منشورة. جامعة النجاح الوطنية، فلسطين
- العمري، مشهور (2003) العلاقة بين خصائص القيادة التحويلية ومدى توفر مبادئ إدارة الجودة الشاملة " رسالة مسحية على المؤسسات العامة بمدينة الرياض". رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الملك سعود. السعودية
- عمارة، رضا، وعاشور، محمد (2020) درجة ممارسة القيادة التحويلية لدى مديري المدارس في مديرية قبضة اربد وعلاقتها بفاعلية اتخاذ القرار من وجه نظر المعلمين
- خطاب، عايدة وآخرون (2004): العلوم السلوكية، كلية التجارة، جامعة عيد شمس القاهرة
- ختام، الجعيتني (2017) درجة ممارسة مديري المدارس الابتدائية للقيادة الأخلاقية وعلاقتها بسلوك المواطنة التنظيمية لدى معلمهم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية - غزة
- الهلالي، الشربيني (2001): " استخدام نظريتي القيادة التحويلية والإجرائية في بعض الكليات الجامعية: دراسة ميدانية، مجلة مستقبل التربية العربية، عدد (21)، ابريل، 10-72

- رؤوف، سامي، وكعيد، عباس (2020) الولاء التنظيمي وقف القيادة التحويلية لدى مديري المدارس الإعدادية في محافظة واسط، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد (66)، المجلد (17).
- عميرة، رضا، وعاشور، محمد (2020) درجة ممارسة القيادة التحويلية لدى مديري المدارس في مديرية قصبة إربد وعلاقتها بفاعلية اتخاذ القرار من وجهة نظر المعلمين، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية.
- أبو نعمة، ريم (2016) القيادة الإبداعية للمديرين ودورها في تعزيز سلوك المواطنة التنظيمية للمعلمين في المدارس الثانوية بمحافظات غزة، (رسالة ماجستير) برنامج الدراسات العليا المشترك بين أكاديمية الإدارة السياسية للدراسات العليا وجامعة الأقصى

المراجع الأجنبية:

- Lower, K & Gardner, W (2001) Ten years of the Leadership Quarterly.
- Bryant, S (2003)The Role of Transformational and Transformational Leadership In creating sharing and Exploiting Organizational Knowledge Journal of Leadership and Organizational Studies, 9 (4), 32-42
- Yuk IG (2013) Lendership In Organizations, 8th ed.New Jersey: Pearson Prentice Hall
- Mckenzie, Scott Gary, (2011), Trust and organizational citizenship: Astudy of the relationship of the three referents, "the Univerity of Texas at San Antonio, ED, D, Dissertation
- Arokiasamy, A, Abdullah, A., Shaari, M. & Ismil, A. (2016) Transformational leadership of school princpals and organizational health of primary school teachers in Malaysia Procedia-Social and Behavioral Sciences, 229, 151-175.

مشكلات الإدارة الصفية التي تواجه الطلبة " المعلمين " بقسم التعليم الأساسي في جامعة الأقصي من وجهة نظرهم وسبل التغلب عليها

*Problems of the classroom management that facing undergraduate
students in the Department of Basic Education at Al-Aqsa
University from their point of view and the ways to overcome
them*

إعداد:

د. محمد عوض شبير؛ دكتوراه الإدارة التربوية

Dr. Mohamed Awad Tawfiq Shbeir: PhD in educational administration

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على مشكلات الإدارة الصفية التي تواجه الطلبة المعلمين بقسم التعليم الأساسي بجامعة الأقصى من وجهة نظرهم، وتحديد سبل التغلب على تلك المشكلات من وجهة نظر الطلبة أنفسهم.

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي باعتباره الأنسب لمثل هذا النوع من الدراسات. حيث قام الباحث بإعداد استبانة اشتملت على (25)فقرة مكونة من خمسة محاور، بالإضافة لسؤال إنشائي يتعلق بتحديد أبرز المقترحات للتغلب على مشكلات الإدارة الصفية، وقام الباحث بتطبيق أداة الدراسة بعد التأكد من صدقها وثباتها على عينة مكونة من (70) طالب من المستوى الرابع المسجلون في برنامج التربية العملية بنسبة (37.03%) من المجتمع الأصلي، وأظهرت نتائج الدراسة أن أكثر مشكلات الإدارة الصفية شيوعاً هي المتعلقة بالمنهاج يليها المشكلات الناتجة عن الطلاب ثم البيئة الفيزيائية ثم المعلم المتعاون وأخيراً الإدارة الصفية، وكانت الدرجة الكلية للاستبانة (64.88%)، وكانت أبرز مقترحات التغلب على مشكلات الإدارة الصفية التي تواجه الطلبة من وجهة نظرهم. العمل على تقليل الكثافة الصفية وإلحاق الطلبة بقسم التعليم الأساسي بدورات تدريبية لتأهيلهم قبل التدريب وتهيئة البيئة الفيزيائية داخل الفصول، وتوضيح قواعد الانضباط السلوكي للطلاب بالإضافة للتنوع في طرق التدريس، وأوصى الباحث بضرورة تهيئة الطلبة قبل دخولهم للميدان العملي من أجل تدريبهم وتأهيلهم بالإضافة لإكسابهم مهارات التعامل مع المشكلات الصفية، وعقد دورات تدريبية في المنهاج للطلبة المعلمين.

الكلمات المفتاحية: الإدارة الصفية، التعليم الأساسي، الطالب المعلم، جامعة الأقصى

Abstract:

This study aimed at knowing the problems of the class management which face the teacher-trainee in the department of the basic education at Al.Aqsa university according to their view points and paring the way for overcoming these problems according to the viewpoint of the trainees themselves. The researcher well the analytical, description method on it is the most suitable for this kind of studies. The researcher prepared a questionnaire included 25 items of five pivots in addition an open ended

question relates to specifying the important suggestion to overcome the problems of the clam management. The researcher applied the study tool after being sure of its validity and reliability on a sample of 70 students of the fourth level registering in the practical education program with rate of ((%37.03 of the original society. The results of the study showed that the most common problems of the clam management that relate to the curriculum then the problems resulting from student in the physical environment then the cooperative teacher at last the clam management. The total degree of the questionnaire was (64.88%). The most prominent suggestion to overcome the problems of clam management which face the teacher trainees from their point of view were to reduce the density of student in the clam and joining students in the basic education department to courses to train and rehabilitate them and paving the physical environment in the classes and explaining the rules of behavioral discipline as well as varying teaching methods. The researcher recommended the necessity of preparing students before joining the practices field to train and rehabilitate in addition to provide them with skills to deal with students problems at last holiday training courses in curriculum for the teacher trainees.

Keywords: classroom management, the basic education, student teacher, Al-Aqsa University.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

يعتبر المعلم محور ارتكاز مهم وأساسي داخل منظومة العملية التعليمية، حيث يقع على عاتقه تنفيذ السياسات والخطط والإجراءات المحددة من قبل النظام التعليمي بالدولة، وهو المسؤول الأول عن إكساب الطلبة فلسفة النظام التعليمي وغاياته التي يريد تحقيقها داخل المجتمع.

ولما كان عمل المعلم مهم لهذا الحد أصبح من الواجب اكتسابه لمهارات تمكنه من تهيئة الجو الملائم لحدوث التعليم وهذا ما اصطلح على تسميته بالإدارة الصفية، حيث يعتبر امتلاك المعلم لمهارات الإدارة الصفية الفاعلة مؤشر نجاح ودليل قوة لدى المعلم من اجل حدوث التعليم، وتعتبر الإدارة الصفية جزء من الإدارة المدرسية ولا تعمل بمعزل عنها حيث إنها.

مجموعة من العمليات يقوم بها جماعة من الأفراد عن طريق المشاركة والتعاون والتفاهم المتبادل. وتشمل هذه العمليات تنظيم العمل المدرسي والتنسيق مع العاملين وتوفير الموارد والإمكانات والتسهيلات. وتسيير عمليات التعليم والتعلم عن طريق التوجيه والرقابة والضبط والحفز وتوفير الدافعية والتقييم والمتابعة (مصطفى، 1982: 71).

فهي بذلك مهمة وتقوم بتهيئة الميدان المدرسي لإنجاح الموقف التعليمي والذي تقوم به الإدارة الصفية.

وتعتبر عملية إدارة الفصول الدراسية والتحكم والسيطرة على سلوكيات التلاميذ الصفية الشغل الشاغل لمعظم المعلمين في جميع المراحل التعليمية وذلك لما لهذه السلوكيات من آثار على النتائج التي يمكن أن نجنحها من العمل التدريسي، وكذلك لما لهذه السلوكيات من آثار على نجاح المعلم أو فشله في أداء الدور المطلوب منه كمعلم للتلاميذ (الهاجري، 1993: 119).

فنجاح المدرسة أو فشلها إنما يرجع بالدرجة الأولى للمعلم إضافة إلى تنظيم المادة التعليمية وتوفير مجالات البحث والكشف وتشجيع التلاميذ على نقل الخبرات للآخرين (شعلان وآخرون، 3: 1994).

فالمعلم هو الذي يحقق الأهداف التربوية وهو الذي يتخير الخبرات والأنشطة التي يحتاج إليها المتعلمون، وهو الذي يتخير طرق التدريس التربوية وأساليب التقويم التي تقيس مدى تحقيق الأهداف. فالمعلم يتفاعل مع كائنات بشرية متغيرة ومتباينة ونامية مما يجعله يومياً يواجه مشكلات متباينة المصدر ومتنوعة الحجم، وهذه المشكلات أياً كان مصدرها فهي معتادة وطبيعية لا بد من المرور بها (قنديل، 1993: 212).

يتضح لنا مما سبق مدى أهمية دور المعلم باعتباره حجر الزاوية في المنظومة التعليمية والتربوية، حيث إن أدواره متعددة و مهامه متنوعة وأعبائه كثيرة، لذلك كانت وظيفة المعلم ليست بالهينة، بل فيها الحمل الثقيل والمسؤولية الكبيرة نظراً لأهمية الدور الذي يلعبه المعلم خاصة في مجال الإدارة الصفية.

ويشير (الكحلوت، 1996). بأن الإدارة الصفية قد تبدو سهلة لبعض المعلمين وخاصة الجدد منهم، إلا أنها عملية حقيقية تتطلب عناية ودراسة كبيرتين، فكثير من المعلمين يضيعون جزءاً كبيراً من وقت الحصة في ضبط الصف وإدارته مما يؤثر سلباً على العملية التعليمية ومسيرتها، فعلمية إدارة الصف ليست عملية جامدة بل هي عملية ديناميكية متغيرة، تتأثر بعوامل متعددة أهمها خصائص الطلبة، وطبيعة المادة، والمعلم والمدرسة والإمكانات المتوفرة فيها (الكحلوت، 1996: 43).

وتصطدم الإدارة الصفية بمشكلات عديدة خاصة لدى المعلمين المبتدئين وهذا ما تسعى الدراسة الحالية لتسليط الضوء عليه من خلال عرضها لدراسة هذا الموضوع المحدد بمشكلة الدراسة الآتية

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي الآتي:

ما واقع مشكلات الإدارة الصفية التي تواجه الطلبة المعلمين بقسم التعليم الأساسي بجامعة الأقصى من وجهة نظرهم وما سبل التغلب عليها.

وينفرع من السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما أكثر المشكلات الخاصة بالإدارة الصفية شيوعاً والتي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي من وجهة نظرهم؟
2. ما المشكلات التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي المتعلقة بالإدارة المدرسية؟
3. ما المشكلات التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي المتعلقة بالمعلم المتعاون؟
4. ما المشكلات التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي المتعلقة بالمنهاج؟
5. ما المشكلات التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي المتعلقة بالطلبة؟
6. ما المشكلات التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي المتعلقة بالبيئة الفيزيائية؟
7. ما سبل التغلب على مشكلات الإدارة الصفية الأكثر شيوعاً التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي في جامعة الأقصى من وجهة نظرهم؟

أهداف الدراسة:

- الكشف عن أكثر مشكلات الإدارة الصفية شيوعاً والتي تواجه الطلبة المعلمين بقسم التعليم الأساسي بجامعة الأقصى.
- التعرف إلى مشكلات الإدارة الصفية التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي المتعلقة ب (الإدارة المدرسية، والمعلم المتعاون، والمنهاج، والطلبة، والبيئة الفيزيائية).
- تقديم مجموعة من المقترحات للتغلب على المشكلات الأكثر شيوعاً والتي تواجه الطلبة المعلمين بقسم التعليم الأساسي بجامعة الأقصى من وجهة نظرهم.

أهمية الدراسة:

- تتضح أهمية الدراسة في كونها تتعرض لتشخيص المشكلات التي تعترض الطلبة المعلمين بقسم التعليم الأساسي في جامعة الأقصى ومعرفة أسباب حدوثها، وسبل التغلب عليها.
- قد يستفيد من هذه الدراسة بالدرجة الأولى الطلبة المعلمين بقسم التعليم الأساسي في كونها تعرفهم بمشكلات الإدارة الصفية وكيفية مواجهتها.
- قد يستفيد منها قسم التعليم الأساسي وكلية التربية في جامعة الأقصى وكذلك المشرفون التربويين من خلال التعرف على تلك المشكلات وتوضيحها لطلبتهم وكذلك وضع الخطط اللازمة لذلك بالإضافة لاختيار المساقات الملائمة لضمان نجاح الطلبة المعلمين في أداء مهامهم.
- قد يستفيد منها الباحثون والدارسون في الميدان التربوي والتعليمي.

مصطلحات الدراسة:

- **المشكلة:** يتبنى الباحث تعريف خير الله حيث عرف المشكلة بأنها: حالة من عدم الرضا أو التوتر تنشأ عن إدراك وجود عوائق تعترض الوصول إلى الهدف (خيرالله، 1981: 519).
- **الإدارة الصفية:** هي القدرة على شغل الطلاب في جو أكاديمي لتقليل فترات مقاطعة الأنشطة الصفية الاعتيادية (الأغا وعبد المنعم، 1990: 185).

حدود الدراسة:

الحد الموضوعي: اقتصرت الدراسة على تحديد أكثر مشكلات الإدارة الصفية شيوعاً لدى الطلبة المعلمين بقسم التعليم الأساسي في جامعة الأقصى وسبل التغلب عليها.

الحد المكاني: قطاع غزة.

الحد المؤسسي: قسم التعليم الأساسي في جامعة الأقصى.

الحد البشري: تم تطبيق هذه الدراسة على عينة من الطلبة المعلمين بقسم التعليم الأساسي في جامعة الأقصى المستوى الرابع، والممارسين للتدريب الميداني في المدارس قوامها (70) طالب وطالبة.

الحد الزمني: الفصل الأول من العام الدراسي الجامعي 2021-2022.

الإطار المفاهيمي للدراسة:

يتناول الباحث في هذه الدراسة إطاراً نظرياً يتمحور حول التعرف على فلسفة التعليم الابتدائي، وأهداف التعليم الابتدائي، بالإضافة للإدارة الصفية الفاعلة، ومصادر المشكلات الصفية، وأساليب وإجراءات معالجة المشكلات الصفية، بالإضافة لنبذة عن قسم التعليم الأساسي بجامعة الأقصى.

أهداف المرحلة الابتدائية:

تعد السنوات الأولى للطفل في المدرسة من السنوات المهمة من مراحل حياة الطفل التعليمية حيث يترتب عليها اكتساب الطفل للخبرات الأولية حول طبيعة المدرسة وكذلك اكتساب المهارات الحياتية.

ويرى (شفشق، 1989): أن أهداف المرحلة الابتدائية تتمثل في:

1. مساعدة الطفل على النمو المتكامل للنواحي الجسمية والعقلية والوجدانية.
2. تنمية الروح الوطنية والقومية في ضوء تصاميم الدين الإسلامي الحنيف.
3. تزويد الطفل بقدر مناسب من المعارف الإنسانية.
4. مساعدة الطفل على فهم البيئة الطبيعية والاجتماعية والتفاعل مهما والتكيف لظروفها المتغيرة (شفشق، 38: 1989).

فلسفة التعليم الابتدائي:

لكل مرحلة من مراحل التعليم المدرسي لها فلسفة خاصة تبنى على منطلقات فكرية وعقائدية وثقافية بحيث تكون نابعة من الفلسفة العامة للنظام التعليمي مع مراعاة طبيعة المرحلة العمرية. ويرى (ألسون، 1963): أن فلسفة التعليم الابتدائي تدور حول رعاية نمو الطفل المتعلم في هذه المرحلة، بحيث ينمو نمواً سليماً. (ألسون، 33: 1963).

الإدارة الصفية الفاعلة:

تتمتع الإدارة الصفية الفاعلة بمجموعة من الخصائص بحيث تسعى الإدارة الصفية الفاعلة دوماً لتحقيق الأهداف المنشودة وبلوغ الغايات المحددة بحيث ينسجم دور الإدارة الصفية مع خطط النظام التعليمي.

مصادر المشكلات الصفية:

تتعدد مصادر المشكلات الصفية فمنها ما هو من داخل المدرسة ومنها ما هو من خارجها.

أما بالنسبة للمصادر الداخلية:

فقد تكون هناك مشكلات ناتجة عن المعلم والطالب والإدارة المدرسية، والبيئة الفيزيائية، والوسائل، والمنهاج.

وهناك مشكلات ناتجة من خارج المدرسة كالضوضاء المنبعثة من المحيط الخارجي للمدرسة.

إجراءات وأساليب معالجة المشكلات الصفية:

ذكر (قطامي وقطامي، 2002): مجموعة من الإجراءات لمعالجة المشكلات الصفية التي تواجه المعلمين من هذه الأساليب:

1. أساليب الوقاية

2. استخدام التلميحات غير اللفظية.

3. مدح السلوك المرغوب.

4. مدح الطلبة الآخرين.

5. التذكير اللفظي البسيط.

6. التذكير المتكرر (قطامي، وقطامي، 409: 2002)

يتضح لنا مما سبق بأن المعلم بإمكانه التغلب على مشكلات الإدارة الصفية أو الحد منها قدر الإمكان من خلال امتلاكه لهذه المهارات ومعرفته بتلك الإجراءات بحيث تساعده على إدارة صفه وكفيلة أيضاً بتجاوز مشكلات الإدارة الصفية.

نبذة عن قسم التعليم الأساسي بجامعة الأقصى :

أنشئ قسم تعليم المرحلة الأساسية في العام الجامعي 2001-2002م، وتفردت به جامعة الأقصى في ذلك الوقت عن باقي جامعات محافظات غزة، وهو من أكبر أقسام كلية التربية من حيث عدد الطلبة، ويسهم في إعداد الكوادر المؤهلة نظرياً وعملياً، ويعمل على إمداد المؤسسات التربوية والمجتمعية بهذه الكوادر المؤهلة، لتحقيق آمال المجتمع الفلسطيني وتطلعاته العالية. حيث يقوم القسم بتأهيل المعلمين تربوياً وأكاديمياً؛ ليتمكنهم من تدريس جميع المباحث الدراسية المقررة في الصفوف الأربعة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي في مدارس فلسطين، وذلك بما يتلاءم وخطة وزارة التربية والتعليم العالي التي أقرتها حديثاً في المدارس.

يعد قسم تعليم المرحلة الأساسية من أكبر أقسام كلية التربية بجامعة الأقصى من حيث تعداد الطلاب والذي أنشئ عام 2001-2002، ويقدم القسم لطلبته في مرحلة البكالوريوس مجموعة من المساقات المتعلقة بمناهج وطرق التدريس، ويعمل القسم على إعداد المعلم لكل مراحل التعليم الأساسية، ويهتم بمعايير الجودة العالمية في إعداد المعلم، حيث يهدف القسم لتحقيق ما يلي:

1. - تنمية قدرة الطالب على فهم النظريات والمدخلات المتعلقة باستراتيجيات التدريس.

2. تنمية الكفايات المهنية للعاملين في الحقل التربوي.

3. إكساب الطالب المعلم مهارات الإدارة الصفية.

4. توظيف نظريات التدريس الحديثة في المواقف التدريسية المتنوعة.

في ضوء هذه الرؤية يلتزم القسم بتقديم أفضل فرص التعليم والبحث للطلاب المعلم وذلك بمستوى عالٍ من الجودة، وتوفير مناخ تعليمي يعمل على تخريج معلم ذي خبرة، ومؤهل للتكيف في العمل التربوي تبعاً لمتطلبات العصر، ويعمل القسم مع قسم أساليب التدريس على التواصل والتعاون

المثمر والمستمر مع الهيئات الأخرى التي تهتم بهذه المرحلة، وتخدم المجتمع ، لتحقيق التنمية المستدامة منه , كما يعمل على حل المشكلات التربوية من خلال ما يقوم به السادة أعضاء هيئة التدريس والباحثون من بحوث تربوية ونفسية (www.alaqsa.edu.ps).

الدراسات السابقة:

نستعرض فيما يلي مجموعة من الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة من اجل الاستئناس بهذه التجارب في طريق تناولنا للدراسة الحالية، ويقدمها الباحث تبعاً للترتيب الزمني بدء بالأحدث فالأقدم كما يلي:

دراسة أبو لطيفة و عيسى (2008) بعنوان المشكلات التي تواجه طلبة التربية العملية في الجامعة الأردنية في أثناء التدريب الميداني.

هدفت إلى الكشف عن المشكلات التي تواجه طلبة التربية العملية في الجامعة الأردنية من طلبة تخصص معلم الصف أثناء تدريبهم الميداني، وبيان آراء مديري المدارس المتعاونة والمعلمين المتعاونين بهذه المشكلات. ولتحقيق أهداف الدراسة تم اختيار عينة تألفت من (42) طالباً وطالبة من طلبة التربية العملية للعام الدراسي 2007/2008 و (12) مديراً ومديرة من مديري المدارس المتعاونة، و (36) معلماً ومعلمة من المعلمين المتعاونين. ولجمع البيانات أجرى الباحثان مقابلات شبه مبنية مع أفراد عينة الدراسة في سبيل الكشف عن المشكلات التي تواجه طلبة التربية العملية ومبرراتهم لاعتبارها مشكلات، ومعرفة آراء مديري المدارس المتعاونة والمعلمين المتعاونين حول المشكلات التي تواجه طلبة التربية العملية. وباستخدام طريقة التحليل الاستقرائي لاستجابات أفراد عينة الدراسة على أسئلة المقابلات التي تمت معهم؛ أظهرت نتائج الدراسة وجود عدة مشكلات واجهت الطلبة أثناء التدريب الميداني كان أبرزها: بعد المدرسة المتعاونة عن مكان سكن الطالب، وتوزيع إدارة المدرسة المتعاونة طلبة التربية العملية على المعلمين المتعاونين دون أخذ رأي الطلبة بذلك، وتكليف المعلمين المتعاونين لطلبة التربية العملية بمهام إدارية وتدرسية فوق طاقتهم، وكذلك فإنه لا يوجد في مرافق المدرسة وتجهيزاتها أماكن مخصصة يجلس فيها طلبة التربية العملية في أوقات الفراغ.

دراسة المقيد (2009) بعنوان: مشكلات الإدارة الصفية التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية بمدارس وكالة الغوث الدولية بغزة وسبل التغلب عليها.

هدفت الدراسة إلى التعرف على مشكلات ضبط الصف التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في مدارس وكالة الغوث محافظات غزة والكشف عن الاختلاف درجة وجود هذه المشكلات التي تواجه المعلمين تبعاً (للجنس، والمؤهل العلمي، وسنوات الخدمة، ومعرفة أسباب تلك المشكلات ومحاولة التوصل إلى بعض المقترحات للتغلب عليها، وتكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي المرحلة الابتدائية. وتكونت عينة البحث من (520) معلماً ومعلمة، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، كما استخدم الباحث أساليب إحصائية وهي التكرارات والنسب المئوية والأوزان النسبية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.

وأظهرت النتائج أن أكثر المشاكل شيوعاً هي كثرة الأعمال الإدارية المطلوبة من المعلم كمربي فصل، وزيادة عدد التلاميذ بصورة عامة داخل غرفة الصف، وزيادة عدد التلاميذ من ذوي التحصيل في الصف،

توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (α أقل من 0.05) تقديري مجموعتي المعلمين والمعلمات لمشكلات ضبط الصف المتعلقة بالإدارة المدرسية والمشكلات المتعلقة بالمعلم، والدرجة الكلية لمشكلات ضبط الصف لدى معلمي المرحلة الابتدائية وذلك لصالح مجموعة المعلمات. وكانت أكثر المقترحات تكراراً لسبل التغلب على مشكلات الإدارة الصفية مراعاة لتقليص أعداد الطلبة في الفصل الواحد، تقليل نصاب المعلم من الحصص، التخفيف من الأعباء الإدارية التي تثقل كاهل المعلمين والمعلمات.

دراسة الأفندي (2014) بعنوان: مشكلات إدارة الصف التي تواجه المعلمين في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي (دراسة ميدانية في مدارس الشمال السوري في الجمهورية العربية السورية).

هدفت الدراسة للتعرف على مشكلات إدارة لاصف التي تواجه المعلمين في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي في متغيرات الدراسة وهي (الجنس، سنوات خبرة المعلم، المؤهل العلمي للمعلم، منطقة المدرسة، نمط الإدارة الصفية التي يتبعها المعلم)، على عينة قوامها (200) معلم ومعلمة، وبينت الدراسة أن أكثر المشاكل شيوعاً هي: ضعف الإعداد الأكاديمي في مجال تدريس المنهاج، صعوبة تطبيق الطرائق التدريسية الحديثة، صعوبة التعامل مع تلاميذ الحلقة الأولى، صعوبة

استخدام الوسائل التعليمية، صورية الدورات التدريبية التي تقام لتطوير المعلمين، وكذلك عدم التأهيل الكافي، صعوبة المنهاج.

دراسة طاشمان، والمستريحي (2018) بعنوان: المشكلات التي تواجه طلبة التربية العملية في جامعة الإسراء في أثناء فترة التدريب الميداني.

هدفت الدراسة للتعرف على المشكلات التي تواجه طلبة التربية العملية في جامعة الإسراء في أثناء فترة التدريب الميداني، حيث تم تصميم استبانة لجمع المعلومات، وتكونت عينة الدراسة من (71) طالب وطالبة في تخصصي معلم صف، وتربية طفل، وأظهرت النتائج أن أبرز المشاكل تواجه طلبة التدريب الميداني تتصل بطبعة برنامج التربية العملية، والمعلم المتعاون، والمدرسة المتعاونة، وعمليات التدريس الصفّي، والمشرف الأكاديمي، وفي ضوء ذلك أوصى الباحثان بإعادة النظر ببرنامج التربية العملية بحيث يشتمل على المعايير المحلية والعالمية للتغلب على مشاكل الطلبة.

التعقيب على الدراسات السابقة:

فيما تم عرضه من دراسات وبعد الاطلاع على الأدب التربوي السابق نلاحظ بأن الدراسات التي تم عرضها تتفق في محاور عديدة وتختلف كذلك في نقاط أخرى وقد استفاد الباحث من تلك الدراسات بصفة عامة في إجراء دراسته من خلال المساعدة في تصميم أداة الدراسة وتحليل نتائج الدراسة بالإضافة لصياغة مشكلة الدراسة علاوة على وضع محاور الإطار النظري.

وقد اتفقت الدراسة الحالية مع بقية الدراسات في أداة الدراسة حيث استخدمت الدراسة الحالية الاستبانة كأداة لجمع البيانات من عينة الدراسة وكذلك دراسة كلا من دراسة أبو لطيفة، و عيسى (2008)، ودراسة المقيد (2009)، دراسة الأفندي (2014)، دراسة طاشمان، والمستريحي (2018).

وكانت أغلب التوصيات التي طرحتها الدراسات السابقة تتعلق بإعادة النظر في المساقات الجامعية المطروحة لضمان تأهيل الطلبة وأدائهم لدورهم في الإدارة الصفية بشكل فاعل ومن هذه الدراسات دراسة، وتتميز الدراسة الحالية بكونها تعرضت لدراسة المشكلات التي تواجه الطلبة الملحقين ببرنامج التربية العملية بجامعة الأقصى في المستوى الرابع كما أنها لم تتطرق للتعرف إلى اثر المتغيرات الأخرى على درجة استجابات عينة الدراسة للمشكلات التي تعترضهم.

الدراسة الميدانية:

الطريقة والإجراءات

يتناول هذا المحور وصفاً مفصلاً للإجراءات التي اتبعتها الباحثة في تنفيذ الدراسة، ومن ذلك تعريف منهج الدراسة، ووصف مجتمع الدراسة، وتحديد عينة الدراسة، وإعداد أداة الدراسة، والتأكد من صدقها وثباتها، وبيان إجراءات الدراسة، والأساليب الإحصائية التي استخدمت في معالجة النتائج، وفيما يلي وصف لهذه الإجراءات.

أولاً: منهج الدراسة:

من أجل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي يحاول من خلاله وصف الظاهرة موضوع الدراسة (مشكلات الإدارة الصفية التي تواجه الطلبة " المعلمين " بقسم التعليم الأساسي في جامعة الأقصى من وجهة نظرهم، وسبل التغلب عليها) وتحليل بياناتها وبيان العلاقة بين مكوناتها والآراء التي تطرح حولها

ثانياً: مجتمع وعينة الدراسة:

يتألف مجتمع الدراسة من جميع الطلبة المعلمين من طلبة قسم التعليم الأساسي والمسجلون في برنامج التربية العملية للفصل الدراسي الأول من العام الجامعي (2021-2022)، المستوى الرابع، والذين ينفذون تدريب ميداني (2) داخل المدارس والبالغ عددهم (189) (دائرة القبول والتسجيل).

وقد اشتملت عينة الدراسة على (70) من الطلبة المعلمين من طلبة قسم التعليم الأساسي والمسجلون في برنامج التربية العملية لهذا الفصل للعام الجامعي (2021-2022) بنسبة (37.03%) من المجتمع الأصلي للدراسة.

أداة الدراسة:

أعد الباحث استبانته لمعرفة مشكلات الإدارة الصفية التي تواجه الطلبة " المعلمين " بقسم التعليم الأساسي في جامعة الأقصى من وجهة نظرهم، وذلك من خلال الأدب التربوي الحديث، وفي ضوء الدراسات السابقة المتعلقة بمشكلة الدراسة التي تم الاطلاع عليها، وفي ضوء استطلاع رأي عينة من المتخصصين عن طريق المقابلات الشخصية، قام الباحث ببناء المقياس.

صدق المقياس: ويقصد بصدق المقياس: أن تقيس فقرات المقياس ما وضعت لقياسه وقام الباحث بالتأكد من صدق المقياس بطريقتين:

1- صدق المحكمين:

تم عرض المقياس في صورتها الأولية على مجموعة من أساتذة جامعيين من المتخصصين ممن يعملون في الجامعات الفلسطينية، حيث قاموا بإبداء آرائهم وملاحظاتهم حول مناسبة فقرات المقياس، ومدى انتماء الفقرات إلى المقياس، وكذلك وضوح صياغاتها اللغوية، وفي ضوء تلك الآراء تم استبعاد بعض الفقرات وتعديل بعضها الآخر.

2- صدق الاتساق الداخلي:

جرى التحقق من صدق الاتساق الداخلي للمقياس بتطبيق المقياس على عينة الدراسة، وتم حساب معامل ارتباط بيرسون بين كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية للمقياس، وكذلك تم حساب معامل ارتباط بيرسون، وذلك باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS).

الجدول (1) معامل ارتباط كل فقرة من فقرات المقياس مع الدرجة الكلية للمقياس

معامل الارتباط	رقم الفقرة	البعد	معامل الارتباط	رقم الفقرة	البعد	معامل الارتباط	رقم الفقرة	البعد
**0.807	21	البيئة الفيزيائية	**0.586	11	المنهاج الدراسي	**0.548	1	الإدارة المدرسية
**0.607	22		**0.690	12		**0.641	2	
**0.805	23		**0.813	13		**0.117	3	
**0.641	24		**0.611	14		**0.709	4	
**0.755	25		**0.786	15		**0.601	5	
			**0.673	16	الطلبة	**0.733	6	المعلم المتقنون
			**0.656	17		**0.832	7	
			**0.602	18		**0.788	8	
			**0.735	19		**0.542	9	

معامل الارتباط	رقم الفقرة	البعد	معامل الارتباط	رقم الفقرة	البعد	معامل الارتباط	رقم الفقرة	البعد
			**0.786	20		**0.790	10	

**ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.463

*ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.361

يتضح من الجدول السابق أن معاملات الارتباط بين الفقرات والمجموع الكلي للمقياس دالة عند مستوى دلالة (0.01)، مما يطمئن الباحث إلى تطبيقها على عينة الدراسة.

وللتحقق من صدق الاتساق الداخلي للأبعاد، قام الباحث بحساب معاملات الارتباط بين درجة كل بعد من ابعاد المقياس والأبعاد الأخرى، كذلك كل بعد بالدرجة الكلية للمقياس والجدول (2) يوضح ذلك.

الجدول (2) مصفوفة معاملات ارتباط كل بعد من أبعاد المقياس والأبعاد الأخرى للمقياس وكذلك مع الدرجة الكلية

الدرجة الكلية	البعد الأول	البعد الثاني	البعد الثالث	البعد الرابع	البعد الخامس
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة بالإدارة المدرسية	0.638	1			
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة بالمعلم المتعاون	0.683	0.555	1.000		
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة بالمنهاج الدراسي	0.695	0.276	0.365	1.000	
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة بالطلبة	0.715	0.307	0.075	0.458	1.000
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة بالبيئة الفيزيائية	0.808	0.335	0.415	0.345	0.678

**ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.463

*ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.361

يتضح من الجدول السابق أن جميع الأبعاد ترتبط ببعضها البعض وبالدرجة الكلية للمقياس ارتباطاً
ذا دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05،0.01)، وهذا يؤكد أن المقياس تتمتع بدرجة عالية
من الثبات والاتساق الداخلي.

ثبات الاستبانة: أجرى الباحث خطوات التأكد من ثبات الاستبانة وذلك بعد تطبيقها على أفراد العينة
الاستطلاعية بطريقتين وهما التجزئة النصفية ومعامل ألفا كرونباخ.

1- طريقة التجزئة النصفية Split-Half Coefficient: تم استخدام درجات العينة الاستطلاعية
لحساب ثبات الاستبانة بطريقة التجزئة النصفية حيث احتسبت درجة النصف الأول لكل مجال
من مجالات الاستبانة وكذلك درجة النصف الثاني من الدرجات وذلك بحساب معامل الارتباط
بين النصفين ثم جرى تعديل الطول باستخدام معادلة جتمان

**الجدول (3) يوضح معاملات الارتباط بين نصفي كل بعد من أبعاد الاستبانة وكذلك الاستبانة ككل
قبل التعديل ومعامل الثبات بعد التعديل**

المجال	عدد الفقرات	الارتباط قبل التعديل	معامل الثبات بعد التعديل
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالإدارة المدرسية	5	0.673	0.680
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالمعلم المتعاون	5	0.677	0.629
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالمنهاج الدراسي	5	0.673	0.696
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالطلبة	5	0.817	0.830
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالبيئة الفيزيائية	5	0.644	0.679
الدرجة الكلية للاستبانة	25	0.646	0.649

يتضح من الجدول السابق أن معامل الثبات الكلي (0.649) هذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة
عالية من الثبات تظمن الباحث إلى تطبيقها على عينة الدراسة.

2- طريقة ألفا كرونباخ:

استخدم الباحث طريقة أخرى من طرق حساب الثبات وهي طريقة ألفا كرونباخ، وذلك لإيجاد
معامل ثبات الاستبانة، حيث حصل على قيمة معامل ألفا لكل بعد من أبعاد الاستبانة وكذلك

للاستبانة ككل والجدول (4) يوضح معاملات ألفا كرونباخ لكل بعد من أبعاد الاستبانة وكذلك
للاستبانة ككل

المجال	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالإدارة المدرسية	5	0.724
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالمعلم المتعاون	5	0.784
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالمنهاج الدراسي	5	0.744
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالطلبة	5	0.725
مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالبيئة الفيزيائية	5	0.774
الدرجة الكلية للاستبانة	25	0.864

يتضح من الجدول السابق أن معامل الثبات الكلي (0.864) هذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة
عالية من الثبات تظمن الباحث إلى تطبيقها على عينة الدراسة.

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

قام الباحث بتفريغ وتحليل المقياس من خلال برنامج ((SPSS الإحصائي وتم استخدام
الأساليب الإحصائية التالية:

- 1- معامل ارتباط بيرسون "Person".
- 2- لإيجاد معامل ثبات المقياس تم استخدام معامل ارتباط سبيرمان بروان للتجزئة النصفية
المتساوية، ومعادلة جتمان للتجزئة النصفية غير المتساوية، ومعامل ارتباط ألفا كرونباخ.
- 3- التكرارات والمتوسط الحسابي والنسب المئوية.

نتائج الدراسة:

سيقوم الباحث في هذا المحور بعرض تفصيلي للنتائج التي تم التوصل إليها من خلال تطبيق
أدوات الدراسة، بالإضافة إلى تفسير ومناقشة ما تم التوصل إليه من نتائج من خلال الإجابة على
تساؤلات الدراسة:

الإجابة عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة:

ما أكثر المشكلات الخاصة بالإدارة الصفية شيوعاً والتي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي من وجهة نظرهم؟

وللإجابة عن هذا التساؤل قام الباحث باستخدام التكرارات والمتوسطات والنسب المئوية، والجدول التالية توضح ذلك:

الجدول (5) التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لكل بعد من أبعاد المقياس وكذلك ترتيبها في المقياس

الترتيب	الوزن النسبي	الانحراف المعياري	المتوسط	مجموع الاستجابات	البعد
5	58.91	3.021	14.729	1031	مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالإدارة المدرسية
4	60.00	4.270	15.000	1050	مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالمعلم المتعاون
1	72.86	3.691	18.214	1275	مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالمنهاج الدراسي
2	68.86	3.667	17.214	1205	مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة بالطلبة
3	63.77	4.590	15.943	1116	مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالبيئة الفيزيائية
	64.88	14.735	81.100	5677	الدرجة الكلية للاستبانة

يتضح من الجدول (5) أن مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالمنهاج الدراسي حصلت على المرتبة الأولى بوزن نسبي (72.86%)، تلى ذلك مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة بالطلبة حصل على المرتبة الثانية بوزن نسبي (68.86%) تلى ذلك مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالبيئة الفيزيائية حصل على المرتبة الثالثة بوزن نسبي (63.77%) تلى ذلك مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالمعلم المتعاون حصلت على المرتبة الرابعة بوزن نسبي (60.00%) تلى ذلك مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة - بالإدارة المدرسية حصلت على المرتبة الخامسة بوزن نسبي (58.91%)، أما الدرجة الكلية للاستبانة حصل على وزن نسبي (64.88%).

- يعزو الباحث هذه النتيجة وحصول مشكلات الإدارة الصفية المتعلقة بالمنهاج على الترتيب الأول ضمن مجالات الاستبانة إلى كون المنهاج الفلسطيني يوجد تجاهه شكوى عامة من قبل المعلمين والطلاب وأولياء الأمور، نظراً للحشو الزائد للمعلومات ولتكديس المواضيع وتنوعها وتداخلها

بالإضافة لضيق الوقت لتدريس هذا الكم الهائل من المعلومات خلال الفترة الزمنية المتاحة مما يجعل من ذلك تحدياً أمام المعلم المتعاون علاوة على شكوى المعلمين المبتدئين من هذا الأمر مما ينعكس على

الطلاب أنفسهم وعليه فإن ذلك يكون مدعاة لإثارة المشكلات الصفية كما ظهر من نتائج تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة.

- أما بالنسبة للدرجة الكلية للاستبانة فإنها حصلت على وزن نسبي قدره (64.88%) وهي درجة كبيرة حيث تشير هذه الدرجة إلى توفر هذه المشكلات بهذه الدرجة من حيث شعور الطلبة المعلمين بقسم التعليم الأساسي بجامعة الأقصى بها أثناء ممارستهم لمهامهم خلال برنامج التربية العملية وهذا من شأنه أن يؤثر على عمل الطلاب المعلمين، ويرجع الباحث وجود هذه المشكلات إلى أن النظام التعليمي تأثر بظروف عديدة محيطة به انعكست على أداء المعلم حيث إن شعور المعلمين بوجود هذه المشكلات يحد من فعاليتهم وكذلك جودة العمل، مما يستدعي من الجهات المسؤولة محاولة إعادة تقييم برامجها ووضع الخطط المناسبة ورسم السياسات الكفيلة بالتغلب على تلك المشكلات.

الإجابة عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة:

ما المشكلات التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي المتعلقة بالإدارة المدرسية :

وللإجابة عن هذا التساؤل قام الباحث باستخدام التكرارات والمتوسطات والنسب المئوية، والجدول التالية توضح ذلك:

الجدول (6) التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المجال وكذلك ترتيبها في المقياس

م	الفقرة	مجموع الاستجابات	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	زيادة التكاليف الإدارية للمعلم الطالب من قبل إدارة المدرسة.	212	3.029	1.090	60.57	3
2	اكتظاظ الفصول بالتلاميذ بصورة عامة.	274	3.914	0.928	78.29	1
3	زيادة عدد التلاميذ منخفضي التحصيل داخل المدرسة.	237	3.386	0.997	67.71	2

م	الفقرة	مجموع الاستجابات	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
4	عدم السماح بالتواصل مع أولياء أمور الطلبة.	153	2.186	1.081	43.71	5
5	عدم السماح بتوظيف الوسائل والمصادر التعليمية بالمدرسة.	155	2.214	1.166	44.29	4
	الدرجة الكلية للمجال	1031	14.729	3.021	58.91	

حصل هذا المجال على الترتيب الخامس ضمن مجالات الاستبانة حيث جاءت الدرجة الكلية للمجال بوزن نسبي قدره (58.91%).

- وكانت أعلى فقرة في هذا المجال الفقرة (2) والتي نصت على " اكتظاظ الفصول بالتلاميذ بصورة عامة " احتلت المرتبة الأولى بوزن نسبي قدره (78.29%)، حيث تعتبر هذه المشكلة من المشكلات المورقة للمعلمين لأن زيادة الكثافة الصفية تحد من أداء المعلم لعمله بشكل فاعل مما يعيق من عمله وممارسة مهامه بشكل أفضل لذلك جاءت هذه الفقرة في الترتيب الأول، حيث يترتب عليها تحمل المعلم لأعباء كثيرة من شأنها أن تحرف مسار عمله وتكلفه مزيداً من الجهد مما يعيق تنفيذ الأنشطة التعليمية المخطط لها، وإن المعاناة المتولدة جراء الكثافة الطلابية لا تقتصر على المعلم فحسب بل يتعدى أثرها إلى الإدارة المدرسية لأنه مناط بها توفير كل الظروف الملائمة وتهيئة المناخ لحدوث التعلم.

- وكانت أدنى فقرة في هذا المجال (عدم السماح بالتواصل مع أولياء أمور الطلبة) حيث جاءت بوزن نسبي قدره (43.71%) يرجع الباحث حصول هذه الفقرة على هذا الترتيب المتدني إلى كون الإدارة المدرسية لا تمنع من التواصل مع أولياء الأمور وكذلك فإن المعلمين يرغبون بشكل كبير بزيارة أولياء الأمور لهم للاطمئنان على مستوى أبنائهم، وكذلك فإن أولياء الأمور حريصين على التواصل مع المدرسة والمعلمين للاطمئنان على مستوى أبنائهم ومناقشة المعلمين في ابرز المشكلات التي تواجههم، وعليه فإن التواصل مع أولياء الأمور قائم وضمن خطط المدارس يتم تنظيم جدول لزيارات أولياء الأمور وتحديد جدول للزيارات بشكل أسبوعي وشهري وكذلك دعوة أولياء الأمور للمشاركة في الفعاليات التي تنظمها المدارس.

الإجابة عن السؤال الثالث من أسئلة الدراسة:

ما المشكلات التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي المتعلقة بالمعلم المتعاون

وللإجابة عن هذا التساؤل قام الباحث باستخدام التكرارات والمتوسطات والنسب المئوية، والجدول التالية توضح ذلك:

الجدول (7) التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المجال وكذلك ترتيبها في المقياس

م	الفقرة	مجموع الاستجابات	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	قلة الاستفادة من المعلم المتعاون بسبب أعبائه الإدارية.	206	2.943	1.214	58.86	4
2	انخفاض دافعية المعلم المتعاون لمشاركة التلاميذ في الأنشطة.	186	2.657	1.153	53.14	5
3	ترك المعلم المتعاون الطالب المعلم لوحده لإدارة الحصة.	218	3.114	1.314	62.29	2
4	قلة تكليفنا بأعمال صفية كالامتحانات بدعوى قلة الخبرة.	224	3.200	1.175	64.00	1
5	قلة الخبرة المكتسبة بسبب عدم امتلاكه للكفايات التدريسية.	216	3.086	1.139	61.71	3
	الدرجة الكلية للمجال	1050	15.000	4.270	60.00	

- جاء ترتيب هذا المجال في المركز الرابع بوزن نسبي (60%) مما يدل على أن المعلم المتعاون يقوم بدوره بشكل كبير تجاه الطلبة المعلمين حيث تبين ذلك من خلال شعورهم بذلك واستجاباتهم المطروحة، حيث يقوم المعلم المتعاون بتهيئة الطلاب " المعلمين " أو مساعدتهم في أداء مهمتهم ضمن برنامج التربية الميدانية.

- وأن أعلى فقرة في هذا المجال كانت (قلة تكليفنا بأعمال صفية كالامتحانات بدعوى قلة الخبرة) بوزن نسبي (64 %) ويعزو الباحث حصول هذه الفقرة على هذا الترتيب إلى أن المعلم المتعاون

ورغم محاولته مساعدتها الطلاب المعلمين فإنه مناط به أعمال وتكليفات مطالب بإنجازها ضمن حدود زمنية معينة، وأن تكليفه للطلاب بأعمال صفية كتصميم الامتحانات وتنفيذها قد يعيق برنامج عمله ويؤثر على خطة سير المنهج لديه فيلجأ لعمل الاختبارات هو بنفسه ولا يكلف الطلاب المعلمين بعمل الامتحانات بدعوى قلة الخبرة، وهذا يستدعي تأهيل الطلاب وكذلك زيادة العلاقة والتواصل الفاعل مع المعلمين المتعاونين وحثهم على إشراك الطلاب في ذلك.

- وأن أدنى فقرة في البعد كانت (انخفاض دافعية المعلم المتعاون لمشاركة التلاميذ في الأنشطة) حيث حصلت على وزن نسبي قدره (53.14%) ويعزو الباحث ذلك إلى ضغوط العمل الكبيرة التي يشعر بها المعلم وكذلك ضغط عامل الوقت حيث يسابق الزمن من أجل انجاز المنهاج مما يعمل على انخفاض دافعيته لمشاركة التلاميذ في الأنشطة المختلفة، وهذا ما يستدعي إلى توعية المعلمين بضرورة إشراك الطلاب في مختلف الأنشطة باعتبار أن الطالب هو محور العملية التعليمية ولا بد أن يكون الدور الأكبر له في العملية التعليمية.

الإجابة عن السؤال الرابع من أسئلة الدراسة:

ما المشكلات التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي المتعلقة بالمنهاج.

وللإجابة عن هذا التساؤل قام الباحث باستخدام التكرارات والمتوسطات والنسب المئوية، والجدول التالية توضح ذلك:

الجدول (8) التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المجال وكذلك ترتيبها في المقياس

م	الفقرة	مجموع الاستجابات	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	تكدرس وازدحام المنهج بكم كبير من المعلومات.	302	4.314	0.860	86.29	1
2	قلة الوسائل المتنوعة لتفسير وخدمة المنهاج المدرسي.	243	3.471	1.003	69.43	3
3	ضعف ارتباط المحتوى بالواقع المعاش للتلاميذ.	232	3.314	1.186	66.29	4

م	الفقرة	مجموع الاستجابات	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
4	قلة جوانب الممارسة العملية في المنهاج.	266	3.800	1.085	76.00	2
5	ضعف ملائمة المنهاج لمتطلبات وحاجات وميول التلاميذ.	232	3.314	1.210	66.29	4
	الدرجة الكلية للمجال	1275	18.214	3.691	72.86	

- جاء هذا المجال في الترتيب الأول بوزن نسبي (72.86%)

- وكانت أعلى فقرة هي (تكدرس وازدحام المنهج بكم كبير من المعلومات) ويعزو الباحث ذلك إلى الشكوى العامة من المعلمين والطلاب وأولياء الأمور من تكدرس وازدحام المنهاج بكم هائل وكبير من المعلومات فيقع المعلم تحت ضغط عامل الوقت من اجل تنفيذ ذلك والانتهاء من المنهج تمشياً مع الخطة الزمنية مما يؤثر ذلك على عمل المعلم.

- وأن أدنى فقرة في البعد كانت (ضعف ارتباط المحتوى بالواقع المعاش للتلاميذ وضعف ملائمة المنهاج لمتطلبات وحاجات وميول التلاميذ) يعزو الباحث ذلك إلى أن المنهاج الفلسطيني من وجهة نظر الطلاب المعلمين وشعورهم بذلك لم يلحظوا بعد المنهج عن الواقع المعاش للطلاب إلى أن استجاباتهم كانت مغايرة لما هو مطروح مما يدل على ان المنهج الفلسطيني يرتبط بواقع الطالب وكذلك فهو ملائم لمتطلبات وحاجات وميول الطلاب من وجهة نظر المعلمين أنفسهم.

الإجابة عن السؤال الخامس من أسئلة الدراسة:

ما المشكلات التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي المتعلقة بالطلبة.

وللإجابة عن هذا التساؤل قام الباحث باستخدام التكرارات والمتوسطات والنسب المئوية، والجدول التالية توضح ذلك:

الجدول (9) التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المجال وكذلك ترتيبها في المقياس

م	الفقرة	مجموع الاستجابات	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	تأخر التلاميذ عن بداية الحصص.	203	2.900	1.144	58.00	5
2	كثرة استئذان الطلبة للخروج أثناء الحصة.	251	3.586	1.070	71.71	3
3	كثرة حركة الطلاب بسبب نقصان الدافعية للتعلم.	255	3.643	1.050	72.86	1
4	انشغال التلاميذ بالحديث الجانبي أثناء الحصة مع بعضهم.	244	3.486	1.087	69.71	4
5	استفزاز التلاميذ لبعضهم بالكلام والحركات والإشارات.	252	3.600	1.147	72.00	2
	الدرجة الكلية للمجال	1205	17.214	3.667	68.86	

- حصل هذا المجال على الترتيب الثاني بوزن نسبي قدره (68.86 %) حيث حل في هذا الترتيب نظراً لكثرة المشكلات الناجمة عن الطلبة أنفسهم وسلوكياتهم المتعددة وباعتبار أن الطالب هو محور العملية التعليمية فإن المشكلات الناتجة عنهم كثيرة حيث كانت هذه الانطباعات من وجهة نظر الطلاب المعلمين من خلال معاشتهم الميدانية اليومية للطلاب.

- أما بالنسبة لأعلى فقرة ترتيباً كانت (كثرة حركة الطلاب بسبب نقصان الدافعية للتعلم) بوزن نسبي (72.86%) وتأتي هذه الفقرة في هذا الترتيب إلى وجود الكثافة الصفية العالمية بالإضافة لضعف ممارسة الأنشطة المتنوعة مما يحدث نوع من الملل داخل الغرف الصفية وخاصة إذا كان اعتماد المعلمين على الأساليب التقليدية كالتلقين وقلة توظيف استراتيجيات التعلم النشط داخل الغرفة الصفية مما يؤدي بالطلاب لكثرة الحركة وانخفاض دافعيتهم للتعلم، وهذا من وجهة نظر الطلاب المعلمين حسب تجربتهم في برنامج التربية العملية.

- وأن أدنى فقرة نصت على (تأخر التلاميذ عن بداية الحصص) بوزن نسبي (58%) حيث إن المعلمين قبل البدء بتنفيذ فعاليات الحصة فإنه يتفقد طلابه بالإضافة إلى أن مشرفي الساحات الخارجية

لا يسمحوا للطلاب بالتأخر عن الحصص وهذا يعود للانضباط المدرسي وهذا ما تبين من خلال شعور الطلاب المعلمين بذلك حيث جاءت في ترتيب متدني ضمن فقرات هذا المجال.

الإجابة عن السؤال السادس من أسئلة الدراسة:

ما المشكلات التي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي المتعلقة بالبيئة الفيزيائية

وللإجابة عن هذا التساؤل قام الباحث باستخدام التكرارات والمتوسطات والنسب المئوية، والجدول التالية توضح ذلك:

الجدول (10) التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات المجال وكذلك ترتيبها في المقياس

م	الفقرة	مجموع الاستجابات	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	ضعف التركيز بسبب انقطاع التيار الكهربائي باستمرار.	260	3.714	1.253	74.29	1
2	كثرة الضوضاء الصادرة من ساحات الملعب المدرسي والشوارع .	248	3.543	1.200	70.86	2
3	ضياع الوقت بسبب تأخر العاملين في تنظيف الفصول.	200	2.857	1.277	57.14	5
4	عدم صلاحية السبورة للكتابة.	201	2.871	1.203	57.43	4
5	الإزعاج الناتج بسبب تلف نوافذ الفصول.	207	2.957	1.268	59.14	3
	الدرجة الكلية للمجال	1116	15.943	4.590	63.77	

جاء هذا المجال في الترتيب الثالث حيث حصل على وزن نسبي (63.77%)

- ويشير الباحث إلى أن البيئة الفيزيائية لها أهمية واضحة وتأثير كبير على سير العملية التعليمية وان تهيئة البيئة الفيزيائية يعد من شروط نجاح الموقف التعليمي لذلك فان جودة البيئة الفيزيائية تضمن نجاح سير الفعاليات والأنشطة التعليمية اليومية للمعلم داخل الغرفة الصفية وهذا ما أكدته استجابات عينة الدراسة.

- أما بالنسبة لأعلى فقرة في هذا المجال فكانت (ضعف التركيز بسبب انقطاع التيار الكهربائي باستمرار) حيث جاءت بوزن نسبي قدره (74.29%) ويعزو الباحث ذلك إلى أن مشكلة انقطاع التيار الكهربائي أصبحت من المشكلات المورقة لجميع الفئات لا سيما الطلاب وخاصة أثناء سير اليوم الدراسي مما يعيق تنفيذ كثير من الأنشطة والفعاليات ويؤثر على سير عمل المعلم لذلك كان شعور المعلمين بذلك نظراً لتأثير انقطاع التيار الكهربائي عليهم مما ينعكس سلباً على الطالب ويضعف من تركيزه مع فعاليات الدرس وكذلك المعلم.

- أما بالنسبة لأدنى فقرة فكانت (ضياع الوقت بسبب تأخر العاملين في تنظيف الفصول) بوزن نسبي (57.4%) ويرجع الباحث ذلك إلى اهتمام إدارات المدارس بالنظافة العامة للفصول من خلال تكليفها للعاملين بمتابعة نظافة الفصول بشكل مستمر حيث إن ذلك لم يعد مشكلة تعيق عمل المعلم وتؤثر على نشاطه الصفي وقد جاءت هذه الاستجابات من وجهة نظر الطلاب المعلمين بقسم التعليم الأساسي.

الإجابة عن السؤال السابع من أسئلة الدراسة:

ما سبل التغلب على مشكلات الإدارة الصفية الأكثر شيوعاً والتي تواجه طلبة قسم التعليم الأساسي من وجهة نظرهم

للإجابة على هذا السؤال قام الباحث بتوجيه سؤال إنشائي مفتوح للطلبة المعلمين الملتحقين بقسم التعليم الأساسيين، حيث قام الباحث بحساب التكرارات لإجابات الطلبة على النحو التالي:

م	الفقرة	عدد مرات التكرار
1	العمل على تقليل الكثافة الصفية والتخفيف من اكتظاظ الفصول بالطلبة.	58
2	إحاق الطلبة المعلمين بقسم التعليم الأساسي بدورات تدريبية لتأهيلهم قبل بدء التدريب، وتفعيل إستراتيجية (التعليم المصغر) لتدريب الطلبة على كيفية التعامل مع المشكلات الصفية.	50
3	تهيئة البيئة الفيزيقية داخل الفصول بشكل خاص و في المدرسة بشكل عام.	50
4	توضيح القوانين والقواعد السلوكية وقواعد الانضباط المدرسي للطلبة وحثهم على الالتزام بها	44

م	الفقرة	عدد مرات التكرار
5	التنوع في طرق التدريس والبعد عن الطرق التقليدية وتوظيف استراتيجيات التعلم النشط بطريقة فاعلة.	36
6	وضع البرامج والخطط العلاجية للطلبة متدني التحصيل حتى لا يستنزفوا وقت المعلم على حساب الطلبة المتفوقين داخل الغرفة الصفية.	33
7	حث المعلم المتعاون والإدارة المدرسية على منح الطلبة المتدربين الفرص الحقيقية للمشاركة الميدانية في كافة جوانب العملية التعليمية.	31
8	التخفيف من المنهاج المدرسي، حتى لا يقع المعلم تحت ضغط عامل الوقت، والاهتمام بحشو أدمغة الطلبة كما لا كيفاً.	30
9	رصد المكافآت للمعلم المتعاون من قبل الجامعة لتحفيزه وزيادة دافعيته في التعامل مع الطلبة المعلمين المنتهين معه.	30
10	زيادة فترة التدريب العملي للطلبة المعلمين بقسم التعليم الأساسي في جامعة الأقصى لزيادة الحصيلة العملية واكتساب الخبرة في مجال التعامل مع الطلبة	28
11	قيام الجامعة بتزويد الطلبة بالوسائل التعليمية المعينة أثناء فترة التدريب والتي تخدم المنهاج بطريقة فاعلة.	25
12	صقل الجوانب النفسية والاجتماعية في شخصية الطالب المعلم قبل وأثناء فترة التدريب.	25
13	تفعيل العلاقة بين المعلم الطالب والمرشد التربوي لوضع الحلول المناسبة للطلبة مثيري الإزعاج داخل الفصول ووضع البرامج العلاجية لهم.	22
14	استخدام التعزيز بأنواعه من أجل تحفيز الطلبة على الانضباط والمشاركة الصفية.	20
15	تقليل الأعباء الإدارية والتكليفات المختلفة المسندة للطلبة المعلمين.	18
16	زيادة عدد اللقاءات والاجتماعات بين الطلبة والمشرفين التربويين لزيادة فرص الاستفادة من خبرات المشرف التربوي المتابع للطالب المعلم.	15

م	الفقرة	عدد مرات التكرار
17	زيادة التعاون بين المدرسة وأولياء الأمور لتفعيل دورهم في الحد من المشكلات السلوكية الناتجة عن الطلبة.	12
18	توفير أجواء الترفيه والمرح للطلبة في المرحلة الأساسية للتخلص من جو السآمة لدى الطلبة	11
19	مراعاة قسم الإشراف التربوي رغبات الطلبة في فترة التدريب العملي من حيث التوزيع للطلبة.	9
20	تزويد الطلبة المعلمين بدليل إرشادي يوضح طرق التعامل مع المشكلات الصفية والمواقف التربوية المتنوعة.	8

التوصيات:

- 1 - ضرورة تهيئة الطلبة المعلمين قبل دخولهم للميدان العملي من أجل تدريبهم وتأهيلهم بالإضافة لإكسابهم مهارات التعامل مع المشكلات الصفية، وعقد دورات تدريبية لهم في المنهاج للطلبة المعلمين.
- 2 - مراعاة تقليص أعداد الطلبة داخل الفصول.
- 3 - تشجيع الطلبة على التعلم وإثارة دافعيتهم نحو التعليم.
- 4 - الاهتمام بالتنوع في المنهاج على حساب الكم ومراعاة المنهاج للمدة الزمنية المطروحة.
- 5 - تقليل نصاب المعلم المتعاون لكي يتسنى له إفاة الطلبة المعلمين الملحقين به.
- 6 - ضرورة تهيئة البيئة الفيزيقية داخل المدارس لضمان نجاح الموقف التعليمي اليومي.
- 7 - زيادة التواصل مع المعلم المتعاون لحثه على إشراك الطلبة في الأنشطة التعليمية اليومية.
- 8 - عمل برامج علاجية خاصة للطلاب من ذوي التحصيل المتدني.
- 9 - إعادة النظر في بعض المساقات الجامعية المطروحة وتضمينها المواقف التعليمية الميدانية لكي يتعرف الطالب المعلم على كيفية التعامل معها.
- 10 - تنوع المعلمين لمهارات التدريس المستخدمة لمنع ظهور المشكلات الصفية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبولطيفة، رائد فخري، و شاهيناز عيسى (2008) المشكلات التي تواجه طلبة التربية العملية في الجامعة الأردنية في أثناء التدريب الميداني، مجلة دراسات العلوم التربوية، مجلد 38، عدد 12، 2011م.
2. الأفندي، الآء عمر (2014) مشكلات إدارة الصف التي تواجه المعلمين في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي (دراسة ميدانية في مدارس الشمال السوري في الجمهورية العربية السورية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة حلب.
3. ألسون، ويلارد (1963) " تطور نمو الأطفال " ترجمة: إبراهيم حافظ وآخرون، عالم الكتب، القاهرة.
4. دائرة القبول والتسجيل جامعة الأقصى 2021.
5. شعلان، محمد سليمان وآخرون، (1994) " مفاهيم واتجاهات حديثة في تعليم أطفال المدرسة الابتدائية" مكتبة غريب، القاهرة.
6. شفشق، محمود (1989) المدرسة الابتدائية أنماطها الأساسية واتجاهاتها العالمية المعاصرة، دار التعلم للنشر والتوزيع، الكويت.
7. طاشمان، غازي، حسين المستريحي (2018) المشكلات التي تواجه طلبة التربية العملية في جامعة الإسراء في أثناء فترة التدريب الميداني، مجلة العلوم التربوية والنفسية، 5 (2)، الجزائر: جامعة الوادي، الجزائر. 56-74.
8. قطامي، يوسف ونايفة (2002) إدارة الصفوف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.
9. قنديل، ياسين عبد الرحمن (1993) " التدريس وإعداد المعلم " دار النشر الدولي، الرياض.
10. الكحلوت، أحمد () (1996) المناخ التنظيمي وإدارة الصف " إدارة الصف وتنظيمه"، جامعة القدس المفتوحة، غزة.
11. مصطفى، حسن وآخرون () (1982) اتجاهات جديدة في الإدارة المدرسية "مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة.

12. المقيد، عارف مطر (2009): مشكلات الإدارة الصفية التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية بمدارس وكالة الغوث الدولية بغزة وسبل التغلب عليها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.
13. الهاجري، عبدالله (1993) ضبط السلوك الطلابي في الفصول الدراسية " دراسات تربوية"، القاهرة 55، ع 55، ص (119-145).
15. (<http://www.alaqsa.edu.ps>).

دور الإدماج المدرسي في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل المعاق سمعياً

The role of school integration in developing the mental image of the hearing-impaired child

إعداد: د. دحال سيهام: أستاذ محاضر "ب"، جامعة الجزائر 2، الجزائر

Prepared by: Dr. Dahal Siham: Lecturer "B", University of Algiers 2,
Algeria

المخلص:

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على دور الإدماج المدرسي في تنمية الصورة الذهنية عند الأطفال الصم، حيث تكونت مجموعة الدراسة من 8 أطفال موزعين بين الذكور والإناث (4 أطفال صم مدمجين و 4 أطفال صم غير مدمجين)، وقد استخدمت الباحثة في هذه الدراسة الأدوات التالية: اختبار الذكاء الغير لفظي، واختبارات الصورة الذهنية، وقد أسفرت النتائج على مايلي:

- تفوق الأطفال الصم المدمجين في اختبارات الصورة الذهنية بنسبة كبيرة مقارنة بالأطفال الصم الغير مدمجين، بمعنى أن للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل المعاق سمعياً.

- للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المستنسخة الحركية عند الطفل المعاق سمعياً.

- للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المتوقعة الحركية عند الطفل المعاق سمعياً.

- للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المتوقعة للتحويلات عند الطفل المعاق سمعياً.

الكلمات المفتاحية: الإدماج المدرسي؛ تنمية؛ الصورة الذهنية؛ الطفل المعاق سمعياً.

Abstract:

The present study aims to identify the role of inclusive education in the development of the mental image of deaf children. The study group consisted of 8 children divided between men and women (4 integrated deaf children and 4 non-integrated deaf children). In this study, the researcher used the following tools: non-verbal intelligence test, mental picture, and the results resulted in the following:

- Integrated deaf children outperformed the mental image tests by a large percentage compared to non-integrated deaf children, which means that school integration has a role in the development of the mental image of the hearing impaired child.

- School integration has a role in the development of the mental image reproduced by the movement of the hearing impaired child.
- School integration plays a role in the development of the expected kinetic mental image of the hearing impaired child.
- School integration has a role in the development of the mental image expected of transfers for the hearing-impaired child.

Keywords: school integration, development, Mental image, Hearing impaired child

1 – مقدمة:

إن أهم المكونات الأساسية في النمو المعرفي هي الصور الذهنية التي يمكن اعتبارها من خلال مختلف التناولات النظرية ضمن علم النفس الحديث وبالأخص نظرية جون بياجيه التي تعد أحد المكونات القاعدية لتمثيل الأشياء والخبرات لدى الفرد وخاصة عند الطفل خلال مراحل نموه، إنطلاقاً من هذه القاعدة يمكن اعتبار الصور الذهنية قدرة كامنة تعكس مدى قدرة الطفل على الإستدعاء والإستحضار المعرفي ولعل ما يلفت الإنتباه في هذه النظرية هي الوظيفة الرمزية، التي لا تعتبر في فترة من الفترات مرحلة من مراحل النمو فحسب وإنما قدرة تحتوي على عدة بنيات ومكونات معرفية في الأساس تتشكل وتأخذ أساسها وقاعدتها من بعدها المعرفي الرمزي والتمثيلي للواقع والأحداث كاللعب والتقليد والرسم ومن ثمة الصور الذهنية واللغة، على اعتبار أن هذه المظاهر تمثيلية وبواسطتها يستحضر بهم الطفل جملة من المؤشرات والمعطيات من الواقع ويستدعي بواسطة هذه القدرة ما هو غائب من الأحداث والأشخاص والأشياء المكونة للسياق.

هذا السير العادي للنمو يخص الأطفال العاديين الذين لا يعانون من أي اضطراب فقد ارتأينا في دراستنا هذه تسليط الضوء على فئة المعاقين سمعياً الذين لا يمتلكون نفس المؤهلات التي يمتلكها الطفل العادي، بحيث أصبح هناك تطور وتنوع في الخدمات المقدمة لهذه الفئة، وذلك بالانتقال من تعليمهم داخل المؤسسات والمدارس الخاصة إلى تعليمهم في المدارس العادية وذلك لمساعدتهم على تجاوز إعاقاتهم وتسهيل اندماجهم في المجتمع عامة والمحيط المدرسي خاصة. فيعتبر دمج الأطفال المعاقين سمعياً الحاملين للزرع القوقعي من أحدث التوجهات التربوية والتعليمية، ويقصد بالإدماج المدرسي وضع الطفل المعاق مع الطفل العادي داخل إطار تعليم النظام العادي مع تزويده بالخدمات

المناسبة التي يحتاجها في القسم، فالمدرسة تعلمه أن يكون فعالاً ومستقلاً بذاته. فالتفاعل الحاصل بين الأطفال المعاقين سمعياً والأطفال العاديين يساهم في تطوير الأداء الأكاديمي والمعرفي لهم، ومما لا شك فيه أن الإعاقة السمعية لها نتائج والكل يتفق على أنها سلبية مما تحول دون النمو السليم للطفل. وبما أن الطفل المعاق سمعياً يجد صعوبة على مستوى التفكير المجرد حاولنا من خلال هذه الدراسة معرفة ما إذا كان الإدماج المدرسي يساعده على تنمية الصورة الذهنية وهذا من خلال القيام بدراسة مقارنة بين الأطفال المعاقين سمعياً المدمجين الحاملين للتجهيز الكلاسيكي والحاملين للزرع القوقعي والأطفال المعاقين سمعياً الغير مدمجين الحاملين للتجهيز الكلاسيكي والغير مجهزين.

2- الإشكالية:

نظراً لأهمية النمو المعرفي السليم في حياة الطفل نرى أنه من الضروري أن ننطلق من المسلمة القائلة بأن الطفل العاجز سمعياً يتبع في نموه المعرفي نفس المراحل التي جاءت في النظرية التكوينية التي أكدت أن الطفل الأصم يتبع بطريقة أكثر بطناً نفس الفترات التطورية التي أشار إليها بياجي ولكن ثمة هناك خصائص تميز هذا الأخير عن الطفل العادي، ومن هذه الخصائص تلك التي أشار إليها (M_Bartin 1979) حيث يرى أن الاختلاف بين الفئتين لا يكمن في مستوى طبيعة البنية وإنما على مستوى توظيف هذه الأخيرة، فالتوظيف عند الطفل الأصم يعتمد أساساً على المظاهر الشكلية. فتأخر الأطفال العاجزين سمعياً لا يرتبط فقط بغياب اللغة الشفوية والتي لا تلعب دور كبير في تكوين بنيات التفكير حسب M-Bartin ولكنه يرتبط أكثر بمحدودية الخبرات المادية والاجتماعية واللغوية وكذا قلة الخبرة التي يقدمها المحيط. (الزريقات، 2013) وبما أن الطفل المعاق سمعياً لديه صعوبة في التعامل مع الأفكار والأشياء المجردة وكذلك التصورات. هذا الأمر قادنا للقيام بدراسة مقارنة بين الأطفال المعاقين سمعياً المدمجين الحاملين للزرع القوقعي والأطفال الحاملين للتجهيز الكلاسيكي والغير مدمجين الحاملين للتجهيز الكلاسيكي والغير مجهزين وذلك لمعرفة ما إذا كان للإدماج المدرسي دور في تنمية هذه التصورات، ومن هنا تصاغ تساؤلاتنا كالتالي:

➤ التساؤل الرئيسي:

- هل للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل المعاق سمعياً؟

➤ التساؤلات الجزئية:

- هل للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المستنسخة الحركية عند الطفل المعاق سمعياً؟

- هل للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المتوقعة الحركية عند الطفل المعاق سمعياً؟
- هل للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المتوقعة للتحويلات عند الطفل المعاق سمعياً؟

3 – الفرضيات:

الفرضية الرئيسية:

- للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل المعاق سمعياً.

الفرضيات الجزئية:

- للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المستنسخة الحركية عند الطفل المعاق سمعياً.
- للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المتوقعة الحركية عند الطفل المعاق سمعياً.
- للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المتوقعة للتحويلات عند الطفل المعاق سمعياً.

4 – أهداف البحث:

- يهدف هذا البحث إلى معرفة تطور الصورة الذهنية عند الطفل.
- هذه الدراسة تمكننا من التعرف على أهمية الإدماج المدرسي بالنسبة للطفل المعاق سمعياً في تنمية العماليات المعرفية عامة والصورة الذهنية خاصة.
- معرفة ما إذا كان الطفل المعاق سمعياً يعاني من اضطرابات على مستوى الصور الذهنية.

5 – الإطار النظري للدراسة:

يُميّز علم النفس المعرفي بين معنيين لمفهوم التصور، الأول يتعلق بسيرورة التفسير والثاني يتجه نحو نتائج هذه السيرورة. فالصورة الذهنية والمفاهيم والتصورات مرتبطة بالفعل، والصورة الذهنية تأخذ بعين الاعتبار العوامل الخصائصية للمدركات الحسية من شكل ولون وحجم الموضوع وكذا توجهه في الفضاء، كما أن التصورات تختلف من طفل لآخر فهي مرتبطة بالفعل المتعلق بالمعارف التي يمتلكها الطفل والطريقة التي يقوم بها نشاطه وكل هذا يسمح له بإنتاج صور ذهنية.

قد تناولت مجموعة من الدراسات الصورة الذهنية أبرزها دراسة بياجي الذي يعتبر الصورة الذهنية ميكانيزم جد مهم يستعمله الطفل في نموه المعرفي، فهي عبارة عن تقليد داخلي للصور

الواقعية وهي أيضا تمثيلات صورية تتضمن أشياء أو سلسلة من الأشياء وكذلك الأشكال ووضعيات الأشياء وتكون مرتبطة بمجموعة من الأفعال (piaget et inhelder,1966).

من خلال هذا نلاحظ أن بياجي يصور الصورة كرسماً أولياً للتقليد ممكن أن يكون ناتجاً عن التقليد المستدخل، فظهورها عند الطفل مرتبط بظهور وبناء الوظيفة الرمزية الناتجة عن تمايز بين الدال والمدلول اللذان يسمحان باستحضار مواضيع ووضعيات غير مدركة في الحاضر، فبحسبه أن تشكيل الصورة الذهنية عند الطفل يتماشى مع تطور نموه الفكري أي مع نمو الذكاء، ويكتمل نمو الصورة الذهنية دائماً حسب بياجي في سن الثامنة من عمر الطفل رغم أنه كان يشير إليها في المرحلة الحسية الحركية وذلك بظهور الوظيفة الرمزية. وتشير معظم الدراسات التطورية المتعلقة بالقدرات التصورية أنه ما يُلاحظ عند الأطفال ذوي 8 سنوات يمكن ملاحظته عند الأطفال الأكبر سناً وعليه نستنتج أن تطور القدرات التصورية يحدث أساساً قبل 8 سنوات. وهذا ما أكدته دراسة الأستاذة دحال التي قدمت في إطار نيل شهادة دكتوراه تحت عنوان "علاقة الصورة الذهنية بفهم نص يصف معالم فضائية عند الطفل_ دراسة تطورية 6-11 سنة"، هدفت هذه الدراسة إلى معرفة كيفية تطور التصور الذهني عند الطفل العادي والتي تم إجراءها في 10 مدارس ابتدائية بالجزائر على عينة يتراوح سنها ما بين 6 و11 سنة مقسمة على 3 مجموعات كل مجموعة تتكون من 45 تلميذ حيث تتكون المجموعة (1) التي يتراوح أعمارهم ما بين 6، 7 سنوات ومجموعة (2) والتي يتراوح أعمارهم ما بين 8 و9 سنوات بالإضافة إلى مجموعة (3) يتراوح أعمارهم ما بين 10 و11 سنة، بحيث طبقت الأستاذة مجموعة من الإختبارات والمتمثلة في كل من إختبار KABC وإختبار التخزين والفهم لنص يصف معالم فضائية وإختبار الصورة الذهنية والذي من بينه إختبار الاحتفاظ بالصورة في الذاكرة، حيث أظهرت النتائج أن الاحتفاظ بالصورة كانت بطيئة عند الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 6-7 سنوات أما بالنسبة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 8-9 سنوات و10-11 سنة فكان الاحتفاظ لدى هاتين المجموعتين شبه متطابق وهذا ما بين أن هناك تحسن في عمل السيروتات التي تشارك في الاحتفاظ بالصورة في الذاكرة إبتداء من 7 سنوات ويتبين أن بعد 8 سنوات التطور المعرفي لا يؤدي إلى أي ترجمة إضافية. كما توصلت هذه الدراسة إلى أن القدرات التصورية عند الطفل تنمو وهذا النمو يمر بصفة خاصة بتحسن على مستوى سرعة تنفيذ السيروتات، فهناك بعض الأطفال يستخدمون سيروتات متعلقة بالمهارات الحركية (حركة العينين، حركة الرأس واليدين) وذلك من أجل التسجيل الذهني ومع ذلك تبدو هذه السيروتات تخففي مع التقدم في السن فهذه النتائج تبدو متطابقة مع أصحاب تيار النمو المعرفي، بحيث يرون أن نمو القدرات التمثيلية يؤدي إلى تطبيق

وعمل سيرورات مشاركة بسهولة أكبر بالتالي الزيادة في الاستخدام الفعال للتمثيل، أما الاختلاف في المهارات المعرفية فيعود إلى بعض الفروق الفردية.

بينما يرى kosslyn الصورة الذهنية على أنها تمثيل داخلي انتقالي يصف حدث معين وينتج هذا التمثيل عن تنشيط المعلومة البصرية في بنية تدعى الحاجز البصري الذي يعمل كوسيط مؤقت في تمثيل الصورة الذهنية وهذه البنية المؤقتة يتم تفعيلها بواسطة المعلومات القادمة من النظام البصري أو التمثيلات البصرية المخزنة في الذاكرة طويلة المدى (معتوق إيمان، 2017).

فتعرف الطفل على المواضيع الغائبة عن محيطه الإدراكي يدل على ولوجه عالم التصورات، فهو يكتسب القدرة على إنتاج صور ذهنية مماثلة للمواضيع الموجودة في العالم الخارجي وعلى هذا الأساس يميز (piaget et inhelder) الصور المنتجة (images reproductrices) عن الصور التوقعية (images anticipatrices)، فالأولى تتيح للطفل استحضار المواضيع التي سبق إدراكها بينما الثانية تتعلق بانتاجات سيرورات الأشياء (سعيدة عميري، 2016).

و في دراسة جونيان وايلينا "دور الصور الذهنية في فهم التعبيرات الاصطلاحية غير المعروفة" التي أجريت في بلغاريا، صوفيا، جامعة نيو، وهدفت إلى استكشاف المسهلات لدور الصور الذهنية في فهم التعبيرات الاصطلاحية غير المعروفة على عينة مكونة من (80) شخصاً من الذكور والإناث وكان عدد الذكور 28 وعدد الإناث 52 وكانت العينة من المواطنين البلغاريين وطلاب الجامعات وكانت ضمن الفئة العمرية (17- 28) سنة واستعملت الباحثان الوسائل الإحصائية (لوسط الحسابي والانحراف المعياري، واختبار F) وأسفرت النتائج أن استعمال الصور الذهنية في التعابير غير المعروفة وبنائها تساعد في فهم المصطلح، ليس من حيث معالجة أسرع ولكن من حيث انخفاض نسبة الأخطاء في المعرفة وإعادة صياغة اللغة، وهذا التأثير ظهر بشكل خاص في معالجة التعابير الشفافة لغويا، وأقوى عندما تتم مقارنة التعابير الاصطلاحية مع المجهول، علاوة على ذلك، مساهمة الصور الذهنية هو من النوع الذي يقلل من الخطأ في التعابير غير المألوفة (فاضل ناهي عبد عون، زيد عبد عون، 2014).

بالإضافة إلى نظرية النشاط الإدراكي: لنيسر وبورج (neisser and borg) والتي تؤكد أن الصور الماثلة للعيان هي ذات طبيعة فراغية، والدماغ يعمل فقط ليلتقط المعلومات الثابتة من البيئة بما يتفق مع ما يتوقع الفرد رؤيته في سياق معين، حيث أن تدفق المعلومات إلى الدماغ بصورة مستمرة وصحيحة من البيئة المحيطة تمكنه من القيام بعملية تدوير صحيحة للشكل (وليد حامد الشقور، شادية أحمد التل، 2015).

إن الإنسان يعبر بلغته الأصلية عن أفكاره وتصوراته من خلال سماعه للأصوات لكن الأصم عاجز عن التعبير عنها بسبب فقدانه لحاسة السمع أو الوظيفة السمعية. فالإعاقة السمعية هي إصابة عضوية تؤثر على إحدى مستويات الأذن أو كلها (أذن خارجية، وسطى أو داخلية) نتيجة إصابات أو أمراض فتعيق عملية السمع وقد تكون هذه الإصابة على مستوى الخلايا الحسية في القوقعة إذن الأذن تصبح عاجزة على نقل الحوافز إلى العصب السمعي. (محمد حولة، 2009) ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا أن الأطفال الصم مرشحون للإستفادة من التجهيز السمعي الكلاسيكي بينما الذين لم تفدهم المعينات السمعية الكلاسيكية يستفيدوا من جهاز الزرع القوعي الذي يعتبر جهازاً بتكنولوجيا عالية للأشخاص الذين يعانون من الصمم الحاد والعميق، فهو مزروع في الأذن الداخلية بالضبط في القوقعة يقوم بتحويل الإشارات الصوتية الفيزيائية إلى إشارات كهربائية وتحريض العصب السمعي. و تزامناً مع هذه الإبتكارات في ميدان الأجهزة الخاصة بالأطفال المعاقين سمعياً كان هناك تطور في ميدان التكفل بهذه الفئة سواء الحاملين للزرع القوعي أو المجهزين بالتجهيز الكلاسيكي بحيث تم إدماجهم في المدارس العادية، في هذا السياق يؤكد **Deriaz** أن معظم الأطفال زارعي القوقعة بين 2 و5 سنوات يمكنهم الدراسة في مدارس عادية غير خاصة، كما تمكن العديد من الأطفال ذوي الزرع القوعي من مزاوله حياتهم والانخراط في مجتمعهم والدراسة في مدارس تقليدية دون حاجة التأهيل في مدارس الصم (سارة مني، غفاري مباركي، 2016).

وأشارت دراسة قامت بها الطالبة بوكريمة سهام في إطار نيل شهادة الماجستير تخصص أطفونيا 2010 تحت عنوان أنماط (أساليب) التفكير عند المعاقين سمعياً المدمجين في مدارس عادية والأطفال الغير مدمجين والهدف من هذه الدراسة هو التعرف على مدى وجود فروق فردية بين هاتين المجموعتين في أنماط التفكير ومدى وجود فروق بين الإناث والذكور في أنماط التفكير ومدى وجود علاقة بين أنماط التفكير والاحتفاظ ونوعية هذه العلاقة وأخيراً مدى تأثير درجة الإعاقة السمعية أثناء الدمج الأكاديمي، حيث أجريت الدراسة على مجموعتين من ضعاف السمع الأولى درجة خفيفة مدمجين مع العاديين والثانية درجة متوسطة يتمدرسون في مدارس خاصة بصغار الصم يتراوح أعمارهم بين 11 و12 سنة من المدرسة الابتدائية، توصلت هذه الدراسة إلى وجود فروق بين الأطفال المدمجين في المدارس العادية والأطفال الغير مدمجين في أنماط التفكير، وهذا لصالح الأطفال المدمجين ذلك راجع إلى عامل الوسط البيئي المدرسي الذي ساهم في تطوير تفكيرهم، أما الأطفال الغير مدمجين نجد أن أفكارهم محدودة. فيما توصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في أنماط التفكير، إلا أن أنماط التفكير تختلف حسب درجة الإعاقة السمعية. (مراكشي صالح، 2016) وباعتبار المدرسة هي المكان الذي يقضي فيه الأطفال معظم أوقاتهم والمكان الذي

يمارسون فيه اتصالاتهم وتفاعلاتهم الاجتماعية، وهي المكان الذي عن طريقه يكونون أصدقاء و يقيمون علاقات مع الآخرين لذلك نجد أن هناك اتفاقاً عاماً على أن المدرسة العادية هي البيئة الملائمة لتطوير الأداء الأكاديمي والتكيف الاجتماعي الانفعالي للطلبة المدمجين ذوي الإعاقة السمعية من هنا أصبحت فكرة الدمج المدرسي أو كما أصبح يطلق عليه في الوقت الراهن بالتعليم الشامل أو المدارس الشاملة أكثر تقبلاً وتنفيذاً على مر الأيام والسنين، وأصبح إبراز الفروق الفردية لدى هذه الفئة هدفاً لتحديد احتياجاتهم داخل الفصول العادية بعد أن كان مصدراً هاماً لعزلهم. (عادل عبد الله محمد، 2012)

وقد أثبتت الدراسات والبحوث التي أقيمت في هذا الخصوص أن إحدى الفوائد المحتملة للدمج هي قبول الأطفال العاديين لزملائهم من ذوي الإعاقة السمعية، كما أن الأطفال المدمجين اكتسبوا العديد من المهارات الأكاديمية والوظيفية مقارنة بأقرانهم غير المدمجين بسبب المستوى الرفيع من الإثارة الذي يتوفر في الفصول والمدارس العادية. (عادل عبد الله محمد، 2007) بحيث في دراسة قام بها كل من والدرون وميكلاسكي هدفت إلى تحديد الأثر الناجم عن الدمج الشامل على المهارات الأكاديمية للطلبة ذوي صعوبات التعلم قارن فيها أداء الطلبة الذين تلقوا تعليمهم ضمن برامج الدمج الشامل والطلبة الذين تلقوا تعليمهم في غرف المصادر، توصلت نتائجهم إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين تحصيل أفراد المجموعتين بالنسبة لعملية القراءة لصالح المجموعة المدمجة. (أ.مراكشي الصالح، 2017) وفي دراسة قامت بها (يوسف حياة، 2014) تحت عنوان تقييم القدرات السمعية والنطقية عند الطفل الأصم الحامل للزرع القوقعي أو التجهيز الكلاسيكي عن طريق تطبيق تقنية **I.E.C.P.A** هدفت الدراسة إلى تقييم القدرات السمعية والنطقية عند الأطفال الصم الحاملين للزرع القوقعي والحاملين للتجهيز الكلاسيكي من خلال اقتراح تقنية لتقييم هذه الفئة من الأطفال والتي تمثلت في تقنية **I.E.C.P.A** ، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي، وتكونت مجموعة الدراسة من (40) طفلاً تتراوح أعمارهم بين 06 سنوات و 10 سنوات، مقسمة إلى مجموعتين: المجموعة الأولى مكونة من 20 طفلاً أصم حاملياً للزرع القوقعي، و 20 طفلاً أصم حاملياً للتجهيز الكلاسيكي، وقد قامت بتطبيق تقني **I.E.C.P.A** وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية والتي أيدت فرضيات: أن الأطفال الصم الحاملين للزرع القوقعي هم أكثر تقبلاً لجهازهم من الأطفال الصم الحاملين للتجهيز الكلاسيكي، حيث أن النتائج الإحصائية دلت على وجود فروق ذات دلالة بين المجموعتين في ميدان قبول الجهاز ونوعية حملته، أن مستوى الإدراك السمعي عند الأطفال الصم الحاملين للزرع القوقعي وعند الأطفال الصم الحاملين للتجهيز الكلاسيكي تقريبا متساوي ومتماثل عند كلتا المجموعتين، كما أنهما واجها صعوبة في التمييز السمعي وهذا ما تؤكدته النتائج الإحصائية التي دلت على عدم وجود

فروق في ميدان الإدراك السمعي وبالنسبة للفهم الشفهي فقد دلت النتائج الإحصائية على وجود فروق ذات دلالة بين الأطفال الصم الحاملين للزرع ألقوقي والأطفال الصم الحاملين التجهيز الكلاسيكي وفيما يخص التعبير الشفهي فقد اتضح أن مستوى الأطفال الصم الحاملين التجهيز ضعيف مقارنة بمستوى الأطفال الصم الحاملين للزرع ألقوقي بينما وضوح الكلام وإنتاجات الأطفال الصم الحاملين للزرع ألقوقي كانت أكثر وضوحاً من إنتاجات الأطفال الصم الحاملين التجهيز الكلاسيكي.

6 - مفاهيم البحث:

- الإعاقة السمعية:

يشير مصطلح الإعاقة السمعية إلى المشكلات السمعية التي في شدتها من البسيط إلى المتوسط وهو ما يسمى بالضعف السمعي إلى الشديد وهو ما يسمى بالصمم، ومن هنا يعرف الصمم على أنه درجة من فقدان السمعي تزيد عن 70 ديسبل للفرد تحول دون اعتماده على حاسة السمع في فهم الكلام باستخدام السماعيات أو بدونها. أما ضعف السمع فهو درجة من فقدان السمع تزيد عن 35 ديسبل وتقل عن 70 تجعل الفرد يعاني من صعوبات في فهم الكلام باستخدام حاسة السمع فقط باستخدام السماعيات أو بدونها. (مصطفى نوري القمش، 2015).

- الصورة الذهنية:

الصورة الذهنية هي إحدى المظاهر التمثيلية التي تتكون منها الوظيفة الرمزية وهذا يستدعي اعتبارها هي الأخرى، بمعنى أداة تمثيل ذهني للأشياء والأحداث التي تستدعي إلى الفكر، هذه المدلولات تعكس توفر وتواجد معرفة طبق الأصل لجملة من الأشياء والأحداث إذن الصور الذهنية تسمح لنا دون شك بالقيام في آن واحد تحركات وكذا إحداث تغييرات على الأشياء، وذلك بنفس الطريقة التي نقوم بها على الأشياء الفعلية التي تكون حاضرة من حولنا فيزيائياً حيث يشير Fortin إلى أن الصور الذهنية يظهر أنها تكتسب بعض الخصائص الفيزيائية الفعلية للوقائع التي تمثلها وهذا يقودنا إلى القول إن الطفل لديه قدرة معرفية (ذهنية) تسعى إلى الاحتفاظ في الذاكرة بالخصائص الفيزيائية الواقعية للأشياء والأحداث في حالة ما تستدعي بواسطة التمثيل الصوري (الصور الذهنية) (بن طاهر تيجاني، 2015).

- الإدماج المدرسي:

يُعرف الإدماج المدرسي على أنه التفاعل بين الأطفال العاديين والمعوقين في نفس المواقف التربوية وعليه يتم دمج الأطفال المعوقين في المدارس العادية ومساعدتهم على التعلم وذلك باستخدام تقنيات خاصة. (ركاب أنيسة، 2013)

7 - مجموعة البحث:

لابد على الباحث أن يقوم بتقديم وتحديد مجموعة البحث التي يريد دراستها وأن يقدم مواصفاتها وهذا ما يعطي للبحث صفة الموضوعية.

و على هذا الأساس فإن اختيار مجموعتنا لم يكن عشوائياً بل كان قصدياً وحسب الموضوع فمجموعة الدراسة تتكون من مجموعة من الأطفال المعاقين سمعياً المدمجين دمجا جزئياً في المدارس العادية منهم الحاملين للزرع ألقوقي ومنهم الحاملين للتجهيز الكلاسيكي،

ومجموعة أخرى من الأطفال المعاقين سمعياً الغير مدمجين منهم الحاملين للتجهيز الكلاسيكي ومنهم الغير مجهزين. يتراوح سن المجموعتين من 7 إلى 11 سنة كما أنهم يتميزون بذكاء عادي.

و يمكن عرض خصائص أفراد عينة البحث في الجدول التالي:

الحالات	الجنس	تاريخ الميلاد	درجة الإعاقة	مستوى الدراسي	نوع التجهيز
(ي- ب)	ذكر	2012.12.16	db80	2 ابتدائي	زرع قوقعي
(ر- ب)	أنثى	2012.12.19	db80	2 ابتدائي	كلاسيكي
(د- ع)	أنثى	2011.06.09	db100	2 ابتدائي	زرع قوقعي
(ع- ع)	ذكر	2009.04.09	db70	2 ابتدائي	كلاسيكي

جدول رقم (01): يمثل خصائص عينة من أطفال الصم المدمجين

الحالات	الجنس	تاريخ الميلاد	درجة الإعاقة	مستوى الدراسي	نوع التجهيز
(م-ع)	أنثى	2009.04.12	db100	3 ابتدائي	غير مجهز
(ن-م)	أنثى	2009.11.14	db80	3 ابتدائي	كلاسيكي
(ش-و)	أنثى	2010.06.26	db80	3 ابتدائي	كلاسيكي
(ج-م)	ذكر	2009.06.12	db100	3 ابتدائي	غير مجهز

جدول رقم (02): يمثل خصائص من عينة أطفال الصم غير مدمجين.

8 – أدوات البحث:

1- إختبار الذكاء مكعبات كوس cubes de kohs

إختبار مقدم من طرف كوس سنة 1920 جاء بحلول للصعوبات المطروحة من طرف الإختبارات الغير كافية لتقدير مستوى الذكاء، وُضع لقياس الذكاء واستعمل لتجنب تدخل عامل اللغة، يستعمل في الأساس كإختبار للذكاء والتطور ولكن يستعمل كذلك في القياس التعبير التحليلي والمستخلص من التفكير النظري لأعلى مستوى له الذي يشترط فيه قيام جهد من ناحية مفهوم الهيكلية المكانية la structure spatial ينطوي على نشاط الفكر الرمزي l'activité symbolique de la pensée، حيث نستخلص من كل هذا أنه يقيس التصور الذهني. يتكون من علبة بها 16 مكعب ملون و17 بطاقة مرقمة، وهذا الإختبار مقدم للصغار والكبار.

يتكون من علبة بها 16 مكعب ملون بالأحمر الأزرق الأبيض والأصفر وعلى جانبي المكعب مربع مقسم «أصفر، أزرق» و«أحمر، أبيض». كما أن هناك 17 بطاقة مرقمة من 1 إلى 17 بالحروف الرومانية على جهة اليسار والزمن المحدد على جهة اليمين والشكل المرسوم بالوسط وعلى التلميذ أن يمثل هذا الشكل بالمكعبات المقدمة له، يتكون كذلك من ورقة التنقيط التي تتضمن: أرقام البطاقات، وقت التمرير المحدد الأدنى والأقصى، والتنقيط.

2- اختبار الصورة الذهنية لـ **jean Piaget**:

هي مجموعة من الاختبارات التي قام بها العالم " جون بياجيه " على عينة من الأطفال، الهدف منها قياس قدرات التصويرية للطفل كون أن هذه العملية المعرفية تعتبر مهمة في تطور القدرات المعرفية، والتي تلعب دوراً هاماً في استحضار الأشياء وتمثيلها في ذهن الطفل، كما تسمح هذه الاختبارات بتقييم الصور والتخيلات الحسية لحركة أجسام فيزيائية في المستوى وفي الفضاء وهذا قبل تحركاتها ميدانياً، إن الهدف من هذه الاختبارات هو قياس إمكانية تخيل وتصور الطفل لوضعيات أشكال هندسية معينة في المستوى أو الفضاء بعد قيامها بحركة بعد ثباتها في البداية، أي أن الطفل يتخيل كيف يستطيع شكل هندسي أو حجم معين أن يتغير من وضعيته أن قام بحركة معينة في المستوى أو في الفضاء بعد مشاهدته وهو ثابت لا يتحرك، ويمكن تلخيص هذه الاختبارات في مايلي:

➤ الاختبار الأول: الصورة الذهنية المستنسخة الحركية والساكنة

● الرانز المستعمل: نسخ خط أفقي في وضعيات متماثلة مع تغيرات على مستوى تخيل الطفل لمختلف الانتقالات.

● الفئة العمرية: 5-11 سنة

■ أدوات الاختبار:

- قطعة من حديد صلبة ذات اللون الأسود، طولها 20 سم وسمكها 1.8 مم.

- ورقة موضوعة أفقياً.

■ التعليم (1):

نضع القطعة الحديدية في وضعية عمودية على الورقة الموضوعة أفقياً.

بواسطة خط نقس الورقة الأفقية إلى قسمين: أيسر وأيمن، نقوم بوضع الوضعية الأولى في الجهة اليسرى من الورقة.

1- نطلب من الطفل استنساخ أو نقل القطعة الحديدية إلى الجهة اليمنى من الورقة، وذلك بوضع ثلاث (3) رسومات توضح العملية.

2- نفرض أن الوضعية الموجودة في الجهة اليسرى من الورقة تسمى الوضعية (أ) والوضعية الموجودة في الجهة اليمنى تسمى الوضعية (ب).

الرسومات التي تستنسخ تنفذ عبر 3 خطوات: وتكون من أنجاز الطفل وحده.

■ **التعليمية (2):**

نطلب من الطفل القيام ب 3 عمليات تتمثل في ما يلي:

- 1- استنساخ القطعة الحديدية باستعمال وضعية الدوران لهذه القطعة بزواوية 180° وهذا لنقلها للجهة اليمنى من الورقة.
- 2- سحب القطعة الحديدية إلى الجهة اليمنى وذلك باحتفاظ الطفل على طول القطعة الحديدية (20سم).
- 3- نسخ القطعة الحديدية مباشرة في الجهة اليمنى وهذا بدون أي سحب أو دوران وهذا بالاحتفاظ دائما بطول القطعة الحديدية.

➤ **الاختبار الثاني: الصورة الذهنية المستنسخة الحركية:**

● **الرائز المستعمل:** دوران السلك tige حول نهايتها الثابتة أو حول حافتها

● **الفئة العمرية:** 07-11 سنة

■ **أدوات الاختبار:**

- سلك حديدي طوله 20سم وسمكه 02 مم.

- مسمار حديدي موضوع على قطعة خشبية.

■ **التعليمية (1):**

نقوم بتثبيت السلك على شكل عمودي بواسطة مسمار على قطعة خشبية موضوعة أفقياً

أ- نطلب برسم أو إنجاز رسومات من الطفل التي تمثل الوضعيات التالية:

1- رسم السلك عند انحناءه بقليل بالنسبة للمحور الأصلي أو عند سقوطه بقليل.

2- رسم وضعية السلك حين سقوطه إلى المحور الأفقي وابتعاده عن الوضعية العمودية، بتحديد وبنجاز الوضعيات المختلفة التي يأخذها السلك حين انتقاله من الوضعية العمودية إلى غاية وصله إلى الوضعية الأفقية.

■ التعلیمة (2):

نثبت une perle على مستوى نهاية السلك الحرة.

- 1- نطلب من الطفل رسم مسار la perle أثناء سقوط السلك على المحور الأفقي.
- 2- نطلب من الطفل تمثيل هذا المسار وذلك بمراعاة التمثيل الملاحظ عن طريق الإشارة لمساعدته.
- 3- نطلب من الطفل رسم مسار كل من la perle ومسار السلك للتفريق بين المسارين.

■ التعلیمة (3):

نغير في هذه الحالة السلك بواسطة قضبان حديدي ونقوم بتثبيت على نهايته "مساك" أي وضع مساك في الجهة الأفقية للقضبان.

- 1- نفس الشيء نطلب من الطفل رسم "المساك" وذلك عند سقوط القضبان الحديدي على الأرض.
- 2- رسم مختلف الوضعيات التي تأخذها "المساك" حين انتقال القضبان من الوضعية العمودية إلى الوضعية الأفقية أي عند سقوطه.
- 3- نقدم للطفل 3 رسومات مقترحة كما يلي:

- الرسم (1): يمثل خط مستقيم

- الرسم (2): يمثل قوس محدب

- الرسم (3): يمثل قوس مقعر

- نطلب من الطفل اختيار الرسم الذي يمثل الانتقال الصحيح للوضعية السابقة.

- نقوم بتوضيح للطفل الحركة الحقيقية لانتقال السلك من المحور العمودي إلى المحور الأفقي.

■ التعلیمة (4):

نقوم باختيار في المرة سلك ملون باللون الأحمر في الجزء العلوي والأزرق في الجزء السفلي.

- 1- نطلب من الطفل رسم مسار السلك أثناء السقوط وذلك بتحديد وضعيات اللونين (الأحمر والأزرق) أثناء الحركة.
- 2- نقدم للطفل (3) رسومات تتمثل الوضعيات المختلفة للوضعية السابقة ونطلب منه اختيار الرسم الملائم لحركة السلك.

3- نسأل الطفل إذا كان للونين الأحمر والأزرق للسلك يتحركان بنفس الحركة أم بحركة متغايرة.

➤ إختبار الثالث: إختبار الصورة الذهنية المتوقعة المتحركة

• الرانز المستعمل: حركة دوران للأشكال المربعة

• الفئة العمرية: 07-12 سنة

▪ أدوات الإختبار:

مربعين الأول لونه أبيض والثاني ملون بلون أزرق في الجهة اليسرى وملون بالأحمر في الجهة اليمنى طول ضلعهما 10سم.

▪ **التعليمية (1):**

نقوم بوضع المربع الملون في وضعية ساكنة، أما المربع الأبيض هو المربع الذي يقوم بالحركة، نضع المربع الملون على الجانب بمثابة مرجع.

1- نقوم بتحريك المربع الأبيض بحركة دائرية بزواوية 90°.

نطلب من الطفل تحديد وضعية اللونين الأحمر والأزرق على المربع الأبيض وذلك إذا تخيل أن المربع الملون هو الذي يقوم بالحركة.

2- نستمر بنفس الحركة للمربع الأبيض لكن هذه المرة بتغيير زاوية الدوران 90°-180°-270°-360°.
وذلك بتحريك المربع الأبيض اتجاه عقارب الساعة.

نطلب من الطفل دائماً تحديد وضعيات اللونين (الأحمر والأزرق) وذلك على المربع الأبيض وبتخيله المربع الملون هو الذي يتحرك حيث أن في كل حركة بزواوية معينة نسأل الطفل عن وضعية اللونين، وضعيات جهتي المربع أي تتابع اللونين أثناء الحركة.

3- نقوم بالعملية العكسية للدوران، حيث نحرك المربع بزواوية 90° لكن في الجهة المعاكسة لاتجاه عقارب الساعة. لكن هذه العملية تتخيل الحركات السابقة لاتجاه عقارب الساعة.

ونطلب من الطفل تحديد وضعية اللونين الأحمر والأزرق دائماً على المربع الأبيض.

■ التعليم (2):

نقوم بتحريك المربع عدة مرات متتالية:

1- نطلب من الطفل إن كان بإمكاننا أن نصل إلى وضعية معينة خلال دوران المربع أي تكون فيها الألوان متقابلة أي اللون الأحمر يقابل اللون الأزرق، وهذا يأخذ عين الاعتبار أن المربع الأبيض يدور والمربع الملون ثابت.

2- نقوم بتثبيت المربع الملون في وضعية ماء، ونطلب من الطفل أنه بدون معرفة عدد الحركات الدائرية للمربع، هل بإمكانه إعطاء وضعيات تتابع اللونين (اللون الأحمر – حركات عديدة – لون أحمر أو أزرق)

نسأل الطفل إذا كان من الممكن التقاء جهات المربع التي تحمل نفس اللون.

■ التعليم (3):

نقوم برسم مسار دائري للطفل يحتوي على أربع وضعيات.

1- نأخذ المربع الملون ونضعه في الوضعية (1)، ونطلب من الطفل تحديد وضعية اللونين الأحمر والأزرق عند تحريك وتواجهه المربع في الوضعتين (2) و (4).

2- نقوم بتحريك المربع الأبيض على مختلف وضعيات المسار الدائري، ونطلب من الطفل تحديد وضعيات اللونين الأحمر في مختلف وضعيات المسار (1)، (2)، (3)، (4)، وذلك بتخيل والمربع الملون هو الذي يقوم بالحركة.

3- هل يستطيع الطفل معرفة وضعية المربع الملون في المسار الدائري دون معرفة عدد الدورات التي يمر بها المربع.

■ التعليم (4):

1- نقوم بعملية الرجوع للمربع الأبيض وذلك في الاتجاه المعاكس)

2- نطلب من الطفل تحديد وضعية اللونين أثناء الحركة عند عملية الرجوع.

3- نقوم بعدد من الحركات فردية وزوجية مثلاً: مرة، مرتين، 03 مرات، 05 مرات وهكذا، ونطلب منه دائماً تحديد وضعية الألوان أثناء الحركة.

4- نفس السؤال يطرح على الطفل لكن هذه المرة نقوم بتحريك المربع في الجهة العمودية ودائماً نتحدث عن المرجع الأبيض وهو الذي يقوم بالحركة والمربع الملون الثابت كمرجع.

➤ إختبار الرابع: الصورة المستنسخة للتحويلات

• الرائز المستعمل: تحويل قوس معين إلى مستقيم والعكس.

• الفئة العمرية: 07-12 سنة

▪ أدوات الإختبار:

نقدم للطفل 3 أقواس طولها على التوالي: 10 سم، 13 سم، 24 سم، مأخوذة من دوائر مختلفة وتتمثل هذه الأقواس في أسلاك حديدية مرنة.

▪ التعليم (1):

- 1- رسم هذه لأقواس كما هي على الورقة وذلك بأخذ عين الإعتبار ثبات الأطوال.
- 2- تحويل هذه الأقواس إلى مستقيمت بطلب رسمها من الطفل وذلك دائماً باحترام أطوال هذه الأقواس
- 3- ما هو الفرق بين هذه الأقواس أي أين تختلف هذه الأقواس.

▪ التعليم (2):

- 1- نطلب من الطفل أن يحدد بواسطة السبابتين طول القطع المستقيمة الثلاث الناتجة عن تمدد الأقواس
- 2- نطلب من الطفل أن يتابع بواسطة أصبعه إمتداد القوس وذلك لتمثيل القطع المستقيمة بواسطة أصبعه كذلك، هذه القطع الناتجة عن إمتداد القوس لها نفس طول القوس.
- 3- نطلب من الطفل أن يحدد الفرق بين شكل القوس والقطع الناتجة عنه.

▪ التعليم (3):

- 1- نقترح على الطفل 3 رسومات تحمل كل منها أطوال القطع المستقيمة المماثلة لطول القوس، ونطلب من الطفل إختيار الإجابة الصحيحة.
- 2- نطلب من الطفل رسم مختلف الوضعيات التي تمر بها عملية تحويل القوس إلى قطعة مستقيمة.
- 3- نقترح على الطفل رسومات مختلفة لمختلف وضعيات تحويل القوس إلى قطعة مستقيمة، وعلى الطفل إختيار الرسم الملائم للإجابة الصحيحة.

■ **التعليمة (4):**

- 1- نقدم للطفل قطعة مستقيمة ذات الطول معين، و نطلب منه أن يقوم بالعملية العكسية، أي تحويل القطعة إلى قوس وذلك بانحناء لهذه القطعة وأيضاً باحترام طول القطعة.
 - 2- نقدم للطفل قطعتين مستقيمتين متماثلتين، طول كل منها 11 سم، نقوم بانحناء لها نفس طول واحدة، ونسأل الطفل إذا كانت القطعة المستقيمة الثانية الغير المنحنية لها نفس طول القطعة المنحنية.
 - 3- نسأل الطفل إذا يتغير طول القطعة المستقيمة إذا غيرنا شكل إنحناء القوس مرة أخرى.
- **الاختبار الخامس: اختبار الصورة الذهنية المتوقعة للتحويلات:**

- **الرائز المستعمل:** انتماء النقاط إلى المربعات المربعات المتطابقة في آن واحد.
- **الفئة العمرية:** 07- 12 سنة.

■ **أدوات الاختبار:**

- ورقتين موضوعتين أفقياً، أ وب.
- مربعات ملونة

■ **التعليمة (1):**

- في الورقة (أ) نرسم على جانبي المحور المركزي للورقة.
 - في الورقة (ب) نقوم بتقطيع المربع المرسوم في الورقة (أ)، حيث نترك فراغ داخلي على شكل مربع في هذه الورقة.
- 1- بعد غلق الورقة على المحور المركزي من اليسار إلى اليمين نطلب من الطفل أن يلتفت انتباهه إلى حركة المربع الداخلي إذ يخضع هذا المربع إلى التحويلات خاصة في الحركة وتتابع ألوان جوانبه وهذا أثناء قيامنا بغلق وفتح الورقة على محورها المركزي.
 - 2- نفس السؤال بالنسبة للورقة (ب).
 - 3- نسأل الطفل عن الفرق بين الورقتين بين اللتين تحملان نفس المربع.

■ التعليم (2):

- 1- نقوم بوضع نقطة حمراء على امتداد الخط المحوري، نسأل الطفل عن ثبات أو عدم ثبات النقطتين الحمراء والسوداء سواءً ا على المستوى الأفقي أو المستوى العمودي وهذا عند غلق وفتح الورقة
- 2- نطرح نفس السؤال للطفل لكن هذه بوضع نقاط مختلفة على المحور الأفقي وواحدة على المحور العمودي أو العكس: 0/2، 0/7، 4/0
- 3- نغير نفس السؤال لكن هذه المرة نغير وضعية النقطتين الحمراء والسوداء ونضعهما بجوار المربع.

■ التعليم (3):

- نمر إلى المرحلة الأخرى وهي مرحلة الرسم للوضعية السابقة. من خلال هذه الرسومات الطفل تكون له فكرة واضحة عن تموقع النقاط فيما بينها على مستوى الأفقي أو المستوى عمودي.
- 1- إيضاح للطفل كيفية تموضع نقطة بالنسبة للمربع في حالة سكون أو حركة للورقة علاقة (النقطة مربع)
 - 2- إيضاح كيفية لموضع المربع فيما بينها في حالة فتح أو غلق الورقة على جانبي محورها المركزي أي إيضاح العلاقات المربعة أثناء تحويل الورقة.
 - 3- نسأل الطفل إذا كانت هذه النقاط موضوعة عشوائياً على طول الخط المركزي للورقة. هل من الممكن أن تنتمي هذه النقاط إلى المربع في حالة إنطواء الورقة حول محورها المركزي.

■ التعليم (4):

- نقوم بوضع ورقتين (أ) (ب) فوق بعضها البعض.
- 1- نطلب من الطفل، هل من الممكن لأضلاع المربع أن تتموضع فوق بعضها البعض في حالة إنطواء الورقتين في نفس الوقت.
 - 2- هل النقاط الموجودة داخل المربع في الورقة (أ) تنتمي إلى المربع (ب) في حالة تموضع المربعين فوق بعضهما البعض.
 - 3- هل تتغير أطوال أضلاع المربعين في حالة انطواء الورقة (أ) والورقة (ب) على محورهما المركزي.

9 – عرض وتحليل النتائج ومناقشتها:

1. عرض وتحليل النتائج مجموعة الأطفال الصم المدمجين:

النسبة المئوية %	الاختبار 4	الاختبار 3	الاختبار 2	الاختبار 1	Q حاصل الذكاء	
93,75%	4	4	3	4	96%	الحالة الأولى
87%	3	4	4	3	90%	الحالة الثانية
100%	4	4	4	4	92%	الحالة الرابعة
93,75%	3	4	4	4	95%	الحالة الخامسة

الجدول رقم (3) يمثل نتائج اختبار الذكاء، واختبارات الصورة الذهنية للأطفال الصم المدمجين

نلاحظ من الجدول السابق أن هناك تفوق كبير من طرف الأطفال الصم المدمجين في اختبارات الصورة الذهنية حيث تتراوح نسبة النجاح ما بين 87,50% و100%، مما يدل أن قدرتهم وفهم للاختبارات الصورة الذهنية بصفة جيدة، وهذا يتوافق مع حاصل ذكائهم الذي تراوح ما بين 90% و96%، إضافة إلى أن هناك توافق بين حاصل ذكائهم والأطفال العاديين من نفس السن.

2. عرض وتحليل نتائج مجموعة الأطفال الصم الغير مدمجين:

النسبة المئوية %	الاختبار 4	الاختبار 3	الاختبار 2	الاختبار 1	Q حاصل الذكاء	
75%	2	3	3	2	96%	الحالة الأولى
62,5%	3	2	2	3	94%	الحالة الثانية
68,75%	2	2	3	4	90%	الحالة الرابعة
62,5%	1	2	2	3	93%	الحالة الخامسة

الجدول رقم (4) يمثل نتائج اختبار الذكاء واختبارات الصورة الذهنية للأطفال الصم الغير مدمجين

من خلال الجدول رقم (4) نلاحظ أن نتائج الأطفال الصم الغير مدمجين منخفضة مقارنة بالمجموعة الأولى، حيث تراوحت نتائجهم ما بين 62,5% و 75%، وهذا رغم أن حاصل الذكاء عندهم هو نفسه عند المجموعة الأولى، هذا يدل على أن نمو الذكاء عند الطفل الصم متقارب مع الطفل العادي إذ تراوح ما بين 90% و 96%.

3. مناقشة الفرضيات:

تناولت العديد من الدراسات والنظريات الصورة الذهنية أهمها نظرية جون بياجى، الذي يرى أن تشكيلها يتمشى مع نمو الذكاء وهذا في حوالي 8 سنوات، هذا ما أكدته دراسة الباحثة التي كانت تحت عنوان "علاقة الصورة الذهنية بفهم نص يصف معالم فضائية عند الطفل_ دراسة تطورية-11 سنة"، هدفت هذه الدراسة إلى معرفة كيفية تطور التصور الذهني عند الطفل العادي والتي تم إجراءها على عينة يتراوح سنها ما بين 6 و 11 سنة مقسمة على 3 مجموعات كل مجموعة تتكون من 45 تلميذ حيث تتكون المجموعة (1) التي يتراوح أعمارهم ما بين 6، 7 سنوات ومجموعة (2) والتي يتراوح أعمارهم ما بين 8 و 9 سنوات بالإضافة إلى مجموعة (3) يتراوح أعمارهم ما بين 10 و 11 سنة، بحيث طبقت الأستاذة مجموعة من الاختبارات والمتمثلة في كل من اختبار KABC واختبار التخزين والفهم لنص يصف معالم فضائية واختبار الصورة الذهنية والذي من بينه اختبار الاحتفاظ بالصورة في الذاكرة، حيث أظهرت النتائج أن الاحتفاظ بالصورة كانت بطيئة عند الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 6-7 سنوات أما بالنسبة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 8-9 سنوات و 10-11 سنة فكان الاحتفاظ لدى هاتين المجموعتين شبه متطابق وهذا ما بين أن هناك تحسن في عمل السيرورات التي تشارك في الاحتفاظ بالصورة في الذاكرة ابتداء من 7 سنوات ويتبين أن بعد 8 سنوات التطور المعرفي لا يؤدي إلى أي ترجمة إضافية. كما توصلت هذه الدراسة إلى أن القدرات التصورية عند الطفل تنمو وهذا النمو يمر بصفة خاصة بتحسن على مستوى سرعة تنفيذ السيرورات، فهناك بعض الأطفال يستخدمون سيرورات متعلقة بالمهارات الحركية (حركة العينين، حركة الرأس واليدين) وذلك من أجل التسجيل الذهني ومع ذلك تبدو هذه السيرورات تختفي مع التقدم في السن فهذه النتائج تبدو متطابقة مع أصحاب تيار النمو المعرفي، بحيث يرون أن نمو القدرات التمثيلية يؤدي إلى تطبيق وعمل سيرورات مشاركة بسهولة أكبر بالتالي الزيادة في الاستخدام الفعال للتمثيل، أما الاختلاف في المهارات المعرفية فيعود إلى بعض الفروق الفردية. نتائج هذه النظريات والدراسات تؤكد أن الطفل العادي يكتسب الصور الذهنية في حدود 8 سنوات، انطلاقاً من هذه النتائج ظهرت أبحاث ودراسات تبحث في فئة المعاقين سمعياً مثال ذلك دراستنا هذه التي تهدف إلى معرفة دور الإدماج المدرسي في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل المعاق سمعياً وهذا من خلال دراسة

مقارنة بين الأطفال المعاقين سمعياً المدمجين الحاملين للزرع القوقعي والمجهزين كلاسيكياً وبين الأطفال المعاقين سمعياً غير المدمجين الحاملين للتجهيز الكلاسيكي وغير المجهزين الذين تتراوح أعمارهم من 7 إلى 11 سنة.

باعتبار أن النمو المعرفي السليم في حياة الطفل بالغ الأهمية، وبما أن الطفل المعاق سمعياً يجد صعوبة في التعامل مع الأشياء المجردة والتصورات إرتئينا للقيام بهذه الدراسة لمعرفة ما إذا كان للإدماج المدرسي دور في تطوير هذه التصورات، فقد تنوعت الدراسات في هذا الشأن فدراسة بوكرمة سهام التي كانت تحت عنوان أنماط (أساليب) التفكير عند المعاقين سمعياً المدمجين في مدارس عادية والأطفال الغير مدمجين والهدف من هذه الدراسة هو التعرف على مدى وجود فروق فردية بين هاتين المجموعتين في أنماط التفكير ومدى وجود فروق بين الإناث والذكور في أنماط التفكير ومدى وجود علاقة بين أنماط التفكير والاحتفاظ ونوعية هذه العلاقة وأخيراً مدى تأثير درجة الإعاقة السمعية أثناء الدمج الأكاديمي، حيث أجريت الدراسة على مجموعتين من ضعاف السمع الأولى درجة خفيفة مدمجين مع العاديين والثانية درجة متوسطة يتمدرسون في مدارس خاصة بصغار الصم يتراوح أعمارهم بين 11 و12 سنة من المدرسة الابتدائية، توصلت هذه الدراسة إلى وجود فروق بين الأطفال المدمجين في المدارس العادية والأطفال الغير مدمجين في أنماط التفكير، وهذا لصالح الأطفال المدمجين ذلك راجع إلى عامل الوسط البيئي المدرسي الذي ساهم في تطوير تفكيرهم، أما الأطفال الغير مدمجين نجد أن أفكارهم محدودة. فيما توصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في أنماط التفكير، إلا أن أنماط التفكير تختلف حسب درجة الإعاقة السمعية. أما دراسة **Deriaz** أوضحت أن الأطفال المعاقين سمعياً الحاملين للزرع القوقعي يمكنهم متابعة دراستهم في المدارس العادية دون اللجوء إلى المدارس الخاصة. وهذا ما أيدته دراسة يوسف حياة المعنونة تحت تقييم القدرات السمعية والنطقية عند الطفل الأصم الحامل للزرع القوقعي أو التجهيز الكلاسيكي عن طريق تطبيق تقنية I.E.C.P.A هدفت الدراسة إلى تقييم القدرات السمعية والنطقية عند الأطفال الصم الحاملين للزرع القوقعي والحاملين للتجهيز الكلاسيكي من خلال اقتراح تقنية لتقييم هذه الفئة من الأطفال والتي تمثلت في تقنية I.E.C.P.A ، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي، وتكونت مجموعة الدراسة من (40) طفلاً تتراوح أعمارهم بين 06 سنوات و10 سنوات، مقسمة إلى مجموعتين: المجموعة الأولى مكونة من 20 طفلاً أصم حاملين للزرع القوقعي، و20 طفلاً أصم حاملين للتجهيز الكلاسيكي، وقد قامت بتطبيق تقني I.E.C.P.A وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية والتي أيدت فرضيات: أن الأطفال الصم الحاملين للزرع القوقعي هم أكثر تقبلاً لجهازهم من الأطفال الصم الحاملين للتجهيز الكلاسيكي، حيث أن النتائج الإحصائية دلت على وجود فروق

ذات دلالة بين المجموعتين في ميدان قبول الجهاز ونوعية حملته، أن مستوى الإدراك السمعي عند الأطفال الصم الحاملين للزرع ألقوقي وعند الأطفال الصم الحاملين للتجهيز الكلاسيكي تقريبا متساوي ومتماثل عند كلتا المجموعتين، كما أنهما واجها صعوبة في التمييز السمعي وهذا ما تؤكدته النتائج الإحصائية التي دلت على عدم وجود فروق في ميدان الإدراك السمعي وبالنسبة للفهم الشفهي فقد دلت النتائج الإحصائية على وجود فروق ذات دلالة بين الأطفال الصم الحاملين للزرع ألقوقي والأطفال الصم الحاملين للتجهيز الكلاسيكي وفيما يخص التعبير الشفهي فقد اتضح أن مستوى الأطفال الصم الحاملين للتجهيز ضعيف مقارنة بمستوى الأطفال الصم الحاملين للزرع ألقوقي بينما وضوح الكلام فإنتاجات الأطفال الصم الحاملين للزرع ألقوقي كانت أكثر وضوحا من إنتاجات الأطفال الصم الحاملين للتجهيز الكلاسيكي.

إن هذه الدراسات قد قامت على عينات متنوعة شملت الذكور والإناث من فئة الأطفال المعاقين سمعياً المدمجين وغير المدمجين، الحاملين للزرع ألقوقي والمجهزين كلاسيكياً وهذا من أجل التعرف على الجوانب الإيجابية للإدماج المدرسي على هذه الفئة، بحيث تشير غالبية نتائج هذه الدراسات على الدور الإيجابي للإدماج المدرسي، كذلك أوضحت بوجود فروق بين الأطفال المعاقين سمعياً المدمجين الحاملين للزرع ألقوقي والمجهزين كلاسيكياً وبين الأطفال المعاقين سمعياً غير المدمجين. إذن يمكننا القول أن دراستنا هذه لديها العديد من الدراسات التي تناولت الإدماج المدرسي والتي تؤكد على الدور الإيجابي في جميع الجوانب خاصة الجانب الأكاديمي على الطفل المعاق سمعياً، إلا أن دراستنا هذه كانت من القلائل التي اهتمت بدراسة الدور الذي يؤديه الإدماج المدرسي في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل المعاق سمعياً، فبناء على ما سبق ذكره يمكننا إقرار دور الإدماج المدرسي في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل المعاق سمعياً وكذلك إثبات أن هناك فروق بين الأطفال المعاقين سمعياً المدمجين الحاملين للزرع ألقوقي والمجهزين كلاسيكياً وفروق بين غير المدمجين المجهزين كلاسيكياً وغير المجهزين، وعلى هذا الأساس فإن فرضيتنا الرئيسية المتمثلة في للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل المعاق سمعياً قد تحققت، بالتالي فإن الفرضيات الجزئية المتمثلة في للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المستنسخة الحركية عند الطفل المعاق سمعياً للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المتوقعة الحركية عند الطفل المعاق سمعياً للإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المتوقعة للتحويلات عند الطفل المعاق سمعياً وللإدماج المدرسي دور في تنمية الصورة الذهنية المستنسخة والمتوقعة للتحويلات عند الطفل المعاق سمعياً، قد تحققت أيضاً.

الخاتمة:

من خلال دراستنا هذه والتي كان الهدف منها التعرف على دور الدمج المدرسي في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل الأصم. قد تمت هذه الدراسة بدراسة مقارنة على مجموعة من الأطفال المعاقين سمعياً الحاملين للزرع ألقوقي والتجهيز الكلاسيكي المدمجين والغير مدمجين.

ومن خلال النتائج المتحصل عليها من خلال المناقشة التي أثبتت أهمية ودور الإدماج المدرسي في تنمية الصورة الذهنية عند الطفل الأصم باعتبارها ميكانيزم جد مهم يستعمله الطفل في نموه المعرفي والأكاديمي، فالأطفال الصم فئة تحتاج إلى الكثير من العناية ويمكن هذا من خلال البحوث المتخصصة في الجوانب المتعددة خاصة المتعلقة بالنشاط المعرفي الذي يميز هذه الفئة. وهذا ما دفعنا بأن نقول بأن المدرسة العادية هي الوسط الأكثر ملائمة لتنمية وتطور الصورة الذهنية، حيث يجد الطفل الأصم نفسه مع الأطفال العاديين فيكون ملزم على رفع مستواه المعرفي من أجل التكيف. ولكن تبقى هذه النتائج نسبية لأنه واجهتنا صعوبات لم تمكننا من القيام بالتطبيق لدى نرجو من الدراسات والأبحاث القادمة في ميدان الإعاقة السمعية أن تلم بهذا الموضوع في ضوء المتطلبات اللازمة لنجاح فكرة الإدماج المدرسي من أجل تنمية وتحسين القدرات المعرفية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1) إبراهيم عبد الله فرج الزريقات (2013): الإعاقة السمعية مبادئ التأهيل السمعي والتربوي، ط 3، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان.
- 2) أسامة فاروق مصطفى، السيد كامل الشربيني (2013): الإعاقة السمعية، ط 1، دار المسيرة لنشر والتوزيع، عمان.
- 3) جابر عبد الحميد، علاء كافي (1992): معجم علم النفس والطب النفسي، دار النهضة العربية، القاهرة.
- 4) حمدي أحمد السيد وتوت، نهى محمد الصواف (2013): الصم والدمج مع الأسوياء في التربية البدنية والرياضية، مركز الكتاب للنشر.
- 5) سعيد حسني العزة (2001): الإعاقة السمعية – إضطراب الكلام والنطق (سلسلة التربية الخاصة)، دار العلمية ودار الثقافة، عمان.
- 6) سميرة ركزة (2017): دروس في الصمم، ط 2، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر.

- (7) سهير محمد سلامة شاش (2016): استراتيجيات دمج ذوي الإحتياجات الخاصة، ط 1، مكتبة الزهراء، مصر.
- (8) عبد الرحمان الوافي (2003): المختصر في مبادئ علم النفس، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- (9) عبد المطلب أمين القريطي (2000): ذوو الإعاقة السمعية، تعريفهم وخصائصهم وتعليمهم وتأهيلهم، عالم الكتب.
- (10) عطية عطية محمد (2009): الإعاقة السمعية والتواصل الشفهي، مؤسسة حورس الدولية لنشر والتوزيع، الإسكندرية مصر.
- (11) مصطفى نوي القمش (2015): الإعاقات المتعددة، ط 4، دار المسيرة، عمان.
- (12) نيللي محمد العطار (2015): عالم الطفل المعاق سمعياً، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية القاهرة.
- (13) هلا السعيد (2016): الإعاقة السمعية دليل علمي وعملي للأباء والمختصين، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
- 14) A. Dumont (1997): implant cochléaire, surdit  et langage,  dition boeck universit , paris.
- 15) A.Medjaher (1998): Rapport surdit s de l'enfant, 2 Eme congres national, soci t  alg rienne D'oto – Rhino-Larynogie, Service O.R.L/ H.C.A. Alger.
- 16) Basquet.D. et Mollier. (1978): l'enfant sourd et d veloppement psychologique et r ducation, Bailler, paris.
- 17) De la garanderie (1987): Comprendre et imaginer les gestes mentaux et leur mises en  uvre, le centurion, paris.
- 18) Gouiff s caroline (2005): Metacognition et image mentale vers un savoir faire et un savoir – tre, aptione, session
- 19) Piaget.j. Inhelder.B (1966): l'image mental chez l'enfant, paris, PUF.

**فاعلية برامج المسؤولية الاجتماعية في تشكيل الصورة الذهنية لشركات
الاتصال: دراسة تطبيقية على شركة زين للهاتف السيار في الفترة من
2019 – 2020م**

*The effectiveness of social responsibility programs in shaping the
mental image of communications companies: Applied study on
Zain mobile company in period from 2019-2020*

إعداد:

د. الرشيد داود ادم سليمان: عميد كلية الدعوة والاعلام، قسم العلاقات العامة والاعلان، جامعة
القرآن وتاصيل العلوم، مدني، السودان

د. حذيفة احمد الامين احمد: عميد كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم ادارة الاعمال جامعة القران
الكريم وتاصيل العلوم، مدني، السودان

Prepared:

Dr. ALRASHED DAWOOD ADAM SELAMAN - The Dean of: Dawa
and Mass Communication Faculty- Department of PRs and Advertise,
University of holy Quran and Tassel of science – Mdani –Sudan

Dr. HOZAIFA AHMED ALAMIN AHMED – the dean of economics and
Scientific management faculty- Department of Business Administration -
University of holy Quran and Tassel of science – Mdani –Sudan.

المستخلص:

هدفت الدراسة الى معرفة مدى فاعلية برامج المسؤولية الاجتماعية في تشكيل الصورة الذهنية لشركات الاتصال، ومعرفة مدى رضا مشتركي شركة زين عن برامج المسؤولية الاجتماعية التي تقدمها الشركة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، ويتكون مجتمع الدراسة من جميع مشتركي شركة زين للهاتف السيار، وعينة الدراسة كانت عينة عشوائية وعددها (33) فردا بولاية الخرطوم، واستخدم الباحث صحيفة الاستبيان كاداة رئيسية لجمع المعلومات والبيانات وتم تحليلها باستخدام برنامج (SPSS) وتوصلت الدراسة الي النتيجة التالية: أكدت نتائج الدراسة ان برامج المسؤولية الاجتماعية بالشركة تزيد من ارباحها، وان أهم وسائل الاتصال التي تستخدمها شركة زين هي الصحافة وشبكة الانترنت، كما وضحت الدراسة أن اغلبية افراد العينة المبحوثة غير راضيين عن خدمات شركة زين.

توصيات الدراسة: على شركة زين عدم اهمال الوسائل الاتصالية الاخري مثل التلفزيون والاذاعة لما لها من دور فعال في التواصل مع جمهور الشركة، ولا بد من اعادة النظر في ما يتعلق بواقع صورتها الذهنية للشركة لدي مشتركيها، مع ضرورة بذل المزيد من الجهود لتقديم خدمات ترضي المشتركين، وعلى ادارة الشركة الاستعانة بمراكز البحوث عند التخطيط لبرامج المسؤولية الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: المسؤولية الاجتماعية، الصورة الذهنية، شركات الاتصال

Abstract:

The study aimed to find out the effectiveness of social responsibility programs in forming the mental image of communication companies, and to know the satisfaction of Zain subscribers about the social responsibility programs provided by the company. The researcher had used the descriptive analytical method, and the research community consists of all subscribers Zain telephone company, and the sample of the study was a random sample and its number was (33) individuals in Khartoum state.

The researcher had used a questionnaire as a tool to collect information and data and the questionnaire was analyzed using the program (SPSS) and reached the following results: The study confirmed that the company's social responsibility programs increase its profits, and the most important means of communication used by Zain Company is the press and the internet , and also The study revealed that the majority of the members of the sample researched (Zain subscribers) are not satisfied with the services of Zain Company.

The study recommendations: Zain company should not neglect other means of communication such as television and radio because it has an effective role in communicating with the company's audience interaction , Zain's Company should reconsider the reality of its mental image with its subscribers, and also The management of the company should make more efforts to provide services that satisfy its subscribers, in addition The management of the company should use research centers when planning social responsibility programs.

Keywords: social responsibility, mental image, communication companies

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

تزايد الاهتمام بموضوع الصورة الذهنية بالنسبة للفرد أو المنظمة نظراً لما تقوم به هذه الصورة من دور في تكوين الآراء واتخاذ القرارات التي تشكل السلوك، فقد أصبح تكوين الصورة الطيبة هدفاً أساسياً تسعى لتحقيقه العلاقات العامة على أي مستوى وفي أي مجال من خلال الأداء الطيب الذي يتفق مع احتياجات الجماهير المؤثرة والمتأثرة بسياسة الفرد أو المنظمة.

إن المسؤولية الاجتماعية تُمثّل صيغة عملية مهمة ومفيدة لمنظمات الأعمال في علاقاتها مع مجتمعاتها، بمعنى أن الوفاء بالمسؤولية الاجتماعية لمنظمات الأعمال يُحقق لها العديد من الفوائد ويقف في مقدمتها تحسين صورة المنظمات في مجتمعها وترسيخ المظهر الإيجابي لدى العملاء

والعاملين وأفراد المجتمع إذا اعتبرنا أنّ المسؤولية الاجتماعية تمثّل مبادرة طوعية للمنظمة تجاه أطراف متعددة ذات مصلحة مباشرة أو غير مباشرة من وجود المنظمة.

وتحاول هذه الدراسة التعرف على أثر برامج المسؤولية الاجتماعية التي تقدمها شركة زين للهاتف السيار وانعكاسها على سمعة شركة زين لدى جمهورها.

مشكلة الدراسة:

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة الي التعرف على فاعلية برامج المسؤولية الاجتماعية في تشكيل الصورة الذهنية لشركة زين عند مشركيها ومعرفة مدى رضى مشركي شركة زين عن برامج المسؤولية الاجتماعية التي تقدمها. وتكمن مشكلة الدراسة من خلال التساؤل المحوري التالي: إلى أي مدى أثرت برامج المسؤولية الاجتماعية في بناء وتكوين صورة طيبة للشركة لدي جماهيرها أسئلة الدراسة:

هناك عددٌ من التساؤلات تسعى الدراسة للإجابة عليها وأهمها:

1. ما هي اهم وسائل الاتصال التي تستخدمها الشركة ومدى إسهامها في رسم الصورة الذهنية الطيبة عن الشركة؟
2. ماهي الأنشطة والوظائف التي تمارسها الشركة وما مدى فاعليتها في رسم صورة طيبة عن الشركة؟
3. ما هو واقع الصورة الذهنية بشركة زين؟
4. إلى أي مدى أثرت برامج المسؤولية الاجتماعية في بناء وتكوين صورة طيبة للشركة لدي جماهيرها؟.
5. هل تفي الخدمات التي تقدمها الشركة باحتياجات ومتطلبات المشركين ؟

منهج الدراسة:

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة. ويعرف المنهج الوصفي بأنه: هو المنهج الذي يستخدم في دراسة الاوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها، واشكالها، وعلاقتها،

والعوامل المؤثرة في ذلك ويرتبط المنهج الوصفي غالباً بدراسات العلوم الانسانية والاجتماعية (عبيدات، 1997، ص9).

أهداف الدراسة:

يقتضي المنهج العلمي أن يكون لكل باحث أهداف معينة يسعى لتحقيقها فقد حدد عدداً من الأهداف أهمها:

1. الوقوف على أهم ملامح الصورة الذهنية لشركة زين.
2. معرفة الأنشطة والوظائف التي تمارسها الشركة وما مدى فاعليتها في رسم صورة طيبة عن الشركة.
3. التعرف على الوسائل الاتصالية التي تستخدمها الشركة ومدى إسهامها في رسم الصورة الذهنية الطيبة عن الشركة.
4. معرفة أثر برامج المسؤولية الاجتماعية في تشكيل الصورة الذهنية للشركة.
5. التعرف على أهم الخدمات التي تقدمها الشركة.

حدود الدراسة:

- أ- الإطار المكاني: يتمثل الإطار المكاني للبحث في ولاية الخرطوم كمجال للدراسة الميدانية.
- ب- الإطار الزمني: وقع اختيار الباحث لهذه الفترة (2019 - 2020م).

مجتمع الدراسة وعينة الدراسة:

يقصد بمجتمع البحث هنا جميع المفردات والأشياء التي نريد معرفة حقائق عنها وهو المجتمع الذي تجري عليه الدراسة. ومجتمع البحث في هذه الدراسة يتمثل في مشتركوي شركة زين للهاتف السيار وعددهم 5 مليون مشترك في عام 2019- 2020م وعينة الدراسة كانت عينة عشوائية لمشاركوي شركة زين للهاتف السيار في العاصمة المثلثة (الخرطوم، الخرطوم بحري، امدرمان) وكان عددها 33 فرداً (حجاب، 2003، ص109).

أدوات جمع البيانات:

أولاً: الاستبيان: هو أداة أو أسلوب يستخدم لجمع البيانات من المبحوثين بطريقة منهجية ومقننه لتقديم حقائق وأراء أو أفكار معينة، في إطار البيانات المرتبطة بموضوع البحث والدراسة وأهدافها دون تدخل الباحث في التقدير الذاتي للمبحوثين في هذه البيانات (عبد الحميد، 2004، ص33).

صمم الباحث صحيفة الاستبيان بصورة تحيب علي كل اسئلة الدراسة ووزعها علي عينة الدراسة لمعرفة اجاباتهم واءاهم حول شركة زين.

مصطلحات الدراسة:

1/ **العلاقات العامة:** " العلاقات العامة وظيفية إدارية مستمرة تعتمد على التخطيط، وتعمل بين طرفين هما المنظمة و جماهيرها عن طريق الاستخدام الملائم للاتصال ووسائل الإعلام بهدف تحقيق أهداف الطرفين بكفاءة وفاعلية (شعبان 2008، ص 15).

2/ **الصورة الذهنية:** مفهوم عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة الأساسي نحو شخص معين، أو نظام ما، أو طريقة بعينها أو جنس بعينه، أو فلسفة سياسية أو قومية، أو أي شخص آخر (عجوة، 1997، ص10).

3/ الفاعلية:

الفاعلية: لغة: وهي مقدرة الشئ على التأثير.

إصطلاحاً: يقصد بها التأثير القوي على نفس المتلقي (عبد الحميد، 1990، ص105)

الدراسات السابقة ودلالاتها:

1- **دراسة (كوثر محمد أحمد، 2015)** هدفت هذه الدراسة الي التعرف على مدى أهمية المسؤولية الاجتماعية في شركات الاتصال العاملة في السودان، و التعرف على حجم العائد المتوقع من واقع تبني المسؤولية الاجتماعية في شركات الاتصال العامة في السودان، واستخدمت الباحثة، المنهج الوصفي التحليلي وتوصلت الباحثة الي هنالك علاقة إيجابية بين البعد والمسؤولية الاجتماعية والميزة التنافسية، و هنالك علاقة إيجابية بين البعد والمسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية، وايضاً هنالك علاقة إيجابية بين البعد والمسؤولية الاجتماعية والحصة السوقية.

2- دراسة (عاصم حسن محمد خير، 2017) هدفت الدراسة الي التعرف على مدى تبني والتزام الشركات الصناعية والخدمية بتطبيق مفهوم أنشطة المسؤولية الاجتماعية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي واعتمد علي الاستبيان والمقابلة العلمية في جمع البيانات والمعلومات من افراد العينة التي كان عددها (50) فرداً وتوصلت الدراسة الي أن معظم الشركات الصناعية والخدمية تقوم بتطبيق مفهوم المسؤولية الاجتماعية وانشتطها بغرض زيادة نسبة البيع.

3- دراسة: (رزاز اسماعيل سليمان) هدفت الدراسة الي التعرف على مدى اعتماد الشركات على تقنيات الاتصال الحديثة ومعرفة اكثر الوسائل الاتصالية التي تعتمد عليها الشركة في تنفيذ برامج المسؤولية الاجتماعية، ومعرفة دور الذي تقوم به الشركة الاتصال السودانية "سوداني" فيما يتعلق بالمسؤولية الاجتماعية تجاه المجتمع، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وبينت الدراسة أن أكثر وسيلة تستخدمها سودائل للإعلام عن برامجها هي التلفاز ثم الإذاعة ثم الصحافة ولا تستخدم وسائل الاتصال الحديثة مثل "الفيس بوك - اليوتيوب" مطلقاً، أوضحت الدراسة أن سودائل تقوم بدورها كاملاً في دعم المجتمع في المناسبات الاجتماعية من خلال الخدمات التي تقدمها داخل الشبكة.

4- دراسة: (يوسف محمد، 2005م) هدفت الدراسة على الوقوف على ملامح الصورة الذهنية لسودائل وكذلك الكشف عن العوامل المسببة للصورة الذهنية السلبية والإيجابية للمشاركين عنها، وتأثير هذه العوامل على الغايات التي تنشدها الشركة، وإستخدام البحث المنهج الوصفي. وخلص الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن غالبية العينة أجابوا أن العلاقات الإنسانية مع العملاء هي أساس الوظيفة التي يعملون بها بالشركة. وهذا ما جعل صورة الشركة جيدة لدى جمهوريها

5- دراسة (فالح عبد القادر الحولي 2018م) هدفت الدراسة الي الكشف عن مدى اهتمام شركات الاتصالات الخلوية الأردنية في تطبيق المسؤولية الاجتماعية لتحقيق الصورة الذهنية تجاه أصحاب المصلحة (المجتمع المحلي، الموظفين، الزبائن، الموردين، البيئة، المساهمين)، وتقييم اثر المسؤولية الاجتماعية في إدارة الصورة الذهنية، وإستخدام الباحث المنهج الوصفي والتحليلي، وخلص الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: إن شركات الاتصالات الخلوية الأردنية أظهرت مستوى عال من الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية بأبعادها الستة (الأخلاقية، والإنسانية تجاه المجتمع المحلي، والموظفين، والزبائن، والموردين، والبيئة، والمساهمين، وتعتبر المسؤولية الأخلاقية مسؤولية إلزامية وتتعدى في كونها الإيفاء بالالتزامات القانونية والاقتصادية).

التعقيب علي الدراسات السابقة والاستفادة منها:

تتفق الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في اهتمامهم بموضوع المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية نسبة لاهمية الموضوع للشركات والمؤسسات، فللمسؤولية الاجتماعية اثر كبير في تكوين الصورة الذهنية لدي جمهور الشركات أو المنظمات.

- تتفق الدراسة الحالية مع دراسة (كوثر محمد 2015) في ان كلا الدراستان يهدفان الي معرفة مدى أهمية المسؤولية الاجتماعية في شركات الاتصال العاملة في السودان، كما اتفقت في مجال التطبيق شركات الاتصال واتفقت ايضا في المنهج المستخدم حيث استخدمت الدراستان المنهج الوصفي التحليلي، تميزت الدراسة الحالية علي الدراسة كوثر في انها هدفت الي معرفة فاعلية برامج المسؤولية الاجتماعية في تشكيل الصورة الذهنية لدي مشتركي شركة زين للهاتف السيار
- وفي دراسة (عاصم حسن محمد، 2017) سعي كل بحث الي تحقيق اهدافه الخاصة بالرقم من أن كلا الدراستان تناولا نفس الموضوع حيث هدفت رسالة عاصم الي التعرف على مدى تبني والتزام الشركات الصناعية والخدمية بتطبيق مفهوم أنشطة المسؤولية الاجتماعية، بينما هدفت هذه الدراسة الي التعرف علي فاعلية برامج المسؤولية الاجتماعية في تشكيل الصورة الذهنية، اتفقت الدراستان في المنهج المستخدم وفي ادوات جمع البيانات
- دراسة (رزاز اسماعيل سليمان 2017) اتفقت الدراستان في بعض الاهداف حيث سعت كلا الدراستان الي معرفة أكثر الوسائل التي تستخدمها ادارات الشركات لتعريف الناس ببرامج المسؤولية الاجتماعية التي تنفذها، اتفقت الدراستان في استخدامهما للمنهج الوصفي التحليلي ونفس ادوات جمع البيانات وتميزت الدراسة الحالية في انها جمعت بين برامج المسؤولية الاجتماعية التي تقوم بها الشركات ودورها في تشكيل الصورة الذهنية لأن للمسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية لديهما ارتباط كبير ولديهما تأثير كبير سلبا او ايجابا في الشركات والمؤسسات.
- تتفق الدراسة الحالية مع دراسة (يوسف محمد، 2005) في ان كلا الدراستان يهدفان الي معرفة ملامح الصورة الذهنية وعوامل بناءها أو تشكيلها ولكن دراسة يوسف ركزت علي ادارة العلاقات العامة وبرامجها، اما الدراسة الحالية تميزت عن دراسة يوسف بانها ركزت علي برامج المسؤولية الاجتماعية ودورها في تشكيل الصورة الذهنية، كما افق الدراستان في مجال التطبيق، وفي ادوات جمع البيانات وفي المنهج المستخدم.

- اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة (فالح عبد القادر الحولي 2018م) في الاهداف حيث هدفت الدراسات الى الكشف عن مدى اهتمام شركات الاتصالات في تطبيق المسؤولية الاجتماعية لتحقيق الصورة الذهنية تجاه أصحاب المصلحة (المجتمع المحلي، الموظفين، الزبائن، الموردين، المساهمين)، وتقييم اثر المسؤولية الاجتماعية في تشكيل الصورة الذهنية، كما اتفقا ايضا في استخدامهما لنفس المنهج وادوات جمع البيانات واتفقا في مجال التطبيق شركات الاتصال ولكن اختلافا في مكان التطبيق وخلصت نتائج الدراسات أن شركات الاتصال الاردنية والسودانية اظهرت اهتماما كبير بموضوع المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية حسب نتائج الدراسة.

الاطار النظري للدراسة:

مفهوم الصورة الذهنية:

هناك عدة تعبيرات لمفهوم الصورة الذهنية في المعنى اللغوي والاصطلاحي ومن أبرز هذه التعبيرات في اللغة الإنجليزية (Stereotype Image)، وتعود كلمة Image الى أصل لاتيني هو Imago المتصلة Imitari بمعنى يحاكي أو يمثل، وبذلك تدل كلمة Imago على المحاكاة والتمثيل. أما كلمة Stereotype فتأخذ معناها من عالم الطباعة حيث تشير الى القالب الذي تصب عليه حروف الطباعة. وتتفق الدراسات العربية حول مفهوم الصورة الذهنية مع نظيراتها الغربية في تحديد هذا المصطلح، فعلى المورد البعلبكي يأتي تعريف Image بانها الصورة أو الانطباعية الذهنية وتعني Stereotype الشيء المتكرر على نحو لا يتغير أو الشيء المتفق مع نمط ثابت أو عام ويعرف المعجم الوسيط الصورة الذهنية بانها الشكل والتمثال المجسم، والصورة بمثابة خيالة في الذهن أو العقل. ويقصد بالصورة في المعجم العربي الأساسي كل ما يصور مثل الشكل أو التمثال المجسم والنوع والصفة، وصورة الشيء هي خياله في الذهن أو العقل (صالح، 2005، ص20).

ويعرف قاموس المورد الصورة بأنها الانطباعية، أو عكس الصورة. ويعرفها معجم لاروس بانها الشكل أو التمثال المجسم، ويعرفها معجم المصطلحات الإعلامية بانها فكرة ذهنية أو صورة أو انطباع، وقد تكون صورة لشيء أو لشخص في ذهن إنسان أي فكرته التي كونها عن ذلك الشخص وصورته التي رسمها له في ذهنه أو انطباعه عنه.

يرى والتر ليمان أن الصورة الذهنية، بانها ذلك التصور المحدود الذي يحتفظ به الإنسان في ذهنه عن إنسان ما، وقال ان الناس يتعرفون على الحقائق ومعهم تصورات ثابتة مسبقة عنها، لذلك فإنهم لا يشاهدون هذه الحقائق بوضوح (ياسين، 2010، ص7).

ويرى الباحث أن الصورة الذهنية هي كل ما يظنه أو يعتقده الجمهور الخارجي أو الداخلي عن الشركة أو المؤسسة أو المنظمة سواء أن كان انطباع أو ظن أو اعتقاد جيد أو سيئ.

لقد حاول الباحثون التوصل الى تصنيفات للصورة الذهنية وبالرغم من وجود بعض التصنيفات الا انه حتى الان لا يوجد تصنيف متفق عليه لهذه الصورة ونستعرض تصنيفين من هذه التصنيفات.

أ- تصنيف بيتش Beach ويقوم على أن هناك أربعة أنواع للصورة الذهنية وهي:

(1) الصورة الذاتية Self-Image

هي تتكون من المعتقدات والاخلاقيات والمعايير والقيم والاعراف التي تكون مقبولة بشكل عام داخل المؤسسة وعلى اساس كل ذلك يتم تشكيل الأهداف وتقييمها. ومن الواضح ان هذا النوع يقترب الى حد كبير من مفهوم الذاتية Identity وهو يركز على الجمهور الداخلي أو على اعضاء المنظمة العاملين فيها (ياسين، 2010، ص9).

(2) الصورة المستقبلية للمنظمة:

وتقوم على الأهداف التي تسعى المنظمة لتحقيقها، وخطتها وبرمجها واجندتها.

(3) صورة أعمال المنظمة (الصورة الفعلية أو الواقعية):

وهي تقوم على الخطط المرتبطة بالأهداف والسلوك الفعلي للمنظمة.

(4) صورة مشاريع المنظمة Organization projects:

وهي تقوم على الأحداث المتوقعة التي يمكن أن تصنعها المنظمة أو تشارك في صنعها (صالح، 2005، ص25)

ب- تصنيف جفكينز وهو يقوم على ان هناك خمسة انواع للصورة الذهنية هي:

1- الصورة المرآة وهي الصورة التي ترى المنشأة نفسها من خلالها.

- 2- الصورة الحالية، وهي الصورة التي يرى بها الآخرون المؤسسة.
- 3- الصورة المرغوبة وهي التي تود المنشأة ان تكونها لنفسها في اذهان الجماهير.
- 4- الصورة المثلى وهي أمثل صورة يمكن ان تتحقق اذا اخذنا في الاعتبار منافسة المنشآت الاخرى وجهودها في التأثير على الجماهير. ولذا يمكن ان تسمى بالصورة المتوقعة.
- 5- الصورة المتعددة، وتحدث عندما يتعرض الأفراد لممثلين مختلفين للمنشأة يعطى كل منهم انطباع مختلف عنها.

ومن الطبيعي ان لا يستمر هذا التعدد طويلاً فإما ان يتحول إلى صورة إيجابية أو إلى صورة سلبية أو تجمع بين الجانبين صورة موحدة تظلمها العناصر الإيجابية والسلبية تبعاً لشدة تأثير كل منهما على هؤلاء الأفراد (عجوة، 1997، ص8).

ويرى بولندك POULENDIC أن الصورة الذهنية هي نتيجة لكل تجارب الماضي لمالك الصورة الذهنية منذ ولادته أو حتى قبل ذلك ثم يبدأ الإنسان بعدها بإدراك نفسه حسبما في وسط عالم الأشياء ويكون هذا بداية التصور الذي يمكن وصفه بالإدراك إذا يبدو العالم منزلاً وربما عدة شوارع فإذا تقدم العمر بالإنسان ازداد هذا التصور ليشمل في النهاية كل شيء موجود ومن هنا فإن كل تجربة جديدة تجد مكاناً في التصور الذي نكوته عن العالم وكل رسالة جديدة تحتل مكانها المخصص لها حيث تدعم التجربة وتؤيد التصور الأساسي الذي تشكل لدينا. (الدليمي، 2005، ص65)

ويقصد بهذا التعريف أن الإنسان أحياناً يتلقى معلومات عن شيء أو شخص أو جماعة وهذه المعلومات تختزن في عقله، وفي ضوء هذه المعلومات أو التصور يجري فهم وتفسير أي معلومات جديدة يتلقاها هذا الإنسان أي في ضوء الصورة السابقة ومن هذا المنطلق يمكن القول بان المعلومات في الصورة النمطية قد تكون إيجابية وقد تكون سلبية، وان كثيراً من الباحثين ركزوا في دراساتهم على الصورة السلبية التي تتكون لدى الشعوب والأمم بعضها عن بعض لأنها تؤدي الى الكثير من الصراعات فيما بينهم، واطلق علماء الاجتماع على هذه الصورة السلبية النمطية بفعل التكرار، سواء كانت صادرة من جماعة أو دولة أو حزب أو اي شيء آخر بالصورة القومية النمطية National Stereotype. وقد عزی علماء الاجتماع أسباب نشوء الصورة النمطية لدى الشعوب بعضها عن بعض إلى عدم الاتصال المنتظم بين الشعوب والى العزلة الثقافية (ياسين، 2010، ص53).

استراتيجيات الصورة الذهنية:

- 1/ إستراتيجية الصورة الداخلية: من خلال تأسيس برنامج الاتصال مع الموظفين والمحافظة عليه وتشجيع الحوار وجهاً لوجه مع القوى العاملة.
 - 2/ إستراتيجية الصورة الخارجية: من خلال تطوير العلاقة مع الحكومة والقطاع الخاص والمنظمات المماثلة.
 - 3/ إستراتيجية الصورة لدي الداعمين: من خلال التدفق المستمر للمعلومات والتواصل المباشر عبر الزيارات الشخصية والدعوات واللقاءات.
 - 4/ إستراتيجية الصورة لدي المستفيدين من خدمات: من خلال تطوير الأداء وتحسين الخدمة وسد الحاجة.
 - 5/ إستراتيجية إدارة القضايا: من خلال بحث القضايا والأزمات وتحديدتها ومراقبتها وإدارتها وتقويمها لتقليل التأثيرات السلبية ولزيادة الفرص الإيجابية للمؤسسات وتطوير وتنفيذ برنامج الاتصال الإعلامي.
 - 6/ إستراتيجية العلاقات الاجتماعية: لتطوير الاتصال الفعال وبرامج التعليم التي يبني قاعدة التأييد مع عامة أفراد المجتمع.
 - 7/ إستراتيجية العلاقات الإعلامية: من خلال إيجاد قنوات اتصال دائمة وقوية مع وسائل الإعلام.
 - 8/ إستراتيجية التطوير المهني: من خلال متابعة فرص التطوير المهنية وتوفير مهارات الاتصال والنصح للمنظمة وغيرها من الإستراتيجيات. (جادين، 2016، ص47)
- ### المسؤولية الاجتماعية:

لقد دار بعد ذلك جدل كبير علي مفهوم المسؤولية المجتمعية وبرزت العديد من المدارس التي تبنت العديد من التعريفات لهذا المفهوم, حيث تم بلورة عدة تعريفات إيجابية تصب في روح المفهوم وتعارض (مليتون فريدمان) Melton Friedman وتدفع بان المؤسسات وجدت لخدمة المجتمعات ومن واجبها المحافظة علي البيئة التي تعمل بها وأن تتصرف المنظمات (الخاصة والعامة ومنظمات المجتمع المدني) كمواطن له حقوقه ويترتب عليه واجبات يجب ان يؤديها للمجتمع (جادين، 2016، ص47).

المسؤولية الاجتماعية في اللغة الإنجليزية:

وتعني كلمة (Responsibility) ما ينبغي أو يجب أو يعد الفرد مسؤولاً عنه، ويذكر أن مصطلح المسؤولية الاجتماعية Social Sresponsibility يرادف عدداً من المصطلحات في اللغة الإنجليزية هي:

1. الاهتمام الاجتماعي Social Concern
2. الضمير الاجتماعي Social Conscience
3. المشاركة الاجتماعية Social participation
4. الاستجابة الاجتماعية Social Response (المروني، 2009، ص31).

المسؤولية الاجتماعية في الكتابات العربية:

نستطيع أن نرصد في إطار الكتابات العربية عن المسؤولية الاجتماعية اتجاهين رئيسيين هما:

1/ الأول: اتجاه متأثر باطروحات المدارس الغربية في معالجة المسؤولية حيث يعرفها (حمدي حي الله) بأنها: "مسؤولية الفرد أمام المجتمع" ويوضح (عبد الرحمن بدوي) أنها: "مسؤولية رب الأسرة بتوقير الصالح العام" ويؤكد ذلك عبد العزيز عزت الذي بين أن مصدر الإلتزام للمسؤولية الاجتماعية ما يسميه (الأنا الاجتماعي) ممثلاً في السنن الاجتماعية والعادات والعرف والتقاليد والقانون الوضعي (حسام الدين، 2003، ص31).

2/ الثاني: اتجاه متأثر بمساهمات المدرسة الإسلامية في معالجة المسؤولية ويتزعم هذا الاتجاه استاذ علم النفس التربوي الدكتور (سيد عثمان) الذي خالف التعريفات السابقة التي تؤكد أن مصدر الإلتزام بالمسؤولية الاجتماعية ينبع من داخل الفرد ذاته لا من خارجه.(طه، 2016، ص 266)

عرفها (الغالبى) و(العامري) بأنها: "الإلتزام على منشآت الأعمال تجاه المجتمع الذي تعمل فيه وذلك عن طريق المساهمة بمجموعة من الأنشطة الاجتماعية مثل محاربة الفقر وتحسين الخدمات الصحية ومكافحة التلوث، وخلق فرص عمل وحل مشكلة الإسكان وغيرها: (حبيب الله، 2016، ص26).

أورد الدكتور (محمد سيد فهمي) العديد من التعريفات لمفهوم المسؤولية الاجتماعية وسوف
نعرض مجموعة من هذه التعريفات على الوجه الآتي:

1. هي وعى الفرد المرتبط بأساس معرفي بضرورة سلوكه نحو المجتمع ومدى تأثيره في تحديد
مجرى الأحداث.
2. هي عمل أخلاقي يهدف به الفرد إلى المنفعة العامة للمجتمع وضميره يوحي له بالواجب ويشعره
به.
3. استعداد فطري للقدرة على أن يلزم المرء نفسه وأن يفى بالتزاماته من جهده وقدرته.
4. هي مسؤولية الفرد ذاتياً عن الوسط المحيط والتي تتضح مظاهرها في الاهتمام والفهم والمشاركة
في حل قضايا ومشكلات الوسط:
5. هي الاستجابة النابعة من ذات الفرد والتي تدفعه إلى الحرص على جماعته وتماسكها واستمرارها
وتحقيق أهدافها وتدعيم تقدمها في شتى النواحي وفهمه للمشكلات والظروف التي تتعرض لها
في حاضرها ومستقبلها وفهمه للمغزى الاجتماعي لأفعاله وقراراته بحيث يدفعه ذلك إلى بذل
قصارى جهده في تنفيذ كل ما يوكل إليه من أعمال وإن كانت هينة ومواجهة أي مشكلة تعوق
سير الجماعة وتقديمها وكذلك الدعوة الجادة المخلصة لالتزام أفراد الجماعة بالطريق السليم الذي
يعود عليهم بالنفع (فهمي، 2016، ص16).

أهمية المسؤولية الاجتماعية:

إذا أرادت أي منظمة أن تبقى في البيئة المحيطة، فإنها عليها أن تساهم في تلبية حاجات المجتمع
والمساهمة في حل مشكلاته وتشير الكتابات القليلة المتاحة في هذا الشأن إلى أن المسؤولية الاجتماعية
التي تقع على عاتق المنظمات تجاه المجتمع لها أهمية كبيرة في المساهمة في تحقيق الآتي:

1. زيادة التكافل الاجتماعي والإنتماء في المجتمع.
2. تحقيق الاستقرار الاجتماعي في المجتمع.
3. تحسين نوعية الحياة بالمجتمع.
4. زيادة الوعي بأهمية الإدماج بين منظمات المجتمع.

5. زياد ترابط المجتمع وإزدهاره.
 6. بناء سمعة طيبة للمنظمة التي تقوم بدورها الاجتماعي تجاه المجتمع.
 7. إيجاد بيئة اجتماعية أفضل تعود بالنفع المباشر على المنظمة في الأجل الطويل.
 8. تجنب المزيد من التشريعات الحكومية المقيدة لشركات القطاع الخاص (ابو النصر، 2016، ص16).
 9. مجالات المسؤولية الاجتماعية:
 10. تغطي المسؤولية الاجتماعية وفقاً لأصحاب المصلحة أطرافاً عديدة وهي تشمل كل من يؤثر أو يتأثر بتحقيق أهداف الشركة وهذه النظرية أحدثت نقلة كبيرة في المفهوم عبرت عن شموليته وتكامله، حيث لكل طرف من هذه الأطراف حقوق ينبغي للشركات أن تراعيها حتى تصبح الشركة مسؤولة اجتماعياً أو تتسم بروح المواطنة الصالحة.
- والجدول رقم (2) يبين الواجبات اللازمة تجاه الفئات المختلفة التي تنضوي تحت مظلة أصحاب المصلحة (كوكو، 2018، ص60).

العنصر	بعض ما يجب أن تدركه الإدارة من دور اجتماعي تجاهه
المالكون	حماية أصول المنشأة، تحقيق أكبر ربح ممكن، رسم صورة جيدة للمنشأة، تعظيم السهم، زيادة المبيعات.
العاملون	عدالة وظيفة، رعاية صحية، رواتب وأجور مدفوعة، إجازات مدفوعة، فرص تقدم وترقية، تدريب مستمر، إسكان العاملين، ظروف عمل مناسبة.
الزبائن	أسعار مناسبة، الإعلان الصادق، منتجات آمنة وبنوعية جيدة، إرشادات بشأن استخدام المنتج ثم التخلص من بقاياها.
المنافسون	معلومات صادقة، عدم سحب العاملين من الآخرين بوسائل غير نزيهة، منافسة عادلة ونزيهة.
المجهزون	أسعار عادلة، الاستمرارية في التجهيز، تسديد الإلتزامات المالية والصدق في التعامل.
المجتمع	خلق فرص عمل، احترام العادات والتقاليد، توظيف المعوقين، دعم الأنشطة الاجتماعية، دعم البنية التحتية، الصدق في التعامل، المساهمة في حالة الكوارث.

التشجير، المساحات الخضراء، المنتجات غير الضارة، الحد من تلوث الماء والهواء والتربة والاستخدام الأمثل للموارد وخصوصاً غير المتجددة منها.	البيئة
الالتزام بالقوانين، إعادة التأهيل والتدريب، تكافؤ الفرص بالتوظيف، حل المشكلات الاجتماعية، تسديد الالتزامات الضريبية.	الحكومة
التعامل الصادق مع الصحافة، احترام أنشطة جماعات حماية البيئة، التعامل الجيد مع جمعيات حماية المستهلك، احترام دور النقابات العمالية والتعامل الجيد معها.	جماعات الضغط

إجراءات الدراسة الميدانية:

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة

مجتمع وعينة الدراسة: مجتمع البحث في هذه الدراسة يتمثل في مشركي شركة زين للهاتف السيار وكان عددهم 5 مليون مشترك في ولاية الخرطوم 2019-2020 وعينة الدراسة كانت عينة عشوائية من المشتركين قوامها 33 فرداً.

ولجمع المعلومات والبيانات تم تصميم صحيفة الاستبيان من خمسة أسئلة تمثل محاور واهداف وتساؤلات الدراسة وتم عرضها للخبراء لتحكيمها ومعرفة مدي ملائمتها لتحقيق اهداف الدراسة، ثم بعد ذلك تم توزيع عدد 33 صحيفة علي عينه عشوائية لمشركي شركة زين في العاصمة المثلثة (الخرطوم، والخرطوم بحري، وامدرمان) بواقع 11 صحيفة لكل مدينة، تم جمع الاستثمارات وتم ابعاد عدد 4 صحيفة تالفة، ثم تم تحليل الاستبيان باستخدام برنامج SPSS، وذلك لمعرفة مدي فاعلية برامج المسؤولية الاجتماعية في تشكيل الصورة الذهنية للشركة.

تحليل وتفسير البيانات:

البيانات الأولية

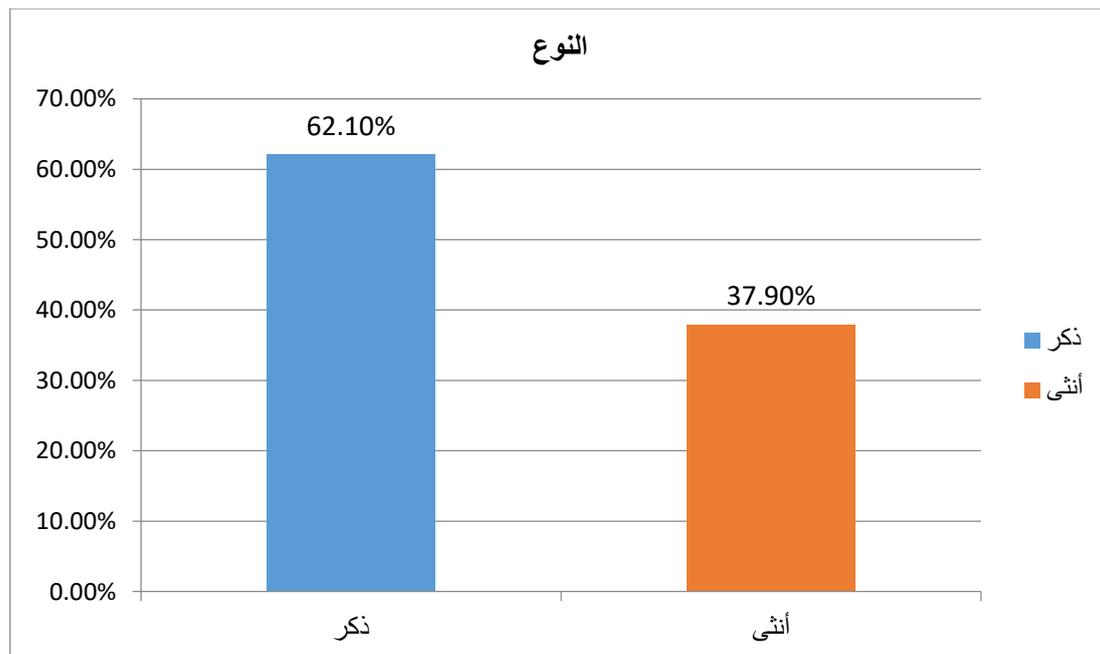
1/ النوع:

جدول رقم (1): يوضح نوع العينة المبحوثة:

النوع	التكرار	النسبة %
ذكر	18	62.1
أنثى	11	37.9
المجموع	29	100.0

يبين الجدول أعلاه والشكل أدناه نوع العينة، حيث تبلغ نسبة الذكور 62.1%، أما الإناث 37.9% وهذا مناسب جدا لما يتطلبه عمل العلاقات العامة والاعلام المكتبي والميدان.

شكل رقم (1) يوضح نوع العينة المبحوثة:



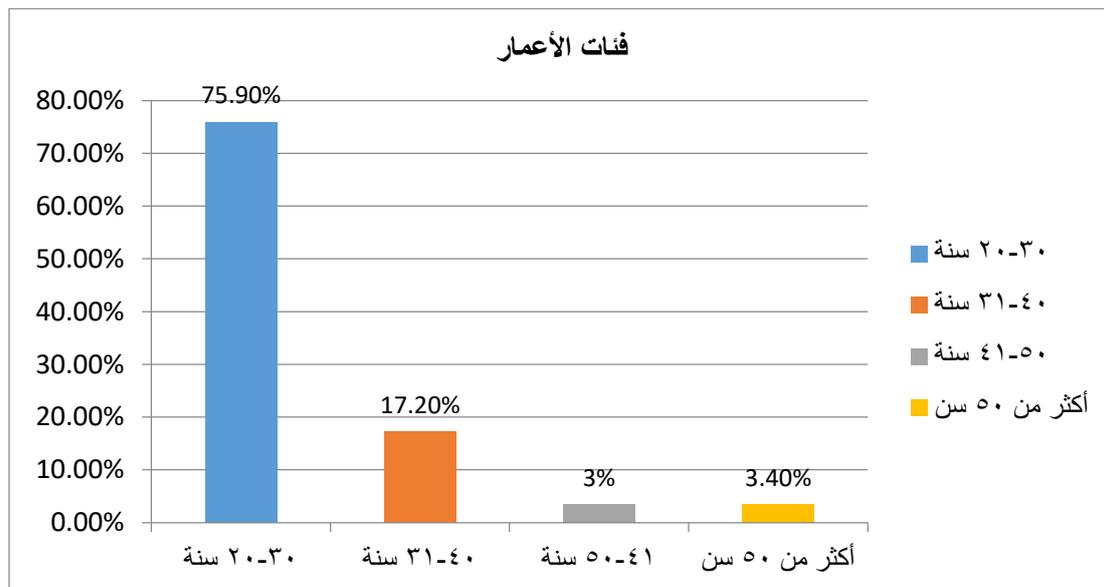
2/ العمر:

جدول رقم (2) يوضح الفئات العمرية للعينة المبحوثة

النسبة %	التكرار	فئات الأعمار
75.9	22	20-30 سنة
17.2	5	31-40 سنة
3.4	1	41-50 سنة
3.4	1	أكثر من 50 سنة
100.0	29	المجموع

يوضح الجدول أعلاه والشكل أدناه الفئات العمرية للعينة، ومنه يلاحظ أن نسبة الفئة (20-30 سنة) 75.9%، والفئة (31-40 سنة) 17.2%، والفئة (41-50 سنة) 3.4%، وكذلك الفئة (أكثر من 50 سنة) نسبتها 3.4% يلاحظ أن اغلبية الموظفين في ادارة العلاقات العامة من الشباب وهذا مؤشر جيد يدل علي لان الشباب لديهم الطاقة والقدر علي تحمل ضغط والعمل وانجاز المهام بصورة سريعة.

شكل رقم (2) يوضح الفئات العمرية للعينة المبحوثة



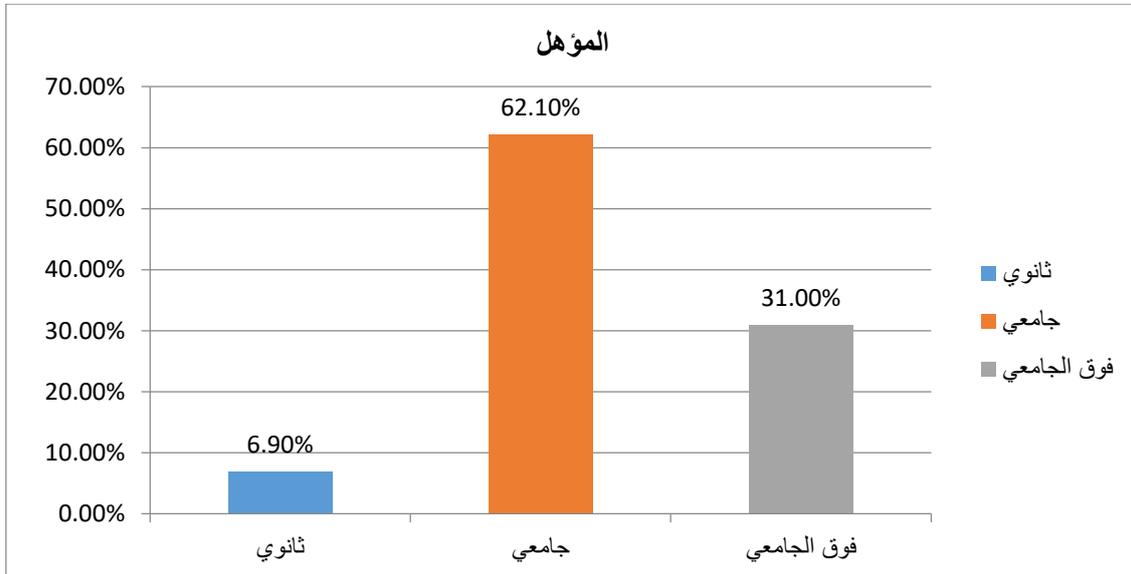
3/ المؤهل:

جدول رقم (3) يوضح المؤهل العلمي للعينة المبحوثة:

النسبة %	التكرار	المؤهل
6.9	2	ثانوي
62.1	18	جامعي
31.0	9	فوق الجامعي
100.0	29	المجموع

الجدول أعلاه والشكل أدناه يبينان مؤهلات أفراد العينة، فمنه 6.9% ثانوي، و62.1% جامعي، بينما 31% فوق الجامعي وهذا يدل على ان الموظفين مؤهلين علميا للقيام بدورهم الوظيفي.

جدول رقم (3) يوضح المؤهل العلمي للعينة المبحوثة:



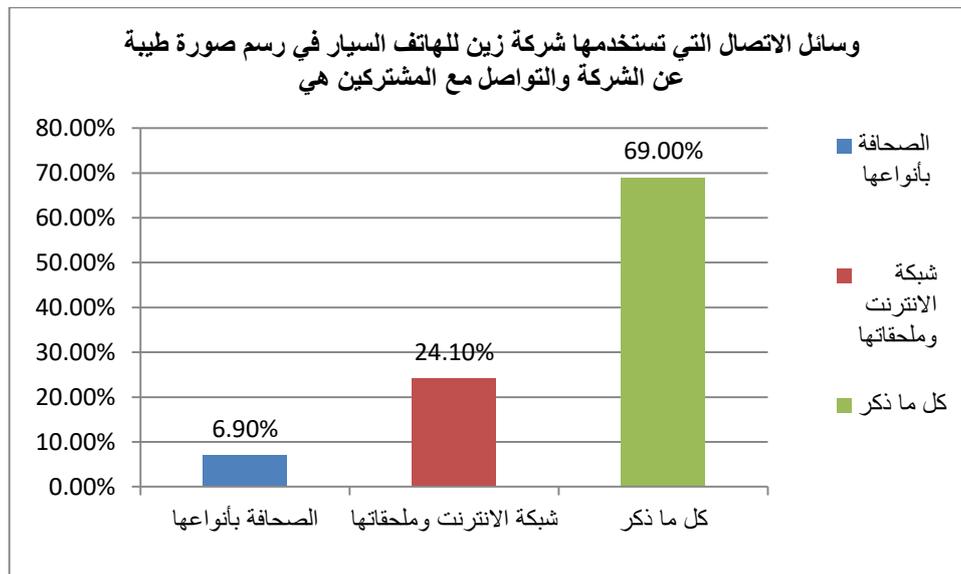
4/ وسائل الاتصال التي تستخدمها شركة زين للهاتف السيار

جدول رقم (4) يوضح وسائل الاتصال التي تستخدمها شركة زين للهاتف السيار:

النسبة %	التكرار	وسائل الاتصال التي تستخدمها الشركة في رسم صورة طيبة عن الشركة
6.9	2	الصحافة بأنواعها
24.1	7	شبكة الانترنت وملحقاتها
69.0	20	كل ما ذكر
100.0	29	المجموع

تم طرح سؤال على أفراد العينة عن وسائل الاتصال التي تستخدمها شركة زين للهاتف السيار في رسم صورة طيبة عن الشركة والتواصل مع المشتركين، فقال 6.9% الصحافة بأنواعها، وقال 24.1% شبكة الانترنت وملحقاتها، بينما قال 69% الصحافة بأنواعها والانترنت وملحقاتها علي ادارة العلاقات العامة استخدام جميع انواع وسائل الاتصال للوصول الي كافة المشتركين.

شكل رقم (4) يوضح وسائل الاتصال التي تستخدمها شركة زين للهاتف السيار:



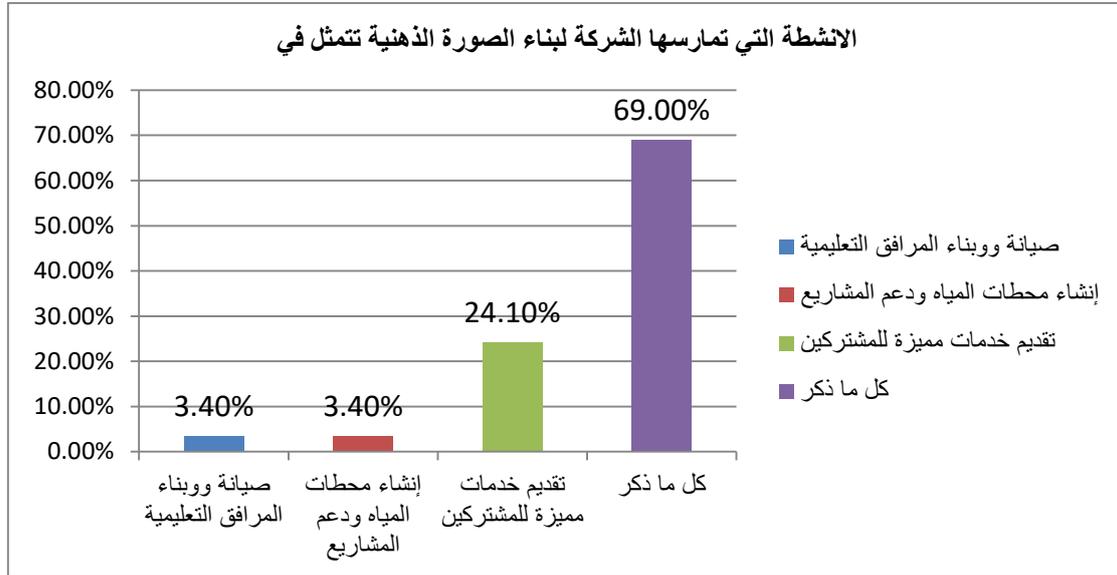
5/ أنشطة "زين" لبناء صورة ذهنية

جدول رقم (5) يوضح أنشطة شركة "زين" لبناء صورة ذهنية

النسبة %	التكرار	الانشطة التي تمارسها الشركة لبناء الصورة الذهنية
3.4	1	صيانة وبناء المرافق التعليمية
3.4	1	إنشاء محطات المياه ودعم المشاريع
24.1	7	تقديم خدمات مميزة للمشاركين
69.0	20	كل ما ذكر
100.0	29	المجموع

سئل أفراد العينة عن الانشطة التي تمارسها الشركة لبناء الصورة الذهنية تتمثل في، فأجاب 3.4% صيانة ووبناء المرافق التعليمية، كذلك قال 3.4% إنشاء محطات المياه ودعم المشاريع، بينما ذكر 24.1% تقديم خدمات مميزة للمشاركين، وقال 69% أن الشركة تمارس كل ما ذكر من أنشطة لبناء الصورة الذهنية.

شكل رقم (5) يوضح أنشطة شركة "زين" لبناء صورة ذهنية



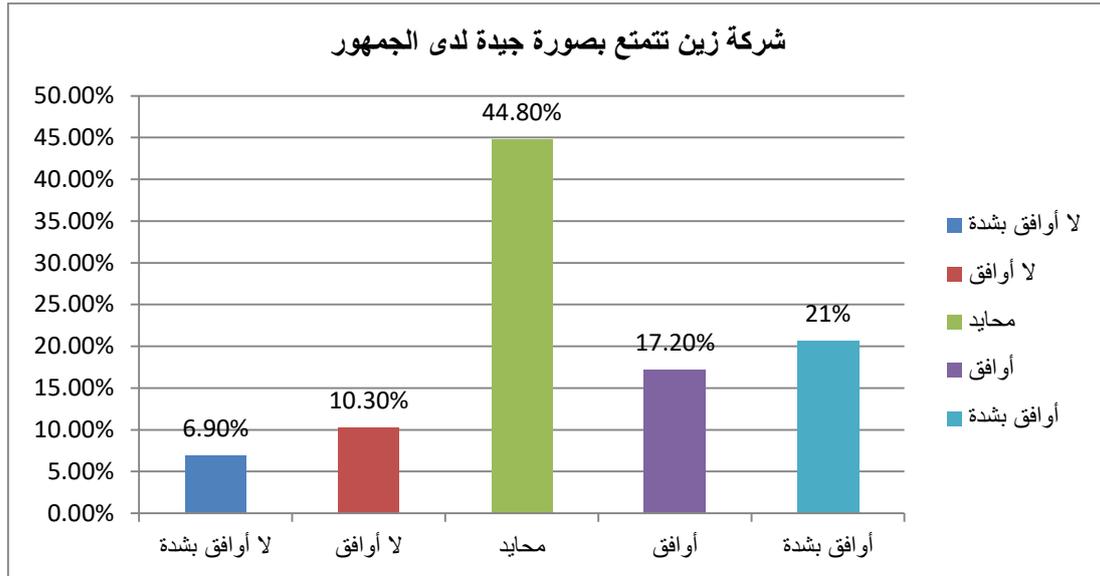
6/ شركة زين تتمتع بصورة جيدة

جدول رقم (6) يوضح شركة زين تتمتع بصورة جيدة

النسبة %	التكرار	شركة زين تتمتع بصورة جيدة لدى الجمهور
6.9	2	لا أوافق بشدة
10.3	3	لا أوافق
44.8	13	محايد
17.2	5	أوافق
20.7	6	أوافق بشدة
100.0	29	المجموع

طرحت عبارة على أفراد العينة تقول إن شركة زين تتمتع بصورة ذهنية جيدة لدى الجمهور، فوافق عليها بشدة 20.7%، ووافق 17.2%، والمحايدون 44.8%، ولم يوافق على العبارة 17.2%، ومن لا يوافقون عليها بشدة 20.7%.

شكل رقم (6) يوضح شركة زين تتمتع بصورة جيدة



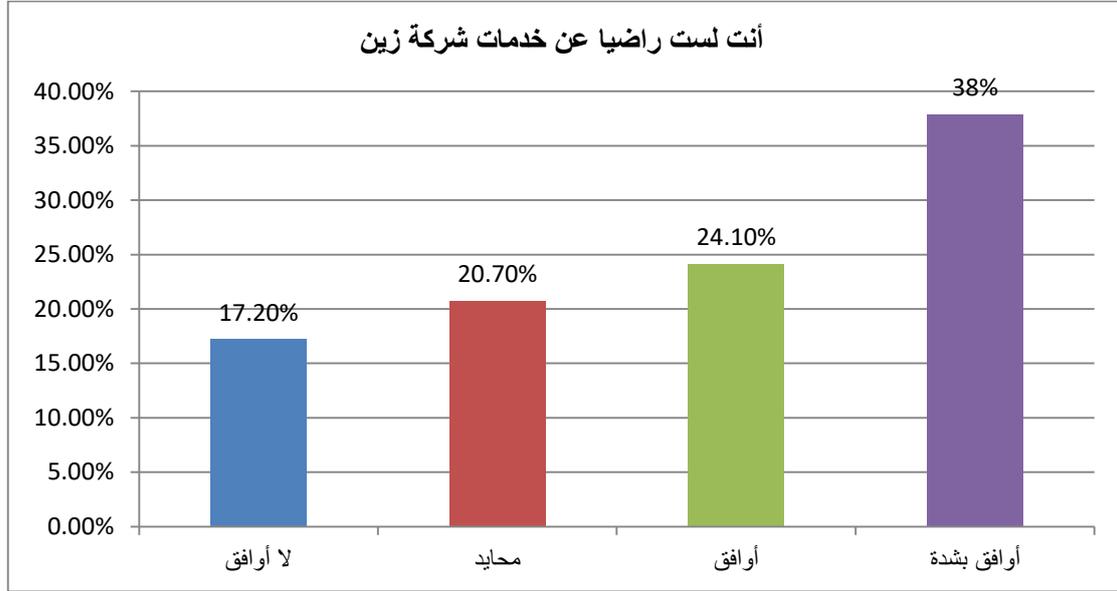
7/ الرضا عن خدمات "زين"

جدول رقم (7) يوضح الرضا عن خدمات "زين"

النسبة %	التكرار	أنت لست راضيا عن خدمات شركة زين
17.2	5	لا أوافق
20.7	6	محايد
24.1	7	أوافق
37.9	11	أوافق بشدة
100.0	29	المجموع

تم طرح عبارة على أفراد العينة تقول إنني لست راضيا عن خدمات شركة زين، فوافق عليها بشدة 37.9%، ووافق 24.1%، والمحايدون 20.7%، ولم يوافق على العبارة 17.2%.

شكل رقم (7) يوضح الرضا عن خدمات "زين"



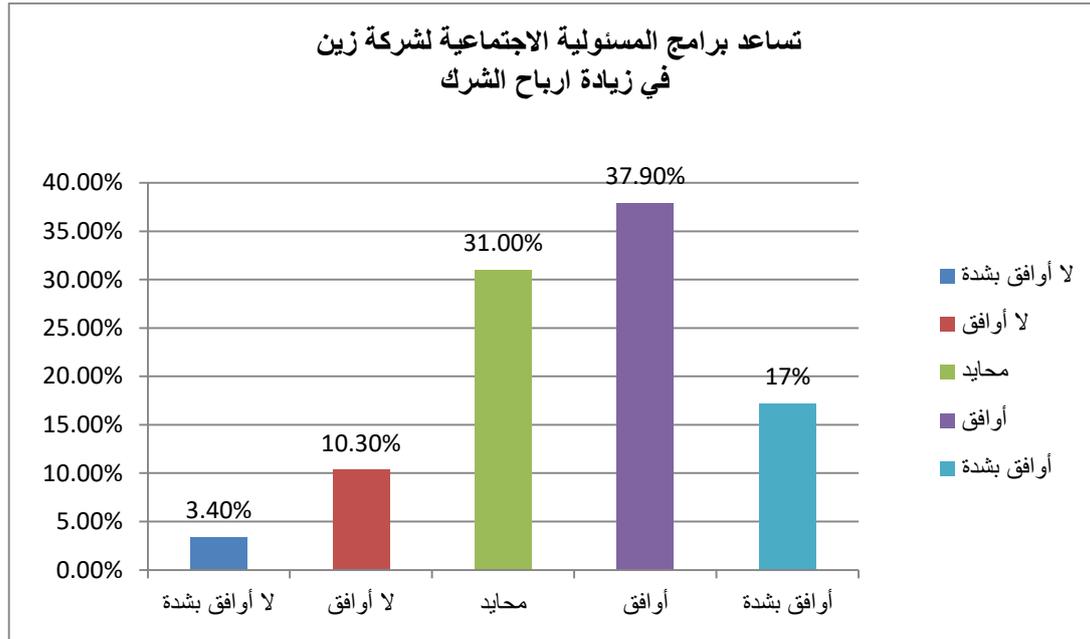
8/ برامج المسؤولية الاجتماعية تزيد أرباح الشركة

جدول رقم (8) يوضح برامج المسؤولية الاجتماعية تزيد أرباح الشركة

النسبة %	التكرار	تساعد برامج المسؤولية الاجتماعية لشركة زين في زيادة ارباح الشركة
3.4	1	لا أوافق بشدة
10.3	3	لا أوافق
31.0	9	محايد
37.9	11	أوافق
17.2	5	أوافق بشدة
100.0	29	المجموع

تم طرح عبارة على أفراد العينة تقول إن برامج المسؤولية الاجتماعية لشركة زين تساعد في زيادة ارباح الشركة، فوافق عليها بشدة 17.2%، ووافق 37.9%، والمحايدون 31%، ولم يوافق على العبارة 10.3%، ولم يوافق عليها بشدة 3.4%.

شكل رقم (8) يوضح برامج المسؤولية الاجتماعية تزيد أرباح الشركة



النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

- 1- أكدت نتائج الدراسة ان اهم وسائل الاتصال التي تستخدمها شركة زين هي الصحافة وشبكة الانترنت.
- 2- بينت نتائج الدراسة ان الانشطة التي تمارسها العلاقات العامة في شركة زين لبناء الصورة الذهنية هي صيانة وبناء المرافق التعليمية، وانشاء محطات المياه وتقديم خدمات مميزة للمشاركين.
- 3- كشفت نتائج الدراسة أن اغلبية أفراد العينة اتسمت اجاباتهم بالحياد حيال ان شركة زين تتمتع بصورة جيدة لدى المشاركين

4- كشفت الدراسة أن اغلبية افراد العينة المبحوثة غير راضيين عن خدمات شركة زين

5- وضحت الدراسة أن برامج المسؤولية الاجتماعية بالشركة تزيد من ارباحها.

ثانيا: توصيات الدراسة:

1- علي شركة زين عدم اهمال الوسائل الاتصالية الاخري مثل التلفزيون والاذاعة لما لها من دور فعال في التواصل مع جمهور الشركة

2- علي شركة زين توسيع مجالات برامج المسؤولية الاجتماعية لتشمل مجالات اخري مثل الصحة والثقافة.

3- علي شركة زين اعادة النظر فيما يتعلق بواقع صورتها الذهنية لدي مشتركيها.

4- علي ادارة الشركة بذل المزيد من الجهود لتقديم خدمات ترضي مشتركيها.

5- علي ادارة الشركة الاستعانة بمراكز البحوث عند التخطيط لبرامج المسؤولية الاجتماعية

قائمة المصادر والمراجع:

1- محمد منير حجاب، أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية، ط 2، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003.

2- محمد عبدالحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، ط2، القاهرة: عالم الكتب، 2004.

3- فاروق يوسف أحمد، وسائل جمع المعلومات، ط1 القاهرة: مكتبة عين شمس، 1985.

4- حمدي شعبان، وظيفة العلاقات العامة، القاهرة، الشركة العربية المتحدة، القاهرة، 2008..

5- علي عجوه، 1997م، العلاقات العامة والصورة الذهنية، ط2، القاهرة: عالم الكتب،.

6- 6

7- عديل أحمد الشerman، الصورة الذهنية لرجل الشرطة لدى المواطن القطري، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة ام درمان الإسلامية، كلية الاعلام. 2002.

- 8- مها الطيب عبد الله،، فاعلية العلاقات في تكوين الصورة الذهنية للشركات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الإعلام، 2007م
- 9- كوثر محمد احمد، المسؤولية الاجتماعية واثرها في الميزة التنافسية لشركات الاتصال العاملة في السودان، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا كلية الدراسات التجارية قسم ادارة الاعمال، 2015.
- 10- ياسين قرشي ياسين، العلاقات العامة، ط (الخرطوم، مطبعة جامعة السودان، 2010م).
- 11- سليمان صالح، وسائل الاعلام وصناعة الصورة الذهنية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2005م.
- 12- النور جادين، العلاقات العامة الحديثة ومجالاتها ومستقبلها في السودان، ط 1 (الخرطوم)، مركز النور جادين للدراسات والبحوث، 2016م
- 13- نايف محمد عايد المرواني، التوافق النفسي والمسؤولية الاجتماعية لدي المجرمين، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي للنشر والطباعة، 2009م.
- 14- محمد حسام الدين، المسؤولية الاجتماعية للصحافة، ط1، القاهرة، الدار المصرية، اللبنانية، 2003م.
- 15- نجلاء عبد الفتاح طه، دور الإعلام في حل القضايا المعاصرة والإرهاب وجرائم الإنترنت، ط1، مصر، الإسكندرية، دار التسليم الجامعي، 2015م.
- 16- عبيدات، وآخرون، منهجية البحث العلمي، القواعد والمراجع والتطبيقات، دار اوائل، عمان، ط1، 2001،
- 17- محمد سيد فهمي، المسؤولية الاجتماعية، مصر، المكتب الجامعي الحديث، 2014،.
- 18- مدحت محمد أبو النصر، المسؤولية الاجتماعية للشركات والمنظمات، القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2015.

الرسائل الجامعية:

- 19- حبيب الله مصطفى حبيب الله، دور المسؤولية الاجتماعية بالشركات الخاصة في تمويل أنشطة العمل الطوعي في السودان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، معهد تنمية الأسرة والمجتمع، 2016م.
- 20- عبد الحميد، شوقي فؤاد، فاعلية العلاقات العامة في نشر الوعي السياسي، جامعة أمدرمان الاسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الإعلام، 2006م.
- 21- كوثر محمد أحمد، المسؤولية الاجتماعية وأثرها في الميزة التنافسية لشركات الاتصال العاملة في السودان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات التجارية، قسم إدارة الأعمال، 2015م.
- 22- عاصم حسن محمد خير، قياس الأنشطة الاجتماعية وأثره على الميزة لمنظمات الأعمال في السودان، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات التجارية، قسم التكاليف والمحاسبة الإدارية، 2017م.
- 23- رزاز إسماعيل سليمان، الدور الاتصالي للعلاقات العامة على برامج المسؤولية الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية علوم الاتصال، قسم العلاقات العامة، 2017م.
- 24- يوسف محمد، وظيفة العلاقات العامة في بناء الصورة الذهنية للشركات الخدمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أمدرمان الإسلامية كلية الإعلام 2005م.
- 25- فالح عبد القادر الحوري، ممدوح الزيادات، هائل عيابه، ادارة الصورة الذهنية للمنظمات الاردنية في إطار واقع المسؤولية الاجتماعية دراسة ميدانية في شركات الاتصالات الخلوية الأردنية - كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة العلوم التطبيقية بدون تاريخ 2018م.

مراكز التعليم في العالم الإسلامي وأثرها في تطوير التعليم الديني بدول جنوب شرق أوروبا: البوسنة والهرسك أنموذجاً

*Education centers in the Islamic world and their impact on the
development of religious education in South east European
countries: Bosnia and Herzegovina as a model*

ملخص أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب، 1441-1442هـ/2020-2021م

كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، جامعة عبد المالك السعدي، المغرب

**Faculty of Letters and Human Sciences of Tetouan, Abdelmalek
Saadi University, Morocco**

إعداد الدكتور: يونس العزوزي

إشراف الأستاذ الدكتور: خالد الصمدي

Prepared by: Dr. Younes El Azzouzi

Supervised by Prof. Dr. Khalid Samadi

المخلص:

يقدم هذا الملف تلخيصاً لأطروحة الدكتوراه التي جاءت بعنوان " مراكز التعليم في العالم الإسلامي وأثرها في تطوير التعليم الديني بدول جنوب شرق أوروبا (البوسنة والهرسك أنموذجاً)", والتي تمت مناقشتها وإجازتها يوم 29 جمادى الأولى 1442هـ الموافق 15 يوليوز 2021م، تحت إشراف الأستاذ الدكتور: خالد الصمدي، وذلك خلال العام الجامعي، 1441-1442هـ/2020-2021م، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، جامعة عبد المالك السعدي، المغرب.

الكلمات المفتاحية: مراكز التعليم، العالم الإسلامي، التعليم الديني، جنوب شرق أوروبا، البوسنة والهرسك

Abstract:

This file presents a summary of the doctoral thesis entitled "Education centers in the Islamic world and its impact on the development of religious education in the countries of Southeast Europe (Bosnia and Herzegovina as a model)", which was discussed and approved on Jumada Al-Ula 29, 1442 AH corresponding to July 15, 2021 AD, under the supervision of Prof. Dr. Khalid Samadi, during the academic year, 1441-1442 AH / 2020-2021 AD, from the Faculty of Letters and Human Sciences in Tetouan, Abdelmalek Saadi University, Morocco.

Keywords: Education centers, the Islamic world, religious education, Southeast Europe, Bosnia and Herzegovina

حيثيات الأطروحة:

عرف العالم الإسلامي على مدى قرنين من الزمان عدة مشاريع لإصلاح التعليم الإسلامي بالجامعات الإسلامية العريقة، بكل من القرويين والزيتونة والأزهر وغيرها، سواء منها التي قادتها السلطات الحاكمة من سلاطين وحكام، أو التي قادها رواد ومصلحون تربويون ترجمت فكرهم ورؤيتهم لتحقيق الإصلاح المنشود، همت مختلف المجالات انطلاقا من الهياكل الإدارية والتربوية والبيداغوجية ومناهج التدريس وتكوين وتخريج العلماء المتخصصين في مجموعة من فروع المعرفة الإسلامية.

وقد تابع الدراسة والتكوين في هذه المؤسسات مجموعة من الطلبة والباحثين والعلماء من مختلف دول العالم، ومن دول جنوب شرق أوروبا، وتخرجوا من هذه الجامعات حاملين شواهد دراسية عليا، ومستفيدين من تكوين علمي متكامل في شتى صنوف المعرفة الإسلامية، وعادوا إلى بلدانهم لإتمام حياتهم العملية والعلمية.

ومما لا شك فيه أن تكوين هؤلاء الخريجين في هذه الجامعات مكنهم من امتلاك مجموعة من الخبرات والتجارب المرتبطة بطبيعة تخصصهم من جهة، وبمدى امتلاكهم لمناهج وكفايات إرساء وتطوير وإصلاح التعليم الديني والعلوم الإسلامية بهذه الجامعات من جهة أخرى، والتي سيعملون على تنزيلها في بلدانهم، كل من موقع مهمته ومسؤوليته وتخصصه، بهدف تطوير هذا الصنف من التعليم وتحسين جودته والارتقاء بمخرجاته، سواء في ميدان التدريس أو الإمامة والخطابة أو الوعظ والإرشاد أو الإفتاء أو التأليف والترجمة أو غيرها من المجالات.

وجاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على إسهام هذه المراكز في تطوير التعليم الديني والعلوم الإسلامية بالبوسنة والهرسك، انطلاقا من اقتفاء أثر خريجها من أبناء هذا البلد، وانخراطهم في الإرساء الحقيقي لنظام تعليمي ديني وتطويره ببلادهم، يستند على ما راكموه من خبرة وتجربة خلال سنوات دراساتهم العليا بهذه المراكز الإسلامية، ويستلهم روحه وقوته من واقع التعليم الديني بالبوسنة والهرسك المتقلب، ومن تفانيهم في رسم معالم هذا التطوير بمنطلقات دينية وقومية وتربوية، ومن حرصهم على احترام خصوصياتهم بروافدها المتعددة.

إن أهمية هذه الدراسة وراهنيتها تتجلى أساسا في إبراز الدور الأساسي الذي لعبته الجامعات الإسلامية العريقة في تطوير التعليم الديني والعلوم الإسلامية والارتقاء بها، وإشاعتها والإسهام بها في بناء حضارة الشعوب عبر العالم، ومنها شعوب دول جنوب شرق أوروبا، بما يؤسس لإعادة

الاعتبار لهذه الصروح العلمية الرائدة، وفي التعريف بالنظام التعليمي الإسلامي بدولة البوسنة والهرسك، والذي يبقى مجهولاً لدى مسلمي الغرب الإسلامي على الأقل، وإخراجه من جزره المعزولة في صورة تيسر متابعته والاطلاع عليه والاستفادة منه، ثم تحسيس وتوعية الأجيال الصاعدة في العالم الإسلامي وبدول جنوب شرق أوروبا خصوصاً بغنى الموروث الثقافي والحضاري الإسلامي لمراكز التعليم في العالم الإسلامي، انطلاقاً من إسهامات خريجها المنتمين لهذه البلاد من طلبة وأساتذة وباحثين في إرساء وإصلاح وتطوير التعليم الديني والعلوم الإسلامية بها، والإسهام من خلاله في بناء وتطوير الحضارة الإسلامية والإنسانية والاعتزاز بها انطلاقاً من هذا الإقليم، وفي التعريف بعلماء وشيوخ وأساتذة ومؤسسات التعليم الديني بدولة البوسنة والهرسك، وبإسهاماتهم العلمية في إرساء النموذج الحالي للتعليم الديني.

كما تظهر أهميتها كذلك في إمكانية استفادة مختلف القائمين على التعليم الديني والعلوم الإسلامية بدولتي المغرب والبوسنة والهرسك، من خلال كشفها لأهم المشكلات التي يعاني منها هذا الصنف من التعليم ومن العلوم الإسلامية، والتعريف بها لدى بعض المؤسسات والهيئات والمنظمات الخيرية أو الوقفية في مختلف البلاد الإسلامية، لتشجيعها على الاهتمام والاستثمار المالي والعلمي في سبيل تطويرها، وكذا الباحثون في مجال التربية والدراسات الإسلامية بالمغرب والبوسنة وغيرهما، بفتح آفاق ومجالات واسعة للبحث وإجراء الدراسات العلمية المشابهة أو المكملة أو الناقدة أو غيرها.

وقد تمحورت إشكالية هذه الرسالة حول سؤال محوري هو: إلى أي حد ساهمت الجامعات الإسلامية العريقة (القرويين والزيتونة والأزهر...) في إرساء وتطوير نموذج التعليم الديني والعلوم الإسلامية بالبوسنة والهرسك؟

تفرعت عنه بعض الأسئلة الفرعية وهي: - ما هو واقع التعليم الديني بدولة البوسنة والهرسك؟ وما هي الجامعات الإسلامية التي أثرت في التعليم الديني والعلوم الإسلامية بدول جنوب شرق أوروبا؟ وكيف ساهم خريجو الجامعات الإسلامية من أبناء البوسنة والهرسك في إرساء وتطوير التعليم الديني والعلوم الإسلامية بالمنطقة؟ وما هي أوجه ومجالات وآفاق هذا التأثير؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة أفترضت الدراسة بعض الفرضيات للانطلاق منها هي:

- مراكز التعليم في العالم الإسلامي بمشاريعها الجادة والرائدة ساهمت إلى حد كبير في إرساء وتطوير التعليم الديني والعلوم الإسلامية بالبوسنة والهرسك.

- وجود تعليم ديني جيد بإشراف المشيخة الإسلامية بالبوسنة والهرسك، رغم معاناته من عرقلة السلطات الحاكمة وتراكمات الماضي.
- تأثير التعليم الديني والعلوم الإسلامية بدول جنوب شرق أوروبا عموماً وبالبوسنة والهرسك خصوصاً بمخرجات المشاريع الإصلاحية الكبرى للجامعات الإسلامية العريقة.
- فرص التأثير والتأثر بين الجامعات الإسلامية ومؤسسات التعليم الديني بالبوسنة والهرسك واعدة وتتطلب جهوداً ومبادرات جادة.

وقد ركزت هذه الدراسة على تحقيق مجموعة من الأهداف تتلخص فيما يلي:

- التعرف بأهم الجامعات الإسلامية العريقة، التي ساهمت ولا زالت في تكوين طلبة وأساتذة وشيوخ منطقة البلقان في العلوم الإسلامية.
 - إبراز دورها في تطوير التعليم الديني والعلوم الإسلامية، ونقلها وإشاعتها عبر العالم وخاصة بدولة البوسنة والهرسك.
 - بعث روح الثقة في هذه الجامعات لدى الأجيال الصاعدة، كمؤسسات تعليمية ساهمت وأثرت في إصلاح وتطوير التعليم الديني بدول جنوب شرق أوروبا وفي الحضارة الأوروبية عموماً.
 - التعرف بأبرز أساتذة وعلماء وشيوخ المنطقة من خريجي الجامعات الإسلامية وإنتاجاتهم العلمية وإسهاماتهم المهنية.
 - الوقوف على أشكال وصيغ تأثيرهم في تطوير التعليم الديني والعلوم الإسلامية، انطلاقاً من المهام التي يمارسونها.
 - تحديد مجالات وأشكال التأثير والتأثر بين الجامعات الإسلامية المذكورة والتعليم الديني بهذه المنطقة.
 - استشراف المستقبل من خلال تحديد ودراسة آفاق الارتباط بين الجامعات الإسلامية العريقة وبلدان جنوب شرق أوروبا انطلاقاً من دولة البوسنة والهرسك، بما يضمن بناء الشخصية المسلمة وإسهامها في الحضارة الإنسانية، وتمثيل النموذج الصحيح للإسلام أمام أوروبا.
- أما مناهج البحث العلمي المعتمدة في إنجاز هذه الدراسة فتتنوع بتنوع فصوله ومباحثه ومطالبه، وجمعت بين المنهج التاريخي التوثيقي، والمنهج الوصفي التحليلي، والمنهج المقارن، والمنهج الاستقرائي.

أما عن مجال هذه الدراسة فهي تجمع بين مجموعة من الخلفيات الفكرية والمجالات العلمية، فهي دراسة تاريخية باعتبار معالجته لمعطيات تاريخية محضة، خاصة منها المرتبطة بتاريخ الأفكار

وتطورها وانتقالها وتأثيرها في مجتمعات من خارج البيئة التي نشأت فيها، وهي دراسة تدرج في مجال الحضارة الإنسانية، كونها تساهم في بيان أوجه العلاقة والارتباط بين عدة مناطق وبلدان من العالم الإسلامي، وهي دراسة تربوية خالصة، لإشارتها إلى أنظمة تعليمية إسلامية متمثلة في مؤسسات ومراكز التعليم في العالم الإسلامي من جهة، ولتركيزها على نظام التعليم الديني بدولة البوسنة والهرسك، من حيث مؤسساته وأعلامه الفاعلون فيه ومناهجه وتحدياته وأفاقه من جهة أخرى، وبالتالي يمكن القول إن الدراسة تجمع بين الأبعاد التاريخية والحضارية والتربوية، وتتقاطع فيها مجموعة من المباحث العلمية.

وقد تنوعت ادوات البحث لإنجاز هذا العمل بين المقابلات الشفوية نصف موجهة، والوثائق والمخطوطات، والمصادر والمراجع، بالإضافة إلى الزيارة الميدانية لمنطقة البحث والمؤسسات المختصة بدولة البوسنة والهرسك، والتي جرت خلال شهر أبريل من العام 2019م.

أما الصعوبات التي واجهتها الدراسة فتجلت أساساً في افتقار المكتبة العربية إلى الكتب والمصنفات والتأليف والأبحاث والدراسات والمقالات المرتبطة بهذه المنطقة، بالإضافة إلى ندرة الدراسات الأكاديمية السابقة، والمرتبطة بموضوع البحث، وبعد المنطقة جغرافياً، وإشكالات ترجمة نسبة مهمة من المادة العلمية المحصلة من اللغات المحلية (البوسنية والألبانية والصربوكرواتية) إلى اللغة العربية، ناهيك عن تشتت معظم خريجي هذه الجامعات في مقرات عملهم بعدة مناطق من العالم، وما يطرحه الأمر من صعوبة الوصول إليهم والتواصل معهم، وصعوبة اللغات المعتمدة في مكاتب البوسنة والهرسك، وغيرها من الصعوبات التي ذللناها بمجموعة من الإجراءات أبرزها بالاستعانة بالله عز وجل والتوكل عليه، والصبر والبحث والتنقيب والاعتكاف العلمي، مع مساعدة الأستاذ المشرف على الأطروحة، وزملائي الطلبة من جامعة عبد المالك السعدي، وبالرحلة في طلب العلم للحصول على المصادر والمراجع القريبة من موضوعي ما بين مخطوطة ومطبوعة، ولقاء العلماء المختصين للسؤال وتلقيح الأفكار، وخاصة بدولة البوسنة والهرسك، دون إغفال المساعدة المشكورة والمحترمة لأساتذة كلية الدراسات الإسلامية بسر ابيفو وزينيتسا وبيهاتش، الذين ذللوا لي العديد من العقبات العلمية أثناء مقامي بالبوسنة والهرسك وبعد رحيلي عنها، سواء تعلق الأمر بتوفير مراجع أو كتب، أو بترتيب وتسهيل عمليات التواصل مع مجموعة من الأساتذة والمهتمين، أو بترجمة العديد من النصوص من اللغة البوسنية إلى اللغة العربية، أو مراجعة وتصحيح وتتبع الفصول المنجزة أولاً بأول، أو غيرها من أشكال العناية والاهتمام.

وقبل تقديم الخطة النهائية لهذه الدراسة نرى أنه من المفيد جدا الإشارة ولو بإيجاز إلى مسار إنجازها من البداية إلى النهاية، فمن رحم مجموعة من الأفكار، خرجت فكرة البحث في علاقة مراكز التعليم في العالم الإسلامي بالتعليم الديني والعلوم الإسلامية بالبلقان عموما وبالبوسنة والهرسك خصوصا، وبعد تخمر الفكرة ونضجها انطلقنا في البحث فيها بتوجيه من السيد المشرف، وبعد مواجهتنا لشح المعلومات والمصادر والمراجع المرتبطة بالموضوع، كان الحل في التفكير في الرحلة العلمية إلى منطقة البحث، وتم ذلك بتوفيق من الله وعونه، وبمساعدة من السيد المشرف ومن مسؤولي التعليم الديني بالمشيخة الإسلامية بسرانييفو، وتم ذلك والحمد لله في شهر أبريل عام 2019م، واستغرقت الرحلة 14 يوما، قابلت فيها مسؤولي المشيخة الإسلامية وعلى رأسهم سماحة رئيس العلماء الدكتور حسين كافازوفيتش، وعدد من رؤساء الأقسام والإدارات بالمشيخة، ثم التقيت وقابلت وحوارت عددا هاما من عمداء ومديري وأساتذة المدارس والمراكز والكليات والمكتبات الإسلامية بسرانييفو وزينيتسا وبييهاتش، تجاوزت في مجملها الخمسين لقاء موثقا ومسجلا، تمكنت خلالها من جمع مادة علمية غنية وكافية لكتابة هذه الرسالة، تنوعت بين مطبوعات ومخطوطات ومصادر ومراجع وكتب وأبحاث ومقالات ومقابلات شفوية مسجلة وروابط إلكترونية، كما كانت فرصة للحصول على وسائل الاتصال بهؤلاء الأساتذة والشيوخ كافة، والذين لا زالت صلتنا بهم وطيدة إلى اليوم، من خلال تتبعهم لجل مراحل إنجاز هذا البحث، وتتبعهم وتصحيحهم ومراجعتهم لفصوله ومباحثه، خاصة ما تعلق منها بأسماء الأشخاص والأماكن والبلدان، وبالمعطيات العلمية والإحصائية ذات الطابع البوسني الخاص.

فلا تفوتني الفرصة هنا للتبويه بجميع الأساتذة والباحثين البوسنيين المساهمين في هذا العمل كل واحد باسمه وصفته، لانخراطهم الفعال في إتمام هذا العمل وإخراجه في صيغته الحالية، سواء تعلق الأمر بتوفير مصدر أو مرجع، أو بتقديم مشورة، أو بترجمة مقال أو مادة علمية، أو بمراجعة وتصحيح منتج، أو توجيه منهجي أو غيره.

وظلت خطة البحث تتطور بتطور وتقدم إنجاز هذا العمل، إلى أن استقرت في صورتها النهائية والكاملة، والتي انتظمت في مقدمة وبايين وخاتمة وفهارس ولائحة للمصادر والمراجع.

أُتيت في المقدمة بسياق عام للموضوع وأهميته وأهدافه، ثم دققت إشكاليته الرئيسية وأسئلته الفرعية، وذيلتها بمجموعة من الفرضيات المحتملة، مع الإشارة إلى مناهج البحث المعتمدة، وقوفا عند حدوده الزمانية والمكانية، وأدواته وعينته البحثية، مركزا على مجال البحث وصعوباته وأهم الحلول والإمكانيات المرصودة لتجاوزها، ثم عرضت أهم الدراسات والأبحاث السابقة ذات الصلة

بالموضوع، من أطاريح ورسائل جامعية وأبحاث ودراسات وأوراق علمية، وصولاً إلى عرض خطته النهائية.

وتكون الباب الأول من خمسة فصول، تضمن كل فصل منها مجموعة من المباحث والمطالب والفقرات، جاء أولها في صيغة فصل تمهيدي، خصصته للتفصيل في أهم المصطلحات والمفاهيم المستعملة، ثم تطرقت في الفصل الأول للتعريف بدولة البوسنة والهرسك جغرافياً وبشرياً ودينياً وثقافياً، مع تدقيق النظر في واقع الاهتمام البحثي العربي والإسلامي بدول جنوب شرق أوروبا عموماً، ثم خصصت الفصل الثاني لإيراد لمحة تاريخية عن التعليم الديني بدولة البوسنة والهرسك منذ العهد العثماني في وقتنا الحاضر، فيما عرضت في الفصل الثالث أهم المؤسسات التعليمية الدينية بهذه البلاد، من كتاتيب قرآنية ومدارس ابتدائية وثانويات إسلامية وكليات للتربية والدراسات الإسلامية، وأتيت في الفصل الرابع بأهم الجهات المتدخلة في التعليم الديني بدولة البوسنة والهرسك، خاصة منها مؤسسة المشيخة الإسلامية ومؤسسة دار الإفتاء ومؤسسة دار الأوقاف ومكتبة الغازي خسرو بك، وصولاً إلى الفصل الخامس الذي فصلت فيه الحديث عن مختلف الجامعات الإسلامية المساهمة في تطوير التعليم الديني بدولة البوسنة والهرسك، وعن تأثيرها في تطوير الجامعات الأوروبية عموماً، خاصة منها جامعة القرويين وجامعة الزيتونة وجامع الأزهر، وعدد مهم من الجامعات الأخرى ذات الصلة.

أما الباب الثاني فجاء هو الآخر في أربعة فصول، خصصت فصله السادس للحديث عن أبرز أعلام الإصلاح والتطوير الديني والتعليمي بالبوسنة والهرسك، وخاصة منهم حسن كافي الأخصاري، وجمال الدين تشاوشيفيتش، ومحمد الخانجي، وبسيم كوركوت، وحسين جوزو، وأحمد إسماعيلوفيتش، وأنس كاريتش، من حيث نشأتهم وأنشطتهم العلمية والمهنية والدعوية، وإسهاماتهم في إرساء وتطوير العلوم الإسلامية ونموذج التعليم الديني بدولة البوسنة والهرسك، وتحدثت في الفصل السابع عن إسهامات علماء البوسنة والهرسك في تطوير العلوم الإسلامية بشكل عام، وعن عنايتهم بالقرآن الكريم وعلومه، وبالحديث الشريف وفنونه، وبالسير النبوية ومجالاتها، وبالفقهاء وأصوله، وبالعقيدة واتجاهاتها، دراسة وتأييلاً وترجمة ونشراً وتدریسا، ووقفت في الفصل الثامن على التأثير المباشر لخريجي مراكز التعليم في العالم الإسلامي في تطوير التعليم الديني بالبوسنة والهرسك، على مستوى المؤسسات والمراكز التعليمية والدينية والبحثية، وعلى مستوى الممارسات التعليمية والتربوية، وعلى مستوى التأليف العلمي والمدرسي، مشيراً إلى أهم تحديات وآفاق هذا الصنف من التعليم في هذه البلاد، واختتمت في الفصل التاسع بالحديث عن جهود المغاربة لمساندة مسلمي دولة البوسنة والهرسك في مختلف المحطات التاريخية الصعبة التي مروا منها، في المجالات

الدينية والتعليمية والسياسية وغيرها، وصولاً إلى رصد جهود الإيبيسيكو لتطوير التعليم الديني بدول البلقان عموماً، انطلاقاً من استراتيجية الإيبيسيكو للعمل الإسلامي في الغرب الموقعة في زاغرب عام 1998م.

وعرضت في الخاتمة لأهم الخلاصات والاستنتاجات المتوصل إليها، وذيلتها بفهرس للمحتويات ولائحة للمصادر والمراجع المعتمدة.

وقد خلصت الدراسة بعد استقراء آراء وأفكار وردود الأساتذة والفاعلين والمسؤولين والباحثين في التعليم الديني والعلوم الإسلامية بدولة البوسنة والهرسك، وتحليلها ومقارنتها وتركيبها من جهة، ثم الوقوف على تفاصيل الوثائق والمصادر والمراجع والمخطوطات وغيرها من المعطيات، ومقارنتها ببعضها وبخلاصات اللقاءات الشفوية المذكورة طيه من جهة أخرى، إلى مجموعة من النتائج نبرز أهمها في النقاط التالية:

- محدودية التواصل والتعاون والشراكة في الوقت الحاضر بين جامعتي الزيتونة والأزهر من جهة وكليات الدراسات الإسلامية بالبوسنة والهرسك من جهة أخرى.
- مراكز التعليم الديني في العالم الإسلامي هي خزان للمبادرات والتجارب التربوية الناجحة، التي يمكن استثمارها في إصلاح التعليم الديني بمنطقة جنوب شرق أوروبا عموماً وبالبوسنة والهرسك على الخصوص.
- وجود اهتمام بهذه المنطقة لدى مراكز التعليم في الشرق العربي (المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية، قطر، مصر، الكويت...) أكثر من مراكز شمال إفريقيا (القرويين والزيتونة على الخصوص).
- النماذج التعليمية الدينية بالمنطقة متفاوتة، تختلف من حيث تاريخها وأشكالها ومناهجها والفئات المستهدفة منها، ومن حيث بنياتها البشرية والمادية والتحتية.
- محدودية اهتمام المنظمات الإسلامية العالمية بهذه المنطقة، خاصة منها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الأيسكو، واتحاد الجامعات الإسلامية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- علماء وشيوخ وأساتذة ومسؤولو التعليم الديني بالمنطقة أدوا ولا زالوا يؤدون أدواراً رائدة في مجال إرساء النموذج التعليمي الديني السليم وتطويره من جهة، ويحققون إنجازات رائدة في تقديمه للغرب الأوروبي.
- الممارسات والأساليب التعليمية المرتبطة بالتعليم الديني بدولة البوسنة والهرسك تشكل مثلاً ونموذجاً يمكن اعتماده وتطويره في باقي بلدان العالم الإسلامي.

- مؤسسات التعليم الديني بدولة البوسنة والهرسك تعاني من عدة مشاكل، منها ما هو مرتبط بمناهجها التعليمية، وأخرى بالتكوين الأساسي للمدرسين والطلاب، على الرغم من فريدة هذا النموذج بمنطقة البلقان.
- تعرف العلوم الإسلامية صحوة كبيرة في منطقة البلقان عموماً وفي البوسنة والهرسك خصوصاً، وتحظى باهتمام بالغ من طرف العديد من الأساتذة والباحثين والدارسين، خاصة منهم خريجو مراكز التعليم في العالم الإسلامي.
- مساهمة علماء البوسنة والهرسك الرائدة في مجال تطوير العلوم الإسلامية والاعتناء بها، وذلك في عدة مجالات من أهمها الترجمة والتأليف، بالإضافة إلى تجويد وتطوير مناهجها وأساليبها.
- العلاقات التي تربط الشعبين المغربي والبوسني هي علاقات ود واحترام واعتزاز واعتراف، تترجمها انطباعات ومواقف عامة الشعب البوسني وخاصته عند تعاملهم مع شخص مسلم مغربي، إلا أنها لا تعكس البتة العلاقات الرسمية بين البلدين في مختلف المجالات.
- وانطلاقاً من النتائج المتوصل إليها اقترحت الدراسة مجموعة من التوصيات كمنتوج علمي، يمكن إجمالها في النقاط التالية:
- ضرورة الانتباه إلى هذه المنطقة من قبل الجامعات الإسلامية العريقة، كجزء من العالم الإسلامي.
- التركيز على التراث الإسلامي العريق للمنطقة منذ العهد العثماني.
- التعريف بالنماذج والأشكال التعليمية الموجودة بهذه المنطقة لدى مختلف مسلمي العالم.
- عقد ندوات ومؤتمرات دولية يشارك فيها خبراء في التربية منتمون لهذه المنطقة ولمؤسسات التعليم في العالم الإسلامي.
- عقد شراكات علمية وتربوية بين مختلف المراكز التعليمية في العالم الإسلامي من جهة ومنطقة جنوب شرق أوروبا (البوسنة والهرسك خصوصاً) من جهة أخرى.
- اشتغال مراكز التعليم في العالم الإسلامي، وخاصة منها القرويين والزيتونة على تطوير نموذجها التربوي والعلمي، بما يؤهلها للانفتاح على هذه المنطقة والإسهام في الارتقاء بنموذجها المتاح حالياً.
- التفتت المنظمات الإسلامية العالمية (الإيسيسكو، الأليسكو، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، اتحاد الجامعات الإسلامية...) إلى هذه المنطقة.
- توقيع اتفاقيات للشراكة والتعاون في مجال الدراسات الجامعية والبحث العلمي بين المغرب ودولة البوسنة والهرسك، بإشراف المشيخة الإسلامية بسراييفو والمؤسسات التعليمية المغربية.

- تفعيل بنود هذه الاتفاقيات على مستوى إرسال واستقبال الخبراء والأساتذة لتنزيل برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وبناء وتقويم وتطوير مناهج تدريس العلوم الإسلامية وغيرها.
 - فتح فرص لاحتضان مؤسسات تعليمية مغربية للطلبة والباحثين من البوسنة والهرسك.
 - حث مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالمغرب، وخاصة منها كلية أصول الدين بتطوان، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، على الاستجابة لتطلعات وحاجيات الطلبة والباحثين البوسنيين الراغبين في الاستفادة من دوراتها التكوينية.
 - اضطلاع كلية الدراسات الإسلامية بسراييفو، وكلية التربية والدراسات الإسلامية في زينيتسا، وكلية التربية الإسلامية في بيهاتش بالأدوار المنوطة بها، كمؤسسات متخصصة في البحث التربوي والعلوم الإسلامية.
 - إحداث مركز تربوي بمثابة معهد عالي يضم في أعضائه خبراء وأخصائيين من المغرب والبوسنة والهرسك، ومن مختلف البلاد الإسلامية، بهدف تقويم ومراجعة المناهج التعليمية الدينية بالبوسنة والهرسك وبالمغرب، والوقوف على جودة الخدمات التعليمية بالمؤسسات التعليمية الدينية بهذين البلدين.
 - إشراك الباحثين والأساتذة بدولة البوسنة والهرسك في الندوات والمؤتمرات والمناسبات العلمية التي يحتضنها المغرب.
 - من المهم جدا إيفاد مدرسين للغة العربية من مختلف البلاد العربية والإسلامية لتعليم الطلاب البوسنيين اللغة العربية من منبعها الأصلي.
 - تخصيص مختلف الجامعات الإسلامية لمنح دراسية سنوية للطلاب البوسنيين، خاصة المتفوقون منهم في العلوم الإسلامية.
- لقد حاولت هذه الرسالة فتح نافذة علمية على المنطقة، وأوصت الباحثين والمهتمين بالشأن التعليمي بالدخول عبرها لسبر أغوار العلوم الإسلامية والتعليم الديني بالبلقان عموماً، في مختلف التخصصات والمجالات.

قراءة تحليلية في تحول الفن المقدس من الفعل التعبدى والممارسة الطقوسية إلى الفن الدينى والممارسة الفنية الإستيطيقية

Analytical reading in the transformation of sacred art from devotional act and ritual practice to religious art and aesthetic artistic practice

إعداد: د. جوهرة القدس عكية: أستاذة وباحثة من المملكة المغربية.

Prepared by: Dr. Jaouharat Al Qods Aggya: Professor and researcher from the Kingdom of Morocco.

المخلص:

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على الفن المقدس، باعتباره فنا تبلور في إطار ممارسة تواصلية مع المقدس، وأسس للفعل التعبدى ولطقوس العبادة. لينتقل الفن بعد ذلك من وضع الفن المقدس الذي كان فعلا تعبديا امتزجت فيه الممارسة الفنية مع الممارسة التعبدية، إلى وضع الفن الدينى في مرحلة لاحقة عن مرحلة الفن المقدس، ذلك أن المعادل الدينى كان أحد المرسخين الأساس للقيم الفنية في المجتمع، وكان الولوج للطقس الدينى لا يتم إلا عبر بوابة الفن. فضلا عن تبيان ما نجم عن هذا التحول من إعادة تشكيل صورة الفن، فكانت تلك لحظة مفصلية في تاريخ الفن. وتم التوصل إلى أن الفن شديد الارتباط بمختلف الفئات الاجتماعية، وأن لغة الفن قاسم مشترك بين سائر الجماعات البشرية مهما اختلفت لغاتها وتباينت ثقافتها وأنماط تفكيرها. وهي جسر رابط بين داخل الكائن وخارجه، إذ تكفل للفرد العبور من الطبيعة إلى الثقافة، كما هو الحال في الظاهرة الطوطمية، حيث ينصهر الفردي المحدود والمتناهي في الكوني اللامحدود واللامتناهي، ويتحرر من كل الأشكال الدنيوية ويندمج في تجربة المقدس المتعالي. ولذلك عد الفن تجربة "شبه دينية" شخصية وجدانية تتم خارج نطاق الحواس فلا تفيدها قيود الواقع ولا المنطق. وتم التعامل في هذا البحث مع مناهج مختلفة، وتبني مقاربة تحليلية. وخرج البحث بتوصية مفادها أن الفن وسيلة لنقل تجارب الذات والجماعة من عادات وطقوس وعبادات ومعتقدات، ومظهرا من مظاهر النشاط الفكرى الذى يسعى إلى خلق عالم غريب، مفارق للواقع. وأن الفن هو تلك القوة الروحية المتعالية، والفعل الخلاق الذى يغذيه الوحي والإلهام، وأنه تعبير مطلق عن النموذجية المقدسة.

الكلمات المفتاحية: الفن المقدس، والفن الدينى، والفن الإسلامى، والقيمة الإستيطيقية.

Abstract:

This study aimed to shed light on sacred art, as it is an art that crystallized within the framework of a communicative practice with the sacred, and the foundations of the devotional act and ritual worship. After that, art moved from the status of sacred art, which was actually devotional, in which artistic practice was mixed with devotional practice, to the status of religious art at a later stage than the stage of sacred art, because the religious

equivalent was one of the anchors of artistic values in society, and access to religious ritual was not It is done only via the art portal. As well as clarifying what resulted from this transformation of reshaping the image of art, this was a defining moment in the history of art. It was concluded that art is closely related to various social groups, and that the language of art is a common denominator among all human groups, no matter how different their languages, cultures and patterns of thinking. It is a bridge linking the inside and outside of the being, as it ensures the individual to cross from nature to culture, as is the case in the totemic phenomenon, where the limited and finite individual is fused into the infinite and infinite cosmic, liberated from all mundane forms and merged into the experience of the transcendent sacred. Therefore, art is considered a personal and sentimental “semi-religious” experience that takes place outside the realm of the senses and is not constrained by the constraints of reality or logic. In this research, different approaches were used, and an analytical approach was adopted. The research came out with a recommendation that art is a means of conveying the experiences of the self and the group in terms of customs, rituals, worship and beliefs, and a manifestation of intellectual activity that seeks to create a strange world, separate from reality. And that art is that transcendent spiritual force, and the creative act that is nourished by revelation and inspiration, and that it is an absolute expression of sacred idealism.

Keywords: sacred art, religious art, Islamic art, and aesthetic value.

المقدمة:

تشير جل الدراسات التي تعنى بنشأة الفن المقدس إلى أنه خرج من بين الطقوس الدينية والشعائر التعبدية، وأن الكثير من الممارسات الدينية والسحرية في المجتمعات البدائية كان لها طبيعة درامية. ولعل هذا ما يؤكد تاريخ المسرح بدءا بالمسرح الفرعوني الطقوسي الكهنوتي المنبثق من الطقوس الجنائزية، ومرورا بالمسرح الإغريقي المنحدر من إقامة شعائر التعبد الديونيزورية، وأناشيد "الديثرامب". إن أصل المسرح احتفال ديني تقيمه مجموعة بشرية تخليدا لشعيرة زراعية أو تمجيدا لطقس إخصاب، وأن هذه الاحتفالات الدينية أسست لبدايات المسرح، وحافظت على عمقه المقدس. ومما تجدر الإشارة إليه، أن هذا النشاط الإبداعي التحم بالكاهن بدلا عن الشاعر، وبالمعابد والمذابح عوضا عن الساحات العمومية والمسارح، فأصبح الفن المقدس تعبيراً فنيا لا ينفصل عن القداسة. بهذا التحديد، ووفقا للمعايير الطقوسية، فإننا نشاهد استعمال الطقوس في التصرفات السحرية والدينية، وفي بقية أنواع الممارسات التي تقرها العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع، بل أحيانا تحل الطقوس محل الدين في بعض الجماعات، فالطقوس هي نوع من أنواع السلوك الاجتماعي له صفة رمزية تنعكس في الشعائر والممارسات الدينية، ويعبر عنها في سياق العادات والتقاليد.

تماشياً مع هذا الأفق، فإن ارتباط الفن في مدلوله الجوهري يظل وثيق الصلة بالنشاط التركيبي الإبداعي، وأن جمالية التعبير الفني مرتبطة بالدلالة الرمزية المنتجة للمعنى والمعرفة، ذلك أن "الفن ليس أحلاماً فقط، بل إنما امتلاكاً للغة التعبير عن هذه الأحلام"⁽¹⁾. وهكذا، يعمل الفن على تطويع المعرفة لفائدة المعنى، وهو التطويع الذي خول للفنان أن يكون ذلك الساحر العجيب. فالأعمال الفنية الكبرى كالملاحم والأساطير والسير الشعبية والأشكال التعبيرية؛ كالسمفونيات والمقطوعات الموسيقية واللوحات التشكيلية والمنحوتات التجسيمية والقصائد الشعرية، تنتظم جميعها وفق لغة رمزية تترجم الأحاسيس والعادات والمعتقدات.

ولما كان الفن أصدق أنباء التاريخ في تجلياته للأحداث والحقائق الخفية، كان ضرورة من ضرورات الواقع حسب "جان كوكتو"، وأصبح متلازماً مع الإنسان كتلازم الدين معه، منذ أن وجد على وجه البسيطة، وتلازمهما مع الإنسان كان لا بد أن يتلازما معاً، حيث استقى الفن مواضيعه

¹ A. Malraux (André): Psychologie de L'art: La Création Artistique, Paris, Skirs, 1948, P 124.

من الدين، واكتسب الدين قوته بالفن، بحسب قوة الاعتقاد وضعفه في النفس البشرية، فكان الفن وقفا على الإنسان، وعلى معيشته اليومي، وفي خدمة عقيدته.

المنهج:

عمدنا في هذا البحث إلى التركيز على المفاهيم الإجرائية الخاصة بكل حقل معرفي على حدة، وإلى تبني مقاربة تحليلية باعتبارها مقاربة للتعامل مع الظواهر – سواء دينية، أو ثقافية، أو اجتماعية، أو سياسية، وعناصرها البسيطة؛ تقوم على أساس تفكيك الظواهر المختلفة إلى مكوناتها الأولية، ودراستها دراسة تفصيلية، وفهم أنماط التفاعلات الموجودة فيما بينها قصد استنباط القوانين العامة التي تحكمها.

مشكلة البحث:

يعالج البحث مسألة تحول الفن المقدس عبر التاريخ إلى ما يعرف بالفن الديني الذي يرتكز على معتقدات دين معين مستلهما إياها في محتواه وروحه، مع رصد مراحل تطوره وكشف ما أسفر عنه هذا التحول من إعادة تشكيل صورة الفن في الغرب على وجه الخصوص، فضلا عن ضرورة التمييز بين كل من الفن المقدس والفن الديني؛ باعتبار هذا الأخير مرحلة لاحقة لمرحلة الفن المقدس الذي كان تعبيراً تعبدياً امتزجت فيه الممارسة الفنية مع الممارسة التعبدية في مختلف تجلياتها.

توطئة:

شكلت ممارسة الفن جزء من حياة الإنسان الأول في صراعه من أجل البقاء، وفي الطقوس الدينية والسحرية أو خلال الصيد، فكانت مباشرة الطقس الديني لا تتم إلا مصحوبة بالرقص والموسيقى وأشكال متعددة من التماثيل والرسومات. وقد كان للرسوم والصور التعبيرية التي عثر عليها منقوشة على جدران الكهوف والمعابد وقطع الفخار والعظام دورا بارزا في مدنا بالعقائد الوثنية، التي كانت سائدة في وادي النيل وبلاد الرافدين قبل ألف سنة من الميلاد. وقد تنوعت الرسومات والنقوش القديمة بحسب المناطق الحضارية آنذاك، وأشهرها ما كان مرفوقا بالكتابة السومرية أو الكتابة المسمارية في بلاد بين النهرين، أو الكتابة الهيروغليفية في مصر. وتدل هاته الرسومات والنقوش على الآثار والوثائق التي خلفها السومريون في بلاد الرافدين وعلى حضارة المصريين القدماء، وقد استخدم هؤلاء الصور التعبيرية المنقوشة على الآثار واللوحات التذكارية الصغيرة ذات الكتابات المحفورة والمرسومة بالألوان على الجدران الداخلية للمعابد والمقابر، وقد

بدا من نقوش السومريين والآشوريين ونقوش قدماء المصريين على جدران معابدهم، أن الرقص والموسيقى كانا يمارسان ضمن الشعائر الكهنوتية للوصول إلى النشوة الدينية. فضلا عن ممارسة نوع معين من الرقص في المناسبات والأعياد وفي أروقة المعابد لإقامة الشعائر الخاصة كطقس من طقوس العبادة والتقرب.

الرقص "القدسي" والموسيقى "القدسية"

ارتبط الفن ارتباطا وثيقا بدين الإنسان الأول، ومن الجلي أن الدين في كل مكان وزمان له تأثيره الكبير، لذلك لم يكن مستغربا أن ينشأ الفن في كنف الدين في شكل عروض دينية ولدت ونمت وترعرعت في رحاب المعابد، ومن ثم بروز "الرقص القدسي" و"الموسيقى القدسية"، إذ عبرهما تقام الطقوس الدينية، وقد كانت هذه الطقوس تؤدي في حركات تعبيرية تعبدية مصحوبة بترانيم وأناشيد دينية. فالرقص هو ذلك الفن التعبيري المؤسس على الخطاب الحركي، والمحرر للجسد من رتابة الحركات اليومية الاعتيادية المألوفة، والمعبر عن الفرح أو الحزن بالانخراط في أجواء الموسيقى، فهو تعبير ذاتي أو جماعي يتغيا إمتاع الآخرين بحركات متسقة وإيماءات معبرة، أي تحريك البدن بطريقة منتظمة وبايقاعات متفاوتة الشدة. وإذا كان الرقص يحتكم إلى الضوابط الأخلاقية، فإن هناك رقصا متهتكا في مقابل الرقص المحتشم " تحررت فيه الحركة بحيث صارت أكثر تعبيراً عن الجنس، وتحرر الراقصون من الملابس، والطابع الجنسي يزيد فيه باستمرار" (2). ولما كان الرقص أكثر الفنون قدرة على التعبير بلغة الجسد، فإن علاقته بالدين وبالمقدس باتت وثيقة على مر العصور والأزمان، كونه يوطد التواشج بين العبد والمعبود ويثير مكامن الطاقة الروحية في الإنسان، عبر العروج به إلى العوالم العلوية القدسية والانغماس في أجوائها. لقد ارتبط الرقص بـ " الاعتقاد الديني للإنسان وكان من لوازم الاحتفالات الدينية عند جميع الشعوب والجماعات، والوسيلة لخدمة الشعائر، وإظهار الخضوع والإذعان لمقام الألوهية، وفي التوراة إن اليهود كانوا يسبحون بالرقص" (3)، ناهيك عن التقليد الذي ساد في العصر الفرعوني بوشم صور المعبود "إله الرقص" على أجسام الراقصات الفرعونيات، لاسيما من كن يرقصن في المعابد، حيث عثر على موميائهن وآثار الوشم لا تزال باقية على مواضع من جثتهن كجثة الكاهنة "أمونيت". فالرقص عندهن اقترن

(2) عبد المنعم الحفني: الموسوعة النفسية الجنسية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1992، ص: 46.

(3) محمد فهمي عبد اللطيف: الفن الإلهي، سلسلة المكتبة الثقافية، عدد 223، دار الكاتب العربي، 1969، ص: 41 و 42.

بـ"مفاهيم سحرية ودينية وبالقيام بوظائف تعبدية"⁽⁴⁾. وأما الموسيقى، فهي "علم رياضي يبحث فيه عن أحوال النغم من حيث الاتفاق والتنافر وأحوال الأزمنة المتخللة بين النقرات من حيث الوزن وعدمه، ليحصل معرفة كيفية تلحين اللحن"⁽⁵⁾. لذلك كان الغناء العنصر الأهم في الطقوس والشعائر الدينية، حتى أن نبي الله داوود عليه السلام كان يملك الصوت الحسن، ويستعين به في جذب الناس واستمالتهم، وقيل إنه كان يستمع لقراءته الزبور الجن والإنس والوحش والطير.

ويذهب "هيرودوت" إلى أن المصريين كان لهم اعتقاد راسخ كون ألحانهم الدينية ذات أصل مقدس، فضلا عن قدرتهم على خلق الألحان، وحمايتها من أي مؤثرات أو عوامل خارجية. وبالمقابل كانت معابد اليونانيين ملاذا للنساء ذوات العقول المضطربة للعلاج والاستشفاء بالموسيقى تحت إشراف الكهنة، فكن يرقصن على موسيقى صاخبة إلى أن يفقدن الوعي، وعند الاستيقاظ يكن قد شفين شفاء تاما. ولعل هذا ما رمى إليه أرسطو، حين تعليقه لسلوكات بعض الناس ممن يغيبون في حالة تشنج ديني، ولا يبرأون إلا إذا استخدموا من الألحان المقدسة ما يثير في نفوسهم حالة من الوجد الصوفي.

ومهما يكن من أمر، فإن الرقص والموسيقى القدسيين من أكثر الفنون ارتباطا بالتصوف كتجربة دينية، إذ كان المتصوفة يعمدون إليهما في ممارسة طقوسهم الصوفية، واستطاعوا "أن ينسقوا حركات الذكر تنسيقا دقيقا، وأن يربطوا بينهما ربطا محكما يقوم على أصول فنية بارعة في الحركة والتلحين والإيقاع"⁽⁶⁾. وعلى هذا الأساس فاضت مواجدهم في خلوات التأمل والتفكير والتدبر، وفي مقامات المشاهدة والمكاشفة، تطهيرا للذات وتوطيدا لأواصر التواشج بين الخالق والمخلوق، وانغماسا في الحضرة الإلهية.

الفن الإسلامي والخلفية الإستيطيقية

اعتبر الفن عند المسلمين فنا زخرفيا، وكانت الزخرفة عنصرا بارزا ومميزا في حياتهم، إذ هدف المسلمون من خلالها إلى تجميل الحياة والاستمتاع بزینتها، ولعل هذه الزينة في ذاتها مستوحاة من المبادئ الإسلامية السمحة، لقوله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَشْرِبُوا

(4) عادل كمال الأوسى: الرقص الصوفي، مجلة أفاق عربية، العدد 5، 1981، ص: 129.

(5) صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص: 532.

(6) محمد فهمي عبد الطيف: المرجع نفسه، ص: 42.

وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (7). وقوله عز وجل: "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (8). وهناك العديد من الآيات التي تذكر المسلم بجميل خلق الله والزينة التي تملأ الكون، وفي السنة النبوية حث على التزين والتطهر والتطيب، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله جميل يحب الجمال".

وفي هذا الإطار تحديداً، عمل المسلمون على تجميل منشآتهم وصناعاتهم بالزخارف التي تميزت بطابع خاص موحد، ولعلها الوحدة العامة التي وسمت الأثر الفني الإسلامي؛ وحدة العقيدة الإسلامية والإيمان بالله تعالى، ووحدة الحضارة واللغة والثقافة المنبثقة من تلك العقيدة الإسلامية، فكانت الزخارف استجابة لنظرة المسلمين التأملية في الكون والتدبر في عظيم صنيع الخالق جل علاه، وقد تميزت بالأشكال النباتية المستوحاة من الطبيعة والتي تفرد بها الفن الإسلامي دون غيره. واستجابة لتعاليم الدين الإسلامي السمحة عدل الفنان المسلم عن مضاهاة الطبيعة، وانصرف عن تقليدها في رسمه الكائنات الحية والأشخاص، امثالاً وخضوعاً لشرع الله في تحريم التصوير ومضاهاة خلقه تعالى، لذلك عمل على ابتكار زخارف متنوعة مقتبسة من الطبيعة ومحورة عنها، بحيث لا تتعارض مع تعاليم الدين الحنيف، فاشتهرت في الفن الإسلامي الزخارف النباتية المحورة عن الطبيعة والمتميزة بالتفريعات الحلزونية والمنحنيات المتشابكة المتتابعة، مما أضفى عليها طابعا تجريديا فريداً، كان له بالغ الأثر في زخارف المسلمين، وبخاصة عمارة المساجد. ولقد استعان الفنان المسلم بأشكال الطيور والحيوانات المجردة في استلهام العديد من الزخارف المركبة والخرافية كالأحصنة المجنحة، وتوظيفها في كل ما يتعلق بالمعيش اليومي؛ في النسيج والسجاد والأواني واللباس.

الزخرفة الإسلامية

تتشكل الزخرفة الإسلامية من وحدات هندسية ووحدات رياضية يقصد من خلالها التفكير الرياضي بغية الوصول إلى حقيقة لا تتعلق بزمان ومكان معينين، من ذلك المثلث والمربع والمستطيل والمعين والدائرة، إذ تظل أشكال مجردة. وقد استلهم الفنان المسلم من الطبيعة وأشجارها وأوراقها وأزهارها وحيواناتها العديد من الأشكال التي تم تحويلها لتعطي تلك الحركة الانسيابية التي يحدثها

(7) سورة الأعراف ، الآية: 31.

(8) سورة الأعراف ، الآية: 32 .

تداخل وتشابك الأشكال الهندسية، مما يولد الديمومة والاستمرارية في حركاتها اللامتناهية. وتعتبر "الأساليب الأموية أول مدرسة ذات مزايا معينة في الفنون الزخرفية العربية، وهذه الأساليب عبارة عن تفرجات نباتية ومناظر صيد وصور لحيوانات مع زخارف فسيفسائية تمثل رسوم أشجار الفاكهة، إضافة إلى ما يبدو على هذه الزخارف من بعض التأثيرات الأجنبية"⁽⁹⁾. فالزخرفة فن قديم قدم الإنسان، إلا أن الفن الإسلامي أعطى لهذا اللون من الفن كينونة، فحور الأشكال وجردها لإحداث الحركة التي تعطي طابع الاستمرارية وتوحي بلانهاية الأشكال المتكررة لتحقيق الانسيابية. وبتأثير التحريم على فن "النحت" وفن "التصوير" اتجه الفن الإسلامي نحو "الزخرفة"، فأنشأ زخارف قائمة بذاتها وزخارف أخرى تحتويها الأشكال.

تأسيسا على ما سبق، يمكننا القول إن فرادة الزخرفة الإسلامية تكمن في العلاقة القائمة بين الوحدات الزخرفية المتكررة والمتنوعة في تكاملها الهندسي واتساقها الفني، ذلك أن الخطوط والأشكال الهندسية تجريد ذهني لما هو جزئي حتى يصير كليا. ولعله في اعتقادنا ما أتاح للوحدات الهندسية المتناهية تكوين أشكال لا نهائية، فكان الفن التجريدي مطية للانطلاق في التعبير عن المطلق واللامحدود.

الخط العربي

هتم المسلمون بالكتابة وأكبروا القلم وقدسوا العلم، ذلك أن أول آية نزلت في القرآن الكريم من سورة العلق "أَفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"⁽¹⁰⁾. هذا ويقسم الله عز وجل بالقلم في قوله تعالى: "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ"⁽¹¹⁾. لقد كان الخط العربي أول مظهر من مظاهر الفن والجمال الذي عني به العرب بعد إسلامهم، فعملوا على تجميله وتحسينه، ناهيك عن الحظوة التي نالها لتعامله مع حروف القرآن منذ نزوله، فأحاط الفنان الخط بقديسية وزين به المصاحف وزخرف به المساجد والمنابر والأضرحة والمقامات.

وذهب القلقشندي إلى أن المقصود بالخط العربي هو الخط الكوفي الذي انبثقت منه باقي الخطوط، وترجع أصوله إلى ما قبل بناء الكوفة، ذلك أن أول تسمية لهذا الخط بالكوفي نجدها في كتاب

(9) شاكر هادي غضب: الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمرآة المقدسة، ملحق التراث الشعبي، العدد 8، دار الحرية، بغداد، 1977، ص: 19.

(10) سورة العلق، الآية: 1.

(11) سورة القلم، الآية: 1.

الفهرست لابن النديم - المتوفي عام 999 م - حيث نقف على إشارات تفصح عن انتساب هذا الخط المعروف إلى الكوفة، وإلى تشكيله بوضع الحركات على يد أبي الأسود الدؤلي. في حين يرى عفيف بهنسي أن ثمة نقشا يدعى أم الجمال عثر عليه في جنوبي حوران، وهو "أقدم نقش يحمل كتابة من الخط المسمى الكوفي، ويرجع إلى عام 571م. وحروف هذا الخط بعضها مرتبط ببعضه والبعض غير مرتبط، كما يلاحظ فيه أن حرفي الجيم والحاء يشبهان صيغتهما في الخط الكوفي. أما نقش النمارة الذي عثر عليه في قصر النمارة في حوران (الجهة الشرقية من جبل الدروز) في مدفن امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب في سنة 328م، فقد دون بالخط النبطي المتأخر الذي يشبه الخط الكوفي"⁽¹²⁾. إن هذا النقش ليكشف لنا عن نشأة الكتابة من جهة، وأن ما يسمى اليوم بالخط الكوفي لا ينتسب إلى الكوفة التي شيئت فيما بعد، ذلك أن هذه الشواهد في واقع الأمر لتفضي بنا إلى تحديد مبدأ تطور الخط العربي عن الخط النبطي المتأخر.

وبناء على هذا التحديد، فإن الكتابة العربية ابتدأت بدون إعجام أو حركات، ثم بعد ذلك وضعت علامات الإعجام للتمييز بين الحروف المتشابهة وضبطها كالباء والتاء والثاء. ومما تجدر الإشارة إليه أن الخط الكوفي البسيط شاع في بداية القرن الثاني للهجرة، وجاء بعده الخط الكوفي المزهر ثم المورق في القرنين الثالث والرابع للهجرة، وأعقب ذلك خط النسخ في القرن السابع وخط الثلث في القرن الثامن، أما الخط الفارسي فهو آخر الخطوط وأحدثها وقد ظهر في بخارى في القرن العاشر الهجري.

ومهما يكن من أمر، فقد ثبت أن اللغة العربية قبل الإسلام كانت تكتب بخطوط أخرى؛ الخط الحيري نسبة إلى الحيرة، والخط الأنباري نسبة إلى الأنبار، والخط المكي نسبة إلى مكة المكرمة، والخط المدني نسبة إلى المدينة المنورة.

ولئن كانت الكتابة العربية والخط العربي هما عماد الفن والثقافة منذ ما قبل الإسلام، فإن تبلور شخصية الفن الإسلامي كان لها أثرها البالغ في تطور وتنمية الخط العربي الذي لطالما تمنطق في دائرة الفن الإبداعي عند المسلمين.

(12) عفيف بهنسي: الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، 1983، ص: 10 و11.

العمارة الإسلامية:

كان في احتكاك المسلمين بالحضارات المجاورة وبأمصار الفتوحات الإسلامية، أن تأثروا بالغ التأثير بالأساليب البنظية والهيلينية والساسانية والإيرانية في فنون العمارة، ناهيك عن الإرث الحضاري العربي في شبه الجزيرة العربية. وعلى الرغم من تعدد المراكز وبعد المواقع وتباينها، إلا أنها حافظت على طابع الوحدة في فن العمارة الإسلامي. " لقد تشكل الفن الإسلامي في بلاد الشام أولا وهي بلاد عربية عريقة، وتعزز هذا الفن في العهد العباسي، وعلى هذه الأرض كانت آثار فنون أصيلة قديمة، وقد طبعت الفنون التي جاءت بعدها بطابعها، فليس الفن البنظي والفن الساساني إلا مظهرا من مظاهر تطور الفنون القديمة التي انتشرت في بلاد الرافدين وسورية. وعندما ظهر الإسلام حاملا تعاليم توحيدية قديمة، استفاد من التقاليد الفنية القديمة أيضا وكانت نسغه الأساسي"⁽¹³⁾.

ومما يؤكد هذا التعالق بين الفن الإسلامي الأول والفنون التي كانت شائعة آنذاك أن الترابط بينهما لم ينقص من أصالة الفن الإسلامي، كما أن الفن الشائع في تلك البلاد لم يكن إلا فنا محليا لا علاقة له بالسلطة والطبقة الحاكمة، وإنما ارتبط بالإنسان الذي صنعه، فكان فن الناس أصحاب الأرض، توارثوه عن أجدادهم ووسمته السلطة بطابعها. إن هذا المعطى ليكشف أن الصناع من أهل البلاد أنتجوا فنونهم وفق تقاليدهم المتوارثة التي تجلت في أعمالهم السابقة عن الإسلام - بغض الطرف عن الدين السائد أو السلطة الحاكمة - غير أن هناك من الصناع من تأثر بالإسلام وتعاليمه السمحة، فكان أن أنتجوا فنا راقيا ذا شخصية متميزة وخلفية جمالية إستيطيقية، ساهمت في تحقيق وحدة الفن العربي الإسلامي.

وفي ضوء ما ذكر سابقا، تتحدد وحدة الفن العربي الإسلامي أيضا في الوحدة المعمارية والزخرفية التي تكاد تشمل جميع جوانبه على الرغم من تعدد الأنماط الهندسية والزخرفية؛ كالأموي والعباسي والفاطمي والموحدي والأندلسي ... وغيرها، غير أن هذه الأنماط مجتمعة شكلت بائتلافها الأثر المعماري الإسلامي.

ولما كان الأمر كذلك، فإن "الإسلام كان أول ما أوحى إلى العرب في فن العمارة نظام المساجد باعتبار أن المسجد أصبح جزء مهما من عملية نشر الدين الإسلامي وتوضيحه، وقد ساعد الحج والتبادل التجاري على انتشار طرز المساجد العربية وتطورها في البلاد الإسلامية كافة"⁽¹⁴⁾. بهذا

(13) عفيف بهنسي: مرجع مذكور، ص: 6.

(14) شاكور هادي غضب: الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمرآة المقدسة، ص: 15.

المعنى، يمكننا أن نقول إن إلقاء نظرة متصفحة على المساجد الإسلامية في العصور المتأخرة والمتقدمة لتؤكد لنا اهتمام الصناع المسلمين الواضح بالفن الزخرفي وابتعادهم عن التصوير باعتباره محرماً، ذلك أن العرب قبل الإسلام عبدوا التماثيل وألهوها، فكان من الطبيعي أن يتأثر فن العمارة بهذا التحريم وبخاصة في المساجد الإسلامية والمرقد المقدسة. ولما كانت للمساجد أهميتها الدينية والحضارية عند المسلمين صار لزاما العناية بها، والعمل على تزيينها وزخرفتها، والحرص على إظهارها بالمظهر اللائق خاصة في البلاد المفتوحة. ويضاف إلى ذلك اهتمام الصناع المسلمين بالمحراب اهتماما شديدا، حيث أفردوا له الطرز المعمارية الخاصة، فأضحى آية من آيات العمارة الإسلامية. ومن ثمة، فإن المساجد أثرت تأثيرا كبيرا على الحركة الفنية الإسلامية.

ومهما يكن من أمر، فلئن كانت العمارة فنا يعكس المستوى الثقافي والفكري لكل تكتل سكاني، فإنه يظل قوة حضارية ضاربة في جذور التاريخ قدما، وسجلا مفتوحا في وجه الشعوب والأمم، وشاهدا على التاريخ وأحداثه وكاشفا لحقائقه المطموسة.

قيمة الجمال والخلق المقدس

قام الفن على مر تطوره التاريخي بتملك ثروة الواقع الجمالية، اعتبارا أن خصائص الواقع الجمالية موضوعية وذات طبيعة اجتماعية، فالجمال في الفن يتجلى في وحدة الأفكار والمثل، ووحدة المادة، ووحدة الموضوعي والذاتي .

صحيح أن الجمال في الفن ليس إلا فهم الإنسان للجمال مصاغا بصورة موضوعية، ولكن الأهم في الفن كذلك ليس تجسيد الجمال في مادته فحسب، بل إنما تجسيد الموقف من هذه المادة تجسيدا جماليا يستند فيه موقف الفنان الجمالي إلى خصائص مادته الجمالية، ليتكشف إبداعه من خلال تلك الخصائص .

وإذا كان الإنسان يحتاج إلى معرفة العالم بكل غناه وتنوعه، فإنه بالضرورة يحتاج إلى الحاسة الجمالية، أي إلى الفن والمتعة الروحية، ليحيط بظواهر العالم الواقعي بكل تعقيداتها وتجاوزاتها. ذلك أن إدراك الجمال في الظواهر يستمد وجوده من أحاسيسنا وحواسنا، وبخاصة حاستي البصر والسمع اللتين ينفذ من خلالهما الجميل إلى وعينا، فيخلق بدواخلنا لذة جمالية عظيمة. ولهذا، واستنادا إلى هاتين الحاستين أصبح بالإمكان استيعاب القيم وكل ما هو جميل.

ومن ثم، فإن الجميل كقيمة "قد تأخذ معنى مرادفا لمصطلح الجمالي "Aesthetic" أحيانا، وقد تأخذ في أحيان أخرى معاني مختلفة ترتبط بهذه القيمة أو تلك أو بفتة من القيم دون غيرها، كأن ترتبط بالقداسة مثلا أو الخير "Goodness"، وإن كان هذا الارتباط محل جدل بين علماء الأخلاق من جهة وعلماء الجمال من جهة أخرى، من حيث أن علاقة الجمال بالخير ليست واضحة تماما، لأن الفن يمكن أن يقدم تعبيراً تاماً عن الشر في عمل فني جميل"⁽¹⁵⁾.

ولما كان الأمر كذلك، فإننا نعتبر الفنان إنساناً اصطفاه الله ليقوم بمهام إبداعية و"تعبدية" تحول دون الاستخدام البشع للفن والجمال بمحاربة كل أساليب الاستهجان والتدني، والعمل على إظهار قيم الجمال والكمال والحب والخير والقداسة، والرقى بهذا الإنسان من أسفل الدرجات إلى أعلى الدرجات، والحلول بالعوالم العلوية الرفيعة، ليرى الجمال الإلهي، ويعمل بمقتضاه بوعي أخلاقي متجمل، تأكيداً لإنسانية الإنسان وتعميراً للأرض بالفن والإبداع الذي يصبح هنا من صنو العمل الصالح. وهكذا، اعتبر الجمال أصلاً في البناء الكوني، ونظر إلى الفن على أنه احتجاج دائم ضد علامات القبح، حيث إن القبح ليس إلا درجة من درجات الجمال متدنية لإظهار درجات الجمال، والترقي صعوداً نحو الكمال من خلال الجمال والجلال والقداسة.

في التباس المقدس بالجميل:

تتحدد العلاقة بين المقدس والجميل من خلال الوقوف على السمات المميزة والمحددة لكل منهما، والكشف عن الفرق الذي يكمن في الدرجة وليس في النوع، ذلك أن كل جميل لا يخلو بالضرورة من القداسة، كما أن كل مقدس لا يخلو بالضرورة من جمال. فالجميل هو الساحر والممتع والحسن، في حين أن الجليل "Sublime" -الذي نقابله بالجميل- يؤدي إلى الدهشة والفرع والرعب والعظمة والروعة. وإذا كان الجميل يلتقي بالمقدس، فإن الفن هنا يصبح "ممرًا إلى القداسة من حيث هو يسهل أمر الانعتاق من الحياة ويمنح أجنحة، ويقدم في ومضة ما تقدمه القداسة"⁽¹⁶⁾.

وفي هذا الإطار، يتبين لنا أن قيمة القداسة تختص بالدين وتفترض الإيمان والرهبة، بينما ينفرد الفن بقيمة الجمال ونشدها الخلاص، ذلك أن الخلاص "Salvation" لا يقتصر دائماً بالدين، فكما يوجد خلاص عن طريق الدين، فإن هناك خلاصاً عن طريق الفن. ولئن كان المقدس يمثل قيمة عليا

(15) حسن طلب: المقدس والجميل (الاختلاف والتماثل بين الدين والفن)، سلسلة حقوق الإنسان في الفنون والآداب، العدد 8، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، 2001، ص: 21.

(16) حسن طلب: المقدس والجميل؛ الاختلاف والتماثل بين الدين والفن، ص: 21.

وحقيقة مطلقة، فإن الجميل يشترك معه في تينك القيمة والحقيقة، ولعله ما حملنا على مقابلة الجميل بالجميل.

ومن ثم، لابد من وجود ذوق حتى نحكم في شأن شيء جميل، بل لابد من عبقرية لإبداع شيء جميل، فالتذوق الجمالي ليس فقط متعة حسية، وإنما غبطة روحية تجعلك تشارف حدود الاكتمال والاتحاد بالمطلق، شأنه في ذلك شأن من يملك الإحساس بالجميل الذي يحملك إلى حد التقوى والخشوع من خلال عقل يدرك الحق، أي الرهبة الجلالية، وإرادة تستقطب الخير، أي الرهبة الأخلاقية، وحس يستشعر الجمال ويصل حد الروعة، أي الرهبة الجمالية.

ويفيد هذا أن قيمة القداسة ليست نقيضا لقيمة الجمال، فهناك من جهة عنصر إيماني يؤلف بين المقدس والجميل، أي بين الدين والفن، من حيث التجربة في حد ذاتها. ومن جهة أخرى، التعبير عن هذه التجربة من خلال عناصر أخرى تجمع بين الدين والفن ممثلة في اللغة الاستعارية، لغة المجاز؛ في الأساطير والرموز، وهي لغة مشتركة بين المقدس والجميل.

تأسيسا على ما سبق، يتضح أن الفن المقدس يتحدد بانخراطه في تجربة المقدس، وفي إقامة تواصل معه، حيث "يدخل ضمن نظام العبادة، إنه لا يستهدف، في المقام الأول، إشباع حاجات جمالية، بل يرتبط ارتباطا وثيقا بالوظيفة التعبدية، وبالمشاركة في نمط الوجود المكرس"⁽¹⁷⁾.

الخلق المقدس والإبداع الإلهي:

خلق الله السموات والأرض والكون من خلال قول الحق "كُنْ"، فكانت الكائنات، وكان الإنسان، وكانت كل الموجودات ما بين كافه ونونه. خلق الله تعالى الإنسان بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وعلمه الأسماء كلها، وحمله الأمانة وأودعه عقلا مبدعا يفكر به، وروحا طاهرة متسامية متصلة بالملا الأعلى، واستخلفه أرضه ليعمرها بالإبداع والعمل الصالح، وجعله ذلك الكائن الجمالي المبدع، وذلك العبد المؤمن التقي الخاشع لجلال عظمته سبحانه، ووضع له منهجا يهندي به ليتسق جماليا مع نفسه ومع سائر المخلوقات الإلهية، ويعمل بموجب الجمال تحقيقا لإنسانية الإنسان.

ورد في القرآن الكريم في سياق الحديث عن حدث خلق الإنسان إشارات جمة إلى اعتبار الإنسان آية تدل بطبيعتها وخصائصها على وحدانية الله وعظمته، من ذلك خلق الإنسان من الأرض،

(17) محمد عطف: الروائي والمقدس في علاقات الرواية العربية والمقدس الإسلامي، ص76.

وليس في الأرض، مصداقا لقوله تعالى: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (18)، ولم يرد " فيها خلقناكم" ، فالإنسان خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه، وسواه وعدلهفي أحسن صورة، فكان الخلق بعد الإبداع، لقوله عز وجل: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ) (19)، ويشير الطبري إلى هذا المعنى، أي "في أعدل خلق وأحسن صورة" (20). ويتضح هذا التناسب المتسق والكمال في الخلق جليا في سياق الآية الكريمة: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (21)، ويؤكد القرطبي هذه الحقيقة في تفسيره "في أحسن تقويم"، قوله: "وهو أحسن ما يكون، لأنه خلق كل شيء منكبا على وجهه، وخلق هو مستويا، وله لسان ذلق، ويد وأصابع يقبض بها (...). ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيا عالما، قادرا مريدا، متكلم سميعا بصيرا، مدبرا وحكيما (...). فهذا يدل على أن الإنسان أحسن خلق الله باطنا وظاهرا، جمال هيئة، وبديع تركيب، الرأس بما فيه، والصدر بما جمعه، والبطن بما حواه، والفرج وما طواه، واليدان وما بطشته، والرجلان وما احتملتاه" (22).

وهكذا، يحتفي النص القرآني بالإنسان، ويرسم له سبيل الارتقاء، ذلك أن وجود الإنسان آية ودليل وعلامة وحجة على وجود الخالق وإعجاز خلقه، وبديع تصويره. وإن فناء الإنسان ليمثل بنص القرآن دليلا على قدرة الخالق وحمية البعث والنشأة الثانية.

تماشيا مع هذا الأفق، وجب التمييز بين الفن المقدس والفن الديني الذي "ينبني على معتقدات دين معين مستلهما إياها في محتواه وروحه. ولذلك، يمكن القول بأن الفن الديني هو مرحلة تالية لمرحلة الفن المقدس الذي كان نفسه تعبيراً تعبدياً تكون فيه الممارسة الفنية متداخلة بقوة مع الممارسة التعبدية في مختلف تجلياتها" (23).

(18) سورة طه ، الآية: 55 .

(19) سورة التين، الآية: 4.

(20) محمد بن جرير أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجزء الثالث، ص: 507.

(21) سورة غافر ، الآية: 64 .

(22) محمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، ص: 114.

(23) محمد عطف: المرجع نفسه ، ص: 76

الخاتمة:

ختاماً، إن العقيدة الإسلامية لم تأمر الناس باعتماد صيغة فنية محددة وفق قوالب نمطية كما هو الشأن في بعض العقائد والإيديولوجيات الأخرى، بل نقل الفن إلى دائرة الاختيار، فكان تحرراً للفن وبالتالي تحرراً للفنان. ومن هذا المنطلق تحديداً، ظلت المساجد باعتبارها أماكن للعبادة في منأى عن التماثيل والصور، وأصبح للعمارة الإسلامية كيانها الخاص والتميز. وهكذا، تحرر الفن من التجسيم والتصوير، واتجه شيئاً فشيئاً نحو التجريد والإبداع، وانطلق نحو المطلق واللانهاى، فأضحى الفنان المسلم يشتغل من خلال العقيدة، وليس من خلال القيد العقدي الوثني، مستلهما في ذلك أشكالاً فنية بديعة؛ من أنماط هندسية وزهرية وخطوط عربية وفسيفساء وزخرفة، فسمح الفن بالإنسان إلى تحقيق إنسانيته، ساعياً من خلال التصور الإسلامي للوجود إلى بناء حضارة جمالية قوامها الإبداع الذهني المؤسس لعوالم فنية وإبداعية سامية. وعليه، فإن الفن المقدس تبلور في إطار ممارسة تواصلية مع المقدس، وأسس للفعل التعبدى ولطقوس العبادة، لينتقل الفن بعد ذلك من وضع الفن المقدس الذي كان فعلاً تعبدياً امتزجت فيه الممارسة الفنية مع الممارسة التعبدية، إلى وضع الفن الدينى.

النتائج:

باستقراء عام للمراحل الكبرى لتاريخ الفن في أبعاده القيمية والعقائدية، بل وحتى الإبيستمولوجية، يمكننا الوقوف عند محطات تطويرية بارزة لعل أهمهما:

- مرحلة العصور السابقة للإسلام: ارتبط خلالها الفن بعلاقة تلازم مع الإنسان، فشكل أداة لخدمة العقائد الوثنية، حيث استلهم مضامينه ومواضيعه من الدين، كما استمد الدين قوته من الفن. فقد نحت الإنسان القديم على جدران الكهوف تماثيل وتصاوير قدسها بل وعبدها على أساس أنها الآلهة الخالقة. وخلال العصر الذهبي الكلاسيكي الإغريقي تركزت أعمال الفنانين بالأساس على منحوتات آلهة الحب والجمال "تمثال فينوس" مثلاً، مستلهمين مواطن الجمال في المرأة، وأضحى الفن في العقائد في تجسيدها للآلهة وعبادتها، فعبدت عدة أشكال مجسمة تعبر عن رموز "طوطمية" اعتقاداً بأن الأرواح حلت بها، كما عبدت ظواهر طبيعية نحتت لها تماثيل ووضعت لها رموزاً مجسمة في شكل أصنام تعبد وتقدس. وظل الفن دليلاً على أشكال وأنواع العقائد التي تمارسها تلك الشعوب.

- مرحلة الإسلام: يرى الكثير من الدارسين أن القرن السابع الميلادي شكل طفرة نوعية في تحرر الفن من الأسر الكهنوتي عندما أقدم الرسول على تحطيم الأصنام عند فتح مكة، فكان ذلك إيذاناً بتحول الفن من خدمة الآلهة إلى خدمة التدين في الإنسان.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. محمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، الجزء الأول، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، 1935.
3. محمد بن جرير أبو جعفر الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجزء الثالث، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000.
5. محمد عطف: الروائي والمقدس في علاقات الرواية العربية والمقدس الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، تحت إشراف حسن المنيعي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهرز، فاس، المغرب، 2000.
6. محمد فهمي عبد اللطيف: الفن الإلهي، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد 223، دار الكاتب العربي، 1969.
7. شاكر هادي غضب : الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمرآد المقدسة ، ملحق التراث الشعبي، العدد الثامن ، دار الحرية، بغداد، 1977.
8. صديق بن حسن القنوجي : أبجد العلوم، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.
9. عفيف بهنسي : الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، 1983.
10. عبد المنعم الحفني: الموسوعة النفسية الجنسية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1992.
11. عادل كمال الألوسي: الرقص الصوفي، مجلة آفاق عربية، العدد الخامس، 1981.
12. حسن طلب : المقدس والجميل (الاختلاف والتماثل بين الدين والفن)، سلسلة حقوق الإنسان في
13. الفنون والآداب، العدد الثامن، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، 2001.
- 14.A. Malraux (André): Psychologie de L'art: La Création Artistique, Paris, Skirs, 1948.

قراءة في المساهمة الثقافية للمرأة في المجتمع الشنقيطي

A reading of Women cultural contribution to the society of Shinqitti

إعداد: د. بخوته الشيخ الصوفي: أستاذة لدى وزارة العمل الاجتماعي والطفولة والأسرة،

موريتانيا

Vadila83@yahoo.fr

**Prepared by: Dr. Bekhouthe Cheikh Soufi: Professo rat the Ministry of
Social Affairs, Children and Family, Mauritania**

المخلص:

يعد الاهتمام بتاريخ المرأة ثقافة وتأثيرا من أهم المسائل التي ماقتنت تشغل الباحثين والمهتمين بالشأن النسائي، وفي هذا الإطار يندرج هذا البحث الذي يتناول موضوع "الاسهام الثقافي للمرأة في المجتمع الشنقيطي"، حيث يسعى هذا البحث الى الكشف عن مدى تأثير المرأة في الثقافة الشنقيطية (الموريتانية)، ومن ثم محاولة البحث عن بدايات الكتابة النسائية في موريتانيا ممثلة في الانتاج الأدبي النسائي في الفترة الشنقيطية، ومدى تأثير ذلك الانتاج في الوعي الجماعي، وإن ظل الحضور الثقافي للمرأة خلال هذه المرحلة ضعيفا، نظرا لتحكم سلطان العرف والعادات، إلا أنه في المقابل كانت توجد اصوات نسائية ساهمت في تشكيل المشهد الثقافي الشنقيطي، وهو ماهدفنا الى اظهاره من خلال هذا البحث، حيث اتضح لنا من خلال المعلومات المتاحة وكنتيجة أولية وحتمية أن المرأة الشنقيطية كان لها حظ من الثقافة المكتوبة المتداولة في الوسط الاجتماعي، وإن كان يصعب تقويم ذلك الاسهام الثقافي، ومن هنا ندعو الجهات المعنية بحفظ التراث الموريتاني، إلى جرد شمولي للتراث النسائي المادي منه وغير المادي، ومن ثم محاولة تمحيصه ودراسته، بشكل جاد، ينادى عن الاغراض والمصادر الجاهزة والأنية.

كلمات المفتاحية: المرأة - الثقافة - المجتمع الشنقيطي - الاسهام الثقافي - موريتانيا.

Abstract:

Interest in the study of women history and impact is one of the topics that attracted the researchers in the domain of women studies. This research is a contribution to such an effort. It focuses on the “women cultural contribution to the society of Shingiti”. It seeks to identify the degree to which Mauritanian women impact the culture of their society. Therefore, it backtracks Mauritanian women’s early writings as reflected in literature in the Shingiti era and how such writings impact the collective consciousness despite the fact such a literature was minimal because of the power of societal traditions and customs. Yet, we noticed some women voices that contributed to the manufacturing of the collective cultural of Shingit. Many of the

cultural literature of the society of Shiquit that were collected were written by women. However, such a literature cannot be evaluated unless it is collected entirely and rigorously studies away from objective judgment and pre-determined conclusions.

Keywords: Women-The culture - Shanqeetti socity - cultural contribution - Mauritania.

المقدمة:

إن الاهتمام بتاريخ النساء ثقافة وتأثيرا يعتبر من أهم المسائل التي ما فتئت تشغل الباحثين في الحقل المعرفي، ذلك أن الكشف عن تاريخ المرأة، بخصوصياته، وتجلياته المميزه له عن باقي التاريخ الاجتماعي، كان ضمن اهتمامات البحث الأكاديمي في العالم، ولئن كان من الصعوبة بمكان الخوض في موضوع لم ينفرد به التأليف من قبل في المجال الشنقيطي، بحيث لم تنل الثقافة النسائية بشكل عام حظا من البحث المعاصر، فحتى الآن لا توجد أية دراسة جادة تسعى إلى تأصيل للإرث الثقافي النسائي في بلاد شنقيط، وذلك بسبب ندرة المطبوع والمنشور من الإنتاج المعرفي النسائي من جهة، والعزوف عن القراءة والكتابة في أوساط النسوة من جهة أخرى، وإن كانت المرأة الشنقيطية تشترك مع بنات جنسها عامة فيما يتعلق بالجدور الثقافية من حيث الكليات وتتميز بأنها كانت عبر الزمن بدوية ولما يكد يستقر قرارها في ميدان الثقافة.

وفي هذا الإطار يندرج هذا المقال الذي يتناول موضوع "الاسهام الثقافي للمرأة في المجتمع الشنقيطي"، والذي انتهجنا فيه منهج التاريخ الوصفي بغية سبر اغوار الثقافة الشنقيطية، ومعرفة مدى تأثير المرأة في ذلك السياق، ثقافة وحضورا، ومن هذا المنطلق تكمن اهم اهداف البحث والتي تتمحور أساسا في محاولة نفض الغبار عن بعض ملامح الثقافة النسائية في الفترة الشنقيطية والتي مثلت مرحلة ازدهار التواصل العلمي بين العلماء الشناقطة ونظرائهم المشاركة. حيث ينبع اختيارنا من محددين أساسيين هما: الحيز المجالي (بلاد شنقيط)⁽¹⁾، والإطار المعرفي مثمثا في (الاسهام

(1) بلاد شنقيط: هي اسم علم لحاضرة موريتانية تقع في الشمال الموريتاني الحالي على بعد (460/كلم)، من العاصمة انواكشوط، وقد اشتهرت بالعلم وازدهار الثقافة، ومن هنا استعير الاسم للدلالة على المجال الموريتاني الحالي.

الثقافي للمرأة⁽¹⁾، ومن ثم محاولة فهم الاشكالية الأساسية التي تكمن في البحث عن بدايات الكتابة النسائية في موريتانيا ممثلة في الانتاج الأدبي النسائي في الفترة الشنقيطية، وعن مدى تأثير ذلك الانتاج في الوعي الجماعي وعلى النخب الفكرية؟ وماهي عوائق الانتاج الثقافي النسائي في مجتمع ظل الى عهد قريب رهين القول المأثور بأن "صوت المرأة عورة، فكيف بقلمها"؟

المبحث الأول: المرأة في المجتمع الشنقيطي

1) المرأة من حيث المكانة والتأثير

لقد استمدت المرأة الشنقيطية (الموريتانية)، مكانتها التليدة من القيمة المعنوية والمادية التي كان يوليها المجتمع لها، وقد اكتشف ابن بطوطة خلال رحلته في القرن الرابع عشر الميلادي لمنطقة ولاته أو إيولاتن، ما تتمتع به المرأة الشنقيطية من إجلال وتقدير حين قال: «... ولنسائها الجمال الفائق وهن أعظم شأنًا من الرجال»⁽²⁾، وقبل ذلك احتلت المرأة في مجتمع الملتئمين مكانة راسخة، تتجلى في ممارستها لوظائف عدة، وقيامها بأدوار مختلفة، داخل البيت وخارجه، ففي حين كانت فيه المرأة في معظم المجتمعات الإسلامية قابعة وراء الجدران، كانت المرأة في صحراء الملتئمين تشارك الرجل في كثير من الأعمال.

إن طبيعة المجتمع الشنقيطي القائمة على الترحال وعدم الاستقرار تتطلب مشاركة الجميع في العمل ومصارعة الحياة في الصحراء، فكانت المرأة تقوم بالتخيم والأعمال المنزلية والظعن⁽³⁾، كما كانت تشارك الرجل في رعي المواشي، وتساهم أحيان أخرى في الحروب؛ خاصة عندما يتعلق الأمر بصد الغارات عن الحي أو المدينة التي تقطنها⁽⁴⁾، وهكذا ساهمت طبيعة المأوى في منع المرأة الشنقيطية من العزلة التي عرفتتها مثيلاتها في المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى، فكانت الخيمة المكان الذي يأوي إليه الجميع، سواء تعلق الأمر بأفراد الأسرة أو بالضيوف، وقد سمحت تلك الوضعية للمرأة بحرية حضور الجلسات المشتركة بين الرجال والنساء، فكانت تستقبل الضيوف في

(1) الثقافة النسائية: مصطلح حديث النشأة، ظهر في بداية السبعينات من القرن الماضي في الغرب إثر الاهتمام بقضايا المرأة الفكرية وسياسية وقد استخدمناه هنا للدلالة على الاسهام الثقافي للمرأة الشنقيطية لما له من تميز.
(2) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، ط3، بيروت، 1987، ص609.

(3) الناني ولد الحسين، صحراء الملتئمين، دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الاقليمي، خلال العصر الوسيط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007، ص. 166.

(4) أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق: مصطفى أبو ضيف، الدار المغربية للنشر، الدار البيضاء، 1985، ص. 380.

غياب الزوج وتكرمهم مع محافظتها على شرفها وعفتها⁽¹⁾. وهكذا؛ فإن الشأن المهم الذي كانت المرأة الشنقيطية تقوم به، قد مكنها من أن تحصل على أغلب الحقوق التي يتوفر عليها الرجل؛ إذ تشارك في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأمر العامة عن طريق حضورها في مجلس القبيلة⁽²⁾.

غير أنه وبالرغم من ذلك؛ فإن المرأة في بلاد شنقيط و ككل المجتمعات العربية، لم يكن بروزها إلى الحياة العامة مصدر إلهام لدى الناس، ولا باعثاً على السرور، وإن أحيطت بكثير من التبجيل والتكريم، فهي من صغرها مكرمة مدللة وهي: "شجرة رقيقة تعهد دائماً بالرعاية وتحاط بالعطف والحنان في الصغر، وفي الكبر تعنى بحسن المعاشرة والتبجيل"⁽³⁾، وهنا نورد مقولة الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين القلبي (ت1976)⁽⁴⁾ حين قال إن: «النساء عند عامة أهل القطر الشنقيطي كأنهن لم يخلقن إلا للتبجيل والإكرام والتودد لهن، فلا تكليف عليهن ولا تعنيف، فالمرأة سيدة البيت والرجل بمثابة الضيف عليها، ولها أن تفعل ما شاءت من غير اعتراض ولا مراقبة»⁽⁵⁾.

وعلى هذا الأساس، تعرف المرأة في المجتمع الشنقيطي العناية التي كانت تحظى بها من الرجل، فقد ضربت الأمثال في تكريمها، وجرت الحكم على الألسن في إحسانها، ومن ذلك قول المثل الحساني: "إنهن عمائم الأجواد ونعال الكلاب"، فالجميع مطالب بأن يعطف على المرأة ويعاملها بكل إكبار وتقدير وبكل مودة واحترام⁽⁶⁾.

وقد؛ وصلت المرأة في المجتمع الشنقيطي درجة هامة من التبجيل، جعلت المجتمع يربط صلاح الأبناء بتربية الأمهات، لذا شاع في المجتمع الشنقيطي ما اصطلح عليه بظاهرة "أولاد لعليات" وهم: مجموعة من النوابع ذكرهم التاريخ الشنقيطي، وأثروا في مجراه، وقد نسب كل منهم إلى أمه، وعيا من هذا المجتمع بأن هؤلاء الأفاضل هم من صنع أياد أمومية، وأشهر من لقب بأولاد لعليات: (محمذن البيدالي المكنى بابات1166هـ) الذي كان يطلق عليه "ابن امكياتت" (أحمد بن العاقل،

(1) الناني ولد الحسين، صحراء المثلثين: دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الأقليمي، خلال العصر الوسيط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007. ص. 166.

(2) نفسه، ص167.

(3) المختار بن حامدن، موسوعة حياة موريتانيا، ج2، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1990، ص 180-197.

(4) الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين، الجاش الربيط: في النضال عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط، ط 1، مطابع حزب الاستقلال، 1957.

(10) نفسه، ص.53

(6) محمذن بن أحمد بن المحبوبي، «المرأة الشنقيطية ونوزائل الزينة والبدانة، وقفة مع المنحنى الاجتماعي في التوجه الإفتائي»، مجلة الوسيط، ع 14، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 2015، ص. 3- 8.

ت/1244هـ)، ويطلق عليه "ابن عيتات" و(محنض بابا بن أعبيد، ت 1277هـ) "تانيت" وجميع هؤلاء علماء فطاحلة (1).

فسيدة الخيم تتمتع بسيادة مطلقة وسلطة لامتناهية، فهي تعطي وتمنع وتبيع وتشتري وهي المسؤولة عن تدبير مدخرات البيت، ولها الحق الكامل في التصرف بلا حساب ولا معاقبة، على خلاف ما نجده لدى المرأة في المجتمعات العربية والإفريقية التي لا تستطيع التصرف في أي شيء بدون إذن الرجل، حيث يبقى هو الأمر النهائي في البيت وخارجه.

وفي الفترة المعاصرة، اكتشف الرحالة الفرنسي (ريني كايي 1838/1799) (2)، ذلك التأثير الكبير الذي تحظى به المرأة الموريتانية في محيطها الاجتماعي، حيث عبر عن تأثره البالغ وإعجابه بالمرأة البيضانية في بلاد شنقيط قائلا: «إن لهؤلاء البيضانيات من التأثير على أزواجهن أكثر لما لسيداتنا الفرنسيات»، ويتحدث "ريني كايي" عن تعلم البنات عند مجتمع البيضان موضحاً أن نصبيهن من التعليم كان محدود؛ إذ يقتصر، في الغالب، على حفظ سور من القرآن وتعلم أحكام الصلاة، وبعض الأدعية، ومع ذلك توجد من بينهن بعض مثققات.

وعموماً تختلف مكانة المرأة في المجتمع الشنقيطي حسب الوسط، وما يزال انعكاس دورها في المجتمع قوياً حتى اليوم، وإن كانت ثمة تحولات عميقة تجري حالياً لدى مجتمعات نساء المجتمع البيضاني، حيث تتمتع المرأة بحياة فارغة نسبياً دون الزام بالعمل، إلا في المهام المنزلية، في حين أن نساء مجتمعات البولار والسونكي والولوف (3)، يساهمن في الأعمال المنزلية، ويشاركن في الأنشطة الانتاجية (الأعمال الزراعية، ورعاية الماشية، وغيرها..)، ويعترف المجتمع الشنقيطي للمرأة بحرية تملك المال، الذي تحوزه عند زواجها (برسم الجهاز أو الصداق أو الهدية مثلاً)، وأي مال آخر تملكه ملكاً شخصياً، ويمكنها مبدئياً أن تتصرف فيه كما تشاء، وأن تستصحبه في حالة

(1) أغل بنت عبد الله، المرأة الموريتانية بين أسر التقليد ورياح التغيير، بحث لنيل "الاجازة المتريز" المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، أنواكشوط، 1995-1996، ص.36.

(2) زار الرحالة الفرنسي ريني كايي منطقة لبراكنة في وسط موريتانيا 1924، وقطن فيها مايربو على تسعة أشهر، حيث اختلط بالسكان وعاداتهم، فكان له بعض الآراء حول المجتمع الموريتاني والمرأة فيه، تحدث عنها في رحلاته. راجع:

-René Caillé, **Travels through Cental Africa to timbuctoo, and Across the Great Desert, to Morocco, performed in the years, (1824-1828)**, Cambridge University, England, 2013.

(3) Cheikh Aidara, «la femme mauritanienne et l'histoire», journal Nouakchott, p7-9.

الطلاق، أما لدى المجموعات الفئوية الأخرى من الزوج، فإن الاعتراف بملكية النساء أكثر تقييدا بكثير، حيث يطلب من النساء الاستثمار في البحث عن الموارد الاقتصادية للأسرة، من خلال المساهمة في هذه الموارد بمواردهن الخاصة، وبقوة عملهن، ويطلب منها أن تشد أزرها بعمل يدها، وقد تعززت هذه العادات في أنماط الحياة خلال العقود الماضية.

ومنتهى القول إن المرأة في المجتمع الشنقيطي، ما فتئت تحظى بمكانة مرموقة، وإن اختلفت تلك المكانة من مجموعة لأخرى، وحسب عادات كل مجموعة وتقاليدها، إلا أنه في الأغلب، يبقى الطابع البارز لسلطان المرأة في هذا المجتمع، وهو ما يشكل نشاطا في المجتمعات الإسلامية العربية والزنجية ذات الصيغة الأبوية الحادة أحيانا، فقد سايرت المرأة الحركة الثقافية في بلاد شنقيط، رغم ما يكتنف ذلك من عوائق طاردة لأي إنتاج نسائي.

(2) الثقافة الشنقيطية والمرأة

عرفت "بلاد شنقيط" منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ازدهارا فكريا أطره الدارسون في سياق ما أصطلح عليه "بالنهضة الثقافية" في المجال الشنقيطي وهي: حركة ثقافية اتخذت تمظهرات مختلفة أبرزها: ازدهار الحياة العلمية التي رمزت لها المحاضرة، بأنشطتها المختلفة من غنى المكتبات واتساع قاعدة طلبة العلم (1).

وتعود جذور الثقافة الشنقيطية الى مؤسسة المحاضرة التربوية، التي يغلب عليها طابع التنقل وراء مساقط الغيث، وتسود منهاجها متون المذهب المالكي، والتراث الأدبي واللغوي العربي الأصيل، والعقيدة الأشعرية، والتصوف السني. واللافت للانتباه هو: تطور التعليم بالبوادي التي ورثت المكانة العلمية عن الحواضر، حيث شاع العلم كثيرا بالمحاضر البدوية، وصار أكثر نضجا وقوة بالرغم من قساوة الظروف الطبيعية، وشغف العيش وقلّة الوسائل، بيد أن هذه الاكراهات المادية والطبيعية لم تحل أبدا دون اشعاع التعليم وتطور المحاضر التي شكلت قبلة للطلبة، من شتى نواحي بلاد شنقيط وغيرها (2).

(14) محمد بوز نكاض، التواصل بين بلاد البيضان والمشرق العربي خلال القرنين 19 و20، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2014، ص. 147.

(15) الحسين حديدي، الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيطاني خلال القرنين 18 و19م، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2014، ص. 109.

لقد ساهمت تلك العوامل مع غيرها في تهيئة المناخ الملائم لتبوء المرأة المكانة اللائقة بها في مجتمع النخبة المتعلمة في بلاد شنقيط، وذلك من خلال احتضان هذه الربوع لنهضة ثقافية بلغ صيتها أقصى المشرق العربي، فيما ساهمت بعض فتاوي العلماء الشناقطة، والتي عززت أحقية المرأة في التعلم في ظهور اهتمام نسائي بالتحصيل المعرفي على الأقل في حقل العلوم الدينية، والأدبية. إذ، اختصر اهتمام غالبية النساء الشنقيطيات على دراسة السيرة النبوية الشريفة، ودراسة القرآن الكريم وبعض الأحكام الفقهية، وإن لم يمنعهن ذلك من أن مزاحمة الرجال على المعارف الأخرى⁽¹⁾.

وعلى هذا النحو حفظت النساء الشنقيطيات القرآن، ودرسن علوم النحو، والفقه والتشريع الإسلامي وسيرة الرسول ﷺ، وأنشأن محاضر ومدارس قرآنية مشهورة، وشاركن في أغلب مجالات الثقافة⁽²⁾، ولم ينقص من قيمة ذلك الانتاج أن أغلبه غير مكتوب، وأن جله يؤخذ بالممارسة والتلقين الشفهي⁽³⁾، وقد أورد الأستاذ عباس الجراري في كتابه: "ثقافة الصحراء" عشرات النساء اللاتي كان لهن اسهام جلي في الحياة الثقافية، ومن بينهن صافية بنت المختار، التي كانت مدرسة وعالمة بالتجويد والتفسير والسيرة والنحو⁽⁴⁾، بالرغم من المواقف المتشددة من بعض الفقهاء الشناقطة، الذين كان بعضهم يرى في مجرد صوت المرأة عورة، ناهيك عما يكتنف ذلك من كبت فكري وعقلي.

(3) مواقف الفقهاء من تعلم المرأة

إن نظرة الفقهاء الشناقطة، وإن انبثقت من النظرة الإسلامية بشكل عام ونظرة متأخري فقهاء المالكية بشكل خاص، والتي اعتمدت في مجملها على مبدأ تكريم المرأة ومسئوليتها أمام الله مع مراعاة الأحكام الشرعية من لزوم الستر بالحجاب وغير ذلك؛ فإنه لا يوجد فرق كبير بين تناول الفقهاء للأحكام المتعلقة بالمرأة وبين غيرهم من فقهاء المالكية المتقدمين، وهذا ما جعل جل متأخري المالكية يعتمدون على مبدأ الستر القاضي بعدم ظهور المرأة، وهذا الستر يفتضي ضرورة إخفاء

(1) الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص. 28.

(2) حواء بنت ميلود، المرأة الموريتانية بين ثنائية الاتفاق والاختلاف، المطبعة الوطنية، انواكشوط، 2002، ص. 12.

(3) محمد ولد عبد الحي، الجذور التاريخية للثقافة النسائية، فعاليات الندوة حول الثقافة النسائية في موريتانيا، وزارة الثقافة، يوليو 15-16، أنواكشوط 2001، ص. 10.

(4) عباس الجراري، ثقافة الصحراء الثقافة، الدار البيضاء، 1978، ص. 72.

المرأة كيانا وإنتاجا، وهذا المبدأ عند غالبية فقهاء الشنقطة، لا يقبل الاجتهاد لا لشيء إلا أنه لا يجوز الخروج على تفرعات متقدمي فقهاء المالكية (1).

فقد تميز الفقه الشنقيطي المتعلق بالمرأة بميله إلى التشدد في بعض المسائل، وذلك أخذا بمبدأ: "سد الذرائع" الذي هو أصل من أصول مذهب الإمام مالك، وفي المقابل يميل إلى التسهيل والتوسيع في مسائل أخرى، انطلاقا من طبيعة المجتمع وذلك أخذا بقاعدة "المشقة تجلب التيسير" (2). ومن دواع العجب هنا حين ترى أقوال الفقهاء الشنقطة والأحكام التي يذكرونها فيما يتعلق بالمرأة، ثم تقارن ذلك بواقع المجتمع، حيث نجد إخلالا كبيرا بهذه الأحكام في حجاب المرأة، وفي صلتها بالرجال مع سكوت كثير منهم على بعض المظاهر؛ حتى إن البعض يرى أن تغيير ذلك الواقع غير واجب (3).

ومع تلك التصنيفات كان يوجد استثناء، حيث نجد بعض الفقهاء، على الأقل في المحيط الاجتماعي الضيق، قد أشادوا بدور بعض النسوة في الثقافة والعلم، ومن امثلة ذلك ما أورده العالم الجليل سيدي عالي ابن النجيب ابن محمد ابن شعيب الشريف التكروري (ت1170هـ) عن ابنته عائشة بنت سيدي عالي النجيب وهي عالمة مشهورة قرأ عليها الشيخ سيد المختار الكنتي (4)، وقرأت عليه وكانت تناقشه في الأحكام، ولك أن تتخيل ما لهذه المرأة من جسارة، لتناظر الشيخ سيدي المختار الكنتي، وهو من هو في العلم والتبحر، ومع أنها عجزت أمام الشيخ في المناظرة إلا أنه أعترف لها بالعلم والمعرفة بقوله: «... وكان للشيخ ابنة تدعى عائشة عالمة» (5).

وقد أتى للشيخ محمد بن أحمد المنوري السوسي، أن يحتك بالشنقطة النازحين إلى جنوب المغرب إبان الاستعمار نحو عام (1330هـ/1912م)، فلفت انتباهه واقع المرأة الشنقيطية، وسجل انطباعاته عنها في قوله: «... وفيهن أيضا عالمات أدبيات، وأقلهن بضاعة في الفقه التي معها المرشد المعين لابن عاشر، وأرجوزة القرطبي، ومن الأدبيات: المعلقات السبع وغيرها من أيام العرب، وفيهن، مدرسات، وقد شاهدنا امرأة وسط نساء تملئ عليهن الشيخ خليل بلا شارح؛ فخاضت في متته

(1) أغل بنت عبد الله، المرأة الموريتانية بين أسر التقليد ورياح التغريب، م س، ص. 37.

(2) نفسه، ص. 38.

(3) نفسه.

(4) الشيخ سيد المختار الكنتي (1811/1727م): أحد فطاحلة العلم والصلاح في موريتانيا، وابرز شيوخ الطريقة القادرية في غرب أفريقيا.

(5) السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة شنقيط العصرية، انواكشوط، 2008/2007، ص. 32.

وحررت مسائله أحسن تحرير، بلا تكلف في إدارة املائه، وحولها من آخذات العلم ما يزيد على ستين امرأة، كما يحضرن، أيضا، مجالس العلماء الذكور كثيرا»⁽¹⁾.

وقد استفسر العالم أحمد بن البخاري، عن حكم تدريس النساء حين بعث إلى الشيخ سيدي الإنتشائي (1869/1284)⁽²⁾ يسأله عن حكم تدريس النساء ويخبره أنهن يتوافدن على منزله يطلبن العلم، وهو ما يستشف منه قبول مبدئي لتعلم المرأة لدى بعض علماء القطر الشنقيطي، وانسجاما مع ذلك التوجه أفتى الشيخ سيدي، في بحثه المطول بعنوان "رسالة في حكم تعليم النساء"؛ إلى ضرورة تبليغ العلم حيث لا فرق في وجوبه بين كون المتعلم رجلا أو امرأة، لأن النساء شقائق الرجال، في مطلوبة الاجتتاب والامتنال، وفي لزوم التعليم والسؤال⁽³⁾.

ومن هذا المنطلق، يمكن ذكر العديد من النساء اللاتي كان لهن حضور مميز في الثقافة الشنقيطية، مستشهدين بقوله الشيخ سيدي من أنه: «يوجد في كل عصر من نوات الحجال، من تفوق في العلم والدين كثيرا من الرجال»، وقد تداولت الذاكرة الشعبية العديد من النسوة اللاتي تميزن بعطائهن الثقافي، ومن ذلك ما يذكر عن فتيات مدينة "تينيكى" من حفظ الموطأ، وحفظ مقامات الحريري، ولمريم مانه بنت اللا من حفظ القاموس المحيط، وما عرف عن هند زوج الشيخ ماء العينين من علم، وعن حفيدتيه من رواية للأشعار ومشاركة في المجالات العلمية.

لكن تلك النظرة الحاملة التي تبناها بعض الفقهاء الشناقطة سرعان ما تلاشت أمام شمولية الانتاج الذكوري وطغيانه، وتهميش الحضور النسائي عموما على المستوى الثقافي، سواء بتقنين انتاجها داخل البيت، أو بعدم الأرتقاء بذلك الانتاج -إن وجد- الى مرحلة المنافسة ومن ثم التدوين، بل وحتى احتكار هذا الانتاج على فئة دون أخرى، نظرا لعوامل ذاتية وسياسية⁽⁴⁾.

(1) نقلا عن أحمد كوري ابن يابة السالكي، «مكانة المرأة المرابطية في مجتمع الدولة»، مجلة الوسيط، المعهد

الموريتاني للبحث العلمي ع، 14، 2015، انواكشوط، ص. 53.

(2) الشيخ سيدي الإنتشائي الايبيري الشنقيطي: عالم وفقه وشاعر، يعتبر أحد أبرز علماء موريتانيا الأجلاء، ومن بين أوائل من اهتم بفقه النوازل الاجتماعية.

(3) الشيخ سيدي الإنتشائي، رسالة في حكم تعليم البنات، مخطوط موجود في مكتبة هارون الشيخ سيدي، حقه، محمد بن سيدي يحيى، معهد ابن عباس، 1990، انواكشوط، ص. 12.

(28) حيث اقتصر الانتاج المعرفي خلال هذه الفترة، على فئة الزوايا، نظرا لاحتضانها للعلم والثقافة، واشتغال الفئات الأخرى، إما بمهمات حربية (حسان)، أو يدوية (الصناع)، وقد أثر هذا التقسيم على المرأة، فاصبحت كل فئة تشتغل بما خول لها. وتميزت نساء الزوايا بالقراءة، فهن يشاركن الرجل في التعلم والتعليم.

وعلى هذا الأساس؛ فإن النخبة النسائية التي ولجت باب التعلم، كن من ذوات العوائل الراسخ
قدمها في العلم ومجال المعرفة، لأن المجتمع الشنقيطي مجتمع أبوي يسيطر فيه إنتاج الرجال، ومن
ثم تم تكريس شأن المرأة في الحياة الأسرية، وخدمة البيت.

وعموماً بدت المرأة الشنقيطية من خلال التصور الفقهي شبه مغيبة في كتابات المؤلفين
الشنقاظة، إلا ما كان من ذكر شحيح لبعض من أثرن في الثقافة الشنقيطية، ولا يعدو ذلك التغييب
سوى صورة مصغرة لتمثلات الوعي الجماعي حول المرأة، فتلك التمثلات المجتمعية تشكل الرؤية
العامة التي تسكن في مخيلة عامة الناس، وفي ثنانيا الفكر والأدب والفن⁽¹⁾. وبالرغم من ذلك فقد وجد
الانتاج الثقافي النسائي طريقه إلى النور في القرون الأولى لتنامي الثقافة في ربوع الصحراء
الشنقيطية.

المبحث الثاني: الاسهام الثقافي للمرأة الشنقيطية

1) الاهتمام النسائي بالتأليف

لقد احتفظ التاريخ الثقافي الشنقيطي بأسماء بعض النسائي اللاتي تألفن في سماء المعرفة؛
فخطت أناملهن أولى بوادر الكتابة النسائية في المجتمع الشنقيطي، وهكذا تصدرت العديد من النساء
العالمات للمشيحة المحضرية، بل حتى أن بعضهن وصلن إلى مرتبة القضاء، وأستطعن أن يجلسن
للتدريس ويناظرن العلماء والفقهاء. ومن هذا المنطلق صنف الباحثون الاهتمام النسائي بالثقافة
الشنقيطية الى ثلاثة صعد⁽²⁾:

أولها: دور المرأة في التعلم والتعليم، وفيه يمكن التعرف على النساء اللواتي وصلن إلى
مستوى معرفي سمح بذكرهن في عداد العلماء وممارسي التدريس المحضري، من مثيلات هذا
الصنف: خديجة بنت العاقل، ولالة عيشة بنت أعلي الأزرق، زوج الشيخ سيدي المختار الكنتي،
وزوج الحارث بن محنض بن سيدي عبدالله الشقراوي، وغيرهن.

(29) بورغدة وحيدة وآخرون، المرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية، سلسلة كتب

المستقبل، (70)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2014، ص. 44.

(2) ، ولد سيدينا (محمد المختار)، «ماهية الثقافة الموريتانية وإسهام المرأة فيها»، مجلة الموكب الثقافي، للجنة الوطنية
الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم، مارس، 2009، ص. 27-28، ص. 27.

وثانيها: علاقة المرأة بالموروث الثقافي المكتوب: ويهتم هذا التصنيف في من طرقت باب التأليف وهن نزر يسير، أو من خضن غمار الشعر العربي الفصيح الأوسع دائرة نسبيا من المؤلفات (1)، ومن كتبن النثر الأدبي مثل: خديجة بنت أحمد بن بكي الشقراوية، أقدم امرأة كتبت في المقامات في السيرة النبوية. ومن تصنيفات الباحثين للأدب النسائي التحشية ونقل الكتب: وهو نشاط معرفي طرقته المرأة الشنقيطية، وإن على نطاق ضيق، لا يتجاوز النماذج المعروفة منه حتى الآن عدد أصابع اليد الواحدة(2).

لقد تعددت مجالات الحضور الثقافي النسائي، وإن انحصر المنتوج الثقافي النسائي في مجالات بعينها؛ (العلوم الدينية والأدب بشقيه الفصيح والشعبي) ذلك أن ثقافة البلاد كانت استيعابا وترجيحا، أكثر منها خلقا وإبداعا، ومع ذلك لا يمكن إغفال الموروث الأدبي النسائي الذي كان علامة هامة في التاريخ الثقافي للشناقطة بالرغم من أن القليلات هن اللاتي كتبن وألفن، إذ، توجد بعض الشواهد الحية على غنى المنتوج النسائي (شعرا ونثرا)، والذي شكل فيما بعد بواكير الكتابة النسائية التي تميزت بعطائها وعمقها المعرفي.

إن هذا المقال لا يستطيع أن يطال كل الأيدي النسائية التي ساهمت في الثقافة الشنقيطية، وذلك لشح المعلومات من جهة، وندرة الكتابات حولها من جهة أخرى؛ لذا سنعمل على اختيار بعض النماذج النسائية، في حقلين ثقافيين هما: التأثير النسائي في العلوم الدينية، والمساهمة الأدبية للمرأة (شعرا ونثرا).

(1) محمد المختار ولد السعد، الثقافة النسائية في موريتانيا، م.س، ص.27.
(2) نفسه، ص. 26.

- ففي مجال العلوم الدينية: نذكر على سبيل لا الحصر: خديجة (أوغادجة) بنت العاقل⁽¹⁾، وفاطمة بنت محمد محمود بن عبد الفتاح الملقبة توت بنت الداہ⁽²⁾، وأمنة بنت الطالب محمد⁽³⁾، وهد بنت حمد الله المجلسية⁽⁴⁾، وحاجة بنت ابن عديم الديمانية⁽⁵⁾، وفاطمة بنت محمد بن بلاه عبد

(33) خديجة (أوغادجة) بنت العاقل: عالمة موريتانية شهيرة، تبحرت في المنطق، وتفوقت فيه، وأصبحت تقول للشيء البديهي (هو الضروري عندنا كالمنطق)، فقد روت الكاتبة حواء بنت ميلود عن المختار بن حامدن، قصة تعلق خديجة بهذا العلم، رغم أنه أشد أنواع العلم تعقيدا، وذلك عندما تعلقت بكتاب (شرح الولاوي) على مختصر السنوسي في المنطق، مما اضطر والدها إلى شرائه بثمن باهظ. وقد ألقت كتابها المشهور بالمنطق (احمرار الطرة) وتقول فيه محددة مفهوم المنطق: المنطق يسمى كذلك؛ لأنه يعين النفس الناطقة على اكتساب المعلومات..."، هذا وقد تصدرت خديجة محاضرة كبيرة تخرج منها علماء أجلاء أمثال: أخوها أحمد بن العاقل (ت1244 هـ) والمختار بن بونا الجكني (ت1230 هـ - 1815م) والمامي عبد القادر (ت1221 هـ) زعيم دولة فوته السنية، وقد توفيت خديجة بنت العاقل رحمها الله (1251 هـ) وخلفت وراءها العديد من المؤلفات من أهمها:

- أم البراهين شرح في العقيدة الأشعرية.

- طرة على سلم الإمام الأخضر في المنطق، وتوجد هذه الطرة محفوظة في قسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت الرقم 755. راجع: السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م س، ص 22.

(2) فاطمة بنت محمد محمود بن عبد الفتاح الملقبة توت بنت الداہ: عالمة ومدرسة، ومؤلفة، وشاعرة وخطاطة، اشتهرت بجمال الخط لدرجة جعلت الشيخ سيدي الكبير عند ما رأى خطها يغض عنه بصره لحسنه، ويقول قولته الشهيرة "المرأة كلها عورة"، اشتهرت بنسخ الكتب، فنسخت الكثير من المؤلفات أهمها:

- كتاب العقيدة الصغرى في التوحيد لمحمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ) وهو نظم لابنها محمد محمود بن الحسن.

- كتاب الستر الدائم للمذنب الهائم للشيخ محمد فاضل بن مامين (ت1286م) رسالة في التصوف للشيخ سيدي بابا.

(3) أمينة بنت الطالب محمد: عالمة وخطاطة، نسخت نسخة نادرة من نظم مالك بن المرحل المسمى (التلويح)، وهو موجود بخطها في دار الكتب المصرية وهي النسخة التي كتبتها لمحمد محمود ولد اتلاميذ. السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م س، ص 23.

(36) هند بنت حمد الله المجلسية: ولدت في ضواحي أكجوجت سنة 1851، اشتهرت بتدريس المتون المحضرية التي قل من درسها من النساء، فقد ذكر المؤرخ المختار بن حامدن: أن زوجها محمد حبيب الله بن أبوه بن محمد سالم، كان يرجع إليها في حل النوازل المستعصية، تخرج على يديها كثير من المشاهير من بينهم أبناؤها ومنهم: حبيب الله رئيس المجلس العلمي الأعلى في لعيون في المغرب، ووكيل الملك سابقا في الداخلة، وقد صحب رحمه الله معظم آثارها معه إلى المغرب، ومنها:

- شرح الريان على أسماء الله الحسنى، وأجوبة لبعض الأسئلة التي كانت تمتحن بها طلابها توفيت رحمها الله عام (1393 هـ - 1973م) عن عمر بلغ 102، قضت جلها في التدريس والدراسة داخل محاضرة أهل محمد ولد محمد سالم. راجع: السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م س، ص 24.

(5) حاجة بنت ابن عديم الديمانية: ولدت 1938 في ولاية ترارزة في الجنوب الموريتانيا، وهي والدة الباحث الجليل المرحوم جمال ولد الحسن، من مؤلفاتها: (تحفة الحفاظ لما يتكرر في القرآن الكريم من الألفاظ).

القادر⁽¹⁾، ومريم بنت الأمين ولد الحاج الشقروية⁽²⁾، ومريم السالمة بنت بدي الإنتابية⁽³⁾، ومريم السالمة بنت أحمد لعبيد الناصرية⁽⁴⁾، وفاطمة بنت الطالب أحمد ولد محمد راره التنواجيوية⁽⁵⁾.

إن تلك النسوة العشر ماهي إلا أمثلة، بالرغم من وعينا باحتضان الثقافة مجالات كثيرة غير "عالمة" تدرج في ما يعرف بالفولكلور والفنون والتقاليد الشعبية، كالزخرفة المعمارية في مدينة ولاته مثلا، والشعر الشعبي (خاصة جنس التبراع)، والفنون الأصيلة ذات اللمسات الرمزية (كالحناء، وتطوير الثياب، وتقليعات الشعر) والصناعة التقليدية (رقم المخدات، توشية أدوات الشاي، إلخ)، وفنون الرقص بأبعادها ودلالاتها الثرية، والموسيقى بصنوفها ومقاماتها ذات التلوين النفسي والاجتماعي، والأبعاد الفلوكلورية الأخرى من العاب، والوان وغيرها⁽⁶⁾.

أما في مجال الإسهام الأدبي: فهناك نماذج كفيلة بالتأكيد على تأثير المرأة في الثقافة الشنقيطية ومواكبتها للنهضة الأدبية التي شهدتها بلاد شنقيط، فلم تكن مريم بنت أحمد بزيد الباركلية (ت1111هـ) و مريم بنت الأمين الحاج الشقروية (ت1276هـ) ، وخديجة بنت أدبه الكتنية⁽⁷⁾، ومريم بنت رجال الحسنية (القرن 13هـ)⁽⁸⁾، ومريم بنت محمذن ولد أمبارك ولد تفا الحسنية (ت

(1) فاطمة بنت محمد بن بلاه عبد القادر: عالمة ومدرسة في محضرة الإمام مالك بن أنس قسم النساء في أطار، - شمال موريتاني- لها العديد من الشروح والمؤلفات من أهمها: نقلة في التوحيد، نقلة على شرح أسهل المسالك، شرح على قرّة الأبيصار، شرح على الأربعين النووية). توفيت رحمها الله في الثاني من رمضان 1417هـ الموافق 16 فبراير 1996 عن عمر بلغ ست واربعين سنة.

(2) مريم بنت الأمين ولد الحاج الشقروية: عالمة وشاعرة في جميع الفنون، اشتهر عنها أنها تساجل العلماء في الفقه والأدب، من مؤلفاتها: (شرح على كافية محمد بن مالك في النحو موجودة بخطها)، توفيت 1276هـ. مقتبس من: السالمة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م 3، ص23.

(3) السالمة بنت بدي الانتابية: من أهل المعرفة، قد عرفت بحسن الخط، ويوجد أحد مخطوطاتها بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، توفيت 1988.

(4) مريم السالمة بنت أحمد لعبيد الناصرية: عالمة تقية خبيرة بتفسير القرآن، قال عنها بابا ولد الشيخ سيديا، أنه لا توجد آية من القرآن الكريم إلا مريم السالمة تعلم معناها ومدلولها، توفيت رحمها الله حوالي 1940.

(5) فاطمة بنت الطالب أحمد ولد محمد راره التنواجيوية: عالمة ورعة، اشتغلت بنسخ الكتب، توفيت مطلع القرن العشرين. السالمة بنت اسنيد، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م 3، ص. 25

(6) محمد المختار ولد سيدينا، ماهية الثقافة الموريتانية وإسهام المرأة فيها، م 3، ص. 32.

(7) خديجة بنت أدبه الكتنية: تعد شاعرة مرموقة من أولاد سييد الوافي، ولها ديوان شعر يشرف على تحقيقه الأستاذ الشاعر الذي ولد أدبه، وتسمى خنساء تكانت.

(8) مريم بنت رجال الحسنية التي مدحت الشيخ سيدي بقصيدة توصف بالعصماء، بال بالرغم من أنها لم يعثر عليها حتى الآن، وقد بهرته واعجبته.

(1972)⁽¹⁾، وميم بنت سيدي أحمد ولد أغشمتت المجلسية⁽²⁾، ومريم بنت جين الجكنية⁽³⁾، إلا نماذج مهمة لنساء خرجن عن طوق التقاليد وقهرن العادات وهيمنة الإنتاج الذكوري⁽⁴⁾. لقد تفاوتت غزارة الانتاج الأدبي لدى النساء، إذ يوجد منهن من تمتلك ما يمكن أن يطلق عليه اسم ديوان، كما هو الشأن بالنسبة "ليمة بنت سيدي الهادي اليدالية"، حيث يعتني أفراد أسرتهما بجمع أشعارها وحفظها⁽⁵⁾، ومنهن من أهمل الانتاج، فلا تكاد تجد منه إلا النزر القليل.

ونأخذ هنا مثالا للمخطوطات النسائية التي كانت تطرق مختلف العلوم الدينية من فقه وتصوف وتوسلات، حتى تصل احيانا الى فتاوي ونصائح للعامة والخاصة، وقد تصل إلى مجازاة بعض العلماء الكبار. ويوضح المخطوطان التاليان نموذجا للكتابة النسائية، ممثلا بقصيدة لمريم الشقراوية وهي تنثني على الشيخ سيدي وعلمه، والنموذج الثاني يمثل نصيحة عامة في أمور الدين، لفاطمة بنت عبد الفتاح الابيرية، وقد حصلنا على هذان المخطوطان من خلال مجهودنا الخاص، وبالتعاون مع بعض الباحثين في الميدان:

(6) مريم بنت محمذن ولد أمبارك ولد تقا الحسنية: عاشت خمسة وتسعين سنة، انفقتها في طلب العلم، وتعليم الطلاب ومساعدتهم على اكتساب العلم في محطرة زوجها العالم الجليل محمد الأمين ولد أحطانا، وكانت حفظ القرآن العظيم. راجع: السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي القديم، م س، ص. 33

(2) ميم بنت سيدي أحمد ولد أغشمتت المجلسية: هي والدة الشيخ محمد فال بن أبة المشهور بالعلم وجودة الشعر (ق 13 هـ).

(3) مريم بنت جين الجكنية: اشتهرت بالتمكن من القرآن وعلومه، وفي الفقه والنحو والسيرة والتوحيد والعقائد، تعد من أهم الشواعر الشنقيطات. انظر: السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي القديم، م س، ص. 33.

(4) السالكة بنت اسنيد، (1959)، مناظرة وكاتبة صحفية، أجريت المقابلة معها في: انواكشوط، 2016//02/7.

(5) كما روي عن الشيخ سيدي الكبير عندما أنشدته مريم بنت الأمين بن الحاج الشقراوية، قصيدتها في مدحه بخطها. راجع هذا المخطوط في ملحق المخطوطات في هذا البحث، ص. 242

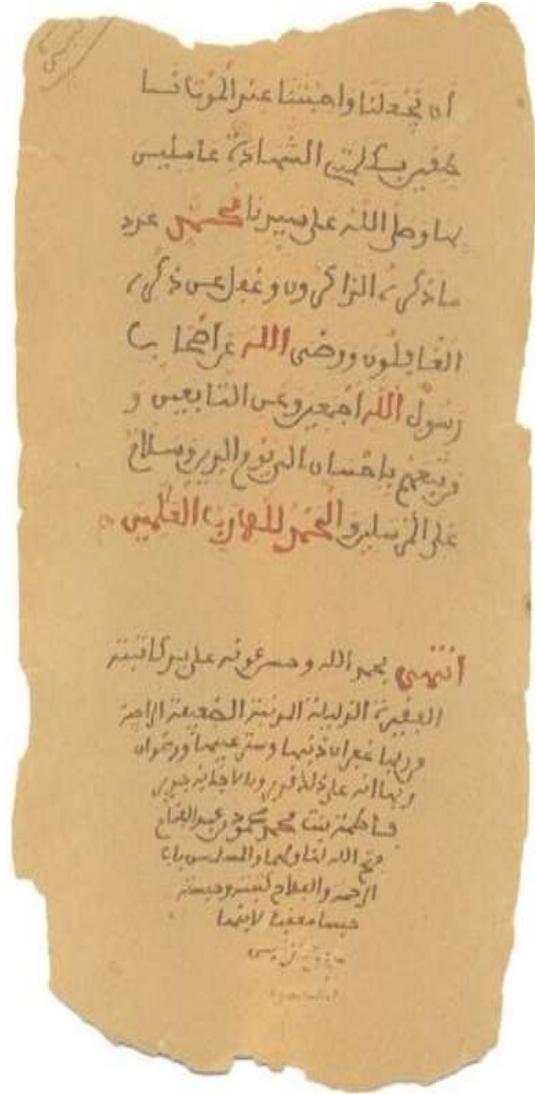
المخطوط (2)



مخطوط لمريم بنت الحاج الشقراوية، وقد امدحت فيه الشيخ سيديا الكبير، ورد عليها بأن المرأة كلها عورة، لجمال خطها. المصدر: أحمد ولد حبيب الله. مقابلة

سابقة.

المخطوط (1)



مخطوط لفاطمة بنت محمد محمود بن عبد الفتاح

المالمصدر: مكتبة أهل أحمد زروق، أنواكشوط

(2) عوائق الانتاج الثقافي للمرأة

انطلاقا من ما سبق، ووعيا منا بضرورة فهم الاسباب الكامنة وراء ضعف الانتاج الثقافي للمرأة نجمال هنا أهم العوائق التي ساهمت في ضمور الانتاج النسائي في المجتمع الشنقيطي فيما يلي:

- طغيان العرف الاجتماعي وموروثه الذي لا يرى للمرأة أهلية في التعلم، إضافة إلى بعض الفتاوي الفقهية المتحجرة التي تذهب إلى حد تحريم تعلم الكتابة على النساء، وربما بنى أصحاب هذا الرأي موقفهم على الأثر "علموهن الغزل والخياطة ولا تعلموهن القراءة والكتابة"، والواقع أن أكثر المحققين نفى صحة هذا الأثر، ورأى أنه يتناقض مع ما جاءت به الشريعة من الحث على العلم دون تفریق بين الرجل والمرأة، بالرغم من أن أغلب علماء القطر الشنقيطي لم يكن، غائبا، عن أذهانهم ضرورة تعلم المرأة، باعتبار ذلك مطلبا شرعيا.

- كما ساهم التقسيم الوظيفي في المجتمع الشنقيطي، وحياة البداوة والظعن، ومن ثم السعي وراء تحصيل لقمة العيش وتحكم سلطان العرف والعادة في الكثير من ممارسات المجتمع، والتي كانت تعيق انتشار الثقافة النسائية عموما.

- ظاهرة السمنة أو التسمين القسري (لبلوح)⁽¹⁾، والتي طغت على المجتمع الشنقيطي منذ نشأته وإلى وقت قريب، والتي تعتبر عاملا أساسيا في ضمور انتاج المرأة، حيث يعتبر عامل التنشئة البدنية وما يجلبه من التركيز على مظهر المرأة وزينتها، أهم الأسباب التي أبعدت المرأة الشنقيطية عن ميدان التعلم واكتساب المعارف.

- البعد الجغرافي: حيث أن أغلب الأصوات العربية والغربية التي نادى بتحرير المرأة، وتمييز إنتاجها عن الرجل لم تكن قد وصلت بعد إلى بلاد شنقيط ساعتها، نظرا إلى متانة القيم الاجتماعية والثقافية التي حالت دون وصول ذلك الفكر إلى المرأة. ومنه فقد عانى الموروث الثقافي النسائي نقصا حادا، في مجال الطرح والتوثيق، الأمر الذي أدى به إلى الإهمال، شأنه في ذلك شأن الكثير من معالم التاريخ الثقافي الشنقيطي، الذي بقي الكثير منه مطمورا.

(1) لبلوح: هو التسمين القسري والسريع، حيث كلنت تجبر أغلب الفتيات على هذه الوضعية.

3) صورة المرأة في الثقافة الشنقيطية

إن استجلاءنا لصورة المرأة في الثقافة الشنقيطية، أعطانا مجموعة من الملحوظات لعل أهمها: قلة الانتاج الثقافي بالرغم من اسهام بعض النساء في الثقافة الشنقيطية، لكن ذلك الانتاج يبقي ضعيفا، نظرا للتركيبية الاجتماعية المعقدة التي كانت قائمة على ثنائية الزاوي والحساني، والتي كانت تحصر كل من نساء الفئتين في زاوية معينة يطغى عليها الجانب الوظيفي عادة، ففي الوقت الذي توجد في فئة الزوايا⁽¹⁾، لوائح طويلة تخلد انتاج الرجال(علماء وفقهاء)، تكاد تنعدم أي آثار للانتاج النسائي في الحقل الثقافي إلا ماكان من ذكرنادر⁽²⁾.

ويعود ذلك إلى عدم اهتمام المجتمع عموما، والأسرة التي نشأت بها المرأة إلى تعليم النساء، والأمر هنا ينطبق على مختلف فئات المجتمع الشنقيطي -على الأقل- في الفترة التي نحن بصدد دراستها، فالمحظوظات من النساء هن اللاتي أستطعن أن يحفظن أجزاء من القرآن، وبعض المبادئ في الفقه والسيرة.والأمر، في مجمله، لايعود أن يكون معرفة ما يحفظهن من المس والشياطين، و من ثم فهم بعض الأحكام الفقهية، هذا بالنسبة للفئات المجتمعية ذات الطابع الديني والثقافي(الزوايا مثلا)، أما الفئات المجتمعية الأخرى، فتقع المرأة فيها في ظلام دامس من الجهل، حيث تغطي الاهتمامات الحربية أو السخرة على نسائها.

ومن خلال تلك التمثلات السابقة تبدو صورة المرأة ضعيفة في المخيال الجماعي، وفي ثقافة النخبة المتعلمة الشنقيطية، إذ، أنه في جميع الحالات يجب أن تكون المرأة تابعة للرجل، خاضعة لهيمنته⁽³⁾، لا بل تكون في حالات عدة، مؤمنة ومدافعة ومتعصبة لسلطته وشرعيته وهيمنته.

وقد أوضحت الكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي في تقديم روايتها: "أحلام نساء الحريم"⁽⁴⁾، أن مفهوم الحريم في التمثلات الثقافية لدى المجتمعات العربية وهو ماينطبق على المجتمع الشنقيطي،

(1) كانت فئة "الزوايا" دون غيرها الحاضنة للثقافة الشنقيطية؛ إذ لا يكاد يوجد ذكر منهم ولا أنثى إلا يقرأ ويكتب، على حد تعبير صاحب كتاب الوسيط، فيما يرى المختار بن حامدن: أن المرأة في فئة الزوايا تجاوزت مرحلة القراءة البحتة إلى مشاركة الرجال في جميع الفنون مع الصيانة وعدم التبذل، لذا كانت المرأة تلتحق بمحضرة حياها مبكرا وتتلقى المعارف كما يتلقاها الرجل.

(2) أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي، ومؤسسة منير، ط4، القاهرة، 1989، ص. 268.

(3) Simone Beauvoir, **Teh second se: the woman as other**, Vintag Classics, New York, 1997. P.207.

(5) فاطمة المرنيسي، أحلام النساء الحريم، ترجمة ميساء سري، ط1، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق، 1997، ص. 214-227.

هو مفهوم يوحى بالفراغ، بفراغ داخلي، حيث يحق للنساء أن يكن، وفراغ خارجي ذكوري تقصى منه النساء⁽¹⁾.

إن أبرز ملامح هذه الصورة كانت تختزل المرأة في ما أصطلحنا على تسميته "بالمرأة الفتنة"؛ ففي عيون الرجال الذين هم أرباب القلم لاتعدو المرأة سوى مصدر للمتعة؛ أي أن مصدر أهميتها الأول يكمن في الجانب البيولوجي وليس الثقافي⁽²⁾، فالمرأة تكون مثالية عندما تكون قابعة في بيتها لا تغادره، حيث تنفرغ للشؤون الخاصة من طبخ وتنظيف وتربية أطفال، وهو ما يؤكد المقول التقليدي المأثور في المجال الشنقيطي «المرأة من بيتها الى قبرها».

إن صورة المرأة في المخيلة الجماعية الشنقيطية، لم تكن وحدها التي تحول دون ولوج المرأة إلى دنيا الحرف، فلم تكن صورة المرأة لنفسها بأحسن حال، فكانت تتقاسم الكثير من الملامح والسمات مع الصورة التي رسمها الرجل لها، فجاء خطابها رجوع صدى لخطابه، فهي تنتقص حقها وذاتها دون أن تعلم، ومن دون أن يتاح لها في ذلك الخيار، فأحيانا تتكلم على المرأة بلسان رغبات الزوج، وأحيانا أخرى بلسان قوانين القبيلة والعشيرة، وأخرى بلسان الدين.

وعلى هذا الأساس، فالتعبير النسائي هنا يتحول إلى كيفية لا شعورية تعبر عن البناء الرمزي الخفي للثقافة، مما يدل على قوة الهيمنة وقدرتها على الاخضاع والتطبيع من دون مواجهة أدنى مقاومة من الطرف المهيمن⁽³⁾، وإن كانت التراثيات الثقافية الشنقيطية دأبت على ترسيخ هذا النمط من التفكير، إلا أنه يمكن أن نجد العديد من الصور المغايرة والتي تبدو أكثر إنصافا بالنظر إلى المرأة وطاقاتها الانسانية، ووظائفها الاجتماعية، وأدوارها الإنتاجية والثقافية، وهو ما صنفناه في إطار الاستثناء، باحتفاظ التاريخ الشنقيطي بأسماء بعض النساء اللاتي تميزن بعطاهن الثقافي، بالرغم من ضعف ذلك العطاء، موازاة بما انتجه الرجل.

إن إجراء موازنة بين ما كتبه الرجال وبين ما كتبه المرأة، تظهر أن المجتمع الشنقيطي في انتاجه الثقافي كان ذكوريا بامتياز؛ إذ أن ما اندرج في سجلات الأدب النسائي، لا تتجاوز موضوعات عبرت فيها المرأة عن سلوكها الاجتماعي المتسق مع طبيعتها البيولوجية⁽⁴⁾، فكانت الاهتمامات في أغلبها ذاتية تتمركز حول الرجل واهتماماته، إضافة إلى العناية بالبيت وشؤون الأسرة، وكل هذا من

(56) بورغدة وحيدة وآخرون، المرأة العربية، م س، ص. 45.

(57) بورغدة وحيدة وآخرون، المرأة العربية، م س، ص. 46.

(3) نفسه، ص. 45.

(59) فرح الفاضلي، الذكورة والأنوثة في القرآن الكريم، ط1، بيروت، 2018، ص. 27.

أجل الحفاظ على البنية الاجتماعية السائدة. إن تهميش وإهمال الإنتاج النسائي يعد عاملاً أساسياً في ندرته، حيث أن المجتمع مافتئ ينظر إلى المرأة على أنها "ناقصة عقل ودين"، حيث ظلت تلك النظرة لفترات طويلة قابضة في الوجدان الجماعي.

وبالرغم من اختلاف وتباين عوامل اهتمام المرأة الشنقيطية بالأدب، فإن الأمثلة السابقة التي أوردناها، تبين أن ما يتعلق منه بالحوادث واللحظات التاريخية المهمة بقي مسجلاً، ويستخدمه كتاب التاريخ لتعزيز آرائهم المختلفة حول الأحداث⁽¹⁾.

في حين بقي الأدب اللصيق بالهموم النفسية والوجدانية للمرأة، خاصة فيما يتعلق منه بالشعر الفصيح، والإنتاج الفكري، والمواقف من السلطة والمجتمع طي الكتمان، وهذا ما يجعلنا نتحفظ على مصطلح ثقافة نسائية في بلاد شنقيط بالمفهوم الأشمل للثقافة، وإن وجدت بعض ملامح الإنتاج النسائي والتي لم يكشف عنها بصورة شاملة، مالم تتضافر جهود الباحثين والباحثات من أجل غربة ثقافتنا الشعبية من صنوف الأحكام المسبقة، ومن ثم الحفاظ على بقايا الإرث الانساني الثقافي الشنقيطي المههد بالضياع، والذي من ضمنه الإنتاج النسائي، الذي بقي محدود التداول، فلا نراه مستخدماً في الدرس المحضري الأدبي، ولا ضمن الشواهد التي يستعان بها من حين لآخر، وهو ما أدى بكثير منه إلى الاندثار. وجملة القول: إن مصادر الصورة الثقافية عند المرأة الشنقيطية مازالت مشوشة، ترتعن الماضي وتركن إليه، وإن تميزت برقة لغتها ورخاوة الأصوات لديها.

الخاتمة:

ومن ماسبق يتضح ومن خلال المعلومات المتاحة أن المرأة الشنقيطية كان لها حظ من الثقافة المكتوبة المتداولة في الوسط الاجتماعي الشنقيطي، وإن كان يصعب تقويمه ما لم يتم جرده جرداً شمولياً وتمحيصه ودراسته، دراسة علمية جادة، تنأى عن الأغراض والمصادر الجاهزة والأنية. وبالتالي فإن المرأة الشنقيطية قد ولجت دنيا الحرف، بالرغم من ممارسة المجتمع عليها اصناف الحجب والمنع، مما اضطر النساء إلى تمرير انتاجهن عبر الوسائط المتاحة، والتي كانت جد محدودة. إذ، أن اعتلاء المرأة للمنابر الثقافية بمختلف دلالاتها واصنافها، قد يعرضها في نظر المجتمع الشنقيطي المحافظ حد الانغلاق، إلى أقسى الأحكام.

(60) السالكة بنت اسنيد، الشعر النسائي القديم، م س، ص. 37

إن الفكر والعادات هي العقبات التي رسخت في المرأة الشنقيطية ، الانحطاطية والشعور بالدونية والعجز وكسرت ثقفتها بنفسها، وبترت منها حاسة المسؤولية خارج نطاق الخيمة الضيق، ولئن كانت النماذج السابقة قد خرجت عن طوق المعهود في الثقافة، وخلقت نخبة نسائية فاعلة في المشهد الثقافي الشنقيطي وإن كنا خلصنا إلى ضالة وضمور الانتاج الثقافي النسائي في الفترة الشنقيطية، وذلك نتيجة لاسباب اجتماعية وفكرية ذكرناها سابقا، لكن فالمقابل لايمكن ان نغفل عن بعض الاسهامات الثقافية التي شكلت بداية الكتابة النسائية في المجتمع الشنقيطي على وجه التحديد والموريتاني عموما.

وإذا كنا نتفق مبدئيا على ضعف المشاركة والحضور النسائي في المشهد الثقافي الشنقيطي بشكل عام، على الرغم من وجود طاقات ومواهب نسائية، أهلت المرأة إلى خوض ميادين الفكر التي كانت حكرًا على الرجال، إلا أن الانتاج الثقافي النسائي ، وبالرغم من تلك العراقيل قد تغلب على ذاته، لأن فيه تلتقي الثقافة بالتاريخ والحضور بالموهبة، فالمرأة الشنقيطية تصوغ لغتها بشكل مختلف - وإن على مضض- عن أشكال لغة كتابة الرجل، سواء تعلق الأمر بالكتابة المخطوطة أو أشكال الكتابات الأخرى.

وهكذا عملت المرأة الشنقيطية على اظهار نفسها بشكل مغاير، لكي تغرس الصورة التي تحملها عن ذاتها، وهو أمر جعل العديد من الباحثين يُقر بأن المرأة في موريتانيا شنقيط تمتلك لغة لامتناهية، الصياغة والرموز، لأنها تمتلك سلطة هائلة تتمثل في قدرتها على الوصول الى المتلقي بل وإقناعه، لكن تلك الرموز لم توظفها في الآن نفسه من أجل اثبات ذاتها المستقلة، وإن كان يحسب لها دخولها إلى ساحة المشهد الثقافي الشنقيطي مبكرا، والذي طغى عليه الانتاج الذكوري ردحا طويلا، الأمر الذي ساهم في تتبني النخب النسائية للخطاب الذكوري، من حيث الطرح والرؤى، وكأن المرأة الكاتبة تنتج من أجل إرضاء وجذب أنظار الآخر.

لقد كانت السمة الغالبة على اكثر الكتابات النسائية؛ الانغلاق شبه التام، فالمرأة لا توظف العديد من المعطيات في الابانة عن المعاني التي تصبو إليها، وبناء عالمها الخاص الممتلئ بالصور التي تحاكي فيه واقعها، حيث بقيت مستويات الحضور لديها ضيقة، لا نكاد نلمس من خلالها كبير الأثر في التصور الجماعي، الشيء الذي جعل مرجع هذه المرأة مرجعا تراثيا ثقافيا بالأساس، وهو ما وصم انتاجها بالضعف والاستكانة للعرف والمألوف. ويبقى السؤال المطروح: لماذا وبعد هذه المدة الطويلة من الانتاج الثقافي للمرأة الموريتانية مازلنا غير قادرين على محو الصور النمطية للمرأة

من ذاكرة الوجدان الجماعي؛ إذ ما نزال غير قادرين على رؤية صورة تلك المرأة الحرة، عقلا وفكرا، إلا عبر شقوق المشهد الثقافي العام.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الأمين أحمد (الشنقيطي)، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، مكتبة الخانجي، ومؤسسة منير، ط4، القاهرة، 1989
- ابن الشيخ ماء العينين الشيخ (محمد الإمام)، الجأش الربيط: في النضال عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط، ط 1، مطابع حزب الاستقلال، 1957.
- ابن المحبوبي (محمذن)، «المرأة الشنقيطية ونوزازل الزينة والبدانة، وقفة مع المنحنى الاجتماعي في التوجه الإفتائي»، مجلة الوسيط، ع 14، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 2015.
- ابن حامدن (المختار)، موسوعة حياة موريتانيا، ج2، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1990.
- ابن يابة أحمد كوري (السالكي)، «مكانة المرأة المرابطية في مجتمع الدولة»، مجلة الوسيط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ع 14، انواكشوط 2015.
- بنت اسنيد(السالكة)، الشعر النسائي الشنقيطي القديم، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة شنقيط العصرية، انواكشوط، 2008/2007.
- بنت عبد الله (أغل)، المرأة الموريتانية بين أسر التقليد ورياح التغيير، بحث لنيل "الاجازة المتريز" المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، أنواكشوط، 1995-1996.
- بنت ميلود (حواء)، المرأة الموريتانية بين ثنائية الاتفاق والاختلاف، المطبعة الوطنية، انواكشوط، 2002.
- بوز نكاض (محمد)، التواصل بين بلاد البيضان والمشرق العربي خلال القرنين 19 و20، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014.

- الجراري (عباس)، **ثقافة الصحراء الثقافة**، الدار البيضاء، 1978.
- الحسين (حديدي)، **الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيطاني خلال القرنين 18 و 19م**، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2014.
- الشيخ سيديّ (الإنشائي)، **رسالة في حكم تعليم البنات**، مخطوط موجود في مكتبة هارون الشيخ سيدي، حققه، محمد بن سيدي يحيى، معهد ابن عباس، 1990، انواكشوط.
- الفاضلي(فرح)، **الذكورة والأنوثة في القرآن الكريم**، ط1، بيروت، 2018،
- المرنيسي (فاطمة)، **أحلام النساء الحريم**، ترجمة ميساء سري، ط1، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق، 1997.
- النحوي (الخليل)، **بلاد شنقيط المنارة والرباط**، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.
- وحيدة (بورغدة) وآخرون، **المرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية**، سلسلة كتب المستقبل، (70)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2014.
- ولد الحسين (الناني)، **صحراء المثلثين**: دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الأقليمي، خلال العصر الوسيط، ط1، دارالمدار الإسلامي، بيروت، 2007.
- ولد عبد الحي(محمد)، **الجدور التاريخية للثقافة النسائية**، فعاليات الندوة حول الثقافة النسائية في موريتانيا، وزارة الثقافة، يوليو 15-16، أنواكشوط 2001.
- Aidera (Cheikh), «la emme mauritanienne et l’histoire», **journal Nouakchott**.
- Beauvoir (Simone), **Teh second se: the woman as other**, Vintag Classics, New York, 1997.

- Caillé(René), **Travels through Cental Africa to timbuctoo**, and Across the Great Desert,to Morocco,performed in the years,(1824-1828),Cambridge University,England, 2013.
 - Fall (Aly), « la Femme dans le système juridico-économiqu Mauritanie », **Revue Tunisienne de Droit**, Nouakchott , 1998, p. 159-161.
- femme Mauritanie», **Travson apport** «La said),-hamody (Mohamed Old .2000à l'héritage traditionnel, Nouakchot,

**تطور علم الجراحة عند علماء المسلمين في الأندلس: أبو القاسم عباس الزهرأوى..
رائد علم الجراحة أنموذجاً**

*The Development of Surgery Science by Muslims' Scholars in the
Andalusia: A Case Study of Abu al-Qasim Abbas Al-Zahrawi- the
Pioneer of Surgery Science*

د. إلهام معتصم البشير بانقا: كلية الآداب، جامعة الخرطوم

Dr. Elham Muatasim Elbashir Banaga

الايمل: elhamabashir@gmail.com

المستخلص:

برز في تاريخ الحضارة الإسلامية علماء عظام برعوا في شتى العلوم التطبيقية والعلمية وكان من بينهم العالم العربي الزهرراوي، لذا هدفت هذه الدراسة الى تسليط الضوء على شخصية العالم أبي القاسم الزهرراوي الذي يعد من أعظم الجراحين الذين انجبتهم البشرية في الأندلس، وكشف الغموض عن دوره في تطور علم الجراحة في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي من خلال كتابه المشهور "التصريف لمن عجز عن التأليف" الذي يعتبر أول كتاب طبي في التاريخ احتوى على الصور، ومعدات الجراحة التي استخدمت في عصره، وتأسيسه للمقالة الثلاثين في علم الجراحة حيث أثار الزهرراوي في مجال الطب بشكل عميق، إذ ابتكر الآلات الجراحية التي كان يستخدمها في عملياته، كما كان له دور في الصيدلة والتعقيم. استخدمت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي القائم على تحليل المعلومات التاريخية وربطها بأهداف الدراسة، وتوصي الدراسة بوجود ان تُفرد مساحة أكبر لدراسة هذا العالم (أبي القاسم الزهرراوي).

تهدف هذه الدراسة الى كشف النقاب عن انجازات علماء المسلمين في علم الجراحة في فترة العصر الوسيط بالأندلس كما تهدف الى تناول التطور الذي تم على يد أبو القاسم الزهرراوي والتوثيق لانجازه في علم الجراحة هذا العلم المهم في حياة الإنسانية، وكيفية الاستفادة منه.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها تمكن علماء المسلمين في الأندلس على رأسهم الزهرراوي من ترسيخ العلاقة الجدلية بين النظرية والممارسة الطبية في علم الجراحة، وأن المقالة الثلاثين في موسوعة "التصريف لمن عجز عن التأليف" كانت مصدر أساسي لدراسة علم الجراحة في أوروبا حتى القرن السابع عشر، كما توصلت الدراسة الى إن الزهرراوي جعل من علم الجراحة علماً مستقلاً بموضوعيته ومنهجيته وغاياته عن بقية العلوم الطبية الى الدرجة فقد لقب بابو الجراحة، كما توصلت الى مجهودات علماء المسلمين في مجال العلوم التطبيقية التي تعرض للندثار، وغض الطرف عنا فلأبدعنا من توثيقها ودراستها.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، الزهرراوي، علم الجراحة، النهضة العلمية، "التصريف لمن عجز عن التأليف".

Abstract:

There have been a number of outstanding scholars in the history of the Islamic civilization, who have excelled in the various sciences. The aim of this study is to show the pioneer of modern surgery, known in the Andalusia as “Abulcasis”, Abu al-Qasim Al-Zahrawi 4th/ 10th century, has written his famous book “*Al-Taṣrīf li-man ‘Ajaz ‘an al-ta’ālīf*” which was the first medical book in the history that contained images for the tools used in the operating surgery in his time. It is divided up into 30 volumes; each one dealt with a different aspect of medicine, such as Ophthalmology, Pharmacology, Nutrition, and many others. There is no doubt that Al-Zahrawi has greatly influenced the field of medicine. He devised a number of surgery tools which he used in his surgeries/ operations then. He also has many contributions in the fields of Pharmacology and Sterilization. The study uses descriptive, historical and analytical approaches to analyze the data collected from different resources.

Keywords: Andalusia , Al-Zahrawi, Medicine Surgical, *Al-Taṣrīf li-man ‘ajaz ‘an al-ta’ālīf*.

المقدمة:

زخر التراث الإسلامي بالكثير من عناصر الإبتكار والإبداع مما جعل الكتابة عن الإكتشافات العلمية الإسلامية، ومساهماتها في بناء الحضارة الإنسانية، وتطوير العلوم البشرية أمراً ذي أهمية كبرى في وقتنا الراهن حيث شهد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي اهتماماً واسعاً في مجال العلوم الطبية، والتطبيقية، وحفل تاريخ المشرق الإسلامي بالكثير من إنجازات العلماء العظماء الذين برعوا في شتى مجالات العلوم التطبيقية، والعلمية وغدوا نجوماً ساطعة في سماء العلم والمعرفة، وكانت لهم إسهاماتهم الواضحة في علم الجراحة لحل الكثير من المشاكل الصحية التي عجز عن علاجها الدواء، فظهرت إبتكاراتهم في علم الجراحة والتشريح في بلاد الأندلس بعد عملية النقل بالترجمة، والتأليف، وكان من بين هؤلاء أبو القاسم بن عباس الزهرأوى أبو الجراحة، ورائد علمها

الذي أظهر مثلاً للأكينيكي البارح الذي أسس خبرته العلمية على واقع المعالجات الفعلية لمرضاه حيث طوّر علم الجراحة حتى أصبحت علماً مستقلاً بموضوعه، ومنهجه، وغايته، وسندنا في ذلك رائعته "في العمل باليد"¹.

المبحث الأول: مدخل في علم الجراحة عند العرب:

1- تعريف علم الجراحة:

تعرف الجراحة بأنها صناعة من الصناعات التي لها علاقة ببدن الإنسان، وهذا ما يميزها عن بقية الصناعات التي لا علاقة لها بهذا البدن، وإن هذه العلاقة والصلة تحدد بما يعرض لظاهرة البدن من أنواع التفرق إذ ليس من اختصاص الجراح أن ينظر في جميع أحوال البدن، كما أنه لا ينظر في الأمور الباطنة مثل القرحة في الكبد، والمعدة وغيرها². كما يعرف علم الجراحة بأنه علم باحث عن أحوال الجراحات العارضة لبدن الإنسان، وكيفية برئها وعلاجها، ومعرفة أنواعها، وكيفية القطع عند الحاجة إليه، ومعرفة كيفية استعمال المراهم، والضمادات، وأنواعها ومعرفة أحوال الأدوات اللازمة لها، وهذا العلم جزء من علم الطب³.

كان علم الجراحة في السابق ضمن العلوم التي امتزجت بالفلسفة ثم انفصل عنها، وقد شهد تطوراً كبيراً على يد علماء المسلمين حيث كان الطبيب الذي يقوم بإجراء العمليات الجراحية يُسمى "الجراح" فيستلزم منه أن يكون طبيباً مؤهلاً لإجراء العمليات البسيطة، والمستعجلة، وكل طبيب حاذق له قدر من الخبرة على الجراحة يعرف بهذا الاسم، أما الجراحين الماهرين فلأبدي أن يكونوا على قدر كبير من التدريب الخاص، وتكون لديهم الحكمة الطبية، والمقدرة على إجراء العمليات المعقدة وازعافها، ويتطلب منهم التدريب لها نحو أربع إلى سبع سنوات بعد التخرج في مجال الطب ليصبح الأطباء مؤهلين للتخصص في الجراحة⁴.

1- عوض، محمد مؤنس، (2010م)، في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط1، القاهرة، مصر، دار العالم العربي، ص146

2- الفاربي، أبو نصر محمد "ب، ت"، احصاء العلوم، بيروت، دار الفكر، ص45

3- يسين، خليل، (1979م)، الطب والصيدلة عند العرب، بغداد، العراق، منشورات جامعة بغداد، ص12

4- ابن القف، امين الدولة أبي الفرج بن موفق الدين، كتاب العمدة في الجراحة، ط1، حيدرآباد، دار المعارف العثمانية، ج1، ص7

2- تعريف علم الجراحة عند المسلمين:

كانت الجراحة الطبية في العصور الإسلامية الأولى من الصناعات الممتنة التي لا يعيرها المسلمون إهتماماً، فقد عرّف الأطباء العرب علم الجراحة بـ "صناعة اليد"، وترجع هذه التسمية إلى أنهم كانوا يرون أن الجراحة صناعة يدوية بخلاف الطب الذي يصفونه بأنه نتاج العقل أي يعتبرونه أعلى منزلة من عمل اليد، فقد اطلقوا عليها لفظ الصناعة، فان اطلاق هذا اللفظ أمر وارد في المؤلفات والمعاجم العربية لأن الصناعة علم متعلق بكيفية العمل⁵، ولقد أشار "الفارابي" إلى لفظ الصناعة على جميع العلوم حيث قال: "صناعة المنطق، وصناعة الموسيقى وغيرها فقد أصاب حقيقة لأن الأشياء تحصل في نفس الإنسان على الترتيب، وذلك مثل الكتابة والطب.. وغيرها من الصناعات سواء كانت عملية أم نظرية⁶. ورد تعريف آخر للجراحة لابن القف: بأنها صناعة ينظر بها في تعريف أحوال بدن الانسان من جهة ما يعرض بظاهر من أنواع التفرق في مواضيع مخصوصة، وما يلزمه وغايتها إعادة العضو إلى الحالة الطبيعية الخاصة به⁷.

3- ظهور علم الجراحة عند أطباء المشرق الإسلامي:

كانت معلومات الأطباء عن علم الجراحة في بدايات الدولة الإسلامية بسيطة حيث اعتبرت من العلوم الدخيلة الوافدة من الحضارات الأخرى فقد قنصرت معرفتهم على الحجامة، والكلي، والقص، والحمية والبت⁸، وبعد فترة عملية النقل والترجمة تطور علم الطب، وبدأ الأهتمام بعلم الجراحة شيئاً فشيئاً لاسيما بعد إنكبابهم بعضهم عليها، حيث قاموا بدراسة المؤلفات اليونانية مثل كتب بقراط -مثل كتاب "الأمراض الوافدة" - التي تُرجمت إلى العربية وغيرها علي يد حنين بن أسحق العبادي، وصحح ترجمتها جبريل بن ختشيوع، ثم كتب جالينوس- مثل كتاب "الصناعات الطبية" - ان هذا الكتاب شاع استعماله في العصور الأوسطى بصورة واسعة، وعكس مدى الأهتمام بعلم الجراحة حيث يرجع الفضل لعملية الترجمة فهي التي شكلت الأرضية والمرجعية

⁵- الجرحاني، علي بن محمد، (1971م)، التعريفات، تونس، الدار التونسية، ص118

⁶-بايوش جعفر، مدخل منهجي لتاريخ الطب في الأندلس، مجلة ميادين للدراسات العلوم الأنسانية، المجلد الثاني العدد 3، 2021 م، ص278-377

⁷- حتي فيليب، ادوروجري، جبرائيل حبور، (1958م)، تاريخ العرب بيروت، دار الكشاف للطباعة والنشر، ص685. بابان زهراء تومي رفيقة، ادوات الجراحة الطبية في القرن 13 من خلال مخطوط العمدة في صناعة

الجراحة، المجلة الجزائرية للمخطوطات، 2019م، مجلد14، العدد2، ص13-33

⁸- الحسين، قصي، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، بيروت، دار البحار، ص 501

لتقدم علم الطب الإسلامي، وحافظت على التراث اليوناني من الضياع والإندثار، وازدادت إليه ابتكار علماء المسلمين⁹.

حظي علم الجراحة بشهرة واسعة حيث قدم علي بن ربن الطبري موسوعته العربية الشهيرة "فردوس الحكمة" التي ألفها في القرن الثالث الهجري كما ظهر مؤلف أسحق بن حنين في "صناعة العلاج بالحديد" ثم توالى كتابات الأطباء العرب، والمسلمين ولعل أبرزهم العالم العربي علي بن العباس (982 أو 994 م) الذي خصص فصلاً عن الجراحة في كتابه المعروف بـ "كامل الصناعة الطبية" ثم تبعه ابوبكر الرازي (865-925م) بموسوعته المعروفة "الحاوي في الطب" التي ضمنها فصلاً في مختلف فروع الجراحة، وجاء بعده ابن سينا (980-1037م) بمؤلفه المشهور المسمى "بالقانون" الذي أورد فيه معلومات مهمة عن العمليات الجراحية، وقد كثر عدد العلماء المسلمين في المشرق الإسلامي وتضاعف¹⁰.

4- علم التشريح عند العرب:

كان الأطباء المسلمون لا يشرحون جسم البشر، أو الحيوان لتحريم ذلك شرعاً، ويمكن الاستدلال على هذا المذهب برأى يوحنا بن ماسويه (243هـ/857م) الذي نسبته له كتب التراجم وهو يقول: (ولولا كثرة فضول السلطان، ودخوله فيما لا يعنيه لشرحت ابني ذا حياً مثلما كان جالينوس يشرح الناس والقروء، فكنت أعرف بتشريحه الأسباب التي كان لها بلادته وأريح الدنيا من خلقته، وأكسب أهلها بما أضع في كتابي من صنعة تركيب بدنه، ومجاري عروقه وأوراده وأعصابه علماً، ولكن السلطان يمنع من ذلك)¹¹، مثل هذا الرأي لمروان بن عبد الملك بن زهر (464هـ/1072م) في شق الحصى في الجراحة وهو قوله، وأما ما يكون من أعمال المستفزة القبيحة كالشق على الحصى فإن الحر لا يرضى لنفسه بعمل ذلك ولا بمشاهدته وما أظن أن الشريعة تبيحه، إذ فيه كشف العورة وكشفها حرام)¹². فالتشريح الجراحة صنوان لا انفكاك منهما.

⁹- جعفر بايوش، مرجع سابق، ص 278-377

¹⁰- الحسين، قصي، مرجع سابق، ص 501-502

¹¹- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس بن أحمد القاسم، (1998م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق محمد باسل، بيروت، دارالكتب العلمية، ج2، ص 128-129

¹²- ابن زهر، أبو مروان عبد الملك، (1981م)، التيسير في المداواة والتدبير، ط1، تحقيق مشيل الخوري، دمشق، سوريا، دار الفكر العربي، ص 320

لقد ارتبطت العمليات الجراحية بعلم التشريح حيث تعتبر المعرفة الدقيقة بالتشريح، ووظائف الأعضاء هي القاعدة الأساسية والسليمة لمهنة الجراحة، وأساس تطورها، فالتشريح علماً قائماً بذاته له منهجه الخاص به، فهو يعتبر أساس علم الجراحة، فمن لم يتعلمه لا يُمكن له أن يتمرس في (عمل اليد) كما أن المران الحقيقي والمستمر للجراح من شأنه أيضاً زيادة المعرفة الطبية فقد ظهر لنا أهمية علم التشريح من خلال ممارسة الزهراوي له، فهو الطبيب الذي علي يده عرف التاريخ الإنساني لأول مرة علم منظم له أسسه وقواعده الممنهجة، الأمر الذي وسع المعرفة العلمية، وعمقها بشأن طبيعة الجسم الإنساني، ووظائفه المختلفة¹³.

المبحث الثاني: العلوم الطبية في الأندلس:

1- ظهور العلوم الطبية في الأندلس: بدأ الأهتمام بالطب في الأندلس بعد ازدياد الحركة العلمية التي تمثلت في الجمع والتأليف وتقريب العلماء، وإنشاء المكتبات كما كان للدور الذي بذله الحكام في كل هذه الخطوات الصدى الأكبر في تحديد نمط الحركة العلمية الأندلسية حيث ذكرت المصادر ان أول من اشتغل بالطب حمدين بن ابان من أهل قرطبة، وابن ابي اصبيعة في عيون الأبناء في طبقات الأطباء، وعبد الملك ابن حبيب بن جلجل الذي ألف أول موسوعة طبية وضعت في القرن الرابع الهجري والتي تعتبر من أهم مصادر تاريخ الطب وهي الموسوعة المعروفة ب "طبقات الاطباء والعلماء" ثم اتى بعده ابي القاسم الزهراوي الذي الف "التصريف لمن عجز عن التأليف" وكانت المقالة الثلاثين تختص بعلم الجراحة والتي بها قفزت النهضة الطبية خطوات كبيرة في علم الجراحة علي يد هذا العالم الجراح¹⁴.

2. أبو القاسم الزهراوي:

1-مولد الزهراوي ولقبه:

هو ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي المعروف باللاتينية (Abulcasia)، ولد عام325هـ/937م بمدينة الزهراء التي تقع على بعد بضعة أميال غربي قرطبة ببلاد الأندلس التي نسب إليها. نشأ الزهراوي في بيئة توفرت فيها جميع وسائل الانتاج الفكري والعلمي والمعرفي، فتلقى

¹³- التويجري، عبد العزيز ناصر والناصر ومحمد سليمان، الجراحة المقالة الثلاثون في موسوعة التصريف لمن عجز عن التأليف ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، 2001م، ط3، السعودية، مكتبة الملك فهد، ص46.

¹⁴- امين الورد، باقر، (1986م)، معجم علماء العرب، ط1، العراق، مكتبة النهضة العربية، ج1، ص122.

تعليمه في قرطبة ثم مارس مهنة الطب بعد تعلمها مما أكسبه خبرة، وتجربة في دراساته الطبية التي أعتمد فيها على التجربة العملية، والخبرة العلمية والمشاهدة والملاحظة¹⁵، وأمن باهميتها للطبيب الجراح الأمر الذي أكسبه شهرة واسعة من خلال العمليات الجراحية التي كان يجريها الى أن أصبح طبيباً واسع الشهرة في بلاده¹⁶، أعظم جراح عرفته العصور الأوسطى بإعتراف المنصفين من الباحثين العرب والغربيين القدماء والمحدثين فالعالم ابن حزم القرطبي في رسالته في فضائل أهل الأندلس يطري ابا القاسم الزهراوي فيقول: (وقد ادركناه وشاهدنا، ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب كتاب اجمع منه، ولا احسن للقول والعمل في الطبائع والجبر لنصدقن)¹⁷، كما نجد له ذكر في مقتبس الحميدي بأنه من أهل الفضل والدين والعلم، وعلمه الذي سبق فيه علم الطب وبفضل نبوغه وعبقريته قرب الخلفاء في الأندلس¹⁸، فقد أصبح نجم الجراحة العربية الساطع في قصر الحكم الثاني في قرطبة¹⁹.

1- دراسة الزهراوي:

درس الزهراوي دراسة متعمقة في علم التشريح بمدينة الزهراء، ثم انتقل الى قرطبة، ومارس مهنته فوجد أن هنالك حالات تحتاج الى عمليات جراحية حين ذاك بدأ اهتمام كبيراً بعلم الجراحة، فدرس العمليات التي اجراها الأطباء قبله على مر العصور، فوجد أنها كانت تجرى بطريقة بدائية تعرض حياة المريض لكثير من المضاعفات التي تؤدي الى فشلها في معظم الحالات، ووجد أن الأطباء كانوا في حاجة الى كثير من الآلات، والأدوات الجراحية لذلك قرر أمرين أولهما أن يجتهد في اختراع آلات جراحية تعين الطبيب على إجراء العمليات المختلفة²⁰، وثانيهما أن يؤلف كتاباً يشتمل على جزء نظري في الطب، وعلى جزء آخر عن الجراحة التي كانوا يسمونها (عمل اليد)،

¹⁵- السرحاني، راغب، (2009م)، قصة العلوم الطبية، ط1، القاهرة، مصر، مؤسسة أقرأ، ص201.

¹⁶- ملوحي، ناصر محي الدين، (2019م)، تاريخ العلم وجزير التاريخ العلمي البشري، سوريا، دارالغسق للنشر، ص69.

¹⁷- ابن حزم الأندلسي، علي بن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، (1981)، تحقيق احسان عباس، بيروت، ج2، ص128.

¹⁸- الزركلي، خير الدين، 2002م، الاعلام قاموس تراجم، ط15، لبنان، دارالعلم للملايين، ص310.

¹⁹- الحميدي، ابو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله، (2008م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ط1،، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، تونس، دارالغرب الإسلامي، ص303.

²⁰-محمد مونس عوض، (2010م)، في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الأوسطى، ط1، القاهرة، دارالعالم العربي، ص146.

يذكر فيه العمليات الجراحية التي تم إجراؤها²¹، ثم درس الزهراوي التشوهات الخلقية في الفك والفم، وتمكن عن طريق العمليات الجراحية من استئصال الأورام الليفية في الأغشية المخاطية، ونجح في عملية القسبة الهوائية وإيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة وهو فتح علمي كبير ادعي تحقيقه الجراح الفرنسي الشهير باري²².

3. فلسفة الزهراوي الطبية:

ظهر الزهراوي بفلسفته الطبية التي تقوم على أن الطبيب الماهر لا يكون طبيباً إلا بعد معرفته التامة بهذه المهنة الشاقة، ودراسته الوافية لعلم التشريح كما أنه لأبد للطبيب من " العمل باليد" وأن الجراحة هي صنعة من أخذ بالحظ الأوفر من المعرفة الطبية لا صنعة الجهال أو المبتدئين²³، فقد أكد جابر بن حيان هذا بقوله: (من كان درياً كان عالماً حقاً ومن لم يكن درياً لم يكن عالماً)²⁴، نظراً لأهمية هذه المهمة في حياة الأنسانية والصحية، ولأهميتها في حياتنا اليومية، ولإرتباطها بالصحة العامة، وصحة الإنسان وسلامته منذ القدم فقد كان وما زال علم الجراحة يؤدي دوره المتعظم في عالم الطب والمعرفة، فقد ادرك الزهراوي هذا من خلال تجربته الطبية التي لعب فيها دوراً بارزاً بأحداث التغيير الجوهري في النظرة العلمية لعلم الجراحة" العمل باليد باعتبارها من أهم العلوم التطبيقية فقد كان لها عظيم الأثر في انفتاح الأوروبيين على مجال الطب والجراحة العربية²⁵.

4. نهج الزهراوي في تعلم العلوم الطبية:

كان الزهراوي أول من فرق بين الجراحة، وبقية التخصصات الطبية حيث استخدم منهج الأطباء اليونان أمثال ابقراط وجالينوس وديوسقوريدس فلم يقف الزهراوي مكتوف الأيدي، فقد درس الطب معتمداً على نصوص، وتعليمات الأقدمين بل ابدع، وعمل التجارب، وجاء بالتوصيات²⁶،

²¹- خضير، فوزي، 1999م، عباقرة المسلمين في الطب للأطفال، ط1، القاهرة، مكتبة الغد، القاهرة، ص15

²²- فوزي خضير، مرجع سابق، ص16

²³- عبد الغني مصطفى لبيب، (2000م)، دور الزهراوي في تأسيس علم الجراحة، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص10.

²⁴- جعفر بابوش، مرجع سابق، ص278-377

²⁵- عبد الغني مصطفى لبيب، (2000م)، دور الزهراوي في تأسيس علم الجراحة، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص10.

²⁶- الموساوي، عطار د تقي عبود، تطور الطب في الأندلس منذ عهد خلافة بني أمية وحتى عهد الموحدين(273-

620، 886-1232م) مجلة بابل للعلوم الانسانية، 2013م، مجلد 21، عدد 3، ص764-784

واستفاد من نظرياتهم العلمية في علم الجراحة، وتمكن من ممارسة هذه الصنعة في البيمارستانات في قرطبة، فأضاف الى تلك المعلومات المؤثقة تعليقاته، وزودها بالتجارب العديدة، والآراء السديدة فقد تمثلت عبقرية الزهراوي في أنه أحدث تغييراً جوهرياً في النظرة العلمية، واتجاه التطور العلمي، وفي أسلوب العمل العلمي حين رسخ علاقة جدلية واعية بين النظر والعمل عندما استخدم مفهوم الصانع مرادف للطبيب ويخص الجراحة بالذات من بين فروع الطب العديدة بأنها "صنعة" او عمل اليد وممارسة بـ "آلات وحدديد" وهي صنعة من أخذ بالحظ الأوفر من المعرفة الطبية لا صنعة الجهال او المبتدئين" فلم يكن تبويب الزهراوي لموسوعته الطبية "التصريف لمن عجز عن التأليف" عملاً عشوائياً ولم تأت المقالة الثلاثون عن الجراحة بمحض الصدفة، ولكنها جاءت لتوضح بضرورة ما يمكن للطبيب ان يفعله في العمل الجراحي²⁷.

كان الزهراوي أول من ربط الشرايين، واستأصل حصى المثانة في النساء عن طريق المهبل، وأول من أوقف التزيف، ونجح في عملية شق القصبه الهوائية، وبحث في التهاب المفاصل، واكتشف آلة لتوسيع باب الرحم للعمليات²⁸، فتحدث مرفق الدين بن ابي أصيبعة صاحب "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" عنه بأنه كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة، والمركبة جيد العلاج²⁹، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب وأفضلها كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف"، وقد اشتهر الزهراوي بتقدمه الملحوظ في علم الجراحة حتى صار علماء الغرب يشهدون بنظرياته، وملاحظته القيمة في هذا المجال حيث ابتكر الكثير في علم الجراحة في القرون الأوسطى، وكان دعامة استندت إليها صروح الجراحة الحديثة فقد نقل عنه دوشوايك الذي يعتبر من أعظم الجراحين في القرن الرابع عشر كثيراً من آرائه واستشهد به في كتبه أكثر من مائتي مرة³⁰.

²⁷- عبد الغني مصطفى لبيب، مرجع سابق، ص8-9.

²⁸- اليوزبكي، توفيق سلطان، الحضارة الاسلامية في الأندلس واثرها على اوروبا، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث،

2020م المجلد الخامس، ع20، ص118-148.

²⁹- اليوزبكي، مرجع سابق، ص118-148.

³⁰-الزهراوي، مصدر سابق، ص47.

المبحث الثالث: تأسيس الزهراوي لعلم التشريح والجراحة:

1- علم التشريح عند الزهراوي:

تعتبر المعرفة الطبية شأنها شأن غيرها من المعارف العلمية ليست مجرد معرفة حقائق متناثرة مبعثرة لا شأن لإحدها بالأخرى لكنها ترتبط معا في بناء نسقي موحد بحكم ما بينها من صلات تناسقية دقيقة تسمح بأن يفسر بعضها بعضاً، ومع مراعاة الوحدة النسقية للمعرفة العلمية وإرتباط بعضها ببعض إلا انه يبقى التقدم العلمي هو نجاح العالم في قيامه بالتمييز، والتحليل، والجزئية، والتعامل مع كل عنصر منها على حدة تحقيقاً لمزيد من التخصص في المجال، ولعل هذا التصور الدقيق هو الذي دفع الزهراوي الى إن يخصص جزءاً من موسوعته الطبية للجراحة، ومشكلاتها المنهجية والعلمية على نحو مفصل، ودقيق لم يكن معهوداً في زمانه³¹.

لقد اتفقت الكثير من الآراء على أن المسلمين لم يمارسوا التشريح بسبب تعاليم الدين الحنيف، ولهذا اعتمدوا في معرفتهم لهذا الفرع على تشريح جالينوس في كتاب علم التشريح حيث حاولوا الأقتداء ببعض أفكاره والاستفادة منها، وقد عكس الزهراوي مدى استفادته من كتبه التي وصلت الأندلس، والتي من بينها كتاب التشريح³². فقد وضح لنا ان المعرفة الطبية الدقيقة، والتشريح ووظائف الأعضاء هي القاعدة السليمة لمهنة الجراحة، وأساس تطورها كما أن المران الحقيقي والمستمر للجراح من شأنه زيادة المعرفة الطبية، وتعميقها بطبيعة الجسم، ووظائف أعضائه.

نال علم التشريح مكانة كبيرة في التراث الأندلسي، وبرز من خلاله عدد من العلماء من بينهم أبو القاسم الزهراوي الذي قال في موسوعته: "على الطبيب ان يرتاض في علم التشريح الذي وضعه جالينوس حتى يقف على منافع الأعضاء وهيأتها ومزاجها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات وعددها ومخارجها" لأن من لم يكن عالماً بالتشريح لم يخلُ أن يقع في خطأ يقتل الناس به كما شاهدته كثيراً فهذا النص يشير الى أهمية علم التشريح، وضرورة معرفته حتى يتسنى للطبيب الجراح تدارك المخاطر، لذا تطور هذا العلم حتى أصبح له منهجاً قائماً بذاته لأنه أساس الجراحة فمن لم يتعلمه لا يمكن له ان يتمرس في علم الجراحة³³.

³¹-جعفر يايوش، مرجع سابق، ص278-377

³²-الزهراوي، مصدر سابق، ص47

³³- جعفر يايوش، مرجع سابق، ص329

لقد اوصى الزهراوي في المقالة الثلاثين من موسوعته "التصريف لمن عجز عن التأليف" بضرورة المعرفة التامة والدقيقة لمن يتخصص في علم لجراحة بالتشخيص الجيد، وتمييزه بين العلامات، والدقة في اختيار الآلات الملائمة لعمله وعدم الاكتفاء بأسلوب واحد من أساليب الفحص قبل البدء في اختيار أسلوب العلاج³⁴، وان يتعلم كيفية ربط الشرايين، وعمل عمليات تفتيت الحصاة، وجراحة العين والأسنان، وطريقة علاج الجروح فكان يذكر بجوار كل موضوع له في التشريح ما دل عليه من تجارب، وآلات حقيقة ان الزهراوي كانت له اليد الطولى في مستوى الجراحة في أوروبا تى لقب بابو الجراحة³⁵.

2- علم الجراحة عند الزهراوي

كانت الجراحة من الصناعات الممتهنة في العصور الإسلامية الأولى فقد عُرفت ب"صناعة اليد"، او العمل بالحديد، وكان العرب ينظرون لعلم تشريح جسم الإنسان ضرورة للممارسة العملية الجراحية بسلام، ونجاح فبرغم ذلك كانوا لا يمارسونها، وخصوصاً في الأورام الحارة، وحتى التي يقومون بعملها يمارسها الطبيب العام، لكن بعد تطور علم الجراحة فقد أصبحت لها أهميتها العظمى، وأصبح على الجراح تنفيذ ما يوصى به الطبيب دون نقاش، كما وضعت لها تعليمات حيث أشار ابن سينا أن على الطبيب الجراح الإهتمام بقطع أطافر يديه، وتنظيفها، وغسل محل العملية في الجسم، والمكان الذي يعمل فيه، وتبخيره ويستحضر مقدماً ما يحتاجه من آلات، ومراهم³⁶، وبرز من كتب في هذا المجال الجراحي هو على بن العباس المجوسى صاحب كتاب الملكي، ومعاصره في الأندلس ابو القاسم خلف الزهراوي، كما اشتهر بسرقسطة بحدود منتصف القرن الخامس الهجري الحادى عشر الميلادي الجراح ابو المجد عمرو بن احمد الكرمانى الذي درس اختصاصه في منطقة ما بين النهريين³⁷.

زاد أهتمام المسلمين بعلم الجراحة في المشرق الإسلامي في العصور المتأخرة، وبدأت تنال حظاً كبيراً من عنايتهم واشتغالهم وإهتمامهم كفرع خاص حيث كان الرازي أول من أهتم بها، وجاء على أثره على بن العباس المجوسى، أما في المغرب الاسلامى ومنذ بداية القرن الحادى عشر للميلاد

³⁴- مصطفى لبيب عبد الغني، مرجع سابق، ص34

³⁵- زكي، علي، (1931م)، رسالة الطب العربي وتأثيره في المدينة أوروبا، القاهرة دارالكتب المصرية، ص 32

³⁶-حنان جعيرون، نبيلة عبد الشكور، علم الجراحة عند ابي القاسم الزهراوي جراحة الأنف نموذجاً، مجلة افاق علمية، مجلد12 عدد3، 2020م، ص101-122

³⁷- السامزائي، كمال، الطب وتاريخه عند العرب، مجلة المورد، العراق، 1985م، المجلد 14، العدد الرابع، ص35

اشتهر في الأندلس ابن زهر الذي جمع بين الطب والجراحة غير أن الجراحة لم تبلغ مبتغاه إلا عند ظهور أبي القاسم الزهراوي الذي كان له منهجه في ترسيخ العلاقة الجدلية بين النظرية والممارسة الطبية في تأسيس الجراحة والف كتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف)، وقد كانت الآلات الجراحية تصنع أما من الحديد او الذهب، ويختلف استعمال كل نوع باختلاف ظروفه ففي الآت الكي مثلا كان ابو القاسم يفضل استعمال الحديد على الذهب لأسباب علمية صحيحة³⁸.

ظهر أهتمام المؤرخون المعاصرون، والقدماء بابي القاسم الزهراوي، وعكفوا على دراسة مؤلفاته فإلى جانب التعريف به، والشهادات التي قيلت فيه فقد تحدثوا عن حياته ومكانته العلمية لا سيما في الغرب الأوروبي، وتناقلوا بعده التعريف بكتابه الموسوم بالتصريف ومن دراسته أُعتبر الزهراوي فخر الجراحة العربية، وصاحب الفضل الأكبر في إحياء فنها في العصور الوسطى³⁹، فهو يعد من أعظم الجراحين الذين انجبتهم البشرية في العصر الوسيط حيث فاق أطباءالذين نالوا شهرة فائقة في علم الطب في القرن (الرابع الهجري-العاشر الميلادي)، كان رائداً في الجراحة وجودة التشخيص له مكانته العلمية والعملية في الغرب حيث عُرِف في أوروبا بابو الجراحة، وما يشير الى هذا ما قاله العالم الفزيولوجياً لكبير هالر (كانت كتب أبي القاسم المصدر العام الذي استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعدالقرن)⁴⁰. تعتبر موسوعة الزهراوي "التصريف لمن عجز عن التأليف" موسوعة علمية غير مسبوقه استمر تأليفها لمدة ستون عاماً، قدم فيه إضافات كثيرة في مجال الجراحة، وكيفية مداولتها، وضع معاييرها التي ساهمت في التقدم العلمي، وقسمة الموضوعات المشتركة، والسير بها على طريق التمييز، والتحليل والتجزئة والتعامل مع كل عنصر منها على حدة تحقيقاً لمزيد من التخصص في المجال، ولعل هذا التصور كان دافعاً للزهراوي الى أن يخصص جزءاً من موسوعته الطبية للجراحة، ومشكلاتها المنهجية والعلمية على نحو مفصل ودقيق لم يكن معهوداً في زمانه، كما وضح لنا أن علم الجراحة لأبد أن تسبقه مقدمات ضرورية من علوم، وأول هذه العلوم علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء⁴¹.

³⁸-كمال السامزائي، مرجع سابق، ص17-44

³⁹-عطار د تقي عبود الموساوي، تطور الطب في الأندلس منذ عهد خلافة بني امية وحتى نهاية عصر الموحدين، مجلة بابل للعلوم الانسانية، العراق، مجلد 21، العدد3، ص764-783

⁴⁰- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هندواي، 2012م، ص506

⁴¹- لبيب عبد الغني، مرجع سابق، ص23.

ساهم الزهراوي في علم الجراحة العامة والاستئصال الجراحي، وصنع الشقوق والعملية الجراحية في الفتق السري إلى جانب التمييز في إزالة علامات الأطراف المتعفنة، كما شرح طريقة الجراحة الوعائية، وكيفية معالجة النزيف الناجم عن انقطاع الشريان بسبب الجرح، والفسادة والحجامة، وتناول فوائد الحجامة وأوقات إجرائها وطريقاتها وآثارها وكيفية السيطرة عليها، فقد كان له الفضل في الإشارة إلى الجراحة التجميلية، ووصف بعض العمليات الجراحية لهذا الغرض كما كان من الذين أكدوا على عدم جدوى استئصال الورم العظيم المتماذي الذي يصعب استئصاله كاملاً، وفي النهاية وضحت لنا مساهماته في الجراحة العامة، والتغذية عن طريق الأنبوب عند تعذر البلع⁴². أشار الزهراوي أن هنالك حالات لا يصلح فيها الدواء، ويستلزم الأمر التدخل الجراحي لمعالجة الأسباب، لهذا قرر أن يجتهد اجتهاداً دقيقاً في تخصص الجراحة متسلحاً بالعلم الوافر، والدقة المتناهية في عمل اليد، والرغبة الجارفة في معالجة الأصابات المختلفة، والتخفيف عن المرضى، وبدأ بسلسلة من العمليات الجراحية حتى أصابت الأطباء بذهول من دقته في إجراء كل عملية تصدى لإجرائها. لذا أصبح من أكبر الجراحين، وكان لا يلجأ إلى الجراحة إلا عجزت العقاقير الطبية عن علاج المرض، كما كان يحذر الأطباء من إجراء العمليات الجراحية إلا إذا كانوا عارفين بصغائر الأمور، وكبائرها في استعمال الآلات الجراحية مع علمهم بالتشريح لأن الأخطاء في الجراحة يصعب علاجها وأحياناً يستحيل.

وضح الزهراوي فن العمليات الجراحية مع الشرح المفصل لكل عملية إضافة إلى الصور التي تشرح كيفية إجرائها، والآلات المستخدمة فيها، والأدوية التي توقف النزف بحال حدوثه هذا مما جعل العالم الأمريكي المؤرخ في طب الأسنان (ABSELL) يتحدث عنا، كما طور الآلات الطبية الجراحية المصنوعة من الحديد والذهب والفضة في العمليات الجراحية، واخترع آلات جديدة وفق الحاجة فهي لم تزل مستخدمة إلى يومنا هذا. ولم يزد عليها العلماء شيئاً مثل خافض اللسان، استعمل الزهراوي خيوط الحرير للربط في العمليات الجراحية وتحدد د. زيغريد هونكة الألمانية إنجازات الزهراوي في كتابها شمس العرب تستطع على الشرق حيث أشار إلى أنه نجم الجراحة العربية الساطع في قرطبة وواضع أسس الجراحة الأوروبية⁴³.

⁴²حنان جعيرون، نيلة عبد الشكور، علم الجراحة عند أبي القاسم الزهراوي جراحة الأنف نموذجاً، مجلة افاق علمية،

مجلد 12 عدد 3، 2020، ص 101-122

⁴³ زيغريد هونكة، شمس العرب تستطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط1، بيروت، 1964م،

استفادت أوروبا منذ القرن الثاني عشر الميلادي وحتى عصر النهضة من مجهودات الزهراوي الطبية التي أوتيت ثمارها حيث بدأت أساليب جديدة في الفحص ومعرفة الالتهابات والعدوى، ودخول الجراحة في تطور جديد من أطوار تطورها ويصدق عليه قول سارتون " ان العمل يحدث في زمان ومكان معينين ولكنه إذا كان على درجة كافية من العظمة ومن الخصب حيث شاعت فضائله في كل اتجاه في الزمان والمكان"⁴⁴، ولعل أبلغ وصية قالها الزهراوي في الباب الثلاثين للجراحين بقوله:(وبهذا يابني ينبغي لكم أن تعلموا أن العمل باليد ينقسم قسمين عمل تصحبه السلامة، وعمل يكون معه العطب في أكثر الحالات، وقد نبهت في كل مكان يأتي في هذا الكتاب الى العمل الذي فيه الغرر، والخوف فينبغي لكم ان تخذروا وترفضوا لئلا يجد الجاهل السبيل الى القول والطعن فخذوا أنفسكم بالحزم والحيطه، ومرضاكم بالرفق والتثبت واستعملوا الطريقة الأفضل المؤدية إلى السلامة، والعافية المحموده وتجنبوا الأمراض الخطيرة والعسيرة البرء، وتنزهوا انفسكم عما تخافون)⁴⁵.

3- أجراء الزهراوي للعمليات الجراحية ورسمها بالتفصيل في كتبه:

ضمت المقالة الثلاثين في موسوعة الزهراوي "التصريف لمن عجز عن التأليف" شرحاً مفصلاً للعمليات وكيفية عملها، ورسومات الأعضاء التوضيحية، والهيكل العظمي، وضمت أكثر من 200 رسم توضيحي للعمليات كما شرحت استعمال الآلات الجراحية، العمليات التي كانت تجري بعمل اليد من الكي والشق والبط، والجبر والخلع، وأضافت إليها الصور التوضيحية للآلات الجراحية المختلفة التي صنعت لأول مرة في تاريخ التأليف الطبي في الحضارة الإنسانية، وكيفية طريقة مداوي الأدوية، ثم طباعة أسم الدواء وكيفية استخدامه⁴⁶، لذا عُرف الزهراوي طبيباً وجراحاً وغلبت على علمه الجراحة، وقد لمع اسمه في كتب أوروبا اللاتينية أكثر مما نظر إليه المسلمين ومعاصره كما لم يترجم له العرب أكثر مما ترجموا لغيره من الأطباء الغرب⁴⁷.

وضح الزهراوي الأدوية التي توقف النزف بحال حدوثه هذا ما جعل العالم الأمريكي المؤرخ (ABSELL) يعتبر الزهراوي من أشهر جراحة الفكين في القرن العشرين⁴⁸. بجانب ذلك قدم

⁴⁴- مصطفى لبيب، مرجع سابق، ص9

⁴⁵- الزهراوي، مصدر سابق، ص133

⁴⁶- مصطفى لبيب، مرجع سابق، ص10

⁴⁷- كمال السامرائي، مرجع سابق، ص17-44

⁴⁸- حسين حمادة، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، 1987م، ص79-80

مساهماته في جراحة الرأس، والجراحة العينية والأنفية، وجراحة الفك والغم والأسنان هذا يظهر لنا من خلال مساهمات من اتى بعده مثل ابن زهر والقربلياني في الجراحة العينية والأذنية، وجراحة الرأس أما بالنسبة للجراحة البولية التناسلية فيفردان لها الفصل الرابع، وفيه يعرضان لما قام به الزهراوي من وصف لإستعمال القسطرة البولية بدقة بالغة إضافة إلى حديثه عن حصة المثانة وعلاماتها وكيفية استخراجها إلى جانب الحديث عن الجراحة النسائية لا سيما فيما يتعلق منها بالولادة وعلاج الحمل خارج الرحم⁴⁹.

4- مساهمة الزهراوي في جراحة السرطان:

قدم الزهراوي وصفاً دقيقاً للسرطان حيث وصف الضفدع الصغير المتولد في اي جزء من أجزاء الجسم، فإن كان أسود وصلباً يجب أن لا يتعرض له لأنه ورم خبيث (سرطان)، وأن كان لونه فاتحاً، ولزج فكان يقول يجب معالجته والعمل فيه أنه ورم حميد تكلم عن علاماته بشكل عام وعن العلاج الجراحي له حيث ميز بين نوعين، نوع واقع في موضع كثير اللحم، ونوع متفرع، ثم بين أهمية العلاج المبكر له للشفاء منه كما تناول سرطان الفك والرحم وكيفية علاجهما كما كان الزهراوي أول من اكتشف النزيف الدموي الذي يُطلق عليه اسم الناعور أو الهيموفيليا، وتعتبر الجراحة العظمية والجراحة الرضية جزءاً مهماً من الجراحة في الطب الأندلسي⁵⁰.

5- مساهمة الزهراوي في العمليات التجميلية:

من المدهش ان ابا القاسم الزهراوي قد اجرى عمليات في مجال جراحة التجميل التي يعتقد كثير من الناس أنها من العمليات الحديثة هذا أن دل على شئ فانما يدل على عبقرية، وأنه كان سابقاً لعصره، لقد عمل الزهراوي على استئصال الأورام المتكونة في الأنف والفك، وجرى عليها الجراحة اللازمة كما تعرض للحوم الزائدة والنايبة في الأنف وجرى عليها عملياته حتى شفيت وكل هذه الإنجازات العظيمة وغيرها ضمها المقالة الثلاثين. كان الزهراوي صاحب فكر جديد فهو الذي جعل من الجراحة فرعاً طبياً ذا مكانة سامية بين فروع الطب وهو واضع الأسس الحديثة لهذا العلم لذلك

⁴⁹ - حسين حمادة، مرجع سابق، ص79-80

⁵⁰ - كمال السامرائي، الطب وتاريخه عند العرب، مجلة المورد، العراق 1985م، المجلد 14، العدد الرابع، ص36

اطلق عليه ابو الجراحة⁵¹، مثل القسم الثالث من كتاب الزهراوي دوراً هاماً في اوروبا اذ وضع أسس الجراحة الاوروبية فاصبحت الجراحة مستقلة بذاتها ومعتمدة في اصولها على علم التشريح⁵².

6- ممارسة عملية الوظيفة:

اعتمد ابو القاسم الزهراوي على الممارسة العملية التي تكسب الجراح مهارة وبراعة في- العمل باليد – أي الجراحة وبين ذلك لطلابه في كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" فهو أول من اشار الى إن المريض الذي تجرى له عملية جراحة في الفك والأسنان يجب أن يكون وضعه مائلاً، وقد طبقت هذه الطريقة في مختلف العمليات الجراحية الداخلية حيث يجعل رأس المريض منخفضاً على الأطراف وهو ما يستخدم حالياً (بكرسي المائل) فقد عزي الأطباء الغربيون هذه الوضعية الى الجراح الألماني(تراند يلنبرغ) وهذا الأبداع لم ينصف الزهراوي الذي اشار الى هذه الطريقة، وطبقها قبل مئات السنين من الجراح الألماني⁵³.

1- **التخدير العام:** عرف فن التخدير في منذ القدم وخاصة عند الفراعنة واليونان، وقد استخدمه الزهراوي في العمليات الجراحية في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، حيث لجأ الى تخدير المريض قبل اجراء العملية الجراحية من خلال استخدامه لفن التخدير (المستنشق) فيها، فقد استخدم "الإسفنج المنوعة"⁵⁴، وهي إسفنج مغمورة بالمواد العطرية، والمخدرات يتم وضعها تحت الأنف خلال العمليات الجراحية للمريض، لقد تأصلت جذور الجراحة العربية ممثلة في ابي القاسم في أوروبا في العصور الوسطى وهو بلا ريب واضع أساس الحراجة الحديثة⁵⁴، فهو يعتبر أول من ربط الشريان لإيقاف النزيف⁵⁵، وأول من ادخل استعمال الحرير واوتار العود بهيئة خيوط للربط في الجراحة⁵⁶.

⁵¹ فوزي خضير مرجع سابق، ص16

⁵² زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ط1، 1964، ص288

⁵³ ناصر محي الدين ملوحي، مرجع سابق، ص70

⁵⁴ زكي علي، مرجع سابق، ص33.

⁵⁵ - J Periodontol. 1964; 35: 424-429 Journal Of Orthodontic, oct 2012.

⁵⁶ - حسين حمادة، مرجع سابق، ص79-80.

Albucasis (Abu Al-Qasim Al-Zahrawi): Renowned Muslim Surgeon of the Tenth Century (Great Muslim Philosophers and Scientists of the Middle Ages) Library Binding – Illustrated, 8 Feb. 2006 <https://www.amazon.co.uk/Albucasis-Abu-Al-Qasim-Al-Zahrawi-Philosophers>.

تمكن الزهراوي من اختراع أولى أدوات الجراحة كالمشرط والمقص الجراحي كما وضع الأسس والقوانين للجراحة والتي من أهمها ربط الأوعية لمنع نزفها، واختراع خيوط الجراحة، ان مآكته الزهراوي في التوليد والجراحة النسائية ليعتبر كنزاً ثميناً في علم الطب حيث يصف وضعيتي (TRENDELEMBURE-WALCHER) المهمتين من الناحية الطبية، إضافة الى وصف التوليد واختلاطاته وطرق تدبير الولادات العسيرة وكيفية جراحاتها وطرق علاج الاجهاض وابتكر آلة إخراج الجنين الميت وسبق د. فاشر بنحو تسعمائة سنة في وصف ومعالجة الولادة الحوضية وهو اول من استعمل آلات خاصة لتوسيع عنق الرحم⁵⁷.

2- عملية وقف النزيف والخيوط الجراحية: ابتكر الزهراوي طرائق متعددة لوقف النزف اثناء عمل العمليات الجراحية كما أنه نجح في تخييط الجروح بشكل داخلي ولا يترك شيئاً مرئياً منها بعد العمليات الجراحية وعلم الأطباء كيفية التخييط بابرئين وخيط واحد مثبت بهما، واستعمل الخيوط المستمدة من أمعاء القطط في جراحات امعاء الإنسان وقد أطلق على هذا الأسم "إلمام الجروح تحت الأدمة" كما انه أول من استعمل الخياطة التجميلية تحت الجلد، وأول من ابتكر الخياطة المثمنة، وهذه أمور مهمة جداً في فن الجراحة الحديثة⁵⁸. كما وضح كيفية وضع المريض في عمليات الجزء الأسفل من الجسم وقد ظلت تمارس حتى وقتنا الحالي كما امد الجراحين وأطباء العيون والأسنان الأوروبيين بالآلات اللازمة للعمليات بواسطة الرسوم الجديدة التي وصفها في كتابه الذي أسماه التصريف لمن عجز عن التأليف" وهكذا ينظر العلماء العالميون الى الزهراوي عبقرى الجراحة فقد اصبح أستاذا لعلماء أوروبا من خلال كتابه لمدة خمسة قرون⁵⁹.

3- التعقيم: كان الزهراوي طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة، والمركبة جيد العلاج وله تصانيف مشهورة فقد استعمل ملح الطعام لتطهير للجروح من التعفن، واستعمل الشب والأفيون والخل في عمليات التعقيم كما استخدم مادة الصفراء- قبل إجراء العملية – وفي تعقيم الآلات التي يستخدمها في العمليات الجراحية، وقد أثبت الطب الحديث أن مادة الصفراء تقلل من وجود البكتيريا. أما في الطب الحديث فيستعمل التعقيم الكيميائي أو التعقيم البارد هذا النوع من التعقيم يستخدم في تعقيم المعدات

⁵⁷- راغب السرحاني، مرجع سابق، ص210.

⁵⁸- حسين حمادة، مرجع سابق، ص79-80.

⁵⁹- *J Periodontol.* 1964; 35: 424-429 *JouralOf Orthodontic*, oct 2012.

غير الخطرة التي لا تتعرض للتلوث بالدم، وكذلك المعدات التي تتأثر بالحرارة ومن المواد التي تستخدم في التعقيم الكيميائي كحول الأيثيل ومادة (الفلوتر الزهيد) وبتراكيزات معينة⁶⁰.

4- **الكي بالنار:** يعتبر الزهراوي أول من ابتكر الكي بالنار لمعالجة عمليات التسوس، وأول من أدخل القطن في الاستخدام الطبي، ووصف الآلات والأدوات الجراحية التي اخترعها بنفسه للعمل بها في عملياته، وكيفية استعمالها وطرق تصنيفها: منها الملاعق خاصة لخفض اللسان، وفحص الدم ومقلصة اللوزتين، والجفت وكلابات خلع الأسنان واستعمالها في القلع، وقد خصص لكل ضرر وسن نوع من الكلابات، والمقصات ومناشير العظام المكاوي والمشارط والمبارد.

7- تأليف موسوعة التصريف لمن عجز عن التأليف:

تعتبر أول موسوعة علمية مصورة في تاريخ الطب والمقالة الثلاثون في الجراحة من ثلاثة ابواب وتضم في مجموعها 188 فصلاً وما يقرب من مائتي صورة توضيحية للآلات الجراحية وفي حين اعتبرت الجراحة شيئاً ممتهاً فقد عرضت عند الزهراوي أساس كبير من المعرفة⁶¹. حيث تميزت بالوضوح والبعد عن النظريات إذ تضمنت مقالات في التشريح والطب العام والجراحة تتألف من ثلاثين باب وأهمها الباب الثلاثين الذي تحدثت فيه عن علم الجراحة، وفن التشريح الذي مارسه بنفسه لأهميته في تطوير حقل الجراحة فمن خلالها عرف الإنسان لأول مرة في التاريخ الانساني علم منظم له أسسه، وقواعده وهو علم الجراحة.

لقد ظل هذا العلم محققراً احتقاراً شديداً من قبل أوروبا حتى القرن الرابع عشر الميلادي فقد كانت الكنيسة تحرم ممارسته. وبقرريته الوقادة ونبوغه المبكر استطاع كتابة كل نظرياته التي طبقها على مرضاه بنجاح كبير والتي ذاع صيتها في اقاصي المعمورة في هذه الموسوعة وقد الف الزهراوي في الطب النظري والعملي واشهر مؤلفاته موسوعته "الصريف لمن عجز عن التأليف"⁶². قدم الزهراوي في الموسوعة تعريف مفصل ووافي بأدواته في مجال جراحة الشرايين والمسالك

⁶⁰- Hamarneh S. Al-Zahrawi, Abul-QasimKhalafIbn Abbas. In: Gillispie Charles Coulston., editor. Dictionary of Scientific Biography. XIV. Charles Scribner's Sons Publishers; New York: 1976. pp. 584–585.

⁶¹- امين توفيق الطيبي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس دار الكتاب العربية 1997، ج2، ص12.

⁶²- عبد العزيز ناصر الناصر، وعلي بن سليمان التويجيري ابو القاسم عباس الزهراوي، المقالة الثلاثون من الموسوعة الطبية المعروفة بالتصريف لمنعجز عن التأليف، ص46.

البولية وعلاج الزوائد الأنفية، واستئصال اللوزتين إضافة إلى جهاز الاستئصال الذي كان أول من اخترعه، وإلى جانب الحديث عن أشياخ الزهراوي وتلامذته يدونان الكثير من أقواله وأدبه الطبي.

تعتبر موسوعة" التصريف لمن عجز عن التأليف" موسوعة شاملة وعلمية قيمة كانت دليلاً للجراحين في أوروبا حتى عصر النهضة حيث قُسمت إلى ثلاثة أجزاء أولها في الكي كما يشير به الطب النبوي ويقترحه الزهراوي لعاج الصرع، والثاني في العمليات التي تجري بالمشروط، وعمليات العيون والفم، والثالث في أنواع العظام وخلعها ثم في التوليد⁶³. حيث أصبحت المرجع الشامل لكثير من الجراحات الطبية، والنادر في العالم التي يركز عليها في العلوم الطبية، ومن هنا ندرك النقلة العلمية الكبرى التي حدثت في علم جراحة حيث تألفت الموسوعة من ثلاثين مقالة، وكل مقالة تكاد أن تكون كتاباً مستقلاً، وخصص المقالة الأخيرة للعمل باليد ويعنى بها علم الجراحة، وتعتبر هذه المقالة أكبر إختراع قدمه للإنسانية⁶⁴.

وكان لموسوعته **التصريف لمن عجز عن التأليف** أعظم الأثر في النهضة الأوروبية مدى خمسة قرون واحتلت المكان الأول في علم الجراحة لتمييزه بكثرة رسومه ووفرة أشكال الآلات التي كان يستعملها التي كانت من ابتكاره وقد ترجم بعد ظهوره إلى العبرية والألمانية بمدينة البندقية عام 1495 واستراسبورج عام 1532م وبال عام 1541م كتب فيه اكتشافه للمحفنة الشرحية المعروفة اليوم كما سجل عملية ربط الشرايين عند إصابتها بجروح⁶⁵، ووضح الاستعداد في بعض الأجسام البشرية للزيف هيموفيليا عند مشاهدته لعدة حوادث زيف في عائلة واحدة فقد عالجه بالكي وقد ترجم " جيرارد كريمة القسم الجراحي الذي صار كتاب مدرسي في الجامعات الأوروبية كجامعة سايرمو وغيرها من الجامعات ويقول " سارتون عن الزهراوي أنه أكبر جراح الإسلام ويقول عنه نجيب محفوظ انه فخر الجراحة العربية. هو الكتاب المعتمد في مجال الجراحة لسهولة أسلوبه وكثرة رسومه للآلات التي تستخدم في العمليات الجراحية⁶⁶.

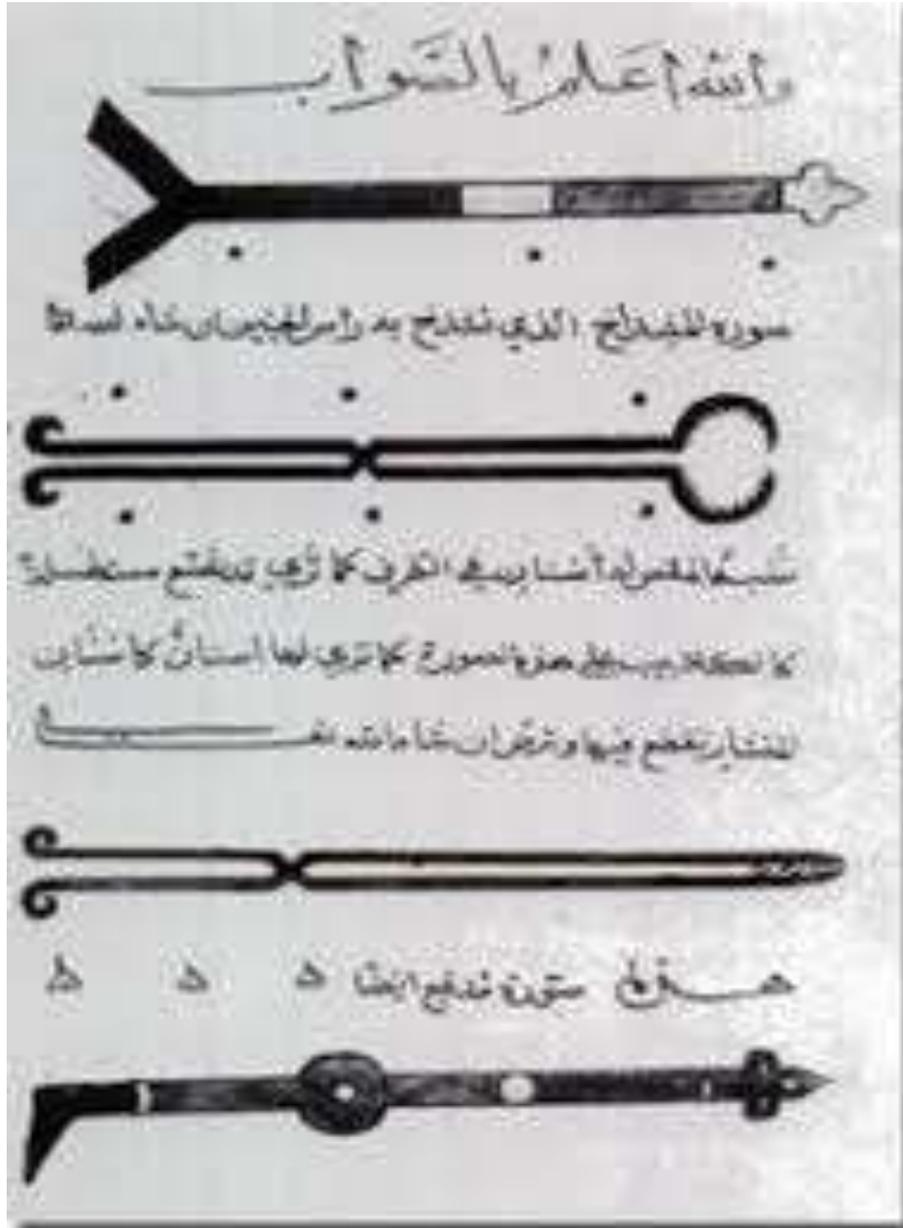
⁶³- عبد الرزاق الشقيقي، عصر الترجمة والعصر الذهبي للطب العربي، مجلة التراث الإسلامي، يناير 1991 العدد 41، ص77.

⁶⁴- مصطفى لبيب، مرجع سابق، ص10.

⁶⁵- حسين محمد كامل، المؤرخ في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، مطبعة بنغازي ليبيا، ب ت، ص97.

⁶⁶- الزهراوي مصدر سابق، ص123.

الآلات التي استخدمها الزهراوي في عملياته الجراحية



التصريف لمن عجز عن التأليف



.المصدر: الزهراوي، ص 77 .

الخاتمة:

ليس من الغريب أن تصبح الموسوعة العلمية "التصريف لمن عجز عن التأليف" المصدر الأساسي لجراحي الغرب حتى القرن السابع عشر، وتظل المرجع الأساسي لدراسة الجراحة في جامعات أوروبا، مثل جامعة سالزنو مونبلييه، وأن تكن المركز الأعظم الذي يعتمد عليها الطب الحديث لأنها أحدثت تغييراً جوهرياً في النظرة العلمية في علم الجراحة حيث كان له فضل تطور علم الجراحة من خلال المقالة الثلاثين من موسوعته التي كشفت عبقريته في تشخيص الأمراض ومعالجتها ثم اختراعه للعديد من الآلات المستخدمة في جراحاتها، وكذلك توصله إلى اختراع الدواء وكتابة الأسماء عليه كما تبدو مكانة الزهراوي من خلال مخترعاته السالفة الذكر جراء تأثير الطب الحديث بها وبمساهماته العلمية بداية لتطور علم الجراحة الحديثة وفي ضوء هذه الدراسة فقد توصلت إلى العديد من النتائج.

النتائج:

- 1- كشفت الدراسة مكانة الزهراوي العلمية عند الغربيين منذ القرن الثاني عشر الميلادي وحتى السابع عشر، واستفادتهم من مؤلفاته العلمية في مجال الجراحة.
- 2- تحددت مكانة الزهراوي العلمية بالقياس إلى عمله وعلمه في ميدان الجراحة باعتبارها ضرورة تفرضا الظروف الصحية والانسانية للبشرية.
- 3- توصلت الدراسة إلى تمكن الزهراوي من ترسيخ العلاقة الجدلية بين النظرية والممارسة الطبية في تأسيس علم الجراحة.
- 4- توصلت الدراسة إلى أن الزهراوي أول من وضع علم الجراحة في موضع العلوم الأخرى بل جعله علم مستقلاً له منهجيته وهدفه وموضوعه.
- 5- وضح الزهراوي الفرق بين علم كمنشأ معرفي وبين التطبيق العملي في علم الجراحة فقد أشار للطبيب من ضرورة اقتران العلم بالتدريب حتى يتمكن من النجاح في عمله.

التوصيات:

- 1- توصي الدراسة بدراسة ابتكارات الحضارة العربية الإسلامية، ومعرفة ابتكارات علماء المسلمين في مختلف ضروب المعرفة خاصة المجال العلمي والتوثيق لهم.
- 2- الإهتمام بالإرث الحضاري الإسلامي وتكريس مبدأ إحياء التراث العربي الإسلامي
- 3- تشكيل فرق بحثية للبحث والدراسة في مؤلفات المسلمين خاصة في مجال العلوم الطبية والصيدلانية
- 4- تنظيم ندوات، ومحاضرات للكشف عن المزيد من ابتكارات العلماء المسلمين وأسبقيتها على المخترعات الأوروبية.
- 5- عرف الأندلسيون مهنة الطب وتركوا لهم أثراً تاريخياً يتحدثنا بآدابهم، وقادرتهم على تطوير مهنة وخاصة الجراحة.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- 1- ابن ابي اصيبعة موفق الدين ابي العباس بن احمد القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج2.
- 2- ابو مروان عبد الملك بن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق مشيل الخوري، ط1، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، 1981م.
- 3- ابو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م
- 5- امين الدولة ابي الفرج بن موفق الدين بن القف، كتاب العمدة في الجراحة، ط1، دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، ج1
- 6- علي بن محمد الجرحاني، التعريفات، الدار التونسية، تونس، 1971م.
- 7- امين توفيق الطيبي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس دار الكتاب العربية، 1997، ج2.

- 8-باقر امين الورد، معجم علماء العرب، ط1، مكتبة النهضة العربية، العراق 1986م، ج1.
- 9-خليل يسين. الطبوالصيدلةعندالعرب، منشورات جامعةبغداد، بغداد، 1979.
- 10-خير الدين الزركلي، الاعلام قاموس تراجم، ط15، دار العلم للملايين، لبنان، 2002.
- 11- حسين حمادة، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، 1987م.
- 12-حسين محمد كامل المؤخر في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، مطبعة بنغازي ليبيا، ب ت،
- 13-راغب السرحاني، قصة العلوم الطبية، ط1، مؤسسة أقرأ، القاهرة، مصر، 2009م.
- 14-زكي علي، رسالة الطب العربي وتأثيره في المدينة اوربا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1931م.
- 15-زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق ببيضون، كمال دسوقي، ط1، بيروت، 1964م.
- 16- عبد العزيز ناصر الناصر ومحمد سليمان التويجري، الجراحة المقالة الثلاثون في موسوعة التصريف لمن عجز عن التأليف ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، ط3 مكتبة الملك فهد، ط3، 2001م.
- 17- علي بن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق احسان عباس، بيروت، 1981، ج2،
- 18-غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هندواي، القاهرة، 2012م
- 19- الفاربي، ابو نصر محمد، احصاء العلوم، دار الفكر بيروت، ب.ت
- 20-فيليب حتي، ادوروجرجي، جبرائيل حبور، تاريخ العرب، دار الكشاف للطباعة والنشر، بيروت، 1958م.
- 21- قصي الحسيني موسوعة الحضارة العربية الاسلامية، دار البحار، بيروت، ب.ت
- 22-محمد مونس عوض، في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الأوسطى، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2010،
- 23- مصطفى لبيب عبد الغني، دور الزهراوي في تأسيس علم الجراحة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 2000م.

- 24- فوزي خضير، عباقرة المسلمين في الطب للأطفال، ط1، مكتبة الغد، القاهرة، 1999م.
- 25- ناصر محي الدين ملوحي، تاريخ العلم وجيز التاريخ العلمي البشري، دار الغسق للنشر، سوريا، 2019م.

الدوريات:

- 1- جعفر بايوش، مدخل منهجي لتاريخ الطب في الأندلس، مجلة ميادين للدراسات العلوم الأنسانية، المجلد الثاني العدد 3، 2021م
- 2- عطاردي تقي عبود الموساوي، تطور الطب في الأندلس منذ عهد خلافة بني أمية وحتى عهد الموحديين (273-620، 886-1232م) مجلة بابل للعلوم الانسانية 2013م، مجلد 21، عدد 3.
- 3- كمال السامرائي، الطب وتاريخه عند العرب، مجلة المورد، العراق 1985م، المجلد 14، العدد 4.
- 4- عبد الرزاق الشقيقي، عصر الترجمة والعصر الذهبي للطب العربي، مجلة التراث الاسلامي، يناير 1991 العدد 4
- 5- حنان جعيرون، نيلة عبد الشكور، علم الجراحة عند ابي القاسم الزهراوي جراحة الأنف نموذجاً، مجلة افاق علمية، 2020، مجلد 12 عدد 3.
- 6- توفيق سلطان اليوزبكي، الحضارة الاسلامية في الأندلس واثرها على أوروبا، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، 2020، المجلد الخامس، ع20.

المراجع الأجنبية:

- 1-Albucasis (Abu Al-Qasim Al- Zahrawi): Renowned Muslim Surgeon of the Tenth Century (Great Muslim Philosophers and Scientists of the Middle Ages) Library Binding – Illustrated, 8 Feb. 2006.
- 2- J Periodontol, 1964; 35: 424-429 JournalOf Orthodontic, oct 2012.
- 3- Hamarneh S. Al-Zahrawi, Abul-QasimKhalafIbn Abbas. In: Gillispie Charles Coulston., editor. Dictionary of Scientific Biography. XIV. Charles Scribner's Sons Publishers; New York: 1976. pp. 584–585.

إسهامات ابن خلدون في ميادين علم الاجتماع

Ibn Khaldoun's contributions to the fields of sociology

إعداد:

د. عبدالفتاح عبدالرحيم جبريل محمد: ماض في ق ع ل ا ج ا ع، لة الآداب، جامعة
بغاز، ل ا.

Dr. Abdelfattah abdelraheem gerbil: Lecturer at department of
sociology, Benghazi University, Libya

الملخص:

يعتبر العلامة العربي عبدالرحمن بن خلدون واحداً من أبرز الشخصيات العلمية التي كان لها صدى كبير في مجال علم الاجتماع، بل هو من وضع أسس قيام هذا العلم كنوع جديد من المعرفة من خلال كتاباته وافكاره حول اسس علم الاجتماع، التي شكلت الانطلاقة الاولى لفكرة قيام علم مستقل بذاته مختص بدراسة التجمعات البشرية، ومن هذا المنطلق تمحور هذا البحث حول اسهامات ابن خلدون في علم الاجتماع، من خلال التطرق الى اهم ما قدمه ابن خلدون في مجال تأسيس العلم، بالإضافة الى استعراض اهم اسهاماته في تحديد موضوع علم الاجتماع، ودوره في بروز نظريات علم الاجتماع، وميادين علم الاجتماع ومجالاته، وتهدف الدراسة الى التعرف على اهم اسهامات ابن خلدون في مجال علم الاجتماع، كما تهدف لتسليط الضوء على دوره في بروز علم الاجتماع كعلم مستقل بذاته، وقد تم الاعتماد على استخدام المنهج الوصفي التحليلي، عن طريق جمع المادة العلمية وسردها بشكل منظم وبتسلسل فكري حسب عناصر الموضوع وتفصيلاته، وقد تم تقسيم البحث الى المقدمة التي تتضمن منهجية البحث واهدافه، بالإضافة الى فكرة عن الموضوع، ومن ثم المتن الذي يتضمن عناصر الموضوع، النتائج والتوصيات، واخيراً قائمة المراجع التي تم الاستعانة بها.

الكلمات المفتاحية: اسهامات ابن خلدون، علم الاجتماع.

Abstract:

Abdulrahman Ibn Khaldoun, one of the most prominent scientific figures, which had a major resonance in the field of sociology, but is one of the foundations of this science as a new type of knowledge through its writers and thieves on the foundations of sociology, which formed the initial start of the idea of science Independent self-contained in the study of human communities, including this research on the contributions of Ibn Khaldoun in sociology, by addressing the most important thing by Ibn Khaldoun in the establishment of science, as well as reviewing its most important contributions to the identification of sociology, and its role in the emergence of theories Sociology, Meeting of Sociology and its areas, and the study aims

to identify the most important contributions of Ibn Khaldoun in sociology, as aimed at highlighting its role in the emergence of sociology as an independent science, and the use of analytical descriptive curriculum has been rely on. Scientific and structured instruments according to themes and implications. Similarity, to throw light on the efforts of this special role in sociology and the social studies in this kind of areas, and finally the list of references that were used.

Keywords: Sociology, ibn khaldun achievements

المقدمة:

تشكل الحضارة العربية إرث غني مليء بالمعارف والآداب التي كانت تعبر عن فترة ازدهار علمي وفكري كانت ولا زالت اثارها موجودة حتى وقتنا الحالي، فلقد برز عديد علماء العرب في شتى مجالات المعرفة وفروعها وكانوا سباقين في ازدهارها بأعمالهم وافكارهم ومدوناتهم التي كانت مرجعية لكل طلاب العلم حول العالم، ويشكل العلامة العربي عبد الرحمن احد العلماء العرب الذين دونوا اسمهم في تاريخ الإنسانية لم قدمه من آراء علمية وأفكار متميزة ساهمت في ميلاد علم جديد يختص بدراسة التجمعات البشرية وما ينجم عنها من ظواهر اجتماعية، حيث اسماه بعلم العمران البشري الذي يعتبر في تلك الفترة بمثابة قفزة كبيرة في تطور العلوم الانسانية حيث كانت بصيرة ابن خلدون وملكته قادرة على تصور نمط حياة المجتمعات وكيفية تطورها وما يحدث فيها من مشاكل وعقبات تأثر عليها وعلى مدى استقرارها، فعلم الاجتماع لم يظهر عند ابن خلدون إلا بعد فترة طويلة من العمل الجاد والبحث والتقصي في تاريخ الدول ومراحل تطورها مع مرور الزمن، وتغير شكل الحياة فيها مع ظهور أحداث جديدة كالحروب والهجرة والمرض وغيرها، كل هذا الإرث الفكري شكل الانطلاقة الاساسية والركيزة الفكرية لابن خلدون لاكتشاف فكرة وجود علم معين يكون في مضمونه مختص بالعمران البشري وتطوره.

وقد شكلت مقدمته المشهورة التي احتوت فصول تعكس تاريخ الحياة الاجتماعية في عصره واحد من اهم المؤلفات الفريدة التي اتسمت بالطابع العلمي، والتي تميزت عن غيرها من المؤلفات كونها انتهجت فكرا مميزا اساسه التحقق والتمحيص في الحقائق التاريخية والظواهر الاجتماعية، فقد

تضمنت مقدمته فصول تحدثت عن عدة قضايا مهمة في تلك الحقبة التاريخية من الزمن، حيث تطرقت الى الدولة وكيفية تأسيسها وقيامها، كما خصص فصولا للحديث الى مراحل الحياة الانسانية وكيفية حياتها وانتقالها من الشكل البسيط الى الاشكال الاكثر تطورا والتي كان معيار النحل مهما عنده في تصنيف تلك المجتمعات.

ويتمثل موضوع الدراسة في إبراز إسهامات ابن خلدون في علم الاجتماع كونه أعطى البداية الأولى التي ارتكز عليها علم الاجتماع من خلال ما نصت عليه مقدمته من نهج فكري بخصوص فهم طبيعة الظواهر البشرية وتفسيرها، والذي أشار فيه بوضوح لأن المجتمعات تحتاج لعلم يقوم بدراسة تطورها وهو العمران الذي يخضع لمقومات وعوامل تعمل على ازدهاره او اضمحلاله مع مرور الزمن، ومن هذا المنطلق تتمثل اهمية البحث في تسليط الضوء على اهم اسهامات ابن خلدون في مجال علم الاجتماع، من خلال طرح هذه التساؤلات وهي ما هو دور ابن خلدون في ظهور علم الاجتماع، وما هي اسهامات ابن خلدون في مجال علم الاجتماع وازدهاره، وسيتم الاجابة عنها من خلال عرض تلك الاسهامات العلمية التي قدمها ابن خلدون، وذلك من خلال لإسهاماته في تأسيس علم الاجتماع وبداية الاشارة الى وجوده كعلم، بالإضافة الى استعراض اسهاماته في تحديد موضوع علم الاجتماع واهدافه، وتهدف الدراسة الى التعرف على اهم اسهامات ابن خلدون في مجال علم الاجتماع، كما تهدف لتسليط الضوء على دوره في بروز علم الاجتماع كعلم مستقل بذاته، وقد تم الاعتماد على استخدام المنهج الوصفي التحليلي، عن طريق جمع المادة العلمية وسردها بشكل منظم ويتسلسل فكري حسب عناصر الموضوع وتفصيلاته، وقد تم تقسيم البحث الى المقدمة التي تتضمن منهجية البحث واهدافه، بالإضافة الى فكرة عن الموضوع، ومن ثم المتن الذي يتضمن عناصر الموضوع، النتائج والتوصيات، واخيرا قائمة المراجع التي تم الاستعانة بها.

التعريف بابن خلدون:

هو عبد الرحمن ابن خلدون ولد في تونس سنة (732)، هجري وقد اشتغل بعدة مناصب ادارية وتربوية ودينية مهمة وقد كانت اسرته متعلمة وقد توارثت العمل بالقضاء والسياسة، وقد درس الفقه والحديث كما درس الشعر والعلوم العربية، وكان قد درس الفلسفة وفن الكتابة مما جعله يجيد التأليف وتولى المناصب القيادية ثم سافر إلى فاس واشتغل مؤرخا، وانتقل مجددا إلى غرناطة وعاد مجددا الى المغرب ومكث بها اربع سنوات حيث تعتبر هذه بداية الجزء الاول من كتاب العبر وعاد إلى السفر مجددا حيث ذهب الى القاهرة إلى ان توفي هناك سنة (808) هجري (الدويبي، 2008، ص63).

من خلال ما سبق يتضح لنا دورة حياة ابن خلدون التي لعبت دور كبير في بلورة شخصيته العلمية ودعمت من حبه بالمعرفة وتقصي حقيقتها، فهو نشأ في بيئة متعلمة وكرس بداياته للخوض في عدة مجالات مختلفة من المعرفة مما فسح المجال أمامه لكي ينمي مداركه فيما يتعلق بالحكم والتفسير على الحقائق والظواهر الانسانية.

الانجازات العلمية لابن خلدون:

1- عمل ابن خلدون في حياته سفيرا وحاجبا وعضوا بمجلس العلماء عند عدد من السلاطين في تونس والمغرب وإسبانيا الإسلامية.

2- اشتغل بالسياسة والعمل في القضاء الشرعي.

3- يعتبر أحد أهم الفلاسفة الذين برزوا في المغرب الإسلامي أمثال ابن باجة والفيلسوف الصوفي محي الدين ابن عربي.

4- تعتبر مقدمة ابن خلدون اهم انتاج علمي في العصر الاسلامي الوسيط فهي ابتكار فريد في مجال فلسفة التاريخ والحضارة.

5- أرسى في مقدمته العديد من قواعد المنهج في البحث والتحقيق والنقد التاريخي والاجتماعي والسياسي والثقافي.

6- تعتبر نظريته في العمران البشري وحقائق الاجتماع والمعاش والدولة والسلطة والعصبية والبداءة والحضارة وعلاقة الانسان بالطبيعة وغيرها مما يؤثر في نشأة المجتمع.

7- تميز بالوضوح في افكاره وصواب آرائه واقتصاره على البحث والتحقيق في واقع الظواهر وقراءة التاريخ والعمران فيه.

8- صنفه الدراسات على انه هو من وضع فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع بحيث كان موضوعهم مستقل بمنهجه (شهاب، 2009، ص 9-10).

وفق العرض السابق نستطيع القول أن ابن خلدون برز بشكل كبير في حياته كشخصية علمية من خلال اعماله التي قام بها والمناصب الادارية التي تقلدها، الامر الذي زاد من خبرته وجعله يفهم الاحداث بشكل عميق فهو عاصر السلاطين واستفاد من عمله في بناء تصوراته الفكرية حول استقرار وازدهار الدول وعواملها الاجتماعية والاقتصادية والتي كان لها أثر واضح في نظريته عن العمران البشري.

ابرز اسهامات ابن خلدون في مجال علم الاجتماع:

اولا: ابن خلدون وتأسيس علم الاجتماع:

ابن خلدون وعلم الاجتماع ترك ابن خلدون العديد من مؤلفاته المهمة ككتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، وقد اشتهر الكتاب باسم (مقدمة ابن خلدون)، فكان هذا الكتاب من أكبر المساهمات التي قدمها في علم الاجتماع وعلم العمران، لهذا اعتبر ابن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع الذي نال إعجاب الحكماء والمؤلفين الغرب، فقد تم ترجمة حياة ابن خلدون بدقة لتأريخ ما حدث في حياته ومعرفة تجاربه ورحلاته كاملة، حيث كان المنهج العلمي والتاريخي الذي اتبعه ابن خلدون من المناهج التي تركز على الظواهر الاجتماعية المترابطة، فكل ظاهرة سبب وبنفس الوقت تكون سبباً للظاهرة التي تليها، لذلك جاء مفهوم العمران البشري على أنه يشمل جميع الظواهر العمرانية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، وقد ذكر في كتبه الخلافة ومراتبها، وأكد على أن الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية، فكتب بها العديد من المقولات الاجتماعية والتي أصبحت فيما بعد لها مكانة بارزة، فاعتبرت من المقولات الخلدونية البحتة لربط ابن خلدون لجميع الأحداث الهامة بالتغيرات الجذرية التي حصلت في العمران الحضري والعمران البدوي أو فقدان العصبية، وكانت المحور الأساسي في حياة المماليك والدول، فقام بشرحها وتبين العصبية والنزعة. اتسم ابن خلدون بالعديد من الصفات التي جعلت منه رائداً في الفلسفة، فكان له سعة كبيرة في الاطلاع ومراقبة أحوال البشر بقدراته الخارقة، وتميز بدقة النقد والملاحظة وقدرة كبيرة على التفكير. فقد ذكر في مقدمة كتابه أن الفلسفة هي من أهم العلوم التي ستتطور مع تطور العمران، فحرص ابن خلدون على تجديد طريقة عرضه للنقد دائماً (لطفي، ص72).

وعلى الرغم من أن علم الاجتماع من العلوم التي كانت موجودة منذ وجود الإنسان على الكرة الأرضية إلا أنها لم تكن علم يعمل به أو يدرس به قبل ابن خلدون، وهو لم يقوم بدراسة ذلك العلم ومحاولة نشره بل دعا أهل العلم إلى تكمله ما توصل والنظر إلى نظرياته وتصحيح ما جاء بها من أخطاء حال وجودها، وعلى الرغم من ذلك قد يرى البعض أن العالم الفرنسي كونت هو مؤسس علم الاجتماع دون الأخذ في الاعتبار أن كونت كون جميع نظرياته من خلال كتب ابن خلدون، وخلال دراسة ابن خلدون لعلم الاجتماع فقد كان الإنسان الذي يعيش داخل مجتمع معين هو نقطة الانطلاق مؤكداً على أن الإنسان الذي يعيش داخل مجتمع معين لا بد وأن يختلط بالشعب من حوله وحتى تستمر

العلاقات بين الناس وبعضها البعض لا بد أن يكون هناك حاكم والذي يعمل على تأسيس الدولة ووضع القوانين بها (لطفي، ص73).

يتبين لنا مما سبق أن ابن خلدون لعب دور أساسي في ظهور وتأسيس علم الاجتماع من خلال كل الأفكار التي طرحها في مؤلفه المعروف والذي تضمن في فصوله اشارات واضحة عن متطلبات الحياة الاجتماعية للإنسان، وكيفية التعايش كجماعة وحقيقة صعوبة عيش الإنسان لوحده، حيث شكلت هذه الأفكار الانطلاقة الأساسية لعلم الاجتماع إضافة لتطرقه لعلم العمران البشري حيث اشار لضرورة وجود علم يهتم بالظواهر الاجتماعية وكل ما يتعلق بالمجتمعات الإنسانية من احداث وعلاقات متبادلة، أي انه كان السباق في اكتشاف العلم واهم مراحل نشأته هي انطلقت من مقدمة ابن خلدون.

ثانيا: ابن خلدون وتحديد موضوع علم الاجتماع:

قد كانت إسهامات ابن خلدون واضحة في مجال التاريخ، علم السياسة وعلم الاجتماع، مما قد دفع بعض العلماء لاعتباره مؤسس علم الاجتماع، وبخاصة أنه أعلن صراحة في مقدمته، أن أي علم جديد يجب أن يكون له موضوع محدد خاص به، وقد حدد هذا الموضوع الذي قدمه بالعمران البشري وما يعرض له من تغير، مقدمة ابن خلدون في علم الاجتماع: “كأن هذا علم منفرد بذاته، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو أمور، وهي حقيقة ما يتبعه من عوائق وأحوال لنفسه واحدة بعد أخرى، وهذا حال كل علم وضعياً أو عقلياً، وكأنه علم مستتبط النشأة”، توضح هذه المقدمة التي يقدمها ابن خلدون اهتمامه بتحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية؛ لكنه لم يعرف هذه الظواهر أو يبين خصائصها، حيث يرى بعض العلماء أن ابن خلدون يقترب في فهمه لموضوع أو ميدان العمران من دوركايم الذي ركز على أن المجتمع أكثر من مجموع الناس الذين يؤلفونه، فهو يشمل البناءات الاجتماعية، التي تأخذ أشكالاً متنوعة كالمؤسسات والجماعات المهنية، بالإضافة إلى موضوع العادات والتقاليد الاجتماعية (وصفي، 1971، ص172).

وفي هذا السياق فإن العمران البشري بالنسبة لابن خلدون “هو واقع لا يتحدد بالأفراد الذين يؤلفونه بل بالبناءات والجماعات التي تكونه”، وقد كانت نظرة ابن خلدون إلى هذه البناءات تشبه نظرة دوركايم إلى الظواهر الاجتماعية، فهي حقائق لها طبيعة خاصة ومميزات خاصة، إذ على الرغم من أنها ليست أشياء مادية بل اتفاقات، أو معانٍ مشتركة، إلا أن لها قوة الأشياء المادية في التأثير على سلوك الناس بشكل كبير، تصنيف الظاهرة الاجتماعية في علم الاجتماع عند ابن خلدون: ظواهر تتعلق ببنية المجتمع، مثل الظواهر التي تتصل بالبدو والحضر، وتوزيع السكان على الأرض،

وأثر العوامل الجغرافية على العادات والتقاليد. ظواهر تتعلق بالنظم العمرانية، وهي تختلف باختلاف وجوه النشاط العمراني فمنها ما هو سياسي، ومنها ما هو اقتصادي، وديني ولغوي (وصفي، 1971، ص173).

ونجد أن الأطوار التي مرت بها المجتمعات البشرية من وجهة نظر ابن خلدون: يقول ابن خلدون من وجهة نظره أن المجتمعات البشرية مرت بثلاثة أطوار رئيسية وهي كالتالي: طور النشأة، طور النضج والاكتمال، طور الهرم والشيخوخة. وقد قام ابن خلدون بتقسيم المجتمعات إلى قسمين رئيسيين وهما: القسم البدوي الذي يتصف بصفات الخشونة والشجاعة والكرم والعيش ببساطة، أما القسم الثاني فهو القسم الحضري، الذي يتصف بالتعقيد والمصالح الكثيرة والرقي والتخصص في كل شيء وقد اشار في مقدمته الى موضوع علم الاجتماع من خلال النقاط الآتية:

1- العمران البشري وهنا عمل ابن خلدون على دراسة المجتمع وكافة القوانين التي تحكمه من الداخل.

2- العمران البدوي والذي يعتبر أصل الاجتماع البشري اليوم وقد ذكر اهم الخصائص والمميزات لذلك العمران.

3- الملك والخلافة والدولة والتي تم من خلالها دراسة أساسيات الحكم حيث أن ذلك الاجتماع يمثل الاجتماع السياسي.

4- العمران الحضري حيث قد أكد من ذلك الفصل من التأكيد من أن التحضر هو الأساس في التمدن وقد ذكر العديد من الظواهر التي تتعلق بالحضر.

5- الصنائع والمعاش وهنا بين ابن خلدون أن المشاكل الاقتصادية من شأنها التأثير على حالة المجتمع.

6- اكتساب العلم حيث تضمن ذلك الفصل الطرق الخاصة باكتساب العلوم وعلم على دراسة القانون والدين وعمل على الربط بينهم وبين الأخلاق والسياسة.

7- أول من وضع علم الاجتماع على أسسه الحديثة حيث اشار اليه في مقدمته قائلاً الغرض من تأليف هذا الكتاب بروز علم مستقل بذاته موضوعه العمران البشري والاجتماع الانساني.

8- وأشار الى ان الاجتماع البشري ضروري لحياة الانسان وإن الانسان مدني بطبعه وان المدينة ضرورة للنوع للعيش فيها.

9- اشار الى الحياة الاقتصادية من حياة الافراد حيث خصص لها فصلا تحدث فيه عن المعاش والكسب وسبل العيش.

10- ركز على أهمية الربط بين التفكير السسيولوجي والملاحظات التاريخية من خلال الدراسية العلمية للمجتمع والبحث وراء أسباب الظواهر الاجتماعية.

11- ساهم في بروز علم الاجتماع بشكل اساسي واسبس بداية علم الاجتماع العربي من خلال أفكاره والتي كانت تتسم بالصبغة الإسلامية.

12- تطرق إلى قضية جد مهمة وهي ان المجتمعات البشرية تسير وتمضي وفق قوانين محددة وهذه القوانين تسمح بقدر من التنبؤ بالمستقبل.

13- توصل إلى عديد النظريات الباهرة على غرار نظريته حول العصبية في العمران البشري ونظرية بناء اطوار الدولة وعمارها وسقوطها.(وصفي، 1971، ص175).

بناء على ما سبق يتضح لنا مدى مساهمة ابن خلدون في تحديد اهم مواضيع علم الاجتماع والقضايا التي تدخل ضمن نطاق اهتماماته العلمية حيث اشار الى ان العمران البشري هو اهم يمسه علم الاجتماع في مجال دراسته، وما ينجم عن هذا العمران من تجمعات بشرية تعيش وفق منظومة علاقات اجتماعية متبادلة مع بعضها البعض، كم ركز على الظواهر الاجتماعية كموضوع اساسي لعلم الاجتماع كونها تحدث في اطار التجمع البشري داخل نطاق العمران البشري للأفراد، ايضا إضافة الصبغة العربية والإسلامية على بداية علم الاجتماع من خلال تفسيره للظواهر الاجتماعية التي كانت في عصره مما مهد لعلم اجتماع عربي.

ثالثا: اسهامات ابن خلدون في نظرية علم الاجتماع:

أ- نظرية ابن خلدون السكانية:

يقدم لنا عبد الرحمن ابن خلدون المفكر الاجتماعي العربي، في غضون القرن الرابع عشر الميلادي، بعض الافكار التي اثرت فيما بعد في تطوير الاهتمام بدراسة السكان حيث يذهب ابن خلدون الى ان المجتمعات تمر خلال مراحل تطويرية محددة تؤثر على عدد المواليد والوفيات في كل مرحلة، فالمرحلة الأولى من تطوره زيادة معدلات المواليد ونقص في معدلات الوفيات بما يؤثر على نمو السكان مما يزيد من عدد السكان والمرحلة الثانية مرحلة النضج والاستقرار ثم تأتي المرحلة الاخيرة من تطوره ويشهد ظروف ديموغرافية مخالفة تماما حيث ينخفض معدل الخصوبة والمواليد ويرتفع معدل الوفيات (بخته، 2017، ص14).

فقد طرح ابن خلدون هذه الملاحظات والقوانين التي طرحها تشكل نظرية سكانية لها مصداقيتها على واقع المجتمعات بصفة عامة والعربية والاسلامية بصفة خاصة، فقد تطرق لم يعرف حالياً بالتحول الديموغرافي ومختلف الظواهر السكانية من حجم السكان ونموهم والتي أصبحت محل اهتمام عام اجتماع السكان في الوقت الحالي. (الفائدي، 1997، ص66).

حيث نجد الدور الذي لعبه في بلورة نظرية السكان التي أشار لها من خلال تجربته الواسعة وتنقلاته العلمية بين عدة دول عاصر فيها أحداث مختلفة، وهي أن كل مجتمع يمر بفترة نمو ونضج واستقرار ومن ثم مرحلة هرم واندثار كما ركز على ان السكان ينمو ويزداد عددهم عندما يكون هناك عمران بشري.

ب- النظرية التربوية لابن خلدون:

حيث ساهم ابن خلدون بشكل فعال في مجال علم اجتماع التربية بصفة خاصة وعلم التربية بصفة عامة والذي لم يكن معروف كعلم أكاديمي مستقل فقد عملت دراسات متعددة حول الفكر التربوي لابن خلدون والتي يمكن ان نلخصها في الآتي:

- 1- أن العلم ينقسم إلى علمين علم نقلية وعلم عقلي.
- 2- التدرج في التعليم حيث يقول ابن خلدون في الفصل السابع والثلاثون في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته.
- 3- البدء بالمحسوسات والتدرج حتى الملموسات.
- 4- يكون تعليم الصبي بداية بعض سور القرآن الكريم وبعض الأشعار حتى تقوى ملكة الحفظ بالنسبة الابن خلدون هناك علاقة أساسية بين المعرفة والتعلم والتدريس أو التعليم: فالمعرفة العلمية هي عملية بناءة ولا تنحصر في حفظ المعارف. (بخته، 2017، ص15).
- 5- ربط بين العلوم والعمران البشري حيث اشار الى ان العلوم تكثر وتتطور حيث يكثر العمران البشري وتعظم الحضارة بسبب العلوم.
- 6- يتطرق ابن خلدون إلى قضية مهمة جدا وهي طريقة التعامل مع المتعلم والتلميذ حيث يذكر في ان الشدة على المتعلم تضره (يعقوب، 2006، ص89).

مما سبق نستطيع القول ان ابن خلدون ارسى عدة قواعد تربوية مهمة في مجال التربية والتعليم حيث انه تطرق لمسألة التعلم والملكة التي قد يتمتع بها الفرد، كما مهد لتأسيس طرق تدريس حديثة

تعتمد على الاقناع وميول المتعلمين وتبتعد عن الشدة والاجبار في تلقي العلوم، حيث فسح المجال للربط بين علم الاجتماع وعلم التربية مسلطا الضوء على العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الأخرى.

ج- نظرية الدولة والعصبية عند ابن خلدون:

يخصص ابن خلدون الفصل الثالث من المقدمة للدول والملك والخلافة ومراتبها وأسباب وكيفية نشوئها وسقوطها، مؤكدا أن الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية. وقد اهتم بالعصبية اهتماما بالغا إلى درجة أنه ربط كل الأحداث الهامة والتغيرات الجذرية التي تطرا على العمران البدوي أو العمران الحضري بوجود أو فقدان العصبية، كما أنها في اعتقاده المحور الأساسي في حياة الدول والممالك، كما جاء في الفصل الأول من مقدمته في ان الملك والدولة العامة إنما يحصلان بالقبيل والعصبية. فالعصبية نزعة طبيعية في البشر، ذلك أنها تتولد من النسب وإذا كانت العصبية تقوم عند ابن خلدون على أساس صلة الرحم، والنسب، وأيضا على أساس الولاء والحلف، وكان الولاء والحلف يعبران عن شكل من أشكال التفاهم والاتفاق يمكن القول بان العصبية تقوم أيضا على أساس من التعاقد، على الأقل في جزء من مكوناتها، وهو الولاء والحلف. (بخته، 2017، ص18)

كما له إسهامات في ميادين أخرى مثل علم الاجتماع البيئية والعلوم الشرعية والطبيعية حيث عرف ابن خلدون البيئة في مقدمته بأنها مكان تتوافر فيه إمكانات معينة والإنسان وحده هو المهياً للاستفادة من هذه الإمكانيات وإحداث التغيرات فيها بحسب ما تتطلب ظروفه في المعاش والعمران البشري كما يجب أن لا ننسى نظريته الشهيرة والمهمة في الاقتصاد والتي لا زالت صالحة وفعالة إلى يومنا هذا. (الزوي، 1991، ص193).

نستنتج ان الفترة التي قضاها ابن خلدون في العمل السياسي كان لها الاثر البالغ في تطوير نهجه العلمي وتوسيعه نطاق تصوره لموضوع العمران البشري، الامر الذي جعله يربط بين تطور العمران وازدهاره وبين شكل الدولة ونظم الحكم السائدة فيها مما طور نظريته في اسس قيام الدول التي تشكل العصبية محورها فهي في ظل تعدد الانساب وعلاقات الدم تلعب دور كبير في بلورة نظام الحكم وشكل الدولة، أي أن العصبية تعتبر محدداساسيا في إحداث تغيرات على ابعاد نطاق في الدولة والتي من شأنها ان تدفع بالدولة الى الازدهار والتطور او تقودها في حالات اخرى إلى الخراب والصراعات الدامية، فهي تدعم الولاء للدولة والسلطة الحاكمة وتزيد من امكانية التحالف مع السلطة الحاكمة.

رابعاً: اسهامات ابن خلدون في تأسيس ميادين علم الاجتماع:

أ- اسهاماته في ميدان تاريخ الفكر الاجتماعي:

- 1- قدم دراسة تاريخية للمجتمع حيث اشار الى ان المجتمع يمر بثلاث مراحل متباينة وكل مرحلة حضارية ترتبط بالمرحلة التي تسبقها.
- 2- قسم المجتمعات الى انواع مختلفة وفقاً لدرجة تقدمها الحضاري والاقتصادي والفني فابرز نوعين في المجتمعات البشرية عنده المجتمع الريفي وسماه المجتمع البدوي والذي يتميز بالعصبية، والثاني هو المجتمع الحضري والذي يتميز بالمستوى الاقتصادي وبدرجة كبيرة من التقدم الثقافي والصحي.
- 3- الحركة الاجتماعية عنده تكون في دورة مستمرة وتؤدي وظيفتها بشكل الي ودائم دون ان يكون لها أي توقف فهي ترتبط بالعمران.
- 4- الاجتماع الإنساني ضروري لأن الإنسان مدني بطبعه ويسير في شرح هذه القضايا على وتيرة أرسطو والفارابي ويؤكد على عدم كفاية الانسان لنفسه يقوده الى التعاون والاشترك مع الجماعة في الحياة والعيش.
- 5- درس الظواهر الاجتماعية في حالتها الساكنة والمتحركة فكان يدرس الظاهرة ووظائفها واجزائها مما سهل من دراسة الاستاتيكا الساكنة في الوقت الحاضر.
- 6- اهتم ابن خلدون اهتماما ملموسا بنظم اجتماعية عديدة كالنظام السياسي والنظام الاقتصادي والعلاقات المتبادلة بينهما كما اهتم بالمقارنة بين المجتمعات البدائية والحديثة.
- 7- اشار في تحليلاته التي جاءت حول الأبعاد الاقتصادية، الثقافية والسياسية للمجتمع من خلال مشروع تحليل علمي للمجتمعات.
- 8- فتح المجال أمام عديد العلماء في مجال علم الاجتماع فنجد ان مؤلفه تم ترجمته من قبل دي سلان، وخصص له قومبلوفيتش العلم النرويجي فصل كامل فيما يتعلق بالظواهر الاجتماعية في كتبه حيث اشار الى اهمية منهج ابن خلدون في تفسير الظواهر الاجتماعية.
- 9- قدم تحليلات مهمة للمجتمع من خلال وضع النقاط على العلاقات الاجتماعية اكثر منه عن البنيات حيث اشار ان العلاقات دوما في حالة عدم استقرار.

10- تناول المجتمع الانساني من مفهومه العام وليس من مجتمع بذاته ويتضمن هذا ايمانه بان هناك قوانين عامة تشمل جميع المجتمعات الانسانية. (حنفي، 1998، ص144).

يتضح من العرض السابق دور العلامة ابن خلدون في بروز الفكر الاجتماعي وتطوره ووضعها في صورة مراحل معينة كل مرحلة فيها تتسم بطابع خاص ساهم في التمهيد للمرحلة التي تليها، فقد اعتمد في تفسيره ومقارنته للظواهر الاجتماعية في عصره في تحديد الارث الاجتماعي الذي كان انطلاقته في تصور علم العمران البشري، كما ان دراسته للأحداث التاريخية والكشف عن حقيقتها فتح المجال امامه لتقصي مراحل الفكر الاجتماعي وتاريخه ومهد لظهور ميدان الفكر الاجتماعي.

ب- اسهاماته في ميدان التغيير الاجتماعي:

حيث يعتقد ابن خلدون ان التغيير سمة اساسية مستمرة فالجماعة الانسانية لا تبقى على حالها ولهذا وضع نموذجاً لبداية الجماعة وكيف انها عبر متصل تتحول تدريجياً مع مرور الوقت الى النموذج النهائي، حيث ان البداوة تمثل نموذج الجماعة بداية وتتحول لتصل الى النموذج الحضري، والبدو اصل المدن والحضر ومما يبين ذلك ان احوال الحضارة ناشئة عن احوال البداوة فالبدو متقدم في وجوده عن المدن، ولكنه يتحول مع مرور الوقت ليتبدل بالعيش والنحل ليصل الى النموذج الحضري ولان مبدأ التطور يمثل قانون الطبيعة، الذي ينطبق على كل أشكال الحياة، فانه يشمل التطور الاجتماعي. (بخته، 2017، ص16)

تتضمن محاولة ابن خلدون في تناوله لعملية التطور الاجتماعي جانبيين، يشير الجانب الأول إلى أن التغيير عملية طبيعية مستمرة، أما الجانب الثاني فيشير إلى التباين في عملية التطور بين الجماعات لاختلاف ظروفها، يشمل هذا التباين الاختلاف في درجة سرعة التغيير من جهة واتجاهه من جهة أخرى، للتغيير لدى ابن خلدون أسباب خارجية وأخرى داخلية، تشمل الأسباب الخارجية علاقة الإنسان بالبيئة. (صباح، 2008، ص17).

من خلال هذا العرض نجد ان اعمال ابن خلدون لم تستثني ميدان مهم من ميادين علم الاجتماع ألا وهو التغيير الاجتماعي، حيث بدا ذلك جلياً في مقدمته عندما تحدث عن تطور المجتمعات من فترة لأخرى ولم يكتف بذلك بل حدد عوامل اجتماعية واقتصادية من شأنها ان تسرع او تبطئ من وتيرة هذا التغيير الامر الذي فتح مجال واسع لعديد الدراسات والابحاث في مجال التغيير الاجتماعي وأهم ألياته.

ج- إسهاماته في ميدان علم الاجتماع الطبي:

و رغم أن المصادر الغربية ترجع ظهور علم الاجتماع الطبي في كل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية إلى الفترة التي تلت مباشرة الحرب العالمية الثانية، فإن المصادر العربية الإسلامية تحتوي على إشارات عميقة وعديدة عن علم الاجتماع الطبي عند العرب، ولا سيما عند الكتاب القدامى، الذين عاشوا بعد القرن التاسع الميلادي أمثال ابن سينا، ابن زهير الأندلسي، البغدادي، ابن قتيبة الصفا وغيرهم، فقد ابتدعوا نظريات جديدة وأحدثوا أساليب مبتكرة في العلاج فسوء الحالة الاجتماعية للطبقة العاملة عند بدء الثورة الصناعية وأثر ذلك على الحالة الصحية وانتشار الأمراض دفع علماء الغرب إلى دراسة العلاقات الاجتماعية دراسة علمية منهجية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (بخته، 2017، ص17).

وفي هذا الصدد لا يفوتنا التنويه بأن دراسة ابن خلدون هي أقرب هذه الدراسات إلى المنهج العلمي، حيث جاء في أحد فصول مقدمته الشهيرة متحدثاً عن أهمية الطب في حياة الأفراد وان العمران البشري يقل فيه الجوع وضعف البدن كما اشار اليه في مقدمته. (خليل، 2008، ص54).

من خلال عرض ابن خلدون للقضايا المتعلقة بالصحة للأفراد وحياتهم من غير التعرض للخطر والاصابات والامراض، فهو تحدث عن عديد الحالات التي تمس تناول الأدوية والأعشاب وكيفية التداوي وصحة البدن وعديد موجات الأمراض والموت وغيرها في عصره مما قدم إشارة الى علاقة الحياة الاجتماعية لأفراد بصحتهم البدنية والعقلية.

د- إسهاماته في ميدان علم الاجتماع الحضري:

إذا كان علماء اجتماع القرن 19 قد ابدوا اهتماماً بدراسة المدينة الغربية وما شهدته من تغيرات خلال مرحلة التحول التي شاهدها تلك المجتمعات الغربية، فمن الجدير بالذكر التأكيد على أن الاهتمام بدراسة المدينة قد سبق كثيراً ظهور علم الاجتماع الغربي. فلقد حدد ابن خلدون أهل الحضر بأنهم هؤلاء الذين تعاونوا على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والبيوت الواسعة كما تناول ابن خلدون أيضاً نشأة المدن والأمصار وما يجب مراعاته في أوضاع المدن من حيث الظروف المكانية نظراً لأثر المكان على بقاء هذه المدن ونموها. ومن ثم فإن حديثه في هذا المجال يعد دراسة لأيكولوجية المدن كما انه اشار الى إن الفروق بين البدو والحضر ترجع إلى الاختلاف في مصادر الإنتاج والمهنة أساساً لذلك تعد أفكاره حول خصائص المجتمعات البدوية وخصائص الحضر رائدة في مجال الدراسات الحضرية والريفية (بخته، 2017، ص17).

المدينة عند ابن خلدون هي مدينة علم ورفاهية، مثل ما هي جمهورية أفلاطون فهي جمهورية أفكار والحقيقة. فالمدينة هي نتاج المجتمع، والاقتصاد والعلم هما الأسس الحضارية والملك موجود من اجل توفيرهما والملك هو الممثل لأقوى تحالف أو تضامن للقوى الاجتماعية. (الفاندي، 2004، ص260).

الخاتمة:

نستطيع القول انى ابن خلدون كان له الفضل في تأسيس وتطور علم الاجتماع من خلال التطرق لعدة مواضيع فيه والتي شكلت فيما بعد اسس وركائز انطلق منها علماء الاجتماع والباحثين في مجال الدراسات الاجتماعية، ولعل اهتمامه بالمدن ونشأتها وتطورها وكيفية ظهورها كان اساس ظهور ميدان علم الاجتماع الحضري حيث اشار ابن خلدون الى نوعين من الحياة وهما النط الحضري والبدوي، كما تطرق الى مواضيع تمس علم الاجتماع العام، علم النفس الاجتماعي، علم النفس السياسي، العصبية، التغيير الاجتماعي ونلاحظ أن هذه المواضيع تدخل ضمنها أهم الإسهامات التي تم التطرق لها في هذا البحث بالتالي إذا كانت المجتمعات قد تعرضت لموجات تغير سريعة في وتيرتها مثلها مثل كل مجتمعات العالم، والتي نجم عنها تغيرات في نمط حياتها الاجتماعية وأنظمتها السياسية وفي اقتصادها وثقافتها ثقافيا، لذلك فان محاولة فهم تلك المجتمعات لماضيها وحاضرها سيئ ولم تسوي مشاكلها لا مع ماضيها ولا مع حاضرها وفي هذا السياق قد تكون أفكار ابن خلدون وإسهاماته المختلفة ذات منفعة كبيرة رسم قراءة جديدة وعميقة لمؤلفاته وافكره العلمية التي قد تسمح لهذه المجتمعات معرفة جذور مشاكلها الحاضرة، إن احد اكبر العوائق لتطور المجتمعات قاطبة والمجتمعات العربية بشكل خاص اليوم مرتبط باستيعاب ودمج مفاهيم سياسية مثل الدولة والمواطنة والحريات ولدت في نظام اجتماعي وسياسي مغاير لها، وللتغلب على هذا العائق فان أول خطوة هو فهم أين يكمن الفرق بين النظام الاجتماعي والسياسي في الدول العربية والنظام الأوروبي الحديث أن قراءة ذكية وعميقة لابن خلدون تساعدنا في هذا الزمن الذي نعيش فيه.

النتائج:

من خلال العرض السابق لموضوع اسهامات ابن خلدون في علم الاجتماع تم التوصل للنتائج الآتية:

- 1- ابن خلدون كان له الفضل في تأسيس وتطور علم الاجتماع من خلال التطرق لعدة مواضيع فيه والتي شكلت فيما بعد اسس وركائز انطلق منها علماء الاجتماع والباحثين في مجال الدراسات الاجتماعية.

- 2- ان اعمال ابن خلدون لم تستثني ميدان مهم من ميادين علم الاجتماع الا وهو التغيير الاجتماعي، حيث بدا ذلك جليا في مقدمته عندما تحدث عن تطور المجتمعات من فترة لأخرى ولم يكتفي بذلك بل حدد عوامل اجتماعية واقتصادية من شأنها ان تؤثر عليه.
- 3- كان للعلامة ابن خلدون دور في بروز الفكر الاجتماعي وتطوره ووضعه في صورة مراحل معينة كل مرحلة فيها تتسم بطابع خاص ساهم في التمهيد للمرحلة التي تليها، فقد اعتمد في تفسيره ومقارنته للظواهر الاجتماعية في عصره في تحديد الارث الاجتماعي لعلم الاجتماع.
- 4- ربط ابن خلدون بين تطور العمران وازدهاره وبين شكل الدولة ونظم الحكم السائدة فيها مما طور نظريته في اسس قيام الدول التي تشكل العصبية محورها فهي في ظل تعدد الانساب وعلاقات الدم تلعب دور كبير في بلورة نظام الحكم وشكل الدولة، أي ان العصبية تعتبر محدد اساسي في احداث تغييرات على السلطة الحاكمة.
- 5- لعب ابن خلدون دور بارز في بلورة نظرية السكان التي اشار لها من خلال تجربته الواسعة وتقلباته العلمية بين عدة دول عاصر فيها احداث مختلفة، وهي ان كل مجتمع يمر بفترة نمو ونضج واستقرار ومن ثم مرحلة هزم واندثار كما ركز على ان السكان ينمو ويزداد عددهم عندما يكون هناك عمران بشري.
- 6- شكلت افكار ابن خلدون الانطلاقة الاساسية لعلم الاجتماع اضافة لتطرقه لعلم العمران البشري حيث اشار لضرورة وجود علم يهتم بالظواهر الاجتماعية وكل ما يتعلق بالمجتمعات الانسانية من احداث وعلاقات متبادلة، أي انه كان السباق في اكتشاف العلم واهم مراحل نشأته هي انطلقت من مقدمة ابن خلدون.
- 7- مدى مساهمة ابن خلدون في تحديد اهم مواضيع علم الاجتماع والقضايا التي تدخل ضمن نطاق اهتماماته العلمية حيث اشار الى ان العمران البشري هو اهم يمسه علم الاجتماع في مجال دراسته، وما ينجم عن هذا العمران من تجمعات بشرية تعيش وفق منظومة علاقات اجتماعية متبادلة مع بعضها البعض.
- 8- قدم فكر ابن خلدون تصورا لشكل المجتمعات الإسلامية عامة والعربية خاصة من خلال تطرقه لقضايا عميقة لبنيتها الاجتماعية ومؤسساتها السياسية والاقتصادية والثقافية والتي ترتبط بشكل مباشر بماضيها ولو نسبيا أو ذاتيا وثقافيا.
- 9- تعتبر أفكار ونظريات ابن خلدون نافعة للفكر الاجتماعي العربي الحديث فهي تقدم شرح وافي عن طبيعة المجتمعات الانسانية في مراحلها الاولى تساعد في حل المشاكل الماضية والحاضرة وفهم جذور الصعوبات الحالية.

- 10- قدمت افكار ابن خلدون حلول منطقية جاهزة لمختلف المشاكل في شتى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والصحية.
- 11- قدم عبد الرحمن بن خلدون الباحث الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فكرا علميا سيظل في نظر الباحثين حجة في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية، وستظل نظرياته الواردة في مقدمته صالحة للاستفادة منها.
- 12- لعب ابن خلدون دورا بارزا في بروز مجالات علم الاجتماع كعلم الاجتماع الطبي والحضري والسياسي من خلال مقدمته الشهيرة.
- 13- ان مؤلف ابن خلدون والمعنون بمقدمة ابن خلدون يشكل مرجع اساسي لمختلف العلوم الاجتماعية والفلسفية لم تضمنت عليه من منهج علمي وطرح منطقي للظواهر الانسانية.

التوصيات:

- 1- زيادة الاهتمام بالإرث الفكري والاجتماعي العربي بشكل كبير والاستفادة منه في الوقت الحاضر.
- 2- اقامة التظاهرات الثقافية والفكرية ودفع الشباب للمشاركة فيها للتعرف على دور العلماء العرب في المعرفة الانسانية بشكل عام ودور ابن خلدون بشكل خاص المخدرات نتيجة الفراغ.
- 3- الاهتمام بفتة الباحثين الشباب بدعمهم وتوفير وسائل البحث والدراسات الاجتماعية لكي يكونوا قادرين على الابداع العلمي المميز.
- 4- اقامة الندوات والمؤتمرات العلمية للتعريف بدور العلماء والباحثين العرب في ازدهار العلوم ودور ابن خلدون في ظهور علم الاجتماع.
- 5- انشاء مراكز بحوث للدراسات الاجتماعية مختص بدور العلماء العرب واعمالهم في مختلف المجالات العلمية.
- 6- الاستفادة من نظريات وافكار ابن خلدون ومنهجه في تفسير الظواهر الانسانية في تحليل الظواهر الاجتماعية في الوقت الحالي وتفسيرها.
- 7- ضرورة نشر الوعي لدى جميع افراد المجتمع واشراك الاهالي في عمليات مكافحة تعاطي المخدرات واقناعهم بأهمية محاربتها لهم للحصول على حياة افضل من خلال التعاون مع الاجهزة الامنية بتقديم المعلومات والبيانات عن الجماعات الاجرامية التي تروج المخدرات.
- 8- اجراء البحوث والدراسات في كل اعمال العلامة ابن خلدون في مجال علم الاجتماع والاستفادة منها في الوقت الراهن.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- بشير، عبدالسلام الدويبي، (2008). مدخل للعلوم الاجتماعية، بنغازي، دار الزحف الأخضر للنشر.
- 2- بخته، بن فرج الله، (2017)، اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية علم اجتماعية عربية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد(21)، الجزائر.
- 3- عاطف، وصفي، (1971)، الأنثروبولوجيا الثقافية، ط1، بيروت، دار النهضة العربية.
- 4- عبدالحميد، لطفي، 1991، مدخل لعلم الاجتماع، الاسكندرية، الانجلو المصرية.
- 5- لوجلي، صالح الزوي، (1995)، توطين البدو، سبها، منشورات مركز البحوث.
- 6- محجوب، عطية الفاندي، (2004)، علم الاجتماع الحضري، ط1، بنغازي، دار الكتب الوطنية.
- 7- محجوب، عطية الفاندي، (2013)، اساسيات علم السكان، طرابلس، منشورات الجامعة المفتوحة.
- 8- محمد، حافظ يعقوب، (2006) قضية ابن خلدون، مجلة كتاب في جريدة، العدد (26)، بيروت.
- 9- محمد، شهاب، (2009)، رواد علم الاجتماع، الاسكندرية، مركز الاسكندرية للنشر.
- 10- نادية، صباح، (2008) علم الاجتماع الحضري عند ابن خلدون، مجلة آداب الرافدين، العدد (50).
- 11- نجلاء، عاطف خليل، (2006)، في علم الاجتماع الطبي، الاسكندرية، مكتبة الانجلو المصرية.

علماء تلمسان ومسألة تأسيس المدارس التعليمية خلال العهد الزياني: بين التأييد والمعارضة

Tlemcen Scholars and the Question of Establishing Educational Schools during the Zayani Era: Between Support and Opposition

إعداد: د. بكوش فافة: دكتوراه علوم في تاريخ المغرب الإسلامي، وأستاذة محاضرة قسم "ب"،
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، شعبة التاريخ، جامعة الدكتور الطاهر مولاي، سعيدة، دولة
الجزائر.

Prepared by: **Dr. Bekkouche Faffa**: Ph.D. in the history of the Islamic
Maghreb, and a lecturer in Department "B", Faculty of Humanities and
Social Sciences, History Division, University of Dr. Tahar Moulay, Saïda,
Algeria.

البريد الإلكتروني: bekkouchefaffa20@gmail.com

المخلص:

يندرج مشروع إنشاء المدارس بالعاصمة الزيانية تلمسان وبغيرها من مدن المغرب الأوسط ضمن ما يمكن تسميته بتاريخ التعليم خلال القرن الثامن الهجري (14م)، فقد شكّل اتخاذ المدارس بها مظهرا من المظاهر الثقافية خلال العهد الزياني، فكان لانتشار هذه المؤسسة دواعي وأهداف سياسية وعلمية ودينية.

على الرغم من الأهمية الكبرى التي تكتسيها مؤسسة المدرسة في المجال التعليمي والفكري، إلا أنه كان لعلماء ومثققي تلك الفترة مواقف من قيامها، تباينت بين المؤيد للمشروع المدرسي وبين المعارض له لأسباب تراوحت بين العلمية والسياسية، وما زاد من أهمية الموقف المعارض تلك المكانة التي حضي بها أصحابه أمثال "الأبلي" و"المقري" و"عبد الرحمن ابن خلدون" وغيرهم، بيد أن هذا الموقف لا ينفي أبدا مساهمة هؤلاء العلماء ولا مساهمة مؤسسة المدرسة في النهضة العلمية التي شهدتها حاضرة تلمسان خلال العهد الزياني، ومن هنا يأخذ البحث شرعيته كإضافة في إمطة اللثام عن مواقف علماء تلمسان من تأسيس المدارس التعليمية خلال العهد الزياني، قصد الكشف عن الأسباب الكامنة وراء مواقفهم تلك.

ولتوضيح ذلك استخدمت الباحثة المنهج التاريخي التحليلي في تتبع مواقف علماء تلمسان من تأسيس المدارس التعليمية خلال العهد الزياني، والكشف عن واقع وخلفيات هذا الرفض.

ومن أبرز النقاط التي توصل إليها البحث أن نظرة العلماء الرافضين لمشروع بناء المدارس كانت تركز على الجانب السلبي لتعدد المدارس، أين أفرزت وضعية فكرية اتسمت بسيادة التقليد وغلبة العلوم النقلية على حساب العلوم العقلية، غير أن ثمار العمل التعليمي لمؤسسة المدرسة الذي يظهر في انجابه لعدد كبير من العلماء والفقهاء خلال القرن 08هـ/14م وعلى امتداد القرن 09هـ/15م قد انعكس على مواقف العلماء بعد ذلك فظهرت مواقف مؤيدة للمشروع مما ساهم في إنشاء عدة مدارس بتلمسان وفي معظم مدن المغرب الأوسط.

الكلمات المفتاحية: المدارس؛ تلمسان؛ العلماء؛ المعارضة؛ الأبلي.

Abstract:

The project of establishing schools in the Zayan capital of Tlemcen and other cities of central Morocco falls within what can be called the history of education during the eighth century AH (14AD). The adoption of schools

there was a cultural aspect during the Zayan era, and the spread of this institution had political, scientific and religious reasons and objectives. Despite the great importance of the school's institution in the educational and intellectual field, scholars and intellectuals of that period had stances on its establishment, which varied between those who supported the school project and those who opposed it for reasons ranging from scientific and political, and what increased the importance of the opposition position was the position it was given. Its companions are like "Al-Abli", "Al-Muqari", "Abdul-Rahman Ibn Khaldun" and others, but this position never negates the contribution of these scholars nor the contribution of the school institution to the scientific renaissance witnessed by the metropolis of Tlemcen during the Zayani era, and from here the research takes its legitimacy as an addition in Unveiling the positions of the scholars of Tlemcen regarding the establishment of educational schools during the Zayani era, in order to reveal the reasons behind their positions. To clarify this, the researcher used the historical-analytical method in tracking the positions of Tlemcen scholars regarding the establishment of educational schools during the Zayani era, and to reveal the reality and backgrounds of this rejection. One of the most prominent points of the research is that the view of the scholars who rejected the school building project was based on the negative aspect of the multiplicity of schools, where it produced an intellectual situation characterized by the rule of tradition and the predominance of transfer sciences at the expense of mental sciences, but the fruits of the educational work of the school institution, which appears in the birth of a large number From the scholars and jurists during the 08th century AH / 14 AD and throughout the nineteenth century AH / 15 AD, it was reflected in the positions of the scholars after that, so positions appeared in support of the project, which contributed to the establishment of several schools in Tlemcen and in most of the cities of central Morocco.

Keywords: Schools, Tlemcen, scholars, opposition, Alabli .

المقدمة:

يندرج مشروع إنشاء المدارس التعليمية في معظم مدن المغرب الأوسط على العهد الزياني ضمن ما يمكن تسميته بتاريخ التعليم خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة (14 و15م)، بحيث يعد اهتمام السلطة الزيانية بالتعليم ومؤسساته من أهم الأمور التي توارثها سلاطين البيت الزياني، فلا نجانب الصواب إذا قلنا أن الازدهار العلمي الذي عرفته الحواضر العلمية بالمغرب الأوسط لا سيما العاصمة الزيانية تلمسان وقتئذ هو مدين إلى ما أولاه سلاطين بني زيان للعلم والتعليم من رعاية وتعليم، تجلّيا فيما عقد من مجالس علمية وأنفق على العلماء والطلبة وأنجز من تأليف، وفيما شيد من مدارس تعليمية وما ألحق بها من خزائن الكتب.

لكن الظاهر أن مشروع إنشاء المدارس التعليمية الذي جاء ضمن جملة اهتمامات سلاطين بني زيان المتعاقبين على الحكم بشكل عام في المجال العلمي، قد شكّل نوعا من الاختلاف في الرأي بين من هو مؤيد له ورافض، لكن لا ذلك لا ينفي تلك النهضة العلمية التي أحدثتها المدارس التعليمية والتي أدت إلى بروز عدد كبير من الأطر العلمية المتخصصين والموسوعيين في ضروب العلم، ومن ثم كانت لهم إسهامات جليلة في تطوير الحياة العلمية بحواضر المغرب الأوسط خلال العهد الزياني.

تأسيسا لذلك سنحاول من خلال هذا البحث الموسوم بـ " علماء تلمسان ومسألة تأسيس المدارس التعليمية خلال العهد الزياني: بين التأييد والمعارضة" الوقوف عند تاريخ إنشاء المدرسة بالعاصمة الزيانية تلمسان والهدف من ذلك، ثم رصد مواقف بعض العلماء من هذا المشروع التعليمي موضحين في ذلك إما أسباب الرفض أو التأييد.

فالبحث يكتسي أهمية بالغة في الدراسات التاريخية كونه يبحث في جوهر الأسباب الكامنة وراء موقف العلماء من المشروع المدرسي بالعاصمة الزيانية تلمسان خلال القرن 08هـ/14م.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تتمحور مشكلة الموضوع حول مسألة المشروع المدرسي بتلمسان خلال العهد الزياني، والمواقف المتباينة حوله بين المؤيد والمعارض لعلماء تلك الفترة، ولمناقشة هذه الإشكالية وجب علينا الإجابة على التساؤلات التالية: ما هو موقف علماء تلمسان من المشروع المدرسي خلال العهد الزياني؟ ولماذا جاءت مواقف مؤيدة للمشروع وأخرى رافضة له؟ وهل هذا الرفض له علاقة بوصاية السلطة القائمة بالتعليم؟ أم أن الأمر يتعلق بأسباب بيداغوجية ومذهبية؟

منهج الدراسة:

يقوم منهج البحث على المنهج التاريخي التحليلي، حيث اعتمدت على ما تيسر لي الوصول إليه من مصادر ومراجع ذات صلة بالموضوع في تتبع مواقف علماء تلمسان من تأسيس المدارس التعليمية خلال العهد الزياني، ثم حاولت استخدام مقومات البحث العلمي من بحث وتحليل لمعرفة إما أسباب الرفض أو التأييد لتأسيس مؤسسة المدرسة.

1. تاريخ المدرسة بحواضر المغرب الإسلامي:

إذا كان جلّ الباحثين يتفقون على أنّ "المدرسة" كمؤسسة تجمع بين التعليم والإيواء (ابن منظور، دت، الصفحات 75-86)، قد ظهرت بالمشرق في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي (ابن خلكان، 1981، صفحة 129)، (السيوطي، 2004، صفحة 141)، (المقريزي، 1968، الصفحات 313-314)، حيث يذكر "ابن خلكان" أنّ "قوام الدين أبا علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي" الملقب بـ "نظام الملك" هو: "أول من أنشأ المدارس، فاقنّدى به الناس، وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة 457هـ/ (ابن خلكان، 1981، صفحة 129)، وقد عرفت هذه المدرسة البغدادية باسم "النظامية" نسبة إلى مؤسسها نظام الملك المذكور، وقد أجمع المؤرخون على أنها "أولى مدارس الإسلام" (السيوطي، 2004، صفحة 141).

فإنّه يوجد اختلاف بين المؤرخين حول تاريخ ظهور المدارس بالمغرب الإسلامي، فمن خلال ما ذكره "ابن فرحون" (ت799هـ/ حول: "أبا علي الحسين بن محمد بن فيرة الصدفى السرقسطي المعروف بابن سكرة" (ت514هـ/ من كونه: "رحل إلى المشرق وتلمذ على عدد من الشيوخ، ثم عاد إلى الأندلس، واستقر بمدرسة مرسية ورحل إليه الناس" (ابن فرحون، 1996، صفحة 331) يظهر لنا أنّ المدارس قد وجدت في الأندلس في العهد الذي ظهرت فيه النظامية بالمشرق.

في حين ذكر "ابن شكوال" (ت578هـ/ -لما خصّ "أبا علي الصدفى" سابق الذكر بترجمة- أنّه: "وصل إلى الأندلس في صفر من سنة 490هـ، وقصد مرسية وقعد يحدث الناس بجامعها" (بشكوال، 2010، صفحة 133)، ومنه يظهر لنا أنّ المؤسسة التي جلس فيها هذا العالم للتدريس والتي ذكرها "ابن فرحون" ليست مدرسة، فالراجح أنّ "ابن فرحون" الذي كان ينتمي إلى عصر المدارس كان يسمي الأشياء بأسماء وقته، كما أنّ "أبو العباس أحمد المقرئ" ذهب إلى أنّه: "ليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فالعالم

منهم بارع لأنه يطلب العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه، وينفق من عنده حتى يعلم" (المقري، 1968، صفحة 220).

وأكد "ابن مرزوق الخطيب" أن: "إنشاء المدارس في المغرب كان غير معروف حتى أنشأ السلطان المريني يعقوب ابن عبد الحق عام 670م مدرسة الحلفاويين بمدينة فاس" (الخطيب، 1981، صفحة 405)، وهذا "ابن جبير" في سنة (580هـ/ يوصي الطلاب الفقراء ببلاد المغرب الإسلامي للذهاب إلى مدارس المشرق قائلًا: "فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات كثيرة، فأولها فراغ البال من أمر معيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها، وإنما المخاطب كل ذي همة، يحول طلب المعيشة بينه وبين مقصده في وطنه من الطلب العلمي، فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك" (ابن جبير، 1988، صفحة 252).

ومن خلال تصفح المصادر المتاحة يتضح أن المدرسة وصلت المغرب الإسلامي بعد قرن من ظهورها بالمشرق وبالضبط سنة (635هـ/1237هـ بسببته (الشريف، 2011، صفحة 163)، إذا استثنيا المدرسة التي أنشأها السلطان "يعقوب المنصور الموحي" بسلا سنة (593هـ/1196م)، وبتونس كانت أولى المدارس "المدرسة الشماعية" التي أسسها السلطان الحفصي "أبو زكريا يحي الأول" (ت 647هـ/1249م) سنة (633هـ/1235م) وقد عرفت بأمر المدارس (القلصادي، 1978، صفحة 115)، (ابن أبي دينار، 1993، صفحة 134)، إلا أنه تأخر ظهورها بغرناطة إلى منتصف القرن الثامن الهجري، فكانت المدرسة النصرية أول مدرسة أقيمت بها على عهد السلطان "أبي الحجاج يوسف" (ت 733هـ-755هـ/1332-1354م).

أما بالنسبة للعاصمة الزيانية تلمسان، فمن المعلوم أن فكرة تأسيس المدارس التعليمية بها على يد السلطة الزيانية لم تكن بالفكرة الجديدة، فالثابت أن ظهور المدرسة بها يعود إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي (فيلاي ع.، 2002، صفحة 141)، أين يظهر لنا هنا تأخر ظهورها مقارنة بالعاصمة الحفصية تونس والعاصمة المرينية فاس بنحو قرن من الزمن، وعن بلاد المشرق بنحو قرنين (الخطيب، 1981، الصفحات 405-406)، (قریان، 2001، صفحة 156)، (بختاوي، 2009، صفحة 83).

2. تأسيس المدارس التعليمية بالعاصمة الزيانية: قراءة في الدواعي والأهداف:

مما لا شك فيه أن المدارس بمدن المغرب الأوسط عامة والعاصمة تلمسان على وجه الخصوص خلال العهد الزياني، قد شكّلت إحدى أهم المؤسسات الثقافية والعلمية والفكرية في ذلك

العصر التي عكست نتاج المكونات السياسية والاجتماعية والدينية وما كان لها من تأثير أساسي في صياغة الإيديولوجية الزيانية ونشرها بين الناس.

فالواضح أن انتشار المدارس في تلك الفترة كان من أهم المظاهر التي أضفت المشروعية العلمية على الدولة الزيانية ومن أعظم مفاخرها في التمدن (الخطيب، 1981، الصفحات 405-406)، (قريان، 2001، صفحة 150)، أين اهتم سلاطين بني زيان ببنائها وتحبب الأوقاف عليها (التنسي، 2007، صفحة 141 و180)، وتفنونوا في تخطيطها وزخرفتها وتزويدها بكل ما تتطلبه الحياة التعليمية، فاشتهرت العاصمة تلمسان بمدارسها الخمس شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس، قال عنها "ابن الأحمر": "...ونكفي أن نذكر المدارس الخمس الكبرى التي أنشئت فيها (تلمسان) في أيام تلك الأسرة الطويلة العمر" (ابن الأحمر، 2000، صفحة 48)، ووصفها "الحسن الوزان" بالبناءات الحسنة والجيدة المزدانة بالفسيفاء (الوزان، 1983، صفحة 19).

ومن جملة هذه المدارس "مدرسة أولاد الإمام" (خلدون، 2007، صفحة 130)، (التنسي، 2007، صفحة 139) وهي أولى المدارس التي شيدتها سلاطين بني زيان بتلمسان، وذلك بأمر من السلطان الزياني "أبو حمو موسى الأول" سنة (710هـ/1310م) إكراما للعالمين "ابني الإمام": "أبو زيد عبد الرحمن" (ت743هـ/1342م) وأخوه "أبو موسى عيسى" (ت749هـ/1348م) لما انتقلا إلى تلمسان، فعرفت المدرسة باسمهما (ابن خلدون، 2007، صفحة 130)، فكانت هذه المدرسة بمثابة حجر الأساس في تكوين قاعدة صلبة للثقافة والعلوم بالدولة الزيانية، حيث تخرج منها وعلى يدي "ابني الإمام" -الذان قام بنشر العلم في رحابها- أجلة العلماء (ابن خلدون، 2007، صفحة 130)، فكان لهذه المدرسة بفضلها صيت كبير عند علماء المشرق (قريان، 2001، صفحة 117)، حيث أثنى عليهما قاضي القضاة "جلال الدين القزويني" (ت750هـ/1349م) (الكتاني، 1982، صفحة 944) بقوله: "بمثلهما يفخر المغرب" (الخطيب، 1981، صفحة 226).

ثم تلتها "المدرسة التاشفينية" (التنسي، 2007، الصفحات 140-141) (حاجيات، 2011، صفحة 50)، التي أمر ببنائها السلطان "أبو تاشفين عبد الرحمن الأول"، حيث جلب لبنائها وزخرفتها أشهر البنائين والمهندسين والفنانين، وصرف عليها أموالا ضخمة حتى أضحت تضاهي مدارس فاس (التنسي، 2007، صفحة 141)، كما عين للتدريس بها الفقيه "أبي موسى عمران المشذالي" أعرف أهل عصره بمذهب مالك، فظلت تمثل أضخم مدرسة بالمغرب الأوسط على الإطلاق، تقدم وظيفتها التعليمية مدة خمسة قرون إلى أن قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية سنة 1876م بتهديمها (التنسي، 2007، صفحة 134)، (زكريا، 1975، صفحة 166).

وقد قامت المدرسة "اليقوبية التي قام ببنائها السلطان "أبو حمو موسى الثاني" سنة (765هـ/1362م) (ابن خلدون، 2007، صفحة 200)، (بوشقيف، 2008، صفحة 110)، بدور بارز في تطور الحركة العلمية بتلمسان، خاصة وأنه عين للتدريس بها إمام المعقول والمنقول الفقيه "أبو عبد الله الشريف التلمساني" (ت711هـ/1370م) (ابن مريم، 1986، صفحة 117).

وقد أشار "حسن الوزان" عندما زار تلمسان في بداية القرن العاشر الهجري إلى مدرسة "الحسن بن مخلوف الراشدي" (الوزان، 1983، صفحة 19)، والتي أسسها السلطان "أبو العباس أحمد العاقل" وأوقف عليها أوقافا جليلة (التنسي، 2007، الصفحات 248-249)، دون أن يفوتنا التذكير هنا بالمدارس التي شيدت أثناء السيطرة المرينية مثل مدرسة "العباد" التي خصت "لابن خلدون"، ومدرسة "سيدي الحلوي" (ابن خلدون، 2007، صفحة 136)، (ابن الأحمر، 2000، صفحة 38).

ومن دون شك أن الحديث عن نشأة المدارس التعليمية بالمغرب الأوسط عامة وتلمسان على وجه الخصوص يستوجب علينا استنباط العوامل والدواعي التي أدت إلى هذه الظاهرة، والهدف من إنشاء هذه المدارس، حيث يكاد يجمع الدارسون على أن بناء سلاطين بني زيان للمدارس يأتي في سياق نصره المذهب المالكي وإعادة الاعتبار لعلمائه وفقهائه بعد الابتلاءات التي توالى عليهم خلال العهد الموحدية، حيث حاولت السلطة الزيانية من خلال تأسيسها للمدارس العمل على ترسيخ المذهب المالكي و النهوض بتدريس علوم القرآن والعلوم المختلفة وعلى الخصوص مذهب الإمام مالك، وإحياء العلوم التي عرفت تراجعاً واضحاً على إثر ضعف الدولة الموحدية وسقوطها (فيلالي ع.، 2002، صفحة 326) (بل، 1987، صفحة 356).

فضلا عن ذلك وظفت المدرسة كدعامة لتوطيد أركان السلطان وتكوين أطرها الإدارية والعلمية، لأن توطيد أركان الدولة بالقوة العسكرية وحدها لا يجدي نفعاً، وأنه لا بد من الاستناد إلى دعامة دينية فكرية وعلمية وطلب عون ممن يمثلونها (العبدري، 2005، صفحة 4)، وذلك بأن تؤسس لهم مدارس رسمية، وهو الأمر الذي سيجعل شيوخ هذه المؤسسات وطلبتها مرتبطين أشد الارتباط بالمؤسس الذين عينهم في هذه المؤسسة وأغدق عليهم هدايا ورواتب شهرية قارة، ومن ثم سيأخذون هؤلاء الشيوخ والطلبة على عاتقهم مسؤولية الدفاع عن مشروعية الحكم الزياني.

ففي الواقع ما ينبغي أن يسترعي الانتباه في نظرنا هنا أن المدارس الزيانية بصفة عامة كانت مؤسسات سلطانية النشأة والتمويل والتوجيه (ابن خلدون، 2007، صفحة 136)، بعبارة أخرى يمكن القول أن المشروع المدرسي الزياني يندرج في سياق البحث عن أداة كفيلة بضبط التوازنات الداخلية

والتحكم في مجتمع المدينة عبر انتاج الاطر الادارية والقضائية والتعليمية والسياسية للدولة الناشئة، نظرا لحاجة السلطة دائما للمتقف إما كوسيط لدى الرأي العام أو لتقوية سياستها، أو للاستعانة به في عدد من أجهزة الدولة ومرافقها السياسية والدينية والعلمية ومهامها الدبلوماسية، وبالتالي يمكن استخدامه في حالات معينة تصلح للثقة في مراكز حساسة كالقضاء مثلا.

ولا يمكن لنا في هذا أن نستثني عملية التأثير المتبادل بين دول المغرب الإسلامي، فلاشك أن ضغط المحيط العلمي قد وفر الفرصة اللازمة لانتشار المدارس بالعاصمة الزيانية تلمسان، أين حاول سلاطين بني زيان من جانبيهم بناء المدارس مضاهاة لما يحدث في الدولتين المجاورتين لهم، ورعاية للعلم ومساهمة في نشره (قريان، 2001، صفحة 114)، ثم إن سلاطين بني زيان كانوا على جانب من الثقافة يعقدون المجالس العلمية للمذاكرة والمناظرة ويقدرّون رجال الفكر ويرفعون من مكانتهم، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر السلطان "أبو حمو موسى الأول" (707هـ-718هـ/1307م-1318م) الذي يؤثر عنه أنه كان محبا للعلم والعلماء (التنسي، 2007، صفحة 139)، حيث جاء عن "التنسي" في ذلك قوله: "كان هذا السلطان صاحب آثار جميلة وسير حسنة، محبا في العلم وأهله...." (التنسي، 2007، صفحة 139)، فقد جعل من مدينة تلمسان منارة للعلم ومقصدا للعلماء، أين بادر باستدعائهم وإكرامهم وإحاقهم بخدمته وإسناد لهم وظائف هامة في الدولة (التنسي، 2007، صفحة 139)، (ابن خلدون، 2007، صفحة 130)، وربما استقدمه "لابني الإمام" وبناءه مدرسة لهما يوضح لنا جانبا من ذلك.

ومن هنا يظهر لنا أن الهدف الأساسي من وراء بناء المدارس بصفة عامة هو النهوض بتدريس علوم القرآن والعلوم المختلفة وعلى الخصوص مذهب الإمام مالك، وإحياء العلوم التي عرفت تراجعاً واضحاً على إثر ضعف الدولة الموحدية وسقوطها، ومن جهة أخرى توفير الظروف المعيشية المواتية لطلاب العلم، وهذا ما نجده واضحاً في أغلب وقفيات التحبيس على المدارس.

3. مواقف علماء تلمسان من المشروع المدرسي خلال العهد الزياني: بين الرفض والقبول:

1.3- الموقف المعارض لتأسيس المدارس:

في الواقع إن قضية المدارس بالمغرب الإسلامي عموماً قد أثارت العديد من ردود الفعل، بحيث تشير الكثير من المعطيات التاريخية أن ظهورها لم يكن مقبولاً لدى طائفة من العلماء رغم هدفها الرامي إلى إعادة الاعتبار للفقهاء المالكي، بحيث يبدو أن تأسيسها قد أثار حفيظة بعض العلماء،

وللإشارة أنّ هذه المعارضة واجهتها كذلك المدارس في المشرق، لكنها لم تكن موجهة ضد فكرة المدارس في حد ذاتها، بل كانت موجهة ضدّ الإنفاق عليها من مصادر مشبوهة كالمال المغصوب (القبلي، 1986، صفحة 64)، أما إذا أسست المدرسة من مال حلال وعلم حال الملوك حين بنائها فإنّه يتم التنويه والإشادة بتلك المؤسسة (الفاصي، 1960، صفحة 163)، فبالقاء نظرة على مدارس مصر من خلال "خطط المقريري" يلاحظ أنّ بعض المدارس نالت شهرة كبيرة وإقبالا متزايدا من الطلبة والأساتذة، بينما بعضها الآخر نفر الناس منها وتهرّبوا من السكن والدراسة فيها، بسبب شبهة المال الذي أنفق عليها أو حبس عليها.

ولعلنا نجد نفس الموقف لدى فقهاء المغرب الإسلامي عامة وفقهاء تلمسان على وجه الخصوص، الذين قالوا بكراهية أخذ المرتب من بعضها إذا ثبت أنّ المال الذي أنفق عليها أو حبس غير حلال، لكن في الحقيقة أنّ المدارس لم تكن لتقوم بدورها كاملا لولا العناية الوافرة التي قدّمها لها السلاطين بداية، وعناية المحسنين المسلمين لها بالأحباس، التي أصبحت فيما بعد ممولها الرئيسي، ويلاحظ من معيار الونشريسي أنّ المدارس في زمنه ومن خلال الأسئلة التي تطرح حولها، كانت معظمها تعتمد على الأحباس، وأنّ الدولة تخلت تدريجيا عن التدعيم المالي المباشر، وإن كانت بقيت تحت رقابتها (الونشريسي، 1982).

وفي هذا الصدد يذكر "ابن مريم" في "بستانه" أنّ الشيخ "الحسن بن مخلوف أبركان" (ت 868هـ/1464م) كان يرفض كل ما يقدم إليه من أحباس المدرسة حتى صار في آخر عمره يدعو أن يقبضه الله قبل أن يأكل من أحباس المدرسة (ابن مريم، 1986، صفحة 90)، كما كان يرفض كل عطاء مادي يقدم له من قبل السلطة (ابن مريم، 1986، الصفحات 89-90)، وما يوضح لنا جانباً من ذلك موقفه إزاء السلطان "أبي فارس"، حيث قام هذا الأخير بإرسال للشيخ خمسة آلاف شاه يطلب منه أن يفرقها على المساكين فرفض الشيخ ذلك (ابن مريم، 1986، صفحة 90).

ويذكر "ابن مريم" أيضا في نص آخر موقف "الشيخ أبركان" الراض للمدرسة بقوله: "وكان يكره المدرسة كراهة شديدة" (ابن مريم، 1986، صفحة 90)، وربما الأمر راجع في ذلك إلى كون "الشيخ أبركان" من "أهل الزهد والورع".

وتظهر هذه المعارضة أيضا عند الشيخ "محمد بن يوسف السنوسي" الذي رفض الأخذ من غلات مدرسة "الحسن أبركان"، أين كتب إلى السلطان كتاب مطول يعتذر فيه، ومرد ذلك زهده عن الدنيا (ابن مريم، 1986، صفحة 240)، كما أننا نسجل هذا الموقف أيضا عند "أبو عبد الله الشريف

التلمساني"، فقد كان لا يقبل أخذ الجرايات والمرتب في مدرسته ولا في غيرها، بل كان ينفق من مال أبيه ويكتفي به (ابن مريم، 1986، صفحة 175).

وعلى غرار هذه المواقف الراضية لمؤسسة المدرسة، عبّر "الأبلي" (ت757هـ/1356م) - أحد العلماء البارزين في مجال التدريس بالمغرب الإسلامي- عن موقفه المؤيد لهذا الاتجاه انطلاقاً من رفضه وصاية السلطة على التعليم التي تجذب إليها الطلبة لما تغدقه عليهم من جرايات ويدخلون بذلك في فلكها مبتعدين عن أهل العلم الحقيقيين الذين يعانون في الطلب ولا يرغبون في ذلك جاهاً أو سلطاناً (ابن مريم، 1986، صفحة 126) (خطيف، 2011، صفحة 351)، (بومهرة، 2003).

فقد رأى فيها "الأبلي" مجرد إغراءات للطلبة حتى تسهل عملية تبعيتهم للسلطة، فموقفه المعارض لاتخاذ المدارس لا يعني بالضرورة معارضته للمذهب المالكي وإنما هو موقف نابع من معارضته الفكرية للنظام القائم، ومحاولته توجيه الحياة العلمية وفق ما تقتضيه متطلبات الواقع السياسي (وهراني، 2008، صفحة 221)، وينقل "ابن مريم" ما يدعم الرأي القائل بأن معارضة الأبلي لاتخاذ المدارس هو موقف سياسي قبل أن يكون نظرية بيداغوجية أو مذهبية، لأن الدولة القائمة إنما كانت تهدف من خلال بناء المدارس إلى الترويج للأفكار التي تخدم مصالحها، فهي تسعى كل السعي لأن يدخل الطلبة تحت تصرفها وهي بذلك تصرفهم عن العلم الحقيقي (ابن مريم، 1986، صفحة 217).

وقد كان لرأي الأبلي بعد آخر يعود لأيام تواجده بالمشرق، فقد كان سبب اتخاذ المدارس أنذاك هو حرص النظام السياسي في المشرق الذي كان شافعي المذهب على ضبط العامة بعد ظهور آراء وأفكار متباينة مختلفة كانت منتشرة في العالم الإسلامي كالمعتزلة والباطنية وبقايا القرامطة وغيرهم من أصحاب الملل والنحل، فسعت الدولة بدرجة كبيرة إلى توجيه الرعاية وجهة تخدم مصالحها وتبعث الاستقرار والسكينة والأمن، لذا كان الهم الوحيد من خلال التأكيد على وضع مناهج دراسية لإفهام الناس عامة والمنتسبين إلى المدارس النظامية خاصة أصول الإسلام على المذهب الشافعي، فكانت دراسة الفقه والأصول المستمدة من أفكار وآراء الشافعية، وقد كانت لهذه المواجهة الفكرية بين الدولة والمعارضة صور وأشكال أخرى سياسية وعسكرية، لذلك فقد ذهب ضحية هذا الصراع عدة علماء فاتهموا في دينهم ظلماً (وهراني، 2008، صفحة 221)، وقد اقترن اتخاذ المدارس عند الأبلي بصورة ذلك الصراع، مما ترك انطباعات سيئة حولها.

ونفس الموقف تبناه "أبو عبد الله محمد المقرئ" (ت759هـ/1358م) مؤيداً في ذلك موقف شيخه "الأبلي"، بحيث استنكر هو الآخر بناء المدارس، لأنه كان يرى فيها أولاً: أنها السبب في

تدارس العلم وذهب إشعاعه بزوال الرحلة العلمية، فهي تشغل طلاب العلم عن الرحلة في طلبه والعناء الذي يقتضيه تحصيله على يد رجاله أينما كانوا في العالم الإسلامي، حيث يقول في ذلك على رأي شيخه "الأبلي": "سمعت الشيخ الأبلي يقول: "إنما أفسد العلم كثرة التواليف وإنما أذهب بنيان المدارس..." (التمبكتي، دت، صفحة 414)، (المقري، 1968، صفحة 275) (الونشريسي، 1982، صفحة 479)، ثم يضيف معللاً موقفه: "...إنّ التآليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم، فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير وقد لا يحصل له من العلم إلا النزر اليسير لأنّ عنايته على قدر مشقته في طلبه،" (التمبكتي، دت، صفحة 414)، (الونشريسي، 1982، صفحة 479)، والمقصود هنا نقد التآليف التي أنتجت في إطار مؤسسة المدرسة، وربما يقصد "الأبلي" التآليف مطلقاً، خاصة إذا علمنا انه مثل الفيلسوف اليوناني "سقراط" لم يؤلف شيئاً، رغم مساهمته في نشر العلم والمعرفة من خلال التدريس الذي قد لا يكون بالضرورة في المدارس الرسمية.

هذا، ولما كانت المدارس عموماً مؤسسات رسمية تابعة كلياً للدولة دون غيرها (فيلاي ع.ع.، 2002، صفحة 326)، أين كانت تنشر المذهب الذي ارتضته الدولة، وتعد للتأهيل لكل الوظائف العامة، وتكون شيوخاً جديدين، وتفتح الطريق لبلوغ أعلى المناصب السياسية، فقد كانت معهداً لتخريج الموظفين في الدولة وأصبحت منحة الطالب مشروطة بانتسابه لمدرسة من المدارس، فأضحى نتيجة ذلك التعليم الحر التقليدي بالمساجد مهدداً ككيان واتجاه (القبلي، 1986، صفحة 90)، فإنّ هذه النتائج التي ترتبت فعلاً عن سياسة المدارس وآلت بالعلم والتعليم والمتعلم إلى وضعية قد وقف عندها "أبو عبد الله محمد المقري" وفصل فيها عكس شيخه "الأبلي" الذي أوجز فيها القول، فهو يرى ثانياً: أنّ بناء المدارس يجذب الطلبة بكثرة نتيجة الإغراءات من مسكن وراتب أو جارية التي تقدم لهم من قبل الدولة والأوقاف، فضلاً عن الاحترام والوظائف التي تفتح أمامهم، كما أنّهم لا يأخذون العلم إلا من العلماء الذين لهم علاقة بالسلطين إذ يعينهم في هذه المدارس هؤلاء السلطين، وهو يرى أيضاً بأنّ إشراف الدولة على هذه المدارس يجعل الدارسين يتقيدون بالاتجاه العام والرسمي لها ولا يمكنهم الحياد عن ذلك (فيلاي ع.ع.، 2002، صفحة 282)، حيث يقول في ذلك: "أما البناء فإنّه يجذب الطالب إلى ما يترتب فيه من الجرايات فيقبل بهم على من يعينه أهل الرياسة للأجراء والأفراد منهم أو من يرضى لنفسه الدخول في حكمهم ويصرفهم عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون إلى ذلك، وإن دعوا لم يجيبوا وإن أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم" (التمبكتي، دت، صفحة 414)، (المقري، 1968، صفحة 275).

ففي الواقع أنّ الرأي الذي أدلى به "أبو عبد الله محمد المقرّي" ما هو إلاّ وصفاً دقيقاً لمسلسل التبعية التعليمية التي ترتبت عن المدارس الرسمية، فمن الواضح أنّ هذا الوصف إدانة صريحة للخطة المدرسية الرامية إلى إخضاع التعليم لإدارة الحكام، ومن جهة أخرى يعكس غير واضحة على المهنة وحرمتها وعلى مستوى التعليم ببلاد المغرب، فنحن إذا ما تساءلنا عن النتائج الفكرية لهذا النظام المدرسي وطابعه المؤسسي، سنلاحظ نشأة تقاليد علمية جديدة ساهمت في بلورة المعالم الفكرية في هذه المرحلة، والتي من بينها سيادة كتب المختصرات التي تفتاضها مهمة تسهيل التعليم وما رسخه ذلك من تقاليد الحفظ والتذكر وغياب إنتاج فكري، ولعل ما أنتج في تلك الفترة، خاصة في مجال العلوم العقلية كان خارج الإطار المؤسسي "المدرسي".

والظاهر أنّ سلبيات المشروع المدرسي التي تخوف منها المقرّي وشيخه الأبلي قد برزت في القرون اللاحقة، وهذا ما نلمسه من خلال ما كتبه "أحمد بابا التمبكتي" الذي لاحظ أنّ كراسي التدريس أسندت إلى غير أهلها فضعف المستوى العلمي (التمبكتي، د ت، صفحة 414)، فقد كتب بعد أن أورد تعليق "المقرّي" الأتف الذكر وهو مثله شاهد عيان قائلاً: "ولا عمري لقد صدق المقرّي في ذلك وبر، فلقد أدى ذلك لذهاب العلم بهذه الديار المغربية التي هي بلاد العلم... حتى صار يتعاطى الإقراء على كراسيها من لا يعرف الرسالة أصلاً فضلاً عن غيرها، بل من لم يفتح كتاباً للقراءة قط فصار ذلك ضحكة، وسبب ذلك أنها صارت بالتوارث والرئاسات، أعاذنا الله حتى خلت الساعة ممن يعتمد عليه في عمله" (التمبكتي، د ت، صفحة 247).

3.2- الموقف المؤيد لتأسيس المدارس:

بالرغم من أنّ ظهور المدرسة لم يكن مقبولاً لدى طائفة من علماء تلمسان خلال العهد الزياني رغم هدفها الرامي إلى إعادة الاعتبار للفقهاء المالكي، غير أنّه يظهر لنا أنّها كانت محل ترحيب من قبل طائفة أخرى، أين استقبل هذا المشروع التعليمي استقبالا حسناً في الأوساط العلمية المغاربية عموماً وبالخاصة تلمسان على وجه الخصوص، وهو ما نلمسه في إشادة المؤرخين بمشروع إنشاء المدارس، وربما الأمر راجع في ذلك إلى توفيق السلطة الزيانية في إسنادها أول مدرسة بتلمسان لفقيهين بارزين وهما "ابني الامام"، بحيث لم تقتصر أهميتهما على الطلبة فقط، بل استقطبت دروسهما بعض فقهاء تلمسان وحتى فقهاء من خارجها (خطيف، 2011، صفحة 350)، واستمرت مكانة المدارس الزيانية على هذه الأهمية بما تحقق لها من أساتذة بارزين، فجالس "أبي عبد الله الشريف" (ت 771هـ/1369هـ) بالمدرسة اليعقوبية على سبيل المثال لا الحصر كان يحضرها كبار الفقهاء معترفين بمكانته العلمية (التمبكتي، د ت، صفحة 226).

ويظهر لنا الترحيب بمشروع بناء المدرسة من خلال الكتابات السلطوية التي أيدت التدريس والقيام على التأطير بالمدارس التي شيدها السلاطين، فقد أشاد بعض العلماء ومؤرخي البلاط الزياني والميريني بعمل السلطان وإبراز شخصيته المحبة للعلم والدين من خلال إنشائهم للمدارس، من ذلك "ابن مرزوق الخطيب التلمساني" (ت781هـ/1379م) الذي يعدّ من أشدّ المدافعين عن المدرسة بالمغرب، فقد عقد بابا في مسنده بعنوان "في إنشاء المدارس" وقسمه إلى قسمين تناول في القسم الأول أهمية المدرسة في نشر العلم، أما القسم الثاني فقد خصصه لجهود أسلاف "أبي الحسن" في بناء المدارس مع التركيز على دور هذا الأخير، فهو يعتبر المدرسة أحد أبواب المعونة وسبب اكتفاء المؤونة لطلابه، إذ عبّر عن ذلك قائلاً: "فلا يحفظ العلم إلاّ بمعونة طلابه على طلبه وبعثهم على تعليمه وتعلّمه فإنّ تعليمه وتعلّمه يمنعان من التسبب ويقطعان على الطلب" (الخطيب، 1981، صفحة 405).

كما أنّنا نجد "أبو عبد الله التنسي" صريحا في موقفه المؤيد لإنشاء المدارس، فقد جعل في نظمه محلا خاصا للحديث عن المدارس الزيانية وأدرجها ضمن مآثر السلطان، مؤكدا على أنّها من أهم الانجازات العلمية والدينية للسلطان والتي يبتغي فيها الأجر والثواب ورعاية العلم، وهذا ما يظهر من خلال تعريفه للمدرسة التاشفينية بقوله: "كان أبو تاشفين مولعا بتشييد القصور، فخلد آثارا لم تكن لمن قبله ولمن بعده.... وأحسن ذلك كله ببناؤه للمدرسة الجليلة العديمة النظير، التي بناها بإزاء الجامع الأعظم، ما ترك شيئا مما اختصت به قصوره المشيدة إلاّ وشيد مثله بها شكر الله له صنعه وأجزل له عليه ثوابه" (التنسي، 2007، صفحة 141)، كما نجده قد أفاض في الحديث عما قام به السلطان "أبو حمو موسى الثاني" لرواد المدرسة "اليقوبية" بقوله: "واحتفل بها، وأكثر عليها من الأوقاف ورتب فيها الجرايات.... وكسى طلبتها كلهم" (التنسي، 2007، صفحة 180)، فضلا عن ذلك اعتبر "التنسي" بناء السلطان "أبي العباس أحمد العاقل" لمدرسة "الحسن بن مخلوف الراشدي" أهم مشروع قام به في عصره (التنسي، 2007، صفحة 248).

ويتضح الموقف الإيجابي من المشروع المدرسي أيضا مع "أبي زكريا يحيى بن خلدون" في معرض حديثه عن "المدرسة اليقوبية"، أين أبرز أهمية المشروع بالنسبة "لأبي حمو موسى الثاني" الذي أولى المدرسة عنايته الخاصة بقوله: "وجه العناية والاهتمام إلى المدرسة الموضوع على ضريح والده... فولى شطرها بصر الاختبار، ومدّ إليها يد الانفاق فضاعف بها الفعلة وأحمد المغارس، وأسّمك المصانع، وأرحب الأبنية وحبر الغروس، واستجلب الأمياه، وأجزل الأوقاف، وعين الجرايات، ورسم فيها الخطط" (ابن خلدون، 2007، صفحة 136).

الخاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نقدم قراءة في مواقف علماء تلمسان من مشروع تأسيس المدارس خلال العهد الزياني، وبعد الإحاطة بجميع جوانب الموضوع الذي تضمن نشأة المدارس ودواعي تأسيسها ثم مواقف العلماء من هذا المشروع المدرسي والتي تباينت بين الرفض والقبول، توصلنا إلى بعض النتائج والتي يمكن ادراجها وفق الآتي:

1- إن نظرة الفقهاء الرافضين لمشروع بناء المدارس كانت تركز على الجانب السلبي لتعدد المدارس، لكون أن تلك المدارس قد كانت السبب في فساد العلم، فمن الثابت أن العصر الزياني هو عصر العودة الى المذهب المالكي، وما المدارس إلا مؤسسات سنوية لرعاية ذلك المذهب والترويج له.

2- إن هذه السياسة "المدرسية" قد أفرزت وضعية فكرية وعلمية اتسمت بسيادة التقليد وغلبة العلوم النقلية على حساب العلوم العقلية، فقد كان من نتائج ذلك على مستوى المضامين التعليمية تقلص أهمية العلوم العقلية خاصة ما يتصل بالطبيعة، مقابل هيمنة الفقه، وهذا مظهر من مظاهر الانحطاط الفكري، لأن الفقه لا يتطلب مهارات فكرية خاصة عدا الحفظ، لذا كان أصحابه يميلون الى التقليد، وليس الى الاجتهاد كأغلب المحدثين، ومن المعلوم الذي لا مزية فيه، أن العودة الى الفقه المالكي عودة الى رفض الرأي والتأويل ومحاربة تعدد المذاهب الذي يعد شرطا حيويا للجدل الفكري المنتج للخصوبة العلمية في زمن من الأزمان.

3- في المقابل لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل أهمية المشروع المدرسي ونفي مساهمته الفعالة في عملية البناء الفكري والحضاري في تاريخ المغرب الاوسط عموما وتلمسان تحديدا وانتعاش الحركة الثقافية خلال العهد الزياني، فقد أحدثت مؤسسة المدرسة خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي نهضة علمية بالغة الأهمية، أضحت نتيجتها تلمسان عاصمة علمية استقطبت العديد من العلماء وطلبة العلم في مختلف ضروب العلم .

4- اضطلعت مؤسسة المدرسة إلى جانب المؤسسات العلمية الأخرى رغم ما شابها من سلبيات في نظر بعض العلماء بأدوار مهمة يأتي على رأسها إعادة الاعتبار للمذهب المالكي، وتخريج ثلة من العلماء والفقهاء الذين أضحووا من أهم الفئات الاجتماعية بتلمسان توارثوا الحفاظ على استمرارية الاشتغال بالعلم إما تحصيلا أو تلقينا وارتقوا أرفع المناصب السياسية والإدارية والدينية وغيرها، وتركوا لنا آثارا طيبة في مجال التأليف في عدد من العلوم والمعارف.

- 5- قامت مؤسسة المدرسة بدور لا يستهان به في تكوين جيل من فطاحل العلماء كان لهم دور بارز في الحركة العلمية التي عرفتها الحاضرة الزيانية تلمسان، وهذا راجع من دون شك إلى المكانة المتميزة التي حظي بها أقطاب الهيئة العلمية بمؤسسة المدرسة والمتمثلة في "ابني الإمام" ("أبو زيد عبد الرحمن" (ت743هـ/1342م) وأخوه "أبو موسى عيسى" (ت749هـ/1348م) و"أبو موسى عمران المشدالي" (ت745هـ/1344م)، و"أبو عبد الله الشريف التلمساني" (ت771هـ/1371م) وغيرهم، نظير المستوى العلمي الرفيع الذي بلغوه في ضروب العلم بين علماء المغرب والمشرق الإسلاميين، ومن ثم تركوا بصماتهم الإيجابية في تطوير أساليب التدريس وطرق تلقي المعلومات وطرائق الاستفادة منها.
- 6- يظهر أن استئناف المشروع المدرسي في عهد السلطانين "أبي تاشفين" و"أبي حمو موسى الثاني" كان نتيجة الدور البارز الذي قامت به مؤسسة المدرسة خاصة أولى المدارس ألا وهي "مدرسة ابني الإمام" في تنشيط الحركة الفكرية، لاسيما عندما أصبحت غير قادرة على استيعاب عدد الطلبة الذين تهافتوا على طلب العلم.

التوصيات:

- ضرورة تثمين ثمار العمل التعليمي لمؤسسة المدرسة بحاضرة تلمسان خلال العهد الزياني، والذي تتضح ملامحه مع الجيل الذي قاد الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن 08هـ/14م وعلى امتداد القرن 09هـ/15م.
- القيام بدراسة حول ظاهرة انشاء المدارس التعليمية بالمشرق والمغرب الإسلاميين والوقوف عند المواقف المتباينة لعلمائهما بين المؤيد والمعرض باستحضار حجة وأدلة كل منهما.
- اجراء دراسة مقارنة حول دور مؤسسة المدرسة التعليمي في تكوين وتخريج الأطر العلمية بين الماضي والحاضر، للخروج بإجراءات واقعية تهدف إلى إحداث قفزة في المجال التعليمي بالدول العربية.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن أبي دینار. (1993). المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. لبنان: دار المسيرة.
- ابن أبي زرع الفاسي. (1960). الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية. الجزائر: مطبعة جول كربونل.

- ابن بشكوال. (2010). كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس (المجلد ج1). تونس: دار الغرب الإسلامي.
- ابن جبير. (1988). رحلة ابن جبير. الجزائر: موفم للنشر.
- ابن مرزوق الخطيب. (1981). المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ابن مريم. (1986). البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- ابن منظور محمد . (دت). لسان العرب. القاهرة.
- أبو الحسن القلصادي. (1978). رحلة القلصادي. تونس: الشركة التونسية للتوزيع.
- أحمد المقري. (1968). نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب (المجلد ج7). بيروت: دار صادر.
- أحمد الونشريسي. (1982). المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- أحمد بابا التمبكتي. (د ت). نيل الابتهاج بتطريز الديباج. طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية.
- اسماعيل ابن الأحمر. (2000). تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- ألفرد بل. (1987). الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم. (ترجمة عبد الرحمن بدوي، المترجمون) بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- المقرئزي. (1968). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المجلد ج3). دار التحرير للطبع والنشر.
- برهان الدين ابن فرحون. (1996). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. لبنان: دار الكتب العلمية.

- جلال الدين السيوطي. (2004). حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (المجلد ج2). بيروت: المكتبة المصرية.
- حسن الوزان. (1983). وصف إفريقيا. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- خالد بلعربي. (2012). ورقات زيانية. الجزائر: دار الألمعية للنشر والتوزيع.
- شمس الدين ابن خلكان. (1981). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (المجلد ج2). بيروت: دار صادر.
- صابرة خطيف. (2011). فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية. الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.
- عبد الجليل قريان. (2001). التعليم بتلمسان في العهد الزياني. الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.
- عبد الحميد حاجيات. (2011). دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي (المجلد 2). الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- عبد الحي الكتاني. (1982). فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات (المجلد ج2). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- عبد العزيز بومهرة. (ديسمبر، 2003). التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن من الهجرة. (جامعة باجي مختار، المحرر) مجلة التواصل.
- عبد العزيز فيلالي. (2002). تلمسان في العهد الزياني (المجلد ج2). الجزائر: موفم للنشر والتوزيع.
- قاسمي بختاوي. (ديسمبر، 2009). المدارس في تلمسان في عهد بني زيان. (مخبر المرجعيات الفلسفية، المحرر) مجلة الفكر المتوسطي(4).
- قدور وهراني. (ديسمبر، 2008). أثر الشيخ الأبلي في تطور العلوم العقلية بتلمسان الزيانية. (مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، المحرر) قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية.
- محمد التنسي. (2007). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان. الجزائر: موفم للنشر.
- محمد الشريف. (2011). محاضرات ومباحث في تاريخ المغرب المريني وحضارته. تطوان: مطبعة الهداية.

- محمد العبدري. (2005). رحلة العبدري. دمشق: دار سعد الدين للنشر والتوزيع.
- محمد القبلي. (1986). قضية المدارس المرينية في النهضة والتراكم. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- محمد بوشقيف. (ديسمبر، 2008). المؤسسات التعليمية بتلمسان. (كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، المحرر) مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية (العدد التجريبي).
- مفدي زكريا. (جويلية- أوت، 1975). النشاط العقلي والتقدم الحضاري في عهد الزيانيين. مجلة الأصالة، صفحة 166.
- يحي ابن خلدون. (2007). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد (المجلد ج1). الجزائر.

دور الأميرة أشرف بهلوي السياسي الفعال في القضاء على الحركات الانفصالية في إيران 1941-1946 (جمهورية كردستان او مهاباد)

Princess Ashraf Pahlavi's effective political role in eliminating separatist movements in Iran 1941-1946 (Republic of Kurdistan or Mahabad)

عباس حسين الجابري؛ دكتوراه تاريخ، جامعة ذي قار، العراق
حبيب عمران جادر الأعاجيبي؛ ماجستير تاريخ، جامعة ذي قار، العراق

Assist Prof. Dr. Abbas Hussein AL- Jabri

Habeeb umran Jadir AL-A'Jeebl

الملخص:

ارتبط اسم الأميرة أشرف بهلوي بحوادث مهمة جداً في تاريخ إيران المعاصر وكانت لها أثرها في الواقع السياسي والاجتماعي الإيراني، وخاصة بعد تنازل ولدها رضا شاه بهلوي إلى أخيها محمد رضا في السادس عشر من أيلول 1941 ومساندته في ترسيخ النظام الملكي في إيران.

يهدف هذا البحث إلى معرفة الدور السياسي للأميرة أشرف بهلوي في إيران وأن يكون حافزاً في تشجيعهم الباحثين على دراسة الشخصيات الإيرانية المؤثرة في إيران طيلة العهد البهلوي الثاني (1941-1979).

استعمل الباحث المنهج التاريخي واعتمد في الدراسة على الوثائق الكردية والأجنبية التي أفادت موضوع الدراسة، فضلاً عن الكتب العربية والمعرّبة، والكتب الفارسية ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- التعرف على شخصية الأميرة أشرف بهلوي القوية والمؤثرة في البلاط الإيراني التي استطاعت القضاء على الحركات الانفصالية في إيران من خلال سفرها إلى الاتحاد السوفيتي ولقائها بالزعيم جوزيف ستاليم وسحب الدعم السوفيتي لجمهورية مهاباد والقضاء عليها وتثبيت الحكم البهلوي وترسيخه.
- الوقوف على معاناة الأقليات في إيران وخاصة القومية الكردية وحرمانهم من أبسط حقوقهم في إيران.
- معرفة أسباب إعلان الأقليات في إيران الانفصال عن الحكومة المركزية وتأسيس جمهورية مهاباد ذات الحكم الذاتي.
- ضرورة أن تولى الجامعات العراقية قسماً خاصاً لدراسة الشخصيات الإيرانية المؤثرة في إيران طيلة فترة العهد البهلوي الثاني (1941-1979).

الكلمات المفتاحية: أشرف بهلوي، الحركات الانفصالية، إيران، جمهورية كردستان، مهاباد

Abstract:

The name of Princess Ashraf Pahlavi has been associated with very important incidents in the contemporary history of Iran and they had an impact on the Iranian political and social reality, especially after the abdication of her son Reza Shah Pahlavi to her brother Muhammad Reza on

the sixteenth of September 1941 and his support in the consolidation of the monarchy in Iran.

This research aims to know the political role of Princess Ashraf Pahlavi in Iran to provide and encourage researchers to study the influential Iranian personalities in Iran during the second Pahlavi era (1941-1979).

The researcher used the historical method and relied in the study on Kurdish and foreign documents that reported the subject of the study, as well as Arabic and Arabized books and Persian books related to the subject of the study that contributed to enriching the study.

The research reached a set of results, the most important of which are:

- Getting acquainted with the strong and influential personality of Princess Ashraf Pahlavi in the Iranian court, who was able to eliminate the separatist movements in Iran through her travels to the Soviet Union and her meeting with the leader Joseph Stalin, the withdrawal of Soviet support for the Republic of Mahabad and its elimination and the establishment and consolidation of the Pahlavi rule.

Standing on the suffering of minorities in Iran, especially Kurdish nationalism, and depriving them of their most basic rights in Iran.

- Knowing the reasons for the declaration of minorities in Iran to separate from the central government and the establishment of the Mahabad Autonomous Republic.

The necessity for Iraqi universities to assign a special section to study the influential Iranian personalities in Iran throughout the period of the second Pahlavi era (1941-1979).

Keywords: Ashraf Pahlavi, separatist movements, Iran, Kurdistan Republic, Mahabad

المقدمة:

اكتسبت دراسة تاريخ إيران المعاصر لا سيما دراسة الشخصيات المؤثرة في سير أحداثه السياسية أهميه خاصة لدى الباحثين في التاريخ المعاصر، وتاريخ إيران يسخر بالشخصيات التي أثرت وتركت بصمة واضحة. ومن بين هذه الشخصيات تبرز شخصية الأميرة أشرف بهلوي شقية الشاه محمد رضا بهلوي والتي عرفت بطموحها وقوة شخصيتها وتأثيرها الكبير في اتخاذ القرارات على أخيها الشاه ولا سيما تشكيل وإقالة الوزراء، كما أرتبط أسمها بأحداث مهمة جداً انعكست آثارها في الواقع السياسي والاجتماعي الإيراني.

تتألف الدراسة من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة. إذ تناول المبحث الأول (تطورات الأوضاع السياسية في إيران 1941-1944)، وركزنا في المبحث الثاني في (دور الأميرة أشرف بهلوي في القضاء على جمهورية مهاباد). وراعينا في كتابة البحث الالتزام بالحقيقة العلمية المستقاة من أوثق المصادر سواء كانت فارسية أم عربية، لأن دراسة التاريخ تفرض علينا أن لا ننظر إليه بعين واحدة. وإنما نقومه تقويماً موضوعياً مجرداً من العواطف وهذا ما حولناه في هذا البحث.

المبحث الأول: تطورات الأوضاع السياسية في إيران 1941-1944

شهدت سنوات الحرب العالمية الثانية وما بعدها تحولاً عميقاً في الظروف السياسية والاجتماعية لإيران⁽¹⁾، فاحتلال الحلفاء في الخامس والعشرين من آب عام 1941⁽²⁾، وشدة التنافس بين القوى الأجنبية للحصول على المزيد من النفوذ في إيران، وما رافقها من أحداث داخلية من خلال إجبار الحلفاء لرضا شاه بهلوي على تنحي وتنازله لابنه محمد رضا عن مقاليد الحكم وتنصيب الأخير شاه لإيران في السادس عشر من أيلول عام 1941⁽³⁾، حينها أقر رئيس الوزراء الإيراني محمد علي فروغي⁽⁴⁾، أمام البرلمان الإيراني وثيقة التنازل إلى نجله محمد رضا بهلوي الذي أدى اليمين

(1) ريتشارد انطواني شيوارات، در افرين، وزهاي رضا شاه: تهاجم روس وانكليز به ايران در شهريور، ترجمة: عبد الرضا هوستك وكاوه بيان، تهران، 1370 ش، ص17؛ غلام رضا نجاي، التاريخ الإيراني المعاصر، ترجمة: عبد الرحيم الحمداني، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم، 2008، ص76.

(1) F.O. Esaraghi، Anglo – Soviet occupation of Iran in August 1991، middle eastern studied، Vol،20، No. 1، January 1984، P.P 25 – 51 ; Documents on German foreign policy 1981 – 1945، Vol.XIII، Washington، 1964، P.372.

(2) اروندا ابراهيمان، إيران بين دو انقلاب، ص77؛ طاهر خلف البكاء، اثر الحرب العالمية الثانية في سقوط رضا شاه بهلوي 1939 – 1941، ص37؛ محمد كامل عبد الرحمن، الاوضاع العامة في إيران...، ص23.

(3) محمد علي فروغي: ولد في طهران عام 1878م، وهو قاضي مستقل، تولى وزارة الخارجية الإيرانية من 1912 – 1923، واصبح رئيساً لمجلس النواب 1924 – 1933، ورئيساً للوزراء 1933 – 1935، وتولى هذا المنصب

الدستوري بتاريخ التاسع عشر من أيلول، بعد تقديم استقالة محمد علي فروغي رئيس الوزراء استناداً للأعراف الدستورية⁽⁵⁾.

حاول الشاه محمد رضا بهلوي والأميرة أشرف بهلوي أن يخففوا من مشاعر الغضب والاستياء التي سادت الإيرانيين، بسبب ممارسات الشاه المعزول لذا تعهدت الأميرة أشرف بهلوي يوم تتويج أخيها باصلاح الأخطاء التي لحقت بالشعب بصورة جماعية أو منفردة وتعهدت بالالتزام بالقوانين والمحافظة على الدستور⁽⁶⁾.

حيث وصول محمد رضا بهلوي إلى الحكم في ظروف واطواع معقدة تمثلت بخلع والده ونفيه من إيران، والبلاد قد احتلتها قوات الحلفاء من جهتين، وجاء تتويجه واستلامه زمام الحكم وهو الفاقد للتجربة، وضعيف النفس والارادة بعد الحكم الدكتاتوري المرعب المنهار، في الوقت الذي كان فيه الاتحاد السوفيتي وأمريكا وبريطانيا يتدخلان عملياً وبشكل مباشر في الشؤون الداخلية والخارجية للبلاد المحتلة⁽⁷⁾، فما كان من الأميرة أشرف بهلوي إلا أن قامت بمساندة أخيها الشاه والوقوف إلى جانبه في تلك الظروف غير المستقرة للبلاد، فقامت بعده إجراءات لتهدئة الشارع الإيراني بعد التشاور مع أخيها محمد رضا بهلوي منها إطلاق حرية الصحافة وإطلاق حرية الأحزاب وإطلاق سراح المحكومين في عهد والدها، كذلك اقترحت الأميرة أشرف بهلوي في المرحلة الأولى من حكم أخيها بل زينت لشاه ضرورة التوصل إلى معاهدة مع بريطانيا والاتحاد السوفيتي وصيانة استقرار إيران والمحافظة على مصالحها العليا وفعلاً وقع الشاه في التاسع والعشرين من كانون الثاني عام 1942 على معاهدة الاتحاد الثلاثي (البرطانية – السوفيتية – الإيرانية) التي كانت من أبرز بنودها أن يؤسس حلف بين القوى المتحالفة من ناحية وبين جلاله شاه إيران من ناحية أخرى، كذلك أن

مرة أخرى عام 1941 بعد استقالة علي حسن من الحكومة، ثم استقال عام 1942. للمزيد من التفاصيل عن حياته ودوره السياسي في إيران ينظر: محمود طلوع، تاريخ برسي صبراي روابط إيران وأمريكا حديث نيك وبد، جاب اول، تهران، 1984 ش، ص190؛ سارة عطية حبيب الاسدي، محمد علي فروغي واثره في السياسة الإيرانية حتى عام 1942 رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة ذي قار، 2021.

(4) مذكرات شاه إيران المخلوع، محمد رضا بهلوي، ترجمة: مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1980، ص35؛

F.O.، 371 / 2715، sitation in Persia، No. 1218، November، 1991.

(5) صحيفة اطلاعات، العدد 16 لسنة 1941؛ جها نفين أموزكار، فرار وفروود دودمان بهلوي، ترجمة بالفارسية لطفعليان، تهران، 1375 ش، ص17.

(6) سعيد برزين، البنية السياسية – الطبقيّة والسكانية في إيران، مجلة اطلاعات السياسية – الاقتصادية، السنة 8، العددان 9، 10، فرداد وتير 1373 ش، ص113.

ينسحب الحلفاء خارج الحدود الإيرانية في مدة لا تزيد عن ستة أشهر بعد انتهاء الأعمال الحربية بين قوات ألمانيا والحلفاء⁽⁸⁾.

وفي تلك الظروف التي سادت البلاد، كانت الأميرة أشرف بهلوي الداعم الرئيس لأخيها محمد رضا بهلوي في تثبيت سلطته؛ لأنها تمتلك قوة الشخصية، والقدرة على احتواء الأمور وتسييرها وهذه الصفة امتلكتها من والدها رضا شاه، عكس أخيها محمد رضا بهلوي الذي كان متردداً في كثير من الأحيان⁽⁹⁾.

كذلك رحبت الأميرة أشرف بهلوي ومحمد رضا بهلوي بانعقاد المؤتمر التاريخي المهم لقادة الدول الحليفة الثلاث كل من (ترومان وستالين وتشرشل) في طهران عام 1943، وصدر عن المؤتمر البيان الذي سمي (إعلان طهران) الذي ثمن تعاون إيران مع الحلفاء، وأكد على استقلال إيران وسيادتها على كامل ترابها، وأكد مؤتمر طهران على انسحاب القوات العسكرية المحتلة من إيران بعد انتهاء الحرب، مما أسهم في بعث الأمل في النفوس لدى محمد رضا شاه بهلوي والأميرة أشرف بهلوي التي كان لها دور كبير في توطيد الحكم البهلوي في إيران⁽¹⁰⁾.

وبعد أن استتبت الأمور لصالح الشاه الجديد، سافرت معظم أسرة الشاه السابقة لزيارته في منفاه في جزيرة موريسوش في المحيط الهندي غير أن الأميرة أشرف بهلوي لم تزره هي وزوجها علي قوام طيلة السنوات الأولى في منفاه، وفضلت البقاء في طهران، إذ كان يقلقها وجود الكثير من الغرباء في طهران، لكنها من جانب آخر كان يدفعها الفضول لمعرفة كيف يعيش الشعب الإيراني؟ وما هي مشاعرهم وموقفهم أزاء تنحية والدها رضا شاه؟ وعلى الرغم من اشتداد أواصر الحرب العالمية الثانية وحجم تأثيرتها، فإن الأميرة أشرف بهلوي كانت قد وضعت لنفسها جدولاً يومياً لاسيما بعد انفصالها عن زوجها "علي قوام" عام 1942، في زيارة بعض الثكنات والقواعد العسكرية الأمريكية وخصوصاً قاعدة أمير أباد لتفتح علاقات مع جنود الولايات المتحدة الأمريكية، كما تحدثت هي شخصياً في مذكراتها عن هذا الموضوع، إذ قالت "لم استطع إيقاف نفسي، إذ كانت العلاقة بين الجنود

(7) علي رضا ازغندي، روابط خارجي إيران: دولت دست نشاندہ، 1320 – 1357 ش، تهران، 1376 ش، ص70؛

نعيم جاسم محمد، معاهدة الاتحاد الثلاثي (الإيرانية – البريطانية – السوفيتية) لعام 1942، مجلة اوروك، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، المجلد 5، العدد 2، 2012، ص87.

(8) حسين بشيربه، جامعة شناسي سياسي: نقش نبروهاي اجتماعي در زندكي سياسي، تهران، 1373 ش، 1994 م، ص37.

(9) محمد رضا بهلوي، شاه إيران المخلوع، باسوخ به تاريخ، ترجمة: فيروز فيروزنيا، تهران، 1358 ش 1979 م، ص140؛

الأمريكيين دافئة وودية نسبياً⁽¹¹⁾؛ وهذا ما أكده الجنرال الإيراني حسين فردوست الوضع في إيران على النحو التالي، إذ كان لدى الأمريكيين نادي في شارع أمير آباد مخصص للضباط أو قاعدة لهم يقومون فيه بأعمال لا أخلاقية، إذ كانت تتردد إليه أشرف بهلوي يومياً⁽¹²⁾.

نستنتج مما تقدم أن من هنا بدأ فساد أشرف بهلوي الأخلاقي، إذ إنها أرادت أن تعوض حرمانها من قبل والدها رضا شاه بهلوي، وأن ترغب في تحقيق كل رغباتها التي منعها منها والدها، لذا فإنها لم تذهب إلى رؤية والدها في منفاه؛ لأنها تعتقد أنه كان سبباً في تحطيم حياتها.

نتيجة لتطور الأحداث الداخلية في إيران، وبعد سفر الأميرة فوزية إلى مصر برفقة والدتها نازلي عندما أتت لها في الثالث عشر من شباط عام 1943، سافرت معها الأميرة أشرف بهلوي بناءً على طلب محمد رضا بهلوي، بعد أن تعرضت الأميرة فوزية إلى ضغط شديد من العائلة المالكة وخاصة الأميرة أشرف بهلوي ووالدتها⁽¹³⁾، إذ كانت تلقبها الأميرة أشرف بهلوي باسم (المصرية) بدلاً من فوزية، وكذلك اتهم الأميرة أشرف بهلوي بأن الأميرة فوزية لديها علاقة مع السيد (تقي امامي) وكان ولي العهد قد تعرف عليه في اثناء ممارسة رياضة التزلج على الجليد في منطقة (بيت ابعلى) الواقعة في شمال طهران، وجمعت بينهم صداقة قوية، وكان أمامي شاباً رياضياً ولهذا السبب كان محل اهتمام من قبل ولي العهد وبلغت رابطة الصداقة بينهم أعلى مستوياتها لدرجة أن محمد رضا قد عينه في منصب (الياور الخاص) أو (المرافق الخاص) بالأميرة فوزية، وللمفارقة إذ كانت الأميرة أشرف تهيم عشقاً بأمامي وتبدي إعجابها به وعرضت عليه الزواج، ولكنه قال لها إنني لن أتزوج من الأميرات، لذا قررت أشرف بهلوي الانتقام منه وتعاونت مع السيد ارنست بيرون (Arnest Perron)⁽¹⁴⁾ الصديق السويسري المقرب إلى محمد رضا بهلوي الذي كان يحقد على أمامي، وأشعن في البلاط أن هناك علاقة غير مشروعة بين أمامي وفوزية، وأخبرا محمد رضا بهلوي بذلك، وزرعا الشك في قلبه، لذا أمر محمد رضا بأن لا يسمحوا لأمامي بدخول القصر، ووصل الأمر إلى مسامح فوزية، فصمتت فترة من الوقت، وثم أيقنت أن عليها المغادرة من طهران والسفر إلى القاهرة في 13 شباط 1943⁽¹⁵⁾.

(10) أشرف بهلوي، انا واخي...، ص117.

(11) حسين فردوسي، ظهور وسقوط سلطنة...، ص131.

(12) أشرف بهلوي، جهرة هاي اريك ابنه...، ص62؛ وثائق وزارة الخارجية، المديرية العامة للتوثيق والارشفة، الملف رقم 51، الاضبارة رقم 1 / 1952؛ ثريا الاسفندياري البخديارية، كاخ تنهابي، ترجمة: نا وعلي الهمداني، طهران، 1370 ش، ص57.

(13) محمد يوركيان، ارنست برون (فراش بيرستان) شهور شهنشاه أريامهر، برلين، 1357 ش، ص213.

(14) حسين فردوست، ظهور وسقوط، ص259؛ أحمد مسعود الانصاري، من وخاندان بهلوي...، ص77؛ بدر الملوك بامداد، منبع قبلي، ص317.

سافرت الأميرة أشرف بهلوي مع زوجة أخيها الأميرة فوزية إلى مصر ودابت على حضور الحفلات وارتياح الملاهي الليلية والرقص مع شخصيات مصرية هناك، إذ وقعت الأميرة أشرف بهلوي في حب مسؤول تأمين شركة الطيران المصرية، يدعى أحمد شفيق وأعجبت به كثيراً واتفقا على الزواج في طهران وقررت الزواج منه بعد عودتها إلى طهران في الثاني والعشرين من شباط 1943⁽¹⁶⁾، واتفقا على مراسم الزواج في الخامس والعشرين من آذار 1943، بعد تقديم أحمد شفيق إلى شقيقها محمد رضا بهلوي الذي أمر رئيس مكتبة محمود جم بالبحث سراً عن سجلات عائلة أحمد شفيق من (جواد سكاني) سفير إيران في مصر وعن سبب معارضة الملك فاروق لشفيق، إذ يكتب محمود جم عن ذلك (لا أعلم الكثير عن أحمد شفيق لكنه موظف في شركة التامين، وعائلته ليست مثل عائلة الأميرة أشرف، لكن الشاه محمد رضا بهلوي كان دائماً طيباً اتجاه اخته ويحجم عن ازعاجها ولا يرفض طلباتها، علاوة على تعليقات الأميرة شمس بهلوي المؤيدة إلى أحمد شفيق التي كانت تعرفه جيداً، لذا وافق أخوها على زواج الأميرة أشرف بهلوي من أحمد شفيق)⁽¹⁷⁾.

تزوجت الأميرة أشرف بهلوي من أحمد ابن شفيق باشا مدير مكتب الخديوي عباس حلمي الثاني (1892 – 1914) رسمياً في الخامس والعشرين من آذار 1943، إذ أرادت أن تحقق رغباتها في اختيار زوجها بنفسها من دون تسلط من عائلتها، وفعلاً حققت ذلك الاختيار، وتخلّى أحمد شفيق عن جنسيته المصرية بناءً على إصرار أشرف بهلوي ومُنح الجنسية الإيرانية والاعتراف به من قبل مجلس الوزراء الإيراني بموجب مرسوم أصدره محمد رضا بهلوي بذلك، وأصبح أحمد شفيق المدير العام لشركة الطيران الإيرانية واستمرت تلك الزيجة سبعة أعوام، وأثمرت عن إنجاب كل من شهریار الذي ولد في الخامس من آذار 1945 والأميرة ازاده شفيق⁽¹⁸⁾.

توثقت علاقة الأميرة أشرف بهلوي بالملك فاروق شفيق فوزية زوجة أخيها الشاه محمد رضا بهلوي وقالت إنه ليس ذلك الملك البدين والضخم والمسرف، إنما وجدته عند زيارتي رجل وسيم ذا قامة طويلة، وكان قد تحدث معي ليس في السياسة فحسب، ففي كل مرة نتحدث كان يظهر اهتماماً كبيراً يمدحني بشكل حتى يخرج عن حدود العرف الشرقي، وكان يقيم حفلات فاخرة على يخته في نهر النيل، وأيضاً في قصره الصيفي الجميل بالإسكندرية، وكان يقول لي إنه يحبني ويريد أن يتزوجني⁽¹⁹⁾.

(15) أشرف بهلوي، جهرة هاي اريك ابنه...، ص 67؛ ظهور وسقوط سلطنة بهلوي، ج 2، ختار هاي از تاريخ معاصر إيران، طهران، 1370 ش، ص 197؛ أشرف بهلوي، انا واخي...، ص 113.

(16) اقتباس شده از: جعفر شاهيد، منبع قبلي، ص 133.

(17) ولدت الأميرة ازاده شفيق عام 1951، ولمزيد عن حياتها ينظر: خسرو معتضد، أشرف درابنه...، ص 92؛ تيمية بنيهان، أشرف در حرت...، ص 187؛ أشرف بهلوي، جهرة هاي اريك ابنه...، ص 68.

(18) اقتباس شده از: أشرف بهلوي، جهرة هاي اريك ابنه...، ص 69 – 70.

كذلك تكتب الأميرة أشرف بهلوي عن زواجها من أحمد شفيق وعلاقتها مع الملك فاروق (كانت لديه الكثير من الذكريات الجميلة مع الملك فاروق، في كل مرة أذهب فيها إلى مصر، حيث إنني ذهبت إلى مصر ثلاث مرات، الأولى في مراسم زواج محمد رضا بهلوي مع الأميرة فوزية، والثانية مع والدتي تاج الملوك للعلاج، والثالثة برفقة الأميرة فوزية، وفي كل مرة كان لطيفاً للغاية، وعندما رغبت بالزواج من أحمد شفيق، وهناك أزعجني كثيراً الملك فاروق، لأنه كان يرغب من أن يتزوجني، إذ غضب كثيراً لأنني لم أكن أرغب من أن أزعج الملكة فريدي زوجته في ذلك الوقت، وجعلها يائسة، وأعجبت بشخصية أحمد شفيق)⁽²⁰⁾.

نتيجة لتطور الأحداث بين الجانب الإيراني والمصري طلبت الأميرة فوزية الطلاق من محمد رضا بهلوي بعد سوء المعاملة من العائلة البهلوية وخاصة الأميرة أشرف بهلوي وطلبت الطلاق عام 1945 من القاهرة بعد التحدث مع الملك فاروق حول ذلك وبعثت برسالة إلى محمد رضا بهلوي حول وثيقة الطلاق التي تمت في القاهرة، وبعد طلاق فوزية مما أدى إلى تدهور العلاقات بين الجانبين وأصابها نوع من الفتور وما يدل على ذلك اعتراض إيران على اعتماد السفير المصري (عسل بك) بحجة انه ترك وظيفته شاغرة مدة طويلة تزيد على ثلاث سنوات مما يوصي بالاهمال⁽²¹⁾.

في مجرى الأحداث الداخلية التي رافقت انتهاء الحرب العالمية الثانية في الخامس عشر من آب عام 1945، طالبت إيران متمثلة بالشاه محمد رضا بهلوي وبتوجيه من الأميرة أشرف بهلوي إلى الدول الحليفة أن تسحب قواتها من أراضيها حسب اتفاق المعاهدة الثلاثية الموقعة بينهم في الحادي عشر من أيلول عام 1942، وانسحبت القوات الأمريكية والبريطانية، والقوات التابعة لها تدريجياً من إيران، لكن حكومة الاتحاد السوفيتي تأخرت بسحب قواتها متذرة بذرائع مختلفة، وسعت في الوقت نفسه من خلال اذكاء نيران الأزمة في اندريجان وكردستان وبمساعدة المجموعات السياسية الداخلية التابعة لها أن تدعم الحركات الانفصالية التي بدأت بوادرها تظهر آنذاك، ولا سيما عام 1945 في شمال إيران وجنوبها⁽²²⁾.

(19) اقتباس شده از: أشرف بهلوي، انا واخي...، ص 47 – 49.

(20) لم تعترف إيران بطلاق فوزية حتى السادس عشر من تشرين الثاني عام 1948. للمزيد من التفاصيل عن طلاق فوزية والعلاقات المصرية الإيرانية ينظر: مسعود بهنود، هؤلاء النساء الثلاث...، ص 113؛ أشرف بهلوي، جهرة هاي اريك ابنه...، ص 71؛ ملفات وزارة الخارجية 89 (س. ع. م. / 441 / 1037 / 5 / دوسيه 4 شيان الاعتراض الإيراني على السفير الجديد عسل بيك بتاريخ الخامس عشر من تموز عام 1947.

(21) زهتاب فرد، خاطرات در خاطرات، تهران، 1373 ش، 1994 م، ص 146؛ محمد رضا بهلوي، شاه إيران المخلوع...، ص 211؛ جواد عرباني، بدر ساواك و نكاهي زندگاني سياسي، اجتماعي، تسر لشكر تيمور بختيار، مركز اسناد انقلاب اسلامي، تهران، 1390 ش، 2011، ص 20.

نستنتج مما تقدم أن الأميرة أشرف بهلوي كان لها الدور الكبير في طلاق الأميرة فوزية من الملك محمد رضا بهلوي بعد اتهامها بأمر عدة كانت سبباً في تدمير الأميرة فوزية وطلبها السفر إلى القاهرة برفقة والدتها نازلي وطلب الطلاق من محمد رضا بهلوي، التي تسبب فيما بعد إلى تدهور في العلاقات الإيرانية المصرية فترة طويلة من الزمن ولكنها لم تصل إلى قطع العلاقات نهائياً بل أصابها الفتور والضعف.

المبحث الثاني: دور الأميرة أشرف بهلوي في القضاء على جمهورية مهآباد

يقوم الكرد في مناطق كردستان⁽²³⁾ إيران التي تبلغ مساحتها (33859) كم²(24)، في كرمشاه التي تقع غرب البلاد بوجه خاص، وفي القسم الجنوبي من أذربيجان والإقليم الجبلي من ناحية أرومية وخوي التي تقع الشمال الغربي من بحيرة رضائية بين مدينة باكو وأرومية، والمنحدرات الجنوبية لأرارات، وهناك جماعات في خراسان تقع شمال شرقي إيران وبروجر تقع في محافظة لورستان غرب إيران إحدى محافظات إيران تقع غرب جبال زاكروس غرب إيران⁽²⁵⁾.

(22) كردستان: كلمة مؤلفة من لفظ (كرد – ستان) ويقابلها في اللغات الأوروبية (state) وتعني (منطقة أو مقاطعة)، وظهرت لأول مرة في القرن الرابع عشر من قبل السلطان سنجان السلجوقي، وبالمحصلة تعني الكرد، وللتكريب نظائر مثل عربستان، أفغانستان، تركستان، وفيهم الإسلام ويشكلون (6%) من مجموع السكان بعد أن جاء بهم (عصر الدولة) ابن ركن الدولة ابن علي الحسن بن بويه الديلمي من حدود أصفهان في العصر العباسي، وكردستان ليست دولة وإنما بلاد يقطنها الكرد مع الفرس والأتراك والعرب والأرمن والأشوريين. محمد الدرة، القضية الكردية، ط2، دار الطليعة، 1966، ص28؛ عبد علي حسن الخفاف وآخرون، الأحوال الديموغرافية في إيران، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1987؛ أحمد أمين سليم، تاريخ العراق – إيران – آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص306؛ حميد رضا جلاني يور، المشكلة الكردية، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، مركز دراسات الشرقية، القاهرة، 2000، ص6؛ ابن البلخي، فارس نامة، ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية، القاهرة، 2001، ص154؛ شرف خان البرلبيسي، العصر والحياة والخلود، ترجمة: عبدي حاجي، مؤسسة موكرباني، أربيل، 2011، ص17؛ مناهر مبدر عبد الكريم، السياسة البريطانية تجاه كرد إيران 1939 – 1946، مجلة ديالى، جامعة ديالى، العدد 57، 2013، ص4 – 9؛ وديع جودة، الحركة القومية الكردية، نشأتها وتطورها، ترجمة: مجموعة من المترجمين، تقدم، ماركت خان برويتس، دار الفارابي، بيروت، 2013، ص22؛ طاهر خلف البكاء، تطورات الأحداث في كردستان إيران، ص17.

(23) برويز اسرى زاده وديكران، دائرة المعارف بآفرهنگ ودانش وهز، جانجانه سرعت، تهران، 1356 ش، ص726؛ اسماعيل بادي، رحلة ناصر خسرو عبر المناطق الكردية، مركز الدراسات الكردية وحفظ الوثائق، مطبعة جامعة دهوك، 2010، ص27.

(24) شوكت شيخ بزدين، الكرد دراسة سوسيولوجية وتاريخية، دار آراس، أربيل، د.ت، ص52.

أدت سياسة رضا بهلوي والأميرة أشرف بهلوي الاستبدادية والعنصرية وسعيه لاضطهاد القومية الكردية في إيران والاحتفاظ بتراثهم⁽²⁶⁾، فضلاً عن تأثر الحركة القومية الكردية بتمثيلتها في كردستان تركيا، إذ جرت بين الحركتين اثناء ثورة اارات التي قادها الجنرال إحسان نوري باشا، فجرت اتصالات عديدة مع الضباط الكرد أمثال (امين راوندوزي) الباحثين من التخلص من نبر الاضطهاد الفارسي⁽²⁷⁾.

أسهم وصول محمد رضا بهلوي إلى الحكم، بعد تنازل والده عن السلطة إلى أن تشعر كردستان الإيرانية بنوع من الحرية النسبية، بعد أن أطلق محمد رضا بهلوي والأميرة أشرف بهلوي سراح السجناء السياسيين، والسماح بالمتفقين ورؤساء العشائر الكردية بالعودة إلى مناطقهم⁽²⁸⁾، أدت هذه العوامل إلى تحرك القيادات الكردية إلى إنشاء منظمة حزبية باسم (حزب أحرار كردستان) سنة 1941⁽²⁹⁾، فضلاً عن الاضطهاد القومي الذي عاشته كردستان الإيرانية ووجود روح التحرر التي كانت تنمو في نفوس أبنائها ووجود تيار يدعو إلى تأسيس حكم ذاتي للإقليم في المرحلة الأولى والمطالبة بالاستقلال، إذ لم تتفهم الأميرة أشرف بهلوي ومحمد رضا بهلوي مطالب السكان المشروعة⁽³⁰⁾.

يبسط لنا تقرير دبلوماسي سري أوضاع مهأباد في أواخر الحرب العالمية الثانية ومطالب أهلها المشروعة، إذ تقول كلمات التقرير ما نصّه: (إن أهالي مهأباد أي صاوجيولاف) وتوابعها يريدون الانفصال بسبب تعديت الجيش، وإن قاضي مهأباد ذهب إلى طهران وشكا قائد الجيش وتم سحب القائد إلى طهران وحكم عليه)⁽³¹⁾.

(25) احمد أشرف وعلي بنوعزيزي، الطبقات الاجتماعية في العصر البهلوي، ترجمة: عماد افروغ، مجلة راهبرد،

العدد 2، 1372 ش، 1993، ص15؛ مسني سلامة، الاضطراب الكبير، ج1، بغداد، 1981، ص47.

(26) د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، التسلسل 473 / 311، تقرير سري من القنصلية الملكية في المحمرة إلى وزارة

الخارجية العراقية لشهر نيسان 1936، الوثيقة رقم 73 / 74، ص ص 86 – 87؛ جليل جليلي، الحركة الكردية

في العصر الحديث، ترجمة: عيدي حاجي، دار الرازي للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص55.

(27) حمير ابشير زادة، البنية الاستبدادية للحكم الملكي وعدم نضج البرجوازية في إيران، مجلة راهبرد، العدد 6، ربيع

1374 ش، 1995 م، ص22.

(28) علي البصري، نجوان تاريخ إيران قرن بيستم، ترجمة: محمد حسين استقر، دم، دبت، ص77.

(29) احمد علي سبهر، إيران در جنك دوم جهاني، تهران، 1355 ش، 1976 م، ص313.

(30) ملفات وزارة الداخلية لعام 1945، الملف 6 / 6 / 123، كتاب من متصرفية لواء السليمانية إلى وزارة الداخلية

في 12 / 2 / 1945 عن مشاهدات الوكيل السري داخل مهاباد، الوثيقة رقم 4؛ موسى مخول، الاكراد من العشيرة

إلى الدولة، بيسان، بيروت، 2013، ص37.

شهدت منطقة كردستان الإيرانية، لاسيما الأجزاء الشمالية منها انتشار الأفكار الشيوعية بين صفوف أبناء الطبقة الفقيرة⁽³²⁾، فشكلت السلطات السوفيتية سرّاً جمعية تدعى (تودة) التي انتمى إليها زهاء خمسين ألفاً، وعقدت هذه الجمعية أول اجتماع لها في مدينة رضائية تقع شمال غرب إيران، وخرجوا بعد الاجتماع بمظاهرات حرسها القوات السوفيتية في هذه المنطقة⁽³³⁾.

وبين الحين والآخر كانت عاصمة الإقليم تشهد تحركات ضد السلطة الإيرانية التي كانت موجودة في مدينة مهاباد، فعلى سبيل المثال قتل الأكراد ستة من قوات الأمن الإيرانية الذين كانوا يسكنون في المدينة، الأمر الذي دفع عدداً من الأكراد اللجوء إلى دائرة الموظف السوفيتي الموجود هناك لغرض حمايته من السلطات الإيرانية، واتضح فيما بعد أن قتلهم لرجال الأمن الإيرانيين كان بسبب محاولتهم اعتقال بعض الكرد وتطبيق الخدمة الإلزامية بالقوة على أبناء المدينة الذين رفضوا الالتحاق بها⁽³⁴⁾، مما حدا بالأميرة أشرف بهلوي والحكومة الإيرانية تنمرها من الأوضاع في كردستان وضرورة اتخاذ إجراءات حاسمة نحوها.

بالفعل بعد نهاية الحرب العالمية الثانية نشر في مهاباد في الخامس عشر من آب 1945 بيان يحمل توقيع إحدى وسبعين شخصية كردية معظمهم من أعضاء (كومة له) أعلنوا فيه عن تأسيس حزب لهم عرف باسم (الحزب الديمقراطي الكردستاني) الذي يعد امتداداً شرعياً لجمعية (كومة له)، استطاع الحزب الديمقراطي الكردستاني أن ينظم أول مؤتمر له في الخامس والعشرين إلى الثامن والعشرين من تشرين الأول 1945 في مدينة مهاباد، حضره ممثلون عن معظم فروع الحزب وانتخبوا بالإجماع قاضي محمد⁽³⁵⁾ رئيساً للحزب، واتفقوا على منهاج الحزب المؤلف من أربعة فصول ضمت اثنين وعشرين مادة، وحدد الحزب أهدافه بـ (الحق، العدل، التمدن)، أما إشارة الحزب

(31) علي زيباني، كموتيزم در ایران، يا، تاريخ مختصر فعالیت کمونستها در ایران، تهران، 1344 ش، 1965، ص28.

(32) عبد العمر كامبخش، شمه اي دربارہ، تاريخ جيش كاركرى ايران: سوسيال دمكراس انقلاب حزب كمونسييت ايران (حزب تودة)، ايران، تهران، 1360 ش، 1981 م، ص89.

(33) ملفات وزارة الداخلية العراقية لعام 1945، الملف 6 / 6 / 123، كتاب من متصرفية لواء اربيل إلى وزارة الداخلية في 28 / 2 / 1945 عن اخبار الحدود الإيرانية، الوثيقة رقم 9؛ صلاح محمد سعد الله، كردستان والحركة الوطنية الكردية، مطبعة الاهالي، بغداد، 1959، ص41.

(34) قاضي محمد: هو ابن قاضي علي من اسرة ال القاضي في مهاباد، شغل وظيفة مدير دائرة اوقاف مهاباد ثم اصبح قاضياً، انظم إلى جمعية (زك) سنة 1944 ثم تحول إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران. للتفصيل عن نشاطه في تأسيس الجمهورية مهاباد يراجع: ره رحيمي قازي، قازي محه ممه دومه سه له ى خوذ مختارى كردستان بينيران، مه هاباد، 1359 ش، 1981 م، ص5 – 43.

التي اتفق عليها فكانت (القلم وسنبلة القمح)، فقد اكدت مواد المنهاج على حرية المرأة وضرورة منحها حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية مثل الاذربيجانيين والأرمن والاثوريين⁽³⁶⁾.

لم يكتف اكراد إيران بتأليف الحزب، وانما اتجهوا إلى اعلان تأسيس كيان سياسي خاص بهم، فاعلن قاضي محمد في الثاني والعشرين من كانون الثاني 1946 عن تأسيس جمهورية كردستان الديمقراطية ذات الحكم الذاتي التي عرفت باسم (جمهورية مهاباد)⁽³⁷⁾.

في الرابع والعشرين من كانون الثاني عام 1946 انتخب المجلس الوطني المكون من أربعة عشر عضواً وقاضي محمد رئيساً للجمهورية وتشكلت أول حكومة كردية برئاسته⁽³⁸⁾.

وقامت حكومة جمهورية مهاباد بأمر عدة، منها افتتاح عدد من المدارس التي جرى التدريس فيها للمرة الأولى باللغة الكردية، وإرسال البعثات الدراسية، وتشكيل مجموعة من المنظمات والهيئات الشبابية والنسوية ترأسها زوجة قاضي محمد وأصدر الصحف والمجلات الناطقة باسم الكردية او جمهورية مهاباد، وأعلن قاضي محمد مراراً رغبته في التفاهم مع الحكومة المركزية في طهران التي رحبت بها الأميرة أشرف بهلوي تمهيداً لطمئنان الجانب الآخر ومن ثم القضاء عليه وعلى أن يحافظ على استقلال منطقة كردستان ضمن الدولة الإيرانية، التي نتج عنها إجراء مفاوضات تمخض عنها عقد اتفاقية مع الجانبين في الحادي عشر من حزيران 1946⁽³⁹⁾.

نتيجة لتطور الأحداث الداخلية في إيران، فقد استاءت الأميرة أشرف بهلوي من هذه التطورات التي تؤدي إلى تقويض سلطة أخيها محمد رضا بهلوي وخلق حكومات داخل إيران، لذا سعت بكل

(35) مه رانامه میزی دیمکراتی کوردستان، مهاباد، سه رماوه ز، 1334 ش، وثيقة رقم 118 – 119.

(36) طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في إيران...، ص282؛ حبيب عمران جادر، المصدر السابق، ص46؛ ولیم انلقن الابن، المصدر السابق، ص111؛ باسیل نیکتین، الكرد دراسة سوبولوجية وتاريخية، ط3، تقديم: لويس مايسنسون، ترجمة: نوري طالباني، مؤسسة حمدي، سليمانية، 2007، ص47؛

R. cazi، Kurdistan democrat partici Iran Kurdisteninde kurd khalginin mill azadlly harakatinin rahabrira tashki- itatical 1945 – 1946، Baku، 1994، PP. 177 – 180.

(37) للمزيد من التفاصيل عن حكومة قاضي محمد يراجع: حامد محمود عيسى علي، المشكلة الكردية في الشرق الاوسط منذ بدايتها حتى سنة 1991، بور سعيد، 1992، ص499 – 500؛ أحمد بني احمد، تاريخ شاهنشاهي بهلوي، مج2، تهران، 1356 ش، 1977 م، ص243؛ صوت الاكراد، جريدة بغداد، 8 اب 1960؛ علي جاري عليوي، اكراد إيران واثرتهم في الحياة السياسية في إيران، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة ذي قار، 2013.

(38) ره رحيمي قازي، منبع قبلي، ص24 – 28؛ هند طاهر البكاء، المصدر السابق، ص98؛ طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في إيران...، ص99.

ما أتيت من قوة إلى ضرب تلك القوميات من خلال زياراتها إلى موسكو في الثامن من شباط عام 1946 التي نتج عنها كما أسلفنا إقناع الجهات السوفيتية من سحب قواتهم المتواجدة في شمال إيران، وعقد اتفاقية نفطية إيرانية – سوفيتية معهم، فاضحى الموقف لصالحها لكي تتفرغ للقضاء على جمهورية مهاباد، بعد أن أغرت الأميرة أشرف بهلوي السوفيت برائحة النفط المستخرج من الحقول الشمالية لإيران، فسحبوا آخر جندي لهم من الأراضي الإيرانية في التاسع من أيار عام 1945، وينبغي عليها أن تحقق هدفها الثاني في كردستان أثر فقدانهم الدعم الخارجي⁽⁴⁰⁾.

ضعت الأميرة أشرف بهلوي نصب عينيها القضاء على جمهورية مهاباد بعد أن أمنت عدم تقديم السوفيت لأية مساعدة تذكر إلى الكرد، بعد عقدها مع قوام السلطنة الاتفاقية مع الاتحاد السوفيتي في الرابع من نيسان 1946، أن قضية كردستان قضية أو شأن داخلي يخص الإيرانيين وحدهم⁽⁴¹⁾.

الأمر الذي قامت به الأميرة أشرف بهلوي بإطلاق يد قوام السلطنة في قمع الحركة القومية التحريرية الكردية⁽⁴²⁾، حيث اتبع قوام السلطنة أساليب عدة في تعامله مع الكرد بعد أن أدرك تصميم قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني على مقاومة القوات الإيرانية المتجهة للقضاء على جمهوريتهم الفتية، فقد صمم قاضي محمد وزعماء حزبه على منع دخول القوات الإيرانية إلى مهاباد مهما كلفهم الأمر، وعقد اجتماع لزعماء الحزب يتم به اتخاذ إجراءات سريعة لتعزيز موقع الكرد في بعض المدن الكردية مثل سقر وبنانه وسرة دشت فضلاً عن مهاباد نفسها⁽⁴³⁾.

توالت الأحداث السياسية بسرعة فكان سقوط حكومة ادريجان في الثالث عشر من كانون الأول 1946 بأيدي القوات الإيرانية حدثاً مفاجئاً لأهالي مهاباد، وكان على رأس تلك القوات الجنرال تيمور بختيار التي تقدمت نحو كردستان وبمساعدة العناصر العشائرية من قبيلة ذي الفقار والقبائل

(39) سميرة عبد الرزاق، الأميرة أشرف بهلوي....، ص37؛ أشرف بهلوي، جهره هاي أريك ابنة....، ص55؛ د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، التسلسل 737، كتاب سري للغاية من المفوضية العراقية في طهران إلى وزارة الخارجية العراقية في 14 ايلول 1946، الوثيقة رقم 117، ص308؛ خليل اسماعيل محمد، البعد السياسي للمشكلات القومية: الكرد انموذجاً، مطبعة جامعة صلاح الدين، اربيل، 2009، ص57.

(40) أشرف بهلوي، جهرة هاي أريك ابنة....، ص37؛

W. Jawideh، The Kurdish nationalist movement، Vol. 2، (Ph.D)، Syracuse university، Syracuse، New York، 1961، P. 733 ; Qazi، Op.Cit، P. 198.

(41) حامد محمود عيسى، المصدر السابق، ص414؛ طاهر خلف البكاء، تطورات الاحداث في كردستان...، ص99.

(42) كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص262؛ هند طاهر البكاء، المصدر السابق، ص98؛ حسن مصطفى احمد،

العامل الكردي في العلاقات العراقية الإيرانية دراسة تحليلية، مجلة كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، دت،

ص17.

الخمس⁽⁴⁴⁾، علاوة على قوات الفرقة الرابعة بقيادة الجنرال أمان الله مرزا، وبعد معارك شرسة بين الجانبين، ونتيجة لعدم تكافؤ الفرص بين القوتين أدى إلى دخول القوات الإيرانية مدن كردستان الواحدة بعد الأخرى، ومن ثم مدينة مهاباد واحتلالها في الخامس عشر من كانون الأول عام 1946 أي بعد ثلاثة أيام من سقوط جمهورية أذربيجان⁽⁴⁵⁾، التي على أثرها سقطت جمهورية مهاباد، وتم اعتقال قادة الحزب الديمقراطي الكردستاني الذين لم يفرّوا إلى الاتحاد السوفيتي كما فعل القادة الأذربيجانيين، إلى أن يلقوا القبض على قاضي محمد وشقيقه محمد أبي القاسم وابن عمه محمد حسين خان وينفذ حكم الإعدام بحقهم شنقاً حتى الموت بعد محاكمة سرية صورية في صبيحة الثلاثين من آذار عام 1947، لتنتهي بذلك صفحة مجيدة من صفحات الحركة التحريرية الكردية⁽⁴⁶⁾.

كذلك قيام الأميرة أشرف بهلوي بزيارتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1947، ولقائها بمسؤولين رفيعي المستوى وحصولها على الدعم الأمريكي عسكرياً واقتصادياً لمواجهة التحديات التي تواجه البلاد وسعيها إلى تثبيت سلطة الشاه محمد رضا بهلوي⁽⁴⁷⁾.

من بين العوامل التي ساعدت على سقوط جمهورية أذربيجان ومهاباد، التفاهم الذي حصل بين الأميرة أشرف بهلوي أثناء زيارتها إلى موسكو مع المسؤولين السوفيت التي ساهمت في إقناع السوفيت عن عدم دعم الأقليات المتمردة في الشمال عندما لوّحت الحكومة الإيرانية للسوفيت بامتياز نفطي مغربي في الشمال ومعاهدة تجارية مريحة⁽⁴⁸⁾، علاوة على قيام أشرف بهلوي وشقيقها محمد رضا بهلوي برصد مكافئة مالية تقدر بمائة ألف تومان للقضاء على جمعية (كرمة لي) الكردية أي جمعية (احياء كردستان) وقد أرسل هذا المبلغ إلى حاكم رضائيا وحاكم كردستان الجنوبية وإلى قائد الفرقة الرابعة الإيرانية لعرضها للقضايا التالية⁽⁴⁹⁾:

(43) حبيب عمران جادر، المصدر السابق، ص49.

(44) عبد القادر ياسين وآخرون، زعماء وعشاق...، ص55.

(45) عبد الرحمن قاسم، المصدر السابق، ص92؛ حميد سيف زادة، دفاع از تاريخ، د.م، 1370 ش، 1991 م، ص313؛ أبو القاسم عارف قزويني، خاطرات عارف قزويني، به كوشن مهدي نور محمدي، مقدمة ابرج افشار، تهران، 1388 ش، ص97؛

W. Eagleton, The Kurdish republic of 1946, London, New York, Toronto, 1963, P.11.

(46) أشرف بهلوي، جهرة هاي أريك ابنه...، ص38؛ خسرو معتضد، أشرف بهلوي درابنه...، ص62.

(47) همان منبع، ص39.

(48) د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية في طهران المرقم 321 / 318 والمؤرخ في 5 / 11 / 1945 والموجهة إلى وزارة الخارجية، الموضوع مكافحة جلاله شاه إيران للقضية الكردية.

1- القضاء على رؤساء الأكراد القائمين بالحركة العثمانية وهم من أعضاء جمعية كومة لي الكردية المحتمين بالسلطات السوفيتية.

2- السعي إلى توجيه أفكار الأكراد ضد الشيوعيين وتلقينهم بأن الشيوعيين لا دين لهم إذا طوعتهم نصائحهم وإرشاداتهم فتكونون أحد منهم وستنقدوا ديانتكم ومذهبكم، وأنهم سيحتلوا بلادكم ولا يمنحونكم استقلالكم، فمن أجل ذلك كونوا صادقين ومطيعين لجلالة الشاه الامبراطوري ولحكومتكم المركزية وأن جلالته سيفي بالعهود التي ترغبونها.

3- الدور الكبير للأميرة أشرف بهلوي أثناء زيارتها إلى الاتحاد السوفيتي وسحب البساط من الدعم لهما.

إن أي تحليل علمي موضوعي لتخلي الاتحاد السوفيتي عن جمهورية مهأباد وحكومة اذربيجان يقودنا إلى القول بأن هذه السياسة السوفيتية كانت تعكس قصر النظر السياسي للسياسة السوفيت، ورغبتهم في الحصول على امتيازات نفطية في إيران حتى ولو كل ذلك التضحية بالحركتين القوميتين اللتين ادعى القادة السوفيت أنهم حريصون عليها، كما أن هذا الدرس التاريخي يؤشر لنا أن الاعتماد على الشعب وقدراته الخلاقة هو العامل الحاسم في حركة التاريخ المتصاعدة، لأن الاعتماد على العوامل الخارجية لا يمكن أن يكون بديلاً عن العامل الذاتي، ولو كان الكرد مهيين أنفسهم لمواجهة القوات الإيرانية، طوروا أسلحتهم ودفاعاتهم من دون الاعتماد على السوفيت، وكانت المقاومة ضد القوات الإيرانية أشدّ وطأً وأقوى بأساً، فضلاً عن ذلك بقاء قادة الحزب الديمقراطي الكردستاني داخل مهأباد وإصرارهم على القتال دفاعاً عن مدينتهم وصعودهم المشانق مع كوكبة أخرى من قادة الحزب، وعدم هروبهم إلى الاتحاد السوفيتي، كما فعل قادة الحزب الديمقراطي الازربيجاني يدلل دلائل قاطعة وحيوية على عدم شيوعيتهم وابتعاد الحركة عن الانطواء تحت المظلة السوفيتية إلى جانب تحملهم المسؤولية الكبيرة، وعدم تركهم الجماهير بلا قيادة، كما تدل أحداث التاريخ الأخرى، بأن قاضي محمد بسبب صعوده المشنقة وإعدام القوات الحكومية الإيرانية إياه ظل رمزاً يحتذى به أغلب الشعب الكردي، التي أدت إلى وعي الشعب الكردي مرحلة لم يعد بإمكانه القبول بالنمط السابق من العلاقات بينه وبين الحكومة المركزية.

كذلك نستنتج مما تقدم أن الأميرة أشرف بهلوي كان لها الدور الفعال والرئيس بعد زيارتها إلى كل من الاتحاد السوفيتي ولقائها بالرئيس السوفيتي جوزيف ستالين وموافقته على سحب قواته من البلاد وسحب البساط من الدعم إلى جمهورية اذربيجان وكذلك زيارتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحصولها على الدعم العسكري والاقتصادي لمواجهة التحديات التي يتعرض إليها البلاط وسعيها الكبير إلى تثبيت سلطة الشاه محمد رضا بهلوي وحصولها على الدعم المادي واللوجستي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية واعطائها الضوء الاخضر في البدء بعمليات القضاء على الحركات الانفصالية في شمال الإيراني منعاً من التمدد الشيوعي إلى إيران، فضلاً عن ثورات الأكراد

والاذربيجانيون كانت هناك بوادر حركات جنوب إيران في الأحواز التي اقلقت السلطات الحاكمة وهزت كيائها التي أدت إلى عدم الاستقرار الداخلي الإيراني.

الخاتمة:

تعدّ الأميرة أشرف بهلوي إحدى الأميرات الإيرانيات التي أدت دوراً بارزاً في الحياة السياسية الإيرانية، إذ تميزت بكونها ذات شخصية قوية فهي ابنة الشاه رضا بهلوي مؤسس السلالة البهلوية في إيران.

عملت الأميرة أشرف بهلوي في السياسة لقناعتها أن مصلحة البلاد والأسرة البهلوية تقتضي وجودها إلى جانب أخيها في إدارة البلاد الذي كان ضعيف الشخصية وأقل طموحاً منها، وكثيراً ما أدى تدخلها إلى تغيير مسار الأحداث السياسية، ودورها الكبير في توطيد النظام الملكي في إيران من خلال سفرها إلى الاتحاد السوفيتي ولقائها بالرئيس السوفيتي جوزيف ستالين وسحب البساط من دعمه للحركات الانفصالية في إيران، وقضائها على جمهورية مهاباد واعتقال وإعدام قادتها أو هروب قسم منهم خارج إيران، لتظهر على مسرح الأحداث السياسية بكل قوة وعزيمة لتثبيت دعائم الحكم البهلوي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ريتشارد انطواني شيوارات، در افرين، وزهاي رضا شاه: تهاجم روس وانكليز به إيران در شهريور، ترجمة: عبد الرضا هوستك وكاوه بيان، تهران، 1370 ش، ص 17؛ غلام رضا نجاي، التاريخ الإيراني المعاصر، ترجمة: عبد الرحيم الحمداني، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم، 2008، ص 76.

F.O. Esaraghi، Anglo – Soviet occupation of Iran in August 1991، middle eastern studied، Vol،20، No. 1، January 1984، P.P 25 – 51 ; Documents on German foreign policy 1981 – 1945، Vol.XIII، Washington، 1964، P.372.

2. اروندا ابراهيمان، إيران بين دو انقلاب، ص 77؛ طاهر خلف البكاء، أثر الحرب العالمية الثانية في سقوط رضا شاه بهلوي 1939 – 1941 دراسة تاريخية وثائقية، دراسات في التاريخ والآثار، مجلة، العدد السابع، 2001، ص 37؛ محمد كامل عبد الرحمن، الأوضاع العامة في إيران، بغداد، 2007...، ص 23.

3. محمد علي فروغي: ولد في طهران عام 1878 م، وهو قاضي مستقل، تولى وزارة الخارجية الإيرانية من 1912 – 1923، وأصبح رئيساً لمجلس النواب 1924 – 1933، ورئيساً للوزراء 1933 – 1935، وتولى هذا المنصب مرة أخرى عام 1941 بعد استقالة علي حسن من الحكومة، ثم استقال عام 1942. للمزيد من التفاصيل عن حياته ودوره السياسي في إيران ينظر: محمود طلوعي، تاريخ برسى صبراي روابط إيران وأمريكا حديث نيك وبد، جاب اول، تهران، 1984 ش، ص 190؛ سارة عطية حبيب الأسدي، محمد علي فروغي وأثره في السياسة الإيرانية حتى عام 1942 رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ذي قار، 2021.
4. مذكرات شاه إيران المخلوع، محمد رضا بهلوي، ترجمة: مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1980، ص 35؛
5. F.O، 371 / 2715، sitation in Persia، No. 1218، November، 1991.
6. صحيفة اطلاعات، العدد 16 لسنة 1941؛ جها نفين آموزكار، فرار وفروود دودمان بهلوي، ترجمة بالفارسية لطفعليان، تهران، 1375 ش، ص 17.
7. سعيد برزين، البنية السياسية – الطبقة والسكانية في إيران، مجلة اطلاعات السياسية – الاقتصادية، السنة 8، العددان 9، 10، فرداد وتير 1373 ش، ص 113.
8. علي رضا از غندي، روابط خارجي إيران: دولت دست نشانده، 1320 – 1357 ش، تهران، 1376 ش، ص 70؛ نعيم جاسم محمد، معاهدة الاتحاد الثلاثي (الإيرانية – البريطانية – السوفيتية) لعام 1942، مجلة اوروك، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، المجلد 5، العدد 2، 2012، ص 87.
9. حسين بشيربه، جامعة شناسي سياسي: نقش نيروهاي اجتماعي در زندكي سياسي، تهران، 1373 ش، 1994 م، ص 37.
10. محمد رضا بهلوي، شاه إيران المخلوع، باسخ به تاريخ، ترجمة: فيروز فيروزنيا، تهران، 1358 ش 1979 م، ص 140؛
11. Documents on American Foreign relations 1943 – 1994، edited by Leland M. coodrich and Maira J. curell، Bosten، 1995، P.P. 234- 236.
12. أشرف بهلوي، أنا واخي، مذكرات أشرف بهلوي، طهران، 1996...، ص 117.

13. حسين فردوسي، ظهور وسقوط سلطنة، تهران، 1374 ش..، ص131.
14. أشرف بهلوي، جهرة هاي اريك ابنه، خاطرات أشرف بهلوي، ترجمت هرمن عبد الالهى، طهران 1977...، ص62 ؛ وثائق وزارة الخارجية، المديرية العامة للتوثيق والارشفة، الملف رقم 51، الاضبارة رقم 1 / 1952 ؛ ثريا الاسفندياري البختيارية، كاخ تنهابي، ترجمة: نا و علي الهداني، طهران، 1370 ش، ص57
15. محمد يوركيان، ارنست برون (فراش بيرستان) شهر شهنشاه أريامهر، برلين، 1357 ش، ص213.
16. حسين فردوست، ظهور وسقوط، ص259 ؛ أحمد مسعود الانصاري، من وخاندان بهلوي، يس سقوط، خاطرات، 1371 ش...، ص77 ؛ بدر الملوك بامداد، زن إيران از انقلاب مشروطي تا انقلاب سفيد، تهران، 1347 ش، ص317.
17. أشرف بهلوي، جهرة هاي اريك ابنه...، ص67 ؛ ظهور وسقوط سلطنة بهلوي، ج2، ختار هايى از تاريخ معاصر إيران، طهران، 1370 ش، ص197 ؛ أشرف بهلوي، انا واخي...، ص113.
18. اقتباس شده از: جعفر شاهيد، دو دمان بهلوي، جريان ملي شدة صنعت نفت ذر إيران وتاريخ خامدان سلطتي، دم، دب، ص133.
19. ولدت الأميرة ازادة شفيق عام 1951، ولمزيد عن حياتها ينظر: خسرو معتضد، أشرف درابنه، تهران، 1381 ش...، ص92 ؛ تيممة بنيهان، أشرف در حسرت، بي، تا...، ص187 ؛ أشرف بهلوي، جهرة هاي اريك ابنه...، ص68.
20. اقتباس شده از: أشرف بهلوي، جهرة هاي اريك ابنه...، ص69 – 70.
21. اقتباس شده از: أشرف بهلوي، انا واخي...، ص47 – 49.
22. لم تعترف إيران بطلاق فوزية حتى السادس عشر من تشرين الثاني عام 1948. للمزيد من التفاصيل عن طلاق فوزية والعلاقات المصرية الإيرانية ينظر: مسعود بهنود، هؤلاء النساء الثلاث...، ص113 ؛ أشرف بهلوي، جهرة هاي اريك ابنه...، ص71 ؛ ملفات وزارة الخارجية 89 (س. ع) م. / 441 / 1037 / 5 دوسيه 4 شيان الاعتراض الإيراني على السفير الجديد عسل بيك بتاريخ الخامس عشر من تموز عام 1947.

23. زهتاب فرد، خاطرات در خاطرات، تهران، 1373 ش، 1994 م، ص 146؛ محمد رضا بهلوي، شاه إيران المخلوع...، ص 211؛ جواد عرباني، بدر ساواك ونكاهي زندكاني سياسي، اجتماعي، تسر لشكر تيمور بختيار، مركز اسناد انقلاب اسلامي، تهران، 1390 ش، 2011، ص 20.

24. كردستان: كلمة مؤلفة من لفظ (كرد – ستان) ويقابلها في اللغات الاوربية (state) وتعني (منطقة او مقاطعة)، وظهرت لأول مرة في القرن الرابع عشر من قبل السلطان سنجار السلجوقي، وبالمحصلة تعني الكرد، ولتركيب نظائر مثل عربستان، افغانستان، تركستان، وفيهم الاسلام ويشكلون (6%) من مجموع السكان بعد ان جاء بهم (عصر الدولة) ابن ركن الدولة ابن علي الحسن بن بويه الديلمي من حدود اصفهان في العصر العباسي، وكردستان ليست دولة وانما بلاد يقطنها الكرد مع الفرس والأتراك والعرب والارمن والاشوريين. محمد الدرا، القضية الكردية، ط2، دار الطليعة، 1966، ص 28؛ عبد علي حسن الخفاف واخرون، الاحوال الديموغرافية في إيران، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1987؛ أحمد امين سليم، تاريخ العراق – إيران – اسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000، ص 306؛ حميد رضا جلاني يور، المشكلة الكردية، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، مركز دراسات الشرقية، القاهرة، 2000، ص 6؛ ابن البلخي، فارس نامه، ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية، القاهرة، 2001، ص 154؛ شرف خان البرليسي، العصر والحياة والخلود، ترجمة: عدي حاجي، مؤسسة موكرباني، اربيل، 2011، ص 17؛ مناهر مبدر عبد الكريم، السياسة البريطانية تجاه كرد إيران 1939 – 1946، مجلة ديالى، جامعة ديالى، العدد 57، 2013، ص 4 – 9؛ وديع جودة، الحركة القومية الكردية، نشأتها وتطورها، ترجمة: مجموعة من المترجمين، تقدم، ماركت خان برويتس، دار الفارابي، بيروت، 2013، ص 22؛ طاهر خلف البكاء، تطورات الاحداث في كردستان إيران، ص 17.

25. برويز اسرى زاده وديكران، دائرة المعارف بافرهنگ ودانش وهز، جانجانه سرعت، تهران، 1356 ش، ص 726؛ اسماعيل بادي، رحلة ناصر خسرو عبر المناطق الكردية، مركز الدراسات الكردية وحفظ الوثائق، مطبعة جامعة دهوك، 2010، ص 27..

26. شوكت شيخ بزدين، الكرد دراسة سوسولوجية وتاريخية، دار اراس، اربيل، د. ت، ص 52.

27. احمد أشرف وعلي بنوعزيزي، الطبقات الاجتماعية في العصر البهلوي، ترجمة: عماد افروغ، مجلة راهبرد، العدد 2، 1372 ش، 1993، ص 15؛ مسني سلامة، الاضطراب الكبير، ج1، بغداد، 1981، ص47.
28. د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، التسلسل 473 / 311، تقرير سري من القنصلية الملكية في المحمرة إلى وزارة الخارجية العراقية لشهر نيسان 1936، الوثيقة رقم 73 / 74، ص ص 86 – 87؛ جليل جليلي، الحركة الكردية في العصر الحديث، ترجمة: عيدي حاجي، دار الرازي للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص55.
29. حمير ابشير زادة، البنية الاستبدادية للحكم الملكي وعدم نضج البرجوازية في إيران، مجلة راهبرد، العدد 6، ربيع 1374 ش، 1995 م، ص22.
30. علي البصري، نجوان تاريخ إيران قرن بيستم، ترجمة: محمد حسين استفر، دم، دبت، ص77.
31. احمد علي سبهر، إيران در جنك دوم جهاني، تهران، 1355 ش، 1976 م، ص313.
32. ملفات وزارة الداخلية لعام 1945، الملف 6 / 6 / 123، كتاب من متصرفية لواء السليمانية إلى وزارة الداخلية في 12 / 2 / 1945 عن مشاهدات الوكيل السري داخل مهاباد، الوثيقة رقم 4؛ موسى مخول، الاكراد من العشيرة إلى الدولة، بيسان، بيروت، 2013، ص37.
33. علي زبباني، كموتيزم در ایران، يا، تاريخ مختصر فعاليات كمونستها در ایران، تهران، 1344 ش، 1965، ص28.
34. عبد العمر كامبخش، شمه اي در باره، تاريخ جيش كاركرى ایران: سوسيال دمكراس انقلاب حزب كمونسيت ایران (حزب تودة)، ایران، تهران، 1360 ش، 1981 م، ص89.
35. ملفات وزارة الداخلية العراقية لعام 1945، الملف 6 / 6 / 123، كتاب من متصرفية لواء اربيل إلى وزارة الداخلية في 28 / 2 / 1945 عن اخبار الحدود الإيرانية، الوثيقة رقم 9؛ صلاح محمد سعد الله، كردستان والحركة الوطنية الكردية، مطبعة الاهالي، بغداد، 1959، ص41.
36. قاضي محمد: هو ابن قاضي علي من اسرة ال القاضي في مهاباد، شغل وظيفة مدير دائرة اوقاف مهأباد ثم اصبح قاضياً، انظم إلى جمعية (زك) سنة 1944 ثم تحول إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران. للتفصيل عن نشاطه في تأسيس الجمهورية مهأباد يراجع: ره رحيمي

- قازي، قازي محه مومه سه له ى خود مختارى كردستان يئيران، مه هاباد، 1359 ش، 1981 م، ص 5 – 43.
37. مه رانامه ميزى ديمكراتي كورستان، مهاباد، سه رماوه ز، 1334 ش، وثيقة رقم 118 – 119.
38. طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في إيران 1941 – 1951، بغداد، 2002...، ص 282؛ حبيب عمران جادر، تيمور بختيار ودوره السياسي في إيران 1914- 1970 رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب جامعة ذي قار 2017، ص 46 ؛ وليم انلقتن الابن، جمهورية مهاباد 1946 الكردية ترجمت جرجيس فتح الله 'بيروت، 2012، ص 111 ؛ باسيل نيكتين، الكرد دراسة سويولوجية وتاريخية، ط3، تقديم: لويس مايسنسون، ترجمة: نوري طالباني، مؤسسة حمدي، سليمانية، 2007، ص 47 ؛
- 39.R. cazi, Kurdistan democrat partici Iran Kurdisteninde kurd khalginin mill azadlly harakatinin rahabrira tashki- itatical 1945 – 1946, Baku, 1994, PP. 177 – 180.
40. للمزيد من التفاصيل عن حكومة قاضي محمد يراجع: حامد محمود عيسى علي، المشكلة الكردية في الشرق الاوسط منذ بدايتها حتى سنة 1991، بور سعيد، 1992، ص 499 – 500؛ أحمد بني احمد، تاريخ شاهنشاهي بهلوي، مج2، تهران، 1356 ش، 1977 م، ص 243 ؛ صوت الاكراد، جريدة بغداد، 8 اب 1960 ؛ علي جاري عليوي، اكراد إيران واثرهم في الحياة السياسية في إيران، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة ذي قار، 2013.
41. ره رحيمي قازي، منبع قبلي، ص 24 – 28 ؛ هند طاهر البكاء، العلاقات الإيرانية السوفيتية 1941-1951، بغداد، 2006، ص 98 ؛ طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في إيران...، ص 99.
42. سميرة عبد الرزاق، الأميرة أشرف بهلوي ودورها في التأمير على وزارة مصدق ومجئى قوام السلطنة، 6 ايار 1951 -22 تموز 1952، كلية التربية، مجلة، التراث العلمي العربي، 36، 2018، ص 37 ؛ أشرف بهلوي، جهره هاي أريك ابنة...، ص 55 ؛ د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، التسلسل 737، كتاب سري للغاية من المفوضية العراقية في طهران إلى وزارة الخارجية

- العراقية في 14 ايلول 1946، الوثيقة رقم 117، ص308 ؛ خليل اسماعيل محمد، البعد السياسي للمشكلات القومية: الكرد انموذجاً، مطبعة جامعة صلاح الدين، اربيل، 2009، ص57.
43. أشرف بهلوي، جهرة هاي أريك ابنه...، ص 37 ؛
44. W. Jawideh، 'The Kurdish nationalist movement' Vol. 2, (Ph.D), Syracuse university و Syracuse, New York و 1961 و P. 733; Qazi, Op.Cit, P. 198.
45. حامد محمود عيسى، المصدر السابق، ص414 ؛ طاهر خلف البكاء، تطورات الاحداث في كردستان في إيران 1941- 1947، كلية المعلمين، مجلة، العدد الثالث، 1999...، ص99.
46. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث المعاصر، بغداد، 1985، ص262 ؛ هند طاهر البكاء، المصدر السابق، ص98 ؛ حسن مصطفى احمد، العامل الكردي في العلاقات العراقية الإيرانية دراسة تحليلية، مجلة كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، دبت، ص17
47. حبيب عمران جادر، المصدر السابق، ص49.
48. عبد القادر ياسين واخرون، زعماء وعشاق، القاهرة، 2007...، ص55.
49. عبد الرحمن قاسم، كردستان والحركة الوطنية الكردية، مطبعة الاهالي، بغداد، 1951، ص92 ؛ حميد سيف زادة، دفاع از تاريخ، دم، 1370 ش، 1991 م، ص313 ؛ ابو القاسم عارف قزويني، خاطرات عارف قزويني، به كوشن مهدي نور محمدي، مقدمة ابرج افشار، تهران، 1388 ش، ص97 ؛
50. W. Eagleton, the Kurdish republic of 1946, London, New York, Toronto، 1963, P.11.
51. أشرف بهلوي، جهرة هاي أريك ابنه...، ص38 ؛ خسرو معتضد، أشرف بهلوي درابنه...، ص62.
52. همان منبع، ص39.
53. د.ك.و، ملفات البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية في طهران المرقم 321 / 318 والمؤرخ في 5 / 11 / 1945 والموجهة إلى وزارة الخارجية، الموضوع مكافحة جلاله شاه إيران للقضية الكردية.

التأسيس الإبيستمولوجي للنقد للشعر لدى الشمشاطي

The critical epistemological rooting of poetry for Al-Shamshati

أ.د. نزارشكور شاكور: كلية التربية الأساسية، جامعة السليمانية، العراق

Prof. Dr. Nizar Shakour Shaker: faculty of Basic Education, University of
Sulaimani, Iraq

Nzar.shaker@univsul.edu.iq

المستخلص:

يهدف البحث إلى إعمال شكل من أشكال البحث الإبيستمولوجي والقراءة في سياق نقد الشعر لدى الشمشاطي (توفي في القرن الرابع الهجري) في كتابه الأنوار ومحاسن الأشعار، على وفق المنهاج الوصفي وتآلف البحث من مبحثين، وقد أسفر ضمن خطوات عن مجموعة من النتائج أهمها الوقوف على بعدين للنماذج الشعرية القائمة على هذا الأساس المعرفي فضلاً عن تابع تكميلي – نقدي لها قام في أبرز مظاهره بالكشف عن طبيعة التأسيس المعرفي للنصوص الشعرية بإتباع بعض الأساليب والإجراءات ضمن وثيقة محققة من وثائق القرن الرابع الهجري.

الكلمات المفتاحية: التأسيس، الإبيستمولوجيا، النقد، الشعر، الشمشاطي

Abstract:

The research aims to implement a form of epistemological research and reading in the context of poetry criticism of Al-Shamshati (died in the fourth century AH) in his book Al-Anwar and the Advantages of Poetry, according to the descriptive approach. Poetics based on this epistemological basis as well as a complementary-critical follower of it that in its most prominent manifestations revealed the nature of the cognitive rooting of poetic texts by following some methods and procedures within a verified document of the fourth century AH.

Keywords: rooting, epistemology, criticism, poetry, Shammashati

المقدمة:

يشهد النظام المعرفي تقارباً ملحوظاً بين المكونات القائمة على تمثيل حقله وميادينه، ويواكب ذلك مشهد من مشاهد الحراك المعرفي الذي يسعى ضمن منحى إلى أسلوب الكشف عن تداعيات هذه الظاهرة وأثرها في نماء الفكر التحليلي في المجتمعات الإنسانية، ويعد الشعر أحد الحقول التي نلمس فيها تحقق هذا الفعل ورد الفعل التنظيمي المدروس الناجم عنه من منظور المقاربة الإبيستمولوجية

التي تهدف ضمن مفاصلها إلى البحث والتحليل في جوانب حيّة من الظواهر الإنسانية، وعلى ضوء خارطة الطريق هذه يروم الباحث تسليط الضوء على مدار في جانب من جوانب التراث العربي من تأسيس إبستمولوجي – نقدي للشعر لدى أبي الحسن علي بن محمد الشيمشاطي ضمن قضية السبق في المعنى الشعري وذلك ضمن كتابه الأنوار ومحاسن الأشعار، مع ذكر أبرز النتائج اللازمة في هذا المجال والتوصيات المدرجة، وقائمة المصادر والمراجع. والله من وراء القصد.

إشكالية البحث:

من المتعارف عليه أنّ سياق العرض والبحث في الميدان المحدد للبحث سيبيّن لاحقاً عن إشكالات اهتم بها الدرس الإبيستمولوجي في سياق نقد الشعر وجعلها ضمن أولوياته في ضوء رصد أبعاد تشكّل النصوص الشعرية والمظاهر والإجراءات التأصيلية التي أدى الرجوع المنتظم إليها إلى شرعنة السياق النقدي بالشكل الذي نجده في الكتاب المذكور والذي ستكشف عنه تفاصيل البحث الحالي لغرض الكشف عن العلل الموجبة لقيام التأليف من جانب في الكتاب القديم المتقدّم على وفق هذه الرؤية ذات الإستناد المقتن على القاعدة المعرفية – الفكرية المفعلة من لدن الناقد على سبيل الرصد والتطبيق المعرفيين.

منهاج البحث:

اتباع الباحث المنهج الوصفي، ويعرف بأنّه (هو المنهج الذي يعنى بالدراسات التي تهتم بجمع وتلخيص وتصنيف المعلومات والحقائق المدروسة المرتبطة بسلوك عينة من الناس أو وضعيتهم، أو عدد من الأشياء، أو سلسلة من الأحداث، أو منظومة فكرية، أو أي نوع آخر من الظواهر أو القضايا أو المشاكل التي يرغب الباحث في دراستها، لغرض تحليلها وتفسيرها وتقييم طبيعتها للتنبؤ بها وضبطها أو التحكم فيها¹.

هدف البحث:

إجراء البحث الإبيستمولوجي النقدي في نقد الشعر لدى الشيمشاطي في كتابه الأنوار ومحاسن الأشعار وذلك بإعتماد مظهر التأسيس النابع من توافر بعض التوجهات الإبيستمولوجية في قيام

¹حريزي، موسى بن إبراهيم، غربي، صبرينة، دراسة نقدية لبعض المناهج الوصفية وموضوعاتها في البحوث الاجتماعية والإنسانية والنفسية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 13، ديسمبر، 2013م، ص26.

النصوص الشعرية ثم تتبّع ذلك في نطاق معالجتها في الكتاب المذكور آنفاً، والوقوف على أسباب هذا التوجه النقدي بهذه الصيغة والغاية منه.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث الحالي في أنه قد يسهم في الكشف التدريجي عن الجوانب المعرفية العلمية ذات الارتباط بالبعد النقدي – الأدبي في الأنموذج التراثي العربي مما يقود إلى الوقوف على طبيعة عمل بعد التأسيس الإبستمولوجي للنقد الشعري لدى الشيمشاطي، ودواعيه وعلى وجه التحديد في إطار ماورد متعلقاً بالبحث في قضية السبق في المعنى الشعري الذي بات على وفق النماذج المدروسة قطباً يستقطب ما حوله ليكون علامة فارقة في هذا الحيز، مما استدعى التوجه إلى قيام هذا البحث.

تمهيد:

عرفت نظرية المعرفة مقاربات ثلاث في معالجة النصوص القديمة منها والحديثة تنقسم على: المقاربة التأصيلية، والمقاربة السياقية، والمقاربة الاتساقية وفي ضوء تبني البحث الحالي المقاربة التأصيلية / التقليدية كونها السائدة في فضاء الموروث العلمي- الفكري¹ نلاحظ توافر ثمة بيانات تحقيقية وتحليلية وثيقة الصلة ببعضها تؤشر من جانبها توافر بعض المساعي في إطار عملية التأصيل الإبستمولوجي في نقد بعض النصوص الشعرية لدى الشيمشاطي في كتابه الأنوار ومحاسن الأشعار ولاسيما في ضوء ما جاء مرتبطاً بقضية السبق في المعنى الشعري ضمن مباحث النقد العربي القديم، وعليه سيقوم البحث الحالي على وفق مبحثين:

- المبحث الأول: التأصيل الإشاري.
- المبحث الثاني: التأصيل التقويمي.

¹ ينظر: شوريا، زينب إبراهيم، الإبستمولوجيا: دراسة تحليلية لنظرية العلم في التراث، ط1، بيروت: دار الهادي، 2004م، ص358.

المبحث الأول: التأسيس الإشاري

تفيد بعض النماذج النصية المحققة إلى أن هنالك ما يشير إلى رصد بعض التفاصيل في المعنى الأسبق المتناقل بين الشعراء ولاسيما الوصافين الحركيين المبرزين منهم في هذا المجال، وتوافر بعض مظاهر الاستحسان المألوف للقول بناءً على حضور بارز لسياق التوظيف الفاعل لفن التشبيه البلاغي المستعار في النص الشعري اللاحق ضمن الغرض الشعري الواحد، ومحاولة الباحث-الرجوع بالمعنى القائم من طرف آخر إلى المرجع القولية الثابت في التراث العربي في ضوء الرواية الأدبية المرتبطة بعنصر المعاصرة (الحضور الثاني) في الواقعة النصية لغرض الاستزادة في التثبيت الموضوعي في سياق التأليف وانعكاساته البعدية على مستوى التلقي كذلك بوصفه الغرض الرئيس من عملية التأسيس المعرفي في الفضاء العلمي نقرأ (ولأنّيف بن جبلة الضبي وكان أوصف الناس لفرس:

ولقد شهدت الخيل تحمل شيكتي عند كسر حان القصيمة منهب

ألوى إذا استعرضته فكأنه في العين جذع من أوال مُشدب

وإذا اعترضت له استوت أقتاره وكأنه مستندبراً متصوب

هذا أول من قال في هذا المعنى في إقباله وادباره واعتراضه، وأخذه الناس، فقال سلم الخاسر وأحسن في قوله ما شاء:

وأغندي والشمس محجوبة لم تنسفر عنها الجلابيب

بسابع الأضلاع ذي ميعة تمت له سباق وعرقوب

هاديه مثل الشطر من خلقه إذا عدا والبطن مقبوب

تخاله مستقبلاً مقعياً وهو إذا استدبرت مكبوب

... الأبيات هذا من أحسن تشبيه استعير وأجوده، وقوله: (هاديه مثل الشطر من خلقه) مأخوذ من كلام أعرابية رواه الأصمعي فيما حدثنا به محمد بن الحسن عن أبي حاتم عنه قال: خرج ثلاث نسوة من العرب يسألن عن آبائهن وكانوا خرجوا في بعض الغارات، فتلقاهن رجل فقال لأحدهن صفي لي

فرس أببيك فقالت: كان أبي على قصيرٍ ظهرها رحيبٍ بطنها هاديها شطرُها، فقال نجا أبوك... ونحو هذا ما حدثنا به الأزدي عن عمِّه عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه¹.

وبالرجوع بمعنى الشعر المستعار في بابه إلى أصوله من بعض كلام العرب بوصفه مصدراً أثيراً من مصادر البلاغة والفصاحة قابل للتوظيف والإعمال في عملية النظم الشعري نقرأ أيضاً: (ولعلي بن جبلة:

مطرّد يرتج من أقطاره كالماء جالت فيه ريح فاضطرب

... قوله: (مطرّد يرتج من أقطاره) البيت مستعار المعنى من كلام امرأة من العرب ابتاع ابنها فرساً وشرطَ نظر أمّه، فلما رأته نهته عن ابتياعه فقال صاحبه: لم كرهت فرسي فوالله إنه لصحيح العصب تام القصب فقالت: والله ما اهترّ حين أقبل ولا تتابع حين أدبر، قال: صدقت والله كان في فرسي كزاة²).

ومن المظاهر الدالة على هذا الحقل النقدي الإشارة الواردة إلى باب من أبواب التقارب بين الشعراء في المعنى القائم في شكل من أشكاله المعرفية على توظيف بعض المصطلحات النقدية – البلاغية ذات الإشارة المكثفة الدالة على التماثل الحاصل وقوعه من نحو الأخذ والنقل من المعنى الشعري³ فضلاً عن تسليط الضوء على الامام⁴ في قضية المعنى الشعري المرادف بذكر المصدر الداعم لما دار في نطاق بعض النصوص الشعرية على وجه إعمال المعاصرة في الإنشاد الشعري الذي عمّد إليه في سياق التأليف النقدي قال (علي بن العباس: ... الأبيات وقد ألمّ عليّ في هذا المعنى بقول أبي نواس وهو ما حدثنا به محمد بن يحيى قال حدثني علي بن سراج عن أبي وائل اللخمي قال حدثني

¹ الشمشاطي، أبو الحسن علي بن محمد، الأنوار ومحاسن الأشعار، تج: صالح مهدي العزاوي، ط2، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1987م، ص 145-146.

² الشمشاطي، ص 148، والبيت في العكوك، علي بن جبلة، الديوان، جمع وتحقيق: زكي ذاك العاني، مطدار الساعة 1971م، ص35، برواية: مرتهج.

³ ينظر لطفاً: الشمشاطي، ص 17، 97، 203، 222، 226، 157-158، 28. مطلوب، د. أحمد، معجم النقد العربي القديم ط 1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1989م، ج1: ص 116، ج2: ص 411.

⁴ مطلوب، 1: 229.

إبراهيم بن الخصيب قال: وقف أبو نواس بمصر على النيل فرأى رجلاً قد أخذ التماسحُ فقال: ...
الأبيات)¹.

ويعود التّطرق إلى موضوع الأخذ بين الشعراء على قضية السّبق الشعري، ولاسيّما ضمن ذلك المظهر المعرفي المرصود ضمن عملية الاستقراء الذي أسهم في تلوين مسارات هذا الاهتمام النقدي عن طريق تسليط الضوء على بعض التفاصيل لإخراج النصوص الشعرية ودراستها على حسب المطلب الذي يصب في اهتمامات بحثنا الحالي (النص - الناقد - النص) من نحو مظهر تأشير الأخذ الوارد بين الشعراء على مستوى توظيف الجملة الشعرية ذاتها (القرينة الظاهرة) في شكل يبدو أقرب إلى استحسان التضمين الفني الوارد في البيت الشعري في غرض الوصف، نقرأ لأبي نواس (ت199ه-813م) في البزاة بعد أبيات شعرية قالها بهذا الشأن:

(كأن شدقيه إذا تصوّرا صدغان من عرعة تفتّرا

... قوله: صدغان من عرعة، من قول علقمة بن عبدة حين وصف الظليم:

فُوهُ كَشَقِّ الْعَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنَهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ

وقد جوده أبو نواس)².

أما على مستوى توظيف دلالة المعنى الأسبق على نحو شامل واختصاره في الجملة الشعرية في البيت اللاحق فنقرأ على حسب ما جاء لدى المصنّف من إضاءات لهذا المجال النابع من شكل من أشكال استيعاب البعد المعرفي في المعنى، وقيام صياغة مماثلة تحاكي الأنموذج الشعري الأسبق، كشف عنها الناقد ضمن قراءة مرجعية: (ولعبد الله بن المعتز في البازي:

بمنسرٍ مثل السنان المختضب قد وثقّ القوم له بما طلب

... قوله: (قد وثقّ القوم له بما طلب) مأخوذ من قول امرئ القيس:

¹ الشمشاطي، ص212.

² نفسه، ص 282. والزيادة في قوله: (وقد جوده أبو نواس)، من تح: د. السيد محمد يوسف لكتاب الأنوار ومحاسن الأشعار مراجعة: د. عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1977م، 2: 178-179. والبيت: كأن شدقيه... أبو نواس الديوان حقه وضبطه وشرحه: أحمد عبد المجيد الغزالي، القاهرة: مط مصر، 1953م، ص 650 وجاء فيه: إذا تصوّرا وكذا في تح: د. السيد محمد يوسف. والبيت: فوه... الفحل، علقمة، الديوان، شرح الأعلام الشنتمري، تح: لطفي الصّقال، درية الخطيب ط1، حلب: دار الكتاب العربي، 1969م، ص59.

إذا ما ركبنا قال وُلدانُ أهلنا تعالوا إلى أن يأتي الصيدُ نحطِبِ

أي هم واثقون بأنَّ الصيِّدَ يأتيهم).¹

ومع توافر مظاهر النقد الذوقي للنصوص الشعرية في الكتاب المذكور قد يتصدَّر تأشير الأخذ من المعنى الشعري ولاسيَّما من مصادره الشعريَّة المتعددة الاستحسان لقول الشاعر المبني على ركن التوظيف لفن التشبيه البلاغي المتعدِّد الجوانب في النص الشعري للخروج بصورة جمالية تعتمد على التوظيف الموضوعي لمقوِّمات اللون والصوت في السياق الناجز الذي شهد الكشف عن قيام توظيف مزاجات فنيَّة مع مراجع التشبيه الأثيرة في غرض الوصف في الشعر القديم كما يتبيَّن من النص الآتي لابن المعتز (ت296هـ-909م) الذي على الأرجح أنه قد اكتسب المزيَّة المعرفية السامية خارج نطاق الغرض الموضوعي، موظفاً إيَّها في السياق الشعري الجديد ذلك (إن المعرفة العلمية لاكتسب موضوعيتها بالاعتماد على موضوعها من حيث هو جوهر، ولكنَّها هي التي تضيء الموضوعية على هذا الموضوع) ² نقرأ له (في البازي:

قَدْ أَغْتَدِي فِي نَفْسِ الصَّبَاحِ بِقَرْمٍ لِلصَّيِّدِ ذِي ارْتِيَا حِ

مُعَلَّقِ الْأَلْحَاطِ بِالأَشْبَاحِ يِرْكُضُ فِي الهَوَاءِ بِالْجَنَاحِ

قُمُصَ رِيشاً حَسَنَ الأَوْضَاحِ عَلِيهِ مِنْهُ لِحَبَابِ الرَّاحِ

ذِي جَلْجَلٍ كَالصُّرُصِ الصِّيَّاحِ

¹ الشمشاطي، ص289. والزيادة في قوله: أي هم واثقون بأنَّ الصيِّدَ يأتيهم من تح: د. السيد محمد يوسف ج:2: ص 194-193 والبيت الأول: المعتز بالله، عبد الله بن محمد، الديوان، ج2، دراسة وتحقيق: د. محمد بديع شريف، القاهرة: دار المعارف 1977 م، وجاء فيه بعد الشطر بمنسر...: وذنب كالذيل ريان العصب، ص114. والشطر: قد وثق... وبعده: من حلل الكتان راناً ذا هذب، ص 115.

² وقيدي، د. محمد، ماهي الإبيستمولوجيا، ط2، الرباط: مكتبة المعارف، 1987م، ص429.

تشبيهه لمع بياض البازي بالحباب مليحٌ ظريفٌ، وكذلك تشبيهه الجلجل بصوت الصرصر، وقد أخذ معنى قوله: (معلق الألاحظ بالأشباح) من المثقب العبيدي حين وصف فرسه فقال: كأنه معلق فيه بخطاف ومن قول امرئ القيس: قيد الأوابد)¹.

وإلى جانب توافر مظهر التوظيف الفني، ودلالاته النقدية في مجمل ما ورد آنفاً أفادت بعض أنساق عملية التحقيق الإبيستمولوجي أنه مما يحسب لبعض الشعراء في العصور اللاحقة على مستوى السبق في (الغرض الشعري) توظيف آليات الموضوع الشعري الجديد ومستلزماته الدالة على نحو لم يسبق إليه من قبل، وقياس أثر ذلك التوظيف في الانتقال الفاعل بنائياً إلى نطاق (الشعر المفرد) على مستوى بنية الموضوع الشعري كما ورد في موضوع الطرديات لدى أبي نواس على نحو جمالي - معلق كما نقرأ في النص الآتي الذي تأسس على وفق رصد متطلبات الغرض القديم من جانب وواقع الغرض الحديث من جانب آخر، على وفق ما استجد نقدياً على الساحة. جاء في الباب السابع من الكتاب: في الطرد والجوارح وما يصاد من السوانح والبوارح (أول من اقتن في فنون الطرد وأبدع فيه أبو نواس لأنه عمل في سائر الجوارح مثل الكلب والبازي والزرق والشاهين والصقرواليؤيؤ والباشق والفهد والزمج والعقاب وعناق الأرض وجميع ما يُصاد به من الآلات مثل قوس البندق والفخ وقصب الدبق وما شاكل ذلك. ولم يأت للعرب في الطرد شعر مفرد بل كانت تصف الناقة وتشبهها بالبقرة الوحشية إذا أسد عليها القنّاص الكلاب افتناناً منها في أشعارها، ثم تصف الكلاب والطرده كقول النابغة في الكلاب:

أهوى له قانصٌ يسعى بأكلبه عاري الأشجاع من قنّاص أنمار

¹ الشمشاطي، ص 291. والأبيات في المعتر بالله 2: 121 باختلاف في الرواية، وجاء في الدنيوري، ابن قتيبة، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، م، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1984م، ص 26، وقال عبد المسيح بن عسلة:

لا ينفخ الوحش منه أن تحذره كأنه معلق فيها بخطاف

وهذا من أغرب ما جاء في هذا المعنى.

وينظر قوله: ومن قول امرئ القيس (قيد الأوابد): امرؤ القيس، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 4، القاهرة: دار المعارف، 1984م، ص46.

يَسْعَى بَغْبَسٍ طَوَاهَا فِيهِ طَاوِيَةٌ طُولُ ارْتِحَالٍ بِهَا مِنْهُ وَتَسْتَسْـيِرٌ¹

ومن أبرز الإجراءات الأسلوبية الفاعلة التي استثمرت في هذا الحقل وكان لها الأثر البالغ في تعميق البعد التأصيلي المعاصرة، إذ أفادت المعاصرة في عملية الإنشاد الشعري في الوقوف عند حقيقة السبِّ في المعنى المتداول بين الشعراء، حيث يعود بنا المؤلف في أحد النصوص في كتابه إلى ماجاء في فضاء الإنشاد بالسند من تسليط للضوء من منطلق جمالي على تفاصيل السبِّ في الأبيات الشعرية ذات التعلُّق بغرض الوصف، فضلاً عن بروز التذييل بتحقيق بعض الفاظ رواية الشعر الأسبق من المصدر الناقل على وفق معايير لغوية - صرفية كما ورد في صفة قصر عيسى بن جعفر بن المنصور (ت 172هـ) (وفي هذا القصر يقول عبد الله بن أبي عُيَيْنَةَ المهلبِي:

رُزُّ وادي القصر نعم القصر والوادي لا بد من زورة عن غير ميعاد

... وحدثنا محمد بن يحيى قال: حدثني مُسَبِّح بن حاتم العُكْلِي قال: حدثني يعقوب بن جعفر بن سليمان قال: قال أبي للأصمعي ما أحسن ما قال هذا الفتى المهلبِي في قصر عيسى بن جعفر وأنشده الأبيات فهل سبقه أحدٌ إليها؟ قال نعم هذا خليفة بن خلف الأقطع دخل على يزيد بن عمرو بن هبيرة وقد بنى قصره يريد القصر في طريق الكوفة فأنشده قصيدة أولها:

قُرِنْتُ رُؤُوسُ ظَبَائِهَا بِالزَّرْقِ مــــن حيتانها

مُكَاوُهَا غــــرْدٌ يجي بـُ الورق من ورشانها

هكذا أنشدني محمد بن يحيى وأنشدني علي بن سليمان، من ورشانها جمع ورشان قال، وكذلك الكروان جمع كروان وأنشد:

كأنهم الكروان أبصرن بازيا)²

ومن جانبها أفادت بعض الإنشادات المعاصرة المُصنِّف في الوقوف عن قرب على هذا البعد النقدي من جوانب عديدة ولاسيما بعد أن نلحظ توافر باقية من الإفادات المرتبطة بقضايا أثرية من قضايا النقد العربي القديم من نحو المعنى الشعري، ومقارباته، فضلاً عن الأخذ الوارد فيه، وتحديد

¹ الشمشاطي، ص 247. والبيتان في الذبياني، النابغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف: القاهرة، د. ت، ص 203. صدر البيت الثاني: يَسْعَى بَغْبَسٍ بَرَاهَا.

² الشمشاطي، ص 237-238. والبيتان في: الأقطع، خلف بن خليفة، د. خليل محمد عبد العال، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2018م، ص 98.

السُّبْق الثابت بناءً على تحديد مخرجات العملية النقدية من طريق الإنشاد الأدبي المتعلق بالمعاصرة الحاضرة فضلاً عن أسلوب التوليف النقدي بين ما ورد حول النصوص الشعرية المشار إليها في نطاق عملية الإنشاد الشعري التي لا يمكن التقليل من شأنها في هذا السياق (أنشدنا أحمد بن جعفر بن محمد قال: أنشدنا جدي أبو العيناء محمد بن القاسم قال: أنشدنا الأصمعي: ... الأبيات ولإدريس بن أبي حفصة نحو هذا: ... الأبيات قال لي الصولي أنشدت هذه الأبيات عبد الله بن المعتز فقال أخذها من قول أخيه مروان الأكبر للمهدي: ... الأبيات والمشهور من هذا قول محمد بن أبي محمد اليزيدي: ... الأبيات وأول من نطق بهذا المعنى عمرو بن شأس الأسدي قال:

إذا نحن أدلجنا وأنتَ أماننا كفى بالمطايا ضوءٌ وجهك هاديا

أليس يزيد العيس خفةً أذرع وإن كن حسرى أن تكون أمانيا¹

وقادت بعض النماذج المعروضة في سياق التأليف إلى مظهر قائم على توافر الجانب المعرف بإزاء غير المعرف من الشعراء الحاضرين بنصوصهم الشعرية المتقاربة في المعنى، المرادف ببيان المعنى في إشارة ضمنية إلى المسوغ الموضوعي من عملية الأخذ بالمتحقق، يأتي ذلك في الوقت الذي يقود تحديد التماثل في المعنى والتحقيق في ملابساته على أرض الواقع إلى الرجوع به بالترجيح إلى مصدره الرئيس إن تيسر الأمر فضلاً عن ترك البت في تحديد أمر الأسبق في هذا المجال الموازن بين الشعراء حيناً وذلك ببساطة حينما تكون القرائن الدالة غير متيسرة لحسم هذا أمر التوثيق موضوعياً على الرغم من تثبيت وقوع التماثل في المعنى بين النصوص الشعرية والجزم بذلك (ولأبي المعتصم عاصم بن محمد الأنطاكي:

كأنما أربعة إذا تنهاهين الثرى

ريح الجنوب والذبور والشمس والصببا

... قول أبي المعتصم " كأنما أربعة " من قول أعرابي:

فكأنه طود إذا عاينته وكان أربعه الرياح الأربع

جمع ثقل الخيل وخفة الرياح في بيت واحد.

¹ الشمشاطي، ص 192-193. والبيتان في الأسدي، عمرو بن شأس، الشعر، د. يحيى الجبوري، ط2، الكويت: دار القلم 1983م، ص 84. عجز البيت الأول: كفى لمطايانا برياك هادياً.

وأُنشِدَتْ لأعرابي من بني أسد يرثي فرسه:...

زين الجياد بسرجه ولجامه يوم الطراد وزينة التسليب

هذا البيت الأخير مثل قول ذي الرمة ولا أدري أيهما أخذ من صاحبه:

زينُ الثيابِ وإنْ أثوابها استلبتْ فوق الحشيبِ يوماً زانها السلبُ¹

ومن أشكال التأسيس الإبيستمولوجي الحاضرة التي تطالعنا في ضل إلترام الرجوع إلى القواعد المعرفية الراسخة في هذا الحقل في ضوء الإحالة إلى المرجع الذاتي السائر المرتكز على الثوابت المعرفية سواء أكان على مستوى التنظير أم التطبيق الذي يبدو أنه عمل على توثيق جانب من الأحكام النقدية لدى الشمشاطي وإن تعذر الوقوف عليها من أثر فقدان الذي طال أغلب مؤلفات الشمشاطي الذي قدّم على الأرجح مثلاً مقارباً في النص التالي لبعدي عملية التكامل المعرفي بوصفها المُخرَج الدال على مفهوم قيام النص وتلقيه فـ (ثمة بعدين لعملية التكامل المعرفي: بعد إنتاجي، وبعد استهلاكي، فالتكامل في بعده الإنتاجي صورة من صور الإبداع الفكري الذي يحتاج إلى قدرات خاصة ... أما البعد الاستهلاكي من عملية التكامل المعرفي فيتعلّق بتوظيف الأبنية الفكرية التي يقوم عليها التكامل في فهم الظواهر أو القضايا موضع الدراسة، وتمييز العناصر المميزة للمعرفة في إطارها التكاملي، وتسهيل نقل المعرفة إلى الآخرين).²

ومما ورد في إطار تسليط الضوء على ما دار في نطاق المعارضة الشعرية (للمقصورات) بالأخذ بنظر الاعتبار توظيف الوزن الشعري / الإطار الموسيقي الخارجي الذي يفتح السبيل مبكراً ويمهّد إلى الحديث الموضوعي في هذا المجال وتشخيص مافيه من مباحث نقدية تنصرف إلى اللفظ والمعنى المؤطر صوتياً ولاسيماً في مبحث بيان المآخذ النقدية (العيوب) المترتبة على عملية المعارضة الشعرية التي تكفل بها ميدانياً صاحب الأبيات المُعارضة في مصنّفه بعد أن تهيأت له الأسباب لهذا الشكل من النقد الموضوعي، والجهة الإعلامية الساندة، يأتي ذلك في جو عام من التحقيق في سياق القول الشعري المُعارض، ومحاوره بعض مفاصله، لتبرير أوجه الحكم النقدي من الوجهة القاعدية، والتعقيب النقدي الوارد عليه في ضوء إشكالات عديدة ظهرت على السطح سعى

¹ الشمشاطي، ص163. والبيت الأخير في ذي الرمة، الديوان، قدّم له وشرحه: أحمد حسن بسبج، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995 م، ص11.

² طعمة، د. عبد الرحمن محمد، الإبيستمولوجية التكوينية: مقارنة بينية للنموذج اللساني المعاصر، مجلة اللغة العربية، العدد الثامن والثلاثون – الثلاثي الرابع، 2017م، ص21.

عالي الســـــرارة والقـــــطامُ جـــــفَرُ حابي الفـــــصيري رـــــبْدُ عـــــبَلُ الشـــــوا

وأيدُ الأرســـــاغ ذو حـــــوافِرٍ صـــــمِّ فما يسمعن أصواتِ الوجي

البيت الأول منقول من ابن دريد، والثاني خطأ لأن الصمَّ هاهنا الصلاب كالحجارة الصم وليست بمعنى الصم، والوجي لاصوت له فيسمع ولو قال:

وأيدُ الأرســـــاغ ذو حـــــوافِرٍ حـــــفِرُ صـــــلابٍ ما يشكـــــينَ الوجي

لكان طابق وأصاب الصواب. وقال:

وما يزال مـــــأجْمٌ تليـــــةُ إلا إذا مـــــدَّ يديـــــه ونمى

أشرق بالذبول من فريـــــهٍ وزين من حـــــضيره بما بدا

محـــــجَلٌ مـــــخـــــذَمٌ كأنما غرته الشعري ضياءً وبها

البيت الأول معناه مأخوذ من قول أعرابي:

عالي المقـــــدين ترى مـــــلجـــــمه يعلو على الأرض بتطويل القدم

والثاني مأخوذ من كلام بعض العرب الشاميين وقد سئل متى يبلغ ضمُّ الفرس فقال: إذا ذبل فريـــــهٌ وتقلقتْ غرورـــــهٌ، وبدا حـــــضيره، واسترخت شاكلته. الفريـــــه موضع المجسة من معرفته، وعرورـــــه غصون جلد، وحـــــضيره العـــــصبة التي في الجنب في الأضلاع إلى جنب الصلب، والشاكلة الطفـــــطة. والبيت الثالث خطأ لأن التحجيل والتخديم لا يجتمعان في فرس وقد بينا ذلك في شيات الخيل، والبهاء ممدود فقصره وذلك جائز عند الاضطرار إذا لم يكن البناء واهياً مُنحلاً والنظم ساقطاً مضمحلاً، والقصيدة بأسرها على هذا وقد عملنا فيها رسالةً سارت¹.

¹ الشيمشاطي، ص 159-161. البيت: ومشرف الأقطار... في ابن دريد، الديوان، دراسة وتحقيق: عمر بن سالم، ط1، دبي: مؤسسة سلطان بن عويس الثقافية، 2012م، ص 130 والبيت: وقارح سمح... عالي الشوى عبَلُ الشوى في الشيمشاطي، علي ابن محمد، الديوان، صنعه: د. جليل إبراهيم العطية، مجلة العرب، الجزء السابع والثامن، السنة 54، سبتمبر - أكتوبر 2018، ص 446. وكذلك في تحقيق د. السيد محمد يوسف 1: 336، وهو الصواب: قال بعضهم: الشوى جماعة الأطراف وشوى الفرس: قوائمه. يقال عبَلُ الشوى. ابن منظور، معجم لسان العرب، قاموس عربي - عربي، مادة شوا. al-jawaab.com.

المبحث الثاني: التأسيس التقويمي

بالإشارة إلى بعض ما ورد في المبحث الأول ولاسيما في النص السابق من هذا البحث نلاحظ البعد التقويمي المُستدرك موضوعياً من أثر البحث والتنقيب ضمن مجموعة من الإجراءات النقدية التي أسهمت من جانبها في تسليط الضوء على عنصر السبق المُتحقق في المعنى الشعري لصالح الشاعر الجاهلي المستحسن نصه الإبداعية ذوقياً من لدن المُصنّف الذي بتّ فيه جازماً بعد أن دعم هذا التوجه النقدي من سبيل الرواية الأدبية المتناقلة، مع تتبع ورود المعنى المعني بالدرس النقدي في مسيرة بعض الشعراء ولاسيما من زاوية ما طرأ عليه بعد ذلك من معالجات قائمة على حسب توجيه الشعراء له في نصوصهم الشعرية من ظواهر من نحو (القلب) لسياق المعنى على سبيل إنشاء الخلاف / الإنزياح عن المعنى الأول / المرجعي، والإعجاب بالقول الذاتي في المعنى اللاحق على أساس ما فيه من (إجمال) في بعض الأحيان، نقرأ بهذا الصدد في ضل توالي حضور النص في العملية الإبداعية الدافع الأبرز لنشوء الحراك الإبيستمولوجي وديموته ضمن مظاهر أوجبت قيام البحث في المعنى لدى الشعراء على حسب الغاية (ولغيره):

ذكَرني وادي الأراكِ المجدبُ عهدَ صِبا فيه لسلمي ملعبُ

... الأبيات وهذا ممن عَرَفَ ديارَه وديارَ أحبابه بقلبه وأنكره طرفه لتغيره، وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس، حدّثني علي بن الصباح وراق أبي مُحلم، قال أبو مُحلم أتعرف لامرئ القيس أبياتاً سينيةً قالها عند موته في قروحه والحلة المسمومة التي لبسها غير أبياته التي أولها:

ألمّا على الربع القديم بعسعسا

فقلت لأعرف غيرها، فقال بلى أنشدني جماعة من الرواة له:

لمن طَلَّ درست أيه وغيّره سالف الأخرس

تنكره العين من حادثٍ ويعرفه شعف الأنفس

فهذا المعنى الذي ابتدأه امرؤ القيس وأحسن كل الاحسان فيه وجاء به المُحدّث في أبياته الرجز وأنا أذكر أبيات امرئ القيس لأنها غريبة حسنة ثم أعود إلى ذكر من أخذ منه هذا المعنى:.... فأخذ طريح بن إسماعيل التقي قوله:

(تنكره العين من حادثٍ ويعرفه شعف الأنفس)

يستخبر الدمن القفار ولم تكن لتردّ أخباراً على مُستخبر

فظللتُ تحكُم بين قلبِ عارفٍ مغنى أحبته وطُرف مُنكرٍ

فأخذهُ أبو نواس فقال إلا أنه قلبُهُ فجعل الإنكار للقلب:

ألا لا أرى مثلَ امتري اليومَ في رسمٍ تعرفه عيني ويفظهُ وهمي

ولو كان تنكره عيني ويعرفه وهمي لكان كالأول، ولعلَّ أبا نواسٍ قصدَ الخلافَ وأعجبه قوله: ويفظهُ وهمي لأنها لفظَةٌ مليحةٌ، وقد تملَّحَ الحسنُ بن وهبٍ بهذا المعنى إلا أنه أجملهُ ولم يذكر القلبَ من قصيدة:

أبليت جسمي من بعد جدته فما تكاد العيون تبصره

كأنه رسمٌ منزلٌ خَلَقَ لِقِ تعرفه العينُ ثم تنكرهُ¹

وفي محور المآخذ النقدية وبيان مافي بعض النصوص الشعرية منها، أسهم البعد المعرفي الحاوي للنصوص الشعرية في ضل حضور الأنموذج المرجعي الرفيع في الذاكرة النقدية والمدونات في تعليل الحكم الصادر من جوانب مشتركة جمالية وموضوعية تجاه هذا الموضوع، ورسم مرتكزاته، المذلل بالرأي الناقد في هذا السياق مع الإحالة إلى المصدر الذاتي من تأليف الشمشاطي المعزز للتوجهات النقدية حيال موضوع السبق المستحسن إبستمولوجياً ضمن غرض الوصف للناقة وأعضائها على ما جاء ونحن نقرأ (لنصيب الأصغر ويكنى أبا الحبناء يصف ناقةً وسرعتها:

هي الريحُ إلا خلقها غير أنها تبيتُ غواذي الريح حيث تقيلُ

وهذا إصرافٌ في الوصف للسرعة، ولم يصف أحدٌ ممن تقدّم وتأخّر الناقةً أحسن من وصف طرفة بن العبد فإنه جمع صفات خلقها وسرعتها فجاء بها بأحسن كلام وأوضح تشبيهه بقوله: ... الأبيات، وفيها: ... ويصف عنقها فيقول:

وأتلغ نَهْـاضٌ إذا صعدت به كسكان بُوَصِيـي بدجلة مُصعدٍ

وجمجةٌ مثلُ العـلالةِ كأنما وعى الملتقى منها إلى حرف مبرِدٍ

¹ الشمشاطي، ص 216-218. وشطر البيت، امرؤ القيس، ص 105. والبيت الأول في امرؤ القيس، ص 339 باختلاف في الرواية، والبيتان في الثقفي، طريح بن إسماعيل، الشعر، دراسة وجمع وتحقيق: د. بدر أحمد ضيف، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987م، ص 9 بلفظ: تستخبر. والبيت: ألا لا أرى... في أبي نواس، ص 87 باختلاف بسيط في رواية العجز.

هذا البيت قال الأصمعي لم يقل مثله أحد، وقد ذكرنا ما فيه وبينناه في أبيات المعاني).¹

وضمن هذه الدائرة وعلى سبيل الإنصاف للشاعر اللاحق أفادت بعض الإشارات الخروج بتأصيل ذاتي ينبع من طبيعة الغرض الشعري والإجراء البلاغي الكفيل بتحقيق ذلك الأنموذج من الشعر المعروف في سياق التأليف على سبيل الفردة (ولعبد الله بن سلام:

ولم تر يحيى فوقه ثبعيةً ترد غرار السيف والسيف قاضب

تقارب منها السرد حتى كأنما تخازر فيها بالعيون الجنادب

هذا البيت حسن المعنى لأن أكثر من وصف الدروع شَبَّهها بحدق الجراد، والجنادب ضرب منها، ولم يرض هذا حتى قال تخازر والتخازر تصغير العين فجعلها مثل عيون الجراد المصغرة وهذا إغراق في الوصف).²

وقد يدور الحديث حول النص على تأشير بعض ما في الأبيات الشعرية من مزايا تذكر ولاسيما استحسان المعنى على وفق مبدأ الجمال مع العودة به بالتدرج المعرفي المنتظم إلى أصل قائم على أساس الطبع الشعري في النص الأسبق لممارسة التوظيف الفني وذلك بعد اعتماد مبدأ الموازنة في الأبيات ذاتها ومع غيرها على سبيل الاستدراك المعرفي الساعي إلى توثيق الحكم النقدي، فضلاً عن رصد الزيادة المتحققة في المعنى اللاحق وذلك بتحديد القول الدال على تلك المزية المرصودة في السياق في خطوة تعد من خطوات التحليل الإبيستمولوجي الوارد في نسيج المقطع الآتي (لأحمد بن محمد المصيبي:

بطاوي الحشا إن زعته فهو بارق إن قام إظلام وإن سار كوكب

كأن الدجى بعد الونى منه جدول خطأ وخلى ماءً عنه ينضب

البيت الأول أحسن، والثاني مليح المعنى إلا أنه من قول الخنعمي:

لا تحسب الليل إلا شملة سقطت على الفلاة خطاها وهو مرتحل

¹ الشمشاطي، ص 179-180. والبيتان في: ابن العبد، طرفة، الديوان، شرح الأعلام الشنتمري، تح: درية الخطيب، لطف الصقال، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000 م، ص 36.

² الشمشاطي، ص 35. وينظر تفاصيل الإغراق والحديث عنه لطفاً، مطلوب، 1: 195 وما بعدها.

وهذا أحسن وأطبع، وإن كان المصيصي قد زاد بقوله: بعد الونى¹.

الخاتمة:

يبقى التراث الخالد معيناً ثراً له ارتباطاته بالمشهد التأصيلي الذي شهد منذ زمن اهتماماً ملحوظاً بل ومنتزاعاً في الأوساط العلمية والثقافية بين الباحثين والدارسين نظراً لتسنمه مكانة سامية في سيرورة التنوير المعرفي بوصفها ضرورة من ضرورات الحياة الفكرية، وجاءت خطوات البحث الحالي لتؤكد هذه الحقيقة وهي تسلط الضوء على مظهر التبادل المشروع بين أبرز المقومات المسؤولة عن بلورة فكرة البحث الإبيستمولوجي والمغزى منه على مستوى تكوين النص وعملية التلقي وملحقاته، طبقاً لما هو دارج، على النحو الذي يضل ما يقع ضمن هذا الإطار ميداناً يكشف لنا عن جهود التلاقح القائمة ضمن هذا الفضاء المعرفي بين النص ذاته والمتلقي / الناقد / الباحث كلاً على حسب إمكانياته وتوظيفها على سبيل المرام.

النتائج:

1- أفاد ما تقدم أن النماذج النصية المدروسة شهدت حالة من حالات التواصل مع أبعاد أسهمت في رسم صورة التداخل والتناقل المنتظم في العملية الإبداعية، وأثر ذلك على مستوى التلقي، ولعل هذا القول قد لا يسهم كثيراً في الخروج بإعمام حول المشهد النصي القائم، ولا سيما بعد توافر بعدين رئيسيين فيه الأول: البعد التأصيلي القائم على أساس التقارب مع المرجع كما ورد في أغلب النماذج، والبعد التأصيلي القائم على أساس الإنزياح عن النمط الشعري المألوف في ضوء بعض محددات الدرس النقدي، وهذا التجاذب المستقل والتناظر الناشئ عن الاحتكاك بنص إبداعي آخر أو عدمه من المظاهر الواردة في هذا البحث إنما يقوم في مجمله على استيعاب المبدع والناقد لمفهوم أدبي - معرفي محدد يفرض على النص الخروج بالصيغة المرجعية أو بضمها ضمن أشكال إبداعية.

2- في ضوء ما ورد في النقطة الجوهرية في أعلاه واستكمالاً لنتائج البحث تبدو مشروعية عمل الناقد في هذا الحقل، وأهميته بوصفه عنصراً مكملاً موضوعياً للهالة الإبيستمولوجية الدائرة حول النص في سياق عالمه الشعري الذي يتطلب قراءة نقدية واعية من جنس العمل القائم ذاته، والأساس الذي يستند عليه في طور التكوين، ثم التوسل ببعض الآليات والإجراءات ذات الفاعلية

¹ الشمشاطي، ص 155. والزيادة في قوله: (إن زُعته) وردت في تح: د. السيد محمد يوسف 1: 325.

في الكشف عن طبيعة هذا النهج التكاملي المتبلور في هذا الفضاء على أساس معرفي لاتقل فاعليته عن النص المحقِّز والداعم أول مرة لتوجهات الناقد وهو يباشر العمل من منطلق الثقافة النقدية التي تستوحي مفهومها ومكانتها من آفاق تشكُّل النص الشعري ومواكبة أطر الإبداع النقدي لمجريات هذا التشكُّل وتداعياته.

التوصيات:

- 1- ضرورة قيام البحث في الموروث عن نماذج مشابهة لنماذج وتوجهاته هذا البحث، وإجراءات دراسات موازنة فيما بينها.
- 2- تفعيل عمليات القراءة النقدية للنصوص التراثية بما ينسجم وواقع تطور العلوم والمعارف في العصر الراهن مما سيكون له الأثر البالغ في الكشف عن الصور الناصعة من التراث الخالد.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن دريد، الديوان، دراسة وتحقيق: عمر بن سالم، ط1، دبي: مؤسسة سلطان بن عويس الثقافية 2012م.
- ابن العبد، طرفة، الديوان، شرح الأعلام الشنتمري، تح: درية الخطيب، لطفي الصَّقال، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000م.
- ابن منظور، معجم لسان العرب، قاموس عربي - عربي، al-jawaab.com.
- أبو نواس، الديوان، حَقَّقه وضبطه وشرحه: أحمد عبد المجيد الغزالي، القاهرة: مط مصر، 1953م.
- الأسدي، عمرو بن شأس، الشعر، د. يحيى الجبوري، ط2، الكويت: دار القلم، 1983م.
- الأقطع، خلف بن خليفة، د. خليل محمد عبد العال، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب 2018م.
- امرؤ القيس، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، القاهرة: دار المعارف، 1984م.
- حريزي، أ.د. موسى بن إبراهيم، غربي، د. صبرينة، دراسة نقدية لبعض المناهج الوصفية وموضوعاتها في البحوث الاجتماعية والإنسانية والنفسية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 13 ديسمبر، 2013م.

- حميدة، د. عبد القادر، المرجعيات الإبيستمولوجية للمشاريع الفكرية الإسلامية / ميشال فوكو قارئاً نصر حامد أبو زيد، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الأخوة منتوري قسنطينة - الجزائر، المجلد 31، العدد 4 ديسمبر 2020م.
- الثقافي، طريح بن إسماعيل، الشعر، دراسة وجمع وتحقيق: د. بدر أحمد ضيف، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987م.
- الدنيوري، ابن قتيبة، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، م1، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية 1984م.
- الذبياني، النابغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ط2، القاهرة: دار المعارف، د. ت.
- ذي الرمة، الديوان، قدم له وشرحه: أحمد حسن بسبج، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م.
- الشمشاطي، أبو الحسن علي بن محمد:
- الأنوار ومحاسن الأشعار:
- تح: د. السيد محمد يوسف، مراجعة: د. عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1977م.
- تح: صالح مهدي العزاوي، ط2، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1987م. (المعتمد في البحث).
- الديوان، صنعه: د. جليل إبراهيم العطية، مجلة العرب، الجزء السابع والثامن، السنة 54، سبتمبر - أكتوبر، 2018م.
- شوربا، د. زينب إبراهيم، الإبيستمولوجيا: دراسة تحليلية لنظرية العلم في التراث، ط1، بيروت: دار الهادي، 2004م.
- طعمة، د. عبد الرحمن محمد، الإبيستمولوجية التكوينية: مقارنة بينية للنموذج اللساني المعاصر، مجلة اللغة العربية، العدد الثامن والثلاثون - الثلاثي الرابع، 2017م.
- العكوك، علي بن جبلة، الديوان، جمع وتحقيق: زكي ذاكر العاني، مط دار الساعة، 1971م.
- الفحل، علقمة الديوان، شرح الأعلام الشنتمري، تح: لطفي الصّفال، درية الخطيب، ط1، حلب: دار الكتاب العربي، 1969م.
- مطلوب، د. أحمد، معجم النقد العربي القديم، ج1+2، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة 1989م.

- المعنز بالله، عبد الله بن محمد، الديوان، ج2، دراسة وتحقيق: د. محمد بديع شريف، القاهرة: دار المعارف 1977م.
- وقيدي، د. محمد، ماهي الإستمولوجيا، ط2، الرباط: مكتبة المعارف، 1987م.

جمالية التكرار في شعر جميل حيدر

The aesthetic of repetition in the poetry of Jamil Haider

م.م. هدى صبيح محمد العبودي: جامعة ذي قار، كلية الزراعة والأهوار، ذي قار، العراق.

Huda Sabeih Mohammed Al-Aboudi: Dhi Qar University, College of
Agriculture and Marshlands, Dhi Qar, Iraq.

huda.s@utq.edu.iq

الملخص:

يتحدث البحث عن ظاهرة اسلوبية لها وقع خاص في نفس المتلقي للنص الشعري وهي (التكرار) الذي يُعدُّ من الظواهر المدمجة في اللسانيات الحديثة والتي تعمل على الترابط النصي داخل الابيات الشعرية وعلى التواصل ما بين الباث والمتلقي للنص بواسطة ميزة التكرار وإعادة العنصر المعجمي بغية تحقيق نوعٍ من التواصل ما بين اركان العملية التواصلية.

كان التكرار من الظواهر الاسلوبية التي كان لها مجال رحب في الدراسات النقدية الحديثة، لذا كرس العديد من الدارسين جهودهم لبيان هذه الظاهرة الاسلوبية ومدى أثرها الفاعل في النص اللغوي على اختلاف انواعه وماهي المساهمة الفاعلة التي يقوم بها التكرار في وروده داخل النص على مستويات النص السطحية والعميقة.

الكلمات المفتاحية: التكرار، تحليل نصي جمالي، جميل حيدر.

Abstract:

The research talks about a stylistic phenomenon that has a special impact in the same recipient of the poetic text, which is (repetition) , which is one of the phenomena integrated in modern linguistics, which works on textual interconnection within poetic verses and on communication between the sender and the recipient of the text through the feature of repetition and returning the lexical element in order to achieve a kind of communication Between the pillars of the communicative process.

Repetition was one of the stylistic phenomena that had a wide field in modern critical studies, so many scholars devoted their efforts to explaining this stylistic phenomenon and the extent of its active impact in the linguistic text of its various types.

Keywords: repetition, aesthetic textual analysis, Jamil Haider.

المقدمة:

يراد بالتكرار إعادة ذكر العنصر اللغوي داخل بنية النص لأكثر من مرة واحدة، وهذا النوع من الأسلوب يندرج تحت ما يسمى بالاتساق المعجمي الذي هو مظهر من مظاهر اتساق النص التي تسهم في عملية الربط بين الكلمات داخل المنظومة اللغوية الواحدة عبر احالة المتكررات سواء كانت الاحالة فيها تحوي تطابقاً أحياناً أو لا تحوي وهذا النوع الاحالي يرفد النص بصفة النصية لما يناله من التماسك بين المفردات وتقارب الاجزاء المتباعدة وإحداث وحدة نصية تتسم بالوحدة الشكلية و الدلالية وفهم العناصر المعجمية المكونة للنص، فالتكرار يؤدي بكافة اشكاله اللفظية والدلالية أغراضاً نحوية دلالية تداولية على اعتبار ان النص يفرض وجوداً معيناً ومحدداً للتكرار، والنص يسهم في توجيه تأثيره وادائه بالقدر الذي يجعل النص كياناً فنياً لنظام تكراري يرمي الى محاجة المتلقي واقناعه بتريخ الرسالة في ذاكرته (ميلود 2010، 27).

اختار البحث نموذجاً لدراسة شعر الشاعر العراقي (جميل حيدر) تولد سوق الشيوخ 1953م وهو احد اعضاء الرابطة الادبية ممن كرسوا حياتهم للشعر ودراسة شعره ضمن منهج نقدي تحليلي ؛ فكان لقاء الضوء على شعر الشاعر جميل حيدر لما لمسناه في اشعاره من رسالة انسانية ودينية واجتماعية، إذ امتازت اشعاره بتعدد المواضيع والاعراض الشعرية المتصلة بالواقع الاجتماعي الذي عاشه الشاعر وتأثر به مما ولد ذلك العديد من الصور الشعرية ؛ بث بواسطتها كل مشاعره بحس مرفه متحرر من كل القيود التي تحاول أن تأسر الذات وتكبلها وتنقل لنا الواقع بنوع من الايقاعات الحية المتناغمة عبرتخير الالفاظ وتكرارها، فكان هدف الدراسة تلمس جمالية التكرار بانماطه المختلفة متمثلة بانواعه وهي (التكرار التام والجزئي وتكرار التضاد) في شعر الشاعر وكيفية توظيف هذه الانماط داخل النصوص الشعرية.

منهج البحث:

رصد الباحث انواع التكرار في اشعار جميل حيدر واثرها عبر مناهج عدة منها المنهج الوصفي التحليلي إذ عمل البحث على استنباط اليات الجمال الشكلي والدلالي في تحليل بنية التكرار و المنهج النفسي الذي هو من المناهج السياقية التي تقوم على دراسة الابعاد النفسية في بنية التكرار وبيان الدلالة الشعورية التي يحملها اللفظ المكرر الذي يعمل على الابانة عن المشاعر الساكنة في روح الشاعر، فقامت الدراسة على تتبع اسلوب التكرار في القصائد الشعرية وتفسيره وتحليله بشكل عميق مما يزيل امام المتلقي الغموض الكائن في ابيات القصيدة وبيان قيمة التواصل بين منشئ النص ومتلقيه عبر الرسالة الشعرية.

من الدراسات السابقة لشعر جميل حيدر:

- 1- الذات والآخر في شعر جميل حيدر (رسالة ماجستير): علي حسن عبيد، المشرف: مصطفى لطيف عارف، جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الانسانية، 2017م.
- 2- شعر جميل حيدر (دراسة في الاتجاهات والفن) (بحث منشور)، م. نضال حسن جاتول، مجلة الفنون والأدب وعلوم الانسانيات والاجتماع، ع32، كانون الاول -ديسمبر 2018.

مشكلة الدراسة:

كانت غاية البحث توضيح اسلوبية التكرار في الشعر ودورها في نقل التجربة الشعرية والأطر الجمالية التي تحملها فجاءت هناك مجموعة من التساؤلات التي عالجها البحث في شعر جميل حيدر وهي:

- أ- هل تمكن الشاعر من الاعتماد على تقنية التكرار في تجسيد التجربة الشعرية وبيان قدرته في الافصاح عن المشاعر النفسية ونقل التجربة الشعرية الى المتلقي عبر اسلوبية التكرار
- ب- هل كانت وظيفة التكرار مقيدة في الانسجام الايقاعي دون الانسجام الدلالي أي هل كان للتكرار قدرات دلالية ساهمت في شد او اصر النص على مستوى الايقاع الخارجي والداخلي أم كانت مساهمة التكرار مقتصرة على الايقاع الخارجي فقط.
- ت- كيف يمكن للتكرار ان يكون باعثاً جمالياً في النص الشعري.
- ث- كيف يمكن للتكرار ان يكون اسلوب للاقناع في النص الشعري.

انواع التكرار في شعر جميل حيدر:

أولاً: التكرار التام (المحض) Full recurrence

يراد به إعادة أعيان الالفاظ (مصلوح 2003، 238)، أي " تكرار الكلمات في النص دون تغيير، بما يعني استمرار الإشارة إلى العنصر المعجمي، فيؤدي هذا الاستمرار إلى ترابط المعنى في النص" (شبل، عزة، 2007، 141)، لذا فإن إعادة اللفظ كما هو دون أي تغيير، ابتعاد الكلام إلى مفتقر مكمل له (حبيب و محمد، 2018، 9) وقد أشار حازم القرطاجني إلى مثل هذا النوع من التكرار ذاكراً "ولكون إظهار المضمّر يصير الكلام مستقلاً غير مفتقر إلى ما قبله قد يحتملون ما في التكرار من ثقل، وذلك مثل قول الخنساء:

وإنّ صخرًا لوالينا وسيّدنا وإنّ صخرًا إذا نشتو لنحارُ

وإنّ صخرًا لتأتّم الهداة به كأنّه علمٌ في رأسه نارُ

ولو قالت وأنه لتأتّم الهداة به فأضمرت لكان البيت ناقصاً مفتقراً فإنما اظهرت لفظ صخر ثانياً وثالثاً تباعداً بالكلام من الافتقار وقصداً لتعديل أقطاره وحسن تفصيله وتقديره" (القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة1986، 277-278)، ولو تأملنا قصائد الشاعر جميل حيدر سنجد الكثير من الالفاظ التي تكرر ورودها داخل البناء الهندسي للقصيدة بتكرار اللفظ ذاته ففي قصيدة (طير الكآبة) التي القاها في اربعينية الشاعر حسون البحراني نلاحظ البناء العمودي للقصيدة يقوم على تكرار عدد من الالفاظ التي كانت هي موضوع القصيدة الأساس الذي ارتبط بالسياق الخارجي للحدث العام فيها وهو حدث الفراق والموت الذي لا بد منه في هذه الحياة إذ يقول الشاعر فيها:

أصاب القلب منه ما أصاب

فأوجز ما أستطعت له العتابا

غزاه الداء حنجره فأصغى

لصوت الموت فيه فاستجابا

وزاد على احتمال الداء داء

وداء الحس أفتك ما أصابا

فحين ارتدت الرؤيا عليه

وأيقن إن كأس الموت طابا

توجس هجعة الالم المسجى

وأغفى طارقاً لله باباً

فما أشقاه دون الموت بعداً

وما أهداه بالموت اقترابا

بموتٍ ليتها استهدى المآبا

بظل العيش نهر الموت يجري

سيأتي الناس هدياً وارتياها

ويحدو فيهم رُعباً ولطفاً

لينضجهم بمسراه انسكابا

ينضّرهم لعفو الله نضجاً

ونضج الموت أولى أن يثابا

فقد اعتمد الشاعر على تكرار يقوم على نسق هندسي منظم يلوح فيها عارضاً لنا صورة شعرية تحمل بين موسيقاها نوع من التكرار للفظ (أصاب) في البيت الشعري ذاته مبيناً نوعاً من الترابط النصي داخل المدى الافقي عبر الاصرة الثنائية (أصاب/ ما أصاب) مما يفصح عما الم بالقلب من الم وحزن لفراق رفيقه، و ثم ينطلق الشاعر في ابداعه الشعري معتمداً على التكرار المباشر فنراه في المقطع الثاني من القصيدة ذاتها يوزع الفاظه مكررة ما بين لفظتي (الداء، والموت) فهي محور رئيسي في هذه الابيات الشعرية إذ تكررت بمعدل (أحدى عشرة مرة) وبحركة الكسر التي تتناغم مع دلالة اللفظ معجمياً وسياقياً، وهذا النوع من التكرار في هذه الاسماء يزيد من وضوح الصورة الشعرية للمتلقي وانسجامها مع غرض القصيدة المنشود، فقد نقل لنا الشاعر في ترديده للفظتي الموت والداء لوحة شعرية تحمل دلالة الاستسلام وضعف الحيلة أمام المرض (الداء) وعدم مقاومة الاخر له وارتباط لفظة (الداء) بالموت وتعالقها على مدار الابيات ييوح لنا فيها بالايامن القائم لدى الشاعر حسون البحراني بالموت وانه قد انصاع الى هذا المصير المحتوم بدءاً من انقطاع صوت الانسان عنده والاصغاء الى صوت الموت والاستجابة اليه، فادراك الانسان لحتمية ذلك المصير القائم على الزوال من عالم الدنيا والارتحال الى عوالم الاخرة وهذا ما أشار إليه لاند سبيرج بقوله: " أن الوعي بالموت يمضي جنباً إلى جنب مع الاتجاه الانساني نحو الفردية ومع قيام الكيانات الفردية المتميزة " (شورون، جاك، تر: كامل يوسف حسين 1986، 19) فقد أوضح شرطاً من شروط حتمية الموت الذي لا بد منه أما شلر فيوضح لنا الشرط الآخر من تلك الحتمية وهو نشأة التفكير المنطقي " فيقدر مايتعين علينا ان نعزو لكل حياة شكلاً من أشكال الوعي ينبغي علينا أن نعزو لها أيضاً ضرباً

من اليقين الحدسي بالموت " شورون، جاك، تر: كامل يوسف حسين 1986، 20 وهذا ماصوره لنا الشاعر جميل حيدر من حتمية الموت واليقين لدى الشاعر المرثي بهذا التفكير المنطقي.

وفي موضع آخر من الديوان نجد الشاعر يلجأ الى التكرار، فالعنصر المكرر عند جميل حيدر له دور بارز في انتاج الدلالة وتجديدها عند كل اعادة، واطهار القيمة الفنية لاسلوب التكرار بما تشعه من أثر فني على التكوين البنائي للنص الشعري ففي قصيدة (متى غادرت قلباً؟!) نجد الشاعر يفتتح القصيدة بهذا النوع من الاسلوب الطلبي منتظراً الإجابة من الاخر المرثي عن هذا التسؤال المصحوب بالتعجب، وهي قصيدة القاها في اربعينية الشاعر طالب الحاج فليح وكان الشاعر قد اعتاد على هذا النوع من القصائد التي يتضح في هيكليتها الشعرية التأبين واطهار منزلة الاخر في نفس الشاعر ومحبيه لما لهم من صلة وشيجة واخذهم مكاناً من حياة الشاعر وارتباطهم به ارتباطاً مباشراً من جهات عدة.

يمكن ان نلمس جمالية التكرار في قصيدة (متى غادرت قلباً؟!) واثرها على التماسك النصي داخل بنية القصيدة عبر اعادة بعض المورفييمات التي تعمل على ارتفاع السقف الدلالي في القصيدة ومنها:

مقيم ما استطال بك الرحيلُ

فلا تسأل صحابك مالدليل

أم الموت استطال به فمالت°

مشاربكم وزوقت الميول

بكف الموت يلوى كل نبعٍ

ولكن السجايا تستطيل

.....

وما بالموت للذاكين ستر

إذا أعقبت بنا منهم شمول

أحبائي الذين مضوا تباعاً
ودونهم وأعيننا سدول
لداعي الموت رقوا فاستجابوا
وحين غشاهم كان الافول
أقبلوا عائر الادلاج منا
برؤيتكم أحببتنا أقبلوا
اريحونا وقولوا قد وجدنا
طريق الموت مسلكه جميل
وبين القبر والقلب المعنى
مشاهد دونها الطرف الكليل
يعفر طي حفرتة مدل
ويفترش النزيل بها نزيل
ولا رسم سوى عظم يسجي
على عظم وتندرس الطلول
ولكن الشذى الذاكي المندى
(.....)
أبا الخلق المعطر في صدانا
مثيلك في الصدى الزاكي قليل
(.....)
وما زلت الصدى الحاكي لديه

(.....)

وأخفى والشذى منه طليل

ونلاحظ في هذه الابيات الشعرية من القصيدة تكرار بعض الكلمات التي لعبت دوراً أساسياً على المستويين السطحي والعميق للبناء الشعري في القصيدة فقد تكررت الفاظ (استطال، الموت، اقبلوا، النزيل، عظيم، الشذى، الصدى) والتي اعتمد الشاعر فيها على البناء الدائري (التكرار) في تأكيد الدلالة على عدم نسيان المرثي وأن الموت ماهو الا رحلة طويلة المدى تنتقل الاشخاص الى عالم ابدى لكن ارواحهم وفعالهم وصفاتهم وذكرياتهم تبقى خالدة في نفوس محبيهم، فما نراه في هذه الابيات التكثيف الدلالي للثناء واثبات الدلالة وانتاجها عند كل بيت من ابيات القصيدة فقد تكررت الالفاظ بمعدل مرتين لكل لفظة الالفة الموت التي انمازت عن باقي الالفاظ بالتكرار بمعدل خمس مرات ففي ذلك تأكيد على فكرة الموت والارتحال من عوالم الدنيا الى عوالم الاخرة وهذه الرحلة هي نهاية الحياة البشرية التي لا بد ان يمر بها كل انسان فهم ملتحقون بمرثيهم وعندها يكون لم الشمل بينهم واللقاء، لذلك عمد الشاعر على تكرار الموت عبر ابيات القصيدة، فالصورة الشعرية في الابيات قد جسدت لنا نوعاً من المرتكز النفسي لدى الشاعر والمعاني السياقية وما تحمله من آثار نفسية لحظة تصوير الموقف والجو النفسي الذي كان يخيم على الشاعر عند كتابة القصيدة وهو يندب احد اصدقائه والذي يعدُّ نوعاً من الوفاء والعرفان بالجميل الى تلك الصحبة ومايبثه من خلال تلك الالفاظ التي تحمل هذا النوع من الايفاء بالوعد والبقاء في الذاكرة وبيان عظيم شأنه مما يثير نوعاً من التكثيف النفسي للمتلقي، كما أن التكرار عمل على نوع من التواصل الهندسي بين كلمات القصيدة بوساطة التكرار الذي هو "من الخاصيات الملازمة للشعر... بل هو مكون اساسي في الشعر فالتكرار بنية اساسية في بناء الشعر" (سليكي، خالد 1994، 408)، إذ تتعدى وحدة القصيدة عبر التكرار البناء الهندسي لابيات القصيدة حتى نراها تتوحد ايقاعياً إذ نرى الشاعر يعتمد على نمط من الايقاع الشعري الذي يتواءم مع غرض القصيدة والذي ينتقل به الشاعر عبر ابيات القصيدة على وزن واحد فنلاحظ ذلك في تكرار لفظتي الشذى والصدى مما اعطى ايقاعاً خاصاً للابيات.

نلاحظ في ديوان الشاعر قصائد تنقل لنا تجارب حياة عاشها الشاعر اثرت في نفسه وفي المجتمع فأخذ يسطرها لنا عبر قصائد خالدة في الذاكرة وكأنها سفر لايمكن ان يتغاضى عنه النظر ففي قصيدة (حوار) نرى نوعاً من الالم الذي يعتصر قلب الشاعر نقله لنا عبر محاورة شعرية لتلميذين مع أبيهما إثر اغلاق المدارس لعام 1956م في مدينة النجف وكمية الحزن والاسى الذي يكمن في تلك المحاورة

جراء تلك الحوادث ومانجم عنه من حرمان الاطفال من تعليمهم المدرسي وماأشبهه اليوم بالامس الا
ان الاحداث مختلفة.

أبتي ضقت بدربي

من لباناتي واهوائي ولعبي

وانغماسي في سجلات الوحول

ضقت من كل فجاءات الفضول

لست وحدي

يا أبي ابتدع اللهو المعابا

فمتى أعدو لدربي

وأجلي فيه نفسي

وأمال الأب عينه

الى الطفل فهشت وجنتاه

ومشى بالحلم الريان يستهدي أخاه

أبتي فاض بعيني حيني

ملت الساحة خطوي

والتوى السجن بوجهي

أبتي اسمح فلقد ضقت سجيناً

وأرى حتى بأهلي قد سرى الخوف

فقد صاروا عيوناً

أي حلم أن أرى الشارع يوماً

أي هم أن أعانك بشعب

وتعانيني بحب..؟

قتلوى الأب حتى

كاد يطويه حياه (حيدر، جميل، 2009، 13-14)

قصد الشاعر الى ترديد بعض الالفاظ ومنها (ضقت، أبتى، الاب، الحلم، أي)، وفي هذا النوع من الاسلوب يحاول الكاتب أن يكرر ما يثير اهتماماً عنده ويحب أن ينقله الى نفوس مخاطبيه أو من هم في حكم المخاطبين ممن يصل إليهم القول على بُعد الزمان والمكان (علي السيد، عز الدين 1978، 136)، فالتكرار يعمل كمحفز انفعالي في نفس المتلقي مما يجعله يصور لنا الموقف النفسي والانفعالي للقصيد لما تحمله اللفظة المكررة من دلالات نفسية وانفعالية، فهو: " ليس عملية اعتباطية عشوائية انما هو عملٌ منظم ومقصود يأخذ شكله التركيبي المنسق بين المفردات في داخل النص مكوناً بناءً هندسياً " (صبيح، هدى 2020، 167).

كرر الشاعر لفظة (ابتي) ثلاث مرات ولفظة (ضقت) ثلاث مرات ولفظة (الاب) مرتان ولفظة (الحلم) مرتان و (أي) مرتان، و إن معدل تكرار المثيرات في القصيدة يؤدي غرضاً دلالي تداولي في آن واحد لما تؤديه المكررات من مقصد حجاجي اتجاه المتلقي بغية اقناعه في الرسالة الموجه اليه، فهو كمنبه لغوي يعمل على التأكيد وإقرار الموضوع عن طريق ما يعترض النص من حدث فجائي يقطع السلسلة الكلامية بإعادة العنصر في الكلام لأكثر من مرة" (صبيح، هدى 2020، 169).

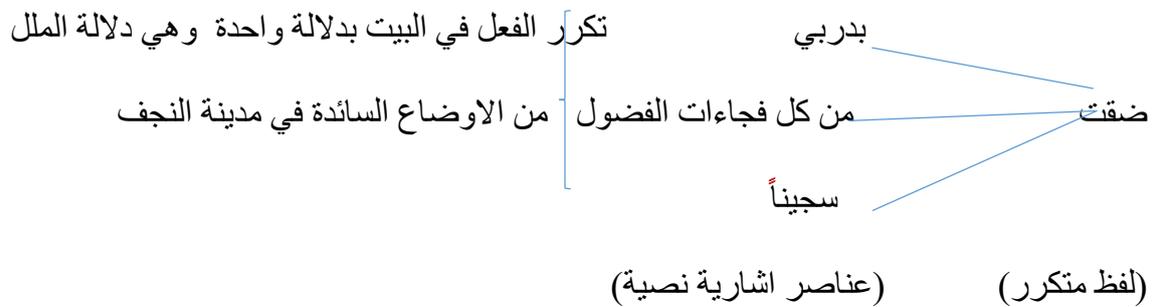
يمنح الشاعر صورة الاب حضوراً قوياً بواسطة توظيف الكلمات توظيفا تداولياً، فكانت كلمتي (ابتي) و (الاب) عنصراً فنياً عمل الشاعر على توظيفه داخل ابیات القصيدة وتكراره حتى تتضح لنا تلك العلاقة العميقة بين الصبي والاب وتجسيدها عبر صورة شعرية مليئة بالحزن والاسى في الخطاب الموجه الى ذلك الرمز والعنصر المركزي (الاب) في القصيدة والذي اعتبره الصبي ملاذه الآمن للخلاص من هذا السجن (اغلاق المدارس) وإظهار الخيبة التي رزأت بنفسية الابن فكان تكرار

كلمة (ابتي) تعبيراً عن الكمد واثارة لنفسية المتلقي للنص الشعري فكان تكرار هذه الكلمة لغاية دلالية لايمكن ان تتضح الا بالتكرار الذي تناسب مع الابيات الاخرى والكلمات المكررة الاخرى ليخلق جواً موسيقياً مطرداً ينسجم دلالياً.

وقد نجح الشاعر بتمثيله الشعري للاب و اظهار مكانة الاب الاجتماعية في نفس ولده بأنه العون له وان كان لايملك من الحل شيئاً إلا ان بث الشكوى إليه يبعث في نفسه نوع من الامان، إذ تتضح نبرة الحزن جلية في ذلك الصوت الطفولي ومايرافقها من هدوء ممزوج بالقهر والضجر والضياع، وتأكيد ذلك اللجوء عبر تكرار كلمة (ضقت) التي عملت على الانسجام النصي و اظهار الجانب النفسي بما يحمله من الالم والحزن والملل والاسى أثر غلق المدارس في نفوس التلاميذ، لذا كان النغم الموسيقي ينساق على نغم هادئ حزين منكسر يتلوى من الم الفراق للحياة السابقة وما فيها من مرح الدراسة واللهو مع الاصدقاء في باحات المدارس والمذاكرة التي باتت احلام في نفس الابن والتي عبر عنها بالاستفهام مستعملاً الاداة (أي) وتكرراها تأكيداً على نوع من التذمر الذي سكن في نفسه ونلاحظ في التكرار للكلمات (، ابتي، وضقت) وحدة المرجع وما افادته من سبك للنص الشعري.



(لفظ متكرر) (عناصر إشارية نصية)



(لفظ متكرر) (عناصر اشارية نصية)

كما ان سيميائية تكرار كلمة الحلم في القصيدة تختلف كل منهما عن الاخرى فالحلم الاول وهو في قول الشاعر (ومشى بالحلم الريان يستهدي اخاه) نجد ذلك الامل المنبعث في النفس والمستقبل الزاهي الذي يحلم به الصبي مع اخيه حتى نراه يرشد اخاه الى تلك الاحلام الجميلة التي يتمنى انها لو كانت حقيقة إذ يحمل البيت الشعري فسحة من الامل التي تنبثق في النفس وتتغناها الكلمات وكأنه واثق من ذلك الحلم وان استعمال الشاعر للفعل الماضي (مشى) دلالة على الانتقال من حلم الخيبة الى حلم الامل والحياة المتفتحة التي يود ان يصحب اخاه معه الى تلك الاحلام.

أما رمزية الحلم الاخر والذي عبر عنه الشاعر بصيغة الاستفهام (أي حلم أن أرى الشارع يوماً) نبصر حلماً مغايراً للحلم الجميل الذي في منتصف القصيدة إذ يختتم الشاعر قصيدته بالحلم المرير الذي هو مغاير للحلم الاول الجميل فهو هنا حلم يحمل الخيبة والقهر والاحساس بالالام، ومن هنا يمكن ان نرصد توظيف الشاعر للكلمات وماتحدثه تلك التوظيفات من جرس قوي ونغم مؤثر في ابیات القصيد فأن ذلك التوظيف للكلمات ينم عن الابداع الفني الذي تغلب على قريحة الشاعر والاحساس بالمجتمع وعيشه حالة الجور والظلم التي عاشها الشعب في تلك الفترة لذلك كان الشاعر يوظف الكلمات توظيفاً اجتماعياً في قصائده الشعرية.

ولايمكن ان نتخطى الجانب النصي في القصيدة عبر الاحالة التكرارية للعناصر المكررة وماتقوم به من دور اساسي في عملية الربط النصي على المستوى اللفظي إذ يلعب التكرار دوراً هاماً في عملية السبك النصي عبر العناصر المعجمية المتكررة وان كانت تختلف في وحدتها المرجعية كما هو تكرار مورفيم الحلم الذي انماز عن العناصر المتكررة في القصيدة باختلاف المرجع.

الحلم
ومشى بالحلم الريان يستهدي أخاه
تختلف مرجعية الحلم فالاولى إشارة
الاحلام الجميلة الهائلة
أما مرجعية الحلم في الثانية فتعود الاحلام البائسة
أي حلم أن أرى الشارع يوماً

ومن أنماط التكرار التي اعتمدها الشاعر هو تكرر العبارات او الجملة داخل القصيدة لما في تكرر بعض الجمل من فائدة دلالية وفنية إذ يسهم تكرر العبارة داخل النص على تحقيق تأكيد المعنى وتقويته وترابط الاحداث في سلسلة واحدة وبشكل منظم أضف الى ذلك انه يحقق نوعاً من التوازن الصوتي داخل النص الشعري منسجماً مع نفسية الشاعر، فالتركيب المتركمة تعدّ احد ادوات التماسك النصي التي تعمل على تنظيم البناء الشكلي للنص وانسجامة دلاليّاً (مفتاح، محمد 1990، 164) ومن أمثلة هذا النوع من التكرار ما نراه في قصيدة الشاعر (ارتحال وطن) وهي من القصائد السياسية التي تصور لنا مشهد السلطة القائم في التسعينات وكيفية استعمال السلطة الحاكمة سياسة القمع والاضطهاد يقول فيها:

آه...آه...آه.. (حيدر، جميل 2009، 25)

اراد الشاعر عبر هذه التأوه أن يثور على تلك السياسة رافضاً لها معبراً عن ذلك الرفض، فقد اختزلت ابياته الشعرية صورة الواقع السلطوي وبيان ماهية الحكم الظالم والقمع الذي يمارس على الشعب وخنوع الناس امام شتى انواع العذاب من التجويع والتهجير والاستيلاء والسجن والاستعباد حيث تعالت اصوات الشاعر عبر ابياته معلنة البحث عن الحرية ورفض القيود مطالباً من الناس الوقوف بوجه الحكم انذاك والتعبير عن حرية الرأي والتحرر من جميع قيود الحكم الجائر إذ الشاعر في قصيدته قد عبر عن رفضه للحكم وعدم الانصياع والخنوع امام احكام السلطة فكان النغم الموسيقي لها نغماً ثائراً يصدح عالياً لينقل الواقع العراقي المرير المليء بالحرمان والاستعباد عبر ابيات امتلأت بالصور الشعرية الواقعية، بدأت بها الذات الشاعرة تقطع او اصر التواصل الفكري بينها وبين الاخر (الحاكم) محاولة استبعاده والثورة عليه ونفيه من وجودها معلنة للناس ذلك الاستهجان والرفض لكل ما يصدر من الاخر متعالية عليه في نسيجها الشعري، فأن ولادة نص الحداثة الشعري اصبح يتضمن قطبين متصارعين هما الذات والعالم أو الواقع فالنص الحداثي لا يبدأ من العزلة أو الفراغ بل في نطاق من العلاقات ترسم بين الشاعر والعالم أو الواقع بتعارض مفرداته وتعقد علاقاته (الحميري، عبد الواسع 1999، 6)، لذلك نجد الشاعر يلجئ الى التكرار في تعزيز الرمزية للتحرر والثورة من الالم، فنراه يكرر (الآه) مشكلة مع نقاط الحذف عبارة بليغة تحمل نبرات من الوجد العميق الذي لا يمكن للتشكيل اللغوي ان يملئها، فما لحقها من تشكيل بصري متمثلاً بنقاط الحذف تفسح المجال للمتلقي في الغوص والولوج الى عالم الشاعر والعيش في اجواء انفعالاته النفسية فهنا نجد في تكرر العبارة (آه...) بمعدل تراكمي ثلاث مرات وبصورة متتالية تكثيف للحدث في بنية القصيدة واتساع الفضاء السردي بصورة لامتناهية تشد المتلقي في عوالمه توسع له عالم التوقع ليملئ الفراغات المتتالية بما يخيل إليه.

لم يكتف الشاعر في ترداد الاله بل تعداه الى تكرار بعض العبارات التي كان لها اثر نفسي عميق في داخله وهي صورة من الواقع المعاش والذي كان يعيشه الشاعر ويواجهه كل يوم في بلده فأخذ الشاعر يكتف المشهد الشعري ويحفزه في نفوس متلقيه متلفظاً نبرات حادة صادحة باستفهامات متكررة ساخرة للوضع المزري فيقول:

لماذا:

تمتّع الرؤيا...

ينصّلتُ السيف

هل كانوا اعداء الحكم

أم اعداء النزعة والمذهب

ولماذا:

لو كانوا اعداء في الحق (حيدر، جميل 2009، 31-32)

فالشاعر في هذا المقطع الشعري يستفهم لماذا تقمع احلام الناس ويحدّ السيف على رقابهم هل هم كانوا اعداء الحكم الظالم أم اعداء المذهب الذي اتخذته السلطة انذاك أم اعداء للحق فيقيمون وتقمع احلامهم ومع ان الشاعر يعلم الاجابة عن كل تلك التساؤلات الا انه يحاول عبرها ايصال رسالة يستنهض فيها همم الناس ليقفوا بوجه الظلم، ثم يعاود الشاعر مستفهماً مازجاً استفهاماته بنوع من السخرية جراء ماتقوم به الحكومة من محاربة الناس في قوت يومهم وتجفيفها المياه على الاراضي الزراعية وتهجير ساكنيها بما فيها تجفيف هور (الحمّار) فنراه يقول ساخراً:

ومساكب مياه النبع الأزلي

مَنْ قَتَنَ أَنْظَمَةَ الْكَمْ؟

فلسفَ فيضَ خصوبتها

بدّلَ حالةَ دُنْيَاهِ

أطفأ نارَ قِراهِ

لماذا حول مجراها؟

هل كان الحرصُ على الزرع

أم كان الحرصُ على البشر

لماذا تشطب من خارطة الماء

بحيرة هور (الحمّار)

(.....)

لكان الحرص عليها أفضل (حيدر، جميل 2009، 32-33)

يتضح في هذين المقطعين الشعريين للشاعر في القصيدة ذاتها وتكرار العبارات فيها تأكيداً على سلطة الحكم الجائرة واستعمالها شتى أنواع السياسة القمعية اتجاه الشعب فإن " اللحظة التي تتساءل فيها الذات هي لحظة مفارقة واستغراب بين الواقع المُعاش وواقع الحاكم أو السلطان الذي يصطفي لغيره مجتمعاً سوداويّاً من أجل أن يحيا في عالمه المُتخيّل أو الخُلمي، الذي يتصف بالانغلاق، والخلو من عوامل البوح الذاتي؛ إذ يُجبر فيه الإنسان أن يعيش رؤية الحاكم، التي تكون محكومةً بالموانع، والدلالات المُستلبّة" (حسن، علي 2017، 143)

ويعود الشاعر في مقطع اخر الى اللجوء للتكرار المتعمد بغية تصعيد الموقف الدرامي داخل السرد الشعري وتساعد الايقاع الموسيقي المنبعث من انفعالات النفس الثائرة المتألّمة يذكر في مقطع شعري للقصيدة نفسها:

ماسرٌ معاناة الكلّ

البعض يموت بحجره

والبعض يموت على حرف

والبعض يموت بتمرين

والبعض يموت ولا يدري..؟ (حيدر، جميل 2009، 33)

فقد كرر الشاعر عبارة (البعض يموت) بمعدل تراكمي أربع مرات متتالية مترابطة فيما بينها ليكون وسيلة حجاجية مستعملاً فيها الشاعر الفعل (يموت) المضارع دلالة على تجدد الموت وحركيته في مجتمعه كل يوم مرتبطاً بالعضوية دلالة على تقسيم الموت على فئات عدة فالموت يتوزع في

مجتمعه على وجوه قسمها الشاعر عبر ابياته الاربعة المتتالية إذ الموت هو المحور الاساس في هذا المقطع الشعري فهو يعد مركز الدلالة التي عملت على التماسك النصي.

ثانياً: - التكرار الجزئي

يمثل التكرار بشكل عام وجهاً من أوجه الترابط النصي على مستوى النص بصورة عامة، وقد جسد التكرار الجزئي احد انواع الترابط النصي داخل النص، مما يمنح النص سمة التنوع والتلون في الصيغ الاشتقاقية للمفردات فينفي عن النص سمة الرتابة (شبل، عزة 2007، 145)، فالتكرار الجزئي هو " الاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي كاستخدام مادة ضير في قول الشاعر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير؟! " (عبد المجيد، جميل 2003، 146)

فالتنوع الحاصل في مادة (ضير) وتكرارها باشتقاقات مختلفة أدى الى اغناء البيت الشعري بموسيقى خاصة وإيقاع نغمي متلون مترابط في آن واحد، وهذا النوع من التكرار ورد كثيراً لأن "الشاعر المعاصر يعمد عمداً إيرادياً الى انتخاب حروف تتكرر بعينها في كل بيت يحدث تكرر لها اصوات وإيقاعات موسيقية معينة، ويعمد كذلك الى تكرار كلمات بعينها يتخيرها تخيراً موسيقياً خاصاً لتؤدي بجانب دورها في بناء الصورة الشعرية الى توفير إيقاع موسيقي خاص " (عبد الرحمن، ابراهيم 1981، 132) ومن امثله في قصيدة طريقي ما قال فيها:

أو تساقى من غمام

فأنا مسوقٌ.. راغبٌ فيما أساق

ليس منه مهربٌ

فيما نُحْتَمُّه المسيرةُ في السياق

إليه مرجعنا جميعاً

أفأستطيع خلاص نفسي

كيف ذلك..

من سواي قد استطاع (حيدر، جميل 2009، 47)

استعمل الشاعر في هذا المقطع من القصيدة ألفاظاً ذات أصل لغوي واحد وهي (تساقى - مسوق - أساق - سياق) و (استطيع -استطاع) فإن هذه الالفاظ وتنوعها عبر الاشتقاقات المختلفة منحت الابيات جرساً ممتع وأنيق ساهم في اتساق الوحدة البنيوية للقصيدة وتنقل المتلقي بين أبنية لغوية متنوعة تبعث في داخله نوعاً من التجدد في الدلالة فدلالة كل واحدة منها تختلف عن الاخرى وأن كانت جميعها تعود الى الجذر اللغوي (سوق) والذي دلالاته الاصلية هي التابع من "ساق الابل سَوْقاً وسِيقاً وقد انسأقت الابلُ وتسأوقتُ تسأوقاً إذا تتابعتُ والمُسأوقَةُ المُتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً" (ابن منظور د.ت، 166/10) أما في الجذر اللغوي (استطيع -استطاع) فهي تعود الى الثلاثي (طوع) أي أقرّ طائعاً وفعل ذلك طَوْعاً وطواعية.

وفي مقاطع أخرى من القصيدة نفسها نجد الشاعر يوظف التكرار الناقص حيث جرت الالفاظ فيه وفق نظام هندسي وظيفي يخدم غرض القصيدة وهو بيان النزعة الدينية لدى الشاعر وتوظيفها في قصائدها وانعكاس ثقافته الدينية في العديد من اشعاره وتأثره بالدين الاسلامي فنجده يقول:

الرسول هو المحجّة.. والدليل

بكل حين

هكذا يختاره العقل المسلّح بالرجاجة..

والسلامة.. والضمير

هكذا الاسلام جاء مكملاً

لمسيرة التوحيد في خير اختيارٍ للرسالة

والرسول...

يستريب...

يعود..

يسمع.. مايقول الوحي.. اقرأ

هكذا احتمل الرسول صدى البشارة

ثم غاب على ارتعاش من صداها

في انتشاءٍ من عزيمةٍ جلوةٍ الايحاء

عاد إليه يخشعُ

من الذين تنفسوا فيه الخلاص

خف البعض سمعاً

ثم رفضاً..

ثم بغضاً.. !!

ظل همُّ الخوف يغلي في نفوس المشركين

يستقرُّ الكفرُ فيهم

صار غاباً من شجار

كان لابد الخلاص

ولاخيار سوى الخلاص

النفوسُ تنسمت عبق الثمار

بدأ البناء الأسروي

يمدُّ أجنحة المنازل

سافرت فيه المأذنُ عبرَ نافذة الحدود

كان لطف الله عافية المسيرة

والرسول

كان بالخلق المصقّى.. والعشيرة.. والصحابة

زهو مسراها المجدّ

كان بدء السير يستهدي الطريق

بضوء هادية الرسول

هكذا امتدت بأمجاد الفتوح.. ورفّ بيرقها

بعون الله..

والهّدي الرسالي المؤزّر بالصحابة..

ثم شب الاختلاف على اختراق الائتلاف

ظل مسرى الدين منشطر المحجة

بين رسمي الولاء

وبين من صانوه روحاً

بالدراسة. والحديث

بالتمدرس فيه نهجاً

حيث كان الاختلاف

ظلّ ريب النفس يبحث عن بصيص الاهتداء

من ترى غير الأئمة من قريش

يحفظون شريعة القرآن حكماً

أو بتأويل يسيرُ النصُ فيه مع السياق

هم معاناة الرسول

يتجلى لمتلقي النص الشعري توفيق الشاعر بين الالفاظ داخل البناء الشعري وانتقاه الصيغ اللفظية بصورة غاية في الدقة تبرز لنا مدى تمكنه في ريادة الشعر وتلاعبه باستعمال الكلمات مما يبعث في نفس المتلقي نوعاً من المتعة والاستئناس في تلقي النص الشعري فتكرار عدد من الالفاظ بصيغ متنوعة وهي (الرسول – الرسالة – الرسالي) و(مسيرة – ومسراها – مسرى – يسير) و(تنفسوا – نفوس – النفس) و(دراسة – تدرس) فكل مجموعة من الاشتقاقات المتنوعة والتي اغنت النص الشعري بموسيقى داخلية تفاعلت مع الابعاد الجمالية والدلالية التي تبعث نوعاً من الائتلاف والتناسق للنغم الموسيقي المتتابع للابيات الشعرية، وعند التمعن في ابيات القصائد ينكشف ان الشاعر يتخير المفردات ويوظفها بما يماثل السياق الكلي ليحقق الاغراض الدلالية المرجوة في ذلك التوظيف إذ غلبت الصيغة الاسمية في التكرار الجزئي داخل القصيدة لمايدل على الثبوت ورسوخ العقيدة الدينية لدى الشاعر.

كان لقصائد الرثاء مجالاً رحب في قاموس الشاعر إذ ينقل في قصائده الرثائية التأبينية علاقته مع الآخر المرثي وذكر الاخير وما يتسم به من صفات أثرت في ذات الشاعر حتى نراها يمتزجان معاً لما بينهما من صلة وثيقة فتمتاز قصائده بالعاطفة الصادقة وعمق الاسى و مشاعره الفياضة المليئة بالحزن والوفاء لتلك العلاقة التي تربطه بالآخر، فكان خير سبيل الى نقل تلك المشاعر هو اللجوء الى اسلوب التكرار باعتماده بصورته الجزئية شحذاً للموقف الشعري ونقلاً للمواقف الوجدانية التي تفيض حباً ووفاءً، ففي قصيدته (ذكرى الشاعر رقيب أحمد) يقول:

قيل أن يطفئ السراج الغناء

كان يدينه للفناء انطفاء

فَنَنْ ناسكُ الرواء يشفُ

الظلُّ منه وتشرقُ الانداءُ

فجاءةً شابتَ النظارةُ فيه

فالتوى الظلُّ واستبيحَ الرواءُ

قد تراه على مزاجٍ غريبٍ

يتراءى كأنه استعدادُ

أيراه البعيد رؤيا سرابٍ

فيماري وضوحه الأنطواءُ

كان نهراً يرى وكان ضباباً

وبهذين يحكمُ الغرباءُ

مرهفاً كان يستفيضُ نقاءُ

والنقاءُ الرهيفُ حسُّ مضاءُ

في المعاناة والعروبة والأنسان

يجري بكاؤه والغناءُ

يجافي حدَّ الخصومةِ وجهَ الز

يف حتى أضر فيه الجفاءُ

وإذا بالحروف أسرابُ طيرٍ

والقوافي حمائمُ بيضاء

لأنتماءِ الخلود شتى المعاناة

وبالله يشرق الانتماء

أيها المنتمي لمرفك الثاني

هنيئاً فقد زهى الميناء

إذ نجد الشاعر في هذه الأبيات الشعرية المقطعة من القصيدة ينوع في البنى اللغوية للالفاظ تأكيداً للمعنى ونقلاً للصورة الشعرية إذ استعمل الشاعر العديد من الالفاظ والتي تأسست فيها ظاهرة التكرار مع التجديد بالصيغة فنرى هذا التنوع للصيغ مع تكرارها يجعل القارئ في حالة تواصل مستمر للدلالات والصور المبتغاة في القصيدة ولو لاحظنا تلك الابنية نجدها تكررت بين الفعل والمصدر لما في كل منهما احياءات فنية، فكل تكرار في القصيدة يعدُّ مؤشراً لفظياً ودلالياً، فمن الجانب الشكلي نجد ان الالفاظ المتكررة بمعدل ثماني عشرة مرة اثنان منهما خرجا عن التكرار الجزئي في البنية اللغوية وتم في العلامة الاعرابية وهذه الالفاظ هي: (يطفىئ / إنطفاء) و(الرواء / الرواء) تكرار ناقص بالحركات) و(تراه / يتراءى / أيراه / رؤيا/ يرى) و(مرهفاً / الرهيف) و(نقاء / النقاء) تكرار جزئي بالحركات الاعرابية) و(يجافي / الجفاء) و(لانتماء / الانتماء/ المنتمي / الميناء)، فأن الشاعر ركز على هذه الالفاظ دون غيرها لتقوية الجانب النفسي الحزين تجاه الآخر المرثي وما تسهم به في تلك الالفاظ المكررة في انسجام القصيدة وترابط الابيات والالفاظ عبر الاحالة التكرارية بشكلها الجزئي وبهذا تظهر لنا بنية القصيدة متماسكة منسجمة عبر سلسلة الالفاظ المتنوعة والتي تنتمي الى جذر لغوي واحد يربطها جميعاً.

ومن القصائد التي مثلت هذا النوع من التكرار ما نراه في قصيدة (مواسم التمثيل) التي القاها في مهرجان مريد البصرة عام (1977م) اعتمد الشاعر فيها على تكرار بعض الالفاظ مركزاً فيها على دلالة الكلمة ووتقلباتها داخل القصيدة وما تشعه من أثر نفسي وجمالي في البناء الهندسي للقصيدة بما يلائم غرضها، يقول فيها:

في وجوه أبهرتها رقصة الحرف على عزف الغرابية

هل تناغمت مع اللون المبرمج

بين وجه أكلت ألوانه الرؤيا

ووجه قد تنضج

ستولي مثلهم شطر وجوه الأغنية

أقرأت الأوجه المحتفلة

كيف تحمّرُ انفعالاتٍ جديدة

تستدرُّ الوهَجَ المسلوب

تبكي

تنشرُ الأسلابَ من أجل قصيدة

أتعرفت على أوجهنا المفتعلة

تلك ضحضاحةٌ قاعِ الأمس مازالت نديّة

تتنزى في وجوهٍ مُشرئباتِ الطويه

ونسُميها برغمِ الوحلِ احجاماً سويّة

مازالت وجوه المسرحية

نمتطيها ليصير الشوك غصناً

ثم صرحاً

أو يعودُ المنبَعُ السلسال... ملحاً

ونواري

وجهه

الشاخص

فينا...

حينما اصحَرَ وجه الجوع. واستنفر اسراب الدماءِ

صارت الارض رغيفاً

والسما خفقة ماءِ

ثم أنضى جوعه ناباً

ومحّ الحقدُ فيه

لائئاً كل ينابيع الطباعِ

أغريب

أن تر الاوجه فينا

تلتقي لطفاً وليناً

ولدى أول صدمة

يستحيلُ اللطفُ نصلاً

انتظمت الفاظ القصيدة بنسق هندسي معين امتاز بنوع من التجديد والابتعاد عن الرتابة المعروفة في القصائد الشعرية الحديثة قاصداً إلى نظم الشعر بواسطة استعمال المفردات وبيان دلالاتها المختلفة لتكون الصورة الفنية لشعره تضمّ الآليات التي تسهم وتسهل له عملية التواصل بينه وبين متلقي النص.

ومن الآليات التي اعتمدها الشاعر استعماله التكرار بشكله الجزئي لبعض المفردات وتكرارها بما يتلائم مع جو القصيدة والغرض الذي نُظمت له فنجد تكرار كلمات بعينها داخل المقاطع الشعرية هي (وجوه، وجه، الأوجه، أوجهنا) واستمرت هذه الالفاظ على مدار القصيدة من بدايتها الى نهايتها، كما استعمل الفاظٍ اخرى منوعاً في اشتقاقاتها منها (المسلوب، الاسلاب) (ينابيع، منبع) (الجوع، جوعه) هذا النوع من التكرار للمفردات بشكله الجزئي جاء نقلاً لصورة جعلها الشاعر كرد فعل للنظم العمودي للقصائد والابتعاد عن هذا اللون والتجديد في نظم القصائد الشعرية، فاعتمدت القصيدة نظام المقاطع، وكل مقطع عنصر داخل بنية، تعبر عن رؤية شمولية ذات دلالات عميقة، جاءت هذه المضامين متمردة على تقاليد القصيدة العربية القديمة، متجاوزة لأغراضها التقليدية، يمكن أن تبار

مجتمعة في نواة دلالية مفادها التعبير عن نفسية الشاعر الكئيب الوحيد والتأثير في المتلقي، فدعمت وحدة القصيدة العضوية هذه النواة الدلالية، فلا يملك كل بيت قيمته إلا من خلال الذي يتقدمه والذي يليه (العابد، عبد المجيد 2009)، فالتكرار بصورته الجزئية تعطي منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة وتمنح النص الترابط المفهومي لأن احد العناصر المكررة يسهل فهمه فهم الآخر المكرر (حسان، تمام، 1998، 306)

ولو اطلنا النظر قليلاً في الايقاع الداخلي للقصيدة وتكراره للالفاظ دون غيرها لما فيها من دلالة النقض لكل ماهو قديم والوقوف بوجهه مساهمة في التأثير في المتلقي وخلق جو موسيقي يرتبط بغرض القصيدة ونقل المتلقي الى عالم الشاعر وما يمر به من حالة شعورية وصنع جو نفسي.

ثالثاً: التضاد

برز التكرار كصورة شاخصة للتماسك النصي في المنظومة الشعرية لجميل حيدر، فكان من وسائل الربط القائمة على اساس إعادة اللفظ وحكمه بعلاقات لغوية قائمة بين اللفظ والمعنى، إذ يقوم التكرار الدلالي بالترابط النصي بوساطة علاقات التضاد القائمة بين الالفاظ.

التضاد ظاهرة بارزة استأثرت اهتمام الدارسين والنفاد حتى وقفوا عندها موضحين الاثار التي تلحق النص الادبي بما يحتويه من متضادات ثنائية وما لها من قيمة جمالية، فإن " الجمع بين المتضادين أي بين معنيين متقابلين " (القزويني، تح: ابراهيم شمس الدين 2003، 255، الجرجاني، تح: محمد صديق المنشاوي، د.ت، 55) يعدّ نوعاً من انواع التكرار الدلالي التي تسهم في الربط المعجمي بواسطة اعادة اللفظ بصورة النقيض والمقابلة بين عنصرين داخل النص، و خلق جوا ايقاعياً موسيقياً في تشكيل الصورة الشعرية أكدها عبد القاهر الجرجاني (471هـ) بقوله: " وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب، ويريك التمام عين الاضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والنار والماء مجتمعين كما يقال في الممدوح هي حياة لأوليائه، موت لأعدائه ويجعل الشيء من جهة ماءً، ومن جهة أخرى ناراً" (الجرجاني، تح: محمود شاعر احمد، د.ت، 5)، إذ أن قيمته " الاسلوبية تكمن في نظام العلاقات الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين وعلى هذا فلن يكون له أي تأثير مالم يتداع في توالٍ لغوي " (القزويني، د.ت،، وقد برز هذا النوع من التكرار في اشعار جميل حيدر فكان للتضاد فيها قيم متنوعة منها اجتماعية تظهر على لغة الشعر وصورته الشعرية لتأثر الشاعر في البيئة المحيطة به ومنها ايقاعية بما تشعه من نغم موسيقي يؤلف بين المتباينات وقيمة جمالية بما تخلقه من صورة بصرية للمتضادات داخل الصورة الشعرية التي ترمز الى الاستمرار والتواصل في فضاء دلالة النص الشعري وصورته.

ومن التضاد في شعر جميل حيدر ما يظهر في قصيدة (يتيم المعازف) التي القيت في قاعة اتحاد ادباء الناصرية تكريماً للشاعر رشيد مجيد يقول في بعض من مقاطعها:

بشيخهم الذي اضحى غلاماً

جميل: أن تضيء الكأس شيخاً

وثرجعه غلاماً مستهماً

ويستهدي من الاولى الختام

وينتظم الخريف به ربيعاً

يماري الال أين صحا و غاما

ليشربه فتستضري عليه

برغم الحقد ينشدها السلام

(رشيد) بالاخاء السماح فيما

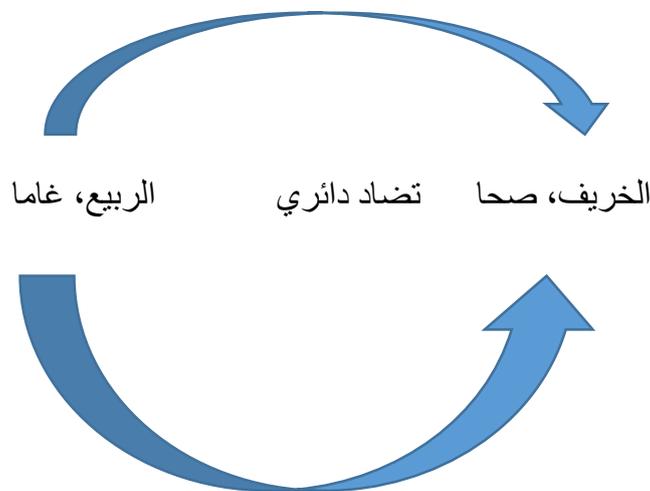
الفناه اختلافاً وانسجاماً

ركن الشاعر الى تقنيات التضاد في عرض فكرته في قصيدة (يتيم المعازف) إذ استطاع بواسطتها نقل صورة حية دينامية عبر قطبين متضادين متفاعلين فاض المشهد الشعري فيها بالصور المتقابلة عبر الحركات والانزياح وما يكونه تأثيرها في الاخر من انفعالات نفسية.

أن التناقضات البارزة في الابيات الشعرية وهي (الشيخ، الغلام) (الاولى، الختام) (الخريف، الربيع) (صحاء، غاما) (الحقد، السلام) (اختلافاً، انسجاماً) نجدها تحمل دلالة الاختلاف والتباين في المعنى، فالتضاد الاسمي الاول (الشيخ، الغلام) نجد الشاعر كرره بصورتين شعريتين توحيان كل منهما في عرض صورة الاخر (الشاعر رشيد) وتحوله من مرحلة الشيخوخة والكبر وحالة الوهن

والعجز الى مرحلة الشباب والقوة فالشيخوخة هي ضد للشباب وهنا الشاعر ينتقل عكسيا في نقل الحدث عبر الصورة الشعرية من الشيخوخة الى الشباب، وان هذا الانتقال في التضاد الاول عمد اليه الشاعر مع مايتلوها من متضادات اسمية تحولنا تباعاً من دائرة الضعف الى دائرة القوة والمقصد الخفي في عرض المشهد الشعري وتكثيفه دلاليًا ما هو الا إشارة الى اشعار الشاعر رشيد وما تبعته من نشوة في متلقيها ويمكن ان تندرج هذه المقابلة الثنائية ضمن مايسمى بالتضاد الحاد، وهو تضاد ثنائي لايقبل خياراً ثالثاً الواحد فيه ينفي الآخر والذي قد يولد في بعض الحالات علاقات رباعية نحو الانسان بالغ وغير بالغ، والبالغ رجل وامرأة، وغير البالغ ولد أو بنت (الخولي، محمد علي 2000، 117-118) فالشيخ والغلام هو تقابل حاد تكاملي فالشيخوخة تنفي الشباب، ومن بدء الحكاية والحدث الى نهايته هو ايضاً تضاد تكاملي حاد فالختمام ينفي البداية وهو بذلك يستكمل الصورة الشعرية في المشهد الشعري الاول إذن هو "اجراء" يقوم به الكاتب ليضفي الشمولية على معنى ما وذلك باظهار الشيء ونقيضه" (الفرج، حسام 2009، 142).

الانتقال الزمني من الخريف الى الربيع يرتبط في صورته الشعرية بالتضاد الاول (الشيخ، الغلام) والثاني (الاولى، الختام) وكأن الشاعر يعرض لنا في ايقونته نوعاً من التدرج الشعري في المشاهد المتسلسلة المترابطة حيث تكمل المشاهد الشعرية بعضها البعض مع التصاعد في التكثيف الدلالي ولو لاحظنا العلاقة القائمة بين ثنائية (الخريف والربيع) (صحا غاما) هي علاقة دائرية إذ تتعاقب الفصول دائرياً الواحد بعد الآخر ويتجدد كل فصل بناءً على موقعه في الدائرة ونوع العلاقة فيها هي تضاد دائري سواء كانت مجاورة لها أم لم تكن مجاورة (الخولي، محمد علي 2000، 123) وكما هو موضح في الترسيم:



فما تحمله دلالة الربيع من النماء والخضرة والازهار المتفتحة التي تتساقط عليها قطرات الندى متجانسة مع مشهد الغلام في ريعان شبابه وكأنه برعم قتي مناقض للخريف الذي يأذن بذبول الاوراق وسقوطها تدريجياً بعد ان تتحول من اللون الاخضر الى اللون الاصفر تدريجياً متألفة مع مشهد الشيخ الكهل الذي لا يقوى على حمل نفسه.

وينتقل الشاعر في مقطوعته الشعرية متنقلاً بين ايقاعات التضاد الموسيقية عبر بُنى لغوية تركز على ديسبوتاتايوس التماثل والتقابل بما تقرره طبيعة النص الشعري من هيمنة هندسية تمنح النص قيم جمالية واسلوبية عليا تفيض بايحاءات دلالية تمتزج فيها البنيتين السطحية والعميقة ممتزجة مع الايقاع الخارجي والداخلي للنص.

أما في التقابل ما بين (الحقد، السلام) (اختلافاً، انسجاماً) يعمد الشاعر الى تلوين قصيدته بانواع من التضادات فهو في هذه المقابلة الضدية نراه يلجئ الى التضاد المتدرج ما بين الثنائيات فكل ثنائية تنفي الأخرى وعلى طرف نقيض منها لكن بينهما درجات (الخولي، محمد علي 2000، 120)، فالحقد يتدرج شيئاً فشيئاً وهو على نقيض السلام الذي يندرج في هيكله تصاعدياً للوئام والحب ومثله الحال في المقابلة الاخرى لثنائية الاختلاف والانسجام التي تتدرج على طرف نقيض لكل عنصر من عناصر الثنائية، مشكلاً التضاد فيها احد العلاقات الدلالية التي تتم عن طريقه تشكيل قضايا كبرى في مستويات النص المتتابعة (الفرج، حسام أحمد 2009، 142).

كان التضاد اداة فنية ارتكز عليها جميل حيدر في شعره ليعبر بواسطتها عما يدور في الذات الشاعرة من مشاعر متناقضة داخلها او بينها وبين ما يحيط بها في المجتمع فكان التضاد احد الاليات الفاعلة في التصوير الشعري وبيان الطاقة الشعرية والتفاعل القائم بين النص والمتلقي، عبر ما يحققه التضاد في وروده داخل النص من الانسجام الدلالي، فهناك عمليات مكثفة تتم داخل بنية التضاد في العمق بحيث تنفي التنافر الخارجي وتحل مكانه في الداخل تناسباً يفضي الى دلالات النص الشعري التي تغمض وتدق فتوسع المجال لقراءات متعددة تغني النص، وتكبر قيمته الفنية والفكرية (حسن، بنو عامر عاصم محمد امين 2000، 39) ومن النصوص الشعرية الاخرى التي كانت بنية التضاد واضحة فيها قصيدة (اشراقة) يقول فيها:

ماكنت مؤتلفاً برشدي

في كل ما أخفي وأبدي

حتى خطوت على مصيفٍ

كان من جناتٍ خُلدٍ

فكأن حسنك حلمةٌ

المطلولُ في صحوٍ وسهدٍ

نهر الأناقة يستحمُ

عليه من خضلٍ وصلدٍ

ان النص الشعري بما فيه من اختلافات وتناقضات فهو يحمل قيمة فنية وصورة بديعة شكلتها الالفاظ في قوالب شعرية قدم فيها الشاعر متضادات صورت حالته النفسية فقام الشاعر بمزج الاضداد لتظهر بصورة غاية في الروعة لوصف حالته وما يكتنفه من مشاعر الحب والوجدان وما تحمله تلك التناقضات المجموعة من تكثيف وايحاءات دلالية تأسر المتلقي عبر انزياحها وكسرها لأفق توقعه، إذ تكمن جمالية النص الشعري بما يحتويه من تضاد "فإذا ما تغلب التماثل على الاختلاف فإن الرسالة ستفقد معناها ولن يبقى الشعر لغة" (كوهين، جون 1986، 96)، يكشف التضاد عن حالة للشاعر في ثنائية التضاد الفعلي (أخفي، أبدى) التي لا يمكن الجمع بينهما لأن وجود احدهما يقتضي غياب الاخرى إذ الخفاء هو الستر والكتمان و الغطاء وجميعها تدل على الخفاء التي عبر عنها الشاعر بدلالة الفعل (أخفي) أما (أبدى) فهو الاظهار والاعلان والاجهار والكشف.

ويبدو ان كلا الفعلين نقيضان لايجتمعان في وقت واحد إذ يستحيل على الفرد ان يجمع بين الحاليتين في آن واحد وان هذا التناقض والمقابلة هي تصوير لحالة الشاعر وما يبدو عليه في فترة من فترات حياته التي مر بها وهي لحظة التناقض فاراد الشاعر ان يصور لنا حالته الوجدانية ومايمر به من التناقض الذي لم يكن مألوفاً لذات الشاعر بين اخفاء مشاعره اتجاه الحبيبة وكتمانها أو إظهارها والبوح بها.

ينتقل الشاعر من ثنائية الى اخرى في قصيدته (اشراقة) فنراه يجمع بين كلمات متناقضة ليمنح النص نوعاً من الايقاع الموسيقي المميز الذي ينتقل به بين (صحو، سهد) و(خضل، صلد)؛ كما يلجئ الشاعر الى نوع من التصوير الفني عبر تقنيات البلاغة من التشبيه والاستعارة إذا استعار الى النهر احدى خواص الانسان وهي دلالة الفعل (يستحم) وان هذا النوع من التشبيه والاستعارة المكنية

وجود الثنائيات المتقابلة جعلت القارئ في حالة من الدهشة التي تحفزه لاستكمال تتبع كلمات النص الشعري ومحاولة فك جزيئاته المتناقضة شكلياً وجمعها دلالياً إذ عمد الشاعر في ذلك التصوير الابداعي واللقطات الشعرية بما فيها من تجسيد بارز على سطح النص اشراك المتلقي في عملية انتاج النص وفك اسراره و فهم مايكنتهه من غموض وماهي تجليات الرؤيا عند الشاعر وصراعاته النفسية.

النتائج:

- 1- عدُّ التكرار عند الشاعر من الظواهر الاكثر بروزاً، إذ شكل التكرار عند الشاعر احد الوسائل النصية في الربط والتي تغني النص بالاتساق والانسجام.
- 2- كان التكرار عند الشاعر احد الاشكال التعبيرية والفنية التي مكنت الشاعر من فرض هيمنته على البناء الهندسي للقصيدة وملائمتها للسياق النفسي والجمالي عبر الجمل المتكررة التي تحمل في تكرارها قوة التعبير وابداعه.
- 3- عمد الشاعر التركيز على التكرار بانماطه في قصائده والاعتماد عليه لاغناء الصورة الشعرية واكتناز النص الشعري بنوع من الايقاعات اللامتناهية مع كل إعادة عنصر لغوي في داخل النص والذي يقوم بدوره في تكثيف المشهد الشعري وعدّه المحور الأساس الذي تقوم عليه الابيات الشعرية فكان لأيقاع التكرار مكاناً بارزاً في شعر جميل حيدر حتى عدّ سمة جمالية أسلوبية في قصائده.
- 4- وصل الشاعر بواسطة التكرار الى مرحلة الاقناع والتأثير في المتلقي من حيث انتقاء المفردات المكررة والعبارات التي ساهمت على توضيح الفكرة المحورية للنص الشعري بواسطة التكرار فكان الاقناع اهم محور عمل عليه الشاعر في البناء الشعري.
- 5- ان تنوع التكرار في قصائد الشاعر جاء ليحاكي الحالة النفسية ومايعيشه الشاعر من تجارب حية لذلك كان عمل التكرار في البناء الشعري يسير على جانبيين الجانب الاول الخارجي وهو جانب الايقاع أما الجانب الاهم وهو الجانب الداخلي لذلك جاء التكرار متجانساً مع مافي نفس الشاعر من مشاعر واحاسيس اراد التعبير عنها عبر مقاطع شعرية.
- 6- ان تكرار بعض الالفاظ وشيوعها في قصائد الشاعر لما تحمله من دلالات خاصة وتنوعها في بُنى مختلفة مشكلة لنا قوالب لفظية تدل على معنى واحد.

7- ان تكرار العبارة عند الشاعر كان مساراً للفهم النصي للقصيدة وايصال فكرة الشاعر والتأكيد على اللحظة الشعورية التي يصورها الشاعر بالاضافة الى التوازن الايقاعي.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- الجرجاني - تح: محمود احمد شاكر، اسرار البلاغة: دار المدني – جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، د.ت.
- 2- القزويني - تح: ابراهيم شمس الدين، الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتب – لبنان – بيروت 2003، ط1.
- 3- القزويني: الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، د.ت، د.ط.
- 4- الجرجاني: تح: محمد صديق المنشاوي، التعريفات، دار الفضيلة، د.ط.
- 5- كوهين، جون، بنية اللغة الشعرية، دار توبقال، ط1، 1986.
- 6- مفتاح، محمد، دينامية النص (تنظير وانجاز)، المركز الثقافي العربي، ط2 حزيران 1990.
- 7- الفرّج، حسام احمد. رؤية منهجية في بناء النص (نظرية علم النص) مكتبة الاداب- القاهرة، ط2- 2009.
- 8- العابد، عبد المجيد، سؤال الذات في الشعر العربي الحديث (قصيدة غرفة الشاعر) لعلي محمود طه مثلاً، جريدة طنجة الادبية 2009م.
- 9- شبل، عزة، علم لغة النص النظرية والتطبيق 2007.
- 10- حسين، جميل عبد المجيد، علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية (بحث منشور) 2ع، 2003.
- 11- الخولي، محمد علي، علم الدلالة (علم المعنى) دار الفلاح للنشر 2000 م، الاردن، ط2001.
- 12- تر: حسان، تمام، النص الخطاب الاجراء، عالم الكتب، ط1، 1998.
- 13- امين حسن، بنو عامر عاصم محمد، لغة التضاد في شعر امل دنقل رسالة ماجستير، 2000، كلية الاداب /جامعة اليرموك، موقع اربد

- 14- حبيب، حيدر و محمد، صادق، التكرار واثره في تماسك النص، مجلة اوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثني، العدد 2/، مجلد/11، 2018.
- 15- ميلود، نزار، 2010، الاحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدماء والمحدثين (بحث منشور)، مجلة علوم انسانية ع44، شتاء 2010 السنة السابعة.
- 16- مصلوح، سعد عبد العزيز في البلاغة العربية والاسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، ط1، 2003.
- 17- القرطاجني، ابي الحسن حازم ت684ه تح: محمد الحبيب بن الخوجة، منهاج البلغاء وسراج الادباء دار الغرب الاسلامي – بيروت، ط3 1986.
- 18- شورون، جاك: تر: كامل يوسف حسين، الموت في الفكر الغربي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، 1984 م.
- 19- علي السيد، عز الدين، التكرير بين المثير والتأثير عالم الكتب، ط1-1978م.
- 20- عبد الرحمن، ابراهيم، قضايا الشعر في النقد العربي. دار العودة، ط2، 1981م.
- 21- عبيد، علي حسن، المشرف: لطيف عارف، مصطفى، الذات والآخر في شعر جميل حيدر (رسالة ماجستير):، جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الانسانية، 2017م.
- 22- خالد سليكي: من النقد المعياري الى التحليل اللساني (بحث): عالم الفكر، ع1-2، 1994.
- 23- ابن منظور، تح: علي الكبير، عبد الله و حسب الله، محمد احمد و الشاذلي، هاشم محمد، لسان العرب. د.ط.د.ت.

اللسانيات القانونية وأهميتها التطبيقية

Legal Linguistics and its Applied Importance

إعداد الباحث:

أحمد بن خضر ذاخر المالكي؛ ماجستير لغويات تطبيقية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

Ahmed AlMaleki: MA in Applied Linguistics, Umm Al-Qura University,
Kingdom of Saudi Arabia

المُلخَص:

هدف هذا البحث للتعرف على أهمية اللسانيات القانونية التطبيقية، واشتمل البحث على بحثين، تناول الأول أبعاد مصطلح اللسانيات القانونية، واستعرض الثاني أهمية اللسانيات القانونية التطبيقية.

استخدم الباحث المنهج الوصفي وتوصل البحث إلى النتائج، أهمها أن اللغة القانونية تسعى إلى تحقيق الاتزان المجتمعي؛ حيث إنّها - مثل أية لغة - ذات وظيفة اتصالية بين أفراد الجماعة القانونية بعضهم البعض من جانب وبين السلطة التشريعية وأفراد المجتمع من جانب آخر؛ لذا تحمل اللسانيات القانونية على عاتقها عملية بيان وتفسير اللغة القانونية، واستخلاص سماتها، وبيان وظائفها، ووضع مصطلحاتها، ومحاولة بيان العلاقة بين اللغة القانونية وبين أفراد المجتمع من جانب وبينها وبين السلطة التشريعية من جانب آخر.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، اللسانيات القانونية، تطبيق اللسانيات القانونية

Abstract:

The aim of this research is to identify the importance of applied legal linguistics, and the research included two sections, the first dealt with the dimensions of the term legal linguistics, and the second reviewed the importance of applied legal linguistics.

The researcher used the descriptive approach and the research reached the results, the most important of which is that the legal language seeks to achieve societal balance; As it, like any language, has a communicative function between members of the legal community on one side, and between the legislative authority and members of society on the other; Therefore, legal linguistics undertakes the process of explaining and explaining the legal language, extracting its features, clarifying its functions, developing its terminology, and trying to explain the relationship between legal language

and members of society on the one hand and between it and the legislative authority on the other.

Keywords: linguistics, legal linguistics, application of legal linguistics

المقدمة:

لقد أسهم تخصص اللسانيات القانونية (Forensic Linguistics) أو اللسانيات الجنائية، في انفتاح اللسانيات التطبيقية على التخصصات الأخرى، حيث شاركت اللغة في عمق الحياة المعرفية للمجتمع، بما في ذلك مجالات القانون والإدارة والطب والعلاج والتجارة والدين والبيروقراطيات وغيرها، وقد استخدم مصطلح علم اللغة القانوني (Forensic Linguistics) لأول مرة من قبل اللساني جان سفارتفيك (Jan Svartvik) في كتابه حول تحليل (تصريحات إيفانز: حالة للغويات قانونية) 1 في الثمانينات من القرن الماضي، ناقش من خلاله تطبيق اللغويات وعلم اللغة الاجتماعي على القضايا القانونية، وانطلاقاً من ذلك، كان اهتمام اللسانيات القانونية بتطبيق الخبرة اللغوية على دراسة النص القانوني، والتحقيق الجنائي، والمحاکمات، والإجراءات القضائية، فكان للغة حضور ومشاركة في تطبيق المعرفة العلمية على سياق القانون وممارساته المصطلحية، والنظر في استخدام اللغة في الإجراءات العملية داخل مؤسسة القضاء، أو مؤسسات شبيهة بها.

المبحث الأول: أبعاد مصطلح اللسانيات القانونية

إن مصطلح اللسانيات القانونية إنتاج مصطلحين قد تضافرا معاً، وهما مصطلح اللسانيات ومصطلح القانون، ولكي يتم الوصول إلى أبعاد مصطلح اللسانيات القانونية توجه الباحث لبيان دلالة كل مصطلح منفصلاً أولاً ثم بيان المصطلحين، وهما متضافران.

اللسانيات لغة:

(اللسانيات) من مادة (ل. س. ن)، وهي جمع مفرد (اللسانية) التي هي إما أن تكون اسماً منسوباً إلى لسان أو مصدرًا صناعياً منه، وقد قال ابن منظور في بيان معاني لفظ (اللسان): "اللسان:

1 Jan Svartvik, (1968) The Evans Statements: A Case for Forensic Linguistics, Almqvist & Wiksell.

جارحة الكلام، وقد يُكْنَى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ... قال ابن بري: اللسان هنا الرسالة والمقالة... وقد يذكر على معنى الكلام... ابن سيده: اللسان المِقُول، يذكر ويؤنث، والجمع ألسنة فيمن ذكّر مثل حمار وأحمر، وألسن فيمن أنث مثل ذراع وأذرع... واللسان الثناء... وحكى أبو عمر: لكل قوم لسان أي لغة¹، يتبين من العرض الإيتيمولوجي لمعاني كلمة (اللسان) أنها مرّت بمراحل متعددة، كان البيان فيها المعنى المشترك، فقد وضّح ابن منظور أن اللسان: عبارة عن الجارحة التي يكون من خلالها الكلام الذي هو من أهم وسائل البيان المتعددة²، وبذلك تكون الدلالة هنا مادية، وبما أن التطور الدلالي ينتقل بالمعنى من المادي إلى المجرد (المعنوي - الذهني) فقد انتقلت دلالة كلمة (اللسان) من المادية إلى الذهنية، فمن الجارحة إلى الرسالة والمقالة، ثم يحدث انتقال دلالي من الخاص إلى العام، فقد انتقل المدلول من (الرسالة والمقالة) إلى (الكلام) عامة، ثم يبين ابن سيده أنه (المِقُول)³، ثم تنتقل الدلالة إلى أن أطلق على لغة قوم ما، والمعنيّ باللغة هنا عبارة عن: "منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة... يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني تقف يازائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المباني المعبرة عن هذه المعاني، ثم من طائفة من العلاقات التي تربط ربطاً إيجابياً، والفروق (القيم الخلفية) التي تربط سلبياً - بإيجاد المقابلات ذات الفائدة - بين أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني"⁴، وبذلك لم يعرف اللسان كعلم ولكن كمادة تدرس من خلال علوم متعددة، منها: (علم الصوتيات، علم التراكيب، علم الصرف، علم الدلالة، علم البلاغة).

اللسانيات اصطلاحاً:

عرفت خولة طالب الإبراهيمي مصطلح (اللسانيات) أو (علم اللسان) بأنه: "الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري أي دراسة تلك الظاهرة العامة والمشاركة بين بني البشر والجدير بالاهتمام والدراسة بغض النظر عن كل الاعتبارات الأخرى التي لا تعدّ من صلب اهتمام اللسانيين"⁵

1 لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة (ل. س. ن) (13 / 385-386).

2 حدد الجاحظ في كتابه: البيان والتبيين (1 / 76) وسائل البيان، قال: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات..."

3 وضّح ابن عقيل دلالة القول في شرحه لألفية ابن مالك (1 / 16)، قال: "القول يعم الجميع، والمراد أنه يقع على الكلام أنه قول، ويقع أيضاً على الكلم والكلمة أنه قول"

4 اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، ط1994م، ص34.

5 مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2000 / 2006، ص9.

يتبين من تعريف مصطلح اللسانيات أنها دراسة منهجية تقوم على "أساس موضوعية العلم"¹ وعلمية؛ حيث إنها "العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية"²، ومادة هذه الدراسة العلمية للغة؛ أي "جميع مظاهر الكلام عند الإنسان، سواء كان ذلك في المجتمعات البدائية أو المتمدنة، وفي الفترات الكلاسيكية أو الفترات المتأخرة، ولا ينبغي للغوي أن يدرس في كل فترة من الفترات اللسان الصحيح واللغة المنمقة حسب، بل جميع أنواع التعبيرات الأخرى أيضاً"³، وتتسم اللسانيات بالتجريدية التي توجه دراستها "للغة في ذاتها ومن أجل ذاتها"⁴.

القانون لغة:

عرض الشيخ أحمد رضا لمعنى كلمة (القانون)، فقال: "القانون مقياس كل شيء وطريقه ج قوانين (دخيلة رومية وقيل فارسية). واستعمل لكل أمر كلي ينطبق على جميع جزئياته التي تعرف أحكامها منه. القوانين: الأصول"⁵، وعلى ذلك تدور دلالة القانون اللغوية في إطار العملية التنظيمية التي تحكم علاقات ما بين جزئيات أو أفراد.

القانون اصطلاحاً:

إنَّ المعنى الاصطلاحي للقانون متعدد بناء على الاستخدام المتعدد لمصطلح القانون داخل دائرة الروابط القانونية، وقد قام الدكتور مرتضى جبار كاظم بتقسيم دلالة مصطلح القانون إلى دلالة عامة ودلالة خاصة على النحو التالي:

الدلالة العامة لمصطلح القانون:

يعدُّ القانون في معناه العام عبارة عن "مجموعة القواعد القانونية التي تُراعى في مجتمع ما، المنظمة للعلاقات الاجتماعية فيه، يلتزم الأشخاص باتباعها وإلا تعرضوا للجزاء المادي الذي تفرضه السلطة العامة"⁶.

- 1 علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص18.
- 2 مقدمة لدراسة فقه اللغة، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، 1992م، ص49.
- 3 علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ص24.
- 4 علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، عبده الراجحي، ص18.
- 5 متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1379هـ/ 1960م، مادة (ق. ن. و) (4/ 665).
- 6 اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مرتضى جبار كاظم، دار ومكتبة عدنان، ط1، 1436هـ/ 2015م، ص30.

الدلالة الخاصة لمصطلح القانون:

القانون في معناه الخاص عبارة عن "مجموعة القواعد القانونية التي تسنها السلطة المختصة بالتشريع في دولة ما لتنظيم أمر معين، وبذلك صار يُشار إلى قانون نزع الملكية وقانون ضريبة الدخل وقانون المرور، والقانون بهذا التحديد يكون مرادفاً للتشريع، وهو القانون المدون الذي تسنه السلطة التشريعية"¹.

يتبين من التعريف العام والتعريف الخاص لمصطلح القانون أنه يعني القوة الملزمة لأفراد مجتمع ما تنظيمياً للعلاقات الاجتماعية فيما بينهم من جانب، والمنظمة للعلاقات السياسية بين دولة وأخرى... إلخ.

اللسانيات القانونية:

نظراً لاندرج اللسانيات القانونية تحت إطار اللسانيات التطبيقية (Applied linguistics)، فسوف يعرض الباحث نبذة تعريفية باللسانيات التطبيقية.

اللسانيات التطبيقية (Applied linguistics):

لما حدث نوع من التداخل ما بين العلوم الطبيعية والإنسانية وعلم اللغة على أساس أن اللغة متعددة الارتباطات، حيث إنها ذات تعلق بعلوم الطبيعة؛ نظراً لأمر، منها أن "أصوات لغة الكلام تنتج وتستقبل عن طريق أجهزة الجسم الإنساني... كذلك فإن انتقال الصوت على شكل موجات صوتية عبر الهواء يدخل في اختصاص علم الطبيعة"²،... إلخ، وذات تعلق بالعلوم الإنسانية، فلها "علاقة وثيقة بعلم الإنسان، وعلم الاجتماع، باعتبارها نتاج علاقة اجتماعية، ووسيلة نقل الثقافة التي تعتبر من وجهة نظر علم الإنسان مجموعة تقاليد الشعب وأوجه استعماله للغة"³، ومن هذا التداخل ما بين العلوم المتنوعة وعلم اللغة ظهرت اللسانيات التطبيقية (علم اللغة التطبيقي).

فاللسانيات التطبيقية عبارة عن "ميدان تلتقي فيه علوم مختلفة حين تتصدى لمعالجة اللغة الإنسانية"⁴، أو هي علم "ذو أنظمة عملية متعددة يستثمر نتائجها في تحديد المشكلات اللغوية،

1 اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مرتضى جبار كاظم، ص29.

2 أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1419هـ/ 1998م، ص42.

3 المرجع نفسه، ص42.

4 علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، عبده الراجحي، ص12.

وفي وضع الحلول لها¹، يتضح من تعريف اللسانيات التطبيقية أنها تحاول حل مشكلة ذات اتصال باللغة مستخدمة مجالات متنوعة أهمها علم اللغة على أنه المحور الرئيس في الدراسة وعلم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي... إلخ.

اللسانيات القانونية (Forensic Linguistics):

من العرض السابق يمكن بيان أن اللسانيات القانونية فرع من فروع علم اللغة يقع في نطاق اللسانيات التطبيقية (علم اللغة التطبيقي) linguistics applied، وهو نتاج تضافر علم اللغة مع علم الاجتماع؛ وثمرة الاتجاه المعرفي الاجتماعي في النظرة إلى طبيعة لغة خاصة مشتقة من اللغة الفصحى (الكلاسيكية) لمجتمع معين تستعمل في المجال القانوني لتقوم بتحديد قواعد السلوك الواجب التزامها والمحظورات الواجب تجنبها، والعقوبات للمخالفين، وتحديد هوية الجاني أو المتهم، وأغراض قانونية أخرى.

وقد عرض الدكتور عبد المجيد الطيب عمر عددًا من الأقوال التعريفية لمصطلح اللسانيات القانونية، وهي:

أولاً: قول Asher (1994) بأن اللسانيات القانونية (Linguistics Forensic) هي "فرع من فروع علم اللغة التطبيقي، وهو علم يقوم على دراسة وتحليل وقياس البيئات اللغوية المصاحبة لوقوع الجريمة بهدف تحديد هوية الجاني أو المتهم"² يتبين من تعريف أشر (Asher) أنه ربط ما بين منهجية علم اللغة التطبيقي التي تقوم على وجود مشكلة محددة يحاول أن يتوصل إلى حلها عن طريق الجمع ما بين علوم متنوعة يأخذ المحور الرئيس فيها - المتواجد دائماً - (علم اللغة)، فلما كان علم اللغة القانوني (اللسانيات القانونية) فرعاً من فروع علم اللغة التطبيقي قام أشر (Asher) بتحديد المشكلة التي يسعى هذا العلم لحلها، وهذه المشكلة تنبع من حالة اجتماعية قانونية، هي (الجريمة) وموقف كلامي يصاحب هذه الجريمة، وعلى ذلك تكون المشكلة التي يسعى إلى حلها (علم اللغة القانوني) الوصول إلى الجاني أو المتهم، والوسيلة الكشافة للغة، والأداة المستخدمة علم اللغة القانوني.

1 المرجع نفسه، ص13.

2 علم اللغة الجنائي: نشأته وتطوره وتطبيقاته (بحث)، عبد المجيد الطيب عمر، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 23، العدد 45، ص276.

وتعريف أشر (Asher) قاصر عن تضمين كل القضايا القانونية المتعلقة باللغة، فليست اللغة ضيقاً طارئاً على الساحة القانونية في وقت الجريمة فقط، ولكن لما كان القانون مظهرًا من المظاهر الاجتماعية واللغة "ظاهرة اجتماعية حضارية"¹ فإن التقاء علم اللغة مع القانون لا يمكن تقييده بقضية محددة ولا مسألة معينة؛ حيث إن القانون يمارس سلطته من اللغة، ويحفظ كيانه في اللغة، ويصدر أحكامه باللغة، ولا يُخطئ القول إذا عرّف الباحث القانون بأنه: لغة اجتماعية تنظيمية إلزامية صادرة من قوة عليا (سلطة تشريعية) إلى مجتمعات محددة، وعلم اللغة يمارس سلطته التحليلية والتفسيرية والوصفية من خلال الإطار الاجتماعي والحضاري، قال الدكتور محمود فهمي حجازي: "فدراسة الألفاظ ودلالاتها على نحو دقيق لا تتم إلا في إطارها الاجتماعي والحضاري، والتغير اللغوي لا يفسر تفسيرًا كاملاً إلا في ضوء الظروف الحضارية والاجتماعية"²

ثانياً: قول كوبوسوف Kopusov (2003) بأنها "العلم القائم على دراسة النصوص التحريرية والشفهية ذات الصلة بالجرائم والخلافات القانونية أو المسائل المتعلقة بإجراءات التقاضي أو ما يتعلق بلغة القانون ومدى وضوحها وكيفية إصلاحها وإتاحتها لفهم الأشخاص العاديين والمتخصصين على السواء"³ يتبين من تعريف كوبوسوف Kopusov (2003) أنه كان أكثر عمومية من تعريف أشر (Asher)؛ حيث إنه حاول أن يتضمن أغلب القضايا القانونية التي تعد اللغة فيها القاسم المشترك؛ فقد تناول الكلام بنوعيه المكتوب والمنطوق المتعلق باللغة القانونية، وعلى ذلك يكون هذا التعريف أنسب من تعريف أشر (Asher).

ثالثاً: قول Brennan (2001) أشار أن "هناك خلأفاً في مفهوم هذا المصطلح في أوساط الباحثين في هذا المجال، فالبعض يحصره في استخدام تقنيات ونظريات علم اللغة للتحري في الجرائم التي تشكل البيّنات اللغوية فيها جزءاً من القرائن، أو كل القرائن والأدلة الجنائية أو المدنية الموجودة في مسرح الجريمة أو النزاع، أما البعض الآخر من الباحثين فيوسعون مفهوم هذا المصطلح ليشمل دراسة كل ما سبق إضافة إلى دراسة كل العلائق القائمة بين اللغة والقانون"⁴، إن هذه الإشارة تضع أمام الباحث تعرفين للسانيات القانونية، أحدهما أن تكون وسيلة للكشف عن الجاني والأخرى أن يدرس إضافة لما سبق اللغة القانونية وعلاقة التأثير والتأثر ما بين اللغة والقانون.

1 أسس علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 2003، ص51.

2 المرجع نفسه، ص52.

3 علم اللغة الجنائي: نشأته وتطوره وتطبيقاته (بحث)، عبد المجيد الطيب عمر، ص276.

4 المرجع نفسه، ص276-277.

وبعد معالجة أبعاد مصطلح (اللسانيات القانونية) أتوجه للحديث عن أهمية اللسانيات القانونية التطبيقية، وحديث ذلك المبحث الآتي.

المبحث الثاني: أهمية اللسانيات القانونية التطبيقية

قبل التطرق إلى أهمية اللسانيات القانونية التطبيقية سوف يلقي الباحث الضوء على اللسانيات الاجتماعية (علم اللغة الاجتماعي) التي تعد اللسانيات القانونية إحدى موضوعاتها وتأخذ أهميتها التطبيقية من أهميتها، ثم العلاقة ما بين اللسانيات القانونية وعلم اللغة الاجتماعي، ثم اللغة القانونية وخصائصها، ثم أهمية اللسانيات القانونية التطبيقية.

علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistics):

عرض محمد عفيف الدين دمياطي عدد من التعريفات لعلم اللغة الاجتماعي، منها أنه: "دراسة اللغة من ناحية صلتها بالعوامل الاجتماعية مثل الطبقة الاجتماعية، والمستوى التعليمي ونوع التعليم، والعمر، والجنس، والأصل العرقي"¹، يتضح من التعريف السابق أن (علم اللغة الاجتماعي) يُبنى على محورين، هما:

1. اللغة من حيث البنية وطريقة الاستعمال.
 2. قضية اجتماعية، وهذه القضية الاجتماعية لا بد أن تكون فنوية سواء كانت متعلقة بالطبقة الاجتماعية أو التعليمية (النظام التعليمي) أو الفئة العمرية (السن) أو الأصل العرقي.
- ولعلم اللغة الاجتماعي قضايا يبحث فيها، منها "اللهجات Dialects، والفروق الاجتماعية بين الطبقات، التي تؤدي إلى تباين اللهجات... كذلك يهتم علم اللغة الاجتماعي بدراسة المحظور من الكلام Tabooed Words ... (و) دراسة اللغة والجنس، ودراسة الخصائص اللغوية للغة الرجال والخصائص اللغوية للغة النساء"².

1 مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، محمد عفيف الدين دمياطي، مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، إندونيسيا، ط2، 1438هـ/2017م، ص8.

2 العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داوود، دار غريب، القاهرة، 2001م، ص92.

العلاقة بين علم اللغة الاجتماعي واللسانيات القانونية:

إنّ دراسة لغة طبقة اجتماعية معينة تدرس في نطاق علم اللغة الاجتماعي، قال الدكتور عبده الراجحي: "ويهتم علم اللغة الاجتماعي بدراسة التنوع اللغوي الذي يبدو على هيئة لهجات (إقليمية) جغرافية، أو لهجات (اجتماعية)، أو لهجات (مهنية) تخص مهنة معينة أو ميداناً خاصاً.¹ وعلى ذلك تكون دراسة لغة القانونيين تندرج تحت (علم اللغة الاجتماعي) الذي يُعدُّ أحد فروع علم اللغة التطبيقي، فالعلاقة ما بين (علم اللغة الاجتماعي) وبين (اللسانيات القانونية) هي علاقة تضمن واحتواء؛ فاللسانيات القانونية تقوم على دراسة لغة القانون وتفسيرها من ناحية، وهذه طبقة اجتماعية في مجتمع يتكون من مجموعة من الطبقات تُدرس لغة كل طبقة في ضوء علم اللغة الاجتماعي؛ أي أن اللسانيات القانونية تؤدي دورها في إطار علم اللغة الاجتماعي، والناحية الأخرى أن اللسانيات القانونية تعتمد للوصول إلى الجاني من خلال عدة طرق، منها: اللهجة مستخدمة (علم الأصوات الجنائي)، ودراسة اللهجات ضمن قضايا علم اللغة الاجتماعي.

اللغة القانونية:

بما أن دلالة مصطلح اللسانيات القانونية تدور حول العملية التنظيمية والتقيدية كان هناك لغة قانونية تستخدم في عملية سن القوانين والدساتير والتشريعات، وقد عرفها إدريس حسوني، فقال: "تلك التي تكتب بها القواعد القانونية، ويتحدث بها أساتذة القانون. ويتطلب مبدأ الأمن القانوني (الوضوحية) و(القطعية) في القواعد القانونية، وتعني القطعية (الدقة) والدقة تعني الوضوح التقني في الجانب اللغوي بمعنى أن الوضوح والدقة هما المميزات التي يجب أن تسود اللغة القانونية الجيدة"²، وبما أن اللغة القانونية هي لغة فئة من المجتمع (القانونيون) وتحدد من خلال سلوكهم القانوني وتطبق على كل المجتمع (أفراد المجتمع)؛ أي تنظم سلوكهم كان لا بد لها من سمات خاصة تتناسب مع فنّها ومع أفراد المجتمع جميعاً.

1 علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، عبده الراجحي، ص26.

2 اللغة القانونية وخصائصها (بحث)، إدريس حسوني، الناشر حميد اليسفي، ع8، 2020م، ص119.
(<http://search.mandumah.com/Record/1084348>).

خصائص اللغة القانونية:

إن اللغة القانونية مثلها مثل لغات الطبقات الاجتماعية الأخرى لها مصطلحاتها ولها طبيعتها وفي نفس الوقت أدى إلزامها لبقية أفراد المجتمع أن تكون مفهومة لهم، وعلى ذلك كان للغة القانونية خصائصها، ومن هذه الخصائص ما يلي:

1. نظرًا لأن اللغة القانونية لغة فئة اجتماعية مُلزَمة لكل الجماعة اللغوية جمعت ما بين اللغة المتخصصة واللغة العامة؛ فالتخصصية نابعة من أنها لغة: "متخصصة مستقاة من القانون كعلم نظري وكنشاط تطبيقي، فهي تترجم الأحكام القانونية والوقائع القانونية والعلاقات والمراكز القانونية بلغة محددة خاصة بهذا العلم"¹، وعامية لغتها من حيث "توجيه الخطاب ليس لشخص بعينه، ولا إلى واقعة معينة بذاتها، ولكن إلى الناس على وجه العموم بصفاتهم وليس بذواتهم، وإلى كل واقعة أو تصرف التي تنطبق عليها شروط القاعدة القانونية"².
2. بما أن اللغة القانونية هي لغة تطبق على أفراد مجتمع ما؛ لكي تنظم السلوك الاجتماعي بينهم، فهي لغة إلزامية جزائية، قال... "لما كان النص القانوني يسن لكي يطبق، وجب أن تكون القاعدة القانونية التي يتضمنها مصحوبة بأمر أو نهي يستقر في ضمير الجماعة إلزامه وضروريته لسير الحياة الاجتماعية، ويعد الجزاء وسيلة تحقيق الإلزام الذي تفرضه الجماعة للقاعدة القانونية، وهذا الإلزام قد يرد في صيغة صريحة (يجب - يتعين - يحظر - لا يجوز)، أو يرد ضمناً"³.
3. تتسم اللغة القانونية بالدقة والوضوح نتيجة كونها لغة تنظيمية تقيدية لسلوكيات أفراد مجتمعها؛ فالدقة "إستخدام الألفاظ حسب معناها الصحيح، وفي موضعها الصحيح"⁴، والوضوح " أن تعبر الكلمات والعبارات عن المقصود بسهولة ويسر، بحيث يستطيع المستمع، ويتمكن القارئ، من أن يقف على حقيقة المراد من الخطاب - شفهيًا أكان أم تحريريًا - بسهولة ويسر"⁵.

1 المرجع نفسه، ص121.

2 المرجع نفسه، ص122.

3 لغة القانون في ضوء علم لغة النص، سعيد أحمد بيومي، دار الكتب القانونية، مصر، ط1، 1431هـ/ 2010م، ص53-54.

4 اللغة القانونية وخصائصها (بحث)، إدريس حسوني، ص124.

5 المرجع نفسه، ص125.

4. لا تستخدم اللغة القانونية المجاز أو البديعيات في عملية التعبير عن قضاياها؛ لأن استخدام المجاز والبديعيات قد يؤدي إلى نوع من الغموض أو عدم الدقة وهذا ما لا يتناسب مع إلزامية وانجازية لغة القانون.

5. تعتمد اللغة القانونية على الإيجاز في عرض نصوصها (موادها)، وهذا الإيجاز من خلال عمليتي التعميم والتضمن، على نحو تضمن "الكلمات التي تشير إلى المذكر والمؤنث والعكس بالعكس، كما تتضمن الكلمات التي تشير إلى المفرد بمعنى الجمع والعكس بالعكس، وتجدر الإشارة هنا على أنه يتعدى التعميم الكلمات إلى الزمن حيث يتضمن الزمن زمننا آخر كالمستقبل الذي تضمن الحاضر والعكس كذلك"¹.

6. تعتمد اللغة القانونية على الإنشاء؛ حيث إن مدار اللغة القانونية الأفعال الإنجازية؛ لأنها لغة إلزامية، والإنشاء عند القانونيين له مصدران، هما:

1. مصدر لغوي: هو الذي "يتمثل بالإنشاء الصريح الذي يأتي بالصيغ اللغوية: يجب، يحظر، ويمنع، ولا يجوز، ويجوز"²

2. مصدر عرفي: هو الذي "يتمثل بالإنشاء الأولي (غير الصريح) فمن الأحكام ما لم يوضع له صيغة إنشائية خاصة به، والعرف هو الذي جعل من بعض العبارات دالة على الإنشاء، فالبيع والزواج ليس لها إلا صيغة الإخبار، وجعله العرف القانوني إنشاء، وهذا الإنشاء يشترك لفظه مع لفظ الخبر، ومن ثمّ، فهو يختص بضرورة قصد المتكلم الإنشاء وإرادته، ويرتكز على المقام في تعيينه وكشفه"³

أهمية اللسانيات القانونية التطبيقية:

إن أهمية اللسانيات القانونية التطبيقية يتم استخلاصها من وظائف اللغة القانونية، وتتمثل الوظيفة الأولى في أنها تسعى إلى تحقيق الاتزان المجتمعي؛ حيث إن "القوانين كلها قائمة على ضبط لغة الإنسان وسلوكه، وأنها تحاسب على عدم انضباط اللغة والسلوك، إذا تسببا في إحداث أضرار للآخرين، وشروح القوانين وتفسيراتها هي - في الحقيقة - أعمال لغوية، ترمي إلى ضبط

1 اللغة القانونية وخصائصها (بحث)، إدريس حسوني، ص 126-127.

2 اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مرتضى جبار كاظم، ص 46.

3 المرجع نفسه، ص 46.

فهم دلالات القوانين، من أجل حسن التقيد بها¹، فاللغة القانونية - مثل أية لغة - ذات وظيفة اتصالية بين أفراد الجماعة القانونية بعضهم البعض من جانب وبين السلطة التشريعية وأفراد المجتمع من جانب آخر؛ لذا تحمل اللسانيات القانونية على عاتقها عملية بيان وتفسير اللغة القانونية، واستخلاص سماتها، وبيان وظائفها، ووضع مصطلحاتها، ومحاولة بيان العلاقة بين اللغة القانونية وبين أفراد المجتمع من جانب وبينها وبين السلطة التشريعية من جانب آخر.

وتتمثل الوظيفة الثانية في استخدامها؛ لمحاولة التعرف على الجاني أو المتهم، فمن خلالها يمكن إثبات هوية المتحدث عن طريق علم الأصوات الجنائي؛ حيث تستخدم "المعارف التفصيلية بعلم الأصوات لإثبات تورط المتهم أو نفيه في قضية ما وذلك من خلال تحليل البيانات الصوتية المقترنة بالحدث الجنائي"²، وقد بين عبد المجيد الطيب عمر طريقتين لبيان هوية المتحدث، هما³:

1. طريقة التعرف على هوية المتحدث من خلال السمع العادي Auditory Identification عن طريق ما يعرف بطابور الشخصية الصوتي Voice line up.

2. طريقة التعرف على هوية المتحدث باستخدام التقنيات الحديثة ووسائل التحليل الصوتي التقني (Technical Speaker Identification)، وتشمل هذه الطريقة ما يعرف بالبصمة الصوتية (Voiceprint).

وتستخدم أيضاً في تحديد هوية المؤلف وذلك من خلال القيام بالتحليل اللغوي للنص محل الاتهام مقارنة مع نصوص أخرى مثبتة لهذا المؤلف، ومن النظريات التي تستخدم في هذا النوع من التحليل (الأسلوبية)؛ حيث إنها نوع من الاختيار يبني على الانزياح، فلكل شخص اختياراته اللغوية وانزياحاته عن اللغة المألوفة، وقد حدد عبد المجيد الطيب عمر طريقة تحليل النص، وهي⁴:

1. الأدلة الداخلية: وهذه تقوم على تحديد نقاط التشابه في سمات أسلوبية في النصين.
2. الأدلة الخارجية: وتشمل معرفة تاريخ كتابة النص ومكان كتابته أو نقطة البريد التي أرسل منها وبصمة الحامض النووي للمؤلف (DNA).

1 اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، سمير شريف استيتيه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2008م، ص493.

2 علم اللغة الجنائي نشأته وتطوره وتطبيقاته، عبد المجيد الطيب عمر، ص281.

3 انظر: المرجع نفسه، ص282.

4 انظر: علم اللغة الجنائي نشأته وتطوره وتطبيقاته، عبد المجيد الطيب عمر، ص286.

3. إعطاء وجهة نظر عالم اللغة الجنائي عن مدى احتمال صحة نسبة النص موضوع التساؤل للمتهم.

وتستخدم أيضًا في تحليل الخطاب إمَّا للوصول إلى الجاني من خلال مجموعة أسئلة افتراضية، عرضها عبد المجيد الطيب عمر، وهي: "من هو الشخص الذي ابتدر الحوار؟ وهل كان المتهم موافقًا على المشاركة في ارتكاب جريمة ما؟ أم هل كان مرغمًا على القيام بعمل إجرامي ما"1، إضافة إلى تحليل ما يقدم من أسئلة للمتهم وما يصدر عنه من إجابات... إلخ، فتحليل الخطاب له نتائج إيجابية في الوصول إلى الحقيقة نظرًا لخروج اللغات دائمًا عن النسق المعياري لها، فليس من الضروري أن تكون لفظة (نعم) دالة على الموافقة، فقد تُلفظ ويراد بها الطلب من المتكلم الاستطراد في الحديث وليس الموافقة على المشاركة في جريمة ما.

وتستخدم أيضًا في بيان هوية المتهم أو الجاني من خلال تحليل لهجته² ولهجة التسجيل الصوتي؛ حيث إن لكل لهجة لونها نطقياً لن يستطيع أحد خارج الجماعة اللغوية التي تتكلم بها، ولن يستطيع أحد أن يتمرد على لهجته بالخروج منها مهما تكلف ذلك؛ حيث إن اللهجة متداخلة السمات من صوتي وصرفي وتركيبية ودلالي، وعلى ذلك فمن خلال تحليل لهجة التسجيل الصوتي يمكن الوصول إلى هوية الجاني وإثبات التهمة على المتهم أو نفيها عنه.

كما تستخدم في القضايا التجارية المتعلقة بالعلامات التجارية والملصقات التجارية ومنازعات العقود... إلخ.

الخاتمة:

من وظائف اللغة القانونية أنها تسعى إلى تحقيق الإتران المجتمعي، حيث إنها - مثل أية لغة - ذات وظيفة اتصالية بين أفراد الجماعة القانونية بعضهم البعض من جانب وبين السلطة التشريعية وأفراد المجتمع من جانب آخر؛ لذا تحمل اللسانيات القانونية على عاتقها عملية بيان وتفسير اللغة القانونية، واستخلاص سماتها، وبيان وظائفها، ووضع مصطلحاتها، ومحاولة بيان العلاقة بين اللغة القانونية وبين أفراد المجتمع من جانب وبينها وبين السلطة التشريعية من جانب آخر.

1 انظر: المرجع نفسه، ص 287.

2 عرف محمد عفيف الدين دمياطي (ص 123) اللهجة بأنها: "مجموعة من الصفات الصوتية التي تنتمي لبيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة الخاصة بهذه اللهجة".

النتائج:

توصل البحث إلى نتائج عديدة متنوعة، منها ما يلي:

1. اللسانيات القانونية هي فرع من فروع علم اللغة يقع في نطاق اللسانيات التطبيقية (علم اللغة التطبيقي) linguistics applied، وهو نتاج تضافر علم اللغة مع علم الاجتماع؛ وثمرة الاتجاه المعرفي الاجتماعي في النظرة إلى طبيعة لغة خاصة مشتقة من اللغة الفصحى (الكلاسيكية) لمجتمع معين تستعمل في المجال القانوني لتقوم بتحديد قواعد السلوك الواجب التزامها والمحظورات الواجب تجنبها، والعقوبات للمخالفين، وتحديد هوية الجاني أو المتهم، وأغراض قانونية أخرى.
2. من وظائف اللغة القانونية أنها تسعى إلى تحقيق الاتزان المجتمعي؛ حيث إنها - مثل أية لغة - ذات وظيفة اتصالية بين أفراد الجماعة القانونية بعضهم البعض من جانب وبين السلطة التشريعية وأفراد المجتمع من جانب آخر؛ لذا تحمل اللسانيات القانونية على عاتقها عملية بيان وتفسير اللغة القانونية، واستخلاص سماتها، وبيان وظائفها، ووضع مصطلحاتها، ومحاولة بيان العلاقة بين اللغة القانونية وبين أفراد المجتمع من جانب وبينها وبين السلطة التشريعية من جانب آخر.
3. تُستخدم اللسانيات القانونية في تحديد هوية المؤلف وذلك من خلال القيام بالتحليل اللغوي للنص محل الاتهام مقارنة مع نصوص أخرى مثبتة لهذا المؤلف، ومن النظريات التي تستخدم في هذا النوع من التحليل (الأسلوبية)؛ حيث إنها نوع من الاختيار يبني على الانزياح، فلكل شخص اختياراته اللغوية وانزياحاته عن اللغة المألوفة.
4. من وظائف اللغة القانونية أيضاً أنه من خلالها تكون محاولة التعرف على الجاني أو المتهم، وذلك عن طريق إثبات هوية المتحدث عن طريق علم الأصوات الجنائي على سبيل المثال.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع العربية:

- أسس علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 2003م.
- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1419هـ/ 1998م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1400هـ/1980م.
- العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داوود، دار غريب، القاهرة، 2001م.
- علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.
- علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة: يونيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مرتضى جبار كاظم، دار ومكتبة عدنان، ط1، 1436هـ/2015م.
- اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، سمير شريف استيتيه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2008م.
- لغة القانون في ضوء علم لغة النص، سعيد أحمد بيومي، دار الكتب القانونية، مصر، ط1، 1431هـ/2010م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، ط1994م.
- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبه للنشر، الجزائر، ط2، 2006/2000.
- متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1379هـ/1960م.
- مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، محمد عفيف الدين دمياطي، مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، إندونيسيا، ط2، 1438هـ/2017م.
- مقدمة لدراسة فقه اللغة، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، 1992م.
- علم اللغة الجنائي: نشأته وتطوره وتطبيقاته (بحث)، عبد المجيد الطيب عمر، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 23، العدد 45، ص273-299.
- اللغة القانونية وخصائصها (بحث)، إدريس حسوني، مجلة البوغاز للدراسات القانونية والقضائية، الناشر حميد اليسسفي، ع8، 2020م، ص117-138.

المراجع الأجنبية:

- Jan Svartvik, (1968) The Evans Statements: A Case for Forensic Linguistics, Almqvist & Wiksell..

ميناء الفاو العراقي: دراسة في الجغرافية السياسية

The Iraqi port of FAO: a study in political geography

أ.م.د. ظلال جواد كاظم: كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق

Assistant Professor Dr. dhilal Jawad Kadhim Yassin: President Department of
Geograph, Faculty of Education for woman, University of Kufa, Iraq

dhilalj.kadhim@uokufa.edu.iq

المخلص:

يهدف البحث الى تسليط الضوء على مشروع ميناء الفاو الكبير واثره على الاقتصاد العراقي وكذلك على اثره الجيوستراتيجي والامني متطرقا لاهم ما يمكن ان لا يحققه هذا المشروع لو دخل حيز العمل وما هي اهم التحديات التي تواجه داخليا وخارجيا.

توصل البحث الى مجموعة من النتائج اهمها:

1. الاثار والاضرار البيئية التي تلحقها عمليات الانشاء والحواجز والسواتر الكونكريتية تتسبب في القضاء على الثروة السمكية في المياه الاقليمية العراقية.
2. يعد بمثابة خنق المياه في دجلة من قبل الكويت وبالتالي يتسبب في انخفاض شديد لمناسيب المياه في ام قصر.
3. تتسبب في اثار ضخمة جدا على الاقتصاد العراقي كونه يقطع التعاملات التجارية مع الدول وبالتالي فقدان الكثير من الايدي العاملة للعمل وكذلك زيادة التكاليف على البضائع المستوردة والمصدرة في ان واحد وهذا ما يثقل كاهل العراق من الناحية الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: ميناء الفاو- الجغرافية- السياسية

Abstract:

The research aims to shed light on the project of the great port of FAO and its impact on the Iraqi economy as well as its geostrategic and security impact, touching on the most important what this project could not achieve if it entered the work and what are the most important challenges facing internally and externally.

The most important of which are:

1. The environmental impacts and damages caused by construction operations, barriers and concrete mounds cause the destruction of fisheries in Iraqi territorial waters.

2. It is considered as suffocating the water in the Tigris by Kuwait and thus causes a severe drop in the water levels in Umm Qasr.

3. It causes very huge effects on the Iraqi economy, as it cuts off commercial dealings with countries and thus loses a lot of manpower to work, as well as increasing costs on imported and exported goods at the same time, and this is what weighs on Iraq from an economic point of view.

Keywords: The port of Al-FAO- geopolitical- implications

المقدمة:

في ظل التطور المتعدد الوسائط لأنظمة النقل في الوقت الحاضر وظهور الاجيال الجديدة من الموانئ برزت الموانئ المتطورة ذات الوظائف المتعددة لمواكبة الاجيال الجديدة والكبيرة من السفن ذات التكاليف المنخفضة والانتاجية العالية اذ يعد النقل قلب المنظومة اللوجستية اذ كان لظهور انظمة النقل المتطورة والثورة المعلوماتية دورا كبيرا في تنامي الحلقات المكونة للمنظومة اللوجستية ادى ذلك الى انشاء وتطور الموانئ العراقية لمواكبة النشاط البحري العالمي وتطبيق اقتصاديات الحجم الكبير فدعت الحاجة لانشاء ميناء الفاو الكبير لتعزيز القدرة التنافسية للموانئ العراقية ليستوعب السفن العملاقة.

تتمثل مشكلة البحث في: (هل لميناء الفاو اثر في الجوانب الاقتصادية والامنية والجيوسراتيجية؟ ما الطاقة الاستيعابية لميناء الفاو الكبير وما اثره في حجم التبادل التجاري بين العراق والدول الاخرى؟ ما اهم التحديات التي يواجهها مشروع ميناء الفاو الكبير؟). وتتمثل فرضية البحث (لميناء الفاو اثر كبير على جميع الجوانب الاقتصادية والامنية والستراتيجية العراقية لاسيما وانه اداة ربط لخط النقل والبضائع والسلع مابين الشرق والغرب وبالتالي خفض تكاليف الاسعار بشكل كبير جدا وسرعة في النقل وتوفير الامان للحركة البحرية).

المبحث الأول: نبذة تاريخية للعلاقات بين العراق والكويت.

اولا: البعد التاريخي للمشاكل العالقة بين العراق والكويت.

للجغرافية السياسية الاثر الكبير في تحديد العلاقات السياسية والاجتماعية ما بين الدولتين وذلك بحكم الجوار ما بينهما، اذ ان العلاقة بين دول الجوار حتمية وبذلك لا توجد دول جوار دون علاقات وان العلاقة بين الكويت والعراق شهدت نوعا من الخصوصية على مختلف الاصعدة اذ كانت تشوبها الحذر الشديد والتناقضات والتهديدات فيما بينهم في اغلب الاحيان حتى وصلت الى التهديد العسكري⁽¹⁾.

اذ ان منذ العهد العثماني والعلاقات العراقية الكويتية تشهد توترات سياسية عده حيث كانت الكويت قضاء تابعا لولاية البصرة، وكان حاكم الكويت يلقب بالقائمقام تابع لولاية قضاء البصرة، وكانت بريطانيا هي الدولة الاوربية المسيطرة على الخليج العربي، وفي عام 1861 م عقدت اتفاقات حماية مع جميع المشايخ في الخليج يستثنى من ذلك دولتي الكويت وقطر الا ان التفاوض مع الباب العالي عن طريق النفوذ الروسي والالمانى في الخليج دفعها الى كسب ولاء شيوخ الكويت والتعاون معهم مقابل مكافاة مالية بلغت (15.000) جنيه استرليني كما ان حاكم الكويت قد طلب وعدا من بريطانيا لقاء التعاون معها بحماية الكويت ونتج عن ذلك التزام حاكم الكويت بعدم تاجير اراضية لاية دولة اخرى الا بعد اخذ موافقة بريطانيا مقابل حمايتها للكويت من العدوان وكان ذلك وفق توقيع معاهدة بين الطرفين. وقد حشدت الدولة العثمانية قواتها في البصرة معترضة على هذه المعاهدة فارسلت بريطانيا سرب اخر الى الكويت لحمايتها ودارت مفاوضات بين بريطانيا والدولة العثمانية خرجت باتفاق سري يتضمن بقاء الوضع الكويتي كما هو من دون الاقرار العلني بالاتفاق البريطاني الكويتي⁽²⁾.

وفي عام 1913 م تم الاتفاق بين بريطانيا والدولة العثمانية لتحديد مناطق النفوذ في شرق الجزيرة العربية وفيه عدت الكويت قضاء تابعا للإمبراطورية العثمانية لكنه ذا حكم ذاتي، وقد رفض العراق هذا الاتفاق بالكامل، اذ تنص الاتفاقية على ان يكون تبادل تصديق المعاهدة في لندن ويكون

(1) قاسم محمد الجنابي، ربا صاحب عبد، اشكالية ترسيم الحدود العراقية الكويتية والخروج من احكام البند السابع، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد 12، حزيران 2013، ص 335.

(2) قاسم محمد عبيد، الموقع الجغرافي البحري العراقي (دراسة جيوبلتيكية)، مجلة المؤتمر العلمي لجامعة واسط، العدد 3، 2010، ص 55.

خلال مدة ثلاثة اشهر من توقيعها على اقصى تقدير واصدر (حقي باشا) ممثل الدولة العثمانية في ان الاتفاقية لن تفعل طالما ان الحكومة البريطانية متمسكة بالتحفظات التي قدمتها والتي اعلنت موافقتها على هذه الاتفاقية مقابل ان تقوم الدولة العثمانية ببعض الاصلاحات الضريبية وتوقيعها على اتفاقية السكك الحديدية، ان التصديق لم يتم بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى⁽¹⁾ فضلا عن تحديد (31 تشرين الأول/أكتوبر 1914م) موعدا لتبادل وتصديق المعاهدة، اذ عدت بريطانيا هذا التحديد هو بمثابة حدود للكويت وتم اقراره عام 1922 وبذلك عد الطرفان اتفاقية 1913 بمثابة اساس للعلاقات بين الدولتين فضلا عن عدم تصديق الاتفاق ولم يكن هنالك اتفاق مصدق بين الدولتين حول مسألة الحدود، وبذلك فان قضية تحديد الحدود بين العراق والكويت تعد مشكلة قانونية بالدرجة الاساس فهذه الحدود لم تحدد باتفاقية ثنائية بينهم كما حدث بين العراق وايران كمعاهدة (زهاب)⁽²⁾ ومعاهدة الجزائر 1975⁽³⁾ لتحديد خط العمق (التالوك) في شط العرب، ومن ثم يتوجب على حكومة العراق ان تلجا الى خبراء القانون الدولي للخروج من هذه الازمة⁽⁴⁾، وبعد تاسيس دولة العراق الحديثة في عام 1921 لم نشهد الاستقرار في العلاقات العراقية الكويتية ويعود ذلك الى تبعية الكويت لولاية البصرة كونه يمثل قضاء من هذه الولاية في زمن الدولة العثمانية، والخلافات الحدودية بين الطرفين ومشكلات الحقول النفطية المشتركة وغيرها، وظهرت الكثير من الازمات بين الطرفين لاسيما في مسألة ترسيم الحدود، وفي عام 1961 الغت بريطانيا معاهدة الحماية التي عقدتها مع الكويت منذ عام 1899 وبعد ستة ايام من اعلان الاستقلال طالب العراق بعائديه الكويت لاراضيه في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم (1958-1963)، وفي عام 1963 اعترف العراق باستقلال الكويت على امل التفاوض فيما بينهم لضمان المنفذ البحري للعراق على الخليج العربي، واستمر العراق في السبعينيات

(1) مالك دحام الجميلي، لمياء محسن الكناني، العلاقات العراقية الكويتية واشكالية ميناء مبارك، دراسات دولية، العدد الثاني والخمسون، ص 8.

(4) انتهت هذه المعاهدة الحرب العثمانية الصفوية التي استمرت بين الجانبين مائة وخمسين عاماً في عهد السلطان مراد الرابع العثماني، في نهاية حملته لتحرير بغداد من الاحتلال الفارسي. وقد استغرقت المفاوضات 13 يوماً حتى تم توقيعها في 17 مايو 1639. وعينت هذه المعاهدة الحدود بين الجانبين، بطول 2185 كم، على أساس الوضع الراهن، آنذاك. فأعطت يريفان (أرمينيا حالياً) وأخالت سيخه (جورجيا حالياً) للدولة الصفوية والعراق (بغداد والبصرة وشهريزور) للدولة العثمانية.

(5) معاهدة الجزائر هي المعاهدة وقعت بين العراق وإيران في 6 آذار/مارس عام 1975 بين نائب الرئيس العراقي آنذاك صدام حسين وشاه إيران محمد رضا بهلوي وبإشراف رئيس الجزائر آنذاك هواري بومدين. شكلت حدود العراق مع إيران أحد المسائل التي تسببت في إثارة الكثير من النزاعات في تاريخ العراق.

(4) علاء ناصر الكولي، العلاقات العراقية الكويتية، ازمة الحضور السياسي وغياب السياسة، www.sutuur.com

بمحاولات عدة لاقتناع الكويت بتسوية الحدود بين الدولتين الا انها رفضت كل المقترحات العراقية بذلك، كما انها استغلت انشغال العراق في الحرب الايرانية بالزحف نحو الشمال قرابة 70 كم كما قد اقامت هنالك المخافر والمنشآت العسكرية ومنشآت نفطية ومزارع لتثبيت وجودها كامر واقع على العراق.

الا ان الكويت وفي الحرب العراقية الايرانية (1980-1988) قدمت دعم مالي للعراق خشية من امتداد النفوذ الايراني الى دول الخليج العربي وبذلك قد اخذت العلاقات العراقية الكويتية منحاً ايجابياً في تلك المدة، سيما وان العراق كان يقود تلك الحرب بالنيابة عن دول منطقة الخليج العربي، ثم تدهورت هذه العلاقة لتعود الى الخلاف، وذلك لعدة اسباب متمثلة بالخلافات الحدودية ومطالبة الكويت لديونها ابان انتهاء الحرب العراقية الايرانية، وسياستها النفطية التي ادت الى انخفاض في قيمة النفط ليصل سعر البرميل الى (12) دولار، واثّر ذلك سلبي على الاقتصاد العراقي المنهك والمتدهور جراء الحرب مما تسبب في زيادة الخسائر حتى وصلت الى ما يقدر بسبعة مليارات دولار في السنة، وادى ذلك الى نشوب الغزو بين العراق والكويت، التي نتج عنها دخول العراق للكويت في 2 اب 1990، التي استمرت لستة اشهر اذ خرجت القوات العراقية من الكويت، بواسطة تحالف دولي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية، وفي عام 1994 فرضت الامم المتحدة ترسيم الحدود بين العراق والكويت، لكن العلاقات لم يتم تطبيعها⁽¹⁾.

بقيت الكويت مستمرة في افعال العدوان في العراق بشتى الطرق وعندما امتنعت تركيا عن مساعدة العدوان الامريكي في الدخول الى العراق اعلنت الكويت استعدادها لاستقبال (62) الف جندي اميركي تمهيدا لدخولهم الى العراق وكان من المخطط ان يتم دخولهم عبر تركيا ومن ثم عبر الشمال العراقي، كذلك سمحت الكويت للقوات باستخدام القاعدتين الجويتين العسكريتين (علي السالم واحمد الجابر)، وتم فتح جميع موانئها البحرية لحلف الناتو، كما قامت الكويت بمنح قاعدتين بريتين كمركز قيادة للقوات الاميركية في عمال مخيم الدوحة، وفي الجنوب مخيم عر فيجان، وكتقدير امريكي للدور الكويتي الواضح والقوي في دعم الكويت للعمليات العسكرية التي دمرت العراق قامت ادارة الرئيس بوش الصغير في نيسان 2004 بتصنيف الكويت حليفاً رئيساً (خارج حلف الناتو)، وهي الصفة المعطاة لمملكة البحرين ولم يحصل على هذه الصفة الا القليل من دول العالم. ان مستقبل علاقات العراق مع الكويت لا يمكن ان تاخذ منحاً ايجابياً ما لم تحل القضايا المعقدة بين البلدين منها التعويضات

(1) قاسم محمد عبيد، مشكلة الحدود العراقية الكويتية (دراسة جيوبوليتيكية) نشرة شؤون عراقية، العدد الخامس، بغداد، مركز دراسات النهريين/جامعة النهريين، كانون الثاني 2008، ص 14-20.

وقضية النفط والموانئ⁽¹⁾، كما وقد عانت دول الخليج العربي من النزاعات على الحدود في مختلف الازمنه وقد تجلى ذلك الوصف على السان احد الكبار المسؤولين قائلًا(انه لم يعد بالامكان ان تستمر الخلافات على الحدود على مشاكل العشب والماء)⁽²⁾ مما تطلب العمل الجاد لحل لذلك لكن مازالت مستمره تؤثر على امن الخليج العربي منها حل المشاكل الواقعة على الحدود بين ابو ظبي والسعودية حول جزيرة البريمي والمشاكل الحدودية بين البحرين وقطر وقضية الاحتلال الايراني للجزر العربية وتدخلها بشؤون العراق، واخرها ميناء مبارك وتهديداته للمستقبل الاقتصادي في العراق⁽³⁾.

ثانيا: الموقع الجغرافي لمنطقة الخليج العربي:

يتمتع العراق بموقع استراتيجي في الجزء الجنوبي الغربي من قاره اسيا وفي الجزء الشمالي الشرقي من الوطن العربي وبذلك فهو يحتل موقعا مركزيا في التجارة العالمية اذ ينحصر بين دائرتي عرض 29°_37° شمالا وخطي طول 38°_48° شرقا وهو يقع جنوب المنطقة المعتدلة الشمالية وكذلك يمثل منطقة انتقالية بين المنطقة المعتدلة الباردة وبين الاقاليم المدارية في الجنوب⁽⁴⁾.

كما ويعد الجيولوجيون الخليج العربي بقايا البحر القاتم الذي كان يحيط بالجزيرة العربية من الشرق والشمال ليتصل بالبحر الابيض المتوسط⁽⁵⁾، وكان له دور مهم في التجارة العالمية وبقيت اهمية منطقة الخليج العربي كمنطقة استراتيجية حتى فتحت قناة السويس ففقد الكثير من اهميته، ثم عاد الظهور مرة اخرى كاحد الممرات المائية العالمية المهمة بعد اكتشاف النفط. الناحية الجغرافية الخليج العربي ضيق نسبيا وضحل، يبلغ طوله في خط مستقيم من مصب شط العرب وساحل عمان 800 كم اما عرضه فيتراوح ما بين 228 كم وهو اقصى عرض له شرقي شبه جزيرة قطر و46 كم في مضيق هرمز. ومن ناحية العمق لا يتجاوز اعماق اجزائه 100 م احيانا ويتضمن مناطق واسعة

(1) مالك دحام الجميلي، لمياء محسن الكفاني، مصدر سابق، ص 9.

(2) عامر محسن العامري، ميناء مبارك والامن في الخليج العربي، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد الخامس والسبعون، 2012، ص 284.

(3) حسين حافظ، العلاقات التركية - الاسرائيلية واثرها على الامن القومي العربي للفترة من عام 1980-1996، اطروحة دكتوراه (غير منشوره)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2001، ص 147.

(4) محمد زباري مونس، الأهمية الجيوبولتيكية لميناء الفاو الكبير، مجلة دراسات البصره، العدد 18، 2014، ص

(5) Adnan A.M.Aqraw•Implication of Sea Level Fluctuation•Sedimentation and Neotectonic for The Evolution Of Marshlands of Southern Mesopotemia•Quaternary Proceedings، No.3،1993، P21-31.

لا يزيد عمقها عن 400 مترا، وان الاعماق الكبيرة في الخليج تتراوح بين 70-90 وهي على مقربة من ساحل الهضبة الايرانية من جهة ومضيق هرمز من جهة اخرى، اما اقل اجزائه عمقا فتوجد في الشمال الشرقي حيث يمتد مستعرضا حاجزا طينيا ضخما وهو حاجز الفاو ولا يكاد عمق الماء فوقه وقت الجزر يتجاوز ثلاثة امتار اما في اوقات المد فقد يصل عمق الماء الى ستة امتار ويزيد عمق الماء في الاوقات التي يتفق فيها هبوب رياح قوية من جهة الجنوب الشرقي، وللخليج العربي ثلاثة سواحل (1):

1-الساحل الجنوبي وهو اطولها يبلغ حوالي (3490كم)، وهو ساحل عربي، وهو اوسع سواحل الخليج واعرضها واكثرها انخفاضاً ويتضمن عددا من المستنقعات الساحلية، ويوجد امامه عدد كبير من الجزر الصغيرة، وبسبب تكوينه الرمي وضحالة مياه شواطئه تندر فيه الاماكن الصالحة لاستقبال السفن.

2 – الساحل الشرقي: يبلغ حوالي (860كم)، وهو ضيق ويوجد امامه عدد من الجزر اكبر من تلك الموجودة امام الشاطئ العربي ومعظم سكان هذه الجزر من قبائل عربية.

3-الساحل الشمالي: يبلغ حوالي (1357كم)، وتتقاسمه ايران، العراق والكويت، ومن جهة اخرى يبلغ ما تملكه كل من الدول المشاطئة للخليج من الشواطئ المطلة على الخليج بالميل البحري (ايران 625، الامارات العربية المتحدة 425، المملكة العربية السعودية 294، قطر 204، الكويت 115، البحرين 68، عمان 51، العراق 30 (2) ويعد الخليج العربي المنفذ البحري الوحيد للدول العربية الاتية (العراق، الكويت، قطر، البحرين، الامارات العربية المتحدة)، وهو الممر الاجباري الذي يجب ان تختاره صادرات هذه الدول من النقط و وارداتها من المواد الغذائية والصناعية.

ثالثاً: أهمية موقع العراق:

1- الخصائص الجغرافية لموقع العراق

يعد العراق ممرا للتجارة القادمة من الهند و اسيا وشرق افريقيا بحرا والى دول البحر المتوسط واوروبا شمالا وبذلك يمثل موقعه جسرا ارضيا رابطا ما بين مسطحين مائيين متمثل بالبحر المتوسط

(1) لمياء محمد الكناني، مالك دحام الجميلي، العلاقات العراقية- الكويتية واشكالية ميناء مبارك، مجلة دراسات دولية، العدد الثاني والخمسون، 4-5.

(2) حمد سعيد الموعد، أمن الممرات المائية العربية (دراسة)، اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص 15-16.

في الشمال والخليج العربي في الجنوب وتتباين الأهمية الموقعية البحرية للعراق ما بين الجانب السلبي والايجابي وذلك تبعاً لطبيعة المتغيرات التي تطرأ على تغيير مراكز القوة والحضارة عبر المراحل التاريخية، ازدادت أهمية موقع الجغرافي للعراق بعد تحول عاصمة الدولة الإسلامية من دمشق إلى بغداد لاسيما خلال الخلافة العباسية أدى اعتماد الخلافة العباسية على الخليج العربي كمنفذ تجاري مهم يربطها مع الهند عن طريق البحر، وشرق آسيا وأفريقيا، ثم تدهورت أهمية موقع العراق بعد سقوط الدولة العباسية (656 هـ) (1258 م)، إذ سيطرت الدولة العثمانية على مقاليد الأمور في العراق والوطن العربي و تحول مركز التجارة من بغداد إلى إسطنبول، وبذلك ابتعد موقع العراق عن طرق التجارة الدولية البحرية بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام 1497م. ثم تحولت طرق التجارة البحرية من رأس الرجاء الصالح إلى البحر الأحمر وقناة السويس ثم البحر المتوسط عند افتتاح قناة السويس عام 1869م، إذ قللت هذه القناة المسافة من (3437 ميل إلى 3488 ميل)⁽¹⁾ وبذلك افتقد العراق أهميته كممر بري لطرق التجارة العالمية القادمة من الهند إلى البحر المتوسط وتحولت طرق التجارة بعيداً بحوالي 250000 كم، كما إن أراضيها تبتعد لمسافة 1000 كم عن البحر المتوسط وبعد المتغيرات الإقليمية والدولية التي حدثت ولأسيما بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق عام 1991، وأحداث 11 أيلول 2001 وغزو أفغانستان، وكذلك احتلال الولايات المتحدة الأمريكية العراق، وانفتاحه على دول العالم الأخرى، ومحاولة الولايات المتحدة الأمريكية تحقيق نجاحات فيه من خلال استراتيجيتها في نشر ما يسمى بالديمقراطية واعتباره القاعدة التي تنطلق منها لتغيير الجغرافية السياسية لمنطقة الشرق الأوسط.

ونتيجة للخصائص الطبيعية والبشرية التي يمتلكها العراق ولا اتصاله المباشر مع تركيا التي تمثل واجهة حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي مع الدول الإسلامية. فإن موقع العراق سوف يحتل موقع الصدارة ليكون المنافس الجديد للاتصال مع أوروبا براً وليكون جسراً أرضياً بين شرق آسيا وأوروبا عبر دولتي تركيا وسوريا إذ لا تزيد المسافة على 1200 كم بين الأراضي التركية والموانئ العراقية في شمال الخليج العربي وبذلك سيفعل خط سكة حديد بغداد - برلين الذي أوشك على النفاذ في بداية قرن العشرين لولا قيام الحرب العالمية الثانية وبذلك تصبح الموانئ العراقية أهم

(15) محمد الشافعي، محمد يوسف، قناة السويس: ملحمة شعب.. تاريخ أمة (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة،

الموانئ الاستراتيجية التي تعمل على تغيير خارطة النقل البحرية العالمية وترفع من أهمية العراق (1).

2- الحدود العراقية - الكويتية

هو الشريط الحدودي بين العراق والكويت ويبلغ طوله 254 كم (158 ميل) ويمتد من النقطة الثلاثية مع السعودية في الغرب حتى ساحل الخليج العربي في الشرق اذ تم تشييد جدار فاصل من قبل مجلس الامن التابع للامم المتحدة لغرض وقف اعادة غزو العراق للكويت وبذلك فهي تبدأ من العمود الحدودي (1) على مثلث الحدود العراقية الكويتية السعودية مع تقاطع وادي الباطن مع وادي العوجة ثم باتجاه الشمال على طول الباطن الى النقطة التي تقع جنوبي خط عرض صفوان، ثم باتجاه الشرق مرورا بجنوبي ابار صفوان (الرميلة) وجبل سنام وام قصر حتى التقاء خور عبدالله بخور الزبير، اما جزر وربة وبوبيان ومسكان اومشجان وفيلكا وعوهه وفارورة وام المردام فانها تابعة لدولة الكويت. وقد رسم هذا الخط في هذه المنطقة بموجب خريطة اعدت من قبل المساحة العسكرية في المملكة المتحدة، ويتبع ادنى خط انحسار المياه حتى الموضع المقابل مباشرة لتقاطع خور الزبير وخور عبد الله. وبذلك يبلغ طول خط الحدود العراقي الكويتي حوالي (242 كم) اذ يشكل نسبة (7%) من مجموع اطوال الحدود العراقية مع دول الجوار البالغة (3433 كم) (2). هذا الوصف الجغرافي للحدود هو تابع لقرار مجلس الامن 833 لسنة 1993 والذي بموجبه تمت المصادقة على القرار الذي اعتمد من قبل لجنة ترسيم الحدود بموجب الفقرة الثالثة من قرار مجلس الامن المرقم 687 لسنة 1991 (3)، ولا يوجد لخط الحدود اي ترسيم على الارض او اعتراف دولي او عراقي قبل ذلك التاريخ. خريطة (1) وخريطة (2).

المبحث الثاني: واقع الموانئ العراقية:

تعد موانئ العراق من اقوى جسور العالم اذ تعد ملتقى للمسالك البحرية والبرية القادمة من قارات عدة اسيا افريقيا واوربا، وبذلك استطاعت البصرة تاسيس كيان مستقل وبعلاقات وطيدة مع

(1) محمد زباري مونس، الأهمية الجيوبولتيكية لميناء الفاو الكبير، مجلة دراسات البصرة. العدد 18. 2014. ص 58_61.

(2) قاسم محمد الجنابي، ربا صاحب عبد، مصدر سابق، ص336.

(3) محمد عبدالله خالد العبد القادر ، الحدود الكويتية العراقية(دراسة في الجغرافية السياسية)، مركز البحوث و الدراسات الكويتية، ط 1، الكويت، ص244.

مختلف القارات التي تربطهما المصالح المشتركة مع بعض، فضلا عن هيمنتها كدلنا جنوبي العراق وسيطرتها على طرق الملاحة البحرية في الخليج العربي وبالتالي تامين موردا اقتصاديا عن طريق التوسع في التجارة برا وبحرا حتى اصبحت جسرا مائيا ذو اهمية للتبادل التجاري ما بين قارة اوربا والهند والشرق الاقصى وافريقيا عن طريق الموانئ فيها⁽¹⁾.

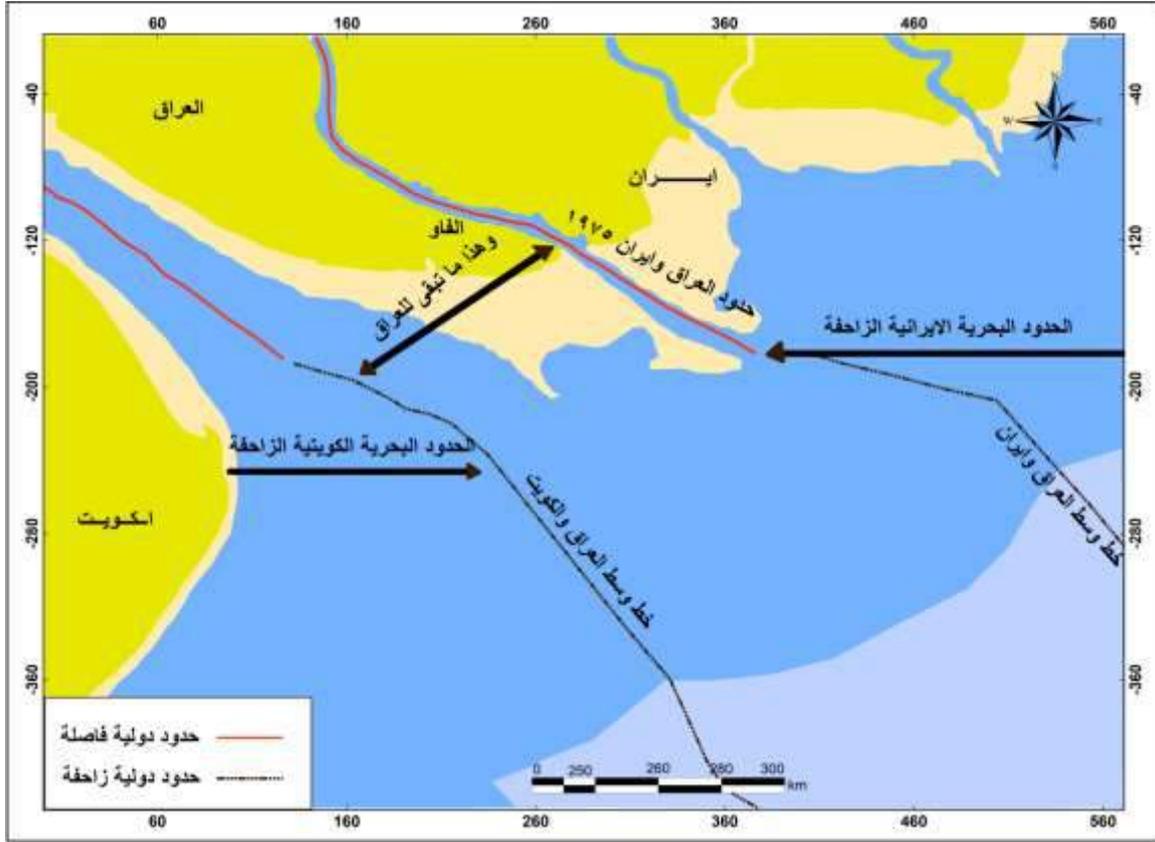
الخريطة (1) الحدود العراقية مع دول الجوار



المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على مديرية الموانئ العراقية – البصرة ، خريطة المناطق البحرية العراقية – الكويتية – الايرانية بمقياس 1:300000 ، 1 ، 2016.

(1) كاظم فنجان الحمادي، صفحات مئينائية مضيئة في تاريخ العراق، دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص8.

الخريطة (2) تخطيط الحدود العراقية - الكويتية



المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على مديرية الموانئ العراقية – البصرة ، خريطة المناطق البحرية العراقية – الكويتية – الايرانية بمقياس 1:300000 ، 1 ، 2016.

اولاً: ميناء الفاو:

تعود فكرة انشاء هذا الميناء الى 1985 بديلا عن ميناء هونغ كونغ، في موقعة الحالي على الطرف الجنوبي من خور عبدالله الذي يعد افضل المواقع العالمية المتاحة اذ انه يقلص الوقت ما بين الشرق والغرب وله ابعاد واهمية جيوسراتيجية كبيرة وضخامة البعد التجاري المهم، كما انه يوفر فرص العمل ويحول المنطقة الى مركز اقتصادي مهم على الصعيد المحلي والعالمي⁽¹⁾.

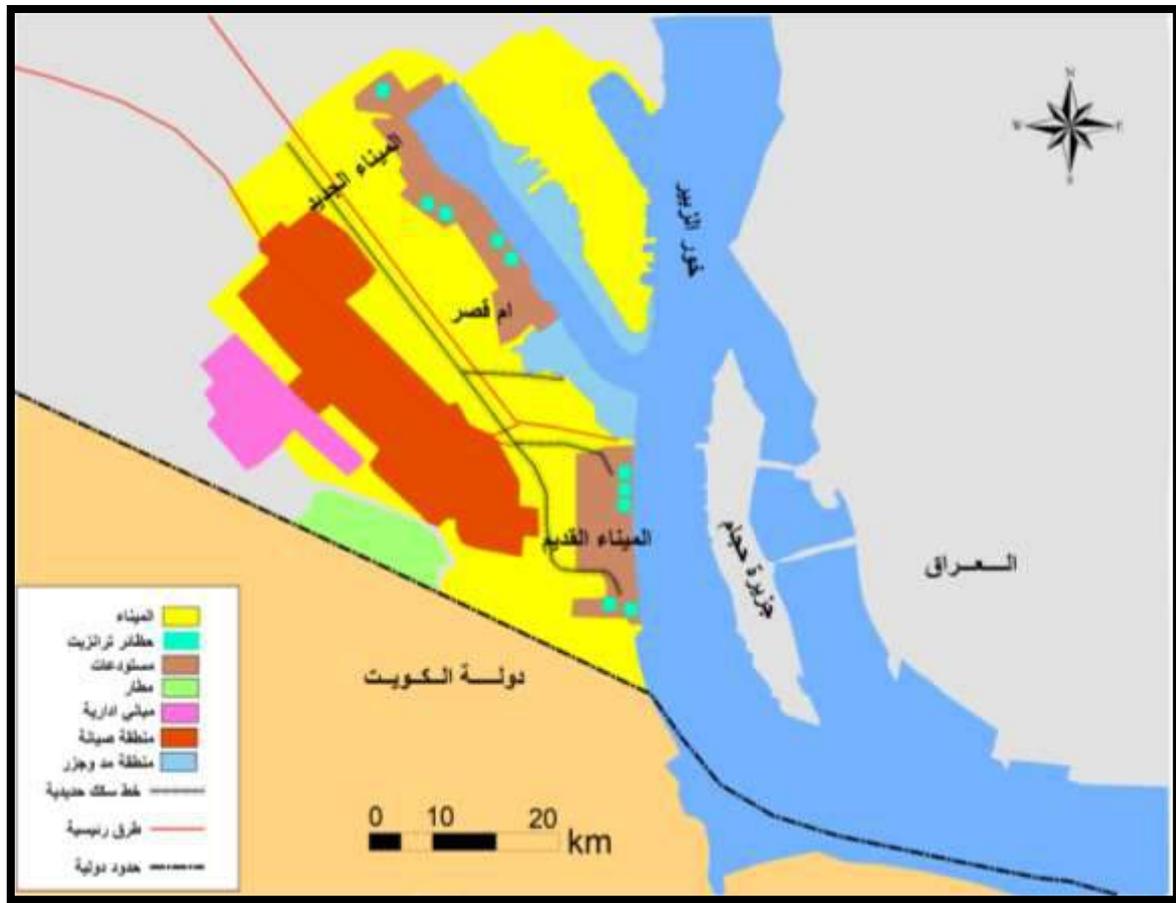
مراحل انشاء ميناء الفاو الكبير من التخطيطات المحتملة للميناء ان يشمل (35) رصيف وبطاقة استيعابية سنوية تبلغ (91) مليون طن، (22) رصيف منها للحاويات بطاقة (7.5) مليون حاوية مكافئة

(1) طالب حسين حافظ، ميناء مبارك وآفاق العلاقات العراقية الكويتية، مجلة رايات دولية، جامعة بغداد، العدد الثالث والخمسون، ص181.

سنويا تعادل ما قيمته (67) مليون طن، وثلاثة عشر رصيفا مخصص للبضائع العامة، والصب بطاقة (24) مليون طن سنويا⁽¹⁾.

ويتضمن المخطط ايضا ربطا للميناء بموانئ سوريا وتركيا الواقعة على البحر المتوسط عبر القناة الجافة المتكونة ايضا من سلسلة من خطوط للسكك الحديدية الغرض منها استيعاب الزخم الاضافي الذي يتولد من نشاطات الميناء الجديد، وكذلك لاستغلال اهمية الموقع الجغرافي للعراق بين الشرق والغرب في نقل تجارة الترانزيت خريطة (3).

الخريطة (3) الموانئ العراقية



المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على مديرية الموانئ العراقية – البصرة ، خريطة المناطق البحرية العراقية – الكويتية – الايرانية بمقياس 1:300000 ، 2016.

(41) اصيل سلمان، مشروع ميناء الفاو الكبير...وتأثير ميناء مبارك، مجلس النواب، دائرة البحوث، كانون الثاني، 2019، ص1-7.

يخطط ان يتم انشاء الميناء في ثلاث مراحل، تشكل الاولى والثانية 60% من الحجم الاجمالي للمشروع اذ يتطلب انجازها اربعة سنوات بكلفة مقدرة (4) مليار دولار اما المرحلتين الثالثة والاخيرة فانها يتطلب انجازها ثلاث سنوات بكلفة (2.3) مليار دولار اذ انها تشكل 40% من حجم المشروع.

المرحلة الاولى: تتضمن هذه المرحلة انشاء ارصفة للحاويات ذات طول يبلغ (3500) مترا وطاقة (3) مليون حاوية سنويا تعادل (27) مليون طن سنويا كما تهيئ ساحات لشحن وتجميع وتفريغ وصيانة للحاويات بمساحة (1000000) م². مع انشاء ارصفة لبضائع الصب بطول يبلغ (1900) متر وتهيئة الساحات المخصصة لها والبالغ مساحتها (300000) م² وان هذه الارصفة ذات طاقة تبلغ (10) مليون طنا سنويا وبذلك يقدر اجمالي الطاقة المركزية في هذه المرحلة (37) مليون طن في السنة.⁽¹⁾ الخريطة(4)

الخريطة (4) موقع ميناء الفاو.



المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على مديرية الموانئ العراقية – البصرة ، خريطة المناطق البحرية العراقية – الكويتية – الايرانية بمقياس 1:300000 ، 2016.

(42) نبيل جعفر المرسومي، حسين حيدر محمد، ميناء الفاو الكبير الاهمية والموقع والتحديات، مركز المحور للدراسات والتخطيط الاستراتيجي، صفحات متفرقة.

المرحلة الثانية: يتم فيه انشاء ارصفة للحاويات بطول (5000) متر وبطاقة استيعابية (5) مليون حاوية في السنة، اي مايعادل (44) مليون طن سنويا، وتكون الساحات مهيئة بمساحة (1700000) م². بينما ارصفة بضائع الصب تكون بطول (2600) مترا ومساحتها تبلغ (450000) م². ان الطاقة الاستيعابية في هذه المرحلة تصل الى (18) مليون طن سنويا لتصل الطاقة الاجمالية المستهدفة للميناء (62) مليون طن سنويا ضمنها.

المرحلة الثالثة: بلغ طول ارصفة الحاويات في هذه المرحلة الى (7500) م وبطاقة استيعابية بلغت (7.5) مليون حاوية في السنة اذ يعادل ذلك (67) مليون طن في السنة، وتهيئ ساحات خاصة بها تبلغ مساحتها (2600000) م². وتزداد ارصفة بضائع الصب حتى يصل طولها الى (3500) م ومساحة ساحات يبلغ (600000) م²(1).

ثانيا: اهمية انشاء ميناء الفاو:

ان ميناء الفاو من المشروعات الاستراتيجية ذات الاهمية البالغة في العراق، اذ يمنحة اطلالة على الخليج العربي اذ يربط مياه الخليج وميناء خور الزبير وام قصر عبر القنوات الملاحية مع الموانئ العالية في اعالي البحار.

ان انشاء الميناء بموقعة القريب على المنافذ البحرية الدولية وباعماق لا تقل عن 17,5 مترا اذ تسمح باستقبال الموانئ العملاقة التي تتجاوز حمولتها (120) طن اذ يؤدي ذلك الى انخفاض كلف النقل حتى تصل الى (100) دولار /طن، اذ ان وبمرور الزمن فان ارصفة الموانئ الحالية ذات الطاقة التصميمية (15,90) مليون طن/سنة تكون غير قادرة على تلبية الطلب المتزايد من الاستيراد والتصدير العراقي اذ ان اعماق واجهات الارصفة فيها محدوده (6-12) مترا وبذلك فهي غير قادرة على استقبال البواخر العملاقة ذات الحمولات والحاويات المتنوعة، كما انها تحتاج الى اعمال الصيانة المستمرة من حفر ورفع الغوارق، ويوضح جدول (1) الزيادة الكبيرة والمتواصلة من الطاقة الاستيعابية وابعاد السفن وظهور الاجيال الجديدة منها، مما يعطي اهمية كبيرة لانشاء الموانئ الجديدة (2). وبذلك دعت الحاجة الى انشاء ميناء الفاو الكبير اكثر مما لو تمت اضافة ارصفة جديدة لمينائي

(44) نبيل جعفر المرسومي، حسين حيدر محمد، ميناء الفاو الكبير الاهمية والموقع والتحديات، المصدر السابق، ص5-8.

(2) جعفر عبدالامير الحسيني، هاشم مرزوك الشمري، تأثيرات انشاء ميناء مبارك على مشروع ميناء الفاو الكبير، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، السنة التاسعة، العدد30، 2011، ص5.

خور الزبير وام قصر اذ انها غير قادرة على تلبية الطلب المتزايد لا من حيث الحجم ولا في استقبال السفن العملاقة. اذ ان ميناء الفاو سيوفر مبالغ مالية نتيجة انخفاض كلف النقل اذ انه سيسهم في تخفيف الضغط على الموانئ الحالية ويلبي الاحتياجات الحالية من استيراد وتصدير كما يتضمن خدمة الترانزيت بين كل من اسيا واوربا وتحسين خط الساحل ومنع عمليات التعرية فيه، كذلك النهوض بالعراق اقتصاديا من خلال تطوير الواجهة المائية له وتشغيل الايدي العاملة⁽¹⁾، وتخفيف الضغط الحاصل على الموانئ العراقية والمساهمة في الاستيراد التجاري، كذلك فان الميناء يتضمن على خدمة الترانزيت اي التجارة الاقليمية بين كل من اسيا واوربا، كذلك خدمة العراق من ناحية الاستيراد والتصدير في المنطقة⁽²⁾.

الجدول (1) الاجيال المختلفة من سفن الحاويات

العرض (متر)	الطول (متر)	السعة teu	
26	180	1000	الاول
30	225	1800	الثاني
32.2	290	3000	الثالث
40	275	4300	APL C10
42.80	280	8000	OOCL
69	381	15000	ULCS

المصدر: 1- صلاح اسماعيل حسن، تسعير خدمات الموانئ البحرية، بدون ذكر الطبعة وجهة النشر، القاهرة، 2007، ص194. 2- جعفر عبدالامير الحسيني، هاشم مرزوك الشمري، تأثيرات انشاء ميناء مبارك على مشروع ميناء الفاو الكبير، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، السنة التاسعة، العدد30، 2011، ص5.

(1) نبيل جعفر المرسومي، حسين حيدر محمد، ميناء الفاو الكبير الاهمية والموقع والتحديات، مصدر سابق، ص6.
(2) نبيل جعفر عبدالرضا، حسين حيدر محمد الجزائري، الموانئ العراقية ودورها في النشاط الاقتصادي (دراسة حالة ميناء الفاو الكبير)، مجلة الاقتصاد الخليجي، العدد 30، 2016، ص 122.

ثالثاً: التحديات التي تواجه ميناء الفاو: يواجه ميناء الفاو تحديات كبيرة مناخية داخلية وأخرى خارجية كونه سيشكل عبءاً أمام المشروعات التي تحاول إحياء اقتصاد العراق سيما إنشاء ميناء مبارك الكويتي الذي يراد منه تضيق الحدود المائية العراقية:

التحديات الداخلية:

تتمثل التحديات الداخلية للميناء بمجموعة من العوائق أمام تنفيذه منها:

1- تعاون وتواطؤ بعض الشخصيات والمتنفذين في الحكومة العراقية مع دول الجوار بسبب التبعية لتلك الدول ويتم ذلك من خلال الضغط على الحكومة العراقية من أجل عرقلة وعدم تنفيذ الميناء نتيجة الأهمية التجارية الكبيرة المستحصلة من الميناء في المستقبل كونه حلقة وصل والطريق الأسرع ما بين دول آسيا وأفريقيا وأوروبا وبذلك يقلل من كلف النقل الدولي.

2- قلة التمويل المالي للميناء من قبل وزارة النقل كونه تابع للخطط الاستثمارية للوزارة وبذلك يؤثر سلباً على إكمال مراحل البناء للميناء، أنه من المعروف أن التخصيصات المالية معتمدة على النفط وأن أية خلل أو اضطراب فيها سوف تضرب الاستثمارات ويترك المشروع.

أما المرحلة الأولى لتنفيذ ميناء الفاو الكبير المتمثلة في إنشاء كاسر الأمواج الشرقي الذي تبنت إنشائه الشركة اليونانية بطول يبلغ 8 كم مقابل مبلغ قدره 600 397 مليون دولار وصلت فيه نسبة الإنجاز 98%، وبذلك قد شارف على الانتهاء، وكاسر الأمواج الغربي الذي تتبني تنفيذه شركة دايو الكورية مبلغ بلغت قيمته 500 792 مليون دولار وبتول 16 كم، بلغت فيه نسبة الإنجاز الفعلي 20% لغاية تاريخ 2015/12/31، وقد أبرم عقد التنفيذ من قبل الشركة العامة للموانئ العراقية مع شركة دايو الكورية بتاريخ 2013/11/25، ومن هذا التاريخ وحتى منتصف عام 2016 لم تصل نسبة الإنجاز إلى 30%، علماً أن العقد انتهى في أغسطس من عام 2016.

إن تنفيذ كاسر الأمواج الشرقي قد شهد تحديات عديدة لكونه أطول من الكاسر الغربي وبذلك فانه يتطلب جهوداً مكثفة للعمل به ويعزى هذا التأخير في الإنجاز كاسر الأمواج الغربي إلى عدة أسباب منها، عدم دفع مستحقات الشركة الكورية من قبل شركة الموانئ العراقية بالمدة المتفق عليها نتيجة لعدم توفير التمويل المالي، إذاً من ضمن شروط إبرام العقد لتنفيذ الكاسر فتح رسالة اعتماد بكامل مبلغ العقد وتكون على مرحلتين من قبل الشركة العامة للموانئ العراقية، كما تقوم بفتح رسالة اعتماد غير قابلة للرد بما يعادل 50% من الكلفة الإجمالية في

المرحلة الاولى، بينما الجزء المتبقي سيكون ضمن اجراء تمديد رسالة الاعتماد او فتح رسالة اعتماد جديده، ضمن مدة لا تتجاوز السنة والنصف من تاريخ العقد، ومن ثم فان الشركة العامة لموانئ العراق لم تلتزم بهذا الشرط، اذ انها لم تقم بفتح رسالة اعتماد ثانية وقد مر على تاريخ العقد نحو سنتين ونصف، وذلك لعجزها في توفير التمويل اللازم، علما ان شركة دايو الكورية قد طالبت بفتح اعتماد اخر للحصول على مستحقاتها ولم تتلق اية استجابة⁽¹⁾.

3- دفع المستحقات، من المتفق عليه ان تقوم الشركة العامة لموانئ العراق بدفع المستحقات الى شركة دايو الكورية وحسب مراحل الانجاز، في حين ان ما يحصل غير ذلك، فعلى سبيل المثال عند اكمال 10% من نسبة الانجاز تحصل الشركة الكورية على 3% من مستحقاتها بدلا من 10% من المستحقات وفي حال وصلت نسبة الانجاز 20% حصلت على 10% من مستحقاتها، ومن ثم فان ذلك يسبب تراكم المستحقات على الشركة العامة لموانئ العراق، وفي الوقت نفسه فان الشركة الكورية تحتاج تلك المستحقات لغرض تمويل مراحل العمل، والا فانها ستواجه مشكلات مادية ومن ثم تلكؤ وتأخير في مراحل العمل.

4- سوء عملية الادارة: تواجه الشركة المنفذة لكاسر الامواج الغربي مشكلات ادارية عدة، متمثلة بوجود شخص واحد تتعامل معه الشركة المنفذة وهو مدير ميناء الفاو الكبير، اذ ان حصر التعاملات مع مدير ميناء الفاو الكبير دون وجود شخص اخر في حالة حصول طارئ تعد مشكلة تواجهها الشركة المنفذة للكاسر الغربي.

5- فيزا(السمة) الدخول للعاملين الاجانب، تعد مشكلة الفيزا من المشاكل الكبيرة التي تواجهها الشركة الكورية، وذلك بسبب الروتين الاداري لدى وزارة الداخلية – متمثلة بمكتب الجوازات، حيث انه لا يفرق بين العاملين الاجانب في الشركات الاستثمارية وبين العاملين الاجانب في المطاعم والفنادق، اذ عندما تطلب الشركة المنفذة عاملين اجانب فان عملية الحصول على الفيزا تستغرق مدة زمنية طويلة حتى تصل ستة اشهر او ربما سنة، فضلا عن ذلك في حال انتهاء الفيزا ومن ثم تجديدها ايضا تستغرق 3 اشهر، وتعد هذه عوائق كبيرة تواجهها الشركة الكورية.

(20) رائد الهاشمي، طوق النجاة الوحيد هو ميناء الفاو الكبير بتاريخ 2020/12/5، على رابط المقال <https://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?t=2&aid=701275> على شبكة المعلومات الدولية

6- التظاهرات، يقوم اهالي منطقة الفاو بين الحين والآخر بتظاهرات وقطعهم طريق الشاحنات المحملة بالمواد الاولية التي تحتاجها الشركة وذلك بداعي الحصول على فرص عمل في الميناء، اذ انها تسبب توقف العمل في الميناء لعدة ايام، وهذه التوقفات تعد تكاليف اضافية تتحملها الشركة، اذ تقدر كلفة التوقف لليوم الواحد حوالي الى 700 الف دولار، فضلا عن ذلك فان الشركة عندما تقوم بتشغيل الايدي العاملة من منطقة الفاو تكون مجبرة على ذلك وان الاعداد التي يتم تشغيلها تشكل عبئا اضافيا وتكلفة تقع على عاتق الشركة، فضلا عن تكاليف تاهيلهم وتدريبهم ومن ثم التحاقهم بالعمل اذ ان الشركة الكورية قد انشأت مركزا لتدريب وتاهيل العاملين الجدد.

7- الضرائب والرسوم، اذ جاء قرار مجلس رئاسة الوزراء رقم (٣٥٦) في جلسته الاعتيادية السابعة والثلاثين في عام ٢٠١٣، والذي ينص على اعفاء الشركات الاجنبية القائمة بتنفيذ مشروع ميناء الفاو الكبير من دفع الضرائب والرسوم كونه من المشروعات التنموية، في حين تقوم الشركة العامة للموانئ العراقية باستقطاع ضرائب ورسوم من الشركات العاملة بالميناء ومن ضمنها شركة دايو الكورية. اذ بلغت قيمة رسوم الموانئ التي قامت شركة دايو الكورية بتسديدها (٩١٣ ١٥١٨) مليون دولار، علما ان الشركة الكورية قد طالبت الشركة العامة لموانئ العراق باسترجاع المبالغ التي دفعتها كرسوم، ولكن لم تلق استجابة منها.

8- احتياج ميناء الفاو الكبير الى بنية تحتية وخدمات ارتكازية كبيرة ومتكاملة من الماء والكهرباء وخطوط السكك الحديدية والطرق وبقية الخدمات الاخرى وذلك لضخامة المشروع.

9- عدم توفر بيئة امنية وقانونية لانجاحه، وذلك من خلال ماتشده وتعرض له الشركة الكورية من عمليات تسليب للشاحنات والزوارق التي تنقل المواد الاولية من ميناء ام قصر الى ميناء الفاو الكبير، فضلا عن ذلك تعرض منتسبيها لعمليات الخطف، وان ذلك يعد مؤشرا على غياب السلطات الامنية والقانونية في المنطقة التي لا بد من ان تاخذ دورها في توفير الامن للشركات الاستثمارية، فضلا عن ذلك رفض بعض العاملين الاجانب العمل في العراق بداعي عدم استقرار الوضع الامني فيه وعزوف الشركات الاخرى عن الاستثمار فيه.

10- عدم وجود شبكة نقل كفوءة تتناسب مع حجم الميناء.

التحديات الخارجية:

تتمثل بالوضع السياسي المتدهور والمضطرب في الدولة واحساس دول الجوار كمصر والكويت والامارات وايران بالضرر، كذلك عدم توافر عامل الثقة بالمنظومة الوطنية في العراق مما دفع الشركات المستثمرة الى التردد والانسحاب من الاستثمار من العراق نتيجة لعدم توفر المصادقية والبيئة الامنية⁽¹⁾.

رابعاً: التأثيرات المحتملة لميناء مبارك على مشروع ميناء الفاو الكبير.

يقع ميناء مبارك في شمال الكويت عند شرق جزيرة بوبيان ويمر باربعة مراحل لانشاءه انجزت المرحلة الاولى في عام 2015م باربعة ارصعة مع مخطط هيكلي ليصل لستين رصيف في المستقبل وبذلك يكون من اكبر موانئ الخليج العربي، من المقرر ان تنتهي هذه المرحلة على نحو ثلاثة اجزاء في العام نفسه، يرتبط الميناء مع البر الرئيسي في الصبية ومدينة الحرير بثلاث جسور وطرق سريعة كما انه من المقرر ربطه بسكة القطار الخليجية التي تخدم الميناء ويخطط كذلك لمد السكة نحو العراق وتركيا وايران.

سيتم تشغيل هذا الميناء باربعة ارصعة تكون مخصصه للحاويات بطاقة استقبال تقدر بمليون وثمانمائة الف حاوية في السنة، سيتم انجاز الاجزاء الثلاثة لهذه المرحلة على النحو الاتي⁽²⁾:

- 1- الجزء الاول: بدا العمل فيه في اغسطس عام 2007 مشتمله على انشاء طريق بطول 31 كم مزدوج الاتجاهين وكذلك رصيف للسكك الحديدية مارا بالجزيرة وارض الكويت.
- 2- الجزء الثاني: يشمل على تصميم 16 مرسى و 4 مراس بطول 1.600م وعمق 16م وتصاميم لتعميق القناة الملاحية لتصل بعمق 14.5م و16م لاحواض المياه .
- 3- الجزء الثالث: يشمل هذا الجزء على الاعمال الخاصة بتعميق المسار الملاحي في البحر واحواض المياه وذلك لتمكين السفن كبيره الحجم للوصول والارساء بسهوله ويسر على ارصفه الميناء فضلا عن تشكيل وانشاء المباني والخدمات ذات الاهميه الكبيره في تشغيل الميناء.

(1) محمد زباري مونس، الاهمية الجيوبولتيكية لميناء الفاو الكبير، مجلة دراسات البصرة، السنة التاسعة، العدد 18، 2014، ص73.

(2) عامر محسن العامري، ميناء مبارك والامن في الخليج العربي، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد 75، 2012، ص287.

اما المرحلة الثانية للمشروع فانها كانت متضمنه انشاء اثنا عشر مرسى لتصل السعة الاجمالية للميناء ستة عشر مرسى. اما الثالثة تشمل انشاء ثمانية مراس و الرابعة على ستة وثلاثون مراس ليصل الميناء الى ستون مرسى⁽¹⁾.

يشكل ميناء مبارك خلاف استراتيجي كبير ما بين العراق والكويت وقد اعترض العراق على انشاء هذا الميناء نتيجة لقرب جزيرة بوبيان من السواحل العراقية كما ان المشروع مخالف لقرار مجلس الامن الخاص بالحدود المرقم (833)، اذ انه يعرض العراق الى اخطار واضرار عده تهدد المنفذ البحري الوحيد للعراق ويغلق القناة الملاحية في خور عبدالله، اذ ان بناء ساتر كبير اسمنتي مدعم بالحجارة وتحيطه الركائز الفولاذية يتسبب بغلق القناة تمهيدا لغلق وقطع مسارات ميناء ام قصر الملاحية وبذلك يحرم العراق من الاستفادة والتمتع بصلاحيته وحقوقه في الخليج العربي. كما انه يتسبب بزيادة الترسبات الطينية في تلك القنوات الملاحية وبذلك يقلص السواحل البحرية العراقية⁽²⁾، كما ويتسبب باعاقبة طريق وصول السفن كبيرة الحجم للميناء والسماح بعبور الصغيرة فقط وهذا مالم يكن مخطط له عند انشاء الميناء ويفقده الجدوى الاقتصادية اذ انه يتناسب طرديا بين سعته وحجم المعدات والتجهيزات له وحجم السفن الداخلة اليه اذ ان الفرق في تكاليف التشغيل وحجم السفن يكون اكبر كلما كان الميناء اكبر وتجهيزاته حديثة وبطاقه انتاجية اعلى. ويعود السبب في ذلك الى ان حجم الطاقة العاطلة يكون اكبر في الميناء الكبير والمطور اذا كان التعامل مع السفن صغيرة الحجم، ويتاثر بهذا ميناء الفاو بشكل كبير كونه مجهز لاستقبال السفن الكبيرة بينما بقية الموانئ العراقية سيكون تآثرها اقل كونها مجهزه لاستقبال السفن صغيرة الحجم. ومن رؤية اخرى قد يتسبب في قطع الطرق امام جميع السفن باحجامها الصغيرة والكبيرة من الوصول الى الميناء وذلك لقصور الاجزاء المتاحة من الخور على المياه الضحلة فقط وسيصيب ذلك الموانئ العراقية بالفشل الذريع وسيؤدي ذلك الى اضطرار العراق على استخدام الموانئ المجاورة لنقل تجارته ويحمله تكاليف اضافية لنقل الصادرات والواردات، فضلا عن فقدان الاموال وتدهور الاقتصاد وما يرتبط بالمنافع المصاحبة للموانئ كما وسيؤدي ذلك الى ثقل كاهل الاقتصاد نتيجة ارتفاع التكاليف ومن ثم ارتفاع اسعار السلع المستوردة والسلع المعدة للتصدير وبالتالي اضعاف القدرة التنافسية للمنتجات العراقية، فضلا عن تعقيدات عبور البضائع الواردة للعراق من الدول الاخرى جراء الوقت المستغرق والتكاليف الناجمة عن تعقيد الاجراءات والروتين، فضلا ذلك يؤثر على مستقبل العراق كافة اذ يمنعه

(1) خلود موسى عمران، مريم خير الله خلف، واقع الموانئ العراقية وآفاق المستقبل (ميناء الفاو الكبير انموذجا)، مجلة دراسات البصرة، السنة السابعة، العدد 13، 2012، ص 262.

(2) ميناء مبارك الكبير. www.alwatan.com.

من تقوية وتعزيز موانئه التنافسية وتراجعها المستمر، وبفائه خارج منظومة الموانئ الدولية في الوقت الذي تعمل فيه بقية الدول على تطبيق اقتصاديات الحجم الكبير والانتاجية المرتفعة والتكاليف المنخفضة⁽¹⁾.

يعد الميناء هو الجهة النافسة للاقتصاد الوطني العراقي بشكل عام واقتصاد البصرة بشكل خاص فضلا عن انشاء مثل هذا الميناء يعني موت الموانئ العراقية باعتبارها احد مصادر الدخل القومي وتمثل رئة الدولة الاقتصادية وان غلقة يعني القضاء على الاقتصاد الوطني وبذلك قد يتسبب بازمانات سياسية بين الدولتين من جديد جراء خنق وبتر المنفذ العراقي البحري الوحيد⁽²⁾، اذ ان المصالح لم تراعى بين الدولتين وقد اجحفت حق العراق في انشاء هذا الميناء الذي يكون منافس شديد لميناء الفاو الكبير ولاسيما انه تمت اقامته في موقع حساس وقريب بالنسبة للعراق وان الكويت تملك سواحل اخرى مطله على البحر وبامكانها اقامة موانئ كبيره فيها دون المساس بمصالح العراق والقضاء على اقتصاده ومنتفسه الوحيد في الخليج العربي.

الخاتمة:

مرت المشاكل الحدودية ما بين العراق والكويت في مراحل عده فهي لم تهدي في اي وقت فهذه المشاكل لم تهدد الامن العراقي فقط وانما امن الخليج العربي اجمع، لما تشكله هذه المنطقة من شريان استراتيجي مهم ومنطقة القلب للعالم كونها منطقة خطوط تجارية عالمية ما بين الشرق والغرب.

ان اخر ما قامت به الكويت هو انشاء ميناء مبارك الكويتي على خطوط لملاحة العراقية وبذلك فانها تقطع كميات كبيره من المياه الواصلة الى ميناء ام قصر وانخفاض المناسيب فيه فهي بذلك تقوم بمصادره والاستيلاء على خط الملاحة البري الذي يشكله العراق امام جميع بلدان العالم، اذ انها تزامم العراق على هذا الممر وتضيقة امام العراق بشكل كبير لتتضمن المنطقة على ثلاثة موانئ منها ميناء الفاو الكبير اضافة لميناء مبارك العملاق وبذلك تضيق المنطقة بشكل كبير جدا ولا تسمح للسفن الكبيرة بالمرور واقتصاره على السفن الصغيرة في عبورها نحو ميناء الفاو وبهذا تشكل خنق كبير لخطوط الملاحة العراقية نتيجة اقامة ركائز كونكريتية حاجزه للمياه نحو عبورها

(1) جعفر عبدالامير الحسيني، هاشم مرزوك الشمري، تاثيرات انشاء ميناء مبارك على مشروع ميناء الفاو الكبير، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، السنة التاسعة، العدد الثلاثون، 2011م، ص20.

(2) عامر محسن العامري ميناء مبارك والامن في الخليج العربي، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد 75، 2012، ص288.

نحو ميناء ام قصر وبالتالي ينخفض منسوب المياه وتكون ضحله جدا في الميناء الاخير وبهذا لايقوى على استقبال السفن العملاقة.

الاثار السلبية التي يشكلها ميناء مبارك على تحقيق الجدوى الاقتصادية لميناء الفاو وتقليص مساحة الممر الملاحي العراقي باتجاه ميناء ام قصر وبالتالي ضحالة المياه وعدم القدرة على الاستيعاب سوى السفن الصغيرة الحجم.

اصابة الموانئ العراقية بالشلل التدريجي كلما توسعت مراحل الانشاء في ميناء مبارك وبالتالي تفقد الموانئ العراقية جدواها الاقتصادية وتعاملاتها مع الدول التجارية والاقتصادية وتنسحب باتجاه الكويت.

تقليص مساحة الجرف القاري العراقي الذي لم يتحدد لحد الان مع الكويت نتيجة الامتدادات والتوسعات في انشاء ارصفت ميناء مبارك.

تسبب في اثار ضخمة جدا على الاقتصاد العراقي كونه يقطع التعاملات التجارية مع الدول وبالتالي فقدان الكثير من الايدي العاملة للعمل وكذلك زيادة التكاليف على البضائع المستوردة والمصدرة في ان واحد وهذا ما يثقل كاهل العراق من الناحية الاقتصادية.

فقدان ميناء الفاو لجدواه الاقتصادية التي اقام من اجلها اذ انه مخصص لاستقبال السفن الكبيرة الحجم وهذا ما اثار مخاوف الكويت ودعاها لاقامه ميناء مقارب له وبضخامة اكبر من اجل قطع الطرق اما العراق وخنقه استحصال تلك الجدوى الاقتصادية.

الاثار والاضرار البيئية التي تلحقها عمليات الانشاء والحواجز والسواتر الكونكريتية تتسبب في القضاء على الثروة السمكية في المياه الاقليمية العراقية.

وبالتالي فان اقامة هذا المشروع تتسبب في القضاء على العراق في المستقبل القريب مالم تعالج تلك المشكلة مع الكويت اذ انها تملك اماكن اخرى لاقامة مثل تلك المشاريع لكنها اختارت جزيرة بوبيان بالتحديد من اجل خنق العراق لكن لم تحصل تلك المعارضات والتفاوضات من الجانب العراقي لحل هذه الازمة المتوقعة في الاقتصاد اذ انه يعد بمثابة خنق المياه في دجلة من قبل الكويت وبالتالي يتسبب في انخفاض شديد لمناسيب المياه في ام قصر.

قائمة المصادر والمراجع:

1. انتهت هذه المعاهدة الحرب العثمانية الصفوية التي استمرت بين الجانبين مائة وخمسين عاماً في عهد السلطان مراد الرابع العثماني، في نهاية حملته لتحرير بغداد من الاحتلال الفارسي. وقد استغرقت المفاوضات 13 يوماً حتى تم توقيعها في 17 مايو 1639. وعينت هذه المعاهدة الحدود بين الجانبين، بطول 2185 كم، على أساس الوضع الراهن، آنذاك. فأعطت يريفان (أرمنيا حالياً) وآخالتسيخه (جورجيا حالياً) للدولة الصفوية والعراق (بغداد والبصرة وشهريزور) للدولة العثمانية.
2. الجميلي، مالك دحام، لمياء محسن الكناني، العلاقات العراقية الكويتية واشكالية ميناء مبارك، دراسات دولية، العدد الثاني والخمسون،.
3. الجنابي، قاسم محمد، ربا صاحب عبد، 2013، اشكالية ترسيم الحدود العراقية الكويتية والخروج من احكام البند السابع، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد 12، حزيران .
4. حافظ، حسين، 2001، العلاقات التركية – الاسرائيلية واثرها على الامن القومي العربي للفترة من عام 1980-1996، اطروحة دكتوراه (غير منشوره)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.
5. حافظ، طالب حسين، ميناء مبارك وآفاق العلاقات العراقية الكويتية، مجلة رايات دولية، جامعة بغداد، العدد الثالث والخمسون،.
6. الحسيني، جعفر عبدالامير، هاشم مرزوك الشمري، 2011، تأثيرات انشاء ميناء مبارك على مشروع ميناء الفاو الكبير، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، السنة التاسعة، العدد 30.
7. الحمامي، كاظم فنجان، 2014، صفحات مينائية مضيئة في تاريخ العراق، دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
8. رائد الهاشمي، طوق النجاة الوحيد هو ميناء الفاو الكبير بتاريخ 2020/12/5، على رابط المقال <https://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?t=2&aid=701275> على شبكة المعلومات الدولية
9. سلمان، اصيل، 2019، مشروع ميناء الفاو الكبير... وتأثير ميناء مبارك، مجلس النواب، دائرة البحوث، كانون الثاني.

10. الشافعي، محمد، محمد يوسف، 2006، قناة السويس: ملحمة شعب..تاريخ أمة، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
11. العامري، عامر محسن، 2012، ميناء مبارك والامن في الخليج العربي، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد الخامس والسبعون.
12. العبد القادر، محمد عبدالله خالد، 2000، الحدود الكويتية العراقية(دراسة في الجغرافية السياسية)، مركز البحوث و الدراسات الكويتية، ط 1، الكويت.
13. عبدالرضا، نبيل جعفر، حسين حيدر محمد الجزائري، 2016، الموانئ العراقية ودورها في النشاط الاقتصادي (دراسة حالة ميناء الفاو الكبير)، مجلة الاقتصاد الخليجي، العدد 30، 2016.
14. عبيد، قاسم محمد، 2008، مشكلة الحدود العراقية الكويتية (دراسة جيوبولتيكية) نشرة شؤون عراقية، العدد الخامس، بغداد، مركز دراسات النهرين/جامعة النهرين، كانون الثاني.
15. عبيد، قاسم محمد، 2010، الموقع الجغرافي البحري العراقي(دراسة جيوبولتيكية)، مجلة المؤتمر العلمي لجامعة واسط، العدد 3.
16. عمران، خلود موسى، مريم خير الله خلف، 2012 واقع الموانئ العراقية وآفاق المستقبل(ميناء الفاو الكبير انموذجاً)، مجلة دراسات البصرة، السنة السابعة، العدد 13 2012.
17. الكولي، علاء ناصر، العلاقات العراقية الكويتية، ازمة الحضور السياسي وغياب السياسة،
www.sutuur.com
18. المرسومي، نبيل جعفر، حسين حيدر محمد، ميناء الفاو الكبير الاهمية والموقع والتحديات، مركز المحور للدراسات والتخطيط الاستراتيجي، صفحات متفرقة.
19. معاهدة الجزائر هي المعاهدة وقعت بين العراق وإيران في 6 آذار/مارس عام 1975 بين نائب الرئيس العراقي آنذاك صدام حسين وشاه إيران محمد رضا بهلوي وبإشراف رئيس الجزائر آنذاك هواري بومدين. شكّلت حدود العراق مع إيران أحد المسائل التي تسببت في إثارة الكثير من النزاعات في تاريخ العراق.
20. الموعد، حمد سعيد، 1999، أمن الممرات المائية العربية (دراسة)، اتحاد الكتاب العرب.

21. مونس، محمد زباري، 2014، الأهمية الجيوبولتيكية لميناء الفاو الكبير، مجلة دراسات البصرة، العدد 18.

22. Adnan A.M. Aqraw, Implication Of Sea Level Fluctuation, Sedimention And Neotectonic For The Evolution Of Marshlands of Southern Mesopotemia, Quaternary Proceedings, No.3, 1993, P21-31.

البعد الجغرافي للعدالة الصحية ومؤشرات التباينات الجهوية للمنظومة الصحية المغربية

The geographic dimension of health equity and indicators of regional disparities in the Moroccan health system

د. بدرالدين أيت لعسري: أستاذ باحث، فريق بحث المجالات والمجتمعات والبيئة، التهيئة والتنمية،
كلية اللغات والفنون والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير، المغرب

د. محمد أنفلوس: أستاذ الجغرافيا، مختبر دينامية المجالات والمجتمعات، كلية الآداب والعلوم
الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، المغرب

Dr. Badr eddine AIT LAASRI: Professor of geography. University IBN
ZOHR Agadir. Morocco

Dr. Mohammed ANNEFLOUSS: Professor of geography, University
Hassan 2 Casablanca, Morocco

المخلص:

يقدم هذا المقال دراسة جغرافية لمسألة العدالة الترابية والتباينات الجهوية لعرض العلاجات الصحية بالمجال المغربي، وذلك بالتحليل الكمي والكرطوغرافي للمعطيات الإحصائية لسنة 2019، وذلك باعتماد مؤشرات عرض العلاجات الصحية والحالة الصحية. وتتوخى الدراسة أيضا، إبراز دور الجغرافيا الاجتماعية في معالجة موضوع الصحة البشرية، الذي ظل إلى أمد قريب حكرا على العلوم الطبية والوبائية.

ومن نتائج هذه الدراسة رصد التفاوتات الجهوية في عرض العلاج وإبراز المجالات الترابية الجهوية التي تعرف نقصا كميا ونوعيا في عرض العلاج الصحي ارتباطا بالوضع الوبائي، ووجود جهات، ومدن تعرف مستويات من التركيز القوي مثل الدار البيضاء والرباط، وأخرى تعاني من النقص الحاد والخصاص في جميع ميادين الخدمات والمرافق الصحية كميا ونوعيا. كما أن أغلب الجهات غير قادرة على الاستجابة لمتطلبات الرعاية الصحية، مما يعرقل تحقيق العدالة الترابية والحق في الصحة، ويولد للسكان الشعور بالحرمان وانحطاط الكرامة ويعيق الاندماج.

وتتيح نتائج الدراسة توفير خلاصات واستنتاجات قد تساعد الباحثين والأكاديميين في تقييم التجربة الجهوية الموسعة المعتمدة منذ سنة 2015 فيما يتعلق بالتنظيم الجهوي لعرض العلاجات الصحية، كما تفيد في التخفيف من حدة التفاوتات في ولوجية العلاجات والاستفادة منها، وتحديد أولويات التدخل لتحسين الحالة الصحية للسكان، كأحد مؤشرات التنمية البشرية ارتكازا على قيم العدالة والحق في الصحة كما تقر به المواثيق الدولية ودستور سنة 2011.

الكلمات المفتاحية: جغرافيا الصحة، تباينات جهوية، عدالة ترابية، الحالة الصحية، مؤشرات صحية، محددات صحية، سريانية الأمراض، هشاشة اجتماعية، مقاييس النزعة المركزية، مقاييس التشتت، معامل الارتباط

Abstract:

This article presents a geographic study of territorial equity, the right to health, and regional disparities in health care in the Moroccan National Health System, through the quantitative analysis of regional statistical data, available for 2019, based on certain health care and health status indicators.

This study also aims to highlight the role of social geography in the

understanding of human health problems, which until then was limited to the medical and epidemiological sciences.

The results of this study include monitoring regional inequalities in the supply of health care and highlighting regional disparities and quantitative and qualitative shortcomings in the supply of health care linked to the epidemiological situation. Certain regions and cities such as Casablanca and Rabat experience a high concentration, while others suffer from chronic shortcomings, both quantitative and qualitative, in all areas of care services and health infrastructure. Also, most regions are unable to meet the need for quality health care, which constitutes a handicap before territorial equity and the right to health, generates a feeling of deprivation and dignity for the population, and prevents integration.

Thus, the results of the study offer help to researchers, academics, and professionals assess the experience of advanced regionalization adopted since 2015, especially with regard to the regional organization of healthcare provision, as well as practices for reducing inequalities in access and care services, and determining intervention priorities to improve the health status of the population, as essential indicators of human development based on the values of equity, and the right to health as recognized by international conventions and the national constitution 2011.

Keywords: Health geography, regional disparities, territorial equity, state of health, health indicators, determinants of health, disease prevalence, social vulnerability, central tendency measures, dispersion measures, correlation coefficient.

المقدمة:

إن الصحة حق إنساني متعدد الأبعاد، من مكوناته عدالة الولوج المجالي والاجتماعي للعلاج والانتفاع منه دون قيد أو شرط أو تمييز. وقد سعت الدولة المغربية إلى تحقيق ذلك خلال العقود الأخيرة في إطار دولة الحق والقانون وسياسة التنمية الاجتماعية، بصياغة وتطبيق العديد من التدابير والإجراءات والآليات القائمة على مبدأ التضامن والأنسنة والتلاحم الاجتماعي والمساواة والإنصاف في استفادة جميع السكان المغاربة من الخدمات الطبية. ومن بينها سن القانون المتعلق بمدونة التغطية الصحية 00-65 سنة 2002 وقانون التأمين الإجباري عن المرض، ونظام المساعدة الطبية سنة 2005. وإحداث العديد من المؤسسات الاستشفائية والوقائية، وزيادة عدد الأطر الصحية وتشجيع القطاع الصحي الخاص، وكذا إنجاز بنى اجتماعية صحية متعلقة ببرامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية. لتغطية الحاجيات الصحية للسكان في جميع المجالات الترابية. علاوة على ذلك تبني سياسات ترابية لتدوير الفوارق الترابية، كسياسة إعداد التراب الوطني والجهوية المتقدمة وسياسية المدينة، لخلق توفيق مابين الحاجيات الصحية للسكان المرتبطة بالتغيرات والانتقالات العامة وعرض العلاجات الصحية.

لكن وللأسف، رغم المنجزات المحققة فإن هذه التدابير والسياسات الترابية التنموية لم تتمكن من تقليص الهوة والفوارق الترابية في الصحة مابين المجال الحضري والريفي، ومابين مركز المدينة والضواحي، وهذا ما تؤكدته الدراسة المنجزة عن التحليل المجالي لعروض العلاجات الصحية بجهة الدار البيضاء الكبرى (جهة من جهات التقسيم الجهوي السابق) التي كشفت عن خلل واضح في التنظيم الترابي للجهة في توزيع عرض العلاجات الصحية يتمثل في مركزية مفرطة للبنيات الصحية، والديمغرافية الطبية بمركز المدينة في حين أنها متدنية بالمجال الترابي الضاحوي والريفي كمياً ونوعياً (أيت لعسري بدر الدين، 2014، ص 142-254).

وتوجد هذه الفوارق أيضاً مابين المناطق الداخلية والساحلية، ومابين المناطق الجبلية والسهلية، والصحراوية، ومابين مختلف الجهات. فقد أكدت دراسة حالات حول الفوارق في الاستفادة من الرعاية الصحية بالمغرب وجود تفاوتات في ولوجية الخدمات الطبية مابين الجهات والأقاليم، ومابين الفئات الاجتماعية الفقيرة الهشة والميسورة، كما أبرزت اختلاف المشاكل والمعوقات التي تحد من تمكن المغاربة من الولوج للعلاج. بدراسة ثلاث مدن مختلفة وهي سلا (مجال حضري) وفكيك (منطقة واحة بعيدة عن مناطق الجذب) وأزيلال (منطقة جبلية) (المرصد الوطني للتنمية البشرية، 2012).

ويكشف تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي سنة 2014 عن أن "النظام الصحي يتطور في سياق يتسم بالتفاوت في توزيع الموارد بين مناطق التراب الوطني، من جهة، وتزايد تطلعات الساكنة الراحبة في الاستفادة من خدمات صحية جيدة. وفي هذا الصدد، تكشف أغلب المؤشرات المرتبطة بالوضعية الصحية بالمغرب عن وجود تفاوتات بين الجهات وداخل الجهة الواحدة وبين الوسطين القروي والحضري" (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2014).

استدراكا لواقع التفاوتات الترابية فقد تخلت الدولة عن التقسيم الجهوي السابق، وتبنت تقسيما جهويا جديدا منذ سنة 2015، أفرز اثنتا عشرة جهة، أملا في تجاوز تحدي الفوارق المجالية والاجتماعية في عدة مؤشرات اقتصادية واجتماعية من ضمنها الصحة.

من هذا المنطلق نقدم دراسة جغرافية في التحليل الإحصائي والكرطوغرافي المجالي لعرض العلاجات الصحية جهويا، نتوخى منها إبراز دور منظور الجغرافيا الاجتماعية في دراسة البعد المجالي للظواهر والمشكلات الاجتماعية مثلا في الصحة، وهي ضمنا إسهاما نقدي لتقييم التجربة الجهوية الجديدة لسنة 2015 في تحقيق العدالة الاجتماعية، وتجاوز إشكالية تفاوت الصحة لدى السكان جهويا بالبلد وتمكين السكان من حقهم في الصحة كحق من حقوق الإنسان الأساسية، وهذا واجب من واجبات الدولة المدنية الاجتماعية اتجاه مواطنيها ومجتمعها.

وتتناول بالتشخيص والتحليل عددا من المؤشرات متعلقة بدليل عرض العلاجات الصحية ودليل الحالة الصحية المتعلقة خاصة بمؤشر المراضة والوفيات. فما مدى تمكن الدولة من خلال التقسيم الجهوي الجديد سنة 2015 من تقليص الهوة الترابية، والالتزام بعدالة الولوج للخدمات الطبية كحق من حقوق الإنسان، ومحددا أساسيا لمستوى التنمية البشرية والاستقرار والسلم؟

إشكالية الدراسة:

يعيش المغرب على إيقاع تحولات اجتماعية ومجالية عميقة، أفرزت عدة محددات إمرضية جديدة وعوامل وبائية متعددة الأبعاد، ومتفاوتة حسب المجالات الترابية فإذا كانت تلك العوامل مرتبطة بما هو طبيعي، واقتصادي، واجتماعي، وديمقراطي، وطبي، فإن من نتائج تلك التحولات هو تعميق التباينات الجهوية للحالة الصحية للمغاربة، وعدم المساواة أمام المرض والوفاة. ومن المؤكد

أن الصحة التي تعتبر أحد مؤشرات التنمية البشرية المؤثرة في نوعية حياة الإنسان المغربي داخل وسطه البيئي، تمثل جانبا حيويا من جوانب الهشاشة الاجتماعية الأكثر تعبيراً عن واقع الحال .

وفي سياق دستور 2011 الذي أقر ولأول مرة أن الصحة حق أساسي لكل مواطن بناء على قيم العدالة والمساواة. وبالأخذ بعين الاعتبار إعادة تأطير المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، وتفعيل الدولة للمرحلة الثالثة من هذه المبادرة والتي من مبادئها العدالة المجالية والاجتماعية. كل هذه شروط من المنتظر أن تعزز التجربة الجهوية الجديدة لسنة 2015 لتقليص الفوارق الترابية في الصحة، وبعد مرور خمس سنوات على تجربة الجهوية المتقدمة في الحد من التفاوتات في ميدان الصحة التي اعترت التقسيم الجهوي السابق (16 جهة). فإن استمرار الفوارق الترابية في الصحة تكشف عن وجود اختلالات بنيوية عميقة في هيكلية المجال المغربي، وسير اشتغاله وتدييره، وتقف بذلك سدا منيعاً أمام حق الإنسان المغربي في ضمان عدالة في علاجات صحية جيدة تصون كرامته؟

المقاربة والمنهجية الجغرافية في دراسة الفوارق الترابية الجهوية في عرض العلاج

لتحقيق أهداف هذه الدراسة، والتحقق من فرضياتها، فقد اعتمدت الدراسة المقاربة والمنهجية التالية:

1- توظيف المقاربة التركيبية للجغرافيا الاجتماعية في دراسة القضايا الاجتماعية ذات البعد المجالي ومن ضمنها إشكالية التباينات المجالية والاجتماعية في عرض العلاجات الصحية. اعتماداً على متغيرات متعددة الأبعاد وتتجلى في مايلي:

- **متغيرات مستقلة تتعلق بدليل عرض العلاجات الصحية:** المستشفيات، الأسرة الاستشفائية، التأطير الصحي بالبنيات الصحية، الديمغرافية الطبية، المصحات، التأطير الطبي، أطباء القطاع العام، أطباء القطاع الخاص. التجهيزات الطبية...
- **متغيرات تابعة متصلة بدليل الحالة الصحية:** وفيات الأمهات أثناء الولادة، وفيات الأطفال حديثي الولادة، أمراض القلب والشرابين، مرض اللشمانيا، مرض السل،

2- الانفتاح العلمي على مقاربات خاصة بالديمغرافيا والعلوم الطبية وعلوم الأوبئة والاقتصاد

3- الاعتماد على الأدوات الإحصائية (برنامج SPSS) وإعمال المنهج الإحصائي الوصفي القائم على مقاييس النزعة المركزية (المتوسط الحسابي) ومقاييس التشتت (المدى، الانحراف المعياري، نسبه الاختلاف) وكذا الاستعانة بمقاييس الإحصاء الاستدلالي (معامل الارتباط، دلالة الاختبار)،

لرصد الارتباطات ما بين متغيرات الدراسة المستقلة والتابعة لتعميق تحليل إشكالية الدراسة. علاوة على ذلك الاستعانة بالعمل والمنهج الكارطوغرافي في توزيع معطيات متغيرات الدراسة جهويا.

مفاهيم الدراسة

● **جغرافية الصحة:** من منطلق أن الصحة تتأثر بمحددات البيئة الطبيعية والاجتماعية وليس بالمحددات الطبية فقط، ظهرت جغرافية الصحة كتخصص دقيق ضمن الجغرافية الاجتماعية، وهي "تأليف بين جغرافية الأمراض وجغرافية العلاج، ويقابلها اليوم مفهوم الجغرافية الطبية في البلدان الأنكلوسكسونية تعمل على قياس علاقة نظام العلاج بالاحتياجات الصحية. ومن تم أصبح هدفها هو الدراسة النوعية والمجالية الشاملة لصحة السكان وسلوكياتهم وعوامل بيئتهم (الطبيعية والإحيائية والاجتماعية والثقافية ..) المساهمة في تحسين أو تدهور صحتهم. بهذا المعنى تعتبر جغرافية الصحة جزءا من الجغرافيا الاجتماعية ومساهما مباشرا فيها. (أنفلوس، 2011، ص 87). وتهدف جغرافية الصحة إلى دراسة شاملة ومجالية لجودة صحة السكان، والتحليل المجالي والاجتماعي لولوجهم إلى العلاج بشكل عادل، و السلوكات والعوامل التي تؤثر في بيئتهم، وتساهم في تدهور صحتهم (PECHERALE Henri, 1984, p 229-240).

● **محددات الصحة:** مجموع العوامل الفردية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية والطبية التي تؤثر في الحالة الصحية للأفراد أو الجماعات. تفاوتت هذه المحددات ينتج عنه تفاوت وفوارق في الولوج للعلاج والانتفاع منه، وفي الحالة الصحية للسكان.

● **تفاوت أو تباين الصحة:** نعني بها تفاوت في الحالة الصحية للسكان بسبب تباين المحددات الطبية والاجتماعية والبيئية... المؤثرة فيها وتعد الأسباب الرئيسية في نشوء اللاعدالة في الصحة.

● **العدالة في الصحة:** العدالة تعني الإنصاف والعدالة في الصحة تعني أن احتياجات الناس هي التي توجه توزيع فرص المعافاة بينهم، كما أنها تعني تقليص فجوات الإجحاف في صحة الفئات الاجتماعية والمستويات المجالية المختلفة ومحدداتها.

● **ولوجية الخدمات الصحية:** نقصد بالولوجية إلى الخدمات الصحية قدرة المريض أو المجتمع على استعمال ما يلزمه من الخدمات الصحية ارتباطا بخصائص نظام تقديم الخدمات الصحية من جانب تنظيمها وتوافرها وتمويلها وخصائص السكان على المستوى الديمغرافي والدخل والسلوكات، وما إذا كانت تلبى أو لا تلبى الاحتياجات الطبية الأساسية للفرد أو للجماعات بالقدر الكافي. وتعتبر التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية السبب الرئيسي في اللاعدالة في

الولوج إلى الخدمات الصحية واستعمالها سواء ما بين المناطق المعزولة وغير المعزولة، أو ما بين الجهات والأقاليم والوسط القروي والحضري وما بين الفئات الاجتماعية (توفيق الخوجة، 2005، ص 117).

عرض نتائج التحليل الإحصائي والكارطوغرافي لمعطيات مؤشرات الدراسة عن دليلي عرض العلاجات الصحية والحالة الصحية جهويا:

أخضعت المعطيات الإحصائية الكمية والنوعية المستقاة عن مؤشرات الدراسة الخاصة بسنة 2019 للوصف والتحليل المجالي إحصائيا وكرطوغرافيا لفحص فرضية تمكن الدولة والنظام الصحي عبر عرض العلاجات الصحية من تقليص الفوارق وتحقيق العدالة الترابية وإقرار الحق في الصحة كأحد مبادئ الدستور الوطني 2011، والتقسيم الجهوي الجديد 2015. ومواكبة بذلك الحاجيات الصحية الفعلية المتعلقة بمؤشر المراضة جهويا في سياق مجموعة من التغيرات العامة. ومن بين أهم نتائج الدراسة مايلي:

1- البنيات الصحية: توزيع جغرافي متباين وغير عادل في العرض والتأثير الصحي:

- 97 % من المستشفيات بالنظام الصحي الوطني تتوطن بالوسط الحضري مقابل 3 % بالوسط الريفي، وهو ما يعكس الخلل الكبير في إعداد التراب الوطني، كما أن أكثر من 50 % من المستشفيات تتركز مجاليا بأربع جهات فقط تقع بشمال المجال المغربي (الخريطة 1)، الدار البيضاء-سطات، الرباط- سلا-القنيطرة، طنجة-تطوان-الحسيمة وفاس- مكناس. وتستحوذ لوحدها على 57.3 % من الأسرة الاستشفائية. تتمركز بأقطابها الحضرية البارزة في الهيكلة المجالية الجهوية. وتستفيد أيضا من وجود أو القرب من المراكز الاستشفائية الجامعية التي تتوطن فقط بكل من مدن الدار البيضاء والرباط وفاس ووجدة ومراكش، في حين أن باقي الأقطاب الحضرية لباقي الجهات تشكو غياب المراكز الاستشفائية الجامعية.

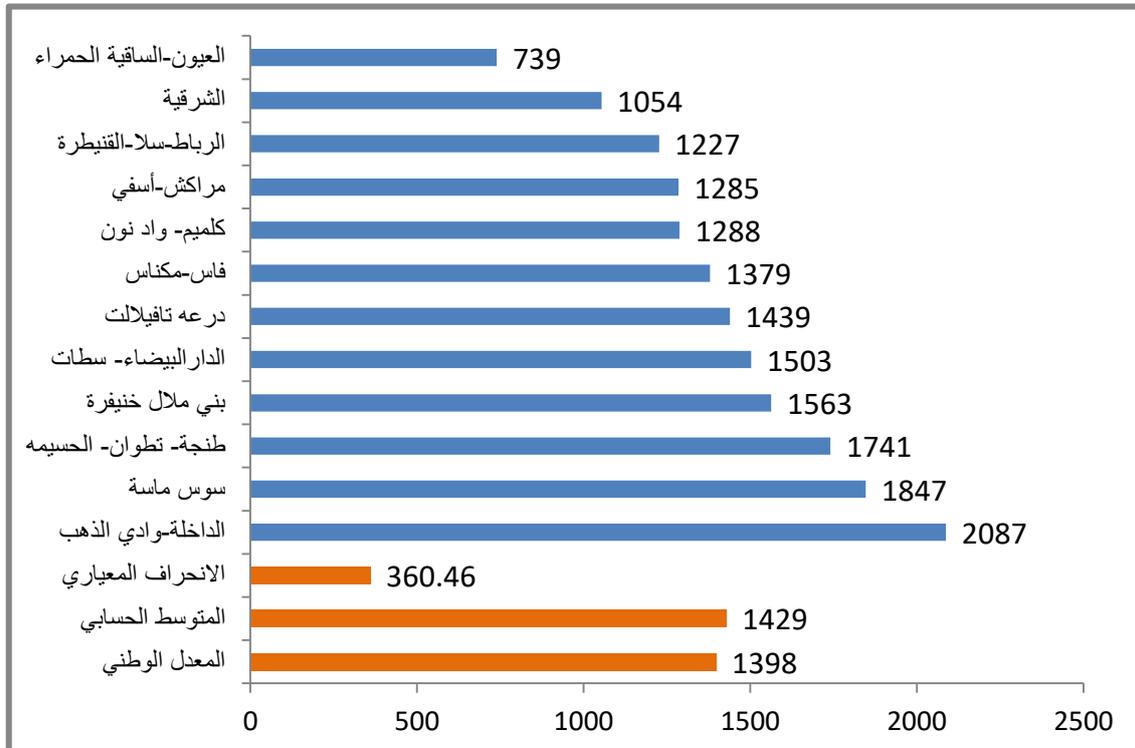
-أبانت نتائج التحليل الإحصائي عن قيمة مدى مرتفع لمتغير الأسرة الاستشفائية حيث بلغ (4193 سرير)، أما قيمة الانحراف المعياري (1401)، وهي قيمة مرتفعة مقارنة مع قيمة المتوسط الحسابي (1943). علاوة على ذلك فنسبة معامل الاختلاف مرتفعة جدا (72 %). وهو ما يدل على النزعة المركزية و تباعد القيم الإحصائية.

- ضعف كمي كبير في عرض العلاج الصحي المتخصص للحد من الأمراض غير السارية كالسرطان والأورام والكلية والأمراض النفسية. فعدد الحالات المسجلة بمرض السرطان 48000

حالة سنة 2019. في حين أن النظام الصحي الوطني لا يتوفر اليوم إلا على سبعة مراكز استشفائية للأورام، بطاقة استيعابية لا تتجاوز 167 سريرا. وتتوطن بالمدن الكبرى لجهات فاس-مكناس وطنجة-تطوان-الحسيمة والشرقية وسوس-ماسة. أما بالنسبة لمستشفيات الأمراض النفسية فعددها لا يتجاوز 10 مستشفيات، وعدد أسرته أقل من 1400 سريرا، وتغيب خدماتها في جهات درعة-تافيلالت وسوس ماسة وبني ملال-خنيفرة وكلميم-واد نون والعيون الساقية الحمراء وبجهة الداخلة وادي الذهب. وهو معطى إحصائي يجعل النظام الصحي غير قادر على مواكبة الحاجيات الصحية المرتفعة الخاصة بالأمراض النفسية وتغطيتها بشكل عادل بالمجال المغربي.

-بالنسبة لمتغير التأطير الطبي بالأسرة الاستشفائية، فقد سجلت قيمه الإحصائية انحرافا معياريا منخفضا يصل إلى (360,46) مقارنة بالمتوسط الحسابي (1429)، ونسبة اختلاف ضعيفة (25%) وهو ما يكشف عن ضعف التباين في التأطير، ذلك أن كل الجهات تعاني ضعفا في التأطير الطبي بالأسرة الاستشفائية. لكنه ضعيف جدا بجهات الداخلة وادي الذهب وسوس-ماسة وطنجة-تطوان-الحسيمة وبني ملال-خنيفرة (مبيان رقم 1).

مبيان رقم 1: التأطير الطبي بالأسرة الاستشفائية 2019



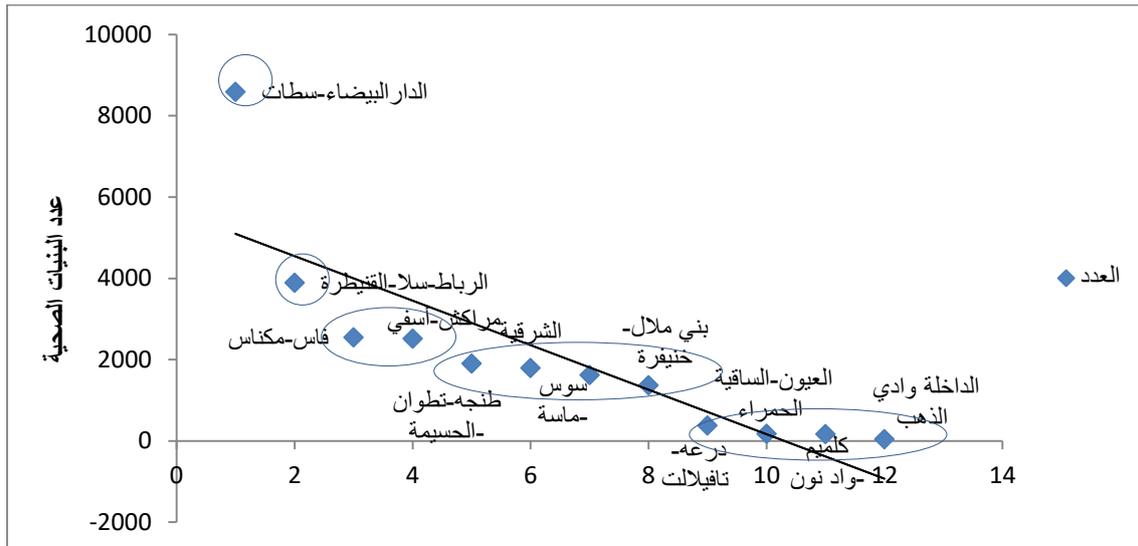
المصدر: إعداد الباحث بمعالجة المعطيات الخامة للدراسة، المستقاة من وزارة الصحة، خريطة الصحة، المغرب، 2019 م.

نظريا دون الأخذ بعين الاعتبار الحاجيات الصحية الفعلية المرتبطة بمؤشر المراضة " Indicateur "de Morbidité". ناهيك عن أن 98 % من التجهيزات الطبية بالقطاع العام تتركز خاصة بالمدن الكبرى في جهات الدار البيضاء سطات وفاس- مكناس وطنجة تطوان-الحسيمة.

- تعمق البنيات الصحية التابعة للقطاع الخاص حجم الفوارق الترابية التي يكرسها عرض العلاجات الصحية بالقطاع العام، فما يقارب 71 % منها تستقر بأربع جهات فقط، تقع جميعها بشمال المغرب، وهي كل من جهة الدار البيضاء- سطات والرباط-سلا-القنيطرة وفاس- مكناس ومراكش-أسفي (الخريطة2). وتميل كل الميل لتقديم خدماتها بالمجال الحضري الذي يستأثر ب 94 % منها.

- كما أسفرت نتائج التحليل الإحصائي عن وجود ارتفاع كبير في قيمة المدى وقيمة الانحراف المعياري لمتغير البنيات الصحية بالقطاع الخاص جهويا تصل إلى (8545 بنية صحية) و(2359) على التوالي. هذه الأخيرة تقارب قيمة المتوسط الحسابي (2085) وبنسبة معامل اختلاف مرتفعة جدا (113,14 %). تكشف هذه النتيجة عن حجم التشتت والتباعد في القيم الإحصائية، وبالتالي نستنتج التفاوتات الصارخة في عرض العلاجات الصحية بالقطاع الخاص، الذي تتركز بنياته الصحية بجهات الجذب وبالأقطاب الحضرية الكبرى لجهات الدار البيضاء-سطات والرباط-سلا-القنيطرة وفي المقابل تواجهه ضعيف جدا بجهات درعة تافيلالت والعيون الساقية الحمراء وكلميم واد نون والداخلة وادي الذهب.(مبيان رقم 2).

مبيان رقم 2: توزيع عدد البنيات الصحية بالقطاع الخاص جهويا سنة 2019

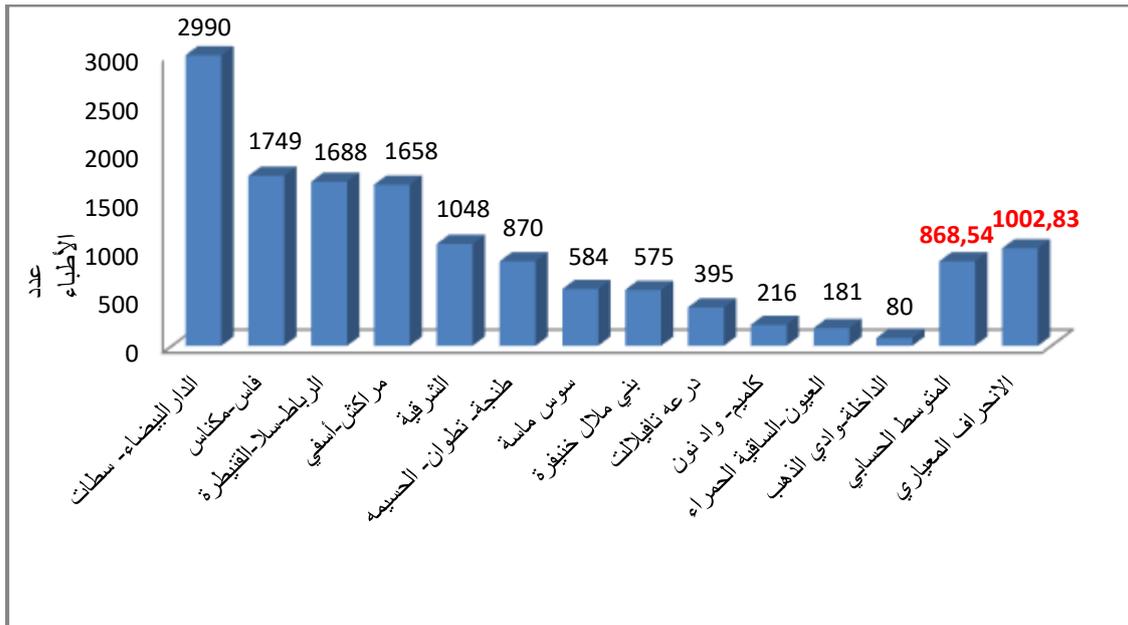


المصدر السابق.

2-الديمغرافيةالطبية: مركزية مجالية مفرطة واللاعادلة في الكثافة الطبية

-أكثر من 50% من عدد الأطباء بالنظام الصحي الوطني(12034 طبيبا)، تشتغل بالجهات الواقعة بشمال المجال المغربي، وهي كل من جهة الدار البيضاء- سطات والرباط-سلا-القنيطرة وطنجة-تطوان-الحسيمة وفاس-مكناس. أفرز تحليل مقاييس الإحصاء الوصفي المعتمدة في الدراسة تباعدا وتبعثرا إحصائيا كبيرا في القيم الإحصائية لمتغير الأطباء بالقطاع العام. نسجل ارتفاعا كبيرا في قيمة المدى تبلغ (2910 طبيبا) وفي قيمة الانحراف المعياري (1002,83) متجاوزة قيمة المتوسط الحسابي (868,54)، (مبيان رقم3). مما جعل نسبة الاختلاف مرتفعة جدا تصل إلى 115,5%. وبالنتيجة اختلال مجالي واضح في التوزيع الجغرافي لعدد الأطباء بين جهات محظوظة و جهات تكابد نقصا كبيرا في الديمغرافية الطبية.

مبيان رقم 3: توزيع عدد أطباء القطاع العام حسب الجهات سنة 2019



المصدر: السابق

- أما فيما يتعلق بمتغير الأطباء المتخصصين، فرغم المجهودات المبذولة فيبقى عددهم ضعيفا. فمثلا عدد أطباء أمراض القلب والشرابيين لا يتجاوز 40 طبيبا، وفي حدود 107 طبيبا بالنسبة لأمراض السرطان و222 طبيبا مختصا في الأمراض النفسية سنة 2019. هذه المعطيات الإحصائية تعبر عن عجز كمي كبير تعاني منه المنظومة الصحية الوطنية أمام استفحال حدوثية أمراض السرطان والأمراض النفسية وأمراض القلب والشرابيين، الأسباب الإمراضية الأولى للوفيات بالمغرب، وتعد عبء مرضيا ثقيل على الدولة والمجتمع.

وما يزيد الأمور تعقيدا التباينات الجهوية واللاعادلة الترابية في التوزيع الجغرافي للأطباء المتخصصين، حيث تتمركز نسبة 75 % من عدد أطباء جراحة القلب والشرابين بثلاث جهات فقط الرباط-سلا-القنيطرة ومراكش-أسفي و الدار البيضاء-سطات، في حين أن خمس جهات مستشفياتها غير متوفرة على أطباء جراحة القلب والشرابين. (الجدول رقم 1).

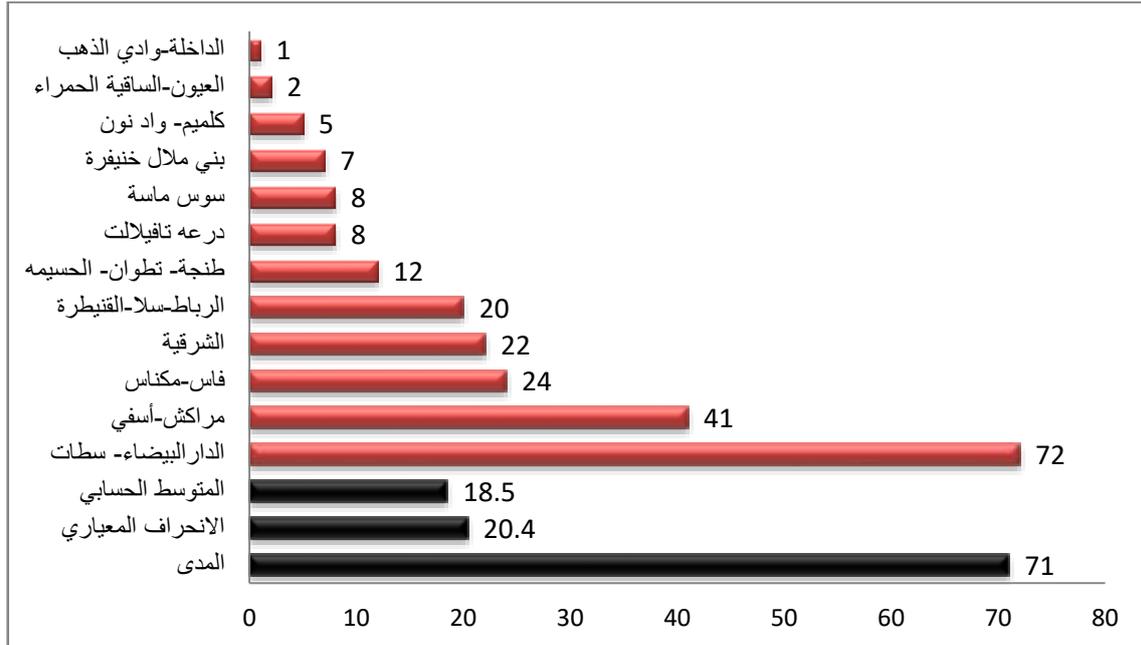
جدول رقم 1: توزيع أطباء جراحه القلب والشرابين قطاع عام جهويا سنة 2019

النسبة	عدد الأطباء	الجهات
26.19	11	الرباط-سلا-القنيطرة
26.19	11	مراكش-أسفي
19.05	8	الدار البيضاء- سطات
16.67	7	فاس-مكناس
4.76	2	الشرقية
4.76	2	العيون-الساقية الحمراء
2.38	1	سوس ماسة
0	0	طنجة- تطوان- الحسيمة
0	0	بني ملال خنيفرة
0	0	درعه تافيلالت
0	0	كلميم- واد نون
0	0	الداخلة-وادي الذهب
100	40	المجموع

المصدر نفسه

علاوة على ذلك، فكل من جهة الدار البيضاء-سطات ومراكش أسفي والرباط-سلا-القنيطرة وفاس مكناس تضم لوحدها 71% من أطباء الأمراض النفسية في مدنها الكبرى القريبة من بعضها البعض في القسم الشمالي الغربي من المجال المغربي، في حين أن جهات الجنوب محرومة من أطر طبية في مثل هذه التخصصات الطبية..(المبيان رقم 4)

مبيان رقم 4: توزيع أطباء الأمراض النفسية جهويا سنة 2019

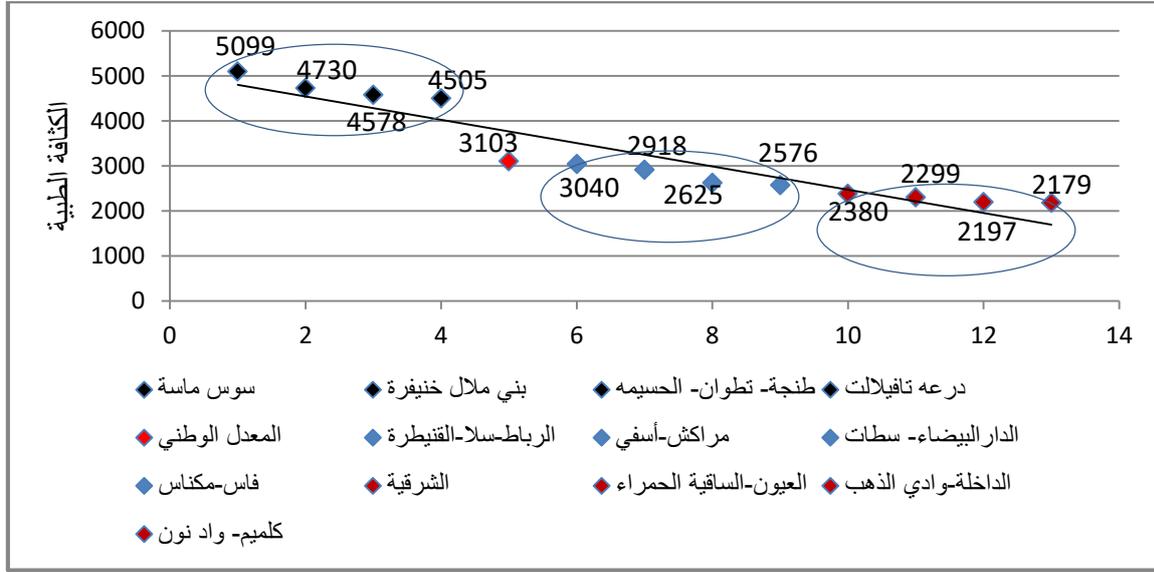


المصدر نفسه

- بلغت قيمة الانحراف المعياري (1122,61) وقيمة المتوسط الحسابي (3260,50) وبنسبة اختلاف (34,34%) تهم متغير الكثافة الطبية أو التأطير الطبي، وهي نسبة عموما تعبر عن تشتت متوسط مقارنة بالقيم الإحصائية لباقي متغيرات الدراسة.(مبيان رقم 5)

كل الجهات تشكو ضعفا في التأطير الطبي نظريا، وقد تجاوزت أربع جهات المعدل الوطني وهي سوس ماسة وبني ملال خنيفرة وطنجة تطوان الحسيمة ودرعة تافيلالت، بسبب عدم مواكبة تزايد عدد الأطباء لتزايد عدد السكان والأکید إذا أخذنا بعين الاعتبار الحاجيات الصحية المتعددة للفرد الواحد والمتصلة بمتغير المراضة فإن ذلك التأطير سيصير ضعيفا جدا.

مبيان رقم 5: الكثافة الطبية جهويا سنة 2019



المصدر نفسه

- تتفاقم الفوارق الترابية وتزداد هوة في عرض العلاجات الصحية باعتبار متغير الأطباء بالقطاع الخاص، فقيمة المدى مرتفعة جدا (4857 طبيبا) وقيمة الانحراف المعياري (6,1425) تتجاوز قيمة المتوسط الحسابي (58,1128) وبنسبة اختلاف كبيرة جدا (3,126%). تعبر هذه القيم عن تبعثر وتشتت القيم الإحصائية للمتغير المعتبر جهويا. ويتوزع عدد أطباء القطاع الخاص بتمايز مجالي واضح، يتمثل في تمركز مجالي حاد في الوسط الحضري بنسبة 97,25%، وكذا بين الجهات الاثنتا عشرة. تهيمن جهات القسم الشمالي الغربي للمغرب على 74,04% من أطباء القطاع الخاص وهي الدار البيضاء-سطات والرباط-سلا-القنيطرة وطنجة-تطوان-الحسيمة وفاس-مكناس، وتندرج هذه النسبة نحو الانخفاض بجهات الجنوب بأقل من 6% بكل من جهة سوس ماسة وكلميم واد نون والعيون الساقية الحمراء والداخلة وادي الذهب. دون أن ننسى أن هذه الجهات تعاني من غياب أطباء القطاع الخاص في العديد من التخصصات الطبية كأطباء جراحة الأطفال وأطباء الأمراض النفسية.

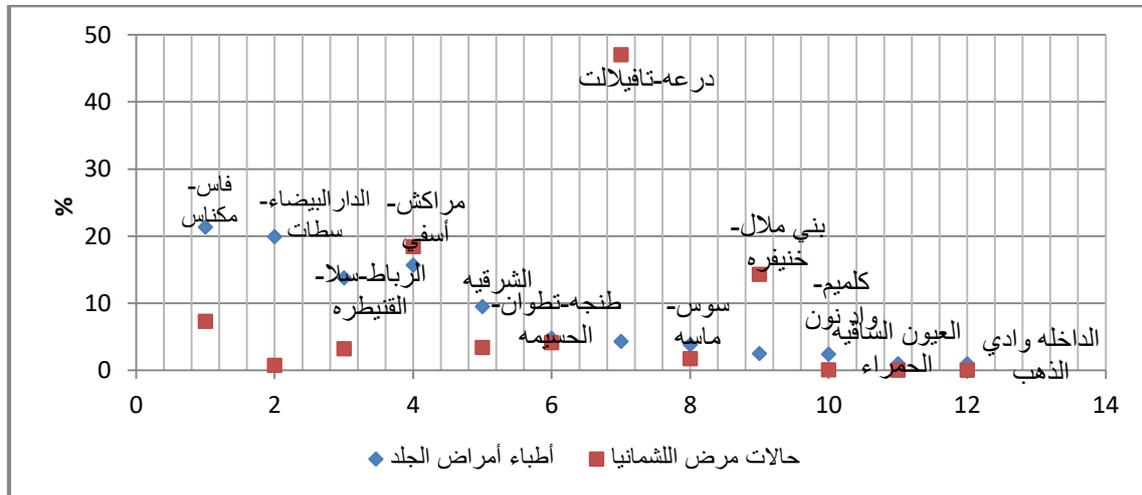
- ترصد نتائج التحليل الإحصائي الوصفي والكرطوغرافي لمتغيرات الدراسة الفوارق والملاعدالة الترابية في عرض العلاجات الصحية مجاليا ما بين المجال الحضري والريفي، وما بين جهات القسم الشمالي الغربي من المجال المغربي التي تتصف بتركز عرض العلاجات الصحية كمي ونوعيا وجهات الجنوب والجنوب الشرقي تعاني من نقص كمي ونوعي في عرض العلاج. لرصد تأثير هذه التفاوتات على مؤشر المراضة والوفيات، نستعين بالتحليل الإحصائي الاستدلالي لمتغيرات الدراسة المستقلة، تتعلق بدليل عرض العلاجات الصحية وبتغيرات تابعة تهم عدد الحالات المسجلة لبعض

الأمراض، وكذا عدد حالات وفيات الأمهات أثناء الولادة ووفيات الأطفال حديثي الولادة، باعتماد معامل الارتباط " Pearson's " ودلالة الاختبار (0,001). فهل تفاوت عرض العلاجات الصحية يواكبه تفاوت مؤشرات الحالة الصحية جهويا أم أن هناك محددات أخرى ضاغطة تعيق تحقيق العدالة الترابية ما بين الجهات والحق في الصحة حتى في الجهات ذات التركيز الصحي القوي.

أبرز التحليل النتائج التالية:

- وجود ترابط ما بين متغير أطباء أمراض الجلد ومتغير حالات مرض اللشمانيا جهويا (مبيان رقم 6) له دلالة إحصائية عند مستوى دلالة الاختبار (SIG0,925) وبمعامل ارتباط Person's (0,031) - وهذا دليل إحصائي على وجود علاقة عكسية ضعيفة، في اتجاه كلما ارتفع عدد أطباء أمراض الجلد كلما تناقص مرض اللشمانيا. ويلاحظ ذلك في كل من جهة فاس-مكناس والدار البيضاء-سطات والرباط-سلا-القنيطرة التي تضم نسبة كبيرة من أطباء الجلد بالقطاع العام يقابلها انخفاض في نسبة حالات اللشمانيا المسجلة بها. في حين أن درعة- تافيلالت فتشتمل على نسبة ضعيفة من أطباء الجلد، وتسجل نسبة كبيرة من حالات مرض اللشمانيا.

مبيان رقم 6: العلاقة الارتباطية ما بين حالات مرض اللشمانيا وعدد أطباء أمراض الجلد جهويا

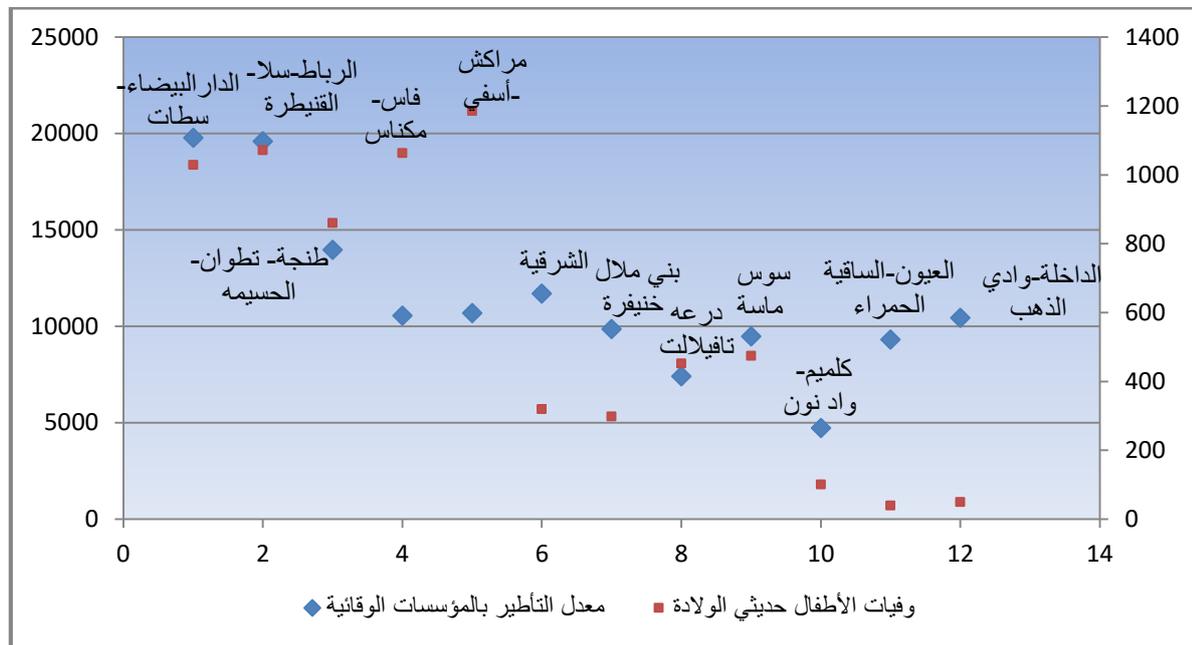


المصدر نفسه

لكن هذه العلاقة ضعيفة، وغير تامة بدليل أن جهات كلميم-وادي الذهب والعيون-الساقية-الحمراء والداخلة وادي الذهب تسجل حالات ضعيفة جدا إلى منعدمة من مرض اللشمانيا، رغم أنها أضعف الجهات من حيث عدد أطباء الجلد. وبالتالي نفترض وجود عوامل أخرى تسهم إلى جانب مستوى العرض الطبي في ارتفاع أو انخفاض مرض اللشمانيا وتعمق بذلك التفاوتات في الصحة.

- تتوزع المؤسسات الصحية الوقائية بتفاوت ما بين الجهات، تبلغ نسبتها 45.2% في جهات القسم الشمالي الغربي الدار البيضاء-سطات وفاس-مكناس والرباط-سلا-القنيطرة وطنجة-تطوان-الحسيمة وبأقل من 4% في جهات الجنوب. وتسجل كل الجهات ضعفا في تأطير هذا النوع من المؤسسات الصحية. هذه الوضعية تكشف عن تناقضات وتفاوتات بمظاهر أخرى، فجهات الشمال تسجل مستويات مرتفعة جدا في عدد وفيات الأطفال حديثي الولادة وينخفض بجهات الجنوب. (مبيان رقم 7)

مبيان رقم 7: العلاقة الارتباطية ما بين المؤسسات الصحية الوقائية ووفيات الأطفال حديثي الولادة



المصدر نفسه

- يكشف التحليل الإحصائي الاستدلالي عن وجود علاقة ارتباط طردية متوسطة ما بين متغير التأطير بالمؤسسات الصحية الوقائية ومتغير وفيات الأطفال حديثي الولادة، بمعامل ارتباط قوي عند مستوى 0,635 في اتجاه كلما ضعف التأطير كلما ارتفعت وفيات الأطفال حديثي الولادة، ويلاحظ ذلك بالنسبة لجهات الشمال رغم ارتفاع عدد مؤسساتها الصحية لكنها لا توازي عدد سكانها الكبير وحاجياته الصحية، بالمقابل فجهات الجنوب تتسم بانخفاض عدد وفيات الأطفال حديثي الولادة رغم قلة عدد مؤسساتها الصحية الوقائية. تبقى هذه العلاقة الارتباطية بين المتغيرين ودرجة الوثوقية بها علميا ضعيفة، فمستوى دلالة الاختبار بين المتغيرين يتعدى (0,01) حيث تم تسجيل (0,026). وهذا دليل على وجود محددات أخرى هي بيئية بالأساس تتحكم في تفاوت وفيات الأطفال حديثي الولادة.

وفي نفس الاتجاه بالنسبة لمرض السل الذي يرتفع بشكل كبير جدا في جهات الشمال بالرغم من وجود كمي مرتفع وتنوع للبنىات الصحية والتخصصات الطبية.

مناقشة نتائج الدراسة وعرض استنتاجات و خلاصات

أبانت نتائج التحليل الإحصائي والكرطوغرافي لمتغيرات الدراسة عن استمرار الفوارق واللاعدالة الترابية في عرض العلاجات الصحية بالقطاع العام والخاص. أفرز ظاهرة التركيز الصحي بأكثر من 50% فيما يخص البنيات الصحية والديمغرافية الطبية بالمجال الحضري، وبعدها شمال المجال المغربي، الدار البيضاء-سطات والرباط-سلا-القنيطرة وفاس-مكناس وطنجة-تطوان. لتتناقص النسبة بشكل كبير بالمجال الريفي، وتندرج نحو الانخفاض بجهات الجنوب والجنوب الشرقي، التي تعاني نقصا حادا كميا وخاصة نوعيا في العديد من التخصصات والتجهيزات الطبية. تتوافق إذن هذه الوضعية مع نموذج مركز-هامش في الهيكلة المجالية والترابية للمجال المغربي التي تميز باقي المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية. لتصير الفوارق الترابية في عرض العلاج إعادة لإنتاج التفاوتات السوسيو-مجالية وتكريسها. وبالنتيجة إكراهات على مستوى الولوج للعلاج بالمجالات الريفية وبالجهات البعيدة عن الأقطاب الحضرية الكبرى وبعدها الجنوب. ناهيك عن ضعف الأداء الوظيفي للخدمات الصحية بالقطاع العمومي وتعامل القطاع الخاص الصحي بمنطق الربح في تقديم الخدمة الصحية. بالرغم من دستور وطني جديد يقر بالحق في الصحة للجميع وتقسيم جهوي جديد يطمح لتدوير التفاوتات وترسيخ أسس اللامركزية واللامركزية.

تتوافق عموما نتائج هذه الدراسة مع ما توصلت إليه العديد من الدراسات والتقارير، فقد صنف موقع "NUMBEO" الأمريكي- المتخصص في تصنيف الدول بناء على عدة مؤشرات - المغرب في رتبة 89 وهي رتبة متخلفة حسب جودة نظام الرعاية الصحية، وقد اعتمد على قاعدة بيانات همت مؤشرات التقييم، ومن بينها مؤشر مدى قرب المرافق الصحية أي المساواة والعدالة في تنظيمها وتوزيعها.

ويصنف المغرب ضمن الدول ذات تنمية بشرية متوسطة بقيمة (0,647)، لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار معامل عدم المساواة في الدخل والصحة والتعليم فإن القيمة ستتناقص إلى (0,456) مما يضع الدولة المغربية في تصنيف الدول ذات تنمية بشرية ضعيفة. (منظمة الأمم المتحدة للتنمية، 2016، ص 24). وفي نفس الاتجاه يؤكد تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي عن وجود فوارق ترابية صارخة في عرض العلاجات الصحية "رغم ما تحقق من تقدم في مجال تعميم التغطية الصحية، ما يزال التفاوت بين المواطنين في الولوج إلى الخدمات

الصحية. ورغم الجهود التي بذلت من أجل توسيع المجال الجغرافي الذي تغطيه مراكز العلاجات الصحية الأولية، فإن ما يقرب 20% من السكان يبعد عنهم أقرب مركز صحي بأكثر من 10 كيلومترات.

كما تجدر الإشارة أيضا إلى الإشكاليات المتعلقة بعدم توفر التجهيزات الطبية المتخصصة، مثل أجهزة التصوير بالرنين المغناطيسيIRM، والتي أضحى تستخدم بشكل متزايد للأغراض الطبية، لكنها لا تتوفر في جميع جهات المملكة..... مما يدفع المرضى إلى قطع مسافات طويلة، والانتظار لمدة طويلة للحصول على نتائج التشخيص. ("المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2018، ص 80). تخفي هذه الفوارق واللاعدالة الترايبية في عرض العلاجات الصحية عجزا كبيرا في النظام الصحي الوطني في مواجهة العديد من التحديات في مقدمتها ارتفاع الأمراض المزمنة، وتجدد الأمراض المعدية ومعاودة ظهورها وارتفاع وفيات الأطفال حديثي الولادة ووفيات الأمهات أثناء الولادة، في كل الجهات خاصة الواقعة بشمال المجال المغربي التي تعرف تمدينا متسارعا وتعدد الأخطار الصحية وتعاني من ضغط وبائي ثقيل رغم أهمية بنيتها الصحية ومواردها البشرية الطبية. لكن تبقى عاجزة على الاستجابة لمتطلبات الرعاية مما يعمق أزمة الصحة بالنظام الصحي الوطني.

أمام هذا الحال ترتفع نفقات العلاج لدى العديد من الأسر المغربية "يصبحون معها مجبرين على التخفيض من نفقاتهم المخصصة لمواد الاحتياجات الأولية الضرورية كالأكل و الملابس أو لا يصبح بمقدورهم دفع مصاريف التمدريس لأطفالهم. كل سنة نحو 44 مليون أسرة عبر العالم أي أكثر من 150 مليون شخص يجدون أنفسهم أمام هذه المصاريف الكارثية و نحو 20 مليون أسرة - أكثر من 100 مليون شخص- في الفقر نتيجة ما يجب عليهم دفعه من أجل العلاج. على أن النفقات الكارثية من أجل الصحة لا تمس فقط الطبقات الضعيفة بل كذلك تلك المتوسطة. ويقدر بأنه سنويا في المغرب نحو 2% من العائلات تجد نفسها أمام كارثة مالية، و ما يناهز 4.1% من الأسر تجتاز عتبة الفقر بسبب النفقات المباشرة من أجل العلاج" (وزاره الصحة، 2013).

تزيح هذه الوضعية النقاب عن وجود اختلالات بنيوية عميقة تحد من تنمية صحة سكان المغرب عبر عدالة تريبية في الولوج للعلاج. فرغم إقرار المغرب للحق في الصحة في دستوره الوطني 2011 واعتماده على تقسيم جهوي جديد تستمر إشكالية الفوارق التريبية في الصحة. ترتبط تلك الاختلالات أساسا برفع الدولة يدها تدريجيا عن قطاع الصحة مما شجع المبادرة الحرة التعامل مع الصحة كسلعة بهدف الربح، كما أن ميزانية الصحة لا تتجاوز 5% من الناتج الداخلي الخام، بحصة

ضعيفة للفرد أقل من 400 درهم في السنة، وهي حصة لا ترقى إلى تلبية حجم الحاجيات الصحية المتزايدة. (المجلس الأعلى للحسابات، 2018، ص 249-251).

كما يلاحظ أن جزءا كبيرا من ميزانية وزارة الصحة يدخل في إطار ميزانية التسيير وميزانية الموظفين. في حين أن ميزانية الاستثمار في قطاع الصحة ضعيفة. علاوة على ذلك اعتماد استراتيجية الدولة في عرض العلاجات الصحية على المعطيات الإحصائية المتعلقة بالحاجيات الصحية المحسوسة والمعبر عنها، دون الأخذ بعين الاعتبار الحاجيات الصحية المحسوسة وغير المعبر عنها، مما يجعل عرض العلاجات الصحية غير متوافق مع الحاجيات الصحية الفعلية. والملاحظ أيضا أن عروض العلاجات الصحية لا تتوافق وخصوصيات الوضع الوبائي لكل جهة، فلا يعقل أن جهة درعة تافيلالت تسجل عددا كبيرا من حالات مرض "اللشمانيا" وغير متوفرة على قدر كاف من أطباء الجلد سواء بالقطاع العام والخاص على سبيل المثال.

إن الفوارق واللاعادلة الترابية في عرض العلاجات الصحية بالمجال المغربي تمس بالأمن الصحي للبلد فهي تنتج فوارق في المرض والوفيات، وتزداد حدتها لدى كل السكان بسبب ضعف العرض. مع الأخذ بعين الاعتبار باقي عوامل الاختطار الصحي البيئية. مما يؤدي إلى هضم حق السكان المغاربة في الصحة، والشعور بانحطاط الكرامة. وقد أثبتت جائحة "كورونا" أن صحة الإنسان لها أبعاد تتجاوز البعد البيولوجي والطبي، تكمن وتمس البعد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وأن اختلالها يهدد الاستقرار والسلم، وبالتالي فإن مواجهة المخاطر الوبائية لا بد أن يمر عبر سياسات ترابية عمومية توفر العلاج الكافي كميًا ونوعيًا لكل المواطنين بمساواة وعدالة، فالصحة صارت اختيارًا اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا.

اقتراحات وتوصيات

نقدم في هذا المحور، اقتراحات وتوصيات من منظور المقاربة الجغرافية التركيبية، المتعددة التخصصات، للإسهام في تقليص الفوارق الترابية وتحقيق العدالة والحق في الصحة لكافة أفراد المجتمع المغربي:

- الوعي السياسي والاقتصادي بأن الميزانية المخصصة للقطاع الصحي (أقل من 5% من ميزانية الدولة) غير كافية لرفع وتجويد عرض العلاجات الصحية، الذي يظل غير كاف أمام ضغط وبائي مزدوج للأمراض المتنقلة وغير المتنقلة على المنظومة الصحية الوطنية. لذلك من الملح الرفع من النمو الاقتصادي بالبلاد، واستثمار الدولة في القطاع الصحي وعدم اعتباره قطاعا

مستهلكا. فقد أأمطت جائحة كورونا "covid-19" اللثام عن أثر الاعتلال الصحي في النشاط الاقتصادي الذي توقف في عدة قطاعاته بفعل الحجر الصحي والإجراءات الاحترازية للأمن الصحي .

- ترسيخ حضور وتدخل الدولة في تقديم العلاج لكافة أفراد المجتمع المغربي، كما أن الدولة يجب أن تتحمل مسؤوليتها وتعمل واجباتها المدنية والاجتماعية اتجاه مواطنيها ومجتمعها لتحديد الظروف السوسيواقتصادية المؤثرة في صحة السكان وتفاوتها، وفق مبادئ المساواة والعدالة الاجتماعية.

- تأسيس المجلس الأعلى للصحة مستقل عن وزارة الصحة و يضم كل الفاعلين في ميدان الصحة، أكاديميين وأطباء وخبراء في الأمن وتدبير الأزمات الصحية، و فاعلين في المجتمع المدني وحقوقيين وممثلين عن الأحزاب السياسية ... يناط به إعداد وتتبع ومواكبة الاستراتيجيات الهادفة لضمان الصحة للجميع وتحقيق الأمن الصحي. الذي لا يقل أهمية عن الأمن الغذائي والمائي والسياسي.

- تكوين جهاز إحصائي يعنى بإرساء قاعدة رقمية للبيانات وطنيا وجهويا تكشف عن الخصائص الكمية والنوعية في عرض العلاجات الصحية، ليس باعتبار عدد السكان فقط والحاجيات الصحية المحسوسة والمعبر عنها، والتي يصرح بها وتنشر في سجلات وتقارير وزارة الصحة ومصالحها الخارجية، بل كذلك وجب الانتباه لعدد ونوع الحاجيات الصحية المحسوسة وغير المعبر عنها، وبالتالي لا يمكن لوزارة الصحة أن تعمل لوحدها، بل يجب إشراك المجتمع المدني والجامعات والمعاهد للتعرف ميدانيا عن حقيقة الوضع الصحي للمغاربة، فلا تنمية للصحة وتجاوز لفوارقها الترابية دون تخطيط ولا تخطيط دون إحصاء.

- إنجاز وتحيين المخططات الجهوية لتنظيم عرض العلاجات الصحية بناء على الوضع الوبائي والديمقراطي والاجتماعي والاقتصادي لكل جهة، وكذا اعتبارا لبيئتها الطبيعية .

- تثمين البحث العلمي في قطاع الصحة، وتشجيع البحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية (الجغرافيا، علم الاجتماع الأنثروبولوجيا.....) المهمة بدراسة قضايا ومواضيع وإشكاليات القطاع الصحي، خاصة المتعلقة بصحة المجتمع المغربي ولوجية العلاجات الصحية، للإسهام في تحديد أولويات التدخل في عرض وتقديم العلاج وتدوير الفوارق الترابية والاجتماعية في الولوج والاستفادة منه.

قائمة المصادر والمراجع:

- أيت لعسري بدر الدين (2014)، التباينات الجغرافية للوضع الصحية، حالة الدار البيضاء الكبرى، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية .
- أنفلوس محمد (2011)، معجم تفسير المصطلحات في جغرافية الصحة، دفا تر البحث العلمي رقم: 2 كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، مطبعة FOLIO، تمارة.
- أنفلوس محمد (2007)، تحولات المجال المغربي والمجتمع، دراسة في جغرافية الصحة بالوسط الحضري، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافية، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية.
- أنفلوس محمد (2006)، الصحة وإستراتيجية إعداد التراب الوطني في المغرب، المؤتمر الرابع للجغرافيين العرب بالرباط .
- أنفلوس محمد (2000)، تحولات البيئة الحضرية المغربية: مدخل لمستقبل جغرافية الصحة، المدينة المغربية في أفق القرن 21 بين الهوية الوطنية والبعد المتوسطي، سلسلة ندوات رقم 12 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني بالمحمدية.
- الرفاص محمد (2008)، التنمية البشرية والتفاوتات الجهوية، الملتقى الرابع للجغرافيين العرب، منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة .
- الأسعد محمد (2008)، الإقليمية ومسألة العدالة الاجتماعية في التخطيط المكاني بالمغرب، الملتقى الرابع للجغرافيين العرب، منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة .
- المرصد الوطني للتنمية البشرية (2012)، الفوارق في الاستفادة من الرعاية الطبية بالمغرب. دراسة حالات.

http://www.ondh.ma/sites/default/files/documents/mlkhs_ldrs_0.pdf.

d'accès: 20-03-2020

- المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (2014)، التقرير السنوي

<http://www.ces.ma/Documents/PDF/Rapports%20annuels/2014/RA-2014-VA.pdf> date d'accès: 20-03-2020

- المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (2018)، التقرير السنوي..

<http://www.ces.ma/Documents/PDF/Rapports%20annuels/2018/RA-2014-VA.pdf> date d'accès: 20-03-2020

- المجلس الأعلى للحسابات (2018)، التقرير السنوي. ص 249-251

<http://www.courdescomptes.ma/ar/Page-27/-/-/25-243>. 20-03-2020

-توفيق بن أحمد خوجة، المدخل في تحسين جودة الخدمات الصحية: الرعاية الصحية الأولية _ الطبعة الثالثة _ شعبان 1426 هجرية الموافق لسبتمبر 2005م، الرياض، المملكة العربية السعودية .

-زيلاف نورالدين و يشو عبد الكريم(1998)، توزيع التجهيزات الصحية وعلاقتها بالتراتب الحضري بالجهة الاقتصادية الوسطى، مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي، العدد 3.

-علي محمد حسن أمين(2006)، التحليل المكاني للخدمات الصحية في الجمهورية اليمنية دراسة في جغرافية الخدمات، كلية الآداب جامعة عدن .

- منظمة الأمم المتحدة للتنمية(2016)، تقرير التنمية البشرية. التنمية للجميع.

http://hdr.undp.org/sites/default/files/hdr_2016_arabic.pdf

-منظمة الأمم المتحدة للتنمية(2019)، تقرير التنمية البشرية، التنمية للجميع.

http://hdr.undp.org/sites/default/files/hdr_2019_arabic.pdf

- وزارة الصحة (2013)، الكتاب الأبيض من أجل حكامه جديدة في قطاع الصحة، المناظرة الوطنية.

- A.Belghiti Alaoui(2007),Réseaux de soins: quelle mission, quelle organisation, Syndicat national de la santé publique- FDT 6 éme congrès national, Bouznika.

- A.Belghiti Alaoui(2007),Système de santé marocain, réalité et perspectives. Syndicat national de la santé publique- FDT 6 éme congrès national, Bouznika.
- Alaoui Md(1980), L'expérience du service médical au Maroc, Mémoire DEA droit de la santé- bordeaux I – faculté de droit et des sciences sociales et politique.
- Béatrice MENARD(2003), LA géographie de la santé. Université de Caen esplanade de la paix.
- Begin j(1969), Elaboration d'un plan directeur et impact sur le système de santé. Exposé présenté a la session de l'association des hôpitaux de Québec, manoir du lac Delage, Québec.
- Blum H.L(1981), planning for health, generics for the eighties. Sciencehuman. Presse new york.
- Henri PECHERAL (1984), La géographie de santé et des maladies , In BAILLY, éd, Les concepts de la géographie humaine, paris, A, COLIN. CHAP 17, p. 229-240.
- <https://fr.numbeo.com/soins-de-sant%C3%A9/classements-par-pays>

الملحق: جدول تراكمي للمعطيات الإحصائية لمتغيرات الدراسة عن دليلي عرض العلاجات الصحية والحالة الصحية سنة 2019

1-الدار البيضاء-سطات، 2-الرباط-سلا-القنيطرة، 3-طنجة تطوان-الحسيمة، 4- فاس-مكناس، 5- مراكش-أسفي، 6-الشرقية، 7-بني ملال-خنيفرة، 8- درعه-تافيلالت، 9- سوس-ماسة، 10-كلميم-واد نون، 11- العيون-الساقية الحمراء، 12-الداخلة-وادي الذهب.

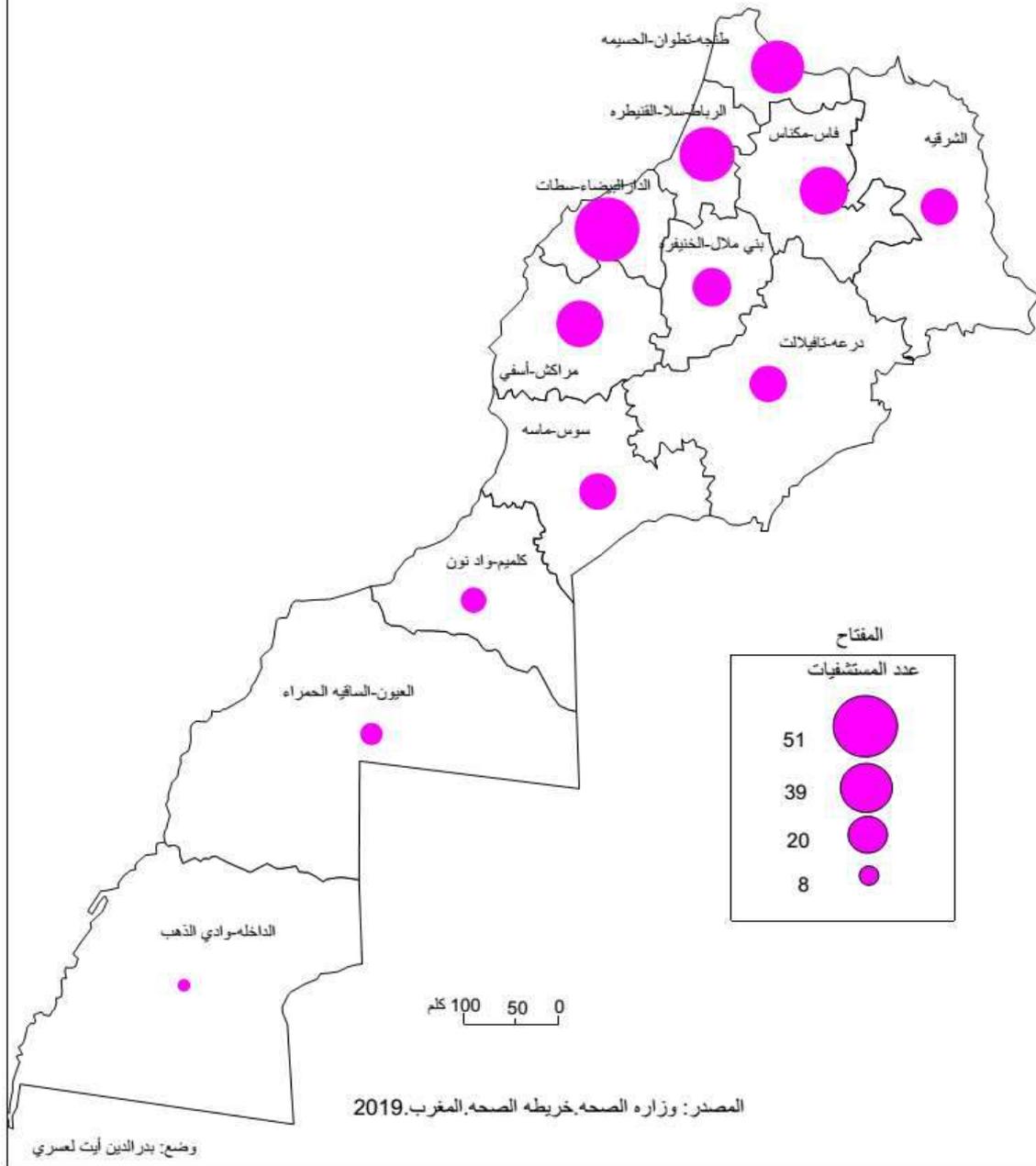
المجموع	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	الجهات	
													مؤشرات الدراسة	
298	3	8	8	20	20	22	28	29	32	38	39	51	عدد المستشفيات	
22686	80	397	315	1503	880	1355	2126	3025	2904	2073	3755	4273	عدد الأسرة	
113	1	3	3	9	7	9	12	10	9	15	13	22	مراكز تصفية الدم	
17	1	1	0	1	2	1	1	2	2	3	1	2	مراكز تحاقن الدم	
10	0	0	0	0	0	0	1	3	1	2	1	2	مستشفى الأمراض النفسية	
7	0	0	0	1	0	1	1	0	2	2	0	0	مركز استشفائي للأورام(السرطان)	
1398	2087	739	1288	1847	1439	1563	1054	1285	1379	1741	1227	1503	عدد السكان لكل سرير استشفائي بالقطاع العام	
2888	16	42	94	300	228	264	207	443	415	269	245	365	عدد المؤسسات الصحية الوقائية	

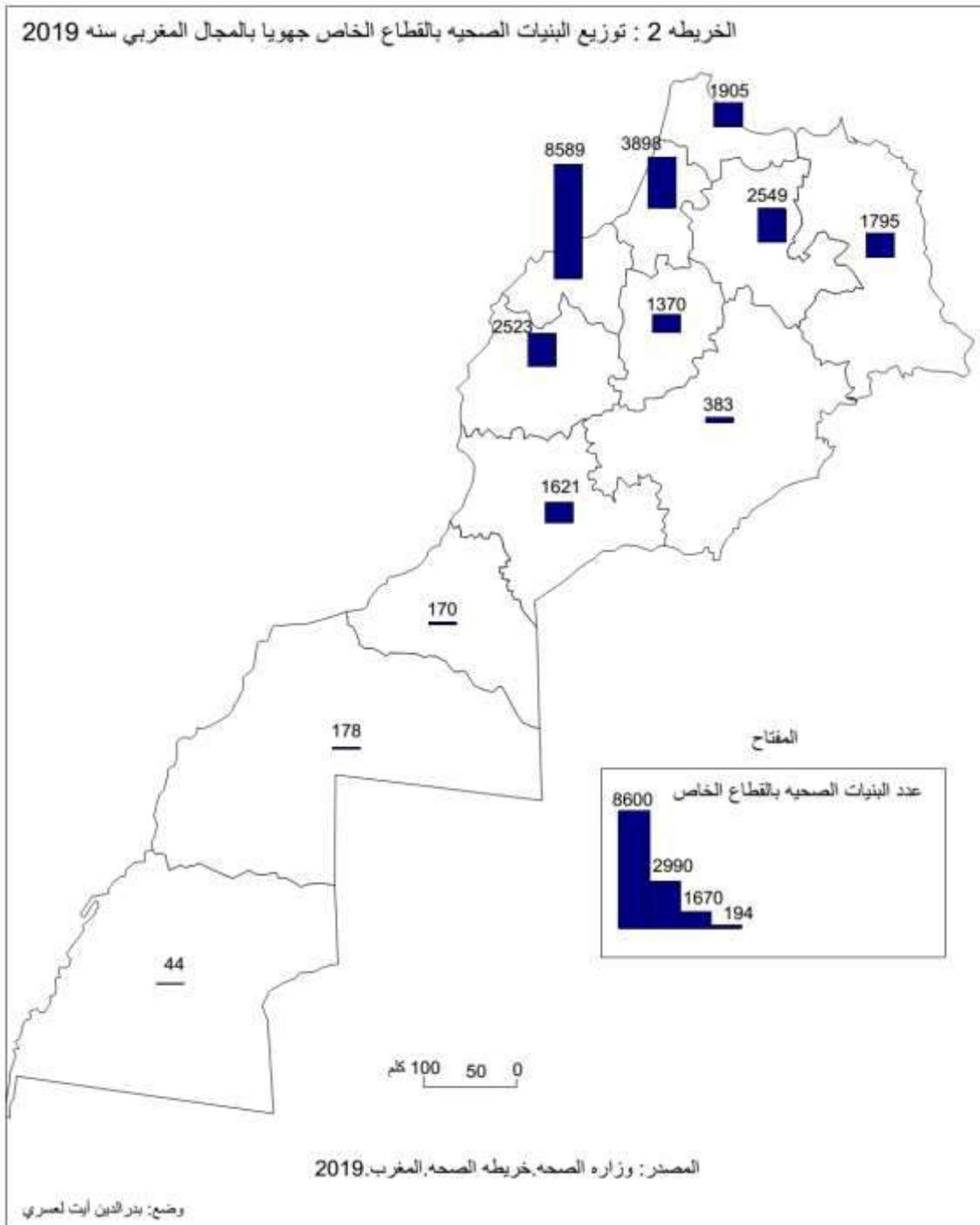
المجموع	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	الجهات	مؤشرات الدراسة
12264	10436	9304	4728	9467	7410	9855	11683	10678	10548	13955	19593	19763	معدل التأطير بالمؤسسات الصحية الوقائية	
359	0	0	1	23	4	26	22	45	37	31	57	113	عدد المصحات	
25025	44	178	170	1621	383	1370	1795	2523	2549	1905	3898	8589	عدد البنيات الصحية بالقطاع الخاص	
11334	80	181	216	584	395	575	1048	1658	1749	870	1688	2990	عدد أطباء القطاع العام	
222	1	2	5	8	8	7	22	41	24	12	20	72	عدد أطباء الأمراض النفسية-قطاع عام	
211	2	2	5	8	9	6	20	33	45	10	29	42	عدد أطباء أمراض الجلد-قطاع عام	
3103	2197	2299	2179	5099	4505	4730	2380	2918	2576	4578	3040	2625	معدل التأطير الطبي قطاع عام	
13545	13	45	43	732	157	502	645	1373	1242	1076	2847	4870	عدد أطباء القطاع الخاص	
237	0	0	0	10	0	4	10	24	25	21	60	84	عدد أطباء الأمراض النفسية قطاع خاص	
73	0	0	0	5	0	2	4	7	10	6	12	27	عدد أطباء جراحه الأطفال قطاع الخاص	
357	0	1	0	18	0	8	18	36	28	28	83	137	عدد أطباء أمراض الجلد قطاع الخاص	

المجموع	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	الجهات	مؤشرات الدراسة
29726	55	200	287	1880	392	1434	1503	2827	3762	4599	4968	7440	عدد حالات مرض السل	
29726	0	0	4	85	2350	722	172	930	369	207	161	38	عدد حالات اللشمانيا	
167	0	0	2	22	14	12	13	16	19	10	31	28	وفيات الأمهات أثناء الولادة	
6938	49	39	100	474	452	298	319	1185	1063	860	1071	1028	وفيات الأطفال حديثي الولادة	

المصدر: وزارة الصحة. الخريطة الصحية. 2019.

الخريطة 1 : توزيع عدد المستشفيات جهويا بالمجال المغربي سنة 2019





الإقليم الجغرافي للدولة: دراسة في الفكر الأصولي اليهودي

Geographical region of the country: A study in Jewish fundamentalist thought

الباحث: أ. مؤيد جبار حسن؛ مركز الدراسات الاستراتيجية، العراق

Prepared by: Muayad Jabbar Hassan: Center for Strategic Studies, Iraq

المخلص:

كانت الدولة، ولما زالت، الصيغة الأمثل لتجمع السياسي البشري. ولكي يصل الى تلك المرحلة توجب ان تتوفر جملة من الشروط لغاية وجود تلك الدولة منها؛ الشعب والسلطة والسيادة واخيرا الاقليم وهو ما يهمننا هنا. ولما كانت الغاية القصوى لليهود الصهاينة اقامة دولة في قلب الشرق الاوسط (فلسطين) فانهم استعانوا بالفكر الاصولي اليهودي، الذي مهد لهم ذلك، عبر استنفار الشعور الديني والوعد الالهي باقامة اليهود دولتهم في فلسطين.

ومن هذا المنطلق نحاول في هذه الدراسة الاجابة عن الاشكالية التالية: ما اهمية فكرة الاقليم الجغرافي في الفكر الاصولي اليهودي في سعيه المستمر لبسط سيطرته على الاراضي الفلسطينية وما جاورها.

اما الفرضية التي نحاول اثباتها: ان فكر مؤسسي الدولة الصهيونية ذهب الى استغلال الجانب الديني المتشدد لديهم من اجل تحقيق فكرة الدولة اليهودية الخالصة، والتي سيكون فيها الاغلبية للعنصر اليهودي.

توصلت الدراسة الى مجموعة من التوصيات أهمها: أولا: ان الفكر اليهودي الحالي هو فكر قائم على الماضي، أي انه فكر اصولي، ولم يتطور او يتمد بل استمر في البقاء في منطقة اقضاء الاخر والتعالي عليه. ثانيا: الفكر الصهيوني فكر توسعي عدواني نهم لم ولن يتوقف عن قضم الاراضي العربية الأخرى بعد ان احتلت الاراضي الفلسطينية، وهنا يجب على الأنظمة العربية الانتباه لذلك. ثالثا: على جميع الشعوب العربية الضغط على حكوماتها ورفض موجة التطبيع الأخيرة والتتديد بها والعمل على الغائها، بحكم ان الفكر اليهودي الصهيوني فكر لا يعترف بالمهادنة ولا يؤمن بالسلام كما يدعي، وانما فكر عنفي توسعي عنصري لا يرى سوى مصالحه الذاتية الضيقة.

الكلمات المفتاحية: الإقليم الجغرافي، الاصولية اليهودية، الفكر اليهودي

Abstract:

The state was, and still is, the ideal formula for human political assembly. In order to reach that stage, a number of conditions must be met in order for that state to exist. The people, the authority, the sovereignty,

and finally the region, which is what concerns us here. And since the ultimate goal of the Zionist Jews was to establish a state in the heart of the Middle East (Palestine), they sought help from the Jewish fundamentalist thought, which paved the way for them by mobilizing religious sentiment and the divine promise of the Jews establishing their state in Palestine.

From this point of view, we try in this study to answer the following problem: What is the importance of the idea of geographical territory in the Jewish fundamentalist thought in its continuous quest to extend its control over the Palestinian lands and their surroundings.

As for the hypothesis that we are trying to prove: that the thought of the founders of the Zionist state went to exploiting their extremist religious side in order to realize the idea of a purely Jewish state, in which the Jewish component would be in the majority.

The study reached a set of recommendations, the most important of which are: First: The current Jewish thought is a thought based on the past, that is, it is a fundamentalist thought, and it did not develop or civilize, but rather continued to remain in the area of exclusion and transcendence of the other. Second: The Zionist ideology is an aggressive, expansionist thought that has not and will not stop nibbling other Arab lands after it occupied the Palestinian lands, and here the Arab regimes should pay attention to that. Third: All Arab peoples should pressure their governments and reject the recent wave of normalization and denounce it and work to abolish it, given that the Jewish-Zionist thought is a thought that does not recognize truce and does not believe in peace as it claims, but rather a violent, expansionist, racist thought that sees only its narrow self-interests.

Keywords: geographic region, Jewish fundamentalism, Jewish thought

المقدمة:

تمثل الدولة، رغم الانتقادات والتنبؤات بزوالها، الشكل الاصلح للتجمعات البشرية حول العالم. ويبلغ عدد تلك الكيانات السياسية اكثر من (195) دولة، تتوزع على القارات المختلفة.

ومن الاركاز الرئيسية لقيام ووجود هذا الكائن السياسي هو الاقليم الجغرافي، والذي تحرص كل دولة على الحفاظ عليه ورسم حدوده بكل وضوح وشفافية، والدفاع عنه في حالة تعرضه للغزو او الاحتلال، ومن هذا المنطلق اولى الكيان الصهيوني مسألة احتلال وحيازة الارض اهمية كبيرة في تحركه الاستراتيجي لتكوين دولة اليهود المزعومة. لذا قام بتحشيد جهوده واستناره قواد المادية والمعنوية صوب الحصول على الاراضي التي ينوي فيها اقامة دولته.

مشكلة الدراسة:

تبحث الدراسة في الفكر الاصولي اليهودي والدلالات التي يحتويها عن موضوعة الدولة اليهودية المزمعة وأهمية العامل الجغرافي في تحقيق وجودها وتثبيت اركان كيانها الغاصب

منهج الدراسة:

تنتهج الدراسة الاسلوب التحليل في دراسة النصوص اليهودية والافكار والتصريحات للمفكرين اليهود وغيرهم ممن كان له باع في تلك القضية. وانتهجت الدراسة ايضا الاسلوب التاريخي عبر تفصي الاحداث التاريخية وربطها بما يعزز فكرة البحث ومقاصد الباحث في اخراج فكرته الاصلية.

فرضية الدراسة:

تفترض الدراسة وجود أهمية ومكانة كبيرة للاقاليم الجغرافي في الفكر اليهودي الاصولي والذي اباح وبرر لهم القيام بفعل الاحتلال وقتل وتشريد الملايين من العرب الفلسطينيين.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الى توضيح مكانة الاقاليم الجغرافي بالنسبة للفكر الاصولي اليهودي، والذي يعد من الركائز الاساسية في صنع وزرع الكيان الصهيوني في قلب الشرق الاوسط وعلى حساب وجود دولة اخرى هي دولة فلسطين المحتلة.

أهمية الدراسة:

تتمثل الأهمية في محاولة فهم الفكر اليهودي الذي تقوم عليه منظومة الاحتلال الصهيوني، عبر التبرير والاعتقاد الكاذب بوجود حقوق لليهود في أراضي فلسطين منذ قديم الأزمان.

هيكلية الدراسة:

تقوم الدراسة على الهيكلية التالية: فبعد المقدمة هناك ثلاث مباحث، الأولى يتحدث عن مقومات الدولة بصورة عامة والإقليم الجغرافي بصورة خاصة. أما المبحث الثاني فتناول الفكر الأصولي اليهودي بصورة عامة وأهمية الإقليم الجغرافي فيه بصورة أكثر تحديداً. فيما جاء المبحث الثالث بالنتائج التي خلص لها البحث. وأخيراً الخاتمة ثم المصادر التي اعتمدها البحث.

المبحث الأول: مقومات الدولة

الدولة، قبل كل شيء، هي كيان سياسي. غالباً ما يشار إليها على أنها أرض ميلاد الفرد أو إقامته أو مواطنته.

قد تكون الدولة دولة مستقلة ذات سيادة أو جزءاً من دولة أكبر، كتقسيم سياسي غير سيادي أو سيادي سابقاً، أو إقليمياً مادياً مع حكومة، أو منطقة جغرافية مرتبطة بمجموعات من الأشخاص المستقلين سابقاً أو المرتبطين بشكل مختلف بخصائص سياسية مميزة. ويمكن لمصطلح البلدان أن يشير إلى كل من الدول ذات السيادة وإلى الكيانات السياسية الأخرى، بينما في أحيان أخرى يمكن أن تشير إلى الدول فقط. على سبيل المثال، يستخدم كتاب حقائق العالم الخاص بوكالة المخابرات المركزية الكلمة في حقل "اسم الدولة" للإشارة إلى "مجموعة متنوعة من التبعيات، ومناطق ذات سيادة خاصة، وجزر غير مأهولة، وكيانات أخرى بالإضافة إلى الدول التقليدية أو الدول المستقلة".

أحجام تلك الكيانات السياسية تختلف، فمن أكبر دولة في العالم من حيث المساحة الجغرافية كروسيا، أو الأكثر اكتظاظاً بالسكان كالصين، تليها الهند والولايات المتحدة وإندونيسيا وباكستان والبرازيل. أحدث عضو في الأمم المتحدة هو جنوب السودان. قبول أعضاء جدد يتطلب موافقة الجمعية العامة؛ منذ عام 1991، تم حجز عضوية الأمم المتحدة للدول ذات السيادة. الدول الصغرى

هي دول ذات سيادة لديها عدد قليل جداً من السكان أو مساحة صغيرة جداً، وعادة ما تكون كلاهما؛ تشمل الأمثلة على الدول الصغيرة مدينة الفاتيكان وموناكو وسان مارينو.

في اللغة العربية ترجع مادة (الدولة) لدوران الحال وانتقاله، وتختص الدولة -بضم الدال - بالانتقال والتعاقب في أمور الدنيا، كالمال والجاه، والدولة -بالفتح- بالانتقال في الحرب، كأن ينتقل النصر من فئة إلى فئة، وقيل "هما سواء". أما في المصطلح السياسي فالدولة: مجموع كبير من الأفراد، يقطن بصفة دائمة اقليماً معيناً، ويتمتع بالشخصية المعنوية، بنظام حكومي، واستقلال سياسي⁽¹⁾.

مقومات الدولة:

أولاً: الارض (الاقليم الجغرافي)

وهي رقعة من الارض محددة بحدود موضحة ومعترف بها تختص بها دولة معينة، فمن المستحيل ان تقوم دولة ما دون ان يكون لها مكان من الارض تمارس عليه سيادتها وتمنع كل قوة اجنبية من التعدي على اراضيها. غير ان هناك حالات استثنائية او حالات شاذة تتواجد في اوقات الحروب وعندما تتعدى دولة على اراضي دولة اخرى وتحتلها فتضطر حكومة الدولة المغتصبة الى ترك اراضيها وشعبها واللجوء الى دولة صديقة مجاورة لتمارس حقوقها الشرعية في تحرير اراضيها واجلاء القوات المعتدية عنها. والاراضي التي تمارس عليها الدولة سلطتها وسيادتها لا تقف عند حدود اليابس بل تتعداه الى الغلاف الجوي والى مسافة محدودة ومعلنة لجميع دول العالم من البحار والمحيطات⁽²⁾.

ان استقرار الشعب على اقليم جغرافي معين يعد ركناً أساسياً من اركان الدولة وشرطاً جوهرياً لاستقلال السلطة السياسية، ذلك لان الاقليم يمثل المجال او النطاق الذي تباشر فيه الدولة سيادتها، وتفرض فوقه نظامها، وتطبق عليه قوانينها. ويعتبر اقليم الدولة مصدر قوتها ومنعتها، بما يضم من ثروات طبيعية، ومناخات متنوعة، وتضاريس مختلفة، وطرق مواصلات شاملة⁽³⁾.

(1) ابو فهر السلفي، الدولة المدنية مفاهيم واحكام، ط1، القاهرة: دار عاتم النوادر، 2011م، ص22.

(2) حسين حمزة بندقجي، الدولة دراسة تحليلية في مبادئ الجغرافية السياسية، ط3، السعودية: الناشر ح.ح. بندقجي، 1981م، ص8.

(3) سمير عاليه، نظرية الدولة وادابها في اناسام، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1988م، ص35.

وتعد الدولة احد اشكال التنظيم السياسي والقانوني للمجتمع، المتكون من مجموعة من المواطنين او الرعايا، او لبلد معين، وتمتلك في دالاتها العامة حدود اقليمية او ادارية وسياسية معروفة في الغالب تمارس داخلها قوانينها (4).

فالارض هي المجال الحيوي الذي تطور فيما بعد الى مفهوم الوطن، بنباتاتها القابلة للاكل، وحيواناتها القابلة للصيد، ومياهها القابلة للشرب، ومناطق الحماية الطبيعية فيها كالكهوف، فالمجال الحيوي هو القاعدة المادية لنشوء الدول، والوجه الاساسي لسلوكياتها السياسية (5).

فمن العوامل التي تؤثر في قيمة الدولة السياسية؛ العوامل الطبيعية، التي لها أهمية في التأثير في تركيبها الطبيعي، كما أنه يبرز دورها ويجدد الأهمية في تكييف الصورة المركبة التي تتألف منها، إضافة الى ان العوامل الطبيعية تساعد الباحثين والمخططين على دراسة ذلك التركيب الطبيعي للدولة للتمكن من تقرير أهميتها ووزنها السياسي الدولي. إضافة الى تليل سهولة التوسع او التعرض للهجوم او مقاومة الحصار الخارجي. كما ان بنائها الطبيعي من حيث نظام وتوزيع السكان وطاقتهم في استثمار مواردها الطبيعية (6).

وقد كافحت العديد من الدول، ومنها دولة "الاحتلال الإسرائيلي"، للوصول الى حدود آمنة. وهي لا تعني بذلك حدود الارض فحسب، بل حدودا سكانية بشرية أيضا. فهي تحاول بكافة الطرق تصفية من بقي في داخل الارض التي تسيطر عليها من الوجود العربي الفلسطيني. وكانت تتصرف حيال اليهود الموجودين في البلاد العربية تصرفا يدفعهم الى الهجرة من تلك البلاد، بينما تقوم- لأغراض الدعاية فقط- بالادعاء ان العرب هم الذين يقومون بتصفية اليهود من بلادهم (7) حيث ركزت التغطية الاعلامية للمستوطنات الـ"دولة الاحتلال الاسرائيلي" في الاراضي المحتلة بشكل اساسي على تأثيرها على الفلسطينيين والتهديد الذي تمثله بالنسبة للحل السلمي للصراع. ومن منظور الاصولية اليهودية فإن المستعمرات يجب ان ينظر اليها من ثلاث زوايا: وقوفها كقلاع

(4) سيدي محمد وبديب، الدولة واثكائية المواطنة، دار كنوز المعرفة للنشر، ط1، الاردن، 2011، ص31.

(5) محمد شحرور، الدولة والمجتمع، دراسات اسلامية معاصرة: طبعة، دمشق: اناهالي للطباعة والنشر، بلاتاريخ، ص179.

(6) صبري فارس الهيتي، الجغرافية السياسية، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2000م، ص17.

(7) حسن ظاظا، ابحاث في الفكر اليهودي، ط1، دمشق: دار القلم، 1987 م، ص114.

للإيديولوجيا، وتأثيرها الراهن والمحتمل على المجتمع الـ"دولة الاحتلال الإسرائيلي"ي، ودورها المرتقب كنواة للمجتمع الـ"دولة الاحتلال الإسرائيلي"ي الذي يرغب الزعماء في بنائه⁽⁸⁾.

ومن جهة أخرى فإن الأقليم هو إطار لاختصاص الدولة وقاعدة لعملها أو نشاطها، فهو اختصاص الدولة بحكم تعايش الدول التي تحرص كثيرا على استقلالها. ونتيجة لذلك فإنه من الضروري تحديد نطاق استقلال كل واحدة من هذه الدول، واحسن وادق تحديد هو الذي يتم على الارض⁽⁹⁾.

لذا يجب ان تعمل الدولة في اراض معينة، حيث يعيش عدد كبير من السكان كمجتمع متميز، ولا يمكن ان تقوم دولة بدون ارض، ويجب ان ينتظم السكان في الأقليم بحيث يشكلون مجتمعا متميزا الى حد معقول، وعلى سبيل المثال، يجب ان يتفاعلوا مع بعضهم البعض بدرجة اكبر من تفاعلهم مع الغرباء⁽¹⁰⁾.

ومن هنا يمكن القول: ان مؤسسي "دولة الاحتلال الإسرائيلي" المزعومة، حاولوا الاستناد الى الموروث الفكري الديني (الأصولي) لغاية ايجاد حق قديم لليهود في أرض فلسطين لاجل السيطرة عليها وبناء دولتهم وطرد سكان الارض الأصليين عنها.

ثانيا: الشعب (المواطنون)

كان مكان عيش العشيرة، ومن بعدها القبيلة، هو المجال الحيوي، الذي دفع افراد القبيلة لتتحد من اجله، وتدافع عنه في أيام الحروب والقحط، كما في جزيرة العرب، وفي أماكن فساد الدورة الزراعية بسبب سوء استعمال الارض. وكانت الهجرات تحصل بسبب هذين العاملين (الحروب ويوار الارض) فتسبب حروبا طاحنة بين السكان الأصليين والمهاجرين، وكان الدفاع عن المجال الحيوي هو السبب الكامن وراء تشكل العبيد والعبودية والاماء، وبيع الناس كسلع، وكان ذلك بعد تذليل النعام واكتشاف الزراعة والبناء، حيث كان الناس بحاجة الى يد عاملة مجانية لا تقدر ان تدافع عن نفسها، إذ كان الخيار بين العبودية والقتل. هكذا تشكلت الشعوب والحضارات

(8) اسراييل شاحك و نورتون متفينسكي، الأصولية اليهودية في اسراييل، ترجمة: ناصر عفيفي، بلا طبعة، مصر: مؤسسة روز اليوسف، 2001 م، ص 153.

(9) منذر الشوي، فلسفة الدولة، ط2، بغداد: الذاكرة للنشر والتوزيع، 2013 م، ص 87.

(10) جون سن درايزك و باتريك دنغى، نظريات الدولة الديمقراطية، ترجمة: هاشم احمد محمد، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2013 م، ص 25.

القديمة في الأماكن الخصبة (أرض زراعية، مياه، حرارة) كما في وادي النيل وما بين نهريين وحضارات الصين والهند⁽¹¹⁾.

ولقيام دولة لأبد من وجود عدد من الأفراد يتكون منهم الشعب، وهم الذين يقيمون على إقليم الدولة ويخضعون لسلطانها. ولا يشترط في الشعب أن يبلغ عددا معينا حتى تقوم به الدولة، وإن كان من الضروري أن يقوم بين أفرادها نوع من الانسجام تحقيقا للترابط والوحدة داخل هذا الشعب⁽¹²⁾. وهذا لا ينفي وجود نوع من الفسيفساء العرقية والدينية التي لا يخلوا منها شعب من شعوب العالم.

وعليه يمكن القول أن في كل الفئات الاجتماعية يوجد حكام ومحكومون، بمجموعهم يمثلون الشعب، ومن لحظة وجود هذا التمييز بين الحكام والمحكومين تظهر الدولة، فالدولة ليست، في الحقيقة، إلا التمييز بين الحكام والمحكومين وبوجود هذا التمييز توجد الدولة⁽¹³⁾.

فالإسناد في الجماعة القومية هو هذا الرابطة الموجود بين الأفراد الذين يكونونها. وهذا الرابطة في الجماعة الشعبية يجد أساسه في كل أعضاء هذه الجماعة هم من نفس الدم أو من دم متقارب، وبالتالي مغروس فيهم (الروح الموضوعية) للشعب⁽¹⁴⁾.

ثالثا: الحكومة (السلطة)

يلزم لقيام الدولة كذلك وجود سلطة عليا يخضع لها الأفراد المكونين للشعب، وهذه السلطة هي أهم الأركان في تكوين الدولة وحجر الزاوية في أي تنظيم سياسي⁽¹⁵⁾.

وهذا التنظيم السياسي بواسطة تمارس الدولة وظيفتها داخل وخارج حدودها السياسية، وهذا التنظيم لا يتم إلا بواسطة شخص أو أشخاص تكون وظيفتهم الرئيسة رسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية، باتخاذ القرارات اللازمة والتي يراعى فيها الخير ورفاهية الشعب. وتكون مسؤولة عن الانتفاع بموارد البلاد وتتولى حماية الشعب والوطن من الغزو الخارجي⁽¹⁶⁾.

(11) محمد شحرور، مصدر سبق ذكره، ص 94.

(12) سمير عاليه، مصدر سبق ذكره، ص 32.

(13) منذر الشاوي، مصدر سبق ذكره، ص 33.

(14) المصدر نفسه، ص 86.

(15) سمير عاليه، مصدر سبق ذكره، ص 39.

(16) صبري فارس الهيتي، مصدر سبق ذكره، ص 8.

ان قيام هذا النظام السياسي او ذاك في بلد من البلدان لا يتوقف على المصادفة او على ارادة البشر المطلقة، فالنظم السياسية كسائر المؤسسات، انما تحددها عوامل كثيرة، وتحددها خاصة عوامل اجتماعية اقتصادية. وهناك نظريتان كبيرتان تتعارضان في هذا المجال؛ فاما الماركسية فتذهب الى ان الانظمة السياسية صورة طرائق الانتاج، ومعتقيا ينكرون على هذا اللاساس ان يكون للمؤسسات السياسية او لغيرها أي استقلال، ولما يرون لها شأنًا ثانويًا. وأما الغربيون فانهم بعد ان غالوا في اعتبار السياسة مستقلة عن الاقتصاد، اخذوا يعدلون نظرياتهم الاصلية في هذا الصدد، واخذوا يسلمون شيئًا بعد شيء بأن هناك صلة وثيقة بين النظم السياسية ومستوى النمو التكنيكي⁽¹⁷⁾.

فالدولة يراد بها مجموعة الحكام القابضين على السلطة في فئة اجتماعية معينة، واما هذه الفئة الاجتماعية نفسها التي تم فيها التمييز بين الحكام والمحكومين. وعليه فعندما يقال ان على الدولة ان تؤمم التجارة الخارجية او ان تأخذ بمبدأ التعليم اللزامي، او ان تكثر من انشاء المراكز الصحية... الخ، فالمراد بالدولة في هذه الحالات مجموع الحكام⁽¹⁸⁾.

وترتكز فكرة الدولة على عقيدة انه يجب ان يكون هناك مصدر سلطة سياسية واحدة وموحدة في الاقليم التابع للدولة، تستمد الولاء الكامل من سكانه، وتعمل بطريقة منظمة بشكل جيد دائمة، وتخدم مصالح المجتمع ككل⁽¹⁹⁾.

رابعاً: السيادة (السيطرة)

وإذا كانت الدولة فعالة فانها تتضمن ايضاً القدرة على ان تسود على ما عداها والكفاية لتنظيم نفسها بعيداً عن كل خضوع. وهذه السيادة تتأكد في الميدانين الداخلي والخارجي معا وفي وقت واحد. فالدولة هي الحكم الاعلى في الصراع الدائم بين جميع القوى الاجتماعية، ولما يخضع سلطانها من الوجهة المادية او الادبية لأي سلطة اخرى سواء تعلق الامر بتنظيمات نقابية او

(17) موريس دوفرجيه، مدخل الى علم السياسة، ترجمة: جمال التامني و سامي اندروبي، بنا طبعة، دمشق: دار دمشق، ص 136.

(18) منذر الشوي، مصدر سبق ذكره، ص 34.

(19) جون س درايزك و باتريك دنغلي، مصدر سبق ذكره، ص 24.

طوائف دينية او جماعات مهنية او سياسية، كما تتميز الدولة ايضا في الجماعة الدولية بمستوى عال من الاستقلال والحرية في التصرف (20).

ومن المعلوم ان التغيير الذي حصل في مفهوم السيادة ليس بالجديد فقد طرأ عليه تغييرات كبيرة مع نهاية القرن التاسع عشر حتى وصلت الى شكلها الحديث، ولم تعد مجرد فكرة فقط او لغة سياسية، بل احتلت المركز في لغة السياسة، وأصبحت تعتبر بالنسبة للدولة من أهم مظاهر قوتها وقدراتها الشاملة، وأصبحت السيادة معيارا يلحق بالدولة لتمييز حالتها، إن كانت الدولة ذات سيادة، وبالتالي فهي في حالة أمن ووحدانية واستقرار، او غير ذات سيادة فهي في حالة خطر وانقسام ومهددة بالتجزئة (21).

ومن خلال مضمون السيادة بانها السيادة العليا للدولة، وتتميز بخصائص ومميزات، وهذا ما سنتناوله فيما يأتي:

- انها سيادة مستقلة، ولا يوجد إرادة أخرى تقيدها او تأمرها.
- تتميز بالسمو، فهي في مجالها تملو إرادتها جميع الإرادات.
- كما تتميز بالوحدانية والتفرد، بمعنى ان غير قابلة للتجزئة.
- كذلك تتميز بالديمومة الملازمة لبقاء الدولة.
- أنها تتميز بالشمولية، بمعنى ان السيادة تشمل كل المواطنين في اقليم الدولة (22).

المبحث الثاني: الفكر الأصولي اليهودي

من بين أهم القضايا التي انفجرت في نهايات القرن العشرين بنوع خاص تلك التي تتصل بالأصوليات الدينية، وما تولده من مواجهات عقائدية، لا تنفك تتحول إلى مجابهات تتخذ من العنف

(20) جاك دوه نيدويه دي فابر، الدولة، ترجمة: احمد حسيب عباس، بنا طبعة، القاهرة:وزارة الثقافة، 1958م، ص4.

(21) هشام بن عوض بن احمد آل ابراهيم، سيادة الدولة بين مفهومها التقليدي وظاهرة التدويل، رسالة ماجستير، كلية الحقوق-جامعة الشرق الأوسط، الأردن، حزيران 2013، ص 19.

(22) صدام حسين عبادي، مبدأ سيادة الدولة بين الفقه الاسلامي والقانون الدولي العام، رسالة ماجستير، معهد العلوم الانسانية-جامعة الشهيد حمه لخضر، الجزائر، 2017، ص43.

بأشكاله المتعددة؛ اللفظي والجسدي بشكل خاص أدوات للتعبير عن مكوناتها الداخلية، وتطلعاتها المستقبلية (23).

الأصولية في اللغة مشتقة من الجذر الثلاثي (أ ص ل) جمعه أصول، وأصل الشيء: أساسه الذي يقوم عليه، وأصولي تعني أنه أمر جارٍ بحسب القواعد، وإجراء أصولي في الفقه الإسلامي؛ أي له علاقة بعلم أصول الفقه والمتخصصين في علم أصول الفقه، وأصولي اسم النسبة من أصول (أصول + ياء النسبية) ويقال: رجل أصولي؛ أي ينتمي إلى الأصول. وباختصار غير مخل فإن «أصل الشيء» صورته الأولية وجوهره النقي عندما يرى أو ابتكر أو صنع أو استنبط أو أبدع. ويقال: عقيدة أصولية؛ أي: عقيدة تنتمي إلى أصول الدين كما وجد بصورته الأولية قبل أن تدخله عناصر فلسفية أو توافقية. فيما يرى آخرون أن الأصول «المتعلقة بعلوم الدين، ويطلق لفظ «الأصول» على مصطلحات مختلفة من أشهرها ما يدل على ثلاثة من العلوم الإسلامية هي: (أصول الدين وأصول الحديث وأصول الفقه) (24).

والأصل هو الجذر، ويقال: فكر جذري أي راديكالي، يعود إلى الجذور: ولعل علامة الاستفهام: ماذا نستنتج من هذه الدلالات اللغوية؟ المؤكد أننا نرى أن لمصطلح «أصولي» في علم اللغة دلالات إيجابية جيدة، وليس دلالات سلبية سيئة كما هو مصور في الفكر الاجتماعي المعاصر ومنتشر في الأدبيات الدينية والاجتماعية والسياسية (25).

وتشير "الأصولية" في بعض معانيها، وهو المعنى الذي نبحث فيه، إلى نمط واضح من التشدد الديني يحاول من خلاله من يظنون أنفسهم "المؤمنون الحقيقيون" وقف تآكل الهوية الدينية، وتحسين حدود المجتمع الديني، وخلق بدائل قابلة للتطبيق للمؤسسات والسلوكيات العلمانية. ونخلص مما تقدم إلى أن كلمة الأصولية باللغة العربية، هي مصطلح مرتبط بالكنيسة أولاً وأخيراً، وولد في البيئة الغربية (اليهودية، والمسيحية)، وليس له أصل قريب أو بعيد بالبيئة الإسلامية، وأنه قد بدأ الزج به في أواخر سبعينات القرن المنصرم، تمهيدا لعملية محاولة اقتلاعه، بعد اقتلاع اليسار وفقا لما تم ترتيبه في المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني عام 1965م. أو كما قال الأستاذ وجيه

(23) إميل أمين، ناديان والأصوليات في جذور المفاهيم وتحديات الواقع التائم، بنا طبعة، مصر: مركز التحققة لدراسات السياسية والاستراتيجية، بنا تاريخ، ص 273.

(24) عامر عبد زيد كاظم ثواني، الأصولية، المركز الاسلامي لدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة،

ترابط: <https://www.iicss.iq/?id=2912>

(25) إميل أمين، مصدر سبق ذكره، ص 274.

كوثراني: (فلما برزت الحركات الإسلامية في الشرق الإسلامي خلال السنوات العشرين الأخيرة، استخدمت الدراسات الغربية المصطلح نفسه للدلالة عليها) (26).

كل هذه العناصر لها مكان ما في بعض مظاهر الأصولية اليهودية. هناك شعور بالتشدد. وهناك شعور قوي بالهوية يلعب دوره، وهناك أيضا تأكيد واضح على تحديد وتحسين حدود المجتمع الديني. ربما ينبغي أن تكون فكرة إيجاد بدائل للمؤسسات والسلوكيات العلمانية هي محور أي نظرة على الأصولية اليهودية الأمريكية وستحتاج إلى أكبر قدر من الاهتمام.

إذا رأينا أن هدف الأصولية هو الحفاظ على مجتمع ديني محدد بسلوكيات وقيود مناسبة تحاول إبعاد التأثيرات الأجنبية - خاصة العلمانية منها، فإن التعريف المعطى يبدو أنه ينطبق على المجتمع اليهودي بمرور الوقت. ومع ذلك، قد يكون من المنطقي أن نقول إن هناك ضغطاً كبيراً من خارج هذا المجتمع كما كان من الداخل للحفاظ على انفصال المجتمع. لما يقرب من ألفي عام، بينما كان اليهود مشتتين وبلا وطن، ومحرومون من الحكم الذاتي، وغالباً ما كان الآخرون أكثر حرصاً على تعريف اليهود على أنهم "الآخرون" - كشعب منفصل. فالأصولية اليهودية لا تختلف كثيراً عن باقي الأصوليات الدينية، فهي تعتقد أن تعاليم التوراة والتلمود بل وشروح فقهاء الشريعة تنطوي على إجابات صائبة لكل قضايا العصر من وجهة نظرهم؛ أي أنها تعتقد أن حركة التاريخ قد توقفت عند لحظة معينة (27).

وهناك من يرى أن الدافع الأصولي في "دولة الاحتلال الإسرائيلي" متجذر في الأحداث التي وقعت قبل تأسيس الدولة في عام 1948 بفترة طويلة. فمنذ تدمير الهيكل الثاني للقدس من قبل الرومان في 70 م، عاش معظم اليهود في الشتات - وهذا الشتات بعيداً عن أرض "دولة الاحتلال الإسرائيلي" التي وعد الله بها الشعب اليهودي وفقاً للكتاب المقدس العبري. خلال "المنفى" المطول، صلى اليهود في جميع أنحاء العالم يوماً من أجل مجيء المسيح، الذي سيفودهم إلى "دولة الاحتلال الإسرائيلي" وينفذهم من مضطهديهم من الأمم. في أواخر القرن التاسع عشر، خلص بعض اليهود، وخاصة المفكرين العلمانيين مثل تيودور هرتزل (1860-1904)، الصحفي والكاتب المسرحي من فيينا، إلى أن مشكلة معاداة السامية مشكلة قديمة لا يمكن حلها إلا من خلال إنشاء دولة يهودية.

(26) سامي عطا حسن، الأصولية بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي، صحيفة دنيا الوطن، الرابط:

<https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/09/15/209442.html>

(27) إميل امين، مصدر سبق ذكره، ص 275.

وهكذا، فإن الصهيونية، وهي حركة إقامة دولة يهودية في فلسطين، تمثل علمنة للموضوع المسيحي التقليدي. جادل الصهاينة بأنه بدلاً من انتظار الله والمسيح ليقدوا اليهود إلى أرض "دولة الاحتلال الاسرائيلي"، يجب على اليهود أن يأخذوا على عاتقهم العودة إلى هناك. بالنسبة إلى هرتزل وأقرب المقربين منه، لم يكن الجانب المسيحي في "تجمع المنفيين" ذا صلة: كانت النقطة الحاسمة هي إنشاء دولة لا يعود فيها اليهود تحت رحمة غير اليهود.

ومن هنا يذهب الباحث إلى الاعتقاد أن مؤسسي الصهيونية استغلوا الجانب الديني الاصولي لغاية تحقيق اهدافهم. فالاصولية اليهودية وعقائدها وممارساتها وتأثيرها على المجتمع الصهيوني يركزان في فهمهما العدا المطلق لغير ما هو يهودي وهما ينزعان للتطرف والتمسك بالاحتلال والاعتصاب ضمن المبادئ الرئيسية للأصوليين اليهود سعياً لمجتمع ديني متطرف يقوم على التطهير العرقي وتهجير الفلسطينيين عن ارضهم من خلال سياسة الضم وفرض السيادة وصولاً لمفهوم يهودية الدولة، وهذا ما اشترطه (نتنياهو) على الفلسطينيين والعرب للاعتراف بيهودية الدولة مقابل حكم ذاتي للسكان⁽²⁸⁾.

لقد بدأ الميل الاصولي يبرز مجدداً في حياة اليهود القومية في اواسط السبعينات، فبعد فترة هجوع دامت اكثر من ثمانية عشر قرناً انتفض ذلك المزيج من التوقعات المسيحية (تنتظر مجيء المسيح) والعمل السياسي النضالي، والانغلاق الفكري الشديد، والولاء المتفاني لأرض "دولة الاحتلال الاسرائيلي"، الذي ميز فيما مضى تلك الفرقة من غلاة اليهود أيام الرومان، فاهب مخيلة الالف من الشباب اليهودي ومن الصهيونيين العلمانيين الخائبي الرجاء⁽²⁹⁾. وللسعي بكل ما اوتوا من قوة صوب احتلال ارض فلسطين العربية والسعي لتهودها بكل السبل والحيل، بما في ذلك القتل والتهجير.

هناك ثلاثة اتجاهات يهودية رئيسية في "دولة الاحتلال الاسرائيلي" تم تصنيفها على أنها أصولية، حيث تؤكد المجموعات الثلاث على ضرورة الالتزام الصارم بالقوانين الدينية والمبادئ الأخلاقية الواردة في النصوص اليهودية المقدسة، التوراة والتلمود، وهي:

(28) عني ابو حبنه، الأصولية اليهودية المتطرفة تجسيد لنكراهية والعنصرية، صحيفة الدستور الأردنية، تموز 2020، الرابط: <https://n9.cl/78zv4>
(29) ايان نوستك، اناصونية يهودية في اسرائيل، ترجمة: حسني زينة، ط1، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1991م، ص6.

1-الصهيونية الدينية المتشددة:

على الرغم من عداة معظم الحاخامات الأرثوذكس، أثارت الصهيونية حماساً كبيراً بين العديد من اليهود الأرثوذكس الذين رأوا فيها الوعد بالخلاص المسيحاني الذي طال انتظاره. لذلك سعى بعض الحاخامات الأرثوذكس إلى إضفاء الشرعية على المشاركة الأرثوذكسية في الحركة الصهيونية. جادل الحاخام يتسحاق يعقوف رينيس (1839-1915)، مؤسس الحركة الصهيونية المزراعية في عام 1902، بأن الاستيطان الصهيوني لأرض "دولة الاحتلال الاسرائيلي" لا علاقة له بالخلاص المسيحاني المستقبلي لليهود، وبالتالي لم يشكل تحدياً لمشيئة الله. ومع ذلك، فقد حدث آثار هذه الأفكار الدينية من جاذبية هذا التوجه، والذي سرعان ما حلت محله وجهة نظر مختلفة جذرياً: أن الصهيونية نفسها كانت جزءاً من الفداء المسيحاني التدريجي للشعب اليهودي. وكان الصهاينة العلمانيون، رغم أنهم لم يعرفوا ذلك، يقومون بعمل الله والمسيح. قدم هذه الحجة الحاخام أبراهام كوك (1865-1935)، وظلت موضوعاً أساسياً للصهيونية الدينية. ويقرر مؤسس المركز متعدد الاتجاهات للدراسات «بريشلاند» بجامعة تولوز، أن هناك منبوعين لهذه الأصولية: المنبع القديم المرتبط بيهودية الدياسورا، والمنبع الوطني الذي ظهر مع الصهيونية وقيام دولة "دولة الاحتلال الاسرائيلي"، وهاتان الأصوليتان تختلفان في طبيعتهما وفي مراجعتهما، فالأصوليون، اليهود المتدينون على استعداد لفرض حلمهم المسيطر على الشعب اليهودي عن طريق صناديق الاقتراع أولاً، ولكن أيضاً الأكثر تشدداً منهم عن طريق القوة، لأنهم يعدون أوامر التوراة أهم بكثير من الديمقراطية أو من حقوق الإنسان، هذه الاهتمامات الإنسانية لا تساوي شيئاً بالنسبة لهم أمام الخطط الإلهية⁽³⁰⁾. لكن يبدو ان الاتجاهين الفكريين قد سادت بينهما نوع من الهدنة المؤقتة عندما كانت الحرب مستعرة مع العرب، لذلك هناك من يظن ان السلام قد يودي ب"دولة الاحتلال الاسرائيلي" أكثر مما قد تفعله الحرب معها.

يمكن إرجاع بوادر الصهيونية الدينية الحديثة الى رجال الدين اليهود، بما في ذلك الحاخامات يهودا القلعي (1798 - أكتوبر 1878)، تسفي كاليشر(مارس 1795 - 16 أكتوبر 1874)، شموئيل محيليفير (1824- 1898)، و نفتالي تسفي يهودا برلين (1816 - 1893). واستناداً إلى اندماج الدين اليهودي والقومية، فإنه لا يهدف إلى استعادة الحرية السياسية اليهودية فحسب،

(30) إميل أمين، مصدر سبق ذكره، ص276.

بل أيضاً الديانة اليهودية في ضوء التوراة ووصاياها. بالنسبة للصهيونية الدينية، فإن اليهودية القائمة على الوصايا شرط لا غنى عنه للحياة القومية اليهودية في الوطن.

في عام 1902، واستجابة لقرار المؤتمر الصهيوني الخامس (عقد في بازل (26-30 كانون الأول 1901)) باعتبار النشاط الثقافي جزءاً من البرنامج الصهيوني، أسس الحاخام رينز وزئيف يافتس منظمة مزراحي (المزراحي هو الاختصار العبري لمركز روحاني - "المركز الروحي"). عقد مزراحي أول مؤتمر عالمي له في عام 1904 وشكل برنامج الحركة الذي اهتم بشكل أساسي بمراعاة الوصايا والعودة إلى صهيون. في فلسطين، أعطى الحاخام أبراهام يتسحاق هكوهين كوك للصهيونية الدينية تأييده الشخصي والروحي، معتبراً الاستيطان في أرض "دولة الاحتلال الاسرائيلي" بداية الفداء، وهو من الشخصيات الدينية البارزة في اليهودية الحديثة⁽³¹⁾.

لقد تعهدت الصهيونية الدينية بالكثير من جهودها ومواردها لبناء نظام تعليم قومي ديني. تفرّع هبوعيل حميزراحي (منظمة صهيوني دينية تأسست عام 1902، تأسست على وجه الخصوص في فلسطين المنتدبة، وأصبحت منظمة ذات طابع نقابي في عام 1922. ثم تطورت الى حزب سياسي) بعيداً عن الحركة الرئيسية (1922) للتركيز على الاستيطان الريفي الأرتوذكسي في فلسطين تحت شعار "التوراة والعمل". في عام 1956، اتحدت الحركتان، المزراحي وهبوعيل حميزراحي، تحت مظلة الحزب الديني القومي، الناشطين في السياسة الـ "الاسرائيلية" اليوم⁽³²⁾.

وفي المنظور الدولي، تستمد الأصولية اليهودية أهميتها، كقوة متطرفة وناشطة الفاعلية في شؤون الشرق الأوسط، من قابلية النزاع العربي-الاسرائيلي الشديدة الانفجار، ذلك النزاع الذي تندرج الحركة الأصولية اليهودية فيه. فقد خاضت "دولة الاحتلال الاسرائيلي" وجاراتها ست حروب مهمة في الأعوام الاربعة الماضية، وارتبطت بهذه الحروب سلسلة من المواجهات السياسية والعسكرية المباشرة بين القوى العظمى⁽³³⁾.

2-الأرتوذكسية المتطرفة للأشكناز (يهود من أصل أوروبا الشرقية):

(31) كوك، الحاخام أبراهام اسحق، المركز الفلنسطيني لدراسات الإمبرانيوية "مدار"، الرابط: <https://n9.cl/tyiop>

(32) المكتبة الافتراضية اليهودية، المؤسسة التعاونية الأمريكية الإسرائيلية (AICE)، انظر الرابط التالي:

<https://www.jewishvirtuallibrary.org/religious-zionism>

(33) إيان نوستك، مصدر سبق ذكره، ص8.

عارض معظم اليهود الأرثوذكس - ولنا سيما الحاخامات الأرثوذكس - الصهيونية، ويرجع ذلك أساساً، في نظرهم، إلى أنها دعت البشر إلى فعل ما يمكن أن يفعله الله والمسيح فقط. ففي اليهودية التقليدية، كانت العودة إلى أرض "دولة الاحتلال الاسرائيلي" لا تتفصل عن الخلاص المسيحاني لشعب "دولة الاحتلال الاسرائيلي". وبالتالي، فإن العودة إلى الأرض وإقامة دولة من شأنها أن ترقى إلى تحدي إرادة الله، لن تؤدي إلا إلى تأجيل الفداء الحقيقي والتجمع الحقيقي للمنفيين. كما اعترض اليهود الأرثوذكس على حقيقة أن هرتزل ومعظم القادة الصهاينة الأوائل لم يدعوا إلى دولة تقوم على الامتثال الصارم للقانون الديني اليهودي. لذا ساد العداء تجاه الصهيونية بين الحاخامات الأرثوذكس والأرثوذكس المتطرفين خلال أوائل القرن العشرين. ومع ذلك، فإن ذلك اختفى فعلياً مع حدوث الهولوكوست، والذي بدا أنه يؤكد الحجة الصهيونية بأن اليهود لا يمكن أن يكونوا آمنين إلا في دولتهم. وترى الصهيونية أن العودة الموعودة لن تتم إلا بجهد يهودي صرف ليس له من ظهير إلا الدعم الباطني، الذي لم تنكره الصهيونية في بداياتها رغم أنها ستزعم منزعا علمانيا في العقود اللاحقة خاصة بعد قيام "دولة الاحتلال الاسرائيلي" (34).

ويبدو ان المعارضة الاصولية اليهودية للحركة الصهيونية تقوم على التناقض بين اليهودية الكلاسيكية التي يعتبر الاصوليون منها والصهيونية، ففي فقرة تلمودية شهيرة، يقول الله أنه فرض على اليهود ثلاثة موثيق:

- 1- يجب على اليهود ألا يتمردوا على غير اليهود.
 - 2- يجب ألا يقوم اليهود بالهجرة الجماعية الى فلسطين قبل مجيء المسيح.
 - 3- على اليهود الصلاة بقوة طلباً لظهور المسيح، حتى لا يأتي قبل موعده المحدد.
- وأثناء الالف والخمسمائة عام الماضية قامت الغالبية العظمى من أهم الحاخامات اليهودية بتفسير هذه الموثيق واعتبرت ان وجود اليهود في المنفى التزاماً دينياً للتكفير عن الذنوب اليهودية التي جعلت الله يقوم بنفيهم (35).

3-الأرثوذكسية المتطرفة من السفارديم (اليهود من أصل شرق أوسطي) كما يمثلها حزب شاس السياسي:

(34) الصهيونية رحنة إقامة دولة يهودية، موقع الجزيرة، الرابط: <https://n9.cl/8ritc5>

(35) اسرائيل شحاك و نورتون متسفينسكي، مصدر سبق ذكره، ص51.

شاس والطبقة السفاردية الدنيا، الشكل الرئيسي الثالث للأصولية اليهودية في "دولة الاحتلال الاسرائيلي" يمثله السفارديم الأرثوذكس المتطرفون وحزبهم السياسي، شاس - شاس كونها اختصار عبري لـ Sephardi Torah Guardians. السفارديم، بالمعنى الواسع لليهود من أصل شرق أوسطي، هم، بشكل عام، أقل تعليماً وأقل ازدهاراً من الأشكناز، ويشعر الكثير منهم أنهم يتعرضون للتمييز. في الواقع، فإن السفارديم الذين يصوتون لشاس يميلون إلى أن يكون الدافع وراءهم أقل من الايمان ببرنامج الحزب للامتثال الصارم للقانون الديني اليهودي من الإحباط والاستياء الناجمين عن وضعهم في المرتبة الثانية في المجتمع ال"يهودي". وبالتالي، فإن شاس هي مثال ممتاز على حقيقة أن الحركات الأصولية تدين في الغالب بنجاحها لمظالم سياسية واجتماعية وليس لمظالم دينية بحتة. بالإضافة إلى برنامجها الديني والثقافي، توفر شاس المدارس والخدمات الاجتماعية الأخرى للفقراء السفارديم. وهي تشبه في هذا الصدد بعض الحركات الأصولية الإسلامية، لعب حزب "شاس" دوراً فاعلاً في الحياة السياسية في "دولة الاحتلال الاسرائيلي" منذ نشأته حتى الآن، على عكس الأحزاب الدينية الأخرى في الكنيست، التي تركز على القضايا الدينية وتعطيها الأولوية؛ فهو، عادة، ما ينضم إلى الائتلافات الحكومية المتشكلة في أعقاب انتخابات الكنيست ال"اسرائيلية" (36).

الثابت أن الأصولية في صعود، وكما تشير الأحداث الأخيرة التي شهدتها العالم، يوجد أصوليون في معظم الديانات إن لم يكن كلها، وفي حديث أدلت به «كارين أرمسترونج» أشارت المؤرخة الدينية مؤخراً في مجلس برلمان ديانات العالم إلى أن الأصولية تظهر في شكل تمرد على المجتمع العلماني الحديث؛ لأنها تتركه كتهديد لها، وأنها تضرب بجنورها في الخوف من تعرضها للإبادة، وقد أسهمت فيها النزعة التجارية بدافع الجشع والخوف من المجهول (37).

ويلاحظ ان الأصولية اليهودية تحاول بناء الأمة وليس الدولة، والفرق شاسع بين الاثنين، فالأمة بحسب الفكر الأصولي جماعة تجتمع حول وحدة العقيدة والايمان، وليس بالضرورة وجود عناصر أخرى، في حين أن الدولة تتضمن التعددية. ويختصر الفكر الأصولي الإنسان بدينه وعقيدته، ولا يمكن معه وضع حد فاصل بين الإنسان وإنسانيته من جهة، ثم دينه وعقيدته من جهة ثانية. الآخر في الفكر الأصولي، إما هو مثلي فأقبله وأتخزب له، وإما هو مختلف عني فأحوله إلى

(36) الأحزاب السياسية في إسرائيل، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، الترابط:

https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4874

(37) إميل أمين، مصدر سبق ذكره، ص282.

مجرد مساحة تبشيرية، ليس هناك في الفكر الأصولي، ما يُعرف بالقيمة الإنسانية التي تجمع بين مختلف أنواع البشر (38).

فاليهودي القح لا يترك قسما غليظا ولنا قولنا معسولا في الاستيلاء على القدس (الاقليم الجغرافي) وتطهيرها من الاسلام والمسيحية الا قاله، ولا يكاد ينعقد اجتماع يهودي كبير او صغير، حتى يطلق اسم اورشليم مرات ومرات، وسط حماس الصهانية اليهود، وابسط ذلك واقربه منالا هو الترنم بنص من المزامير يقول: "ان نسيك يا اورشليم فلتنسي يميني، ليلتصق لساني بحنكي ان لم اذكرك، ان لم ارفع اورشليم على قمة ابتهاجي". حتى ان تيودور هرتسل زعيم الصهيونية الحديثة- كان قد وافق على اقتراح السياسي البريطاني (تشمبرلين) الكبير في اعطاء اليهود وطنا قوميا في اوغندا بوسط افريقيا، ولكن غلاة الصهيونية ثاروا على زعيمهم، واعتدوا على مساعده، واتهموا هرتسل نفسه بالخيانة، وعند اجتماع المؤتمر الصهيوني العالمي السادس بدأوا يهتفون ضده في القاعة حتى اذا بدأ ينشد " ان نسيك يا اورشليم " نسوا كل شيء، وصفا له الجو وسلمت له الزعامة، بعد ان سلمت لهذه الهيستريا "مدينة داوود" (39). وفي ذلك اشارة واضحة على انتصار التيار الاصولي اليهودي المتدين في رغبة جعل فلسطين موطننا لليهود حول العالم.

ونظرا لاهمية الاقليم بالنسبة لاي دولة وارتباطه بها، ذهب العديد من الفقهاء الى اعتبار الاقليم جزء من شخصية الدولة، ينطلق في الحقيقة من فكرة ان الدولة بدون اقليم لا تستطيع ان تعبر عن ارادتها. حيث ان ارادة الدولة هي ارادة الدولة ك شخص، لان الدولة لا تمتلك ارادة الا لان لها شخصية، فالنتيجة المنطقية هي لابد لشخصية الدولة من اقليم، وبهذا المعنى يعتبر الاقليم جزء من شخصيتها (40).

وكان استخدام الاصولية من قبل الحركة الصهيونية وسيلة للوصول الى اهدافها الاكبر في الاستيلاء على ارض فلسطين باعتبارها وعد الله لليهود.

الخاتمة:

في 14 ايار 1948، يوم انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، أعلن ما يسمى ب " مجلس الشعب اليهودي " إنشاء دولة "دولة الاحتلال الاسرائيلي" واستقلالها. وكانت الولايات المتحدة

(38) المصدر نفسه، ص 284.

(39) حسن ظاظا، مصدر سبق ذكره، ص 13.

(40) منذر الشاوي، مصدر سبق ذكره، ص 89.

أول دولة تعترف بـ"دولة الاحتلال الاسرائيلي" عندما منح الرئيس هاري ترومان الاعتراف الفعلي بعد 11 دقيقة من إعلان الاستقلال. بعد ثلاثة أيام، منح الاتحاد السوفيتي "دولة الاحتلال الاسرائيلي" الاعتراف القانوني. بعد ما يقرب من عام من إنشائها، في 11 مايو 1949، تم قبول "دولة الاحتلال الاسرائيلي" كعضو رقم 59 في الأمم المتحدة. وحاليا تعترف 167 دولة على الأقل من أصل 193 دولة عضواً في الأمم المتحدة رسمياً بـ"دولة الاحتلال الاسرائيلي"، وكانت آخرها دولة الإمارات والبحرين والسودان والمغرب وبوتان في عام 2020. ولم تعترف 29 دولة بـ"دولة الاحتلال الاسرائيلي" أبداً، ومعظمها دول عربية / إسلامية.

يحد هذه الدولة الصغيرة (20,235 كم²) لبنان من الشمال، وسوريا والاردن من الشرق، ومصر من الجنوب، في حين يحدها من الغرب البحر المتوسط. تتطابق دويلة "دولة الاحتلال الاسرائيلي" والمملكة الاردنية مع ارض فلسطين القديمة، وهي موطن ثلاث ديانات توحيدية كبرى (اليهودية والمسيحية والاسلام) وتنتظر هذه الديانات على انها ارض ذات طابع مقدس، لا سيما مدينة القدس. ويسكن "دولة الاحتلال الاسرائيلي" حالياً حوالي 9,3 مليون نسمة، منهم 6,8 مليون عبري، و عدد السكان العرب 1,9 مليون (بحسب مكتب الإحصاء المركزي " الاسرائيلي ") ومنذ نشوء هذه الدويلة كانت منطقة الشرق الاوسط عرضة لنزاع خطير بين الشعبين، دعي باسم النزاع الاسرائيلي الفلسطيني⁽⁴¹⁾.

ما منح اليهود السبقية والاولوية في اعلان دولتهم المزعومة هو امتلاكهم السيطرة المباشرة على الاراضي الفلسطينية، بعد ان مارسوا على السكان الاصليين، ويتواطىء بريطاني وعدم اهتمام دولي، ايشع انواع التهجير المصحوب بمجازر دموية يندى لها جبين البشرية، وذلك لاهمية امتلاك الاقليم في الفكر اليهودي.

لقد كانت، ولا تزال، الدولة هي الحل الوحيد الذي توصلت اليه المجتمعات المتحضرة، لتسيير شؤون حياتها وتنظيم وتيرتها بالقانون والاعراف. ورغم نبوءات زوال الدولة وانقراضها لحساب كيانات اخرى اكبر واقوى، الا ان ذلك لم يحصل، واستمرت الدول تمارس دورها، وتسير تحت لافتة البقاء للنسب والاصلح والاجدى.

(41) صوفي شوتار، جيوبوليتيك القرن العشرين، ترجمة سهيل ابو فخر، ط1، دمشق: دار فرقد، 2016 م، ص249.

فيما مثلت الاصولية، في ايماننا هذه، ظاهرة التشدد الديني وانغلاق افق الحوار والمناقشة والذهاب صوب المواجهة والصدام.

فيما تبدو الاصولية في الفكر اليهودي كحالة من الواقع الديني هناك، وجاءت منذ بدايات اعتماد التلمود ووصايا الحاخامات كنصوص دينية مقدسة غير قابلة للنقاش، رغم ما يطالها من شكوك حول التحريف والتلاعب.

ويظهر ان العقدة النفسية التي حملها اليهود عبر تاريخهم السحيق من اجلاء بالقوة من ديارهم على يد البابليين ولمرتئين متتاليين، ثم استعبادهم في بلدان كمصر، وهروبهم من تحت ربة العبودية التي فرضها عليهم فرعون وقومه، الى ان عوقبوا بالتيه في الصحراء لعشرات السنين. كل هذا الموروث الديني المؤلم انعكس على رغبة اليهود في اولوية امتلاك اقليم لكي يكونوا مؤهلين فيما بعد ليكونوا دولة، ولو على حساب شعوب اخرى، وهذا ما حصل بالفعل.

فالعودة والتجمع على ارض فلسطين كان هدف الحركة الصهيونية الذي تواكب مع الدعاوي الدينية اليهودية الاصولية التي ترى في ذلك عودة الى ارض الفداء وتحقيقا للنبوءات المستقبلية.

مما تقدم يمكن القول، ان للاقليم الجغرافي أهمية خاصة في فكر مؤسسي الكيان الصهيوني الغاصب، اذ استعانوا في سبيل تكثيف جهود اليهود حول العالم بالحركات الاصولية، ذات الرؤى الدينية المتشددة، والتي ترى في ارض فلسطين الملاذ والوطن والوعد الالهي لليهود جميعا. وحتى بعد ان استقر لهم الامر، واستولوا على كامل الاراضي الفلسطينية، لم يتوقف النهم اليهودي، اذ اخذوا يطمعون باقاليم الدول الاخرى المجاورة، كسنياء مصر وجولان سوريا وجنوب لبنان، وتجاوز الامر البر الى البحر، حيث تجاوزوا الحدود البحرية الدولية، ووصل الامر الى سرقة الحقوق الفضائية لبعض الدول في المنطقة.

النتائج:

- اولاً: رغم جميع التحديات التي فرضتها الحداثة وما بعدها، استمر هيكل الدولة (الكيان السياسي) في الوجود والحياة، بل شهدنا تكاثره على خلفية تشظي الدولة الواحدة الى عدد من الدول، وللدولة مقومات عديدة ساعدت في وجودها وبقائها، ومن اهمها ما تناولناه بالبحث: الاقليم الجغرافي.

- ثانيا: الإقليم الجغرافي يعد جزء رئيس من اجزاء وجود وتكامل أي دولة، ورغم وجود باقي كالعشبة والسلطة، يبقى الحيز الاراضي الذي تتمدد به الدولة الالهه والاكثر ضرورة بين العناصر الاخرى.
- ثالثا: الكيان الصهيوني، ومنذ عشرات السنوات، حاول ويحاول زرع نفسه داخل الشرق الاوسط وتحديدًا في الاراضي الفلسطينية، ونجح في ذلك بعد ان نال اعترافا دوليا شبه كامل، حيث اعترفت بدويلتها الى الان (151) دولة، وذلك بعد نجاحه، عبر سعي استمر لسنوات، في امتلاك اهم عنصر من عناصر الدولة، أي الإقليم.
- رابعا: الاصولية* موجودة في جميع الاديان، لكن المصطلح التصق اكثر بالاسلام واصبح يعبر عن التعصب والتخلف والتشدد، في حين ان اليهودية مثلا تحمل الكثير الكثير من التوجه اللاعقلاني للانصياع للماضي الديني بما يحمله من افكار عدوانية وتسلطية وفوقية وعنصرية. ومن هنا يمكن اعتبار الاصولية هناك كما هي عامل قوة وخيمة تجمع اليهود المحليين، هي في نفس الوقت، عامل هدم وقنبلة اجتماعية موقوتة، يجب على العرب والمسلمين الانتباه لها واستغلالها في الحرب والصراع ضد دويلة "دولة الاحتلال الاسرائيلي"، فالصراعات في المجتمع الـ"دولة الاحتلال الاسرائيلي" يبين أنصار ومناوئي الاصولية اليهودية تعتبر أهم قضايا السياسة الـ"الاسرائيلية" (42).
- خامسا: حيث يبدو ان المورد الالهه لاي دولة اونظام حكم هو الاعتقاد الشامل والعميق لدى الشعب الذي يخضع لاي منهما ان سلطته على حياتهم مشروعة. فاذا افتقر الحكم الى هذا المورد وجب عليه ان يشترط الطاعة لقراراته او ان يفرضها بالاكراه، مع أيا من هذين الحلين لا يمكن الحفاظ عليه في المدى البعيد. والحركات الاصولية هنا تسعى الى للتغيير الجذري استنادا الى عقائد تناقض جوهريا الافكار الاسبطورية التي تستعين بها المؤسسات السياسية السائدة لتسويغ سلطتها (43).
- سادسا: كان تنظيم الجماعة اليهودية وقيامها بالمناسك وفق الناموس الالهه، بما في ذلك الحج الى اورشليم بانتظام وتقديم الاضاحي الى الهيكل، من الامور التي لا بد منها إذا كان لشعب

* يرى الشيخ يوسف القرضاوي ان كلمة الاصول في كل لغة، وندى كل دين سماوي: محببة ومحمودة، حتى في الدين المسيحي، فمن ذا الذي يكره العودة للاصول! انظر: يوسف القرضاوي، مستقبل الاصولية الاسلامية، ط3، بيروت: المكتبة الاسلامية، 1998 م، ص8.

(42) اسرائيل شحاك و نورتون متسفينسكي، مصدر سبق ذكره، ص16.

(43) ايان نوبست، مصدر سبق ذكره، ص24.

"دولة الاحتلال الاسرائيلي" ان يرث الارض التي وعد بها وان يتمد منها عيشه وبقائه، ولذلك كانت السيادة على الارض بينة مهمة على ان السلطة التي تمارس على الشعب اليهودي في ارضه شرعية (44).

- سابعا: كانت لعقوبة النيه التي واجهت اليهود في تاريخهم القديم برفقة نبي الله موسى عليه السلام، عقدة نفسية شديدة انتقلت عبر الافكار الاجتماعية والسياسية والدينية من جيل الى اخر، واستمر الناقليم الذي يكون لليهود وحدهم حلما سرعان ما تم تطبيقه بالحديد والنار على ارض فلسطين. وهنا كان لابد لحاملي فكرة الدولة اليهودية ان يستعينوا بالاصولية لكي تعطيم التبرير (الشرعي) لغزو واحتلال ارض دولة اخرى، وطرد سكانها الاصليين وابدانهم، وايضا لتزودهم بوشائج تربط نسيجهم الاجتماعي غير المتجانس.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابو فهر السلفي، الدولة المدنية مفاهيم واحكام، دار عالم النوادر، ط1، مصر، 2011.
2. الاحزاب السياسية في "دولة الاحتلال الاسرائيلي"، وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، الرابط: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4874
3. "دولة الاحتلال الاسرائيلي" شاحاك و نورتون متسفينسكي، الاصولية اليهودية في "دولة الاحتلال الاسرائيلي"، ترجمة:ناصر عفيفي، مؤسسة روز اليوسف، مصر، 2001.
4. إميل امين، الاديان والاصوليات في جذور المفاهيم وتحديات الواقع الاليوم، مركز الحقيقة للدراسات السياسية والاستراتيجية، مصر، بلا تاريخ.
5. ايان لوستنك، الاصولية اليهودية في "دولة الاحتلال الاسرائيلي"، ترجمة: حسني زينة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت-لبنان، 1991.
6. جاك دوه نيدييه دي فابر، الدولة، ترجمة: احمد حسيب عباس، وزارة الثقافة، القاهرة-مصر، 1958.

(44) المصدر نفسه، ص 27.

7. جون س درايزك و باتريك دنلفي، نظريات الدولة الديمقراطية، ترجمة: هاشم احمد محمد، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة مصر، 2013.
8. حسن ظاظا، ابحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، ط1، دمشق-سوريا، 1987.
9. حسين حمزة بندقجي، الدولة دراسة تحليلية في مبادئ الجغرافية السياسية، الناشر ح.ح.بندقجي، ط3، السعودية، 1981.
10. سامي عطا حسن، الأصولية بين المفهوم الاسلامي والمفهوم الغربي، صحيفة دنيا الوطن، الرابط: <https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/09/15/209442.html>
11. سمير عاليه، نظرية الدولة وآدابها في الاسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، بيروت-لبنان، 1988.
12. سيدي محمد ولدبيب، الدولة واشكالية المواطنة، دار كنوز المعرفة للنشر، ط1، الاردن، 2011.
13. صبري فارس الهيتي، الجغرافية السياسية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت-لبنان، 2000.
14. صدام حسين عبادي، مبدأ سيادة الدولة بين الفقه الاسلامي والقانون الدولي العام، رسالة ماجستير، معهد العلوم الاسلامية-جامعة الشهيد حمه لخضر، الجزائر، 2017.
15. الصهيونية رحلة اقامة دولة يهودية، موقع الجزيرة، الرابط: <https://2u.pw/SRntH>
16. صوفي شوتار، جيوبوليتيك القرن العشرين، ترجمة سهيل ابو فخر، دار فرقد، ط1، دمشق-سوريا، 2016.
17. عامر عبد زيد كاظم الوائلي، الاصولية، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، الرابط: <https://www.iicss.iq/?id=2912>
18. علي ابو حبله، الأصولية اليهودية المتطرفة تجسيد للكرهية والعنصرية، صحيفة الدستور الاردنية، تموز 2020، الرابط: <https://2u.pw/sWBmg>
19. كوك، الحاخام ابراهام اسحق، المركز الفلسطيني للدراسات ال "الاسرائيلية" "مدار"، الرابط: <https://2u.pw/4iYXy>

20. محمد شحرور، الدولة والمجتمع، دراسات اسلامية معاصرة، الاهالي للطباعة والنشر دمشق-سوريا، بلاتاريخ.
21. المكتبة الافتراضية اليهودية، المؤسسة التعاونية الأمريكية الـ "الاسرائيلية" (AICE)، الرابط: <https://www.jewishvirtuallibrary.org/religious-zionism>
22. منذر الشاوي، فلسفة الدولة، الذاكرة للنشر والتوزيع، ط2، بغداد-العراق، 2013.
23. موريس دوفرجيه، مدخل الى علم السياسة، ترجمة:جمال الاتاسي و سامي الدروبي، دار دمشق، دمشق-سوريا.
24. هاشم بن عوض بن احمد ال ابراهيم، سيادة الدولة بين مفهومها التقليدي وظاهرة التدويل، رسالة ماجستير، كلية الحقوق-جامعة الشرق الاوسط،الاردن، حزيران 2013.
25. يوسف القرضاوي، مستقبل الاصولية الاسلامية، المكتب الاسلامي، ط3، بيروت، 1998.

دور جامعة الدول العربية تجاه الأزمة في سوريا

The role of the Arab League towards the crisis in Syria

إعداد: جهاد عبد الكريم ملكه؛ باحث في سبك الدكتوراه، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب

Prepared by:

**Jehad Abdelkareem Malaka: PhD Researcher, Mohamed I University,
Oujda, Morocco**

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الدور الذي تضطلع به جامعة الدول العربية في تسوية الأزمة السورية، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي وكذلك المنهج التاريخي للاستشهاد بعدد من الأحداث التاريخية التي بذلت فيها الجامعة العربية جهودا في محاولة لإيجاد حلول سياسية للأزمة السورية. وتمثلت أهم نتائج الدراسة فيما يلي: أن جامعة الدول العربية لم تبذل جهد حقيقي في محاولة إيجاد حلول سياسية للأزمة السورية منذ اللحظات الأولى لبدء الاحتجاجات الشعبية في سورية، ولكنها بعد اندلاع الأزمة بستة أشهر أرسلت امينها العام. وتجسد دور جامعة الدول العربية في الأزمة السورية بعدد من القرارات والمبادرات والبيانات، كان أهمها بيان ١٤٨ المجلس الجامعة العربية ولكن هذه القرارات لم تأخذ نصيبها في التنفيذ. وخرجت الدراسة بعدة توصيات أهمها: ضرورة تدخل جامعة الدول العربية لدى كلا من النظام السوري والمعارضة السورية من أجل محاولة التوفيق بينهم للخروج من هذه الأزمة.

الكلمات المفتاحية: الجامعة العربية، الأزمة السورية، مشاريع التسوية العربية

Abstract:

This study aimed to identify the role played by the League of Arab States in settling the Syrian crisis. The study relied on the descriptive approach as well as the historical approach to cite a number of historical events in which the Arab League made efforts in an attempt to find political solutions to the Syrian crisis. The most important results of the study were as follows: The Arab League did not make a real effort to try to find political solutions to the Syrian crisis since the first moments of the start of the popular protests in Syria, but six months after the outbreak of the crisis it sent its Secretary-General. The role of the League of Arab States in the Syrian crisis was embodied by a number of decisions, initiatives and statements, the most important of which was Statement 148 of the Council of the Arab League, but these decisions did not take their share of implementation. The study came out with several recommendations, the most important of which are:

The necessity of the Arab League to intervene with both the Syrian regime and the Syrian opposition in order to try to reconcile them to get out of this crisis.

Keywords: the Arab League, the Syrian crisis, the Arab settlement projects

الإطار المنهجي للدراسة:

مقدمة:

لم تبذل جامعة الدول العربية محاولات إيجاد حلول سياسية للأزمة السورية منذ اللحظات الأولى لبدء الاحتجاجات الشعبية في سورية، وظلت الجامعة في حالة صمت لما يجري في سورية لمدة ستة أشهر منذ بدء الأزمة، وذلك باستثناء زيارة الأمين العام لجامعة الدول العربية نبيل العربي في 13 يوليو 2011م، والتي دعا فيها إلى ضرورة الإسراع في الإصلاح، إلا أن هذه الجهود تعثرت بفعل تعنت النظام السوري وتدخل بعض الأطراف العربية والإقليمية والدولية في تخريبها.

أولاً: أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها محاولة أولية للتعرف على الدور الذي قامت به جامعة الدول العربية في حل الأزمة السورية، من أجل تحفيز الدول العربية لتقديم المساعدة السياسية والاقتصادية لسورية في ظل التدخل الدولي في هذه الأزمة. كما تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية التعرف على المرتكزات التي تقوم عليها جامعة الدول العربية تجاه الأزمة السورية في ضوء سياسات تدخلات الدول الكبرى في هذه الأزمة.

ثانياً: أهداف الدراسة:

تتمثل أهم اهداف الدراسة فيما يلي :

1. التعرف على دور وعلاقة جامعة الدول العربية في حل الأزمة السورية.
2. الكشف عن مرتكزات جامعة الدول العربية تجاه حل الأزمة السورية، ورصد أهم المبادرات والبرامج والسياسات التي اتخذتها الجامعة وأجهزتها من أجل المساهمة في حل الأزمة السورية.

ثالثاً: إشكالية الدراسة:

تسعى الدراسة للكشف عن مدى فاعلية دور جامعة الدول العربية في حل الأزمة السورية، وأهم العقبات التي واجهتها في دعم الحلول السياسية المقترحة لحل الأزمة السورية. ويمكن صياغة المشكلة البحثية في التساؤل الرئيس التالي: ما هو دور جامعة الدول العربية في تسوية الأزمة السورية؟

رابعاً: فرضية الدراسة:

لم يكن للجامعة العربية ذلك الدور الكبير في حل الأزمة السورية.

خامساً: منهجية الدراسة:

ترتبط على ما ترمي إليه الدراسة من تحليل الدور الذي تضطلع به جامعة الدول العربية في تسوية الأزمة السورية، تعتمد الدراسة على أدوات المنهج الوصفي التحليلي بصفته من أنسب المناهج في الدراسات الإنسانية، وكذلك المنهج التاريخي للاستشهاد بعدد من الأحداث التاريخية التي تدخلت بها جامعة الدول العربية في الأزمة السورية.

سادساً: هيكل الدراسة:

- المبحث الأول: نبذة عن بداية دور جامعة الدول العربية في التدخل في الأزمة السورية.
- المبحث الثاني: المبادرة العربية لحل الأزمة السورية:

سابعاً: الخاتمة والنتائج والتوصيات

ثامناً: المراجع

المبحث الأول: تطور دور جامعة الدول العربية تجاه الأزمة السورية

مع اتساع رقعة التظاهرات السلمية في جميع أقاليم الدولة السورية بدأ العالم العربي بالانتباه إلى الأحداث الجارية في سورية وذلك بعد صمت عربي رسمي وشعبي ساعد النظام السوري على التمادي في استخدام العنف وتضييق الخناق على التظاهرات ويرجع السبب وراء الصمت العربي

تجاه التظاهرات في سورية في الفترة من مارس/آذار 2011م إلى أكتوبر/تشرين الثاني من نفس العام يرتبط إلى حد كبير بالاضطرابات الإقليمية التي وقعت في أعقاب الربيع العربي، فقد أدى الغموض السياسي في مصر بعد الإطاحة بمبارك وعملية الناتو في ليبيا إلى تحول انتباه الدول العربية بعيداً عن سورية. ولم تكن دول الخليج أيضاً بعيدة عن التوترات الداخلية، فقد جرت تظاهرات في البحرين واليمن والمملكة العربية السعودية الأمر الذي أدى إلى عدم ممارسة أي ضغوط على الأسد لوقف العنف ضد شعبه، وهذه الأحداث أدت إلى عاقبة جامعة الدول العربية على تقديم خطة فعالة تجاه سورية.

إلا أنه ومع فشل النظام السوري في الاستجابة بتعهدات الإصلاح، ومع ازدياد وتيرة الاحتجاجات الشعبية وارتفاع أعداد القتلى تم توجيه انتقادات حادة للنظام السوري من قبل المجتمع الدولي، بما في ذلك الدول العربية. وادانت الدول العربية النظام السوري بسبب استخدامه للأسلحة الثقيلة ضد المدنيين في بداية شهر رمضان المبارك لعام 1432 هجري، الموافق الأول من أغسطس/آب عام 2011م. وفي 9 أغسطس/آب 2011م، بدأ تصعيد غير مسبوق في مستوى الضغوط الدولية على النظام بشار السوري، إذ أعلنت السعودية والكويت والبحرين وقطر سحب سفرائها من سورية، وألقى الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز خطاب دعى فيه بشار الأسد إلى بدء الإصلاحات فوراً، وهو ما عدّه البعض تدخلاً مفاجئاً وغير معتاد منه، وفي اليوم ذاته أصدرت الجامعة العربية أول بيان لها فيما يخص الاحتجاجات منذ بدئها، وقد دعت فيه إلى وقف العنف في البلاد¹.

لقد حاولت جامعة الدول العربية، القيام بأول عملية جادة لصنع السلام في سورية، بعد بضعة أشهر من بداية الأزمة في إبريل/نيسان عام 2011م؛ حيث أرسلت الجامعة أمينها العام السابق نبيل العربي، سعياً وراء جهود التهدئة، وبعد لقاء العربي والأسد، لم يثق النظام في وساطة الأمين العام، بذريعة أن الجامعة كانت تحت تأثير نفوذ بعض الدول العربية التي تحمل راية تغيير النظام في دمشق. وفي السياق ذاته، سعى النظام بحكمة شديدة، إلى استهلاك الوقت لهندسة الهزيمة العسكرية لفصائل المعارضة، ومع تصاعد العنف وازدياد أعداد القتلى تم تركيز الضغط الدولي على النظام السوري، الذي وافق على خطة جامعة الدول العربية مكرهاً على ذلك، وبدأ المراقبون العسكريون من كل الدول العربية يأتون إلى كل المدن السورية، إلا أن وقف إطلاق النار لم يتحقق

¹ سورية: تصاعد الضغوط الإقليمية على نظام الرئيس بشار الأسد. بي بي سي العربية. تاريخ النشر: 08-09-

2011. تاريخ الولوج 2020-04-06. على الرابط: <https://bbc.in/2ZWR5oL>

من طرفي الأزمة، وفي غضون أسابيع، انسحبت بعثة المراقبة، التي غرقت في الجدل والسياسة بين الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية¹.

لقد تجسد دور جامعة الدول العربية في الأزمة السورية بعدد من القرارات والمبادرات والبيانات، كان أهمها بيان ١٤٨ لمجلس الجامعة العربية (وزراء الخارجية العرب)، بخصوص الأوضاع في سورية بتاريخ ٢٧ أغسطس/آب ٢٠١١م، والذي أكد على ضرورة وضع حد لإراقة الدماء واحترام حق الشعب السوري في الحياة الكريمة الآمنة، والتعبير عن تطلعاته وطموحاته في عملية الإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتم الطلب من الأمين العام للجامعة، القيام بمهمة عاجلة إلى دمشق لينقل المبادرة العربية لحل الأزمة السورية، وإبقاء المجلس في حالة انعقاد دائم لمتابعة التطورات. وبعد هذا البيان اتخذت جامعة الدول العربية العديد من الاجراءات ضد النظام السياسي السوري كانت حسب التسلسل التالي:

بيان لمجلس الجامعة العربية "وزراء الخارجية العرب" رقم 148 - د.غ.ع - 2011/8/27:

عقد مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزاري في دورته غير العادية برئاسة يوسف بن علوي بن عبد الله الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية بسلطنة عمان، وبحضور الأمين العام لجامعة الدول العربية ووزراء الخارجية ورؤساء الوفود، في مقر الأمانة العامة بالقاهرة بتاريخ 2011/8/27، لبحث التطورات الخطيرة في سورية، وأعرب المجلس عن قلقه وانزعاجه إزاء ما تشهده الساحة السورية من تطورات خطيرة أدت إلى سقوط آلاف الضحايا بين قتيل وجريح من أبناء الشعب السوري، وشدد البيان على ضرورة وضع حد لإراقة الدماء وتحكيم العقل قبل فوات الأوان واحترام حق الشعب السوري في الحياة الكريمة الآمنة، وتطلعاته المشروعة نحو تحقيق الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يستشعرها الشعب السوري وتحقق تطلعاته نحو العزة والكرامة.

وشددّ البيان على أن استقرار الجمهورية العربية السورية هو ركيزة أساسية في استقرار الوطن العربي والمنطقة بأكملها، وحرصاً من المجلس على معالجة الأزمة السورية داخل إطارها العربي، قرر المجلس:

¹ علاء عبد الحميد عبد الكريم، دور الامم المتحدة في تسوية الازمة السورية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، 2018، ص9.

الطلب إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية القيام بمهمة عاجلة إلى دمشق ونقل المبادرة العربية لحل الأزمة إلى القيادة السورية وإبقاء المجلس في حالة انعقاد دائم لمتابعة التطورات¹.

وعلى صعيد آخر طرحت الجامعة العربية خطة السلام التي يجب تقديمها للأمم المتحدة، في الاجتماع الذي عقد في 22 يناير 2012م في القاهرة؛ حيث دعت الأسد إلى تسليم السلطة لنايبي؛ وتشكيل حكومة وحدة وطنية في غضون شهرين، ودعت إلى عقد انتخابات مبكرة، وأيدت الدول العربية التقرير باستثناء لبنان، إلا أن عدداً من الدول العربية اختلف حول تقديم أو عدم تقديم الخطة إلى الأمم المتحدة. فدعمت الجزائر خطة جامعة الدول العربية ولكنها اعترضت على نقلها إلى مجلس الأمن الدولي، بحجة أنه إذا أُحيل الملف إلى مجلس الأمن، فإن المسألة ستكون في إطار مبادرات من الجهات الخارجية².

المبحث الثاني: المبادرة العربية لحل الأزمة السورية:

بتاريخ السادس من سبتمبر/أيلول 2011م، طرحت جامعة الدول العربية مبادرة عربية لاحتواء الأزمة في سورية يحملها الأمين العام لجامعة الدول العربية نبيل العربي إلى سورية وتتكون من 13 بنداً وهي³:

1. إجراء انتخابات رئاسية تعددية مفتوحة للمرشحين كافة الذين تنطبق عليهم شروط الترشيح في العام 2014، موعد نهاية الولاية الحالية للرئيس
2. تشكيل حكومة وحدة وطنية ائتلافية برئاسة رئيس حكومة يكون مقبولاً من قوى المعارضة المنخرطة في عملية الحوار، وتعمل مع الرئيس وتتحدد مهمتها في إجراء انتخابات نيابية شفافة تعددية حزبية وفردياً يشرف عليها القضاء السوري وتكون مفتوحة لمراقبين للانتخابات وتنجز مهامها قبل نهاية العام.3.

¹ بيان رقم 148 - د.غ.ع - 2011/8/27، موقع جامعة الدول العربية الإلكتروني، على الرابط: <https://bit.ly/35GkreO>

² المرجع السابق.

³ جريدة الأنباء الكويتية، بنود المبادرة العربية لحل الأزمة السورية، 7/9/2011، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3ki864t>

3. تكليف رئيس الكتلة النيابية الأكثر عددا بتشكيل حكومة تمارس صلاحيتها الكاملة بموجب القانون وتكون مهمة المجلس النيابي المنتخب أن يعلن عن نفسه جمعية تأسيسية لإعداد وإقرار دستور ديموقراطي جديد يطرح للاستفتاء العام.
4. اتفاق على برنامج زمني محدد لتنفيذ هذه المبادرة وتشكيل آلية متابعة بما في ذلك وجود فريق عربي لمتابعة التنفيذ في سورية.
5. إعلان مبادئ واضحة ومحددة من قبل الرئيس يحدد فيه ما تضمنته خطاباته من خطوات إصلاحية، كما يؤكد التزامه بالانتقال إلى نظام حكم تعددي وأن يستخدم صلاحياته الموسعة الحالية كي يعجل بعملية الإصلاح والإعلان عن إجراء انتخابات رئاسية تعددية مفتوحة للمرشحين كافة الذين تنطبق عليهم شروط الترشيح في عام 2014 موعد نهاية الولاية الحالية للرئيس.
6. دعوة الحكومة السورية إلى الوقف الفوري لكل أعمال العنف ضد المدنيين وسحب كل المظاهر العسكرية من المدن السورية حقنا لدماء السوريين وتفاديا لسقوط المزيد من الضحايا وتجنيب سورية الانزلاق نحو فتنة طائفية أو إعطاء مبررات للتدخل الأجنبي.
7. تعويض المتضررين وجبر كل أشكال الضرر الذي لحق بالمواطنين.
8. إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين أو المتهمين بتهم المشاركة في الاحتجاجات الأخيرة.
9. فصل الجيش عن الحياة السياسية والمدنية.
10. بدء الاتصالات السياسية الجدية ما بين الرئيس وممثلي قوى المعارضة السورية على قاعدة الندية والتكافؤ والمساواة بدءا من التجمع الوطني الديموقراطي (هيئة التنسيق الوطني لقوى التغيير الوطني الديموقراطي في سورية) وتمثيل التنسيقات الميدانية البازغة على الأرض في الحوار بصفتها شريكا معترفا به سياسيا وممثلين عن التيار الإسلامي وشخصيات وطنية معروفة ذات رصيد، وذلك على أساس رؤية برنامجيه واضحة للتحويل من النظام القديم إلى نظام ديموقراطي تعددي بديل.
11. يكون هذا الحوار الذي يجري بتيسير ودعم الرئيس ومع الرئيس مفتوحا لكل القوى والشخصيات الراغبة في الانضمام إليه بصرف النظر عن الهيئة التي تنتمي إليها أو الحزب الذي تمثله وفق

الأسس التي يتطلبها الحوار. ويكون الحوار على أساس المصلحة الوطنية العليا السورية بالانتقال الآمن إلى مرحلة جديدة وفق ثوابت الوحدة الوطنية: لا للعنف، لا للطائفية، لا للتدخل الأجنبي.

12. يعقد حزب البعث مؤتمرا قطريا استثنائيا في شكل سريع يقرر فيه الحزب قبوله الانتقال إلى نظام ديموقراطي تعددي يقوم على صندوق الاقتراع.

13. تلعب جامعة الدول العربية بدعوة من الرئيس دورا ميسرا للحوار ومحفزا له وفق آلية يتم التوافق عليها.

كانت أول مبادرة جادة للجامعة العربية بخصوص سورية، هي اجتماع وزراء الخارجية في الجامعة العربية الذي عقد في 16 أكتوبر 2011م، في مصر. وعلى الرغم من توقع تعليق عضوية سورية في الجامعة العربية، لم يتحقق أي قرار من هذا القبيل، كل ما فعلته الجامعة هو أنها دعت الأسد لوقف العنف، كما طالبت ببدء المحادثات بين الحكومة السورية وقوى المعارضة خلال 15 يوماً. ثم شكلت الجامعة العربية لجنة وزارية كلفت بمتابعة الملف السوري وإجراء حوار بين كل من الحكومة السورية والمعارضة. وترأست قطر اللجنة، التي ضمت الأمين العام لجامعة الدول العربية نبيل العربي ووفود من مصر والجزائر وسلطنة عمان والسودان¹.

عقب اجتماع 16 أكتوبر 2011م، زارت اللجنة الوزارية العربية برئاسة وزير خارجية قطر الرئيس الأسد في سورية في 26 أكتوبر 2011م، وضمت اللجنة مندوبين من مصر والجزائر والسودان، وسلطنة عمان. ونقلت قرارات الجامعة العربية اليه. وفي 2 نوفمبر 2011م، وافقت الحكومة السورية على خطة عمل الجامعة العربية التي نتجت عن اجتماع الجامعة الذي عقد في قطر في 30 تشرين الأول/أكتوبر 2011م، وقد حثت الخطة سورية على وقف العنف، وإطلاق سراح السجناء السياسيين وفتح حوار مع المعارضة، والسماح للمراقبين ووسائل الإعلام الدولية بالدخول إلى البلاد، ومع كل هذا، فشل النظام السوري في إجراء محادثات في إطار الجدول الزمني الذي حددته جامعة الدول العربية².

وعقب هذه الزيارة، أصدرت الجامعة العربية قرار رقم 7436 بتاريخ 2 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م، بشأن الأحداث والتطورات في سورية، وقد رحب مجلس الجامعة بموافقة الحكومة السورية

¹ موجكة كوتشوك كالا، سياسة الجامعة العربية تجاه سورية، مجلة الأبحاث الفصلية "رؤية تركية"، السنة 1 العدد 4 / رؤية تركية شتاء، مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (ستا)، نوفمبر 2012.

² المرجع السابق.

على خطة العمل المقترحة من اللجنة الوزارية، وأكد على ضرورة تقديم تقارير متواصلة عن مدى التقدم في الحالة السورية، ومتابعة اللجنة للحوارات والنقاشات بين الأطراف. إلا وأنه بسبب تفاقم الأحداث في سورية، وتزايد أعداد القتلى من المدنيين السوريين الذين قدرت الأمم المتحدة عددهم بحوالي 3500 قتيل في الفترة ما بين شهر مارس/آذار 2011م، وحتى نوفمبر/تشرين الثاني 2011م، وفشل النظام في إجراء محادثات في إطار الجدول الزمني الذي حددته جامعة الدول العربية، قررت الجامعة تعليق عضوية سورية في جامعة الدول العربية في اجتماعها الاستثنائي، بموجب القرار رقم 7438 د.غ.ع.م بتاريخ 12 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م، القاضي بتعليق مشاركة وفود حكومة الجمهورية العربية السورية في اجتماعات مجلس جامعة الدول العربية وجميع المنظمات والأجهزة التابعة لها اعتباراً من 16 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م. وقد جاء في القرار ما نصه: إن مجلس جامعة الدول العربية على المستوى الوزاري في جلسته المستأنفة للدورة غير العادية بتاريخ 12 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م بمقر الأمانة العامة، وبعد اطلاعه على تقييم اللجنة العربية الوزارية لما آلت إليه الأوضاع في سوريا، وبعد استماعه إلى تقرير الأمين العام، ومداخلة رئيس وفد الجمهورية العربية السورية، ومداولات السادة الوزراء ورؤساء الوفود، ونظراً لعدم التزام الحكومة السورية بالتنفيذ الكامل والفوري لمبادرة جامعة الدول العربية التي اعتمدها مجلس الجامعة على المستوى الوزاري في اجتماعه الذي عقد يوم 2 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م، قرر:

1. تعليق مشاركة وفود حكومة الجمهورية العربية السورية في اجتماعات مجلس جامعة الدول العربية وكافة المنظمات والأجهزة التابعة لها، اعتباراً من يوم 16 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م وإلى حين قيامها بالتنفيذ الكامل لتعهدات التي وافقت عليها بموجب خطة العمل العربية لحل الأزمة السورية، والتي اعتمدها المجلس في اجتماعه بتاريخ 2 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م. توفير الحماية للمدنيين السوريين، وذلك بالاتصال الفوري بالمنظمات العربية المعنية، وفي حال عدم توقف أعمال العنف والقتل يقوم الأمين العام بالاتصال بالمنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان، بما فيها الأمم المتحدة، وبالتشاور مع أطراف المعارضة السورية لوضع تصور بالإجراءات المناسبة لوقف هذا النزيف وعرضها على مجلس الجامعة الوزاري للبت فيها في اجتماعه المقرر يوم 16 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م.

2. دعوة الجيش العربي السوري إلى عدم التورط في أعمال العنف والقتل ضد المدنيين.

3. توقيع عقوبات اقتصادية وسياسية ضد الحكومة السورية.

4. دعوة الدول العربية إلى سحب سفرائها من دمشق، مع اعتبار ذلك قراراً سيادياً لكل دولة.

5. دعوة كافة أطراف المعارضة السورية للاجتماع في مقر الجامعة العربية خلال ثلاثة أيام للاتفاق على رؤية موحدة للمرحلة الانتقالية المقبلة في سوريا، على أن ينظر المجلس في نتائج أعمال هذا الاجتماع ويقرر ما يراه مناسباً بشأن الاعتراف بالمعارضة السورية.
6. عقد اجتماع على المستوى الوزاري مع كافة أطراف المعارضة السورية بعد توصلهم إلى الاتفاق كما جاء في (سادساً).
7. إبقاء المجلس في حالة انعقاد دائم لمتابعة الموقف¹.

بعد ذلك، وبتاريخ 16 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م، عقد مجلس الجامعة العربية على المستوى الوزاري اجتماعاً في الرباط بشأن الأوضاع في سورية، وقد أقر الموافقة على مشروع بروتوكول بشأن المركز القانوني ومهام بعثة مراقبي جامعة الدول العربية المكلفة بالتحقق من بنود الخطة العربية لحل الأزمة السورية، وتوفير الحماية للمدنيين، والطلب من الأمين العام للجامعة أن يكلف رئيساً لهذه البعثة، والقيام بإجراء الاتصالات بالحكومة السورية للتوقيع على البروتوكول (قرار رقم 7439)².

وبتاريخ 23 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م، اصدرت الجامعة العربية تحذير للنظام السوري لوقف عمليات القتل، وفي اليوم التالي، أصدر مجلس جامعة الدول العربية القرار رقم 7441 بتاريخ 24 نوفمبر/ تشرين الثاني 2011 م الذي تضمن قيام الأمين العام بإرسال بعثة مراقبي جامعة الدول العربية الى الجمهورية العربية السورية للقيام بمهامها وفق احكام البروتوكول فور التوقيع عليه. وبعد أربعة أيام، 27 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م، اصدرت القرار رقم 7442 بفرض عقوبات اقتصادية على سورية³. ويعتبر هذا القرار من أقوى القرارات التي اتخذتها الجامعة منذ تأسيسها في عام 1945م.

¹ جامعة الدول العربية، قرار 7436 بشأن التطورات في سورية، 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 2011م، على الرابط:

<https://bit.ly/3kFzr0V>

² تقرير رئيس بعثة مراقبي جامعة الدول العربية الى سورية للفترة من 24 ديسمبر/ كانون الاول 2011 الى 18 يناير/ كانون الثاني 2012، شبكة فولتير، 2 شباط (فبراير) 2012، على الرابط التالي:

<https://bit.ly/3hvbGXq>

³ Gentian Zyberi, An Institutional Approach to the Responsibility to Protect, Cambridge University Press, New York, 2013, p307.

بتاريخ 19 ديسمبر/كانون الأول 2011م، وتحت الضغوط المتزايدة من دول المنطقة والدول الغربية، اضطر النظام السوري الرضوخ للمبادرة العربية، وقد تم التوقيع على البروتوكول الذي يسمح بدخول المراقبين العرب إلى سورية وذلك بوساطة عراقية. ومن ضمن بنود البروتوكول بدء المحادثات بين المعارضة والنظام، ووضع حد للعنف، وسحب القوات السورية من المدن والافراج عن السجناء. ولقي هذا الموقف ترحيباً من روسيا والصين كونه يعطي جامعة الدول العربية دور الوسيط بدلاً من نقل المشكلة إلى مجلس الأمن، وأشارت الولايات المتحدة والدول الأوروبية إلى عدم وضوح الرؤية حول بعثة المراقبين من حيث الأماكن والمدن التي سوف يقومون بزيارتها، وكذلك نوعية المراقبين أنفسهم.

وافق مجلس جامعة الدول العربية بتاريخ 20 ديسمبر/كانون الأول 2011 على تسمية الفريق أول الركن محمد احمد مصطفى الدابي من جمهورية السودان رئيساً لبعثة مراقبي جامعة الدول العربية. وأثار تعيين الدابي، رئيساً لبعثة جامعة الدول العربية التي تحقق في مدى التزام سورية بتنفيذ خطة السلام الشكوك حول مصداقية البعثة، نظراً لشغل الدابي منصب قائد الجيش السوداني وضابط مخابرات واتهامه بالتورط في جرائم حرب في دارفور. من ناحية أخرى اعترض المجلس الوطني السوري على الاتفاق، وطالب المجتمع الدولي بالاعتراف به كمثل شرعي للشعب السوري، وإقامة منطقة حظر جوي، وإنشاء منطقة عازلة في سورية¹.

في ظل هذه الظروف، وبتاريخ 24 ديسمبر/كانون الأول 2011م، ذهب وفد الجامعة العربية المكون من 150 مراقباً (رقم ضئيل جداً بالنظر إلى مئات المناطق التي تواجه الاضطرابات) من 13 دولة عربية و6 منظمات عربية معنية إلى دمشق وبدأ في تنفيذ مهمته. وزار المراقبون المدن التي حددها النظام، بما في ذلك مناطق الاحتجاج، ودمشق وحمص ودرعا وحماة. كما قامت البعثة بالاتصال بكل من أنصار النظام وجماعات المعارضة بشكل محدود وفقاً لما سمح به النظام². الخلافات في العالم العربي حول حل القضية السورية ظهرت في التقرير الذي أعده المراقبون، والذي تم تقديمه للجامعة في اجتماعها المغلق في 22 يناير/كانون الثاني 2012م، ولم يُعلن رسمياً، وانتقد التقرير الحكومة السورية لعدم تنفيذ البروتوكول بشكل كامل، وطالب التقرير، الذي تم تسريبه لاحقاً لعدة مواقع وصحف، بزيادة عدد المراقبين وتمديد مهمتهم. كما كشف عن أن بعض الجماعات

¹ تقرير رئيس بعثة مراقبي جامعة الدول العربية الى سورية، شبكة فولتير، 2 شباط/فبراير 2012، على الرابط:

<https://bit.ly/3hvbGXq>

² عبد العظيم محمود حنفي، الثورة والشرعية: عوامل سقوط النظام السياسي في سورية، دار الكتب، 2011.

المسلحة هاجمت المباني العامة، وهو الأمر الذي فسره الكثيرون، على أن التقرير حمل كافة الأطراف المسؤولية عن العنف في البلاد. وخلص التقرير إلى وجود مقاومة مسلحة مناهضة للنظام في سورية، وقد أزعج ذلك دول الخليج مثل المملكة العربية السعودية وقطر، والتي دعت إلى تدخل دولي. لذلك عارضت المملكة العربية السعودية تمديد بعثة المراقبين، وسحبت مراقبيها. وأدت هذه الخطوة إلى تعزيز الشكوك الموجودة بالفعل حول مصداقية البعثة، وبعد المملكة العربية السعودية، سحبت دول الخليج مراقبيها أيضاً. ونتيجة لذلك انخفض حجم البعثة في سورية إلى 110 مراقب فقط. وبتاريخ 15 يناير/كانون الثاني 2012م، قرّرت الجامعة العربية تعليق أعمال بعثة المراقبين وعدم إرسال المزيد منهم بعد ثلاثة أسابيع من بدء مهامها. وبعد مكوث البعثة لمدة شهر في سورية، وزيارتها عدداً من المدن، سلّم رئيسها محمد مصطفى الدابي بتاريخ 21 يناير/كانون الثاني 2012م تقريره عن مهامها وعملها على مدى تلك الفترة إلى أمين الجامعة العربية نبيل العربي، وقد قام العربي بدوره بتسليم التقرير إلى اللجنة الوزارية العربية المعنية بالملف السوري، لتبحث فيه وتقرر الخطوة التالية.

بعض الملاحظات على بعثة المراقبين:

وافق النظام السوري على قبول بروتوكول جامعة الدول العربية حول سحب قوات الأمن والحيش من المدن الرئيسية ونشر المراقبين العرب في سورية. تكوين قوة مراقبين يبلغ عددها 150 شخص فقط هو رقم ضئيل جداً ولا يفي بالغرض المطلوب وذلك بالنظر إلى مئات المناطق التي تواجه الاضطرابات، بالرغم من أنه تم الاتفاق على عدد 500 مراقب في المفاوضات التي أجريت مع النظام، إلا أنه لم يصل سوى هذا العدد القليل. ومقارنةً بالمعايير أو النماذج الدولية لهكذا بعثات دولية فإن هذا الرقم أقل ما يمكن وصفه بأنه "تافه"، فعلى سبيل المقارنة، بلغ عدد أفراد بعثة مراقبة "منظمة الأمن والتعاون في أوروبا" في كوسوفو عام 1998م، وهي منطقة تبلغ مساحتها عشر مساحة سورية، بلغ 12000 مراقب دولي، وبإمكانات لوجستية ضخمة مقارنة بالإمكانات اللوجستية التي تم منحها لبعثة المراقبين العرب.

المعاملة التي لاقتها البعثة من النظام السوري لم تكن تليق ببعثة عربية جاءت لمراقبة الانتهاكات والجرائم التي ترتكب في سورية، فقد تعامل النظام مع البعثة كأنها وفد زائر من الصحفيين أو السفراء، واقتادهم إلى مناطق تخفي الحالة الحقيقية على أرض الواقع، والتي هي من صلب عمل الوفد أن يتعرف على حقيقة الأوضاع في سورية، ويشمل ذلك مراقبة انسحاب قوات المن من المدن

¹ Andrew J. Tabler, Bolstering the Arab League Mission to Syria, the Washington Institute, December 23, 2011. At: <https://bit.ly/32MMAPC>

وإطلاق سراح السجناء السياسيين ووصول مراقبين وصحفيين دون انقطاع إلى جميع أنحاء البلاد. بالإضافة إلى المضايقات التي تعرض لها بعض أعضاء الوفد وأدت إلى تقديم استقالتهم كما حدث مع الجزائري أنور مالك عضو البعثة، والذي شارك أواخر عام 2011 في بعثة مراقبي الجامعة العربية في سورية، لكنه أعلن انسحابه منها لاحقاً وقدم شهادة عن القمع الذي قال "أن نظام الرئيس بشار الأسد يمارسه ضد المحتجين"، وقد أحدث ضجة عالمية منقطعة النظير حيث صار خبير استقالته واحتججه على "قتل المدنيين" تتسابق عليه الفضائيات العالمية والصحف الدولية وكبرى الوكالات الدولية، وكانت استقالة مالك هي أخطر ضربة واجهها النظام السوري في ملف البعثة، ومن خلالها انتهت بعثة المراقبين العرب وتم تحويل الملف إلى مجلس الأمن¹.

المعوقات التي واجهتها البعثة²:

1. واجهت بعثة المراقبين العرب عدة معوقات أدت بالنهاية إلى فشلها، ومن هذه المعوقات حيث ما ورد في تقرير رئيس بعثة مراقبي جامعة الدول العربية الى سورية للفترة من 2011/12/24 الى 18 يناير/ كانون الثاني 2012م، أنه لم تتم في بعض الحالات مراعاة ترشيح خبراء في مجال المراقبة على تحمل المسؤولية ولديهم خبرات سابقة في هذا المجال، بل تم جلب مراقبين غير خبراء في هذا المجال، وكان عدد من المراقبين المشاركين في البعثة متقدمون في السن، وبعضهم يعاني من عوارض صحية تحول دون قيامهم بمهامهم، مما أدى ذلك خلال العمل الميداني، إلى عدم قدرة بعض المراقبين على مواجهة ومواكبة المواقف الصعبة التي تعد من صلب مهامهم، علماً بأن نوعية هذه المهام تتطلب صفات وتخصصات محددة لدى المراقب. ولم يقدر بعض المراقبين حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، وأهمية اعلاء المصلحة العربية على المصالح الشخصية.

2. عدم التزام بعض المراقبين وإخلالهم بواجباتهم وبالقسم الذي ادوه وقيامهم بالاتصال بمسؤولين في دولهم ونقل ما يدور بصورة مبالغ فيها، مما أدى إلى فهم هؤلاء المسؤولين الوضع بصورة قاتمة، وتقويم غير سليم.

¹ أنور مالك، ثورة أمة: أسرار بعثة الجامعة العربية إلى سورية، العبيكان للنشر، السعودية، 2013.

² تقرير رئيس بعثة مراقبي جامعة الدول العربية الى سورية، شبكة فولتير، 2 شباط (فبراير) 2012، على الرابط

التالي: <https://bit.ly/3hvbGXq>

3. الأحداث الساخنة في بعض الاماكن، وتخوف بعض المراقبين من القيام بمهامهم في مثل هذه الاجواء، وعدم توفر سيارات مصفحة لكل المواقع وسترات واقية من الرصاص، حيث كان بعض المراقبين يعتقد بأن حضوره الى سورية بمثابة رحلة ترفيهية، ولكنهم فوجئوا بالواقع والتوزيع على القطاعات، والبقاء بالمحطات خارج العاصمة، والصعوبات التي واجهتهم والتي كانت غير متوقعة بالنسبة لهم، كل هذا أثر سلبا على اداء البعض لواجباتهم.
 4. اعتذار عدد 22 مراقبا عن عدم استكمال مهمتهم لأسباب خاصة والبعض الاخر لحجج واهية لم تكن مقبولة لدى رئيس البعثة، منهم من كان له اجندة خاصة.
 5. بالرغم من ترحيب الجانب الحكومي بالبعثة ورئيسها، والتأكيد بصفة مستمرة على عدم فرض قيود امنية تعوق تحركات البعثة، الا ان الجانب الحكومي حاول التعامل مع البعثة باستراتيجية محكمة لمحاولة الحد من وصولها الى عمق المناطق، واشغالها بقضايا تهم الجانب الحكومي، الا ان البعثة قاومت هذا الاسلوب، وتعاملت معه بما يحقق تنفيذ مهامها بالصورة المطلوبة وتغلبت على المعوقات التي اعترضت عملها.
 6. تعرضت البعثة لحملة اعلامية شرسة منذ بداية عملها وحتى ما بعد انسحابها، وقامت بعض وسائل الاعلام بنشر تصريحات لا اساس لها ونسبتها الى رئيس البعثة، كما قامت بتضخيم الاحداث بصورة مبالغ فيها، ادت الى تشويه الحقيقة.
 7. المدة الزمنية لعمل البعثة، والمحددة وفقا للبروتوكول بشهر واحد لا تكفي للتحضيرات الادارية، ناهيك عن عمل البعثة التي اكملت 23 يوم عمل فعلي حتى تاريخه. فهي بالتأكيد فترة غير كافية نظرا لتعدد البنود الواجب التحقق منها، ولضرورة التواجد على الارض لفترة زمنية اطول للتعايش مع المواطنين ولرصد كل ما يدور من احداث، مع العلم ان هناك تجارب سابقة مماثلة، استغرقت شهورا وفي بعض الاحيان سنوات عديدة.
- على الرغم من عدم وصولهما إلى نتيجة، إلا أن قرار الجامعة إطلاق "المبادرة العربية لحل الأزمة السورية"، في سبتمبر/أيلول 2011، واعتماد "بعثة المراقبين العرب إلى سورية"، أواسط ديسمبر/كانون الأول 2011، كان اختراقاً في أسلوب عمل الجامعة، وتوطئة لاعتمادها أدواراً جديدة تختلف عن الأدوار السابقة التي اتصفت بالإنشائية، من دون الفعل. لكن فشل المبادرة، وتعطل عمل البعثة، كان دافعاً للجامعة في عدم الخوض من جديد في الأزمة السورية.

المبادرة الثانية:

بتاريخ 22 يناير/كانون الثاني 2012م، وفي اجتماع جامعة الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية في القاهرة، انسحبت المملكة العربية السعودية من مهمة المراقبة التابعة للجامعة العربية، وانتقدت دمشق لفشلها في التحرك لوقف العنف ضد المتظاهرين ولأن الحكومة السورية لم تتبع خطة سلام عربية وافقت على ذلك، قبل إرسال المراقبين. وأعلن وزراء خارجية الجامعة في هذا الاجتماع عن خطة الجامعة العربية الجديدة التي تتضمن تشكيل حكومة وحدة وطنية برعاية نائب الرئيس السوري. ووفقاً لهذه الخطة، ستبدأ المعارضة السورية حواراً مع الحكومة تحت رعاية جامعة الدول العربية، وأن نائب الرئيس السوري سيكلف بتشكيل حكومة جديدة في غضون شهرين. كما تدعو الخطة إلى إجراء انتخابات برلمانية ورئاسية في الأشهر المقبلة¹. وقد كلفت الجامعة أمينها نبيل العربي بتعيين مبعوث عربي يتابع سير هذه العملية مع الحكومة. كما توجهت الجامعة إلى مجلس الأمن الدولي لطلب دعم المبادرة الجديدة، وأكدت على رفضها التدخل العسكري في الأزمة، لكن ردّ الحكومة السورية على هذه المبادرة جاء بالرفض التام، واعتبرتها تدخلاً سافراً في شؤونها الداخلية وانتهاكاً لسيادتها الوطنية، واعتبرتها خرقاً فاضحاً لأهداف إنشاء الجامعة العربية بالإضافة إلى تناقضها مع مصالح الشعب السوري، كما أنها رأت أن المبادرة تتجاهل عن عمد الجهود التي بذلتها سوريا في تنفيذ إصلاحات شاملة. كما ورحبت المعارضة السورية بهذه المبادرة².

وفي ١٢ فبراير/شباط ٢٠١٢م، قررت الجامعة - بعد جلسة مجلس الجامعة على المستوى الوزاري - وقف جميع أشكال التعاون الدبلوماسي مع ممثلي النظام السوري والهيئات والمؤتمرات الدولية، وأنها مهام بعثة مراقبي جامعة الدول العربية، ودعوة مجلس الأمن إلى إصدار قرار بتشكيل قوات حفظ سلام عربية أممية مشتركة - كما حدث في ليبيا- للإشراف على تنفيذ وقف إطلاق النار، والترحيب بدعوة الجمهورية التونسية لاستضافة مؤتمر أصدقاء سورية، وضرورة فتح قنوات اتصال مع المعارضة السورية وتوفير كافة أشكال الدعم السياسي والمادي لها³.

¹ Gentian Zyberi, An Institutional Approach to the Responsibility to Protect, Cambridge University Press, New York, 2013, p308

² سورية ترفض مبادرة عربية لإنهاء أزمته. الجزيرة نت، 23-يناير/كانون الثاني-2012. تاريخ الولوج 01-مارس/

آذار-2020. على الرابط: <https://bit.ly/3mPKrL4>

³ أنور مالك، ثورة أمة: أسرار بعثة الجامعة العربية إلى سورية، دار العبيكان للنشر، السعودية، 2013.

من ثم اصدرت جامعة الدول العربية القرار رقم (٧٤٦٠) بتاريخ ١٠ مارس/آذار ٢٠١٢م، طالب الحكومة السورية بالوقف الفوري لأعمال العنف والقتل، وضرورة حماية المدنيين، والسماح بالدخول الفوري لمنظمات الإغاثة العربية والدولية، وإتاحة المجال لوسائل الإعلام الدولية والعربية بتغطية الأحداث في كافة المدن السورية. تبع هذا القرار، قرار رقم (٥٥٤) في ٢٩ مارس/آذار ٢٠١٢م، الذي تمخض عن (قمة بغداد). وقد تضمن القرار تبني مجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة لكافة القرارات والبيانات الصادرة عن مجلس جامعة الدول العربية واللجنة الوزارية العربية الخاصة بالشأن السوري وخاصة القرار رقم (٧٤٦٠) بالإضافة لمطالبة مجلس الأمن بتحمل مسؤولياته بالوقف السريع والشامل لكافة أعمال العنف في سورية، وحث جميع أعضاء مجلس الأمن على التعاون البناء في هذا الشأن¹.

بعد قمة بغداد، اجتمع مجلس جامعة الدول العربية بتاريخ ٢٦ ابريل/نيسان ٢٠١٢م، ليناقش تطورات الأزمة السورية، وقدم التأكيد خلال هذا الاجتماع على مطالبة الحكومة السورية بالوقف الفوري لكافة أعمال العنف والقتل، وحماية المدنيين السوريين، وضمان حرية التظاهر السلمي، والالتزام بقرارات جامعة الدول العربية كاملة والتي تتعلق بالشأن السوري، وقرارات مجلس الأمن. ايضاً، وفي ٢ يونيو/حزيران ٢٠١٢م، اصدرت الجامعة قرار رقم (٧٥٠٧)، والذي تضمن إدانته لأعمال العنف والاستمرار بأعمال القتل واستعمال المفرط للسلاح من قبل القوات النظامية وغير النظامية، وانتهاكات حقوق الإنسان، وخرق الحكومة السورية لتعهداتها بتنفيذ خطة المبعوث المشترك، وقراري مجلس الأمن 2042 و2043. ونظراً لعدم التزام الحكومة السورية بقرارات الجامعة، وتأكيداً على ما جاء في قرار رقم (٧٥٠٧)، اصدرت الجامعة قرار رقم (٧٥٢٣) بتاريخ ٥ سبتمبر/أيلول ٢٠١٢م، والذي عبر عن إدانته الشديدة لاستمرار العنف من جانب النظام السوري وميليشيات "الشبيحة" التابعة لها، ضد المدنيين السوريين، وفي ارتكاب جرائم القتل العمد والجرائم الشنيعة ضدهم ولاستخدام الأسلحة الثقيلة، بما فيها الدبابات والمدفعية، والطائرات الحربية في قصف الأحياء والقرى المأهولة بالسكان وعمليات الإعدام التعسفي والاختفاء القسري في انتهاك صارخ لحقوق الإنسان والحريات الأساسية وأهابت فيه بحكومة الجمهورية العربية

¹ نهرين جواد شرقي، دور جامعة الدول العربية في الأزمة السورية، مجلة العلوم السياسية، فرع الدراسات الدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2019/9/3. العراق، ص219.

السورية أن تضع حداً على الفور وبشكل كامل لجميع أشكال القتل والعنف ضد الشعب السوري، وقرر العمل على تقديم كل أشكال الدعم المطلوب للشعب السوري للدفاع عن نفسه.¹

كما وأصدرت جامعة الدول العربية القرار ٧٥٩٥ المؤرخ ٦ مارس/آذار ٢٠١٣ م، الذي استعرضت فيه الجامعة الحالة البالغة الخطورة في الجمهورية العربية السورية من جراء تصاعد العنف وأعمال القتل في معظم الأراضي السورية واستمرار السلطات السورية في ارتكاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان مستخدمة الأسلحة الثقيلة والطائرات الحربية وقذائف سكود في قصف الأحياء السكنية والمناطق المأهولة بالسكان، مما أدى إلى سقوط عدد أكبر من الضحايا وتسبب في نزوح السكان داخل الجمهورية العربية السورية وتدفق آلاف السوريين إلى البلدان المجاورة فراراً من العنف الذي يستهدف الأطفال والنساء الذين تعرضوا لمذابح مروعة، الأمر الذي يهدد بانتهاء الدولة السورية ويعرض السلام والأمن والاستقرار في المنطقة للخطر.²

وفي اجتماع مجلس جامعة الدول العربية العادي في دورته الرابعة والعشرين الذي عقد في الدوحة ما بين ٢١ إلى ٢٧ مارس/آذار ٢٠١٣ م، أصدر بيان "إعلان الدوحة" حيث اعترفت الجامعة بالائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية ممثلاً شرعياً للشعب السوري، وبذلك، أعطي مقعد سورية في هذه القمة لهذا الائتلاف، كذلك تم التأكيد على أهمية الجهود الرامية للتوصل إلى حل سياسي كأولوية للأزمة السورية مع التأكيد على الحق لكل دولة وفق رغبتها تقديم كافة وسائل الدفاع عن النفس بما في ذلك العسكرية لدعم صمود الشعب السوري والجيش الحر. وجاء نص القرار كالتالي: "نندد بأشد عبارات التنديد بالتصعيد العسكري الخطير الذي تمارسه قوات النظام السوري ضد الشعب السوري، واستمرار عمليات العنف والقتل الجماعي التي يمارسها ضد السكان المدنيين في معظم الأراضي السورية، ونشجب بشدة استخدام النظام السوري للأسلحة الثقيلة والطيران الحربي وصواريخ سكود التي تقصف الأحياء والمناطق الأهلة بالسكان وانتهاج سياسة الأرض المحروقة التي نتج عنها ارتفاع عدد الضحايا بشكل خطير، وزادت من تهجير الشعب السوري من أحيائهم وبلداتهم وقراهم وجعلهم نازحين ولاجئين." "نرحب بشغل الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية مقعد الجمهورية العربية السورية في جامعة الدول العربية ومنظماتها ومجالسها

¹ المرجع السابق.

² United Nations, General Assembly, Sixty-seventh session, Agenda item 33, Resolution adopted by the General Assembly on 15 May 2013. At: <https://bit.ly/3c4crW7>

وأجهزتها إلى حين إجراء انتخابات تفضي إلى تشكيل حكومة تتولى مسؤوليات السلطة في سورية وذلك باعتباره الممثل الشرعي الوحيد للشعب السوري والمحاور الأساسي مع جامعة الدول العربية وذلك تقديراً لتضحيات الشعب السوري وللظروف الاستثنائية التي يمرّ بها¹.

أما في اجتماع القمة العربية الخامسة والعشرون، الكويت ٢٥-٢٦ مارس/آذار ٢٠١٤م، فقد تم التأكيد على إيجاد حل سياسي للأزمة السورية وفقاً لبيان جنيف (١) يتيح للشعب السوري الانتقال السلمي لإعادة بناء الدولة وتحقيق المصالحة الوطنية بما يكفل المحافظة على استقلال سورية وسيادتها ووحدة أراضيها وسلامة أبنائها. وطالبت القمة النظام السوري بالوقف الفوري لجميع الأعمال العسكرية ضد المواطنين السوريين، ووضع حد نهائي لسفك الدماء وإزهاق الأرواح، ودانت بأقصى عبارات التنديد المجازر والقتل الجماعي الذي ترتكبه قوات النظام السوري ضد الشعب الأ عزل، بما في ذلك استخدامها للأسلحة المحرمة دولياً، ودعت الدول العربية ودول العالم، العمل على نحو حثيث لوقف حمام الدم وانتهاك الحرمات وتشريد المواطنين السوريين من ديارهم².

أما في الدورة العادية التاسعة والعشرين لمجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة في الظهران بالسعودية التي عقدت في ١٥ أبريل/نيسان ٢٠١٨م، فقد أكد البيان الختامي لقمة الظهران على أهمية تعزيز العمل العربي المشترك لمواجهة الأخطار التي تواجه الدول العربية وتهدد أمنها واستقرارها، وعلى ضرورة إيجاد حل سياسي ينهي الأزمة السورية، بما يحقق طموحات الشعب السوري، ويحفظ وحدة سوريا. كما وأدان البيان استعمال النظام السوري للأسلحة الكيماوية المحرمة دولياً ضد الشعب السوري، طالب المجتمع الدولي بوقفها. وجاء نص البيان بخصوص سورية كالتالي: " نشدد على ضرورة إيجاد حل سياسي ينهي الأزمة السورية، بما يحقق طموحات الشعب السوري الذي يئن تحت وطأة العدوان، وبما يحفظ وحدة سوريا، ويحمي سيادتها واستقلالها، وينهي وجود جميع القوات الخارجية والجماعات الإرهابية الطائفية فيها، استناداً إلى مخرجات جنيف (1) وبيانات مجموعة الدعم الدولية لسوريا، وقرارات مجلس الأمن ذات الصلة، وبخاصة القرار رقم 2254 لعام 2015م، فلا سبيل لوقف نزيف الدم إلا بالتوصل إلى تسوية سلمية، تحقق انتقالاً حقيقياً إلى واقع سياسي تصوغه وتتوافق عليه كافة مكونات الشعب السوري عبر مسار جنيف الذي يشكل الإطار

¹ إعلان الدوحة الصادر عن القمة العربية الرابعة والعشرون، الدوحة في 26 مارس 2013. على الرابط:

<https://bit.ly/2G0WaoQ>

² إعلان الكويت، ق/25(3/14)24-ع(0154)، مجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة، الدورة العادية 25،

الموافق 25-26 مارس/آذار 2014م. على الرابط: <https://bit.ly/3kBCqr7>

الوحيد لبحث الحل السلمي، ونحن ملتزمون مع المجتمع الدولي لتخفيف المعاناة الإنسانية في سورية لتفادي أزمات إنسانية جديدة". "تابعنا ما قامت به القوة الغربية في سورية وإننا إذ نؤكد على ضرورة تكاتف كل الجهود للتوصل إلى حل سياسي للأزمة السورية نشدد على ادانتنا المطلقة لاستخدام السلاح الكيماوي ضد الشعب السوري الشقيق، ونطالب بتحقيق دولي مستقل يتضمن تطبيق القانون الدولي على كل من يثبت استخدامه السلاح الكيماوي"¹.

الخاتمة:

تخضع جامعة الدول العربية وسياستها وقراراتها لمؤثرات ولعوامل (داخلية وخارجية) في صناعة القرارات العربية، وتوجه جامعة الدول العربية لمواقف تتناسب مع طبيعة وأهداف المجتمع الدولي والإقليمي والمحلي، هذه العوامل وخاصة الداخلية منها جاءت نتيجة الانقسام العربي الذي أثر بالسلب على الجامعة ومواقفها تجاه أي تغييرات سياسية في المنطقة العربية، وأدى لإضعافها وتراجعها كإطار قانوني ومؤسسي، إلى جانب قصور ميثاق جامعة الدول العربية عن التعاطي مع المستجدات والمتغيرات في المنطقة العربية بشكل يحقق الدور المنوط والمتوقع من جامعة الدول العربية وهذا ما رأيناه واضحاً في الحالة السورية، فقد فشلت جميع المحاولات للتوصل لرؤية موحدة. إن مواقف جامعة الدول العربية السلبية تجاه النظام السياسي السوري اعطى الفرصة لتفرد إيران وتركيا بالتحكم في الوضع السوري، وتقرير مصير هذا البلد العربي المهم بالتنسيق مع القوتين العظميين أمريكا وروسيا بمعزل عن العرب، وأصبحتا اللاعب الأساسيين في سورية.

النتائج:

1. كان من الواضح أن إمداد حل مضمون في مهلة الأزمة الراهنة، لرجال الامن والرأى والى الامم المتحدة، كان وحده في معالجة الأزمة؛ مما أدى إلى خيبتها وتجاوز الود الراهنة، كان من الواضح أن إمداد من الدول العربية في الأشهر الأولى من الأزمة، لدم العبي، وعدم وجود إرادة

¹البيان الختامي للقمّة العربية بدورتها الـ 29 في الظهران بالسعودية، تم نشره في الاثنين 16 نيسان / أبريل 2018.

على الرابط: <https://bit.ly/2FTMufZ>

- مادة، أساليب خروج الأزمة من الجامعة العربية إلى الأمة العربية؛ مما أدى إلى توليها، وزيادة تأثيرها وتعلقها.
2. تلعب الأزمة دوراً حيوياً في تطور مآلح القبول والقبول والإقلاية إلى أزمة إقليمية دولية، تغلظ فيها الآليات الأساسية، وأكد من ذلك، أنها لتتغير من خلال إعادة رسم الملفات الاستراتيجية وتوازناتها، لئلا يؤول إلى حالة تصادم إقليمي ودولي غير مقدر من انهار الاتحاد السوفياتي، مما جعله الصاعد إلى حد كبير للأزمة أم أشدهم بلا.
3. ساعات الأزمة الدولية في تواتر جيد في الآونة الأخيرة وتوافرت الملفات المتعلقة معروفة من قبل، فإذ لا هناك ماور وتلفات تقابل العد الغي (أم ما وأوروبا)، والقي (روسيا وحلفاءها)، ولم تتعدت الأزمة الدولية أصداً هناك عدة ماور، إلا أن العد الإماراتي إلى الضال القاري، والرد الاستراتيجي-العربي ضد الإرهاب.
4. كيف الأزمة الدولية من وضع مسة الجامعة العربية في الأزمات والعمليات العرة، وذلك لعدة أسباب منها وجود حالة شديدة من الانقاص للول العرة، لئلا لعدم قدرة الجامعة نفسها على تفدياراتها القارة وذلك لعدم وجدالة لفرقارات اجارافي نام الجامعة العرة، مما أثنى على العمل العربي إلى ذلك وإله دور الجامعة العربية في القارة والأزمات العرة.

التوصيات:

1. ضرورة تدخل جامعة الدول العربية لدى كلا من النظام السوري والمعارضة السورية من أجل محاولة التوفيق بينهم للخروج من هذه الأزمة.
2. ضرورة الانطلاق باستراتيجية متكاملة للحفاظ على الوحدة العربية لتحقيق التكامل العربي والمحافظة على سلامة الشعوب العربية.
3. ضرورة اتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة لصيانة الأمن القومي العربي ليقوم بدوره الفاعل في قضايا الأمة وفي حماية نفسه من المخاطر الجسيمة التي تحيط بالعالم العربي في ظل تنامي "الإرهاب" و"التنظيمات المتطرفة".

4. ت ح عي مح ولهقة عة مقله منة م جع لول العة
قادرة على ال ذ لفض الأم والام في ما الاع والأزمات العة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. اعلان الكويت، ق/25(3/14)24-ع(0154)، مجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة، الدورة العادية 25، الموافق 25-26 مارس/آذار 2014م. على الرابط:
<https://bit.ly/3kBCqr7>
2. إعلان الدوحة الصادر عن القمة العربية الرابعة والعشرون، الدوحة في 26 مارس 2013. على الرابط:
<https://bit.ly/2G0WaoQ>
3. انور مالك، ثورة أمة: أسرار بعثة الجامعة العربية إلى سورية، العبيكان للنشر، السعودية، 2013.
4. بيان رقم 148 - د.غ.ع - 2011/8/27، موقع جامعة الدول العربية الإلكتروني، على الرابط:
<https://bit.ly/35GkreO>
5. البيان الختامي للقمة العربية بدورها الـ 29 في الظهران بالسعودية، تم نشره في الاثنيين 16 نيسان / أبريل 2018. على الرابط:
<https://bit.ly/2FTMufZ>
6. تقرير رئيس بعثة مراقبي جامعة الدول العربية الى سورية، شبكة فولتير , 2 شباط (فبراير) 2012, على الرابط التالي:
<https://bit.ly/3hvbGXq>
7. جامعة الدول العربية، قرار ٧٤٣٦ بشأن التطورات في سورية، ٢ / ١١ / ٢٠١١م، على الرابط:
<https://bit.ly/3kFzr0V>
8. جريدة الأنباء الكويتية، بنود المبادرة العربية لحل الأزمة السورية، 7/9/2011، على الرابط التالي:
<https://bit.ly/3ki864t>
9. سورية ترفض مبادرة عربية لإنهاء أزمتها. الجزيرة نت. تاريخ النشر: 2012-01-23. تاريخ الولوج 2020-03-01. على الرابط:
<https://bit.ly/3mPKrL4>

10. سورية: تصاعد الضغوط الإقليمية على نظام الرئيس بشار الأسد. بي بي سي العربية. تاريخ النشر: 2011-08-09. تاريخ الولوج 2020-04-06. متوفر على الرابط التالي:
<https://bbc.in/2ZWR5oL>
11. عبد العظيم محمود حنفي، الثورة والشرعية: عوامل سقوط النظام السياسي في سورية، دار الكتب، 2011.
12. علاء عبد الحميد عبد الكريم، دور الامم المتحدة في تسوية الازمة السورية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، 2018، ص9.
13. موجكة كوتشوك كالايش، سياسة الجامعة العربية تجاه سورية، مجلة الأبحاث الفصلية "رؤية تركية"، السنة 1 العدد 4 / رؤية تركية شتاء، مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (ستا)، نوفمبر 2012.
14. نهرين جواد شرقي، دور جامعة الدول العربية في الأزمة السورية، مجلة العلوم السياسية، فرع الدراسات الدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2019/9/3. العراق، ص219.
15. Andrew J. Tabler, Bolstering the Arab League Mission to Syria, The Washington Institute, December 23, 2011. At: <https://bit.ly/32MMAPC>
16. Gention Zyberi, An Institutional Approach to the Responsibility to Protect, Cambridge University Press, New York, 2013, p308
17. United Nations, General Assembly, Sixty-seventh session, Agenda item 33, Resolution adopted by the General Assembly on 15 May 2013. At: <https://bit.ly/3c4crW7>

فاعلية المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في ضوء تطبيق الكوتا

The effectiveness of Palestinian women's political participation in light of the application of quotas

إعداد: د. رمزي أحمد النجار؛ دكتوراه في القانون الدستوري، ومحاضر أكاديمي غير متفرغ في
الجامعات الفلسطينية

**D.Ramzy H. Elnajjar: PhD in constitutional law, and part-time
academic lecturer at Palestinian universities**

palramzy@gmail.com

الملخص:

جاءت غالبية الدساتير المعاصرة وخاصة الدستور الفلسطيني بالنص والاعتراف بحق المرأة في المشاركة السياسية، وتحقيق المساواة بين المرأة والرجل في الحصول على الفرص والحقوق السياسية، والمشرع الفلسطيني تدخل وشرع قانون انتخابي يجبر الأحزاب السياسية أو القوائم الانتخابية على "كوتا" معينة من النساء في قوائمها الانتخابية، بهدف تعزيز مشاركة المرأة سياسياً عن طريق تخصيص عدد أو نسبة من مقاعد البرلمان للنساء، لأن تمثيلهن على صعيد الواقع لا يتناسب مع حقيقة أنهن يشكلن نصف المجتمع، لذا فإن ضمان الحد الأدنى للتمثيل النيابي للمرأة لا يستهدف بالضرورة المساس بمبدأ المواطنة، بل هو يدعم هذا المبدأ لأنه يسعى إلى تحقيق المساواة النسبية بين المرأة والرجل في مجال التمثيل النيابي.

الكلمات المفتاحية: المشاركة السياسية، الكوتا النسائية، التمثيل النيابي

Abstract:

The majority of contemporary constitutions, particularly the Palestinian Constitution, came with the text and recognition of women's right to political participation, equality between women and men in access to political opportunities and rights, and the Palestinian legislator intervened and enacted an electoral law that forces political parties or electoral lists to a certain "quota" of women on their electoral lists, with the aim of promoting women's political participation by allocating a number or percentage of parliamentary seats to women, because their representation in reality is not commensurate with the fact that they make up half of society, so Ensuring a minimum representation of women is not necessarily aimed at undermining the principle of citizenship, but rather supports this principle because it seeks to achieve relative equality between women and men in the area of representation.

Keywords: political participation, a women's quota, representation

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

تعد المشاركة السياسية سمة من سمات المجتمعات المتقدمة وهي تعني مشاركة الشعب ككل دون أي وجه من وجوه التمييز من خلال الأفراد أو الجماعات ضمن نظام سياسي ديمقراطي، فإذا كانت المواطنة هي التمتع بالحقوق والواجبات فإن المشاركة السياسية هي الممارسة الفعلية لهذ الحقوق والتمتع بها من جانب، والالتزام بالواجبات من جانب آخر.

لذلك فإن تعزيز المشاركة السياسية للمرأة يعد مظهراً لتكريس حقوق المواطنة، أي أنه يجب تفعيل دور المرأة في المجتمع السياسي من خلال المشاركة السياسية واتخاذ القرارات، لذا لا بد من وجود منظومة من الآليات والتي تتضمن وسائل قاعدية تعد الأساس الموضوعي لتفعيل مواطنة المرأة، وهنا لا يمكن إغفال الآليات السياسية والدستورية والتشريعية في تفعيل المشاركة السياسية لجميع أفراد المجتمع وخاصة المرأة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تكمن مشكلة الدراسة في مفهوم كوتا المرأة ومدى فاعليتها في تحقيق المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية وفقاً للنظام الانتخابي الفلسطيني.

ومن هنا تطرح الدراسة مجموعة التساؤلات التالية:

- هل وفق المشرع الفلسطيني في تطوير المشاركة السياسية للمرأة بما ينسجم مع المواثيق الدولية؟
- هل تنسجم الكوتا النسائية في النظام الانتخابي مع ديمقراطية المشاركة السياسية للمرأة؟
- هل ساهم نظام الكوتا في تحقيق تمثيل حقيقي للمرأة، وهل تطبيقه يخل بمبدأ المساواة؟
- ما أثر نظام الكوتا في تدعيم مبدأ المواطنة السياسية للمرأة؟

منهجية الدراسة:

تقوم الدراسة على المنهج التحليلي ممزوجاً بالمنهج المقارن، بتحليل ما ورد في القانون الانتخابي الفلسطيني فيما يتعلق بالمشاركة السياسية للمرأة؛ وتبسيط الضوء على هذه النصوص واستجلاء معانيها ومقاصدها، ومقارنته مع الإعلانات والمواثيق الدولية والتشريعات العربية، والاعتماد على ما تيسر من مؤلفات الفقهاء والكتّاب.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أن عملية المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية تكتسب أهمية كبرى للنظام السياسي الفلسطيني، وبالخصوص إذا تمت في جو من المسؤولية والشفافية والنزاهة، فهذه الشروط هي الكفيلة بإفراز النخبة من النساء على قدر من الكفاءة والمصداقية، وتفرض إتاحة الفرص أمامها لتصل إلى مراكز القرار في إطار من المنافسة الشريفة بناء على الخبرة والكفاءة، خصوصاً وأن المشاركة السياسية للمرأة ظلت متدنية بشكل عام في مجمل دول العربية ولا تعكس حجم عطاءها في مختلف الميادين والمجالات.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

1. إلقاء الضوء على أهمية ترسيخ المشاركة السياسية للمرأة في المواثيق الدولية والدساتير.
2. معرفة الطريقة التي عالج بها قانون الانتخاب الفلسطيني ديمقراطية مشاركة المرأة في الانتخابات.
3. تحديد مدى دستورية نظام الكوتا وأثره في ترسيخ مبدأ المواطنة السياسية للمرأة.

خطة الدراسة:

قد ارتأينا أن نقسم موضوع الدراسة إلى مبحثين على النحو التالي:

- المبحث الأول: المشاركة السياسية في المواثيق الدولية والدستور الفلسطيني
- المبحث الثاني: دور الكوتا في تفعيل مشاركة المرأة وتدعيم مواظنتها

المبحث الأول: المشاركة السياسية في المواثيق الدولية والدستور

الفلسطيني

نتناول في هذا المبحث تعريف المشاركة السياسية، وكفالتها للمرأة في المواثيق الدولية والدستور الفلسطيني، وذلك وفقاً للتالي:

- المطلب الأول: التعريف بالمشاركة السياسية
- المطلب الثاني: كفالة حق المشاركة السياسية للمرأة في المواثيق الدولية

● **المطلب الثالث: المشاركة السياسية للمرأة في القانون الأساسي الفلسطيني**

المطلب الأول: التعريف بالمشاركة السياسية

تتعدد التعريفات التي تناولت مفهوم المشاركة السياسية تبعا لأبعاد عملية المشاركة السياسية التي تتسم بالطابع المركب، لذا يعد مفهوم المشاركة السياسية بوجه عام هو حرص الجماهير على ممارسة حقوقها السياسية، ابتداء من التصويت الانتخابي إلى الإدلاء بالرأي في المواقف المختلفة، إلى التمسك بكل حق مقرر في نظام الدولة، بالإضافة إلى عضوية الأحزاب السياسية أو العمل من خلال تنظيم سياسي مشروع، وأيضاً المشاركة في الندوات والمؤتمرات وحلقات النقاش وغيرها من الأعمال والقضايا الأساسية والجماهيرية التي يكون للفرد فيها دوراً أساسياً بالمشاركة دون الوقوف موقف المتفرج منها⁽¹⁾.

لذلك تعتبر المشاركة السياسية ذات طبيعة مزدوجة، أي أنها مزيج من الحقوق والواجبات، فهي تعد حقاً من الحقوق السياسية التي تترتب للفرد بصفة مواطناً في دولة معينة يتمتع بجنسيتها، وهي حقوق تتمثل في حق الاجتماع والتنظيم والمشاركة وعضوية الأحزاب السياسية والجمعيات وتقلد الوظائف العامة، كما أنه تعد واجبا إنسانيا ذا طبيعة إرادية يجسد بعدا إيجابيا للمشاركة السياسية⁽²⁾.

وعليه قد اتفق العديد من الفقهاء والمختصين بأن مفهوم المشاركة السياسية للمرأة يتضمن اشتراك المرأة في مراكز القيادة واتخاذ القرار في المستويات المختلفة، ابتداء بالمراكز العليا التنفيذية والتشريعية والقضائية، وانتهاء بمراكز القيادة على مستوى المجتمع المحلي والجمعيات الأهلية ومؤسسات المجتمع المدني، وبعبارة أخرى يقصد بالمشاركة السياسية للمرأة حق المرأة أن تشترك في إدارة الشؤون العامة للدولة، ويكون ذلك بطريقة مباشرة كما هو الحال بالنسبة لمنصب رئاسة الدولة أو الحكومة أو الوزارة، وقد يكون بطريق غير مباشر كما هو الشأن بالنسبة لحق الانتخاب والترشح للمجالس النيابية⁽³⁾.

(1) د. ع. الهادي، الإجماع، دار المعرفة العامة، الإسكندرية، 1988، ص 114.

(2) د. ح. ان الغفلي، الإدارة العامة للدولة في دولة الإمارات العربية المتحدة، 1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2011، ص 119.

(3) الإجماع، ص 146.

لذلك؛ جاءت العديد من الدساتير المعاصرة والمواثيق الدولية بالنص والاعتراف بحق المرأة في المشاركة السياسية؛ وتمكين المرأة والرجل وتحقيق المساواة بينهما في الحصول على الفرص والحقوق السياسية، بحيث يشاركان بشكل كامل وفعال في كل العمليات السياسية، التي تؤدي إلى تحقيق التنمية الشاملة؛ وتهيئة كل السبل والإمكانات اللازمة لقيام المرأة بالممارسة الحقيقية والتعبير عن إرادتها في المناحي السياسية والحياة العامة، وفتح المجالات أمامها بالمشاركة في الانتخاب والترشح والانضمام الى العمل الحزبي ومواقع صنع القرار السياسي، وأيضا المشاركة في التظاهرات السلمية والشئون العامة (1).

المطلب الثاني: كفالة حق المشاركة السياسية للمرأة في المواثيق الدولية

تأتي الاتفاقيات الدولية بنصوص تعزز من مبادئ المساواة والمشاركة وتعزيز دور المرأة في الحياة السياسية، فتحض الدول على إدماج تلك النصوص في تشريعاتها الداخلية، ومن جهة أخرى تلزم الدول بعدم مخالفة أحكامها، وبالتالي فإن ما تأتي به هذه الاتفاقيات لا يجوز لدولة النص في تشريعاتها على ما يخالفه، فتعمل تلك الاتفاقيات كدليل مرشد للتشريعات المحلية لتقديم ضمانات كافية لحماية تلك الحقوق.

وتنقسم المعاهدات الدولية من حيث الحماية القانونية لحقوق المرأة بين مجموعتين من الاتفاقيات، الأولى: هي اتفاقيات عامة كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان (2) الذي كفل "لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء" (3).

كما نظم العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية (4) مسألة الحقوق السياسية للأفراد وللدول، وقد ألزمت هذه الاتفاقية في المادة الثانية "الدول الموقعة عليها كفالة الحقوق التي يأتي عليها

(1) د. مريم النجار، إحصاء المرأة والأسرة في العالم، الأمم المتحدة، رسالة د. راه غ م رة، لة الحقوق جامعة ع ش د ، القاهرة، 2009، ص 111، 112 .

(2) عفا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ على أنه وثيقة دولية تعترف بالحقوق الأساسية للإنسان، وقد تتأثر هذه الوثيقة من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 د 1948م، وأل م 30 مادة .

(3) المادة (2) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948.

(4) هذه معاهدة متعددة الأطراف تتبناها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 2200 في 16 د 1966م، ودخل حذ الف في 23 مارس 1976م وفقا للمادة (49) من الاتفاقية.

العهد لمواطنيها بغض النظر عن لونهم أو جنسهم أو معتقدتهم...، كما ألزمتها في ذات المادة بتقديم الضمانات التشريعية اللازمة لحماية تلك الحقوق. وقد ألزمت المادة الثالثة من العهد الدول الموقعة عليه بكفالة تساوي الرجال والنساء في الحقوق السياسية، كما كفل العهد في المادة (22) منه حق الترشح والانتخاب بدون أي تمييز⁽¹⁾.

وقد ساوى إعلان القاهرة⁽²⁾ حول حقوق الإنسان في الإسلام بين البشر جميعاً بدون تمييز بينهم على أساس اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين، كما عاد وأكد في المادة الخامسة منه على الحقوق المتساوية للمرأة مع الرجل⁽³⁾. أما الميثاق الإفريقي⁽⁴⁾ حول حقوق الإنسان والشعوب فقد أكد "على الحقوق المتساوية بين الأفراد بغض النظر عن الجنس أو الدين أو اللون"⁽⁵⁾، ولكن ما يفرق هذا الميثاق عن غيره بأنه جعل المسؤولية عن كفالة تلك الحقوق للدول التي يجب أن تعدل تشريعاته بما يتفق مع الميثاق

وأما الثانية: فهي موثيق دولية خاصة بحقوق المرأة بوجه خاص، تعترف بحقها في المشاركة في الحياة السياسية والعامة للمجتمع، حيث كان أهم تطور دولي لقاعدة المساواة بين الجنسين في الحقوق السياسية هو الاتفاق الدولي الخاص بالحقوق السياسية للمرأة⁽⁶⁾، وتنص الاتفاقية في المادة الأولى منها، على أن "لنساء حق التصويت في جميع الانتخابات بشروط تساوي بينهن وبين الرجال دون أي تمييز". ونصت المادة الثانية على أن "للنساء الأهلية في أن ينتخبن لجميع الهيئات المنتخبة

(1) المادة (2، 3، 22) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لسنة 1966.
(2) وثيقة تم تحضيرها بواسطة أعضاء منظمة التعاون الإسلامي والإعلان عنها في القاهرة بتاريخ 5 أغسطس 1990م، والهدف المعلن من الوثيقة انشاء نظام حقوق الانسان وفقا لمبادئ الشريعة الإسلامية.
(3) المادة (1، 5) من إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام.
(4) معاهدة دولة صاغها الدول الأفريقية عام 1981م، بإدخالها في 21 أكتوبر 1986م.
(5) المادة (1، 6) من الاتفاق الإفريقي حول حقوق الإنسان والاعتراف بلسنة 1982.
(6) تصدق عليها الأمم المتحدة عام 1952/12/10، وتعضده على الدول خلال انعقادها في الفة 16 مارس وحى 3 آب 1953، فقع عليه 32 دولة، وقد ن الاتفاق على أن مفحا ل الدول التي تغ في الانضمام إليهم الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، أو أ دولة لتع افي الأمم المتحدة، وأصد هذه الاتفاق نافذة بالفعل من 7 يول 1954، وهي تع الاعاف على نطاق واسع أن تق الوضع القاذني الامم للاء ات ه الافاح لقله ات م اوات في حاة الامم. د. أسامة عفات أم، حقوق الأة في الاث الدولة، دراسة مقارنة أحدام الامم الإسلامية، رسالة د راه، كلية الحقوق، جامعة أسد، 2003، ص 476 وما عها.

بالاقتراع العام، المنشأة بمقتضى التشريع الوطني، وبشروط تساوي بينهن وبين الرجال دون أي تمييز". إضافة إلى أن الاتفاقية تساوي بين الرجل والمرأة في تقلد المناصب، وهذا ما أكدته الاتفاقية في المادة الثالثة منها والتي تقضي بأن "للنساء أهليه تقلد المناصب العامة، وممارسة جميع الوظائف العامة المنشأة بمقتضى التشريع الوطني، بشروط تساوي بينهن وبين الرجال دون أي تمييز" (1).

كما أقرت اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة⁽²⁾ جميع التعهدات التي أقرتها موثيق الأمم المتحدة في مجال التمييز القائم على الجنس، معلنه بذلك ميلاد أداة حقيقية للقضاء على التمييز ضد المرأة. وتدعو هذه الاتفاقية إلى أن تجسد الدول مبدأ المساواة بين النساء والرجال في دساتيرها وتشريعاتها، كما وتدعوها إلى إلغاء كافة النصوص القانونية أو التدابير التي تميز ضد المرأة، ففي المادة الأولى والثانية أتاحت الاتفاقية الفرصة للمرأة للمشاركة في سن السياسات والمشاركة الحكومية ودعت إلى إلغاء أي نص أو قانون يشكل تمييزاً وتفرقة على أساس الجنس. فدعت الاتفاقية في المادة (7) منها الدول الأطراف إلى اتخاذ التدابير المناسبة التي تكفل مساواة فعلية بين الرجل والمرأة في جميع المجالات السياسية كحق الترشح والانتخاب وتقلد المناصب العليا، وقد أولت الاهتمام الأكبر لمناقشة الوضع القانوني للمرأة والحقوق المدنية والسياسية كما تبين في المواد (7، 9)، كما نصت الاتفاقية على دور الدولة في إدانة التمييز ضد المرأة بكافة أشكاله واتخاذ كافة الإجراءات والسبل ووضع السياسات لإنهائه من خلال تضمين المساواة بين الرجل والمرأة في الدساتير والتشريعات الوطنية⁽³⁾.

(1) المادة (1، 2، 3) من الاتفاقية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة لسنة 1952.

(2) المادة العامة للأمم المتحدة اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة "سأو" في العام 1979، التي تعترف بساواة "سأو" ودخلت الاتفاقية حيز التنفيذ في 3 أغسطس 1981 اتفاقية دولية مع أن صادق عليها الولاة العون. ولعل الة العاشدة للاتفاة عام 1989، ان ما قبم مائة دولة ق وافق على الام أحامها. وت اتفاقية القضاء على إافة أشكال التمييز ضد المرأة مقعاً هاماً ب المعاهدات الولة الاصة قق الإنان، ت في إقام ق الة الة التي ت ن مع الة في صلا ضدعات التي تاول هم حقق الإنان. فالاتفاة تف في م نهامع أهداف الأمم الة الة على القق الأساسية للإنان، وعلى إامة الفد وقره، و اللجال والام حقق م اوة. اتضح هه الاتفاة قة لالاً - فهامعى ال اواة ب الة وة ت قها؛ وهي إذ تلعه هه الور، فإنها لا تق وثة دولة لقق الة وحده، ب ت ع ل بنام الالاب الذي يغي على الدول الأ اف الام بها ل ان ت ع الة بهه القق.

د. أسامة عفات أم، الالاب، ص 481.

(3) المادة (1، 2، 7، 9) من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لسنة 1979.

وهكذا يتضح بأن جميع هذه الاتفاقيات السابق ذكرها ركزت وبصورة مباشرة على اعطاء المرأة حقها في المشاركة في الحياة السياسية من تشريعية وتنفيذية وقضائية وإدارية داخل الدولة، وهذا يعنى بدهاءة أن من حق المرأة بموجب تلك الاتفاقيات الدولية تولى رئاسة الدولة أو رئاسة الحكومة، وتولي منصب الوزير ومنصب القضاء، وعضوية المجالس التشريعية سواء عن طريق الانتخاب أو التعيين، فالمرأة بالنسبة لمختلف عناصر المشاركة السياسية لها كل الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الرجل طالما أن لها نفس المؤهلات وينطبق عليها نفس الشروط⁽¹⁾.

المطلب الثالث: المشاركة السياسية للمرأة في القانون الأساسي الفلسطيني

بمقتضى القانون الأساسي الفلسطيني لا توجد أية معاملة تمييزية بين المرأة والرجل من حيث الحقوق بشكل عام، وهذا ما جاءت به المادة (9) منه التي تقضي بأن "الفلسطينيون أمام القانون والقضاء سواء لا تمييز بينهم بسبب العرق أو الجنس أو اللون أو الدين أو الرأي السياسي أو الإعاقة"⁽²⁾ وهذا النص عام لا يتيح التمييز بين الفلسطينيين أي كانت الاختلافات بينهم، فهم متساوون في الحقوق والواجبات، ولا يجوز لأي نص تشريعي أو أي حكم صادر عن أي محكمة أن يفرق بين الفلسطينيين على أساس الجنس أو اللون أو الرأي السياسي، وبهذا يكون القانون الأساسي الفلسطيني قد وضع قاعدة عامة يحمي بها حقوق الفلسطينيين.

كما جاء في مسودة دستور فلسطين التي أعدت من قبل لجنة الدستور التي شكلها رئيس السلطة الفلسطينية الراحل ياسر عرفات؛ وقدمت للمجلس المركزي الفلسطيني بتاريخ 9 مارس 2003م تحت باب "الحقوق والحريات العامة" إعلانا للمساواة التامة بين الرجل والمرأة دون تمييز في الحقوق والحريات كافة، إذ تنص المادة (19) من المسودة الثالثة على أنه: "كل الفلسطينيين سواء أمام القانون، وهم يتمتعون بالحقوق المدنية والسياسية، ويتحملون الواجبات العامة دون ما فرق أو تمييز في ما بينهم بسبب العرق أو الجنس أو اللون أو الدين أو الرأي السياسي أو الإعاقة، إن مصطلح الفلسطيني أو المواطن حيثما يرد في الدستور يعني الذكر والأنثى"⁽³⁾.

وتنص المادة (20) من ذات المسودة على أن "حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ملزمة وواجبة الاحترام، وتعمل الدولة على كفالة الحقوق والحريات الدينية والمدنية والسياسية والاقتصادية

(1) د. ح. ان الغفلي، ا ل ج ع ا ا ب ، ص 170.

(2) المادة (9) من القانون الأساسي الفلسطيني لعام 2003.

(3) المادة (19) من مسودة دستور دولة فلسطين، المادة الثالثة لعام 2003.

والاجتماعية والثقافية لكل المواطنين، وتمتعهم بها على أساس مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص. لا يحرم شخص من حقوقه وحرياته الأساسية أو أهليته القانونية لأسباب سياسية⁽¹⁾.

أما الحماية الخاصة فقد نصت المادة (26) من القانون الأساسي على أن حق الفلسطينيين في المشاركة على قدم المساواة في الحياة السياسية والعامية ويشمل حق تشكيل الأحزاب السياسية، والنيابات والجمعيات والاتحادات والروابط والأندية، وحق التصويت والترشح في جميع الانتخابات؛ والمشاركة في عقد الاجتماعات العامة والخاصة؛ وتقلد الوظائف العامة وأداء الوظائف العامة على جميع مستويات الحكم⁽²⁾.

وعليه يكون القانون الأساسي الفلسطيني قد كفل المساواة بين جميع المواطنين فمنحهم مجموعة من الحقوق السياسية بغض النظر عن جنسهم، وعلى سبيل المثال وليس الحصر فللنساء والرجال أن يشكلوا الأحزاب السياسية وأن ينضموا إليها، إلا أنه ترك أمر تنظيم تلك المسألة لتشريع عادي يصدر عن المجلس التشريعي الفلسطيني، وهو القانون الذي لم يصدر حتى تاريخه وظل يراوح مكانه بين العديد من التجاذبات السياسية في إشارة إلى عمق الخلافات على مثل هذا القانون.

وفي هذا الإطار يُلزم القانون الأساسي الفلسطيني وتعديلاته السلطة الفلسطينية بالانضمام إلى الإعلانات والمواثيق الإقليمية والدولية التي تحمي حقوق الإنسان، وفلسطين أصبحت طرفاً في الاتفاقيات الدولية بعد حصولها على صفة الدولة التي تمكّنها من المصادقة على هذه الاتفاقيات المتاحة التصديق عليها من قبل الدول، فالعديد من تلك الاتفاقيات أصبحت بمثابة ما يعرف بالعرف الدولي الذي لا يجوز لأحد مخالفته، وهذا ما تعهدت به منظمة التحرير الفلسطينية التي شغلت مقعد فلسطين في الأمم المتحدة، وهو الأمر الذي يضمن التزام فلسطين باتفاقية "القضاء على كل أنواع التمييز ضد المرأة" وغيرها من الاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة، والمتعارف عليه في معظم دول العالم أن المعاهدات والمواثيق الدولية تكون لها قوة الدستور أو تكون في مكانة فوق قانونية، وبعض الدول تكون لها مكانة فوق دستورية.

المبحث الثاني: دور الكوتا في تفعيل مشاركة المرأة وتدعيم مواظنتها

(1) المادة (20) من دستور دولة فل... ، المادة 1416 لسنة 2003.

(2) المادة (26) من القانون الأساسي الفل... في العمل لسنة 2003.

نتناول في هذا المبحث تعريف الكوتا النسائية وعلاقتها بالمشاركة السياسية للمرأة، وتطور الكوتا في التشريعات الفلسطينية، ومدى تدعيمها لمواطنة المرأة، وذلك وفقاً للتالي:

- **المطلب الأول:** تعريف الكوتا النسائية وعلاقتها بالمشاركة السياسية
- **المطلب الثاني:** تطور المشاركة السياسية للمرأة في التشريعات الفلسطينية
- **المطلب الثالث:** التمييز الإيجابي للمرأة "الكوتا" تدعيم لمواطنتها
- **المطلب الرابع:** الشرعية الدستورية لنظام الكوتا

المطلب الأول: تعريف الكوتا النسائية وعلاقتها بالمشاركة السياسية

الكوتا (Quota) في الأصل كلمة لاتينية شاع استخدامها بلفظها الأصلي، ومعناها في اللغة العربية النصيب أو الحصة، وتستخدم الكوتا لتوفير فرصة للفئات الأقل حظاً في المجتمع في الوصول للفرص، مثل النساء والأقليات⁽¹⁾.

أما المعنى الاصطلاحي للكوتا هو تخصيص نسبة معينة من المقاعد في بعض المؤسسات والمجالس، خاصة المؤسسات التشريعية لفئة من فئات المجتمع كالأقليات العرقية والدينية أو بسبب الجنس في ظروف اجتماعية قد تعاني الحرمان من التمثيل، أو صعوبة ما في تحقيق تمثيل عادل لها في البرلمان، ويكون هدفها إيصال هذه الفئة للمجلس النيابي لإشراكها في عملية صنع القرار⁽²⁾.

فالكوتا النسائية عبارة عن إجراء يهدف إلى تعزيز مشاركة المرأة سياسياً عن طريق تخصيص عدد أو نسبة من مقاعد البرلمان للنساء، ذلك لتمثيلهن على صعيد الواقع لا يتناسب مع حقيقة أنهن يشكلن نصف أي المجتمع، وعليه أن تطبيق نظام الحصص هو نظام مرحلي ينطوي على فكرة التمييز الإيجابي، وهذا التمييز لا يستمر على الدوام، بل يتوقف طالما تحققت الأهداف المتمثلة في إشراك المرأة في العمل العام نحو تحقيق العدالة والمساواة داخل المجتمع⁽³⁾.

(1) د. هاني ع. الأذينة، أذينة، أذينة، أذينة على مشاركة المرأة الأردنية في قادات الدانات لعام 2007: مجلة رحاب الية - دراسة حالة، عمان: مجلة الأارة للدراسات، العدد 3، 2010م، ص 223.

(2) د. صالح الالة، مشاركة المرأة الأردنية في الالة الالة 1921 - 2007، دار الال للالة والالة، الأردن، عمان، 2017، ص 48.

(3) د. سد أبض أذينة، ثقافة الارة - دراسة في الالة الالة، دار الالة الالة، القاهرة، 2007، ص 209، 210 .

وتتنوع أشكال الكوتا من حيث دستورية/قانونية وكوتا إرادية، فالكوتا الدستورية هي الكوتا التي ينص عليها صراحة في الدستور باعتباره القانون الأسمى، حتى لا تقدم أي قوى سياسية معادية لحقوق النساء على إلغائها في مرحلة لاحقة، وهذه الكوتا إلزامية لكل الأحزاب والحكومة، بينما الكوتا القانونية هي التي ينص عليها بموجب القانون، وعادة ما يكون في قانون الانتخابات أو قانون الأحزاب السياسية، أما الكوتا الإرادية هي طوعية للأحزاب تقدمها إيماناً منها بنظام الكوتا دون ارتباطها بتشريعات محددة⁽¹⁾.

ويمكن تطبيق نظام الكوتا أثناء عملية الترشيح، أو بعد صدور النتائج النهائية للعملية الانتخابية، فمؤدج الكوتا المطبقة أثناء عملية الترشيح يهدف إلى تسهيل وضع النساء في مواقع استراتيجية على قوائم مرشحي الحزب، أو إعلان ضمان ترشيحهم في دوائر محددة، بما يضمن لهن فرصاً مساوية لانتخابهن في الهيئات المنتخبة، وتبقى مشكلة وضع المرأة في ذيل القائمة الانتخابية مما يجعل فرصهن تتضاءل، وفي هذه الحالة تستفيد النساء من ميزة الترتيب التبادلي مع الرجال، بتبادل أماكنهن في القائمة مع الرجال، لكن بوضع سقف لترشيح النساء، فعلى سبيل المثال كالتالي في النصف الأول من القائمة، كما أنه يمكن للكوتا المطبقة أثناء عملية الترشيح أن تكون من قبل الأحزاب أو محددة قانونياً بنص تشريعي في الدستور أو قانون الانتخاب.

والجدير بالملاحظة أن نظام الكوتا النسائي يتلاءم مع نظام التمثيل النسبي، الذي يعتمد على إعطاء الأحزاب نسبة معينة من عدد المقاعد، مطابقة لنسبة الأصوات التي حصل عليها من الناخبين، وبالتالي يمكن دمج هذا النظام مع نظام الكوتا النسائي القائم ليسهل وصول النساء وفق حجم الحزب السياسي⁽²⁾.

المطلب الثاني: تطور المشاركة السياسية للمرأة في التشريعات الفلسطينية

صدرت مجموعة من القوانين العادية عن السلطة الفلسطينية مثل قوانين الانتخابات الثلاث الصادرة عن السلطة خلال فترات متقاربة من مراحل حياتها المختلفة، بالإضافة إلى مشروع قانون الأحزاب السياسية، وجميعها نظمت مسألة المشاركة السياسية بشكل عام .

1- قانون الانتخابات رقم 13 لسنة 1995

(1) د. أميرة العليجي، تد الأة في الأ الأة الأة دراسة مقارنة، دار الةة العة، القاهرة، 2010، ص 10.

(2) د. صالح الأة، الأة الأة، ص 52.

ينظم قانون الانتخابات بشكل عام حق الترشح والانتخاب للفلسطينيين، وإقرار نظام الانتخاب بالدوائر، وهذا النظام يتيح الترشح لأي مواطن بغض النظر عن انتمائه السياسي وما إذا كان مدعوماً من قبل حزب سياسي أم لا، كما عكس هذا القانون المساواة بين الفلسطينيين كافة نساء ورجالاً في حق الترشح والانتخاب في سياق مادته السادسة والثانية عشر عندما أكد على أن هذا الحق ملك لكل فلسطيني ذكراً كان أم أنثى، في محاولة من المشرع على تأكيد مبدأ المساواة في الحقوق بغض النظر عن الجنس⁽¹⁾.

فالقانون وفر مبادئ عامة للمساواة، إلا أن بنيه نظام الدوائر يعزز من السلبيات الاجتماعية كالعشائرية مثلاً، وأن تقسيمه الدوائر الانتخابية في فلسطين إلى ستة عشر دائرة جعلت العديد منها يقف عند حد تمثيلها بما لا يزيد عن مقعدين فقط، وهذا يكون قد قلل من فرص النساء في الترشح عن تلك الدوائر، حيث أن العائلات والأحزاب في الكثير من الحالات غير مستعدة لترشيح امرأة عن تلك الدائرة التي لا تملك إلا مقعداً واحداً أو مقعدين، فترشيح امرأة من وجهة نظرهم يضعف من قدرتهم على المنافسة وبالتالي يتسبب في خسارة مقعد تلك الدائرة.

وقد شاركت النساء في أول انتخابات فلسطينية جرت في 20 كانون الثاني/يناير 1996م، وقد بلغت نسبة تسجيل النساء في سجل الناخبين حوالي 49% من إجمالي المسجلين، إلا أن نسبة مشاركة المرأة في تلك الانتخابات قلت عن نسبة تسجيلها، ما يعني أن نسبة التسجيل المرتفعة لا تعني بالضرورة أن نسبة عالية من النساء يقمن بممارسة حقهن في الانتخاب، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يدل الاختلاف في النسب على أن هناك عوائق حقيقية تحول دون ممارسة المرأة حقها في الانتخاب؛ كالتالي تتصل بالموروث الثقافي للمواطن⁽²⁾.

أما المرشحات لتلك الانتخابات فبلغ عددهن 28 امرأة مقابل 676 رجلاً، أي ما نسبته 4.15% من إجمالي عدد المرشحين، وأغلبهن خضن غمار هذه الانتخابات كمستقلات، حيث استطاعت خمس نساء فقط الوصول إلى عضوية المجلس، من أصل ثمانية وثمانين مقعداً هي مجموع مقاعد المجلس التشريعي الفلسطيني⁽³⁾.

(1) المادة (6، 12) من قانون الانتخابات رقم 13 لسنة 1995.

(2) سعدة ح، الحقوق العامة والخاصة للمرأة الفلسطينية، نقول وضد المرأة الفلسطينية الاستعداد إلى اتفاقية القضاء على كافة أشكال العنف ضد المرأة، من أجل الإرشاد القانوني والاجتماعي، القدس، 2001، ص 64 – 85.

(3) تقنيات الانتخابات العامة 1996، لجنة الانتخابات العامة، فل، 2002.

ويرى الباحث أن النظام الانتخابي الذي عمل به في الانتخابات التشريعية الأولى عام 1996 لم يشجع على مشاركة المرأة في الترشح، ويرجع ذلك إلى طبيعة الانتخابات التشريعية التي أخذت الجانب الاستفتاء السياسي للعملية السلمية ومقاطعة العديد من الأحزاب السياسية بكل أطيافها للانتخابات، مما أضعف تمثيل المرأة في البرلمان، إلى جانب العادات والتقاليد والعقليات الذكورية السائدة في المجتمع التي أسهمت في وضع صعوبات على النساء للترشح والفوز بالانتخابات.

2- قانون الانتخابات رقم (9) لسنة 2005

صدر هذا القانون من قبل المجلس التشريعي بعد جدل كبير حول العديد من القضايا ومن أهم تلك القضايا موضوع "الكوتا النسائية"، وبرز هذا الموضوع إلى السطح بعد أن ظهرت النتائج الضئيلة لتمثيل المرأة في الانتخابات الأولى، فجاء هذا القانون لتلبيه تلك التوجهات الجديدة، فعاد القانون الجديد ليؤكد على الحقوق المتساوية بين الرجال والنساء من حيث الحق في الترشح والانتخاب، التي أكد عليها القانون السابق، كما أعاد القانون الجديد تنظيم الانتخابات على أساس النظام الانتخابي المختلط مناصفة بين نظام الأكرتية النسبية (الدوائر) و(نظام القوائم) باعتبار الأراضي الفلسطينية دائرة انتخابية واحدة⁽¹⁾.

والملاحظ أن المشرع الفلسطيني اضطر إلى التعامل مع ما عرف بالقوائم الانتخابية، وهي تلك القوائم التي تمثل في الغالب أحزاباً سياسية، وذلك على خلاف ما جاء به النظام القديم، ومع ذلك لم يشر هذا القانون إلى الأحزاب السياسية أو تنظيمها إلا في جانب تشكيل القائمة الانتخابية، وكنتيجة لحمولات الضغط التي نظمتها الحركة النسوية فقد أقر المجلس التشريعي قانون انتخابات يضمن مشاركة أوسع للمرأة الفلسطينية بعد أن أقر بحد أدنى من التمثيل للمرأة وذلك من خلال ما يعرف بـ"الكوتا" النسائية، وتتوزع هذه "الكوتا" بما لا يقل عن امرأة واحدة من بين كل من: 1- الأسماء الثلاثة الأولى في القائمة. 2- الأربعة أسماء التي تلي ذلك. 3- كل خمسة أسماء تلي ذلك⁽²⁾.

وعليه ضمن هذا القانون لسنة 2005 تمثيل أعلى للمرأة في المجلس التشريعي المنتخب في العام 2006، ولكن جاءت نتيجة الانتخابات التشريعية الثانية بالنسبة لعدد المقاعد التي حصلت عليها المرأة مخيبة للآمال، ولم تكن أفضل بكثير من الانتخابات التشريعية الأولى، حيث لم تزد النسبة عن 12.9% وهي نسبة متوسطة بالمقارنة مع دول العالم وأفضل من النسبة في بعض الدول العربية،

(1) راجع إليه، المراجعة الاستدلالية للآلية الفاعلة، مجلة تماح، العدد (5) لسنة 2004، م. رام الله لدراسات حقوق الإنسان، رام الله، ص 35.

(2) راجع: المادة (4) من قانون رقم 19 لسنة 2005. أن الإنجازات.

وبات من المؤكد أن تمثيل النساء في البرلمانات في العالم ما زال متدنياً بشكل عام ، حتى في أوساط دول متقدمة⁽¹⁾ .

والمشرع الفلسطيني عندما تدخل أجبر الأحزاب السياسية أو القوائم الانتخابية على "كوتا" معينة من النساء في قوائمها الانتخابية، بينما ترك للأحزاب الحرة في اختيار مرشحيها على نظام الدوائر، مما عكس عدم رغبة بعض الأحزاب السياسية في تبني أية امرأة من خلال الدوائر الانتخابية والاكتفاء فقط بحصة المرأة على القوائم، فعلى سبيل المثال لم تتبني حركة حماس صاحبة أعلى نسبة تمثيل في المجلس التشريعي أي امرأة وفق نظام الدوائر، وجميع النساء اللواتي حصلن على عضوية المجلس التشريعي عن حركة حماس كان عبر قوائمها فقط، أما على صعيد الدوائر لم تنجح أي امرأة من المرشحات، فكانت حصيلتها في الدوائر صفر، وعدم نجاحها من خلال الدوائر يشير إلى أفضلية الرجل بلا مزاحم على المرأة عند الناخب في حال التنافس على المقاعد التمثيلية في الانتخابات ووصولها الى مراكز صنع القرار.

ويرى الباحث أن الالتزام القانوني للأحزاب السياسية لعب دوراً إيجابياً في وصول المرأة للمجلس التشريعي بشكل رئيسي من خلال الكوتا، إلا أن هذه التدابير إذا اعتمدت لوحدها ودون تكييفها بما يتناسب والسياق المحلي لن تكفي دائماً لضمان المشاركة السياسية والعامة المساوية، ولن يلمس الأثر الإيجابي لزيادة تمثيل المرأة في الحياة العامة والسياسية إذا لم تمكن أيضاً من المشاركة بصورة نشطة في النقاشات السياسية وممارسة تأثير فعلي في صنع القرار.

3- قرار بقانون رقم (1) لسنة 2007 بشأن الانتخابات العامة⁽²⁾

اعتمد هذا القانون طريقة واحدة للانتخابات هي النظام النسبي الكامل الذي يعتمد على القوائم الحزبية، ولم يبتعد هذا القانون عن تلك التوجهات المساوية بين الرجال والنساء من حيث الصياغة،

(1) الامهاز ال لإحباء الفلبي، الأة والأج في فل ، ق ١١ واحد اءات، رام الله، 2013، ص 130.

(2) أصدر رؤ الدولة الفلبية م د اس بارخ 2007/9/2 القرار قانن رق (1) لة 2007 أن الانامات العامة (الناسة والاة)، و القرار على الغاء القانن رق 9 لعام 2005 أن الانامات، و القرار قانن في دياجه إلى أحام القانن ال عمل للقانن الأساسي الفلبي، ولاسا مات عله الادة (43) مه، والبي تعي الأء ال في إصدار قارات لها قة القانن في حالات الورة في غ ادوار انعقاد ال ال عي، وأبز ما جاء في هالقرار أنه غ الام الانابي م ال ال إلى ال الام .

كما وتدخل المشرع في تنظيم تلك القوائم عبر إقراره بنظام الكوتا الذي سبق وأن تبناه في القانون السابق، مبقياً توزيع الأماكن النسوية في القوائم الانتخابية كما سبق وأن نظمت في القانون السابق .

وهذا التوجه الجديد للمشرع الفلسطيني يتجاوز الانتقاد الموجه إلى القانون القديم الذي ترك للأحزاب السياسية اختيار مرشحيها للدوائر بدون قيد، وبهذا التوجه الجديد يفترض أن ترتفع نسبة مشاركة المرأة في قوائم أحزابها إلى الضعف مما كانت عليه سابقاً، ويجبر تلك الأحزاب على إيجاد أماكن متقدمة في صفوفها لأنه سيجبر عن الاستحقاق الانتخابي على تقديم نساء من بين مرشحيه، وبالتالي يجب أن تكون تلك النساء ممن عرفن داخل الحزب، وهذا الفرض لا يتأتى إلى بوجود تلك النساء في المراكز القيادية المتقدمة في الأحزاب.

4- مشروع قانون الأحزاب

وضع مشروع قانون الأحزاب السياسية، المعد في العام 1998، قواعداً مطلقة للمساواة بين الجنسين دون تمييز سواء فيما يتصل بحق تأسيس الحزب السياسي أو العضوية فيه أو ممارسة الأنشطة السياسية، فمثلاً تنص المادة (5) من المشروع على أن: "كل فلسطيني، ذكر كان أم أنثى، يستطيع أن يكون عضواً في حزب إذا ما رغب في ذلك..." كما جاءت المادة (6) من ذات المشروع لتحظر صراحة ممارسة الاضطهاد تجاه أعضاء الحزب بسبب الجنس؛ إذ تنص على: "لا يسمح باضطهاد أعضاء الحزب بسبب الأصل أو الجنس أو الدين أو الهدف أو الوضع الاجتماعي أو الملكية الخاصة، أو المستوى الاقتصادي أو اللون"⁽¹⁾.

والملاحظ أنه بالرغم من مشاركة النساء المبكرة في مرحلة النضال السياسي والاجتماعي عبر تشكيلات مختلفة والتي تجلت في المشاركة بالعمل الثوري والسياسي⁽²⁾، إلا أن ذلك لم يترك أثراً

(1) المادة (5، 6) م م وع قانن الأحزاب الاسدة الفل في عام 1998.
(2) الام في فل م زاوة تاريخ وواقع وفه، ف مع الأدبيات إلى أن الة الفل ة كان سداقة في نالها م الاناب الاني وحى ع نة 1948 وصدلا الى م مات الال الفل ي، وقام بأسد الاتاد العام للة الفل ة في العام 1964، وخاض مع هان ال روالغ م خلال مة ال الفل ة وال ل الال الفل ي، ح أنها سع م بابة القن الع ل ال م الات والال الال ل قق الة في م ل الالال العلة، والاجا مة والاسدة، إضافة إلى مارها في كافة أشال الال الال م امات وماهات واحاجات وت الاضادات وصادامات ماشدة مع قات الادلال، بالإضافة إلى دورها في تق الام الاجاعي، ل على اذانها وقرتها على الارة في صدع تاريخ شعها.

على تحسين مشاركتهم السياسية في مراكز صنع القرار داخل هذه الأحزاب، والفجوة ظلت واسعة بين التنظير والواقع الفعلي للنساء في الأحزاب التي ينتمين إليها، وبقيت مكانة المرأة الفلسطينية في الجهاز السياسي للأحزاب والحركات السياسية قليلة جداً، مما يؤدي إلى انعدام فرصتها في المشاركة في الهيئات الحكومية والتشريعية، لأن أشغال هذه المناصب لا يأتي إلا من خلال الأحزاب التي تبقى هي الرافد الأساسي والوحيد لتسهيل مشاركة المرأة في المجال السياسي .

والجدير بالذكر أن نسبة ترشيح النساء الفلسطينيات في الانتخابات المحلية التي حصلت في العام 2012 قد زادت، حيث وصلت نسبة تمثيل النساء في مجالس الهيئات المحلية إلى 20% وهي نسبة تفوق النسبة المحددة في الكوتا، ويعود ذلك إلى إقرار نظامي التمثيل النسبي والكوتا في قانون الانتخابات رقم 10 لسنة 2005، مقارنة مع الانتخابات التي جرت في أواخر العام 2005، حيث شكل فوز النساء فيها بنسبة 17% من المقاعد، كما ارتفعت نسبة النساء في الانتخابات المحلية للعام 2017 بسبب الكوتا النسائية حيث وصلت إلى 21.2% في الضفة الغربية تأكيداً على واقعية النسبة التي يتضمنها قانون الانتخابات⁽¹⁾.

ولكن الملفت للنظر أن المشاركة الانتخابية لدى النساء في الانتخابات السابقة كانت أكبر من الحالية، مع العلم أن الاهتمام كان كبيراً أيضاً على مستوى الوطن، باعتبارها التجربة الأولى التي تجري فيها انتخابات محلية في عهد السلطة الفلسطينية، وبذلك تكون خطوة إقرار التمثيل النسبي والكوتا قد ساهمت فعلاً في فرض تواجد للنساء في أغلب المجالس البلدية في محافظات الضفة الغربية ومحافظات قطاع غزة.

المطلب الثالث: التمييز الإيجابي للمرأة "الكوتا" تدعيم لمواطنتها

لا يكفي أن تعبر القوانين عن رغبات وتطلعات المرأة دون مشاركتها بشكل أساسي في صياغتها والحوار حولها، فلا يتفق مع كرامة المرأة أن يناوب عنها آخرون في التعبير عن رغباتها والسعي إلى تحقيقها، إذ ذلك يوحي بأنها ناقصة المواطنة، إلا أن مشاركة المرأة في صياغة تلك القوانين والتشريعات يعزز من تمتع المرأة بالمواطنة الكاملة، وقدرتها على تحمل الالتزامات

د. نداء أبو ، دور الأة الفلا ة في الأة الأاسة، رسالة د راه غ م رة، جامعة ع ش ، القاها، 2007، ص 168 وما عها.

(1) ورقة حقاء مارة الأاء في اندامات مالأهات الألة 2012 - 2013، وزارة الألى الفلا ، رام الله، ص 6 .

وممارسة الحقوق، لذا فإن اشتراط وجود عدد من المقاعد المخصصة للمرأة هو اعتراف بمكانتها وتعزيزاً لكرامتها وتعميق روح المواطنة لديها⁽¹⁾.

ويمكننا إيضاح الترابط الشديد بين مفهوم المواطنة كأحد ركائز التطور الديمقراطي وعملية ترسيخ الحقوق ومنها "حقوق المرأة" التي يمكن وصفها بأنها الفئة الأكبر عدداً ما بين الفئات التي من شأنها أن تعاني من أي اختلال بمفهوم المواطنة، لذلك فإن رصد انتهاك مفهوم المواطنة من منظور النوع الاجتماعي عبر رصد أي تمييز تجاه المرأة على مستوى الحقوق في كافة المجالات، ومنها انتقاص من حقوقها السياسية على أساس النوع الاجتماعي، من خلال حظر حق الترشح في الانتخابات، وتولي المناصب السياسية بشكل عام أو في درجة من درجاتها العليا، أو حرمانها من حق سياسي تم إقراره لفئات أخرى.

وفي تصور بعض الباحثين ونحن نؤيدهم بحق أنه يجب النظر إلى أن مواطنة المرأة هي خطوة أساسية نحو تحقيق الديمقراطية والإصلاح السياسي، لذلك فإن الذي يؤمن بأهمية دور المرأة الفلسطينية باعتبارها نصف المجتمع ويسعى لتفعيل إسهامها في الحياة العامة عليه أن يتبنى سياسات تؤدي إلى تدعيم مكانتها في العديد من المجالات وتشجيعها على المشاركة السياسية بجميع صورها، ومن ذلك تبني نظام انتخابي يضمن حداً أدنى لمشاركة المرأة في المجلس التشريعي وبدعم ومساندة الأحزاب لزيادة مشاركتها في عضوية البرلمان⁽²⁾.

وقد انتصر الدستور المصري لأول مرة لحق المرأة في المواطنة الكاملة في دستور 2014 بعد تهيمشها في الدستور السابق، حيث نص الدستور صراحة على المساواة بين الرجل والمرأة في كل الحقوق سواء كانت الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وضمان تمثيل المرأة تمثيلاً مناسباً في المجالس النيابية، وكفالة حق المرأة في تولي المناصب العليا في الدولة⁽³⁾.

وقد يثار إقرار الدستور لمبدأ المواطنة إشكالية مهمة تتلخص في وجه التعارض بين ما تفرضه المواطنة من المساواة بين المواطنين دون تمييز بسبب الأصل أو الجنس أو الدين وبين ما يقره بين

(1) د. مصطفى السيد وآخرون، تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة، تحرير: سلوى شعراوي، مركز دراسات واستشارات الإدارة العامة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2000، ص 11.

(2) د. أحسان، المرأة لائقه الاثنية، رسالة د. راه غ م رة، لة الاقق جامعة حلان، 2012، ص 145، 146.

(3) م. العاتي وآخرون، المرأة وحقوقها في مصر، الدراسات العامة، م. الأث العي للدراسات، القاهرة، 2014، ص 91.

نصوص قانون الانتخابات من تمييز لصالح بعض الفئات وخاصة بالنسبة للمرأة والمسيحيين، حيث أن القانون قد أرسى مبدأ هاما مفاده وضع حد أدنى للتمثيل النيابي للمرأة كنوع من تعزيز هذا التمثيل المحدود بما لا يتجاوز 20% على أفضل تقدير، وتطور بذور التعارض بين هذا النص وبين مبدأ المواطنة في ضوء ما أثير من جانب بعض الآراء بأن إجازة أو وضع حد أدنى للتمثيل النيابي للمرأة يعني تمييزا لها على حساب الرجل، وهو ما يجسد مخالفة واضحة لمبدأي المساواة والمواطنة لدي بعض وجهات النظر، وبخاصة أن تجربة تخصيص المقاعد النيابية للمرأة (الكوتا) ماثلة في الأذهان لدى العديد من الأنظمة العربية⁽¹⁾.

ويرى بعض الفقهاء أن هذا القول يثير خلافاً شكلياً وليس موضوعياً، حيث أن تخصيص مقاعد برلمانية للمرأة بمفردها هو تمييز ايجابي لصالحها، لذا فإن المعالجة الموضوعية للأمر يمكن أن تطرح من خلال معالجة تشريعية تستند إلى ظهير دستوري يقر بإمكانية ضمان حد أدنى لتمثيل المرأة من حيث المبدأ، ويتيح الأخذ بنظام انتخابي يسمح بدور أكثر وضوحاً للمرأة على صعيد التمثيل النيابي، أو يفعل الدور الحزبي في مجال دعم ترشيحاتها النسائية في الانتخابات البرلمانية⁽²⁾.

المطلب الرابع: الشرعية الدستورية لنظام الكوتا

يمكن تحقيق وضمان الشرعية الدستورية لنظام "الكوتا" للمرأة الفلسطينية في المجلس التشريعي من خلال الفقرة الأولى من المادة (48) من القانون الأساسي المعدل لسنة 2005 والتي تنص على أنه "ينتخب أعضاء المجلس التشريعي انتخاباً عاماً حراً ومباشراً وفقاً لأحكام قانون الانتخابات، ويحدد القانون عدد الأعضاء والدوائر والنظام الانتخابي". وهنا سلطة المشرع تقديرية في هذا الشأن وليست مقيدة، كما أن المشرع يملك سلطة تقديرية واسعة في مجال تنظيم الحقوق وتحديد مجال الحريات التي تقبل تحديد الأطر والضبط، بشرط ألا تنفصل تلك النصوص التي يقوم بوضعها عن الأغراض المخصصة لها وأن تكون مستندة إلى أسس موضوعية لا تحكيمية⁽³⁾.

وقد قضت المحكمة الدستورية العليا المصرية "إن الأصل في سلطة المشرع أنها سلطة تقديرية ما لم يقيد الدستور ممارستها بضوابط تحد من إطلاقها، وتكون تخوماً لها لا يجوز اقتحام آفاقها أو

(1) د.م. أحمد العال، دور المدعي الانتخابي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2006، ص 207 وما بعدها.

(2) د.م. أحمد العال، مبادئ الإصلاح الدستوري، دار النهضة العربية، القاهرة، 2007، ص 227.

(3) د.ع.ع. العال، القاء الأسس وحماية الآليات الأساسية في القانون الانتخابي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2001، ص 360.

بالرغم من إقرار الدساتير والقوانين مبدأ المساواة بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات دون التمييز للون أو جنس أو دين، وهو الأمر الذي منح المرأة حقوقاً اجتماعية واقتصادية متكافئة مع الرجل، إلا أنها لم تحصل سياسياً على تمثيل تعكس من خلاله ثقلها النسبي في التعداد السكاني؛ فهي غير ممثلة بما يكفي في المناصب العليا للأحزاب السياسية، نظراً لأنه من شأن القوالب النمطية الاجتماعية والثقافية السلبية السائدة فيما يتعلق بمشاركة النساء في الشؤون السياسية وللتمييز ضد النساء في الأسرة والمجتمع، بما يشمل تقييد حرية تنقلهن وتجمعهن وتكوينهن لجمعيات، أن تمنع النساء من ممارسة حقهن في التصويت وفي الترشح للمناصب العامة وفي المشاركة بنشاط في الحياة السياسية والعامة، كما أن العوامل المؤسسية تساهم في سوء تمثيل المرأة في الحياة السياسية والعامة على جميع المستويات، من المحلي إلى الدولي، فعلى سبيل المثال، يظل تعيين النساء في مناصب رفيعة في الحكومة أو النقابات أو الجمعيات أمراً نادراً، ولا تسمي الأحزاب السياسية في الغالب مرشحات لمواقع صنع القرار في كافة المجالات وهو ما يحرمهن من فرص انتخابية سانحة، ويعادل المتوسط العالمي لعدد النساء في البرلمانات الوطنية 21 %، بينما يقل عدد النساء رئيسات الدول أو الحكومات عن ذلك، ولا تمثل النساء سوى 27 % من القضاة في العالم⁽¹⁾.

ونلاحظ أنه بالرغم من ضعف مشاركة المرأة سياسياً، إلا أن تركيزها على القضية الاجتماعية والتكيف مع قسوة الظروف التي يعيشها المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال، هذا التكيف يعني بدرجة أساسية ابداع وسائل مقاومة الاحتلال والصمود أمام محاولات التذويب وانهاء الوجود، ويأتي في سياق دعم القضية الوطنية، فتحرير الأرض وإقامة الدولة المستقلة يجب أن يترافق مع مواطنين ومواطنات قادرين اجتماعياً وممكنات بشكل كافي للمشاركة بشكل فعال في إبراز الأجندة الوطنية والتحرير وبناء الدولة، وهذا ساهم في بلورة مفهوم جديد وغير تقليدي للمواطنة الفلسطينية، والذي يمكن تسميته المواطنة المقاومة "من خلال تبني الأجندة الاجتماعية وتبني مفهوم تحرري جديد للإنسان، لا يشمل التحرر السياسي فقط وإنما التحرر الاجتماعي أيضاً.

وعليه يرى الباحث أنه تكمن أهمية الكوتا كمفهوم وكعملية في واقع مجتمعي كفلسطين حديث العهد بالديمقراطية، حيث لا تزال الثقافة التقليدية السائدة تخلق في وعي الأفراد ممانعة مشاركة المرأة في العمل السياسي عامة وتواجدها في مراكز صنع القرار خاصة، لذا فالكوتا كونها آلية فاعلة تهدف

(1) الاقبال لفضة الأمال لامة لقق الإذنان، العام الذي تعق الأارة لاسة على قم الاواة بالاع وال لازم اتاذها للاغل على هذه الات، مل حقق الإذنان، الاورة 27، 2014، ص 14-17.

إلى تحسين أوضاع المرأة سياسياً استجابة للاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة (سيداو) التي صادقت عليها فلسطين بإبراز وجود المرأة في مختلف المؤسسات القيادية في الدولة، كما تساعد الكوتا إلى حد كبير في التخلص من جميع أشكال التمييز ضد النساء وتدعيم تمكين المرأة من المشاركة السياسية، ولذلك فإن الجهات الرسمية مدعوه إلى العمل على تطبيق التمييز الإيجابي الذي تضمنته الاتفاقيات الدولية التي تدعو جميع الدول الأطراف في الاتفاقية والمصادقة عليها بإيصال المرأة إلى مواقع القرار بنسبة لا تقل عن 30%.

الخاتمة:

بعد انتهاء الباحث من استعراض فعالية المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية في ضوء تطبيق الكوتا، يمكن القول بأن وجود الكوتا النسائية في قانون الانتخاب الفلسطيني وتعديلاته قد ساهم وأثر بشكل إيجابي على زيادة تمثيل المرأة الفلسطينية في المجلس التشريعي والهيئات المحلية في ظل الظروف والتحديات التي تواجه المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية.

هذا وقد توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج والتوصيات على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

1. القانون الأساسي الفلسطيني لم ينص صراحة على نظام الكوتا النسائية أسوة بمعظم الدساتير المعاصرة، بالرغم من إقرارها في قانون الانتخابات الفلسطيني.
2. إن ضمان الحد الأدنى للتمثيل النيابي للمرأة لا يستهدف بالضرورة المساس بمبدأ المواطنة، بل هو يدعم هذا المبدأ، ويتفق مع القواعد والمعايير الدولية، فهو ينسجم مع الاتفاقية الدولية لإزالة جميع أنواع التمييز ضد المرأة "سيداو" لتعزيز مشاركة المرأة في الحياة السياسية وصنع القرارات.
3. اعتمد قانون الانتخابات الفلسطيني الحالي نظام التمثيل النسبي مع التأكيد على التزام القوائم والأحزاب بالكوتا النسائية في قوائمها الانتخابية، مما خلق للمرأة الفرصة للتواجد في الساحة الفلسطينية ومراكز صنع القرار.
4. افتقر مشروع قانون الأحزاب السياسية الفلسطيني على إلزام الأحزاب والقوى السياسية على إشراك المرأة في هيكلها التنظيمية ومواقع القيادة.

ثانياً: التوصيات:

1. نوصي المشرع الفلسطيني بالنص صراحة في مواد الدستور على تبني نظام الكوتا وبنسبة لا تقل عن 30% من عدد أعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني والهيئات المحلية.
2. الحفاظ على اعتماد نظام التمثيل النسبي الكامل في قانون الانتخابات الفلسطيني مما شكل ضمانة حقيقية لوصول النساء إلى المجلس التشريعي الفلسطيني ومراكز صنع القرار.
3. ضرورة النص صراحة في قانون الأحزاب السياسية الفلسطيني على إلزام الأحزاب والقوى السياسية على إشراك المرأة في هيكلها التنظيمية ومواقع القيادة بنسبة لا تقل عن 30% لتعزيز مشاركتها السياسية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المؤلفات العامة:

- أحمد فتحي سرور، الحماية الدستورية للحقوق والحريات، ط2، القاهرة: دار الشروق، 2000م.
- أميرة المعاييرجي، تمثيل المرأة في المجالس النيابية دراسة مقارنة، القاهرة: دار النهضة العربية، 2010م.
- حمدان الغفلي، المشاركة السياسية للمرأة في دولة الإمارات العربية المتحدة، ط1، القاهرة: دار النهضة العربية، 2011م.
- سريدة عبد حسين، الحقوق السياسية والعامة للمرأة الفلسطينية، تقرير حول وضع المرأة الفلسطينية بالاستناد إلى اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي، القدس، 2001م.
- سيف أبو ضيف أحمد، ثقافة المشاركة – دراسة في التنمية السياسية، القاهرة: دار النهضة العربية، 2007م.
- صالح الخوالدة، مشاركة المرأة الأردنية في الحياة السياسية 1921 – 2007، الأردن، عمان: دار الخليج للصحافة والنشر، 2017م.
- عبد الحفيظ الشيمي، القضاء الدستوري وحماية الحريات الأساسية في القانون المصري والفرنسي، القاهرة: دار النهضة العربية، 2001م.
- عبد الهادي والي، التنمية الاجتماعية، الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية، 1988م.

- محمد أحمد عبد النعيم، مبدأ المواطنة والإصلاح الدستوري، القاهرة: دار النهضة العربية، 2007م.
- محمد أحمد عبد النعيم، مدى دور المشرع في دعم التمثيل النيابي للمرأة، القاهرة: دار النهضة العربية، 2006م.
- مصطفى السيد وآخرون، تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة، تحرير: سلوى شعراوي، مركز دراسات واستشارات الإدارة العامة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2000م.
- مجدي محمود حافظ، دار محمود للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م، حكم المحكمة الدستورية العليا المصرية، طعن رقم 8 سنة 17، 1996/5/18، موسوعة أحكام المحكمة الدستورية العليا، ج3.
- محمد العجاتي وآخرون، المواطنة وحقوق النساء في مصر بعد الثورات العربية، القاهرة: منتدي البدائل العربي للدراسات، 2014م.

ثانياً: الرسائل العلمية:

- أحمد اسماعيل، الحماية الجنائية لحقوق المواطنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الحقوق جامعة حلوان، 2012م.
- أسامة عرفات أمين، حقوق المرأة في المواثيق الدولية، دراسة مقارنة بأحكام الشريعة الإسلامية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة أسيوط، 2003م.
- منى رمضان بطيخ، المشاركة السياسية للمرأة في النظم السياسية والدستورية المصرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الحقوق جامعة عين شمس، القاهرة، 2009م.
- نجاة أبو بكر، دور المرأة الفلسطينية في الحياة السياسية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2007م.

ثالثاً: البحوث والدوريات والتقارير:

- تقرير الانتخابات العامة 1996، لجنة الانتخابات المركزية، فلسطين، 2002م.

- التقرير السنوي لمفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، العوامل التي تعوق المشاركة السياسية على قدم المساواة بين الجميع والخطوات اللازم اتخاذها للتغلب على هذه التحديات، مجلس حقوق الإنسان، الدورة 27، 2014م.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، المرأة والرجل في فلسطين، قضايا واحصاءات، رام الله، 2013م.
- هاني عبد الكريم أخو إرشيدة، أثر الكوتا النسائية على مشاركة المرأة الأردنية في قانون البلديات لعام 2007، بلدية رحاب الجديدة، دراسة حالة، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، المجلد 16 عدد 3، الاردن، 2010م.
- ريما كتانه، المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية، مجلة تسامح، العدد (5) السنة الثانية، 2004، مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، رام الله.
- ورقة حقائق مشاركة النساء في انتخابات مجالس الهيئات المحلية 2012 – 2013، وزارة الحكم المحلي الفلسطيني، رام الله.

رابعاً: المواثيق والاتفاقيات الدولية:

- الاتفاقية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة لسنة 1952م.
- اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لسنة 1979م.
- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948م.
- إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام.
- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لسنة 1966م.
- الميثاق الإفريقي حول حقوق الإنسان والشعوب لسنة 1982م.

خامساً: الدساتير والتشريعات:

- القانون الأساسي الفلسطيني المعدل لسنة 2003م.
- قانون الانتخابات الفلسطيني رقم 13 لسنة 1995م.
- قانون رقم 9 لسنة 2005 بشأن الانتخابات الفلسطينية .
- مسودة دستور دولة فلسطين، النسخة الثالثة لسنة 2003م.
- مشروع قانون الأحزاب السياسية الفلسطيني لعام 1998م.

اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدام تقنيات التكنولوجيا

الحديثة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي "دراسة ميدانية"

Attitudes of Palestinian Journalists Towards the Use of Modern Technology Techniques in the Verification of Information's Through Digital Media "A Field Study"

إعداد الباحث: فارس سلمان عبد المنعم أبو شيحة؛ صحفي فلسطيني حاصل على درجة
الماجستير في الصحافة والإعلام

prepared by: **Fares Salman abed almonem abo shiha**: Palestinian
journalist with master's degree in journalism and information

Fares000050@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدام تقنيات التكنولوجيا الحديثة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي، بالإضافة إلى الوقوف على مدى التزام الصحفيين الفلسطينيين بتلك التقنيات الحديثة في إطار التحقق من المعلومات التي يتم الحصول عليها من الإعلام الرقمي، وتتنمي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية التي استخدم فيها منهج المسح الإعلامي، وفي إطاره تم توظيف أسلوب مسح أساليب الممارسة الإعلامية، واعتمد الدراسة على نظرية القائم بالاتصال، وتم جمع بيانات الدراسة باستخدام أداتي استمارة صحيفة الاستقصاء والمقابلة المعمقة مع عينة متاحة من المتخصصين في مجال التحقق من المعلومات ومواقع التواصل الاجتماعي، وقام الباحث بتوزيع عينة صحيفة الاستقصاء على عينة عشوائية بسيطة قوامها (253) مفردة، من الصحفيين الفلسطينيين الممارسين للمهنة والمقيمين في محافظات قطاع غزة، خلال المدة الزمنية ما بين 2021/7/13م حتى تاريخ 2021/8/10م.

وقد بينت نتائج الدراسة أن درجة استخدام الصحفيين الفلسطينيين لتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي متوسطة في المرتبة الأولى بنسبة 34.9%، كما واحتلت الأخبار المرتبة الأولى كأكثر المجالات المستخدمة من قبل الصحفيين الفلسطينيين في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء العمل الصحفي بنسبة 89.4%، وتمثلت أهم الدوافع وراء استخدام الصحفيين لتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي هو اكتساب الخبرة بنسبة 89.4% في المرتبة الأولى.

وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها: التزام الصحفيين بتقنيات التحقق من المعلومات واستخدامها بالقدر الكافي في العمل الصحفي، بما يساهم في نشر المعلومات الدقيقة والسليمة عبر وسائل الإعلام المختلفة، والعمل على تطوير مجال تقنيات التحقق من المعلومات في الإعلام الفلسطيني من خلال تطوير الكفاءات من الصحفيين الفلسطينيين.

كلمات المفتاحية: التحقق من المعلومات، الإعلام الرقمي، التكنولوجيا الحديثة، الصحفيين الفلسطينيين.

Abstract:

This study aims at identifying the attitudes of Palestinian journalists towards using modern technology techniques to verify information through digital media, and, and the extent to which Palestinian journalists conform to these modern technologies to verify information obtained from digital media. This study is a descriptive research in which the media survey method was used, and in its framework the method of surveying media practices method was employed. The study depended on three theories which are: media reliance, prioritization and the mass communicator. Data were collected by a questionnaire and in-depth interview with a sample available specialists in questionnaire sample to random sample of (253) individuals of the practicing Palestinian journalists residing in the governorates of the Gaza Strip, during the time period between 13/7/2021AD until 10/ 8/2021 AD.

The most important findings of the study, The degree to which Palestinian journalists' use the techniques of information verification in journalistic work ranked first with a percentage of 34.9%, and News ranked first as the most used field by Palestinian journalists in verifying information through digital media during journalistic work, with a percentage of 89.4%, and The most important motives behind journalists' use of information verification techniques in journalistic work is to gain experience which had a percentage of 89.4% in the first place.

The most important recommendations of the study: Journalists' should conform to information verification techniques adequately in journalistic work, which contributes to the dissemination of accurate and sound information through various media, Working on developing the field of information verification techniques in the Palestinian media through developing the competencies of Palestinian journalists.

Key words: verify information, digital media, modern technology, Palestinian journalists.

الإطار المنهجي للدراسة

المقدمة:

شهد العالم مع أواخر القرن الماضي نقلة نوعية كبيرة ومذهلة في تقنيات التكنولوجيا الحديثة والتي أصبح من خلالها نقل المعلومات يتم بسرعة وبسهولة، عبر تلك التقنيات المزودة بشبكة الإنترنت العنكبوتية دون اعتبار لعامل الزمان أو المكان، وقد أطلق عليها الخبراء والمتخصصين بالعديد من المفاهيم والمسميات التي نسبت إليها نظراً لما أحدثته من تغيير جذري في حياتنا اليوم.

ومما لا شك فيه أن هذا التطور الكبير وظهور العديد من التقنيات التكنولوجية الحديثة التي انعكست على وسائل الإعلام من خلال نقل المعلومات والتفاعل بسرعة، لكن في ذات الوقت أصبحت البيئة الخصبة في نشر الأخبار المضللة أو الزائفة عبر تلك التقنيات بشكل كبير مما شكل تحدياً أمام الصحفيين الذي اتخذوا من وسائل الإعلام الرقمي بمنصاتها المختلفة مصدراً مساعداً لهم، في نشر أخبارهم عبر وسائل الإعلام الرسمية.

ويتجاوز التضليل ونشر المعلومات المغلوطة في أثره على سمعة الصحفيين وسلامتهم وكذلك سلامة مؤسساتهم الإعلامية التي ينتمون لها، وصولاً إلى حد التشكيك في غاياتهم وفعاليتهم، وتعمل على استمرار تدهور الصحافة على حساب الخطاب المدني، لأن تحسين المعايير والأهمية الاجتماعية يصب في مصلحة جميع الصحفيين ومستقبلهم والمجتمع ككل⁽¹⁾.

ومن هنا تمكن أهمية التحقق من المعلومات المنشورة عبر الإعلام الرقمي كونه أصلاً مهنيًا من أصول الصحافة، وقيمة أخلاقية للعمل الإعلامي من اتخاذ قرار النشر أو الاعتماد على تقنيات التحقق من المعلومات المتوفرة لإنجاز التقارير والقصص الإخبارية، ومن خلاله يتم تفادي الوقوع في شرك الأخطاء والإشاعات والتضليل⁽²⁾.

(1) الصحافة والأخبار الزائفة والمضللة، سلسلة اليونسكو لتدريس الصحافة، (ص20).

(2) عبد الحق، أحمد، التحقق في الإعلام الجديد، مركز الإعلام والتطوير، جامعة بيرزيت، (ص6).

ولقد جاءت هذه الدراسة للتعرف على اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدامهم لتقنيات التكنولوجيا الحديثة المستخدمة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي والمجالات الأكثر استخداماً، وكذلك معرفة أهم قضايا التحقق من المعلومات ودرجة الاهتمام والاتجاه نحو التحقق ومدى الالتزام بها ومعرفة درجة فعاليتها أثناء استخدامها في العمل الصحفي.

مشكلة الدراسة:

تتبلور مشكلة الدراسة في التعرف على اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدام تقنيات التحقق من المعلومات المنشورة عبر الإعلام الرقمي في إطار عملهم الصحفي، وذلك من خلال الكشف على التقنيات والأدوات المستخدمة من قبل الصحفيين، ومعرفة أهم قضايا التحقق ودرجة الاهتمام والاتجاه نحو التحقق من قبل الصحفيين.

والتعرف على درجة أولوياتهم واهتماماتهم في تفضيل تقنيات عن أخرى داخل العمل الصحفي، ومدى ثقة الصحفيين بتلك التقنيات وحجم الاستفادة منها، إلى جانب المشاكل التي يتعرضون لها أثناء استخدامها مع طرح الحلول والمقترحات من أجل علاجها والحد منها.

تساؤلات الدراسة:

تتمحور الدراسة العلمية في سؤال رئيسي، ما اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدام تقنيات التكنولوجيا الحديثة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي؟ ويتفرع عن هذا السؤال مجموعة من الأسئلة الفرعية وهي:

1. ما اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدامهم لتقنيات التكنولوجيا الحديثة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي وأبرزها؟
2. ما دوافع وأبرز مواقع استخدام الصحفيين الفلسطينيين لمواقع التواصل الاجتماعي وتقنيات
3. ما مدى درجة التزام الصحفيين الفلسطينيين بتلك التقنيات الحديثة وفعاليتها في التحقق من المعلومات المنشورة عبر الإعلام الرقمي؟
4. ما طبيعية المجالات الأكثر استخداماً من قبل الصحفيين الفلسطينيين، لتقنيات التكنولوجيا الحديثة في التحقق من مصداقية المعلومات التي يتم تداولها عبر الإعلام الرقمي؟
5. ما هو موقف الصحفيين الفلسطينيين من تقنيات التحقق من المعلومات في الإعلام الرقمي في العمل الصحفي؟

6. ما طبيعة العوامل المؤثرة في استخدام الصحفيين للتقنيات الحديثة في التحقق من المعلومات والتأثيرات الناتجة عنها في العمل الصحفي؟
7. ما درجة ترتيب الأولويات المتبعة لدى الصحفيين في استخدامهم للتقنيات الحديثة في التحقق من مصداقية المعلومات التي يتم الحصول عليها عبر الإعلام الرقمي؟
8. ما المشكلات التي تواجه الصحفيين الفلسطينيين في التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات والمقترحات في كيفية التعامل معها أثناء عملهم الصحفي؟

أهداف الدراسة:

- يتمثل الهدف الرئيسي للدراسة في التعرف على " اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدام تقنيات التكنولوجيا الحديثة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي"، وذلك في إطار توضيح الأهداف الفرعية التي جاءت على النحو الآتي:
1. التعرف على اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدامهم لتقنيات التكنولوجيا الحديثة في التحقق من المعلومات المنشورة عبر الإعلام الرقمي.
 2. التعرف على دوافع الصحفيين الفلسطينيين نحو مواقع التواصل الاجتماعي وتقنيات التحقق من المعلومات.
 3. التعرف على المجالات الأكثر استخداماً من قبل الصحفيين الفلسطينيين، وأنواع التقنيات التكنولوجية الحديثة والأدوات المستخدمة في التحقق من مصداقية المعلومات المنشورة عبر وسائل الإعلام الرقمي.
 4. الوقوف على درجة التزام الصحفيين الفلسطينيين بتلك التقنيات الحديثة وفعاليتها، في إطار التحقق من المعلومات التي يتم الحصول عليها من الإعلام الرقمي وأبرزها.
 5. التعرف على موقف الصحفيين الفلسطينيين وأولوياتهم وراء استخدامهم لتقنيات التحقق من المعلومات في الإعلام الرقمي في العمل الصحفي.
 6. التعرف على العوامل المؤثرة في استخدام الصحفيين للتقنيات الحديثة في التحقق من المعلومات والتأثيرات الناتجة عنها.
 7. التعرف على المشكلات والصعوبات التي يواجهها الصحفيون الفلسطينيون في التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات أثناء عملهم الصحفي ومقترحاتهم للحد منها.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في الأمور الآتية:

1. معرفة اتجاهات الصحفيين نحو استخدامهم لتقنيات التحقق من المعلومات في إطار عملهم الصحفي.
2. أهمية التحقق من المعلومات في ظل الكم الهائل المتدفق عبر الإعلام الرقمي والاعتماد عليه كمصدر دون التدقيق وفق الضوابط التي تحكم العمل الصحفي.
3. مدى مساهمة تقنيات التحقق من المعلومات في نجاح دور العمل الصحفي في نشر الأخبار والمعلومات السليمة القائمة على الدقة، وانعكاس ذلك على الجمهور المتلقي لتلك المعلومات.

أهم الدراسات السابقة:

في ضوء ما تم الاطلاع عليه من الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، حيث سيتم عرضها تحت محور دراسات التحقق من المعلومات على النحو الآتي:

1. دراسة العيسوي (2021): استخدامات الصحفيين للتقنيات الرقمية في صناعة المحتوى الإخبارية⁽¹⁾

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على استخدامات الصحفيين الفلسطينيين للتقنيات الرقمية في صناعة المحتوى الإخباري، والتعرف على دوافع الاستخدامات والإشباع المتحققة منها، والكشف عن أشكال الأدوات التكنولوجية المستخدمة في صناعة المحتوى الإخباري، وكذلك أنواع المضامين التي يستخدم بها القائم بالاتصال التقنيات الرقمية.

وتقع الدراسة ضمن البحوث الوصفية التي استخدمت منهج الدراسات المسحية، وفي إطاره تم استخدام أسلوب مسح أساليب الممارسة الإعلامية، وتم جمع بيانات الدراسة من خلال أداة صحيفة الاستقصاء وأداة المقابلة المعمقة لعينة متاحة من 10 خبراء ومختصين في موضوع الدراسة.

وتم اختيار عينة الدراسة بطريقة أسلوب العينة العشوائية البسيطة من الصحفيين العاملين في المؤسسات الإعلامية في قطاع غزة بلغ حجمها (252) مفردة، واستندت الدراسة على نظرية الاستخدامات والإشباع والقائم بالاتصال، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها، جاء

(1) العيسوي، إبراهيم (2021م). استخدامات الصحفيين الفلسطينيين للتقنيات الرقمية في صناعة المحتوى

الإخباري: دراسة مسحية على القائم بالاتصال (رسالة ماجستير منشورة). الجامعة الإسلامية، غزة.

استخدام التقنيات الرقمية في صناعة المحتوى الإخباري بشكل دائم نسبة 69%، بينما أحياناً 28.6%، ونادراً ما يستخدمون ذلك نسبة 2.4%، وبلغ الوزن النسبي للإشباع المتحققة من استخدام التقنيات الرقمية في صناعة المحتوى الإخباري 83.9%، واحتلت فقرة "سهولة متابعة الأخبار" في الترتيب الأول من حيث الأهمية، وكذلك لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($a \geq 0.05$) في متوسطات إجابات المبحوثين حول دوافع استخدام التقنيات الرقمية في صناعة المحتوى تعزى لسنوات الخبرة.

1.1 دراسة عبد الغني (2020): توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في التحقق من الأخبار الزائفة موقع الفيسبوك نموذجاً⁽¹⁾

تهدف هذه الدراسة التعرف على الكيفية التي يتم بها توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في التحقق من الأخبار الزائفة وذلك من عبر تحليل عينة لأصناف مواقع التواصل عبر موقع الفيس بوك التي تعنى بالتحقق من الأخبار الزائفة.

وتقع الدراسة ضمن البحوث الوصفية التي استخدمت منهج التحليل النوعي، وفي إطاره تم استخدام أسلوب البحث الانثوغرافي لوثائق الدراسة، وتم جمع بيانات الدراسة من خلال أداة استمارة تحليل المضمون والملاحظة.

وتم اختيار عينة الدراسة بطريقة العينة العشوائية المنتظمة وفي إطاره تم استخدام أسلوب الأسبوع الصناعي من صفحات التحقق الزائفة على مواقع التواصل الاجتماعي وهي: صفحة "أكيد"، و صفحة مرصد مصداقية الإعلام الأردني، و صفحة "مصدقش"، خلال الفترة الزمنية التي امتدت من 2019-1-1 إلى 2019-1-31، بلغ حجمها (54) مفردة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها، تصدرت الأخبار الكاذبة اهتمام صفحات التحقق من الأخبار الزائفة عبر موقع الفيسبوك، كما وتنوع موضوعات الأخبار الزائفة التي تم التحقق منها ونطاقها الجغرافي في صفحات التحقق من الأخبار الزائفة، وتتباين صفحات التحقق من الأخبار الزائفة في آليات التحقق وأنواع الروابط المستخدمة مع المنشورات ذات الصلة.

(1) عبد الغني، مي. (2020م). توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في التحقق من الأخبار الزائفة: موقع الفيسبوك نموذجاً. دراسة تحليلية مقارنة. ورقة علمية منشورة. مجلة البحوث والدراسات الإعلامية، (12)، ص10.

2.دراسة بهنسي (2019): آليات مستخدمي الشبكات الاجتماعية في التحقق من الأخبار الزائفة، ورقة علمية منشورة. المجلة المصرية لبحوث الإعلام (1):

تهدف هذه الدراسة التعرف إلى تحديد الدور الذي يقوم به مستخدمو الشبكات الاجتماعية في مواجهة الأخبار الزائفة، وبحث العلاقة بين القدرة على كشف الأخبار الزائفة ووجود مهارات التربية الرقمية لدى المستخدمين بوصفها المدخل الأساسي للوعي الإعلامي لدى الجمهور.

وتقع الدراسة ضمن البحوث الوصفية التي استخدمت منهج الدراسات المسحية، وفي إطاره تم استخدام مسح جمهور وسائل الإعلام، وتم جمع بيانات الدراسة من خلال أداة صحيفة الاستقصاء.

وتم اختيار عينة الدراسة بطريقة أسلوب العينة الحصصية من طلاب الجامعات المصرية الحكومية (القاهرة، عين شمس)، والجامعات المصرية الخاصة (الجامعة الحديثة للتكنولوجيا والمعلومات، الكلية الكندية الدولية)، أجريت في شهر إبريل عام 2019م، بحجم (400) مفردة، واستندت على نموذج أدوار الجمهور في التحقق ومدخل التربية الرقمية، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها، عدم وجود تأثير لمهارات إنتاج المحتوى على قدرة المبحوثين في التحقق من الأخبار الزائفة، ويرتبط الاهتمام السياسي لدى الفرد طردياً بزيادة قدرته على التحقق من الأخبار اعتماداً على المصادر الشخصية أو وسائل الإعلام، وكذلك هناك درجة كبيرة من الوعي بموضوع الأخبار الزائفة لدى عينة الدراسة.

3.دراسة أبو داري (2018): تحقق غرف الأخبار التلفزيونية من المعلومات المتدفقة من مواقع التواصل الاجتماعي قبل بثها الجزيرة أنموذجاً(2):

تهدف هذه الدراسة التعرف إلى مناقشة الإشكاليات التي تواجه الإعلاميين في غرف الأخبار التلفزيونية في التعامل مع المعلومات المتدفقة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة للتعرف إلى التحديات المفروضة عليهم للتحقق مما تبثه هذه المواقع من ملايين الصور والأخبار. وتقع الدراسة ضمن البحوث الوصفية التي استخدمت منهج الدراسات المسحية، وفي إطاره تم استخدام أسلوب مسح أساليب الممارسة الإعلامية، وتم جمع بيانات الدراسة من خلال أداة صحيفة الاستقصاء.

(1) بهنسي، مها السيد (2019م). آليات مستخدمي الشبكات الاجتماعية في التحقق من الأخبار الزائفة، ورقة علمية منشورة. المجلة المصرية لبحوث الإعلام، (68)، ص(565-614).

(2) أبو داري، معتصم (2018م). تحقق غرف الأخبار التلفزيونية من المعلومات المتدفقة من مواقع التواصل الاجتماعي قبل بثها الجزيرة أنموذجاً: دراسة حالة (رسالة ماجستير منشورة). جامعة الشرق الأوسط، الأردن.

وتم اختيار عينة الدراسة بطريقة أسلوب العينة العشوائية البسيطة من الصحفيين العاملين في قناة الجزيرة القطرية بحجم (123) مفردة، واستندت الدراسة على نظرية القائم بالاتصال، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها، أن مواقع التواصل الاجتماعي فرضت نفسها بشدة على غرف الأخبار التقليدية كمصدر للمعلومات والصور، لكنها في نفس الوقت مصدر غير موثوق لدى الصحفيين والمنتجين مما سبب لهم مشاكل مهنية وقلقاً وازعاجاً، واتخذت غرفة الأخبار في قناة الجزيرة التدابير الصحيحة لتجنب الوقوع في أخطاء جديدة بسبب مواقع التواصل الاجتماعي، بعد وقوعها في أخطاء سابقة، وكذلك ضرورة وجود آلية للتحقق من الصور والأخبار المتدفقة من مواقع التواصل الاجتماعي.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة، استفادة الباحث في العديد من الأمور منها:

1. ساعدت الدراسات السابقة من خلال الاطلاع عليها في تحديد نوع الدراسة والمنهج المستخدم وكذلك الأدوات البحثية التي اعتمدت عليها.
2. استفاد الباحث من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة في تحديد النظريات التي تتناسب مع الدراسة، وكذلك صياغة مشكلة الدراسة بشكل دقيق.
3. ساعدت الدراسات السابقة في وضع تصور عام للدراسة من خلال تحديد أهم الأبعاد التي يمكن التركيز عليها في تناول المشكلة البحثية وكذلك في مناقشة نتائج الدراسة.
4. اختلفت الدراسة مع الدراسات السابقة حيث أنها تتناول اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدام تقنيات التكنولوجيا الحديثة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي، بينما الدراسات السابقة تناولت الطرق والتوظيف للتحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي من زوايا مختلفة.

الإطار النظري للدراسة:

تم توظيف العديد من النظريات في إطار التعرف على اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدامهم لتقنيات التكنولوجيا الحديثة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي:

1. نظرية القائم بالاتصال (حارس البوابة):

يمثل القائم بالاتصال وحدة التحليل الأصغر في الإجابة على الأسئلة الخاصة بمسئولية إنتاج الرسائل الإعلامية، كما أنه يعتبر أحد المفاهيم الخاصة بالعلاقات التنظيمية داخل المؤسسات الإعلامية، في إطار تشكيل الرسائل الإعلامية مهما اختلفت الأدوار أو المواقع⁽¹⁾.

وتتميز هذه النظرية بتفرده بدراسة المؤسسات الإعلامية كوحدات قائمة على نظام معقد للسلطة والنفوذ والمراكز، فحينما ندرس ما يحدث داخل المؤسسة الإعلامية كالجريدة أو التلفزيون نشعر بالدهشة من مدى تعقد وتشابك أعمالها. ففي داخل تلك المؤسسات الإعلامية تتخذ يوماً بل وفي كل دقيقة، قرارات هامة وخطيرة⁽²⁾.

العوامل المؤثرة على القائم بالاتصال:

يمكن تحديد القوى أو العلاقات التي يتأثر بها القائم بالاتصال على النحو الآتي:⁽³⁾

أ. خصائص القائم بالاتصال والإحساس بالذات.

ب. الانتماءات والجماعات المرجعية.

ت. الضغوط المهنية وعلاقات العمل.

ث. العلاقات بمصادر الأنباء والمعلومات.

ج. تأثير السياسات الخارجية الداخلية.

ح. التوقعات الخاصة بجمهور المتلقين.

⁽¹⁾ عبد الحميد، محمد. (2004م). نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. ط2. القاهرة: عالم الكتب للتوزيع والنشر، (ص153).

⁽²⁾ خير الله، هشام. (2020م). محاضرات في نظريات الإعلام. جامعة المنوفية، مصر، ص86.

⁽³⁾ عبد الحميد، مرجع سابق (ص154).

2. نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام:

تعتمد فكرة هذه النظرية على أن استخدامنا لوسائل الإعلام لا يتم بمعزل عن تأثير المجتمع الذي نعيش بداخله، على أن قدرة وسائل الإعلام على التأثير تزداد عندما تقوم هذه الوسائل بوظيفة نقل المعلومات بشكل مميز ومكثف.⁽¹⁾

ويعتبر هذا المنظور وهو اعتماد الفرد على وسائل الإعلام جزءاً من نظرية الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام والنظم الاجتماعية، والذي يشكل بدوره علاقات الجمهور مع وسائل الإعلام والذي اهتم بها ميليفن ديفيلير وبول روكيتش.⁽²⁾

وتقوم نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام على ركيزتين أساسيتين وهما⁽³⁾:

أ. الأهداف: حتى يحقق الأفراد والمنظمات المختلفة أهدافهم الشخصية والاجتماعية، يجب عليهم أن يعتمدوا على موارد يسيطر عليها أشخاص أو جماعات أو منظمات أخرى والعكس صحيح.

ب. المصادر: يسعى الأفراد والمنظمات إلى المصادر المختلفة التي تحقق أهدافهم، وتعد وسائل الإعلام نظام معلومات يسعى الأفراد والمنظمات إليه لبلوغ أهدافهم، وتتحكم وسائل الإعلام في ثلاثة أنواع من المصادر وهي جمع وتنسيق ونشر المعلومات.

تأثيرات الاعتماد على وسائل الإعلام:

ويرصد ميليفن ديفيلير وبول روكيتش مجموعة من الآثار التي تنتج عن اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام من خلال ثلاثة فئات أساسية وهي⁽⁴⁾:

أولاً: الآثار المعرفية: وتتمثل في العديد من المجالات منها، الغموض ومشكلة نقص في المعلومات، وتكوين الاتجاهات نحو قضايا معينة، وترتيب الأولويات في القضايا البارزة، واتساع المعتقدات والقيم.

ثانياً: الآثار الوجدانية: وترتبط العمليات الوجدانية ببعض المصطلحات مثل: المشاعر أو العطف، وتتمثل ذلك في الفتور العاطفي أو اللامبالاة، والخوف والقلق، والدعم المعنوي والاعتزاز.

(1) المشهداني، سعد (2017م). مناهج البحث الإعلامي. ط1. العين: دار الكتاب الجامعي، (ص88).

(2) عبد الحميد، مرجع سابق، (ص298).

(3) خير الله، مرجع سابق، (ص174).

(4) صلوي، عبد الحافظ، نظريات التأثيرات الإعلامية، محاضرات في مناهج البحث الإعلامي، موقع إلكتروني،

تاريخ الاطلاع (2021/8/27)، رابط: <https://bit.ly/3zuh8Dw>

ثالثاً: الآثار السلوكية: وتنحصر الآثار السلوكية لاعتماد الفرد على وسائل الإعلام وفق ميليفن ديفيلر وبول روكيتش في سلوكين أساسيين وهما التنشيط والخمول.

فروض النظرية:

وتقوم نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام على مجموعة من الفروض وهي على النحو الآتي⁽¹⁾:

أ. تزداد إمكانية تحقيق الرسائل الإعلامية المعرفية والعاطفية والسلوكية عندما توفر النظم الإعلامية متميزة وأساسية، ويزداد التأثير بشكل في حالة عدم استقرار المجتمع بسبب الصراع والتغير.

ب. كلما كان عدد ودرجة مركزية خدمات تقديم المعلومات التي تقدمها وسيلة معينة كبيرة كان الاعتماد على تلك الوسيلة كبيراً، وكلما زادت هذه الوسيلة كمية المعلومات ودرجة أهميتها ازداد اعتماد الجمهور عليها.

ت. ترتبط كثافة علاقات الاعتماد للأفراد ايجابياً بإدراكات التهديدات البيئية والاجتماعية، حيث يزداد الاعتماد على مصادر وسائل الإعلام في أوقات الصراع والتغير الاجتماعي، وفي المجتمعات ذات النظم الإعلامية النامية يزداد الاعتماد على وسائل الإعلام عند ازدياد حالات الصراع وعدم الاستقرار.

ث. يزداد الاعتماد على وسائل الإعلام في حالة الغموض والالتباس، المتسبب من نقص المعلومات أو عدم كفايتها أو وجود الصعوبة في التفسير الصحيح للأحداث.

ج. الأفراد الذين يعتمدون على وسيلة محددة هم أكثر قدرة على استخلاص المعلومات من خلال تعرضهم للوسيلة.

الإطار المنهجي للدراسة:

مفاهيم الدراسة:

1- **الاتجاهات:** هي مجموعة المعتقدات والمشاعر والميول السلوكية التي يحملها الفرد تجاه موضوع معين⁽²⁾.

2- **الصحفيون الفلسطينيون:** هم الذين يمارسون العمل الصحفي في الأراضي الفلسطينية بالضفة الغربية وقطاع غزة والقدس المحتلة. في مختلف الوسائل الإعلامية سواء المقروءة أو المسموعة

(1) خير الله، مرجع سابق، (ص175).

(2) السلمي، علي. (2008). السلوك الإنساني في الإدارة. ط1. القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع، ص49.

أو المرئية أو الإلكترونية، ويمتلكون العضوية في نقابة الصحفيين الفلسطينيين أو المسجلين في الدوائر الحكومية الإعلامية في قطاع غزة، البالغ عددهم وفق الإحصائيات 753 صحفي وصحفية.

3- **التقنية:** وهي التطبيقات العلمية للعلم والمعرفة في جميع المجالات التي يعيشها المجتمع الحديث، أو الطرق التي يستخدمها الناس في اختراعاتهم واكتشافاتهم لتلبية حاجاتهم وإشباع رغباتهم.⁽¹⁾

4- **التحقق من المعلومات:** التأكد من صحتها، أو التيقن منها⁽²⁾.

5- **المعلومات:** هي عبارة عن الحقائق والرسائل والتي يتم استخدامها للوصول إلى حقيقة ما أو مفهوم ما، أي أنها عملية تتم من خلالها توصيل الحقائق من أجل زيادة الوعي والمعرفة⁽³⁾.

6- **الأخبار المضللة (الزائفة):** نوع من الصحافة الصفراء أو الدعاية التي تتكون من التضليل المتعمد، أو الخدع المنتشرة عبر وسائل الإعلام المطبوعة والإذاعية التقليدية، أو وسائل الاعلام الاجتماعية على الانترنت⁽⁴⁾.

7- **التكنولوجيا:** هي الاستخدام الأمثل للمعرفة العلمية وتطبيقاتها، وتطويعها لخدمة الإنسان ورفاهيته. كما أنها عملية شاملة تقوم بتطبيق العلوم والمعارف بشكل منظم في كافة الميادين، لتحقيق أغراض ذات قيمة عملية للمجتمع⁽⁵⁾.

8- **الإعلام الرقمي:** هي مجموعة الأساليب والأنشطة الرقمية الجديدة التي تمكننا من إنتاج ونشر واستهلاك المحتوى الإعلامي بمختلف أشكاله من خلال الأجهزة الإلكترونية (الوسائط) المتصلة أو الغير متصلة بالإنترنت⁽⁶⁾.

(1) حيدر، خضر (2019). مفهوم التقنية: دلالة المصطلح، ومعاينة وطرق استخدامه. ورقة بحثية منشورة. المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، (4)، ص 285-300

(2) مرصد مصداقية الإعلام الأردني، مفاهيم ومصطلحات التحقق، رابط: <https://bit.ly/3tuMaZ1>

(3) تعريف المعلومات لغًا واصطلاحًا، موقع إلكتروني، رابط: <https://bit.ly/3akIkdz>

(4) ماهي الأخبار الزائفة، مقال علمي منشور، موقع إلكتروني، رابط: <https://bit.ly/2U3jj11>

(5) لعزيمي، حمزة، تعريف ومفهوم التكنولوجيا، موسوعة المبتكر، موقع إلكتروني، رابط:

<https://bit.ly/3x1aR1m>

(6) الشمالية، ماهر، اللحام، محمود، كافي، مصطفى (2015). الإعلام الرقمي الجديد. ط1. عمان: دار الإعصار للنشر والتوزيع.

الدراسة الميدانية:

نوع الدراسة ومنهجها:

1. نوع الدراسة:

وتتنمي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية التي تقوم على وصف ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسبابها والعوامل التي تتحكم فيها واستخلاص النتائج والتعميمات وذلك من أجل تجميع البيانات وتنظيمها وتحليلها⁽¹⁾، كما أنها لا تقف عند حدود الوصف والتشخيص، بل تتجاوز إلى وصف العلاقات السببية لأغراض اكتشاف الحقائق المرتبطة بها وتعميمها⁽²⁾، ويعد هذا النوع الأنسب في وصف ومعرفة اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدامهم لتقنيات التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء عملهم الصحفي، إلى جانب الكشف عن حجم اهتمامهم وتفضيلهم لتلك التقنيات المستخدمة.

2. منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في دراسته على منهج المسحي الإعلامي من أجل الحصول على البيانات والمعلومات التي تستهدف الظاهرة العلمية ذاتها⁽³⁾، ومن خلاله تم استخدام أسلوب مسح أساليب الممارسة الإعلامية، للتعرف على طبيعة استخدام الصحفيين الفلسطينيين لتقنيات التحقق من المعلومات أثناء عملهم الصحفي وأولوياتهم.

3. أدوات الدراسة:

تستخدم الدراسة العلمية على أداتين في سياق جمع البيانات والمعلومات وهي:

أ. صحيفة الاستقصاء:

وهو أحد الأساليب الأساسية التي تستخدم في جمع بيانات أولية أو أساسية أو المباشرة من العينة المختارة أو من جميع مفردات العينة، وذلك بهدف التعرف على حقائق معينة أو وجهات نظر

⁽¹⁾المشهداني، سعد (2017م). مناهج البحث الإعلامي. ط1. العين: دار الكتاب الجامعي، ص162.

⁽²⁾عبد الحميد، محمد. (2000م). البحث العلمي في الدراسات الإعلامية. ط1. القاهرة، عالم الكتب للتوزيع والنشر، (ص153).

⁽³⁾المشهداني، مرجع سابق، (ص163).

المبوهين واتجاهاتهم، أو الدوافع والعوامل المؤثرة التي تدفعهم إلى تصرفات سلوكية معينة⁽¹⁾، واعتمدت الدراسة على صحيفة الاستقصاء والتي طبقت على عينة من الصحفيين الفلسطينيين، لمعرفة اتجاهاتهم نحو استخدامهم لتقنيات التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي، تنقسم أداة صحيفة الاستقصاء إلى عدة محاور وهي:

1. **محور السمات الشخصية:** ويقصد بها السمات الشخصية لأفراد العينة من خلال التعرف (النوع، العمر، المستوى التعليمي، منطقة السكن، مكان العمل، مجال المهنة).

2. **محور استخدام منصات التواصل الاجتماعي:** ويقصد به معرفة مدى استخدام الصحفيين الفلسطينيين لمواقع منصات التواصل الاجتماعي في العمل الصحفي.

3. **محور استخدام تقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي:** يقصد به مدى استخدام الصحفيين لتقنيات التحقق من المعلومات والمجالات والتدابير في التحقق من المعلومات.

4. **محور اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين نحو استخدام تقنيات التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي:** ويقصد من خلاله التعرف على أهم السلبيات والإيجابيات وكذلك النصائح والمقترحات لتحسين الصحفيين في التحقق من المعلومات المنشورة عبر الإعلام الرقمي.

ب. المقابلة المعمقة:

وهي قيام الباحث بتوجيه عدد من الأسئلة والحديث في إطار الخطوط والأهداف العامة لتنظيم المقابلة، كما ويترك الحرية الكاملة للمبوهين في التعبير عن آرائه وأفكاره ومعتقداته بحرية كاملة تعكس شخصيته، تجعلهم لا يحسون بمناخ أو قيود المقابلة⁽²⁾.

واستخدام الباحث أداة المقابلة المعمقة لغرض البحث وجمع المعلومات حول حيثيات المشكلة ومعرفة طبيعة اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين واستخدامهم لتقنيات التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي في العمل الصحفي، وأجرى الباحث مقابلات مع عينة متاحة من المتخصصين وعددهم (5) في مجال التحقق من المعلومات ومواقع التواصل الاجتماعي، وذلك من خلال توجيه عدد من الأسئلة قام بإعدادها بطريقة محددة قبل إجراء المقابلة.

(1) حسين، سمير (2006م). بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ. ط3. القاهرة: عالم الكتاب للتوزيع والنشر، ص178.

(2) عبد الحميد، مرجع سابق، (ص 396).

مجتمع الدراسة والعينة:

1. **مجتمع الدراسة:** يقصد بمجتمع الدراسة " كامل الأفراد أو الأحداث أو المشاهدات موضوع البحث أو الدراسة"⁽¹⁾، ويتكون مجتمع من جميع الصحفيين المقيمين في محافظات قطاع غزة، واعتمد الباحث الصحفيين المسجلين في نقابة الصحفيين⁽²⁾، والصحفيين الممارسين والمسجلين في المكتب الإعلامي الحكومي بغزة⁽³⁾، وكان العدد الإجمالي لهم (753)^(*) صحيفياً وصحفية.

2. **عينة الدراسة:** نظراً لصعوبة الدراسة الشاملة لجميع أفراد المجتمع، لذلك تم اختيار طريقة العينة العشوائية البسيطة، وهي العينة التي يكون لكل مفردة من مفردات المجتمع الإحصائي الذي أخذت منه، نفس الفرصة بأن تكون ممثلة في هذه العينة، كما تستخدم عندما يكون المجتمع الإحصائي متجانساً⁽⁴⁾، وبلغ عدد عينة الدراسة الإجمالية 253 مفردة، وقد تم توزيع أداة الدراسة عليهم وتم استرداد 218 مفردة أي بما يعادل 86.2%.

إجراءات الصدق والثبات:

أولاً: صدق الاستبانة:

1. صدق المحكمين "الصدق الظاهري":

قام الباحث بعرض أداة الدراسة في صورتها الأولية على مجموعة من المحكمين تألفت من المتخصصين في مجال الصحافة والإعلام والاحصاء بلغ عددهم (13) محكماً، وقد طلب الباحث من المحكمين إبداء آرائهم في مدى ملائمة العبارات لقياس ما وضعت لأجله، ومدى وضوح صياغة العبارات ومدى مناسبة كل عبارة للمحور الذي ينتمي إليه، ومدى كفاية العبارات لتغطية كل محور من محاور الدراسة، بالإضافة إلى اقتراح ما يروونه ضرورياً من تعديل صياغة العبارات أو حذفها، واستناداً إلى الملاحظات والتوجيهات التي أبدتها المحكمون قام الباحث بإجراء التعديلات التي اتفق

(1) الطويسي، زياد. (2001). مجتمع الدراسة والعينات. مديرية تربية لواء البتراء. العراق. شبكة الانترنت، ص3.

(2) تحسين الأسطل، نائب نقيب الصحفيين الفلسطينيين في قطاع غزة. مقابلة، (اتصال هاتفي). بتاريخ: 2021/4/20م.

(3) محمود الفراء، المكتب الإعلامي الحكومي بغزة، مقابلة، (اتصال هاتفي)، بتاريخ: 2021/4/25م

(*) عدد قائمة نقابة الصحفيين في محافظات قطاع غزة (458) صحيفياً وصحفية، وعدد الصحفيين المسجلين في المكتب الإعلامي الحكومي في غزة (500) صحيفياً وصحفية في مارس عام 2021م، وكرر عدد (205) صحيفياً وصحفية في كلتا القائمتين قام الباحث بحذفها لكي يصل العدد إلى (753) صحيفياً وصحفية، وهي التي تم اعتمادها.

(4) أبو ضاهر، العينات الإحصائية، 2017م.

عليها المحكمون لأداة الدراسة، واعتمدت بعد موافقة المشرف عليها، وبذلك خرجت صحيفة الاستقصاء بصورتها النهائية (انظر الملحق رقم 2).

وتركزت توجيهات المحكمين وآرائهم، في انتقاد طول فقرات صحيفة الاستقصاء حيث كانت تحتوي على بعض الفقرات الطويلة، والنصح بإزالة بعض العبارات من بعض المحاور واستبدالها بعبارات أخرى وإضافة بعض العبارات في محاور أخرى.

2. صدق الاتساق الداخلي:

يقصد بصدق الاتساق الداخلي مدى اتساق كل فقرة من فقرات الاستبانة، مع المحور الذي تنتمي إليه هذه الفقرة، وقد تم حساب الاتساق الداخلي لفقرات الاستبيان، وذلك بحساب معاملات الارتباط بين كل فقرة والدرجة الكلية للمحور التابعة له على النحو الآتي:

جدول (1.8): صدق الاتساق الداخلي لمحور تقنيات التحقق من المعلومات في الإعلام الرقمي

م	الفقرات	معامل الارتباط	القيمة الاحتمالية
1	المؤسسة التي أعمل بها تقوم بتدربي على تقنيات التحقق من المعلومات	0.54	*0.000
2	تدريب الصحفيين على التحقق من المعلومات سيساهم في التقليل من الوقوع بالأخطاء	0.73	*0.000
3	لا يوجد كادر لديه الخبرة في تقنيات التحقق من المعلومات	0.53	*0.000
4	أحرص دائماً على اتخاذ كافة التدابير اللازمة في التحقق من المعلومات قبل نشرها	0.72	*0.000
5	لدي القدرة في استخدام تقنيات التحقق من المعلومات	0.69	*0.000
6	إنشاء قسم متخصص في التحقق من المعلومات داخل المؤسسة التي أعمل بها	0.68	*0.000
7	المواقع التي استخدمها في التحقق من المعلومات فعالة ودقيقة	0.65	*0.000
8	استخدم مواقع متخصصة في التحقق من المعلومات التي مصدرها الإعلام الرقمي	0.76	*0.000

يبين الجدول السابق معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور والدرجة الكلية للمحور، والذي يبين أن معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى دلالة (0.05)، حيث إن القيمة الاحتمالية لكل فقرة أقل من 0.05 وبذلك تعتبر فقرات المحور صادقة لما وضعت لقياسه.

(*) الارتباط دال إحصائياً عند $\alpha \leq 0.05$.

جدول (1.9): صدق الاتساق الداخلي لمحور التأثيرات الناتجة عن استخدام الصحفيين الفلسطينيين لتقنيات التحقق من المعلومات

م	الفقرات	معامل الارتباط	القيمة الاحتمالية
1	زيادة المعرفة والإلمام بتقنيات التحقق من المعلومات	0.69	*0.000
2	التعرف على التقنيات والمواقع الجديدة والمخصصة في التحقق من المعلومات	0.77	*0.000
3	زيادة التعرف إلى ما تقدمه تقنيات التحقق من المعلومات في الكشف عن الأخبار المضللة	0.71	*0.000
4	زيادة مصداقة المعلومة والموضوعية في التعامل مع الحدث	0.79	*0.000
5	إلقاء الضوء على السياسة التي تقوم عليها تقنيات التحقق من المعلومات	0.72	*0.000
6	استخدام تقنيات التحقق من المعلومات ساهم في تحسين جودة العمل الصحفي	0.76	0.000*
7	استخدام تقنيات التحقق ساهم في التقليل من الأخطاء والأخبار المزيفة	0.69	*0.000
8	زيادة الثقة في تقنيات التحقق من المعلومات بعد استخدامها في العمل الصحفي	0.82	*0.000
9	فناعتك بضرورة التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات لما تتمتع من مصداقية كبيرة	0.72	*0.000
10	زيادة استخدام تقنيات التحقق من المعلومات	0.82	*0.000
11	الطلب من المؤسسة زيادة التدريب وشراء البرامج لتحقق من المعلومات	0.73	*0.000
12	التجنب من الوقوع في الأخطاء	0.75	*0.000
13	الارتقاء بمستوى العمل الصحفي	0.77	*0.000
14	تشجيع الصحفيين على استخدام تقنيات التحقق من المعلومات	0.75	*0.000

يبين الجدول السابق معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات المحور والدرجة الكلية للمحور، والذي يبين أن معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى دلالة (0.05)، حيث إن القيمة الاحتمالية لكل فقرة أقل من 0.05 وبذلك تعتبر فقرات المحور صادقة لما وضعت لقياسه.

(*) الارتباط دال إحصائياً عند $\alpha \leq 0.05$.

ثانياً: ثبات الاستبانة:

يقصد بثبات الاستبانة أن تعطي نفس النتيجة في حال تم إعادة تطبيقها أكثر من مرة تحت نفس الظروف، أو بعبارة أخرى إن ثبات الاستبانة يعني الاستقرار في نتائج الاستبانة وعدم تغييرها بشكل كبير فيما لو تم إعادة توزيعها عدة مرات خلال فترات زمنية معينة، وقد تم حساب ثبات الاستبانة بطريقة معامل ألفا كرونباخ وطريقة التجزئة النصفية:

جدول (1.10): يوضح معامل ألفا كرونباخ وسبيرمان براون لقياس ثبات الاستبانة

المحور	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ	سبيرمان براون
تقنيات التحقق من المعلومات في الإعلام الرقمي	8	0.82	0.84
التأثيرات الناتجة عن استخدام الصحفيين الفلسطينيين لتقنيات التحقق من المعلومات	14	0.94	0.92

يبين الجدول السابق أن معاملات ألفا كرونباخ وسبيرمان براون دالة احصائياً، وهذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بمعامل ثبات.

عرض النتائج ومناقشتها:

المحور الأول: استخدام الصحفيين الفلسطينيين لمواقع التواصل الاجتماعي:

1. درجة متابعة مواقع التواصل الاجتماعي في العمل الصحفي:

جدول (3.1) يوضح درجة متابعة مواقع التواصل الاجتماعي في العمل الصحفي

الإجابة	التكرار	النسبة %
عالية جداً	50	22.9
عالية	92	42.3
متوسطة	58	26.6
منخفضة	14	6.4
منخفضة جداً	4	1.8
المجموع	218	100.0

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.1) أن 22.9% من أفراد عينة الدراسة يتابعون مواقع التواصل الاجتماعي في العمل الصحفي بدرجة عالية جداً، بينما 42.2% يتابعونها بدرجة عالية، و26.6% يتابعونها بدرجة متوسطة، و6.4% يتابعونها بدرجة منخفضة، في حين أن 1.8% يتابعونها بدرجة منخفضة جداً، وتشير هذه النتائج إلى درجة المتابعة العالية من قبل الصحفيين الفلسطينيين لمواقع التواصل الاجتماعي في العمل الصحفي ومدى الاهتمام بها، وتتفق هذه الدراسة مع دراسة أحسن ورقية (2019م)⁽¹⁾، ودراسة بلاني (2018م)⁽²⁾، واللتين خلصتا بأن الصحفيين يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي في العمل بدرجة عالية.

2. دوافع استخدام مواقع التواصل الاجتماعي:

جدول (3.2) يوضح دوافع استخدام مواقع التواصل الاجتماعي

النسبة %	التكرار	الإجابة
97.2	212	تلقي الأخبار
81.7	178	إبداء الرأي في بعض القضايا
69.7	152	إرسال الأخبار
67.9	148	تحسين ظروف العمل
67.9	148	اكتساب المعارف والخبرات
66.1	144	الترفيه
65.1	142	تعزيز مهاراتي في العمل
60.6	132	الدرشة مع الأصدقاء

(218 = ن) *اختلاف التكرار لاختيار المبحوثين أكثر من إجابة

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.2) أن 97.2% من أفراد عينة الدراسة يرون بأن تلقي الأخبار من دوافع استخدامهم لمواقع التواصل الاجتماعي، بينما 81.7% يرون إبداء الرأي في بعض القضايا، و69.7% يرون إرسال الأخبار، و67.9% يرون تحسين ظروف العمل، و67.9% يرون اكتساب المعارف والخبرات، و66.1% يرون الترفيه، و65.1% يرون تعزيز مهاراتي في العمل، في حين أن 60.6% يرون الدردشة مع الأصدقاء، وتتسجم هذه النتائج مع دراسة زقوت (2016)⁽³⁾،

(1) أحسن، كرد، رقية، عياش (2019م). استخدام شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تحسين الممارسة الإعلامية: دراسة ميدانية (رسالة ماجستير منشورة). جامعة الصديق بين يحيى، الجزائر، ص91.

(2) بلاني، خديجة، رحمني، لبنى (2018). اعتماد الصحفيين الجزائريين على مواقع التواصل الاجتماعي كمصادر للمعلومات: دراسة ميدانية (رسالة ماجستير منشورة). جامعة أم البواقي، الجزائر، ص86.

(3) زقوت، هشام، استخدام الصحفيين الفلسطينيين لتطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي من خلال الهواتف الذكية: دراسة ميدانية (رسالة ماجستير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، ص87.

التي خلصت إلى أن الصحفيين يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي من أجل تلقي الأخبار حيث أنها جاءت في المرتبة الأولى بنسبة 94.3%، وقد ظهر بشكل واضح أن النسبة للتكرارات المجدولة قريبة جداً من بعضها عدا تلقي الأخبار وإبداء الرأي للصحفيين، رغم أن الصحفي هو صانع الخبر الأمر الذي يعطي انطباعاً أن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت إعلاماً بديلاً عن الإعلام التقليدي، وتظهر نتائج اكتساب المعرفة والبحث عن فرص عمل جديد وتعزيز المهارات انطباعاً عن حالة من عدم الرضى للعمل الوظيفي الذي يقوم به الصحفي إن كان بالقطعة من خلال البحث عن فرصة مناسبة أو عمل وظيفي منتظم من خلال البحث عن تعزيز مهارات العمل، ونجد أن المستخدمين لأجل الترفيه والدراسة بنسبة متقاربة وهي أكثر من النصف بقليل، يعطي انطباعاً عن أهمية هذه المواقع في زيادة فرص التواصل وسرعة تناقل المعلومات كدافع أساسي لاستخدام التواصل الاجتماعي⁽¹⁾.

3. أبرز مواقع التواصل المستخدمة في العمل الصحفي:

جدول (3.3) يوضح أبرز مواقع التواصل المستخدمة في العمل الصحفي

النسبة %	التكرار	الإجابة
95.4	208	الفيس بوك
86.7	189	الواتس أب
79.8	174	تويتر
71.6	156	البيوتيوب
67.4	147	التيلغرام
58.3	127	الانستغرام
56.0	122	تيك توك
50.5	110	لينكد إن
50.9	111	ساوند كلاود
46.8	102	زلو
42.2	92	السناب شات
42.2	92	سكاي بي
34.9	76	الفليكر

*اختلاف التكرار لاختيار المبحوثين أكثر من إجابة (ن = 218)

(1) سائد حسونة، مختص في الإعلام الجديد، قابله فارس أبو شيحة، (اتصال شخصي: 3 سبتمبر 2021).

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.3) أن 95.4% من أفراد عينة الدراسة يرون بأن موقع الفيس بوك من أبرز مواقع التواصل المستخدمة في العمل الصحفي، بينما 86.7% يرون موقع واتس آب، و79.8% يرون موقع تويتر، و71.6% يرون موقع يوتيوب، و67.4% يرون التيلغرام، و58.3% يرون الانستغرام، و56% يرون تيك توك، و50.5% يرون لينكد إن، و50.9% يرون ساوند كلاود، و46.8% يرون زلو، و42.2% يرون السناب شات، و42.2% يرون سكايب، و34.9% يرون الفليكر، وتتفق هذه النتائج مع دراسة أحسن ورقية (2019م)⁽¹⁾، ودراسة رضوان (2016م)⁽²⁾ ودراسة حماد (2019م)⁽³⁾، وقد خلصت بأن موقع الفيس بوك من أكثر المواقع استخدامًا من قبل الصحفيين في العمل الصحفي بنسبة تتجاوز 70%، بينما تختلف عن دراسة الهمص (2019م)، والتي خلصت في اعتبار الوتس أب التطبيق الأكثر استخدامًا بنسبة 95% يليه الفيس بوك بنسبة 89.9%.

وجاء في تقرير صادر عن شركة آيبوك (ipoke) المتخصصة في مواقع التواصل الاجتماعي في فلسطين لعام 2020، بأن الفيس بوك يعد من أكثر المواقع استخدامًا في فلسطين بنسبة 90% يليه الوتسآب ثم الانستغرام واليوتيوب من قبل مستخدمي شبكة الإنترنت.⁽⁴⁾

4. المدة الزمنية التي تقضيها عينة الدراسة على مواقع التواصل الاجتماعي للحصول على المعلومات أثناء العمل الصحفي:

جدول (3.4) يوضح المدة الزمنية التي تقضيها عينة الدراسة على مواقع التواصل الاجتماعي للحصول على المعلومات أثناء العمل الصحفي

النسبة %	التكرار	الإجابة
1.8	4	أقل من ساعة
6.0	13	من ساعة إلى أقل من ساعتين
23.9	52	من ساعتين إلى أقل من 3 ساعات
68.3	149	3 ساعات فأكثر

(1) أحسن، رقية، مرجع سابق، ص74.

(2) رضوان، سائد (2016م). اعتماد الشباب الفلسطيني على صحافة الهاتف المحمول كمصدر للأخبار وقت الأزمات: دراسة ميدانية (رسالة ماجستير منشورة). الجامعة الإسلامية، غزة، (ص 118).

(3) حماد، حازم (2019م). العوامل المؤثرة في استخدام الصحفيين الفلسطينيين للإعلام الجديد: دراسة ميدانية (رسالة ماجستير منشورة). الجامعة الإسلامية، غزة، (ص106).

(4) تقرير شركة آيبوك، الواقع الرقمي الفلسطيني 2020، موقع إلكتروني، رابط: <https://bit.ly/2XH6ITh>

المجموع	218	100.0
---------	-----	-------

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.4) أن 1.8% من أفراد عينة الدراسة يقضون على مواقع التواصل الاجتماعي (أقل من ساعة) يومياً للحصول على المعلومات أثناء العمل الصحفي، بينما 6% يقضون (من ساعة إلى أقل من ساعتين)، و 23.9% يقضون (من ساعتين إلى أقل من 3 ساعات)، في حين أن 68.3% يقضون (3 ساعات فأكثر)، وتشير هذه النتائج بأن المدة الزمنية التي يقضيها الصحفيين عبر مواقع التواصل الاجتماعي جاءت مرتفعة، وهو ما يتفق ذلك مع دراسة زقوت (2016م)⁽¹⁾، والتي خلصت بأن 63.3% من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي يستخدمونها يومياً لمدة تزيد عن ثلاثة ساعات.

ويرى الباحث أن قضاء الصحفيين لفترة طويلة من الوقت عبر مواقع التواصل الاجتماعي أثناء العمل الصحفي من أجل الحصول على المعلومات، وهو الحاجة التي تتطلب ذلك وكذلك حسب طبيعة وظروف العمل الذي يحتاجونها في عملهم.

5. درجة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العمل الصحفي:

جدول (3.5) يوضح درجة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العمل الصحفي

م	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي %	قيمة اختبار "T"	القيمة الاحتمالية
1	Facebook (الفييس بوك)	4.26	0.71	85.2	26.149	0.000
2	Whats App (الواتس أب)	4.23	0.79	84.6	23.053	0.000
3	YouTube (اليوتيوب)	3.74	1.01	74.8	10.827	0.000
4	Twitter (تويتر)	3.73	1.00	74.6	10.768	0.000
5	Telegram (التيلغرام)	3.70	1.06	73.9	9.669	0.000
6	Instagram (الانستغرام)	3.46	1.20	69.3	5.703	0.000
7	TikTok (تيك توك)	3.16	1.26	63.1	1.827	0.069
8	Zello (زلو)	3.09	1.24	61.8	1.092	0.276
9	Skyp (سكايب)	3.02	1.19	60.5	0.284	0.777

(1) زقوت، مرجع سابق، ص90.

م	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي %	قيمة اختبار "T"	القيمة الاحتمالية
10	Sound Cloud (ساوند كلاود)	2.99	1.20	59.8	-0.113	0.910
11	LinkedIn (لينكد إن)	2.97	1.22	59.4	-0.390	0.697
12	Snap chat (السناب شات)	2.96	1.27	59.2	-0.481	0.631
13	Flicker (الفليكر)	2.95	1.28	59.1	-0.531	0.596
	الدرجة الكلية	3.40	0.80	68.1	7.497	0.000

من خلال النتائج الموضحة في جدول (3.5) تبين أن المتوسط الحسابي لجميع الفقرات يساوي 3.40، والانحراف المعياري يساوي 0.80، والوزن النسبي يساوي 68.1%، وقيمة اختبار (T) تساوي 7.497، والقيمة الاحتمالية تساوي 0.000، وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05، مما يدل على أن متوسط درجة الاستجابة للمحور قد زاد عن الدرجة المتوسطة وهي 3، وهذا يدل على أن درجة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العمل الصحفي عالية، واحتل موقع الفيس بوك الترتيب الأول من حيث درجة الاستخدام بوزن نسبي (85.2%)، يليه موقع واتس آب بوزن نسبي (84.6%)، ثم موقع يوتيوب بوزن نسبي (74.8%)، في حين جاء موقع الفليكر في الترتيب الأخير من حيث درجة الاستخدام بوزن نسبي (59.1%).

وتأتي هذه النتائج متوافقة مع نتائج جدول رقم (3.3)، حيث إن استخدام الصحفيين لمواقع التواصل الاجتماعي في العمل الصحفي من أجل الحصول على المعلومات، جاء نظراً لسهولة الاستخدام في نقل وتبادل المعلومات بشكل فوري، والسرعة في نشر المعلومات عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

ويرى الباحث أن استخدام الصحفيين لمواقع التواصل الاجتماعي بكافة وسائلها المختلفة، يأتي لكونها سهلة الاستخدام في التعامل معها في العمل الصحفي، كما أن انتشارها الواسع بين المستخدمين أضفى عليها الاهتمام الكبير كمصدر مهم في الحصول على المعلومات.

هذه النتيجة تؤكد شفافية النسبة الواردة في الجدول السابق حول (درجة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي)، حيث من المعروف أن أبرز مواقع التواصل الاجتماعي شعبية هو موقع فيسبوك، ويأتي

بعده تويتر من ناحية تركيز النشر السياسي والإخباري، وأقل المواقع معرفة واستخدام فليكر لأن الأخير له جمهور محدد واستخدام واحد.⁽¹⁾

المحور الثاني: استخدام تقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي:

1. درجة استخدام تقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي:

جدول (3.6) يوضح درجة استخدام تقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي

النسبة%	التكرار	الإجابة
12.8	28	عالية جداً
35.8	78	عالية
34.9	76	متوسطة
11.9	26	منخفضة
4.6	10	منخفضة جداً
100.0	218	المجموع

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.6) أن 12.8% من أفراد عينة الدراسة يستخدمون تقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي بدرجة عالية جداً، بينما 35.8% يستخدمونها بدرجة عالية، و 34.9% يستخدمونها بدرجة متوسطة، و 11.9% يستخدمونها بدرجة منخفضة، في حين أن 4.6% يستخدمونها بدرجة منخفضة جداً.

وتختلف هذه النتائج مع دراسة العيسوي (2021م)⁽²⁾، أن 69% من القائمين بالاتصال يستخدمون التقنيات الرقمية في صناعة المحتوى الإخباري بدرجة عالية.

وتشير هذه النتائج بأن درجة استخدام تقنيات التحقق من المعلومات جاءت عالية في العمل الصحفي، وهو ما يعكس مدى اهتمام الصحفيين الفلسطينيين بتلك التقنيات في التأكد من صحة المعلومات ومدى دقتها وسلامتها قبل عملية النشر عبر وسائل الإعلام الرسمية.

وهذا التفاوت في درجة استخدام الصحفيين لتقنيات التحقق، يعكس التفاوت في التزام التحقق من المعلومات، وكذلك معرفة أفراد العينة لهذه التقنيات، وهذا يعكس أيضاً قصوراً في نشر ثقافة

(1) سائد حسونة، مختص في الإعلام الجديد، قابله فارس أبو شيحة، (اتصال شخصي: 3 سبتمبر 2021).

(2) العيسوي، إبراهيم (2021م). استخدامات الصحفيين الفلسطينيين للتقنيات الرقمية في صناعة المحتوى

الإخباري: دراسة مسحية على القائم بالاتصال (رسالة ماجستير منشورة). الجامعة الإسلامية، غزة.

التحقق والتربية الإعلامية في أوساط المستخدمين، والتي من شأنها أن تعزز هذه المهارات لديهم، وهو ما يسهم في مواجهة التضليل الإعلامي عبر الفضاء الرقمي، انطلاقاً من ممارسة التحقق من هذا المحتوى، عبر التقنيات الرقمية، مثل البحث العكسي عن المعلومات والصور والفيديوهات، أو عبر الآليات والمعايير المختلفة⁽¹⁾.

2. درجة الالتزام بتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي:

يبين الجدول الآتي التكرارات ونسب درجة الالتزام بتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي، وجاءت على النحو الآتي:

جدول (3.7) يوضح درجة الالتزام بتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي

النسبة %	التكرار	الإجابة
9.2	20	عالية جداً
28.4	62	عالية
45.0	98	متوسطة
11.9	26	منخفضة
5.5	12	منخفضة جداً
100.0	218	المجموع

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.7) أن 9.2% من أفراد عينة الدراسة يلتزمون بتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي بدرجة عالية جداً، بينما 28.4% يلتزمون بها بدرجة عالية، و45% يلتزمون بها بدرجة متوسطة، و11.9% يلتزمون بها بدرجة منخفضة، في حين أن 5.5% يلتزمون بها بدرجة منخفضة جداً.

وتتفق هذه النتائج مع دراسة عبد الحق (2016م)⁽²⁾، والتي أظهرت إلى أن 67% من الصحفيين يلتزمون بتقنيات التحقق من المحتوى الذي ينتجه المستخدمون عبر مواقع التواصل

(1) بكر عبد الحق، مختص في مجال التقنيات، فارس أبو شيحة (اتصال عبر الوتساب، 1 سبتمبر 2021).

(2) عبد الحق، بكر. (2016). التزام الصحفيين التحقق من المحتوى الذي يستخدمون على الاعلام الاجتماعي في الأردن وفلسطين. دراسة ميدانية. (رسالة ماجستير غير منشورة). معهد الإعلام الأردني. الأردن.

الاجتماعي، وتختلف مع دراسة بوسعيد (2018م)⁽¹⁾، والتي خلصت إلى أن درجة التزام الصحفيين محدود في مجال تقنيات التحقق من المعلومات في عملهم الصحفي.

ويعزو الباحث إلى أن التزام الصحفيين الفلسطينيين بتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي، يعكس مدى حرصهم والمسؤولية الاجتماعية التي تقع على عاتقهم في تزويد الجمهور بالمعلومات السليمة لما يساهم في تعزيز الثقة لديهم بما ينشر عبر وسائل الاعلام المختلفة.

وواضح أن هناك عدم التزام بشكل كبير من قبل الصحفيين الفلسطينيين نحو التحقق من صحة المعلومات ومصادرها، الأمر الذي سينعكس على المصداقية إن كان مصدر المعلومات (الأخبار) غير حقيقي أو وهمي، وقد تكون تلك المعلومات قد تعرضت إلى التغيير والتشويه، فالملتزمين بدرجة عالية فأكثر تمثل نسبتهم 37.6% من عينة مجتمع الدراسة، بينما الغالبية العظمى من عينة المجتمع ونسبتهم 45% يلتزمون بنسبة متوسطة في عملية التحقق من المعلومات، وهذا يعزى إلى سببين، أولهما عدم توفر المعرفة الكافية بكامل التقنيات المستخدمة في عمليات التحقق، إضافة إلى ضعف المهارة التي تمتلكها هذه العينة في كيفية الاستخدام الأمثل لتلك الأدوات، أما السبب الثاني فهو التوجه نحو نشر المعلومات دون التحقق من مصدرها وصحتها حتى يتم نشرها في أسرع وقت ممكن، وهذا سيساعد على نشر الأخبار المكذوبة والمخادعة ونشر الإشاعات بشكل كبير، أما فيما يتعلق بعينة المجتمع التي تمثل الدرجة المنخفضة وما دونها ونسبتها 17.4% فهم لا يملكون المعرفة بتلك الأدوات أساساً، وبالتالي لن يعملوا على استخدامها في مجال التحقق من المعلومات⁽²⁾.

3. أبرز الأدوات المستخدمة في التحقق من المعلومات:

جدول (3.8) يوضح أبرز الأدوات المستخدمة في التحقق من المعلومات

النسبة %	التكرار	الإجابة
74.3	162	التحقق من الحسابات الوهمية
62.8	137	التحقق من الأخبار
48.6	106	التحقق من الصور
43.6	95	الكشف عن الصور المطابقة

(1) بوسعيد، إيناس (2018م). آليات التحقق من الأخبار المتدفقة عبر الإعلام الاجتماعي: دراسة حالة. ورقة علمية منشورة، معهد الجزيرة للإعلام، ص 23.

(2) أشرف مشتهي، خبير في التقنية ومواقع التواصل الاجتماعي، فارس أبو شيحة (اتصال عبر الواتساب: 28 أغسطس 2021).

40.8	89	استعادة حقوق الصورة
39.4	86	الكشف عن الصور المعدلة
36.7	80	التحقق من الفيديو

(ن = 218) *اختلاف التكرار لاختيار المبحوثين أكثر من إجابة

يتبين من النتائج الموضحة في جدول (3.8) أن 74.3% من أفراد عينة الدراسة يرون بأن التحقق من الحسابات الوهمية من أبرز الأدوات المستخدمة في التحقق من المعلومات، بينما 62.8% يرون التحقق من الأخبار، و48.6% يرون التحقق من الصور، و43.6% يرون الكشف عن الصور المطابقة، و40.8% يرون استعادة حقوق الصورة، و39.4% يرون الكشف عن الصور المعدلة، في حين أن 36.7% يرون التحقق من الفيديو.

وتتفق هذه الدراسة مع دراسة عبد الحق (2016م)⁽¹⁾، التي خلصت إلى أن 68% من الصحفيين الفلسطينيين يتحققون من الأخبار المنشورة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

ويعزو الباحث ذلك إلى أن اهتمام الصحفيين الفلسطينيين في استخدام أداة التحقق من الحسابات الوهمية كأبرز الأدوات المستخدمة في التحقق من المعلومات، نظراً لما تقوم به تلك الحسابات المجهولة بنشر الأخبار المضللة والمفبركة عبر مواقع التواصل الاجتماعي وتأثيرها الكبير على الجمهور المتلقي لها، وكذلك التحقق من الأخبار من أجل التأكد من دقتها وسلامتها بما يساهم ذلك في تعزيز استقرار المجتمع.

4. أبرز الأدوات المستخدمة للتحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء العمل الصحفي:

جدول (3.9) يوضح أبرز الأدوات المستخدمة للتحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء العمل الصحفي

النسبة %	التكرار	الإجابة
86.2	188	البحث عن الصور
85.8	187	التحقق من صحة الصورة
69.7	152	البحث عن المعلومات
58.3	127	البحث عن مقاطع الفيديو
46.8	102	التحقق من صحة الأحداث
42.2	92	التحقق من المراسلات عبر الإيميل
39.9	87	التحقق من الأخبار
38.5	84	التحقق من الفيديو

(1) عبد الحق، مرجع سابق، ص103.

35.8	78	التحقق من البيانات
34.9	76	التحقق من المراسلات البريدية

(ن = 218) *اختلاف التكرار لاختيار المبحوثين أكثر من إجابة

يتبين من النتائج الموضحة في جدول (3.9) أن 86.2% من أفراد عينة الدراسة يرون بأن البحث عن الصور من أبرز الأدوات المستخدمة للتحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء العمل الصحفي، بينما 85.8% يرون التحقق من صحة الصورة، و69.7% يرون البحث عن المعلومات، و58.3% يرون البحث عن مقاطع الفيديو، و46.8% يرون التحقق من صحة الأحداث، و42.2% يرون التحقق من المراسلات عبر الإيميل، و39.9% يرون التحقق من الأخبار، و38.5% يرون التحقق من الفيديو، و35.8% يرون التحقق من البيانات، في حين أن 34.9% يرون التحقق من المراسلات البريدية.

ويعزو الباحث ذلك إلى أن اختيار الصحفيين الفلسطينيين للتحقق من الصور كأبرز الأدوات المستخدمة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء العمل الصحفي بنسبة 86.2%، يرجع إلى انتشارها الواسع وكذلك إلى اعتماد الصحفيين عليها كأحد مصادر المعلومات المهمة في عملهم الصحفي.

5. مدى فعالية تقنيات التحقق من المعلومات المنشورة عبر الإعلام الرقمي:

جدول (3.10) يوضح مدى فعالية تقنيات التحقق من المعلومات المنشورة عبر الإعلام الرقمي

النسبة%	التكرار	الإجابة
4.6	10	عالية جداً
27.5	60	عالية
58.7	128	متوسطة
7.3	16	منخفضة
1.8	4	منخفضة جداً
100.0	218	المجموع

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.10) أن 4.6% من أفراد عينة الدراسة يرون بأن فعالية تقنيات التحقق من المعلومات المنشورة عبر الإعلام الرقمي بدرجة عالية جداً، بينما 27.5% يرونها بدرجة عالية، و58.7% يرونها بدرجة متوسطة، و7.3% يرونها بدرجة منخفضة، في حين أن 1.8% يرونها بدرجة منخفضة جداً.

ويرى الباحث بأن هذه النتائج تبين أن مدى فعالية تقنيات التحقق من المعلومات المنشورة عبر الإعلام الرقمي جاءت متوسطة، ويعود ذلك إلى حاجة تلك التقنيات إلى المهارات اللازمة من قبل الصحفيين في كيفية التعامل معها بما يحقق الدرجة العالية من فعاليتها في الاستخدام من خلال الدورات وورش العمل مع جهات الاختصاص بما يحقق الفائدة الكبيرة لديهم.

ويتفق الباحث مع ما قاله بكر عبر الحق في مقابلة شخصية، حيث أشار إلى أن القصور في ممارسة التحقق واستخدام الأدوات والتقنيات المختلفة المتاحة في هذا الصدد، انعكس على اتجاهات الصحفيين الفلسطينيين المستجيبين للعينة هنا تجاه فعالية هذه التقنيات، لأنه واقع التجربة العملية من خلال عملي في تدقيق الحقائق، هذه الأدوات تلعب دوراً فعالاً وكبيراً في الكشف الأولي على المعلومات المضللة، وهي في أغلب الأوقات تكون المفتاح في عملية التحقق، لذلك الاتجاه هنا يخالف الواقع فيما يتعلق بفعالية هذه الأدوات، وهذا يقودنا للاستنتاج بأنه ما زال أمامنا طريق طويل لتعميم ونشر ثقافة التحقق، واكساب المستخدمين المهارات اللازمة في استخدام تقنيات وأدوات التحقق وآليات ومعايير التحقق المعتمدة من مرصد تدقيق الحقائق العالمية، وهذا لا يكون إلا بتوسيع نطاق الورش التدريبية التي نعقدتها لتشمل شرائح أوسع، من شريحة الصحفيين وطلبة الإعلام، وهذا يندرج في إطار نشر ثقافة التربية الإعلامية والرقمية⁽¹⁾.

6. المجالات المستخدمة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء العمل الصحفي:

جدول (3.11) يوضح المجالات المستخدمة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء العمل الصحفي

الإجابة	التكرار	النسبة %
الأخبار	195	89.4
الصور	150	68.8
الفيديوهات	107	49.1
التسجيل الصوتي	58	26.6

(ن=218) *اختلاف التكرار لاختيار المبحوثين أكثر من إجابة

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.11) أن 89.4% من أفراد عينة الدراسة يرون بأن الأخبار من المجالات المستخدمة في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء العمل الصحفي، بينما 68.8% يرون الصور، و49.1% يرون الفيديوهات، في حين أن 26.6% يرون التسجيل الصوتي، وتشير هذه النتائج إلى درجة الاستخدام والاهتمام الكبيرة من قبل الصحفيين الفلسطينيين

(1) بكر عبد الحق، مختص في مجال التقنيات، فارس أبو شيحة (اتصال عبر الوتساب، 1 سبتمبر 2021).

بمجالات التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء العمل عملهم الصحفي، كما جاء التحقق من الأخبار في سلم الاهتمامات بنسبة 89.9%، وتتفق هذه النتائج مع دراسة عبد الغني (2020م)، والتي أظهرت تصدر الأخبار الكاذبة والمضللة اهتمامات صفحات التحقق من الأخبار الزائفة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ويرى الباحث بأن الصحفيين يرون أن مجال التحقق من الأخبار وكذلك الصور عبر الإعلام الرقمي من أكثر المجالات المستخدمة أثناء عملهم الصحفي، وذلك لسرعة انتشار الأخبار والصور وعلى وجه الخصوص في وقت الأزمات والصراعات التي تزداد انتشاراً وتداولاً بين المستخدمين عبر وسائل الإعلام الرقمية

7. موقف الصحفيين من تقنيات التحقق من المعلومات في الإعلام الرقمي:

جدول (3.12) يوضح موقف الصحفيين من تقنيات التحقق من المعلومات في الإعلام الرقمي

م	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي %	قيمة اختبار "T"	القيمة الاحتمالية
1	تدريب الصحفيين على التحقق من المعلومات سيساهم في التقليل من الوقوع بالأخطاء	3.61	0.90	72.3	10.088	0.000
2	استخدم مواقع متخصصة في التحقق من المعلومات التي مصدرها الإعلام الرقمي	3.55	0.80	71.0	10.194	0.000
3	لا يوجد كادر لديه الخبرة في تقنيات التحقق من المعلومات	3.52	0.78	70.5	9.961	0.000
4	أحرص دائماً على اتخاذ كافة التدابير اللازمة في التحقق من المعلومات قبل نشرها	3.47	0.84	69.4	8.193	0.000
5	المؤسسة التي أعمل بها تقوم بتدربي على تقنيات التحقق من المعلومات	3.47	0.91	69.4	7.622	0.000
6	لدي القدرة في استخدام تقنيات التحقق من المعلومات	3.45	0.81	69.0	8.207	0.000

م	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي %	قيمة اختبار "T"	القيمة الاحتمالية
7	إنشاء قسم متخصص في التحقق من المعلومات داخل المؤسسة التي أعمل بها	3.45	0.91	69.0	7.330	0.000
8	المواقع التي استخدمها في التحقق من المعلومات فعالة ودقيقة	3.45	0.82	69.0	8.093	0.000
	الدرجة الكلية	3.50	0.56	69.9	13.029	0.000

من خلال النتائج الموضحة في جدول (3.12) تبين أن المتوسط الحسابي لجميع الفقرات يساوي 3.50، والانحراف المعياري يساوي 0.56، والوزن النسبي يساوي 69.9%، وقيمة اختبار (T) تساوي 13.029، والقيمة الاحتمالية تساوي 0.000، وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05، مما يدل على أن متوسط درجة الاستجابة للمحور قد زاد عن الدرجة المتوسطة وهي 3، وهذا يدل على أن درجة موافقة الصحفيين على عبارات تقنيات التحقق من المعلومات في الإعلام الرقمي بدرجة عالية، واحتلت الفقرة رقم (2) الترتيب الأول بوزن نسبي (72.3%)، بينما جاءت الفقرات رقم (5، 6، 7) في الترتيب الأخير بوزن نسبي (69%).

وتشير هذه النتائج إلى أن الصحفيين يعتقدون بأن تدريب الصحفيين على تقنيات التحقق من المعلومات يساهم في التقليل من الوقوع في أخطاء نشر الأخبار الكاذبة والمضللة عبر وسائل الإعلام الرقمي بدرجة عالية، ويعتقدون كذلك بأن استخدام المواقع المتخصصة في التحقق من المعلومات التي مصدرها بدرجة عالية، كما أنهم يرون أنه لا يوجد كادر لديه الخبرة الكافية في تقنيات التحقق من المعلومات.

وتختلف هذه النتائج مع دراسة أبو داري (2018م)⁽¹⁾، والتي خلصت إلى إنشاء قسم متخصص في التحقق من المعلومات داخل المؤسسة الإعلامية في إطار التحقق من صحة الصور والأخبار عبر مواقع التواصل الاجتماعي بنسبة 73%.

(1) أبو داري، تحقق غرف الأخبار التلفزيونية من المعلومات المتدفقة من مواقع التواصل الاجتماعي قبل بثها الجزيرة انموذجا: دراسة ميدانية (ص 79).

المحور الثالث: اتجاهات الصحفيين نحو استخدامات تقنيات التحقق من المعلومات عبر الاعلام الرقمي:

1. اتجاهات الصحفيين نحو استخدام تقنيات التحقق من المعلومات عبر الاعلام الرقمي في العمل الصحفي:

جدول (3.13) يوضح اتجاهات الصحفيين نحو استخدام تقنيات التحقق من المعلومات عبر الاعلام الرقمي في العمل الصحفي

النسبة %	التكرار	الإجابة
21.1	46	مؤيد بشدة
62.4	136	مؤيد
7.8	17	محايد
6.9	15	معارض
1.8	4	معارض بشدة
100.0	218	المجموع

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.13) أن 21.1% من أفراد عينة الدراسة مؤيدين بشدة لاستخدام تقنيات التحقق من المعلومات عبر الاعلام الرقمي في العمل الصحفي، بينما 62.4% يؤيدون لذلك، و7.8% محايدون على ذلك، و6.9% معارضون لذلك، في حين أن 1.8% معارضون بشدة لذلك.

وتتفق هذه النتائج مع دراسة أبو داري (2018م)⁽¹⁾، والتي أظهرت بأن الصحفيين يرون من الضروري وجود الآليات والتقنيات للتحقق من الأخبار المنشورة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

ويعزو الباحث بأن اتجاهات الصحفيين نحو استخدامهم لتقنيات التحقق من المعلومات عبر الاعلام الرقمي في عملهم الصحفي جاءت مؤيدة بدرجة عالية، نظراً لدور تقنيات التحقق في تحسين جودة العمل الصحفي والحد من الوقوع في خطأ نشر الأخبار الكاذبة والمفبركة وكذلك اعتمادهم على وسائل الاعلام الرقمية كمصدر للمعلومات.

(1) أبو داري، معتصم (2018م). تحقق غرف الأخبار التلفزيونية من المعلومات المتدفقة من مواقع التواصل الاجتماعي قبل بثها الجزيرة أنموذجاً: دراسة حالة (رسالة ماجستير منشورة). جامعة الشرق الأوسط، الأردن، ص78.

2. الدوافع وراء استخدام الصحفيين لتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي:

جدول (3.14) يوضح الدوافع وراء استخدام الصحفيين لتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي

النسبة %	التكرار	الإجابة
89.4	195	اكتساب الخبرة
71.6	156	تحسين ظروف العمل
62.8	137	كثرة الأخبار المزيفة والمضللة
57.3	125	اكتساب المعرفة
56.9	124	تعزيز المهارات
50.5	110	التميز عن الزملاء

(ن = 218) *اختلاف التكرار لاختيار المبحوثين أكثر من إجابة

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.14) أن 89.4% من أفراد عينة الدراسة يرون بأن اكتساب الخبرة من الدوافع وراء استخدامهم لتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي، بينما يرون تحسين ظروف العمل، و62.8% يرون كثرة الأخبار المزيفة والمضللة، و57.3% يرون اكتساب المعرفة، و56.9% يرون تعزيز المهارات، في حين أن 50.5% يرون التميز عن الزملاء، ويرى الباحث أن الدوافع وراء استخدام الصحفيين لتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي واختيارهم اكتساب الخبرة بنسبة مرتفعة، مما يدل على أن تعلم واستخدام تقنيات التحقق من المعلومات تضيف الخبرة في سهولة التعامل معها من خلال الممارسة والتجربة، بما يعكس ذلك على تحسين جودة وظروف العمل الصحفي.

3. التأثيرات الناتجة عن استخدام الصحفيين الفلسطينيين لتقنيات التحقق من المعلومات:

أولاً: التأثيرات المعرفية:

جدول (3.15) يوضح التأثيرات المعرفية الناتجة عن استخدام الصحفيين لتقنيات التحقق من المعلومات

م	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي %	قيمة اختبار "T"	القيمة الاحتمالية
1	زيادة المعرفة والإلمام بتقنيات التحقق من المعلومات	3.95	0.74	79.1	19.141	0.000

م	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي %	قيمة اختبار "T"	القيمة الاحتمالية
2	زيادة التعرف إلى ما تقدمه تقنيات التحقق من المعلومات في الكشف عن الأخبار المضللة	3.83	0.69	76.5	17.663	0.000
3	إلقاء الضوء على السياسة التي تقوم عليها تقنيات التحقق من المعلومات	3.66	0.79	73.2	12.280	0.000
4	التعرف على التقنيات والمواقع الجديدة والمخصصة في التحقق من المعلومات	3.65	0.82	73.0	11.745	0.000
5	زيادة مصداقة المعلومة والموضوعية في التعامل مع الحدث	3.55	0.86	71.0	9.408	0.000
	الدرجة الكلية	3.73	0.63	74.6	16.990	0.000

من خلال النتائج الموضحة في جدول (3.15) تبين أن المتوسط الحسابي لجميع الفقرات يساوي 3.73، والانحراف المعياري يساوي 0.63، والوزن النسبي يساوي 74.6%، وقيمة اختبار (T) تساوي 16.990، والقيمة الاحتمالية تساوي 0.000، وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05، مما يدل على أن متوسط درجة الاستجابة للمحور قد زاد عن الدرجة المتوسطة وهي 3، وهذا يدل على أن موافقة الصحفيين على التأثيرات المعرفية بدرجة عالية.

وقد احتلت الفقرة رقم (1) الترتيب الأول من حيث الأهمية النسبية بوزن نسبي (79.1%)، بينما احتلت الفقرة (4) الترتيب الأخير بوزن نسبي (71%).

ويعزو الباحث هذه النتيجة بأن هناك تأثيراً معرفياً إيجابياً على الصحفيين الفلسطينيين والناج عن استخدامهم لتقنيات التحقق من المعلومات، وجاء ذلك من خلال الاطلاع والمتابعة الحثيثة في سياق التأكد من صحة المعلومات ودقتها قبل عملية النشر عبر وسائل الاعلام الرسمية، وهو ما يجعل الصحفيين قادرين على التحقق من المعلومات، والكشف عن الأخبار المزيفة والمضللة، وهو ما يساعد الصحفي في القدرة على استخدام تلك التقنيات وسهولة التعامل معها.

ثانياً: التأثيرات الوجدانية:

جدول (3.16) يوضح التأثيرات الوجدانية الناتجة عن استخدام تقنيات التحقق من المعلومات

م	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي %	قيمة اختبار "T"	القيمة الاحتمالية
1	استخدام تقنيات التحقق ساهم في التقليل من الأخطاء والأخبار المزيفة	3.68	0.91	73.6	11.021	0.000
2	قناعتك بضرورة التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات لما تتمتع من مصداقية كبيرة	3.65	0.85	73.0	11.289	0.000
3	زيادة الثقة في تقنيات التحقق من المعلومات بعد استخدامها في العمل الصحفي	3.58	0.84	71.6	10.157	0.000
4	استخدام تقنيات التحقق من المعلومات ساهم في تحسين جودة العمل الصحفي	3.56	0.84	71.2	9.817	0.000
	الدرجة الكلية	3.62	0.69	72.3	13.229	0.000

من خلال النتائج الموضحة في جدول (3.16) تبين أن المتوسط الحسابي لجميع الفقرات يساوي 3.62، والانحراف المعياري يساوي 0.69، والوزن النسبي يساوي 72.3%، وقيمة اختبار (T) تساوي 13.229، والقيمة الاحتمالية تساوي 0.000، وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05، مما يدل على أن متوسط درجة الاستجابة للمحور قد زاد عن الدرجة المتوسطة وهي 3، وهذا يدل على أن موافقة الصحفيين على التأثيرات الوجدانية بدرجة عالية.

وقد احتلت الفقرة رقم (2) الترتيب الأول من حيث الأهمية النسبية بوزن نسبي (73.6%)، بينما احتلت الفقرة (1) الترتيب الأخير بوزن نسبي (71.2%).

ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى أن استخدام تقنيات التحقق من المعلومات ساهم في التقليل من الأخطاء والأخبار المزيفة، يرجع إلى مدى فعالية والاستفادة من تلك التقنيات المستخدمة من قبل الصحفيين في التأكد من صحة المعلومات المنشورة عبر وسائل الإعلام الرقمي، الأمر الذي زاد من نسبة الثقة في تقنيات التحقق لديهم.

ثالثاً: التأثيرات السلوكية:

يبين الجدول الآتي، التأثيرات السلوكية عن استخدام الصحفيين الفلسطينيين لتقنيات التحقق من المعلومات من خلال المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن النسبي وقيمة "T" والقيمة الاحتمالية والترتيب، وكانت على النحو الآتي:

جدول (3.17) يوضح التأثيرات السلوكية

م	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي %	قيمة اختبار "T"	القيمة الاحتمالية
1	الارتقاء بمستوى العمل الصحفي	3.71	0.82	74.1	12.750	0.000
2	الطلب من المؤسسة زيادة التدريب وشراء البرامج لتحقيق من المعلومات	3.63	0.82	72.7	11.370	0.000
3	تشجيع الصحفيين على استخدام تقنيات التحقق من المعلومات	3.56	0.86	71.2	9.571	0.000
4	التجنب من الوقوع في الأخطاء	3.54	0.82	70.8	9.739	0.000
5	زيادة استخدام تقنيات التحقق من المعلومات	3.51	0.90	70.3	8.460	0.000
	الدرجة الكلية	3.59	0.69	71.8	12.695	0.000

من خلال النتائج الموضحة في جدول (3.17) تبين أن المتوسط الحسابي لجميع الفقرات يساوي 3.59، والانحراف المعياري يساوي 0.69، والوزن النسبي يساوي 71.8%، وقيمة اختبار (T) تساوي 12.965، والقيمة الاحتمالية تساوي 0.000، وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05، مما يدل على أن متوسط درجة الاستجابة للمحور قد زاد عن الدرجة المتوسطة وهي 3، وهذا يدل على أن موافقة الصحفيين على التأثيرات السلوكية بدرجة عالية.

وقد احتلت الفقرة رقم (4) الترتيب الأول من حيث الأهمية النسبية بوزن نسبي (74.1%)، بينما احتلت الفقرة (1) الترتيب الأخير بوزن نسبي (70.3%).

وتختلف هذه النتائج مع دراسة بوسعيد (2018م)⁽¹⁾، والتي أظهرت محدودية تلقي الدورات والتدريب في مجال تقنيات التحقق من المعلومات في إطار رصد والتحقق من الأخبار الكاذبة والمفبرك الوارد لهم داخل المؤسسة الإعلامية التي يعملون بها.

4. إيجابيات استخدام تقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي:

جدول (3.18) يوضح إيجابيات استخدام تقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي

النسبة %	التكرار	الإجابة
89.0	194	سهولة التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات
68.3	149	سرعة الوصول إلى مصدر المعلومات
67.0	146	ساهمت في تحسين جودة العمل الصحفي
60.1	133	الكشف عن الأخبار المضللة والمزيفة قبل النشر
56.0	122	توفير الوقت والجهد الطويل

(ن = 218) *اختلاف التكرار لاختيار المبحوثين أكثر من إجابة

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.18) أن 89% من أفراد عينة الدراسة يرون بأن سهولة التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات من إيجابيات استخدام تقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي، بينما 68.3% يرون سرعة الوصول إلى مصدر المعلومات، و67% يرون المساهمة في تحسين جودة العمل الصحفي، و60.1% يرون الكشف عن الأخبار المضللة والمزيفة قبل النشر، و56% يرون توفير الوقت والجهد الطويل.

ويعزو الباحث هذه النتائج بأن سهولة التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات من قبل الصحفيين الفلسطينيين، يأتي من خلال الممارسة والمتابعة والاطلاع المستمر بما يسهل ذلك سهولة التعامل معها في إطار الوصول إلى مصدر المعلومات الكاذبة والمفبركة، بالإضافة إلى مساهمة ذلك في تحسين جودة العمل الصحفي.

(1) بوسعيد، إيناس. (2018م). آليات التحقق من الأخبار المتدفقة عبر الإعلام الاجتماعي: دراسة حالة. ورقة

علمية منشورة، معهد الجزيرة للإعلام، ص 23.

5. أبرز معوقات في التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات أثناء العمل الصحفي:

جدول (3.19) يوضح أبرز معوقات في التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات أثناء العمل الصحفي

النسبة %	التكرار	الإجابة
88.5	193	عدم الإلمام الكافي في استخدام تقنيات التحقق من المعلومات
73.4	160	ضعف تقنيات التحقق من المعلومات في الكشف عن الأخبار المزيفة والمضللة
65.1	142	بطيء سرعة الانترنت عند استخدام تقنيات التحقق من المعلومات
56.4	123	صعوبة استخدام بعض تقنيات التحقق من المعلومات لحاجتها إلى الاشتراك المدفوع
52.3	114	صعوبة التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات بسبب اللغة

(ن = 218) *اختلاف التكرار لاختيار المبحوثين أكثر من إجابة

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.19) أن 88.5% من أفراد عينة الدراسة يرون بأن عدم الإلمام الكافي في استخدام تقنيات التحقق من المعلومات من أبرز المعوقات في التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات أثناء العمل الصحفي، بينما 73.4% يرون ضعف تقنيات التحقق من المعلومات في الكشف عن الأخبار المزيفة والمضللة، و65.1% يرون بطيء سرعة الانترنت عند استخدام تقنيات التحقق من المعلومات، و56.4% يرون صعوبة استخدام بعض تقنيات التحقق من المعلومات لحاجتها إلى الاشتراك المدفوع، في حين أن 52.3% يرون صعوبة التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات بسبب اللغة.

يرى الباحث أن عدم الإلمام الكافي بتقنيات التحقق من المعلومات يرجع إلى عدم وجود ذوي الاختصاص في فلسطين وكذلك عدم اهتمام المؤسسات الإعلامية بهذا الأمر، نظراً لاعتمادهم على الطرق التقليدية في التحقق من المعلومات من خلال التواصل مع المصدر نفسه.

وتختلف هذه النتائج مع دراسة بهنسي (2019م)⁽¹⁾، والتي أظهرت الدرجة الكبيرة من الوعي والإلمام في التحقق من الأخبار الزائفة عبر مواقع التواصل الاجتماعي بنسبة 73%.

(1) بهنسي، مرجع سابق، ص568.

6. أهم المقترحات لتحسين قدرات الصحفيين الفلسطينيين في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي:

جدول (3.20) يوضح أهم المقترحات لتحسين قدرات الصحفيين الفلسطينيين في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي

النسبة %	التكرار	الإجابة
92.7	202	عقد الدورات التدريبية لتطوير قدرات الصحفيين في كيفية استخدام تقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي
76.1	166	المسؤولية الاجتماعية ومراعاة الصالح العام
73.9	161	إدخال التحقق من المعلومات في المناهج التعليمية في الجامعات
70.6	154	إنشاء قسم متخصص داخل المؤسسات الإعلامية يقوم بمهمة التحقق من المعلومات والأخبار قبل النشر عبر الوسيلة الإعلامية الرسمية
60.1	131	عقد الندوات وورش العمل للصحفيين للتعلم على وسائل تقنيات التحقق من المعلومات
56.9	124	إصدار دليل أو كتيب شرح كيفية تعامل الصحفيين مع تقنيات التحقق من المعلومات من قبل الجهات المتخصصة

(ن = 218) *اختلاف التكرار لاختيار المبحوثين أكثر من إجابة

تبين من النتائج الموضحة في جدول (3.20) أن 92.7% من أفراد عينة الدراسة يرون بأن عقد الدورات التدريبية لتطوير قدرات الصحفيين في كيفية استخدام تقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي من أهم المقترحات لتحسين قدرات الصحفيين الفلسطينيين في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي، بينما 76.1% يرون المسؤولية الاجتماعية ومراعاة الصالح العام، و73.9% يرون إدخال التحقق من المعلومات في المناهج التعليمية في الجامعات، و70.6% يرون إنشاء قسم متخصص داخل المؤسسات الإعلامية يقوم بمهمة التحقق من المعلومات والأخبار قبل النشر عبر الوسيلة الإعلامية الرسمية، و60.1% يرون عقد الندوات وورش العمل للصحفيين للتعلم على وسائل تقنيات التحقق من المعلومات، في حين أن 56.9% يرون إصدار دليل أو كتيب شرح كيفية تعامل الصحفيين مع تقنيات التحقق من المعلومات من قبل الجهات المتخصصة.

ويشير الباحث إلى ضرورة عقد الدورات وورش العمل التدريبية لتطوير قدرات الصحفيين في كيفية التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات، بما يؤكد على حرصهم على المسؤولية الاجتماعية والصالح العام الذي يحتم عليهم معرفة تلك التقنيات في إطار التحقق من صحة المعلومات الوارد لهم في عملهم الصحفي.

وتختلف هذه النتائج مع دراسة بوسعيد (2018م)⁽¹⁾، والتي أظهرت أن الصحفيين خضعوا لدورات تدريبية في مجال التحقق من المعلومات، لكنهم لم يمارسوها في ظل الحاجة إلى المهارات المستحدثة ومواكبة كل ما هو جديد.

نتائج الدراسة:

يعرض الباحث خلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة الميدانية، وهي على النحو الآتي:

1. جاءت درجة متابعة الصحفيين الفلسطينيين لمواقع التواصل الاجتماعي في العمل الصحفي جاءت بدرجة عالية في المرتبة الأولى بنسبة 42.2%.
2. تهدف أهم دوافع استخدام الصحفيين الفلسطينيين لمواقع التواصل الاجتماعي هو تلقي الأخبار حيث جاءت في المرتبة الأولى بنسبة 97.2%، يليه في المرتبة الثانية إبداء الرأي في بعض القضايا بنسبة 81.7%، يليه إرسال الأخبار بنسبة 69.7% في المرتبة الثالثة، ثم في المرتبة الرابعة تحسين ظروف العمل واكتساب المعارف والخبرات بنسبة 67.9%، يليها الترفيه بنسبة 66.1% في المرتبة الخامسة، يليها تعزيز مهاراتي في العمل بنسبة 65.1% في المرتبة الخامسة، ثم في المرتبة السادسة والأخيرة جاءت الدردشة مع الأصدقاء بنسبة 60.6%.
3. جاءت أبرز مواقع التواصل الاجتماعي المستخدمة في العمل الصحفي، موقع الفيس بوك بنسبة 95.4% الذي جاء في المرتبة الأولى، ثم الوتساب بنسبة 86.7% في المرتبة الثانية، يليه تويتر بنسبة 79.8% في المرتبة الثالثة، وفي المرتبة الرابعة جاء موقع اليوتيوب بنسبة 71.6%، ثم جاء الثالثة عشر والأخير موقع فليكر بنسبة 34.9%.
4. جاءت درجة استخدام الصحفيين الفلسطينيين لتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي متوسطة في المرتبة الأولى بنسبة 34.9%.
5. جاءت درجة التزام الصحفيين الفلسطينيين بتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي متوسطة في المرتبة الأولى بنسبة 45%.
6. إن أبرز الأدوات المستخدمة من قبل الصحفيين الفلسطينيين في التحقق من المعلومات هو التحقق من الحسابات الوهمية التي جاءت في المرتبة الأولى بنسبة 74.3%، يليها التحقق من الأخبار

(1) بوسعيد، مرجع سابق، (ص22).

في المرتبة الثانية بنسبة 62.8%، ثم التحقق من الصور في المرتبة الثالثة بنسبة 48.6%، يليه في المرتبة الرابعة الكشف عن الصور المطابقة بنسبة 40.8%، ثم الكشف عن الصور المعدلة في المرتبة الخامسة بنسبة 39.4%، أما المرتبة السادسة والأخيرة جاء التحقق من الفيديو بنسبة 36.7%.

7. أظهرت أبرز المواقع المستخدمة من الصحفيين الفلسطينيين في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء العمل الصحفي هي البحث عن الصور بنسبة 86.2% في المرتبة الأولى، يليه في المرتبة الثانية التحقق من صحة الصورة بنسبة 85.8%، والبحث عن المعلومات في المرتبة الثالثة بنسبة 69.7%، ويليهما البحث عن مقاطع الفيديو في المرتبة الرابعة بنسبة 58.3%، ثم التحقق من صحة الأحداث بنسبة 46.8% في المرتبة الخامسة، أما في المرتبة العاشرة والأخيرة جاء التحقق من المرسلات البريدية بنسبة 34.9%.

8. جاءت مدى فعالية تقنيات التحقق من المعلومات المنشورة عبر الإعلام الرقمي بدرجة متوسطة في المرتبة الأولى بنسبة 58.7%.

9. احتلت الأخبار في المترتبة الأولى كأكثر المجالات المستخدمة من قبل الصحفيين الفلسطينيين في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي أثناء العمل الصحفي بنسبة 89.4%.

10. تمثل موقف الصحفيين الأبرز من تقنيات التحقق من المعلومات في الإعلام الرقمي هو تدريب الصحفيين على التحقق من المعلومات سيساهم في التقليل من الوقوع بالأخطاء بنسبة 72.3% في المرتبة الأولى.

11. جاءت اتجاهات الصحفيين نحو استخدام تقنيات التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي في العمل الصحفي مؤيدة بنسبة 62.4% في المرتبة الأولى.

12. كشفت أهم الدوافع وراء استخدام الصحفيين لتقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي هو اكتساب الخبرة بنسبة 89.4% في المرتبة الأولى.

13. جاءت التأثيرات المعرفية لاستخدام الصحفيين الفلسطينيين لتقنيات التحقق من المعلومات في زيادة المعرفة والإلمام بتقنيات التحقق من المعلومات بنسبة 79.1% في المرتبة الأولى.

14. تمثلت التأثيرات الوجدانية لاستخدام الصحفيين الفلسطينيين لتقنيات التحقق من المعلومات في مساهمة استخدام تقنيات التحقق من المعلومات في التقليل من الأخطاء والأخبار المزيفة بنسبة 73.6% في المرتبة الأولى.
15. جاءت التأثيرات السلوكية لاستخدام الصحفيين الفلسطينيين لتقنيات التحقق من المعلومات في الارتقاء بمستوى العمل الصحفي بنسبة 74.1% في المرتبة الأولى.
16. إن أبرز إيجابيات استخدام تقنيات التحقق من المعلومات في العمل الصحفي هو سهولة التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات وبلغت نسبة 89% وجاءت في المرتبة الأولى.
17. جاءت أهم المعوقات في التعامل مع تقنيات التحقق من المعلومات أثناء العمل الصحفي هو عدم الالمام الكافي في استخدام تقنيات التحقق من المعلومات 88.5% في المرتبة الأولى.
18. جاءت أهم المقترحات لتحسين قدرات الصحفيين الفلسطينيين في التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي هو عقد الدورات التدريبية لتطوير قدرات الصحفيين في كيفية استخدام تقنيات من المعلومات في العمل الصحفي بنسبة 92.7% في المرتبة الأولى.

توصيات الدراسة:

1. ضرورة التزام الصحفيين بتقنيات التحقق من المعلومات واستخدامها بالقدر الكافي في العمل الصحفي، بما يساهم ذلك في نشر المعلومات الدقيقة والسليمة عبر وسائل الإعلام المختلفة.
2. إطلاق موقع فلسطيني متخصص في مجال تقنيات التحقق من المعلومات عبر الإعلام الرقمي من قبل المؤسسات الإعلامية المهمة.
3. ضرورة أن يتحلى الصحفيين الفلسطينيين بالمسؤولية الاجتماعية وتحقيق الصالح العام عند حصولهم على المعلومات التي مصدرها وسائل الإعلام الرقمي.
4. إنشاء قسم متخصص داخل المؤسسات الإعلامية الفلسطينية، يقوم بدور التحقق من المعلومات المضللة والمفبركة قبل عملية النشر عبر وسائل الإعلام المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

- أبو داري، معتصم (2018م). تحقق غرف الأخبار التلفزيونية من المعلومات المتدفقة من مواقع التواصل الاجتماعي قبل بثها الجزيرة أنموذجاً: دراسة حالة (رسالة ماجستير منشورة). جامعة الشرق الأوسط، الأردن.
- أحسن، كرد، رقية، عياش (2019م). استخدام شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تحسين الممارسة الإعلامية: دراسة ميدانية (رسالة ماجستير منشورة). جامعة الصديق بين يحيى، الجزائر.
- أشرف مشتفي، الخبير في مجال التقنية ومواقع التواصل الاجتماعي، قابله فارس أبو شيحة (2021/8/1م).
- بلاني، خديجة، رحموني، لبنى (2018). اعتماد الصحفيين الجزائريين على مواقع التواصل الاجتماعي كمصادر للمعلومات: دراسة ميدانية (رسالة ماجستير منشورة). جامعة أم البواقي، الجزائر.
- بلخيري، رضوان (2014م). الإعلام الجديد مرحلة جديدة من التنافس. مجلة علوم الإنسان والمجتمع. ورقة علمية منشورة، (12)، ص 45.
- بلفار، مصعب (2016م). اتجاهات الصحفيين نحو مصداقية الأخبار في مواقع التواصل الاجتماعي بالجزائر: دراسة ميدانية (رسالة ماجستير منشورة). جامعة محمد بوضياف، الجزائر.
- بهنسي، مها السيد (2019م). آليات مستخدمي الشبكات الاجتماعية في التحقق من الأخبار الزائفة، ورقة علمية منشورة. المجلة المصرية لبحوث الإعلام، (68)، ص(565-614).
- بوسعيدي، إيناس (2018م). آليات التحقق من الأخبار المتدفقة عبر الإعلام الاجتماعي: دراسة حالة. ورقة علمية منشورة، معهد الجزيرة للإعلام.
- بوسعيدي، إيناس (2018م). آليات التحقق من الأخبار المتدفقة عبر الإعلام الاجتماعي: دراسة حالة. ورقة علمية منشورة، معهد الجزيرة للإعلام.

- تحسين الأسطل، نائب نقيب الصحفيين الفلسطينيين في قطاع غزة، فارس أبو شيحة (اتصال هاتفي: 20/إبريل/2021م).

- تقرير شركة اي بوك، الواقع الرقمي الفلسطيني 2020، موقع إلكتروني، رابط الموقع:

<https://bit.ly/2XH6ITh>

- حسونة، سائد، المختص في مواقع التواصل الاجتماعي، قابله فارس أبو شيحة (اتصال شخصي، 2021/8/31).

- حسين، سمير (2006م). بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ. ط3. القاهرة: عالم الكتاب للتوزيع والنشر.

- حماد، حازم (2019م). العوامل المؤثرة في استخدام الصحفيين الفلسطينيين للإعلام الجديد: دراسة ميدانية (رسالة ماجستير منشورة). الجامعة الإسلامية، غزة، (ص106).

- حيدر، خضر (2019). مفهوم التقنية: دلالة المصطلح، ومعاينة وطرق استخدامه. ورقة بحثية منشورة. المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، (4)، ص 285-300.

- خير الله، هشام. (2020م). محاضرات في نظريات الإعلام. جامعة المنوفية، مصر، ص86.

- رضوان، سائد (2016م). اعتماد الشباب الفلسطيني على صحافة الهاتف المحمول كمصدر للأخبار وقت الأزمات: دراسة ميدانية (رسالة ماجستير منشورة). الجامعة الإسلامية، غزة، (ص118).

- زقوت، هشام. (2016م). استخدام الصحفيين الفلسطينيين لتطبيقات مواقع التواصل الاجتماعي من خلال الهواتف الذكية: دراسة ميدانية، الجامعة الإسلامية، غزة، (ص87).

- السلمي، علي. (2008). السلوك الإنساني في الإدارة. ط1. القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع.

- السلمي، علي. (2008). السلوك الإنساني في الإدارة. ط1. القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع، ص49.

- الشمالية، ماهر، اللحام، محمود، كافي، مصطفى (2015). الإعلام الرقمي الجديد. ط1. عمان: دار الإعمار للنشر والتوزيع.

- الصحافة والأخبار الزائفة والمضللة، سلسلة اليونسكو لتدريس الصحافة، (ص20).
- صلوي، عبد الحافظ، نظريات التأثيرات الإعلامية، محاضرات في مناهج البحث الإعلامي، موقع إلكتروني، تاريخ الاطلاع (2021/8/27)، رابط: <https://bit.ly/3zuh8Dw>.
- الطويسي، زياد. (2001). مجتمع الدراسة والعينات. مديرية تربية لواء البتراء. العراق. شبكة الانترنت.
- عبد الحق، بكر المختص في مجال التحقق من المعلومات، قابله فارس أبو شيحة (اتصال عبر الوتساب، 2021/6/30م)
- عبد الحق، بكر. (2016). التزام الصحفيين التحقق من المحتوى الذي يستخدمون على الاعلام الاجتماعي في الأردن وفلسطين. دراسة ميدانية. (رسالة ماجستير غير منشورة). معهد الإعلام الأردني. الأردن.
- عبد الحق، بكر. (2017م). التحقق في الإعلام الجديد. مركز تطوير الإعلام. جامعة بيرزيت.
- عبد الحميد، محمد. (2000م). البحث العلمي في الدراسات الإعلامية. ط1. القاهرة، عالم الكتب للتوزيع والنشر، (ص153).
- عبد الحميد، محمد. (2004م). نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. ط2. القاهرة: عالم الكتب للتوزيع والنشر.
- عبد الغني، مي. (2020م). توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في التحقق من الأخبار الزائفة: موقع الفيسبوك نموذجا. دراسة تحليلية مقارنة. ورقة علمية منشورة. مجلة البحوث والدراسات الإعلامية، (12)، ص10.
- العيسوي، إبراهيم (2021م). استخدامات الصحفيين الفلسطينيين للتقنيات الرقمية في صناعة المحتوى الإخباري: دراسة مسحية على القائم بالاتصال (رسالة ماجستير منشورة). الجامعة الإسلامية، غزة.
- محمود الفراء، المكتب الإعلامي الحكومي بغزة، فارس أبو شيحة (اتصال هاتفي: 25/إبريل/2021م).

- المشهداني، سعد (2017م). *مناهج البحث الإعلامي*. ط1. العين: دار الكتاب الجامعي.
- موسوعة المبتكر. (2021، 1 مايو). *تعريف ومفهوم التكنولوجيا*. تاريخ الاطلاع: 2021/5/1م، الموقع: <https://bit.ly/3x1aR1m>.
- موقع المرسال. (2021، 29 يناير). *تعريف المعلومات لغًا واصطلاحًا*. تاريخ الاطلاع: 2021/4/25م، الموقع: <https://bit.ly/3akIkdz>.
- موقع صحيفة النهار. (2018، 5 فبراير). *مقال علمي منشور*. شبكة الانترنت. <https://bit.ly/2U3jj11>
- موقع مرصد مصداقية الإعلام الأردني. (2021م، 20 إبريل). *مفاهيم ومصطلحات التحقق*. تاريخ الاطلاع: 2021/4/20م، الموقع: <https://bit.ly/3tuMaZ1>.

دور وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج لنصرة قضية القدس

The Role of Social Media in Disseminating Jerusalem cause

إعداد: د. حاتم علي مصطفى العسولي؛

أستاذ الصحافة المساعد، ورئيس قسم الإعلام، جامعة غزة، فلسطين

Prepare by: Dr. Hatem Ali Mustafa AlAssouli

Associate Professor of Media, Head of Media Department, Gaza

University, Palestine

المستخلص

جاءت الدراسة بعنوان : دور وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج لنصرة قضية القدس، وهدفت إلى معرفة أنواع وآليات ترويج وسائل التواصل الاجتماعي لقضية القدس، والأثر الناتج عن عملية الترويج، واستخدم الباحث منهج المسح الوصفي والمنهج التحليلي، كما تم استخدام صحيفة الاستقصاء كأداة رئيسة للدراسة، وتم تطبيق أداة الدراسة على عينة عمدية من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي بلغ قوامها (150) مفردة. وتم تحليل البيانات إحصائياً باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وخلصت الدراسة إلى نتائج أهمها: أن وسائل التواصل الاجتماعي تروج لقضية القدس في المجال السياسي بنسبة كبيرة بلغت (73.2%)، وضعف ترويج وسائل التواصل الاجتماعي لقضية القدس في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري والعقدي، وتوصي الدراسة بما يلي: ضرورة التحلي بالمسؤولية الاجتماعية، والمعايير المهنية والأخلاقية تجاه المجتمع، وتعزيز الرقابة المهنية في النشر الإلكتروني، وضرورة تجنب المصادر غير الموثوقة في النشر الإلكتروني.

الكلمات المفتاحية: النشر الإلكتروني، التواصل الاجتماعي، تكنولوجيا الاتصال، قضية القدس، القضية الفلسطينية

Abstract

The title of the study is: The role of social media in promoting the Quds issue, aims to realize the role of the Arab social media in promoting the Quds issue, and to know the categories and the mechanism of promoting the social media for the Quds issue, so the researchers use descriptive and analytical methodology, the questionnaire was used as a main tool for the study, distributed to a sample of 150 users. The data was analyzed statistically by using the Statistical Package for Social Sciences (SPSS), and The results come out of the study as follows: The social media promoting for the Quds issue in political area (73.2%), Coverage of economic, social, cultural, religious, and civilized fields relevant to the Palestinian issue testify weakness in the Arab social media. The study recommends that: The importance of adherence to social responsibility and professional and ethical standards towards society, Strengthen professional oversight and avoid unreliable sources in electronic press.

Key Words: Electronic Publishing, Social Media, Communication Technology, Jerusalem cause, Palestinian question

الإطار المنهجي للدراسة:

مقدمة:

أسهمت التطورات التكنولوجية المتسارعة، خصوصاً في مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في توسيع نطاق حرية الرأي والتعبير في الوطن العربي، لاسيما في ظل الثورة الهائلة في عالم الاتصال والصحافة الإلكترونية، وتوسع نطاق التعاطي مع الإعلام الجديد.

وأصبح للإعلام دوراً مهماً في تناول القضايا المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها من القضايا المعاصرة، إضافة إلى شرحها وتفسيرها ومعالجة أبعادها المتعددة من أجل تهيئة الرأي العام إعلامياً، وقد أتاح الإنترنت الفرصة للمواطن العادي لأن يعبر عن رأيه ويتحول إلى صحفيّ وناشر من خلال مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيس بوك وتويتر وإنستغرام وواتساب ويوتيوب وغيرها من وسائل الاتصال والنشر الإلكتروني، وهو ما أطلق عليه صحافة المواطن.

ويقوم الإعلام بدور مهم في تنمية الوعي السياسي لدى المواطنين ويرشدهم لما يدور على الساحة الداخلية أو الخارجية، إذ يتناول القضايا الوطنية التي تؤثر في قدرات الدولة السياسية، من خلال الشرح والتحليل لهذه القضايا والتسويق لها، وتعريف المواطن بأسبابها وبأساليب التعامل معها.

وتلعب الصحافة دوراً بارزاً في الحياة السياسية سواء في المجتمعات الديمقراطية أو الدكتاتورية، وبلغ من تأثيرها أن أطلق عليها مسمى السلطة الرابعة. (عبد، 2004، ص127) ولوسائل التواصل الاجتماعي قدرة على مخاطبة الرأي العام والتأثير فيه، ولذلك تحرص الدول وخاصة في دول العالم الثالث على أن يكون لها صحافتها الخاصة بها لتحمل أفكارها وآراءها وأهدافها من أجل بناء المجتمع. (بهنسي، 2004، ص140)

وتتسم وسائل التواصل الاجتماعي بالعديد من المميزات والخصائص الاتصالية التي جعلتها وسيطاً إعلامياً جماهيرياً فعالاً، حيث مكنت الأفراد والمؤسسات من إرسال واستقبال المعلومات عبر أي مسافة وفي أي وقت وفي أي مكان. (تربان، 2008، ص79)

مشكلة الدراسة:

تعتبر قضية القدس من أهم القضايا وأكثرها تعقيداً على المستويين الإقليمي والدولي، لا سيما أنها لا تزال تحتل أبرز قضايا منطقة الشرق الأوسط المتأثرة والمؤثرة في حالة الوضع الإقليمي والدولي على الرغم من تنوع قضايا المنطقة وزيادة الأزمات فيها، ويرى الباحث أن الانتهاكات المتكررة والمتصاعدة التي باتت تهدد قضية القدس والمسجد الأقصى، لا سيما أحداث واعتداءات قطاعان المستوطنون وجنود الاحتلال الإسرائيلي مؤخراً خلال شهر إبريل/نيسان 2021م، على المسجد الأقصى وحي الشيخ جراح في القدس، والتي أشعلت وسائل التواصل الاجتماعي لهيباً بفعل الصور والتغطية الإعلامية الحية التي تناقلها الصحفيون والناشطون الفلسطينيون عبر منصاتهم الاجتماعية للاعتداءات الوحشية لجنود الاحتلال الإسرائيلي ضد مدينة القدس والمقدسات الإسلامية، الأمر الذي أوجد حالة من التعاطف والتأييد الشعبي والرسمي على المستويين المحلي والدولي، ودفع للتعرف على الدور الذي تؤديه وسائل التواصل الاجتماعي ومدى ترويجها لنصرة قضية القدس.

وتتمثل مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي: ما دور وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج لنصرة قضية القدس؟ ويتفرع من التساؤل الرئيس الأسئلة البحثية التالية:

1. ما نوع الترويج الذي تقوم به وسائل التواصل الاجتماعي لنصرة قضية القدس؟
2. ما هو الأثر الذي أحدثته وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج لقضية القدس؟
3. ما سبل تفعيل دور وسائل التواصل الاجتماعي وزيادة متابعتها بما يخدم القدس والقضية الفلسطينية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها من الدراسات العلمية الحديثة التي تركز على دور وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج لنصرة قضية القدس، وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من حيث رصد أداء وسائل التواصل الاجتماعي ومدى قدرتها على الترويج لنصرة قضية القدس، في ظل الهجمة الشرسة والمؤامرات التي تحيها الولايات المتحدة الأمريكية مع دولة الاحتلال الإسرائيلي ضد القضية الفلسطينية بشكل عام وقضية القدس بشكل خاص، وإبراز الدور الإعلامي الهام لوسائل التواصل الاجتماعي كنماذج اتصال فاعلة وقوية في تشكيل الرأي العام، والوقوف على أهمية الدور الذي تقوم به وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج لقضية القدس.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1. التعرف على دور وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج لقضية القدس.
2. إبراز أهم أنواع وآليات ترويج وسائل التواصل الاجتماعي لقضية القدس والأثر الناتج عن عملية الترويج.
3. تقديم توصيات واقتراحات يمكن أن تسهم في زيادة فاعلية ترويج وسائل التواصل الاجتماعي للقضية الفلسطينية.

حدود الدراسة:

تم تحديد الفترة الزمنية لإجراء الدراسة الميدانية على عينة عمدية من متابعي وسائل التواصل الاجتماعي في محافظات قطاع غزة، في شهر أغسطس 2021م.

الدراسات السابقة:

اطلع الباحث على عدد من الأبحاث والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة، واختار أهم النماذج لتلك الدراسات العربية والأجنبية.

أولاً/ الدراسات العربية:

رتب الباحث الدراسات العربية السابقة حسب تاريخ النشر بدءاً بالأحدث:

1. دراسة جودة (2018) بعنوان: "دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز عروبة القدس لدى طلبة جامعة الأقصى" هدفت إلى الكشف عن دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز عروبة القدس، ومعرفة أكثر شبكات التواصل الاجتماعي استخداماً من قبل طلبة جامعة الأقصى، واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت الباحثة الإستبانة كأداة رئيسية لجمع البيانات، وتمثل مجتمع الدراسة في طلبة جامعة الأقصى، وبلغت عينة الدراسة (48) طالب و (99) طالبة. وخلصت إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن لشبكات التواصل الاجتماعي دور كبير في تعزيز عروبة القدس لدى طلبة جامعة الأقصى، وأنها تؤدي دور أكبر لدى الطالبات، وأن أكثر شبكات التواصل الاجتماعي استخداماً هي الفيس بوك. وأوصت الدراسة بمجموعة توصيات أبرزها: ضرورة تأهيل الشباب

الفلسطينية وتدريبهم للإستفادة من شبكات التواصل الاجتماعي في تسويق قضية القدس والتأكيد على عروبتها.

2. دراسة بريخ (2015م) بعنوان: "اعتماد النخبة السياسية الفلسطينية على شبكات التواصل الاجتماعي كمصدر للمعلومات أثناء العدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014م" هدفت إلى التعرف على مدى اعتماد ومتابعة النخبة السياسية الفلسطينية لشبكات التواصل الاجتماعي كمصدر للمعلومات أثناء العدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014م، والتعرف على أسباب متابعتها وأسباب تفضيلها، ومعرفة الآثار الناتجة عن اعتماد النخبة السياسية على شبكات التواصل الاجتماعي كمصدر للمعلومات. واستخدم الباحث منهج المسح الإعلامي، واعتمد في جمع بياناته على صحيفة الاستقصاء والمقابلة المقننة، وتمثل مجتمع الدراسة في النخب السياسية الفلسطينية في محافظات قطاع غزة، وتم اختيار عينة حصصيه بلغ قوامها (164) مبحوثاً من مسؤولو وقادة الفصائل، ومحللين سياسيين، وأكاديمين العلوم السياسية والصحافة والإعلام، ونواب المجلس التشريعي الحاليين والسابقين. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن ما نسبته 78.66% من المستطلعة آرائهم يعتبرون أن شبكات التواصل الاجتماعي تنصدر مصادر الحصول على معلومات أثناء العدوان، وأن الأخبار السياسية والميدانية كانت الأكثر تداولاً عبر شبكات التواصل الاجتماعي، إضافة إلى انخفاض درجة ثقة المبحوثين عينة الدراسة بالمعلومات المتوفرة على شبكات التواصل الاجتماعي أثناء العدوان، وأن ما نسبته 78.5% من المبحوثين شددوا على ضرورة توشي الدقة والموضوعية في منشورات شبكات التواصل الاجتماعي لتصبح مصدراً فاعلاً للمعلومات، إضافة إلى التوعية الأمنية نحو الاستخدام الصحيح لها. وأوصت الدراسة بمجموعة توصيات أهمها: ضرورة اهتمام القائمين على شبكات التواصل الاجتماعي عبر الصفحات الفلسطينية، بتحري الدقة بالمعلومات المقدمة عبرها وخصوصاً أثناء الاعتداءات الإسرائيلية والأزمات.

3. دراسة (عيسى، 2011) بعنوان: "فاعلية استخدام وسائل الإعلام الجديد في نجاح فعاليات إنهاء الانقسام الفلسطيني" هدفت إلى التعرف على فاعلية وسائل الإعلام الجديد في المساهمة بإنهاء الانقسام، ومعرفة أكثر وسائل التواصل الاجتماعي استخداماً وتأثيراً في إنجاز فعاليات إنهاء الانقسام الفلسطيني، واعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، واستخدم صحيفة الاستقصاء كأداة رئيسية لجمع البيانات، وتمثل مجتمع الدراسة في النشطاء الفلسطينيين على وسائل الإعلام الجديد، وتم توزيع أداة الدراسة على عينة عشوائية يسيرة بلغ قوامها (100) مفردة. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" أكثر وسائل الإعلام الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي متابعة واستخداماً في الدعوة لإنهاء الانقسام الفلسطيني، وأن الصور جاءت في

مقدمة الأساليب المستخدمة في وسائل الإعلام الجديد للدعوة إلى فعاليات إنهاء الانقسام الفلسطيني. وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أبرزها: العمل على رفع كفاءة خدمات الإنترنت وزيادة سرعته، وتكثيف الدورات التدريبية والتعليمية للشباب بهدف استثمار وسائل الإعلام الجديد لمصلحة القضية الفلسطينية.

4. دراسة الحيدري (2010م) بعنوان: "الإعلام الجديد: النظام والفوضى" هدفت إلى تناول موضوع الإعلام الجديد كظاهرة شمولية بدأت في الاتساع، ومناقشة إشكالية النظام والفوضى (Order and Chaos) التي برزت كسمة لهذا الإعلام الجديد، وتجاوز الضوابط السائدة في صناعة المضامين الإعلامية والاتصالية، واستخدم الباحث منهج المسح الوصفي والمنهج التحليلي، واعتمد في جمع بياناته على صحيفة الاستقصاء والمقابلة. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها: أن حالة النظام والفوضى في الإعلام الجديد أفرزت تحولاً من نظام الضبط في الاتصال إلى إعلام الاستقطاب المتمثل في إعلام أو صحافة المواطن، وأن حالة الاستقطاب تجري على نحو لا يأخذ في الاعتبار بالمقاييس المهنية للعملية الاتصالية، بقدر ما يتجلى عبر أسلوب متحرر من القواعد الصحفية والأخلاقية. وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها: ضرورة إعادة النظر في أساليب تعليم وتدريب الإعلاميين، والاعتناء بتحقيق فتح دلالي جديد في مستوى المفاهيم والمصطلحات المعتمدة في حقل الإعلام والاتصال.

ثانياً/ الدراسات الأجنبية:

رتب الباحث الدراسات الأجنبية السابقة حسب تاريخ النشر بدءاً بالأحدث:

1. دراسة حسان Hassan (2015م) بعنوان:

"Tools of Modern Media Impact Forces: Discourse, Language and Image"

"قوة تأثير أدوات وسائل الاتصال الحديثة: الخطاب واللغة والصورة" هدفت الدراسة إلى هذا إظهار القوى المؤثرة في وسائل الاتصال الحديثة، ومدى التلاعب بها من قبل الفئات ذات النفوذ والقوى الكبرى لتحقيق أهداف محددة خصوصاً في المجتمعات النامية. وناقشت الدراسة التحليلية تسخير وسائل الاتصال الحديثة للتقدم الذي أحرز مؤخراً في مجال التكنولوجيا والأنظمة ذات العلاقة في تليفيق (فبركة) الأحداث والحقائق لإقناع الأفراد أو المجموعات العاديين، وإحباط الخصوم من أصحاب وسائل الاتصال أو المتحكمين بتلك الوسائل الإعلامية. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن وسائل الاتصال الحديثة أصبحت أكثر إقناعاً من كونها (معلوماتية)

أو إخبارية، والزرع بأن شعوب المجتمعات الصناعية أكثر إدراكا للأثار من نظرائهم في المناطق الزراعية في العالم الثالث، وذلك لسبب واضح هو أن هذه الأخيرة لا تزال تعاني من آثار الحقبة الاستعمارية، إضافة إلى تحرك الأحزاب المؤثرة، سواء كانت دول أو مجموعات، لتنفيذ حملات توعية وعقد الأنشطة المتنوعة لمواجهة وسائل الاتصال بالأفعال والسلوك.

2. دراسة كيم وآخرون Kim, & Others (2015م) بعنوان:

"Tweeting The Public: Journalists' Twitter Use, Attitudes Toward The Public's Tweets, and The Relationship With The Public"

"التغريد للجمهور: دراسة استخدام الصحفيين والإعلاميين لشبكة تويتر واتجاهاتهم نحو تغريدات المجتمع وعلاقتهم مع الجمهور" هدفت الدراسة إلى قياس اتجاهات الصحفيين والإعلاميين في كوريا الجنوبية نحو الجمهور وعلاقتهم بالعامّة من خلال توتير وأهم أنشطتهم على الشبكة، وخصوصاً في صناعة الأخبار وكتابة العناوين الرئيسية وكيفية استفادتهم من تغريدات الجمهور في صياغة عناوين إخبارية مهمة. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: استخدام الصحفيين لتويتر من أجل سرد القصص الإخبارية التي يستخدمونها في الصحف المطبوعة أو الإلكترونية، واستخلاص ردود الأفعال والآراء لصياغة القصص الإخبارية بنسبة 73% من المبحوثين عينة الدراسة، وأن قدرة الصحفي على استخلاص المعلومة وصياغتها بالطريقة الإخبارية الواقعية التي تعكس نبض الجمهور، بنص إخباري محكم له تأثيره على الجمهور، علاوة على أن تغريدات الجمهور في تويتر تؤثر في الرأي العام وتعكسه بصراحة.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض النماذج آنفة الذكر من الدراسات السابقة يتبين أن ثمة أوجه تشابه واختلاف بين الدراسات السابقة، لاسيما من حيث المنهج المتبع وأدوات الدراسة والعينة والمجتمع، وإذ إنّ هذه الدراسة تعتبر إضافة نوعية للدراسات السابقة فقد تم الاستفادة من الدراسات السابقة في الكثير من الأمور أهمها: الاطلاع الواسع على موضوع الدراسة ومحاولة الإلمام بجميع جوانبه، والعرض السليم للإطار النظري، وتصميم وبناء أداة الدراسة، وتفسير النتائج ومناقشتها والتعليق عليها وربطها بما توصلت إليه الدراسة الحالية.

الإطار المفاهيمي للدراسة:

نظرة عامة على الإعلام الرقمي:

شهد الإعلام الرقمي تطوراً ونموً ملحوظاً، ولا تزال في تطور مستمر ومتسارع، بتسارع التكنولوجيا والتقنيات الإعلامية الحديثة، التي تعد إحدى نظريات الاتصال الجماهيري، التي تساهم في سرعة إيصال الرسالة من المرسل إلى المتلقي.

إذ أدت التطورات الإيجابية في استخدام الإنترنت إلى تشجيع الكثير من الناشرين العرب إلى الدخول في عالم النشر الإلكتروني. (محمد، 2000، ص83) ويشير عماد بشير إلى أن استخدام هذه التقنية "النشر الإلكتروني" سجل للناشرين العرب سبقاً على مستوى النشر الصحافي على صفحات من القطع الكبير والعريض Broad Sheet Newspapers في استخدام تقنية جديدة في عالم الصحافة. ثم توالى الصحف العربية في إنشاء مواقع لها على شبكة الإنترنت، حتى أنه لا تكاد دولة تخلو من وجود مواقع لأصحفها – أبو بعضها - على شبكة الإنترنت. (أمين، 2007، ص116) علاوة على الانتشار الواسع لمواقع التواصل الاجتماعي التي لا يكاد شخص يخلو من امتلاك موقع أو وسيلة تواصل اجتماعي.

وتعد وسائل التواصل الاجتماعي من ضمن أهم وسائل الاتصال بشكل عام والصحافة الإلكترونية بشكل خاص، لما تؤديه من دور إعلامي بارز وهام في المجتمعات، خصوصاً وأنها تعطي مساحات واسعة من الحريات للتعبير عن الرأي والموضوعات في المجالات المتنوعة.

وتحقق وسائل التواصل الاجتماعي شعبية كبيرة وانتشاراً جماهيرياً كونياً بين المستخدمين حول العالم، لما تقدمه من مزايا وخدمات تفاعلية، إذ عمدت الشركات القائمة عليها إلى ترتيبها وتنسيقها وتطوير تطبيقاتها بشكل متواصل، ليس فقط لتحقيق استخدام أفضل وإنما للاستفادة من نتائج تحليل الاستخدام في دراسة اهتمامات التجمعات الإنسانية على الإنترنت (زودة، 2012، ص2).

وتشير مواقع التواصل الاجتماعي إلى حالة من التنوع في الأشكال والتكنولوجيا والخصائص التي حملتها الوسائل المستحدثة عن التقليدية، لاسيما فيما يتعلق بإعلاء حالات الفردية Individuality والتخصيص Customization، وتأتيان نتيجة لميزة رئيسة هي التفاعلية. فإذا ما كان الإعلام الجماهيري والإعلام واسع النطاق وهو بهذه الصفة وسم إعلام القرن العشرين، فإن الإعلام الشخصي والفردى هو إعلام القرن الجديد. وما ينتج عن ذلك من تغيير انقلابي للنموذج

الاتصالي الموروث بما يسمح للفرد العادي إيصال رسالته إلى من يريد في الوقت الذي يريد، وبطريقة واسعة الاتجاهات وليس من أعلى إلى أسفل وفق النموذج الاتصالي التقليدي. فضلاً عن تبني هذه المواقع تطبيقات الواقع الافتراضي وتحقيقه لميزات الفردية والتخصيص وتجاوزه لمفهوم الدولة الوطنية والحدود الدولية (الشرافي، 2020، ص9).

الترويج لقضية القدس:

تُعدّ مدينة القدس من المُدن الحضاريّة والمُقدسة المهمّة، أُسِّست معالمها الأولى على منطقة تلال الظهور التي تُطلّ على سلوان في الجهة الجنوبيّة الشرقيّة التابعة للمسجد الأقصى، أمّا امتدادها الجغرافيّ في الوقت الحاليّ فيبدأ من الجهة الجنوبيّة لجلال الخليل، والجهة الشماليّة لجلال نابلس، وتصل إلى الجهة الشرقيّة التابعة للبحر المتوسط، ويصل ارتفاعها فوق مستوى سطح البحر إلى ما يقارب 775م.

ومدينة القدس هي عاصمة فلسطين، حيث جاء في وثيقة إعلان الاستقلال (فإن المجلس الوطني يعلن، باسم الله وباسم الشعب العربي الفلسطيني قيام دولة فلسطين فوق أرضنا الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف) وكذلك جاء في مقدمة القانون الأساسي المعدل (إقامة الدولة الفلسطينية بعاصمتها القدس الشريف وهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين مسرى نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم، ومهد سيدنا المسيح عليه السلام) إضافة إلى ما نصت عليه المادة رقم (3) من القانون الأساسي (القدس عاصمة فلسطين) (وزارة الخارجية الفلسطينية، 2021).

ويعطي خبراء التسويق السياسي أهمية بالغة لعملية بناء قصص إخبارية تستهدف بناء أو دعم الصورة الذهنية لمؤسسة أو حزب أو قيادة سياسية، وهو ما يعد إحدى النقاط الأساسية التي يركز عليها التسويق، باعتبارها محاولة لإقناع الجمهور (الجمال، عياد، 2005، ص105)

وإن أهمية الترويج لقضية القدس تتمثل في تكوين قناعات لدى الناس وتوليد رأي عام مؤيد وداعم لنضال وصمود الشعب الفلسطيني على أرضه، لاسيما في هذه الأوقات العصيبة التي تتعرض له مدينة القدس عاصمة الدولة الفلسطينية وأحيائها ومقدساتها إلى الإنتهاكات والجرائم المتواصلة من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي، وإن الأهمية التي وصلت لها القضية الفلسطينية في الوقت الحاضر ودخولها أروقة الأمم المتحدة لم يكن تفضلاً وإكراماً من أحد وإنما نتيجة لكفاح ونضال فلسطيني وعربي.

وتقوم وسائل التواصل الاجتماعي بدور هام وضخم جداً للترويج للقضية الفلسطينية، لاسيما أن مجالها مفتوح لكل الناس وبقدر ما تبذله من جهد وما تصنعه من أخبار قيمة يتلقاها العالم أجمع، وذلك بفضل الإنترنت والتقنيات الحديثة التي ساعدت في الوصول إلى أي مواطن في أي مكان في العالم.

ويلقى على عاتق الصحافة الإلكترونية بشكل عام دوراً مهماً وبارزاً في التسويق للقضية الفلسطينية، إذ بإمكانها استغلال الانتشار الواسع لشبكة الإنترنت في الوصول إلى الرأي العام الغربي لتغيير تلك الأفكار والمفاهيم الراسخة في عقولهم، وتكريس مبادئ وأصول وجزور القضية العربية الفلسطينية وتاريخها العربي الأصيل. ومن هنا يتبين مدى دور وأهمية التسويق للقضية الفلسطينية.

الإطار الميداني للدراسة:

منهج الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام منهج المسح الوصفي والمنهج التحليلي كونه يتناسب مع هذا النوع من الدراسات، فهو يتعامل مع "مجالات وظواهر بحثية يتوفر بشأنها عدداً من المؤشرات التي استخلصتها بحوث سابقة، إلا أن هناك أبعاداً أو زوايا جديدة لهذه المجالات البحثية لم يتم تناولها، وهو يقوم على أساس الرصد والتوصيف الدقيق لعناصر ومتغيرات الظاهرة البحثية" (اللبان، 2008، ص76).

وفي الدراسات الإعلامية تستخدم الدراسات الوصفية لأغراض الوصف المجرد والمقارن للأفراد والجماعات ووصف الاتجاهات والدوافع والحاجات واستخدامات وسائل الإعلام والتفضيل والاهتمام وكذلك وصف النظم والمؤسسات الإعلامية والوقائع والأحداث، ثم وصف وتفسير العلاقات المتبادلة بين هذه العناصر وبعضها البعض في إطار علاقات فرضية يمكن اختبارها. (عبد الحميد، 2004م: 13)

أدوات جمع البيانات:

تعتبر عملية جمع البيانات من أهم المراجع لأي بحث علمي إذ تتوقف عليها صحة البيانات المجموعة والمستخدمه وصحة النتائج الإحصائية وكفاءة الاستنتاجات العلمية في التحليل (حسين، 1984، ص103). ويعتبر الاستقصاء من الأدوات الأكثر استخداماً وملاءمة للبحوث الوصفية (أبو كريشة، 1999، ص104).

ووفقاً لطبيعة المشكلة موضوع الدراسة، تم استخدام صحيفة الاستقصاء كأداة رئيسة لجمع البيانات، إضافة إلى الملاحظة والمقابلة العلمية.

مجتمع وعينة الدراسة:

تمثل مجتمع الدراسة في مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي، ونظراً لصعوبة الوصول لكافة مجتمع الدراسة، تم توزيع أداة الدراسة "الإستبانة" على عينة عمدية بلغ قوامها (150) مفردة، وتم استرداد جميع الاستبانات بنسبة (100%) .

المستوى التصنيفي المعتمد في الدراسة:

لتحديد المستوى التصنيفي المعتمد في الدراسة، فقد تم تحديد طول الخلايا في مقياس ليكرت الخماسي من خلال حساب المدى بين درجات المقياس (4=5-1)، ومن ثم تقسيمه على أكبر قيمة في المقياس للحصول على طول الخلية أي (0.80=4/5)، وبعد ذلك تم إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس (بداية المقياس وهي واحد صحيح) وذلك لتحديد الحد الأعلى لهذه الخلية. (التميمي، 2004م: 42) وعليه أصبح طول الخلايا كما هو موضح في الجدول الآتي:

جدول (1) المستوى التصنيفي المعتمد في الدراسة

درجة الموافقة	الوزن النسبي المقابل له	طول الخلية
قليلة جداً	من 20% - 36%	من 1 - 1.80
قليلة	أكبر من 36% - 52%	أكبر من 1.80 - 2.60
متوسطة	أكبر من 52% - 68%	أكبر من 2.60 - 3.40
كبيرة	أكبر من 68% - 84%	أكبر من 3.40 - 4.20
كبيرة جداً	أكبر من 84% - 100%	أكبر من 4.20 - 5

ولتفسير نتائج الدراسة والحكم على مستوى الاستجابة، اعتمد الباحث على ترتيب المتوسطات الحسابية على مستوى المجالات للأداة ككل، ومستوى الفقرات في كل مجال، وقد حدد الباحث درجة الموافقة حسب المستوى التصنيفي المعتمد للدراسة.

صدق وثبات الاستبانة:

يُقصد بصدق الإستبانة: "مدى تمكن أداة جمع البيانات، أو إجراءات القياس من قياس المطلوب قياسه" (العسولي، 2011، ص85)، وهذا يعني أنه إذا تمكنت أسئلة الإستبانة من قياس ما وضعت لقياسه، فإن الأداة تكون صادقة. حيث تم عرض الإستبانة على مجموعة من المحكمين* من ذوي الخبرة والكفاءة والمختصين الحاصلين على درجة الأستاذية والدكتوراه في الإعلام، ويعملون أكاديميين في عدد الجامعات السودانية والفلسطينية، وتمت الاستجابة لآرائهم وإجراء ما يلزم من إضافة أو حذف وتعديل. إضافة إلى حساب الإتساق الداخلي للإستبانة وذلك من خلال حساب معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات مجالات الإستبانة والدرجة الكلية للمجال نفسه. وقد تحقق الباحث من ثبات إستبانة الدراسة من خلال طريقة معامل ألفا كرونباخ.

مناقشة نتائج الدراسة الميدانية:

جدول رقم (2) المتوسط الحسابي وقيمة الإحتمال (Sig.) لفقرات الترويج لقضية القدس

م	العبارة	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي النسبي	الرتبة	القيمة الإحتمالية (Sig.)
1	تسهم وسائل التواصل الاجتماعي في حشد وتوجيه الطاقات الشعبية لنصرة قضية القدس.	4.1	82	1	0.000
2	توسيع نطاق تغطية وسائل التواصل الاجتماعي لأخبار قضية القدس يسهم في زيادة فاعلية الحشد والتأييد لها.	3.98	79.6	2	0.000
3	تساعد وسائل التواصل الاجتماعي في توسيع وزيادة أفقي المعرفة والسياسية.	3.95	79	3	0.000
4	تفرد وسائل التواصل الاجتماعي مساحات واسعة للترويج سياسياً لقضية القدس.	3.89	77.8	4	0.000
5	تسهم وسائل التواصل الاجتماعي في تغيير المواقف والاتجاهات المعرفية والسلوكية المؤيدة لقضية القدس.	3.79	75.8	5	0.000

* السادة المحكمون هم: أ.د.حسن محنت الزين "رحمه الله" أستاذ الإعلام بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، أ.د. بدر الدين أحمد إبراهيم أستاذ الإعلام بجامعة أفريقيا العالمية، ود. تحسين الأسطل نائب نقيب الصحفيين الفلسطينيين.

0.000	6	75.4	3.77	تؤدي وسائل التواصل الاجتماعي دوراً هاماً في الترويج لنصرة قضية القدس.	6
0.000	7	72.8	3.64	أعتمد على وسائل التواصل الاجتماعي لزيادة المعرفة الشخصية حول قضية القدس.	7
0.000	8	72	3.6	تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي أشكالاً تحريرية متنوعة للترويج لقضية القدس.	8
0.000	9	71.6	3.58	أكتفي بالمعلومات التي تقدمها وسائل التواصل الاجتماعي حول قضية القدس.	9
0.000	10	70.8	3.54	استخدام وسائل التواصل الاجتماعي للوسائط المتعددة والعناصر التفاعلية في مضمون الأخبار يزيد من فاعلية الترويج لنصرة قضية القدس.	10
0.000	11	70.4	3.52	تتعدد أنواع ترويج وسائل التواصل الاجتماعي لقضية القدس لتشمل الاقتصادية والثقافية والفكرية والعقدية.	11
0.000	12	68.8	3.44	تتسم وسائل التواصل الاجتماعي بالمهنية والموضوعية والحياد في نقل الأخبار.	12
0.122	13	57	2.85	توفر وسائل التواصل الاجتماعي قدراً كافياً عن الأحداث الجارية محلياً وإقليمياً ودولياً.	13
0.000	73.2		3.66	الدرجة الكلية	

بينت نتائج الجدول رقم "2" أن أعلى فقرة حسب الوزن النسبي في هذا المجال كانت: الفقرة التي نصت على "أن وسائل التواصل الاجتماعي تسهم في حشد وتوجيه الطاقات الشعبية لنصرة قضية القدس". إذ احتلت الرتبة الأولى بوزن نسبي 82%، مما يدل على أن الفقرة قد حصلت على درجة موافقة كبيرة من قبل أفراد العينة، وهذا يؤكد مدى قوة وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي في تعبئة وحشد الرأي العام نحو القضايا المختلفة، وهو ما يتفق مع ما خلصت إليه نتائج دراسة (بربخ، العدوان، وأن الأخبار السياسية والميدانية كانت الأكثر تداولاً عبر شبكات التواصل الاجتماعي، ودراسة (عيسى، 2011) التي أظهرت أن موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" أكثر وسائل الإعلام الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي متابعة واستخداماً في الدعوة لإنهاء الانقسام الفلسطيني.

وأن أدنى فقرة كانت: الفقرة التي نصت على "أن وسائل التواصل الاجتماعي توفر قدراً كافياً عن الأحداث الجارية محلياً وإقليمياً ودولياً". قد احتلت المرتبة الأخيرة بوزن نسبي 57%، مما يدل على أن الفقرة قد حصلت على درجة موافقة (متوسطة) من قبل أفراد العينة، وهذا يعود لربما إلى طبيعة نشاط وسائل التواصل الاجتماعي التي يغلب عليها سمة المحلية لا العالمية بالنسبة للمستخدم، إذا يحرص المستخدمون على تناول القضايا التي تخصهم بالدرجة الأولى دون الاهتمام الكافي بالقضايا العالمية الأخرى، وهذا يعتبر من المآخذ على وسائل التواصل الاجتماعي، وهو ما تتفاداه الصحف الإلكترونية من خلال تنوع أقسام عرض المحتوى.

وبشكل عام فقد تبين أن المتوسط الحسابي لترويج وسائل التواصل الاجتماعي لقضية القدس يساوي 3.66 بوزن نسبي 73.2% مما يشير أن وسائل التواصل الاجتماعي تروج بدرجة كبيرة لقضية القدس، وهذا يؤكد مدى أهمية وفاعلية وقوة تأثير وسائل التواصل الاجتماعي في الترويج لنصرة قضية القدس، التي تشكل مصدر اهتمام وتتبع محلي وإقليمي ودولي، كونها قضية إسلامية عربية عادلة، ولربما من أهم أسباب هذه النسبة أو الدرجة الكبيرة في الترويج هو السهولة والمقدرة على النشر والوصول إلى المعلومات في وسائل التواصل الاجتماعي من قبل أي شخص أو مستخدم، بغض النظر عن طبيعة المهنة أو التخصص أو المستوى التعليمي.

إستنتاجات الدراسة:

خلصت الدراسة إلى مجموعة من الإستنتاجات أهمها:

1. أن وسائل التواصل الاجتماعي تساعد في توسيع وزيادة الأفق المعرفية والسياسية.
2. أن وسائل التواصل الاجتماعي تسهم في حشد وتوجيه الطاقات الشعبية لنصرة قضية القدس.
3. تنوع الأشكال التحريرية المستخدمة في وسائل التواصل الاجتماعي.
4. تفرد وسائل التواصل الاجتماعي مساحات واسعة للترويج سياسياً لقضية القدس.
5. ضعف ترويج وسائل التواصل الاجتماعي لقضية القدس في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري والعقدي.
6. أن وسائل التواصل الاجتماعي تروج لقضية القدس بنسبة كبيرة بلغت (73.2%).

7. تدني معدل الالتزام بالمهنية والموضوعية والحياد خلال نقل الأخبار في وسائل التواصل الاجتماعي.

8. أن وسائل التواصل الاجتماعي تلعب دوراً مهماً وكبيراً في الترويج لقضية القدس.

9. اسهام وسائل التواصل الاجتماعي في تغيير المواقف والاتجاهات المعرفية والسلوكية.

توصيات الدراسة:

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج تم اقتراح مجموعة توصيات أهمها:

1. التحلي بالمسؤولية الاجتماعية، والمعايير المهنية والأخلاقية تجاه المجتمع، وتعزيز الرقابة المهنية في النشر الإلكتروني
2. ضرورة تجنب المصادر غير الموثوقة في النشر الإلكتروني.
3. الحرص على توخي الدقة والموضوعية ومراعاة المصداقية والحياد في النشر الإلكتروني.
4. ضرورة توسيع نطاق التغطية الإعلامية وزيادة الاهتمام بالمضمون.
5. زيادة الاهتمام بالتحليل والتفسير والتثقيف في طبيعة تغطية القضايا المختلفة.
6. ضرورة توفير حماية قانونية للمحتوى الإعلامي الذي يتعرض للانتهاك والقرصنة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً/ المراجع العربية:

1. أبو كريشة، عبد الرحيم (1999): البحث العلمي-الخطوات والإجراءات في البحث الاجتماعي، دار المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، القاهرة.
2. أمين، رضا عبد الواحد (2007): الصحافة الإلكترونية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة.
3. بربخ، نضال عبد الله (2015): اعتماد النخبة السياسية الفلسطينية على شبكات التواصل الاجتماعي كمصدر للمعلومات أثناء العدوان الإسرائيلي على غزة عام 2014م، رسالة ماجستير، قسم الصحافة والإعلام، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية _ غزة، فلسطين.

4. بهنسي، السيد، عبد الحميد، محمد (2004): تأثيرات الصورة الصحفية - النظرية والتطبيق، عالم الكتب، القاهرة .
5. تربان، ماجد سالم (2008): الإنترنت والصحافة الإلكترونية "رؤية مستقبلية"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
6. التميمي، فواز (2004م): فاعلية استخدام نظام إدارة الجودة (أيزو -9001) في تطوير أداء الوحدات الإدارية في وزارة التربية والتعليم في الأردن من وجهة نظر العاملين فيها ودرجة رضاهم عن هذا النظام، رسالة دكتوراه، جامعة عمان، الأردن.
7. الجمال، راسم محمد، عياد، خيرت معوض (2005): التسويق السياسي والإعلام-الإصلاح السياسي في مصر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة .
8. آمال، جودة (2018): دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز عروبة القدس لدى طلبة جامعة الأقصى، بحث مقدم إلى مؤتمر دور التربية في تعزيز عروبة القدس، جامعة القدس.
9. حسين، سمير (1984): الإعلام والاتصال بال جماهير والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة .
10. حلقة نقاش حول الوضع الفلسطيني الداخلي، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات www.alzaytouna.net متوفر بتاريخ: 2021/10/15م.
11. الحيدري، عبد الله الزين (2010م): الإعلام الجديد: النظام والفوضى، بحث محكم ومنتشر، المجلة العربية للإعلام والاتصال، العدد السادس، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.
12. الدلو، جواد راغب (2002): الصحافة الإلكترونية وإحتمالات تأثيرها على قراءة الصحافة المطبوعة في فلسطين، بحث محكم ومنتشر . مجلة اللغة العربية . العدد 20 . جامعة القاهرة، مصر.
13. زودة، مبارك (2012): دور الإعلام الاجتماعي في صناعة الرأي العام، رسالة ماجستير، جامعة الجاج لخضر -باتنة-، الجزائر.

14. الشرافي، رامي (2020): دور الإعلام الجديد في تعزيز القضايا الوطنية الفلسطينية - دراسة ميدانية على الإعلاميين في قطاع غزة 2011-2020م، دراسة دكتوراه غير منشورة، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، السودان.

15. عبد الحسيب، محمد تيمور، علم الدين، محمود (1997): الحاسبات الإلكترونية وتكنولوجيا الاتصال، دار الشروق، القاهرة.

16. عبد الحميد، محمد، (2004م): البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، ط2، عالم الكتب، القاهرة.

17. عبده، عزيزة (2004): الإعلام السياسي والرأي العام - دراسة في ترتيب الأولويات، دار الفجر للنشر والتوزيع مصر القاهرة .

18. العسولي، محمد غالب (2011): درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية بمحافظة غزة لإستراتيجيات إدارة الصراع التنظيمي وسبل تطويرها من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة-فلسطين.

19. عيسى، طلعت (2011): فاعلية استخدام وسائل الاعلام الجديد من نجاح فاعليات انهاء الانقسام الفلسطيني، دراسة تحليلية عن نشاط الاعلام الجديد، الجامعة الإسلامية - غزة، فلسطين.

20. اللبان، شريف درويش، عبدالمقصود، هشام عطية (2008): مقدمة في مناهج البحث الإعلامي، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة .

21. محمد، السيد بخيت (2000): الصحافة والإنترنت، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة .

22. مدينة القدس - عاصمة فلسطين، وزارة الخارجية الفلسطينية، <https://mofa.ps>، متوفر بتاريخ: 2021/11/1م.

ثانياً/ المراجع الأجنبية:

1. Hassan, Aboud,. J., (2015م): Tools of Modern Media Impact Forces: Discourse, Language and Image, Annals of the Faculty of Arts ,Ain Shams University, Volume 43, October -December .

2. Kim, Youngju, Lee, Joong Suk, Oh, Jeyoung, Lee, Na Yeon (2015م):
 Tweeting the public: journalists' Twitter use, attitudes toward the public's tweets, and the relationship with the public, journal Information, Communication & Society, Volume 18, 2015 - Issue 4.

ملحق رقم (1)

استبانة الدراسة

م	العبارة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
1	تسهم وسائل التواصل الاجتماعي في حشد وتوجيه الطاقات الشعبية لنصرة قضية القدس.					
2	توسيع نطاق تغطية وسائل التواصل الاجتماعي لأخبار قضية القدس يسهم في زيادة فاعلية الحشد والتأييد لها.					
3	تساعد وسائل التواصل الاجتماعي في توسيع وزيادة أفقي المعرفة والسياسية.					
4	تفرد وسائل التواصل الاجتماعي مساحات واسعة للترويج سياسياً لقضية القدس.					
5	تسهم وسائل التواصل الاجتماعي في تغيير المواقف والاتجاهات المعرفية والسلوكية المؤيدة لقضية القدس.					
6	تؤدي وسائل التواصل الاجتماعي دوراً هاماً في الترويج لنصرة قضية القدس.					
7	أعتمد على وسائل التواصل الاجتماعي لزيادة المعرفة الشخصية حول قضية القدس.					
8	تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي أشكال تحريرية متنوعة للترويج لقضية القدس.					
9	أكتفي بالمعلومات التي تقدمها وسائل التواصل الاجتماعي حول قضية القدس.					

					استخدام وسائل التواصل الاجتماعي للوسائط المتعددة والعناصر التفاعلية في مضمون الأخبار يزيد من فاعلية الترويج لنصرة قضية القدس.	10
					تتعدد أنواع ترويج وسائل التواصل الاجتماعي لقضية القدس لتشمل الاقتصادية والثقافية والفكرية والعقدية.	11
					تنسجم وسائل التواصل الاجتماعي بالمهنية والموضوعية والحياد في نقل الأخبار.	12
					توفر وسائل التواصل الاجتماعي قدراً كافياً عن الأحداث الجارية محلياً وإقليمياً ودولياً.	13

الجريمة المستحيلة في التشريع التركي

The Impossible Crime in Turkish Legislation

إعداد الباحث: جهد ممدوح السموني ؛ طالب دكتوراة في القانون العام، جامعة سلجوق - قونيا -
تركيا

Jehad m. A. Alsammouni: PhD Student in Public Law, Selcuk
University, Konya, Turkey

المخلص:

تسعى هذه الدراسة للتعرف على موضوع الجريمة المستحيلة من خلال تناول تنظيمها الفقهي والقانوني، والفرق بينها وبين الشروع في الجريمة، وكذلك الفرق بينها وبين الجريمة الوهمية وما هي الأحكام القانونية لكل منهما. سوف يتم التعرف على مصطلح الجريمة المستحيلة والمسميات الفقهية لها، وكذلك البحث في أسباب الجريمة المستحيلة ولكي تكون قادرين على الحديث عن الجريمة المستحيلة يجب تحقق أسبابها، وهي عدم صلاحية الفعل أو عدم وجود موضوع الجريمة. في هذا الصدد، من المهم تحديد الأوضاع التي يكون فيها الفعل غير صالح، وكذلك الأوضاع التي لا يوجد بها موضوع الجريمة، ثم سوف نتطرق إلى أنواع الاستحالة وهي الاستحالة المطلقة والاستحالة النسبية وتقييمها الفقهي والقضائي من خلال طرح بعض الآراء والمذاهب الفقهية والقرارات القضائية، وأخيراً سوف نتناول الجريمة المستحيلة وتقييمها الفقهي والقانوني من منظور التشريع الأمريكي.

الكلمات المفتاحية: الجريمة المستحيلة، الاستحالة القانونية، الاستحالة النسبية، صلاحية الفعل، موضوع الجريمة.

Abstract

In this study, we will try to identify the subject of the impossible crime by addressing its doctrinal and legal organization, the difference between it and the attempted crime, as well as the difference between it and the fictitious crime and what are the legal provisions for each. The term “impossible crime” and its jurisprudential nomenclature will be identified, as well as research into the causes of the impossible crime. In order to be able to talk about the impossible crime, its causes must be realized, which is the invalidity of the act or the absence of the subject of the crime. In this regard, it is important to determine the situations in which the act is invalid, as well as the situations in which the subject of the crime does not exist, then we will address the types of impossible, which are absolute impossibility and relative

impossibility and their jurisprudential and judicial evaluation by presenting some opinions, jurisprudential doctrines and judicial decisions, and finally we will We discuss the impossible crime and its jurisprudential and legal evaluation from the perspective of American legislation.

Keywords: impossible crime, legal impossibility, relative impossibility, attempt, the subject of the crime

المقدمة:

من أجل تحقيق مبدأ الشرعية، فإنه من الضروري العلم بالأفعال التي تشكل الجريمة والعقوبة المقررة لكل جريمة وأنه تم تنظيمها مسبقاً في القانون. إلا أن هنالك بعض الحالات التي يعاقب فيها الأشخاص الذين يرتكبون الفعل حتى لو لم تحدث نتيجة إجرامية؛ فحين يصمم الشخص على ارتكاب جريمة معينة ويكمل الإجراءات التحضيرية ويبدأ إجراءات التنفيذ، ولكن لم تحدث النتيجة الإجرامية لسبب خارج عن إرادته، فيواجه هنا الشروع في الجريمة.

للتمكن من الحديث عن الشروع يجب استيفاء الشروط وهي أن تكون الجريمة المزمع ارتكابها جريمة ارتكبت عمداً، وأن يقوم الجاني بالإجراءات الصالحة لتحقيق النتيجة، والبدء بإجراء التنفيذ، وعدم تحقق النتيجة لأسباب خارجة عن إرادة الجاني. ومع ذلك، في حالة عدم وجود فعل مناسب وهو أحد شروط الشروع، أو غياب موضوع الجريمة، ستتم مناقشة مسؤولية الشخص الذي يقوم بهذا الإجراء وفي هذه الحالة سوف نواجه الجريمة المستحيلة.

كوجهة نظر جديدة، ينبغي النظر إلى الجريمة المستحيلة من حيث تأثيرها على تحقق الجريمة طبقاً للنص القانوني، وليس بالنظر إلى الشروع. رأي آخر بخصوص طبيعة الجريمة المستحيلة هو أنه ينبغي تقييمها على أنها الشكل السلبي للشروع.

بالنظر إلى الفعل غير الصالح والافتقار إلى المسألة الجوهرية المتأصلة في الجريمة المستحيلة، فقد ذهب البعض أنه ينبغي تقييم الجريمة المستحيلة في نطاق العنصر المادي و نطاق الشروع. وهنا ستتم مناقشة مسألة الجريمة المستحيلة على أساس شرط الفعل الصالح لوجود الشروع في نطاق المادة (35) من قانون العقوبات التركي رقم 5237، وهو الرأي الذي نعتقد أنه الأكثر ملائمة في تقييم الجريمة المستحيلة.

في هذه الدراسة، سيتم تقييم أسباب الجريمة المستحيلة وفقاً للقانون التركي، وسيتم أيضاً البحث في القرارات القضائية والفقهاء الأمريكيين من حيث هذه الجريمة. بالإضافة إلى ذلك، سيتم البحث في بعض المفاهيم التي تحتاج إلى تقييم متبادل مع الجريمة المستحيلة وفقاً للقانون التركي وسيتم إبراز الفرق بينها وبين الجريمة المستحيلة.

مشكلة البحث:

تتم مناقشة مكانة الجريمة المستحيلة في النظرية العامة للجريمة. حيث أن بعض الفقهاء يذهبون إلى أنه يجب التعامل مع الجريمة المستحيلة في نطاق القدرة على الاتهام والخطأ، في حين بعض الفقهاء يذهبون إلى أنها من بين الأسباب المعفية من الجريمة والعقاب. فالسؤال الذي يطرح نفسه ما هي الحالات التي يمكن فيها العقاب على الجريمة المستحيلة واعتبارها واعتبارها شروعاً في الجريمة ومعاقباً عليه.

أسئلة البحث:

- ما هو مفهوم الجريمة المستحيلة وما هي أسبابها؟
- ما هو الفرق بين الجريمة المستحيلة وبين الشروع؟
- ما هو الفرق بين الجريمة المستحيلة والجريمة الوهمية؟
- هل تناول المشرع التركي تعريف الجريمة المستحيلة وكيف عرفها الفقه التركي؟
- ما هو تعريف التشريع الأمريكي للجريمة المستحيلة وكيف تناولها؟

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج التحليلي المقارن وذلك بالمقارنة بين التشريع التركي والأمريكي.

هيكلية الدراسة:

- المقدمة
- المطلب الأول: ماهية الجريمة المستحيلة
- المطلب الثاني: أسباب الجريمة المستحيلة
- المطلب الثالث: الفرق بين الجريمة المستحيلة والجريمة الوهمية
- المطلب الرابع: الجريمة المستحيلة من منظور التشريع الأمريكي

المطلب الأول: ماهية الجريمة المستحيلة

عند النظر إلي المصطلح التعريفي للجريمة المستحيلة في الفقه نجد أن هنالك عدة مسميات منها (الجريمة المستحيلة) (الجريمة الغير ممكنة)، (الشروع الغير ممكن) (الشروع المستحيل)¹.

لم يعرف المشرع التركي مفهوم الجريمة المستحيلة في قانون العقوبات ولكن عند تعريفه للشروع في الجريمة ذكر المشرع مفهوم الجريمة المستحيلة من خلال استخدامه لمصطلح الفعل المناسب. حيث نص في المادة (1/35) من قانون العقوبات التركي رقم (5237) على أنه "بدأ الشخص بتنفيذ جريمة مقصودة بصورة مباشرة وبفعل مناسب ولكن لم تتحقق النتيجة الإجرامية لأسباب خارجة عن إرادته ففي هذه الحالة يسأل عن الشروع في الجريمة"².

تُعرف الجريمة المستحيلة بأنها " هي الجريمة التي لا يمكن أن تتحقق وذلك بسبب أن الفعل أو الأداة المستخدمة لإتمام الجريمة ليست مناسبة لإحداث النتيجة الإجرامية، أو أن السلوك الإجرامي قد فشل في إحداث النتيجة الإجرامية لعدم وجود موضوع الجريمة"³.

إن جوهر الجريمة المستحيلة هو أن إرادة الفاعل تهدف إلى تحقيق نتيجة إجرامية، لكن النتيجة المرجوة في موضوع هذه الجريمة مستحيلة⁴ و على الرغم من أن الفاعل يريد إحداث نتيجة إجرامية و لديه القصد الجنائي، ولكن استحالة تحقق هذه النتيجة الإجرامية، وذلك بسبب خطأ ما كان يجهله الفاعل مهما بلغ قدر العناية التي يبذلها لتحقيق النتيجة، وذلك إما لعدم وجود موضوع الجريمة، أو عدم مناسبة الفعل المستخدم لإحداث النتيجة الإجرامية⁵.

¹ HAKERİ, s.445; CENTEL-ZAFER-ÇAKMUT, s.465.

² ALACAKAPTAN, İşlenemez Suç, s.1; BAYRAKTAR, Köksal, "İşlenemez Suç", İÜHFİM, C.34, S.1-4, 1968, s.716.

³ ALACAKAPTAN, İşlenemez Suç, s.1.; Aynı yönde, DÖNMEZER, SulhiERMAN, Sahir, Nazari ve Tatbiki Ceza Hukuku Genel Kısım Cilt I, 11. Bası, İstanbul 1994, s.459(DÖNMEZER-ERMAN 1994), HAKERİ, s.444; ARTUK-GÖKCEN-YENİDÜNYA, s.616; CENTEL-ZAFER-ÇAKMUT, s.465; DEMİRBAŞ, s.422.

⁴ ALACAKAPTAN, s.31

⁵ ARTUK-GÖKCEN-YENİDÜNYA, s.617.

المطلب الثاني: أسباب الجريمة المستحيلة

ولكي نكون قادرين على الحديث عن الجريمة المستحيلة - كما ذكرنا من قبل - يجب تحقق أسبابها، وهي عدم صلاحية الفعل أو عدم وجود موضوع الجريمة. في هذا الصدد، من المهم تحديد الأوضاع التي يكون فيها الفعل غير مناسب وكذلك الأوضاع التي لا يوجد بها موضوع الجريمة.

الفرع الأول: صلاحية الفعل

كما ذكر أعلاه، في المادة 35 من قانون العقوبات التركي رقم (5237) "من أجل تطبيق أحكام الشروع في الجريمة ينبغي أن يبدأ الفاعل قصداً و مباشرة في تنفيذ الجريمة بأفعال مناسبة؛ فإذا كان الفعل المرتكب في هذا السياق غير مناسب، فسيؤدي إلى عدم مسؤولية الفاعل عن الشروع في الجريمة". وبالنظر إلى قانون العقوبات التركي الملغي رقم (765)، فسوف نجد أن المشرع قد رجح استخدام مصطلح الأداة المناسبة بدلاً من الفعل المناسب.¹ ووفقاً لذلك ينبغي توافر شرط المناسبة ليس فقط من حيث الأداة ولكن أيضاً من حيث الفعل.²

يتم التعبير عن مفهوم الصلاحية في الفقه على أنها امتلاك القدرة على إحداث النتيجة المرجوة للفعل الذي قام به الفاعل.³ ومع ذلك، فإن قدرة الفعل على إحداث النتيجة هي حالة يجب تقييمها بشكل منفصل لكل جريمة. على سبيل المثال، من الضروري معرفة كيفية وفي مواجهة من ارتكبت الجريمة وتحت أي ظروف ولأي غرض تُستخدم الأداة المستخدمة في ارتكاب الجريمة، وذلك في تقييم مدى صلاحيتها ومناسبتها. فمثلاً، لو أراد المتهم قتل المجني عليه باستخدام سمّ وقام بوضع السمّ في أكل المجني عليه لكن تبين أنه ليس سمّ أو أنه وضع سمّ لكن كانت الكمية قليلة وغير كافية لقتل المجني

¹ 765 sayılı kanun dönemi açısından konuya ilişkin değerlendirmeler için bkz. ALACAKAPTAN, s.61 vd.; SÖZÜER, Adem, Suça Teşebbüs, İstanbul 1994, s.191.

² 35. Madde gerekçesi. ÖZGENÇ, İzzet, Türk Ceza Hukuku Genel Hükümler, 7. Baskı, Ankara 2012, s.439; KOCA-ÜZÜLMEZ, s.370.

³ ALACAKAPTAN, İşlenemez Suç, s.61; HAKERİ, s.410; ÖZGENÇ, s.439; ARTUK-GÖKCEN-YENİDÜNYA, s.602; AKBULUT, Berrin, Türk Ceza Kanunu İle Kabahatler Kanununun Genel Hükümlerinin Yaptırım Hükümleri Dışında Karşılaştırmalı Olarak İncelenmesi, Ankara 2010, s.398.

عليه، أو استخدم مسدس غير حقيقي (بلاستيك) لقتل المجني عليه فهنا تكون الجريمة مستحيلة، وذلك بسبب عدم مناسبة الفعل لإحداث النتيجة¹.

تم طرح آراء مختلفة في الفقه فيما يتعلق بتحديد مدى مناسبة الفعل. وفقاً للمذهب الشخصي المطروح في هذا السياق، تؤخذ قدرة الجاني على استخدام أداة الجريمة كأساس. فقد يحاول شخص إطلاق الرصاص من بندقية على شخص آخر ظاناً منه أن البندقية محشوة، لكن البندقية فارغة من الرصاص.² وقد يؤدي قبول المذهب الشخصي هنا إلى استنتاج أن جميع الأدوات صالحة على أساس أنه إذا اعتقد الجاني أن الإجراء الذي يقوم به لأداء فعله غير كافٍ فلن يقوم بهذه الإجراءات بأي حال.³ بالنظر إلى المذهب الشخصي لن يكون الفعل مناسباً لأن الواقعة بقيت في مرحلة الشروع، وبالتالي يمكن القول بتحقق الشروع المستحيل فقط، بمعنى آخر يمكن القول بوجود استحالة من حيث جميع حالات الشروع،⁴ وطبقاً لهذا المذهب لا يتم النظر إلى الواقعة من الناحية الاجتماعية و لا حتى من الناحية الموضوعية و لا الأخلاقية فالقانون الذي يوجه اهتمامه للقصد لا يستطيع أن يهمل معاقبة الجاني على أساس أن الواقعة تشكل جريمة مستحيلة.⁵

رأي آخر تم طرحه حول هذا الموضوع هو وجهة النظر الموضوعية الكلاسيكية. في هذا السياق من أجل تحديد مناسبة الفعل، من الممكن تصنيفها إلى فئتين الأولى وهي الصلاحية والفئة الثانية وهي الاستحالة النسبية والمطلقة. إذا لم يكن الفعل صالحاً مطلقاً لتحقيق النتيجة؛ فستكون هنالك جريمة مستحيلة بسبب الاستحالة المطلقة، وذلك لأن السبب الذي يجعل الفعل لا يحدث النتيجة الإجرامية هو سبب ناشئ عن استخدام الأداة أو موضوع الجريمة، أما الاستحالة النسبية، ستكون الصلاحية فيها موضع شك إذا كان للشروع القدرة على تحقيق النتيجة بالمعنى المطلق. كمثل للموضوع، سيكون هناك استحالة مطلقة إذا وضع شخص لآخر سكرًا من أجل قتله على اعتقاد أنه زرنينخ، بينما إطلاق شخص النار على شخص آخر من مسافة غير مؤثرة سيكون استحالة نسبية.⁶ كما يمكن القول أن هناك استحالة نسبية إذا كانت كمية السم المعطاة من أجل القتل غير كافية من

¹ HAKERİ, İhmal, s.276.

² HAKERİ, s.411; CENTEL-ZAFER-ÇAKMUT, s.469.

³ SÖZÜER, s.186.

⁴ SÖZÜER, s.186; TOZMAN, s.60.

⁵ TOZMAN, s.60.

⁶ ALACAKAPTAN, İşlenemez Suç, s.67-68; SÖZÜER, s.186-187; TOZMAN, s.60.

حيث إحداهن النتيجة. في مثل هذه الحالات على الرغم من أن الأداة صالحة من حيث إحداهن النتيجة إلا أنها فشلت من حيث الواقعة المادية.¹

نرى أن محكمة النقض ميزت في كثير من قراراتها بين الاستحالة المطلقة والاستحالة النسبية.² وحيث أنه تم توجيه الانتقاد لهذا الرأي لتصنيف الاستحالة، حيث ليس من المناسب تقييم الفعل على أنه فكرة مجردة وتقييم مدى صلاحيتها، ويمكن اعتبار الحركة التي لن تكون صالحة من حيث الواقعة المادية صالحة بشكل مجرد، وقد تكون الحركة التي لا تعتبر صالحة بشكل مجرد صالحة لتحقيق النتيجة في الواقعة المادية. على سبيل المثال، في حين أن مثال السكر الموضح أعلاه قد لا يعتبر صالحاً كأداة للجريمة في التقييم المجرد، فقد يكون صالحاً لقتل مريض السكري من حيث الواقعة المادية.³ هنا من الضروري التمييز بين عدم صلاحية الحركة وبين عدم كفايتها.

في نطاق الأمثلة المذكورة، وهي حالة إطلاق النار من مسافة غير مؤثرة أو حالة استخدام كمية غير كافية من السم تكون الحركة صالحة لكنها غير كافية.⁴ ومع ذلك، يجب تقييم مشكلة عدم الكفاية هذه وفقاً لظروف الواقعة المادية؛ فيمكن اعتبار السلاح المحشو القادر على إطلاق الرصاص الحقيقي صالحاً من حيث المسافات القريبة؛ وبالتالي يمكن تحميل الجاني المسؤولية عن الشروع في القتل في هذه الحالة، في حين لن يعتبر صالحاً في حال كانت المسافات بعيدة جداً وغير مؤثرة. على سبيل المثال، لن يكون من الممكن الحديث عن مسؤولية شخص في الشروع في جريمة القتل في حال أطلق النار من رفح لقتل خصمه في خانقونس. في هذا السياق، سوف تكون الجريمة مستحيلة بسبب عدم صلاحية الفعل.

¹ TOZMAN, s.60.

² تتكون الواقعة من حقيقة أن جريمة القتل بالسم بقيت في درجة الشروع الناقص حيث لم تحدث الوفاة بسبب خارج عن إرادة الجاني بسبب كمية السم القليلة التي وضعها الجاني للمجني عليه في كوب الماء كذلك بسبب أن المجني عليه شرب القليل من الماء، وعلى الرغم من أن السم كان مناسباً لإحداث الوفاة لكنها لم تحدث بسبب ضآلة الكمية الموضوعية منه وبالتالي كان من الضروري تكييف الفعل الإجرامي بالشروع الناقص المنصوص عليه بنص المادة 61 بسبب الاستحالة النسبية للأداة.

³ ALACAKAPTAN, İşlenemez Suç, s.68 vd; SÖZÜER, s.187; TOZMAN, s.61. ÖZGENÇ, s.440.

⁴ ALACAKAPTAN, İşlenemez Suç, s.70 vd.

نتيجة لوجهات النظر الشخصية والموضوعية التي لا تقدم حلاً لمسألة الصلاحية، تم طرح ما يسمى بالنظرية الموضوعية الجديدة أو نظرية الخطر المادي.¹ في إطار هذا الرأي، لا يمكن اعتبار الفعل صالحاً أو مستحيلًا بشكل مطلق ومجرد. فيجب إجراء تقييم الصلاحية وفقاً لظروف الواقعة المادية. ونظراً لما سبق تبرز نظرية الخطر المادي باعتبارها أقرب نظرية للحل في رأينا.

النقطة المهمة في هذه النظرية هي تحديد مدى توافق فكر الجاني والنتيجة التي يريد تحقيقه، حتى إذا لم تحدث النتيجة الإجرامية نتيجة فعل مرتكب الجريمة؛ فإن الشروع الذي يمكن القيام به في الحالات التي تكون فيها النتيجة المرجوة لتحقيقها متطابقة مع الخيال، من ناحية أخرى إذا لم يكن من الممكن تصور أن فكر الجاني والنتيجة المرجوة متوافقة مع بعضها البعض، فهنا يجب القول بوجود الشروع في ارتكاب جريمة مستحيلة.² باختصار، إذا كان فعل الجاني يشكل خطراً على الجريمة فإن الأداة تكون صالحة، ويمكن القول أنها غير صالحة إذا لم يشكل أي خطر.³ تماشياً مع نظرية الخطر المادي، قضت محكمة النقض التركية بأنه "يجب أن تكون الوسائل التي يستخدمها الجاني صالحة تماماً (لتحقيق النتيجة). من أجل تحديد ما إذا كانت الوسيلة (الأداة) صالحة أم لا، يجب النظر إلى الجريمة التي سيتم ارتكابها، ومكان وزمان الجريمة، وحالة المجني عليه وجميع الظروف التي ارتكبت فيها الجريمة.⁴

الفرع الثاني: عدم وجود موضوع الجريمة

ذكرنا فيما سبق السبب الأول لتحقق الجريمة المستحيلة وهي عدم مناسبة أو صلاحية الفعل لارتكاب الجريمة وتحقق النتيجة الإجرامية، وهنا سنذكر السبب الثاني ألا وهو عدم وجود موضوع الجريمة، وذلك لأن عدم وجوده سيشكل أساساً لجريمة مستحيلة بطبيعتها.

يشكل الشخص أو الشيء الذي يوجه إليه فعل الجاني الموضوع المادي للجريمة. وبعبارة أخرى فإن الشيء الذي يقع عليه الفعل يسمى محل الجريمة (موضوع الجريمة)⁵. في الأساس و على

¹ ALACAKAPTAN, İşlenemez Suç, s.75; SOYASLAN, Doğan, Teşebbüs Suçu, Ankara 1994, s.98; TOZMAN, s.63. Benzer yönde SÖZÜER, s.187.

² HAKERİ, s.445.

³ CENTEL-ZAFER-ÇAKMUT, s.469-470.

⁴ YCGK, 4.6.1990, 5-101/156, YKD, Kasım 1990, s.1701

⁵ HAKERİ, s.121; ARTUK-GÖKCEN-YENİDÜNYA, s.309; SOYASLAN, Doğan, Ceza Hukuku Genel Hükümler, 3. Baskı, Ankara 2005, s.304 (SOYASLAN, Ceza

الرغم من فصل موضوع الجريمة عن الشخص المتضرر من الجريمة، لكن في بعض الحالات يمكن جمع هذين المفهومين على شخص واحد. كمثال على ذلك، عندما يتخذ شخص إجراء لقتل شخص ما، فسيكون هذا الشخص هو المجني عليه و محل الجريمة في نفس الوقت. أما في بعض الجرائم قد يكون للفعل أكثر من موضوع. على سبيل المثال، في جريمة السلب، يكون موضوع الجريمة هو الشخص الذي يتعرض للجبر والتهديد، وكذلك الأموال أو الأشياء المسلوقة من هذا الشخص. هناك حالات يكون فيها الموضوع المادي للجريمة وفاعل الجريمة نفس الشخص، مثال ذلك هو إجهاض امرأة حامل لجنينها.¹

على الرغم من وجود روابط وثيقة للغاية بين فعل ارتكاب الجريمة وموضوع الجريمة، إلا أنه يجب تقييم كل منها بشكل منفصل عن الآخر.²

في الفقه، نرى أن الاستحالة يتم تقييمها فيما يتعلق بموضوع الجريمة وتنقسم هذه الاستحالة إلى الاستحالة المطلقة والاستحالة النسبية.³ في هذا السياق، يتم طرحه كمثال على الاستحالة المطلقة، مثلاً في جريمة القتل، موضوع الجريمة هو الإنسان الحي فلو حاول شخص قتل آخر ثم اتضح أنه كان قد توفي قبل محاولة قتله، وكمثال عن الاستحالة النسبية حقيقة أن الشخص الذي أريد قتله لم يكن في الفراش وقت الحادث.⁴ في هذا السياق، يذكر أنه في حالة عدم الوجود المطلق يمكن القول بوجود جريمة مستحيلة، وإذا ثبت أن هناك عدم وجود نسبي فسيتم تحديد مسؤولية الجاني من خلال أحكام الشروع في الجريمة.⁵

لقد تم توجيه النقد إلى التمييز بين الاستحالة المطلقة والنسبية فيما يتعلق بموضوع الجريمة على أساس أنه في الفقه من الممكن التحدث عن عدم الوجود بدلاً من الاستحالة من حيث الموضوع، كذلك لن يكون من الممكن الحديث عن عدم الوجود النسبي بأنه سيكون له صفة مطلقة.⁶ فإذا تم العثور

Genel); SOYASLAN, s.159; Suçun konusu kavramına ilişkin olarak ayrıca bkz. TOZMAN, s.134 vd.

¹ ALACAKAPTAN, İşlenemez Suç, s.113

² ALACAKAPTAN, İşlenemez Suç, s.113; TOZMAN, s.136.

³ EREM, Faruk, Ümanist Doktrin Açısından Türk Ceza Hukuku, C.I, Genel Hükümler, 12. Baskı, Ankara 1984, s.336 vd.

⁴ 37 DÖNMEZER-ERMAN 1994, s.460; SOYASLAN, s.160.

⁵ TOZMAN, s.137.

⁶ ÖZGENÇ, s.441.

على موضوع الجريمة ولم يتم العثور على الشروع يجب القول بوجود جريمة مستحيلة، في هذا الإطار يجب إجراء تقييم وفقاً للواقعة المادية.¹ فمثلاً إذا دخل الجاني المنزل بنية السرقة ولكنه لم يجد في المنزل شيئاً ليسرقه، في هذه الحالة وذلك لعدم وجود محل جريمة السرقة تكون الجريمة مستحيلة. في مثل هذه الحالات إذا كانت هناك جريمة أخرى تشكلت يجب أن يتحمل الجاني المسؤولية عن هذا النوع من الجرائم، ولا ينبغي أن يكون مسئولاً عن الشروع عن الجريمة الأصلية الذي أراد ارتكابها وهي جريمة السرقة.²

بمعنى آخر، في حالة السرقة، يجب تحميل الشخص المسؤولية عن انتهاك حرمة المنزل، ولا ينبغي أن يكون مسئولاً عن الشروع في السرقة.³

وفقاً لبعض القرارات القضائية، هناك قرارات تتبنى فيها محكمة النقض التمييز بين الاستحالة المطلقة والاستحالة النسبية. وبناءً على ذلك، يمكن القول أن المحكمة العليا التركية تتبنى أيضاً النظرية الموضوعية بالتوازي مع النص القانوني.

حيث جاء في أحد القرارات القضائية " بناءً على شكوى، تم القبض على الجاني الذي دخل مطعمًا ليلاً لسرقة المال ولكنه لم يتمكن من العثور على نقود في الدرج الفارغ. في الواقع، يُطلق على الهدف الذي تُوجه إليه الأفعال الإجرامية لمرتكب الجريمة بالموضوع المادي للجريمة وهذا الموضوع يقع في نطاق القصد الإجرامي، فالموضوع المادي في جريمة السرقة هو المال المنقول، ويجب تحديد وجوده أو عدمه، ويتم تحديد وجود أو عدم وجود موضوع الجريمة وقت ارتكاب الجريمة، ولكن من خلال التقييم المسبق ووفقاً لخصائص كل واقعة وتجارب الأشخاص العاديين والأوضاع والظروف التي غالباً ما تُرى في وقائع مشابهة، فالنتيجة السلبية التي تم التوصل إليها في هذا القرار يعني عدم الوجود المطلق للموضوع المادي، فالجريمة مستحيلة والنتيجة ينبغي أن تكون ايجابية؛ بالتالي يعني عدم الوجود النسبي للموضوع المادي وذلك سيؤدي إلى بقاء الأفعال الإجرامية في مرحلة الشروع الناقص. في هذه الواقعة حيث إن عثور المتهم وشريكه على المال في درج المطعم الذي دخلا إليه أمر طبيعي ومعتاد وفقاً للتجارب المذكورة أعلاه. لذلك فإن عدم وجود المال في الدرج وقت ارتكاب الجريمة يكشف عن عدم الوجود بالمعنى النسبي وليس المطلق بالنظر إلى الموضوع

¹ DÖNMEZER-ERMAN 1994, s.464; ALACAKAPTAN, İşlenemez Suç, s. 117-118, SOYASLAN, s.162 vd; TOZMAN, s.137 vd.

² ÖZGENÇ, s.442.

³ ÖZGENÇ, s.442

المادي، فلا يمكن الادعاء بوجود جريمة مستحيلة في الواقعة بالتالي يتوافر هنا الشروع الناقص في جريمة السرقة¹.

وبالمثل، في حكم آخر لمحكمة النقض، ذكر الاستحالة النسبية: يفهم من الأدلة التي تم جمعها أن الجاني وضعت مادة "الغسول الكاوية"، وهي مادة سامة، في مياه الشرب لقتل الزوج المجني عليه، ولكن لأن كمية السم قليلة وكذلك الكمية التي شربها المجني عليه من الماء السام كمية قليلة، وبالتالي لم تحدث النتيجة الإجرامية، وعليه فإن عدم حدوث النتيجة الإجرامية للقتل بالسم وذلك لسبب خارج عن إرادة الجاني يبقي هذه الواقعة تحت إطار الشروع الناقص؛ فالسم المستخدم للقتل يعتبر أداة صالحة لكن لم تحدث النتيجة الإجرامية بسبب قلة المقدار الموضوع وبالتالي اعتبرت الأداة ضمن الاستحالة النسبية وعليه يعاقب الجاني طبقاً للشروع الناقص وفقاً لنص المادة 61 من قانون العقوبات التركي رقم (5237).²

المطلب الثالث: الفرق بين الجريمة المستحيلة و الجريمة الوهمية

تعرف الجريمة الوهمية بأنها، "هي أن يرتكب الفاعل سلوكاً إرادياً مع اعتقاده بالاعتداء على نص قانوني جنائي في حين أن هذا النص غير قائم، وفي هذه الحالة يسيء الفاعل فهم وتفسير النظام القانوني الجنائي معتقداً بعدم مشروعية سلوكه في حين أن هذا النظام ذاته لا يجرمه ويعتبره مشروطاً³.

ويمكن تقسيم الجريمة الوهمية إلى صورتين وهما:

1- الغلط في القانون

يمكن وصف هذا الوضع بأنه شكل من أشكال الخطأ القانوني؛ والفرق بينهما هو أنه "في عدم معرفة القانون وإساءة تفسير وجود قاعدة جزائية غير معروفة أو مفسرة بشكل خاطئ، فإن الجريمة الوهمية تكمن أساساً في عدم وجود مثل هذه القاعدة في الجريمة، ولكن الجاني يعتقد أنها موجودة"⁴

¹ ÖZGENÇ, s.441.

² Yargıtay 1. C.D., 26.05.1963, 320/1134, ARTUK-GÖKCENYENİDÜNYA, s.618, dn.156.

³ DÖNMEZER, Sulhi-Sahir, Erman, Nazari ve Tatbiki Ceza Hukuku Genel Kısım, Cilt 1, 7. Bası, İstanbul 1979, s.412

⁴ HAKERİ, s.117.

على سبيل المثال، مارس رجل متزوج يمارس الجنس مع امرأة بالغة و في نفس الوقت يعتقد أن ذلك ينظمه القانون باعتباره جريمة، في حسن أن القانون التركي لم يعتبر ذلك جريمة. ومع ذلك لا يوجد في القانون ما ينظم مثل هذه الجريمة وحتى وإن اعتقد الفاعل أن فعله هذا يشكل جريمة طبقاً للقانون فإنه لا يعاقب عليه لوجود الجريمة الوهمية؛ فما يعتقد الجاني جريمة مهما كان ضاراً على المجني عليه والمجتمع لا يعتبر جريمة ما لم يكن هناك نصاً يجرمه وفقاً لمبدأ الشرعية¹.

كما ذكرنا من قبل، فإن القضية التي حالت دون ارتكاب الجريمة في الجريمة المستحيلة هي عدم صلاحية الفعل أو الأداة أو عدم وجود محل الجريمة. في حالة الجريمة الوهمية تبرز القضية أن نوع الجريمة التي سيتم ارتكابها غير منظم في القانون دون الحاجة إلى مناقشة عدم مناسبة الفعل أو عدم وجود محل الجريمة.

فيما يتعلق بالطبيعة القانونية للجريمة المستحيلة ذكر بعض الفقهاء أنه ينبغي تصنيف الجريمة المستحيلة على أنها مستقلة بذاتها بينما ذكر بعض المؤلفين أن الجريمة المستحيلة هي نفسها الجريمة الوهمية². ومع ذلك، كما ذكرنا أعلاه، لكي نتكمن من الحديث عما يسمى بالجريمة الوهمية، يجب أن لا تتضمن القوانين الجنائية أي نوع من الجرائم التي يتصورها الجاني. في الجريمة المستحيلة على الرغم من أن نوع الجريمة التي يتصورها الجاني ينص عليها القانون، إلا أنه لا يمكن تحقيق النتيجة بسبب عدم صلاحية أفعال الجاني أو عدم وجود موضوع الجريمة.

2- الغلط في الوقائع

لكي تتحقق هذه الصورة يجب على الفاعل أن يعتقد أنه يرتكب جريمة ما لكنه لم يرتكبها فعلاً وواقعاً، أو يتصور في اعتقاده خطأ أن أحد العناصر المكونة للجريمة قد تحققت، لكنها غير موجودة. على سبيل المثال، فإن الشخص الذي يعتقد أنه سرق شيئاً يعود لغيره لكنه في الواقع يعود له، أو الشخص الذي يحوز مادة معتقداً أنها مادة مخدرة ولكن في الواقع هي غير ذلك³.

في الجريمة الوهمية، يعتقد الفاعل أنه قد ارتكب جريمة، على الرغم من أن فعله لا يشكل أي جريمة. في هذا الصدد، على الرغم من تشابه الجريمة المستحيلة والجريمة الوهمية إلا أنهما لا تفيدان

¹ SOYASLAN,Ceza Genel, s.301

². AKSOY, s.131; İşlenemez suç-Mefruz Suç ayırımına ilişkin Alman hukukundaki bakış açısı için. AKBULUT, s.399.

³ HAKERİ, s.87

نفس الشيء. لأنه في الجريمة المستحيلة لا يؤدي سلوك الفاعل بأي حال من الأحوال إلى نتيجة إجرامية؛ ومع ذلك، في الجرائم الوهمية تحدث نتيجة الفعل لكن هذا الفعل غير مجرم بموجب القانون. في رأينا إن الجريمة المستحيلة ينبغي أن لا يكون من الممكن ارتكابها حقيقة. كما يجب أن يُذكر هنا أن ما يشكل فكرة أن الجريمة المستحيلة والجريمة الوهمية تتطابقان في مواقف معينة هو عدم وجود موضوع الجريمة. ومع ذلك، عند وجود موضوع في الحالات التي تحمل صفة الجريمة الوهمية، لا ينبغي أن يكون موضوع الجريمة موجودا في الجريمة المستحيلة. لإعطاء مثال على هذه المسألة، طبقاً لقانون العقوبات التركي إذا مارس شخص ما الجماع الجنسي مع فتاة يزيد عمرها عن 18 عاماً معتقداً أنها أقل من 18 عاماً؛ فهنا توجد جريمة وهمية، و لن تكون هنالك جريمة مستحيلة وذلك لوجود موضوع الجريمة.¹

ذهب البعض على أنه في حالة وجود خطأ في الوقائع يمكن القول بوجود الجريمة المستحيلة. وكمثال على هذا الموضوع، قيام شخص بسرقة معطف شخص آخر ولكنه في الأساس قام بأخذ معطفه الذي يملكه. في هذه الحالة على الرغم من أن نية الشخص هي ارتكاب جريمة السرقة، إلا أن شرط أن يكون محل السرقة ملكا لشخص آخر لم يتحقق من حيث الواقعة المادية؛ بالتالي وفقاً لهذه الواقعة تتحقق الجريمة المستحيلة.² من حيث المثال المذكور، هناك بالفعل موضوع للجريمة، ولكن يجب أن نذكر هنا أنه من أجل الحديث عن وجود جريمة مستحيلة لا ينبغي أن يكون من الممكن التوصل إلى نتيجة. في الجرائم الوهمية، تتحقق نتيجة الفعل الذي ارتكبه الجاني، لكن لا يعاقب عليه لأن النتيجة ليست مخالفة للقانون. في هذا السياق، في الحالات التي يكون فيها الخطأ في الوقائع ستتحقق الجريمة الوهمية، ولن يُعاقب الجاني على فعله.³

المطلب الرابع: الجريمة المستحيلة من منظور التشريع الأمريكي

في التشريع الأمريكي تعرف الجريمة المستحيلة بأنها تحقق جميع العناصر المادية والمعنوية للجريمة، إلا أن النتيجة الإجرامية لم تحدث لأسباب خارجة عن إرادة وعلم المتهم. على سبيل المثال عندما يطلق المتهم النار على شخص ما ليقتله لكن في الواقع تبين أن هذا الشخص هو عبارة عن

¹ Aksi görüş için bkz. ALACAKAPTAN, İşlenemez Suç, s.12; Bayraktar, s.717.

² GÇEL, Kayıhan-SOKULLU AKINCI, Fusun-ÖZGENÇ, İzzet-SÖZÜER, Adem-MAHMUTOĞLU, Fatih S.-ÜNVER, Yener, İÇEL Suç Teorisi, 2. Kitap, 2. Baskı, İstanbul, 2000, s.277; ÖZGENÇ, s.416; KOCAÜZÜLMEZ, s.207.

³ HAKERİ, s.385

دمية. مثال آخر وهو قيام المتهم بجلب مادة عبر الحدود معتقداً أنها مادة مخدرة ومحظورة لكن تبين له أنها مادة مشروعة.¹ تشير هذه الأمثلة إلى الجريمة المستحيلة. في تعريف آخر للجريمة المستحيلة، خطأ الجاني في ظل الشروط اللازمة لتشكيل جريمة مستقلة.²

في القانون والفقهاء الأمريكي يتم التمييز بين نوعي الاستحالة: الاستحالة الحقيقية (الواقعية) والاستحالة القانونية.³ في الاستحالة القانونية⁴، لا يتم تنظيم الفعل الذي يقوم به الجاني كجريمة في النظام القانوني. الاستحالة الحقيقية (الواقعية) تعني الاستحالة المادية ولا يمكن للجاني إتمام المحاولة الإجرامية بسبب وجود بعض العوامل المادية أو الواقعية أو الظروف غير المعروفة.⁵ على الرغم من أن القضاء الأمريكي عبر بشكل عام عن عدم رضاه عن التمييز بين الاستحالة الحقيقية والاستحالة القانونية، فقد ذكر أنه سيكون من المفيد أن يظل التقييم بهذه الطريقة.⁶

في حين أن الاستحالة القانونية يمكن الدفع بها في الشروع في الجريمة، فإن الاستحالة الحقيقية لن تكون مبرراً للدفع.⁷ ووفقاً لذلك ذهب القضاء الأمريكي إلى إصدار قرارات إدانة في حالة الاستحالة الحقيقية.⁸ ويظهر الدفع بالاستحالة الحقيقية في الحالات التي لا يستطيع فيها الجاني تحقيق النتيجة لأسباب خارجة عن إرادته.⁹ على سبيل المثال، إطلاق النار على سرير فارغ لقتل شخص ما، وضع الجاني يده في جيب فارغ لسرقة المال، فالاستحالة هنا حقيقية ويعاقب المتهم على الشروع. في المقابل فإن شراء المتهم ممتلكات معتقداً أنها مسروقة ولكنها حقيقية هي غير مسروقة، أو عند

¹ CRUMP, David-COHEN, Neil P.-LEVENSON, Laurie L.-PARRY, John T.-PETHER, Penelope, Criminal Law: Cases, Statutes, and Lawyering Strategies, Second Edition, s.658.

² ROBBINS, Ira P., “Attempting the Impossible: The Emerging Consensus”, Harvard Journal Legislation, Volume 23, 1986, s.377.

³ Konuya ilişkin ayrıma yönelik ayrıntılı bilgi için bkz. CRUMP-COHENLEVENSON-PARRY-PETHER, s.658-659; WESTEN, Peter, “Impossibility Attempts: A Speculative Thesis” Ohio State Journal Of Criminal Law Vol 5:523, 2008, s.532 vd.

⁴ Aşağıda İşlenemez Suç-Sözde Suç ilişkisi.

⁵ GARDNER, Thomas J., Criminal Law Principles and Cases, 3rd. Edition, s.61.

⁶ ROBBINS, s.379.

⁷ DRESSLER, Joshua, Cases and Materials on Criminal Law, Fourth Edition, s.785.

⁸ ROBBINS, s.379.

⁹ ROBBINS, s.380-383.

رشوة أحد الأشخاص معتقدا أنه عضو هيئة محكمة لكن في الواقع هو غير ذلك. فالاستحالة هنا قانونية ولا يعاقب عليها المتهم.

وبالنظر إلى بعض الأمثلة الأكثر شيوعاً حول موضوع الجريمة والتي عاقبت فيها المحاكم الأمريكية الجاني بالرغم من عدم تحقق النتيجة الإجرامية، وهي كما يلي: محاولة إجهاض طفل لامرأة غير حامل، ومحاولة اعتداء جنسي من قبل رجل عاجز، ومحاولة سرقة أموال من جيب فارغ، والشخص المراد قتله لم يكن موجود في المكان الذي خطط الجاني لقتله فيه.

بالنظر إلى السمة المشتركة لهذه الأمثلة نجد وجود سلوك موجه من قبل الفاعل، ولكن لبعض الأسباب الواقعية لم تحدث النتيجة الإجرامية التي يحظرها القانون. وتستند المحاكم الأمريكية على ثلاثة أسباب لمعاقبة المتهم في مثل هذه الحالات وهي:¹

- إظهار الجاني للخطورة
- انتهاك الجاني مصالح المجني عليه
- إخلال الجاني بالمصلحة العامة.²

وتوصلت المحاكم الأمريكية إلى استنتاج مفاده أنه ينبغي معاقبة الجاني بسبب تعريضه للمجني عليه للخطورة، وقضت أيضاً على أن عدم ارتكاب الجريمة لا يرجع إلى تخلي الجاني عن نيته الإجرامية بل لوجود عوامل خارجية مانعة، فلولا وجود هذه العوامل لارتكب المتهم جريمته.³

بموجب القانون الجنائي الأمريكي، فقد تم التمييز بين الاستحالة الفعلية الطبيعية، والاستحالة القانونية البحتة، والاستحالة القانونية المختلطة.⁴

فالاستحالة الفعلية الطبيعية تنشأ في حالة إذا تعذر تحقق النتيجة الإجرامية لسبب ليس في يد الجاني أو لسبب غير معروف للجاني.

ومن الأمثلة على هذا الموقف حالات وضع السارق يده في جيب المجني عليه الفارغ، وإطلاق الجاني النار على سرير المجني عليه الفارغ معتقدا وجوده من أجل قتله رغم اعتياد المجني عليه النوم فيه، ومحاولة قتل شخص بمسدس فارغ. على الرغم من أن مسألة الاستحالة الفعلية الطبيعية

¹ ROBBINS, s.379,

² ROBBINS, s.383.

³ ROBBINS, s.383.

⁴ ROBBINS, s.377

تعتبر إلى حد كبير أكاديمية فقهيّة، فقد تم الاعتراف بالاستحالة الفعلية الطبيعية كأداة للدفع القانوني في القضاء الأمريكي. وذكر أن الدفع بالاستحالة الفعلية الطبيعية يمكن قبوله إذا اعتبرت الطريقة المستخدمة لارتكاب الجريمة غير كافية من وجهة نظر الشخص العادي من حيث السلوك الذي يتطلب المسؤولية بموجب قانون العقوبات.

أما في الحالات التي لا يعاقب فيها القانون على السلوك الذي يرغب الجاني في أدائه، ستظهر مسألة الاستحالة القانونية البحتة. في الاستحالة القانونية المختلطة، إذا كان غرض الجاني غير قانوني فلن يكون من الممكن معاقبة الجاني بسبب العوامل التي تؤثر على وضعه القانوني.

في الاستحالة الحقيقية التي لا يمكن قبولها أبداً كخاصية دفاع في القضاء الأمريكي، فقد تكون النتيجة التي سعى الجاني إلى تحقيقها موضع تساؤل. ومع ذلك فإن النتيجة لا تحدث بسبب حالة واقعية غير معروفة للجاني أو لسبب خارج عن إرادته. مثال على ذلك هو الحال عندما سحب الجاني زناد مسدس اعتقد أنه معبئ ووجهه نحو شخص ما، لكن الخزنة كانت فارغة. في هذه الحالة، هناك استحالة حقيقية وبالتالي سيتم محاكمة الجاني.¹

سيتم تصنيف الاستحالة القانونية في فئتين. وهاتان الفئتين هما استحالة قانونية بحتة واستحالة قانونية مختلطة.²

إذا كان القانون الجنائي لا يجرم هدف الجاني، فإن الاستحالة البحتة ستكون موضع تساؤل. باختصار، في الاستحالة القانونية البحتة يعتقد الجاني أن فعله عواقب جنائية، لكن هذه الأفعال أو العواقب لا يجرمها القانون. مثال على ذلك في الفقه الأمريكي، يعتقد الفاعل أن بيع الخمر جريمة، لكن القانون لا يحظر بيع الخمر. في هذه الحالة لا يمكن تجريم الفاعل بسبب بيعه الخمر.³

غالباً ما يُنظر إلى ما تعنيه المحاكم بالاستحالة القانونية على أنه استحالة قانونية مختلطة وكثير من ادعاءات الاستحالة هي في الاستحالة المختلطة.

إذا كانت الجريمة مستحيلة بسبب بعض العوامل التي تؤثر على الوضع القانوني للجاني على الرغم من أن هدف الجاني هو مخالفة القانون، فسيتم ذكر الاستحالة القانونية المختلطة. هذا النوع من الاستحالة مختلط في طبيعته لأنه كما يوحي اسمه ادعاء الجاني بالاستحالة يشمل جميع الأمور

¹ DRESSLER, s.785.

² DRESSLER, s.785; ROBBINS, s.389 vd.

³ ROBBINS, s.390.

القانونية والحقيقية. لذلك فإن لها بنية مزدوجة في حد ذاتها. في الاستحالة القانونية المختلطة يُحظر هدف الجاني كقاعدة، لكن الفعل المرتكب لن يعاقب عليه بسبب الوضع القانوني للمتهم.¹ كمثال، أطلق شخص الرصاص على الغزال في وقت يمنع فيه الصيد ظناً منه أنه حي، لكن الغزال كان دمية.² في هذا الصدد، حتى لو كانت استحالة واقعية ضمن استحالة قانونية مختلطة، فإنها تقبل كوسيلة للدفاع من قبل المحاكم.³

في مثال آخر، إذا أطلق الجاني النار على شخص ظناً منه أنه على قيد الحياة ولكنه ميت؛ تعتبر المحاكم حقيقة أنه يطلق النار على شخص يعتقد أنه إنسان وتقبل دفاعه من حيث الاستحالة القانونية. وتجدر الإشارة إلى أن كل هذه الأخطاء تؤثر على الوضع القانوني في بعض جوانب أفعال المتهم. على سبيل المثال، إذا سرقت الأشياء، فإن قبول شراء الأشياء المسروقة هو شرط لحدوث جريمة.⁴

من ناحية أخرى، في جميع حالات الاستحالة القانونية المختلطة، يقع الجاني أيضاً في الخطأ فيما يتعلق بالوقائع. مثال، إذا كان الشخص المطلق عليه الرصاص إنساناً حياً، أو إذا كان الصيد غزلاً حقيقياً حياً، فستحدث جريمة. في هذا السياق، من الواضح أن الجاني أخطأ في الوقائع.

النتائج:

- لن يكون من الممكن معالجة الجريمة المستحيلة بمعزل عن أركان الجريمة.
- في مسألة عدم صلاحية الفعل و الذي يشكل أحد أسباب الجريمة المستحيلة، ينبغي مناقشة ما إذا كان الفعل صالحاً، وإذا كان ذلك صالحاً، ينبغي مناقشة ما إذا كان الجاني يعاقب عليه من حيث الواقعة المادية بشكل منفصل.
- في بعض الحالات، قد يتسبب عدم الكفاية أيضاً في استحالة، وفي بعض الحالات قد يكون الفعل الصالح غير كافٍ من حيث الواقعة المادية. في هذا الصدد، في حالة إطلاق النار من مسافات طويلة جداً بالبندقية لقتل شخص ما، توجد بالفعل أداة صالحة، ولكن ينشأ عدم كفاية. ومع ذلك، فإن عدم الكفاية سيتضمن أيضاً استحالة الفعل من حيث الواقعة المادية.

¹ ROBBINS, s.395.

² DRESSLER, s.786.

³ ROBBINS, s.389.

⁴ DRESSLER, s.786; ROBBINS, s.378.

- في القانون الأمريكي، تم إجراء تمييز مزدوج فيما يتعلق بالجريمة المستحيلة وتم تقييم الموضوع تحت عناوين الاستحالة الحقيقية والاستحالة القانونية. في حالة الاستحالة الحقيقية، يرى أنه يتم إدانة الشخص لأنه يعكس فعله الإجرامي إلى العالم الخارجي.
- في حالة ارتكاب جريمة مستحيلة، فإن الأمر الذي يحول دون ارتكاب الجريمة هو عدم صلاحية الفعل أو الأداة أو عدم وجود موضوع الجريمة، بينما في حالة الجريمة الوهمية لا ينظم القانون موضوع نوع الجريمة المزمع ارتكابها دون الحاجة إلى مناقشة عدم صلاحية الفعل أو عدم وجود محل الجريمة.

التوصيات:

- على الرغم من وجود نقاشات حول مكانة الجريمة المستحيلة في النظرية العامة للجريمة، نعتقد أنه سيكون من المناسب تقييم القضية تحت بند الشروع بموجب المادة (35) من قانون العقوبات التركي.
- العمل على إيجاد تعريف واضح وصريح للجريمة المستحيلة في قانون العقوبات التركي.
- العمل على التفريق بين الجريمة المستحيلة والجريمة الوهمية من خلال تكييف قانوني سليم للوقائع.
- في رأينا أن الجريمة المستحيلة يجب ألا يكون من الممكن ارتكابها. في الحالات التي تكون الجريمة فيها وهمية، يكون هنالك موضوع للجريمة، بينما يجب ألا يكون محل الجريمة موجودا في الجريمة المستحيلة.

قائمة المصادر والمراجع:

- **AKBULUT**, Berrin, Türk Ceza Kanunu İle Kabahatler Kanununun Genel Hükümlerinin Yaptırım Hükümleri Dışında Karşılaştırmalı Olarak İncelenmesi, Ankara 2010.
- **AKSOY**, Pervin, “Türk Ceza Hukukunda Suça Teşebbüs”, Yayınlanmamış Doktora Tezi, Ankara 2007.
- **ALACAKAPTAN**, Uğur, İşlenemez Suç, Ankara (tarihsiz), (Alacakaptan, İşlenemez Suç).
- **ALACAKAPTAN**, Uğur, Suçun Unsurları, Ankara 1970.

- **ARTUK**, Mehmet Emin-GÖKCEN, Ahmet- YENİDÜNYA, A. Caner, Ceza Hukuku Genel Hükümler, 6. Baskı, Ankara 2012.
- **BAYRAKTAR**, Köksal, “İşlenemez Suç”, İÜHFİM, C.34, S.1-4, 1968.
- **CENTEL**, Nur-ZAFER, Hamide-ÇAKMUT Özlem, Türk Ceza Hukukuna Giriş, 7. Bası, İstanbul 2011.
- **CRUMP**, David-COHEN, Neil P.-LEVENSON, Laurie L.- PARRY, John T.-PETHER, Penelope, Criminal Law: Cases, Statutes, and Lawyering Strategies, Second Edition.
- **DEMİRBAŞ**, Timur, Ceza Hukuku Genel Hükümler, 5. Baskı, Ankara 2007.
- **DÖNMEZER**, Sulhi-Sahir, Erman, Nazari ve Tatbiki Ceza Hukuku Genel Kısım, Cilt 1, 7. Bası, İstanbul 1979.
- **DÖNMEZER**, Sulhi-ERMAN, Sahir, Nazari ve Tatbiki Ceza Hukuku Genel Kısım Cilt I, 11. Bası, İstanbul 1994, s.459(DÖNMEZERERMAN 1994)
- **DRESSLER**, Jashua, Cases and Materials on Criminal Law, Fourth Edition.
- **GARDNER**, Thomas J., Criminal Law Principles and Cases, 3rd. Edition.
- **HAKERİ**, Hakan, Ceza Hukuku Genel Hükümler, 14. Baskı, Ankara 2012.
- **Hakan**, Ceza Hukukunda İhmal Kavramı ve İhmali Suçların Çeşitleri, Ankara 2003.(Hakeri, İhmal)
- http://en.wikipedia.org/wiki/People_v._Lee_Kong ziyaret tarihi: 21.12.2020
- <http://www.lexisnexis.com/lawschool/study/outlines/html/crim/crim20.htm> ziyaret tarihi: 22.12.2020

- **İÇEL**, Kayıhan-SOKULLU AKINCI, Füsun-ÖZGENÇ, İzzet SÖZÜER, Adem-MAHMUTOĞLU, Fatih S.-ÜNVER, Yener, İçel Suç Teorisi, 2. Kitap, 2. Baskı, İstanbul 2000.
- **KAYANÇIÇEK**, Murat, “Suça Teşebbüs”, <http://www.cezabb.adalet.gov.tr/makale/157.doc> ziyaret tarihi: 22.10.2012.
- **KOCA**, Mahmut-ÜZÜLMEZ, İlhan, Türk Ceza Hukuku Genel Hükümler, 5. Baskı, Ankara 2012.
- **ÖZGENÇ**, İzzet, Türk Ceza Hukuku Genel Hükümler, 7. Bası, Ankara 2012.
- **ROBBİNS**, Ira P., “Attempting the Impossible: The Emerging Consensus”, Harward Journal Legislation, Volume 23, 1986.
- **SOYASLAN**, Doğan, Ceza Hukuku Genel Hükümler, 3. Baskı, Ankara 2005
- (**Soyaslan, Ceza Genel**). SOYASLAN, Doğan, Teşebbüs Suçu, Ankara 1994.
- **SÖZÜER**, Adem, Suça Teşebbüs, İstanbul 1994.
- **TEZCAN**, Durmuş-ERDEM, Mustafa Ruhan-ÖNOK, R. Murat, Teorik ve Pratik Ceza Özel Hukuku, 7. Baskı, Ankara 2010.
- **TOZMAN**, Önder, “Suça Teşebbüs”, Yayınlanmamış Doktora **Tezi**, **Ankara 2008**

الجرائم الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية: مقارنة قانونية

The Israeli Crimes in the Palestinian Territories: A Legal Approach

إعداد: أ. محمد القاضي؛ طالب دكتوراه في القانون العام، مدينة وجدة، المغرب

Prepared by: Mr. **Muhammad Al-Qadi**; PhD student in public law, Oujda,
Morocco

المخلص:

تتناول الدراسة جرائم دولة الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية، خاصة تلك الجرائم الدولية التي تشكل جريمة ضد الإنسانية في ضوء أحكام النظام الأساسي للمحكمة الجنائية، فجاءت تبين الإطار العام للجريمة ضد الإنسانية وفق المواثيق الدولية والنظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، والحديث عن أهم الجرائم التي تشكل جريمة ضد الإنسانية ارتكبتها دولة الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية، موضحة الآليات المتاحة لتحريك دعوى أمام القضاء الجنائي على الصعيد الوطني والدولي، وتتمثل في المحكمة الجنائية الدولية والمحاكم الخاصة الدولية، والمحاكم الوطنية.

استخدمت الدراسة المنهج القانوني فجاءت الدراسة عبارة عن استنباط لبعض القواعد القانونية الدولية ثم استقراء لبعض النصوص المتعلقة بالنظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، وتكييف ذلك على الحالة الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية: الجريمة ضد الإنسانية، المحاكم الدولية، الفصل العنصري، التهجير القسري

Abstract:

The study discusses the the Israeli occupation crimes in the Palestinian Territories, especially those international crimes which constitute a problem agaisnt the humanity in the light of the provisions of the Statute of the Criminal Court and the international commitments. Therefore, the study came to clarify the general framework for those crimes by explaining the available mechanisms to prosecute a lawsuit in front of the criminal justice nationally and internationally represented in the International Criminal Court, international special courts, and national courts .

The study used the legal method thus it came as a deduction of some international legal rules then extraploating of some texts related to the statute of the International Criminal Court with adapting that to the palestinian case.

Keywords: Crime against humanity, International courts, Apartheid, Forced displacement

الإطار المنهجي للدراسة

المقدمة:

في هذا الكوكب الذي يمتلئ بالجرائم والصراعات المسلحة التي تنتهك القيم الإنسانية، أصبحت الجرائم والحروب طريقاً لاحتلال الشعوب وإخفاء حضارتها وآثارها وثقافتها، وليس هناك طريق لإنقاذ البشرية من مهالك الحروب، خاصة عندما يلقي المتصارعون بقواعد القانون الدولي خلف ظهورهم، إذ لا بد من وجود آليات حقيقية وفعالة للملاحقة والعقاب لكل من يمس بالقواعد القانونية الدولية.

والجريمة لم تكن يوماً حدثاً مفاجئاً، إذ شهدت البشرية منذ فجرها الأول صوراً لأبشع الجرائم والانتهاكات¹. ومن أقدم الجرائم الدولية جريمة الحرب، وجريمة القرصنة في أعالي البحار والتي تُعدُّ سبباً في توقيع المعاهدات في القَدَم بين الملوك، ولكن في الوقت الحاضر، -بعد فشل عصبة الأمم المتحدة، أنشأ المجتمع الدولي منظمة الأمم المتحدة، والتي وضعت تشريعات دولية وكان من أهم أهدافها الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين، وقد نصت المادة الخامسة من نظام روما الأساسي عام 1998م على أربع جرائم دولية: جريمة الحرب، وجريمة الإبادة الجماعية، وجريمة العدوان، والجريمة ضد الإنسانية التي تُعدُّ محور الدراسة².

ومع ظهور المحكمة الجنائية الدولية عام 1998م، لم يصبح تطبيق القواعد العرفية مجرد وجهة نظر يُخْتَلَفُ عليها، إذ ينص النظام الأساسي للمحكمة على أولوية تطبيق القواعد المنصوص عليها في النظام، ويمتد اختصاص هذه المحكمة الزماني من لحظة دخول النظام الأساسي حيز التنفيذ بالنسبة للدولة الطرف أو قبول دولة غير طرف، أما من الناحية الشخصية فهو يشمل الأفراد فوق سن الثامنة عشر من العمر، ولا يستثنى الشخص مهما كانت صفته الرسمية³.

وللمحكمة اختصاص تكميلي مع الاختصاص الوطني كما أنها من الناحية الموضوعية تختص بنوع الجرائم الأشد خطورة الواردة في المادة الخامسة من النظام الأساسي، وتكون محاسبة المجرمين عن طريق المحكمة الجنائية الدولية التي تُرفع إليها للنظر فيها والبت وإصدار الأحكام

¹ - سوسن ثمر خان بكة، في ضوء أحكام النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، ط1، بيروت، منشورات حلبى الحقوقية، 2016، ص 1.

² - انظر في ذلك نص المادة 5 من نظام روما الأساسي، حسام يحيى خميس البناء، جريمة العدوان في ضوء أحكام النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية (العدوان الإسرائيلي على غزة نموذجاً)، غزة، أكاديمية الإدارة والسياسة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2017، ص 1.

³ - انظر في ذلك نص المادة 18 و 27 من نظام روما الأساسي.

وأهم هذه الجرائم الجريمة ضد الإنسانية التي ارتكبتها وما يزال يرتكبها على الأراضي الفلسطينية المحتلة، وقد نتج عن ذلك مجازر ضخمة خلّدها التاريخ، وهو ما حرّمته التشريعات الدولية، منها اتفاقيات جنيف الأربعة، وبرتوكولها لعام 1977 وميثاق الأمم المتحدة ونظام روما الأساسي، وجدير بالذكر أن الباحث اختار الأراضي الفلسطينية نموذجاً لدراسته محدّداً إطار الدراسة في الجريمة ضد الإنسانية.

المشكلة البحثية:

تكمن مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي:

ما هي الجريمة ضد الإنسانية على ضوء أحكام النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية ومدى قابلية تكييفها القانوني على جرائم إسرائيل في الأراضي الفلسطينية؟
ولتفكيك هذه الإشكالية نطرح أسئلة فرعية أخرى:

- 1- ما المقصود بالجريمة ضد الإنسانية؟
- 2- هل تستطيع فلسطين تحريك دعوى أمام المحكمة الجنائية الدولية، وما هي الآليات المتاحة على الصعيد الدولي والوطني؟
- 3- ما هي المعوقات التي تعطل عمل المحكمة الجنائية الدولية؟

أهداف البحث:

- 1- تعريف الجريمة ضد الإنسانية في ضوء النظم الدولية وخاصة المحكمة الجنائية.
- 2- بيان الجرائم التي تشكل جريمة ضد الإنسانية التي ارتكبتها دولة الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية.
- 3- توضيح الآليات القانونية لتحريك الدعوى أمام المحكمة الجنائية الدولية.

منهج الدراسة:

في هذه الدراسة اعتمد المنهج القانوني، فجاءت الدراسة عبارة عن استنباط لبعض القواعد القانونية الدولية ثم استقراء لبعض النصوص المتعلقة بالنظام الأساسي، وتكييف ذلك على الحالة الفلسطينية مستندا في ذلك على القانون الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

تقسيم الدراسة:

سنقسم هذه الدراسة التي تحمل عنوان "الجرائم الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية" على النحو الآتي:

- المبحث الأول: الإطار العام للجريمة ضد الإنسانية
- المبحث الثاني: جرائم إسرائيل ضد الإنسانية في فلسطين، وسبل الملاحقة القضائية

المبحث الأول: الإطار العام للجريمة ضد الإنسانية

سننطلق في هذا المبحث إلى المفهوم العام للجريمة ضد الإنسانية كما هو وارد في العديد من المواثيق الدولية (مطلب أول) وبعض النظم الجنائية الدولية وأهمها نظام المحكمة الجنائية الدولية التي توسعت في مفهوم الجريمة ضد الإنسانية (مطلب ثاني).

المطلب الأول: تعريف الجريمة ضد الإنسانية في المشاريع والمواثيق الدولية

لقد ظهر مفهوم الجرائم ضد الإنسانية من قبل لجنة القانون الدولي التي حاولت تأسيسه منذ بدء أشغالها المتعلقة بإعداد مدونة خاصة بالجرائم ضد سلم وأمن الإنسانية، والتي لم تتمخض عنها اتفاقية خاصة بها، لتبرز في إطار اتفاقيات كرسست بعض صورها.

الفقرة الأولى: الجرائم ضد الإنسانية في مشروع لجنة القانون الدولي الخاص بمدونة الجرائم ضد سلم وأمن الإنسانية

عرفت مرحلة عصبة الأمم منذ عام 1919 وحتى عام 1946م، محاولة لتنمية القانون الدولي الجنائي²، إلا أن الاختلافات الجوهرية حول المفاهيم الأساسية حالت دون ذلك³، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية والفظائع التي نتجت عنها، وعلى إثر محاكمات نورمبرج التي عرفت انتقادات بالنظر للنقائص التي طبعت النظام الأساسي للمحكمة، شعرت الدول بضرورة تقنين الجرائم الماسة بسلم

¹ هي لجنة تتكون من عدد كبير من الخبراء الدوليين يتمتعون بالخبرة والكفاءة العالية بالقانون الدولي، من أهم أعمالها التطوير المستمر للقانون الدولي وتدوينه، وتجتمع سنويا في جنيف.

² يعرف القانون الدولي الجنائي بأنه أحد فروع القانون الدولي العام وهو مجموعة من القواعد القانونية العرفية هدفها إقرار قواعد السلم والأمن الدوليين، ذلك عن طريق فرض جزاءات بحق مرتكبي الجرائم الدولية وفق قواعد القانون الدولي، والعمل المستمر باتخاذ التدابير المناسبة من أجل عدم وقوعها في الحاضر والمستقبل.

³ انظر:

Mahiou, Ahmed, «les processus de codification du droit international pénal », in=ASCENCIO, (Hervé), Decaux, (Emmanuel), pellet, (Alain) (sous dire), droit international pénal..., 2008 .p 39.

وأمن الإنسانية، إذ شكلت لجنة القانون الدولي¹ الإطار المناسب لذلك، إذ كلفتها الجمعية العامة بمهمة إعداد مشروع هذه المدونة وصياغة مبادئ القانون الدولي المعترف بها في ميثاق محكمة نورمبرج.

كما أنها توصلت في دورتها الأولى المنعقدة عام 1949 لوضع مشروع أولي يتكون من خمسة مواد أدرجت فيه بعض الجرائم الخطيرة ذات الصبغة السياسية، والتي يمكن أن تشكل تهديداً لسلم وأمن الإنسانية²، وعلى إثر ذلك تم إدخال بعض التعديلات عليه من قبل اللجنة ذاتها، وتم اعتماد أول مشروع للمدونة عام 1954.

يلاحظ أن المادة الأولى من المدونة اعتمدت تعريفاً للجرائم ضد سلم وأمن الإنسانية معتبرةً إياها جرائم دولية فنصت على:

"تشكل الجرائم ضد سلم وأمن الإنسانية المُعرَّفة في هذه المدونة جرائم قانون دولي، ومعاقبة المسؤول عنها".

هذا النص مثل تطوراً كبيراً في تكييف تلك الأفعال التي تعد جرائم دولية، ويمكن أن نُعدَّ هذا التعريف تعبيراً عن موقف الفقه أثناء تلك الفترة، إذ إنه قبل اعتماد ما يصدر عن اللجنة من أعمال من قبل الدول في الجمعية العامة، تبقى على قدر كبير من الأهمية حتى قبل اعتمادها في اتفاقية، ذلك أنه غالباً ما تُعتمد المشاريع التي تُعدّها لجنة القانون الدولي³.

غير أن هذا التطور الإيجابي ما فتى أن تباطأ عند عرض المشروع على الجمعية العامة، إذ عدت الدول أنه يثير مسائل هامة مرتبطة بتعريف العدوان، وتقرّر تعليقه على إثر ذلك، وتوقفت اللجنة عن البحث فيه إلى حين وضع تعريف متفق عليه للعدوان، ورغم اعتماد اللائحة رقم 3314 من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 14 ديسمبر 1974 حول تعريف العدوان، إلا أن لجنة القانون الدولي لم تستأنف أشغالها حول هذا المشروع إلا عام 1983، إذ قُدمت عدة تقارير شهرية جاءت فيها جملة من الاقتراحات إلى غاية 1996 لاعتماد المشروع بصيغته النهائية⁴.

¹ - أنشئ هذا الجهاز بموجب القرار الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (11)، ولقد حددت المادة الأولى من نظامها الأساسي المرفق أن مهام اللجنة تتمثل في تدوين وتطوير القانون الدولي.

² - لقد استبعد هذا النص بعض الجرائم التي كانت معروفة في القانون الجنائي الدولي مثل القرصنة وتجارة المخدرات.

³ - بوروية سامية، معاقبة الجرائم ضد الإنسانية بين القانون الدولي والقانون الداخلي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2015-2016، ص: 34.

⁴ - المرجع سابق، ص: 36.

ومما يثير الانتباه أنه على عكس ما ورد في مشروع 1954 من تكريس محتشم للجرائم ضد الإنسانية، فإن المشروع المعتمد عام 1996 عرف تكريساً صريحاً لها في المادة التي جاءت تحت عنوان "الجرائم ضد الإنسانية"¹.

وللوقوف عن هذا التطور لا بد من الرجوع للمادة 12 منه، والتي عرّفت الجرائم ضد الإنسانية بذكرها أحد عشر فعلاً من الأفعال المشكّلة لها، وتضمن هذا التعداد ما جاء في مشروع 1954، ونجد بالإضافة إلى ذلك أفعالاً جديدةً أصبحت تُعدّ ضمن هذه الجرائم، مثل التعذيب (المادة 18 فقرة 2)، والحبس التعسفي (المادة 12 فقرة 2).

ما يمكن قوله أن مشروع 1996² جاء نتيجة لمجهودات متعددة امتدت على فترة قاربت نصف القرن، وهي فترة شهدت عدة تحولات على صعيد العلاقات الدولية بداية بزوال المعسكر الشرقي، والأحادية القطبية السياسية، مروراً بالأحداث التي عاشتها فلسطين مع الكيان الصهيوني وانتهاء بالانتهاكات لحقوق الإنسان في أجزاء من إفريقيا والتي جعلت منظمة الأمم المتحدة تتحرك بأعمال جديدة لم يسبق وأن عرفتها مختلف الأزمان السابقة.

لكن رغم هذه التطورات والإيجابيات، يبقى المشروع بهذه الصفة إلى غاية يومنا هذا لكونه لم يعتمد كاتفاقية دولية تصبح ملزمة إلا بعد استنفاد مختلف الإجراءات التي يتطلبها القانون الدولي الاتفاقي في هذا المجال³.

الفقرة الثانية: القانون الاتفاقي لبعض صور الجرائم ضد الإنسانية.

إذا كانت الجرائم الدولية تشكل النواة الأساسية للقانون الدولي الجنائي في تقسيمها الثلاثي: جريمة الإبادة الجماعية، جرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية، فإن الجهود الدولية تضافرت من أجل وضع تعريف يضبطها من حيث العناصر المكونة لها، كما أن الآراء اتجهت نحو تعريف جرائم الحرب باعتبارها تلك الانتهاكات الخطيرة لقوانين وأعراف الحرب، والتي ترجمتها اتفاقيات جنيف الأربعة في عام 1949 وبقيت الجرائم ضد الإنسانية في وضع مختلف، إذ لم تتجح جهود الدول في إدماجها ضمن اتفاقية واحدة عامة تتضمن تعريفها بمختلف عناصرها، بسبب عدم حصولها على إجماع لتكريسها كمفهوم قانوني مؤكد.

¹ - المرجع السابق، ص:36.

² - تجدر الإشارة إلى أن هذا المشروع على أهميته لم يرق لأن تعتمده الدول في اتفاقية، ويشكّل نصاً متكاملاً للجرائم الدولية، غير أن الجرائم ضد الإنسانية عرفت محاولات لتكريس عبر اتفاقيات متفرقة ومتباعدة زمنياً.

³ - نسبة ذلك في المشروع حول الاتفاقية الذي اقترح خلال الدورة السادسة والستون للجنة القانون الدولي.

بالموازاة مع العمل الذي أدته لجنة القانون الدولي بالنسبة لمشروع المدونة، توصلت الدول خلال فترات زمنية متباعدة نسبيًا إلى اعتماد بعض الاتفاقيات عرّفت بعض الجرائم التي تشكل محورًا للجرائم ضد الإنسانية، لعل أهمها اتفاقية قمع جريمة الفعل العسكري والمعاقبة عليها المعتمدة في 30 نوفمبر 2013 (أ)¹، واتفاقية مناهضة التعذيب وجميع ضروب المعاملة اللاإنسانية أو القاسية أو المهينة الموقعة في 10 ديسمبر 1984 (ب).

أولاً: اتفاقية قمع جريمة التمييز العنصري والمعاقبة عليها

لقد كانت اتفاقية قمع جريمة الميز العنصري² أكثر تحديدًا، إذ رأت المادة الأولى منها أن: "الفعل العنصري يعد جريمة ضد الإنسانية".

لقد اعتُمدت هذه الاتفاقية كرد فعل للمنظمة الأممية على السياسة العنصرية التي مارستها حكومة جنوب إفريقيا في الماضي ضد الأفارقة السود، كما أن الجمعية العامة ندّدت بالتمييز العنصري منذ عام 1952 وإلى غاية زواله، معتبرةً أنه مخالف للمادتين 55 و56 من ميثاق الأمم المتحدة، كما اشتملت على أحكام تسمح بمتابعة ممثلي حكومة جنوب إفريقيا بجريمة الفعل العنصري أمام الجهات القضائية للدول الأطراف، غير أن سياسة التمييز العنصري ما تزال موجودة، وما يتعرض له الشعب الفلسطيني من ممارسات من هذا القبيل على يد الاحتلال الإسرائيلي يندرج لا محالة تحت هذا الوصف، وهو ما توصل إليه التقرير الذي أُعدَّ وفقًا للائحة رقم 60/251 الصادرة عن الجمعية العامة بتاريخ 15 مارس 2006 تحت تسمية مجلس حقوق الإنسان، لا سيما فيما يتعلق بتقييد حرية الفلسطيني في التنقل عبر الجدار العازل والخط الأخضر في حين لا يتعرض الإسرائيلي لنفس هذه المعاملة.

إذا كانت اتفاقيات حقوق الإنسان التي تشكل الشرعية الدولية لحقوق الإنسان مثل: العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية في المادة 26 في الفقرتين 1 و2 منه، والاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان في المادة 14، والميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان، والشعوب في المادة 2، قد منعت الأفعال التي تشكل تمييزًا عنصريًا، إلا أنها لم تتضمن تجريماً لها في القانون الدولي، على عكس الاتفاقية ضد الفعل العنصري التي تضمنت هذا الجانب.

¹ - انظر:

DELMAS_MARTY, M, FOUCHARD, I, FONDA, ENEYRET, L, le crime contre l'humanité op. cit, 2013, p : 16.

² يقصد بالتمييز العنصري كل عمل أو اعتقاد أو نظرية تتجسد من خلالها عنصرية عن طريق تقسيم الناس على أساس سمات جسدية أو دينية أو عرقية أو ثقافية أو بيولوجية..إلخ.

ثانياً: اتفاقية مناهضة التعذيب

لقد تضافرت الجهود الدولية من أجل توطيد الجرائم ضد الإنسانية باعتماد اتفاقية عام 1984، وهي اتفاقية مناهضة التعذيب والتي شكلت خطوة متقدمة في هذا المسار، ولقد استمرت الجهود في مسار منع التعذيب عبر محاولات تعريف لهذه الجريمة، ويعد الإعلان ضد التعذيب الذي اعتمده الجمعية العامة في 9 ديسمبر 1975، تعريفاً شاملاً¹ إذ جاء في المادة الأولى منه ما يلي:

"الغرض هذا الإعلان، يعد التعذيب: أي عمل ينتج عنه ألم أو عناء شديد، جسدياً كان أو عقلياً، يلحق عمدًا بشخص ما".

إذا كانت اتفاقية 1984 لا تكفي التعذيب كونه يشكل انتهاكاً جسيماً لحقوق الإنسان، فإنه يلاحظ أن هذا التكييف وارد في المادة 2 من إعلان 1975، والتي نصت على أنه: "يعد أي عمل من أعمال التعذيب أو غيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة انتهاكاً للكرامة الإنسانية يدان بوصفه إنكاراً لمقاصد ميثاق الأمم المتحدة وانتهاكاً لحقوق الإنسان والحريات الإنسانية المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان".

ويتوجب على عدّ التعذيب مخالفةً لحقوق الإنسان حسب ما ورد في اتفاقية 1984، عدة التزامات على عاتق الدول الأطراف، من بينها: اتخاذ إجراءات داخلية تسفر من خلالها إلى تجريم هذه الأفعال، إذ نصت المادة 4 في فقرتها الأولى: "تضمن كل دولة طرف أن تكون جميع أعمال التعذيب جرائم بموجب قانونها الجنائي، وينطبق الأمر ذاته على قيام أي شخص بأية محاولة لممارسة التعذيب وعلى قيامه بأي عمل يشكل مشاركة في التعذيب".

وتعد هذه الاتفاقية من أهم الاتفاقيات الدولية التي أسهمت في تكريس الجرائم ضد الإنسانية.

المطلب الثاني: الجريمة ضد الإنسانية وفق المحاكم الدولية

لقد حظي مفهوم الجريمة ضد الإنسانية باهتمام العديد من المحاكم العسكرية والدولية بدءاً بالمحكمة العسكرية الدولية نورمبرج، مروراً بالمحكمة الدولية ليوغسلافيا السابقة والمحكمة الجنائية الدولية لرواندا (الفقرة الأولى)، انتهاءً بنظام المحكمة الجنائية الدولية (الفقرة الثانية).

¹ - انظر:

YAHIA_BACHA, MOULOU, «la convention des nations unies contre la torture», R.A.S.J.E.P, 1986, n° 3 et 4, vol XXIV.P 530.

الفقرة الأولى: الجرائم ضد الإنسانية في المحكمة الدولية المؤقتة

أولاً: الجرائم ضد الإنسانية في المحكمة العسكرية لنورمبرج

ارتكب النازيون وغيرهم من أطراف النزاع في الحرب العالمية الثانية مجازر بشعة في حق رعايا بعضهم من المدنيين والعسكريين، وانفرد النازيين بارتكاب فظائع وجرائم وحشية في حق الرعايا الألمان قبل الحرب وبعدها، خاصةً من أصحاب الانتماء الاشتراكي والشيوعي، فقد قُدرَ العدد الذي أريد بنحو ستة ملايين قتيل منهم أربعة ملايين في مؤسسات أنشأت خصيصاً لهذا الغرض، وقد كان لهذه المذابح بالغ الأثر في تعريف الجرائم ضد الإنسانية، إذ كانت المعضلة الكبرى التي واجهت واضعي الميثاق أن هذه الأفعال، على الرغم من وحشيتها وقسوتها التي لا تقل عن جرائم الحرب، لم تكن تندرج تحت معناها التقليدي من الناحية القانونية، فهي من جهة ارتكبت قبل نشوء الحرب، ومن الجهة الثانية جرائم ارتكبتها الألمان في حق رعايا مدنيين من الألمان، ومن ثم كان ابتداء مصطلح الجرائم ضد الإنسانية¹.

لقد عرّفت المادة 6/ج من ميثاق نورمبرج مصطلح الجرائم ضد الإنسانية بأنه: "القتل العمد، الإبادة، الاسترقاق، الإيذاء، والأفعال اللاإنسانية الأخرى المرتكبة ضد أية مجموعة من السكان المدنيين قبل الحرب أو أثناءها التي تدخل في اختصاص المحكمة".

يلاحظ من هذا التعريف أنه لم يفرق بين جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، على الرغم من المبادئ المهمة التي أرسنها المادة 6/ج السابقة الذكر، وقد كان هذا واقعاً أساسياً لفقهاء القانون الدولي للسعي لإيجاد أنظمة أخرى لتحديد الجرائم ضد الإنسانية وتطوير مفهومها.

ثانياً: الجرائم ضد الإنسانية في نظام المحكمة الدولية ليوغسلافيا السابقة

لقد جاء تعريف الجرائم ضد الإنسانية في نظام المحكمة الجنائية الدولية ليوغسلافيا السابقة في نص المادة الخامسة كما يلي:

"سوف تمارس المحكمة الجنائية الدولية ليوغسلافيا السابقة الاختصاص بمقاضاة الأشخاص المسؤولين عن الجرائم التالية عندما تُرتكب في النزاعات المسلحة سواءً كانت ذات طبيعة دولية أم داخلية، أو تكون موجّهة ضد أية مجموعة من السكان المدنيين:

1- القتل العمد.

¹ - سوسن تمر خان بكة، مرجع سابق، ص: 46.

2- الإبادة.

3- الاسترقاق.

4- الإبعاد.

5- السجن.

6- التعذيب.

7- الاغتصاب.

8- الاضطهاد لأسباب عرقية أو دينية.

9- الأفعال اللاإنسانية الأخرى¹.

يلاحظ أن المادة الخامسة المشار إليها قد أضافت جرائم السجن والتعذيب والاغتصاب، والتي لم تكن مذكورة في نظام المحكمة العسكرية الدولية "نورمبرج" والتي ظهرت في المادة 2/ج من القانون رقم 10 لمجلس الرقابة على ألمانيا إلا أنه يوجد تشابه بين المادة الخامسة من نظام محكمة يوغسلافيا الدولية والمحكمة العسكرية الدولية "نورمبرج" عدا الجرائم التي أضافتها المادة الخامسة.

ثالثاً: الجرائم ضد الإنسانية في نظام المحكمة الجنائية الدولية لرواندا

أصدر مجلس الأمن النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لرواندا عام 1994م، لمحكمة مرتكبي الجرائم ضد الإنسانية، وقد تضمن نظام المحكمة في المادة 3 منه تعريفاً للجرائم ضد الإنسانية جاء فيه ما يلي:

"سيكون للمحكمة الجنائية الدولية في رواندا الاختصاص بمقاضاة الأشخاص المسؤولين عن الجرائم التالية عندما ترتكب كجزء من هجوم واسع النطاق أو منهجي ضد أية مجموعة من السكان المدنيين لأسباب قومية، سياسية، إثنية، عرقية أو دينية:

1- القتل .

2- الإبادة.

3- الاسترقاق.

¹ السيد مرشد أحمد الهرمزي، أحمد غازي، القضاء الدولي الجنائي، الطبعة 4، عمان، الدار العلمية للنشر والتوزيع، 2002، ص: 122.

4- الإبعاد.

5- السجن.

6- التعذيب.

7- الاغتصاب.

8- الاضطهاد لأسباب سياسية، عرقية أو دينية.

9- الأفعال اللاإنسانية الأخرى¹.

من خلال المقارنة بين الجرائم ضد الإنسانية الذي أشارت إليها المادة 3 من نظام محكمة راوندا الدولية، والتعريف الذي ورد في نظام محكمة يوغسلافيا السابقة نجد أن الاختلاف يتمثل في عدم ذكر النزاع المسلح في المادة 3 بل إنه اشترط وجود هجوم واسع النطاق، إلا أنه لم يحدد تعريفاً واضحاً لهذا الهجوم الذي ورد بالنظام.

الفقرة الثانية: الجرائم ضد الإنسانية في نظام المحكمة الجنائية الدولية

لقد توالى الاجتهادات الفقهية في تعريف الجرائم ضد الإنسانية وتطوير مفهومها، وتواصلت المؤتمرات الدولية واللجان المتخصصة للسعي لإيجاد تعريف شامل يعد المرجعية الثابتة لمفهوم الجرائم ضد الإنسانية للعمل به كتشريع دولي إلى أن تكثرت الجهود الدولية بالوصول إلى نظام المحكمة الجنائية الدولية، والذي أُقرّ مشروعه في مؤتمر روما الذي عقد من 15 حزيران/يونيو إلى 17 تموز/يوليو 1998، والذي أوجد لها تعريفاً شاملاً من خلال المادة 7 من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية التي جاءت كما يلي:

1- لغرض هذا النظام الأساسي، يشكل أيُّ فعل من الأفعال التالية "جريمة ضد الإنسانية" متى ارتكب في إطار هجوم واسع النطاق أو منهجي موجّه ضد أيّة مجموعة من السكان المدنيين وعن علم بالهجوم:

أ- القتل العمد.

ب- الإبادة.

ج- الاسترقاق.

¹ انظر: محمد فهاد الشلالدة، القانون الدولي الإنساني، الطبعة 1، الإسكندرية، منشأة دار المعارف، 2005، ص: 370.

د- إبعاد السكان أو النقل القسري للسكان.

هـ- السجن أو الحرمان الشديد على أي نحو آخر من الحرية البدنية بما يخالف القواعد الأساسية للقانون الدولي.

و- التعذيب.

ز- الاغتصاب، أو الاستعباد الجنسي، أو الإكراه على البغاء، أو الحمل القسري، أو التعقيم القسري، أو أي شكل آخر من أشكال العنف الجنسي على مثل هذه الدرجة من الخطورة.

ح- اضطهاد أية جماعة محدودة أو مجموعة محددة من السكان لأسباب سياسية أو عرقية أو قومية أو إثنية أو ثقافية أو دينية أو متعلقة بنوع الجنس على النحو المعرّف في الفقرة 3، أو لأسباب أخرى من المسلم عالمياً أنّ القانون الدولي لا يجيزها، وذلك فيما يتصل بأي فعل مشار عليه في هذه الفقرة أو أية جريمة تدخل في اختصاص المحكمة.

ط- الاختفاء القسري للأشخاص.

ي- جريمة الفعل العنصري.

ك- الأفعال اللاإنسانية الأخرى ذات الطابع المماثل التي تتسبب عمداً في معاناة شديدة أو في أذى خطير يلحق بالجسم أو الصحة العقلية أو البدنية.

2- لغرض الفقرة 1

أ- تعني عبارة "هجوم موجّه ضد أية مجموعة من السكان المدنيين" نهجاً سلوكياً يتضمن الارتكاب المتكرر للأفعال المشار إليها في الفقرة 1 ضد أية مجموعة من السكان المدنيين، عملاً بسياسة دولة أو منظمة تقضي بارتكاب هذا الهجوم أو تعزيزاً لهذه السياسة.

ب- تشمل "الإبادة" تعمدُ فرض أحوال معيشية نتيجتها الحرمان من الحصول على الطعام والدواء بقصد إهلاك جزء من السكان.

ج- يعني "الاسترقاق" ممارسة أي من السلطات المترتبة على حق الملكية، أو هذه السلطات جميعها، على شخص بما في ذلك ممارسة هذه السلطات في سبيل الاتجار بالأشخاص ولاسيما النساء والأطفال.

د- يعني "إبعاد السكان أو النقل القسري للسكان" نقل الأشخاص المعنيين قسراً من المنطقة التي يوجدون فيها بصفة مشروعة بالطرد أو بأي فعل قسري آخر دون مبررات يسمح بها القانون الدولي.

هـ- يعني "التعذيب" تعمد إحاق ألم شديد أو معاناة شديدة سواءً بدنياً أو عقلياً بشخص موجود تحت إشراف المتهم أو سيطرته، ولكن لا يشمل التعذيب أي ألم أو معاناة ينجمان فحسب عن عقوبات قانونية أو يكونان جزءاً منهما أو نتيجة لها.

و- يعني "الحمل القسري" إكراه المرأة على الحمل قسراً أو على الولادة غير المشروعة بقصد التأثير على التكوين العرقي لأية مجموعة من السكان أو ارتكاب انتهاكات خطيرة أخرى للقانون الدولي، ولا يجوز بأي حال تفسير هذا التعريف على نحو يمس القوانين المتعلقة بالحمل.

ز- يعني "الاضطهاد" حرمان جماعة من السكان أو مجموعة السكان حرماناً متعمداً وشديداً من الحقوق الأساسية بما يخالف القانون الدولي، وذلك بسبب هوية الجماعة أو المجموع.

ح- تعني "جريمة الفعل العنصري" أية أفعال لا إنسانية تماثل في طابعها الأفعال المشار إليها في الفقرة 1 وترتكب في سياق نظام مؤسسي قوامه الاضطهاد المنهجي والسيطرة المنهجية من جانب جماعة عرقية واحدة إزاء جماعة أو جماعات عرقية أخرى وترتكب بنية ذلك النظام.

ط- يعني "الاختفاء القسري للأشخاص" إلقاء القبض على أي أشخاص أو احتجازهم أو اختطافهم من قبل دولة أو منظمة سياسية، أو بإذن أو دعم منها لهذا الفعل أو بسكوتها عليه، ثم رفضها الإقرار بحرمان هؤلاء الأشخاص من حريتهم أو إعطاء معلومات عن مصيرهم أو عن أماكن وجودهم، بهدف حرمانهم من حماية القانون لفترة طويلة.

على الرغم من أن المادة (ح) من النظام الأساسي للمحكمة الدولية أوجدت تعريفاً للجرائم ضد الإنسانية كوّنت خلاصةً جمعت كل التعريفات السابقة واستفادت من الثغرات التي كانت بها، فإنها اشتملت على بعض الجرائم الموجودة أصلاً في القوانين الوطنية، مثل القتل والاغتصاب، مما أوجد تنازعا بين المحكمة الجنائية الدولية والمحاكم الوطنية، ومثال ذلك ما يجري من تنازع في الاختصاص في الجرائم التي نجمت عن الصراع القبلي في "دارفور" واتخذ مجلس الأمن قراراً بتحويلها إلى المحكمة الجنائية الدولية، في حين أن حكومة السودان ترى أنها من اختصاص محاكمها الوطنية¹.

¹ - محمود الشريف بسيوني، مدخل لدراسة القانون الإنساني الدولي، الطبعة 1، القاهرة، دار النهضة العربية، 2003، ص: 84.

المبحث الثاني: الانتهاكات الإسرائيلية التي تشكل جرائم ضد الإنسانية وسبل الملاحقة القضائية

لقد اقترفت دولة الاحتلال الإسرائيلي جرائمها في فلسطين منذ الوهلة الأولى لاحتلالها الأراضي الفلسطينية، ونتج عن ذلك العديد من المجازر والضحايا المدنيين، والتي تكفلت الاتفاقيات الدولية بحمايتها.

فالسؤال هنا هل نجحت الأمم المتحدة في تحقيق الأمن والسلم الدوليين في فلسطين؟ وما هو دورها اتجاه جرائم الحروب التي ترتكبها دولة الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية؟

وكي نستطيع أن نقيم الحالة الفلسطينية ونحدد الجرائم التي تشكل جريمة ضد الإنسانية الواقعة على الأراضي الفلسطينية، فقد انتقينا بعض الجرائم التي تعد جريمة ضد الإنسانية ومنها جريمة التهجير من أجل دفع الفلسطينيين للهروب وتحقيق سياسة التطهير العرقي، ولم تتوقف السياسة الإجرامية عند هذا الحد، بل امتدت لتشمل الفصل العنصري (مطلب أول) والآليات المتاحة على الصعيد الدولي لتحريك دعوى ضد دولة الاحتلال الإسرائيلي، ثم سنتطرق لأحكام الإدانة الصادرة عن محكمة الجنايات الدولية وتنفيذ هذه الأحكام (مطلب ثاني).

المطلب الأول: مظاهر الانتهاكات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني

تعددت صور الجرائم الدولية التي ارتكبتها إسرائيل في حق الشعب الفلسطيني، من جرائم ضد الإنسانية وغيرها من الجرائم إذ تعددت الدوافع والمبررات الإسرائيلية لارتكاب هذه الجرائم، واستخدامها القوة المفرطة ضد المدنيين والأعيان المدنية وغيرها من الأفعال والانتهاكات التي يجرمها القانون الدولي، لكننا سنتطرق لجريمتي التهجير القسري والفصل العنصري كونهما جريمتين دوليتين مستمرتين.

الفقرة الأولى: التهجير القسري

مارست إسرائيل سياسات وحشية ضد الفلسطينيين من أجل دفعهم للهروب، وجاءت عملية الترحيل على مراحل ترافقت مع الممارسات الجرمية الأخرى، ابتداءً من أواخر سنة 1947 بعد صدور التقسيم، ففي المرحلة الأولى اختلط فيها الترهيب مع الممارسات الجرمية ليدفع إلى هروب الفلسطينيين طلباً للنجاة، ثم لحقتها مرحلة أخرى أكثر تصميماً على تهجير الفلسطينيين، وترافق مع

عمليات التهريب إقدام القوات اليهودية على تهجير الفلسطينيين بالقوة¹ وابتدأت هذه المرحلة من مذبحة دير ياسين وسرعان ما لحقتها مرحلة ثالثة أوسع في التهجير جاءت في أعقاب الهدنة الثانية وحتى وقف إطلاق النار في أكتوبر 1948 وفي الأشهر الأخيرة من سنة 1948 جاءت المرحلة الرابعة من عملية التهجير في الكثير من المناطق التي كان القتال قد هدأ فيها، إذ كان اللجوء فيها مباشرة إلى التهجير وضمن مخططات مسبقة لذلك².

"ويتبين من إحصاءات وكالة الغوث الدولية، وهي الإحصاءات التي تشمل فقط اللاجئين المسجلين في قيودها، أن عدد الفلسطينيين الذين رُحِّلوا عن ديارهم بلغ 960021 لاجئاً، وفقاً لأرقام يونيو 1950"³.

ولقد امتدت مراحل التهجير لخمس مراحل تبدأ المرحلة الأولى من عمليات التهجير القسري، مباشرةً بعد صدور قرار التقسيم في 29 نوفمبر 1947 واستمرت هذه المرحلة حتى نهاية 1948، ولقد جاءت المرحلة الثانية التي كانت بدايتها بمذبحة دير ياسين في 14/أبريل/1948 واستمرت هذه المرحلة ثلاثة أشهر وما قامت به القوات الإسرائيلية في هذه الفترة وقبل الهدنة الثانية قد فاق حد الإجرام، واقترفت العديد من المذابح وبدأت فيها فعلاً عمليات تهجير واسعة النطاق، بالإرغام المسلح للسكان.

ويقدر موريس أن عدد الأشخاص الذين هُجِّروا في هذه الفترة بلغ حوالي 250-300 ألف شخص، ويقول بهذا الخصوص "في تلك الأسابيع من أبريل حتى وسط يونيو من عام 1948 خرج الكثير من الفلسطينيين يتراوح عددهم بين 250 و 300 ألف، وكان المحفز الرئيسي لخروجهم هو الهجوم العسكري لقوات الهاغاناه والإيتسل " أو الخوف من هجومه⁴.

وبدأت المرحلة الثالثة من التهجير بعد انهيار التهدئة الثانية، واستمرت حتى وقف إطلاق النار نهائياً بين القوات الإسرائيلية والعربية، وجرت في هذه المرحلة أوسع عمليات الإبعاد والتهجير للسكان الفلسطينيين بشكل غير مسبوق خاصةً المدن، وقد بدأت أوسع عملية التهجير في مدينتي اللد والرملة في تموز في عام 1948، بحيث طُرد سكان المدن بالقوة بناءً على تعليمات إسحاق رابين،

¹ - وليم نجيب نصار، مفهوم الجرائم ضد الإنسانية، الطبعة 1، بيروت، مركز دراسات الوحدة الوطنية، 2008، ص:423.

² - وليم نجيب نصار، مرجع سابق، ص:424.

³ - خليل السواحري "الفلسطينيون: التهجير والرعاية الاجتماعية"، الطبعة 2، بيروت، دار الكتاب، 2012، ص:9.

⁴ - موريس بني، تصحيح خطأ: يهود وعرب في أرض إسرائيل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، فلسطين، 2003، ص:43.

قائد القوات الإسرائيلية في تلك الفترة، وكانت نتيجة ذلك طرد أكثر من 60 ألف شخص من بيوتهم¹، أما عن المرحلة الرابعة من مراحل الإبعاد والتهجير للفلسطينيين بدأت كحملات تنظيف في القرى في الجليل بالذات، للتخلص من السكان في المناطق الحدودية مع لبنان دون أن تتمكن إسرائيل من احتلاله في أثناء المواجهات للمراحل السابقة، كما شملت بعض مناطق النقب وامتدت هذه المرحلة طيلة الأشهر الثلاثة الأخيرة من سنة 1948².

وفي المرحلة الخامسة التي كانت مرحلة غامضة في مسيرة الإبعاد والكثير من المؤرخين يقفون عند نهاية سنة 1948، باعتبارها نهاية عمليات الإبعاد والتهجير ولكن في الحقيقة في خلال هذه المرحلة أُبعد آلاف الفلسطينيين، خصوصاً من منطقة النقب، كما شملت عملية التهجير مجموعات متفرقة من أنحاء البلاد، وأهم عملية إبعاد في هذه الفترة هي تهجير سكان المجدل إلى غزة، وأرغمت نحو 500 عائلة بدوية من منطقة بئر السبع، ثم جرت عمليات أخرى لتهجير نحو 1000 شخص في اتجاه الحدود الأردنية في منتصف سبتمبر 1950، ولم يتوقف الطرد والإبعاد عند هذه السنة، بل استمر حتى بعد أن أعلن اليهود دولتهم³.

الفقرة الثانية: الفصل العنصري

على الرغم من أن جريمة التمييز العنصري تعد من الجرائم الجسيمة ضد الإنسانية، إلا أن نظام روما لم يعالج إلا شقاً واحداً منها، وأورده على أنه من الجرائم الدولية، وهو ذلك الشق الخاص بالفصل العنصري، وهو الشق الذي سنركز عليه في هذه الفقرة.

أولاً: مفهوم الفصل العنصري

شمولية مفهوم جريمة الفصل العنصري تختلف عن بقية الجرائم، كون أن الجرائم الأخرى ضد الإنسانية، تراكمت مع الوقت من خلال الممارسات والأعراف التي كانت سائدة، ولذا عندما تمت صياغة "الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها" لسنة 1973، أخذت هذه الجوانب من الممارسات التي يجرّمها القانون الدولي بعين الاعتبار عند إقرار الاتفاقية، فقد نصت المادة الثانية من الاتفاقية على أهم هذه الممارسات الممنوعة، وقد سبق أن أشرنا إليها وهي تشمل

¹- وليم نجيب نصار، مرجع سابق، ص:427.

²- المرجع السابق، ص:427.

³- موريس بني، مرجع سابق، ص:24.

"الأفعال اللإنسانية المرتكبة لغرض إقامة وإدامة هيمنة فئة عنصرية ما من البشر عن أية فئة عنصرية أخرى من البشر واضطهادها إياها بصورة منهجية¹ .

ثانياً: جدار الفصل العنصري صورة من صور الأبارتهويد

عندما نتحدث عن جدار الفصل العنصري، سنتناوله على أنه التطبيق الجديد الأكثر إيذاءً لعملية الفصل العنصري التي تمارسها إسرائيل ضد العرب جميعاً، لا ضد فلسطين وحدها، وما يلاحظ في هذا الجدار هو أنه بشكله وامتداده ووظائفه وانعكاساته إنما هو جزء فريد متميز للممارسة الإسرائيلية لسياسة الفصل العنصري، فهو الأول من نوعه في العالم الذي يحمل هذه الصفات، وهو بالأساس يهدف إلى جعل الفلسطينيين في حالة من اليأس الذي يمنعهم من إقامة دولتهم، أو التوصل لحل سياسي يقررون فيه مصيرهم حسبما يشاؤون، وهذا الجدار وحده بطابعه هو تجسيد على الأرض، وأهم ركن من أركان جريمة الفصل العنصري وهو "إقامة وإدامة هيمنة فئة عنصرية ما من البشر على أي فئة عنصرية أخرى"، فهذا الجدار يمثل كل ما يعنيه مفهوم الفصل العنصري من ممارسات غير إنسانية تقوم بها مجموعة من البشر بحق مجموعة أخرى، على أساس التمييز العنصري².

وعندما نتحدث عن الانعكاسات السياسية، فإننا نقصد ما هو أوسع بكثير من ذلك، فإننا نقصد بالأساس تلك الانعكاسات المؤثرة في الحل السياسي بما يشمل (طموح وآمال الشعب الفلسطيني) في بناء الدولة الفلسطينية ولم شمل كل الفلسطينيين في كل أنحاء العالم، لتكوين بيتهم الآمن ومهجعهم الأخير عندما لا يجدون في النهاية مكاناً آخر يهجعون إليه³. ويجب القول إن الانعكاسات السلبية للجدار ليست فقط زراعية، فقد كان هناك الكثير من ورشات العمل والمنشآت الاقتصادية التي تعطلت⁴. ونتيجة كل هذه الآثار السلبية جاء قرار محكمة العدل الدولية ليقول "أدى بناء الجدار إلى تدمير ومصادرة الأملاك [...]"، وهذا البناء أقام مناطق مغلقة بينه وبين الخط الأخضر، وخلق معازل، فرض انعكاسات جسيمة على حرية الحركة لسكان المناطق الفلسطينية المحتلة، كما كانت هناك أيضاً ارتدادات خطيرة على الإنتاج الزراعي وصعوبات متزايدة على السكان فيما يخص الخدمات الصحية

¹ - منظمة الأمم المتحدة: الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها"، الجمعية العامة: قرار 3068، دورة 1973/11/28، ص: 392.

² - وليم نجيب نصار، مرجع سابق، ص: 245.

³ - وليم نجيب نصار، "جدار الفصل العنصري وانعكاساته السياسية"، صحيفة الأيام: 2006/07/23.

⁴ - الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، "مسح أثر الضم والتوسع على الواقع الاجتماعي والاقتصادي للتجمعات الفلسطينية التي يمر الجدار من أراضيها"، حزيران 2005، ص: 8.

والمؤسسات التعليمية والمصادر الأساسية للمياه¹ وبهذا أقرت المحكمة ضمناً بخطورة هذا الجدار بحق الشعب الفلسطيني.

المطلب الثاني: سبل الملاحقة القضائية

وقبل أن نتطرق لإمكانية ملاحقة إسرائيل أمام المحكمة الجنائية، لا بد من تتبع التطور التاريخي للوضع الفلسطيني للأمم المتحدة، إذ إنه وفقاً لقرار الجمعية العامة رقم 3237 الصادر بتاريخ 1974/10/22م -وقد دُعيت منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في دورات الجمعية للأمم المتحدة- وكذلك المشاركة في مؤتمر الأعمال التي تعهدت برعاية الجمعية العامة بتاريخ 2011/09/23، تقدمت فلسطين بطلب لمجلس الأمن للانضمام والحصول على العضوية الكاملة في الأمم المتحدة إلا أنه لم يطرح للتصويت وذلك بسبب تباين وجهات النظر، وقد حاولت فلسطين الانضمام للمحكمة الجنائية الدولية عام 2009، إلا أن المدعي العام للمحكمة رفض الطلب بحجة أن فلسطين ليست دولة، وفي تاريخ 2012/11/29 رفعت مكانة فلسطين في الأمم المتحدة، وذلك بعد أن تقدمت بطلب عبر مجموعة من الدول العربية والصديقة، وقد حاز على موافقة 138 دولة وعارضته ست دول وامتنعت 141 عن التصويت، وتلا ذلك إصدار الجمعية العامة توصية لمنح فلسطين مركز مراقب في الأمم المتحدة، وهو الأمر الذي يترتب تبعات قانونية على المستوى الدولي، من أهمها تغيير المركز القانوني للدولة، مما أحالها إلى إمكانية اللجوء إلى المحكمة الجنائية الدولية لمحاسبة دولة الاحتلال على جرائمها بحق الشعب الفلسطيني².

الفقرة الأولى: الآليات القضائية على الصعيد الدولي

كثيراً ما حاولت إسرائيل التلاعب في القانون الدولي للخروج من دائرة المسؤولية عن انتهاكاتها الخطيرة، وسنعرض الآليات المتاحة على الصعيد الدولي لملاحقة مجرمي الحرب الإسرائيليين من خلال ما يلي:

أولاً: المحكمة الجنائية الدولية

بخصوص إمكانية ملاحقة إسرائيل أمام المحكمة الجنائية الدولية فهذا يضع الإمكانية أمام الإشكاليات التالية:

¹ - الراي الاستشاري لمحكمة العدل العليا في قضية الجدار العازل، بتاريخ 2004/7/9.
² - فوى الدويب، المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة بير زيت، فلسطين، 2014، ص:37.

1- من يملك سلطة إحالة انتهاكات إسرائيل إلى المحكمة الجنائية الدولية.

2- إسرائيل دولة غير طرف في نظام روما.

3- ما دور مجلس الأمن في هذا المجال؟

ويمكن توضيح تلك النقاط على النحو التالي:

إسرائيل ليست دولة طرفاً في النظام الأساسي، وحسب المادة 12 من النظام الأساسي فإن المحكمة لن تستطيع بسط ولايتها على الجرائم المرتكبة من دولة غير طرف في النظام الأساسي إلا إذا قبلت تلك الدولة، ونفترض جدلاً أن إسرائيل قبلت ذلك وهو أمر في غاية المستحيل، يجب الانتباه إلى قاعدة عدم الرجعية أو نطاق الاختصاص الزمني للمحكمة، لكن يمكن القول أنه توجد جرائم مستمرة للاحتلال يمكن أن تكون أساساً للملاحقة، مثل جريمة الاستيطان¹، وتوجد حالة أخرى يمكن فهمها ضمناً من المادة 13 من النظام الأساسي المتعلقة بالاختصاص، إذ نصت الفقرة ب من هذه المادة على إحالة حالة من مجلس الأمن إلى المحكمة ضمن صلاحياته وفقاً للفصل السابع من ميثاق هيئة الأمم المتحدة²، وهنا هل من المتصور أن توافق إسرائيل على تقديم من ارتكب جريمة تدخل في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية للمحاكمة أمام هذه المحكمة؟

أو هل من الممكن أن يتجاوز مجلس الأمن عقبات حق النقض الفيتو والتسويات السياسية، ليقوم بإحالة انتهاك يدخل في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية لملاحقة مرتكبيه ومعاقبتهم؟

إذا كانت الإجابة بنعم، وهو ما نراه شبه مستحيل بناءً على المعطيات الدولية الراهنة، فإن المحكمة تستطيع تحقيق الغرض من وجودها، وهو السعي لمنع إفلات المجرمين الذين يرتكبون جريمة تدخل في اختصاصها من العقاب، لكن الواقع الدولي يثبت أن أي تحرك دولي وقانوني بشأن الجرائم الإسرائيلية يحتاج لجهود دولية وعالمية كبيرة، والحصيلة أن هذا التحرك لا يصل إلى نهاية الطريق الطبيعية قانوناً، فمثلاً كلفت الأمم المتحدة لجنة تقصي الحقائق ورفعت تقريراً لمجلس حقوق الإنسان الدولي فيما يتعلق بوقوع جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية في الحرب الأخيرة على غزة، وقد حدث ذلك وقدم التقرير بعد أشهر من البحث نتيجة امتناع دولة الاحتلال الإسرائيلي عن التعاون مع البعثة ومحاولة طمس معالم جرائمها، ولكن هذا التقرير لم يفض لرفع القضية للمحكمة

¹ - عابدين، عصام: دراسة حول المحكمة الجنائية الدولية، ديوان الفتوى والتشريع الفلسطيني، مجلة القانون والقضاء، العدد الثامن، يونيو، 2002، ص66.

² - سناء عودة عيد، إجراءات التحقيق والمحاكمة أمام المحكمة الجنائية الدولية (حسب نظام روما) جامعة بيرزيت، رسالة ماجستير غير منشورة، 2014، ص: 144.

الجناية الدولية لعدد من الأسباب تتمحور حول الضغط والمصالح السياسية، وقد حاولت إسرائيل تضليل الرأي العام وإقناعه بأنها تعاقب أي جندي من جنودها على أي انتهاك يقترفه أثناء نزاعاتها مع الفلسطينيين، فقد أكدت تقديم بعض الجنود للمحاكمة أمام محاكمها الوطنية بتهم، مثل السرقة وغيرها من التهم الأقل خطورة مقارنة مع الجرائم البشعة المرتكبة من قبل الجيش الإسرائيلي، وإذا أدين المتهم أمام هذه المحاكم فإن أحكامها تكون بسيطة لا تذكر، بالإضافة لما ذكر فإن اختصاص المحكمة الجنائية يشمل الدول غير الأطراف إذا ما انتهكت أحكام القانون الدولي، وكانت من الدول الموقعة على اتفاقيات جنيف، بالتالي يترتب على ذلك اختصاص المحكمة الجنائية بجرائم الحرب الإسرائيلية، ولا يتوقف على موافقة دولة الاحتلال الإسرائيلي ورضاها¹.

ثانياً: إمكانية ملاحقة الإسرائيليين مرتكبي الجرائم ضد الإنسانية أمام القضاء الوطني:

يُعدُّ الأخذ بمبدأ "الاختصاص العالمي" غايةً في الأهمية بهذا المجال، فذلك يعني أن للدول جميعاً اختصاصاً عالمياً يمكنها من ملاحقة مرتكبي الجرائم الدولية، وهذا نوع من التعاون بين بعضها البعض، ويوجد العديد من الدول تدرج ضمن قوانينها الوطنية الجرائم الدولية، وتلاحق مرتكبيها وتحاكمهم أمام محاكمها، إذا وطئوا إقليمها وتمكنت من إلقاء القبض عليهم، وهذا اتجاه العديد من الدول الذي يساعد على إرساء العدالة الدولية ومنع إفلات هؤلاء المجرمين من العقاب². وقد حاولت بعض الدول فعلياً أن تلاحق إسرائيليين لارتكابهم جرائم بحق الفلسطينيين ومن بين هذه الدول: بلجيكا وبريطانيا³، وحتى يؤخذ بمبدأ الاختصاص العالمي لا بد من القبض على المجرمين إذا وطئ أحد أقاليمها.

¹ محمد جمال عرفة، تهاون العرب يعرقل محاكمة مجرمي اسرائيل، موقع، www.isLmonline.net تم الاطلاع بتاريخ 7 نوفمبر 2020.

² دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة الدول إلى تبني الإجراءات اللازمة لملاحقة ومعاقبة مرتكبي جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية في التوصية الصادرة عنها عام 1969 تحت الرقم (258300).

³ أصدرت محكمة بلجيكية قراراً بالقبض على (شارون) رئيس الوزراء الاسرائيلي سابقاً - لما ارتكبه من جرائم دولية بحق الفلسطينيين، وفي هذا الموضوع كتب محمد خالد عرفة مقال بعنوان: تهاون العرب يعرقل معاقبة مجرمي إسرائيل، نشر على الموقع الإلكتروني: www.islamonline.net تاريخ الاطلاع 7 سبتمبر 2018، كما أصدرت محكمة بريطانية قراراً على (الموج) قائد في الجيش الاسرائيلي لما ارتكبه من جرائم أيضاً بحق الفلسطينيين، للمزيد من التفاصيل انظر الموقع الإلكتروني: www.islamonline.net المذكور آنفاً. تاريخ الاطلاع 5 تشرين الثاني/نوفمبر 2020.

الفقرة الثانية: إمكانية تشكيل محكمة خاصة لملاحقة مجرمي الحرب الإسرائيليين

وهذه المحكمة الخاصة تتشكل بقرار من مجلس الأمن، على غرار المحاكم الخاصة لكل من يوغسلافيا السابقة وروندا¹. ويعد تشكيل هذه المحكمة ضمن صلاحيات مجلس الأمن وموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة لغايات حفظ الأمن والسلم الدوليين.

ومما لا شك فيه أن مجلس الأمن هيئة سياسية، بالتالي فإن أي محاولة لعرض موضوع تشكيل محكمة خاصة لملاحقة مجرمي الحروب الإسرائيلية وانتهاكاتهم الخطيرة للقانون الدولي، ستلاقي تحديات سياسات فعلية، وذلك في ظل استخدام القوى العظمى لحق "النقض الفيتو" ضد أي قرار يدين سياسات إسرائيل².

بناءً على ذلك فإن الأمر الوحيد على الصعيد القانوني والسياسي والدولي في ملاحقة مجرمي الحروب الإسرائيلية، ولكي يتحقق ذلك على أرض الواقع لا بد من تلاقي مصلحة الدول الخمسة الدائمة العضوية في مجلس الأمن وأن تجتمع من أجل تحقيق عدالة دولية بعيدا عن الشق السياسي، وهذا الأمر يعد خيالياً يستحيل تحقيقه، لأن الغلبة السياسية وكفة ميزانها تطغى على الكفة القانونية.

من خلال ذكرنا للآليات الممكنة لملاحقة مجرمي الحرب الإسرائيلية، يتضح لنا أن هذه الآليات تواجه تحديات ومشاكل كبيرة لا بد من تخطيها لتصبح هذه الآليات فعالة ونابعة لتحقيق عدالة وسلم وسلام دولي وهذا يحتاج إلى الوحدة الدولية والعربية وعلى كافة الأصعدة مما يتيح الفرصة للتوجه قدما نحو بر الأمان والتغيير الذي يصب في مصلحة القاعدة الحقوقية والدولية والإنسانية. وتحقيق العدل وإحقاق الحق وإنصاف شعب فلسطين جراء ما تم ارتكابه من جرائم من قبل دولة الاحتلال الإسرائيلي

النتائج:

1- إن الجريمة ضد الإنسانية من أخطر الجرائم الدولية، وإن الجريمة الدولية قديمة قدم العلاقات الدولية.

2- إن القانون الدولي رفع الحصانة والتقدم عن الشخص الذي يقوم بارتكاب الجرائم الدولية لأنها تشكل خطراً على الأمن والسلم الدوليين.

¹- قرار مجلس الأمن الخاص بإنشاء المحكمة الخاصة بيوغسلافيا السابقة يحمل الرقم 808 الصادر عام 1993، والقرار رقم 1315 عام 2000 الذي كلف بموجبه مجلس الأمن الأمين العام للأمم المتحدة محكمة مختلطة خاصة بسيراليون.

²- سناء عودة عيد، مرجع سابق، ص:147.

- 3- إن الجرائم التي ترتكبها دولة الاحتلال جميعها تشكل جريمة دولية وتهدد الأمن والسلم الدوليين، وتدخل ضمن اختصاص المحكمة الجنائية الدولية.
- 4- إن المحكمة الجنائية الدولية هي الصرح القضائي الأكثر فعالية، على الرغم من تخلل نظامها بعض العيوب.
- 5- إن مأساة الحروب والتطور الكبير في عالم السلاح جعل التسويات السياسية بين الدول المتصارعة تظهر على الساحة الدولي وساعد ذلك في تشكيل القضاء الجنائي الدولي.

التوصيات:

- 1- نوصي القيادة الفلسطينية العمل الجاد في ملف تحريك دعوى أمام المحكمة الجنائية الدولية كون فلسطين أصبحت دولة عضو مراقب في الأمم المتحدة.
- 2- نوصي بإجراء تعديل على بعض نصوص النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، لسد الاختلالات والثغرات الموجودة في نظامها.
- 3- أن تُشكّل قوةً شرطيةً مرتبطةً بالمحكمة الجنائية الدولية وأن تُعطى صلاحياتٍ واسعةً لمتابعة المجرمين الذين يقترفون الجرائم الدولية.
- 4- العمل على الدوام على تنشيط السلطة الفلسطينية إجراءاتها المتخذة على صد الجرائم الاسرائيلية والعمل على توثيقها ونشرها.
- 5- رفع الوعي القانوني بالقوانين الدولية، والعمل بمبدأ الاختصاص العالمي للقانون الدولي لتتبع مرتكبي الجرائم الدولية من قادة جيش الاحتلال الإسرائيلي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب العامة

- 1- سوسن ثمر خان بكة، في ضوء أحكام النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، منشورات حلبي الحقوقية، بيروت، الطبعة الأولى، 2016.
- 2- السيد مرشد أحمد الهرمزي، أحمد غازي، القضاء الدولي الجنائي، الطبعة الرابعة، الدار العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
- 3- محمد فهاد الشلالدة، القانون الدولي الإنساني، الطبعة الأولى، منشأة دار المعارف، الإسكندرية، 2005.

- 4- محمود الشريف بسيوني، مدخل لدراسة القانون الإنساني الدولي، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، 2003.
- 5- وليم نجيب نصار، مفهوم الجرائم ضد الإنسانية، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة الوطنية، بيروت، 2008.
- 6- خليل السواحري "الفلسطينيون: التهجير والرعاية الاجتماعية"، الطبعة الثانية، دار الكتاب، بيروت، 2012.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

- 7- Mahiou, Ahmed, «les processus de codification du droit international pénal », in=ASCENCIO, (Hervé), Decaux, (Emmanuel), pellet, (Alain) (sous dire), droit international pénal..., 2008.
- 8- DELMAS_MARTY, M, FOUCHARD, I, FONDA, ENEYRET, L, le crime contre l, humanité op. cit, 201

ثالثاً: الأطروحات والرسائل العلمية

- 1- حسام يحيى خميس البناء، جريمة العدوان في ضوء أحكام النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية (العدوان الإسرائيلي على غزة نموذجاً)، رسالة ماجستير، أكاديمية الإدارة والسياسة، غزة، 2017.
- 2- بوروبة سامية، معاقبة الجرائم ضد الإنسانية بين القانون الدولي والقانون الداخلي، أطروحة دكتوراه، الجزائر، 2015.
- 3- فدوى الدويب، المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، 2014.
- 4- سناء عودة عيد، إجراءات التحقيق والمحاكمة أمام المحكمة الجنائية الدولية (حسب نظام روما)، كلية الحقوق، جامعة بيرزيت، 2014.

رابعاً: المجالات والدراسات والمقالات

- 1- موريس بني، تصحيح خطأ: يهود وعرب في أرض إسرائيل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، 2003.
- 2- وليم نجيب نصار، "جدار الفصل العنصري وانعكاساته السياسية"، الأيام: 2006/07/23.
- 3- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، "مسح أثر الضم والتوسع على الواقع الاجتماعي والاقتصادي للتجمعات الفلسطينية التي يمر الجدار من أراضيها"، حزيران 2005.

4- عابدين، عصام، دراسة حول المحكمة الجنائية الدولية، ديوان الفتوى والتشريع الفلسطيني، العدد الثامن، يونيو 2002.

5- محمد جمال عرفة، تهاون العرب يعرقل محاكمة مجرمي اسرائيل، نتشر على الموقع الإلكتروني، www.isLmonline.net.

سادساً: القرارات الدولية

6- قرار مجلس الأمن الخاص بإنشاء المحكمة الخاصة بيوغسلافيا السابقة يحمل الرقم 808 الصادر عام 1993.

7- والقرار رقم 1315 عام 2000 الذي كلف بموجبه مجلس الأمن الأمين العام للأمم المتحدة محكمة مختاطة خاصة بسيراليون.

سابعاً: الاتفاقيات والمواثيق الدولية

1- النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية 1998م.

2- النظام الأساسي للمحكمة العسكرية "نورمبرج" 1945م.

3- النظام الأساسي لمحكمة يوغسلافيا سابقا 1993م.

4- النظام الأساسي لمحكمة روندا 1994م.

5- اتفاقية قمع جريمة الفعل العنصري 1975.

6- اتفاقية مناهضة التعذيب 1948.

تنفيذ القانون الدولي الإنساني: الآليات القمعية نموذجاً

Implementation of international humanitarian law: repressive mechanisms as a model

إعداد: أ. محمد القاضي؛ طالب دكتوراه في القانون العام، مدينة وجدة، المغرب

Prepared by: Mr. **Muhammad Al-Qadi**; PhD student in public law, Oujda,
Morocco

المخلص:

هدفت الدراسة لتحليل الآليات القمعية لتنفيذ القانون الدولي الإنساني كونه القانون الذي يُطبَّق في النزاعات المسلحة التي تُرتكب فيها أبشع الجرائم التي تشكل خطورة على المجتمع الدولي بغض النظر عن هذه المنازعات دولية أو غير دولية، وعليه فإنه قد أصبح من الضروري تفعيل قواعد هذا القانون نتيجة التطور الهائل الذي يشهده العالم على كافة الأصعدة الدولية خاصةً القضاء الدولي، فجاءت هذه الدراسة تتحدث عن الآليات القمعية للقانون الدولي الإنساني، والتي تركز على حماية الإنسان والمحيط الذي يقيم فيه بإقرار المسؤولية الجنائية الدولية على الفرد وضمان التعويض العادل لضحايا الحروب الذين تعرضوا لقسوة الحرب، وهذا ما أكدته العديد من الاتفاقيات الدولية وفي مقدمتها اتفاقيات جنيف الأربعة لعام 1949 والبروتوكولين الإضافيين الملحقين بهذه الاتفاقيات والنظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

ولقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج القانوني، فتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها أن المعرفة العامة بالقانون الدولي الإنساني ضرورية من أجل فاعلية تنفيذه، كما أوصلت بمجموعة من التوصيات أهمها تكليف القيادات العسكرية بمنع ارتكاب الانتهاكات الخطيرة والعمل على وقفها في حال تم ارتكابها.

الكلمات المفتاحية: القانون الدولي العام، القانون الدولي الإنساني، المسؤولية الدولية الجنائية، المسؤولية الدولية المدنية، اتفاقيات جنيف.

Abstract:

The article discusses the repressive mechanisms for implementation of international humanitarian law because it is applied in armed conflicts in which the most heinous crimes are committed that pose a threat to the international community, regardless of whether these conflicts are international or non-international.

Therefore, it becomes necessary to activate the rules of this law as a result of the massive development the world wide witnesses in all the international levels, especially the international judiciary.

Accordingly, this study came to talk about the oppressive mechanisms for humanitarian international law which is based on protection of human

beings and the environment they live in by recognizing the international criminal responsibility on the individual and ensuring fair compensation for war victims who have been subjected to the cruelty of war.

This has been committed by many international agreements, primarily, the four Geneva Conventions of 1949, the two Additional Protocols annexed to these conventions and the Statute of the International Criminal Court.

The research used in this study the legal method thus he reached a set of results, the most important is that the general knowledge of the international humanitarian law is necessary for the effectiveness of its implementation. In addition, the study made a number of recommendations, the most important is assigning military leaders to prevent the commission of serious violations and work to halt them if they are committed

Keywords: Public international law, international humanitarian law, international criminal responsibility, international civil responsibility, Geneva Conventions.

الإطار المنهجي للدراسة

مقدمة:

من الواضح والمعروف، على مر العصور والأزمات، أن الحرب كثيرًا ما تُستخدم لتسوية الخلافات، وهذا ما شاهدته البشرية في سجلها الحافل بالصراعات والمآسي التي تتسم بالوحشية في القتل وسفك الدماء، ولم تفرق بين كبير أو صغير، فالكل سواسية أمام غطرستها وهمجيتها في أوضاع أشبه ما تكون بحياة الغاب.

ونتيجة التقدم الذي شهده العالم على كافة الأصعدة والمستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتكنولوجية مع التزام بالتطور في الوسائل القتالية والازدياد المستمر في الصراعات المسلحة التي تنصلت من كل القيم والمبادئ الإنسانية، فأصبح من الضروري أن نسلط الأضواء على الآليات القمعية لتنفيذ القانون الدولي الإنساني، لا سيما أنه القانون المختص والواجب التطبيق في النزاعات المسلحة، والذي يمكن تعريفه هو ذلك الفرع من فروع القانون الدولي العام الذي يحتوي

على قواعد عرفية أو اتفاقية تهدف لجعل الحرب أقل وحشية في حالة وقوع نزاع مسلح وحماية الأعيان المدنية والمتضررين¹.

وكما سبق الذكر، فإن القانون الدولي الإنساني فرع من فروع القانون العام الغاية من وجوده حماية الإنسان نفسه والمكان الذي يقيم فيه، ويتبين من ذلك أن القانون الدولي يقوم على توافق بين اعتبارين أساسيين²:

الضروريات الحربية أو مقتضيات الحرب ومبدأ المعاملة بالمثل، ويرمي هذا المبدأ لحماية ضحايا المنازعات المسلحة من العسكريين أو المدنيين ضد كل أوجه المعاناة غير المفيدة، ولا شك أن الحرب أصبحت غير مشروعة في العلاقات الدولية بعد أن تبنى ميثاق الأمم المتحدة مبدى حظر القوة في العلاقات الدولية³.

المشكلة البحثية:

إن قواعد هذا القانون إذا لم تفعل الدول والأطراف المعنية الآليات اللازمة كي تضمن تنفيذه بالشكل المطلوب ليس فقط أثناء المنازعات المسلحة فحسب، بل بعد أن تضع الحرب أوزارها أيضاً، كي يؤكد على أهمية الحياة البشرية ومدى الاهتمام على المستوى الدولي والعالمي بتطبيق وتنفيذ آليات هذا القانون الذي يحمل أبعاد إنسانية، خاصة أن المجتمع الدولي قد شهد تطوراً ملموساً وكبيراً في القضاء الدولي، لذلك فإن الغاية من تطبيق قواعد هذا القانون احترامه في السلم والحرب على حد سواء وفي جميع الظروف والحالات، لذلك فإن

السؤال الرئيسي المطروح: ما الآليات القمعية لتنفيذ القانون الدولي الإنساني؟ وما آليات التعويض المترتبة عن انتهاك قواعد هذا القانون؟

ويتفرع من التساؤل الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية على النحو التالي:

- 1- ما المقصود بالآليات القمعية في القانون الدولي.
- 2- ما القواعد التي تحكم المسؤولية الدولية بشقيها المدني والجنائي.

1 - هشام بشير، إبراهيم عبد ربه إبراهيم، المدخل لدراسة القانون الدولي الإنساني، دار الكتب والدراسات العربية، د.ط، 2019، ص 7.
2 - أحمد أبو الوفا، " النظرية العامة للقانون الدولي الإنساني "في القانون الدولي والشريعة الإسلامية، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2006، ص4.
3 - منتصر سعيد حمودة، القانون الدولي الإنساني، "مع الإشارة لأهم مبادئه في الفقه الإسلامي"، دار الفكر الجامعي، الطبعة الأولى، 2018، ص15.

3- ما دور المحكمة الجنائية الدولية في ملاحقة مرتكبي الجريمة الدولية.

المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمد المنهج القانوني في هذه الدراسة، فجاءت الدراسة عبارة عن استنباط لبعض النصوص القانونية ثم تحليل لبعض نصوص القواعد القانونية التي تحكم الآليات القمعية لإنفاذ القانون الدولي الإنساني.

أهداف البحث:

- 1- إبراز الآليات القمعية لتنفيذ القانون الدولي الإنساني.
- 2- بيان القواعد القانونية التي تحكم المسؤولية الجنائية الفردية.
- 3- النظر في وسائل إيقاف مرتكبي انتهاكات القانون الدولي الإنساني.
- 4- البحث في دور الأمم المتحدة والمحكمة الجنائية الدولية في الملاحقة الجنائية.
- 5- شرح النظام القانوني للمسؤولية الدولية المدنية.

تقسيم الدراسة:

لا يمكن لنا دراسة جميع آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني وسنكتفي بالحديث عن الآليات القمعية التي تركز على المسؤولية الجنائية الفردية، وإقرار حق الضحايا الذين كانوا محل انتهاك لحرمة إنسانيتهم بتعويض عادل عما لحق بهم من ضرر وللإجابة عن الإشكالية السابقة سنقسم هذا المبحث الذي بعنوان: الآليات القمعية لإنفاذ القانون الدولي الإنساني على النحو الآتي:

- المطلب الأول: المسؤولية الجنائية الفردية
- المطلب الثاني: المسؤولية الدولية المدنية

المطلب الأول: المسؤولية الجنائية الفردية

لقد مرت المسؤولية الجنائية للفرد بالعديد من المراحل، بدايةً بمرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وما بعدها ومرحلة الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، وصولاً لتشكيل المحاكم الدولية، التي كانت في العقد الأخير من القرن الماضي، وتعدُّ تطوراً مهماً في تاريخ البشرية وإقرار قواعد قانونية مهمة على رأسها قواعد المسؤولية الجنائية للفرد في القانون الدولي، ولكن كيف تمارس هذه المسؤولية في الواقع العملي، فتلك مسؤولية الإدارة السياسية للدول ومدى حسن نيتها في احترام ما التزمت به تجاه المجتمع الدولي.

الفرع الأول: القواعد القانونية التي تحكم المسؤولية الجنائية للفرد

إن التطور النظري للأفكار التي أسست لظهور المسؤولية الدولية الجنائية كانت أساس النقلة النوعية التي أدت إلى تحديث القضاء الدولي¹، بالتالي فإن المسؤولية الجنائية للفرد تحكمها العديد من القواعد وهي على النحو الآتي:

أولاً: عدم الاعتراف بالصفة الرسمية

في الوقت الذي كان ينادى فيه بأن الدولة هي وحدها التي يمكن أن تكون طرفاً للمسؤولية الدولية، حدث تطورٌ مهمٌ على الساحة الدولية عندما قررت لائحة نورمبرج أن الصفة الرسمية للشخص "كونه رئيس دولة أو كبار موظفيها لا تعفيه من العقاب"²، وهذا يعني عدم الاعتراف بالصفة التي يحملها أو الحصانة التي يتمتع بها كرئيس في حال ارتكب أحد الجرائم الدولية سواء كانت جرائم حرب أو جرائم ضد الإنسانية، لأنه ليس من المنطق أن يعاقب الأشخاص والموظفين الذين تفدوا الأوامر ولم يعاقب الرئيس الذي دبر وخطط وأصدر الأوامر للموظفين أو الجنود، وهذا ما أكدته المادة (1/25) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، عندما أكدت على اختصاص المحكمة للأشخاص الطبيعيين³.

ثانياً: تحمل مسؤولية الرؤساء أعمال مرؤوسيه

بعد أن عُرِضَ بعض النصوص التي أقرت المسؤولية الدولية للرؤساء والقادة وأن الصفة الرسمية لهم لا تقف حائلاً دون محاكمتهم، ثم إقرار القاعدة المذكورة "تحمل القادة والرؤساء أعمال مرؤوسيه"⁴.

وبناءً عليه فإن الرؤساء والقادة مسئولون جزئياً على الجرائم الدولية التي يرتكبها من هم تحت إمرتهم إذا كان بوسعهم أن يعلموا أن مرؤوسيه على مقربة من ارتكاب فعل غير مشروع يندرج

1 - هشام قواسمة، المسؤولية الدولية الجنائية للرؤساء والقادة العسكريين، ط1، دار الفكر والقانون، المنصورة، 2013، ص 23.

2 - انظر المادة (5) من لائحة نورمبرج.

3 - انظر المادة (25) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

4 - حيدر كاظم عبد علي، آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني، ط1، مطبوعات زين الحقوقية، بيروت، 2018، ص 267.

تحت الجرائم الدولية، ولقد نصت على هذه القاعدة البرتوكول الإضافي الأول والنظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية¹، والمحكمة الجنائية ليوغسلافيا السابقة².

وعليه فإن الرئيس أو القائد يمكن أن يتجنب المسؤولية الدولية المنصوص عليها في الأنظمة القانونية السابقة، إذا قام بالحد من الآثار المترتبة عن الأفعال الغير مشروعة في حال كان من الممكن أن يعلم بها قبل وقوعها من قبل المرؤوس، وأخيرًا لا يمكن القول بوجود المسؤولية الدولية في حال أثبت الرئيس أو القائد العسكري علاقته بمرؤوسيه، كما أن ارتكاب الفعل تنفيذًا لأمر الرئيس لا يعفي المرؤوس من المسؤولية، وهذا عكس ما هو معمول به في أغلب التشريعات الوطنية.

ولقد انقسم الفقه على الصعيد الدولي بين من يعتبر أن تنفيذ أمر الرئيس أو القائد هو أحد الأسباب المخففة للعقوبة، فمثلًا لو أطلق جندي النار عشوائيًا على مدينة مفتوحة و تسبب بجريمة قتل بناء على تنفيذ الأوامر التي تلقاها من الرئيس، فهي بهذا الوصف تتحرر من صفتها الغير مشروعة³، وهناك من يرى أن أمر الرئيس لا يمكن أن يكون سبب من أسباب الإباحة، ويرى أصحاب هذا الرأي بأن الأخذ بالقول بأن أمر الرئيس سبب من أسباب الإباحة يؤدي لنتائج غير مقبولة والى ضياع قواعد القانون الدولي، ويسمح بانتهاكها وضياع الحقوق التي تعتبر محل حماية لهذا القانون وهذا ما أكدت عليه المادة الثامنة من لائحة نورمبرج والمادة 33 من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، لكن المادة 33 من القانون المذكور أوردت حالات محددة عدت سببًا للإباحة في الفقرات أ، ب، ج من نفس المادة .

الفرع الثاني: وسائل معاقبة مرتكبي انتهاكات القانون الدولي الإنساني

لقد تعددت الطرق المتبعة في إيقاف المتهمين بارتكاب انتهاكات القانون الدولي الإنساني، وأهم هذه الطرق:

أولاً: الواجب الملقى على عاتق الرؤساء والقادة⁴

أن القائد العسكري أو الرئيس له دور كبير في هذا المجال ومنع الانتهاكات التي من الممكن أن تقع في الحروب أو الحد منها بالشكل المطلوب وأن يجبروا السلطات المختصة في حالة فشل

1 - انظر المادة (28) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.
2 - انظر المادة (3/7) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية ليوغسلافيا السابقة.
3 - عبد الفتاح بيومي حجازي، المحكمة الجنائية الدولية - دراسة متخصصة في القانون الجنائي الدولي، ط1، دار الفكر العربي، الإسكندرية، 2005، ص 173
4 يقصد بالقائد العسكري هو الشخص الذي يكون في مقدمة الجيش ويعمل على صنع القرار في الميدان وله العديد من المهام والوظائف التي تكون مكتسبة في كثير من الأحيان من تعليمات رئيس الدولة.

جهودهم في منع وقوع ذلك ونصت على هذا الواجب المادة (3/1/87) من البرتوكول الإضافي الأول، في حين نصت الفقرة 3 على أنه "يجب على الأطراف السامية المتعاقدة وأطراف النزاع أن يطلبوا من كل قائد أن يكون على بينة من أن بعض مرؤوسيه وأي أشخاص آخرين خاضعين لسلطته على وشك أن يقتروا أو اقتروا انتهاكات للاتفاقيات أو لهذا اللحق (البرتوكول)، بأن يتخذ عندما يكون ذلك مناسباً، إجراءات تأديبية أو جنائية ضد مرتكبي هذه الانتهاكات".

من خلال ما سبق يتضح لنا الدور الكبير الذي يقع على كاهل القادة والرؤساء في الوقوف بوجه الانتهاكات التي من الممكن أن تقع من مرؤوسيه أو الحد منها أو المنع منعاً مطلقاً.

ثانياً: التعاون الدولي وتسليم المجرمين

إن هذا الأسلوب المتبادل بين الأطراف المعنية والمتعاقبة يسهل العثور على الذين ارتكبوا المخالفات على الصعيد الدولي وتقديمهم إلى المحاكمة، ولقد أشارت إلى وسيلة التعاون الدولي وتسليم المجرمين الكثير من الوثائق الدولية فعلى سبيل المثال، اتفاقيات جنيف الأربعة لعام 1949¹، وأن المطلع على هذه المواد يستنتج أمراً في غاية الأهمية ألا وهو الوجوب في تبادل المعلومات اللازمة التي من شأنها تقديم المساعدة القضائية.

وتعد الأمم المتحدة النصيب الأكبر في النص على هذا المبدأ سواءً عن طريق مجلس الأمن أو الجمعية العامة، ولقد أشار البرتوكول الإضافي الأول إلى هذه الوسيلة في المادة (1/88) منه لكنها جاءت مكتفيةً بالنص عليه مع خلو المادة من النص على الإجراء المتبع في هذه الحالة، ويمكن القول إن هذا المبدأ يعتبر من الوسائل المهمة في وقف ومعاقبة مرتكبي انتهاكات القانون الدولي الإنساني، ويعرف بأنه (إجراء تتخلى الدولة بموجبه عن شخص موجود لديها لسلطات دولة أخرى تطالب بتسليمه إليها لغرض محاكمته عن جريمة ارتكبها أو تنفيذ حكم صادر ضده بعقوبة جنائية²، الهدف من هذا الإجراء هو عدم إفلات المتهمين من العقاب المتواجدين على إقليمها وهو يشكّل مظهرًا من مظاهر التعاون الدولي فيما بينها في مجال مكافحة الجريمة التي تتسم بطابع دولي.

ثالثاً: تعاون الأمم المتحدة والمحكمة الجنائية الدولية

إن هذا النوع من التعاون برز جلياً في البرتوكول الإضافي الأول وفي النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية ونصت عليه المادة (89) من البرتوكول الأول على أنه "تتخذ الأطراف بأن تعمل

1 - انظر المواد 49، 50، 129، 146 من اتفاقيات جنيف الأربعة.

2 - عبد الواحد محمد الفار، الجرائم الدولية وسلطة العقاب عليها، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 2007، ص 44، 43.

مجتمعة أو منفردة في حالات الخرق الجسيم للاتفاقيات وهذا اللحق، بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة، وبما يتلاءم مع ميثاق الأمم".

ولقد نص النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية في الباب التاسع منه على التعاون والذي جاء تحت عنوان التعاون الدولي والمساعدة القضائية والذي تضمن المواد (86، 102) التي عالجت مسألة التعاون معالجةً مفصلةً، وأثار النظام الأساسي للمحكمة إلى الالتزام بالتعاون مع المحكمة والذي يستند على قواعد عامة في الاتفاقيات الدولية، التي يجب على أطرافها أن يلتزموا بالتعاون في كافة الإجراءات وهذا ما يبرهن المبدأ الذي يقوم على حسن النية من أجل تكريس قاعدة العقد شريعة المتعاقدين¹.

فالمطلع على النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية يجد أن النظام جاء بقواعد جديدة ومغايرة لما هو متعارف عليه في مجال التعاون القضائي والعائدات والأصول المتحصل عليها من الجرائم والأمن القومي والمساعدة القضائية وحماية الشهود وغيره، فأغلب نصوص النظام الأساسي حملت قواعد قانونية مستجدة على كافة الأصعدة القانونية ولم يتم النص عليها في التشريعات الوطنية.

المطلب الثاني: المسؤولية الدولية المدنية «أشكال التعويض»

لقد ثار خلاف فقهي كبير وقع بين فقهاء القانون الدولي حول طبيعة المسؤولية التي تقع على الدولة، ولذلك استقر الفقه والقضاء في العمل على الصعيد الدولي أن المسؤولية التي تتحملها الدولة هي مسؤولية مدنية، بالتالي إذا ثبت على دولة ما أنها ارتكبت إحدى الأفعال غير المشروعة دولياً يتوجب عليها التعويض عن الأضرار التي خلفتها نتيجة تلك الأفعال.

ولقد لاقت مسألة قبول التعويض قبولاً واسعاً في الواقع وفي كثير من الأوضاع الدولية التي أنتهك فيها القانون الدولي الإنساني.

الفرع الأول: الرد كأحد أنواع التعويض في القانون الدولي

لقد نصت المادة 34 من مشاريع المواد المتعلقة بمسؤولية الدول عن الأفعال غير المشروعة دولياً يكون الجبر الكامل للخسارة الناجمة عن الفعل الغير مشروع دولياً عن طريق الرد والتعويض والترضية، بإحداها أو الجمع بينهما، وفقاً لإحكام هذا الفصل، ولقد نصت المادة 31 من نفس القانون عن الصلة السببية اللازمة بين الفعل الغير مشروع والخسارة بجبر كامل للخسارة.

¹ - انظر المواد (86-102) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

اختلف القضاء على تعريف الرد فمنهم من ذهب إلى الغاية المتوخاة من الرد ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك، وهو إعادة الحالة لما كانت عليه مستنديين في ذلك لحكم محكمة العدل الدولية في قضية مصنع شورزو، الذي جاء فيه أنه يجب أن تُزال وبقدر المستطاع نتائج الفعل غير القانوني ويعاد إقرار الحالة التي كان من المرجح أن توجد لو لم يرتكب هذا الفعل¹، وأياً كان مفهوم الرد (التعويض العيني) فإنه يأتي في المقام الأول، وهذا ما أشارت إليه 35 من مشاريع المواد المتعلقة بمسئولية الدول عن الأفعال غير المشروعة دولياً "على الدولة المسؤولة عن فعل غير مشروع دولياً بالتزام بالرد، أي إعادة الحالة إلى ما كانت عليه قبل ارتكاب الفعل غير المشروع دولياً، بشرط أن يكون هذا الرد وبقدر ما يكون:

أ- غير مستحيل مادياً.

ب- غير مستتبع لعبء لا يتناسب إطلاقاً مع المنفعة المتأتية من الرد بدلاً من التعويض.

فإن الرد بوصفه شكلاً من أشكال إصلاح الضرر عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني ممكن تصوره في النزاعات المسلحة الدولية، وفي المنازعات المسلحة غير الدولية.

ولقد تطرقت العديد من المعاهدات الدولية لاستعادة الممتلكات الثقافية المصادرة خلال فترة الاحتلال، فلقد ذكرت بولندا أثناء مناقشة اللجنة الدولية الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة عن وجوب ردها للممتلكات الفلسطينية².

وقد يكون الرد مادياً مثل إرجاع الأراضي أو الأشخاص أو الممتلكات أو شكل تعديل صك قانوني ما، أو قد يكون مزيجاً من الاثنين ويتوقف الرد المطلوب في كثير من الأحيان عن مضمون الالتزام الذي تم خرقه، والالتزام بالرد ليس التزاماً غير محدد لذلك فإن المادة 35 من القانون سالف الذكر اشترطت ألا يكون الرد مستحيلاً وينطبق ذلك إذا كانت الممتلكات الواجب إرجاعها قد دُمّرت تدميرًا دائمًا أو لدرجة أصبحت بلا قيمة.

ولقد أشارت المادة سالف الذكر استثناءً في الفقرة (ب) ويشمل الحالات التي تكون فيها الفائدة المتأتية من الرد غير متناسبة كلياً مع كلفة هذا الرد بالنسبة للدولة المسؤولة وعلى وجه التحديد وقد يشترط الرد إذا كان "لا يستتبع عبئاً لا يتناسب إطلاقاً مع المنفعة المتأتية عن الرد بدلاً من التعويض"،

1 - خليل عبد المحسن خليل محمد، التعويضات في القانون الدولي وتطبيقاتها على العراق، ط1، بيت الحكمة، 2001، ص 80، 81.

2 - حيدر كاظم علي، مرجع سابق، ص 303.

بالتالي فهو يقوم على اعتبارات تتعلق بالإنصاف، وإن كان يوجد تفصيل لموقف الدولة المضرورة في أي حالة لا تدل فيها عملية الموازنة على تفصيل واضح للتعويض بالمقارنة بالرد وسوف تميل الكفة على الدوام لصالح الدولة المضرورة في أية حالة يؤدي فيها عدم القيام بالرد إلى تعريض استقلالها أو استقرارها الاقتصادي للخطر¹.

الفرع الثاني: التعويض والترضية في القانون الدولي

عندما يتعذر رد الشيء لما كان عليه قبل وقوع الضرر فلا بد من اتباع طرق أخرى تكون بديلة عن الرد ومن هذه البدائل، التعويض النقدي والترضية.

أولاً: التعويض النقدي

يقصد بالتعويض النقدي دفع مبلغ من الما إلى أحد أشخاص القانون الدولي لإصلاح ما لحق به من ضرر استحاله إصلاحه عينياً أو أن التعويض العيني لا يغطي كامل الضرر، ولهذا يمكن أن يكون التعويض النقدي التزاماً أصلياً يلجأ إليه عند تعذر اللجوء إلى التعويض لأسباب عديدة، وقد يكون تكميلياً لتغطية الأضرار المادية جميعها سواء التي تلحق الدولة مباشرة أو التي تلحق برعاياها وممثليها، فضلاً عن الأضرار المعنوية التي يتعرض لها هؤلاء الرعايا والممثلون².

ولقد نصت المادة 36 من مشاريع المواد المتعلقة بمسئولية الدول عن الأفعال غير المشروعة دولياً "1- على الدولة المسئولة عن فعل غير مشروع دولياً التزام بالتعويض عن الضرر الناتج عن هذا الفعل، في حال عدم إصلاح هذا الضرر بالرد. 2- يشمل التعويض أي ضرر يكون قابلاً للتقييم من الناحية المالية، بما في ذلك ما فات من الكسب، بقدر ما يكون هذا الكسب مؤكداً".

ولقد تناولت هذه المادة تعريف التعويض عن الضرر الناجم عن الفعل غير المشروع دولياً، وذلك في حال عدم إصلاح هذا الضرر بالرد، ولقد كان التعويض أكثر أشكال الجبر شيوعاً في الممارسة الدولية، ووظيفة التعويض هي مقارنة بالترضية ومعالجة الخسائر الفعلية المتكبدة نتيجة للفعل غير المشروع دولياً، فالقصد من التعويض المالي هو أن يعوض قدر الإمكان عن الضرر الذي لحق بالدولة المضرورة نتيجة للخرق³.

1 - عوض شفيق عوض، مسؤولية الدول عن الأفعال غير المشروعة دولياً، تقنين القواعد طبقاً لأعمال لجنة القانون الدولي، ط1، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2015، ص 294.
2- خليل عبد المحسن خليل محمد، مرجع سابق، ص 93.
3 - عوض شفيق عوض، مرجع سابق، ص 298.

وأشارت الفقرة (2) من المادة 36 بأن التعويض عن الكسب الفائت في بعض الحالات يكون ملائماً. وقد أدرجت المحاكم الدولية حكماً بالكسب الفائت لدى تقييم التعويض ومن ذلك الحكمان في قضية كيب هورن بيدجن، وقضية إنترناشيونال بتروليموم المحدودة ضد شركة النفط الإيرانية.

ويمكن التمييز بين ثلاث فئات من الكسب الفائت، الأولى الكسب الفائت للممتلكات المولدة للدخل من تاريخ الاستيلاء على الممتلكات، والثالثة الكسب الفائت في المستقبل أي الكسب المتوقع بعد تاريخ الحكم¹

ثانياً: الترضية

إذا تعذر الرد والتعويض النقدي فإن إصلاح الضرر المعنوي غالباً ما يتم عن طريق وسيلة أخرى هي الترضية التي يمكن تعريفها بأنها وسيلة لإصلاح الضرر المعنوي الذي قد يلحق بأحد أشخاص القانون الدولي، وبعبارة أخرى وسيلة لإصلاح الضرر الذي يصيب الشخص الدولي بحقوقه غير المادية. وتعد هذه الصورة من صور إصلاح الضرر الأنسب للتعويض عن الأضرار المعنوية التي تصيب الدولة أو أية شخصية دولية بسمعتها أو كرامتها أو بشرفها لما تتضمنه من تناسب بين نوع وحجم الفرد وبين نوع وكيفية التعويض عنه، ويمكن أن تتخذ الترضية أشكالاً متعددة كالاعتذار الذي تقدمه الدولة بالطرق الدبلوماسية أو معاقبة الأفراد المدنيين أو الموظفين المسؤولين عن ارتكاب العمل الغير مشروع والمتمثل في الانحراف الخطير أو السلوك الإجرامي، ولكن شريطة ألا يؤدي التعويض المعنوي ضرر بحق الدولة المسؤولة عن التعويض.²

ولقد نصت المادة 36 من مشاريع المواد المتعلقة بمسؤولية الدول عن الأفعال غير المشروعة دولياً على الترضية:

- 1- على الدولة المسؤولة عن فعل غير مشروع دولياً التزام بتقديم ترضية عن الخسارة التي تترتب عن الفعل إذا كان يتعذر إصلاح هذه الخسارة عن طريق الرد أو التعويض .
- 2- وقد تتخذ الترضية شكل إقرار أو تعبير عن الأسف، أو اعتذار رسمي، أو شكل مناسب.
- 3- ينبغي ألا تكون الترضية غير متناسبة مع الخسارة، ولا يجوز أن تتخذ شكلاً مذللاً لدولة المسؤولة.

1 - حكم بالتعويض عن الكسب الفائت في سياق الدخل تيار الدخل الذي يتمتع بحماية تعاقدية كما حدث في قضية شركة أمكو أسيا وليس نتيجة الاستيلاء على الممتلكات المولدة للدخل، انظر عوض شفيق عوض، مرجع سابق، ص 315.

2 - مجلة دراسات قانونية، بيت الحكمة لنشر، السنة الثانية، العدد الثالث، أب، 2000، ص 35، أنظر أيضاً في هذا الصدد حيدر كاظم علي، مرجع سابق 317.

ولقد قسمت هذه المادة الترضية لثلاث فقرات يتناول كل منها جانباً مستقلاً من جوانب الترضية، فالفقرة الأولى تناولت الطابع القانوني للترضية وأنواع الأضرار التي تقدم عنها، والفقرة الثانية تطرقت لطرق الترضية، والفقرة الثالثة وضعت قيوداً على الالتزام بتقديم الترضية مع مراعاة الممارسات السابقة في الحالات التي تتطلب أحياناً ترضية غير مقبولة¹، كما أن تعدد الحالات التي تقدم فيها دولة ما الترضية لدولة أخرى سببت بحقها فعلاً غير مشروع دولياً سبب ضرراً غير مادي، ومن هذه الحالات الإهانات الموجهة لرموز الدولة كالعلم الوطني.

الخاتمة:

في الختام لا بد من القول إن التنفيذ الحقيقي للقانون الدولي الإنساني تحتاج إلى إرادة حرة من قبل الدول في كافة الأصعدة والمستويات، كون هذا القانون هو ثمرة جهود كبيرة وصراع حافل بالمشقات إلى أن وصل هذا القانون لما هو عليه، ولذلك لا بد من تفعيل الإرادة السياسية الحرة لتنفيذ هذا القانون على أرض الواقع بالشكل المطلوب.

وبناءً على ما سبق، فإن تطبيق أحكام هذا القانون وتطبيق آلياته سواءً الآليات الرقابية أو الوقائية أو القمعية التي كانت محور دراسة في هذا المقال لهو الطريق الأخير لكل المضطهدين على هذه الأرض، لتسموا الإنسانية على الوحشية وتثقل الأوضاع من شريعة الغاب إلى شريعة العدل والحق والحرية.

النتائج:

- 1- إن العديد من الالتزامات المنصوص عليها في القانون الدولي الإنساني ليست التزامات مطلقة وتفتقر إلى الإلزام الكافي.
- 2- إن المعرفة والإلمام بالقانون الدولي الإنساني ضرورة من ضروريات الحياة على الصعيد الدولي في وقت كثرت فيه المنازعات الحربية.
- 3- يُلجأ إلى الآليات القمعية لتفعيل قواعد القانون الدولي الإنساني باجتماع المسؤولية الدولية بشقيها المدني والجنائي مجتمعة.
- 4- إن تفعيل قواعد المسؤولية الدولية آخر محطة لكبح جموح المجرمين سواءً الدول أو الأفراد والقادة العسكريين.

¹ - عوض شفيق عوض، مرجع سابق، ص 320.

5- إن الآليات القمعية يكون الهدف منها التعويض عما لحق أهالي الضحايا من ضرر، ودرء ارتكاب مثل هذه الجرائم في المستقبل من خلال ردع كل من يفكر في ارتكاب مثل هذه الجرائم.

التوصيات:

- 1- يجب تكليف القيادات العسكرية بمنع ارتكاب الجرائم الدولية والعمل على وقف هذه الانتهاكات في حالة ارتكابها.
- 2- يجب على الدول التعاون المتبادل في الشؤون الجنائية وتسليم المجرمين.
- 3- يجب على جميع الدول الالتزام بالمعاهدات الدولية الموقعة خاصة اتفاقيات جنيف الأربعة.
- 4- التعاون المستمر مع المحكمة الدولية الجنائية التي تختص بالنظر في الجرائم الدولية.
- 5- التكاليف المستمر في خدمة أهالي الضحايا الذين وقعوا تحت ضرر الجرائم المرتكبة بحقهم من خلال حصولهم على التعويضات المستحقة لهم.

قائمة المراجع:

أولاً: الكتب

- 1 - أحمد أبو الوفا، النظرية العامة للقانون الدولي الإنساني (في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية)، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، 2006م.
- 2 - هشام قواسمة، المسؤولية الدولية الجنائية للرؤساء والقادة العسكريين، دار الفكر والقانون، الطبعة الأولى، المنصورة، 2013م.
- 3 - حيدر كاظم عبد علي، آليات تنفيذ القانون الدولي الإنساني، مطبوعات زين الحقوقية، الطبعة الأولى، لبنان، 2018م.
- 4 - عبد الفتاح بيومي حجازي، المحكمة الجنائية الدولية – دراسة متخصصة في القانون الجنائي الدولي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2005م.
- 5 - عبد الواحد محمد الفار، الجرائم الدولية وسلطة العقاب عليها، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، 2007م.
- 6 - خليل عبد المحسن خليل محمد، التعويضات في القانون الدولي وتطبيقاتها على العراق، بيت الحكمة للنشر، الطبعة الأولى، 2001م.
- 7 - عوض محمد عوض، مسؤولية الدول عن الأفعال غير المشروعة دولياً (تقنين القواعد طبقاً لإعمال لجنة القانون الدولي، دار الفكر الجامعي، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2015م.

- 8 - منتصر سعيد حمودة، القانون الدولي الإنساني (مع الإشارة لأهم مبادئه في الفقه الإسلامي)، دار الفكر الجامعي، الطبعة الأولى، 2018م.
- 9 - هشام بشير، إبراهيم عبد ربه، المدخل لدراسة القانون الدولي الإنساني، دار الكتب والدراسات العربية، د.ط، 2019م.

ثانياً: الاتفاقيات الدولية

- 1 النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية 1998.
- 2 النظام الأساسي للمحكمة الدولية ليوغسلافيا السابقة.
- 3 النظام الأساسي للمحكمة الجنائية لرواندا.
- 4 البروتوكول الإضافي الأول الى اتفاقيات جنيف، المتعلق بحماية ضحايا النزاعات الدولية المسلحة لعام 1977.
- 5 اتفاقيات جنيف الأربعة لعام 1994.

ثالثاً: الدوريات

- مجلة دراسات قانونية، تصدر عن بيت الحكمة، السنة الثانية، العدد الثالث، أب، 2000.

مخاطر السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية

The dangers of economic peace on the Palestinian cause

إعداد:

د. رائد محمد حلس

دكتوراه في فلسفة الاقتصاد، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - الخرطوم

باحث اقتصادي، في مركز التخطيط الفلسطيني - غزة

Dr. Raid Mohammed Helles

PhD in Philosophy of Economics, Sudan University of Science and Technology
– Khartoum

Economic researcher, Palestinian Planning Center - Gaza

raidhelles@outlook.com

المخلص:

هدفت الدراسة إلى توضيح الجذور التاريخية لمفهوم السلام الاقتصادي ومعرفة الأسباب والدوافع وراء طرح مشاريع السلام الاقتصادي لتسوية الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، وتحليل أهداف وتفاصيل هذه المشاريع وبيان مخاطرها على القضية الفلسطينية.

ولتحقيق أهداف الدراسة اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي بالإضافة إلى المنهج التاريخي لتوظيف وضبط تسلسل المبادرات ومشاريع التسوية المغلفة بغلاف اقتصادي حسب التطور الزمني.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن طرح المشاريع والمبادرات الاقتصادية في إطار مشروع السلام الاقتصادي بمعزل عن الحل السياسي والشامل لتسوية الصراع له مخاطر كبيرة على القضية الفلسطينية نتيجة تجاهل هذه المشاريع لحقوق الشعب الفلسطيني وتطلعاته الوطنية، في بناء دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على حدود الرابع من حزيران 1967 وعاصمتها القدس وضمان حل عادل ومنصف لعودة اللاجئين الفلسطينيين.

إضافة إلى أن مشاريع السلام الاقتصادي لم تقدم في ثناياها رؤية جدية لحل الصراع، بل كانت عبارة عن محاولات أمريكية إسرائيلية لتخدير الفلسطينيين وإلهائهم عن الأبعاد السياسية، التي تفوق بكثير الآثار الاقتصادية، لذلك فهي أقرب إلى إدامة الصراع وليس حلّه، مما يعني أن إقامة الدولة الفلسطينية وتحقيق سلاماً عادلاً وشاملاً سيبقى بعيداً جداً.

الكلمات المفتاحية: السلام الاقتصادي – تسوية الصراع – الصراع الفلسطيني الإسرائيلي - صفقة القرن – القضية الفلسطينية.

Abstract:

The study aimed to clarify the historical roots of the concept of economic peace and to know the reasons and motives behind the presentation of economic peace projects to settle the Palestinian-Israeli conflict, and to analyze the

objectives and details of these projects and clarify their risks to the Palestinian cause.

To achieve the objectives of the study, it relied on the descriptive analytical method, in addition to the historical method for employing documents and controlling the sequence of initiatives and settlement projects coated with economic cover according to the time development.

The study concluded a set of results, the most important of which is that the launching of economic projects and initiatives within the framework of the economic peace project away from political and comprehensive solution to the conflict has great risks to the Palestinian cause as these projects ignore the rights of the Palestinian people and their national aspirations towards, in building an independent Palestinian state on the 1967 borders with Jerusalem as its capital.

Further, economic peace projects did not offer a serious vision for resolving the conflict. A just and comprehensive peace will remain very far away.

Keywords: economic peace - conflict settlement - the Palestinian-Israeli conflict - the deal of the century - the Palestinian cause.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

منذ إطلاق عملية التسوية للصراع الفلسطيني – الإسرائيلي في مؤتمر مدريد للسلام في مطلع التسعينات وتحديدًا في العام 1991، وكل رئيس أمريكي جديد يطرح مشروع جديد لتسوية الصراع متجاهلاً مشاريع الإدارات السابقة، أو يُدخل تعديلات بما يتوافق مع المتغيرات الدولية والإقليمية ومع أولويات الإدارة الأمريكية في الشرق الأوسط.

وعلى الرغم من طرح العديد من المبادرات والمشاريع لتسوية الصراع خلال العقود الثلاثة الماضية، فإنه لم يتم تسوية الصراع حتى الآن نتيجة لأن الإدارة الأمريكية لم تكن جادة في تسوية الصراع الفلسطيني

– الإسرائيلي بقدر سعيها إلى إدارة الصراع وبما يخدم المصالح الإسرائيلية، بدءاً من اتفاق مدريد 1991، وتبادل الاعتراف بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية وتوقيعها اتفاق الحكم الذاتي الانتقالي في سبتمبر 1993، والاتفاقات اللاحقة برعاية أمريكية وتأييد دولي، وتواتر المبادرات والمشاريع التي طرحت لتسوية الصراع والتي كان آخرها (صفقة القرن) الذي طرحه ترامب بعد توليه رئاسة الولايات الأمريكية.

جدير بالذكر أن بعض المبادرات والمشاريع التي تُطرح لتسوية الصراع تعتمد على رؤية إسرائيلية لتسوية الصراع ووفقاً لنظريتها الأمنية، من خلال إحكام سيطرتها على الاقتصاد الفلسطيني وفرض مزيد من الشروط والقيود والممارسات لمنع قيام دولة فلسطينية، وحجب الشعب الفلسطيني عن ممارسة حقه في تقرير المصير والعودة، وتأجيل بت القضايا الأساسية المتعلقة بالسيادة على الأرض، ومصير القدس والمستوطنات والحدود وقضية اللاجئين، مراهنه في ذلك على إحراز المزيد من الخلل في ميزان القوى، للضغط على الفلسطينيين للقبول بالسلام الاقتصادي القائم على استبدال مبدأ الأرض مقابل السلام بالأمن مقابل بعض التحسينات والتسهيلات الاقتصادية (السلام الاقتصادي)، مما يشكل ذلك خطراً جسيماً يستهدف بشكل واضح تصفية القضية الفلسطينية.

1. مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما هي مخاطر السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية؟

وينبثق عن السؤال الرئيس أسئلة فرعية، وهي:

– ما هي الأسباب والدوافع التي أدت إلى طرح مشاريع ومبادرات اقتصادية لتسوية الصراع الفلسطيني

– الإسرائيلي؟

– ما هي تداعيات السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية؟

– ما هي الخيارات الفلسطينية المتاحة لتفادي مخاطر السلام الاقتصادي؟

2. منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بالإضافة إلى المنهج التاريخي لتوظيف وضبط تسلسل المبادرات ومشاريع التسوية المغلفة بغلاف اقتصادي حسب التطور الزمني.

3. أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة في أنها تلقي الضوء على قضية في غاية الأهمية والحساسية المتمثل بالمخاطر المحدقة بالقضية الفلسطينية ومستقبلها، نتيجة المحاولات الإسرائيلية والأمريكية المتكررة لطرح مشاريع لتسوية الصراع عبر بوابة الاقتصاد.

وتتجلى أهمية الدراسة في تقديم مجموعة من الخيارات الفلسطينية والبدائل المتاحة لمواجهة هذه المخاطر.

4. أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- بيان مخاطر السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية.
- توضيح أثر السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية.
- توضيح الجذور التاريخية لمفهوم السلام الاقتصادي.
- التعرف على أسباب ودوافع السلام الاقتصادي
- تسليط الضوء على مشاريع تسوية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي المغلفة بغلاف اقتصادي.
- تقديم مجموعة من الخيارات الفلسطينية المتاحة لتفادي المخاطر المحدقة بالقضية الفلسطينية ومستقبلها.

5. مجال وحدود الدراسة:

مجال الدراسة: الاقتصاد السياسي وتحديداً دراسة وتحليل تداعيات السلام الاقتصادي الفلسطيني

الحدود الزمنية: تبدأ الدراسة من بداية تعثر عملية السلام في عام 2000 وحتى عام 2019

الحدود المكانية: دولة فلسطين.

6. أقسام الدراسة:

من أجل الإجابة على تساؤلات الدراسة وتحقيق أهدافها تم تقسيم الدراسة على النحو التالي:

- المبحث الأول: السلام الاقتصادي (المفهوم – الجذور – الدوافع).
- المبحث الثاني: مشاريع السلام الاقتصادي.
- المبحث الثالث: مخاطر مشاريع السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية.
- المبحث الرابع: النتائج والتوصيات.

7. الدراسات السابقة:

- دراسة الفاضي (2019) بعنوان: تداعيات مفهوم السلام الاقتصادي على مستقبل القضية الفلسطينية.

هدفت الدراسة إلى محاولة فهم أبعاد طرح حلول اقتصادية على مستقبل القضية الفلسطينية في ظل غياب أي أفق سياسي، وتحديد مدى تأثير السلام الاقتصادي والحلول الاقتصادية على مستقبل القضية الفلسطينية.

وتوصلت الدراسة إلى أن مشاريع السلام الاقتصادي والحلول الاقتصادية لها تأثير سلبي على فرص حل عادل للقضية الفلسطينية.

وقدمت الدراسة خيارات وبدائل للخروج من مأزق السلام الاقتصادي ومستقبل القضية الفلسطينية في ظل جمود عملية السلام.

- دراسة هديب (2019) بعنوان: السلام الاقتصادي: واقع وآفاق.

هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع السلام الاقتصادي من خلال عرض وتحليل المشاريع الاقتصادية التي طرحت لتسوية وإنهاء الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي بعد إعلان دولة "إسرائيل" والمتمثلة في مشروع "شيمعون بيرس: الشرق الأوسط الجديد" ومشروع "إسرائيل كاتس نتتياهو: السلام الاقتصادي" والمشروع الاقتصادي "صفقة القرن"، ودراسة انعكاسات السلام الاقتصادي على المشروع الوطني الفلسطيني.

وتوصلت الدراسة إلى أن غالبية الدول العربية تعيش حالة من الصراع مع النفس والبحث عن الهوية والوجود بعد ما وصلت إليه من ضعف وتبعية بفعل رياح التغيير في ظل ما يسمى الربيع العربي، وبالتالي

أصبحت بعض من الدول العربية في حالة من الرغبة الطوعية للتطبيع مع "إسرائيل" للهروب من الواقع الذي كانت "إسرائيل" قد فرضته على هذه الدول.

- دراسة جرار وأسعد (2019) بعنوان: الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة صفقة القرن وما بعدها.

هدفت الدراسة إلى استكشاف مفهوم صفقة القرن وتتبع مؤشراتهما، والوقوف على فريق الصفقة وأيدولوجيتهم، والبحث في البيئة المحلية والإقليمية والدولية التي ساعدت في طرح الصفقة، والتعرف على دور المؤسسة الرسمية الفلسطينية والأحزاب والمنظمات الشعبية والمؤسسات الإعلامية والشعب في مواجهة صفقة القرن، للوصول إلى الاستراتيجية الفلسطينية المناسبة لمواجهة صفقة القرن وإفشالها.

وتوصلت الدراسة إلى أن صفقة القرن هي مشروع صهيوني أمريكي لتصفية القضية لتصفية القضية الفلسطينية، وتأتي في سياق المحاولات المتكررة لتصفية القضية الفلسطينية منذ قرن من الزمن، وتتويج لمسار العدوان الأمريكي الصهيوني على القضية الفلسطينية، وتكمن خطورة الصفقة في إمعانها المطلق في تفتيت مركبات الهوية الفلسطينية وسردياتها الأساسية المتمثلة في (الناس، والأرض، والحكاية).

- دراسة البطش (2018) بعنوان: مشاريع التسوية الأمريكية في الشرق الأوسط 1989-2017م: الدوافع والأهداف.

هدفت الدراسة إلى استعراض مشاريع التسوية الأمريكية في الشرق الأوسط خلال الفترة (1989-2017) وتحليلها لمعرفة دوافعها وأسرار توقيتها وهدفها وتحليل مواقف الأطراف الرئيسية بالصراع منها، وسبب هذه المواقف، إضافة إلى الوقوف عند منهج المقارنة في كل ما سبق بين المشاريع المختلفة التي طرحت من قبل الإدارة الأمريكية.

وتوصلت الدراسة إلى أن سلوك الإدارات الأميركية المتعاقبة في الشرق الأوسط، وبالذات في أطروحاتها تجاه عملية السلام، تختلف بعضها عن بعض في كثير من التوجهات وتتفق مع بعضها، فالحفاظ على أمن إسرائيل والتفوق الاستراتيجي كانا من الثوابت لدى جميع هذه الإدارات، وكذلك مدى التعامل مع الفلسطينيين كان ذا مؤشر بمنحى متقطع يحدده العديد من العوامل والمحددات، وعلى رأسها إن كان الحزب الجمهوري أم الديمقراطي الذي يحكم في الولايات المتحدة وعلاقة الإدارة مع مجموعات الضغط المساندة لإسرائيل بمجلسي النواب والشيوخ، وكذلك مع مجموعة الأيباك، إضافة إلى طبيعة أو تشكيلة الحكومة في إسرائيل.

– دراسة حلس (2017) بعنوان: السلام الاقتصادي وصفقة القرن وفق نظرية الأمن الإسرائيلي.

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على مشاريع السلام الاقتصادي (خطة كيري الاقتصادية وصفقة القرن) وفق نظرية الأمن الإسرائيلي والذي تروج له كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل كبديل للحل النهائي العادل للصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، وكمدخل لنسج علاقات اقتصادية مع العالم العربي من بوابة السلام الاقتصادي الذي يجلب الازدهار والرفاهية.

وتوصلت الدراسة إلى أن السلام الاقتصادي (خطة كيري الاقتصادية وصفقة القرن)، هي محاولة أمريكية إسرائيلية لتمير الأطماع الإسرائيلية إلى إقامة علاقات اقتصادية وتحالفات استراتيجية مع الدول العربية (التطبيع) دون التوصل إلى حل عادل لإنهاء الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي بشكل نهائي.

التعقيب على الدراسات السابقة:

تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في مع طبيعة الموضوعات التي تناولتها ووتحديداً ذات العلاقة بمشاريع تسوية وإنهاء الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي المغلفة بغلاف اقتصادي (السلام الاقتصادي) .

تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أنها تتناول في تفاصيلها مفهوم وجذور ودوافع السلام الاقتصادي والتركيز على مخاطر السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية.

وتتميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أنها تقدم جملة من الخيارات الفلسطينية لتفادي مخاطر السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية.

المبحث الأول: السلام الاقتصادي (المفهوم – الجذور – الدوافع)

أولاً: مفهوم السلام الاقتصادي

يرتكز مفهوم السلام الاقتصادي بشكل رئيسي على بناء علاقات من التبادل التجاري والاقتصادي بين الدول العربية و"إسرائيل"، بجانب بناء علاقات تجارية واقتصادية بين "إسرائيل" والصفة الغربية وقطاع غزة، تكون ممراً لتسوية سياسية مستقبلية بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، على أساس مبدأ الأمن مقابل الرخاء الاقتصادي، من منطلق حاجة الجانب الإسرائيلي للأمن والهدوء وحاجة الجانب الفلسطيني للرخاء الاقتصادي (الفاضي، 2019، ص179).

في هذا الإطار يمكن تعريف السلام الاقتصادي بأنه استبدال مبدأ الحل السياسي لتسوية وإنهاء الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي القائم على أساس الأرض مقابل السلام والذي بموجبه تم التوقيع على اتفاق السلام بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل بمبدأ الحل الاقتصادي القائم على أساس الأمن مقابل الرخاء الاقتصادي "السلام الاقتصادي"

ثانياً: الجذور التاريخية لفكرة السلام الاقتصادي

تعود جذور فكرة السلام الاقتصادي إلى جناح من قيادة حزب العمل الإسرائيلي الذي وضع رؤية وتصور لعملية التسوية وإنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي تحت شعار عملية السلام والتعاون الاقتصادي في إطار مشروع بناء إقليمي جديد، وقد عبّر عن هذا المشروع وتولى التنظير والترويج له وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس، ونائبه يوسي بيلين، حيث توقع شمعون بيرس ولادة شرق أوسط جديد تسوده الرفاهية الازدهار وذلك في كتابه الذي صدر بالتزامن مع مؤتمر مدريد في خريف 1993، بعنوان "الشرق الأوسط الجديد" (Peres, 1993)، ووضع يوسي بيلين كراساً بعنوان رؤية للشرق الأوسط" في أواخر السنة نفسها، تبنى فيه مشروع بيرس رسمياً، وطرحه كموجّه للسياسة الإسرائيلية الخاصة بالعلاقات الإقليمية في المحادثات المتعددة الأطراف المتفرعة من مؤتمر مدريد (Bellin, 1993).

وقد طرح رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أفكاراً للسلام الاقتصادي بمنظور مختلف عما طرحه بيرس، يتمثل بالاعتراف بيهودية الدولة مقابل تسهيلات اقتصادية للجانب الفلسطيني دون إقامة دولة فلسطينية وبقاء الوضع القائم على ما هو عليه، بالتوازي مع الرغبة الإسرائيلية للتوصل إلى سلام اقتصادي وانفتاح اقتصادي مع بعض الدول العربية وتحقيق الرفاهية والازدهار والأمن لشعوب المنطقة، وعلى الرغم من أنّ بيرس ونتنياهو عبّرا عن السلام الاقتصادي بمنظورين مختلفين، إلا أنّ كلا المنظورين يستهدف في ظاهره الأشمل السيطرة الإسرائيلية على الوطن العربي والتحكم بمفاتيحه الأساسية (سعد الدين، الجزيرة، 2013م).

إنّ عملية الترويج للسلام بالمنطق الاقتصادي "النفعي" الذي يجلب الرخاء والتنمية لم تقتصر على الطرف الإسرائيلي فقط، بل روجت له الولايات المتحدة الأمريكية خلال الاحتفال الرسمي في المؤتمر الذي دعت الولايات المتحدة إليه بعد توقيع اتفاق "إعلان المبادئ" بين إسرائيل ومنظمة التحرير بفترة قصيرة، تحت شعار تأمين مساعدات مالية لتنمية مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني، كما أعيد الترويج له في المؤتمر الاقتصادي العالمي للتنمية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الذي عقد في الدار البيضاء في أواخر تشرين الأول/أكتوبر 1994، وحضرته أغلبية دول المنطقة ومئات رجال الأعمال من دول المنطقة وخارجها،

ونشطت الولايات المتحدة وإسرائيل، بالإضافة إلى الدولة المضيفة في تنظيمه، ونجد فكرة السلام بهذا المنطق الاقتصادي أيضاً شغلت حيزاً مهماً من أعمال بعض لجان عمل المفاوضات المتعددة الأطراف، بما في ذلك بعض الأطراف العربية، على مستويات رسمية وغير رسمية، في تسويق مقولة أن "السلام" الإسرائيلي-العربي سيجلب الرخاء والازدهار (هلال، 1995، ص6).

المشكلة هنا ليست ما إذا كان لـ "السلام" منافع اقتصادية أم لا، فهذه قضية تخضع للتمحيص العلمي والتدقيق العياني لكل نشاط اقتصادي يصبح ممكناً بفعل "السلام". إنما تكمن المشكلة في نقطتين أساسيتين: أولاً عن أي مفهوم لـ "السلام" يجري الحديث (هل هو "سلام" عادل ومتكافئ، أم تسوية مفروضة تقيدها علاقات قوة وهيمنة)، ثانياً هناك مساعٍ حثيثة من قبل مروّجي "السلام" الاقتصادي لتسويق "وهم" يتمثل في تصوير "السلام" فانوساً سحرياً سيعمّ بمجرد حلوله الرخاء والازدهار في المنطقة، وتتلاشى معه معظم المشكلات والأزمات المتفاقمة التي يعيشها العالم العربي، خاصة وقد خبرت المنطقة نموذجاً لهذا الوضع بعد توقيع الاتفاقيات المتعددة بين الجانب الإسرائيلي والعربي (مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية)، والتي تعهدت بموجبها إسرائيل بإقامة العديد من المشاريع الإقليمية متعددة الأطراف لدعم التعاون الإقليمي وتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة وتسوية الصراع (هلال، 1995، ص6).

حيث كان من المتوقع أن تنتهج إسرائيل عقب ذلك طريق السلام وتسوية الصراع بالطرق السلمية وتعمل على ترسيخ التعاون الاقتصادي المشترك بين إسرائيل والدول العربية الموقعة على الاتفاقيات، إلا أن حقيقة الأمر لم يحدث ما كان مأمولاً ومنتظراً؛ فقد شنت إسرائيل حروباً عديدة على لبنان وفلسطين (الضفة الغربية والقطاع) بالإضافة إلى سوريا وغيرها، وهذا يعني أن إسرائيل لم تتخذ بعد قراراً استراتيجياً بشأن إنهاء الحروب في المنطقة وتبني استراتيجية السلام وحل الصراع بالطرق السلمية، وهذا هو جوهر استمرار الصراع بدون حل إقليمي حتى اليوم.

لقد كانت هناك موافقات على إقامة مشاريع إقليمية كبيرة ومشتركة مثل: صندوق الشرق الأوسط للتنمية، الاستغلال المشترك لثروات البحر الميت، ومجابهة التصحر، وقناة البحرين، وتحلية المياه، وربط المنطقة بشبكات التيار الكهربائي المشترك، والتعاون في مجال السياحة والنقل والاتصالات وتدفق رؤوس الأموال، إلا أن أيّاً من هذه المشاريع لم يجد طريقه للتنفيذ بسبب عدم تبني وانتهاج إسرائيل لاستراتيجية السلام (قرش، 2014، ص96).

ثالثاً: دوافع السلام الاقتصادي

لقد أصبح مشروع السلام الاقتصادي هو المكون الأساسي والوحيد في صيغ التسوية الأميركية الإسرائيلية مع الدول العربية وفلسطين، منذ انطلاق انتفاضة الأقصى عام 2000 وتعثر عملية السلام، نتيجة انخفاض تكلفة الحل الاقتصادي بالنسبة لـ "إسرائيل" والولايات المتحدة الأمريكية على حد سواء مقارنة بتكلفة الحل السياسي، بالإضافة إلى تنامي الحاجة الفلسطينية لاقتصاد قوي وفق رؤية "إسرائيل" والولايات المتحدة بعد النتائج والتبعات التي شهدتها فلسطين والمنطقة العربية منذ انخراط الجانب الفلسطيني في عملية التسوية والتوقيع على اعلان المبادئ بين منظمة التحرير الفلسطينية و"إسرائيل" في العام 1993 ، مما شكل دافعاً لتبني الإدارة الأمريكية لهذا المشروع والترويج له، ويمكن تفصيل تلك الدوافع على النحو الآتي:

1. انخفاض تكلفة الحل الاقتصادي

يعتبر خيار السلام الاقتصادي بالنسبة لـ "إسرائيل" والولايات المتحدة الأمريكية خياراً استراتيجياً نتيجة انخفاض تكلفة الحل الاقتصادي مقارنة مع الحل السياسي، لا سيما وأن تمويل معظم المبادرات والمشاريع الاقتصادية التي طرحت لتسوية الصراع سواء (خطة كيري الاقتصادية 2013، والخطة الاقتصادية الأميركية: السلام من أجل الازدهار 2019 "الشق الاقتصادي من صفقة القرن) تعتمد بشكل رئيسي على المنح والمساعدات الخارجية (من دول الخليج العربي والاتحاد الأوروبي) ورأس المال الخاص، وهذا ما تسعى إسرائيل لتحقيقه إدارة الصراع بدلاً من حل الصراع وبدون تكلفة سياسية تتعلق بالقضايا الرئيسية (مصير القدس وعودة اللاجئين والاستيطان والحدود والمياه) وفي ذات الوقت ضمان انفتاح مع الدول العربية وإقامة علاقات اقتصادية ودبلوماسية مع الدول العربية (البابا، 2019).

2. الحاجة الفلسطينية لتقوية الاقتصاد وعدم الانهيار

بعد نحو ستة وعشرين عاماً من توقيع اتفاق أوسلو وملاحقه، فإن النتائج التي تحققت عملياً كانت كلها سلبية وضارة بالاقتصاد الفلسطيني ولم تفض إلى تسوية الصراع، نتيجة فشل كل الخطط والمبادرات والمشاريع التي كانت مقترحة لتسوية الصراع وانعدمت الثقة وازدادت حدة التوترات والعداء بين الجانبين وبدأت تتلاشى فرصة إقامة الدولتين وفقاً لقرارات الشرعية الدولية، بل وتكرست على الأرض تبعات ونتائج ساهمت بشكل أو بآخر بإضعاف الاقتصاد الفلسطيني، الأمر الذي أدى بدوره إلى ازدياد الحاجة الفلسطينية إلى تقوية الاقتصاد لتم استخدامه كوسيلة ضغط على الجانب الفلسطيني للقبول بمشروع السلام الاقتصادي، وفيما يلي أبرز النتائج والتبعات التي تكرست على الأرض (قرش، 2014، ص97):

1. عرقلة النمو الاقتصادي الفلسطيني.
 2. استمرار زيادة العجز في الميزان التجاري الفلسطيني مع "إسرائيل" والعالم الخارجي.
 3. تعميق التبعية والاعتماد على الاقتصاد الإسرائيلي.
 4. زيادة تكلفة المعيشة على المواطنين الفلسطينيين بشكل غير محتمل بسبب استخدام العملة الإسرائيلية شديدة التقلب إزاء العملات الأخرى المستخدمة في فلسطين.
 5. ضعف القدرة على التعامل مع الأسواق الخارجية بسبب التعقيدات الإدارية واللوجستية التي تضعها إسرائيل أمام التجارة الخارجية الفلسطينية، مما أثر سلباً على القدرة التنافسية للسلع الفلسطينية.
 6. تحقيق خسائر مالية للخزينة الفلسطينية بسبب تهريب السلع والبضائع الذي يتم من المستوطنات، وعدم دفع الإيرادات الضريبية على السلع التي يستوردها الإسرائيليون من الخارج دون الإشارة في بيان الاستيراد أن مقصدها النهائي سيكون لمناطق السلطة الوطنية، وقد قدر معهد ماس الخسائر المترتبة على ذلك بنحو 200 مليون دولار سنوياً في عام 1995.
 7. تقليص عدد العمال الفلسطينيين الذين يعملون في "إسرائيل" بنحو النصف تقريباً، وهذا يتعارض مع اتفاق باريس الذي نص على الانتقال الحر للسلع والبضائع والأيدي العاملة في الاتجاهين، فوضع إسرائيل للحواجز والعوائق والجدران جعل التعاون يسير باتجاه واحد ولصالح إسرائيل فحسب.
 8. توسيع الاستيطان ومصادرة الأراضي ومنع الفلسطينيين من الاستثمار في المناطق ج.
 9. تدهور التجارة الداخلية بين الضفة الغربية والقطاع وتعطل حركة التجارة بين مدن الضفة الغربية.
 10. الحجز المنتظم والمستمر الذي تقوم به "إسرائيل" بحق الأموال الفلسطينية المتأتية من الإيرادات الجمركية على السلع والبضائع المستوردة من قبل التجار والشركات العاملة في مناطق السلطة، أدى إلى حدوث أزمات مالية وأثر بشكل مباشر على وضع الخطط لتمويل المشاريع.
- وبذلك تعتقد الولايات المتحدة الأمريكية و"إسرائيل" أن النتائج والتبعات التي تحققت على الأرض تشكل فرصة لقبول الجانب الفلسطيني بالسلام الاقتصادي لتسوية الصراع كبديل عن مشروع السلام الشامل، خاصة وأن كل ما تم طرحه من مبادرات ومشاريع لتسوية الصراع في السنوات الأخيرة كانت فقط مبادرات ومشاريع اقتصادية في إطار السلام الاقتصادي متجاهلة تماماً الحل السياسي لتسوية وإنهاء الصراع.**

3. ضعف الحالة العربية

شكلت حالة الضعف لبعض الدول العربية دافعاً قوياً لتمرير تسوية الصراع العربي – الإسرائيلي بما فيها القضية الفلسطينية عبر مشروع السلام الاقتصادي، حيث يعود ضعف الحالة العربية لعدد من الأسباب أهمها:

أ. **تدمير بعض الدول العربية:** تعرض عدد من الدول العربية للتدمير الفعلي ولأسباب شتى بدءاً من العراق إلى سورية وليبيا واليمن، فضلاً عن مشكلات كبيرة في دول عربية أخرى، الأمر الذي أدى إلى ضعف الحالة العربية، انعكست بطبيعة الحال سلبياً على كيفية تعامل الدول العربية مع الواقع العربي والقضية الفلسطينية (القدوة، 2019، ص21).

ب. **التحول الإقليمي:** ويتمثل في استغلال "إسرائيل" حالة عدم الاستقرار السياسي والأمني في المنطقة العربية (نمو وبروز ظاهرة الإرهاب وارتباطها بالتيارات الإسلامية "الجماعات المتطرفة") بعد ثورات ما يسمى بالربيع العربي في تبنيها خطاباً مغايراً للتعامل مع القضية الفلسطينية النابع من تغييرات البيئة الإقليمية على أساس أن أي تسوية للصراع مع الفلسطينيين يجب أن يكون عبر بوابة الحل الإقليمي مع الدول العربية، أي جزء من تسوية عربية تساهم في حل المسألة الفلسطينية تقوم على أساس مبدأ التطبيع مع الدول العربية وكمدخل لتسوية القضية الفلسطينية (مصطفى، 2016، ص74).

ت. **القلق العربي من إيران:** ويتمثل في استغلال "إسرائيل" حالة القلق العميق التي تولدت لدى بعض الدول العربية وخصوصاً دول الخليج العربي من التمدد الإيراني في المنطقة وبسط نفوذها، في طرح نفسها للعرب كحليف استراتيجي في مواجهة إيران والذي يقتضي بموجب هذا الخيار إيجاد صيغة أو حل للصراع عبر مشروع السلام الاقتصادي يكون بديلاً عن حل الدولتين القائم على قرارات الشرعية الدولية، ويرتكز على مشاركة العرب سياسياً وجغرافياً في تحمل تكاليف القضية الفلسطينية (أبو كريم، 2019، ص139).

وهذا الإطار يرى الباحث أن "إسرائيل" والولايات المتحدة الأمريكية حاولا الاستفادة من تعظيم هذه الدوافع لتمرير المخطط الصهيوني الأمريكي لتصفية القضية الفلسطينية عبر القفز عن الحل السياسي والشامل لتسوية الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي من خلال طرح مشروع سلام اقتصادي يركز تقديم تسهيلات وتحسينات اقتصادية يضمن عدم وجود دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران عام 1967، ويضمن إقامة علاقات اقتصادية وسياسية بين "إسرائيل" والدول العربية.

المبحث الثاني: مشاريع السلام الاقتصادي

بعد أن تعثرت عملية السلام وفشلها في التوصل إلى حل سياسي للقضية الفلسطينية وفشل مفاوضات الحل النهائي في كام ديفيد عام 2000 في عهد الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، تدرجت المحاولات الأمريكية بين المد والجزر وتعددت منافذها، ولكن في اتجاه واحد، وهو الحل الاقتصادي، إذ أن معظم المبادرات الأمريكية التي طرحتها لتسوية الصراع منذ العام 2000 وحتى الوقت الراهن ما هي إلا خطط ومبادرات ومشاريع اقتصادية بحتة، نوردها فيما يلي:

أولاً: خطة كيري الاقتصادية

هي مبادرة أمريكية أعلنها جون كيري وزير الخارجية الأمريكي في فعاليات المنتدى الاقتصادي العالمي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا الذي عقد على شواطئ البحر الميت في الأردن في 25 مايو/ أيار 2013، وسلمها رسمياً للسلطة الفلسطينية في شهر سبتمبر 2013، وتدرج الخطة في إطار بناء الثقة من أجل تهيئة أجواء مواتية لبدء المفاوضات واستمرارها، وهي تأتي أيضاً بعد نجاح كيري في بدء المفاوضات مع عدم وقف الاستيطان تامهياً مع الشروط الإسرائيلية ورؤيتها الراضة لإقامة دولة فلسطينية على حدود 1967، وعاصمتها القدس، والسيطرة على منطقة الأغوار، وفزاعة الاعتراف بالدولة اليهودية (العجلة، 2014، ص7).

1. أهداف خطة كيري الاقتصادية:

بينت خطة كيري الاقتصادية أن الهدف الأساسي لها هو تحفيز التغيرات والتحويلات وتسارعها في الاقتصاد الفلسطيني، فهي تهدف إلى تحفيز معدلات النمو الاقتصادي وشمولها كل الأراضي الفلسطينية، من خلال ضخ أربع مليارات دولار خلال ثلاث سنوات، تعمل على تحقيق الأهداف التالية:

- تخفيض معدلات البطالة بشكل كبير.
- زيادة مستوى دخل الأسرة الفلسطينية بشكل ملموس.
- تحقيق زيادة كبيرة في التدفقات الاستثمارية الداخلية والخارجية.
- تخفيض اعتماد السلطة الفلسطينية في موازنتها على المساعدات الخارجية.

ومن بين أهداف الخطة إحداث تحول باتجاه تمكين القطاع الخاص من قيادة عملية النمو والتطور الاقتصادي في الأراضي الفلسطينية، من خلال التركيز على تطوير الصناعات الرئيسية للقطاع الخاص،

واعتبرت الخطة أن تطوير قطاع غزة والمنطقة "ج" هو أهم أجزاء هذه الخطة وذلك من خلال تطوير البنية التحتية في مجال المياه والطاقة في المنطقتين، واستكمال مشاريع الصرف الصحي في وسط وشمال قطاع غزة، وإقامة مشاريع تحلية مياه البحر، وإنشاء محطة توليد كهرباء في الضفة الغربية، وكذلك التوسع في مجال البناء السكني، والتوسع في القطاع الزراعي وفي قطاع الصناعات الخفيفة، من خلال تخفيف الإجراءات الإسرائيلية، والاستثمار الخاص والمساعدات من الدول المانحة بما فيها المساعدة التقنية، وبما يشمل غزة والمنطقة "ج" في الضفة الغربية (العجلة، 2013، ص165).

2. مشاريع خطة كيري الاقتصادية:

حددت خطة كيري الاقتصادية ثمانية قطاعات اقتصادية في ضوء توجهات القطاع الخاص الفلسطيني وفي ضوء مساهمتها في توليد الناتج المحلي الإجمالي وخلق فرص العمل، وفي ضوء إمكانياتها لتحفيز النمو الاقتصادي في الأراضي الفلسطينية، وهي قطاع الزراعة، الإنشاءات، السياحة، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، الصناعات الخفيفة، مواد البناء، الطاقة، المياه (وتشمل المياه والصرف الصحي).

3. قراءة اقتصادية لخطة كيري الاقتصادية:

قد يبدو أن خطة كيري الاقتصادية تتضمن إيجابيات يمكن أن يستفيد منها الاقتصاد الفلسطيني من خلال المشاريع التي سوف تنفذ في القطاعات الثمانية، إلا أن هذه الإيجابيات يمكن تفريغها من محتواها كون هذه الخطة "المبادرة" ركزت على البعد الاقتصادي فقط، وأهملت البعد السياسي، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية ربطت الخطة مسألة تنفيذها بالتعاون والتنسيق الوثيق بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، إذ يجب على الجانب الإسرائيلي اتخاذ عدد من الإجراءات الواسعة والضرورية لتنفيذ الخطة، منها تسهيل الاستثمارات الفلسطينية الكبيرة في قطاعات الزراعة والسياحة والصناعة والإسكان في الضفة الغربية، بما فيها المنطقة "ج" والقدس الشرقية التي تخضع للسيطرة الإسرائيلية، والتعجيل في تنفيذ إقامة البنية التحتية في قطاعي المياه والطاقة في الضفة الغربية وقطاع غزة، والسماح لقطاع الاتصالات الفلسطيني باستخدام الطيف الكهرومغناطيسي والتكنولوجيا الحديثة الجيل الثالث والرابع وإعادة العلاقات التجارية الاستيراد والتصدير بين الضفة الغربية وقطاع غزة.

ومن ناحية ثالثة رأت الخطة ضرورة القيام بعدد من العوامل المساعدة والمهمة لتنفيذ هذه الخطة، مثل إصدار قانون الأراضي، وإصدار قانون الرهن والحجز العقاري، وتشكيل لجنة للتخطيط لمشاريع البنية التحتية، وتشكيل لجنة تنظيم الاتصالات، وتطوير وإصدار قانون الشراكة بين القطاع العام والخاص (اشتية، 2017، ص205).

لم تلق هذه الخطة أي نجاح، بل باءت بفشل ذريع، لمناقضتها، للوقائع القائمة، ومعطيات ومنطق الأحداث الجارية، وخاصة المتعلقة منها، بمجريات المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية، وما آلت إليه، وذلك لعدة أسباب، وهي:

- **السبب الأول:** تناقضت الممارسات الإسرائيلية والوقائع القائمة على الأراضي الفلسطينية مع خطة كيري الاقتصادية، فقد أحكمت إسرائيل سيطرتها على المناطق المسماة "ج" من مساحة الضفة الغربية، وعمدت إلى نهب مواردها الطبيعية مثل الغاز والنفط والمحاجر ومنتجات البحر الميت والثروة المائية وغيرها، مما قوّض فرص الاستثمار في هذه المناطق، والتي تعتبر المرتكز الأساسي التي تقوم عليه هذه الخطة. ولعل أغرب ما في هذه الخطة أنها ستسعى لدى إسرائيل لزيادة كمية المياه التي يتم بيعها للأراضي الفلسطينية وهي مياه فلسطينية تسيطر عليها بالقوة بدلاً من إعادتها للسيطرة الفلسطينية (اشتية، 2017، ص206).
- **السبب الثاني:** أفضت سياسة الاستيطان والاستيلاء الإسرائيلية إلى قضم أكثر من 80% من مساحة الضفة الغربية، وأبقت أقل من 20% للفلسطينيين، تشكل 12% فقط من مساحة فلسطين التاريخية، وتتوزع المساحة الباقية على ثمانية "كانتونات" غير متصلة جغرافياً، مما يحرم الفلسطينيين من إقامة دولتهم المنشودة (سعد الدين، الجزيرة نت، 2013م).
- **السبب الثالث:** لم تسع الخطة إلى إنهاء تبعية الاقتصاد الفلسطيني للاقتصاد الإسرائيلي، بل أبقت الهيمنة الإسرائيلية عليه بشكل واضح، كما لم توضح الآلية التي يمكن بواسطتها الوصول إلى الاستقلال المالي في ظل مواصلة سيطرة إسرائيل على المعابر والحدود والتجارة الخارجية، وحرية الحركة والتنقل، وشل الحياة في الضفة الغربية بجدار الفصل العنصري والطرق الالتفافية، وعزل مدينة القدس وحرمان السلطة الفلسطينية من عائداتها السياحية، وضرب حركتها التجارية (اشتية، 2017، ص206).
- **السبب الرابع:** اعتماد تنفيذ الخطة على الجانب الإسرائيلي، والذي يمثل ركناً أساسياً في ذلك، حيث افترضت الخطة موافقة إسرائيل على عناصر الخطة واستعدادها لتوفير التسهيلات المطلوبة لتنفيذها، وقد أوضح طوني بلير في مقال له حول الموضوع " أن تطبيق خطة كيري الاقتصادية سيتطلب التزاماً جليلاً واضحاً لا غبار عليه من قبل حكومة إسرائيل، فلسفة ومضموناً، سيعتمد نجاحها بشكل محتوم على تطبيق إجراءات إسرائيلية تسهيلية على نطاق كبير جداً، لا تزال فقط العوائق المادية أمام تطبيقها، بل تكسر الحواجز النفسية أمام المشككين بإمكانية نجاحها أو نجاح العملية السياسية ككل" (العجلة، 2014، ص12).

- **السبب الخامس:** أن إسرائيل ستكون المستفيد الأكبر في تنفيذ المشاريع التي تضمنتها الخطة، إذ أن معظم مدخلات الإنتاج والسلع والمواد الوسيطة التي ستدخل في تنفيذ هذه المشاريع سيتم استيرادها من إسرائيل، وسيكون الأثر الاستثماري لمثل هذه المشاريع ضعيفاً على الاقتصاد الفلسطيني مقارنةً مع أثره الكبير على الاقتصاد الإسرائيلي، وبالتالي لم تركز الخطة بشكل واضح على دعم القاعدة الإنتاجية للاقتصاد الفلسطيني التي تدعم استقلاله وإنهاء تبعيته للاقتصاد الإسرائيلي (اشتية، 2017، ص207).
- ويعتقد الباحث أن التركيز على البعد الاقتصادي في الخطة لم يكن كافياً لتحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة، خاصة وأنها لم تفتقر حرية الحركة وإزالة كافة القيود والعراقيل التي تقف عائقاً أمام تطور الاقتصاد الفلسطيني، كذلك لم تسمح بالتبادل التجاري الحر مع العالم الخارجي، وإنهاء احتكار إسرائيل للتبادل التجاري الحالي مع الأراضي الفلسطينية، مما يوحي أن هذه الخطة تندرج ضمن نظرية الأمن الإسرائيلي في إدارة الصراع وليس الحل، بما يعطي لإسرائيل المزيد من الوقت لفرض وقائع جديدة على الأرض، من خلال مصادرة مزيد من الأراضي الفلسطينية وتوسيع البؤر الاستيطانية في القدس والضفة الغربية واستغلال ما فيها من موارد اقتصادية.
- وبالتالي فإن خطة كيري للسلام لم تقدم في ثناياها رؤية جديّة لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، إنما حاولت تخدير الفلسطينيين وإلهائهم عن الأبعاد السياسية لها، التي تفوق بكثير أثارها الاقتصادية، لذلك فهي أقرب إلى إدامة الصراع وليس حله، مما يعني أن إقامة الدولة الفلسطينية وتحقيق سلاماً عادلاً وشاملاً سيبقى بعيداً جداً.

ثانياً: صفقة القرن

بعد وصول دونالد ترامب إلى سدة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن الترقب يدور فقط حول شكل السياسة الدولية أو ما سيحدث داخل الولايات المتحدة، بل كثر الحديث عن شيء يُجهز في دهاليز السياسة الأمريكية حول تسوية الصراع العربي – الإسرائيلي في الشرق الأوسط بعد نحو قرن من الزمن على وعد بلفور، وهو عبارة عن رؤية وتصور أمريكي لتسوية الصراع دأبت وسائل الاعلام عن وصفها بـ "صفقة القرن" ودخل هذا المصطلح دائرة التداول السياسي والإعلامي دون الإفصاح عن تفاصيلها ومضامينها وأطرافها، إلى أن بدأت تتكشف خيوطها من خلال الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الأمريكية قبل الإعلان عن الشق الاقتصادي منها في ورشة المنامة الاقتصادية التي عقدت في البحرين يومي 26-25 حزيران يونيو 2019، عرضت خلالها الجوانب الاقتصادية للخطة الاقتصادية، بمشاركة 39 دولة منها الدولة المضيفة البحرين، والسعودية ومصر والأردن، في حين قاطعت السلطة الفلسطينية تلك الورشة.

وتعتبر هذه الورشة التي انعقدت تحت عنوان "السلام من أجل الازدهار" المرة الأولى التي يعرض فيها جزء من صفقة القرن التي طال انتظارها، بشكل علني، علماً أنه لم يتم تحديد موعد للكشف عن الشق السياسي منها، والذي من المستبعد أن ينصّ على قيام دولة فلسطينية مستقلة، حيث أعلن كوشنير تفاصيل الخطة الاقتصادية الأمريكية في ورشة البحرين تحت عنوان "السلام من أجل الازدهار" وهي رؤية لتمكين الشعب الفلسطيني وبناء المجتمع، وكذلك رؤية جديدة للشعب الفلسطيني والشرق الأوسط الكبير، والتي تهدف الى تمكين الشعب الفلسطيني من بناء مستقبل أفضل له ولأبنائه(العجلة، 2019، ص2).

1. أهداف الخطة الاقتصادية الأمريكية

حددت الخطة الاقتصادية الأمريكية أربع أهداف رئيسية، وعلى مدى عشر سنوات وهي (الخطة الاقتصادية الأمريكية، 2019، ص6):

- مضاعفة الناتج المحلي الاجمالي الفلسطيني

- توفير أكثر من مليون فرصة عمل في الضفة الغربية وغزة

- خفض معدل البطالة الى ما يقارب أرقام أحادية

- خفض معدل الفقر الفلسطيني بنسبة 50%

2. مكونات الخطة الاقتصادية الأمريكية

تكونت الخطة من ثلاث مبادرات تدعم الركائز المتميزة للمجتمع الفلسطيني: الاقتصاد، الشعب، الحكومة (الخطة الاقتصادية الأمريكية، 2019، ص4):

- **المبادرة الأولى:** ستطلق العنان للإمكانيات الاقتصادية للفلسطينيين من خلال تطوير حقوق الملكية والعقود، وسيادة القانون، وتدابير مكافحة الفساد، والأسواق المالية، والهيكل الضريبي المؤيد للنمو، ومشروع تعرفه منخفضة الذي يقلل الحواجز التجارية، وتتصور هذه المبادرة إصلاحات سياسية مقرونة باستثمارات استراتيجية للبنية التحتية التي من شأنها تحسين بيئة الأعمال وتحفيز نمو القطاع الخاص: المستشفيات والمدارس والمنازل والأعمال التجارية سيتاح لها الوصول إلى خدمات الكهرباء والمياه النظيفة والخدمات الرقمية بأسعار ممكنة، وستتدفق مليارات الدولارات من الاستثمارات الجديدة إلى قطاعات مختلفة من الاقتصاد، وسيكون للشركات التجارية إمكانية الوصول لرؤوس الأموال وسيتم ربط الضفة الغربية وغزة بالشركاء التجاريين الرئيسيين بما فيها مصر وإسرائيل والأردن ولبنان،

ويمكن للنمو الاقتصادي الناتج عن ذلك أن ينهي أزمة البطالة الحالية ويحول الضفة الغربية وغزة إلى مركز غني بفرص العمل.

- **المبادرة الثانية:** ستمكن الشعب الفلسطيني من تحقيق طموحاته من خلال فرص تعليمية محلية جديدة قائمة على معطيات تعليمية ومعتمدة على نتائج، وتوسيع برامج التعليم من خلال شبكة الانترنت، وزيادة التدريب المهني والتقني وفتح آفاق التبادلات الدولية، وكذلك فإن هذه المبادرة ستعزز وتوسع مجموعة متنوعة من البرامج التي تسهم بشكل مباشر في رفاهية الشعب الفلسطيني وتضمن تمكن الطلاب من تحقيق أهدافهم الأكاديمية والاستعداد للانضمام للقوى العاملة.

وبنفس القدر من الأهمية سيتسنى الحصول على الرعاية الصحية الجيدة بشكل واسع، حيث سيتم تجهيز المستشفيات والعيادات الفلسطينية بأحدث التقنيات ومعدات الرعاية الصحية، وبالإضافة إلى ذلك فإن الفرص الجديدة للأنشطة الثقافية والترفيهية ستحسن من جودة معيشة الشعب الفلسطيني بداية بالحدائق والمؤسسات الثقافية ومروراً بالمرافق الرياضية والمكتبات، كل هذه المشاريع ستساهم في تحسين الحياة العامة في جميع أنحاء الضفة الغربية وغزة.

- **المبادرة الثالثة:** ستعمل على تعزيز الحوكمة الفلسطينية وتحسين قدرة القطاع العام على خدمة مواطنيه وتمكين نمو القطاع الخاص، وستدعم هذه المبادرة القطاع الفلسطيني العام في إجراء التحسينات والإصلاحات اللازمة لتحقيق النجاح الاقتصادي على المدى الطويل والالتزام بالتمسك بحقوق الملكية، وتحسين الإطار القانوني والتنظيمي للأعمال التجارية، واعتماد هيكل ضريبي موجه نحو النمو وقابل للتنفيذ، وتطوير أسواق رأسمالية ستؤدي إلى زيادة الصادرات والاستثمار الأجنبي المباشر، ومن شأن فرع قضائي عادل ومستقل أن يكفل حماية البيئة المواتية للنمو ويساهم في ازدهار المجتمع المدني، بالإضافة إلى النظم والسياسات الجديدة ستساعد على تعزيز شفافية الحكومة وقابلية خضوعها للمساءلة، وسيعمل الشركاء الدوليون على القضاء على اعتماد القطاع العام الفلسطيني على الجهات الواهبة ووضع الفلسطينيين على مسار تحقيق الاستدامة المالية على المدى الطويل، وسيجري تحديث المؤسسات وجعلها أكثر كفاءة لتيسير تقديم الخدمات الأساسية للمواطنين بأكبر قدر ممكن من الفعالية.

في إطار ما سبق يرى الباحث: أن ما تضمنته هذه المبادرات ما هي إلا وعود وردية، ترتبط بشكل أساسي على تدفق المليارات سواء على شكل منح ومساعدات خارجية أو على شكل قروض طويلة الأجل لتنفيذ هذه المبادرات، على صعيد المنح والمساعدات الخارجية تدل التجارب السابقة مع الجهات المانحة عدم الوفاء بالتزاماتهم المالية حيث هناك تباين واضح بين التعهدات المالية والصرف، وعلى صعيد القروض

طويلة الأجل تعاني الحكومة الفلسطينية من تزايد وارتفاع الدين العام وبالتالي أي قروض جديدة سوف تؤدي إلى زيادة الدين العام المرتفع أصلاً ، كما أشارت المبادرات إلى ما يسمى بـ"ركائز الدعم" (enablers)، وهي إجراءات تسهيلية يجب توفيرها لإنجاح تنفيذ هذه المبادرات وخاصة المشاريع العملاقة، مع العلم أن بعض هذه الركائز تخص إصلاحات فلسطينية داخلية، وبالتالي تغافلت عن الغالبية العظمى للركائز مرتبطة بالإجراءات التسهيلية التي تتحكم بها "إسرائيل"، بحكم العلاقة الاقتصادية التعاقدية مع الاحتلال الإسرائيلي في إطار اتفاقية أوسلو وبروتوكول باريس الاقتصادي، والذي بموجبه تم ربط الاقتصاد الفلسطيني بشكل قسري مع اقتصاد الاحتلال، بالإضافة إلى سيطرة الاحتلال الإسرائيلي الكاملة على 60% من أراضي الضفة الغربية المحتلة والتي تعرف بالمنطقة "ج" وسيطرة الاحتلال الإسرائيلي على شواطئ البحر في غزة والقدس الشرقية التي لازالت تحت الاحتلال الإسرائيلي.

3. المشاريع ومصادر التمويل

لتحقيق الأهداف وتنفيذ المبادرات الثلاثة رصدت الخطة عدداً من المشاريع بلغت نحو 213 مشروعاً، منها 32 مشروعاً لدول الجوار الثلاث (مصر والأردن ولبنان) والباقي (181) مشروعاً في الضفة الغربية وغزة.

وتستهدف الخطة جمع 50.670 مليار دولار، ستوزع على النحو الآتي (العجلة، 2019):

- الضفة الغربية وقطاع غزة 181 مشروع بقيمة 27.813 مليار دولار.

- مصر 12 مشروع بقيمة 9.167 مليار دولار.

- الأردن 15 مشروع بقيمة 7.365 مليار دولار.

- لبنان 5 مشاريع بقيمة 6.325 مليار دولار.

ويعتمد تمويل الخطة على ثلاث مصادر للتمويل وفقاً لما يلي:

- 13.380 مليار دولار منح ومساعدات.

- 25.685 مليار دولار قروضاً مدعومة.

- 11.6 مليار دولار من القطاع الخاص.

4. قراءة في تفاصيل الخطة الاقتصادية الأمريكية

لم تناقش الخطة حقوق الفلسطينيين بالاستقلال وزوال الاحتلال وعودة اللاجئين، بل عرضت "فرصاً وأنشطة ثقافية جديدة" من أجل إعادة تحسين نوعية الحياة للشعب الفلسطيني، كأن مشكلتهم بسبب ثقافتهم، وافترضت الخطة أيضاً خلال السنوات العشر القادمة استقرار الأوضاع الأمنية، وبالتالي لن تحدث انتفاضات ولا اضطرابات ولا حروب وهي السمة المميزة لهذه المنطقة، مما يعني أن كل المشاريع التي طرحت في الخطة لن يكتب لها النجاح عند اندلاع الحروب أو حدوث انتفاضة، وعليه فهي ليست أكثر من بيع للوهم وفي أحسن الأحوال بيع السمك في البحر (حلس، 2019، ص10).

كما هدفت الخطة إلى مضاعفة الناتج المحلي الإجمالي دون أن توضح أن مضاعفة الناتج المحلي سيكون بالأسعار الجارية أو الثابتة؟ وبالتالي فقد أغفلت عن عمد نسبة التضخم التي ستسود في الضفة الغربية والقطاع جراء زيادة كمية عرض النقود بالأرقام التي ستضخ لتنفيذ المشاريع الخاصة بالمبادرات الثلاثة، وكذلك تخفيض معدلات البطالة لتصل إلى معدلات أحادية وتخفيض معدلات الفقر بنسبة 50% وتوفير مليون فرصة عمل، مما يشير إلى أن هذه الأهداف غير واقعية وتفتقد للمهنية، خاصة وأن توفير مليون فرصة عمل (يعني إعالة خمسة ملايين أسرة بافتراض أن العامل يعيل أسرة مكونة من خمسة أفراد) وهذا الرقم قريب جداً من إجمالي عدد السكان الفلسطينيين في الضفة والقطاع والمقدر بنحو 5.8 مليون نسمة، فالبطالة والفقر في هذه الحالة ستتلاشى وليس فقط ستخف (حلس، 2019، ص11).

ويضاف إلى ذلك أن الجزء الأكبر من تمويل الخطة عبارة قروض بفوائد بنسبة (51%) من المبلغ الإجمالي يليه المنح والمساعدات بنسبة (26%) دون تحديد حصة كل دولة، ومن ثم القطاع الخاص بنسبة (23%)، وهذا يعني أن فلسطين ومصر والأردن ولبنان ستزداد مديونيتها للعالم الخارجي بنسبة القروض مما سيرتب عليها زيادة عبء خدمة الدين وبالتالي ارهاق الموازنات العامة (العجلة، 2019).

ولعل أخطر ما في الخطة أنها لم تتطرق أو تشير لا من قريب أو من بعيد إلى القرارات الدولية كلها والاتفاقيات التي تم توقيعها بدءاً من مدريد وأوسلو وباريس وكامب ديفيد وواي ريفر مروراً بالعقبة وشرم الشيخ وأنابوليس وكأنها غير موجودة ولم يوقع عليها كل رؤساء وزارات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بما فيهم نتنياهو نفسه والعديد من رؤساء العالم وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا يعني شطبها كلها وكأنها لم تحدث وغير قائمة، وبالتالي تهدف الخطة إلى دفن وطمس مرحلة كاملة تزيد عن ربع قرن، من خلال وأد الشرعية الدولية وتجاهل الاتفاقيات الموقعة وكأنها غير موجودة (حلس، 2019، ص12).

ثالثاً: الموقف الفلسطيني من مشاريع السلام الاقتصادي

هناك إجماع كامل من قبل القوى السياسيّة والاقتصاديّة الفلسطينيّة (القيادة الفلسطينيّة والفصائل الفلسطينيّة ومؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني ورجال الأعمال الفلسطينيين) لمشاريع لسلام الاقتصادي ترحم على أرض الواقع برفض خطة كيري الاقتصاديّة وكذلك ورشة البحرين الاقتصاديّة ورفض مخرجاتها ورفض كافة الإجراءات والقرارات الأمريكيّة الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينيّة، عبر بوابة السلام الاقتصادي.

وفي هذا السياق أكد رئيس الوزراء الفلسطيني د. محمد اشتية خلال الجلسة الأسبوعية لمجلس الوزراء " رفضه المطلق لما أعلنت عنه الإدارة الأمريكيّة عن عقد ورشة عمل البحرين للإعلان عن الشق الاقتصادي من صفقة القرن وشدد، على أن حل القضية الفلسطينيّة سياسي، ويتمثل بإنهاء الاحتلال وتمكيننا من السيطرة على مواردنا، وبناء اقتصاد مستقل.

وأضاف أن من يرد تحقيق السلام والازدهار للشعب الفلسطيني، فعليه أن يدعو إسرائيل لوقف سرقة أرضنا وقرصنة أموالنا والاستيلاء على مواردنا الطبيعيّة ومقدراتنا، وليفرض عليها إنهاء احتلالها ووقف الاستيطان والتخلص من تبعاته وفك الحصار عن قطاع غزة والالتزام بما يمليه القانون الدولي والقرارات الدوليّة (وفا، 2019).

ويرى الباحث أن القيادة الفلسطينيّة تمكنت من خلال رفضها لمشروع السلام الاقتصادي وتحديدًا مشروع "صفقة القرن" من وقف الموجة الأمريكيّة والإسرائيليّة، لتصفية القضية الفلسطينيّة وإحباطها، وأجبرت صانعيها ومروجيها على تأجيل الإعلان عنها أكثر من مرة، وربط الكشف عن طبيعة وتفاصيل الصفقة بمصير نتيناهو وصعود ترامب إلى ولاية ثانية.

وقد ارتكز موقف القيادة الفلسطينيّة على الرفض الشعبي الفلسطيني لما تسرب وشرح عن الصفقة وما تحمل في طياتها من مخاطر جمة على القضية الفلسطينيّة، وما سبقها ولحقها من قرارات الإدارة الأمريكيّة، وكذلك على الدعم والتأييد من قبل بعض الدول العربيّة وعلى رأسها جمهورية مصر العربيّة والمملكة الأردنيّة الهاشميّة، بالإضافة إلى الدعم الدولي وتمسك غالبية عظمى من الدول الكبرى خاصة والتي ترفض تغيير مبادئ الحل السياسي القائم على مبدأ الأرض مقابل السلام، بالحل الاقتصادي "السلام الاقتصادي" القائم على مبدأ الأمن مقابل الازدهار الاقتصادي.

المبحث الثالث: مخاطر السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية

إنّ طرح المشاريع والمبادرات الاقتصادية في إطار السلام الاقتصادي بمعزل عن الحل السياسي والشامل لتسوية الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي له عواقب مضرّة على القضية الفلسطينية نتيجة تجاهل الإدارة الأمريكية المتعمد لحقوق الشعب الفلسطيني وتطلعاته الوطنية، في بناء دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على حدود الرابع من حزيران 1967 وعاصمتها القدس وضمان حل عادل ومنصف لعودة اللاجئين الفلسطينيين.

ومن خلال ما تم استعراضه من مشاريع السلام الاقتصادي (خطة كيري الاقتصادية والخطة الاقتصادية الأمريكية: السلام من أجل الازدهار) يمكن تلخيص مخاطر السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية في النقاط التالية:

أولاً: مصير القدس

يعتبر مصير القدس أخطر ما يتضمنه مشروع السلام الاقتصادي، حيث سبق الإعلان عن الشق الاقتصادي لصفقة القرن اعتراف إدارة ترامب في ديسمبر/ كانون الأول 2017 بمدينة القدس موحدة بقسميها الشرقي والغربي عاصمة لإسرائيل، وقامت بالفعل بنقل سفارتها إلى المدينة، في مايو/أيار 2018 بهدف حسم مصيرها قبل أية مفاوضات مستقبلية مع تأكيد السيادة الإسرائيلية على كامل المدينة بلا منازع، وقد أشارت وسائل الاعلام الإسرائيلية إلى أن الخطة الأميركية للحل تقوم على تقسيم مدينة القدس مع احتفاظ إسرائيل بالسيادة على القدس الغربية وبعض الأجزاء من القدس الشرقية بما يشمل البلدة القديمة ومحيطها مع وجود إدارة مشتركة تضم إسرائيل، والفلسطينيين والأردن، وربما دولاً أخرى، وبدلاً من مدينة القدس، فإن الخطة الأميركية تطمح إلى منح الفلسطينيين عاصمة في بلدة أبو ديس، التي تبعد حدودها الغربية فقط كيلومتريين عن المسجد الأقصى (جراعبة، 2019، ص2)، وبذلك تقضي الخطة الأميركية على الحلم الفلسطيني المرتبط بمدينة القدس، وحتى القدس الشرقية، كعاصمة لدولة فلسطين وفق قرارات قمة بيروت 2002 ومبادرة السلام العربية (دلول وشراب، 2021، ص198).

ثانياً: دعم الاستيطان

تجاهلت الإدارة الامريكية الحالية قضية الاستيطان ليس ذلك فحسب بل تقاسمت مع الحكومة الإسرائيلية في اتخاذ موقف موحد تجاه عدم معارضة التوسع الاستيطاني في الضفة الغربية، فعلى عكس إدارة الرئيس، باراك أوباما، الذي سمح في آخر أيام إدارته بإصدار قرار يطالب اسرائيل بوقف الاستيطان

فوراً بتأييد 14 دولة من الدول الأعضاء في مجلس الأمن مع امتناع الولايات المتحدة عن التصويت للمرة الأولى منذ 1979، وبالتالي لم تعد الإدارة الأميركية الحالية ترى في الاستيطان أي مخالفة للقانون الدولي أو عقبة تقف أمام استئناف المفاوضات الثنائية ما بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي وتحقيق السلام؛ ويعتبر تصريح وزير الخارجية الأمريكي بومبيو بتاريخ 18 نوفمبر / تشرين الثاني 2019 ترجمة لهذا الموقف المنحاز بشكل مطلق مع الاحتلال والداعم للاستيطان، والذي أشار فيه إلى أن "الولايات المتحدة خلصت إلى أن إقامة المستوطنات للمدنيين الإسرائيليين في الضفة الغربية لا يعتبر بحد ذاته مخالف للقانون الدولي، وأن المستوطنات المدنية تخالف القانون الدولي أمر لم تثبت نجاعته ولم يساعد في تحقيق السلام" (المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، 2019).

ويتناقض هذا الموقف بشكل كامل مع قرار مجلس الأمن الدولي رقم (2334)، لسنة 2016، والذي صدر دون اعتراض من الإدارة الأميركية، وأكد في بنده الأول أن "إقامة إسرائيل للمستوطنات على الأرض الفلسطينية المحتلة عام 1967 بما فيها القدس الشرقية، ليس له أي قيمة قانونية، ويمثل انتهاك صارخ للقانون الدولي وعقبة في طريق تحقيق حل الدولتين وسلام عادل ودائم وشامل" (المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، 2019).

وقد أظهرت التسريبات التي سبقت الاعلان عن الخطة الاقتصادية في البحرين والمتعلقة بالاستيطان أن الرؤية الأميركية تقوم على تقسيم المستوطنات إلى ثلاث مجموعات؛ تشمل المجموعة الأولى الكتل الاستيطانية الكبرى والتي ستضمها إسرائيل إليها، والثانية هي المستوطنات النائية التي لن يُسمح لها بالتوسع، والثالثة هي المستوطنات العشوائية التي سيتوجب إخلاؤها، ولكن، من الناحية العملية، يبدو أن إسرائيل تتجه إلى ضم مناطق أوسع من المستوطنات تحت سيادتها وليس فقط المستوطنات الكبرى (جريدة وين شطريت، 2019، ص6).

كما أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بتاريخ 11 يوليو / تموز 2017 بأن سياسة حكومته تجاه الضفة الغربية تستند إلى أن هذه الأرض "جزء من بلدنا ووطننا إسرائيل"، "وسوف نستمر في تطوير وبناء هذه المنطقة (تكثيف الاستيطان الاستعماري)، وفي أي تسوية مستقبلية لن يتم اقتلاع أي مستوطنة أو إخلاء أي مستوطن من منزله، وسواء أكان هناك اتفاق أو لم يكن فإن الأراضي الواقعة غربي نهر الأردن بما في ذلك غور الأردن ستكون تحت السيطرة الإسرائيلية" (عريقات، 2019، ص3).

ثالثاً: عرقلة عمل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) للتخلص من حق العودة

اتهمت إدارة ترامب وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين - الأونروا بأنها مؤسسة "معيبة بشكل لا يمكن إصلاحه" (أهرين، 2018)، وأنها تعمل على إدامة أزمة اللاجئين عن طريق توفير الخدمات الأساسية لهم بدلاً من العمل على إعادة توطينهم بشكل دائم في مكان آخر، أي في الدول التي تستضيفهم. ففي رسائل بريد إلكترونية داخلية مسربة من جاريد كوشنير إلى زميله، جيسون غرينبلات، ظهرت نية الإدارة الأميركية بالعمل على بذل مجهودات لعرقلة عمل الأونروا ونشاطاتها (جراعبة، 2019، ص4).

وقد بدأت الولايات المتحدة الأميركية بتطبيق ذلك بالفعل في عام 2018 وذلك عن طريق قطع مساعداتها المالية للوكالة؛ حيث سحبت الولايات المتحدة 300 مليون دولار من قيمة تمويلها وهو ما سبب أزمة مالية غير مسبوقه للوكالة ووضع نشاطاتها في كافة أقاليم العمليات في دائرة الخطر، لولا المساعدات الطارئة التي استطاعت الوكالة تجنيدها.

يذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية، على مدى عقود، كانت تعتبر المساهم الأول في موازنة الأونروا، بنسبة تصل نحو 30%؛ حيث بلغت مساهمتها في العام 2017 حوالي 350 مليون دولار، تراجعت في العام 2018 إلى 65 مليون دولار فقط. وقد تسبب هذا القرار بمفاقمة الأزمة المالية التي كانت تعاني منها وكالة "أونروا" أصلاً؛ وهو ما دفعها إلى اتخاذ قرارات عدة أدت إلى تقليص خدماتها في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، والتي تشمل خدمات قطاعات التعليم والرعاية الصحية والإغاثة والخدمات الاجتماعية والبنية التحتية وتحسين المخيمات والحماية والإقراض الصغير (معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني - ماس، 2019).

لم تكتف الولايات المتحدة بوقف تمويل وكالة الأونروا، بل تعمل -وبالتعاون مع إسرائيل- على تفكيكها ونقل صلاحياتها لهيئات أممية أخرى للقضاء على حق العودة وذلك عن طريق إعادة تعريف من هو اللاجئ الفلسطيني، حيث يتهم الطرفان، الأميركي والإسرائيلي، وكالة الأونروا بمساعدة الفلسطينيين في إدامة روايتهم المتعلقة بالصراع وأسبابه وذلك عن طريق توريث مكانة اللاجئ لنسل اللاجئين، حتى أولئك الذين يتمتعون بجنسية دول أخرى وهو ما أدى إلى مضاعفة أعداد اللاجئين أكثر من مرة خلال العقود الماضية، فقد تم إنشاء الأونروا لخدمة اللاجئين الفلسطينيين حصراً وهي تعتبر أن جميع اللاجئين وأحفادهم يندرجون ضمن إطار اختصاصاتها ومسؤوليتها القانونية، وهذا بالتحديد ما تحاول تل أبيب وواشنطن تغييره حالياً.

رابعاً: تشجيع الدول العربية للتطبيع والتحالف مع إسرائيل

وجود ورشة البحرين على أرض عربية يشجع الإدارة الأمريكية على الاستمرار في طرح مثل هذه المشاريع التي تنتقص من حقوق شعبنا الفلسطيني، ويشجع الاحتلال للاستمرار في عدوانه، كما يؤكد رواية اليمين الإسرائيلي على أنه يمكنه أن يطبع مع دولة عربية بدون أن يقدم لشعبنا حقوقه.

كما أن ورشة البحرين شجعت الدول العربية للاتجاه نحو التطبيع ووفرت أرضية جديدة لإعادة تشكيل حضور "إسرائيل" في المنطقة، ليس من خلال جعلها طبيعية فقط، بل وأيضاً حليفة مركزية تساهم في استقرار الأنظمة العربية المشاركة وبقائها، حيث أصبحت فلسطين في هذه الحالة مجرد منتج عرضي؛ من السهل التضحية به في سبيل هذا السعي للحفاظ على العروش في ظل الخطر الإيراني (متراس، 2019).

ويشكل التطبيع العربي مع "إسرائيل" خروج وعدم التزام من الدول العربية المطبوعة مع "إسرائيل" بالمبادرة العربية للسلام، الأمر الذي أضعف الموقف الفلسطيني والعربي على حد سواء، وزاد من نفوذ إسرائيل في المنطقة، وهنا تكمن الخطورة على القضية الفلسطينية، حيث بدلاً من أن تتجه الدول العربية نحو تبني الموقف الفلسطيني ودعم قضيته العادلة اتجهت نحو التطبيع قبل التوصل إلى اتفاق لتسوية الصراع وحل للقضية الفلسطينية (خلف الله، 2021، 231).

خامساً: تهديد القيادة الفلسطينية

من مخاطر السلام الاقتصادي انها تمثل تهديداً للقيادة الفلسطينية في حال عدم القبول به، حيث وجهت الإدارة الأمريكية تهديداً مباشراً للقيادة الفلسطينية خلال ورشة البحرين الاقتصادية، عندما أعلن كوشنير في الورشة " في حال قبول القيادة الفلسطينية لما سوف نطرح فهي قيادة واقعية ومؤهلة لقيادة الشعب الفلسطيني، وفي حال رفضها فهي قيادة فاسدة وغير مؤهلة للحكم، تمهيداً (لتغيير النظام السياسي الفلسطيني)، أي محاولة اسقاط منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني والبحث عن قيادة بديلة لتنفيذ صفقة القرن" (عريقات، 2019، ص19).

سادساً: تجاوز مبادرة السلام العربية

يعتبر السلام الاقتصادي تجاوزاً صريحاً لمبادرة السلام العربية، حيث تجاوزت الإدارة الأمريكية بشكل متعمد خلال طرحها الخطة الاقتصادية في ورشة البحرين مبادرة السلام العربية السعودية التي تبنتها الدول العربية في قمة بيروت عام 2002، المبادرة التي لم تعبأ بها "إسرائيل" وأخذت في فرض المزيد من الحقائق على الأرض لإقامة نفوذها على كامل فلسطين، حقائق على الأرض تنفي أية إمكانية لتطبيق مثل

هكذا مبادرة، إذ أن "إسرائيل" مسحت بشكل نهائي الفكرة القائمة على إقامة دولة فلسطينية في حدود 67، وأخذت في التوسع في إقامة المستوطنات في الضفة الغربية بشكل غير مسبوق، بجانب أنها تطمح لضم المناطق "ج" والتي تشكّل ما يزيد عن 60% من مساحة الضفة الغربية. بموازاة ذلك، تُعمّق "إسرائيل" سيطرتها على شرقي القدس، وتزيد ربطها بغربي المدينة، بمشاريع اقتصادية-اجتماعية ومشاريع بنية تحتية وقبضة أمنية مشددة إلى الشمال، مرّ الاعتراف الأميركي بضم الجولان بسهولة مفرطة، كل ذلك يثبت أنّ حقائق القوة أهمّ من حقائق الشرعية.

أمام هذا المشهد لم يتراجع العرب عن مبادرة السلام بل نسوها بكل بساطة، وهم اليوم لا يعرضون "مبادرة" على الفلسطينيين بل يطلبون منهم الاستسلام، لأن الأولوية اليوم اتخذت شكلاً واضحاً بالنسبة لهم؛ رؤية إيران كعدو أساسي، ومصالح تتشكل على وقع ثورات الشعوب العربية 2011، إذ بعد ذلك العام بدأت الأنظمة الجمهورية تنهوى تباعاً تحت وطأة الموجات الشعبية المطالبة بكرامتها، فيما أخذت الأنظمة الملكية على عاتقها التصدي لهذا الجديد؛ تكفّلت الملكيات في قيادة الثورة المضادة ودعمها، وهي نفسها التي تقود اليوم مهمة جعل "إسرائيل" طبيعية، بل وأكثر من ذلك التحالف معها ضدّ الفلسطينيين وضدّ شعوبها أيضاً (متراس، 2019).

المبحث الرابع: النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

في ضوء تحليل أهداف وتفاصيل مشاريع السلام الاقتصادي ومناقشة أبعادها ومخاطرها على القضية الفلسطينية، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

1. إنّ طرح المشاريع والمبادرات الاقتصادية في إطار السلام الاقتصادي بمعزل عن الحل السياسي والشامل لتسوية الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي له مخاطر كبيرة على القضية الفلسطينية نتيجة تجاهل الإدارة الأمريكية المتعمد لحقوق الشعب الفلسطيني وتطلعاته الوطنية، في بناء دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على حدود الرابع من حزيران 1967 وعاصمتها القدس وضمان حل عادل ومنصف لعودة اللاجئين الفلسطينيين.
2. مشاريع السلام الاقتصادي لم تقدّم في ثناياها رؤية جديّة لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، إنّما محاولات أمريكية إسرائيلية لتخدير الفلسطينيين وإلهائهم عن الأبعاد السياسية، التي تفوق بكثير الآثار

الاقتصادية، لذلك فهي أقرب إلى إدامة الصراع وليس حلّه، ممّا يعني أنّ إقامة الدولة الفلسطينية وتحقيق سلاماً عادلاً وشاملاً سيبقى بعيداً جداً.

3. أن مشاريع السلام الاقتصادي سواء خطة كيري الاقتصادية أو صفقة القرن على حد سواء هي محاولات أمريكية إسرائيلية لتميرir الأطماع الإسرائيلية إلى إقامة علاقات اقتصادية وتحالفات استراتيجية مع الدول العربية (التطبيع) دون التوصل إلى حل وتسوية الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي بشكل نهائي.

4. هناك إجماع كامل من قبل القوى السياسية والاقتصادية الفلسطينية (القيادة الفلسطينية والفصائل الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني ورجال الأعمال الفلسطينيين) لرفض مشاريع لسلام الاقتصادي ترجم على أرض الواقع برفض خطة كيري الاقتصادية وكذلك ورشة البحرين الاقتصادية ورفض مخرجاتها ورفض كافة الإجراءات والقرارات الأمريكية الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية، عبر بوابة السلام الاقتصادي.

5. إنّ مشاريع السلام الاقتصادي هي تجاوز صريح لمبادرة السلام العربية، التي تبنتها الدول العربية في قمة بيروت عام 2002 ووافقت عليها السلطة الفلسطينية ورفضتها "إسرائيل".

ثانياً: التوصيات

على الرغم من الاجماع الفلسطيني من كافة القوى والسياسية والاقتصادية لرفض مشاريع السلام الاقتصادي ومخرجاتها وما يتضمن من إغراءات مالية وتسهيلات اقتصادية للقبول بفكرة الحل الاقتصادي، إلا أن الرفض وحده لا يكفي، وبالتالي تقدم الدراسة مجموعة من التوصيات، وهي عبارة عن سلسلة من الإجراءات التي تندرج في سياق الخيارات الفلسطينية لمواجهة المخطط الأمريكي - الإسرائيلي الهادف إلى تصفية القضية الفلسطينية وذلك للحفاظ على المشروع الوطني الفلسطيني، تتمثل فيما يلي:

1. السعي جدياً لإنهاء حالة الانقسام الفلسطيني من خلال اتمام ملف المصالحة واستعادة قطاع غزة وإزالة أسباب الانقسام ومعالجة آثاره الكارثية واتخاذ موقف فلسطيني موحد تجاه مواجهة مخاطر السلام الاقتصادي على القضية الفلسطينية.

2. التأكيد على رفض تسوية الصراع من بوابة الحل الاقتصادي القائم على مبدأ الازدهار مقابل استمرار الاحتلال والتمسك بالحل السياسي القائم على مبدأ الأرض مقابل السلام والذي يضمن إنهاء الاحتلال الإسرائيلي وتجسيد استقلال دولة فلسطين بعاصمتها القدس الشريف على حدود الرابع من حزيران عام

1967 وحل قضايا الوضع النهائي كافة وعلى رأسها قضية اللاجئين استناداً لقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة.

3. البدء الفوري في تحديد العلاقات السياسية والأمنية والاقتصادية مع سلطات الاحتلال (إسرائيل) وتنفيذ قرارات المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية (إنهاء العمل بالاتفاقيات الموقعة مع إسرائيل، ووقف التنسيق الأمني، وانفكاك التبعية مع اقتصاد الاحتلال)، على أن يتم ذلك بشكل متدرج وضمن استراتيجية وطنية شاملة تركز إلى المصالح العليا للشعب الفلسطيني.

4. تكثيف العمل الدبلوماسي للحصول على العضوية الكاملة لدولة فلسطين في الأمم المتحدة لتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني، وزيادة التحرك دولياً في اتجاه الحصول على اعترافات بدولة فلسطين من الدول التي لم تعترف.

5. العمل على إطلاق حملة دولية للتصدي لأي حل اقتصادي بمعزل عن الحل السياسي يشارك فيها كل مكونات الشعب الفلسطيني والتشبيك مع الأحزاب والحركات والشخصيات العربية والدولية.

6. العمل على إطلاق حملة اعلامية والكترونية لمواجهة التطبيع العربي مع الاحتلال، تخاطب فيها المواطن العربي بأن أي محاولة للتطبيع مع الاحتلال يعتبر بمثابة طعنة في الظهر الفلسطيني واستباحة للدماء الفلسطينية ومكافأة لجرائم الحرب التي يرتكبها الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني.

7. رفض أي تعديل على مبادرة السلام العربية التي تبنتها الدول العربية في قمة بيروت عام 2002، أو أي تغيير على قرارات القمة العربية التي عقدت في الظهران – السعودية (قمة القدس) في عام 2018، وقمة تونس عام 2019، والتي تم الاتفاق فيهما على أن المبادرة العربية عام 2002 هي الأساس في تسوية الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب

1. أبو كريم، منصور، الحل الإقليمي من منظور الأحزاب الإسرائيلية في ضوء التحولات الإقليمية، ضمن كتاب: أثر السلام الاقتصادي على الصراع العربي – الإسرائيلي، (برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2019).

2. اشتبه، محمد، الاقتصاد الفلسطيني: حصار عوامل الانتاج، (القدس: المجلس الاقتصادي الفلسطيني للتنمية والإعمار – بكدار، 2017).
3. جرار، منتصر وأسعد، أحمد عز الدين، الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة صفقة القرن وما بعدها، (رام الله: مركز الأبحاث الفلسطيني، 2019).
4. العجلة، مازن، مناقشة لأهداف خطة كيري الاقتصادية، سلسلة قراءات استراتيجية: المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية خطة كيري الاقتصادية، العدد الثالث عشر، (غزة: مركز التخطيط الفلسطيني، 2014).
5. الفاضي، جمال، تداعيات مفهوم السلام الاقتصادي على مستقبل القضية الفلسطينية، ضمن كتاب: أثر السلام الاقتصادي على الصراع العربي – الإسرائيلي، (برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2019).
6. مصطفى، مهند، إسرائيل والبيئة الإقليمية: التحولات الاستراتيجية والمسألة الفلسطينية، (رام الله: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية – مسارات، 2016).
7. هديب، ماجد، السلام الاقتصادي: واقع وآفاق، ضمن كتاب: أثر السلام الاقتصادي على الصراع العربي – الإسرائيلي، (برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2019).

ثانياً: الأبحاث والدراسات

8. البطش، جهاد، مشاريع التسوية الأمريكية في الشرق الأوسط 1989-2017م: الدوافع والأهداف، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 272، (رام الله: مركز الأبحاث الفلسطيني، صيف 2018).
9. جرابعة، محمود وبن شطريت، ليهي، الانتخابات الإسرائيلية 2019: التفاعلات الداخلية والانعكاسات الخارجية، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2019).
10. جرابعة، محمود، صفقة القرن: السلام بلا فلسطينيين وبشروط إسرائيلية، (الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2019).
11. حلس، رائد، السلام الاقتصادي وصفقة القرن وفق نظرية الأمن الإسرائيلي، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 270، (رام الله: مركز الأبحاث الفلسطيني، شتاء 2017).

12. خلف الله، بهاء الدين، تداعيات التطبيع العربي الإسرائيلي على القضية الفلسطينية في ظل الانقسام السياسي الفلسطيني، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد الأول، العدد الأول، (غزة: مركز ابن العربي للثقافة والنشر، 2021).
13. دلول، أحمد وشراب، فهمي، مستقبل مدينة القدس في ظل التطبيع الخليجي مع الاحتلال الإسرائيلي، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد الأول، العدد الأول، (غزة: مركز ابن العربي للثقافة والنشر، 2021).
14. العجلة، مازن، خطة كيري الاقتصادية: الأهداف، المضامين والأبعاد، مجلة مركز التخطيط الفلسطيني، العدد 39، (غزة: مركز التخطيط الفلسطيني، 2013).
15. القدوة، ناصر، القضية الفلسطينية والحالة العربية، مجلة الدراسات الفلسطينية العدد 120، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2019).
16. قرش، محمد خضر، أثر اتفاقية باريس الاقتصادية على التجارة الخارجية الفلسطينية، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 257، (رام الله: مركز الأبحاث الفلسطيني، صيف 2014).
17. هلال، جميل، المشروع الإسرائيلي للنظام الإقليمي، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 6، العدد 22، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1995).

ثالثاً: أوراق العمل

18. حلس، رائد، تداعيات صفقة القرن على المشروع الوطني الفلسطيني، ورقة عمل مقدمة إلى ورشة العمل: القضية الفلسطينية ما بين وعد بلفور و صفقة القرن، (غزة: مؤسسة ياسر عرفات، 2019).
19. الخطة الاقتصادية الأمريكية، من السلام إلى الازدهار: رؤية جديدة للشعب الفلسطيني، ورقة عمل قدمها كوشنير في ورشة البحرين الاقتصادية (المنامة: 2019).
20. العجلة، مازن، قراءة في الخطة الاقتصادية الأمريكية " السلام من أجل الازدهار " من منظور الاقتصاد السياسي، ورقة مقدمة لورشة عمل الخطة الاقتصادية الأمريكية " السلام من أجل الازدهار"، (غزة: مركز التخطيط الفلسطيني، 2019).
21. عريقات، صائب، ماذا طرح في ورشة عمل المنامة؟ وماذا بعدها؟، دراسة رقم (25) مقدمة إلى المجلس الثوري لحركة فتح (رام الله: المجلس الثوري لحركة فتح، شباط – تموز 2019).

22. معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني- ماس، قطع المساعدات الأمريكية المقدمة للفلسطينيين: الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية وسبل مواجهتها، ورقة خلفية –جلسة طاولة مستديرة (2)، (رام الله، 2019).

رابعاً: المواقع الإلكترونية

23. أهرين، رفائيل، مدير مكتب الأونروا في نيويورك: أذاع عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين والإسرائيليين سوية، تايمز أوف إسرائيل، 10 أكتوبر/تشرين الأول 2018، الموقع الإلكتروني: <https://ar.timesofisrael.com>.

24. سعد الدين، نادية، السلام الاقتصادي الإسرائيلي خطة كيري الاقتصادية: وقائع مضادة، (الدوحة: الجزيرة نت، 7 يوليو 2013)، الموقع الإلكتروني: <http://www.aljazeera.net>.

25. متراس، ورشة البحرين: من التطبيع مع "إسرائيل" إلى التحالف معها، 26 يونيو / حزيران 2019، الموقع الإلكتروني: <https://metras.co>.

26. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية – وفا، محتوى ورشة البحرين هزيل ومخرجاتها عقيمة وعدم مشاركتنا أسقط الشرعية عنه، 24 يونيو / حزيران 2019، الموقع الإلكتروني: <http://wafa.ps>.

27. المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، تصريحات بومبيو بشأن الاستيطان ازدراء للقانون الدولي وتدمير كامل لفرص السلام، 19 نوفمبر / تشرين الثاني 2019، الموقع الإلكتروني: <https://pchrgaza.org>.

خامساً: المراجع الأجنبية:

28. Shimon, **The New Middle East**, (Dorset: Element Books, 1993). Peres,

29. Bellin, Yossi, **A Vision of the Middle East**, (Tokyo, December 15, 1993).

سادساً: المقابلات:

30. جمال البابا: باحث ومختص في الجغرافيا السياسية وشؤون المفاوضات بمركز التخطيط الفلسطيني – غزة، 29 سبتمبر / أيلول 2019.

أثر الإدارة الإلكترونية على أداء العاملين دراسة ميدانية على المصارف التجارية العاملة بمدينة الأبيض - 2021م

*The impact of electronic management on the performance of
employees, a field study on commercial banks operating in the city
of El-Obeid - 2021*

إعداد:

د. الخير عمارة محمد علي عامر؛ أستاذ إدارة الأعمال المساعد، كلية الاقتصاد والدراسات التجارية
بجامعة كردفان، السودان

د. محمد مختار إبراهيم أحمد؛ أستاذ إدارة الأعمال المشارك، كلية الاقتصاد والدراسات التجارية
بجامعة كردفان، السودان

Prepared by:

Dr. Elkheir Amara Mohammedali Aamir: Assistant Professor of Business Administration, Faculty of Economics and Business Studies, University of Kordofan, Sudan

Dr. Mohammed Muktar Ibrahim Ahmed: Associate Professor of Business Administration, Faculty of Economics and Business Studies, University of Kordofan, Sudan

المستخلص:

هدفت الدراسة إلي بيان أثر استخدام التجارة الإلكترونية في المصارف عينة الدراسة، وإبراز دورها في أداء العاملين، وتحديد طبيعة العلاقة بين عناصرها (الشبكات، البرمجيات، الأجهزة والمعدات) وكفاءة وفاعلية أداء العاملين. افترضت الدراسة: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإدارة الإلكترونية وتحسين أداء العاملين بالمنظمة. تم استخدام والمنهج الوصفي والتحليلي، وتم جمع البيانات الخاصة بالدراسة من خلال تصميم استبانة. وتم اختيار عينة عشوائية بسيطة مكونة من (110) عامل يمثلون (48%)، توصلت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بين الأجهزة والمعدات والكفاءة. توجد علاقة إيجابية جزئية بين الإدارة الإلكترونية والفاعلية. لا توجد علاقة بين شبكات الاتصال والفاعلية. لا توجد علاقة بين البرمجيات والفاعلية. أوصت الدراسة بتوفير برمجيات تساهم في اتخاذ القرارات وحل المشكلات وإعداد التقارير الإدارية. ترقية جميع البرمجيات المستخدمة في المصرف. توفير الشبكات التي تعمل على تحديث أسلوب الإدارة لتسهيل العمل الإداري بالمصرف.

الكلمات المفتاحية: الأجهزة والمعدات، الشبكات، الكفاءة، الإدارة الإلكترونية، أداء العاملين، المصارف التجارية في السودان.

Abstract:

The study aimed to demonstrate the impact of the use of e-commerce in the study sample banks, highlight its role in the performance of employees, and determine the nature of the relationship between its components (networks, software, hardware and equipment) and the efficiency and effectiveness of the employees' performance. The study assumed: There is a statistically significant relationship between electronic management and improving the performance of the organization's employees. The descriptive and analytical approach was used, and data for the study was collected by designing a questionnaire. A simple random sample of (011) workers representing (48%) was selected. The study found a positive relationship between devices, equipment and efficiency. There is a partial positive

relationship between e-governance and effectiveness. There is no relationship between networking and effectiveness. There is no relationship between software and effectiveness. The study recommended providing software that contributes to decision-making, problem solving and preparing administrative reports. Upgrade all software used in the bank. Providing networks that modernize the management method to facilitate the administrative work of the bank.

Keywords: devices and equipment, networks, efficiency Electronic management, employee performance, commercial banks in Sudan.

المقدمة:

إن التطور الحاصل في المجتمعات المتقدمة جعل من حتمية التقدم الوظيفي والإداري ضرورة ومطلباً ملحاً لتلك الشعوب، التي عملت على أن تزيد وتحسن من الخدمات الوظيفية التي تعكس مدى التطور البشري في مجال الخدمات الإدارية، ما استوجب إيجاد حلول وطرائق جديدة من شأنها تطوير العمل الإداري والرقمي به في مجالات عديدة، وزيادة على الثورة المعلوماتية التي حدثت في أواخر القرن العشرين ما جعل العديد من الاكتشافات والتكنولوجيات الحديثة تظهر كأثر لتلك الثورة وما أفرزته على الجانب البشري والتقني والإداري فتولد ما يسمى بالإدارة الإلكترونية، حيث تعتمد على التكنولوجيا الرقمية ما يجعل عملها يتحول من ورقي تنظيمي إلى إلكتروني شبكي حيث لا وجود لحواجز إدارية وتنظيمية تقف أمام العمل الإداري تحت شعار العمل المستمر في كل مكان وأي زمان، وهذه التغيرات في مجال العمل الإداري فرضت نفسها على الدول المتقدمة وأصبح لزاماً عليها تطبيقها حتى تحقق أفضل الخدمات لشعوبها وبالتالي كسب ثقة شعوبها وولائها لأنظمتها، ولقد كانت لظهور الحاسبات والأتمتة وتطور تقنيات ووسائل الاتصال دور كبير في بروز الإدارة الإلكترونية.

كما أن استمرارية المنظمة على مواجهة مفاجأة المحيط لا يتوقف عند الإعداد الجيد للمخططات والموازنات فحسب، إن لم يصاحبه متابعة مستمرة لتنفيذ وتكييف هذه المخططات بما يحقق النتائج والأهداف المرغوبة وتشكل هذه العملية المرحلة الثانية من مراقبة التسيير وتعرف باسم متابعة وتقييم الأداء.

مشكلة الدراسة:

مع تزايد المشكلات التنظيمية المعاصرة، في سبيل تحقيق منظمات الأعمال لأهدافها ظهرت حاجة المنظمات للإدارة الإلكترونية حتى تتمكن من تحقيق تلك الأهداف بكفاءة مناسبة وفعالية عالية، وبعد الاطلاع على الدراسات السابقة وجد الباحثون أنه من المهم البحث في أثر الإدارة الإلكترونية على أداء العاملين، وذلك من خلال التطبيق على المصارف التجارية العاملة بمدينة الأبيض خلال العام 2021م

وتمت صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي:

ما هو أثر الإدارة الإلكترونية على أداء العاملين بالمنظمة؟ وتفرعت منه العديد من التساؤلات وهي:

- ما هو أثر البرمجيات على كفاءة وفعالية العاملين بالمنظمة؟
- ما هو أثر الشبكات على كفاءة وفعالية العاملين بالمنظمة؟
- ما هو أثر الأجهزة والمعدات على كفاءة وفعالية العاملين بالمنظمة؟

أهداف الدراسة:

إن الهدف الرئيسي للدراسة هو إبراز أثر الإدارة الإلكترونية على أداء العاملين بالمنظمة بالبنوك التجارية ولاية شمال كردفان ويتفرع منه الأهداف التالية:

1. التعرف على أثر البرمجيات على كفاءة وفعالية أداء العاملين بالمنظمة.
2. بيان على أثر الشبكات على كفاءة وفعالية أداء العاملين بالمنظمة.
3. تحديد أثر الأجهزة والمعدات على كفاءة وفعالية أداء العاملين بالمنظمة.

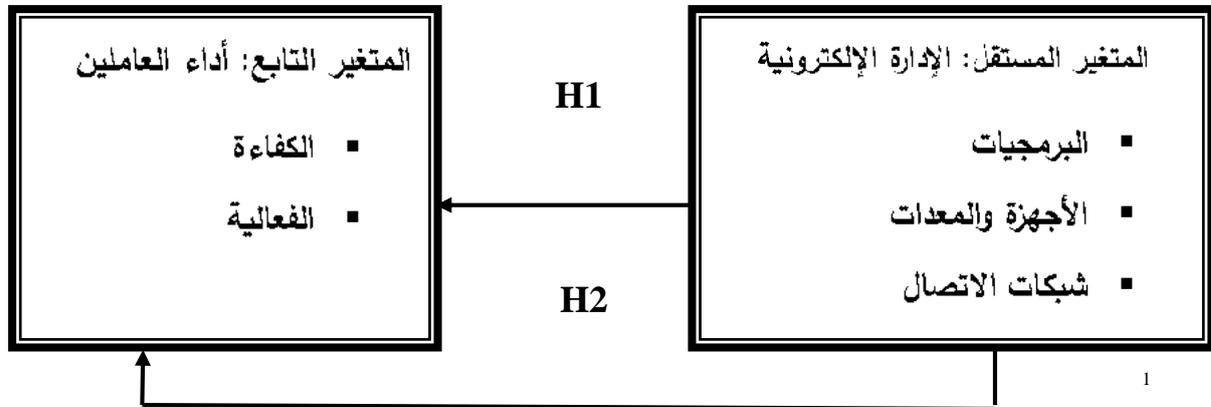
أهمية الدراسة العلمية:

تساهم هذه الدراسة في إثراء المعرفة بشكل عام وخاص من خلال النتائج المتواصل إليها من هذه الدراسة يمكن أن تضيف إلى قاموس الدراسة العلمي فيما يخص الدراسات الإدارية والتنظيمية ومنح ميزة علمية للمكتبات الدراسة من خلال إضافة بحث من البحوث العلمية.

أهمية الدراسة العملية:

أهمية الإدارة الإلكترونية في تطبيقها البنوك التجارية حيث يساهم هذا الدراسة في سرعة ودقة وتحسين العمل الإداري بالمنظمة كما يساهم في تحقيق أهداف المنظمة وتنفيذ الخطط بكفاءة وفعالية وتحقيق حاجات ورغبات العاملين الذين يمثلون حلقة الوصل بين الشركات والمجتمع ويمكن أن تساهم في حل المشكلات الإدارية ومعرفة مدى أثر الإدارة الإلكترونية على أداء العاملين بالمنظمة وقياس مدى تطبيق الإدارة الإلكترونية.

نموذج الدراسة:



المصدر: إعداد الباحثين من أدبيات الدراسات السابقة 2021م

فرضية الدراسة الرئيسية:

توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإدارة الإلكترونية وتحسين أداء العاملين بالمنظمة وتندرج منها العديد من الفرضيات الفرعية وهي:

- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين استخدام البرمجيات وكفاءة وفعالية أداء العاملين بالمنظمة.
- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين استخدام الشبكات وكفاءة وفعالية أداء العاملين بالمنظمة.
- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين استخدام الأجهزة وكفاءة وفعالية أداء العاملين بالمنظمة.

¹ الوثائق عطا المنان محمد أحمد، قوانين العمل المصرفي والتجاري في السودان، 2018م

مفاهيم الدراسة:

المصارف التجارية العاملة بمدينة الأبيض:

يرجع قيام القطاع المصرفي السوداني إلى أوائل القرن العشرين عندما قامت بعض المصارف العالمية بفتح فروع لها كما يحدث في معظم دول العالم، تم إنشاء فرع المصرف الأهلي المصري في عام (1903م) الذي كان يقوم ضمن مهامه بدور المصرف المركزي بما يجري بمصر وتلاه فرع بنك باركيز عام (1913م) بالإضافة إلى فروع بنوك أجنبية أخرى مثل المصرف المصري والمصرف الكويتي والمصرف الأثيوبي والمصرف العثماني، وفي عام (1956م) بعد الإستقلال تم تكوين لجنة العملة للإطلاع بمهمة إصدار عملة سودانية موحدة تعكس التنوع الثقافي السوداني، وتم انشاء عدد من المصارف في عدد من اقاليم السودان ومن ضمنها اقليم كردفان(الأبيض) الذي يتواجد به حالياً عدد 23 مصرف تجاري يقدمون المعاملات المالية وفقاً للصيغ الإسلامية.

الإدارة الإلكترونية:

هي "العملية الإدارية القائمة على الإمكانيات المتميزة للإنترنت وشبكات الأعمال في التخطيط والتوجيه والرقابة على الموارد والقدرات الجوهرية للمؤسسة والأخرين بدون حدود من أجل تحقيق أهداف المؤسسة" 1 ولها عدة عناصر أساسية وهي:

1. البرمجيات: هي "مجموعة من البرامج المستخدمة لتشغيل جهاز الحاسب الآلي والاستفادة من إمكانياته المختلفة" 2
2. الشبكات: هي "مجموعة من أجهزة الحواسيب المتصلة ببعضها للمشاركة في موارد المعلومات والمعرفة" 3
3. الأجهزة: وهي "ملحقات الحاسوب التي تمكن من إدخال ومعالجة وإخراج المعلومات"

1- نجم عبود نجم الإدارة الإلكترونية (الاستراتيجية والوظائف والمشكلات)، (دار المريخ، الجيزة، 2004، ص127.

2- محمد سمير أحمد، الإدارة الإلكترونية، ط1(دار ميسرة، عمان، 2009م)، ص30.

3- سعد غالب ياسين، نظم المعلومات الإدارية، ط1(دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، 2009م) ص204.

4. أداء المنظمة: هي محصلة قدرة المنظمة في استغلال مواردها وتوجيهها نحو تحقيق الأهداف المنشودة، فالأداء هو انعكاس لكيفية استخدام المنظمة لمواردها المادية والبشرية واستغلالها بالصورة التي تجعلها قادرة على تحقيق أهدافها¹.
5. الكفاءة: هي "مجموعة من المهارات والخبرات المكتسبة التي تساهم في الاستخدام المثلى لعوامل الإنتاج والموارد المتاحة"².
6. الفعالية: هي "مدى قدرة المنظمة على البقاء والنمو والتكيف لتحقيق أهدافها"³.

أهداف الإدارة الإلكترونية:

تهدف الإدارة الإلكترونية إلى تعزيز الاتصال⁽³⁾ وتسهيل التبادل بين مختلف أنواع المتعاملين سواء على المستوى المركزي، أو المحلي وتحسين فاعلية خدماتها نحو المواطن والمؤسسات بتطوير الخدمات عن بعد، وذلك عبر تطوير الأنترنت للإدارة وتحديد واقتراح المناهج والمقاييس الهندسية والتقنية الكفيلة بضمان ملائمة نظم المعلومات والتطبيقات العمومية فيما بينها⁴.

وتتمثل أهداف الإدارة الإلكترونية في النقاط التالية:

1. سهولة إدارة ومتابعة الإدارات المختلفة للمنظمة وكأنها وحدة مركزية.
2. توفير البيانات والمعلومات للمستخدمين بصورة فورية.
3. تبسيط الإجراءات وسرعة الإنجاز ورفع مستوى أداء الخدمات.
4. السرعة في اتخاذ القرارة المناسبة المبنية على المعلومات دقيقة ومباشرة.
5. توسيع قاعدة البيانات الداعمة للإدارة العليا.

¹- وائل محمد صبحي إدريس وطاهر محسن منصور الغالبية، أساسيات الأداء-وبطاقة التقييم المتوازن (دار وائل للنشر، القاهرة، 2009م)، ص38.

²- أحمد سيد مصطفى نظم معلومات إدارية ط1(إدارة البشر، مصر، 2002م) ص415.

³ نجم عبود، مرجع سابق، ص34

⁴- وازع محمد، الإدارة الإلكترونية وأثرها على على الموارد البشرية في المؤسسة الجزائرية، جامعة المدينة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2013م، ص32.

6. السهولة في متابعة وإدارة كافة الموارد.

مفهوم أداء العاملين:

يعد الأداء مفهوماً جوهرياً بالنسبة للمنظمات وله العديد من المفاهيم المتعددة المعاني، وقد اختلف الباحثون في طرح مفهومه حسب اختلاف الخلفيات الفكرية، فمنهم من يرى أن الأداء هو المخرجات أو الأهداف التي يسعى النظام إلى تحقيقها، لذا فهو مفهوم يعكس كلا من الأهداف والوسائل اللازمة لتحقيق الأهداف¹.

أهمية أداء العاملين:

تتمثل أهمية الأداء فيما يلي:

1. دعم أهمية الهدف الذي تسعى الإدارة إلى تحقيقه.
2. يساعد في الترجمة العملية لكل القرارات التي يتم اتخاذها على جميع المستويات في المؤسسة، وحتى يتحقق الأداء الفعال ينبغي أن يتصف الأداء بالجدية والنزاهة عند اتخاذ القرارات والابتعاد عن القرارات المزاجية.
3. الإسهام في القدرة الدائمة على تقديم نتائج إيجابية ومرضية على فترات.
4. يدعم الأداء قائمة المهام الرئيسة الموكلة للإدارة بل يأتي في مقدمتها وأولادها بالاهتمام والعناية لتحقيق أهدافها.
5. استثمار القدرة لدى الفرد على العمل، والتي تتولد من التدريب واكتساب المهارة اللازمة لأداء عمله².

¹- بو كريمة نوال، أثر الاتصال في رفع الأداء التسويقي للمؤسسة الخدمية، دراسة حالة وكالة السفر والسياحة، جامعة الجزائر، رسالة ماجستير، 2011م، ص120.

²- مفتاح الجنديين، الأداء المؤسسي، المنتدى العربي للإدارة الموارد البشرية، 2014، ص6

محددات أداء العاملين:

يتحدد الأداء بثلاثة عوامل رئيسية هي:

1. الجهد المبذول: ما يمثله حماس الفرد ورغبته في أدائه.
2. القدرات والخصائص: هي الإمكانيات التي يمتلكها الفرد وخبرته في العمل.
3. الإدراك: في قدرة الفرد على الإحاطة بالمعلومات الكافية عن طبيعة الوظيفة المكلف بها¹.

الدراسات السابقة:

دراسة أبو قناية: (2002م)² استهدفت هذه الدراسة التعرف على مستويات إلمام ومعرفة القيادات الإدارية في المنشآت السودانية بمفاهيم وأساليب الإدارة الاستراتيجية وبالتالي تحديد درجة الممارسة والتطبيق الفعلي لهذه الأساليب وقياس أثر ذلك على تطور أداء المنشآت في السودان، هذا إلى جانب الوقوف على نمط وأساليب القيادة الإدارية السائدة بالمنشآت السودانية وتحديد نوعيتها، أظهرت نتائج التحليل الإحصائي تدني مستوى إلمام ومعرفة القيادات الإدارية في المنشآت السودانية بمفاهيم وأساليب الإدارة الاستراتيجية وكذلك أوضحت أن لدى القيادات الإدارية مستوى متواضعا من المعرفة بأهمية الفائدة الناتجة من تطبيق أساليب الإدارة الاستراتيجية، كما أظهرت من جانب آخر وجود علاقة ارتباطية قوية موجبة بين مستوى الإلمام والمعرفة وبين درجة الممارسة الفعلية والتطبيق لهذه الأساليب في الواقع العملي بالمنشآت السودانية حيث أظهر معامل التحديد من خلال التباين أن مستوى الإلمام والمعرفة مؤشرا جيدا له علاقة قوية في تحديد درجة الممارسة الفعلية لأساليب الإدارة الاستراتيجية.

دراسة محمد نور: (2005م)³ تهدف هذه الدراسة للتعرف على مدى تطبيق الإدارة الاستراتيجية في المنظمات الصناعية السودانية بالتطبيق على شركة جياذ لصناعة السيارات والشاحنات المحدودة، مشكلة البحث: ماهية المشاكل والمعوقات التي تحول دون تطبيق الإدارة الاستراتيجية في الشركة

1- مفتاح الجنديين، مرجع سابق، ص4.

2- الطيب مصطفى أبو قناية، مفاهيم الإدارة الاستراتيجية لدى القيادات الإدارية وأثرها في تطوير أداء المنشآت، دراسة ميدانية، جامعة الخرطوم رسالة دكتوراة غير منشورة، 2002م.

3- محمد حنفي محمد نور، الإدارة الاستراتيجية ودورها في أداء المنظمات الصناعية، دراسة حالة مجموعة شركات جياذ، جامعة النيلين، رسالة ماجستير غير منشورة، 2005م.

وبناءً على ذلك يمكن صياغة هذه المشكلة في التساؤلات التالية: هل يتم إعداد إستراتيجية الشركة بطريقة علمية؟ هل تقوم الإدارة العليا بعملية التحليل البيئي عند وضع إستراتيجية الشركة؟ هل الهيكل التنظيمي الحالي للشركة يلئم تطبيق الاستراتيجية؟ توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها: أن إستراتيجية الشركة يتم إعدادها بطريقة علمية، وأوضحت الدراسة ضعف معرفة الإدارة العليا بعملية التحليل البيئي، أن الهيكل التنظيمي الحالي للشركة ملائم لتطبيق إستراتيجية الشركة الحالية، أن ثقافة الشركة (القيم السائدة فيها) ملائمة لتنفيذ إستراتيجية الشركة وأن بيئة العمل داخل الشركة ملائمة وتساعد على تنفيذ الاستراتيجية، إقتناع جميع الباحثين بأهمية تطبيق الإدارة الاستراتيجية ودورها في رفع كفاءة أداء الشركة، أن تطبيق نموذج الإدارة الاستراتيجية يتطلب تأهيل وتدريب كوادر الإدارة العليا على أساليب الإدارة الاستراتيجية.

دراسة عمار: (2009م)¹ هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى إمكانية تطبيق الإدارة الإلكترونية في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين بمكتب غزة الإقليمي من خلال التعرف على مدى توفر متطلبات نجاحها من الإمكانيات المالية والتقنية والبشرية ومدى التزام ودعم الإدارة العليا، كما هدفت هذه الدراسة إلى معرفة دور استخدام الإدارة الإلكترونية في تحسين أداء العاملين في الوكالة وقد توصلت الدراسة إلى وجود معرفة لدى العاملين بالوكالة بالإدارة الإلكترونية ومتطلبات نجاحها، بالإضافة إلى توفر المتطلبات والمستلزمات المالية والتقنية والبشرية والإدارية اللازمة لتطبيق الإدارة الإلكترونية، كما أظهرت الدراسة وجود التزام ودعم من قبل الإدارة العليا لسياسة تطبيق الإدارة الإلكترونية وحرصها الدائم على مواكبة المستجدات التقنية وحرصها على تهيئة الموظفين نفسياً ومعنوياً لاستخدام الإدارة الإلكترونية، كما أظهرت الدراسة تأييد الأفراد لتطبيقات الإدارة الإلكترونية من الناحية الأمنية، وأظهرت أن استخدام الإدارة الإلكترونية يعمل على زيادة فاعلية وكفاءة الأداء الوظيفي بدرجة كبيرة وذلك من خلال سرعة إنجاز العمل، رفع لإنتاجية، سرعة ودقة إيصال التعليمات.

1- محمد جمال أكرم عمار، مدى إمكانية تطبيق الإدارة الإلكترونية ودورها في تحسين أداء العاملين، غزة: الجامعة الإسلامية رسالة ماجستير غير منشورة، 2009م.

دراسة بوقلاشي عماد: (2011م)¹

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد مزايا الإدارة الإلكترونية التي تمنحها للمواطنين وللإدارات العمومية و لوزارة العدل خاصة، والتطرق إلى دواعي التحول إلى الإدارة الإلكترونية ومتطلبات نجاح هذا التحول. تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي وأدواته المتمثلة في الملاحظة والمقابلة والاستبيان من أجل تقصي المعلومات وجمعها وتم أخذ وزارة العدل كنموذج للدراسة، وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن الإدارة الإلكترونية تلعب دوراً في تحسين أداء الإدارات العمومية لأن استخدام التكنولوجيا في الأعمال الإدارية يصحبه تطوير في كافة الأنشطة والمعاملات الإدارية بالإضافة إلى تبسيطها، وهذا ما يجعل الإدارة العمومية أكثر قرباً من المواطنين وإرضاء المتعاملين معها بصفة عامة، إن هذه الدراسة قد ركزت على قطاع واحد وهو قطاع العدالة ما يجعل هذه الدراسة لا يمكن تعميمها على باقي الإدارات العمومية الأخرى ذلك لأنها تناولت هذه الدراسة حالة إدارية معينة وهي وزارة العدل، كما أنها اعتمدت على منهج تحليل المضمون لجميع وثائق قطاع العدالة وموقعها الإلكتروني.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على برنامج الحزم الإحصائية في العلوم الاجتماعية SPSS، وذلك للاستفادة منه في التعرف على طبيعة المشكلة وصياغة الفرضيات والمنهج الاستقرائي لاختبار الفرضيات والمنهج الوصفي التحليلي في تحليل ووصف البيانات.

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من العاملين في البنوك التجارية في ولاية شمال كردفان، حيث تم توزيع عدد (110) استمارة، وتم استرداد (106) استمارة بنسبة استرداد بلغت (96.36%)، وكانت الاستبيانات الصالحة للتحليل بنسبة (96.36%)، وتم استخدام طريقة الحصر الشامل لعينة الدراسة.

ثبات أداة الدراسة:

تم احتسابه بمعامل ألفا كرونباخ (Cronbach Alpha) والذي بلغت قيمته (0.998) وهي قيمة تدل على ثبات أداة الدراسة.

¹ - بوقلاشي عماد، الإدارة الإلكترونية ودورها في تحسين أداء الإدارات العمومية، الجزائر: جامعة الجزائر رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، 2011م.

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

1. الإحصاء الوصفي: لوصف خصائص العينة.
2. كرو نباخ ألفا: قياس الموثوقية و الاتساق الداخلي للمتغيرات الرئيسية للدراسة.
3. التحليل العاملي الاستكشافي: لقياس الاختلافات بين العبارات التي تقيس كل متغير من متغيرات الدراسة.
4. التحليل العاملي التوكيدي: للوصول إلى جودة توفيق متغيرات نموذج الدراسة حيث تجري تغيرات في النموذج وتعديلات في الفرضيات بنا علي نتائج التحليل العاملي.
5. المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية: لتحديد الأهمية النسبية لاستجابة أفراد العينة تجاه محاور وأبعاد أداة الدراسة.
6. ارتباط بيرسون: لمعرفة درجة الارتباط بين المتغيرات الرئيسية.

جدول رقم (1) يوضح معدل استجابة المبحوثين (حجم العينة = 110)

النسبة	العدد	البيان
100%	110	مجموع الاستبانات الموزعة للمستجيبين
96.36%	106	مجموع الاستبانات التي تم إرجاعها
3.63%	4	الاستبانات التي لم تسترد
96.36%	106	عدد الاستبانات الصالحة للتحليل

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية 2021م

تحليل بيانات الدراسة الميدانية:

وصف خصائص عينة الدراسة:

تمثلت البيانات الديمغرافية للمستجيبين في ستة عناصر وهي: النوع، والعمر، المؤهل العلمي، التخصص العلمي، المسمى الوظيفي، الخبرة الوظيفية، يوضح توزيع مفردات العينة حسب الخصائص الديمغرافية حيث بلغت نسبة الذكور (67.0%) من العينة، بينما تشكل الإناث نسبة

(33.0%) من العينة والتي تعكس أن نسبة الذكور تفوق نسبة الإناث، وكما أظهر توزيع مفردات العينة حسب الفئة العمرية من الجدول أن الفئة العمرية أقل من 30 شكلت نسبة (59.9%) وهي أكبر نسبة، وشكلت الفئة من 30-40 نسبة بلغت (23.6%)، وشكلت الفئة من 40-50 نسبة (21.7%) وشكلت الفئة 50-60 نسبة بلغت (3.8%). أما المؤهل التعليمي فيوضح أن فئة بكالوريوس يشكلون أكبر نسبة حيث بلغت (61.3%)، بينما الفئة ماجستير يشكلون نسبة (26.4%) من العينة، أما الفئة دبلوم وسيط بلغت نسبة (5.7%)، أما الفئة دبلوم عالي بلغت نسبة (4.7%). أما توزيع أفراد العينة حسب التخصص العلمي نجد الفئة اقتصاد نسبة حيث بلغت (31.1%)، والفئة محاسبة حيث بلغت نسبة (22.6%)، والفئة إدارة ودراسات مصرفية حيث بلغت نسبتهم على التوالي (13.2%)، والفئة نظم معلومات حيث بلغت نسبة (8.5%). أما توزيع أفراد العينة حسب المسمى الوظيفي نجد الفئة أخرى أكبر نسبة حيث بلغت (63.2%)، والفئة مشرف حيث بلغت نسبة (19.8%)، والفئة موظف حيث بلغ نسبة (5.7%)، والفئة رئيس قسم حيث بلغت نسبة (3.8%)، والفئة نائب مدير حيث بلغت نسبة (2.8%). أما توزيع أفراد العينة حسب الخبرة العلمية نجد الفئة أقل من 5 سنوات حيث بلغت نسبة (46.2%)، والفئة 5-10 سنوات حيث بلغت نسبة (19.8%)، والفئة 10-15 سنة حيث بلغ نسبة (15.1%)، والفئة 20 فأكثر حيث بلغت نسبة (10.4%)، والفئة 15-20 سنة حيث بلغت نسبة (8.5%).

التحليل العاملي الاستكشافي لمتغيرات الدراسة:

يأتي أهمية هذا التحليل لاستبانة الدراسة لقياس الاختلافات بين العبارات التي تقيس كل متغير من متغيرات الدراسة حيث يتم توزيع عبارات الاستبانة على متغيرات معيارية يتم فرضها وتوزع عليها العبارات التي تقيس كل متغير على حسب انحرافها عن الوسط الحسابي وتكون العلاقة بين المتغيرات داخل العامل الواحد أقوى من العلاقة مع المتغيرات في العوامل الأخرى. أي أن التحليل العاملي الاستكشافي للمكونات الأساسية يهدف إلى التحويل الرياضي لعدد كبير من المتغيرات وعدد قليل من المكونات (العوامل) المستقلة المتعامدة ويتم ذلك التحويل على مصفوفة الارتباطات بين المتغيرات وكل مكون أو عمود يتكون من متغيرات شديدة الترابط مع مكونها الأساسي، قليلة الترابط مع المكونات الأخرى.

وتحقق طريقة التباين الأقصى Varimax لتدوير المحاور عمودياً ذلك الهدف على نحو كبير ويمكن الحكم على أن متغير ما ينتمي إلى مكون معين من خلال تحميله loading على ذلك العامل وكلما زادت القيمة المطلقة للتحميل زادت المعنوية الإحصائية.

وبمراعاة الشروط التي حددها (Churchill,1979) و(Hair et al, 2010) التي تتمثل في النقاط التالية:

1. أن يكون معامل الثبات Alpha لكل عبارته أو متغير 0.60 أو أكثر.
2. أن يكون معامل ارتباط كل عبارة أو متغير بالعامل أكبر من 0.50.
3. أن يكون معامل تحميل العبارة أو المتغير على العامل الواحد 0.50 أو أكثر.
4. ألا تكون العبارة قد تم تحميلها على أكثر من عامل وأحد في نفس الوقت.
5. ألا تقل قيمة Eigen Value لكل عامل عن واحد صحيح.

للتأكد من صلاحية النموذج تم استخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS 25) و بالإضافة الي (AMOS 25) في إجراء عملية التحليل العاملي الاستكشافي والتحليل العاملي التوكيدي لنموذج الدراسة المكون من ثلاث متغيرات هي (التخطيط الاستراتيجي كمتغير مستقل، الميزة التنافسية كمتغير تابع، المرونة الاستراتيجية كمتغير وسيط) حيث تم إعطاء كل عبارة من العبارات التي استخدمت لقياس كل متغير في الاستبانة حيث احتوت الاستبانة على (42عبارة) تم استخدام طريقة المكونات الأساسية وطريقة تدوير العوامل من أجل تحديد معاملات التشعب وتم حذف العبارات التي يقل فيها 0.50 (James Gaskin 2014) تم استخدام مقياس (KMO) لاختبار كفاية العينة المأخوذة في تفسير الظاهرة المدروسة وأقل قيمة لكفاية قبول نتائج التحليل هي 0.6 وإجراء اختبار (Bartlett) بوصفه مؤشر للعلاقة بين المتغيرات إذا يجب أن تكون قيمته دالة عند مستوي معنويه اقل من (0.05).

أي وجود عدد كافي من الارتباطات ذات دلالة إحصائية في مصفوفة الدوران، وان لا تقل قيمة KMO عن 0.50، تناسب العينة، وألا تقل قيمة اختبار Bartlett's Test of Sphericity عن الواحد صحيح، وان تكون الاشتراكات الأولية communities للنبود أكثر من 0.50، وألا يقل تشعب العامل عن 0.50 مع مراعاة عدم وجود قيم متقاطعة تزيد عن 50% في العوامل الأخرى، وان لا تقل قيم الجزر الكامن عن الواحد.

التحليل العاملي للمتغير المستقل الإدارة الإلكترونية:

تم استخدام حزمة برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) في إجراء عملية التحليل العاملي الاستكشافي للنموذج، حيث تم التوصل إلى ثلاثة مكونات أساسية (عوامل) من جميع العبارات في

مقياس الإدارة الإلكترونية وبلغ المكون الأول شبكات الاتصال نسبة (24.193%) من التباين، والمكون الثاني البرمجيات نسبة (22.582%) من التباين، والمكون الثالث الأجهزة والمعدات نسبة (13.859%) من التباين، وتفسر تلك المكونات مجتمعة (60.634%) من التباين لكل العبارات، وهي نسبة أكبر عن (0.60%) والتي تعتبر مقبولة في البحوث الاجتماعية وفقاً (Hair, J.F, at all, 1998)، كما تم تدوير العوامل بأحد طرق التدوير المتعامد وهي varimax لتحميل المتغيرات على العوامل الأكثر ارتباطاً بها وبحيث تكون العوامل مستقلة عن بعضها تماماً ولقد أظهر التحليل مصفوفة العوامل المدارة Rotated Component matrix الموضح في الجدول رقم (2)، كما تم حذف بعض العبارات التي لم تستوفي الشروط.

الجدول رقم (2) التحليل العاملي للإدارة الإلكترونية (حجم العينة: 106)

المتغيرات	العبارات	العوامل		
		الأول	الثاني	الثالث
شبكات الاتصال	تساهم الشبكات في تسهيل عمل الإدارة بالشركة	.796		
	تستخدم إدارة الشركة الشبكات لتحديث أسلوب الإدارة	.706		
	تساهم الشبكات في مشاركة البيانات والمعلومات بين الإدارة والعاملين من خلال الشبكة	.666		
	تساهم الشبكات في تقليل التكاليف من خلال المشاركة في الأجهزة والمعدات	.664		
	تستخدم الشبكات البرمجيات على الخادم لتبادل المعلومات	.641		
البرمجيات	تعمل الشركة على ترقية البرمجيات المستخدمة		.763	
	تساهم البرمجيات في توفير المعلومات كماً ونوعاً		.746	

	.713		تساهم البرمجيات في عمليات اتخاذ القرارات وحل المشكلات	
	.641		تساعد البرمجيات في عمليات إعداد التقارير الإدارية	
	.763		توفر الأجهزة أكبر قدر من المعلومات التي يمكن إرسالها لإعداد التقارير المختلفة	الأجهزة والمعدات
	.758		تساهم الأجهزة في الوصول للمعلومات والتعاون بين العاملين في الشركة	
13.859	22.582	24.193	Variance Explained	
.875	Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy			
500.334	Bartlett's Test of Sphericity			
60.634	Total Variance Explained			

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية 2021م

التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير المتابع أداء العاملين:

تم استخدام حزمة برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) في إجراء عملية التحليل العاملي الاستكشافي للنموذج، وكما تم حذف المتغيرات التي يوجد بها تقاطعات وقد نتج عن التحليل انقسام محور الفاعلية حيث اندمج عدد من عبارته مع محور الكفاءة وتم تسميته " الكفاءة والفاعلية " وبقيت العبارات تكونت محور تم تسميته " الفاعلية"، حيث تم التوصل إلى مكونين أساسيين (عوامل) من جميع العبارات في مقياس أداء العاملين وبلغ المكون الأول الكفاءة والفاعلية نسبة (33.706%) من التباين، والمكون الثاني الفاعلية نسبة (30.076%) من التباين، وتفسر تلك المكونات مجتمعة (63.782%) من التباين لكل للعبارات، وهي نسبة أكبر عن (0.60%) والتي تعتبر جيدة في البحوث الاجتماعية وفقاً (Hair, J.F, at all 1998)، كما تم تدوير العوامل بأحد طرق التدوير المتعامد وهي varimax لتحميل المتغيرات على العوامل الأكثر ارتباطاً بها وبحيث تكون العوامل مستقلة عن بعضها تماماً ولقد أظهر التحليل مصفوفة العوامل المدارة Rotated Component matrix الموضوع في الجدول رقم (3)، كما تم حذف بعض العبارات التي لم تستوفي الشروط.

الجدول رقم (3): التحليل العاملي أداء العاملين (حجم العينة: 106)

العوامل		العبارة	المتغيرات
الثاني	الأول		
	.844	يتقدم العاملون اقتراحات هادفة لتطوير وإنجاز العمل بفاعلية	الكفاءة والفاعلية
	.797	يعتمد تحقيق أهداف الشركة وإنجازاتها على فعالية العاملين	
	.704	تسعى الشركة لتطوير فعالية العاملين بإشراكهم في الدورات التدريبية	
	.676	تعمل الشركة على وضع الشخص المناسب في المكان المناسب لتنمية الكفاءات.	
	.618	تعمل الشركة على تطوير أداء العاملين من خلال التدريب لزيادة كفاءتهم	
.804		تتوفر لدى الشركة كفاءات فردية لتحقيق أهداف الشركة	
.793		تساعد الفاعلية التي تتخذها الشركة على تحقيق أهدافها في الفترة المحددة	
.734		يتسم الأداء العام بالشركة بالفاعلية	
.649		يحرص العاملون على استخدام الإمكانيات والموارد المتاحة لتحقيق الفعالية	
30.076	33.706	Variance Explained	
	.865	Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy	
	420.517	Bartlett's Test of Sphericity	
	63.782	Total Variance Explained	

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية 2021م

التحليل العاملي التوكيدي للمتغيرات الدراسة:

تم استخدام حزمة برنامج التحليل الإحصائي (AMOS) في إجراء عملية التحليل العاملي التوكيدي للنموذج. يستخدم هذا النوع لاختبار الفرضيات المتعلقة بوجود أو عدم وجود علاقة بين المتغيرات والعوامل الكامنة. أيضا يستخدم في تقييم قدرة نموذج العوامل على التعبير عن مجموعة البيانات الفعلية، وكذلك في المقارنة بين عدة نماذج للعوامل بهذا المجال.

مؤشرات جودة النموذج:

في ضوء افتراض التطابق بين المتغيرات الداخلة في التحليل والمصفوفة المفترضة من قبل النموذج تنتج العديد من المؤشرات الدالة على جودة هذه المطابقة، والتي يتم قبول النموذج المفترض للبيانات أو رفضه في ضوءها وتعرف بمؤشرات جودة المطابقة

الجدول (4) مؤشرات جودة المطابقة لمتغير المستقل الإدارة الإلكترونية

المؤشر	CMIN	DF	CMIN/DF	GFI	RMSEA	NFI	CFI
النسبة	52.459	41	.106	.918	.052	.868	.966
التفسير	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية 2021م

الجدول (5) مؤشرات جودة المطابقة لمتغير التابع أداء العاملين

المؤشر	CMIN	DF	CMIN/DF	GFI	RMSEA	NFI	CFI
النسبة	42.214	26	0.11	.916	.084	.896	.952
التفسير	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية 2021م

الاعتمادية وصلاحيية متغيرات الدراسة:

يستخدم تحليل الاتساق للعثور على الاتساق الداخلي للبيانات ويتراوح من (0 إلى 1)، تم احتساب قيمة (ألفا كرون باخ) للعثور على اتساق البيانات الداخلي، اذا كانت قيم معامل ألفا كرونباخ أقرب الى 1، يعتبر الاتساق الداخلي للمتغيرات كبير، ولاتخاذ قرار بشأن قيمة الفا كرون باخ المطلوبة يتوقف ذلك على الغرض من البحث ففي المراحل الأولى من البحوث الأساسية تشير (Nunnally، 1968) إلى أن المصدقية من (0.50 - 0.60) تكفي وأن زيادة المصدقية لا أكثر من (0.80) وربما تكون إسراف، أما (Hair et al, 2010) أقترح أن قيمة ألفا كرون باخ يجب أن تكون أكثر من 0.70 ومع ذلك يعتبر ألفا كرونباخ من 0.50 فما فوق مقبولة. جدول (6) يوضح نتائج اختبار الفا كرونباخ بعد إجراء التحليل العاملي الاستكشافي واختبار المتوسطات والانحرافات المعيارية لمتغيرات الدراسة.

جدول رقم (6) يبين الاعتمادية والمتوسطات والانحرافات المعيارية لكل متغيرات الدراسة

نوع المتغير	الأبعاد	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الأهمية النسبية
مستقل	شبكات الاتصال	0.56	4.24	3=0.84%
	البرمجيات	0.57	4.27	2=0.85%
	الأجهزة والمعدات	0.68	4.45	1=0.89%
تابع	الكفاءة	0.68	4.17	2=0.83%
	الفاعلية	0.58	4.26	1=0.85%

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية 2021م

اختبار فرضيات الدراسة:

تم الاعتماد في علمية التحليل الإحصائي للبيانات على أسلوب نمذجة المعادلة البنائية
Structural Equation Modeling [SEM] وهو نمط مفترض للعلاقات الخطية المباشرة الغير
مباشرة بين مجموعة من المتغيرات الكامنة والمشاهدة، وبالتحديد استخدام أسلوب تحليل المسار
Path Analysis وهو أحد أساليب نمذجة المعادلة البنائية التي تعني بدراسة وتحليل العلاقات بين
متغير أو أكثر من المتغيرات المستقلة سواء كانت هذه المتغيرات مستمرة أو متقطعة ومتغير أو أكثر
من المتغيرات التابعة سواء كانت هذه المتغيرات مستمرة أو متقطعة بهدف تحديد أهم المؤشرات أو
العوامل التي يكون لها تأثير على المتغير أو المتغيرات التابعة، حيث أن نمذجة المعادلة البنائية تجمع
بين أسلوب تحليل الانحدار المتعدد والتحليل العاملي.

ويستخدم تحليل المسار فيما يماثل الأغراض التي يستخدم فيها تحليل الانحدار المتعدد، حيث
أن تحليل المسار يعتبر امتداد لتحليل الانحدار المتعدد ولكن تحليل المسار أكثر فعالية حيث انه يضع
في الحسبان نمذجة التفاعلات بين المتغيرات، وعدم الخطية، وأخطاء القياس، والارتباط الخطي
المزدوج بين المتغيرات المستقلة.

كما يختلف تحليل المسار عن تحليل الانحدار المتعدد بالآتي¹:

1. أنه نموذج لاختبار علاقات معينة بين مجموعة المتغيرات وليس للكشف عن العلاقات السببية
بين هذه المتغيرات.
2. يفترض العلاقات الخطية البسيطة بين كل زوج من المتغيرات.
3. إن المتغير التابع يمكن أن يتحول إلى متغير مستقل بالنسبة لمتغير تابع آخر.
4. يمكن أن يكون في النموذج متغيرات وسيطة بالإضافة إلى المتغيرات المستقلة والمتغيرات
التابعة.
5. معاملة المسارات في النموذج تكون معيارية.

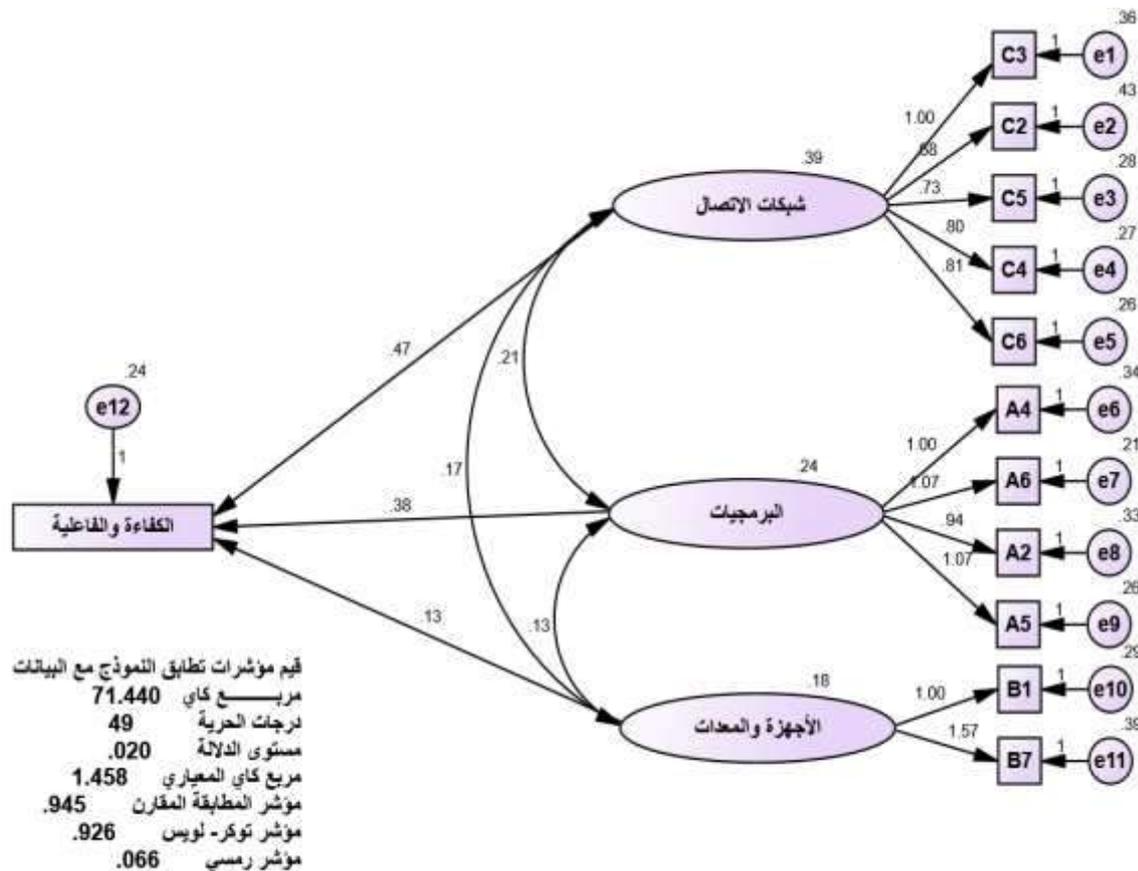
¹ خليل جمعة عثمان، صديق بلل. (2017). الدور الوسيط لرضا العاملين في العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية
والإبداع، مجلة العلوم الاقتصادية العدد 34 ص 25-50.

6. تسهيل علاقات التأثير بين المتغيرات بغض النظر عن كونها متغيرات أو متغيرات مستقلة والتي تمثل بسهم ثنائي الاتجاه الشكل البياني للنموذج.

7. يعد نموذج تحليل المسار وسيلة لتلخيص ظاهرة معينة ووضعها في شكل نموذج مترابط لتفسير العلاقات بين متغيرات الظاهرة.

اختبار الفرضية الرئيسية للدراسة: العلاقة بين الإدارة الإلكترونية وأداء العاملين بعد (الكفاءة والفاعلية): تنص الفرضية الرئيسية الأولى على أنه توجد علاقة إيجابية معنوي بين الإدارة الإلكترونية من خلال أبعادها (شبكات الاتصال، البرمجيات، الأجهزة والمعدات) والكفاءة والفاعلية، ولاختبار هذه الفرضية تم استخدام أسلوب تحليل المسار كما في الشكل رقم (1)، الجدول (7).

الشكل (1) العلاقة بين الإدارة الإلكترونية والكفاءة والفاعلية:



المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية 2021م

جدول رقم (7) المسار من الإدارة الإلكترونية إلى الكفاءة والفاعلية (Estimate)

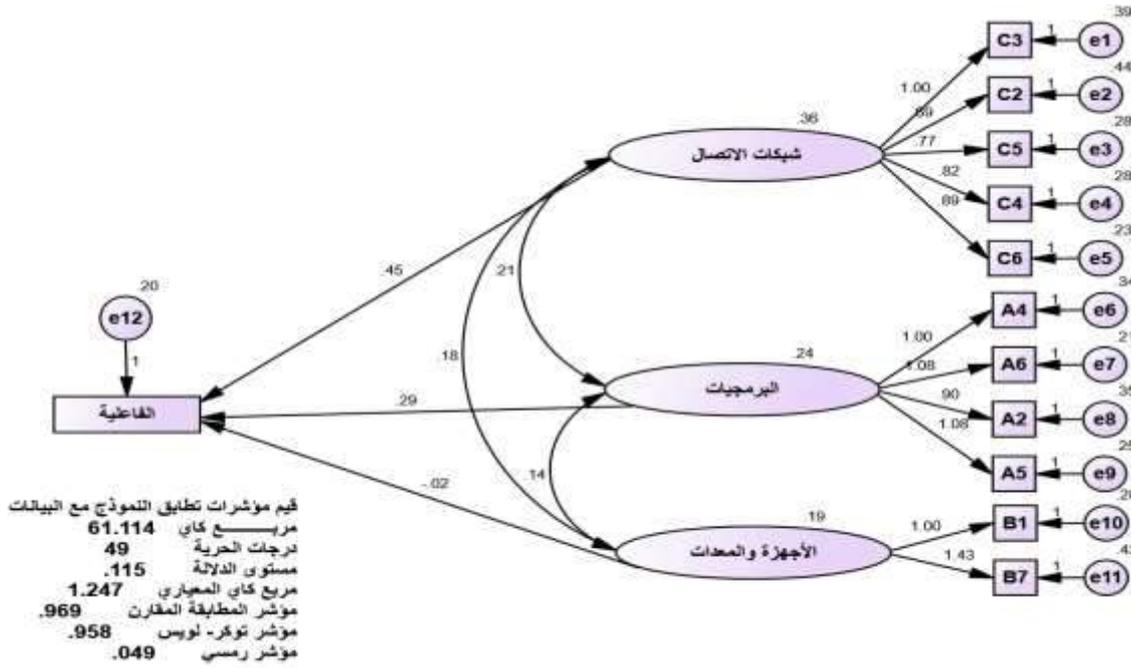
العلاقات	التقديرات	الخطأ المعياري	القيمة الحرجة	الدلالة	النتيجة
شبكات الاتصال	0.125	0.255	0.489	0.625	لم تدعم
البرمجيات	0.376	0.216	1.742	0.081	لم تدعم
الأجهزة والمعدات	0.469	0.172	2.722	0.006	دعمت

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية 2021م

وفقاً للجدول رقم (7) ويمكننا ملاحظة الأثر المباشر اعتماداً على معاملات الارتباط المتعدد (R²) والاعتماد على مستوى الدلالة (0.05)، وتشير أوزان معاملات الانحدار في العلاقة بين المتغير المستقل الإدارة الإلكترونية والمتغير التابع الكفاءة والفاعلية بعد (الكفاءة والفاعلية) إلى انخفاض تأثير بعد شبكات الاتصال حيث بلغ معامل الانحدار (0.39) ويفسر (0.47) من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوى معنوية (0.625). وانخفاض تأثير بعد البرمجيات حيث بلغ معامل الانحدار (0.24) ويفسر (0.36) من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوى معنوية (0.081). وانخفاض تأثير بعد الأجهزة والمعدات حيث بلغ معامل الانحدار (0.18) ويفسر (0.13) من التباين وهو دال إحصائياً عند مستوى معنوية (0.006). ومن التحليل نجد أنه توجد علاقة إيجابية جزئية بين الإدارة الإلكترونية والكفاءة والفاعلية بعد (الكفاءة والفاعلية)، وقد تحققت جميع شروط جودة النموذج.

الفرضية الفرعية الثانية: العلاقة بين الإدارة الإلكترونية وأداء العاملين بعد (الفاعلية): تنص الفرضية الرئيسية الثانية على أنه توجد علاقة إيجابية معنوية بين الإدارة الإلكترونية من خلال أبعادها (شبكات الاتصال، البرمجيات، الأجهزة والمعدات) والفاعلية، واختبار هذه الفرضية تم استخدام أسلوب تحليل المسار كما في الشكل رقم (2).

الشكل رقم (2) العلاقة بين الإدارة الإلكترونية والفاعلية:



المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية 2021م

الجدول (8) المسار من الإدارة الإلكترونية إلى الفاعلية (Estimate)

العلاقات	التقديرات	الخطأ المعياري	القيمة الحرجة	الدلالة	النتيجة
شبكات الاتصال الفاعلية	-.017	.233	-.072	.942	لم تدعم
البرمجيات الفاعلية	.293	.193	1.516	.130	لم تدعم
الأجهزة والمعدات الفاعلية	.451	.173	2.613	.009	دعمت

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية 2021م

وفقاً للجدول رقم (8) ويمكننا ملاحظة الأثر المباشر اعتماداً على معاملات الارتباط المتعدد (R2) والاعتماد على مستوي الدلالة (0.05)، وتشير أوزان معاملات الانحدار في العلاقة بين المتغير المستقل الإدارة الإلكترونية والمتغير التابع الكفاءة والفاعلية بعد (الكفاءة والفاعلية) إلى انخفاض تأثير بعد شبكات الاتصال حيث بلغ معامل الانحدار (0.36) ويفسر (0.45) من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.942). وانخفاض تأثير بعد البرمجيات حيث بلغ معامل الانحدار (0.24) ويفسر (0.29) من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.130). وانخفاض تأثير بعد الأجهزة والمعدات حيث بلغ معامل الانحدار (0.19) ويفسر (0.02 -) من التباين وهو دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.09) ومن التحليل نجد أنه توجد علاقة إيجابية جزئية بين الإدارة الإلكترونية والكفاءة والفاعلية بعد (الفاعلية)، وقد تحققت جميع شروط جودة النموذج.

أولاً: النتائج:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- لا توجد علاقة بين شبكات الاتصال والكفاءة.
- لا توجد علاقة بين البرمجيات والكفاءة.
- توجد علاقة إيجابية بين الأجهزة والمعدات والكفاءة.
- لا توجد علاقة بين شبكات الاتصال والفاعلية.
- لا توجد علاقة بين البرمجيات والفاعلية.
- توجد علاقة إيجابية بين الأجهزة والمعدات والفاعلية.

ثانياً: التوصيات:

- توفير برمجيات تساهم في اتخاذ القرارات وحل المشكلات وإعداد التقارير الإدارية.
- ترقية جميع البرمجيات المستخدمة في المصرف.
- توفير الشبكات التي تعمل على تحديث أسلوب الإدارة لتسهيل العمل الإداري بالمصرف.
- توفير الأجهزة والمعدات التي تعمل على توفير الوقت والجهد وإعداد التقارير والتعاون ما بين العاملين

- الاهتمام بالكفاءات الفردية لتحقيق أهداف المصرف.
- تدريب العاملين بالمصرف لتطوير وزيادة كفاءتهم.
- زيادة فاعلية المصرف من خلال تحقيق أهدافه في الفترة المحددة واستخدام الإمكانيات والموارد المتاحة.
- الاهتمام باقتراحات العاملين الهادفة بالمصرف.

المراجع والمصادر:

1. نجم عبود نجم الإدارة الإلكترونية (الاستراتيجية والوظائف والمشكلات)، (دار المريخ، الجيزة، 2004).
2. محمد سمير أحمد، الإدارة الإلكترونية، ط1 (دار المسيرة، عمان، 2009م).
3. سعد غالب ياسين، نظم المعلومات الإدارية، ط1 (دار اليازوري العلمية، عمان، 2009م).
4. وائل محمد صبحي إدريس وطاهر محسن منصور الغالبية، أساسيات الأداء وبطاقة التقييم المتوازن (دار وائل للنشر، القاهرة، 2009).
5. أحمد سيد مصطفى نظم معلومات إدارية ط1 (إدارة البشر، القاهرة، 2002م).
6. مفتاح الجنديين، الأداء المؤسسي، المنتدى العربي للإدارة الموارد البشرية، 2014، ص6

الرسائل الجامعية:

1. الطيب مصطفى أبو قناية، مفاهيم الإدارة الاستراتيجية لدى القيادات الإدارية وأثرها في تطوير أداء المنشأة، دراسة ميدانية، الخرطوم: جامعة الخرطوم، رسالة دكتوراه غير منشورة، 2002م.
2. بوقلاشي عماد، الإدارة الإلكترونية ودورها في تحسين أداء الإدارات العمومية، الجزائر: جامعة الجزائر رسالة ماجستير غير منشورة، 2011م.
3. بو كريمة نوال، أثر الاتصال في رفع الأداء التسويقي للمؤسسة الخدمية، دراسة حالة وكالة السفر والسياحة، الجزائر: جامعة الجزائر، رسالة ماجستير، 2011م.

4. محمد جمال أكرم عمار، مدى إمكانية تطبيق الإدارة الإلكترونية ودورها في تحسين أداء العاملين، غزة: الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، 2009م.
5. محمد حنفي محمد نور، الإدارة الاستراتيجية ودورها في أداء المنظمات الصناعية، دراسة حالة مجموعة شركات جباد، الخرطوم: جامعة النيلين، رسالة ماجستير غير منشورة، 2005م.
6. وازع محمد، الإدارة الإلكترونية وأثرها على الموارد البشرية في المؤسسة الجزائرية، الجزائر: جامعة المدينة رسالة ماجستير غير منشورة، 2013م.

مراجع إنجليزية:

1. 21-Hair,J.F,R.R.Anderson,R.L.Tataham&W.C.
2. Black,1998.Multivariate Data Analysis. Prentice Hall NewJerseyUSA
3. JamilKabirMohd (2004)."Introduction to Productivity Improvement Program,Malaysian Technical Cooperation Program", National productivity corporation Petaling Jaya,Selangor DarulEhsan, Malaysia. www.npc.org.my
4. Ababneh,Raed (2008).Acomprehensive Performance Evaluation of Jordanian Customs Development Using the Balanced Scorecard.Jordan Journal of Business Administration,Volume (4),Number (4), 2008
5. Churchill, G.A. (1979), "A paradigm for developing better measures of marketing constructs", Journal.
6. Nunnally,J.L,Psychometric theory,2nded,McGraw-Hall.New York NY,(1978)
7. Hair, J. f, Anderson, R.E, Tat ham, R.L and Black, w.c. (2010) "Multivariate Data Analysis"5thed, NJ :Prentice-Hall, Inc., p 10

أثر العلامة التجارية والاسم التجاري على سلوك المستهلك الشرائي دراسة ميدانية شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة- ولاية الخرطوم

The Impact of the branding on consumer buying behavior A field study: Dal Company for Food Industries Ltd. - Khartoum State

اعداد:

د. منتصر الهادي مالك بخيت: كلية الاقتصاد والدراسات التجارية، جامعة كردفان، السودان

د. عبدالعزيز حسن عبدالعزيز آدم: كلية الاقتصاد والدراسات التجارية، جامعة كردفان، السودان

د. مجاهد عبدالقادر فضل السيد إبراهيم: كلية الاقتصاد والدراسات التجارية، جامعة كردفان، السودان

Dr. Muntasir Al-Hadi Malik Bakhit: Faculty of Economics and Commercial Studies, University of Kordofan, Sudan

Dr. Abdulaziz Hassan Abdulaziz Adam: Faculty of Economics and Business Studies, University of Kordofan, Sudan

Dr. Mujahid Abdul-Qadir Fadl Al-Sayed Ibrahim: Faculty of Economics and Business Studies, University of Kordofan, Sudan

المستخلص:

هدفت الدراسة الى معرفة تأثير العلامة التجارية والاسم التجاري على سلوك المستهلك الشرائي بالتطبيق على شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة ولاية الخرطوم في الفترة من (2018م-2020م)، افترضت الدراسة أن هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين العلامة التجارية والاسم التجاري علي سلوك المستهلك الشرائي، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، أجريت الدراسة على العاملين بشركة دال للصناعات الغذائية المحدودة بولاية الخرطوم، تم سحب عينة عشوائية قوامها (120) مفردة وتم إسترداد (106) منها من خلال برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الإجتماعية spss، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج: أن العلامات التجارية تؤثر تأثير ايجابي ومعنوي على اتخاذ القرار الشرائي للمستهلكين لمنتجات شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة بمستوي معنوية (0.013). الاسم التجاري يؤثر تأثير ايجابي ومعنوي على الصورة الذهنية بشركة دال للصناعات الغذائية المحدودة بمستوي معنوية (0.017) وهي أصغر من (0.05). عدم وجود علاقة بين الاسم التجاري واتخاذ القرار الشرائي للمستهلكين لمنتجات دال للصناعات الغذائية المحدودة، عند مستوي المعنوية إلى (0.787) وهي أكبر من (0.05). أن تعمل شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة على تطوير العلامات التجارية و اظهار جودة المنتجات المقدمة لجذب مزيد من المستهلكين للتعامل معها. أوصت الدراسة بضرورة اهتمام شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة بأشباع رغبات واحتياجات العملاء والمستهلكين لكسب ولائهم بهدف المحافظة على الاسم التجاري والحصة السوقية. على شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة مواصلة تحسين جودة المنتجات وربطها بالاسم التجاري لها باعتبار أن المستهلكين يعتمدون على جودة المنتجات والاسم التجاري عند إتخاذ القرار الشرائي.

الكلمات المفتاحية: العلامة التجارية- الاسم التجاري- سلوك المستهلك- الصورة الذهنية- القرار الشرائي

ABSTRACT:

The study aimed to know the impact of the brand on consumer purchasing behavior by applying it to Dal Company for Food Industries Ltd. Khartoum State in the period from (2018- 2020). The study assumed that there is a statistically significant relationship between the brand and consumer

purchasing behavior. The study used the descriptive analytical approach, The study was conducted on employees of Dal Company for Food Industries Ltd. and a random sample of (120) individuals was withdrawn, (106) were used through the statistical packages for social sciences program (spss), and through the analysis the study reached a number of results: Commercial products have a positive and moral impact on consumers' purchasing decision-making for the products of Dal Company for Food Industries Ltd. at a significant level (0.013). The trade name has a positive and moral effect on the mental image of Dal Company for Food Industries Ltd. at a significant level (0.017), which is less than (0.05). There is no relationship between the trade name and the purchasing decision-making of consumers for Dal Food Industries Ltd. products, where the percentage of the level of significance indicated to (0.787), which is greater than (0.05). That Dal Food Industries Co. Ltd. works on developing brands and demonstrating the quality of the products offered to attract more consumers to deal with companies. The necessity of the interest of Dal Company for Food Industries Ltd. to satisfy the desires and needs of customers and consumers in order to gain their loyalty in order to maintain the trade name and market share. Dal Food Industries Co. Ltd. should continue to improve the quality of products and link them to trade names, considering that consumers rely on the quality of products and the trade name when making a purchasing decision.

Keywords: Brand - trade name - consumer behavior - mental image - purchasing decision

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

يعد الاستهلاك عملية روتينية يقوم بها الأفراد دائماً، وهو يمثل جزءاً من حياتنا اليومية، فكلنا مستهلكون نعيش في مجتمع معياره الاستهلاك، يقوم الفرد بتحقيقه لهذه العملية لتلبية حاجاته، التي تتغير مع مختلف أنواع المنتوجات، لاسيما باتساع تشكيلاتها، فيعتبر المستهلك المستخدم النهائي للمنتج، فرسم البرنامج التسويقي يبدأ بدراسة وفهم سلوكه، حيث أن هدف دراسة وتحليل هذا السلوك هو التنبؤ، فمديرو التسويق يسعون دائماً وبشكل حثيث إلى تقدير من هم الزبائن الذين يسعون لإشباع حاجاتهم ورغباتهم وسبب تصرفاتهم. حيث أن العلامات التجارية والاسماء التجارية وسيلة لضمان المنتج والمستهلك وإشاره مميزه وسمعة أساسية لشركات دال للصناعات الغذائية المحدودة التي تعتبر أن المستهلك جزء من الخطط الاستراتيجية ومن خلال عرض جميع المفاهيم المتعلقة بالفكر التسويقي الذي يجمع بين العلامات التجارية والاسماء التجارية وسلوك المستهلك، هو نتيجة لقرار مبني على مزيج من التفاعلات التراكمية التربوية والنفسية والخبرات المعرفية التي تؤثر بدورها على اتخاذ القرار الشرائي.

مشكلة الدراسة:

تمت صياغة مشكلة الدراسة في سؤال رئيسي وعدد من التساؤلات الفرعية وهي كما يلي:

- ما أثر العلامة التجارية والاسم التجاري على سلوك المستهلك الشرائي؟ وتنفرع منه الأسئلة التالية:

- ما أثر العلامة التجارية على الصورة الذهنية للمستهلك؟

- ما أثر العلامة التجارية على إتخاذ القرار الشرائي؟

- ماهو أثر الاسم التجاري على الصورة الذهنية للمستهلك؟

- ماهو أثر الاسم التجاري على إتخاذ القرار الشرائي؟

أهداف الدراسة:

الهدف الرئيسي للدراسة هو: التعرف على أثر العلامة التجارية والاسم التجاري على سلوك المستهلك الشرائي.

وتتفرع منه الأهداف التالية:

1. بيان أثر العلامة التجارية على الصورة الذهنية للمستهلك.
2. بيان أثر العلامة التجارية على إتخاذ القرار الشرائي.
3. بيان أثر الاسم التجاري على الصورة الذهنية للمستهلك.
4. التعرف على أثر الاسم التجاري على إتخاذ القرار الشرائي.

أهميه الدراسة:

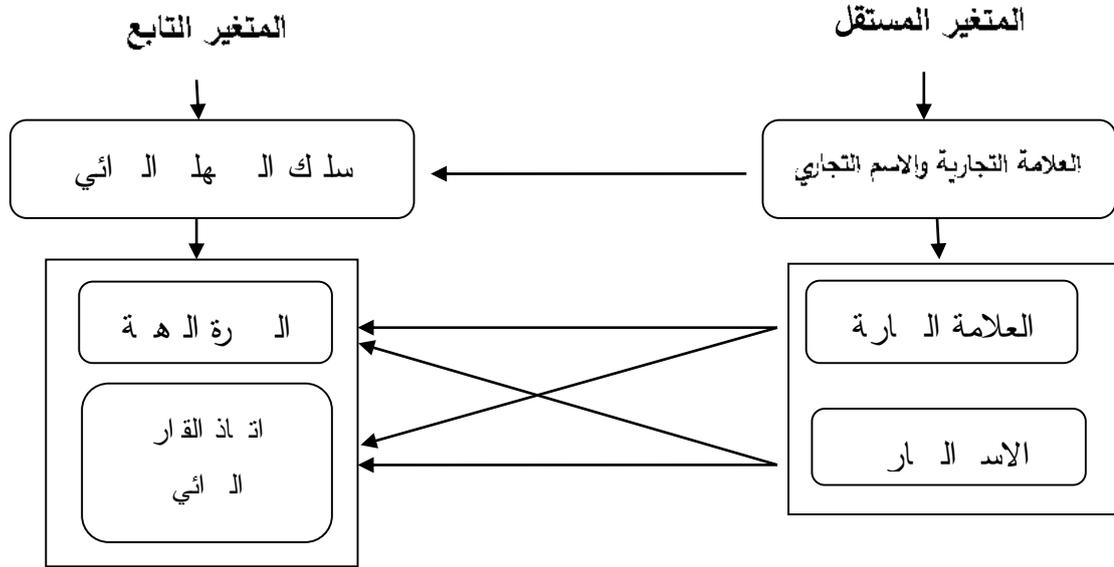
وتتمثل الأهمية الدراسة من جانبين:

أ- الأهمية العلمية: قد تشكل هذه الدراسة إضافة علمية مهمة للباحثين في مجال العلامات التجارية كونها تربط عناصرها بالصورة الذهنية، كما تبرز الأهمية العلمية لهذه الدراسة مما يسلط الضوء على السلوك الاستهلاكي لهذه الفئة من المستهلكين. وتأتي الدراسة استكمالاً للدراسات السابقة في مجال العلامات التجارية والاسم التجاري، ويمكن لهذه الدراسة أن تساهم في زياده الاهتمام العلمي بالعلامة التجارية والاسم التجاري.

ب- الأهمية العملية: تكمن أهمية الدراسة في مساعده الشركات على التميز في السوق وذلك عن طريق الاهتمام العلامة التجارية والاسم التجاري لكسب ثقة الزبائن مما يزيد الاقبال الشرائي نحو العلامة التجارية والاسم التجاري والتعرف على أثر العلامة التجارية والاسم التجاري في بناء الصورة الذهنية للمستهلكين وتعمل على تحسينها وتطويرها. كما يمكن لشركة دال للصناعات الغذائية بولاية الخرطوم من الاستفادة من نتائج وتوصيات ومقترحات الدراسة .

نموذج الدراسة:

الشكل (1) نموذج الدراسة



المصدر: اعداد الباحثون من أدبيات الدراسات السابقة 2020م

الدراسات السابقة: **اقترح استبدال الدراسة 3 و 4 بدراسات احدث وان تبء بالاهداف**
فالدراسات قديمة

1-دراسة: (مغنية، 2015)

هدفت الدراسة إلى محاولة إبراز بعض الجوانب العلمية للعلامة التجارية على قرار الشراء للمستهلكين. وإبراز دور العلامات التجارية وتأثيرها على القرار الشرائي للمستهلكين وتطبيق الدراسة النظرية وتجسيدها على أرض الواقع. وإبراز أهمية التوجه نحو المستهلك من خلال إنشاء العلامة التجارية لتوفير جهود زائد. ومن نتائج الدراسة: أن للعلامة التجارية دوراً مهماً في كل مرحلة من مراحل القرار الشرائي ويرتبط مفهوم الجودة المدركة للعلامة التجارية من وجهة نظر المستهلك بمدى قدرة المنتج على تلبية واشباع رغبات المستهلك مقابل ما يتوقعه أو يتجاوز ذلك.

وتساعد العلامة التجارية المستهلك وتوفر الوقت والجهد لأختيار المنتج الذي يراه مناسباً. والعلامة ذات السمعة الجيدة ترافقها خدمة العملاء.

2-دراسة: (هاشم، وابو دعابس،2007).

هدفت هذه الدراسة إلى قياس تأثير استخدام اسم المتجر كعلامة تجارية على أدراك المستهلك الأردني لجودة هذه العلامة إذ اشتمل مجتمع الدراسة من الزبائن الذين يقومون بزيارة متاجر التجزئة الكبرى في مدن عمان، ولتحقيق أهداف الدراسة فقد تم أخذ عينه عشوائية بسيطة مؤلفة من 500 فرد من سكان مدينة عمان كون هذه المتاجر جميعها تتركز في العاصمة عمان، وتم توزيع الاستبانة عليهم وذلك لأغراض البحث العلمي. وقد تم استرداد (403) أستبانة صالحه للتحليل. بنسبة 80.6%. قام الباحثان بتطبيق الاساليب الاحصائية اللازمة كالاحصاء الوصفي الذي يشتمل على التكرارات والنسب المئوية والوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات الأستبانة، واختبار الأنحدار البسيط وأختبار ANOVA على إجابات المبحوثين لأسئلة الاستبانة المذكوره. وكان من بين أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان أن اسم المتجر كعلامة تجارية يؤثر على إدراك المستهلك الأردني لجوده هذه العلامة.

3. دراسة: محمد الخشروم وسليمان علي2011.

هدفت الدراسة إلى قياس أثر الجودة المدركة والفرق في ولاء المستهلك للعلامة التجارية، كما هدفت إلى دراسة سلوك المستهلك السوري تجاه العلامة التجارية للألبسة الرياضية. تم قياس متغيرات الدراسة عن طريق توزيع استبانة على طلاب جامعة القلمون وتحليل البيانات عن طريق (spss) توصلت الدراسة إلى وجود أثر كبير للفرق المدرك الذي تخلقه العلامة التجارية في ذهن المستهلك في ولاءه لهذه العلامة. كما أظهرت النتائج أن المستهلك مستعد لدفع سعراً في الحالات وبشكل خاص مقابل الخصائص التي تميز العلامة، سواء من أماكن البيع المميزة والمشهورة أو النمط الفريد، في حين لم يكون مستعداً لدفع سعراً أعلى فقط في حال عدم توافر هذه العلامة، وأنه سيكون مستعداً للتحول للعلامات الأخرى دون إنتظار.

4. دراسة: مهادي سلمي ومجاهدي فاتح 2018

تهدف هذه الدراسة إلى قياس أثر الصورة الذهنية للعلامة التجارية على القيمة المدركة لها، بتحديد المكون المعرفي، العاطفي، الحسي كأبعاد لصورة العلامة التجارية وذلك بالاعتماد على عدد من الدراسات السابقة ذات العلاقة بالموضوع، ومن أجل ذلك تم القيام بدراسة ميدانية لقياس الصورة

الذهنية لكل من علامة Samsung و Condor لمنتجات الهواتف النقالة وأثر مكونات كل منها على القيمة المدركة لها، ثم المقارنة بينهما من خلال قياس حجم أثر صورة كل علامة تجارية على قيمتها المدركة، من خلال توزيع استمارة على عينة ميسرة مكونة من 675 مفردة من المستهلكين الجزائريين الفعليين والمحتملين للعلامتين التجاريتين محل الدراسة، وأثبتت النتائج أن هناك أثر قوي لصورة العلامة التجارية على القيمة المدركة لها خاصة من خلال مكوناتها العاطفية الذي كان له الأثر الأكبر.

الإطار المفاهيمي:

العلامة التجارية:

- هي صورة أو رمز أو حرف أو اسم مكتوب بطريقة خاصة وتصميم فريد بشخصية مستقلة يعرف منه إنتاج الشركة مميزاً عن المنتجات المنافسة ويرتبط هذا الإنتاج دائماً في ذهن المستهلك الأخير (البسيوني، 2008م).

- العلامات أو الماركة Brand بأنها اسم أو مصطلح أو رمز أو تصميم أو تركيب منها جميعاً يلجأ إليها المنتج أو الموزع بهدف تمييز سلعة أو خدمة عما يقدمه المنافسون. وعند حصول المنظمة على حماية قانونية لاسم الماركة فإنها تكون قد حصلت على العلامة التجارية Trade Mark. أما إشارة العلامة Brand Mark فتعرف بالنظر لا بالنطق وتشكل جزء من العلامة أو الماركة. (نعيم ورشيد نمر، 2006م).

- الاسم التجاري: هو الاسم الذي يكون المستهلكون من خلاله على علم تام عندما يتسوقون بالمنتجات والخدمات وهو لفظ يطلق على السلعة أو المنشأة، ولا تختلف وظائفه عن وظائف العلامة، بيد أن الاسم يكون منطوقاً فيؤثر على المستهلكين كافة عن طريق حاسة السمع وفي المستهلكين الذين يستطيعون القراءة عن طريق حاسة البصر. (عساف، 1976م).

- سلوك المستهلك: هو التصرف الذي يبرزه المستهلك في البحث عن شراء أو استخدام المنتجات التي يتوقع أنها ستشبع حاجاته ورغباته حسب الإمكانيات الشرائية المتاحة. (حسن والعليش، 2007م).

- اتخاذ قرار الشراء: هو عبارة عن عملية اختيار حل معين من بين حلين أو أكثر من الحلول المتاحة في بيئة العمل، أي أنها تنتهي إلى تفضيل حل (أو بديل) معين. (ياغي، 2009م)

عوامل سلوك المستهلك:

هي العوامل التي تؤثر في تصرفات وأفعال المستهلك وتوجه سلوكه نحو ما هو مطروح من سلع وخدمات. (فريد واسماعيل، 2002م)

مزايا استخدام العلامات التجارية:

- 1- تلعب العلامات المميزة دوراً بارزاً في الإستدلال على جودة السلعة، حيث يمكن أن تبوح بالكثير وهذا يفسر قيام المستهلك بتكرار شراء السلعة ذات العلامة المميزة.
- 2- أن وجود العلامة المميزة من شأنه أن يرفع كفاية عملية التسوق التي تشير إلى عدد الأصناف التي يمكن أن يشتريها المستهلك في وحدة زمنية معينة، ولتحقيق مستوى معين من الاشباع.
- 3- تساعد العلامة المميزة التي تحملها السلعة في لفت إنتباه المستهلك لأي خصائص أو سمات يمكن أن تتصف بها السلع، وخاصة الجديدة منها، وتكون ذات فائدة له.
- 4- تستخدم العلامة المميزة وخاصة المشهورة، من قبل فئة من المستهلكين الذين لا توجد لديهم معرفة سابقة بالسلعة كوسيلة لتخفيض الخطرين النفسي والاجتماعي المدركين في قرار الشراء. (ناجي ورائف، 2001م).

أهداف العلامات التجارية:

- 1- اعطاء المنتج حرية أكبر في تسعير السلعة، فإذا نجح في خلق تفضيل لدى المستهلكين نحو سلعتهم فإنهم سيقبلون على شرائها حتى لو كان هنالك فرق في سعرها.
- 2- استخدام العلامة ذات السمعة الجيدة لتسهيل تقديم سلع جيدة.
- 3- تمييز السلع المنظمة عن غيرها من السلع المنافسة.
- 4- العلامة تعطي البائع الفرصة للحصول على ولاء مجموعة من العملاء.
- 5- العلامة الجيدة تساعد في بناء صورة ذهنية طيبة عن المنظمة. (جاسم، 2014م).

خصائص اسم العلامات التجارية:

- 1- يجب أن يكون قصير وسهل الفهم واللفظ وأن يعكس بعض مواصفات السلعة ومنافعها.
- 2- أن يكون الاسم مميزاً بحيث يميز السلعة عن الماركات الأخرى من نفس السلعة.
- 3- سهل التذكر من قبل المستهلكين.
- 4- أن تكون لها صفة مميزة جيدة لم يسبق استعمالها. وأن تتخذ شكلاً معيناً.
- 5- أن تكون غير منافية للأداب أو النظام العام وألا تتضمن العلامة شعارات من شأنها تضليل الجمهور.

أشكال العلامات التجارية:

- أولاً:** الأسماء: ويقصد بالاسم هنا اسم الشخص ويشمل اسم العائلة مثل (اسم الشخص ويشمل اسم العائلة مثل (Ford) للسيارات الأمريكية ويلزم الاسم لاستخدام العلامة أن يتخذ شكلاً مميزاً يرضي المستهلكين ويكتب بخط جميل يستخدم لتميز السلعة لذلك توضع على الغلاف الخاص بها.
- ثانياً:** الحروف أو الأرقام يجوز لأي تاجر أو منتج سلعة أو مقدم خدمة أن يتخذ الحروف والأرقام كعلامة تجارية يقبل تسجيلها شريطة أن يتم إبرازها ولا يهمل طريقة الكتابة أو اللغة التي تكتب بها مثل (avp) للمشروبات الغازية (L) للمجوهرات، (LG) للهواتف النقالة، (555) للعطور
- ثالثاً:** الأشكال أو الصور يمكن أن تتخذ الأشكال والصور كعلامة تجارية كصورة التمساح على علامة الملابس.
- رابعاً:** الألوان: يمكن أن يتخذ من الألوان علامة تجارية ومن الممكن أن تكون العلامة التجارية لون واحد أو أكثر من الألوان. بالإضافة إلى أن يمثل هذا اللون جزءاً من العلامة مثل وضع حمراء أو صفراء أو أكثر من لون داخل شكل معين. كما أنه لا يمكن أن يحتكر اللون إذ كان هو اللون الطبيعي المنتج مثل الأصفر الليمون الأخضر النعناع كما أن للمالك الحق في خلط الألوان مثل علامة الألوان لمعجون الأسنان (crest) الألماني.
- خامساً:** الغلافات والوعية قد تتركب العلامة من شكل أو لون خاص للأغلفة أو الأوعية التي توضع فيها السلعة كالزجاجات الروائح وزجاجات الكوكا كولا وصناديق الحلوى.

سادساً: الدمغات والأختام والنقوش البارزة. (حسومات، 2015م)

السلوك الشرائي للمستهلك:

هو التصرف الذي يبرزه المستهلك في البحث عن شراء أو استخدام السلع أو الخدمات أو الأفكار أو الخبرات التي يتوقع أنها ستشبع رغباته أو حاجاته أو حاجاتها وحسب الأماكن الشرائية المتاحة" (عبيدات، 2000م).

أهداف دراسة السلوك الشرائي للمستهلك:

- 1- يقوم المفهوم التسويقي الحديث على فكرة أن المستهلك هو نقطة البداية والنهاية في العملية التسويقية، إذ أن الفلسفات التسويقية الإنتاجية والبيعية قد أثبتت فشلها وقصورها مع مرور الزمن بسبب إهمالها لدراسة سلوك وتصرفات المستهلك، وركزت على طبيعة المنتجات وطريقه بيعها فقط.
- 2- توفر دراسة سلوك المستهلك إكتشاف المنظمة للفرص التسويقية الجديدة عن طريق البحث في الحاجات والرغبات غير المشبعة والجديدة لدي المستهلكين، والاستثمار فيها بشكل يساعد المنظمة على تنويع منتجاتها لرفع قدرتها التنافسية، وزيادة حصتها السوقية.
- 3- تساعد دراسة سلوك المستهلك ومعرفة قدرات الفرد الشرائية في رسم السياسات السعرية .
- 4- تساعد دراسة سلوك المستهلك في رسم السياسات الترويجية للمنظمة، من خلال معرفة أذواق المستهلكين وتفضيلاتهم. (النسور، 2000م)
- 5- تمكن دراسة سلوك المستهلك المنظمة من تحليل أسواقها وتحديد القطاعات المستهدفة، ومعرفة عادات ودوافع الشراء لدى مستهلكيها بدقة.
- 6- تمكن المنظمة من تقييم أدائها التسويقي، والقدرة على تحديد نقاط القوة والضعف فيها. فمن خلال معرفة رأي المستهلك للمنتج والطريقة التي يقدم بها تمكن المنظمة من المعالجة التسويقية أما بالحفاظ على المنتج والاستمرار في تقديمه أو تعديله أو إلقائه نهائياً.
- 7- السلوك الإنساني سلوك هادف، فلكل فرد سلوك يهدف إليه والذي يحدد هذا الغرض هو حاجات الفرد النفسية والجسدية وأن كل سلوك لا بد وأن يكون وارثه دافع. (عشاوي، 1977م).

الإطار التحليلي للدراسة:

منهجية الدراسة:

أداة الدراسة:

اعتمدت الدراسة على أداة الاستبانة في جمع البيانات تم تقسيم الاستبانة إلى جزئين، الجزء الأول تناول المعلومات العامة في ستة أسئلة تمثل البيانات الشخصية التي تعمل على وصف عينة الدراسة. وقد احتوى كل سؤال على خيارات للإجابة عليه، والجزء الثاني تناول عبارات موضوع البحث في أربعة محاور، محورين متعلقة بالمتغير المستقل العلامة التجارية والاسم التجاري، وبها 14 عبارة، ومحورين متعلقة بالمتغير التابع سلوك الشرائي للمستهلك.

صدق البناء لأداة الدراسة:

لاختبار مدى توافر الثبات والاتساق الداخلي بين الإجابات على الأسئلة تم احتساب معامل المصادقية ألفا كرونباخ (Alpha-Cronbach) والثبات لكل محور من محاور البحث في أداء الدراسة ثم إيجاد المعامل لكل عبارات الدراسة. كما هو موضح في الجدول (1)

جدول (1) معامل المصادقية ألفا كرونباخ لعبارات المتغيرات الدراسة

معامل الصدق	معامل الثبات ألفا رنباخ	عدد العبارات	الأبعاد	
0.851	0.724	7	العلامة التجارية	المتغير المستقل:
0.903	0.816	7	الاسم التجاري	العلامة التجارية والاسم التجاري
0.955	0.912	14	مجموع عبارات المتغير المستقل	
0.922	0.851	7	الصورة الذهنية	المتغير التابع:
0.837	0.700	7	اتخاذ القرار الشرائي	السلوك الشرائي للمستهلك
0.944	0.892	14	مجموع عبارات المتغير التابع	
0.965	0.931	28	كل العبارات	

المصدر: اعداد الباحثون من واقع بيانات الدراسة 2020م

الجدول رقم (1) يبين اختبار الثبات على إجابات المستجيبين للاستبانة لجميع محاورها وبلغت قيمة ألفا كرنباخ (0.931) وتعنى هذه القيمة توافر درجة عالية جداً من الثبات الداخلي في الإجابات حيث تعتبر أن القيمة المقبولة إحصائياً لمعامل ألفا كرنباخ 60% مما يمكن من الاعتماد على هذه الإجابات في تحقيق أهداف الدراسة وتحليل نتائجها. أما مقياس المصادقية فهو الجذر التربيعي لمقياس الثبات الذي كانت قيمته (0.965) وتعتبر الأداة ذات مصادقية عالية لأن قيمة مقياس المصادقية قريب من الواحد.

التحليل العاملي لعبارات متغيرات الدراسة:

تتكون الدراسة من متغير مستقل يتكون من محورين، ومتغير تابع يتكون من محورين:

المتغير المستقل: العلامة التجارية والاسم التجاري:

المحور الأول: العلامة التجارية.

المحور الثاني: الاسم التجاري.

المتغير التابع: السلوك الشرائي للمستهلك:

المحور الأول: الصورة الذهنية.

المحور الثاني: اتخاذ القرار الشرائي.

بلغ العدد الكلي للعبارات التي تقيس المتغير المستقل (14) عبارات، أما عبارات المتغير التابع فبلغت (14) عبارات. تم تنفيذ عملية التحليل العاملي على بيانات الدراسة الميدانية باستخدام برنامج SPSSV.22 وكانت النتائج على النحو التالي:

التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير المستقل العلامة التجارية والاسم التجاري:

تم استخدام برنامج SPSS (V.25) لأجراء التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير المستقل العلامة التجارية والاسم التجاري ، الذي يتكون من (14) عبارات، وجاءت النتائج كما في الجدول رقم 2.

جدول (2) نتائج التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير المستقل العلامة التجارية والاسم التجاري:

2	1		
	0.868	B4	العلامة التجارية
	0.861	B3	
	0.829	B6	
	0.800	B7	
	0.568	B5	
	0.554	B1	
		B2	
0.836		C2	الاسم التجاري
0.773		C6	
0.715		C1	
0.709		C3	
0.706		C7	
0.685		C5	
		C4	
1.829	2.600	الجذور الكامنة	
12	29	التباين %	
50		التباين الكلي %	
0.035		Determinant	
0.516		KMO	
324.623	Approx. Chi-Square	Bartlett's Test of Sphericity	
210	Df		

0.000	Sig	
-------	-----	--

المصدر: اعداد الباحثون من واقع بيانات الدراسة 2020م

الجدول رقم (2) يبين نتائج اختبار Bartlett's و KOM ومصفوفة الارتباطات لمحاور المتغير المستقل العلامة التجارية والاسم التجاري، جاءت قيمة اختبار KMO تساوي (0.516) وهي أكبر من الحد الأدنى الذي أشرطه Kaiser وهو (0.50) وهذا يدل على كفاية حجم العينة. أن كل معاملات مصفوفة الارتباطات للمتغير المستقل العلامة التجارية والاسم التجاري تقع بين (0.25) و(0.9)، محدد المصفوفة يساوي (0.035) وهو أكبر من (0.00001) مما يعني أن محدد المصفوفة غير صفري، وأن المصفوفة تختلف عن مصفوفة الوحدة، لأن قيمة اختبار Bartlett's كانت معنوية عند مستوى خطأ مسموح به (0.000) وهذا دليل على صلاحية محاور المتغير المستقل العلامة التجارية للتحليل العاملي. ومن الجدول السابق يتبين أن عبارات المتغير المستقل العلامة التجارية والاسم التجاري تم اختزالها في عاملين، وأن قيم الاشتراكات الأولية للعوامل تزيد عن (0.50) وهذا دليل على أن هذه العوامل استخرجت من العبارات تباين أكبر من (50%) وقيمة الجذور الكامنة Eigen values تساوي (2.600) للعامل الأول و(1.829) للعامل الثاني. وهذه القيم أكبر من الرقم واحد وهذا دليل على أن قدرة العوامل على تفسير التباين يعادل أكثر من ضعف ما يفسره المتغير الواحد، أو العبارة الواحدة. وهذه العوامل عينة تفسر (50%) من التباين الكلي للمتغير المستقل العلامة التجارية. تم إجراء عملية التحليل العاملي الاستكشافي لعبارات محاور المتغير المستقل العلامة التجارية، وقد نتج عن هذه العملية حذف العبارة الثانية (b2) من محور العلامة التجارية، والعبارة الرابعة (c4) من محور الاسم التجاري.

التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير التابع السلوك الشرائي للمستهلك:

تم استخدام برنامج SPSS (V.25) لأجراء التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير التابع سلوك المستهلك الشرائي، الذي يتكون من (14) عبارات، وجاءت النتائج كما في الجدول رقم (3):

جدول رقم (3) نتائج التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير التابع سلوك الشرائي للمستهلك:

2	1		
0.819		F3	الصورة الذهنية
0.818		F6	

0.766		F1	اتخاذ القرار الشرائي
0.563		F7	
0.533		F2	
	0.808	H1	
	0.725	H4	
	0.721	H7	
	0.707	H5	
	0.706	H2	
	0.704	H6	
	0.549	H3	
1.645	1.872	لجذور الكامنة	
13	36	التباين %	
49		التباين الكلي %	
0.267		Determinant	
0.517		KMO	
131.358	Approx. Chi-Square		Bartlett's Test of Sphericity
91	Df		
0.000	Sig		

المصدر: اعداد الباحثون من واقع بيانات الدراسة 2020م

الجدول أعلاه يبين نتائج اختبار Bartlett's و KOM ومصفوفة الارتباطات لمحاور المتغير التابع سلوك المستهلك الشرائي، جاءت قيمة اختبار KMO تساوي (0.517) وهي أكبر من الحد الأدنى الذي أشرطه Kaiser وهو (0.50) وهذا يدل على كفاية حجم العينة. أن كل معاملات مصفوفة الارتباطات للمتغير التابع سلوك المستهلك الشرائي تقع بين (0.25) و(0.9)، محدد المصفوفة يساوي

(0.267) وهو أكبر من (0.00001) مما يعني أن محدد المصفوفة غير صفري، وأن المصفوفة تختلف عن مصفوفة الوحدة، لأن قيمة اختبار Bartlett's كانت معنوية عند مستوى خطأ مسموح به (0.000) وهذا دليل على صلاحية محاور المتغير التابع السلوك الشرائي للمستهلك للتحليل العاملي. ومن جدول السابق يتبين أن عبارات المتغير التابع سلوك المستهلك الشرائي تم اختزالها في عاملين، وأن قيم الاشتراكات الأولية للعوامل تزيد عن (0.50) وهذا دليل على أن هذه العوامل استخرجت من العبارات تباين أكبر من (50%) وقيمة الجذور الكامنة Eigen values تساوي (1.872) للعامل الأول و(1.645) للعامل الثاني. وهذه القيم أكبر من الرقم واحد وهذا دليل على أن قدرة العوامل على تفسير التباين يعادل أكثر من ضعف ما يفسره المتغير الواحد، أو العبارة الواحدة. وهذه العوامل تفسر (50%) من التباين الكلي للمتغير التابع سلوك المستهلك الشرائي.

تم إجراء عملية التحليل العاملي الاستكشافي لعبارات محاور المتغير التابع السلوك الشرائي للمستهلك، وقد نتج عن هذه العملية حذف العبارة الرابعة والخامسة (f4) (f5) من محور العوامل الصورة الذهنية.

فرضيات الدراسة:

فرضية الدراسة الرئيسية الأولى:

H 01 تؤثر العلامة التجارية تأثير إيجابي على سلوك المستهلك الشرائي.

وتفرعت منها الفرضيتين التاليتين:

H 1.1 تؤثر العلامة التجارية تأثير إيجابي على الصورة الذهنية.

H 1.2 يؤثر العلامة التجارية تأثير إيجابي على اتخاذ قرار الشراء.

فرضية الدراسة الرئيسية الثانية:

H 0.2 يؤثر الاسم التجاري تأثير إيجابي على سلوك المستهلك الشرائي.

وتفرعت منها الفرضيتين التاليتين:

H 2.1 يؤثر الاسم التجاري تأثير إيجابي على الصورة الذهنية.

H 2.2 يؤثر الاسم التجاري تأثير إيجابي على اتخاذ قرار الشراء.

متغيرات الدراسة:

تتكون الدراسة من أربعة متغيرات وفقاً لنتائج التحليل العاملي، متغيرين مستقلين ومتغيرين تابعين، كما موضح في الجدول في الجدول رقم (4)

جدول رقم (4) متغيرات الدراسة بعد التحليل العاملي

م	المتغير	اسم المتغير	نوع المتغير	عدد العبارات
1	X1	العلامة التجارية	مستقل	6
2	X2	الاسم التجاري	مستقل	6
3	Y1	الصورة الذهنية	تابع	5
4	Y2	اتخاذ قرار الشراء	تابع	7

المصدر: اعداد الباحثون من واقع بيانات الدراسة 2020م

تم استخدام الوسط الحسابي لقياس قيم متغيرات الدراسة لاستخدامها في تحليل الانحدار لمناقشة فرضيات الدراسة.

مناقشة فرضيات الدراسة:

تمت مناقشة اختبار فرضيات الدراسة (بعد استخدام التحليل العاملي للبيانات) من خلال استخدام أساليب نمذجة المعادلات البنائية، واستخدام أسلوب تحليل المسار، وهي تقنية إحصائية تستخدم لنفس غرض استخدام الانحدار المتعدد، حيث أن تحليل المسار يعتبر امتداد لتحليل الانحدار المتعدد، ولكن تحليل المسار أكثر فعالية حيث أنه يضع في الحسبان نمذجة التفاعلات بين المتغيرات وعدم الخطية، وأخطاء القياس والارتباط الخطي المتعدد بين المتغيرات المستقلة.

لاختبار فرضيات الدراسة تم استخدام أسلوب تحليل المسار للتعرف على العلاقة بين متغير الدراسة المستقل العلامة التجارية، ويتكون من (العلامة التجارية، والاسم التجاري) ومتغير الدراسة التابع سلوك المستهلك الشرائي، ويتكون من (الصورة الذهنية، واتخاذ قرار الشراء) تم استخدام برنامج (24) AMOS لتحليل البيانات بعد استخدام الوسط الحسابي لتكوين المتغيرات بصورة كمية، الجدول (7) يبين التوزيع الاحصائي لمتغيرات الدراسة.

جدول (5) التوزيع الاحصائي لمتغيرات الدراسة

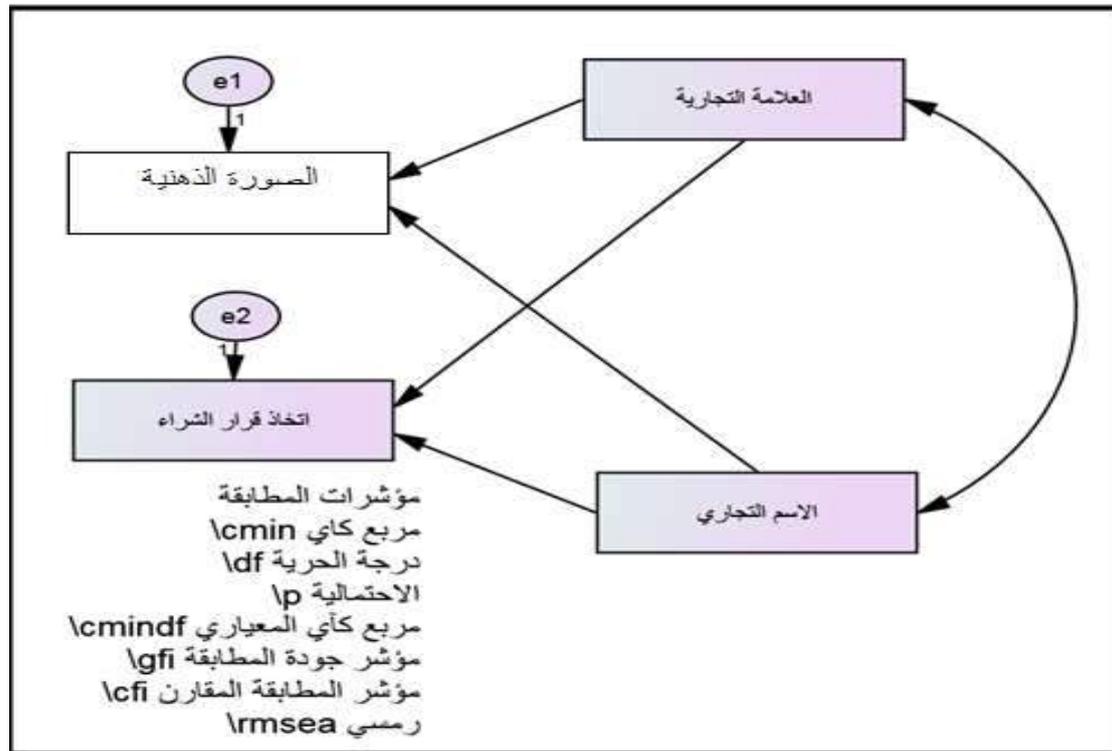
الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	المتغير
0.241	4.698	العلامة التجارية
0.244	4.627	الاسم التجاري
0.284	4.623	الصورة الذهنية
0.364	4.507	اتخاذ قرار الشراء

المصدر: اعداد الباحثون من بيانات الدراسة الميدانية 2020م

الجدول رقم (5) يبين التوزيع الاحصائي لمتغيرات الدراسة حيث وجد أن المتغيرات تتبع التوزيع الطبيعي لأن الانحراف المعياري لكل المتغيرات اقل من (1) وهذا دليل على تجانس عبارات المتغيرات وعدم وجود تباين كبير.

نتائج فرضية الدراسة الرئيسية: تؤثر العلامات التجارية تأثير إيجابي في السلوك الشرائي للمستهلك.

الشكل (2) نتائج تحليل المسار للعلاقة بين العلامة التجارية السلوك الشرائي للمستهلك



المصدر: اعداد الباحثون، باستخدام الحزم الإحصائية AMOS 24، 2020م

جدول (6) مؤشرات مطابقة التحليل المسار للعلاقة بين العلامة التجارية والاسم التجاري وسلوك المستهلك الشرائي:

المقياس	القيمة	المستوى المقبول	القرار
مربع كأي المعياري Chi – Square	1.366	نسبة مربع كأي إلى درجة الحرية يجب أن تكون أكبر من 1 وأقل من 5	تطابق جيد
الجزر التربيعي لمتوسط خطأ الاقتراب RMSEA	0.059	أقل من 0.08	تطابق جيد
مؤشر جودة المتطابقة GFI	0.995	المجال يتراوح من الصفر (لا توجد مطابقة) والواحد (مطابقة تامة)	تطابق جيد
مؤشر المطابقة المقارن CFI	0.993	المجال يتراوح من الصفر (لا توجد مطابقة) والواحد (مطابقة تامة)	تطابق جيد

المصدر: اعداد الباحثون بالاعتماد على بيانات الدراسة الميدانية 2020م.

الجدول يبين نتائج اختبارات المطابقة لنموذج تحليل المسار للعلاقة بين العلامات التجارية سلوك المستهلك الشرائي، وجد أن النموذج المفترض يمتاز بمطابقة جيدة، لأن النسبة بين قيم مربع كأي، ودرجات الحرية للنموذج كانت (1.366) وهي أكبر من (1) وأقل من (2)، وقيمة الجذر التربيعي لمتوسط خطأ الاقتراب RMSEA (0.053) وقيمة مؤشر المطابقة المقارن (CFI) (0.993) وهي أكبر من (0.90) وقيمة مؤشر جودة المتطابقة (GFI) (0.995).

مناقشة فرضية الدراسة الأولى: تؤثر العلامة التجارية تأثير إيجابي على سلوك المستهلك الشرائي.

تمت مناقشة الفرضية الفرعية الأولى باستخدام تحليل المسار، الشكل رقم (2) والجدول رقم (7) يبين تقدير العلاقة بين العلامة التجارية كمتغير مستقل والمتغير تابع سلوك المستهلك الشرائي بأبعاده (الصورة الذهنية ، اتخاذ القرار الشرائي).

جدول (7) يمثل نتائج تحليل المسار للعلاقة بين العلامة التجارية وسلوك المستهلك الشرائي بأبعاده (الصورة الذهنية، اتخاذ قرار الشراء)

الوصف	الاحتمالية P	القيمة الدرجة C.R.	الأخطاء المعيارية S.E.	التقديرات Estimate	العلاقات	
لم تدعم	0.419	0.808	0.118	0.096	<-	العلامة التجارية
دعمت	0.013	2.473	0.162	0.399	<-	العلامة التجارية

المصدر: اعداد الباحثون من بيانات الدراسة الميدانية 2020م.

عند دراسة المعنوية الفردية للمعالم المقدرة من الجدول أعلاه وجد أن المعلم المقدر للعلامات التجارية في علاقته بالصورة الذهنية قد اجتاز اختبار المعنوية للفردية، لأن قيمة احتمالية الاختبار (0.013) كانت أقل من الخطأ المسموح به للاختبار (5%). وعند دراسة المعنوية الفردية للمعالم المقدرة للعلامات التجارية في علاقتها باتخاذ القرار الشرائي لم تجتاز اختبار المعنوية للفردية، لأن قيمة احتمالية الاختبار (0.419) كانت أكبر من الخطأ المسموح به للاختبار (5%).

مناقشة فرضية الدراسة الثانية: يؤثر الاسم التجاري تأثير إيجابي على سلوك المستهلك الشرائي.

تم مناقشة الفرضية الفرعية الثانية باستخدام تحليل المسار، الشكل رقم (2) والجدول رقم (8) يبين تقدير العلاقة بين العلامات التجارية كمتغير مستقل في بعدين (العلامة التجارية، الاسم التجاري) واتخاذ قرار الشراء كأحد أبعاد المتغير التابع سلوك المستهلك الشرائي.

جدول (8) يمثل نتائج تحليل المسار للعلاقة بين الاسم التجاري وسلوك المستهلك الشرائي بأبعاده (الصورة الذهنية، اتخاذ قرار الشراء)

الوصف	الاحتمالية P	القيمة الدرجة C.R.	الأخطاء المعيارية S.E.	التقديرات Estimat	العلاقات	
دعمت	0.017	2.378	0.112	0.267	<-	الاسم التجاري
لم تدعم	0.787	0.271	0.153	0.042	<-	الاسم التجاري

المصدر: اعداد الباحثون من بيانات الدراسة الميدانية 2020م.

عند دراسة المعنوية الفردية للمعالم المقدر من الجدول رقم (8) وجد أن المعلم المقدر للاسم التجاري في علاقته بالصورة الذهنية قد اجتاز اختبار المعنوية للفردية، لأن قيمة احتمالية الاختبار (0.017) وكان أقل من الخطأ المسموح به للاختبار (5%). وعند دراسة المعنوية الفردية للمعالم المقدر للاسم التجاري في علاقته بإتخاذ القرار الشرائي لم تجتاز اختبار المعنوية للفردية، لأن معنوية الاختبار لهما كانت أكبر من الخطأ المسموح به (5%).

اثبات فرضيات الدراسة:

تم استخدام التحليل العاملي وتحليل المسار لمناقشة فرضيات الدراسة وتم التوصل إلى النتائج التالية:

1. التحقق من فرضية الدراسة الرئيسية الأولى:

من الجدول رقم (8) نجد أن العلامة التجارية تؤثر في السلوك الشرائي للمستهلك (بعد اتخاذ قرار الشراء) تأثير إيجابي ومعنوي (5%) وأن قيمة المعلمة المقدر كانت (0.933).

من الجدول رقم (6) وجدنا أن هذا النموذج يمتاز بمقدرة تفسيرية عالية لأن قيمة مؤشر جودة المطابقة (GFI) كانت (0.995) وهذا دليل على أن النموذج يفسر (99%) من العوامل المؤثرة في إتخاذ القرار الشرائي، و(1%) من إتخاذ القرار الشرائي ناتجة من عوامل غير موجود في النموذج، وهذا يحقق فرضية الدراسة الفرعية الثانية: وهي تؤثر العلامات التجارية تأثير إيجابي في اتخاذ قرار الشراء. من خلال (6) عبارات:

1-العلامات المميزة للشركة لها دوراً بارزاً في إظهار جوده المنتجات المقدمة.

2-تعمل العلامات التجارية على جذب مزيد من المستهلكين للتعامل مع منتجات الشركة.

3-تساعد العلامات التجارية على لفت أنتباه المستهلكين ودفعهم نحو التعامل مع منتجات الشركة.

4-تساعد العلامات التجارية على بناء صورة ذهنية جيدة للشركة .

5-توفر العلامات التجارية تقليل الوقت والجهد للمستهلك في إختيار المنتجات التي يراها مناسبة.

6-العلامات التجارية من أهم الوسائل التي تمكن المستهلك من التعرف على المنتجات.

2- التحقق من فرضية الدراسة الرئيسية الثانية:

من الجدول رقم (8) نجد أن المتغير المستقل الاسم التجاري يؤثر في السلوك الشرائي للمستهلك (بعد الصورة الذهنية) تأثير إيجابي ومعنوي (5%) وأن قيمة المعلمة المقدرة كانت (0.267) على التوالي.

من الجدول رقم (6) وجدنا أن هذا النموذج يمتاز بمقدرة تفسيرية عالية لأن قيمة مؤشر جودة المطابقة (GFI) كانت (0.995) وهذا دليل على أن النموذج يفسر (99%) من العوامل المؤثرة في الصورة الذهنية، و(1%) من الصورة الذهنية ناتجة من عوامل غير موجود في النموذج، وهذا يحقق فرضية الدراسة الأولى: وهي يؤثر الاسم التجاري تأثير إيجابي في الصورة الذهنية. من خلال (6) عبارات:

1- يوضح الاسم التجاري خصائص المنتج وطرق إستخدامة.

2- الاسم التجاري للشركة يميز المنتج عن غيره من منتجات الشركات الأخرى.

3- يمنح الاسم التجاري الثقة لكل من يتعامل مع منتجات الشركة

4- يعتبر الاسم التجاري جزء من المنتج الذي تقدمه الشركة.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة الي النتائج التالية:

1- العلامات التجارية تؤثر تأثير ايجابي ومعنوي على إتخاذ القرار الشرائي للمستهلكين لمنتجات شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة بمستوي معنوية (0.013).

2- الاسم التجاري يؤثر تأثير ايجابي ومعنوي على الصورة الذهنية بشركة دال للصناعات الغذائية المحدودة بمستوي معنوية (0.017) وهي أصغر من (0.05).

3- عدم وجود علاقة بين العلامات التجارية والصورة الذهنية لمنتجات دال للصناعات الغذائية المحدودة حيث أن مستوي المعنوية أكبر من (0.05).

5- عدم وجود علاقة بين الاسم التجاري واتخاذ القرار الشرائي للمستهلكين لمنتجات دال للصناعات الغذائية المحدودة حيث أشارت نسبة مستوي المعنوية إلى (0.787) وهي أكبر من (0.05).

توصيات الدراسة:

أوصت الدراسة بالآتي:

- 1- ضرورة أن تعمل شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة على تطوير العلامات التجارية وإظهار جودة المنتجات المقدمة لجذب مزيد من المستهلكين للتعامل مع الشركات.
- 2- ضرورة اهتمام شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة باشباع رغبات واحتياجات العملاء والمستهلكين لكسب ولأهم بهدف المحافظة على الاسم التجاري والحصة السوقية.
- 3- على شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة الاهتمام بمواصلة تحسين جودة المنتجات وربطها بالاسماء التجارية بأعتبار أن المستهلكين يعتمدون على جودة المنتجات والاسم التجاري عند إتخاذ القرار الشرائي.
- 4- على شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة الاهتمام بكيفيه تحقيق رضا العملاء لأنه يؤدي إلى تحقيق الولاء مما يؤدي إلى الأحتفاظ بالعملاء الحاليين وجذب عملاء جدد.
- 5- ضرورة إهتمام شركة دال للصناعات الغذائية المحدودة بتطبيق التكنولوجيا والعمل على تطبيق أساليب إبداعية في التسويق والعلامات التجارية لكسب رضاء وولاء المستهلكين.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- رضاء اسماعيل البسيوني إدارة التسويق، القاهرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2008.
- 2- نعيم العبد عاشور و رشيد نمر عودة مبادئ التسويق، عمان، الاردن، دار إلنازوري، 2006.
- 3- محمد عساف أصول التسويق، القاهرة، مكتبة عين شمس، 1976.
- 4- حسن عباس، العليش محمد إدارة التسويق، السودان، منشورات جامعة السودان، 2007.
- 5- محمد عبدالفتاح ياغي، إتخاذ القرارات التنظيمية، عمان، دار وائل للنشر، 2009.
- 6- محمد فريد، اسماعيل محمد، التسويق، الاسكندرية، الدار الجامعية، 2002م.
- 7- ناجي معلا ورائف توفيق، أصول التسويق، عمان، دار وائل للنشر، 2001م.

- 8- محمود جاسم، ردينة عثمان، تسويق الخدمات، عمان، دار المسيرة، 2014.
- 9- محمد حسونات تأثير العلامة التجارية على سلوك المستهلك, دراسة حاله شركة نقاوس, رسالة غير منشورة في الادارة، جامعة محمد خيضر, كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير, 2015م.
- 10- محمد أبراهيم عبيدات، ط4، سلوك المستهلك، عمان، دار وائل للنشر، 2000.
- 11- سعدالدين عشاوي، الشراء والتخزين، القاهرة، جامعة القاهرة النشر والتوزيع، 1977
- 12- اياد عبدالفتاح النصور ط2 سلوك المستهلك، الأردن, دار الصفا, 2000.

الرسائل الجامعية:

- 1- كشنه مغنية، أثر العلامة التجارية على سلوك المستهلك دراسة حالة مؤسسة كوندور، الطاهر مولاي، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، 2015.
- 2- هاشم طارق، وعجايب أبودعابس اسم محل التجزئه كعلامة تجارية وأثرة على إدراكات المستهلك الأردني لجودة هذه العلامة" دراسة ميدانية في محافظة العاصمة الأردنية مجلة الدراسات المالية والتجارية كلية التجارة جامعة بني سويف، جمهورية مصر العربية.
3. محمد الخشروم وسليمان علي، أثر الفرق المدرك والجودة المدركة على ولاء المستهلك للعلامة التجارية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، سوريا-المجلد 27- العدد الرابع
4. مهدي سلمي ومجاهدي فاتح، أثر الصورة الذهنية للعلامة التجارية على القيمة المدركة لها، دراسة مقارنة، مجلة رؤى اقتصادية، الجزائر، المجلد الثامن، العدد الأول.

الدور المعدل للذكاء الثقافي في العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية

(دراسة ميدانية على شركات التأمين بمدينة الأبيض- السودان)

*The modified role of cultural intelligence in the relationship
between transformational leadership and competitive advantage
(Field study: Insurance companies in El Obeid City - Sudan)*

إعداد:

د. عبد العزيز حسن عبد العزيز آدم: كلية الإقتصاد والدراسات التجارية، جامعة كردفان، السودان

د. مجاهد عبدالقادر فضل السيد إبراهيم: كلية الإقتصاد والدراسات التجارية، جامعة كردفان، السودان

د. محمد مختار إبراهيم أحمد: كلية الإقتصاد والدراسات التجارية، جامعة كردفان، السودان

Prepared by:

Dr. Abdelaziz Hassan Abdelaziz Adam: Faculty of Economics and Business Studies, University of Kordofan, Sudan

Dr. Mujahid Abdel-Qader Fadel El-Sayed Ibrahim: Faculty of Economics & Commercial Studies, University of Kordofan, Sudan

Dr. Mohamed Mukhtar Ibrahim Ahmed: Faculty of Economics and Business Studies, University of Kordofan, Sudan

المستخلص:

هدفت الدراسة التعرف على الدور المعدل للذكاء الثقافي في العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية بشركات التأمين بمدينة الأبيض- السودان. استندت الدراسة على عدة فرضيات منها: أن الذكاء الثقافي يُعدل العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. اعتمدت الدراسة على الاستبيان كأداة لجمع البيانات لتحليل البيانات. تم استخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Spss) واسلوب تحليل المسار (Amos). توصلت الدراسة إلى أن الذكاء الثقافي يعدل العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية. أوصت الدراسة بضرورة امتلاك المديرين القدرة على مواجهة المواقف الصعبة، وإظهار مستويات عالية من السلوك الأخلاقي لتحقيق الجودة والتميز في الأداء كما أوصت بالاهتمام بالقيم الثقافية والمعتقدات والعادات الأخرى في الشركة والعمل بروح الفريق الواحد لخفض التكاليف.

الكلمات المفتاحية: القيادة التحويلية - الذكاء الثقافي - الميزة التنافسية- التأثير المثالي- تحقيق الجودة

ABSTRACT

The study aimed to identify the role of the modified cultural intelligence in the relationship between transformational leadership and competitive advantage in insurance companies in El Obeid City - Sudan. The study assumed a hypothesis: that cultural intelligence modifies the relationship between transformational leadership and competitive advantage. The study used the descriptive analytical method. The study relied on a questionnaire in collecting data from the study population of (74) individuals. The questionnaire was distributed to them and refunded (100%). Also, statistical packages for humanity (Spss) and path analysis method (Amos) were used. To test hypotheses. The study found that cultural intelligence modifies the relationship between transformational leadership and competitive advantage. The study recommended that managers have the ability to face difficult situations, and show high levels of ethical behavior to achieve quality and

excellence in performance. It also recommended paying attention to cultural values, beliefs and other habits. In the company and teamwork to reduce costs.

keywords: Transformational leadership - cultural intelligence - competitive advantage - ideal influence - achieving quality

الإطار المنهجي للدراسة:

مقدمة:

من أجل البقاء والتفوق ومواكبة التغيرات المتسارعة في المحيط الذي تنشط فيه هذه المؤسسات المالية، وذلك من خلال حصولها على مصادر تساهم في تحقيق تفوقها المطلوب من أجل تقديم خدمات تلبي حاجات المستهلكين الحالية والمستقبلية بالشكل المناسب. فاشباع حاجات المستهلكين أصبح من الأهداف الأساسية التي تسعى المؤسسات المالية إلى تحقيقها بهدف التوسع في الحصة السوقية وتقوية المركز التنافسي لها في السوق وهذا لا يأتي إلا من خلال التغيير الشامل وتنشيط العلاقات التفاعلية بين القائد والتابعين وتحول التفكير إلى أنماط قيادية أكثر ملاءمة. في ظل وجود قادة قادرين على فهم الهوية الثقافية. وتفحص الرؤية الثقافية في فهم الاختلاف في إطار الخلفيات الثقافية للعملاء وتحديد الكيفية التي تؤثر فيها في التفكير والسلوك ورؤية العالم من وجهة نظر متعددة ونقل وجهات النظر إلى أفراد من مختلف الثقافات.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في محاولة الكشف عن دور الذكاء الثقافي في تعديل العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية.

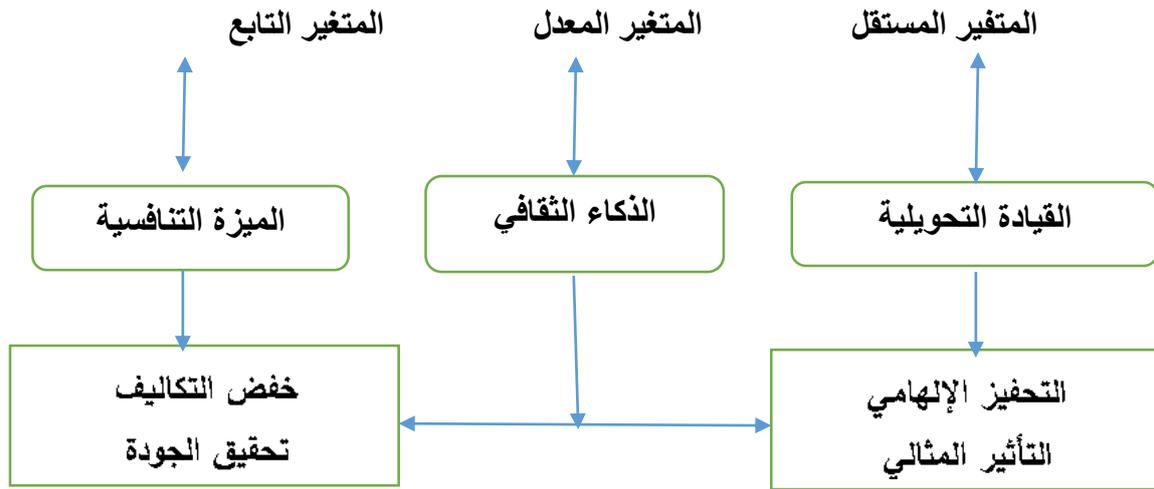
ويمكن التعبير عن المشكلة البحثية في السؤال المحوري التالي: هل الذكاء الثقافي يعدل العلاقة بين القيادة لتحويلية والميزة التنافسية وتتفرع منه التساؤلات التالية:

1. هل يعدل الذكاء الثقافي العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية بشركات التأمين بمدينة الأبيض.

2. هل تؤثر القيادة التحويلية على الميزة التنافسية بشركات التأمين بمدينة الأبيض.

نموذج الدراسة:

شكل (1) نموذج الدراسة



المصدر: إعداد الباحثين من أدبيات الدراسات السابقة 2021م

فرضيات الدراسة:

الفرضية الأولى: توجد علاقة معنوية بين القيادة التحويلية بأبعادها (التحفيز الإلهامي، والتأثير المثالي) والميزة التنافسية بأبعادها (خفض التكاليف، تحقيق الجودة) بالتطبيق على شركات التأمين بمدينة الأبيض.

الفرضية الثانية: الذكاء الثقافي يُعدل العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية بُعدي (خفض التكاليف وتحقيق الجودة) بالتطبيق على شركات التأمين بمدينة الأبيض.

أهداف الدراسة:

1. التعرف على تأثير القيادة التحويلية على الميزة التنافسية على شركات التأمين بمدينة الأبيض.

2. قياس مدى تأثير القيادة التحويلية على الذكاء الثقافي على شركات التأمين بمدينة الأبيض.

3. اختبار أثر الذكاء الثقافي على القيادة التحويلية والميزة التنافسية على شركات التأمين بمدينة الأبيض.

4- توضيح الدور المعدل للذكاء الثقافي في العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية على شركات التأمين بمدينة الأبيض.

أهمية الدراسة:

الأهمية العلمية: المساهمة في إثراء المعرفة، كما تمثل إضافة نظرية وفكرية للمعرفة العلمية خاصة إن موضوع القيادة التحويلية والميزة التنافسية والذكاء الثقافي لم يحظى باهتمام كبير بمنطقة الدراسة حسب علم الباحث.

الأهمية العملية: استفادة المديرين بشركات التأمين من نتائج وتوصيات ومقترحات هذه الدراسة . وتوفير قاعدة بيانات يمكن توظيفها في مجال شركات التأمين لتساعد المديرين في اتخاذ قرارات رشيدة.

الدراسات السابقة:

1. دراسة: فاطمة محمود 2019م. هدف البحث إلى التعرف على فاعلية برنامج تدريبي قائم على الذكاء الثقافي للخفض من التلوث النفسي لدى معلمي قبل الخدمة، تكونت عينة البحث من 60 طالباً وطالبة من شعبة اللغة العربية مجموعتين أحدهما ضابطة والأخرى تجريبية، وكل مجموعة تتكون من (30 طالباً)، أدوات البحث: مقياس الذكاء الثقافي للتقويم للبرنامج من إعداد الباحثة، مقياس التلوث النفسي للتقويم التكويني للبرنامج من الباحثة، كتيب (أمارس الذكاء الثقافي أو لا أمارسه، ولماذا)، توصلت الدراسة للنتائج: توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطي درجات القياسين القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية لصالح التطبيق البعدي على مقياس التلوث النفسي، توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في القياس البعدي على مقياس التلوث النفسي لصالح المجموعة التجريبية.

2- ماهيتاب حسن وآخرون 2018م. هدفت الدراسة إلى تحديد دور نظم المعلومات التسويقية في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة لمؤسسات تصميم وأنتاج الأثاث المعدني، حيث تمثلت مشكلة الدراسة في دور نظم المعلومات التسويقية في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة لمؤسسات تصميم وأنتاج الأثاث المعدني، افترضت الدراسة وجود علاقة ارتباط معنوي بين نظم المعلومات التسويقية وامكانية تحقيق الميزة التنافسية المستدامة أتبعته الدراسة المنهج الوصف التحليلي، ومن أهم نتائج

الدراسة ضرورة العمل على رفع الكفاءة والفعالية والسرعة في أداء الوظائف والأعمال المختلفة من تخطيط وتنظيم وتوجيه ورقابة، أوصت الدراسة بضرورة التركيز على مواكبة التطورات في مجال أنظمة المعلومات التسويقية. وكذلك الاستفادة من المعلومات التي يتم استخدامها من نظام المعلومات التسويقية في تصميم الاستراتيجيات التسويقية لمؤسسات الأثاث المعدني.

3- زياني إيمان: 2014م. هدفت الدراسة: التعرف على مفهوم القيادة التحويلية، التعرف على أداء المنظمة؟ توضيح تأثير التحويلية على أداء المنظمة؟ حيث تمثلت مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية: هل يؤثر التأثير المثالي على أداء المنظمة؟، هل يؤثر التحفيز الإلهامي على أداء المنظمة؟ هل يؤثر الاعتبار الفردي على أداء المنظمة؟ افترضت الدراسة فرضيات منها: لا يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية للتأثير على أداء المنظمة عند مستوى دلالة 2، لا يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية للتحفيز الإلهامي على أداء المنظمة عند مستوى دلالة 2.05، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وذلك للوصول الى نتائج تحقيق دراسة الحالة وتم جمع بيانات ذات طابع كفي قصد الإلمام بكل جوانب الدراسة وأخرى ذات طابع كمي، من خلال استخدام الاستمارة والمقابلة كأحدى الأدوات البحثية في جمع البيانات، أوصت الدراسة: القدرة على المبادرة والإبتكار والإبداع، القدرة على مواجهة المواقف المتغيرة واحداث التطوير الإداري، القدرة على المتابعة والتقييم الذاتي للفرد والفريق.

4- دراسة: العيهار فلة (2013م). هدفت الدراسة إلى رفع الغموض عن الجودة، والميزة التنافسية. قدمت الدراسة هذه الفرضيات. تقع الجودة تحت مسؤولية جميع أفراد المؤسسة. الموارد البشرية والكفاءات أهم مصادر تحقيق الميزة التنافسية. برزت المشكلة السؤال التالي: ما هو دور الجودة في بناء وتحقيق ميزة تنافسية للمؤسسة؟. تمّ التوصل إلى نتائج منها يتم تحقيق الجودة قبل، أثناء وبعد العملية الإنتاجية الجودة مسؤولية جميع أفراد المؤسسة. يؤثر مستوى جودة المنتجات والخدمات على سمعة المؤسسة، تمر عملية تحقيق الجودة بالتخطيط لمستوى الجودة أولاً، ثم الرقابة عليها لتحديد فجوة الأداء، أوصت الدراسة: دعم المنافسة ومنع الاحتكار لكل المنتجات التي تعرض في الأسواق سواء كانت من مصدر محلي أو اجنبي. رفع جميع اشكال الحماية للمنتجات الوطنية، لاجبار المنتجين على الدخول في حلقة المنافسة الحقيقية ودفعهم إلى تطوير وتحسين منتجاتهم وتأكيد وضمان جودتها وتخفيض اسعارها.

5- دراسة: حافظ عبد الكريم الغزالي (2012م). هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر القيادة التحويلية على فاعلية عملية اتخاذ القرار في شركات التأمين الأردنية، اعتمدت الدراسة علي المنهج الوصفي

التحليلي حيث قام الباحث بتصميم استبانة. تم توزيع (489) استبانة، استرجع منها (434) كانت (422) صالحة للتحليل الإحصائي، تم تحليل البيانات واختبار الفرضيات باستخدام الاختبارات الإحصائية من خلال إجراء تحليل الانحدار البسيط وتحليل الانحدار المتعدد التدريجي. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من بينها: أن مستوى توافر القيادة التحويلية بأبعادها (التأثير المثالي، التحفيز، الاعتبارية الفردية، الاستثارة العقلية، التمكين في شركات التأمين كأن مرتفعاً، أن مستوى توافر فاعلية عملية اتخاذ القرار في شركات التأمين كأن مرتفعاً، ووجود أثر ذو دلالة إحصائية للقيادة التحويلية بأبعادها (التأثير المثالي، التحفيز، الاعتبارية الفردية، الاستثارة العقلية، التمكين) على فاعلية عملية اتخاذ القرار في شركات التأمين الأردنية عند مستوى الدلالة $\alpha=1.15$ ؛ التأثير المثالي كانت له نسبة التأثير الأكبر من بين أبعاد القيادة التحويلية في فاعلية عملية اتخاذ القرار في شركات التأمين الأردنية.

6- محمد كريم. (2010) هدفت الدراسة للتعرف على العلاقة بين امتلاك القيادات الأكاديمية لعناصر القيادة التحويلية وتنمية القدرات الإبداعية لدى رؤساء الأقسام الأكاديميين بالجامعة الإسلامية بغزة، تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، تكون مجتمع الدراسة من (50) رئيس قسم أكاديمي، وتم استخدام الحصر الشامل. تم استرداد (45) استبانة من الاستبانات الموزعة. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: توجد ممارسة للقيادة التحويلية من قبل الأكاديميين في الجامعة الإسلامية بغزة بنسبة (80.6%)، يتوافر الإبداع الإداري لدى رؤساء الأقسام الأكاديميين بالجامعة الإسلامية بغزة بنسبة (83.94%)، لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات المبعوثين حول علاقة القيادة التحويلية بالإبداع الإداري لدى رؤساء الأقسام الأكاديميين في الجامعة الإسلامية تعزى للمتغيرات الديمغرافية والشخصية (العمر، سنوات الخبرة، المؤهل).

الإطار المفاهيمي للدراسة:

القيادة التحويلية: عرفت بأنها قدرة القائد على إيصال رسالة المنظمة ورؤيتها المستقبلية بوضوح للتابعين وتحفيزهم من خلال إظهار سلوكيات أخلاقية عالية وبناء ثقة واحترام بين الطرفين لتحقيق أهداف المنظمة (Murpy, 2005, 131).

أبعاد القيادة التحويلية:

التحفيز الإلهامي: هو العملية التي تركز على تصرفات وسلوكيات القائد التي تولد في التابعين حب التحدي وأن تلك السلوكيات تعمل على إيضاح التوقعات للتابعين وتشجيع روح الفريق في العمل والالتزام بالأهداف التنظيمية. (زاوي، 172، 2019).

التأثير المثالي: (الكاريزما) حيث يصف سلوك القائد الذي يكون قدوة حسنة يقتدي به المرؤوسون، ويحظى بإعجابهم وتقديرهم واحترامهم، ويتطلب ذلك المشاركة في مواجهة المخاطر من قبل القائد، وتقديم احتياجات التابعين ومصالحهم على مصالحه الشخصية، مظهراً سمواً أخلاقياً يجعله يربأ بنفسه عن استغلال سلطاته في تحقيق مكاسب شخصية. (الحربي، 2008).

القائد التحويلي:

وقد عرفه (Robbins,3, 2003) إلى أنه هو من له القدرة على إلهام المرؤوسين للرقى بمصالحهم الذاتية من أجل صالح المنظمة، والذي له القدرة على إحداث تأثير خارق على تابعيه. كما أضاف (schermerhorn,6.1996) أن القادة التحويليين هم من يوفرون الحماس الذي يزيد الثقة، والطموح وولاء المرؤوسين مما يجعلهم مقتنعين في عملهم ويمتلكون الرغبة في بذل الجهود الإضافية لتحقيق النجاح.

الميزة التنافسية:

للقوف على مفهوم الميزة التنافسية من الضروري المرور على مفهوم الميزة النسبية الذي يركز على مخرجات المنظمة مع مثيلاتها من المنظمات الأخرى من حيث الجودة والكلفة اللتين ارتبطتا بمفهوم الكفاءة المقارنة على أساس أن المنظمة تستطيع أن تنتج السلع والخدمات بجودة أعلى وكلفة أدنى من المنافسين، ويمكن تعريف الميزة التنافسية على أنها: قدرة المنظمة على التفرد لاشغال موقع تنافسي متقدم استناداً على ما تمتلكها من مدخلات كفوءة تؤهلها لأداء نشاطاتها الداخلية بفعالية من أجل زيادة القيمة، وتقديم (سلع ومنتجات) يصعب على المنافسين مجاراتها في مجالات التميز التي تحققها (بن علي وبوزيان، 2009).

استراتيجية تخفيض التكلفة:

تهدف هذه الاستراتيجية إلى تحقيق تكلفة أقل بالمقارنة مع المنافسين، وهناك عدة دوافع أو حوافز تشجع المؤسسات على تحقيق التكلفة الأقل وهي: توافر اقتصاديات الحجم، الآثار المترتبة على منحني التعلم أو الخبرة، وجود فرص مشجعة على تخفيض التكلفة وتحسين الكفاءة، وأخيراً سوق مكون من مشتريين واعيين تماماً للسعر (عقيلي عمر، 2001م).

استراتيجية الجودة:

هي استراتيجية يتم استخدامها في إدارة الجودة لتحديد تقنيات ومعايير الجودة الواجب تطبيقها، والمسؤوليات المختلفة بتحقيق مستويات الجودة المطلوبة مع مراعاة معايير تحديد الطرق التي سيتم من خلالها تلبية توقعات الجودة الخاصة بالعميل والمورد والزبون. (ديل بستر فيلد وآخرون، 2004).

الذكاء الثقافي:

يعد الذكاء الثقافي نشاطاً اجتماعياً وجزءاً رئيساً من حياة الفرد فمن يمتلك مهارة الذكاء الثقافي يفتح أمامه ميادين المعرفة ويحقق مكاسب كثيرة في مجال العلاقات الإنسانية فكم من حقوق اهدرت وكم من احكام صدرت بسبب قصور الذكاء الثقافي والذي يعرف قدرة الفرد على إقامة علاقات شخصية تتسم بالكفاءة من اشخاص ينتمون لثقافات مختلفة عن ثقافته وقدرته على فهم الاشارات والرموز اللفظية والغير لفظية والاستجابة لها بشكل توافقي في تلك الثقافات التي تختلف عنه. (أمينة منصور، 2019).

الدراسة الميدانية:

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى وصف طبيعة العلاقة بين متغيرات الدراسة المتمثلة في (القيادة التحويلية) كمتغير مستقل و(الميزة التنافسية) كمتغير تابع (الذكاء الثقافي) كمتغير معدل حيث لا يقتصر هذا المنهج على وصف الظاهرة وإنما يشتمل على تحليل البيانات وقياسها وتغييرها والوصول الوصول إلى وصف دقيق للظاهرة أو المشكلة ونتائجها. ويتكون مجتمع الدراسة من شركات التأمين بالأبيض، استخدام اسلوب الحصر الشامل لمجتمع الدراسة والبالغ عدده (74) مفردة بشركات التأمين بالأبيض.

تحليل بيانات الدراسة:

التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير المستقل القيادة التحويلية: من خلال استخدام طريقة التباين الأقصى Varimax لتدوير المحاور عمودياً فقد تم حذف بعض العبارات التي لم تستوفي الشروط.

الجدول (1) التحليل العاملي الاستكشافي للقيادة التحويلية

العوامل		الرمز	المتغيرات
العامل الثاني	العامل الأول		
	.833	B6	التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي
	.830	A2	
	.798	A3	
	.760	B8	
	.759	B7	
.867		A6	التميز في الأداء
.787		B4	
.688		A5	
.872	Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy		
318.072	Bartlett's Test of Sphericity		
71.106	Total Variance Explained		

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2020م)

التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير التابع الميزة التنافسية: من خلال استخدام طريقة التباين الأقصى Varimax لتدوير المحاور عمودياً فقد تم حذف بعض العبارات التي لم تستوفي الشروط.

الجدول (2) التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير التابع الميزة التنافسية

العوامل		الرمز	المتغيرات
العامل الثاني	العامل الأول		
	.874	C3	تحقيق الجودة
	.823	C4	
	.657	D4	

.923		D6	خفض التكاليف
.830		D3	
.731	Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy		
141.968	Bartlett's Test of Sphericity		
78.340	Total Variance Explained		

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير المعدل للذكاء الثقافي: من خلال استخدام طريقة التباين الأقصى Varimax لتدوير المحاور عمودياً فقد تم حذف بعض العبارات التي لم تستوفي الشروط.

الجدول (3) التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير المعدل للذكاء الثقافي

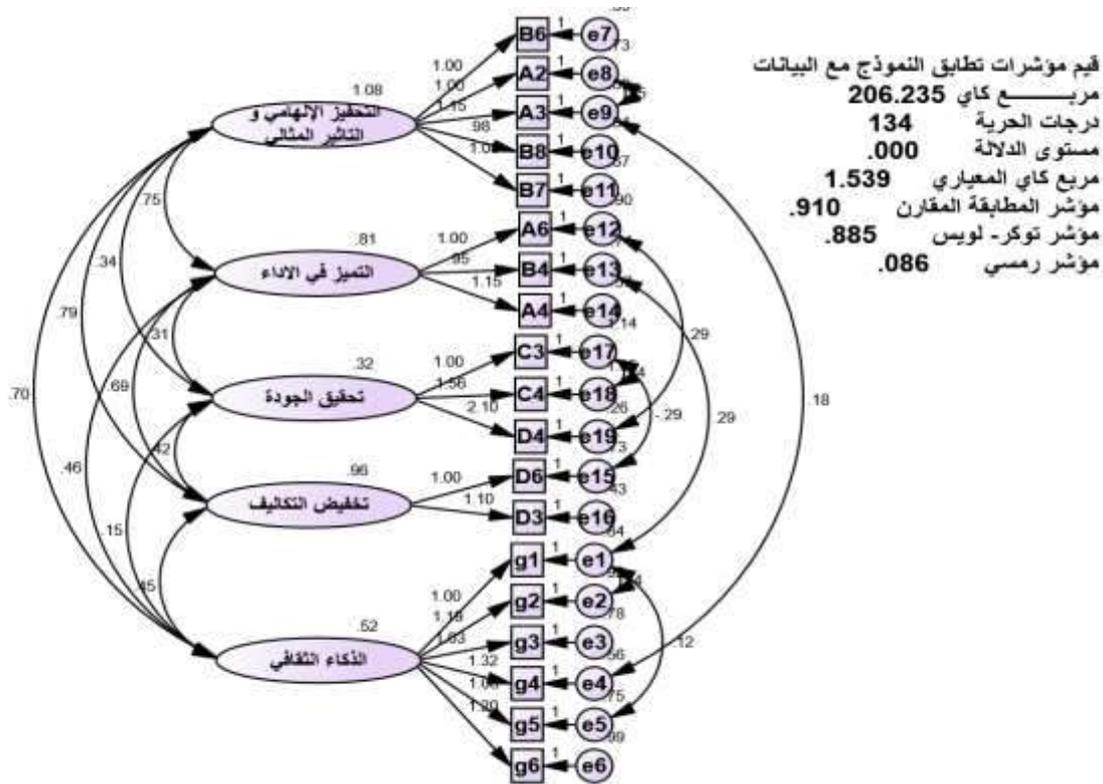
العوامل	الرمز	المتغيرات
1		
.719	g1	الذكاء الثقافي
.756	g2	
.771	g3	
.819	g4	
.677	g5	
.685	g6	
.825	Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy	
157.633	Bartlett's Test of Sphericity	
71.564	Total Variance Explained	

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

التحليل العاملي التوكيدي لجميع متغيرات الدراسة:

تم بناء النموذج الأول للدراسة والذي يتكون من ثلاثة متغيرات رئيسية مستقلة وتابعة ومعدلة وتحتوي على خمسة محاور لجميع المتغيرات التي تقيسهم (33) عبارة حسب نتائج التحليل العاملي الاستكشافي، وتم التوصل من التحليل الى أن أبعاد متغيرات الدراسة تتكون من خمسة محاور تقيسهم (19) عبارة، وتم اختبار هذا النموذج بتطبيق التحليل العاملي التوكيدي على بيانات الدراسة وتم قياس بناء النموذج لتوضيح أبعاد العلاقة بين محاور النموذج وكانت مقاييس جودة المطابقة التي تم إدخالها في النموذج الأولي قد أعطت مقاييس جودة ذات صلاحية مقبولة كما في الجدول رقم (4) والشكل رقم (2).

شكل (2) التحليل العاملي التوكيدي لجميع متغيرات الدراسة



المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

الجدول (4) مؤشرات جودة المطابقة لجميع متغيرات الدراسة

المؤشر	CMIN	DF	CMIN/DF	CFI	TLI	RMSEA	PClose
النسبة	206.235	134	1.539	.910	.885	.086	.010
التفسير	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

الاعتمادية وصلاحيّة متغيرات الدراسة: يستخدم تحليل الاتساق للعثور على الاتساق الداخلي للبيانات ويتراوح من (0 إلى 1)، تم احتساب قيمة (ألفا كرون باخ) للعثور على اتساق البيانات الداخلي وتشير (1968) Nunnally إلى أن المصدافية من (0.50 - 0.60) تكفي، أما (Hair et al, 2010) أقترح أن قيمة (ألفا كرون باخ) يجب أن تكون أكثر من 0.70 ومع ذلك يعتبر ألفا كرونباخ من 0.50 فما فوق مقبولة.

جدول (5) يبين الاعتمادية والانحرافات المعيارية لكل متغيرات الدراسة

الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الاعتمادية	نوع المتغير	المتغيرات
1.15907	3.6108	.896	مستقل	التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي
1.05839	3.7342	.779	مستقل	التميز في الأداء
1.08414	3.5586	.779	تابع	تحقيق الجودة
1.16146	3.5608	.790	تابع	تخفيض التكاليف
.90717	3.6374	.832	معدل	الذكاء الثقافي

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

يتضح من نتائج الجدول أعلاه أن اختبار الاعتمادية كان مرتفعاً والانحراف المعياري لكل المتغيرات كان مرتفعاً مما يدل على وجود تجانس بين إجابات المبحوثين.

تحليل الارتباط (Person Correlation): تم استخدام تحليل الارتباط بين متغيرات الدراسة بهدف التعرف على العلاقة الارتباطية بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع والمعدل، فكلما كانت درجة الارتباط قريبة من الواحد الصحيح فإن ذلك يعني أن الارتباط قوياً بين المتغيرين وكلما قلت درجة الارتباط عن الواحد الصحيح كلما ضعفت العلاقة بين المتغيرين وقد تكون العلاقة طردية أو عكسية، وبشكل عام تعتبر العلاقة ضعيفة إذا كانت قيمة معامل الارتباط اقل من (0.30) ويمكن اعتبارها متوسطة إذا تراوحت قيمة معامل الارتباط بين (0.30 – 0.70) أما إذا كانت قيمة الارتباط أكثر من (0.70) تعتبر العلاقة قوية بين المتغيرين. أوضح اختبار تحليل الارتباط بين متغيرات الدراسة من خلال الجدول (6) والشكل (2) أدناه.

الجدول (6) تحليل الارتباط بين متغيرات الدراسة

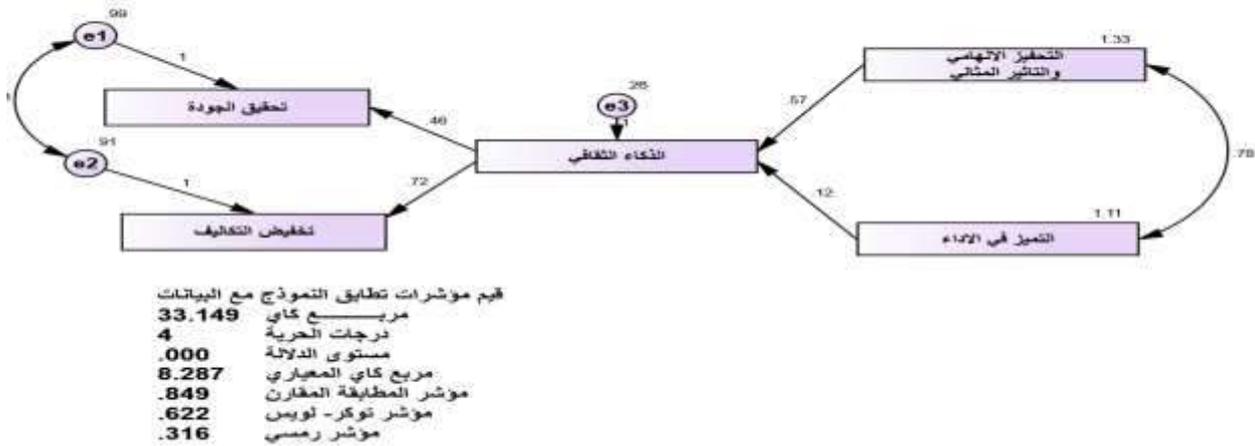
متغيرات الدراسة		التقدير Estimate	
تحقيق الجودة	<-->	خفض التكاليف	.597
تحقيق الجودة	<-->	التميز في الأداء	.629
تحقيق الجودة	<-->	التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي	.672
تحقيق الجودة	<-->	الذكاء الثقافي	.372
خفض التكاليف	<-->	التأثير المثالي	.714
خفض التكاليف	<-->	التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي	.828
خفض التكاليف	<-->	الذكاء الثقافي	.582
التأثير المثالي	<-->	التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي	.776
التأثير المثالي	<-->	الذكاء الثقافي	.574
التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي	<-->	الذكاء الثقافي	.846

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

نموذج الدراسة المعدل:

بعد إجراء التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي لمتغيرات الدراسة يتم الاعتماد على النتائج التي يفسرها التحليل، حيث أوضحت النتائج أن القيادة التحويلية تتكون من محورين وهي التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي، التميز في الأداء، أما المتغير التابع الميزة التنافسية يتكون من محورين، خفض التكاليف، تحقيق الجودة، أما المتغير المعدل هو الذكاء الثقافي، فإن استناد النموذج على نظرية يطابق الواقع أما في حالة عدم الاعتماد على نظرية فإنه عادة ما يتم تعديل النموذج حتى يطابق الواقع وكذلك الاعتماد على مقياس ألفا كرونباخ للاتساق الداخلي للبيانات إذا قلت نتيجة التحليل المحسوبة عن القيمة المعتمدة، يتم استبعاد البعد تماماً والشكل (3) يوضح نموذج الدراسة المعدل.

الشكل رقم (3) نموذج الدراسة المعدل



المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

الجدول (7) مؤشرات جودة المطابقة لجميع متغيرات الدراسة

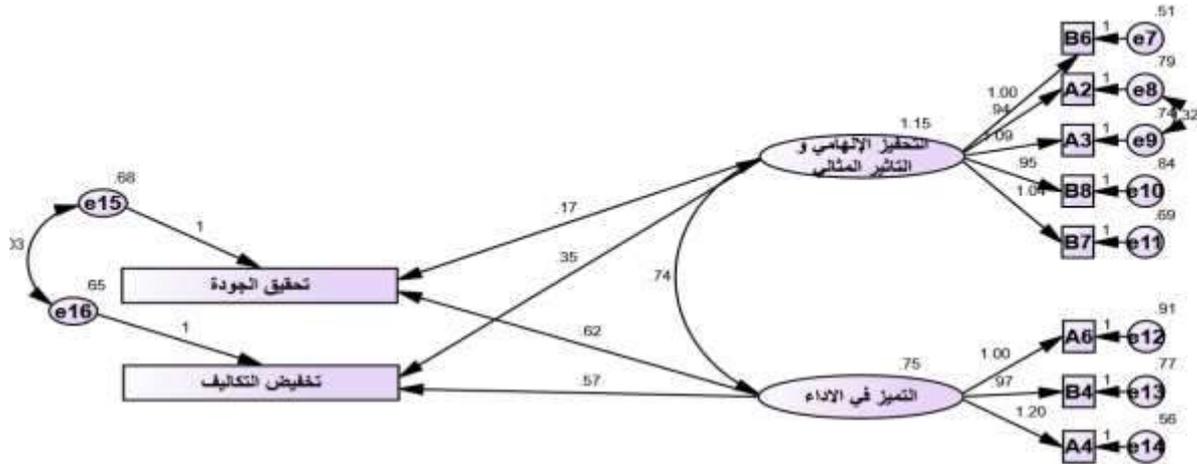
المؤشر	PClose	RMSEA	TLI	CFI	CMIN/DF	DF	CMIN
النسبة	03.0	316.	.622	849.	287.8	4	149.33
التفسير	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة	مقبولة

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

اختبار فرضيات الدراسة: تم الاعتماد في عملية التحليل الإحصائي للبيانات على أسلوب نمذجة المعادلة البنائية [SEM] Structural Equation Modeling وهو نمط مفترض للعلاقات الخطية المباشرة وغير مباشرة بين مجموعة من المتغيرات الكامنة والمشاهدة، وبالتحديد استخدام أسلوب تحليل المسار Path Analysis وهو أحد أساليب نمذجة المعادلة البنائية التي تعني بدراسة وتحليل العلاقات بين متغير أو أكثر من المتغيرات المستقلة سواء كانت هذه المتغيرات مستمرة أو متقطعة ومتغير أو أكثر من المتغيرات التابعة سواء كانت هذه المتغيرات مستمرة أو متقطعة بهدف تحديد أهم المؤشرات أو العوامل التي يكون لها تأثير على المتغير أو المتغيرات التابعة، حيث أن نمذجة المعادلة البنائية تجمع بين أسلوب تحليل الانحدار المتعدد والتحليل العاملي.

اختبار الفرضية الرئيسية الأولى: تنص على انه توجد علاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية. ويتضح ذلك من خلال الشكل (3) والجدول (8) أدناه.

الشكل (3) اختبار الفرضية الرئيسية الأولى



قيم مؤشرات تطابق النموذج مع البيانات
مربع كاي 51.554
درجات الحرية 30
مستوى الدلالة .009
مربع كاي المعياري 1.718
مؤشر المطابقة المقارن .946
مؤشر توكر- لويس .919
مؤشر رمسي .099

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

الجدول (8) تحليل المسار بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية

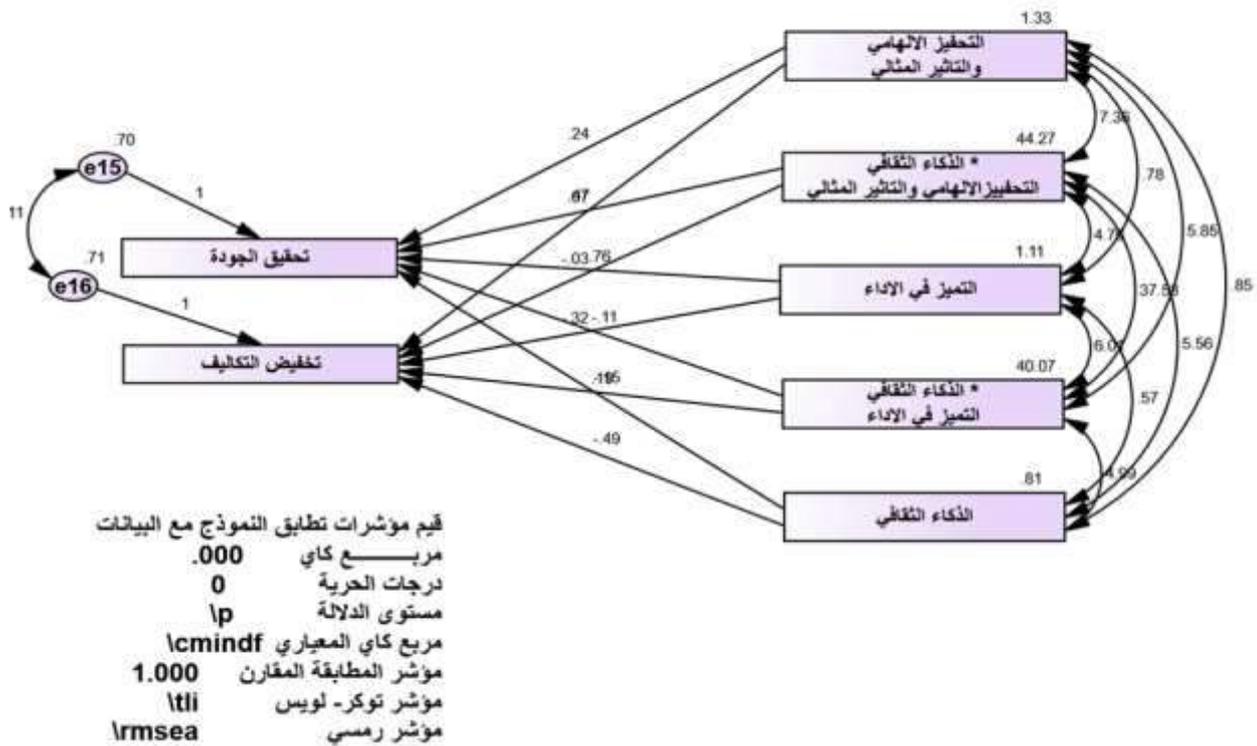
الفروض		Estimate	S.E.	C.R.	P
تحقيق الجودة	<-- التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي	.174	.224	.780	.435
تخفيض التكاليف	<-- التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي	.353	.219	1.608	.108
تحقيق الجودة	<-- التميز في الأداء	.619	.299	2.073	.038
تخفيض التكاليف	<-- التميز في الأداء	.567	.290	1.957	.050

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

يلاحظ من الشكل (3) والجدول (8) أعلاه أن المسار من التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي إلى تحقيق الجودة حيث بلغت (174). وهو غير دال إحصائياً عند مستوى دلالة (435)، المسار من التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي إلى تخفيض التكاليف حيث بلغت (353). وهو غير دال إحصائياً عند مستوى دلالة (108)، والمسار من التميز في الأداء إلى تحقيق الجودة حيث بلغ (619). وهو دال عند مستوى دلالة (038)، والمسار من التميز في الأداء إلى تخفيض التكاليف حيث بلغ (567). وهو دال عند مستوى دلالة (050)، مما يشير إلى أنه توجد علاقة جزئية بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية.

اختبار الفرضية الرئيسية الثانية: الذكاء الثقافي يعدل العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية: تنص الفرضية على أن الذكاء الثقافي يعدل العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية.

شكل (4) الذكاء الثقافي يعدل العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية



المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

لغرض التعرف على معنوية التأثير بين المتغيرات اعتمدت الدراسة على نمذجة المعادلة البنائية، حيث تم استخدام أسلوب تحليل المسار الذي يعني بدراسة وتحليل العلاقة بين متغيرات الدراسة أو

أكثر من المتغيرات المستقلة أو التابعة أو المعدلة سواء كانت هذه المتغيرات مستمرة أو متقطعة ولاختبار الفرضية غير المباشرة تم الاعتماد على أسلوب (Plots two-way) لمعرفة الأثر المعدل الجدول التالي يوضح قيم تحليل المسار وأثبتت بيانات الدراسة أن الذكاء الثقافي يعدل العلاقة ما بين القيادة التحويلية بأبعادها (التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي ، التميز في الأداء) والميزة التنافسية بأبعادها (تحقيق الجودة ، تخفيض التكاليف).

الجدول (8) الذكاء الثقافي يُعدل العلاقة بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية

الدلالة P	القيمة الدرجة CR	الخطأ المعياري S.E	التقديرات Estimates	العلاقات	
.670	.426	.573	.244	تحقيق الجودة	<--
.419	.808	.578	.467	تخفيض التكاليف	
.666	.432	.163	.070	تحقيق الجودة	<--
.841	-.200	.164	-.033	تخفيض التكاليف	
.181	1.338	.571	.763	تحقيق الجودة	<--
.575	-.561	.576	-.323	تخفيض التكاليف	
.512	-.656	.166	-.109	تحقيق الجودة	<--
.255	1.139	.167	.191	تخفيض التكاليف	
.781	-.278	.536	-.149	تحقيق الجودة	<--
.366	-.903	.541	-.489	تخفيض التكاليف	

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

يلاحظ من شكل (4) والجدول (8) أعلاه أن العلاقات الغير المباشرة بين التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وتحقيق الجودة كانت غير معنوية (.670)، وكذلك العلاقة الغير المباشرة بين الذكاء الثقافي وتحقيق الجودة كانت غير معنوية (.781)، وان العلاقات المباشرة للمتغير المعدل للذكاء الثقافي في

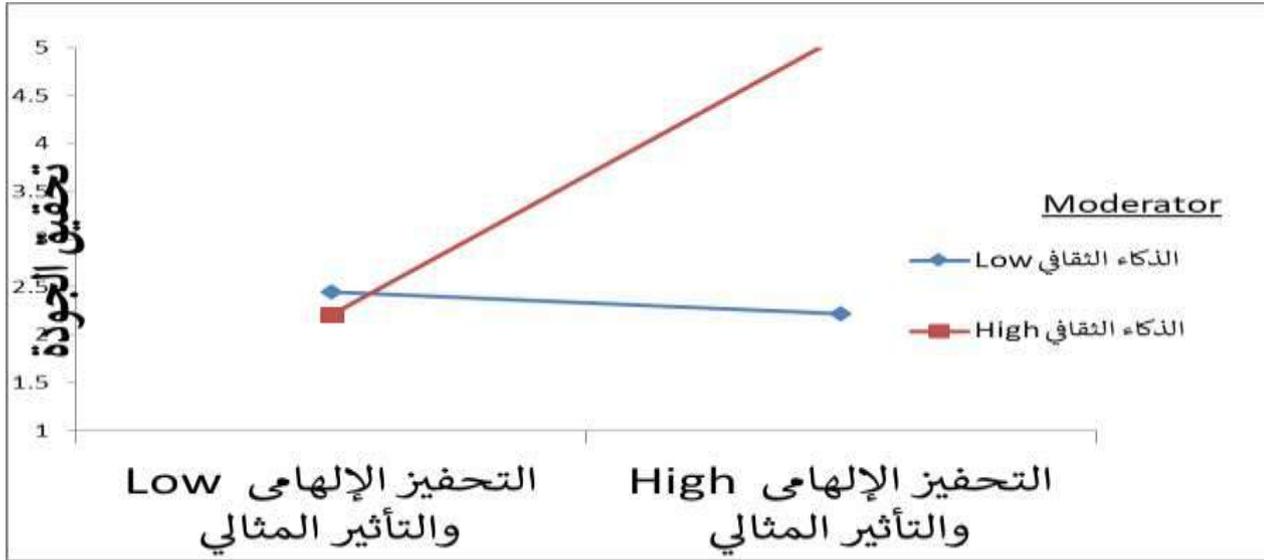
بعد المتغير المستقل التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وتحقيق الجودة غير معنوية (666)، مما يشير إلى أن الذكاء الثقافي يعدل العلاقة بين التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وتحقيق الجودة.

كما أن العلاقات الغير المباشرة بين التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وتخفيض التكاليف كانت غير معنوية (670)، وكذلك العلاقة الغير المباشرة بين الذكاء الثقافي وتخفيض التكاليف كانت غير معنوية (366)، وان العلاقات المباشرة للمتغير المعدل للذكاء الثقافي في بعد المتغير المستقل التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وتخفيض التكاليف غير معنوية وكانت على التوالي (841)، مما يشير إلى أن الذكاء الثقافي يعدل العلاقة بين التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وتخفيض التكاليف.

يلاحظ من شكل (4) والجدول (8) أعلاه أن العلاقات الغير المباشرة بين التميز في الأداء وتحقيق الجودة كانت غير معنوية (181)، وكذلك العلاقة الغير المباشرة بين الذكاء الثقافي وتحقيق الجودة كانت غير معنوية (781)، وان العلاقات المباشرة للمتغير المعدل للذكاء الثقافي في بعد المتغير المستقل التميز في الأداء وتحقيق الجودة غير معنوية (512)، مما يشير إلى أن الذكاء الثقافي يعدل العلاقة بين التميز في الأداء وتحقيق الجودة.

كما يلاحظ من شكل (4) والجدول (8) أعلاه أن جميع العلاقات الغير المباشرة بين التميز في الأداء وتخفيض التكاليف كانت غير معنوية وكانت على التوالي (575)، وكذلك العلاقة الغير المباشرة بين الذكاء الثقافي وتخفيض التكاليف كانت غير معنوية (366)، وان العلاقات المباشرة للمتغير المعدل للذكاء الثقافي في بعد المتغير المستقل التميز في الأداء وتخفيض التكاليف غير معنوية (255)، مما يشير إلى أن الذكاء الثقافي يعدل العلاقة بين التميز في الأداء وخفض التكاليف.

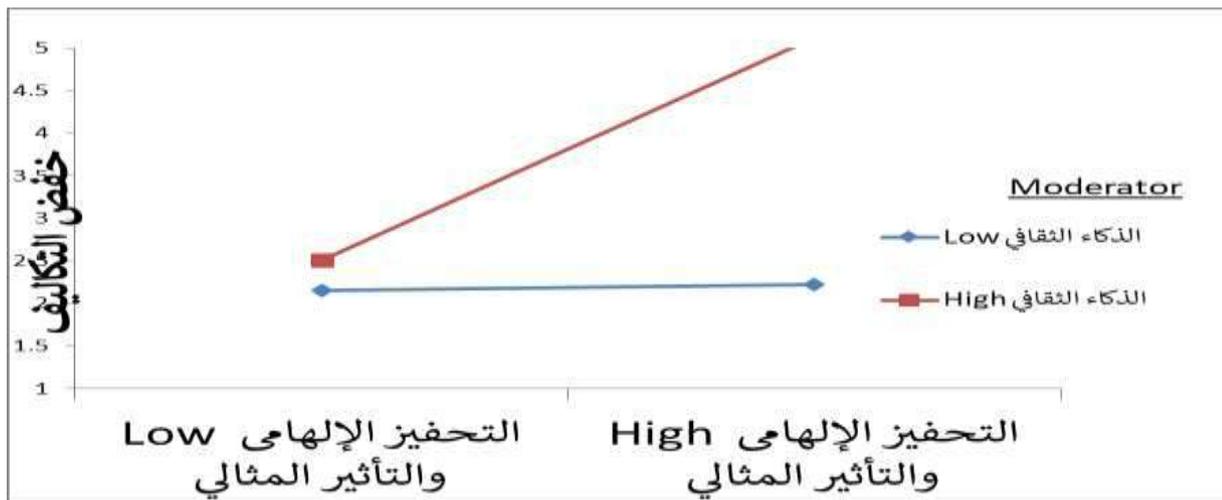
الشكل (5) أثر الذكاء الثقافي على العلاقة بين التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وتحقيق الجودة



الذكاء الثقافي strengthens the positive relationship between التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي and تحقيق الجودة.

يشير الشكل أعلاه (5) أن الذكاء الثقافي تأثيره مرتفعاً في تعديل العلاقة بين التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وتحقيق الجودة.

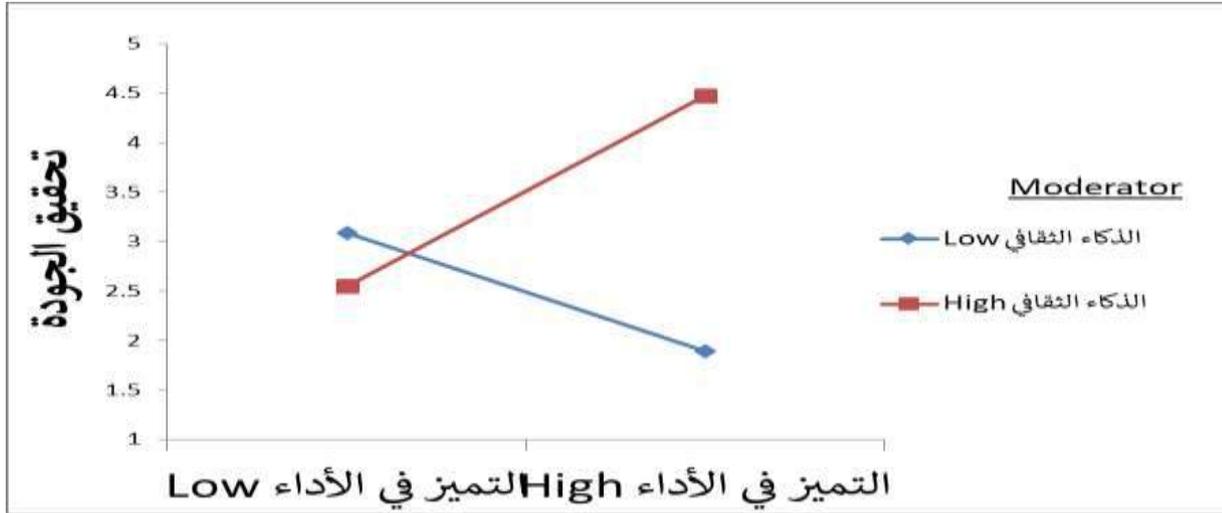
الشكل (6) أثر الذكاء الثقافي على العلاقة بين التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وخفض التكاليف



الذكاء الثقافي strengthens the positive relationship between التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي and خفض التكاليف.

يشير الشكل أعلاه (6) أن الذكاء الثقافي تأثيره مرتفعاً في تعديل العلاقة بين التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وخفض التكاليف.

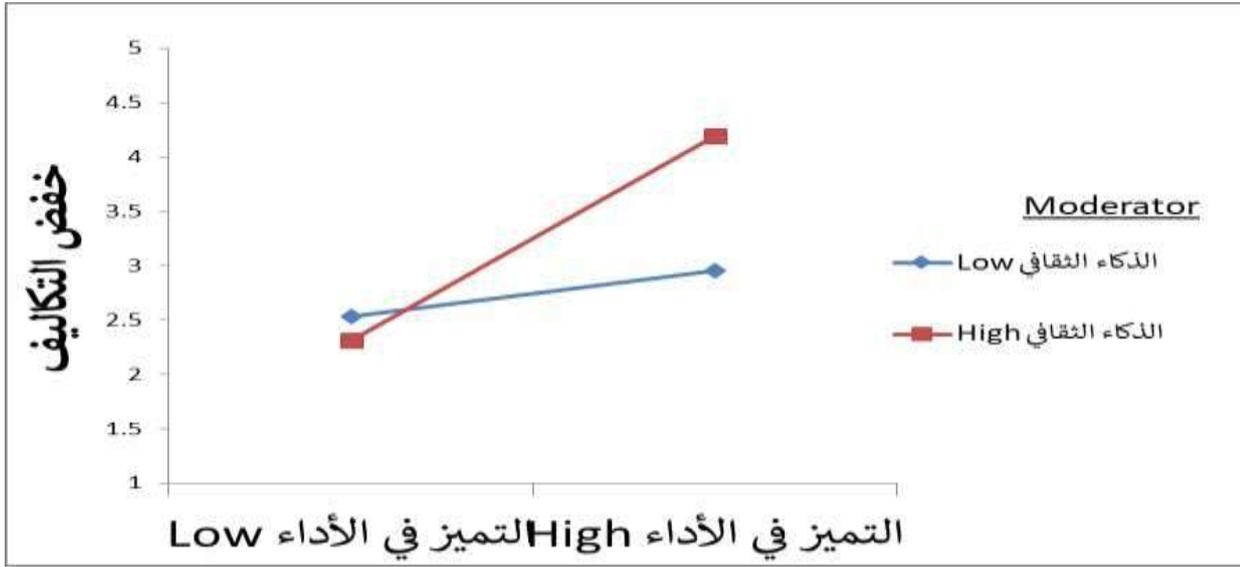
الشكل (7) أثر الذكاء الثقافي على العلاقة بين التميز في الأداء وتحقيق الجودة



الذكاء الثقافي strengthens the positive relationship between التميز في الأداء and تحقيق الجودة.

يشير الشكل أعلاه (7) أن الذكاء الثقافي تأثيره مرتفعاً في تعديل العلاقة بين التميز في الأداء وتحقيق الجودة.

الشكل (8) أثر الذكاء الثقافي على العلاقة بين التميز في الأداء وخفض التكاليف



الذكاء الثقافي strengthens the positive relationship between التميز في الأداء and خفض التكاليف.

يشير الشكل أعلاه (8) أن الذكاء الثقافي تأثيره منخفضاً في تعديل العلاقة بين التميز في الأداء وتحقيق الجودة.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة الى النتائج التالية:

- توجد علاقة جزئية بين القيادة التحويلية والميزة التنافسية.
- أن الذكاء الثقافي يُعدل العلاقة بين التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وتحقيق الجودة.
- أن الذكاء الثقافي يُعدل العلاقة بين التحفيز الإلهامي والتأثير المثالي وتخفيض التكاليف.
- أن الذكاء الثقافي يُعدل العلاقة بين التميز في الأداء وتحقيق الجودة.
- أن الذكاء الثقافي يُعدل العلاقة بين التميز في الأداء وتخفيض التكاليف.

التوصيات:

أوصت الدراسة بالاتي:

1. ضرورة المديرين امتلاك القدرة على مواجهة المواقف الصعبة، واطهار مستويات عالية من السلوك الاخلاقي. لتحقيق الجودة.
2. أن يقترح المديرين طرق جديدة لإنجاز مهام العمل، بتغليب روح الجماعة واطهار الحماس والتفاؤل للتميز في الأداء.
3. ضرورة الاهتمام بالقيم الثقافية والمعتقدات والعادات الأخرى في الشركة والعمل بروح الفريق لخفض التكاليف.
4. ضرورة تمتع المديرين بالتميز في الأداء لتحقيق الجودة وتخفيض التكاليف.

قائمة المصادر والمراجع:

1. محمد كريم حسني سعيد خلف 2010م بعنوان: علاقة القيادة التحويلية بالإبداع الإداري لدى رؤساء الأقسام الأكاديميين في الجامعة الإسلامية بغزة، رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية.
2. دراسة حافظ عبد الكريم الغزالي، أثر القيادة التحويلية على فاعلية عملية اتخاذ القرار في شركات التأمين الأردنية، رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، جامعة الشرق الأوسط.
3. فاطمة محمود الزياد ديسمبر 2019م دراسة منشورة، جامعة دمياط كلية التربية رسالة منشورة.
4. العيهار فلة، دور الجودة في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسة، رسالة ماجستير منشورة، (جامعة الجزائر، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير 2005م).
5. دراسة زياني ايمان، تأثير القيادة التحويلية على أداء المنظمة دراسة حالة مؤسسة المطاحن الكبرى، جامعة محمد خيضر - بسكرة- لنيل درجة الماجستير.
6. زوي، التحفيز الإلهامي ودوره في تحقيق الالتزام التنظيمي لدى عمال الإدارات الرياضية، مجلة الابداع الرياضية م10 عدد2، 2019م.

8. الحربي، قاسم بن عائل (2008). القيادة التربوية الحديثة. الطبعة الأولى. عمان: الجنادرية للنشر والتوزيع.

9. أمينة منصور، (2019)، الذكاء الثقافي يعزز المعرفة ويمكن العلاقات الاجتماعية - صحيفة الرأي السعودية، <http://alrai.com/article/10479035>

10. بن على وبوزيان العجال، الميزة التنافسية: المفهوم المحددات، ملتقى علمي وطني حول استراتيجيات التدريب في إدارة الجودة الشاملة كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية، الجزائر، 2009.

11. ديل بستر فيلد وآخرون، (2004) إدارة الجودة الشاملة، ترجمة الدكتور راشد بن محمد، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع.

ثانياً: المراجع الإنجليزية:

12. Ajmal, S, Farooq, Z., Sajid, N. & Awan, S., 2012. Role of Leadership in Change Management Process. Abasyn Journal of Social Sciences,

13. Robbins, S.P. (2003). Organizational behavior (10th ed). San Diego: Prentice Hall.

14. schermerhorn, Jr. (1996 (Management and Organizational Behavior, 2th edn, Toronto, John Wiley & Sons.

دور أسلوب تكلفة الجودة في تحقيق الميزة التنافسية

دراسة حالة شركة سكر كنانة

The Role of Quality Cost Method in Achieving Competitive Advantage

Case Study of Kenana Sugar Co.

د. رضوان النيل كنده؛ كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية والاجتماعية، جامعة النيل الأزرق، السودان

د. معتز أحمد إبراهيم؛ كلية الدراسات الإنسانية والإدارية، كليات عنيزة الأهلية، المملكة العربية
السعودية

Dr. Rudwan Elnile Kunda: Faculty of Economics and Social Studies || Blue Nile University || Sudan

Dr. Mutaz Ahmed Ebrahim: College of Humanities and Administrative Studies, Onaizah Private Colleges, KSA

المخلص:

هدفت الدراسة للتعرف على تطبيق تكلفة الجودة في الشركات الصناعية والتعرف على الصعوبات التي تعترض استخدام أسلوب تكلفة الجودة.

وتمثلت مشكلة الدراسة في معرفة دور تكلفة الجودة في تحقيق الميزة التنافسية، حيث هدفت الدراسة الى التعرف على أسلوب تكلفة الجودة وكيفية الاستفادة من تطبيقها في المؤسسات الصناعية، كما اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليل لاختبار الفرضيات.

توصلت الدراسة الى عدة نتائج منها: الاهتمام بتكاليف الجودة يعمل على زيادة حصة الشركات في الأسواق المحلية والدولية، إدارة شركة سكر كنانة تهتم بتوفير المتطلبات اللازمة لتطبيق الجودة. كما أوصت الدراسة بضرورة اهتمام الشركات الصناعية بتكاليف الجودة وقياسها والافصاح عنها في القوائم المالية، الاهتمام بآليات دعم الميزة التنافسية للشركات.

الكلمات المفتاحية: تكلفة الجودة، الميزة التنافسية، تكاليف الفشل، تكاليف المنع.

Abstract:

This study aimed to identify the application of quality costs in industrial companies and identifying difficulties in the application process.

The problem of the study was to know the role of quality costs in achieving the competitive advantage, the study aimed to identify the quality cost, and how to benefit from its application in industrial companies, the study followed the analytical descriptive approach.

The results of the study are that: Interest in quality costs increases the company's competition in local and international market, Kenana Sugar Co management is interested in providing the necessary requirement for quality implementation. The study recommended that: industrial companies should

pay attention to quality costs, measurement and disclosure in financial statements.

Keywords: Quality Costs, Competitive Advantage, Failure Costs, Prevention Cost.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

تعتبر المحاسبة الإدارية من العلوم المتجددة لما فيها من أساليب ورؤى وتحليل كثيرة فهي من العلوم الحديثة والقابلة للتحديث باستمرار ولها دور فعال ومؤثر في مساندة المديرين ودعمهم في التخطيط والرقابة وتقويم الأداء واتخاذ القرارات المناسبة.

بدأت المحاسبة الإدارية تتحول من المدخل التقليدي الي المدخل المعاصر حيث تطورت مفاهيمها وأبعادها وأساليبها وأطرها التي من ضمنها (أسلوب تكلفة الجودة) لتتلاءم مع متطلبات العصر الحديث واحتياجات الإدارة. وقد ادت مجموعة من الأسباب الي تطور أساليب المحاسبة الإدارية منها ظهور التنافس بين الشركات التي تنتج سلع متشابهة، وتنوع وتعدد أذواق المستهلكين.

ففرضت بيئة التصنيع الحديثة في ظل عولمة الأسواق ظروف متغيرة بوتيرة متسارعة يتطلب معها اتخاذ إجراءات وخطوات تلائم هذه التغيرات بهدف البقاء في سوق المنافسة فضلا على الزبائن الحاليين والسعي الي استقطاب آخرين وذلك من خلال المحافظة على جودة المنتجات وتشكيلها وإدارة الموارد المتاحة بالشكل الذي يضمن انسياب تلك الموارد في الأنشطة الإنتاجية دون معوقات تؤدي الي اخفاق الوحدة الاقتصادية في تحقيق أهدافها المرسومة.

مشكلة الدراسة:

كشفت العديد من الدراسات وجود فجوة بين التطور العلمي لأساليب المحاسبة الإدارية (تكلفة الجودة) وواقع تطبيقها في الحياة العملية وكذلك عدم إدراك الشركات الصناعية لأهمية تكلفة الجودة والتي لها أثر كبير في تعزيز الميزة التنافسية، وتصاغ في التساؤلات الآتية:

1. هل عدم تطبيق أسلوب تكلفة الجودة في الشركات الصناعية يؤثر على ميزتها التنافسية؟

2. هل هنالك علاقة ارتباط بين تكلفة الجودة والميزة التنافسية للمنشأة؟

3. هل توجد صعوبات ومعوقات تحول دون تطبيق تكلفة الجودة في المنشآت الصناعية في السودان؟

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في الآتي:

1. فتح مجال للباحثين عن دراسة أساليب المحاسبة الإدارية الحديثة (تكلفة الجودة) وأهمية تطبيقها.
2. أيضا تحاول الدراسة التعرف على أهمية تطبيق أساليب المحاسبة الإدارية الحديثة (تكلفة الجودة) والدور الذي يمكن تلعبه في تعزيز القدرة التنافسية.
3. رفع الوعي بأسلوب تكلفة الجودة وأهميته في تعزيز القدرة التنافسية.
4. حاجة إدارات الشركات الصناعية للتعرف على أساليب المحاسبة الإدارية الحديثة (تكلفة الجودة) لقياس وتقييم الأداء وترشيد قراراتها الإدارية في ضوء الاتجاهات الحديثة للمحاسبة الإدارية ومن ثم تعزيز القدرة التنافسية في ظل سوق المنافسة الكبيرة.
5. توعية الشركات الصناعية على العمل وفق أطر علمية والاعتماد على أداء فعالة لضمان الاستمرار في السوق خاصة في القطاعات التي تتميز بتعدد المنافسين.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة الى تحقيق الآتي:

1. التعرف على تكلفة الجودة وكيفية الاستفادة من تطبيقها في المؤسسات الصناعية.
2. بيان تطبيق تكلفة الجودة في الشركات الصناعية والتعرف على الصعوبات التي تعترض استخدام هذا الأسلوب.
3. توضيح أهمية تطبيق أسلوب تكلفة الجودة للارتقاء او المحافظة على مستوى الجودة المطلوبة.
4. وضع أسس تضمن زيادة القدرة التنافسية للشركات الصناعية وتعزيز مكانتها واستمراريتها في سوق المنافسة.

فرضيات الدراسة:

لتحقيق أهداف البحث اختبرت الدراسة الفرضيات التالية:

1. عدم تطبيق أسلوب تكلفة الجودة يؤثر على ميزة المنشأة التنافسية.
2. هنالك علاقة ارتباط بين أسلوب تكلفة الجودة والميزة التنافسية للمنشأة.
3. توجد صعوبات ومعوقات تحول دون تطبيق تكلفة الجودة في الشركات الصناعية.

منهجية الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على المفاهيم النظرية للدراسة ووصف الظاهرة او المشكلة موضوع الدراسة وتحليل البيانات واختبار الفروض.

حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة في:

1. الحدود المكانية: اقتصرت الدراسة على شركة سكر كنانة المحدودة.
2. الحدود الزمانية: 2021م.
3. الحدود الموضوعية: اقتصرت الدراسة على أسلوب تكلفة الجودة.

مصادر جمع البيانات:

تعتمد الدراسة على المصادر التالية:

- المصادر الأولية: اعتمدت الدراسة على الاستبانة كأداة لجمع البيانات.
- المصادر الثانوية: الكتب والمجلات والرسائل العلمية والمؤتمرات والشبكة العنكبوتية.

مباحث الدراسة:

للإجابة عن التساؤلات ولتحقيق أهداف الدراسة سوف يتم التركيز على المباحث الآتية:

- **المبحث الأول:** الدراسات السابقة.
- **المبحث الثاني:** الإطار المفاهيمي لأسلوب تكلفة الجودة.
- **المبحث الثالث:** الميزة التنافسية.
- **المبحث الرابع:** تحليل البيانات ومناقشة النتائج والتوصيات

المحور الأول: الدراسات السابقة

دراسة: إطار مقترح للتكامل بين محاسبة تكاليف تدفق المواد ومحاسبة استهلاك الموارد لدعم القدرة التنافسية للمنشآت الأعمال، 2020م

تلخصت مشكلة الدراسة في هل يساهم الإطار المقترح للتكامل بين محاسبة تكاليف تدفق المواد ومحاسبة استهلاك الموارد في دعم القدرات التنافسية. هدفت الدراسة الى بيان دور الإطار المقترح للتكامل بين محاسبة تكاليف تدفق المواد ومحاسبة استهلاك الموارد في توفير معلومات تساعد على تحسين مستوى جودة المنتجات، وبيان دور الإطار المقترح للتكامل بين محاسبة تكاليف تدفق المواد ومحاسبة استهلاك الموارد في توفير معلومات تساعد على خفض تكلفة المنتجات

توصلت الدراسة الى ان محاسبة استهلاك الموارد تساعد على دعم القدرة التنافسية لمنشآت الاعمال من خلال الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة للمنشأة، وأن محاسبة استهلاك الموارد في مجال الطاقة والتنبؤ بالموارد يحقق العديد من المزايا أهمها استغلال كافة الكفاءات والقدرات والطاقات، وتسهيل عملية التنبؤ بالموارد بالشكل الذي يمكن المنشآت من وضع موازاناتها على اساس كمية الموارد المتوقع الطلب عليها (الجبلى، 2020م، 514).

دراسة: مساهمة المحاسبة عن الانجاز في ترشيد القرارات الادارية، 2019م

تمثلت مشكلة الدراسة في انه لا تعتبر نظم التكاليف التقليدية دقيقة في تقديم المعلومات التي من شأنها المساعدة في اتخاذ القرارات الإدارية السليمة وكيف تساهم محاسبة الإنجاز في ترشيد القرارات الإدارية.

تأتي أهمية هذه الدراسة من دور المحاسبة عن الإنجاز في معالجة الآثار السلبية الناجمة عن سوء إدارة جميع الموارد في الأنشطة المقيدة مما يؤدي الى انخفاض الأداء والذي يعكس بدوره على عدم قدرة الشركات على تحقيق اهدافها المنشودة فضلا عن المعلومات التي تقدمها المحاسبة عن الإنجاز، هدفت الدراسة بمساعدة الإدارة في تحديد نقاط الاختناق ومعرفة كيفية التعامل معها وتحسين كفاءة وفعالية المؤسسات.

توصلت الدراسة الى انه تعتبر المحاسبة عن الإنجاز من انجح الأدوات لقياس التكلفة، اوصت بانه يجب على اي شركة تتبنى محاسبة الإنجاز لأنها تولي الاهتمام بالموارد الإنتاجية غير المقيدة (مراد واخرون، 2019م).

دراسة: (The Role Of Resource Consumption Accounting (RCA) In) Improving Cost Management in the Jordanian Commercial Banks. (2018)

تناولت الدراسة دور محاسبة استهلاك الموارد RCA في التحسين في إدارة التكاليف في البنوك التجارية، تلخصت مشكلة الدراسة في انه هل هناك دور لنظام محاسبة استهلاك الموارد في توفير المعلومات المناسبة لتخصيص الموارد، وهل هناك دور لنظام محاسبة استهلاك الموارد في خفض التكاليف في البنوك التجارية.

هدفت الدراسة الى إظهار قدرة نظام محاسبة استهلاك الموارد على إنشاء إضافة الى إدارة التكاليف في البنوك التجارية من خلال تقديم المعلومات المناسبة، وتقليل التكاليف، وتحسين جودة مخرجات محاسبة التكاليف. أظهرت نتائج الدراسة أن نظام محاسبة استهلاك الموارد يلعب دورا إيجابيا في إدارة التكاليف من خلال توفير المعلومات المناسبة وخفض التكاليف وتحسين جودة الخدمات المصرفية (Abdulkhalig M.-Rawi & Hiba Abdalhafiz, 2018).

دراسة: دور أدوات المحاسبة الإدارية الاستراتيجية في دعم القدرة التنافسية، 2018م

تمثلت مشكلة الدراسة في عدم اهتمام المنشآت الصناعية السودانية باستخدام أساليب المحاسبة الإدارية الاستراتيجية على الرغم من دورها الهام في دعم القدرة التنافسية لمنشآت الأعمال. وهدفت الدراسة بالتعرف على مفهوم وأهمية وأهداف أساليب المحاسبة الإدارية الاستراتيجية والوقوف على مفهوم وأهداف القدرة التنافسية. واعتمدت على المنهج التاريخي والاستنباطي والاستقرائي والوصفي التحليلي.

توصلت الدراسة الى أنه يسهم أسلوب التحسين المستمر في خفض التكاليف لدعم القدرة التنافسية، ويدعم الاستخدام الكفاء لأسلوب الإنتاج في الوقت المحدد لدعم القدرة التنافسية، وتزيد قدرة المنشأة التنافسية بالإبداع وتصميم المنتجات وإتقانها (جعفر، عجيب، 2018م).

دراسة: أثر التكامل بين محاسبة استهلاك الموارد ونظام المحاسبة الرشيفة في تخفيض التكاليف، 2018م

تمثلت مشكلة الدراسة في صياغة التساؤلات، ما مدى مساهمة استخدام محاسبة استهلاك الموارد بالتكامل مع المحاسبة الرشيفة في تخفيض تكلفة الإنتاج؟ وهل تطبيق محاسبة استهلاك الموارد بالتكامل مع المحاسبة الرشيفة يوفر معلومات تساعد الإدارة في احتياجاتها المختلفة؟

هدفت الدراسة الى دراسة أثر محاسبة استهلاك الموارد بالتكامل مع نظام المحاسبة الرشيفة ومدى مساهمتها في تخفيض تكلفة الإنتاج، ودراسة أثر التكامل بين محاسبة استهلاك الموارد ونظام المحاسبة الرشيفة في توفير معلومات دقيقة للإدارة.

توصلت الدراسة الى ان استخدام محاسبة استهلاك الموارد بالتكامل مع المحاسبة الرشيفة يؤدي الى الاستخدام الأمثل لموارد المنشأة وبالتالي خفض التكاليف، وان السيطرة على الموارد العاطلة والتوجيه السليم لتلك الموارد يعمل على تخفيض التكاليف، صعوبة تطبيق محاسبة استهلاك الموارد والمحاسبة الرشيفة في الشركات الصناعية السودانية للمعوقات الكثيرة التي تواجه هذا القطاع (مثلا العوامل الاقتصادية) (عوض الله، الصديق، 2018م).

المبحث الثاني: تكلفة الجودة:

اولا: مفهوم الجودة:

تعرف الجودة بأنها الملائمة للاستعمال. وأنها تلبية توقعات الزبائن أو ما يتفوق عليها. وايضا تعرف بأنها المقدرة على تلبية متطلبات الزبائن وتحقيق توقعاتهم وتجاوزها بالاتجاه الأفضل. أما الجمعية الامريكية للجودة American Society of Quality فقد عرفت الجودة بأنها مجموعة من الخصائص والمميزات للسلع والخدمات التي تعتمد على مقدرتها في إرضاء الحاجات المحددة للمستهلك (الطائي واخرون، 2009م، 56).

ثانيا: مفهوم تكلفة الجودة

اتفقت الأدبيات الي ان اولي الإسهامات المعرفية في مجال مفهوم تكاليف الجودة ترجع الي (Jaren, 1956 & Feigen Baum, 1951) وبمنظور تقليدي فان تكاليف الجودة غالبا ما تفهم من وجهة النظر الانتاجية عبر التركيز على التكاليف الناشئة عن انحراف الانتاج عن المواصفات ومع اتساع مفهوم الجودة بوصفها من اهم ابعاد الميزة التنافسية (الفضل، غدیر، 2012م 237).

عرفت بأنها التكاليف التي يتحملها المنتج والمتحققة للمنع والوقاية من عدم مطابقته للمواصفات المحددة وتكاليف عدم المطابقة في حالة حدوثه (كاظم، و عبد الوهاب، 2013م، 57).

عرفت تكلفة الجودة بأنها مجموع مبلغ التكلفة الذي تدفعه المنظمة من أجل تحقيق سلع ذات جودة ومبلغ التكلفة التي انفقته مقابل الجودة الرديئة ويقصد بتكلفة الجودة جميع التكاليف التي يتم انفاقها في اي منشأة انتاجية او خدمية لضمان تقديم المنتج او الخدمة الي العملاء بالتوافق مع متطلبات العميل او هي جميع التكاليف التي تخص الجودة او الانشطة المتعلقة بإنجاز الجودة، يقصد بها ايضا تلك التكاليف التي تحدث نتيجة محاولة تفادي تقديم خدمة متدنية او معالجة عيوب الجودة التي حدثت فعلا (ادريس، والمكي 2019م، 118).

تعني تكاليف الجودة بمنظور المعيار البريطاني للجودة (BS4778) هي النفقات التي تنشأ لدي المنتج والمستعمل والمجتمع والتي تقترن مع جودة المنتج او الخدمة، والكلفة ذات بالجودة اينما كانت والنفقات نتيجة للوقاية من المعيب ونشاطات التقييم، فضلا عن الخسائر بسبب الفشل الداخلي والخارجي (الفضل، و غدیر، 2012م، 238).

يستنتج الباحثان من خلال التعريفات السابقة ان تكاليف الجودة تعني الاتي:

1. كل التكاليف التي تم صرفها لأجل ضبط وضمان الجودة.
2. التكاليف الحاصلة بسبب الخسارة التي نتجت عند عدم الحصول على الجودة المطلوبة.
3. هي كل التكاليف التي تتعلق بمنع إنتاج منتجات ذات عيوب، أو اكتشاف العيوب والعمل على تصحيحها إذا كانت مُعيبة.
4. التكلفة الناتجة عن الجودة الرديئة من ضبط الجودة والفشل في ضبط الجودة.

ثالثا: تطور تكاليف الجودة:

بصفة عامة يمكن حصر التطور في مفهوم تكاليف الجودة في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الخمسة واربعون عاما الماضية في ثلاثة مجالات (احموده، 2015م، 71-72):

1. المجال الأول: رقابة الجودة:

كانت بدايته في الخمسينات من خلال مؤلفات رقابة الجودة، حيث كتب جوران فصلا كاملا عن تكاليف الجودة في كتابه الذي تم نشره في عام 1951م، وكتب كاتب اخر مقالة بعنوان مدير الجودة وتكاليف الجودة، وذلك في عام 1957م "فيجنوم" فقد ضمن كتابه بعنوان رقابة الجودة الكلية فصلا كاملا عن تكاليف الجودة، هذا الاتجاه من بعض الكتاب حدد الأسس الخاصة بمقاييس تكاليف الجودة، ووضعوا المبادئ العلمية لتصنيف التكاليف الي مجموعات المنع والتقييم والفضل، واستمر الأشخاص العاملون في مجال الجودة في تقديم وصقل مفاهيم تكاليف الجودة.

2. المجال الثاني: يرتبط بمتطلبات وزارة الدفاع الامريكي

منذ عام 1960م وحتى الوقت الحاضر تفيد النشرات الصادرة بتفسير مفاهيم تكاليف الجودة عند التعامل مع الموردين ومقاولي الباطن، حيث تلزم هؤلاء بالاحتفاظ ببيانات تكاليف الجودة وتبويبها الوظيفي وأن يمكنوا المراقبين الحكوميين من الاطلاع والفحص بغرض الحكم على فعالية المحاسبة عن تكاليف الجودة.

3. المجال الثالث: الخاص بالمحاسبة

تزامن توقيت تقديم مفاهيم تكاليف الجودة في المؤلفات المحاسبية مع تناول موضوع ادارة التكاليف، كما وان معظم المؤلفات الخاصة بتكاليف الجودة نشرت ضمن موضوعات المحاسبة الادارية وادارة التكاليف.

رابعا: مزايا دراسة تكاليف الجودة:

هنالك عدد من المزايا لدراسة تكاليف الجودة تتمثل في الاتي (الجباري، 2020م):

1. مؤشر فعال لتشجيع الإدارة العليا، وتحفيزها على تطبيق تكاليف الجودة، وتنفيذها فعليا على أرض الواقع.

2. فرض السيطرة على المنتج والتحكم به لغايات تحقيق منفعة أكثر وتخفيض قيمة التكاليف الإجمالية.

3. اتخاذ أعلى تدابير الدقة والموضوعية في تقدير التكاليف وتقييمها بهدف وضع الميزانيات بكل شفافية وواقعية.

4. محاولة الحصول على أقل نسبة خسارة عند الإنتاج لأول مرة ليتم تحويل الجودة المطلوبة الي مجرد أرقام بسيطة ومرئية.

يستنتج الباحثان ان الجودة تعد أداة ضرورية في نجاح الشركات أو فشلها لما لها من دور في إيجاد مركز تنافسي للشركة في السوق من خلال عدة نقاط يمكن أن توضح أهمية الجودة وهي (كسب ثقة الزبون، حصة سوقية أعلى، ولاء العاملين، وتخفيض التكاليف).

خامسا: أنواع تكاليف الجودة

تتحمل المنظمة في سعيها لتوفير وضمان منتجات وخدمات بالجودة المطلوبة أنواعا مختلفة من التكاليف وصنفت الي أربعة أنواع ضمن مجموعتين رئيسيتين وهما:

1. تكاليف ضبط الجودة او الرقابة:

تسمى ايضا بتكاليف المطابقة إذ يعرفها (Thomson, 2006, 2): هي الثمن المدفوع لمنع الجودة الرديئة. وعرّفها (نوال، 2014م، 32): هي تكاليف تشمل جميع التكاليف التي تنفقها المنظمة في جهودها لإنتاج منتجات مطابقة للمواصفات ومنع حدوث المشاكل في أثناء وبعد حدوث الإنتاج. تشمل تكاليف ضبط الجودة ما يلي:

أ. **تكاليف الوقاية (المنع):** وهي التكاليف المتعلقة بالأنشطة التي تقلل أو تستبعد من إنتاج سلع معيبة او تقديم خدمة أقل من المستوي المطلوب، ومن أكثر الطرق فاعلية لخفض تكاليف الجودة مع المحافظة على الجودة العالية للمخرجات، وهي تحاشي حدوث مشاكل الجودة من البداية (نوال، 2014م، 32)، أي تبدأ هذه التكاليف مع المراحل الأولى لإنتاج المنتج أي مع عملية تصميم المنتج مثل: تكلفة هندسة الجودة، هندسة التصميم، تكلفة شراء المواد الاولية الواردة وفحصها، وتحديد العمالة المطلوبة بجودة معينة وتخطيط الأنشطة اللازمة للتحقيق من صلاحية المنتج، وصيانة وإصلاح الأجهزة والألات والمعدات وهندسة العملية الصناعية، وتكلفة برامج

التدريب والتعليم المرتبطة بتحسين وتطوير الجودة وذلك للوصول الى مستوى الجودة المرغوب فيه (الحربي، 2016م، 19) تتضمن ما يلي:

- هندسة العمليات والمنتجات.
 - برنامج تحسين الجودة (تخطيط الجودة، دليل الجودة، إجراءات نظام الجودة).
 - تحليل مقارن لجودة الشركة مع جودة المنافسين.
 - تقييم المورد.
 - الوعي بجودة الموظفين والتدريب.
 - معايرة المعدات.
 - إجراءات أخرى لضمان الجودة.
- ب. **تكاليف التقييم** (ادريس، والمكي، 2019م:118م): هي تكاليف ترتبط بتقييم المنشأة للموردين والعمليات والمنتجات الوسيطة والخدمات الأخرى المؤداه بهدف التأكد من مطابقتها للمواصفات المحددة. ومن أمثلة هذه التكاليف (عبيضات، 2020م):
- **فحص المواد الداخلة:** وهي التكاليف التي يتم إنفاقها على كل المدخلات لعملية الإنتاج. وتمثل تكاليف فحص المعدات والمواد الأولية التي تم شرائها، ويكون الهدف من هذا الفحص التحقق من مطابقتها للمواصفات والمعايير.
 - **فحص المنتجات:** وهي التكاليف التي تم صرفها على عملية الفحص للمنتجات، بعد عملية التصنيع وقبل وصول هذه المنتجات للعميل حتى يتم التأكد من أنها مطابقة للمواصفات.
 - **فحص العمليات:** وهي التكاليف التي يتم إنفاقها لفحص الأنشطة الخاصة بتحويل المواد الأولية (المدخلات) الي منتجات (المخرجات) في كل المراحل لعملية الإنتاج.
2. **تكاليف الفشل في ضبط الجودة:** وتسمى أيضا تكاليف عدم المطابقة:
- يعرفها (نوال، 2014م:33) بأنها: التكاليف التي تنشأ بسبب عدم مطابقة المنتج للمواصفات المحددة له، وهذه التكاليف تحصل عند فشل المنظمة في إنتاج منتج بالشكل الصحيح من المرة الأولى، مما يخلق عدم تطابق هذا المنتج التام مع متطلبات الزبون.

تتمثل تكاليف عدم المطابقة في:

أ. **تكاليف الفشل الداخلية:** عرفها (زملط، 2013م: 53) بانها هي تلك التكاليف الناجمة عن عيوب في الإنتاج قبل شحنه للعملاء الخارجيين أو قبل طرحه بالأسواق، وقبل اقتناء الزبائن لتلك المنتجات المعيبة، وتسمى بتكاليف اكتشاف العيوب في التصنيع للمنتجات النهائية، ومن أمثلة تكاليف الفشل الداخلية مما يلي (ياسين، 2017م، 31-32):

- خسائر المنتجات التي لا تتطابق مع المواصفات والمعايير التي لا يمكن تعويضها.
- تكاليف الإصلاحات للمنتجات الرديئة التي يمكن إعادة إصلاحها.
- تكاليف عمليات تصنيع المنتجات والخدمات.
- الخسائر الناتجة عن تحلل المواد.
- تكلفة التخزين السيء للمواد.
- فقدان المواد والمنتجات.
- تكلفة إصلاح وصيانة الآلات بعد الفشل.
- تكاليف الرعاية الصحية.

أ. **تكاليف الفشل الخارجية:** عرفها: (عامر، ودرغام، 2018، 190) هي: التكاليف الناتجة من المنتجات غير المطابقة للمتطلبات أو لاحتياج الزبون وتم اكتشافها بعد تسليمها أو شحنها للزبون، أو هي التكاليف التي ترتبط مع الاخطاء. ومن امثلتها (زملط، 2013م: 53):

- تكاليف اعتراض المستهلك وهي التكاليف الموجهة الي عمليات البحث والاستجابة المرضية لشكاوى المستهلك الناجمة عن بيع المنتجات ذات الجودة الرديئة.
- تكاليف إعادة المنتج وهي التكاليف الموجهة لعمليات المناولة ونقل واستبدال المنتجات ذات الجودة الرديئة والتي يتم استرجاعها من قبل المستهلك.
- تكاليف الطلبات التحذيرية وترتبط بالتحذيرات الناشئة من فشل المنتج في اداء وظائفه والتي ادت الي الحاق الضرر بالمستهلك بسبب الجودة الرديئة للمنتج.

• تكاليف فقدان المبيعات الناشئة عن عدم رضا المستهلك لجودة المنتج وإحجامه عن شراء المنتج.

يرى الباحثان ان ارتفاع تكاليف المطابقة يؤدي الى تحسين الانتاجية وبالتالي زيادة ربحية المنشأة، وارتفاع تكاليف المطابقة يؤدي الى انخفاض تكاليف الفشل.

سادسا: قياس تكاليف الجودة

1. مؤشرات قياس تكاليف الجودة: المقصود بمؤشرات قياس الجودة هو العلاقة النسبية التي بموجبها يتم قياس كلف الجودة ذات الصلة على أسس قيمة، وقد حددت بما يأتي (بلقون، 2016م، 32):

أ. مؤشر العمل: يعني العلاقة النسبية بين تكلفة الجودة وبين مجموع ساعات العمل المباشرة.

ب. مؤشر التكلفة: وهي العلاقة النسبية بين بين تكلفة الجودة وكلف الإنتاج وبشقيها الكلف المباشرة وغير المباشرة.

ت. مؤشر المبيعات: وهي العلاقة النسبية بين كلفة الجودة وإجمالي قيمة المبيعات.

ث. مؤشر الإنتاج: وهي العلاقة النسبية (نسبة مئوية) ما بين كلفة الجودة وكمية الإنتاج.

2. قياس تكاليف الجودة: يعد قياس تكاليف الجودة وترجمتها في صورة مالية أمرا ضروريا، بحيث تستطيع أن تفهمها كافة الأطراف التي تهتم بدراسة الجودة، ويحقق العديد من المنافع منها (الحربي، 2016م، 21):

أ. تعمل على توفير البيانات الكمية المفيدة في تقييم المقترحات الاستثمارية في مجال تحسين الجودة وتطويرها.

ب. تعمل على تحفيز المسؤولين في المستويات الادارية المختلفة على دراسة وفحص البرامج القادرة على تحسين الجودة وتطويرها.

ت. تسهم في ترشيد اعداد الموازنات الجارية والرأسمالية وذلك لاستغلال الموارد المتاحة لبرامج تحسين وتطوير الجودة، ولتسهيل عملية القياس لهذه التكاليف يمكن تقسيمها لنوعين هما (حمزات، 2016م، 69):

- التكاليف الظاهرة: هي التكاليف التي تتوافر بياناتها في سجلات المنشأة ويمكن قياسها وتحديدتها بسهولة ودقة وموضوعية.
- التكاليف المستترة (المخفية): وتعتبر من أصعب أنواع تكاليف الجودة من حيث القياس وذلك نظرا لدم توافر بياناتها في سجلات المنشأة وهي التكاليف التي تتحملها المنشأة نتيجة تقديمها منتجات ضعيفة الجودة غير مطابقة للمواصفات المحددة مسبقا. الأمر الذي يترتب عليه فقدان المنشأة لعملائها خاصة الذين يتأملون معها لفترة طويلة ويثقون بها إضافة الي خسارة فرصة زيادة الاسعار والتي يتقبلها العملاء ويعتبرونها أفضل من تجربة منتجات أجنبي لم يتعامل معها من قبل. علاوة عن خسارة الدعاية المجانية لمنتجات المنشأة التي كانوا يقومون بها. مما يؤدي في النهاية الي انخفاض المبيعات ومن ثم التأثير على الأرباح المراد تحقيقها وعلى إمكانية المنشأة في الاستقرار والاستمرار في الأسواق وبلوغ المكانة المرجوة وفقدان السمعة الجيدة والمركز التنافسي.

المبحث الثالث: الميزة التنافسية

اولا: مفهوم التنافسية

يتميز مفهوم التنافسية بالحدثة ولا يخضع لنظرية اقتصادية عامة واول ظهور له كان في الفترة من 1981-1987م التي عرفت عجزا كبيرا في الميزان التجاري للولايات المتحدة الأمريكية (خاصة في تبادلاتها مع اليابان) وزيادة حجم الديون الخارجية، وظهر الاهتمام مجددا بمفهوم التنافسية مع بداية التسعينات كنتاج للنظام الاقتصادي العالمي الجديد وبروز ظاهرة العولمة، وكذلك التوجه العام لتطبيق اقتصاديات السوق، ويتداخل مفهوم التنافسية مع عدة مفاهيم اخرى، من بينها النمو والتنمية الاقتصادية، وهذا ما يصعب من تحديد تعريف دقيق للتنافسية، اضافة الى عامل مهم الا وهو ديناميكية التغيير المستمر لمفهوم التنافسية (الطيب، 2005م، 2).

تعرف التنافسية بأنها القدرة على إنتاج سلع وخدمات بال نوعية الجيدة والسعر المناسب وفي الوقت المناسب وهذا بشكل أكثر كفاءة من المؤسسة الأخرى، وايضا هي القدرة على الصمود أمام المنافسين بغرض تحقيق الاهداف من الربحية والنمو والتوسع والاستقرار، والابتكار، والتجديد، حيث تسعى المؤسسات ورجال الاعمال بصفة مستمرة الى تحسين المراكز التنافسية بشكل دوري نظرا لاستمرار تأثير المتغيرات العلمية والمحلية، وتحقق التنافسية من خلال مجموعة متغيرات منها التحكم في عناصر التكاليف، إدارة الجودة الشاملة... الخ (دروش، 2016م، 37-38).

يتضح للباحثين ان هنالك تنافسية على مستوى الدولة، وتنافسية على مستوى المؤسسة، وتنافسية على مستوى القطاع الصناعي.

اما على مستوى المؤسسة: تعرف بأنها القدرة على تزويد المستهلك بمنتجات وخدمات بشكل اكثر كفاءة وفعالية من المنافسين الاخرين في السوق الدولية، مما يعني نجاحا مستمرا لهذه الشركة على الصعيد العالمي في ظل غياب الدعم والحماية من قبل الحكومة، ويتم ذلك من خلال رفع انتاجية عوامل الانتاج الموظفة في العملية الانتاجية العمل ورأس المال والتكنولوجيا (وبعد تلبية حاجات الطلب المحلي المنظور) والمعتمد على الجودة (خطوة اساسية في تحقيق القدرة على تلبية الطلب العالمي والمنافسة دوليا)، ويتمحور تعريف التنافسية للشركات حول قدرتها على تلبية حاجات ورغبات المستهلكين المختلفة، وذلك بتوفير سلع وخدمات ذات نوعية جيدة تستطيع من خلالها النفاذ الى الاسواق الدولية (هيئة الله، 2012م، ص5).

يخلص الباحثان ان التنافسية عموما هي التميز من خلال المواكبة والتطور والتحديث من أجل تلبية متطلبات الزبائن وتطلعاتهم.

ثانيا: أهداف التنافسية:

تهدف التنافسية على مستوى المؤسسة الى تحقيق ما يلي: (هيئة الله، 2012م، ص 6)

1. تحقيق درجة عالية من الكفاءة: بمعنى أن تحقق المؤسسة نشاطها واعمالها بأقل مستوى ممكن من التكاليف وفي ظل التطور التكنولوجي المسموح به، فالتنافسية تساهم في بقاء المؤسسات الأكثر كفاءة.
2. التطور والتحسين المستمر للأداء: من خلال التركيز على تحقيق الابداعات التكنولوجية والابتكارات والتي تكون تكلفتها مرتفعة نسبيا، الا انها صعبة المحاكاة من قبل المؤسسات المنافسة.
3. الحصول على نمط مفيد للأرباح: اذ تتمكن المؤسسات ذات الكفاءة الاعلى والاكثر تطورا من تعظيم ارباحها، فالأرباح تعد مكافأة المؤسسة عن تميزها وتفوقها في أدائها.

ثالثا: اسباب التنافسية:

تتعدد الاسباب التي جعلت التنافسية الركن الاساسي في نظام الاعمال المعاصرة، ومن العوامل التي تمثل في حقيقتها نتائج العولمة وحركة المتغيرات هي من اهم تلك الاسباب (عبد الوهاب، 2012م، ص72-73):

1. ضخامة وتعدد الفرص في السوق العالمي بعد ان انفتحت الاسواق امام حركة التجارة الدولية نتيجة اتفاقيات الجات ومنظمة التجارة العالمية.
2. وفرة المعلومات عن الاسواق العالمية والسهولة النسبية في متابعة وملاحظة المتغيرات نتيجة تقنيات المعلومات والاتصالات وتطور اساليب بحوث السوق وغيرها من المعلومات ذات الدلالة على مراكزها التنافسية.
3. سهولة الاتصالات وتبادل المعلومات بين المؤسسات المختلفة وفيما بين وحدات وفروع المؤسسة الواحدة بفضل شبكات الانترنت وغيرها من اليات الاتصالات الحديثة وتطبيقات المعلوماتية المتجددة.
4. تدفق نتائج البحوث والتطورات التقنية وتسارع عمليات الابداع والابتكار بفضل الاستثمارات الضخمة في عمليات البحث والتطوير ونتيجة للتحالفات بين المؤسسات الكبرى في هذا المجال.
5. مع زيادة الطاقة الانتاجية وارتفاع مستويات الجودة والسهولة النسبية في دخول منافسين جدد في الصناعات كثيفة الاسواق تحول السوق الى سوق مشتريين.

أ. تحديد مواصفات المنتج التي تتطابق مع مميزات المنتجات ومعايير الجودة العالمية.

ب. التركيز على جودة تصميم المنتج او الخدمة لأهميتها عند قياس الجودة الشاملة للمنتج.

رابعاً: معوقات التنافسية:

من خلال المرتكزات يمكن القول ان هناك معوقات تضعف من دور التنافسية وهي (رابح، 2014م، ص57):

1. ضعف الهياكل التنظيمية في المجتمع.
2. انخفاض مستوى المورد البشري وتخلف الاتصالات الادارية.
3. غياب قاعدة البيانات ومنظومة المعلومات الادارية.
4. غياب حرية المديرين والمسيرين.
5. غياب روح الفريق وحلقات الجودة.
6. تدهور المناخ التنظيمي والسلوك التنظيمي الفعال.

خامسا: مفهوم الميزة التنافسية:

تنشأ الميزة التنافسية بمجرد توصل المؤسسة الي اكتشاف طرق جديدة أكثر فعالية من المستعملة من قبل المنافسين، وحيث يكون بمقدورها تجسيد هذا الاكتشاف ميدانيا (دروش، 2016م، 38).

يشير مفهوم الميزة التنافسية الي تفرد المنظمة بمميزات تتضمن الموارد والقدرات والمهارات عن غيرها من المنظمات الأخرى التي تعد منافس تقليدي لها، وبديها تكون ميزة التنافس تملك صفة الديمومة والاستدامة لتنوع مصادرها المختلفة ويعد كفاءة العنصر البشري اهم مورد للميزة التنافسية، ويؤكد ذلك بارتي بأن المنظمة التي تكون غير قادرة على تكرار فوائد الميزة التنافسية لا يكون لديها تنافسية مستدامة، وتؤكد معظم الدراسات ان مفهوم الميزة التنافسية يشير الي قدرة انتاج السلع او تقديم خدمات الي الزبائن بطريقة متميزة عما يقدمه المتنافسون الآخرون من خلال استغلال المنظمة لمصدر القوة لديها لإضافة قيمة معينة لمنتجاتها بطريقة يعجز عن تنفيذها المنافسون الآخرون (بلقون، 2016م، ص41).

يشير ايضا مفهوم الميزة التنافسية الي قدرة المنظمة على صياغة وتطبيق الاستراتيجيات التي تجعلها في مركز أفضل بالنسبة للمنظمات الاخرى العاملة في نفس النشاط، وتتحقق من خلال الاستغلال الامثل للإمكانيات والموارد الفنية والمادية والمالية والتنظيمية بالإضافة الي القدرات والكفاءات والمعرفة وغيرها من الامكانيات التي تتمتع بها المنظمة والتي تمكنها من تصميم وتطبيق استراتيجياتها التنافسية ويرتبط تحقيق الميزة التنافسية ببعدين اساسيين وهما القيمة المدركة لدى العميل، وقدرة المنظمة على تحقيق التميز (العتوم، 2009م، ص42-43).

لقد عرف بورتر الميزة التنافسية للمؤسسة على انها: تنشأ اساسا من القيمة التي تستطيع مؤسسة ما ان تخلقها لزبائنها بحيث يمكن ان تأخذ شكل اسعار اقل بالنسبة لأسعار المنافسين بمنافع مساوية، او بتقديم منافع متفردة في المنتج تعوض بشكل واسع الزيادة السعرية المفروضة (عبد الرؤوف، 2007م، ص4).

يستنتج الباحثان التعريفات التالية للميزة التنافسية هي:

1. قدرة المؤسسة على تطبيق الاستراتيجيات التي تجعلها في مركز أفضل مقارنة بالمؤسسات الاخرى العاملة في نفس النشاط.

2. انفراد المؤسسة بخصائص معينة تميز منتجاتها عن منتجات المنافسين.

3. قدرة المنظمة على جذب العملاء من خلال تقديم منتج متميز عما يقدمه المنافسين.

كما يتضح للباحث مما سبق ان تحقيق الميزة التنافسية يتم من خلال تطبيق استراتيجية التنافس ولكي تجعلها دائمة هنالك معيارين هما:

1. عدم تطبيق او تقليد هذه الاستراتيجية من جانب المنافسين

2. عدم قدرة المؤسسات المنافسة الاخرى من تحقيق نفس مزايا تلك الاستراتيجية.

سادسا: أهداف خلق ميزة تنافسية:

تسعى المنظمة من خلال خلقها لميزة تنافسية تتمثل في الآتي (محسن، 2016م، ص61):

1. خلق فرص تنافسية جديدة، كما هو الحال لشركة (Motorola) التي تعد اول من قام بابتكار الهاتف المحمول، وكذا الحال بالنسبة لشركة (Apple) التي كانت اول من قام بابتكار الحاسب الالى الشخصي.
2. دخول مجال تنافسي جديد، كدخول سوق جديدة، او التعامل مع فئة جديدة من الزبائن، او نوعية جديدة من المنتجات والخدمات.
3. تكوين رؤية مستقبلية جديدة للأهداف التي تريد المنظمة بلوغها وللفرص الكبيرة التي ترغب في اقتناصها.
4. ايجاد ثقافة تركز بقوة على العملاء.
5. تحسين الثقة واداء العمل للعاملين.
6. تحسين المشاركة والمسؤولية المجتمعة.
7. تحسين نوعية المخرجات.
8. العمل على ايجاد بيئة تدعم وتحافظ على التحسين المستمر.
9. تحقيق مستويات انتاجية أفضل.

ثامنا: انواع الميزة التنافسية:

هنالك نوعين للميزة التنافسية هما:

الأول: التكلفة الاقل: اي قدرة الشركة على تصميم وتصنيع وتسويق منتج اقل تكلفة بالمقارنة مع الشركات المنافسة وبما يؤدي في النهاية الي تحقيق عوائد أكبر، ولتحقيق هذه الميزة فانه لابد من فهم

الانشطة الحرجة في حلقة او سلسلة القيمة للمؤسسة والتي تعد مصدرا مهما لميزة التكلفة (البشتاوي،
جريرة، 2015م، 184).

الثاني: تميز المنتج: اي قدرة الشركة على تقديم منتج متميز وفريد وله قيمة مرتفعة من وجهة نظر
المستهلك (جودة أعلى، خصائص خاصة للمنتج، خدمات ما بعد البيع)، لذا يصبح من الضرورة فهم
المصادر المحتملة لتمييز المنتج من أنشطة حلقة القيمة وتوظيف قدرات وكفاءات الشركة لتحقيق
جوانب التميز، ومن اهم خصائص الميزة التنافسية ان تكون مستمرة، مستدامة، متجددة، مرنة، وان
يتناسب استخدامها مع الاهداف والنتائج التي ترغب الشركة بتحقيقها في المدى القصير والبعيد،
وهناك خصائص تميز بها منتجات المنظمة، والتي تؤدي بها الى اكتساب ميزة تنافسية، وتتمثل هذه
الخصائص في (محسن، 2016م، ص62):

1. الرسومات ومدى جاذبيتها وقدرتها على تزويج المنتجات وتواجدها في أكبر وأهم القطاعات
السوقية.
2. قدرة المنظمة على الحفاظ على ثقة زبائن المنتج من خلال البحث المستمر والدراسة الخاصة
بسلوك المستهلك وتطوير جودة المنتج وتحسينه الدائم.
3. مدى صلاحية المنتج والمتمثلة في قدرته على الحفاظ على صلاحياته لأطول مدة ممكنه.
4. تركيبية المنتج ومدى توفر أجزائه، والتي تتكون من الشكل، الحجم والمظهر الفيزيائي، ومدى
توفر الأجزاء المركبة له، خاصه المنتجات الصناعية.
5. الهيئة او المظهر العام او الخارجي للمنتج ويهتم بالنماذج التي تحقق مزايا عديدة للزبائن من
راحة ورفاهية.
6. مدى اداء المنتج للوظيفة المنوطة له بمعنى القيمة المضافة التي يقدمها والنتائج التي يحققها المنتج
فوجود فرق يعتبر ميزة للمؤسسة التي تمتلك الأحسن.

يستنتج الباحثان من خلال ما تقدم أن السعر الأقل نسبيا يأتي من تخفيض التكلفة، وتخفيض
التكلفة يأتي من الكفاءة الأعلى، وتأتي الكفاءة الأعلى من الاستغلال للموارد لتقديم منتج متميز.

تاسعا: أبعاد الميزة التنافسية:

تتمثل أبعاد الميزة التنافسية في الآتي:

1. **بُعد الكلفة:** وتعني قدرة المنظمة على تصميم، وتصنيع، وتسويق منتجات بأقل تكلفة ممكنة مقارنة مع منافسيها، مما يمكنها من تحقيق أرباح أعلى، فالتكلفة المنخفضة تهيئ فرص البيع بأسعار تنافسية. (الطويل وإسماعيل، 2009م، ص13).

2. **الجودة:** يمكن تحقيق الجودة من خلال إضافة سمات فريدة للمنتجات التي تقدمها سواء كانت سلع أو خدمات لتعزيز جاذبيتها التنافسية. (نعيمة، وآخرون، بقاص وآخرون، 2018م، ص24).

3. **المرونة والاستجابة للزبائن:** يمكن الحديث في هذا الإطار في عدة مفاهيم أهمها:

أ. **المرونة:** تنصب المرونة حول تطوير قدرات الشركة على تغيير نوع المنتج وفقا لحاجات الزبون وتبعا للتغيير في طلبات السوق والتي يطلق عليها الزبونية (الانتاج حسب الطلب) وهي القدرة على التكيف والاستجابة للحاجات الفريدة لكل زبون وتقديم المنتج حسب تفضيلات هذا الزبون ويمكن الإشارة الي انواع المرونة التالية (الدرويش، 2013م، ص73):

i. المرونة في العمليات الانتاجية: من حيث القدرة على تغيير المكنات والمعدات والانظمة.

ii. مرونة مزيج المنتج: وتمثل استجابة الجودة لرغبات الزبون.

iii. مرونة الحجم: وتتناسب مع تقلبات الطلب.

ب. **التسليم:** يعد التسليم أحد ابعاد الميزة التنافسية البالغة الاهمية التي تعكس قابلية المنظمة على تلبية متطلبات زبائنها في الوقت المحدد، فضلا عن تحقيقها للعديد من المنافع التي تنعكس على تعزيز موقعها في السوق مقارنة بمنافسيها، اذ يمثل سرعة التمثيل العنصر الاساسي للتأثير السريع لمنتجاتها للزبائن بشكل يسمح للتغيير بسعر منتجاتها، ويعتبر التسليم هو المحدد المهم في قرار الشراء لدى الزبون (محسن، 2016م، ص65).

ج. **الاستجابة للزبون:** بعد ان بات السعر والجودة امران اساسيان في الكثير من شركات الاعمال، اصبحت مرونة الشركة وقدرتها على الاستجابة لرغبات الزبائن المتغيرة امرا حاسما في اقتصاد اليوم، حيث تتمثل مرونة الشركة على التكيف والاستجابة للحاجات المتنوعة للأسواق المستهدفة (الدرويش، 2013م، ص74).

يرى الباحثان أيضا من أبعاد الميزة التنافسية الإبداع والابتكار والتجديد او التحديث والبحث والتطوير المستمر.

عاشرا: اساليب تحقيق الميزة التنافسية:

هنالك عدة اساليب لتحقيق الميزة التنافسية وهي (صافي، 2017م، 106):

1. **الكفاءة المتفوقة:** فالمنشأة ماهي الا نظام لتحويل المدخلات الى مخرجات، لذلك نجد ان ايسر قياس للكفاءة يتمثل في مقدار المدخلات المطلوبة لإنتاج مخرجات معينة لذلك تقل تكلفة الانتاج للمنشأة.
2. **الابداع المتفوق:** ويعني كل تقدم يطرأ على منتجات او خدمات المنشأة وهياكلها واساليب ادارتها واستراتيجياتها، ويتحقق ذلك من خلال تقديم منتج جديد او العمل بأسلوب جديد مختلف عن المنافسين.
3. **الاستجابة المتفوقة لحاجات العميل:** وذلك من خلال قدرتها على تقديم ونتاج سلع وخدمات تشبع رغبات عملائها بشكل أفضل من منافسيها.

المبحث الرابع: تحليل البيانات ومناقشة النتائج والتوصيات

خصائص عينة الدراسة:

يتمثل مجتمع الدراسة في موظفي شركة سكر كنانة المحدودة، وتم اختيار عينة الدراسة بطريقة عشوائية من الموظفين المحاسبين والمراقبين الماليين والمراجعين ورؤساء الأقسام ونواب المدراء والمديرين، حيث تم توزيع عدد (75) استمارة استجاب منها (72) استمارة، وكانت كلها صالحة للدراسة والتحليل.

ثبات وصدق الأداة (الاستبيان):

يقصد بالثبات (استقرار المقياس وعدم تناقضه مع نفسه، أي أن المقياس يعطي نفس النتائج باحتمال مساوي لقيمة المعامل إذا أعيد تطبيقه في نفس الظروف). ويستخدم لقياس الثبات " معامل الفا كرونباخ" (Cronbach's Alpha)، والذي يأخذ قيمة تتراوح بين الصفر والواحد صحيح، فإذا لم يكن هناك ثبات في البيانات فإن قيمة المعامل تكون مساوية للصفر، وعلى العكس إذا كان هناك ثبات تام في البيانات فإن قيمة المعامل تساوي الواحد صحيح. أي أن زيادة معامل الفا كرونباخ تعني

زيادة مصداقية البيانات من عكس نتائج العينة على مجتمع الدراسة، والصدق هو الجزر التربيعي لمعامل الثبات وتم توزيع عدد (20) استمارة استبانة على العينة الاستطلاعية وكانت النتائج كما يلي:

الجدول (1) معاملات الثبات لعبارات المقياس بطريقة ألفا كرونباخ

معامل الصدق	معامل الثبات	الفرضيات
0.71	0.878	الفرضية الأولى
0.75	0.825	الفرضية الثانية
0.84	0.632	الفرضية الثالثة
0.76	0.778	الصدق والثبات الكلي لجميع فرضيات الدراسة

من الجدول أعلاه نلاحظ أن جميع قيم الصدق لأبعاد فرضيات الدراسة تراوحت بين (70% -84%) وأيضاً قيم الثبات تراوحت بين (63%-87%) وعليه فإن فرضيات الدراسة تتمتع بصدق عالي وثبات عالي.

ونجد أن قيمة الصدق الكلية للاستبيان هي 76% وقيمة الثبات الكلية للاستبيان هي 77% عالية يتمتع الاستبيان بدرجة عالية من الصدق والثبات. وتم تحليل البيانات باستخدام برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) وباستخدام الأساليب الإحصائية الآتية:

1. الوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسب المئوية.

2. تحليل T (One Sample Test) لاختبار فرضيات البحث.

نتائج توزيع استمارة الاستبانة:

تم توزيع الاستبيان على عينة البحث وكانت نتائج التوزيع كالآتي:

الجدول (2) توزيع استمارات الاستبيان على أفراد عينة البحث

النسبة %	العدد	البيان
100%	75	الاستبانات الموزعة
96%	72	الاستبانات المستردة
0.0%	0	الاستبانات غير المستردة
96%	72	الاستبانات القابلة للتحليل

المصدر: أعدّه الباحثان من بيانات الدراسة الميدانية 2021

عرض البيانات واختبار الفرضيات:

تحليل الخصائص الديموغرافية لأفراد عينة الدراسة:

الجدول (3) الخصائص الديموغرافية لأفراد عينة البحث

النسبة %	العدد	المتغير	الرقم
9.7%	7	20 – 30 سنة	1
65.3%	47	31 – 40 سنة	
25%	18	41 سنة فأكثر	
2.8%	2	ثانوي	2
76.4%	55	جامعي	
20.8%	15	فوق الجامعي	
54.2%	39	محاسبة	3
34.7%	25	إدارة أعمال	
11.1%	8	اقتصاد	
23.6%	17	1 – 5 سنوات	4
65.3%	47	6 – 10 سنوات	
11.1%	8	11 سنة فأكثر	
41.7%	30	محاسبين عامين	5
20.8%	15	محاسبين تكاليف	
16.7%	12	موظفين الجودة	
20.8%	15	مراقبين ماليين	

المصدر: أعدّه الباحثان من بيانات الدراسة الميدانية 2021

يتبين من خلال الجدول أعلاه الآتي:

تشتمل عينة الدراسة على كل من لهم علاقة بالعمل المحاسبي والمالي في شركة سكر كنانة من صرافين وموظفي حسابات عامة وتكاليف موظفي الجودة والمراقبين الماليين، هذا يعني أن المبحوثين لديهم إلمام تام بموضوع الاستبانة وكذلك تتوفر لديهم المقدرة الجيدة على فهم الاسئلة والاجابة عليها.

أما من حيث المؤهل العلمي، فيتضح أن الغالبية العظمى من أفراد العينة هم من حملة درجة البكالوريوس، وهذا يعكس حقيقة أن العاملين بشركة سكر كنانة هم من حملة البكالوريوس، أما حملة درجة الدراسات العليا كانت النسبة أقل. أما من حيث التخصص العلمي، أن معظم المبحوثين هم من تخصصات ذات علاقة مباشرة بالـ (محاسبة وإدارة الأعمال) مما يعني انهم قادرون على فهم الاسئلة والاجابة عليها بدرجة عالية من الدقة والواقعية.

أما من حيث سنوات الخبرة، يتضح أن معظم مفردات مجتمع الدراسة سنوات الخبرة لديهم عدد سنوات من الخبرة لا يقل عن خمسة سنوات، وهذا مؤشر على توفر الخبرة الكافية لمفردات عينة الدراسة لفهم مقصود الاستبانة وبالتالي يعزز الثقة في اجاباتهم.

نتائج اختبار الفرضية الأولى: (عدم تطبيق أسلوب تكلفة الجودة يؤثر على ميزة المنشأة التنافسية).

جدول (4) الوسط الحسابي لعبارات الفرضية الأولى

الترتيب	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	العبارات	الرقم
الثالثة	0.888	3.95	تحسب شركتكم تكاليف المواد التالفة نتيجة التخزين والتي لا تدخل في عمليات الانتاج.	1
الرابعة	1.401	3.65	تقوم إدارة الشركة بحساب الخسائر الناتجة عن عدم مطابقة المواصفات.	2
الأولى	1.125	4.55	توجد لدى الشركة معايير محددة لتصنيف المنتجات كمنتجات جيدة او معيبة او تالفة.	3
الثانية	0.825	4.08	يتم حساب تكاليف اعادة تصنيع المنتجات المعيبة بالشركة.	4

5	تهتم الشركة بالرقابة القبلية على الجودة لتجنب مخاطر وخسائر الكشف المتأخر للمنتجات المعيبة.	3.45	0.935	الخامسة
	الإجمالي	3.936	1.035	

المصدر: أعدّه الباحثان من بيانات الدراسة الميدانية 2021

يتضح من الجدول (4) ان هنالك ترابط وتماسك بين عبارات ومتغيرات الفرضية الأولى، حيث بلغ متوسط المتوسطات لإجابات أفراد عينة البحث (3.93) وبتشتت صغير دل عليه الانحراف المعياري البالغ (1.035)، وعند مراجعة العبارات الفرعية التي تضمنتها هذه الفرضية نجد ان العبارة الثالثة (توجد لدى المصنع معايير محددة لتصنيف المنتجات كمنتجات جيدة او معيبة او تالفة) حصلت على أعلى درجة حيث بلغ الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (4.55)، وهي درجة تتفق مع درجة اختبار الفرضية الأولى ويعزى سبب ذلك الى شركة سكر كنانة ان الشركة لها معايير تصنيف للمنتجات كمنتجات جيدة ومعيبة وتالفة، وجاءت العبارة الرابعة (يتم حساب تكاليف اعادة تصنيع المنتجات المعيبة بالشركة) في المرتبة الثانية، حيث بلغ الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (4.08) ثم تلتها العبارة الأولى (تحسب شركتكم تكاليف المواد التالفة نتيجة التخزين والتي لا تدخل في عمليات الانتاج) في المرتبة الثالثة، حيث بلغ الوسط الحسابي لأفراد عينة البحث (3.95)، اما العبارة الثانية (تقوم إدارة الشركة بحساب الخسائر الناتجة عن عدم مطابقة المواصفات) فقد جاءت في المرتبة الرابعة بوسط حسابي (3.64)، والعبارة التي احتلت المرتبة الأخيرة هي العبارة الخامسة (تهتم الشركة بالرقابة القبلية على الجودة لتجنب مخاطر وخسائر الكشف المتأخر للمنتجات المعيبة)، حيث بلغ الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (3.45).

نتائج تحليل T (One Sample Test):

وللتحقق من أن الوسط الحسابي الذي المستجيبون من أفراد عينة الدراسة لعبارات ومتغيرات الفرضية الأولى أكبر بدرجة معنوية من وسط أداة القياس وان هذا الفرق لا يعود للصدفة تم اختبار تحليل T (One Sample Test) والجدول (4) يوضح النتائج التي تم التوصل اليها.

الجدول (5) نتائج تحليل T (One Sample Test) لمتغيرات الفرضية الأولى

Mean Difference	Sig	Df ³	T	العبارات
1.021	0.000	72	7.635	تحسب شركتكم تكاليف المواد التالفة نتيجة التخزين والتي لا تدخل في عمليات الانتاج.
0.915	0.000	72	7.891	تقوم إدارة الشركة بحساب الخسائر الناتجة عن عدم مطابقة المواصفات.
1.001	0.000	72	8.325	توجد لدى الشركة معايير محددة لتصنيف المنتجات كمنتجات جيدة او معيبة او تالفة.
0.842	0.000	72	9.425	يتم حساب تكاليف اعادة تصنيع المنتجات المعيبة بالشركة.
0.815	0.000	72	7.625	تهتم الشركة بالرقابة القبلية على الجودة لتجنب مخاطر وخسائر الكشف المتأخر للمنتجات المعيبة.

المصدر: أعدّه الباحثان من بيانات الدراسة الميدانية 2021

من الجدول أعلاه نلاحظ أن قيمة T المحسوبة لجميع متغيرات الفرضية الأولى ولمتوسط متغيرات الفرضية الأولى أكبر من قيمة T الجدولية وأن مستوى الدلالة لجميع المتغيرات أقل من (0.05) وهذا يشير الى وجود انسجام في إجابات أفراد العينة الذين يرون ان تطبيق أسلوب تكلفة الجودة يؤثر على ميزة المنشأة التنافسية، لذا نقبل الفرضية الأولى وبمستوى ثقة 96% وهذه النتيجة تتفق مع العديد من الدراسات التي تناولت نفس الموضوع.

نتائج اختبار الفرضية الثانية: (هنالك علاقة ارتباط بين أسلوب تكلفة الجودة والميزة التنافسية للمنشأة).

جدول (6) الوسط الحسابي لعبارات الفرضية الثانية

الترتيب	الانحراف الوسط الحسابي المعياري	العبارات	الرقم
الثالثة	1.002	4.15 تكاليف الجودة تساعد في فرض على المنتج والتحكم به بغرض تحقيق قدرة عالية من التنافس.	1
الثانية	0.825	4.30 تكاليف الجودة تساعد الإدارة في اتخاذ تدابير الدقة والموضوعية في تقدير التكاليف وتقييمها بهدف تقليل الخسائر	2
الخامسة	0.943	3.75 تهتم الشركة بتكاليف خاصة لتصميم المنتجات لتخفيض تكاليف الإنتاج المعيب	3
الأولى	0.715	4.35 تقيس الشركة تكاليف العمليات بهدف جعل الفعالية الإنتاجية مطابقة لمواصفات الجودة	4
الرابعة	1.115	4.11 تهتم الشركة بالتكاليف المتنوعة لأنشطة الأقسام الفنية والإدارية بما يضمن مقدرة تنافسية عالية	5
	0.920	4.13 الإجمالي	

المصدر: أعدّه الباحثان من بيانات الدراسة الميدانية 2021

يتضح من الجدول رقم (6) ان هنالك ترابط وتماسك بين عبارات ومتغيرات الفرضية الثانية، حيث بلغ متوسط المتوسطات لإجابات أفراد عينة البحث (4.15) وبتشتت صغير دل عليه الانحراف المعياري البالغ (0.920)، وعند مراجعة العبارات الفرعية التي تضمنتها هذه الفرضية نجد ان العبارة الرابعة (تقيس الشركة تكاليف العمليات بهدف جعل الفعالية الإنتاجية مطابقة لمواصفات الجودة) حصلت على أعلى درجة حيث بلغ الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (4.35)، وهي درجة تتفق مع درجة اختبار الفرضية الثانية ويعزى سبب ذلك الى ان الشركة تقيس تكاليف العمليات بهدف جعل الفعالية الإنتاجية مطابقة لمواصفات الجودة، وجاءت العبارة الثانية (تكاليف الجودة تساعد الإدارة في اتخاذ تدابير الدقة والموضوعية في تقدير التكاليف وتقييمها بهدف تقليل الخسائر) في

المرتبة الثانية، حيث بلغ الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (4.30) ثم تلتها العبارة الأولى (تكاليف الجودة تساعد في فرض على المنتج والتحكم به بغرض تحقيق قدرة عالية من التنافس) في المرتبة الثالثة، حيث بلغ الوسط الحسابي لأفراد عينة البحث (4.15)، أما العبارة الخامسة (تهتم الشركة بالتكاليف المتنوعة لأنشطة الأقسام الفنية والإدارية بما يضمن مقدرة تنافسية عالية) فقد جاءت في المرتبة الرابعة بوسط حسابي (4.11)، والعبارة التي احتلت المرتبة الأخيرة هي العبارة الثالثة (تهتم الشركة بتكاليف خاصة لتصميم المنتجات لتخفيض تكاليف الإنتاج المعيب)، حيث بلغ الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (3.75).

نتائج تحليل T (One Sample Test):

للتحقق من أن الوسط الحسابي الذي المستجيبون من أفراد عينة الدراسة لعبارات ومتغيرات الفرضية الثانية أكبر بدرجة معنوية من وسط أداة القياس وان هذا الفرق لا يعود للصدفة تم اختبار تحليل T (One Sample Test) والجدول (6) يوضح النتائج التي تم التوصل إليها.

الجدول (7) نتائج تحليل T (One Sample Test) لمتغيرات الفرضية الثانية

العبارات	t	Df ³	sig	Mean Difference
تكاليف الجودة تساعد في فرض على المنتج والتحكم به بغرض تحقيق قدرة عالية من التنافس.	9.526	72	0.000	1.002
تكاليف الجودة تساعد الإدارة في اتخاذ تدابير الدقة والموضوعية في تقدير التكاليف وتقييمها بهدف تقليل الخسائر	8.520	72	0.000	1.025
تهتم الشركة بتكاليف خاصة لتصميم المنتجات لتخفيض تكاليف الإنتاج المعيب	7.110	72	0.000	1.001
تقيس الشركة تكاليف العمليات بهدف جعل الفعالية الإنتاجية مطابقة لمواصفات الجودة	8.111	72	0.000	0.820
تهتم الشركة بالتكاليف المتنوعة لأنشطة الأقسام الفنية والإدارية بما يضمن مقدرة تنافسية عالية	7.750	72	0.000	1.020

المصدر: أعدّه الباحثان من بيانات الدراسة الميدانية 2021

من الجدول أعلاه نلاحظ أن قيمة T المحسوبة لجميع متغيرات الفرضية الثانية ولمتوسط متغيرات الفرضية الثانية أكبر من قيمة T الجدولية وأن مستوى الدلالة لجميع المتغيرات أقل من (0.05) وهذا يشير الى وجود انسجام في إجابات أفراد العينة الذين يرون ان هنالك علاقة ارتباط بين أسلوب تكلفة الجودة والميزة التنافسية للمنشأة، لذا نقبل الفرضية الثانية وبمستوى ثقة 91% وهذه النتيجة تتفق مع العديد من الدراسات التي تناولت نفس الموضوع.

نتائج اختبار الفرضية الثالثة: (توجد صعوبات ومعوقات تحول دون تطبيق تكلفة الجودة في الشركات الصناعية).

جدول (8) الوسط الحسابي لعبارات الفرضية الثالثة

الرقم	العبارات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
1	عدم وجود خطة عمل واضحة ومحددة بالأهداف حول الجودة	4.35	0.826	الثالثة
2	عدم تطبيق كافة أبعاد الجودة وعدم الالتزام بتطبيقها	3.95	0.925	الخامسة
3	ضعف الوعي وعدم الاهتمام من قبل إدارات الشركات بأهمية استخدام أسلوب وأدوات تحسين الجودة	4.65	.795	الثانية
4	عدم الاهتمام بقياس تكاليف الفشل الخارجي من قبل إدارة الشركات	4.80	1.002	الأولى
5	عدم التركيز على رضا العميل لعدم وجود أهداف استراتيجية واضحة	4.08	0.815	الرابعة
	الإجمالي	4.37	0.872	

المصدر: أعدّه الباحثان من بيانات الدراسة الميدانية 2021

يتضح من الجدول (8) ان هنالك ترابط وتماسك بين عبارات ومتغيرات الفرضية الثالثة، حيث بلغ متوسط المتوسطات لإجابات أفراد عينة البحث (4.37) وبتشتت صغير دل عليه الانحراف المعياري البالغ (0.872)، وعند مراجعة العبارات الفرعية التي تضمنتها هذه الفرضية نجد ان العبارة الرابعة (عدم الاهتمام بقياس تكاليف الفشل الخارجي من قبل إدارة الشركات) حصلت على أعلى درجة حيث بلغ الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (4.80)، وهي درجة تتقف مع درجة اختبار الفرضية الثالثة ويعزى سبب ذلك الى عدم الاهتمام بقياس تكاليف الفشل الخارجي من قبل إدارة الشركات، وجاءت العبارة الثالثة (ضعف الوعي وعدم الاهتمام من قبل إدارات الشركات بأهمية استخدام أسلوب وأدوات تحسين الجودة) في المرتبة الثانية، حيث بلغ الوسط الحسابي لإجابات عينة

البحث (4.65) ثم تلتها العبارة الأولى (عدم وجود خطة عمل واضحة ومحددة بالأهداف حول الجودة) في المرتبة الثالثة، حيث بلغ الوسط الحسابي لأفراد عينة البحث (4.35)، أما العبارة الخامسة (عدم التركيز على رضا العميل لعدم وجود أهداف استراتيجية واضحة) فقد جاءت في المرتبة الرابعة بوسط حسابي (4.08)، والعبارة التي احتلت المرتبة الأخيرة هي العبارة الثانية (عدم تطبيق كافة أبعاد الجودة وعدم الالتزام بتطبيقها)، حيث بلغ الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (3.95).

نتائج تحليل T (One Sample Test):

وللتحقق من أن الوسط الحسابي الذي المستجيبون من أفراد عينة الدراسة لعبارات ومتغيرات الفرضية الثالثة أكبر بدرجة معنوية من وسط أداة القياس وان هذا الفرق لا يعود للصدفة تم اختبار تحليل T (One Sample Test) والجدول (9) يوضح النتائج التي تم التوصل إليها.

الجدول (9) نتائج تحليل T (One Sample Test) لمتغيرات الفرضية الثالثة

العبارات	T	Df ³	sig	Mean Difference
عدم وجود خطة عمل واضحة ومحددة بالأهداف حول الجودة	9.001	72	0.000	1.001
عدم تطبيق كافة أبعاد الجودة وعدم الالتزام بتطبيقها	8.725	72	0.000	0.925
ضعف الوعي وعدم الاهتمام من قبل إدارات الشركات بأهمية استخدام أسلوب وأدوات تحسين الجودة	8.835	72	0.000	1.025
عدم الاهتمام بقياس تكاليف الفشل الخارجي من قبل إدارة الشركات	7.125	72	0.000	0.965
عدم التركيز على رضا العميل لعدم وجود أهداف استراتيجية واضحة	8.945	72	0.000	0.825

المصدر: أعدّه الباحثان من بيانات الدراسة الميدانية 2021

من الجدول أعلاه نلاحظ أن قيمة T المحسوبة لجميع متغيرات الفرضية الثالثة ولمتوسط متغيرات الفرضية الثالثة أكبر من قيمة T الجدولية وأن مستوى الدلالة لجميع المتغيرات أقل من (0.05) وهذا يشير إلى وجود انسجام في إجابات أفراد العينة الذين يرون أنه توجد صعوبات ومعوقات تحول دون تطبيق تكلفة الجودة في الشركات الصناعية، لذا نقبل الفرضية الثالثة وبمستوى ثقة 95% وهذه النتيجة تتفق مع العديد من الدراسات التي تناولت نفس الموضوع.

النتائج:

1. تهتم شركة سكر كنانة بوضع تكاليف خاصة لتصميم المنتجات لتخفيض تكاليف الإنتاج المعيب.
2. الميزة التنافسية مصدرا هاما لشركة سكر كنانة للتفوق على المؤسسات الأخرى.
3. الاهتمام بتكاليف الجودة يعمل على زيادة حصة الشركات في الأسواق المحلية والدولية.
4. قياس تكاليف المنع يساهم في تقليل الإنتاج التالف والمعيب خلال العمليات.
5. تقييس الشركة تكاليف العمليات بهدف جعل الفعالية الإنتاجية مطابقة لمواصفات الجودة.
6. تهتم الشركة بالتكاليف المتنوعة لأنشطة الأقسام الفنية والإدارية بما يضمن مقدرة تنافسية عالية.
7. إدارة شركة سكر كنانة تهتم بتوفير المتطلبات اللازمة لتطبيق الجودة.
8. تكاليف الجودة تساعد الإدارة في اتخاذ تدابير الدقة والموضوعية في تقدير التكاليف وتقييمها بهدف تقليل الخسائر.
9. توجد لدى شركة سكر كنانة معايير محددة لتصنيف المنتجات كمنتجات جيدة او معيبة او تالفة.
10. تهتم الشركة بالرقابة القبلية على الجودة لتجنب مخاطر وخسائر الكشف المتأخر للمنتجات المعيبة.

التوصيات:

1. أهمية اهتمام الشركات الصناعية بتكاليف الجودة وقياسها والافصاح عنها في القوائم المالية.
2. ضرورة الاهتمام بالتدريب والتأهيل في مجال تكاليف الجودة لجميع الكوادر الإدارية والفنية في الشركات الصناعية.
3. أهمية قياس تكاليف الفشل الخارجي لأهميته في تنبيه الإدارة بضرورة اتخاذ الإجراءات المناسبة لتحسين الجودة في معاملها.
4. ضرورة رفع الوعي والاهتمام لإدارات الشركات لاستخدام أساليب تحسين الجودة.
5. الاهتمام بآليات دعم الميزة التنافسية للشركات.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية

- أحمودة، عماد الحسين (2015م): "إطار محاسبي لقياس تكلفة الجودة الشاملة"، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان.
- ادريس، المكي، الطيب حامد، أميرة عبد الرحمن (2019م): "تأثير تكلفة الجودة على تطبيق ادارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي"، المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية، (المجلد الثالث، العدد9)، المملكة العربية السعودية.
- البشتاوي، جريرة، سليمان حسين، طلال سليمان (2015م): "اهمية تطبيق ادارة التكاليف الاستراتيجية واستراتيجيات المنافسة لتحقيق الميزة التنافسية للشركات الصناعية"، مجلة دراسات العلوم الادارية (المجلد42، العدد1).
- بلعقون، كوثر (2016م): "اهمية تخفيض تكاليف الجودة في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسة الاقتصادية"، رسالة ماجستير في علوم التسيير، جامعة محمد خيضر-بسكرة-، الجزائر.
- الجباري، 2020م، "تكاليف الجودة وطرق قياسها"، <https://mawdoo.com>، 29 ديسمبر 2020م الساعة 10:2ظ.
- الجبلي، وليد سمير عبد العظيم، (2020م): "إطار مقترح للتكامل بين محاسبة تكاليف تدفق المواد ومحاسبة استهلاك الموارد لدعم القدرة التنافسية"، مجلة البحوث المالية، (المجلد21، العدد3).
- جعفر، عجيب، برير، فضل الله بكري، بشير، (2018م): "دور أدوات المحاسبة الإدارية الاستراتيجية في دعم القدرة التنافسية"، مجلة دلنا للعلوم والتكنولوجيا، العدد السابع.
- الحربي، بدر ناصر (2016م): "الرقابة على تكاليف الجودة وأثرها في تحسين مواصفات مشاريع الطرق لشركات المقاولات الكويتية"، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الكويت.
- حمزات، سناء مصلح، (2016م): "أثر تطبيق نظام الجودة الشاملة في إدارة التكاليف في المنشآت المستخدمة لمدخل التكلفة المستهدفة"، رسالة ماجستير في المحاسبة، جامعة دمشق، سورية.

- دروش، سارة (2016م): "الليات المحاسبية الادارية الحديثة في تحقيق الميزة التنافسية"، رسالة ماجستير في العلوم الادارية، جامعة العربي بن مهدي. ام بواقي، الجزائر.
- الدرويش، مصطفى محمد، (2013م): "الممارسات الافضل ودورها في تعزيز الميزة التنافسية"، اطروحة دكتوراه، جامعة حلب.
- رايح، خلادي، (2014م): "دور التكلفة علي اساس النشاط في تحقيق الميزة التنافسية في المؤسسة الخدمية"، رسالة ماجستير، الجزائر.
- زملط، إياد سليم (2013م): "أساليب المحاسبة الادارية الحديثة وأثرها في رفع الكفاءة الائتمانية لشركات المساهمة العامة"، رسالة ماجستير، جامعة الازهر، فلسطين.
- صافي، خليل موفق خليل، (2017م): "دور استخدام بطاقة الاداء المتوازن في تحقيق الميزة التنافسية"، رسالة ماجستير، جامعة الازهر، فلسطين.
- الطائي، يوسف حجيم واخرون، (2009م): "نظم ادارة الجودة في المنظمات الإنتاجية والخدمية"، دار اليازوزي للنشر، عمان-الاردن.
- الطيب، دويس محمد، (2005م): "براءة الاختراع مؤشر لقياس تنافسية المؤسسات والدول"، رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية، جامعة ورقلة، الجزائر.
- عامر، درغام ومحمد، ريم، وموسى، ماهر (2018م): "علاقة تكاليف الجودة بالأداء الاستراتيجي"، المجلة العربية للإدارة، (المجلد38، العدد4).
- عبد الرؤوف، حجاج، (2007م): "الميزة التنافسية للمؤسسة الاقتصادية: مصادرها ودور الابداع التكنولوجي في تنميتها"، رسالة ماجستير في علوم التسيير، جامعة 20 أوت 55 بسكيكدة، الجزائر.
- العتوم، محمد فوزي علي، (2009م): "رسالة المنظمة وأثرها في تحقيق الميزة التنافسية"، رسالة ماجستير في ادارة الاعمال، جامعة الشرق الاوسط.
- عوض الله، الصديق، عليش، ليندا، إبراهيم، بابكر، (، 2017م): "أثر التكامل بين محاسبة استهلاك الموارد ونظام المحاسبة الرشيقية في تخفيض التكاليف"، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، (المجلد19، العدد1).

- الفضل، غدير، مؤيد محمد علي، إنعام محسن، (2012م): "تأثير محاسبة تكاليف الجودة في تحقيق الميزة التنافسية"، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة الكوفة.
- كاظم، عبد الوهاب (2013م): "تأثير التكاليف البيئية وتكاليف الجودة في تحقيق بعض ابعاد الميزة التنافسية"، مجلة التقني، (المجلد السادس والعشرون، العدد الرابع).
- كاظم، عبد الوهاب (2013م): "تأثير التكاليف البيئية وتكاليف الجودة في تحقيق بعض ابعاد الميزة التنافسية"، مجلة التقني، (المجلد السادس والعشرون، العدد الرابع).
- محسن، اسراء عبد السلام، (2016م): "مدى استخدام ادوات المحاسبة الرشيدة في تحقيق ميزة تنافسية في ظل ادارة الجودة الشاملة"، رسالة ماجستير، جامعة الازهر، فلسطين.
- مراد واخرون، (2019م): "مساهمة المحاسبة عن الانجاز في ترشيد القرارات الإدارية"، مذكرة لاستكمال متطلبات ماستر محاسبة، جامعة حمة لخضر بالوادي، الجزائر.
- نقاز، نوال، (2014م): "دور الرقابة على تكاليف الجودة لتحسين الأداء المالي"، رسالة ماجستير، جامعة المسيلة، الجزائر.
- هبة الله، أوريسي (2012م): "تنافسية القطاع السياحي وانعكاساته على التنمية المستدامة في الدول العربية"، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر.
- ياسين، الحكم أيوب (2017م): "أثر متطلبات تطبيق الحيود السداسي في تقليل تكلفة الجودة الرديئة"، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- Abdulkhalig M.-Rawi & Hiba Abdalhafiz (2018): The Role Of Resource Consumption Accounting (RCA) In Improving Cost Management in the Jordanian Commercial Banks. International Journal in Economics and Business, Issue 10.
- Schiffauerova, A, A, A and Thomson (2006): Cost of Quality models and Best practices, International Journal of Quality and Reliability Management (Vol.23, No.4).

واقع التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية وأثره في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت

The Reality of Strategic Planning for Human Resources and its Impact on Developing the Capabilities of Administrative Leaders in Ministries and Government Agencies in the State of Kuwait

إعداد: د. ياسر احمد احمد الكندري؛ أستاذ مساعد في إدارة الأعمال، الكويت

Assistant Professor: Yaser Ahmad Ahmad Alkandari

المخلص:

هدف البحث إلى التعرف على التعرف على واقع التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية وأثره في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، يعتبر البحث من الأبحاث الميدانية والتي اتبع فيها الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على برنامج الحزمة الإحصائية في العلوم الاجتماعية spss، شمل مجتمع البحث جميع الإدارات والأقسام في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت. أما العينة فتكونت من (98) مستجيب من الموظفين الذين يشغلون المناصب العليا في الإدارات العليا في هذه الوزارات والهيئات. وتوصل البحث إلى أن هناك تأثير ذو دلالة إحصائية للتخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، وتبين أن التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية يسهم في زيادة قدرة القائد الإداري على القيام بعمله بجد وإتقان وفي تحسين قدرته على تنظيم العمل وتوزيع الواجبات على المرءوسين وتنسيق جهودهم، فضلا عن انه يسهم بإيجاد قادة إداريين قادرين على إجراء عملية التحديث والتطوير في مجالات العمل المختلفة، وأوصى البحث بإيلاء التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية الأهمية التي يستحقها لدوره الفاعل في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، إضافة إلى زيادة الاهتمام بالعنصر البشري كأصل من الأصول الهامة في الوزارة.

الكلمات المفتاحية: التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية، تنمية قدرات القيادات الإدارية، الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت.

Abstract :

The aim of the research is to get acquainted with the reality of strategic planning for human resources and its impact on developing the capabilities of administrative leaders in ministries and government agencies in the State of Kuwait. Kuwait. As for the sample, it consisted of (98) respondents from among the employees who occupy senior positions in the higher administrations in these ministries and agencies. The research concluded that there is a statistically significant impact of strategic planning for human resources in developing the capabilities of administrative leaders in ministries and government agencies in the State of Kuwait. distributing duties to subordinates and coordinating their efforts,

as well as contributing to the creation of administrative leaders who are able to carry out the process of modernization and development in various fields of work. The research recommended giving strategic planning to human resources the importance it deserves for its active role in developing the capabilities of administrative leaders in ministries and government agencies in the State of Kuwait, in addition to increasing attention to the human element as an important asset in the ministry.

Keywords: Strategic Planning for human resources, Capacity Development of Administrative Leaders, Ministries and Government Agencies in the State of Kuwait.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

يُعد تخطيط الموارد البشرية أحد الوظائف الأساسية في عملية إدارة الموارد البشرية؛ إذ يُعد مطلباً أساسياً لباقي وظائف إدارة الموارد البشرية الأخرى كالاختيار والتعيين، والتطوير والتدريب، والتعويض، وتقييم الأداء، كما أن تخطيط الموارد البشرية عملية إستراتيجية بقصد الحصول على هذه الموارد واستخدامها، وتحسينها، والمحافظة عليها.

وتأتي أهمية التخطيط الإستراتيجي للموارد البشرية في المؤسسات لإعادة التوازن الإداري من خلال معالجة نقاط الضعف ومعرفة نقاط القوة واستغلال الفرص لمواجهة المخاطر والتحديات المتزايدة التي تطرأ نتيجة للمتغيرات والتطورات المتزايدة والحاصلة في بيئة منظمات الأعمال متخطية في ذلك الإدارة التقليدية وصولاً لإدارة فاعلة تتسم بالتميز وحسن الأداء. وتعد الموارد البشرية من أهم الموارد التي تركز عليها الإدارة كون العنصر البشري هو المورد الأثمن والأكثر تأثيراً في الأداء.

كذلك فإن القيادة الإدارية تُعد واحدة من أهم عناصر السلوك الإنساني، فهي تمثل أحد الركائز المساعدة على تنمية الإبداع لدى الموظفين، إذ توفر البيئة المناسبة للإبداع والذي بدوره يعمل على تقدم

المنظمة وازدهارها. لذلك لم تكن نجاحات المؤسسات وليدة الصدفة، ولكنها تعزى إلى تلك العوامل التي تحركها عقول قيادات بارعة في إدارة مؤسساتها نحو تحقيق الأهداف.

كما أنّ تطوير المؤسسات يتطلب وجود عاملين يمتلكون مهارات وكفايات قيادية، تُمكنهم من تأدية أدوارهم ومهامهم خير أداء، ويعملون على تلبية الاحتياجات الإدارية والفنية للعاملين في المؤسسة، والمتعاملين معها من أبناء المجتمع المحلي، وبما يتماشى مع الرؤية المتمثلة في إعادة تشكيل النموذج الذي يركز على استراتيجيات القيادة والإدارة، القائمة على الاستخدام الأمثل لما توفره المعلوماتية والتكنولوجيا المعاصرة من وسائل تطوير وتحسين لممارسة العملية الإدارية.

لذلك باتت القيادة الإدارية تشكل محوراً مهماً تركز عليه مختلف النشاطات في المؤسسات العامة والخاصة على حد سواء، وفي ظل تنامي المؤسسات وكبر حجمها وتشعب أعمالها وتعقدتها أصبحت الحاجة ملحة لإحداث التغيير والتطوير الملائم بالشكل الذي يضمن لها الاستمرارية والتميز، وهذه مهمة لا تتحقق إلا في ظل قيادة إدارية واعية، تمتلك من المهارات القيادية ما يمكنها من تحريك الجهود وتوجيه الطاقات لتحقيق أفضل مستوى من الإنجاز.

مشكلة البحث وأسئلته:

لقد أدى التوسع الحاصل في أعمال الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت من حيث زيادة عدد الإدارات التابعة له وازدياد الأنشطة التي تمارسها إلى كثرة تنوع المستويات والعمليات الإدارية وزيادة تعقيدها، مما أدى إلى زيادة الضغوط عليها من أجل اتخاذ أساليب إدارية جديدة لتحقيق مستويات عالية من الأداء. ولتحقيق ذلك فإنه يتوجب على الوزارات والهيئات القيام بالتخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية، حيث تشير الأدبيات السابقة إلى الأهمية البالغة للتخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية الذي يعتبر من أهم المقومات التي تستند عليها الإدارات العليا في تحقيق كفاءة وفاعلية أفضل في الأداء، وعليه، فإنه يمكن إظهار مشكلة البحث من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس: هل يوجد أثر لتطبيق التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية المتمثلة بـ(التحليل البيئي، عملية التنبؤ بالاحتياجات المستقبلية، تحليل عرض العمالة، تطوير خطط العمل) في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت؟ وقد انبثق عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

1. هل يوجد أثر للتحليل البيئي في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت؟

2. هل يوجد أثر لعملية التنبؤ بالاحتياجات المستقبلية في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت؟

3. هل يوجد أثر لتحليل عرض العمالة تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت؟

4. هل يوجد أثر لتطوير خطط العمل في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت؟

منهج البحث:

يعتبر هذا البحث من الأبحاث الميدانية حيث تم استخدام المنهج الوصفي والتحليلي، الذي يعتمد على دراسة الظاهرة، ويصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها كيفياً وكمياً، ومن خلال استخدام الأسلوب التطبيقي عن طريق جمع البيانات وتحليلها واختبار فرضيات الدراسة. كما تم استخدام الأسلوب التطبيقي المتضمن استخدام العديد من الطرق والمعالجات الإحصائية ذات العلاقة بموضوع البحث.

فرضيات البحث:

الفرضية الرئيسية: HO1: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت. وقد انبثق عن هذه الفرضية الفرضيات الفرعية التالية:

HO1-1: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتحليل البيئي في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت.

HO1-2: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لعملية التنبؤ بالاحتياجات المستقبلية في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت.

HO1-3: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتحليل عرض العمالة في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت.

HO1-4: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتطوير خطط العمل في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت.

أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث الحالي من أهمية التخطيط الاستراتيجي كوظيفة مهمة من وظائف العملية الإدارية، ومن أهمية المورد البشري كواحد من أهم الموارد التي تركز عليها الإدارة، حيث يعمل البحث على استقراء وتشخيص الواقع الحالي للتخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت وبيان أثره في تنمية قدرات القيادات الإدارية، وتحليل وتقييم مدى استجابتها لمتطلبات البيئة المحيطة، ورفع كفاءة إدارتها، وأنه يمثل إضافة علمية متخصصة في هذا المجال.

هدف البحث:

يسعى البحث إلى التعرف على واقع التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية وأثره في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت.

مجتمع البحث وعينته:

تكون مجتمع البحث من جميع الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت وعددها (18) وزارة وهيئة. أما وحدة المعاينة التي تم الاعتماد عليها في تعبئة الاستبانة فتكونت من المديرين العاملين في الإدارات العليا ويشغلون منصب مدير ومدير مساعد ومدير إدارة الموارد البشرية والبالغ عددهم (200) مدير. أما طريقة اختيار عينة البحث فقد تم وفق الصيغ الإحصائية التي تشير إلى أن العينة التي تمثل مجتمع يبلغ عدده (200) مفردة تكون (132) مفردة وبناءً على ذلك تم توزيع، (132) استبانة بشكل إلكتروني على المستجيبين وبالطريقة العشوائية، وتم استخراج ما مجمله (98) استبانة من خلال شبكة الانترنت وبنسبة (74.2%)، وتم إخضاع جميع الاستبانة المستردة للتحليل الإحصائي.

مصادر جمع البيانات:

اعتمد الباحث على نوعين من مصادر المعلومات هما: المصادر الثانوية، مثل كتب التخطيط الإستراتيجي والقيادة الإدارية والمواد العلمية والنشرات والدوريات المتخصصة التي تبحث في موضوع البحث، كما تم الاعتماد على المصادر الأولية من خلال الاستبانة التي تم تطويرها وتصميمها في ضوء أهداف وفرضيات البحث، وللتأكد من صدقها وقدرتها على قياس متغيرات البحث، فقد تم استخراج معامل كرونباخ ألفا للاتساق الداخلي وبلغ (92.4%).

الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث:

قام الباحث باستخدام الأساليب الإحصائية ضمن برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، حيث تم استخدام المتوسطات الحسابية للتعرف على تقييمات المبحوثين لكل مفردة من مفردات البحث، وكذلك تم استخدام تحليل الانحدار الخطي المتعدد (Multiple Regression) وتحليل الانحدار الخطي البسيط (Regression Simple) لاختبار الفرضيات.

الإطار المفاهيمي للبحث:

التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية:

يُعد التخطيط ضرورة مهمة باعتباره أحد السمات المميزة لعصرنا الحاضر. فكل الدول الساعية للتطور أدركت انه الضمان الوحيد لاستخدام الموارد البشرية بطريقة علمية وعملية وإنسانية لتحقيق الفائدة للجميع. ويحتاج التخطيط إلى مقومات أساسية أولها توافر المعلومات والتي يمكن أن توفرها البحوث المختلفة، وتحتاج إلى أشخاص مدربين وواعين بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تحيط بعملية التخطيط (French, 2018). وتأتي أهمية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في تفعيل الإدارة الإلكترونية لكونه ضروري جداً كون العنصر البشري يعد ركناً أساسياً في المؤسسات وهو الأكثر تأثيراً في الأداء، لذلك يصبح التخطيط الإستراتيجي للموارد البشرية مطلباً ملحاً لتمكين المؤسسات من استقطاب الكفاءات وتأهيلها وتنميتها لتكون قادرة على مواكبة التحديات الحالية والمستقبلية، ويمكن أن تساهم بقوة في تحقيق أهداف المنظمة. لذلك يجب أن ترتبط وظيفة الموارد البشرية وأنشطتها برسالة المؤسسة وبأهدافها، لأنه لا يمكن للمؤسسة أن تعمل في فراغ (تشاندا وكابرا، 2012)، فهي تؤدي دورين أساسيين يتمثل الأول منهما في المهمة الإدارية التي تشترك فيها هذه الإدارة مع مختلف الوحدات التنظيمية، مثل وظائف التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة والإبداع وتخصيص الموارد، فيما تمارس دوراً آخر هو الدور التخصصي، والذي تعنى من خلاله بتخطيط وتحليل الموارد البشرية وتدريبها وتقويم أداء العاملين فيها وانتهاءً بالسلامة المهنية (أبو شيخة، 2011).

ويتم التخطيط للموارد البشرية وفقاً للأهداف والاستراتيجيات التي تسعى المؤسسة لتحقيقها، حيث تواكب هذه العملية وتتكامل وعملية التخطيط الإستراتيجي في المنظمة بجميع عناصرها، ويعني التخطيط للموارد البشرية تحديد احتياجات المنظمة من أنواع وأعداد العاملين ويتطلب هذا تحديد طلب المنظمة من العاملين وتحديد ما هو معروف ومتاح منها والمقارنة بينها لتحديد صافي العجز والزيادة في القوى العاملة للمنظمة. وقد عرّف (French, 2018) تخطيط الموارد البشرية بأنه العملية التي يتم بموجبها تحليل

الاحتياجات من الموارد البشرية في ضوء الأهداف التي تسعى المؤسسات لتحقيقها، ووضع الخطط للحصول على الموارد البشرية المؤهلة.

تشكل عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية خطة إستراتيجية توضح حاجة المؤسسة المستقبلية من الموارد البشرية، يمكن تحديدها بأربع مراحل وهي: (عقيلي، 2015)

المرحلة الأولى: التحليل البيئي: تقوم هذه المرحلة على دراسة أهداف المنظمة وفهمها، حيث إن تخطيط الموارد البشرية جزء لا يتجزأ من التخطيط الاستراتيجي للمؤسسة، ولا يمكن لإدارة الموارد البشرية أن تضع خططها الخاصة بالموارد البشرية بمعزل عن أهداف المنظمة الإستراتيجية، حيث يتم تفهم تلك الأهداف في ضوء البيئة الخارجية والداخلية للمؤسسة. ومن أجل تخطيط الموارد البشرية يتطلب من المؤسسة، أن تقوم بتحليل دقيق للمتغيرات التي تحيط ببيئتها الداخلية والخارجية، وذلك بتحديد أعداد ونوعية الموارد البشرية، ومدى ملاءمتها للظروف الحالية والمستقبلية للبيئة الخارجية ومتغيراتها، وخاصة تلك المتعلقة بمعدلات البطالة والتغيرات الديموغرافية وزيادة في السكان والإحصاءات الحيوية (الطائي، وآخرون، 2016).

المرحلة الثانية: التنبؤ بالاحتياجات المستقبلية: تقوم هذه المرحلة على التنبؤ بالاحتياجات من الموارد البشرية بين متغيرين أحدهما يرتبط بعدد العاملين، والآخر يرتبط بحجم الإنتاج أو المبيعات، حيث يكون معدل الإنتاج متغيراً مستقلاً وعدد العاملين متغيراً تابعاً، ويتم خلال هذه المرحلة تقدير أعداد وأنواع الموارد البشرية التي تحتاجها المنظمة لمواجهة احتياجاتها المستقبلية، وتتأثر هذه التنبؤات بمخرجات الأداء ومستوى الإنتاجية وعبء العمل، والتي بتغيرها سوف تتغير متطلبات وحاجات المنظمة من الموارد البشرية (Ivancevich, 2014).

المرحلة الثالثة: تحليل عرض العمالة: تتكون العمالة المعروضة من جزأين: العرض الداخلي والذي يتكون من العمالة الداخلية من الموارد البشرية العاملة في المؤسسة، والعرض الخارجي ويتكون من الموارد البشرية المحتمل استقطابهم لوظائف معينة في المؤسسة، والمتواجدين في سوق العمل وفي المؤسسات الأخرى (Bernardin, 2017).

المرحلة الرابعة: تطوير خطط العمل: تتم من خلال اتخاذ التدابير اللازمة والمعتمدة على تحليل المعلومات، والقائمة على التوفيق بين جانبي العرض والطلب، وذلك بوضع الاستراتيجيات الخاصة بوظائف إدارة الموارد البشرية والبرامج والسياسات المتعلقة بها لتقليل الفجوة بينهما من خلال تحديد الفائض أو النقص في العمالة، ومقارنة العمالة المطلوبة والعمالة المتاحة داخل المنظمة، ففي حالة النقص

يفتح المجال للتعيينات الجديدة واستخدام العمالة المؤقتة والنقل والترقيات، وزيادة فترة الخدمة، وزيادة عدد ساعات العمل، وتحسين الأجور والحوافز، وإحلال التكنولوجيا محل العمالة، وتدريب وتطوير مواردها البشرية الحالية، وفي حالة وجود فائض في عرض الموارد البشرية على الطلب عليها، فإن المنظمة تتبع استراتيجيات لتقليل الأعداد، بإتباع سياسات النقل الداخلي وإيقاف التعيينات، وتخفيض عدد ساعات العمل، وتشجيع التقاعد المبكر وإنهاء الخدمة وغيرها (Gatewood & Field, 2019).

القيادة الإدارية:

إن القيادة الإدارية مفهوم مشتق من المفهوم الأصلي للقيادة، لكنه يركز على التفاعل بين القائد والعملية الإدارية في المنظمة، فالقيادة الإدارية محورها النشاط الذي يتم في إطار من التنظيم الإداري، بينما تركز القيادة على عملية التأثير في نشاطات الأفراد وسلوكهم لتحقيق الأهداف التي يرسمها القائد (الشماع، 2019). وتعرف القيادة الإدارية على أنها قيام القائد بتوجيه وتنسيق ورقابة أعمال الآخرين في الإدارة. كما أن القيادة الإدارية هي صلاحية الشخص المنتخب من قبل الجماعة أو المعين من خارجها بمقتضى القوانين واللوائح لاتخاذ قرارات فعالة تستهدف تحقيق التوازن بين أهداف المنظمة وإشباع رغبات التابعين بما له من قدرة على التأثير والإقناع مستخدماً في ذلك أحدث الأساليب العلمية والتكنولوجية لتحقيق أكبر إنتاجية ممكنة (المزروع، 2009).

وقدم (Goel, 2012) إطاراً عاماً لسلوك القائد كان الغرض منه تقديم تصنيفات ذات مدلول وقابلة للقياس بشأن سلوك القائد ومؤيداً سابقه بأن القيادة تمثل القدرة على التأثير في اتجاهات وقيم التابعين، ثم اتخذ هذا المفهوم طابعاً آخر بعيداً عن إجبار التابعين على اعتبار أن القيادة الإدارية بأنها القدرة على التأثير على سلوك التابعين وتوجيههم بالاتجاه المرغوب لتحقيق أهداف المؤسسة. ولأن القادة والتابعين هم الجزء الأساسي في عملية القيادة فقد تبلور الاهتمام بدراسة القضايا المتعلقة بالقادة وسماتهم وسلوكهم، والتابعين ومستوى أدائهم إذ أصبح التغيير في العصر الحديث جزءاً لا يتجزأ من حياة منظمات الأعمال التي تعيش في جو من التحدي مع التغيرات البيئية المتسارعة (Krishnan, 2015). مما يجبر هذه المنظمات على التجديد والإبداع وليس مجرد الاستجابة للمتغيرات (Harvey, 2019).

وفي هذا المجال يرى (Schermerhorn, 2012) بأنه يفترض بالقائد أن يكون مالكاً لجميع أشكال الاتصال والعلاقات الشخصية والحوافز وتصميم المهمات وعمل الفريق ومتابعة التغيير. ولكي تتمكن المنظمات من اللحاق بركب هذه التطورات لضمان البقاء والاستمرار فلا بد لها من التواءم مع ما يحدث في البيئة من حولها، وانطلاقاً من فكرة أن التغيير هو قانون الحياة فإنه على المنظمات أن تغير في أساليب العمل والتكنولوجيا التي تستخدمها في هياكلها التنظيمية وكذلك في سلوك العاملين فيها، وهذا الأمر يتطلب

وجود قادة يمتلكون أساليب قيادية تمكنهم من السيطرة على زمام الأمور، فبدون قيادة حكيمة كفوة تبقى عمليات التغيير مشلولة.

ويرى الباحث أن مفهوم القيادة الإدارية هي عملية تفاعل بين القائد والتابعين بحيث يمارس القائد تأثيراً على سلوك ومشاعر تابعة لتوجيه هذا السلوك باتجاه معين من خلال إقناعهم وجعلهم يدركون أهمية أدائهم للمهام الموكلة إليهم لتحقيق أهداف الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، والقيادة في جوهرها عملية تأثير بين شخص (القائد) وبين مجموعة من الأفراد سعياً للوصول إلى هدف محدد.

الدراسات السابقة:

هدفت دراسة (اليقوبي، 2011) إلى التعرف على واقع فاعلية تخطيط الموارد البشرية في ظل التخطيط الإستراتيجي في النظام التربوي بسلطنة عمان، وتكونت عينة الدراسة من (420) إدارياً وتربوياً، ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة بأنه يوجد أهمية كبيرة لإعداد إستراتيجية الموارد البشرية، وأنه يوجد مجموعة كبيرة من العوائق التي تحد من فاعلية تخطيط الموارد البشرية جاء في مقدمتها ضعف مستوى المشاركة عند موظفي الوزارة في صياغة أهداف وخطط الموارد البشرية.

هدفت دراسة (Chine, 2014) إلى التعرف على كيفية استخدام إدارة إستراتيجية الموارد البشرية في تحسين أداء المنظمات، واتبعت الدراسة المنهج النوعي (دراسة حالة) لإحدى الشركات الكبرى العاملة في مدينة (Taichung) في تايوان، وتوصلت الدراسة إلى أن تطبيق جميع وظائف إدارة إستراتيجية الموارد البشرية مع التركيز على تخطيط الموارد البشرية يعتبر العامل الأهم في تحسين أداء المنظمات. وقد أوصت الدراسة بضرورة تطوير مهارات العاملين من خلال برامج التدريب والتعليم ليكونوا قادرين على تحقيق رسالة المنظمة واستراتيجياتها بنجاح.

وكشفت دراسة (Jha & Singh, 2019) عن أهمية متطلبات التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية المستخدمة في المنظمات لجذب المواهب لاكتساب ميزة تنافسية، وأشارت الدراسة إلى أهمية دمج المديرين المباشرين مع مديري إدارات وأقسام ووحدات الموارد البشرية ومشاركتهم في التخطيط لهذه الموارد استراتيجياً لتمكين مديري الموارد البشرية من اكتساب رؤى قيمة لتخطيط الموارد البشرية، وأوصت بضرورة تدريب مديري الموارد البشرية والمديرين التنفيذيين للتنبؤ باحتياجات الموارد البشرية.

ما يميز البحث الحالي:

يعتبر البحث من الأبحاث القليلة في دولة الكويت الذي تناول واقع التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية وأثره في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، وبيان أهمية تنمية قدرات القيادات الإدارية يعطي البحث إضافة علمية جديدة.

تحليل النتائج واختبار الفرضيات:

اختبار الفرضية الرئيسية

HO1: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت.

لاختبار هذه الفرضية قام الباحث باستخدام تحليل الانحدار الخطي المتعدد، لمعرفة هذا الأثر، حيث تبين النتائج التي يتضمنها الجدول رقم (1) هذه النتائج.

جدول رقم (1): نتائج اختبار الانحدار الخطي المتعدد للفرضية الرئيسية الأولى

القرار الإحصائي	F الجدولية	F المحسوبة	R ²	Sig.	المتغير المستقل
رفض الفرضية العدمية	2.29	15.843	.619	0.000	التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية

يتضح من البيانات الواردة في الجدول (1) أن قيمة F المحسوبة هي (15.843) فيما بلغت قيمتها الجدولية (2.29)، وبمقارنة القيم التي تم التوصل إليها في اختبار هذه الفرضية، يتبين أن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، لذلك فإنه يتم رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه " يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت"، وهذا ما يؤكد قيمة مستوى الدلالة (Sig.) البالغة صفرًا حيث إنها أقل من 5%، كما تشير إلى أن التباين في المتغير المستقل (R²) يفسر ما نسبته (.619) من التباين في المتغير التابع.

وفيما يتعلق بالإحصاء الوصفي واختبار الفرضيات الفرعية فقد أظهرت النتائج ما يلي:

أولاً: نتائج الإحصاء الوصفي والتحليلي لبيانات المتغير المستقل الأول (التحليل البيئي)

جدول رقم (2): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية (التحليل البيئي)

#	العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النتيجة
1	تتضمن عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية بالوزارة توضيح للمتغيرات البيئية الداخلية والخارجية	3.750	.9431	عالية
2	يعتمد الوزارة على أسس معينة تمتاز بالموضوعية والدقة حول المرشحين للوظائف الشاغرة لتسهيل المفاضلة بينهم	3.659	.7453	متوسطة
3	تقوم الوزارة بتحديد أعداد ونوعية الموارد البشرية ومدى ملاءمتها للظروف الحالية والمستقبلية وفقاً لمعطيات البيئة الخارجية ومتغيراتها	3.704	.8512	عالية
4	تستند عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية إلى وصف دقيق للوظائف المتاحة	3.931	.8995	عالية
5	تأخذ عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية بالوزارة بالاعتبار نقاط القوة لاستثمار الفرص وتجاوز نقاط الضعف لتلافي التهديدات والمخاطر	3.681	.8289	عالية
	المتوسط العام	3.745		عالية

تم معالجة هذا المتغير من خلال خمسة عبارات حققت وسطاً حسابياً عاماً (3.745)، ويلاحظ من الجدول أن فقرة عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية تستند إلى وصف دقيق للوظائف المتاحة جاءت في المرتبة الأولى، إذ حققت وسطاً حسابياً قدره (3.931)، وهذا يدل على مدى حرص الإدارة العليا في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت على وصف دقيق للوظائف المتاحة، تلاها الفقرة التي تؤكد أهمية أن تتضمن عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية بالوزارة توضيح للمتغيرات البيئية الداخلية والخارجية ثم جاء بالمرتبة الثالثة الفقرة التي تشير إلى أن الوزارة تقوم بتحديد أعداد ونوعية الموارد البشرية ومدى ملاءمتها للظروف الحالية والمستقبلية وفقاً لمعطيات البيئة الخارجية ومتغيراتها،

وبعدها جاءت الفقرة التي تنص على أن عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية بالوزارة تأخذ بالاعتبار نقاط القوة لاستثمار الفرص وتجاوز نقاط الضعف لتلافي التهديدات والمخاطر في المرتبة الرابعة، وفي المرتبة الخامسة والأخيرة جاءت الفقرة التي تنص على أن الوزارة تعتمد على أسس معينة تمتاز بالموضوعية والدقة حول المرشحين للوظائف الشاغرة لتسهيل المفاضلة بينهم. ويلاحظ بشكل عام أن جميع المتوسطات الحسابية التي تم التوصل إليها كانت أعلى من متوسط الحدود التي اعتمدها الدراسة عند التعليق على المتوسطات الحسابية وهو من (3.67-5) وهذا يشير إلى أن استجابات عينة الدراسة كانت عالية على أربعة عبارات ومتوسطة على عبارة واحدة.

اختبار الفرضية الفرعية الأولى:

HO1-1: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتحليل البيئي في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت.

جدول رقم (3): نتائج اختبار الانحدار البسيط للفرضية الفرعية الأولى

القرار الإحصائي	T الجدولية	T المحسوبة	R2	Sig.	المتغير المستقل
رفض الفرضية العدمية	1.658	4.175	.293	.000	التحليل البيئي

يتضح من البيانات الواردة في الجدول السابق (3) أن قيمة T المحسوبة هي (4.175) فيما بلغت قيمتها الجدولية (1.658)، وبمقارنة القيم التي تم التوصل إليها في اختبار هذه الفرضية، يتبين أن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، لذلك فإنه يتم رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه " يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتحليل البيئي في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت"، وهذا ما يؤكد قيمة مستوى الدلالة (Sig.) البالغة صفرًا حيث إنها أقل من 5%، كما تشير إلى أن التباين في المتغير المستقل (R^2) يفسر ما نسبته (0.293) من التباين في المتغير التابع.

ثانيا: نتائج الإحصاء الوصفي والتحليلي للبيانات للمتغير المستقل الثاني (التنبؤ بالاحتياجات المستقبلية)

جدول رقم (4): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتنبؤ بالاحتياجات المستقبلية

#	العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النتيجة
6	يرتبط تحديد الاحتياجات المستقبلية من الموارد البشرية بالوزارة بمخرجات الأداء ومستوى الإنتاجية وعبء العمل	3.840	.7758	عالية
7	يتوفر بالوزارة جهة مسؤولة عن البرامج التدريبية تختص بمتابعة الاحتياجات التدريبية للموظفين	3.863	1.069	عالية
8	تعمل الوزارة على التنبؤ بالعرض والطلب من الموارد البشرية وذلك على ضوء برامج	3.409	.9721	متوسطة
9	تعتمد الوزارة في عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية على معلومات دقيقة وحديثة	3.727	1.019	عالية
10	تستخدم الوزارة طرقا كمية ورياضية في التنبؤ باحتياجاتها المستقبلية من الموارد البشرية	3.181	1.280	متوسطة
	المتوسط العام	3.604	متوسطة	

تم معالجة هذا المتغير من خلال خمسة عبارات حققت متوسطا حسابيا عاما (3.604)، وبين الجدول أن المرتبة الأولى كانت من نصيب الفقرة التي تنص على انه " يتوفر بالوزارة جهة مسؤولة عن البرامج التدريبية تختص بمتابعة الاحتياجات التدريبية للموظفين " بمتوسط حسابي (3.863) وهذا يدل على اهتمام الوزارة الكبير بهذه البرامج، وهو يمثل الهدف الذي يسعى التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية لتحقيقه، وجاء بعدها في المرتبة الثانية الفقرة التي تبين أن هناك ارتباط بين تحديد الاحتياجات المستقبلية من الموارد البشرية بالوزارة وبين مخرجات الأداء ومستوى الإنتاجية وعبء العمل، تلاها الفقرة التي تنص على أن الوزارة تعتمد في عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية على معلومات دقيقة وحديثة، وقد جاء في المرتبة الرابعة الفقرة التي تنص على أن الوزارة تعمل على التنبؤ بالعرض والطلب من الموارد البشرية وذلك على ضوء برامجها وفيما يخص استخدام الوزارة طرقا كمية ورياضية في التنبؤ باحتياجاتها المستقبلية من الموارد البشرية فقد جاءت في المرتبة الخامسة والأخيرة، ويلاحظ بشكل عام أن

جميع المتوسطات الحسابية التي تم التوصل إليها كانت أعلى من متوسط الحدود التي اعتمدها الدراسة عند التعليق على المتوسطات الحسابية وهو من (3.67-5) وهذا يشير إلى أن استجابات عينة الدراسة كانت إيجابية على ثلاثة عبارات. وجاءت العبارتان ذوات الأرقام (8 و 10) بمستوى متوسط.

اختبار الفرضية الفرعية الثانية:

HO1-2: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لعملية التنبؤ بالاحتياجات المستقبلية في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت.

جدول رقم (5): نتائج اختبار الانحدار البسيط للفرضية الفرعية الثانية التنبؤ بالاحتياجات المستقبلية

القرار الإحصائي	T الجدولية	T المحسوبة	R2	Sig.	المتغير المستقل
رفض الفرضية العدمية	1.658	3.057	.182	.004	التنبؤ بالاحتياجات المستقبلية

يتضح من البيانات الواردة في الجدول السابق (5) أن قيمة T المحسوبة هي (3.057) فيما بلغت قيمتها الجدولية (1.658)، وبمقارنة القيم التي تم التوصل إليها في اختبار هذه الفرضية، يتبين أن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، لذلك فإنه يتم رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه " يوجد تأثير لعملية التنبؤ بالاحتياجات المستقبلية في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت"، وهذا ما تؤكد قيمة مستوى الدلالة (Sig.) البالغة صفرًا حيث إنها أقل من 5%، كما تشير إلى أن التباين في المتغير المستقل (R^2) يفسر ما نسبته (0.182) من التباين في المتغير التابع.

ثالثاً: نتائج الإحصاء الوصفي والتحليلي للبيانات للمتغير المستقل الثالث (تحليل عرض العمالة)

جدول رقم (6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحليل عرض العمالة

#	العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النتيجة
11	تقوم الوزارة بتحليل حركة الموظفين عبر الزمن من خلال بيانات الترقية والنقل ودوران العمل	3.772	.9611	عالية
12	تعيد الوزارة النظر بالوصف الوظيفي لبعض الوظائف في ضوء المتغيرات والتعديلات التي تطرأ عليها خلال فترات زمنية معينة	3.977	.8487	عالية
13	تستخدم الوزارة أساليب وطرق علمية وإحصائية في إجراء التحليل الوظيفي لاحتياجاتها من الموارد البشرية	3.477	1.109	متوسطة
14	تقوم الإدارة بتحليل احتياجاتها من الموارد البشرية من حيث العدد والنوعية في ضوء متطلبات الوضع الحالي والتوجه المستقبلي	3.636	.7182	متوسطة
15	تستند الوزارة في عملية الاختيار على التحليل الوظيفي للوظائف المراد شغلها والمتضمن مهام وواجبات الوظيفة والمؤهلات العلمية والعملية لشاغلها	4.113	.6547	عالية
	المتوسط العام	3.795		عالية

تشير النتائج التي يتضمنها الجدول رقم (6) إلى مستوى تأثير تحليل عرض العمالة في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، حيث بلغ المتوسط العام (3.795) مع بعض التفاوت في مجالات عرض العمالة، حيث وجد أن هذا التأثير كان بدرجة عالية، ويبين الجدول أن المرتبة الأولى كانت للفقرة التي تنص على أن الوزارة تستند في عملية الاختيار على التحليل الوظيفي للوظائف المراد شغلها والمتضمن مهام وواجبات الوظيفة والمؤهلات العلمية والعملية لشاغلها، كما تبين أن الوزارة تعيد النظر بالوصف الوظيفي لبعض الوظائف في ضوء المتغيرات والتعديلات التي تطرأ عليها خلال فترات زمنية معينة وهذا يعكس مدى اهتمام الوزارة بالوصف الوظيفي للوظائف. أما فيما يتعلق

بتحليل الوزارة لحركة الموظفين عبر الزمن من خلال بيانات الترقية والنقل ودوران العمل، تلاها أن الوزارة تقوم بتحليل احتياجاتها من الموارد البشرية من حيث العدد والنوعية في ضوء متطلبات الوضع الحالي والتوجه المستقبلي، وكما تشير النتائج إلى أن استخدام الإدارة لأساليب وطرق علمية وإحصائية في إجراء التحليل الوظيفي لاحتياجاتها من الموارد البشرية. ويلاحظ بشكل عام أن جميع المتوسطات الحسابية التي تم التوصل إليها كانت أعلى من متوسط الحدود التي اعتمدها الدراسة عند التعليق على المتوسطات الحسابية وهو من (3.67-5) وهذا يشير إلى أن استجابات عينة الدراسة كانت عالية على ثلاثة عبارات، ومتوسطة على عبارتين.

اختبار الفرضية الفرعية الثالثة:

HO1-3: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتحليل عرض العمالة في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت.

جدول رقم (7): نتائج اختبار الانحدار البسيط للفرضية الفرعية الثالثة تحليل عرض العمالة

المتغير المستقل	Sig.	R2	T المحسوبة	T الجدولية	القرار الإحصائي
تحليل عرض العمالة	.000	.507	6.574	1.658	رفض الفرضية العدمية

يتضح من البيانات الواردة في الجدول السابق (7) أن قيمة T المحسوبة هي (6.574) فيما بلغت قيمتها الجدولية (1.658)، وبمقارنة القيم التي تم التوصل إليها في اختبار هذه الفرضية، يتبين أن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، لذلك فإنه يتم رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه " يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتحليل عرض العمالة في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت "، وهذا ما تؤكد قيمة مستوى الدلالة (Sig.) البالغة صفراً حيث إنها أقل من 5%، كما تشير إلى أن التباين في المتغير المستقل (R^2) يفسر ما نسبته (507). من التباين في المتغير التابع.

رابعاً: نتائج الإحصاء الوصفي والتحليلي للبيانات للمتغير المستقل الرابع (تطوير خطط العمل)

جدول رقم (8): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتطوير خطط العمل

#	العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النتيجة
16	تقوم الوزارة بتطوير خطته حول القوى البشرية وفق خطة سنوية معدة مسبقاً ومكتوبة	3.931	.7593	عالية
17	تحظى عملية التخطيط للموارد البشرية باهتمام من قبل الوزارة متمثلة في وجود خطط للموارد البشرية	3.909	.7414	عالية
18	يتوفر لدى الوزارة خبراء في التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية	3.454	1.209	متوسطة
19	تقوم الوزارة بتحديد عدد ونوعية العاملين الذين ستحتاج إليهم في المستقبل في الدوائر والأقسام لتحديد الفائض أو العجز من العاملين	3.568	.7894	متوسطة
20	تعد الوزارة خطة شاملة لتحديد الاحتياجات التدريبية لكافة المستويات الوظيفية والإدارية على ضوء وصف الوظائف لديها	3.818	.8699	عالية
	المتوسط العام	3.736		عالية

تم معالجة هذا المتغير من خلال خمسة عبارات حققت متوسطاً حسابياً عاماً (3.736)، وبما أن المتوسط الحسابي العام كان بدرجة عالية. وكما تشير النتائج إلى أن الوزارة يقوم بتطوير خطته حول القوى البشرية وفق خطة سنوية معدة مسبقاً ومكتوبة والتي تمثل الفقرة رقم (16) وهذا يعكس أهمية تطوير خطط الموارد البشرية كمتغير يؤثر في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، تلاها في المرتبة الثانية كلا من الفقرة التي تنص على أن عملية التخطيط للموارد البشرية تحظى باهتمام من قبل الوزارة متمثلة في وجود خطط للموارد البشرية، كما بينت النتائج أن الوزارة تعد خطة شاملة لتحديد الاحتياجات التدريبية لكافة المستويات الوظيفية والإدارية على ضوء وصف الوظائف لديها، بينما جاء في المرتبة الرابعة الفقرة التي تنص على أن إدارة الوزارة تقوم بتحديد عدد ونوعية العاملين

الذين ستحتاج إليهم في المستقبل في الدوائر والأقسام لتحديد الفائض أو العجز من العاملين، وقد جاءت الفقرة التي تنص على أنه يتوفر لدى الوزارة خبراء في التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية. ويلاحظ بشكل عام أن جميع المتوسطات الحسابية التي تم التوصل إليها كانت أعلى من متوسط الحدود التي اعتمدها الدراسة عند التعليق على المتوسطات الحسابية وهو من (3.67-5) وهذا يشير إلى أن استجابات عينة الدراسة كانت عالية على ثلاثة عبارات، ومتوسطة على عبارتين.

اختبار الفرضية الفرعية الرابعة:

HO1-4: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتطوير خطط العمل في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت.

جدول رقم (9): نتائج اختبار الانحدار البسيط للفرضية الفرعية الرابعة لتطوير خطط العمل

القرار الإحصائي	T الجدولية	T المحسوبة	R2	Sig.	المتغير المستقل
رفض الفرضية العدمية	1.658	4.927	.366	.000	تطوير خطط العمل

يتضح من البيانات الواردة في الجدول السابق (9) أن قيمة T المحسوبة هي (4.927) فيما بلغت قيمتها الجدولية (1.658)، وبمقارنة القيم التي تم التوصل إليها في اختبار هذه الفرضية، يتبين أن القيمة المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية، لذلك فإنه يتم رفض الفرضية العدمية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه " يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتطوير خطط العمل في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت "، وهذا ما يؤكد قيمة مستوى الدلالة (Sig.) البالغة صفراً، حيث إنها أقل من 5%، كما تشير إلى أن التباين في المتغير المستقل (R^2) يفسر ما نسبته (0.366) من التباين في المتغير التابع.

خامساً: نتائج الإحصاء الوصفي لبيانات المتغير التابع (تنمية قدرات القيادات الإدارية)

الجدول (10): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمتغير التابع: تنمية قدرات القيادات الإدارية

#	العبرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النتيجة
يسهم التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت في:				
21	زيادة قدرة القائد الإداري على القيام بعمله بجد وإتقان	4.272	.6599	عالية
22	وضع أهداف واضحة قابلة للتنفيذ ضمن الزمن المحدد لها	4.136	.7652	عالية
23	امتلاك القائد الإداري للقدرات اللازمة لاستعمال المعلومات وتحليلها	3.931	.8462	عالية
24	زيادة وعي القائد الإداري بالمتغيرات الخارجية المحيطة بظروف العمل	4.068	.7593	عالية
25	إيجاد قادة قادرين على إجراء عملية التحديث والتطوير في مجالات العمل المختلفة	4.204	.9296	عالية
26	تحسين وتطوير مهارات وقدرات القائد الإداري على التخطيط السليم لتحسين مستويات أدائهم	4.045	.7762	عالية
27	جعل القائد الإداري قادراً على تطبيق أساليب جديدة بالعمل لحل أية مشكلة تواجهه	3.886	.8131	عالية
28	تحسين قدرة القائد الإداري على تنظيم العمل وتوزيع الواجبات على المرءوسين وتنسيق جهودهم	4.227	.8030	عالية
29	جعل القائد الإداري قادراً على مواكبة التطور والتقدم العلمي والتقني	4.113	.8684	عالية
	المتوسط العام	4.098	عالية	

تبين أن المتوسط الحسابي قد بلغ (4.098) وبمقارنة هذا المتوسط الذي تم الحصول عليه بمتوسط أداة القياس المستخدمة لقياس هذا المتغير، يتبين بأنه يزيد عن النقطة التي تمثل درجة الموافقة (+4). وقد تراوحت الإجابات ما بين (4.272) على الفقرة التي حصلت على أعلى نسبة من الإجابات، وتنص هذه الفقرة على أنه " يسهم التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت في زيادة قدرة القائد الإداري على القيام بعمله بجد وإتقان ". أما الفقرة التي حصلت على أقل نسبة من الإجابات بمتوسط (3.886) فتنص على أنه "يسهم التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت في جعل القائد قادراً على تطبيق أساليب جديدة بالعمل لحل أية مشكلة تواجهه".

النتائج:

أشارت نتائج الدراسة إلى وجود تأثير ذو دلالة إحصائية للتخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، وتبين أن التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية يسهم في زيادة قدرة القائد على القيام بعمله بجد وإتقان وفي تحسين قدرته على تنظيم العمل وتوزيع الواجبات على المرءوسين وتنسيق جهودهم، فضلاً عن أنه يسهم بإيجاد قادة قادرين على إجراء عملية التحديث والتطوير في مجالات العمل المختلفة، وفيما يتعلق بالنتائج المتعلقة باختبار الفرضيات الفرعية فبينت النتائج ما يلي:

1- أشارت نتائج الدراسة إلى وجود تأثير ذو دلالة إحصائية للتحليل البيئي في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، كما بينت النتائج أن عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية بالوزارة تستند إلى وصف دقيق للوظائف المتاحة وإنها تتضمن توضيح للمتغيرات البيئية الداخلية والخارجية، فضلاً عن أنه تبين أن الوزارة تقوم بتحديد أعداد ونوعية الموارد البشرية ومدى ملاءمتها للظروف الحالية والمستقبلية وفقاً لمعطيات البيئة الخارجية ومتغيراتها.

2- أشارت نتائج الدراسة إلى وجود تأثير لعملية التنبؤ بالاحتياجات المستقبلية في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، كما تبين أنه يتوفر بالوزارة جهة مسؤولة عن البرامج التدريبية تختص بمتابعة الاحتياجات التدريبية للموظفين التي يرتبط تحديد المستقبل منها بمخرجات الأداء ومستوى الإنتاجية وعبء العمل، فضلاً عن أنه تبين أن الوزارة تعتمد في عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية على معلومات دقيقة وحديثة.

- 3- أشارت نتائج الدراسة إلى وجود تأثير لتحليل عرض العمالة في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، كما تبين أن الوزارة تستند في عملية الاختيار على التحليل الوظيفي للوظائف المراد شغلها والمتضمن مهام وواجبات الوظيفة والمؤهلات العلمية والعملية لشاغلها، وتقوم أيضا بتحليل حركة الموظفين عبر الزمن من خلال بيانات الترقية والنقل ودوران العمل، فضلا عن انه تبين أن الوزارة تعيد النظر بالوصف الوظيفي لبعض الوظائف في ضوء المتغيرات والتعديلات التي تطرأ عليها خلال فترات زمنية معينة.
- 4- أشارت نتائج الدراسة إلى وجود تأثير لتطوير خطط العمل في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، كما بينت النتائج أن الوزارة تقوم بتطوير خطته حول القوى البشرية وفق خطة سنوية معدة مسبقا ومكتوبة، وان عملية التخطيط للموارد البشرية تحظى باهتمام من قبل الوزارة التي تحرص على إعداد خطة شاملة لتحديد الاحتياجات التدريبية لكافة المستويات الوظيفية والإدارية بضوء وصف الوظائف لديها.

التوصيات:

- في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث، يقدم الباحث مجموعة من التوصيات:
- 1- إيلاء التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية الأهمية التي يستحقها لدوره الفاعل في تنمية قدرات القيادات الإدارية في الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت، إضافة إلى زيادة الاهتمام بالعنصر البشري كأصل من الأصول الهامة في الوزارة.
 - 2- التأكيد على ضرورة اعتماد الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت على أسس معينة تمتاز بالموضوعية والدقة حول المرشحين للوظائف الشاغرة لتسهيل المفاضلة بينهم.
 - 3- زيادة الحرص من قبل الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت على القيام بالتنبؤ بالاحتياجات المستقبلية من الموارد البشرية باستخدام طرق كمية ورياضية كون الوزارة والإدارات التابعة لها تعمل بيئة ديناميكية تفرض عليها التنبؤ باحتياجاتها من الموارد البشرية.
 - 4- ضرورة استخدام الوزارات والهيئات الحكومية في دولة الكويت أساليب وطرق علمية وإحصائية في إجراء التحليل الوظيفي لاحتياجاتها من الموارد البشرية.

5- العمل على توفير خبراء وإنشاء وحدات إدارية متخصصة تتولى عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية، وإحاق القائمين على عملية التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية بدورات تدريبية متخصصة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية

- أبو شيخة، نادر أحمد، (2011)، "إدارة الموارد البشرية: رؤية مستقبلية"، عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع.
- تشاندا، أشوك وكابرا، شلبا (2012)، "إستراتيجية الموارد البشرية"، ترجمة عبد الحكيم الخزامي، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
- الشماع، خليل محمد، (2019)، نظرية المنظمة، مكتبة الرافدين، بغداد.
- الطائي، يوسف حجيم، والفضل، مؤيد عبد الحسين، والعبادي، هاشم فوزي (2016)، "إدارة الموارد البشرية: مدخل استراتيجي متكامل"، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- عقيلي، عمر وصفي (2015)، "إدارة الموارد البشرية: بعد استراتيجي"، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- المزروع، بدر بن سليمان (2009)، الأنماط القيادية للمديرين وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى العاملين في القطاع الحكومي والخاص، رسالة ماجستير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- اليعقوبي، علي (2011)، "واقع فاعلية أداء تخطيط الموارد البشرية في ظل التخطيط الإستراتيجي في النظام التربوي بسلطنة عمان"، رسالة ماجستير، الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

- Bernardin, H. (2017), "Human Resource Management: An Experiential Approach, Boston: Irwin McGraw Hill.

- Chien, M., (2014), “A Study to Improve Organizational Performance: A View from SHRM”, The Journal of American Academy of Business, Cambridge, 1 (3) : 289-291.
- French, Wendell (2018), “Human Resource Management”, New York: Houghton Mifflin Company.
- Harvey, B., (2019), The Knowledge Creating company, How Japanese companies create the Dynamics of Innovation” New york. University press, oxford.
- Gatewood, Probert D. & Field, Hurbert S. (2019), “Human Resource Selection”, Fort Worth: Harcourt College Publishers.
- Goel, Harold, (2012), Principles of Management, McGraw- Hill. Now York.
- Ivancevich, John M (2014), “Human Resource Management”, Boston: Mc Graw Hill.
- Jha, K, & Singh, M, (2019), Human Resource Planning as a Strategic Function: Biases in Forecasting Judgment, *International Journal of Strategic Decision Sciences*, 8 (3): 120-131.
- Krishnan, A, (2015), Strategic Management Theory, New York: H.M.C.
- Schermerhorn, C., (2012), “knowledge Management and Leadership opportunities for Technical communicators,. 47, (1): 29-41.

دور المسؤولية الاجتماعية في تحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية

دراسة ميدانية على شركات الاتصالات بولاية شمال كردفان

The role of social responsibility in improving the mental image of service business organizations: A field Study on Telecommunications Companies in North Kordofan State

إعداد:

د. أبو القاسم يوسف سلوار؛ كلية تنمية المجتمع، جامعة الدلنج، السودان

د. عبدالعزيز حسن عبدالعزيز آدم؛ كلية الاقتصاد والدراسات التجارية، جامعة كردفان، السودان

د. مجاهد عبدالقادر فضل السيد؛ كلية الاقتصاد والدراسات التجارية، جامعة كردفان، السودان

Dr. Abu al-Qasim Yusuf Salwar; College of Community Development, University of Dilling, Sudan

Dr. Abdulaziz Hassan Abdulaziz Adam; Faculty of Economics and Business Studies, University of Kordofan, Sudan

Dr. Mujahid Abdul-Qadir Fadel Al-Sayyid; Faculty of Economics and Business Studies, University of Kordofan, Sudan

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أبعاد المسؤولية الاجتماعية التي يمكن أن تستخدم في تحسين الصورة الذهنية لشركات الاتصالات، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وافترضت الدراسة: هنالك علاقة بين المسؤولية الاجتماعية وتحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية، تكون مجتمع الدراسة من جميع العاملين بشركات الاتصالات، تم اسلوب الحصر الشامل لمجتمع الدراسة تم توزيع (82) استبانة وتم إسترداد (72) استبانة بنسبة (88%) توصلت إليها الدراسة: أن شركات الاتصالات تقدم مساعدات للمجتمع كمشاريع خيرية، مثل بناء مدارس، مراكز طفولة، مراكز رعاية المعاقين وصيانتها، أشارت إجابات أفراد العينة إلى أن الشركات تعتبر الخدمات المجتمعية التي تقدمها هدفاً لتحقيق المسؤولية الاجتماعية. أوصت الدراسة بالعمل على زيادة الإهتمام من قبل شركات الاتصالات بمسؤوليتها الاجتماعية، الإهتمام ببناء نظام تقييم متقدم لتعتمد عليها في تقييم أدائها المتعلق بأنشطة المسؤوليات الاجتماعية بشكل دوري الأمر الذي سيعزز إمكانية التحسين المستمر في إلتزاماتها الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: المسؤولية الاجتماعية، الصورة الذهنية، الصورة الذهنية المدركة، البعد الأخلاقي، الصورة الذهنية الذاتية.

ABSTRACT:

The study aimed to identify the dimensions of social responsibility that can be used to improve the mental image of telecommunications companies. The study used the descriptive analytical method. The study assumed: There is a relationship between social responsibility and improving the mental image of service business organizations. The study community consists of all workers in telecommunications companies. a comprehensive inventory of the study community (82) questionnaires were distributed and (72) questionnaires were retrieved at a rate of (88%). The study concluded: that telecommunications companies provide assistance to the community as charitable projects, such as building schools, childhood centers, centers for the care and maintenance of the disabled, the answers of the sample members indicated to that companies consider the community services they provide as a goal to achieve social responsibility.

The study recommended working to increase the interest of telecommunications companies in their social responsibility, to build an advanced evaluation system to rely on them in evaluating their performance related to social responsibility activities on a regular basis, which will enhance the possibility of continuous improvement in their social obligations.

Keywords: Social responsibility, mental image, perceived mental image, moral dimension, mental self-image.

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

تعمل كل منظمة على إنشاء خططها لتساعدها في تحقيق أهدافها كالتوسع في المجال والبقاء وغيرها، وفي الآونة الأخيرة أصبحت الصورة الذهنية أداة المنافسة لمنظمات الأعمال الخدمية والصناعية على حد سواء، بل هي سر تقدم ونجاح معظم المنظمات في العصر الحالي. لذلك أدركت المؤسسات المعاصرة مدى أهمية الصورة الذهنية الجيدة، واستثمرت أموالاً طائلة في محاولة ترسيخها في أذهان أصحاب المصلحة. فالمسؤولية الاجتماعية بأبعادها (البعد الاقتصادي، البعد القانوني، والبعد الأخلاقي) تستند إلى اعتبارات أخلاقية مركزة على الأهداف بشكل إلتزامات بعيدة الأمد آخذة في الاعتبار مبادرات منظمة الأعمال الحقيقية للوفاء بهذه الإلتزامات وبما يعزز صورتها في المجتمع.

مشكلة الدراسة:

أصبحت الصورة الذهنية للمنظمات تكتسب أهمية خاصة من خلال تأثيرها في آراء الجمهور الداخلي والخارجي نحو مختلف الجوانب ذات العلاقة بالمنظمة، ويلاحظ أن هناك تراجع في دور معظم منظمات الأعمال من مسؤوليتها الاجتماعية تجاه البيئة والمجتمع الذي تمارس فيه نشاطها والنظرة الضيقة لأهداف المشروعات باعتبارها تركز على تحقيق الأهداف الاقتصادية كالأرباح وزيادة الإنتاجية فقط على حساب حقوق الأطراف المختلفة كالمجتمع والبيئة والعاملين وغيرها. حيث جاءت تساؤلات الدراسة كالتالي:

ما الدور الذي تلعبه المسؤولية الاجتماعية في تحسين الصورة الذهنية بأبعادها (الذاتية، المرغوبة، المدركة) لشركات الاتصالات بولاية شمال كردفان؟. وتفرعت منه الاسئلة التالية:

1- ما دور البعد الاقتصادي في تحسين الصورة الذهنية بأبعادها (الذاتية، المرغوبة، المدركة) لشركات الاتصالات بولاية شمال كردفان؟

2- ما دور البعد القانوني في تحسين الصورة الذهنية بأبعادها (الذاتية، المرغوبة، المدركة) لشركات الاتصالات بولاية شمال كردفان؟

3- ما دور البعد الأخلاقي في تحسين الصورة الذهنية بأبعادها (الذاتية، المرغوبة، المدركة) لشركات الاتصالات بولاية شمال كردفان؟

أهداف الدراسة:

1- التعرف على أبعاد المسؤولية الاجتماعية التي يمكن أن تستخدم في تحسين الصورة الذهنية لشركات الاتصالات بولاية شمال كردفان.

2- دراسة العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية بشركات الاتصالات بولاية شمال كردفان.

3- التعرف على الإطار المفاهيمي للمسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية ومدى الإلتزام بهذه المفاهيم والأساليب في شركات الاتصالات.

4- تشخيص واقع المسؤولية الاجتماعية بشركات الاتصالات بولاية شمال كردفان.

أهمية الدراسة:

1- الأهمية العملية: قد تساهم الدراسة في تسليط الضوء على برامج وأنشطة المسؤولية الاجتماعية ومدى مساهمتها في تحسين الصورة الذهنية لشركات الاتصالات بولاية شمال كردفان والتي تعد من أكبر القطاعات الرائدة والمؤثرة في الاقتصاد السوداني.

2- الأهمية العلمية: هذا البحث يمثل إضافة للأبحاث العلمية في مجال الصورة الذهنية وعلاقتها بالمسؤولية الاجتماعية.

فرضيات الدراسة: هنالك علاقة ذات دلالة احصائية بين المسؤولية الاجتماعية وتحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية. وتتفرع منها الفرضيات الفرعية التالية:

1- هنالك علاقة بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المدركة.

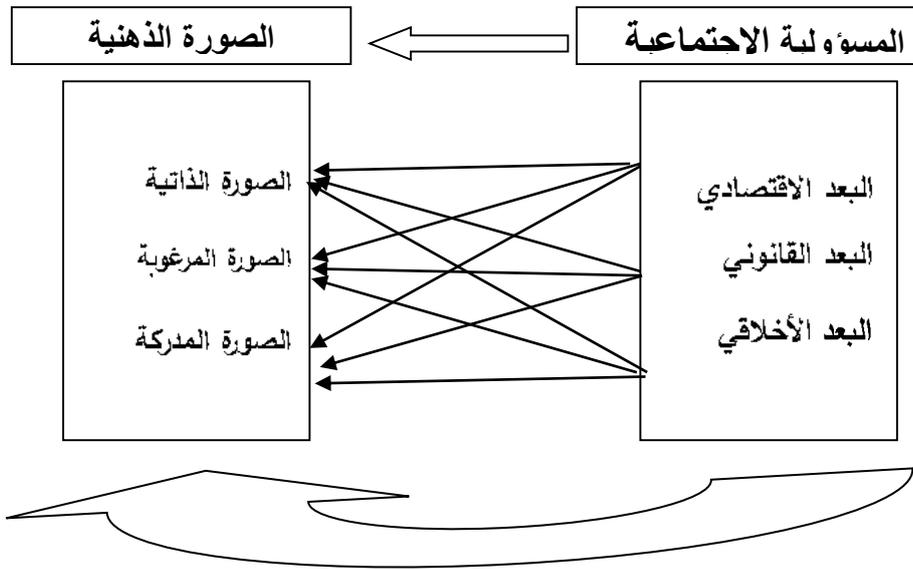
2- هنالك علاقة بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية الذاتية.

3- هنالك علاقة بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية الذاتية.

منهج الدراسة: تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي (أسلوب دراسة الحالة):

نموذج الدراسة:

الشكل رقم (1) نموذج الدراسة:



المصدر: إعداد الباحثين 2021م

الدراسات السابقة:

1- وصفي نزال وآخرون: هدفت الدراسة إلى التعرف على المستوى الذي وصلت إليه الشركة في بناء المسؤولية الاجتماعية والتعرف على تطبيقها وقياس درجة تأثيرها على الميزة التنافسية والوصول إلى نتيجة تساعد أصحاب القرار في الشركة على تطوير عملها. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي ومن أهم النتائج، ظهور الجوانب الإيجابية في تعامل الشركة مع عملائها وأبناء المجتمع الفلسطيني ودورها الفاعل في دعم الأنشطة الثقافية وغيرها وان الشركة تمتلك حصة سوقية كبيرة وصورة ذهنية إيجابية.

2- دراسة: أبو بكر محمد الحسن: هدفت الدراسة إلى توضيح ما هو دور المسؤولية الاجتماعية في تحسين أداء المؤسسة. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها تبني فكرة المسؤولية الاجتماعية من قبل الشركة يحسن من أدائها وصورتها في المجتمع، الشركة الجزائرية بدأت توجه رؤيتها نحو مفهوم المسؤولية الاجتماعية ولكن بخطى بطيئة، وتهتم بأبعاد المسؤولية الاجتماعية بنسب متفاوتة.

3- دراسة: عدي حسين: تهدف الدراسة إلى بيان أهمية ممارسة المؤسسة لدورها الاجتماعي ليس اتجاه أصحاب المصالح فقط وكذلك اتجاه البيئة، إبراز أهمية تقييم أثر تطبيق المسؤولية الاجتماعية ودورها في تحقيق التميز المؤسسي، تم استخدام المنهج الوصفي، ومن أهم النتائج على الرغم من أن للمسؤولية الاجتماعية تكاليف إضافية تتحملها المؤسسة إلا إن ذلك يعود عليها بالفائدة خاصة على صورتها ومكانتها لدى أصحاب المصلحة، تسعى المؤسسة بعد التزامها بالمسؤولية الاجتماعية إلى مطابقة أنشطتها مع المواصفات الدولية.

4- دراسة: أحمد السيد طه: هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى اهتمام شركة الأدوية المصرية للمسؤولية الاجتماعية تجاه أصحاب المصلحة وتقييم أثر تطبيق المسؤولية الاجتماعية في إدارة الصورة الذهنية استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: الاهتمام بالسلوك الأخلاقي للمنظمة، الدعم المتواصل لمراكز البحوث العلمية والمستشفيات، الاهتمام بالرعاية الاجتماعية والصحية المناسبة للعاملين.

5- دراسة: برهوم: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الصورة الذهنية لشركات التأمين. من خلال دراسة تأثير الرسالة الإعلانية، والوسيلة الإعلانية على الصورة الذهنية لدى عملاء شركات التأمين. وقد استخدم الباحثون المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى وجود تأثير للرسالة الإعلانية والوسيلة المستخدمة على الصورة الذهنية، ولكن نسب متدنية وبأن الصورة الذهنية المتشكلة من عنصر الإعلان لدى الزبائن لم تكن جيدة وواضحة. وهذا يعود لعدم اهتمام شركات التأمين بالعنصر الإعلاني بالشكل الذي يساهم في تكوين ملامح لصورة هذه الشركات في أذهان الزبائن.

6- دراسة لفتة: هدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير أبعاد بناء الصورة الذهنية في جذب إنتباه المستهلك عبر استطلاع آراء عينة من المسؤولين في الشركة العامة لصناعة الزيوت في بغداد، ومن ثم بيان ترتيب تأثير شكل الأبعاد بحسب درجة أهميتها، أعتمد الباحثون على المنهج الاستطلاعي الذي يقوم على أساس استطلاع آراء عينة من المبحوثين. إذ استخدمت الإستبانة كأداة رئيسية في جمع المعلومات ومن أهم النتائج.

إن هناك اتفاق عالي من قبل الباحثين بأهمية أبعاد الصورة الذهنية للشركة وجذب انتباه المستهلك، كما توصل إلى أن أبعاد الصورة الذهنية للشركة تؤثر في جذب انتباه المستهلك وكانت بنسبة جيدة.

الإطار النظري للدراسة:

مفهوم المسؤولية الاجتماعية:

تمثل المسؤولية الاجتماعية بمنظورها التسويقي التحدي الأكثر وضوحاً لإدارات التسويق في تفاعلها مع البيئة المحيطة بها، وذلك نظراً لما حصل من تغير اجتماعي وبيئي كبير ألزم المنظمات اليوم في أن تنظر إلى تحقيق الحياة النوعية للأفراد وبشكل يوازي ان لم يكن أكثر من سعيها لتقديم منتج ناجح إلى الأسواق. فالنظرة الحديثة لمديري الأعمال تنصب على كون منظماتهم تمتد وظائفها إلى إرجاء المجتمع ولا تقتصر على حدود السلعة أو الخدمة. (ثامر البكري، 2006، ص60).

صاحب التطور في مسؤوليات منظمات الأعمال تجاه مجتمعاتها تصاعداً في تأثيرات المجتمع وضغوطه لأن تتبنى إدارة منظمات الأعمال هذه المفاهيم ضمن أهداف المجتمع وتطلعاته، والإلتزام للطلب الاجتماعي سواءً كان مفروضاً بحكم القانون أو بالمبادرات التي تقوم بها لإرضاء المجتمع.

والإهتمام العالي الذي تبديه الجامعات العالمية الكبرى ومراكز البحوث بتدريس مساقات تخص علاقة الأعمال بالمجتمع (منصور العامري، 2010م، ص48).

عرف مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (UNCTAD) المسؤولية الاجتماعية "تشكل إجراءات تدمج بموجبها منظمات الأعمال الشواغل الاجتماعية في سياساتها وعملياتها المتصلة بأعمالها التجارية. ويشمل ذلك الشواغل البيئية والاقتصادية والاجتماعية. ويشكل الإمتثال للقانون الحد الأدنى من الإلتزام بالمعايير التي يتعين على منظمات الأعمال مراعاتها. (منشورات الامم المتحدة، 2003، ص5)

أما جمعية الإداريين الأمريكيين عرفت المسؤولية الاجتماعية بأنها إستجابة إدارة المنظمات العملية إلى التغيير في توقعات المستهلكين. والإهتمام العام بالمجتمع مع الإستمرار بإنجاز المساهمات الفريدة لأنشطة التجارية الهادفة إلى خلق الثروة الاقتصادية (الصيرفي، 2017، ص17).

عرف البنك الدولي المسؤولية الاجتماعية: بأنها إلتزام أصحاب النشاطات التجارية بالمساهمة في التنمية المستدامة، من خلال العمل مع موظفيهم وعائلاتهم، والمجتمع المحلي والمجتمع ككل، لتحسين

مستوى معيشة الناس، بأسلوب يخدم التجارة، ويخدم التنمية في آن واحد تكون مدمجة في الأنشطة المستمرة للمؤسسة. (صالح الحموري، ورولا المعايطه، 2015، ص17).

أهمية المسؤولية الاجتماعية (الخشروم وآخرون، ص117).

1- زيادة التكافل الاجتماعي بين مختلف شرائح المجتمع مع خلق شعور عالي بالانتماء من قبل الأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة كالمعوقين وقليالي التأهيل والمرأة والشباب وغيرهم.

2- الإستقرار الاجتماعي نتيجة لتوفر نوع من العدالة الاجتماعية وسيادة مبدأ تكافؤ الفرص الذي هو جوهر المسؤولية الاجتماعية لمنظمات الأعمال.

3- زيادة الوعي بأهمية الاندماج التام بين منظمات المجتمع المختلفة ومختلف الفئات ذات المصلحة.

4- تحسين التنمية السياسية إنطلاقاً من زيادة التنقيف بالوعي الاجتماعي على مستوى الأفراد والمجموعات والمنظمات وهذا يساهم في الإستقرار السياسي والشعور بالعدالة الاجتماعية.

5- تحسين نوعية الحياة في المجتمع سواء من ناحية البنية التحتية أو الناحية الثقافية.

6- زيادة الترابط الاجتماعي، وإزدهار المجتمع، وشيوع الشفافية والصدق في التعامل.

مكونات المسؤولية الاجتماعية:

1-الاهتمام: المقصود بالاهتمام الارتباط العاطفي بالجماعة التي ينتمي إليها الفرد، اهتماماً يحيطه الحرص على استمرار الجماعة وتقديمها وتماسكها وبلوغها أهدافها، والخوف من أن تُصاب بأي عامل أو ظرف يؤدي إلى إضعافها أو تفككها ويحدد " سيد عثمان الاهتمام بأربعة مستويات هي:

- **المستوى الأول:** يُمثل أبسط صورة من صور الاهتمام بالجماعة وهو مستوى الانفعال مع الجماعة. والحالة هي: عند هذا المستوى هي حالة ارتباط عضوي بالجماعة يتأثر كل عضو من أعضائها بما يجري في الجماعة كلها، دون اختيار أو قصد أو إدراك ذاتي من جانب هؤلاء الأعضاء.
- **المستوى الثاني:** وهو مستوى أرقى من المستوى السابق، وهو مستوى الانفعال بالجماعة. والمقصود به التعاطف مع الجماعة. والفرق بين هذا المستوى والمستوى السابق يظهر في أن الفرد هنا يدرك ذاته في أثناء انفعاله بالجماعة، وأن المسألة لم تعد مسألة عضوية آلية شبه معاكسة كما هو في المستوى السابق.

- **المستوى الثالث:** وهو الاتحاد مع الجماعة، ويتمثل هذا الاتحاد في أن يشعر الفرد بأنه والجماعة شيء واحد وأن خيرها خيره وما يقع عليها من ضرر هو واقع عليه.
- **المستوى الرابع:** هو مستوى تعقل الجماعة ونعني به تعقل الجماعة حيث يملأ الجماعة عقل الفرد ووجدانه و تصبح موضوع اهتمامه و تأمله، و يلتقي معها في تقارب فكري ويغامر في سبيل الدفاع عن طموحاتها وأهدافها، وفي ذلك أحد أبعاد القوة لضمان التماسك والتكامل الجماعي (هادي الشمري، 2014، ص37).

2- الفهم: ويتضمن شقين

- **الشق الأول:** فهم الفرد للجماعة: يُقصد به فهم حالتها الحاضرة من ناحية، ومؤسساتها ومنظمتها وعاداتها وقيمها وأيدولوجيتها، ووضعها الثقافي، وفهم العوامل والظروف والقوى التي تؤثر في حاضر هذه الجماعة، وكذلك فهم تاريخها الذي بدوره لا يتم فهم حاضرها ولا تصور مستقبلها.
- **الشق الثاني:** فهم الفرد للمغزى الاجتماعي لسلوكه: ويُقصد به: أن يدرك الفرد آثار أفعاله في الجماعة، أي يفهم القيمة الاجتماعية لأي سلوك أو فعل يصدر عنه، وأن يوقن أن كل فعل يصدر عنه ذو قيمة اجتماعية، ومن ثم فهو باق مؤثر في الجماعة مهما صغر شأنه أو خف وقعه.

- 3- **المشاركة:** المشاركة هي تعبير عن الاهتمام والفهم، وإذا كان الاهتمام حركة الوجدان، والفهم حركة الفكر، فالمشاركة ترجمان الوجدان والفكر معاً. (فليح وآخرون، 2013، ص221).

الصورة الذهنية أهميتها وأنواعها:

حيث يعرفها قاموس لي بريستول في طبعته الثانية كلمة (Image) بأنها تشير إلى " التقديم العقلي لأي شيء لا يمكن تقديمه للحواس بشكل مباشر، أو هي إحياء أو محاكاة لتجربة حسية ارتبطت بعواطف معينة، وهي أيضاً استرجاع بشكل مباشر، أو هي تخيل لما أدركته حواس الرؤية أو السمع أو الشم أو التذوق " لذلك فإن الصورة الذهنية هي " الناتج النهائي للانطباعات الذاتية للأفراد أو الجماعات إزاء منظمة ما وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة والغير مباشرة وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم وعقائدهم (الكردي، 2010). ويعرفها (عجوة، 2003) هي الصورة الفعلية التي تتكون في أذهان الناس عن المنشآت والمؤسسات المختلفة، وقد تتكون هذه الصورة من التجربة المباشرة أو غير المباشرة وقد تكون عقلانية أو غير رشيدة وقد تعتمد على الأدلة والوثائق أو الإشاعات والأقوال غير الموثقة، لكنها في النهاية تمثل واقعا صادقا بالنسبة لمن يحملونها في رؤوسهم.

أنواع الصورة الذهنية: -

1. **الصورة الذهنية الذاتية:** هي شعور واحساس المنظمة بنفسها، ويعتقد (Dowling) إن بناء صورة ذهنية ناجحة يتطلب من المنظمات أن تبدأ أولاً بتغيير صورتها الذاتية، حيث أن التغيير في الصورة المدركة يقع على عاتق الأفراد العاملين في المنظمة، وأن الاتصال الذي يجري بينهم وبين الجمهور يقوي أو يضعف الصورة الذهنية لديهم.

1. **الصورة الذهنية المرغوبة المخطط لها:** هي ما ترغب المنظمة في توصيله عن نفسها إلى الجمهور، ويجب أن تخطط المنظمة لصورتها في أذهان جمهورها بشكل جيد، بحيث تكون واضحة وبدون غموض.

2. **الصورة الذهنية المدركة:** هي التصورات والأحاسيس، والعلاقات، ويعكس الإدراك عند الأشخاص حقيقتهم وهو إدراكهم الشخصي الذي يؤثر على قراراتهم. التصورات، الأحاسيس، والعلاقات ويعكس الإدراك عند الأشخاص حقيقتهم وهو إدراكهم الشخصي الذي يؤثر على قراراتهم الشرائية. وتشير الدراسات وفقاً لذلك بأن الصورة الذاتية هي كيف يفكر الموظفون، وبماذا يشعرون، وأن الصورة المتوقعة هي ماذا تفعل المنظمة، وأن الصورة المدركة هي ماذا يفكر المستهلك وما الذي يؤثر على سلوكه تجاه هذه المنظمة.

خصائص وسمات الصورة الذهنية: (الدسوقي، 2007).

1. **عدم الدقة:** ذهب كثير من الباحثين إلى أن الصورة الذهنية لا تتسم بالدقة، والسبب في ذلك هو أن الصورة الذهنية مجرد انطباعات لا تصاغ بالضرورة على أساس علمي موضوعي، بل تعد تبسيطاً للواقع، كما أن الصورة الذهنية لا تعبر بالضرورة عن الواقع الكلي، ولكنها تعبر في معظم الأحيان عن جزئية من الواقع الكلي، لاسيما وأن الأفراد عادة يلجأون إلى تكوين فكرة شاملة عن الآخرين من خلال معلومات قليلة يحصلون عليها لعدم القدرة على جمع المعلومات الكاملة.

2. **المقاومة للتغيير:** فالصورة الذهنية تميل إلى الثبات ومقاومة التغيير، وتتعدد العوامل التي تحدد وتؤثر في كم وكيف التغيير المحتمل في الصورة الذهنية، وبعض هذه المتغيرات يتعلق بالصورة ذاتها، وبعضها الآخر يتعلق بالرسائل الواردة من خلالها.

3. **التعميم وتجاهل الفروق الفردية:** تقوم الصورة الذهنية على التعميم المبالغ فيه، ونظراً لذلك فالأفراد يفترضون بطريقة آلية أن كل فرد من أفراد الجماعة موضوع الصورة تنطبق عليه صورة الجماعة ككل على الرغم من وجود اختلافات وفروق فردية.

3. **تؤدي إلى الإدراك المتحيز:** تؤدي الصور الذهنية إلى تكوين إدراكات متحيزة لدى الأفراد، فالصور الذهنية تبنى أساساً على درجة من درجات التعصب، لذا فإنها تؤدي إلى إصدار أحكام متعصبة ومتحيزة، نتيجة إهمال جوانب أخرى لأنها لا تتماشى مع معتقداتهم، ولا تتسق مع اتجاهاتهم.

5. **التنبؤ بالمستقبل:** تسهم الصور الذهنية في التنبؤ بالسلوك والتصرفات المستقبلية للجمهور تجاه المواقف والقضايا والأزمات المختلفة.

6. **تخطى حدود الزمان والمكان:** تنتم الصورة الذهنية بتخطيها لحدود الزمان والمكان، فالفرد لا يقف في تكوينه لصوره الذهنية عند حدود معينة بل يتخطاها ليكون صوراً عن بلده ثم العالم الذي يعيش فيه، بل وتمتد الصور التي يكونها إلى ما وراء المجرة التي يسكنها، وعلى مستوى الزمان، فالإنسان يكون صوراً ذهنية عن الماضي، ويكون صوراً ذهنية عن الحاضر، إضافة إلى المستقبل، وبذلك يتضح أن الإنسان يكون صوراً ذهنية عن الأزمنة والأماكن المختلفة، وفقاً لمعارفه ومدركاته ومشاهداته إضافة إلى قدرته على التخيل والإستنتاج.

أبعاد الصورة الذهنية ومكوناتها:

1. **البعد أو المكون المعرفي** ويقصد بهذا البعد المعلومات التي يدرك من خلالها الفرد موضوعاً، أو قضية، أو شخصاً ما، وتعتبر هذه المعلومات هي الأساس الذي تبنى عليه الصورة الذهنية التي يكونها الفرد عن الآخرين، وعن الموضوعات والقضايا المختلفة، وبناء على دقة المعلومات والمعارف التي نحصل عليها عن الآخرين تكون دقة للصورة الذهنية التي تكونها عنهم، ووفقاً للبعد المعرفي، فإن الأخطاء في الصورة الذهنية المتكونة لدى الأفراد هي أخطاء ناتجة أساساً عن المعلومات والمعارف الخاطئة التي حصل عليها هؤلاء الأفراد.

2. **البعد أو المكون الإدراكي** وهو ربط المعرفة بالمفاهيم والثقافة الشخصية السابقة لتتحول إلى إدراك عقلي كامل، ويتمثل بقناعة كاملة عن الجهة أو القضية.

3. **البعد أو المكون الوجداني** يقصد بالبعد الوجداني الميل بالإيجاب أو السلب تجاه موضوع، أو قضية، أو شخص، أو شعب، أو دولة ما، في إطار مجموعة الصور الذهنية التي يكونها الأفراد، ويتشكل الجانب

الوجداني مع الجانب المعرفي، ومع مرور الوقت تتلاشى المعلومات والمعارف التي كونها الأفراد، وتبقى الجوانب الوجدانية التي تمثل اتجاهات الأفراد نحو الأشخاص والقضايا والموضوعات المختلفة.

4. **البعد أو المكون السلوكي** يعكس سلوك الفرد طبيعة الصورة الذهنية المشكلة لديه في مختلف شؤون الحياة، إذ ترجع أهمية الصورة الذهنية في أحد أبعادها إلى أنها تمكن من التنبؤ بسلوك الأفراد، فسلوكيات الأفراد يفترض منطقياً أنها تعكس اتجاهاتهم في الحياة. (نداء، 2004).

الدراسة الميدانية:

التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير المستقل المسؤولية الاجتماعية:

تم تكوين مصفوفة الارتباط بين المتغيرات الأصلية في الدراسة للمتغير المستقل مع بعضها البعض والمكون من ثلاثة محاور للمسؤولية الاجتماعية وعدد عباراتها (12) عبارة وتم استخدام نقطة حذف بمقدار (0.65) أي بمراعاة عدم وجود قيم متقاطعة تزيد عن قيمة (0.65) وحيث أن قيم الاشتراكات الأولية لا تقل عن (0.65) والتشعبات لا تقل عن (0.65) وقيمة KMO لا تقل عن (0.60) للمتغيرات وقيمة الجزر الكامنة لا تقل عن الواحد الصحيح، وكما تم حذف المتغيرات التي يوجد بها تقاطعات وقد نتج عن التحليل حذف المحور القانوني، تبقي المحور الأخلاقي، المحور الاقتصادي، وقد تم حذف بعض العبارات، حيث تم التوصل إلى مكونين أساسيين (عوامل) من جميع العبارات في مقياس المسؤولية الاجتماعية وبلغ المكون الأول الأخلاقي نسبة (41.207%) من التباين، والمكون الثاني الاقتصادي نسبة (29.269%) من التباين، وتفسر تلك المكونات مجتمعة (70.476%) من التباين لكل للعبارات، وهي نسبة تزيد عن (0.60%) والتي تعتبر جيدة في البحوث الاجتماعية وفقاً (Hair, J.F, at all, 1998)، كما تم تدوير العوامل بأحد طرق التدوير المتعامد وهي varimax لتحميل المتغيرات على العوامل الأكثر ارتباطاً بها وحيث تكون العوامل مستقلة عن بعضها تماماً ولقد أظهر التحليل مصفوفة العوامل المدارة.

الجدول (1) التحليل العاملي للمسؤولية الاجتماعية

العوامل		العبارات	المتغيرات
2	1		
	.833	تقوم الشركة بتقديم منتجاتها بأسعار في متناول الزبائن.	الأخلاقي
	.819	تعتبر الشركة الخدمات المجتمعية التي تقدمها هدفاً لتحقيق المسؤولية الاجتماعية وليس لتحقيق المردودات الاقتصادية فقط.	
	.802	تتوافق رسالة الشركة وأهدافها مع أهداف وقيم المجتمع.	
.851		تتخذ الشركة عقوبات صارمة اتجاه السلوكيات غير القانونية مثل الفساد الإداري، الاختلاس والرشوة وغيرها.	الاقتصادي
.777		تحتزم الشركة قوانين ومبادئ حقوق الإنسان وكذلك احترام عادات وتقاليد المجتمع.	
29.269	41.207	Variance Explained	
.701		Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy	
84.691		Bartlett's Test of Sphericity	
70.476		Total Variance Explained	

ملاحظة : $**p < 0.0172N =$

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير التابع تحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية:

تم تكوين مصفوفة الارتباط بين المتغيرات الأصلية في الدراسة للمتغير التابع مع بعضها البعض والمكون من ثلاثة محاور لتحسين الصورة الذهنية وعدد عباراتها (12) عبارة وتم استخدام نقطة حذف بمقدار (0.65) أي بمراعاة عدم وجود قيم متقاطعة تزيد عن قيمة (0.65) وحيث أن قيم الاشتراكات الأولية لا تقل عن (0.65) والتشبعات لا تقل عن (0.65) وقيمة KMO لا تقل عن (0.60) للمتغيرات وقيمة الجزر الكامنة لا تقل عن الواحد الصحيح، وكما تم حذف المتغيرات التي يوجد بها تقاطعات وقد نتج عن التحليل محور الصورة الذهنية المدركة، ومحور الصورة الذهنية الذاتية، ومحور الصورة الذاتية

المرغوبة، وقد تم حذف بعض العبارات كما هو مبين بالجدول رقم (4-6)، حيث تم التوصل إلى ثلاثة مكونات أساسية (عوامل) من جميع العبارات في مقياس تحسين الصورة الذهنية وبلغ المكون الأول الصورة الذهنية المدركة نسبة (27.399%) من التباين، المكون الثاني الصورة الذهنية الذاتية نسبة (26.231%) من التباين، المكون الثالث الصورة الذهنية المرغوبة نسبة (24.503%) من التباين، وهي نسبة تزيد عن (0.60%) و التي تعتبر جيدة في البحوث الاجتماعية وفقا (Hair, J.F, at all, 1998)، كما تم تدوير العوامل بأحد طرق التدوير المتعامد وهي varimax لتحميل المتغيرات على العوامل الأكثر ارتباطا بها وبحيث تكون العوامل مستقلة عن بعضها تماما ولقد أظهر التحليل مصفوفة العوامل المدارة Rotated Component matrix بالشكل الموضح في الجدول رقم 2 .

الجدول رقم 2 التحليل العاملي لتحسين الصورة الذهنية

العبارات			العبارات	المتغيرات
3	2	1		
		.901	توفر الشركة الرعاية الصحية المتكاملة للعاملين وأسرهم وتقدم خدمات صحية للمجتمع المحلي.	الصورة الذهنية المدركة
		.897	تقدم الشركة مساعدات للمشاريع الخيرية مثل بناء مدارس مراكز طفولة، مراكز رعاية المعاقين وصيانتها.	
	.881		تمتلك الشركة كوادر من العاملين المهنيين ذي الكفاءة العالية في خدمة المستفيدين.	الصورة الذهنية الذاتية
	.870		يتعامل العاملون في الشركة مع معلومات العملاء بسرية تامة.	
.852			إقامة المعارض والندوات للتعريف بمنتجات الشركة يساعد على خلق صورة ذهنية إيجابية عن الشركة.	الصورة الذهنية المرغوبة
.847			رعاية المناشط الثقافية والاجتماعية والرياضية في المجتمع الخارجي يعزز الصورة الذهنية الجيدة للشركة.	
24.50	26.23	27.39	Variance Explained	
3	1	9		

.653	Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy
92.047	Bartlett's Test of Sphericity
78.133	Total Variance Explained

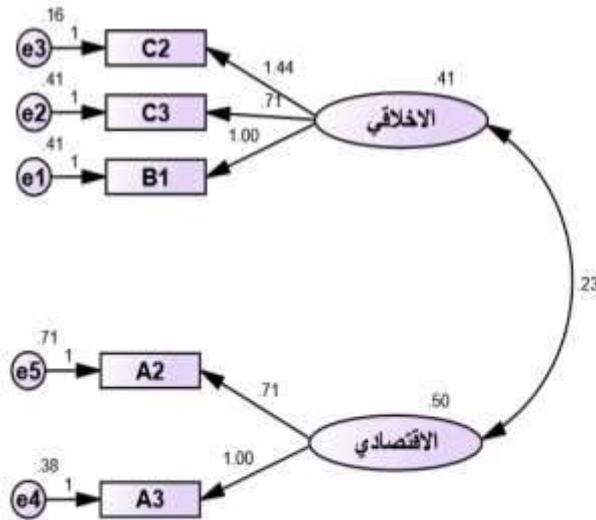
ملاحظة $N= 72, **p < 0.01$

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

التحليل العاملي التوكيدي للمتغير المستقل المسؤولية الاجتماعية:

تم استخدام حزمة برنامج التحليل الاحصائي (AMOS v23) في إجراء عملية التحليل العاملي التوكيدي لأجل اختبار الفرضيات المتعلقة بوجود أو عدم وجود علاقة بين المتغيرات والعوامل الكامنة كما يستخدم التحليل العاملي التوكيدي في تقييم قدرة نموذج العوامل على التعبير عن مجموعة البيانات الفعلية وكذلك في المقارنة بين عدة نماذج للعوامل، وتم بناء النموذج الأول للدراسة والذي يتكون من ثلاثة محاور للمتغير المستقل المسؤولية الاجتماعية والذي تقيسه 12 عبارة و حسب نتائج التحليل العاملي الاستكشافي والتحليل العاملي التوكيدي، تم التوصل من التحليل الي أن المتغير المستقل المسؤولية الاجتماعية يتكون من محورين تقيسه 5 عبارات. وتم اختبار هذا النموذج بتطبيق التحليل العاملي التوكيدي على بيانات الدراسة وتم قياس بناء النموذج لتوضيح أبعاد العلاقة بين محاور النموذج وكانت مقاييس جودة المطابقة التي تم إدخالها في النموذج الاولي قد أعطت مقاييس جودة ذات صلاحية مقبولة. كما في الشكل رقم (1). الذي أوضح أن مكونات المتغير المستقل المسؤولية الاجتماعية هي: الاخلاقي ويتكون من (3) عبارات، الاقتصادي ويتكون من (2) عبارات.

شكل رقم (2) التحليل العائلي التوكيدي للمسؤولية الاجتماعية



قيم مؤشرات تطابق النموذج مع البيانات
 مربع كاي 1.757
 درجات الحرية 4
 مستوى الدلالة .780
 مربع كاي المعياري .439
 مؤشر المطابقة المقارن 1.000
 مؤشر توكير- لويس 1.072
 مؤشر رمسي .000

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

الجدول رقم (3) مؤشرات جودة المطابقة للمسؤولية الاجتماعية

Structural Model هيكل النموذج	Acceptable Level مستوى القبول	Goodness-of-fit Measures مؤشرات جودة المطابقة
1.757	غير مهمة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05	كاي تربيع $\chi^2 =$ Chi-square
4	مستوي الحرية	df = degree of freedom
.780	$1 < \chi^2/df < 5$	χ^2/df
.990	≥ 90 أكبر من 90	Goodness of fit index (GFI) مؤشر جودة المطابقة المعياري

.000	< 0.08 أقل من 0.08	Root-mean-square error of approximation (RMSEA) جذر متوسط مربع الانحرافات
.980	90 ≥ أكبر من 90	Normal fit index (NFI) مؤشر المطابقة المعياري
1.000	90 ≥ أكبر من 90	Comparative fit index (CFI) مؤشر المطابقة المقارن
.964	90 ≥ أكبر من 90	Adjusted goodness of fit index (AGFI) المطابقة المعياري المعدل
1.072	90 ≥ أكبر من 90	Tucker-Lewis Index (TLI) مؤشر توكر لويس
.000	> 0.05 أكبر من 50	P Close

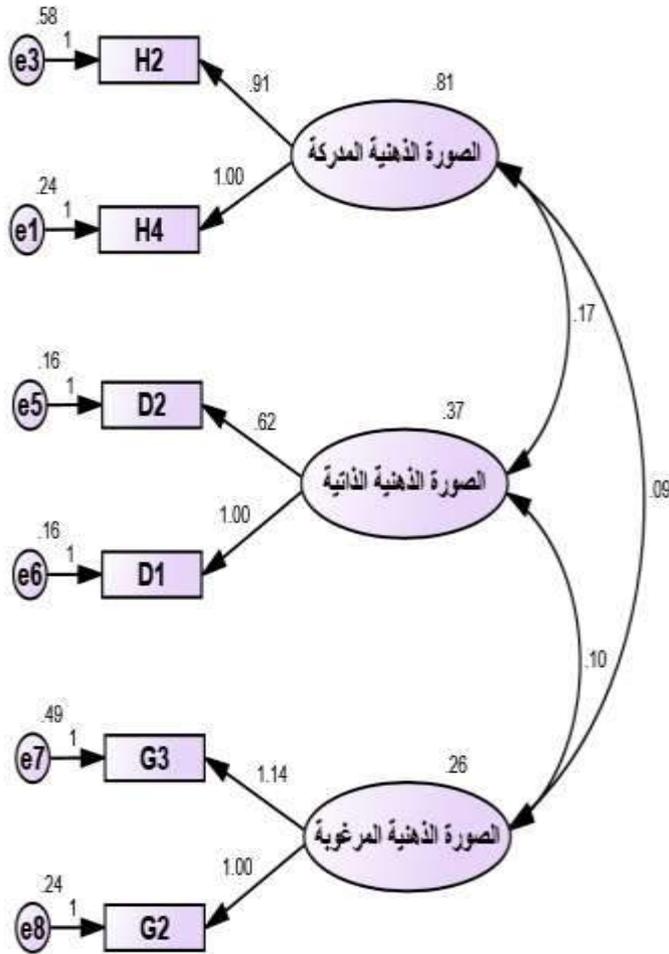
المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021)

التحليل العاملي التوكيدي للمتغير التابع تحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية:

تم استخدام حزمة برنامج التحليل الاحصائي (AMOS v23) في إجراء عملية التحليل العاملي التوكيدي لأجل اختبار الفرضيات المتعلقة بوجود أو عدم وجود علاقة بين المتغيرات والعوامل الكامنة كما يستخدم التحليل العاملي التوكيدي في تقييم قدرة نموذج العوامل على التعبير عن مجموعة البيانات الفعلية وكذلك في المقارنة بين عدة نماذج للعوامل، وتم بناء النموذج الأول للدراسة والذي يتكون من ثلاثة محاور للمتغير التابع لتحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية والذي تقيسه 12 عبارة و حسب نتائج التحليل العاملي الاستكشافي والتحليل العاملي التوكيدي، تم التوصل من التحليل الي أن المتغير التابع تحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية يتكون من ثلاثة محاور تقيسه 6 عباره كما في الشكل رقم (2) وتم اختبار هذا النموذج بتطبيق التحليل العاملي التوكيدي على بيانات الدراسة وتم قياس بناء النموذج لتوضيح أبعاد العلاقة بين محاور النموذج وكانت مقاييس جودة المطابقة التي تم إدخالها في النموذج الاولي قد أعطت مقاييس جودة ذات صلاحية مقبولة كما في الجدول رقم (3) والشكل رقم (4) التاليين. الذي أوضح أن مكونات المتغير التابع تحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية هي:

الصورة الذهنية المدركة ويتكون من (2) عبارته، الصورة الذهنية الذاتية ويتكون من (2) عبارته، الصورة الذهنية المرغوبة ويتكون من (2) عبارته.

شكل رقم (3) التحليل العائلي التوكيدي تحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية



قيم مؤشرات تطابق النموذج مع البيانات
مربع كاي 3.054
درجات الحرية 6
مستوى الدلالة .802
مربع كاي المعياري .509
مؤشر المطابقة المقارن 1.000
مؤشر توكر- لويس 1.091
مؤشر رمسي .000

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

الجدول رقم (4) مؤشرات جودة المطابقة لتحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية

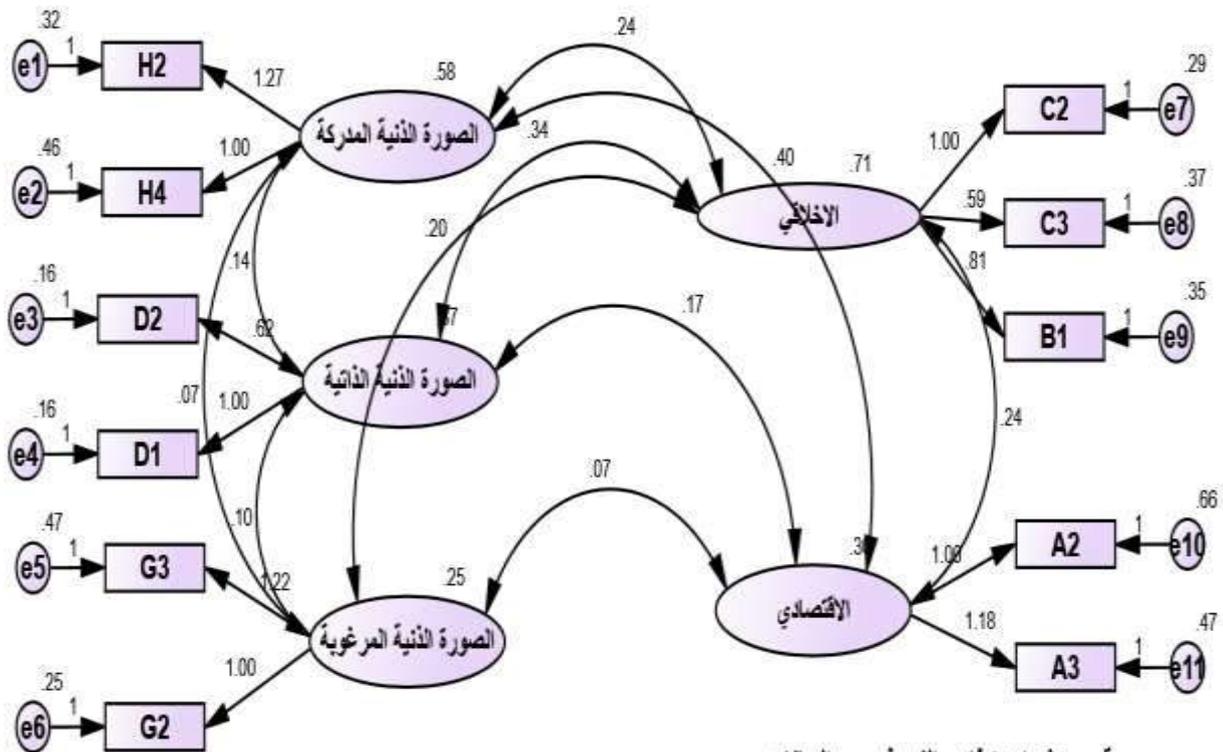
Structural Model هيكل النموذج	Acceptable Level مستوى القبول	Goodness-of-fit Measures مؤشرات جودة المطابقة
3.054	غير مهمة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05	كاي تربيع $\chi^2 = \text{Chi-square}$
6		df = degree of freedom
.802	$1 < \chi^2/df < 5$	χ^2/df
.986	90 أكبر من 90 ≥ 90	Goodness of fit index (GFI) مؤشر جودة المطابقة المعياري
1.091	أقل من 0.080.08 $< 0.080.08$	Root-mean-square error of approximation (RMSEA) جذر متوسط مربع الانحرافات
.968	90 أكبر من 90 ≥ 90	Normal fit index (NFI) مؤشر المطابقة المعياري
1.000	90 أكبر من 90 ≥ 90	Comparative fit index (CFI) مؤشر المطابقة المقارن
.952	90 أكبر من 90 ≥ 90	Adjusted goodness of fit index (AGFI) مؤشر جودة المطابقة المعياري المعدل
1.091	90 أكبر من 90 ≥ 90	Tucker-Lewis Index (TLI) مؤشر توكر لويس
.000	أكبر من 0.0550 > 0.0550	P Close

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

التحليل العاملي التوكيدي لجميع متغيرات الدراسة:

تم بناء النموذج الاول للدراسة والذي يتكون من متغيرين رئيسيين هما المتغيرات المستقلة والتابعة وتحتوي على ستة محاور لجميع المتغيرات التي تقيسهم (24) عبارة حسب نتائج التحليل العاملي الاستكشافي، وتم التوصل من التحليل الي أن محاور متغيرات الدراسة تتكون من (5) محاور تقيسهم (11) عبارة، وتم اختبار هذا النموذج بتطبيق التحليل العاملي التوكيدي على بيانات الدراسة وتم قياس بناء النموذج لتوضيح أبعاد العلاقة بين محاور النموذج وكانت مقاييس جودة المطابقة التي تم ادخالها في النموذج الاولي قد اعطت مقاييس جودة ذات صلاحية مقبولة كما في الشكل (4) والجدول (5).

شكل رقم (4) التحليل العاملي التوكيدي لجميع متغيرات الدراسة:



قيم مؤشرات تطابق النموذج مع البيانات

مربع كاي 29.685

درجات الحرية 34

مستوى الدلالة .679

مربع كاي المعياري .873

مؤشر المطابقة المقارن 1.000

مؤشر توكير- لويس 1.032

مؤشر رمسي .000

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

الجدول رقم (5) مؤشرات جودة المطابقة لجميع متغيرات الدراسة

Structural Model هيكل النموذج	Acceptable Level مستوى القبول	Goodness-of-fit Measures مؤشرات جودة المطابقة
.000	غير مهمة أحصائياً عند مستوى دلالة 0.05	كاي تربيع $\chi^2 =$ Chi-square
0		df = degree of freedom
0	$1 < \chi^2/df < 5$	χ^2/df
1.000	90 أكبر من 90 \geq	Goodness of fit index (GFI) مؤشر جودة المطابقة المعياري
1.000	أقل من 0.08 < 0.08	Root-mean-square error of approximation (RMSEA) جذر متوسط مربع الانحرافات
1.000	90 أكبر من 90 \geq	Normal fit index (NFI) مؤشر المطابقة المعياري
1.000	90 أكبر من 90 \geq	Comparative fit index (CFI) مؤشر المطابقة المقارن
1.000	90 أكبر من 90 \geq	Adjusted goodness of fit index (AGFI) مؤشر جودة المطابقة المعياري المعدل
1.032	90 أكبر من 90 \geq	Tucker-Lewis Index (TLI)
.000	أكبر من 0.05 > 0.05	P Close

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

الاعتمادية والكفاءة العملية لمقاييس الدراسة:

يستخدم تحليل الاتساق للعثور على الاتساق الداخلي للبيانات ويتراوح من (0 إلى 1)، تم احتساب قيمة (ألفا كرون باخ) للعثور على اتساق البيانات الداخلي، إذا كانت قيم معامل ألفا كرون باخ أقرب إلي 1، يعتبر الاتساق الداخلي للمتغيرات كبير، ولاتخاذ قرار بشأن قيمة الفا كرون باخ المطلوبة يتوقف ذلك على الغرض من البحث ففي المراحل الأولى من البحوث الأساسية تشير (Nunnally، 1967) إلى أن المصدقية من 0.50 (-) 0.60 تكفي وأن زيادة المصدقية لا أكثر من 0.80 وربما تكون إسراف، أما Hair (et al, 2010) فتقترح أن قيمة ألفا كرون باخ يجب أن تكون أكثر من 0.70 .

الجدول رقم (6) معامل الاعتمادية ألفا كرونباخ لعبارات الاستبيان (حجم العينة : 72)

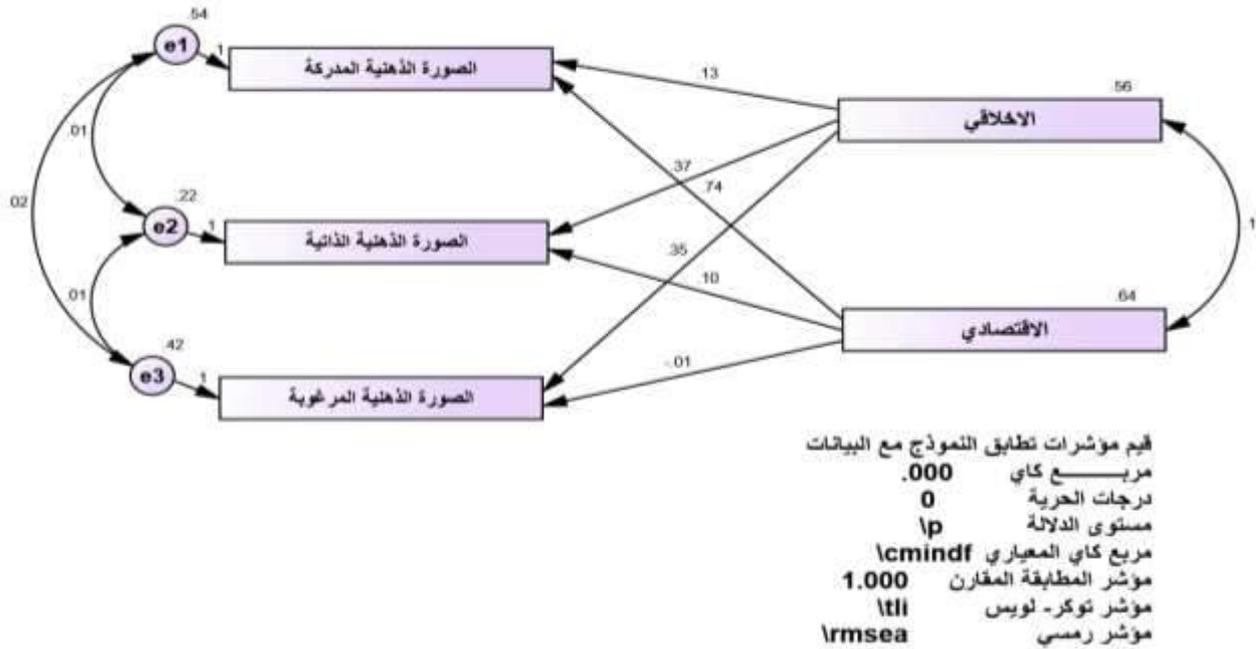
المحور	أبعاد المتغير	عدد العبارات	معامل الاعتمادية
مستقل	الأخلاقي	3	.779
	الاقتصادي	2	.556
تابع	الصورة الذهنية المدركة	2	.782
	الصورة الذهنية الذاتية	2	.712
	الصورة الذهنية المرغوبة	2	.622

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

نموذج الدراسة المعدل:

بعد إجراء التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي لمتغيرات الدراسة يتم الاعتماد على النتائج التي يفسر عنها التحليل، حيث أوضحت النتائج أن المسؤولية الاجتماعية لشركات الاتصالات العاملة بولاية شمال كردفان الأبيض تتكون من محورين هما الأخلاقي، الاقتصادي وليس من ثلاثة أبعاد، أما المتغير التابع تحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية يتكون من ثلاثة محاور وهي الصورة الذهنية المدركة، الصورة الذهنية الذاتية الصورة الذهنية المرغوبة، فإن استناد النموذج على نظرية يطابق الواقع أما في حالة عدم الاعتماد على نظرية فإنه عادة ما يتم تعديل النموذج حتى يطابق الواقع وكذلك الاعتماد على مقياس الفا كرونباخ للاتساق الداخلي للبيانات إذا قلت نتيجة التحليل المحسوبة عن القيمة المعتمدة، يتم استبعاد البعد تماماً والشكل (5) يوضح نموذج الدراسة المعدل.

الشكل رقم (5) نموذج الدراسة المعدل



المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

الجدول رقم (7) مؤشرات جودة المطابقة لنموذج الدراسة المعدل

Structural Model هيكل النموذج	Acceptable Level مستوى القبول	Goodness-of-fit Measures مؤشرات جودة المطابقة
.000	غير مهمة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.05	كاي تربيع $\chi^2 =$ Chi-square
0		df = degree of freedom
0	$1 < \chi^2/df < 5$	χ^2/df
1.000	$90 \leq$ أكبر من 90	Goodness of fit index (GFI) مؤشر جودة المطابقة المعياري
1.000	$0.08 <$ أقل من 0.08	Root-mean-square error of approximation (RMSEA) جذر متوسط مربع الانحرافات

1.000	$90 \geq$ أكبر من 90	Normal fit index (NFI) مؤشر المطابقة المعياري
1.000	$90 \geq$ أكبر من 90	Comparative fit index (CFI) مؤشر المطابقة المقارن
1.000	$90 \geq$ أكبر من 90	Adjusted goodness of fit index (AGFI) مؤشر جودة المطابقة المعياري المعدل
1.000	$90 \geq$ أكبر من 90	Tucker-Lewis مؤشر توكر لويس Index (TLI)
.000	$0.05 >$ أكبر من 0.05	P Close

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

8-4 فرضية الدراسة:

الجدول (8) فرضية الدراسة بعد تعديل النموذج

الفرضية الرئيسية: هنالك علاقة إيجابية بين المسؤولية الاجتماعية وتحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية
الفرضيات الفرعية:
1-1 هنالك علاقة إيجابية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المدركة
2-1 هنالك علاقة إيجابية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية الذاتية
3-1 هنالك علاقة إيجابية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المرغوبة

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

المتوسطات والانحرافات المعيارية لمتغيرات الدراسة:

يلاحظ في الجدول (8) أدناه الذي يبين أن المتوسطات لجميع متغيرات الدراسة اعلى من الوسط الفرضي، والانحراف المعياري أقرب إلى الواحد وهذا يدل على التجانس بين إجابات أفراد العينة عن جميع عبارات المتغيرات، ويمكن ترتيبها وفقاً للأهمية النسبية كالاتي المتغير المستقل المسؤولية الاجتماعية: الاقتصادي،

الأخلاقي، أما المتغير التابع: وتحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية، الصورة الذهنية المدركة، الصورة الذهنية المرغوبة، الصورة الذهنية الذاتية.

الجدول (9) المتوسطات والانحرافات المعيارية لمتغيرات الدراسة:

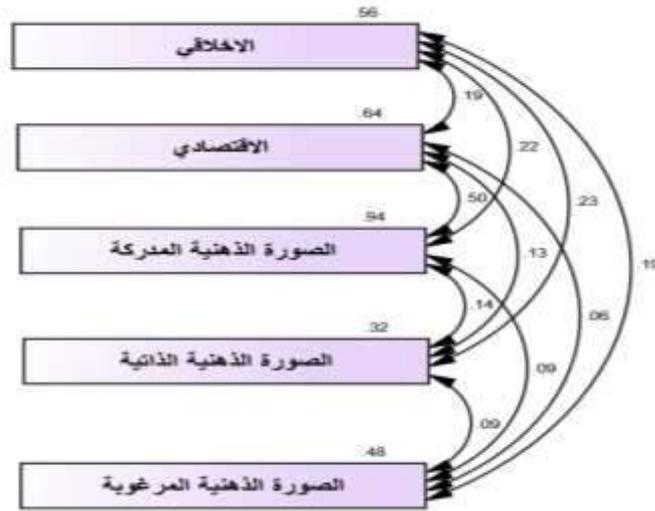
نوع المتغير	الأبعاد	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الأهمية النسبية
مستقل	الأخلاقي	0.76	1.77	2=0.35%
	الاقتصادي	0.81	1.95	1=0.39%
تابع	الصورة الذهنية المدركة	0.98	2.12	1=0.42%
	الصورة الذهنية الذاتية	0.57	1.41	3=0.28%
	الصورة الذهنية المرغوبة	0.70	1.81	2=0.36%

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

تحليل الارتباطات بين متغيرات الدراسة:

أجري تحليل الارتباطات على بيانات الدراسة الميدانية للوقوف على الصورة المبدئية للارتباطات البينية بين المتغيرات المستقلة والتابعة. فكلما كانت درجة الارتباط قريبة من الواحد الصحيح فإن ذلك يعنى أن الارتباط قوياً بين المتغيرين وكلما قلت درجة الارتباط عن الواحد الصحيح كلما ضعفت العلاقة بين المتغيرين وقد تكون العلاقة طردية أو عكسية، وبشكل عام تعتبر العلاقة ضعيفة إذا كانت قيمة معامل الارتباط اقل من (0.30) ويمكن اعتبارها متوسطة إذا تراوحت قيمة معامل الارتباط بين (0.30) إلى (0.70) وتعتبر العلاقة قوية إذا كان معامل الارتباط أكثر من (0.70) الشكل (6) يوضح تحليل الارتباط لمتغيرات الدراسة.

الشكل رقم (6) تحليل الارتباط بين متغيرات الدراسة



المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

أوضح اختبار تحليل الارتباط بين متغيرات الدراسة من خلال الشكل (6) أعلاه أن هنالك ارتباطات متوسطة بين متغيرات الدراسة، كما تبين أن هنالك ارتباطات قوية، وارتباطات ضعيفة، الجدول (7) يوضح قيم الارتباط بين المتغيرات.

الجدول (10) تحليل الارتباط بين متغيرات الدراسة

متغيرات الدراسة			Estimate
الصورة الذهنية المدركة	<-->	الأخلاقي	.219
الأخلاقي	<-->	الصورة الذهنية الذاتية	.227
الأخلاقي	<-->	الصورة الذهنية المرغوبة	.194
الصورة الذهنية الذاتية	<-->	الاقتصادي	.135
الصورة الذهنية المرغوبة	<-->	الاقتصادي	.063
الصورة الذهنية المدركة	<-->	الصورة الذهنية الذاتية	.136
الصورة الذهنية المدركة	<-->	الصورة الذهنية المرغوبة	.089
الصورة الذهنية الذاتية	<-->	الصورة الذهنية المرغوبة	.087

الأخلاقي	<-->	الاقتصادي	.193
الصورة الذهنية المدركة	<-->	الاقتصادي	.502

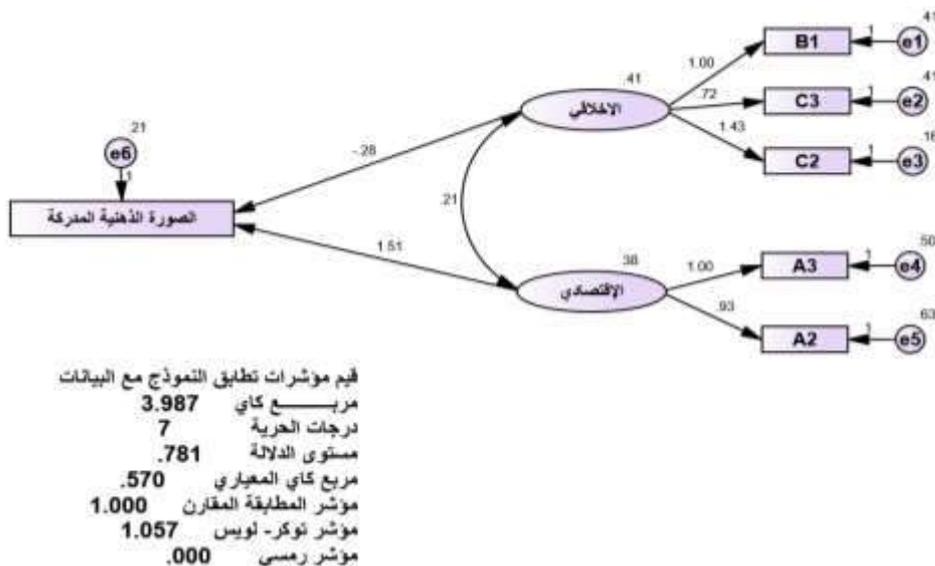
المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

يلاحظ من الجدول (4-13) أعلاه أن هنالك علاقة ارتباط قوية بين الاقتصادي وكل من الصورة الذهنية المدركة، الصورة الذهنية الذاتية، الأخلاقي. كما توجد علاقة ارتباط متوسطة بين الاقتصادي والصورة الذهنية المرغوبة، الصورة الذهنية المدركة. وتوجد علاقة ارتباط قوية بين الأخلاقي وكل من الصورة الذهنية المدركة، الصورة الذهنية الذاتية، الصورة الذهنية المرغوبة. ويلاحظ من ذات الجدول توجد علاقة ارتباط قوية بين الصورة الذهنية الذاتية والصورة الذهنية المدركة. كما توجد علاقة ارتباط قوية بين الصورة الذهنية المرغوبة والصورة الذهنية المدركة. الصورة الذهنية المدركة. كما توجد علاقة ارتباط قوية بين الصورة الذهنية المرغوبة والصورة الذهنية الذاتية.

اختبار الفرضيات:

اختبار الفرضية الرئيسية الأولى: العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المدركة، تنص الفرضية الرئيسية الأولى على أنه توجد علاقة إيجابية معنوية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المدركة، واختبار هذه الفرضية تم استخدام أسلوب تحليل المسار كما في الشكل رقم (7).

شكل رقم (7) العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المدركة



المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

جدول رقم (11): يوضح المسار من المسؤولية الاجتماعية إلى الصورة الذهنية المدركة

(Estimate)

النتيجة	الدلالة P	القيمة الدرجة CR	الخطأ المعيار S.E	التقديرات Estimates	العلاقات		
لم تدعم	.374	-.889	.313	-.278	الصورة الذهنية المدركة	<---	الأخلاقي
دعمت	.002	3.040	.497	1.510	الصورة الذهنية المدركة	<---	الاقتصادي

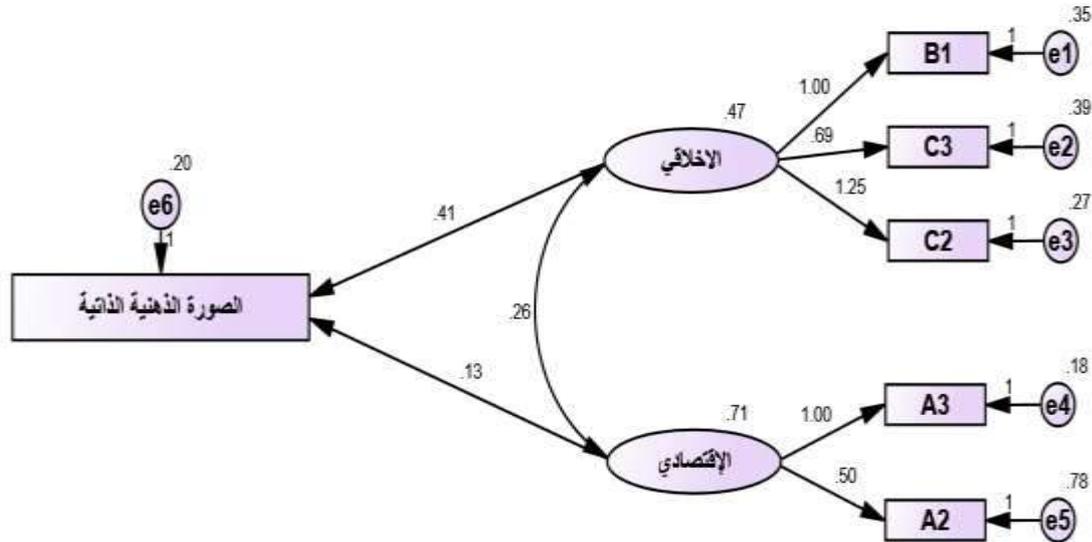
مستوي المعنوية: $p < 0.10$ *, $p < 0.05$ **, $p < 0.001$ ***

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

وفقاً للجدول رقم (11) ويمكننا ملاحظة الأثر المباشر اعتماداً على معاملات الارتباط المتعدد (R2) والاعتماد على مستوي الدلالة (0.05)، وتشير أوزان معاملات الانحدار في العلاقة بين المتغير المستقل المسؤولية الاجتماعية بعد (الأخلاقي، الاقتصادي) والمتغير التابع الأداء الصورة الذهنية المدركة إلى انخفاض تأثير بعد الأخلاقي حيث بلغ معامل الانحدار (0.41) ويفسر 0.28 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.374) أما بعد الاقتصادي فكان معامل الانحدار منخفضاً نسبياً حيث بلغ (0.38) ويفسر 1.51 من التباين وهو دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.002). ومن التحليل نجد أنه توجد علاقة جزئية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المدركة، وقد تحققت جميع شروط جودة النموذج.

اختبار الفرضية الرئيسية الثانية: العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية الذاتية، تنص الفرضية الرئيسية الثانية على أنه توجد علاقة إيجابية معنوية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية الذاتية، واختبار هذه الفرضية تم استخدام أسلوب تحليل المسار كما في الشكل رقم (7).

شكل رقم (7) : يوضح العلاقة المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية الذاتية



قيم مؤشرات تطابق النموذج مع البيانات
مربع كاي 4.732
درجات الحرية 7
مستوى الدلالة .693
مربع كاي المعياري .676
مؤشر المطابقة المقارن 1.000
مؤشر توكر- لويس 1.048
مؤشر رمسي .000

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

جدول رقم (12): يوضح المسار من المسؤولية الاجتماعية إلى الصورة الذهنية الذاتية (Estimate)

النتيجة	الدلالة P	القيمة الحرجة CR	الخطأ المعياري S.E	التقديرات Estimates	العلاقات	
دعمت	***	3.412	.121	.412	الصورة الذهنية الذاتية	الأخلاقي <---
لم تدعم	.266	1.113	.115	.127	الصورة الذهنية الذاتية	الاقتصادي <---

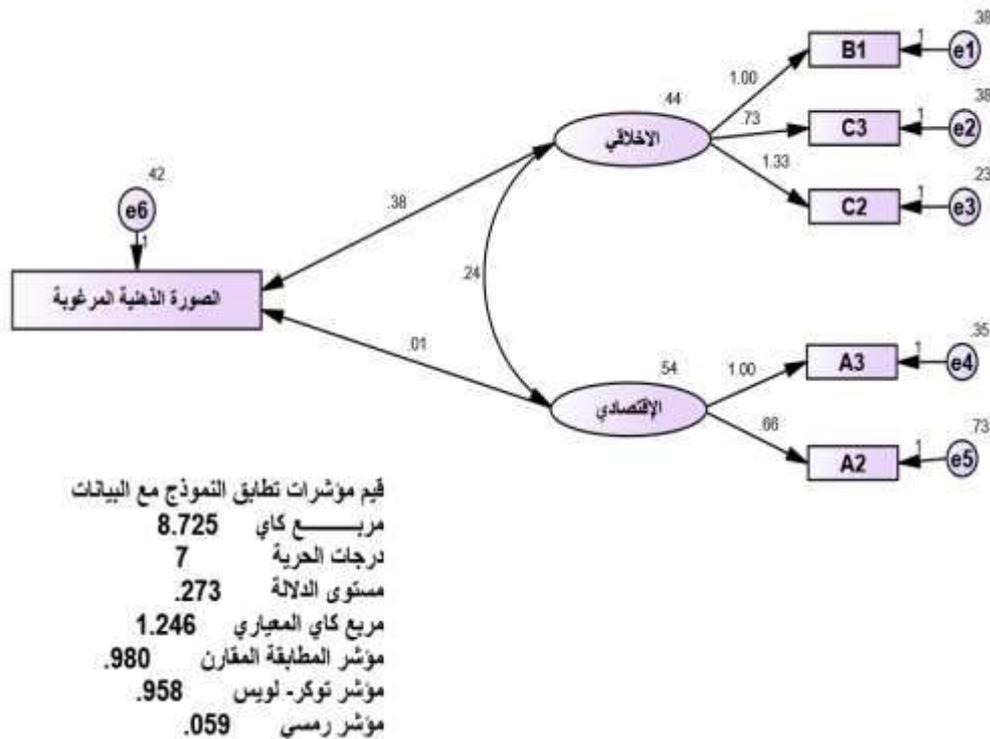
مستوي المعنوية: $p < 0.001$ (***)، $p < 0.05$ (**)، $p < 0.10$ (*).

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

وفقاً للجدول رقم (12) ويمكننا ملاحظة الأثر المباشر اعتماداً على معاملات الارتباط المتعدد (R2) والاعتماد على مستوي الدلالة (0.05)، وتشير أوزان معاملات الانحدار في العلاقة بين المتغير المستقل المسؤولية الاجتماعية بعد (الأخلاقي، الاقتصادي) والمتغير التابع الأداء الصورة الذهنية الذاتية إلي انخفاض تأثير بعد الأخلاقي حيث بلغ معامل الانحدار (0.47) ويفسر 0.41 من التباين وهو دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.000) أما بعد الاقتصادي فكان معامل الانحدار مرتفعاً حيث بلغ (0.71) ويفسر 0.13 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.266). ومن التحليل نجد أنه توجد علاقة جزئية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية الذاتية، وقد تحققت جميع شروط جودة النموذج.

اختبار الفرضية الرئيسية الثالثة: العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المرغوبة، تنص الفرضية الرئيسية الثالثة على أنه توجد علاقة إيجابية معنوية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المرغوبة، واختبار هذه الفرضية تم استخدام أسلوب تحليل المسار كما في الشكل رقم (8).

شكل رقم (8) : يوضح العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المرغوبة



المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

جدول رقم (13) : يوضح المسار من المسؤولية الاجتماعية إلى الصورة الذهنية المرغوبة

(Estimate)

النتيجة	الدلالة P	القيمة الحرجة CR	الخطأ المعياري S.E	التقديرات Estimates	العلاقات		
دعمت	.024	2.260	.169	.383	الصورة الذهنية المرغوبة	<---	الأخلاقي
لم تدعم	.958	.053	.164	.009	الصورة الذهنية المرغوبة	<---	الاقتصادي

مستوي المعنوية: $p < 0.10$ *, $p < 0.05$ **, $p < 0.001$ ***

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

وفقاً للجدول رقم (13) ويمكننا ملاحظة الأثر المباشر اعتماداً على معاملات الارتباط المتعدد (R2) والاعتماد على مستوي الدلالة (0.05)، وتشير أوزان معاملات الانحدار في العلاقة بين المتغير المستقل المسؤولية الاجتماعية بعد (الأخلاقي، الاقتصادي) والمتغير التابع الأداء الصورة الذهنية المرغوبة إلي انخفاض تأثير بعد الأخلاقي حيث بلغ معامل الانحدار (0.44) ويفسر 0.38 من التباين وهو دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.024) أما بعد الاقتصادي فكان معامل الانحدار منخفضاً نسبياً حيث بلغ (0.54) ويفسر 0.01 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.958). ومن التحليل نجد أنه توجد علاقة جزئية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المرغوبة، وقد تحققت جميع شروط جودة النموذج.

ملخص نتائج اختبار الفرضية:

الجدول رقم (14) : يوضح ملخص نتائج الفرضية الرئيسية

حالة الإثبات	الفرضيات
دعم جزئي	الفرضية الرئيسية: هنالك علاقة إيجابية بين المسؤولية الاجتماعية وتحسين الصورة الذهنية لمنظمات الأعمال الخدمية
	الفرضيات الفرعية:
دعم جزئي	1-1 هنالك علاقة إيجابية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المدركة
دعم جزئي	2-1 هنالك علاقة إيجابية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية الذاتية
دعم جزئي	3-1 هنالك علاقة إيجابية بين المسؤولية الاجتماعية والصورة الذهنية المرغوبة

المصدر: إعداد الباحثين من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

النتائج:

- 1- توصلت الدراسة إلى أن شركات الاتصالات تقدم مساعدات للمجتمع كمشاريع خيرية، مثل بناء مدارس، مراكز طفولة، مراكز رعاية المعاقين وصيانتها.
- 2- تمتلك شركات الاتصالات من العاملين ذي الكفاءة العالية في خدمة المستفيدين.
- 3- أشارت نتائج الدراسة إلى أن العاملون في الشركات يتعاملون مع معلومات العملاء بسرية تامة.
- 4- خلصت الدراسة إلى تأثير معنوي لبعد الصورة الذهنية المرغوبة، حيث أن رعاية الشركات للمناشط الثقافية والاجتماعية والرياضية في المجتمع الخارجي يعزز الصورة الذهنية الجيدة.
- 5- أن الشركات تعتبر الخدمات المجتمعية التي تقدمها هدفاً لتحقيق المسؤولية الاجتماعية وليس لتحقيق الأرباح الاقتصادية فقط.
- 6- تبين أن الشركات تحترم قوانين ومبادئ حقوق الإنسان وكذلك إحترام عادات وتقاليده المجتمع.

التوصيات:

- 1- العمل على زيادة الإهتمام من قبل شركات الإتصالات بمسؤوليتها الإجتماعية.
- 2- العمل على إهتمام الشركات بالموظفين.
- 3- على الشركات تدريب العاملون دورياً لتحسين الأداء.
- 4- زيادة إهتمام الشركات بخدمة المجتمع الذي تعمل فيه من خلال توفير فرص العمل.
- 5- تعاون جميع الشركات العاملة في قطاع الإتصالات، بوضع إستراتيجية وطنية واضحة تسهم في تعزيز مسؤوليتها الإجتماعية تجاه (المجتمع، البيئة) الذي تمارس أعمالها فيه.
- 6- بذل المزيد بأن تبقى المسؤولية الاجتماعية جزء من أهداف الشركة
- 7- على شركات الإتصالات بناء نظام تقييم متقدم، وذلك لتعتمد عليه في تقييم أدائها المتعلق بأنشطة المسؤوليات الإجتماعية بشكل دوري الأمر الذي سيعزز إمكانية التحسين المستمر في إلتزاماتها الإجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو بكر محمد الحسن، دور المسؤولية الاجتماعية في تحسين أداء المنظمة، دراسة حالة مؤسسة نפטال، جامعة محمد خيضر، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، الجزائر.
2. أحمد السيد طه: بعنوان إدارة الصورة الذهنية للمنظمات في إطار واقع المسؤولية الاجتماعية دراسة ميدانية على عينة من شركات الأدوية المصرية، قسم إدارة الأعمال، كلية التجارة، جامعة ن بها.
3. ثامر البكري، التسويق أسس ومفاهيم معاصرة (الأردن، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2006م).
4. صالح الحموري، رولا المعاينة، المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات: (الأردن، الطبعة الأولى، دار كنوز للنشر والتوزيع)، 2015م.
5. صالح سليم الحموري ورولا نايف المعاينة، المسؤولية المجتمعية للمؤسسات (من الألف الى الياء) الموجة الرابعة للإدارة، (الأردن، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، 2015م).

6. طاهر محسن منصور العامري، وصالح مهدي محسن الغالبي، المسؤولية الاجتماعية وأخلاقيات الأعمال (الأعمال والمجتمع)، (عمان، الأردن، دار وائل للنشر، الطبعة الثالثة، 2010م).
7. عوجة، علي: العلاقات العامة والصورة الذهنية، (د.ط)، القاهرة: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م.
8. الكردي، أحمد السيد. الفلسفة والسياسة في منظمات الأعمال. منتدى الشباب العربي، 2010م.
9. نداء، أيمن منصور الصورة الذهنية والإعلامية عوامل التشكيل وإستراتيجيات التغيير، القاهرة: المدينة برس للنشر والتوزيع (2004م).
10. أبو بكر محمد الحسن، دور المسؤولية الاجتماعية في تحسين أداء المنظمة، دراسة حالة مؤسسة نفضال، جامعة محمد خيضر، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، الجزائر، 2014م.
11. أحمد السيد طه: بعنوان إدارة الصورة الذهنية للمنظمات في إطار واقع المسؤولية الاجتماعية دراسة ميدانية على عينة من شركات الأدوية المصرية، قسم إدارة الأعمال، كلية التجارة، جامعة نبيها، 2011م.
12. برهوم، زيوت، دور الإعلان في بناء الصورة الذهنية لشركات التأمين الخاصة في محافظة اللاذقية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تشرين، 2014م.
13. عبدي حسين، دور المسؤولية الاجتماعية في تحقيق التميز التنظيمي للمؤسسة، دراسة حالة مؤسسة الاسمنت ومشتقاته بالشلف، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، رسالة ماجستير منشورة، 2016م.
14. فليح، على موفق، عبدالامير، على عبدالهادي (لصورة الذهنية لرجل المرور لدى جمهور مدينة بغداد دراسة ميدانية، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، 1/ (43)، 221-258، 2013م.
15. لفته، تأثير أبعاد الصورة الذهنية للشركة في جذب إنتباه المستهلك العراقي للمنتجات المحلية، دراسة ميدانية، مجلة دراسات محاسبية ومالية، المجلد الحادي عشر، العدد 35، العراق، 2015م.
16. محمد الصيرفي، المسؤولية الاجتماعية للإدارة (مصر، الاسكندرية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الطبعة الاولى، 2007م.

17. هادي عاشق بداوي النماصي الشموي، المسؤولية الاجتماعية لدى طلاب الجامعات السعودية وعلاقتها بالوعي الوقائي الاجتماعي (دراسة مقارنة بين الجامعات الحكومية والأهلية، أطروحة دكتوراة، قسم فلسفة العلوم الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2014م.
18. وصفي نزال وآخرون، أثر المسؤولية الاجتماعية على الميزة التنافسية لشركات الاتصالات الفلسطينية من وجهة نظر العملاء، دراسة حالة شركة الجوال، جامعة النجاح الوطنية، كلية الاقتصاد، فلسطين، 2011م.
19. الخشروم وآخرون، تبني المسؤولية الاجتماعية في الشركات الصناعية العاملة في مدينة حلب: دراسة ميدانية لعينة من المدراء، مجلة تنمية الرافدين، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، المجلد 34، العدد 34، 2011م.
20. الدسوقي، أحمد: الصورة الذهنية لرجل الشرطة لدى الرأي العام المصري، ورقة عمل مقدمة في إحدى دورات برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مشروع دعم القدرات في مجال حقوق الإنسان، القاهرة، 2007م.
21. مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، كشف البيانات المتعلقة بتأثير الشركات علي المجتمع، (الاتجاهات والقضايا الراهنة) منشورات الأمم المتحدة، رقم الوثيقة: تاريخ الإطلاع 2020 م 3/ UNCTAD/ ITE/TEB، 2003م.

**الدور الوسيط للابداع الاداري في علاقه بين هندسة العمليات
(الهندرة) وأداء العاملين: دراسة ميدانية على شركات الإتصال - السودان
- مدينة الأبيض - 2021م**

*The Mediating Role of administrative creativity in the
relationship between operations engineering and employee
performance - a field study on communication companies - El
Obeid City - Sudan-2021*

إعداد: د. الخير عمارة محمد علي عامر ؛ قسم إدارة الأعمال، كلية الإقتصاد والدراسات التجارية،
جامعة كردفان، السودان

Prepared by: Dr. Elkheir Amara Mohammedali Aamir

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى قياس الدور الوسيط للإبداع الإداري في العلاقة بين الهندرة وأداء العاملين- دراسة حالة الشركة السودانية للإتصالات المحدودة (سوداتل) (2021م)، تمثلت مشكلة الدراسة في سؤال محوري في هل ان الإبداع الإداري يتوسط العلاقة بين هندرة الموارد البشرية وأداء العاملين، إفترضت الدراسة ان الإبداع الإداري (الطلاقة، المرونة، الأصالة) يتوسط العلاقة بين هندرة الموارد البشرية (البعد التنظيمي، البعد البشري، البعد التكنولوجي) وأداء العاملين (الرغبة في العمل، القابلية للعمل، فرصة الأداء المتاحة)، إتمدت الدراسة علي المنهج الوصفي التحليلي وكانت الإستبانة أداة جمع البيانات . تكون مجتمع الدراسة من العاملين بشركة سوداني البالغ عددهم (40) مفردة بنظام الحصر الشامل . تم استخدام التحليل العاملي لإستخلاص العوامل الكامنة من المتغير التابع والمتغير المستقل. بالإضافة إلي استخدام أسلوب تحليل المسار. توصلت الدراسة إلي انه لا توجد علاقة دالة إحصائياً بين هندسة العمليات (الهندرة) وأداء العاملين، وان الإبداع الإداري لايتوسط العلاقة بين هندسة العمليات (الهندرة) وأداء العاملين، أوصت الدراسة بإشراك العاملين في عملية تخطيط الموارد البشرية، واستخدام التكنولوجيا المناسبة من أجل التغيير.

الكلمات المفتاح: الهندرة؛ أداء العاملين ؛ الإبداع الإداري ، تصنيف JEL :M120

Abstract:

This study aimed to measure the mediating role of administrative creativity in the relationship between reengineering and employee performance - a case study of the Sudanese Telecommunication Company Limited (Sudatel) (2021 AD). The study assumed that administrative creativity (fluency, flexibility, originality) mediates the relationship between human resource reengineering (the organizational dimension, the human dimension, the technological dimension) and the performance of employees (the desire to work, the ability to work, the available performance opportunity), the study relied on the descriptive analytical approach. The questionnaire was a data collection tool. The study population consisted of (40) Sudanese employees, with a comprehensive inventory system Factor

analysis was used to extract latent factors from the dependent variable and the independent variable. In addition to using the path analysis method, the study concluded that there is no statistically significant relationship between human resource reengineering and employee performance, and that administrative creativity does not mediate the relationship between human resource reengineering and employee performance. .

Keywords: engineering; performance of employees; administration creativity , **Jel Classification Codes:** M120

I- تمهيد:

تعد الهندرة أحدث النماذج في عالم الإدارة اليوم بعد أن تمكنت عدة شركات رائدة من تحقيق نتائج لم يسبق لها مثيل في عالم التطور و التحسين المستمرين جراء تطبيق أسلوب الهندرة بحيث سارعت الشركات الأخرى في مختلف أنحاء العالم إلى اعتناق هذا الأسلوب الإداري الجديد وتوظيفه لتطوير مختلف جوانب العمل فيها. لكن الصعوبة الحقيقية تكمن في كيفية تطبيق الهندرة في ظل المتغيرات التي تجعل كل شركة عالما قائما بذاته ومختلفا تماما عن غيرها، و لكي تنجح الهندرة في مهمتها على إدارة الشركة أن تملك تصورا واضحا لأهداف التغيير والقدرة على تهيئة العاملين لقبول مبدأ التغيير الجذري من اجل التطوير، وإنعكاس ذلك علي أداء العاملين، مما يؤدي إلي الكفاءة والفاعلية، والإبداع الإداري من جانب العاملين ومن الضروري تبني هذا الأسلوب في إدارة الموارد البشرية على وجه الخصوص لما له من فوائد إدارية وتنظيمية وربحية وتنافسية للمنظمات التي تعتمد حيث يعمل على تحفيز الأفراد للإبداع في أدائهم والتخلص من كل قيود البيروقراطية والنمطية والتكرارية و يساعد على تفجير الطاقات الإبداعية الكامنة في كل فرد.

مشكلة الدراسة:

أصبح البحث عن مفاهيم متطورة للتعامل مع المتغيرات البيئية المعقدة من الضروريات والأهداف الأساسية لكل منظمة تبحث عن التميز في الأداء والنجاح والاستمرارية والبقاء , والموارد البشري يعتبر أهم مورد استراتيجي في المؤسسة ومصدر كل الإبداعات التي تسمح للمؤسسة بالتفاعل مع الفرص والتهديدات الموجودة ضمن بيئتها: وتتبلور مشكلة البحث في السؤال الرئيسي التالي: هل الإبداع الإداري يتوسط العلاقة بين هندسة العمليات في أداء العاملين.

فرضيات الدراسة:

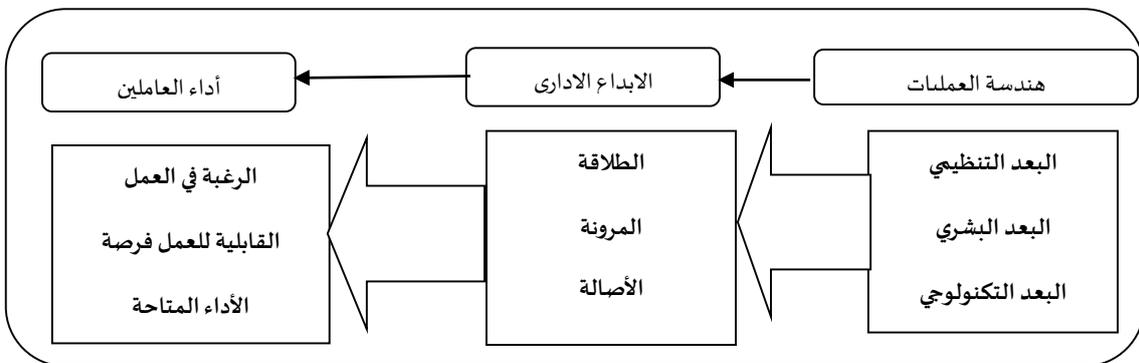
تقوم الدراسة على فرضية رئيسية هي:

الإبداع الإداري (الطلاقة، المرونة، الأصالة) يتوسط العلاقة بين هندسة العمليات (البعد التنظيمي، البعد البشري، البعد التكنولوجي) وأداء العاملين (الرغبة في العمل، القابلية للعمل، فرصة الأداء المتاحة).

وتتفرع منها الفرضيات التالية: فرضيات الدراسة:

1. توجد علاقة إيجابية بين هندسة العمليات (البعد التنظيمي، البعد البشري، البعد التكنولوجي) وأداء العاملين (الرغبة في العمل، القابلية للعمل، فرصة الأداء المتاحة).
2. توجد علاقة إرتباط إيجابية بين هندسة العمليات (البعد التنظيمي، البعد البشري، البعد التكنولوجي) والإبداع الإداري (الطلاقة، المرونة، الأصالة).
3. هنالك علاقة إيجابية الإبداع الإداري (الطلاقة، المرونة، الأصالة) وهندسة العمليات (البعد التنظيمي، البعد البشري، البعد التكنولوجي).

الشكل (1) نموذج الدراسة:



(المصدر: إعداد الباحث 2021)

الدراسات السابقة:

دراسة العنزي (2017) بعنوان: دور إعادة هندسة العمليات الإدارية (الهندرة) في تطوير أداء العاملين. تمثلت مشكلة الدراسة: في السؤال التالي: ما دور إعادة هندسة العمليات الإدارية (الهندرة) في تطوير أداء العاملين في الإدارة للتطوير الإداري بوزارة الداخلية؟ مجتمع وعينة الدراسة: يتكون

مجتمع الدراسة من جميع العاملين في الإدارة العامة للتطوير الإداري في وزارة الداخلية والبالغ عددهم (136)، ونظراً لمحدودية مجتمع الدراسة فقد اتبع الباحث أسلوب الحصر الشامل بتطبيق أداة الدراسة على كامل مجتمع الدراسة وبعد التطبيق الميداني حصل الباحث على (128) استبانة صالحة للتحليل الإحصائي تمثل ما نسبته (94.12%) منهج الدراسة وأدواتها: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستبانة كأداة لجمع البيانات. أهم النتائج - :أفراد الدراسة موافقون بشدة على متطلبات تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية (الهندرة) في الإدارة العامة للتطوير الإداري بوزارة الداخلية يتمثل أبرزها في: وضع أهداف جديدة تتوافق مع التطور الإداري التقني، والحصول على كافة المعلومات المطلوبة لعملية الهندرة، وتوثيق جميع العمليات، واستبعاد المهام التي لا تضيف للعمل قيمة - .أفراد الدراسة موافقون على ملامح واقع أداء العاملين في الإدارة العامة للتطوير الإداري بوزارة الداخلية يتمثل أبرزها في: الزملاء في العمل لديهم روح المحبة والتعاون، والعاملون في الإدارة يتبعون التعليمات، وجميع العاملين في الإدارة ذو كفاءة، وجميع العاملين متفانون في أداء العمل - .تسهل الهندرة في تطوير أداء العاملين في الإدارة العامة للتطوير الإداري بوزارة الداخلية بدرجة كبيرة جداً في توفير منهجية مناسبة لتطبيق التوجهات الجديدة في تطوير العمل الإداري، وبدرجة كبيرة في: حل المشكلات المترابطة، وإمكانية عرض النتائج على القيادات العليا بطريقة علمية مقننة، وتوفير بيئة إدارية تعمل بروح الفريق، وتغيير السلوكيات التي تتناسب مع قيم العمل الجديدة - .تتمثل أهم معوقات تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في الإدارة العامة للتطوير الإداري بوزارة الداخلية في: ضعف نشر ثقافة إعادة هندسة العمليات الإدارية لدى الموظفين، وإجراءات إعادة هندسة العمليات غير واضحة للقائمين عليها، وضعف الحوافز الداخلية والخارجية للتغيير، وقلة الموارد المخصصة لمشروع الهندرة. أهم التوصيات - :العمل على نشر ثقافة إعادة هندسة العمليات الإدارية لدى الموظفين في الإدارة العامة للتطوير الإداري - .الاهتمام بتوضيح إجراءات إعادة هندسة العمليات للقائمين عليها في الإدارة العامة للتطوير الإداري - .توفير الحوافز الداخلية والخارجية للتغيير في الإدارة العامة للتطوير الإداري - .توفير الموارد المخصصة لمشروع الهندرة في الإدارة العامة للتطوير الإداري

دراسة الحربي(2017): إعادة هندسة العمليات الإدارية ودورها في رفع مستوى أداء العاملين: دراسة ميدانية على العاملين بإمارة القصيم، مشكلة الدراسة: تحددت في السؤال الرئيس التالي: ما دور إعادة هندسة العمليات الإدارية في رفع مستوى أداء العاملين بإمارة منطقة القصيم؟ أهداف الدراسة: التعرف على واقع تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية بإمارة منطقة القصيم، و التعرف على واقع أداء العاملين بإمارة منطقة القصيم، ومعرفة مدى إسهام إعادة هندسة العمليات الإدارية في

رفع مستوى أداء العاملين بإمارة منطقة القصيم، و التعرف على معوقات تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية بإمارة منطقة القصيم، ومعرفة ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية في آراء الباحثين حول محاور الدراسة وفقاً لمتغيراتهم الشخصية والوظيفية. مجتمع وعينة الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من جميع الموظفين بإمارة منطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية وعليه فإن مجتمع هذه الدراسة يبلغ عددهم (1078) موظفاً من المرتبة الثانية وحتى المرتبة الخامسة عشرة وقام الباحث باختيار عينة عشوائية بسيطة بلغ حجمها (285) موظف. منهج الدراسة وأداتها: استخدم الباحث المنهج الوصفي، والاستبانة كأداة لجمع البيانات. أهم النتائج - : أفراد عينة الدراسة موافقون على أن هناك إعادة هندسة للعمليات الإدارية بإمارة منطقة القصيم بدرجة كبيرة - . أفراد عينة الدراسة موافقون على أن مستوى أداء العاملين بإمارة منطقة القصيم متوسط - . أفراد عينة الدراسة موافقون على أن إعادة هندسة العمليات الإدارية تسهم في رفع مستوى أداء العاملين بإمارة منطقة القصيم بدرجة كبيرة - . أفراد عينة الدراسة موافقون على وجود معوقات لتطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية بإمارة منطقة القصيم بدرجة كبيرة - . وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات أفراد مجتمع الدراسة باختلاف المتغيرات الشخصية والوظيفية (متغير العمر، ومتغير الحالة الاجتماعية، ومتغير المؤهل العلمي، ومتغير عدد سنوات الخبرة، ومتغير المسمى الوظيفي). (أهم التوصيات - : زيادة تبسيط الإجراءات الإدارية بإمارة منطقة القصيم بما يعزز من تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية - . تعزيز مستوى الإدارة الالكترونية بجميع التعاملات بإمارة منطقة القصيم - . توعية القيادات الإدارية بإمارة منطقة القصيم بأهمية العمل من خلال اللامركزية في اتخاذ بعض القرارات .- العمل على تعزيز إلمام العاملين بإمارة منطقة القصيم بمفهوم إعادة هندسة العمليات الإدارية، وخاصة الموظفين الأقل خبرة وتأهيل.

دراسة خالد (2016) الهندرة ودورها في تحسين الأداء- دراسة حالة: سلطة الطيران المدني في الفترة من 2011-2016، تناول البحث دراسة وتحليل عملية الهندرة (إعادة هندسة العمليات الإدارية) ودورها في تحسين الأداء لسلطة الطيران المدني، حيث تمثلت المشكلة في أن هناك بعض التحديات التي تحول دون نجاح العديد من المؤسسات الإنتاجية والخدمية ومن أهم تلك العقبات والتحديات مشكلة سوء التنظيم الإداري وتوزيع العمليات والمهام الإدارية داخل تلك المؤسسات هدف البحث إلى التعرف على مفهوم الهندرة (إعادة هندسة العمليات الإدارية)، توضيح أهمية دور الهندرة في تحسين الأداء الإداري، ودراسة أثر تطبيق الهندرة على مواكبة التطورات التكنولوجية تطوير الهياكل التنظيمية، وتحسين الأداء لمعاملين وجودة الخدمات المقدمة. قامت الدراسة باختبار الفروض التالية: تطبيق الهندرة (إعادة هندسة العمليات الإدارية) يؤدي إلى مواكبة التطورات التكنولوجية،

تطبيق الهندرة (إعادة هندسة العمليات الإدارية) يؤدي إلى تطوير الهياكل التنظيمية، تطبيق الهندرة (إعادة هندسة العمليات الإدارية) يؤدي إلى تحسين الأداء العاملين وجودة الخدمات المقدمة. اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي ومنهج دراسة الحالة. توصل البحث إلى مجموعة من النتائج ذات الأهمية: نظام تقييم الأداء العاملين المعتمد في سلطة الطيران المدني لا يساعد على استثمار قدرات العاملين وتوظيفها لخدمة عملية الهندرة، تطبيق الهندرة (إعادة هندسة العمليات الإدارية) يؤدي إلى تطوير الهياكل التنظيمية، وتحسين الأداء لمعاملين، وجودة الخدمات المقدمة. وخرج البحث بعدة توصيات أهمها: الاعتماد على تكنولوجيا المعلومات اللازمة لدعم تطبيق منهج الهندرة الذي يهدف إلى توفير الجهد والوقت والتكلفة، وتحسين مستوى الأداء والخدمات المقدمة، ضرورة الأخذ في الاعتبار كافة المهام والواجبات للوظائف التي يتم وضعها في الهيكل التنظيمي لسلطة الطيران المدني، توظيف تقنية المعلومات لإحداث تغيير جوهري في الأداء، والاستفادة منها في إعادة هندسة العمليات الإدارية.

مسرعى (2016) إعادة هندسة العمليات الإدارية (الهندرة) ودورها في تطوير الأداء الوظيفي
تكمن مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي: ما دور إعادة هندسة العمليات الإدارية في تطوير الأداء الوظيفي في مستشفى الملك خالد بالخرج؟ مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من جميع الإداريين في مستشفى الملك خالد بالخرج وبلغ عددهم (112)، حيث تم توزيع (112) استبانته وتمت استعادتها بالكامل والبدأ بالتحليل الإحصائي. منهج الدراسة و أدواتها: استخدم الباحث المنهج الوصفي والذي يهدف إلى وصف وتحليل الظاهرة المدروسة من حيث: طبيعتها، ودرجة وجودها. أهم نتائج الدراسة، أن أفراد مجتمع الدراسة موافقون على واقع تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في مستشفى الملك خالد بالخرج بمتوسط حسابي (3,58) من (5) حيث هدفت إدارة المستشفى إلى تحقيق تحسينات جوهريّة على كافة أنواع العمليات وإحداث تغييرات أساسية في إجراءات العمل، أن أفراد مجتمع الدراسة موافقون على واقع الأداء الوظيفي بمستشفى الملك خالد بالخرج، بمتوسط حسابي (3,72) من (5) حيث اتسم تحسين الأداء الوظيفي بالاستمرارية والشمولية والدقة. أن أفراد مجتمع الدراسة موافقون على مدى مساهمة تطبيق إعادة هندسة العمليات في مستشفى الملك خالد بالخرج بمتوسط حسابي (3,72) من (5) حيث ساهمت في تقديم الخدمات بجودة أفضل وبتكلفة وفترة زمنية أقل وبسرعة عالية. أن أفراد مجتمع الدراسة موافقون على المعوقات التي تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات في مستشفى الملك خالد بالخرج بمتوسط حسابي (3,87) من حيث أدى غياب مفهوم إعادة هندسة العمليات والاهتمام ببعض المفاهيم السائدة وقصور النظرة المستقبلية للإدارة العليا إلى وجود معوقات تحد من تطبيق إعادة هندسة العمليات في المستشفى. أهم

توصيات الدراسة: ضرورة تحديد المشكلات التي تواجهها المنظمة مسبقا وتقييد نطاق إعادة هندسة العمليات في ضوءها ..تخصيص موارد كافية لمشروع إعادة هندسة العمليات .ضرورة عقد ورش عمل وبرامج تدريبية متخصصة في الأنظمة الإدارية الحديثة .مواكبة التطورات التكنولوجية الحديثة الداعمة لتنفيذ الأساليب الحديثة في تطوير العمل الإداري في المستشفيات.

دراسة سلطان (2013) دور الهندرة في تبسيط الإجراءات بالمؤسسة العامة للصناعات الحربية بالخرج، تهدف الدراسة إلى التعرف على: واقع تطبيق الهندرة بالمؤسسة العامة للصناعات الحربية دور الهندرة في تبسيط الإجراءات الإدارية بالمؤسسة العامة للصناعات الحربية ومعوقات تطبيق الهندرة بالمؤسسة العامة للصناعات الحربية ..وسائل التغلب على المعوقات التي تعيق تطبيق الهندرة بالمؤسسة العامة للصناعات الحربية والتعرف على ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية في آراء الباحثين نحو محاور الدراسة وفقا لمتغيراتهم الشخصية والوظيفية وتم تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي ما دور الهندرة في تبسيط الإجراءات بالمؤسسة العامة للصناعات الحربية بالخرج ؟ مجتمع وعينة الدراسة المستهدف يتكون من جميع موظفي المؤسسة العامة للصناعات الحربية المستفيدين من مشروع الهندرة ويبلغ عددهم 950 فردا فنيين وإداريين ومدراء عموم ومساعديين وذلك للعام 1433 هـ حسب إحصائية القوى العاملة، بينما تمثلت عينة الدراسة في (278) موظف. منهج الدراسة: استخدم في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، وتم اختيار عينة البحث بطريقة عشوائية، وتم تحليل استبانات البحث باستخدام عدداً من الأساليب الإحصائية بواسطة حزمة البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية "SPSS" أهم النتائج: أظهرت نتائج الدراسة أن أفراد الدراسة موافقون على واقع تطبيق الهندرة بالمؤسسة العامة للصناعات الحربية بمتوسط حسابي (3.89) بينت نتائج الدراسة أن أفراد الدراسة موافقون على دور الهندرة في تبسيط الإجراءات الإدارية بالمؤسسة العامة للصناعات الحربية بمتوسط حسابي (3.91). كشفت نتائج الدراسة أن أفراد عينة الدراسة موافقون على معوقات تطبيق الهندرة بالمؤسسة العامة للصناعات الحربية بمتوسط حسابي (3.92). أظهرت نتائج الدراسة أن أفراد عينة الدراسة موافقون على وسائل التغلب على معوقات تطبيق الهندرة بالمؤسسة العامة للصناعات الحربية بمتوسط حسابي (4.17). توصيات الدراسة : نشر و تعزيز مفهوم إعادة هندسة العمليات الإدارية " الهندرة " بين موظفي المؤسسة العامة للصناعات الحربية..تنمية الموارد البشرية في مجال استخدام التقنية من خلال نظام تدريبي فعال يتيح لجميع موظفي المؤسسة العامة للصناعات الحربية الاستفادة من التقنيات والمعلومات لدعم متطلبات مشروع إعادة هندسة العمليات الإدارية" الهندرة".

دراسة: لطيف وآخرون(2019) هندرة الموارد البشرية وأثرها في تطوير أداء العاملين: دراسة تطبيقية في معمل السجاد العراقي في بغداد هدف هذا البحث الى التعرف على هندرة الموارد البشرية واثرها في اداء العاملين في معمل السجاد العراقي في بغداد , وتقديم عدد من النتائج والتوصيات التي تساهم في تطبيق أفضل لهندرة ادارة الموارد البشرية في معمل السجاد العراقي والوقوف على مستوى الاداء الوظيفي فيه , واعتمد الباحثون المنهج الوصفي التحليلي وكذلك الاستعانة بالبرنامج الإحصائي (SPSS) حيث طبق هذا البحث على عينة عشوائية مكونة من (90) عاملا، ولتحقيق اهداف البحث تم تطوير استبانة بالاستعانة بالدراسات السابقة من اجل قياس متغيرات الدراسة , وقد توصل البحث الى مجموعة نتائج اهمها: ان للهندرة دور هام في تطوير الاداء الوظيفي لدى العاملين بالاضافة الى توفر الهندرة بشكل متوسط في معمل السجاد العراقي وضرورة تبني بعض الاستراتيجيات لرفع الاداء الوظيفي للعاملين في المعمل, واوصى البحث مجموعة توصيات اهمها ضرورة اشراك العاملين بعملية التخطيط ووضع السياسات والرؤى والاهداف من خلال تعزيز مبدأ المشاركة بالاهداف , وضرورة التزام الادارة العليا بالمعمل بالتغيير وبعملية الهندرة من اجل تنقيف العاملين وباقي المستويات الادارية بالمعمل بهذه العملية.

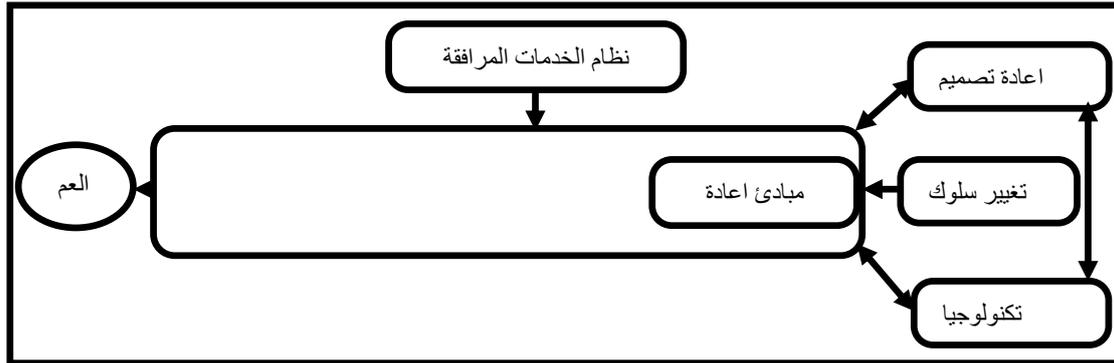
1. الإطار النظري

1-1 مفهوم الهندرة

هي كلمة عربية جديدة وتعني عملية إعادة هندسة الاعمال وهي كلمة مركبة من كلمتين (هندسة وإدارة) وقد ظهر مصطلح الهندرة في بداية التسعينات وتحديداً في عام 1992 عندما اطلق الكاتبان الامريكانيان مايكل هامر وجيمس سامي(جميس، 2003: ص43)، والتعريف العلمي للهندرة هي إعادة التفكير المبدئي والاساسي وإعادة تصميم العمليات الادارية بصفة جذرية بهدف تحقيق تحسينات جوهرية فائقة وليست هامشية تدريجية في معايير الاداء مثل التكلفة، وجودة الخدمة) ألسطان، 1997: 23)، ويرى (Igalens,2000:61) مفهوم هندرة الموارد البشرية هي إلغاء للخدمات ذات القيمة المضافة والمنخفضة واستخدام لتكنولوجيا المعلومات الحديثة والاعتماد على المصادر الخارجية التي من شأنها التأثير على دور وأنشطة ومكانة المورد البشري. وتعرف ايضا بأنها: إعادة النظر في الأسلوب المتبع في تجزئة العمل إلى مهام بسيطة إلى إعادة دمج المهام الأساسية الكلية ضمن عمليات مترابطة ومتناسكة اي ان المنظمة تبدأ من الصفر في إعادة تصميم وترتيب العمليات كالعمليات البشرية (حريم، 2003: 291) او هي: إحداث تغيير جذري في العمليات

التنظيمية وذلك من خلال استخدام الأمثل لتكنولوجيا المعلومات وذلك لتحقيق تحسينات جوهرية في الجودة والأداء والإنتاجية (Raymond & Bergeon,1998:72)

أساليب وأدوات إعادة الهندسة: ومن أهم تلك الأساليب، العصف الذهني، وتكاليف الأنشطة الأساسية، إدارة الجودة الشاملة، المحاكاة ونلخص هذا النموذج على النحو التالي(المعايطة، 1997:107):



الشكل (2): نموذج (Jang) للهندرة

المصدر: رقية عدنان المعايطه، 2007: الارجونوميكا، هندسة البشر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ص107.

المصدر: (رقية عدنان المعايطه، : 2007الارجونوميكا، هندسة البشر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 107)

1-1-1 أبعاد الهندرة (هندسة العمليات)

اتفق اغلب الباحثون على ثلاث أبعاد تؤثر على عملية إعادة هندرة الموارد البشرية هي: (العتيبي، 2002: 121، بني عيسى، 1999: 54، حريم، 2004: 74)

اولا: **البعد التنظيمي**:- يشير الهيكل التنظيمي الي الاجزاء المختلفه في المنظمه في وضع كلي يوضح العناصر الهيكلية والعلاقه بين هذه العناصر المستخدمه في إدارة المنظمه ككل (العتيبي، 2002:121).

ثانيا: **البعد التكنولوجي** :-

الثورة الحديثة في مجال تكنولوجيا المعلومات، والتقنيات الحديثة التي أكتشفها العقل الإنساني أحاطت بنا من كل جانب، وأصبح اقتناء أجهزة الاتصالات ووسائل تكنولوجيا المعلومات والتعامل

معها بمختلف أشكالها وأنواعها امرا ملحا لا يمكن الاستغناء عنه، وأصبح عالم الإتصالات من أهم مظاهر التقنية الحديثة المعتمد على تكنولوجيا المعلومات بني عيسى، (1999:54).

ثالثا: البعد البشري:

العملاء والموظفين هم الهدف الرئيسي على الإطلاق من أجل أن تكتمل إعادة هندسة ، لذا يجب علينا أن نركز على إدارة الموارد البشرية فهي الطريقة المستخدمة لدى المنظمات العالمية لاختيار وتطوير وتدريب وتأهيل الموظفين لتحقيق النسبة الكاملة للقوى العاملة لخدمة ودعم أهداف الشركة وأدائها وتحسين إنتاجيتها ودعم الإبداع والإبتكار فيها، بإعتبار العنصر البشري من أهم الموارد للمنظمات الكونية (حريم ، 2004: 74).

1-2 الأداء الإداري

اهتم الفكر الإداري التنظيمي بموضوع الأداء الوظيفي نظراً لارتباطه بكفاءة وفاعلية المنظمات في تحقيق أهدافها والوصول إلى ما تصبوا إليه من رؤى وأهداف وأن نجاح أي منظمة مرتبط بمستوى أداء أفرادها وكفائتهم ومع التطورات السريعة التي تحدث في البيئة أصبح على عاتق المنظمات ضغوطاً كبيرة من قبل البيئة تدفع المنظمات إلى البحث عن كيفية ملائمتها وتكيفها مع تلك التطورات والتغييرات (طه، 2008: 99).

1-2-1 مفهوم الأداء الإداري

الأداء هو الأهداف والمخرجات التي يسعى نظام المنشأة إلى تحقيقها وفي السياق ذاته يعرف الأداء بأنه قدرة المنظمة على استخدام مواردها بكفاءة لتحقيق النتائج المرغوبة والقادرة على مواجهة تحديات البقاء في بيئة المنافسة في مجال عملها ويمكن فهم الأداء على أنه الاعمال والمهام التي يؤديها العامل في المنظمة والنتائج الفعلية التي يحققها في مجال عمله والتي تسهم في تحقيق أهداف المنظمة بكفاءة وفاعلية وفقاً للموارد المتاحة (الدره وآخرون، 2006:15)

الأداء الوظيفي = الصفات الشخصية للأفراد × جهود العمل × الدعم التنظيمي (صباح،

2008:4).

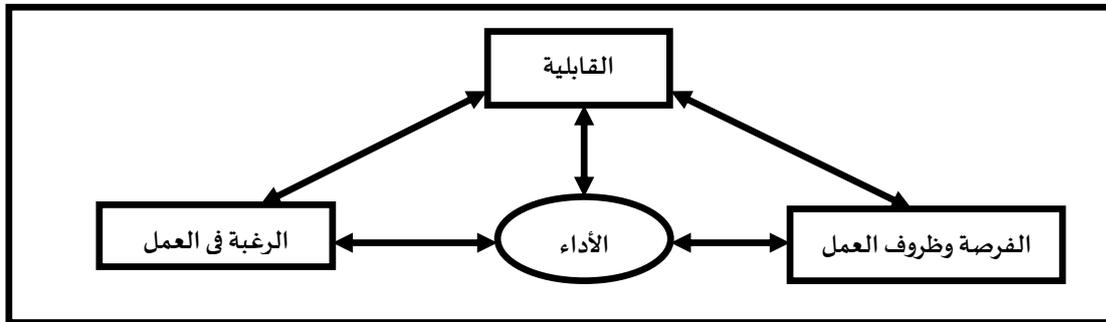
1-2-1 عناصر الأداء الإداري

ولقد تم حصرها في العناصر التالية (محيسن, 2015: 52)

القدرة على العمل: للفرد قدرات موروثة (عقلية، بصرية، عضلية، .. الخ)، فضلا عن أخرى يكتسبها عن طريق التعلم، الخبرة، الممارسة، التدريب. وتعتبر القدرة عادة عن كفاءة الأفراد لأداء بعض الواجبات، وهذه الكفاءة قد تستخدم، أو لا تستخدم، فهي تشير إلى ما يستطيع الفرد القيام به فعلا(ناصر, 2004: 82).

الرغبة في العمل: وتتمثل هذه بالقوة التي تحرك الفرد وتثيره لأجل انجاز المهمات الموكلة به على الوجه الأفضل، وبما يلبي حاجاته ورغباته المادية والمعنوية، ويمكن تحسينها بالتحفيز (صباح, 2008: 43).

فرصة الأداء المتاحة: وهي احد المكونات الأساس لتحفيز الأفراد على أداء أعمالهم بشكل جيد، وتعد إتاحة الفرصة من مسؤوليات المدير تجاه مرؤوسيه الراغبين والقادرين على أداء مهامهم بشكل أفضل(الدليمي, 2013: 40).. كما يشير محيسن الى ان اداء الفرد هو دالة للعناصر: الرغبة في الأداء، القدرة على الأداء، الفرصة المناسبة للأداء وكما في الشكل التالي:



الشكل (3): ((ابعاد الأداء))

المصدر: (محيسن، سناء رشيد (2015) تأثير التدريب في تحسين مستوى اداء العاملين، دبلوم عالي، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد: 52).

1-3-1 الإبداع الإداري

1-3-1 مفهوم الإبداع الإداري

الإبداع لغة: بدع الشيء: أنشأه على غير مثال سابق فهو بديع. وابتدع الشيء: اخترعه، والإبداع عند الفلاسفة: إيجاد شيء من العدم (نبيل، 1995: ص23) والإبداع اصطلاحاً: السلوك الإنساني الذي

يؤدي إلى تغيير في ناتج المواد المستخدمة ويتصف التغيير بالجدية والأصالة والقيمة والفائدة الاجتماعية، القدرة على حل المشكلات بأساليب جديدة (سلمان، 2019: 76)

1-3-2 عناصر الإبداع الإداري

يري علماء النفس أن الشخص المبدع هو الشخص الذي يملك مجموعة من السمات والقدرات والمهارات، ويكون الشخص مبدعا إذا ظهرت لديه تلك السمات أو بعضها وهي:-

الطلاقة: وتمثل القدرة على إنتاج عدد كبير من الأفكار في فترة زمنية محددة كالقدرة على وضع الكلمات في أكبر قدر ممكن من الجمل والعبارات (سلطان، 2011: ص53)

الأصالة: وتعني أن الشخص المبدع لا يكرر أفكار الآخرين ويفرد من حلولهم التقليدية للمشاكل فأفكاره جديدة مميزة غير مألوفة (سعيد، 2009: 25).

المرونة: ويقصد بها القدرة على التكيف السريع مع المواقف أو المشاكل الجديدة وهي قدرة الشخص على الإنتاج، وبشكل تلقائي عدد متنوع من الاستجابات (جروان، 2002: 23)

2. الدراسة الميدانية

1.2 شركة سوداني للاتصالات

لقد تم إنشاء الشركة السودانية للاتصالات المحدودة (سوداتل) في سبتمبر 1993م بعد خصخصة المؤسسة العامة للمواصلات السلكية وللأسلكية، بهدف القيام بخدمات إتصال أفضل. وقامت الشركة كشركة مساهمة عامة بعدد (27) مساهم من جهات مختلفة (حكومة، شركات، أفراد) برأس مال مبدئي قدره (150 مليون دولار) تم رفعه إلى (250 مليون دولار) تساهم الحكومة بقيمة (600 ألف سهم بقيمة) (60 مليون دولار) بنسبة (66.8) ونصيب المستثمرين (33.2) (تقرير شركة سوداتل، 2008، ص54).

2.2 منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على برنامج الحزم الإحصائية في العلوم الاجتماعية SPSS، وذلك للاستفادة منه في التعرف على طبيعة المشكلة وصياغة الفرضيات والمنهج الاستقرائي لاختبار الفرضيات والمنهج الوصفي التحليلي في تحليل ووصف البيانات.

2.3 معدل استجابة العينة:

تم جمع البيانات من الميدان عن طريق الاستبانة الموجه للشركة السودانية للاتصالات المحدودة (سوداتل)، حيث تم توزيع عدد (50) استبانة بنسبة توزيع بلغت (100%)، وتم الحصول على (40) استبانة من جملة الاستبانات الموزعة بنسبة استرداد بلغت (80%)، والاستبانات التي لم تسترد بلغ عددها (10) استبانة بنسبة (20%)، أما الاستبانات الصالحة للتحليل بلغ عددها (40) حيث بلغت نسبة (80%) وتم عمل تنظيف للبيانات وأعداد ملخص لكل عمليات تنظيف البيانات وكذلك معدل الاستجابة كما هو في الجدول التالي

الجدول (1) تنظيف البيانات ونسبة الاستجابة

النسبة	العدد	البيانات
100%	50	مجموع الاستبانات الموزعة للمستجيبين
80%	40	مجموع الاستبانات التي تم إرجاعها
20%	10	الاستبانات التي لم تسترد
80%	40	عدد الاستبانات الصالحة للتحليل

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

2-4 تحليل البيانات الديمغرافية:

البيانات الديمغرافية للمستجيبين تمثلت في خمسة عناصر وهي الجنس، والعمر، المؤهل العلمي، المسمى الوظيفي، سنوات الخبرة، حيث بلغت نسبة الذكور (75%) وهي تمثل أكبر نسبة، وبلغت نسبة الإناث (25%). وكما أظهر توزيع مفردات العينة حسب الفئة العمرية من الجدول أن الفئة من 40 سنة إلى أقل من 50 سنة شكلت نسبة (42.5%) وهي أكبر نسبة، بينما شكلت أقل من 30 سنة نسبة بلغت (30.0%)، وشكلت الفئة من 30 أقل من 40 سنة نسبة بلغت (20.0%)، وشكلت من 50 سنة إلى أقل من 60 سنة (7.5%). أما توزيع مفردات العينة حسب المؤهل العلمي فيوضح أن فئة بكالوريوس يشكلون أكبر نسبة حيث بلغت (35.0%)، بينما الفئة دبلوم وسيط والفئة ماجستير حيث بلغت نسبتهم على التوالي (32.0%). أما توزيع حسب الخبرة العملية فيوضح أن الفئة من 15 إلى أقل من 20 سنة يشكلون أكبر نسبة حيث بلغت (32.5%)، الفئة أقل من 5 سنوات يشكلون نسبة حيث بلغت (25.0%)، فئة من 5 إلى أقل من 10 سنوات يشكلون نسبة حيث بلغت (15.0%). أما

توزيع حسب المسمى الوظيفي فيوضح أن فئة موظف يشكلون أكبر نسبة حيث بلغت (57.5%)، والفئة مهندس يشكلون نسبة حيث بلغت (30.0%)، بينما الفئة نائب مدير والفئة رئيس قسم يشكلون نسبة (5.0%) من العينة، أما الفئة محاسبة بلغت نسبة (4.8%)، أما الفئة اقتصاد حيث بلغت نسبة (3.8%)، أما الفئة دراسات مالية ومصرفية حيث بلغت نسبة (1.9%).

5-2 التحليل العاملي الاستكشافي لمتغيرات الدراسة:

للتحليل العاملي الاستكشافي أهمية في قياس الاختلافات بين العبارات التي تقيس كل متغير من متغيرات الدراسة حيث يتم توزيع عبارات الاستبانة على متغيرات معيارية يتم فرضها وتوزع عليها العبارات التي تقيس كل متغير على حسب انحرافها عن الوسط الحسابي وتكون العلاقة بين المتغيرات داخل العامل الواحد أقوى من العلاقة مع المتغيرات في العوامل الأخرى. أي أن التحليل العاملي الاستكشافي للمكونات الأساسية يهدف إلى التحويل الرياضي لعدد كبير من المتغيرات وعدد قليل من المكونات (العوامل) المستقلة المتعامدة ويتم ذلك التحويل على مصفوفة الارتباطات بين المتغيرات وكل مكون أو عمود يتكون من متغيرات شديدة الترابط مع مكونها الأساسي، قليلة الترابط مع المكونات الأخرى. وتحقق طريقة التباين الأقصى Varimax لتدوير المحاور عمودياً ذلك الهدف على نحو كبير ويمكن الحكم على أن متغير ما ينتمي إلى مكون معين من خلال تحميله loading على ذلك العامل وكلما زادت القيمة المطلقة للتحميل زادت المعنوية الإحصائية.

وبمراعاة الشروط التي حددها (Churchill,1979) و(Hair et al,1998) التي تتمثل في

النقاط التالية:

- وجود عدد كافي من الارتباطات ذات دلالة إحصائية في مصفوفة الدوران.
- أن يكون معامل الثبات Alpha لكل عبارته أو متغير 0.60 أو أكثر.
- أن يكون معامل ارتباط كل عبارة أو متغير بالعامل أكبر من 0.55.
- أن يكون معامل تحميل العبارة أو المتغير على العامل الواحد 0.55 أو أكثر.
- ألا تكون العبارة قد تم تحميلها على أكثر من عامل واحد في نفس الوقت.
- ألا تقل قيمة Eigen Value لكل عامل عن واحد صحيح.

أي وجود عدد كافي من الارتباطات ذات دلالة إحصائية في مصفوفة الدوران، وان لا تقل قيمة KMO عن 0.55%، تناسب العينة، وألا تقل قيمة اختبار Bartlett's Test of Sphericity عن

الواحد صحيح، وان تكون الاشتراكات الأولية communities للبند أكثر من 0.55%، وألا يقل تشبع العامل عن 0.55% مع مراعاة عدم وجود قيم متقاطعة تزيد عن 50% في العوامل الأخرى، وان لا تقل قيم الجزر الكامن عن الواحد

2-5-1 التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير المستقل الهندرة:

تم تكوين مصفوفة الارتباط بين المتغيرات الأصلية في الدراسة للمتغير المستقل مع بعضها البعض والمكون من ثلاثة محاور الهندرة وعدد عباراتها (15) عبارة وتم استخدام نقطة حذف بمقدار (0.55) أي بمراعاة عدم وجود قيم متقاطعة تزيد عن قيمة (0.55) وحيث أن قيم الاشتراكات الأولية لا تقل عن (0.55) والتشبعات لا تقل عن (0.55) وقيمة KMO لا تقل عن (0.60) للمتغيرات وقيمة الجزر الكامنة لا تقل عن الواحد الصحيح ، وكما تم حذف المتغيرات التي يوجد بها تقاطعات وقد نتج عن التحليل حذف محور التكنولوجيا ومحور البشري بالكامل ، حيث تم التوصل إلى مكون أساسي (عوامل) من جميع العبارات في مقياس ممارسة الهندرة وبلغ المكون الأول نسبة (72.441%) من التباين ، ويفسر ذلك المكونات بنسبة (72.441%) من التباين لكل للعبارات ، وهي نسبة تزيد عن (0.60%) و التي تعتبر جيدة في البحوث الاجتماعية وفقا (Hair,J.F, at all, 1998) ، كما تم تدوير العوامل بأحد طرق التدوير المتعامد وهي varimax لتحميل المتغيرات على العوامل الأكثر ارتباطا بها وبحيث تكون العوامل مستقلة عن بعضها تماما ولقد أظهر التحليل مصفوفة العوامل المدارة Rotated Component matrix الموضح في الجدول رقم (4-3) ونتائج تحليل spss في الملحق رقم (1).

الجدول رقم (2) التحليل العاملي الهندرة (حجم العينة:40)

العوامل	العبارات	المتغيرات
1		
.872	B3	التنظيمي
.854	A1	
.827	A3	
72.441	Variance Explained	
.708	Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy	

37.439	Bartlett's Test of Sphericity
72.441	Total Variance Explained

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

2-5-2 التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير التابع أداء العاملين:

تم تكوين مصفوفة الارتباط بين المتغيرات الأصلية في الدراسة للمتغير التابع مع بعضها البعض والمكون من ثلاثة محاور لأداء العاملين وعدد عباراتها (12) عبارة وتم استخدام نقطة حذف بمقدار (0.55) أي بمراعاة عدم وجود قيم متقاطعة تزيد عن قيمة (0.55) وحيث أن قيم الاشتراكات الأولية لا تقل عن (0.55) والتشعبات لا تقل عن (0.55) وقيمة KMO لا تقل عن (0.60) للمتغيرات وقيمة الجزر الكامنة لا تقل عن الواحد الصحيح ، وكما تم حذف المتغيرات التي يوجد بها تقاطعات وقد نتج عن التحليل حذف محور القابلية على العمل ومحور فرصة الأداء المتاحة حيث تم التوصل إلى مكون أساسي (عوامل) من جميع العبارات في مقياس أداء العاملين وبلغ المكون الأول الرغبة في العمل نسبة (76.414%) من التباين ، ويفسر ذلك المكون (76.414%) من ، وهي نسبة تزيد عن (0.60%) و التي تعتبر مقبولة في البحوث الاجتماعية وفقا (Hair,J.F, at all, 1998) ، كما تم تدوير العوامل بأحد طرق التدوير المتعامد وهي varimax لتحميل المتغيرات على العوامل الأكثر ارتباطا بها وبحيث تكون العوامل مستقلة عن بعضها تماما ولقد أظهر التحليل مصفوفة العوامل المدارة Rotated Component matrix الموضح في الجدول رقم (4-4) ونتائج تحليل spss في الملحق رقم (1).

الجدول رقم (3) التحليل العاملي الالتزام التنظيمي (حجم العينة: 40)

العوامل	العبارات	المتغيرات
1		
.868	W2	الرغبة في العمل
.847	D2	
.889	3D	
76.414	Variance Explained	
008.	Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy	

12.271	Bartlett's Test of Sphericity
76.414	Total Variance Explained

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

2-5-3 التحليل العاملي الاستكشافي للمتغير الوسيط الأبداع الإداري:

تم تكوين مصفوفة الارتباط بين المتغيرات الأصلية في الدراسة للمتغير الوسيط مع بعضها البعض والمكون من ثلاثة محاور للأبداع الإداري وعدد عباراتها (15) عبارة وتم استخدام نقطة حذف بمقدار (0.55) أي بمراعاة عدم وجود قيم متقاطعة تزيد عن قيمة (0.55) وحيث أن قيم الاشتراكات الأولية لا تقل عن (0.55) والتشعبات لا تقل عن (0.55) وقيمة KMO لا تقل عن (0.60) للمتغيرات وقيمة الجزر الكامنة لا تقل عن الواحد الصحيح ، وكما تم حذف المتغيرات التي يوجد بها تقاطعات وقد نتج عن التحليل حذف مع محور المرونة حيث تم التوصل إلى مكونين أساسيين (عوامل) من جميع العبارات في مقياس الأبداع الإداري وبلغ المكون الأول الأصالة نسبة (43.391%) من التباين ، وبلغ المكون الثاني الطلاقة نسبة (31.131%) من التباين ، وتفسر تلك المكونات مجتمعة (74.522%) من التباين لكل للعبارات ، وهي نسبة تزيد عن (0.60%) والتي تعتبر مقبولة في البحوث الاجتماعية وفقا (Hair, J.F, at all, 1998) ، كما تم تدوير العوامل بأحد طرق التدوير المتعامد وهي varimax لتحميل المتغيرات على العوامل الأكثر ارتباطا بها وبحيث تكون العوامل مستقلة عن بعضها تماما ولقد أظهر التحليل مصفوفة العوامل المدارة Rotated Component matrix الموضح في الجدول رقم (4-5) ونتائج تحليل spss في الملحق رقم (1).

الجدول رقم (3) التحليل العاملي للأبداع الإداري (حجم العينة: 40)

العوامل		العبارات	المتغيرات
2	1		
	.927	Y1	الأصالة
	.903	Y2	
.856		R3	الطلاقة
.694		R2	
25.592	42.044	Variance Explained	

346.	Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy
33.953	Bartlett's Test of Sphericity
74.522	Total Variance Explained

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

2-6 الاعتمادية والكفاءة العملية، المتوسطات، الانحرافات لمقاييس الدراسة:

يستخدم تحليل الاتساق للعثور على الاتساق الداخلي للبيانات ويتراوح من (0 إلى 1)، تم احتساب قيمة (ألفا كرون باخ) للعثور على اتساق البيانات الداخلي، إذا كانت قيم معامل ألفا كرون باخ أقرب إلى 1، يعتبر الاتساق الداخلي للمتغيرات كبير، ولاتخاذ قرار بشأن قيمة ألفا كرون باخ المطلوبة يتوقف ذلك على الغرض من البحث ففي المراحل الأولى من البحوث الأساسية تشير (Nunnally، 1967) إلى أن المصدقية من (0.50 - 0.60) تكفي وأن زيادة المصدقية لا أكثر من 0.80 وربما تكون إسراف، أما (Hair et al, 2010) أقترح أن قيمة ألفا كرون باخ يجب أن تكون أكثر من 0.70 الجدول (5) يوضح معامل الاعتمادية لمتغيرات الدراسة

الجدول (5) معامل الاعتمادية ألفا كرونباخ والمتوسطات، الانحرافات لعبارات الاستبيان (حجم العينة: 40)

نوع المتغير	أسم المتغير	عدد العبارات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاعتمادية ألفا كرونباخ	الأهمية النسبية
مستقل	التنظيمي	3	3.99	0.78	.778	0.801=%
تابع	الرغبة في العمل	3	3.84	0.83	308.	0.771=%
الوسيط	الأصالة	2	4.34	0.67	.817	0.871=%
	الطلاقة	2	3.45	0.71	576.	0.692=%

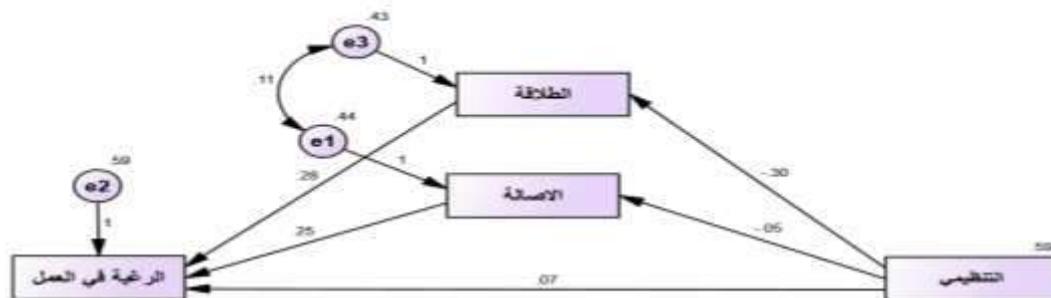
المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

يلاحظ من الجدول رقم (5) أعلاه أن الاعتمادية لجميع متغيرات الدراسة اكبر من (0.60) وأن الأوساط الحسابية تتراوح بين (3.45-4.34) ، كما انه يمكن ترتيب المحاور وفقاً للأهمية النسبية كمايلي: المتغير المستقل الهندرة يتكون من محور وهو: التنظيمي (0.80%) ، أما المتغير التابع أداء العاملين ويتكون من محور وهو: الرغبة في العمل (0.77%) ، أما المتغير الثالث الوسيط الأبداع الإداري ويتكون من محورين هما: المحور الأول الأصالة (0.87%)، والمحور الثاني الطلاقة (0.69%).

نموذج الدراسة المعدل:

بعد إجراء التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي لمتغيرات الدراسة يتم الاعتماد على النتائج التي يفسر عنها التحليل، حيث أوضحت النتائج أن المتغير المستقل الهندرة يتكون من محور التنظيمي. أما المتغير التابع الأداء الإداري ويتكون من محور الرغبة في العمل. أما المتغير الثالث الوسيط الأبداع الإداري ويتكون من محورين هما: الأصالة، الطلاقة. فإن استناد النموذج على نظرية يطابق الواقع أما في حالة عدم الاعتماد على نظرية فانه عادة ما يتم تعديل النموذج حتى يطابق الواقع وكذلك الاعتماد على مقياس الفا كرونباخ للاتساق الداخلي للبيانات إذا قلت نتيجة التحليل المحسوبة عن القيمة المعتمدة، يتم استبعاد البعد تماماً والشكل (4-5) يوضح نموذج الدراسة المعدل، الجدول (4-10) يوضح مؤشرات جودة المطابقة لنموذج الدراسة.

الشكل رقم (4) نموذج الدراسة المعدل

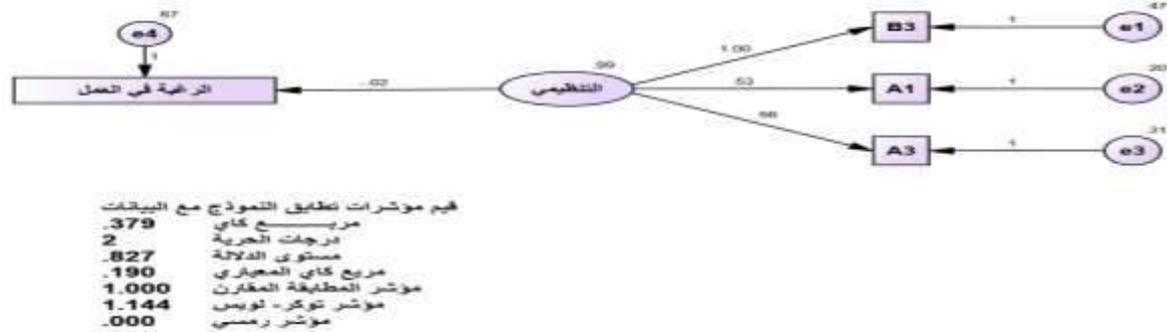


قيم مؤشرات تطبيق النموذج مع البيانات
 مربع كاي 0.000
 درجات الحرية 0
 مستوى الدلالة /p
 مربع كاي المعياري /cmindf
 مؤشر المطابقة المقارن 1.000
 مؤشر توكير- لويس /tli
 مؤشر رسمي /lrmsea

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

4 اختبار الفرضية الرئيسية الأولى: العلاقة بين الهندرة (التنظيمي) وأداء العاملين (الرغبة في العمل): تنص الفرضية الرئيسية الأولى على انه توجد علاقة إيجابية معنوية بين التنظيمي والرغبة في العمل ، ولاختبار هذه الفرضية تم استخدام أسلوب تحليل المسار كما في الشكل رقم (4-7).

شكل رقم (4-7) العلاقة بين الهندرة وأداء العاملين



المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

جدول رقم (5) المسار من الهندرة إلى أداء العاملين (Estimate)

النتيجة	الدلالة P	القيمة الدرجة CR	الخطأ المعياري S.E	التقديرات Estimates	العلاقات	
لم تدعم	.889	-.139	.145	-.020	الرغبة في العمل	التنظيمي

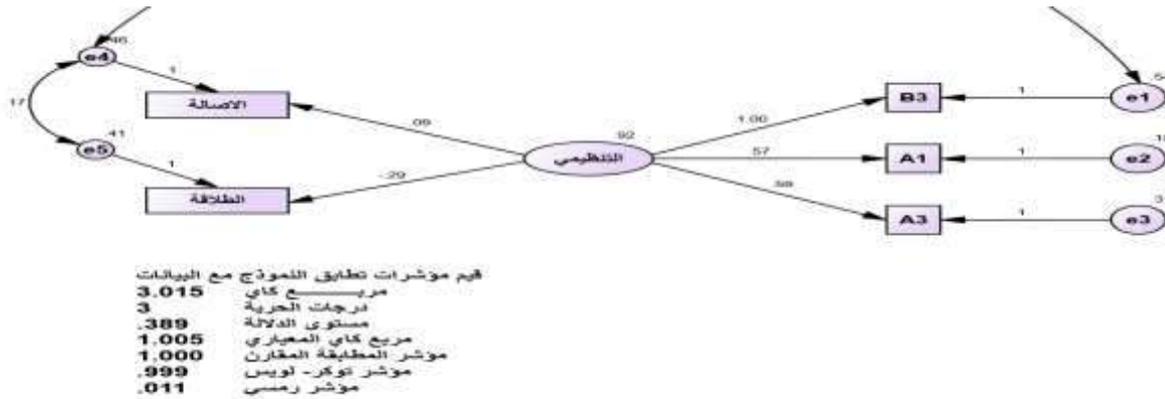
مستوي المعنوية: $p < 0.10$ *، $p < 0.05$ **، $p < 0.001$ ***

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

وفقاً للشكل رقم (4-7) و الجدول رقم (4-13) ويمكننا ملاحظة الأثر المباشر اعتماداً على معاملات الارتباط المتعدد (R2) والاعتماد على مستوي الدلالة (0.05)، وتشير أوزان معاملات الانحدار في العلاقة بين المتغير المستقل الهندرة و التابع أداء العاملين إلى انخفاض تأثير بعد التنظيمي على الرغبة في العمل حيث بلغ معامل الانحدار (-0.02) ويفسر 0.99 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.889). لم تتحقق جميع شروط جودة النموذج.

13-4 اختبار الفرضية الرئيسية الثانية: العلاقة بين الهندرة (التنظيمي) والأبداع الإداري: تنص الفرضية الرئيسية الثانية على انه توجد علاقة إيجابية معنوي بين التنظيمي والأبداع الإداري ، ولاختبار هذه الفرضية تم استخدام أسلوب تحليل المسار كما في الشكل رقم (4-8).

شكل رقم (5) العلاقة بين التنظيمي والأبداع الإداري



المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

جدول رقم (4-14) المسار من التنظيمي إلى الأبداع الإداري (Estimate)

العلاقات	التقديرات Estimates	الخطأ المعيار S.E	القيمة الدرجة CR	الدلالة P	النتيجة
التنظيمي <-- الأصالة	.088	.138	.634	.526	لم تدعم
التنظيمي <-- الطلاقة	-.286	.127	-2.240	.025	لم تدعم

مستوي المعنوية: $p < 0.10$ *، $p < 0.05$ **، $p < 0.001$ ***

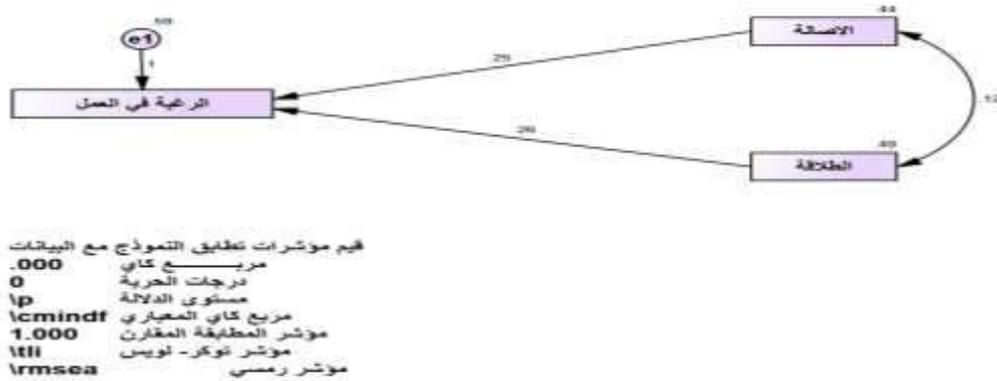
المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

وفقاً للشكل رقم (4-8) و الجدول رقم (4-14) ويمكننا ملاحظة الأثر المباشر اعتماداً على معاملات الارتباط المتعدد (R2) والاعتماد على مستوي الدلالة (0.05)، وتشير أوزان معاملات الانحدار في العلاقة بين المتغير المستقل الهندرة من خلال بعد (التنظيمي) إلى انخفاض تأثير بعد التنظيمي على

الأصالة حيث بلغ معامل الانحدار (0.09) ويفسر 0.99 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.526). وانخفاض تأثير بعد التنظيمي على الطلاقة حيث بلغ معامل الانحدار (-0.29) ويفسر 0.99 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.025). لم تتحقق جميع شروط جودة النموذج.

4-14 اختبار الفرضية الرئيسية الثالثة: العلاقة بين الأبداع الإداري وأداء العاملين بعد (الرغبة في العمل): تنص الفرضية الرئيسية الثالثة على انه توجد علاقة إيجابية معنوي بين الأبداع الإداري والرغبة في العمل ، واختبار هذه الفرضية تم استخدام أسلوب تحليل المسار كما في الشكل رقم (6-4).

شكل رقم (6-4) العلاقة بين الأبداع الإداري والرغبة في العمل



المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

جدول رقم (4-15) المسار من الأبداع الإداري إلى الرغبة في العمل (Estimate)

النتيجة	الدلالة P	القيمة الحرية CR	الخطأ المعياري S.E	التقديرات Estimates	العلاقات	
لم تدعم	.185	1.327	.191	.254	<--	الأصالة الرغبة في العمل

الطلاقة	<--	الرغبة في العمل	.257	.183	1.407	.159	لم تدعم
---------	-----	-----------------	------	------	-------	------	---------

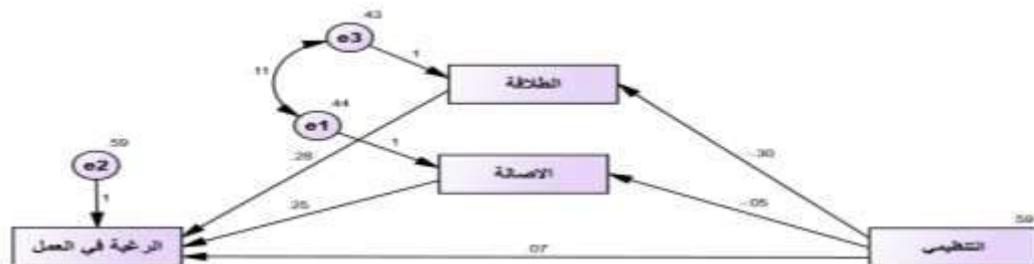
مستوي المعنوية: $p < 0.10$ * ، $p < 0.05$ ** ، $p < 0.001$ ***

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

وفقاً للشكل رقم (4-6) و الجدول رقم (4-15) ويمكننا ملاحظة الأثر المباشر اعتماداً على معاملات الارتباط المتعدد (R2) والاعتماد على مستوى الدلالة (0.05)، وتشير أوزان معاملات الانحدار في العلاقة بين المتغير المستقل الأبداع الإداري و التابع التابع أداء العاملين إلى انخفاض تأثير بعد الأصالة على الرغبة في العمل حيث بلغ معامل الانحدار (0.25) ويفسر 0.44 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوى معنوية (0.185). وانخفاض تأثير بعد الطلاقة على الرغبة في العمل حيث بلغ معامل الانحدار (0.26) ويفسر 0.49 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوى معنوية (0.159). لم تتحقق جميع شروط جودة النموذج.

4-15 اختبار الفرضية الرئيسية الرابعة: الأبداع الإداري يتوسط العلاقة بين الهندرة وأداء العاملين: تنص الفرضية الرئيسية الرابعة على أن الأبداع الإداري يتوسط العلاقة بين الهندرة وأداء العاملين ، ولاختبار هذه الفرضية تم استخدام أسلوب تحليل المسار كما في الشكل رقم (4-7).

شكل رقم (5-6) الأبداع الإداري يتوسط العلاقة بين الهندرة وأداء العاملين



قيم مؤشرات تطبيق النموذج مع البيانات
 مربيع كاي .000
 درجات الحرية 0
 مستوى الدلالة lp
 مربيع كاي المعياري lcmdf
 مؤشر المطابقة المقارن 1.000
 مؤشر توكير- تويس lti
 مؤشر رمسي lrmsea

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

جدول رقم (4-16) تحليل المسار الأثر المباشر

النتيجة	الدلالة P	القيمة الحرية CR	الخطأ المعيار S.E	التقديرات Estimates	العلاقات	
A1	.709	-.373	.138	-.052	الأصالة	<-- التنظيمي
A2	.030	-2.164	.137	-.297	الطلاقة	<-- التنظيمي
1B	.144	1.460	.193	.281	الرغبة في العمل	<-- الأصالة
2B	.187	1.319	.191	.252	الرغبة في العمل	<-- الطلاقة

مستوي المعنوية: $p < 0.10$ *، $p < 0.05$ **، $p < 0.001$ ***

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

جدول رقم (4-17) : الأثر غير المباشر

Parameter	Estimate	Lower	Upper	P
A1*B1	0.014	.608	.348	-.127
A2*B2	0.074	.019	.548	.073

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

أوضح تحليل اختبار هذه الفرضية من خلال الجدول أعلاه رقم (4-16) الأثر المباشر، أن المسار من التنظيمي إلى الأصالة يساوي (-.052) وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.709). والمسار من الأصالة إلى الرغبة في العمل يساوي (0.281) وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.144). ويلاحظ من خلال الجدول (4-17) أن الأثر غير المباشر يساوي (0.014) وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (-.127)، ومما سبق يتضح أن الأصالة لا يتوسط العلاقة بين التنظيمي والرغبة في العمل.

أوضح تحليل اختبار هذه الفرضية من خلال الجدول أعلاه رقم (4-16) الأثر المباشر، أن المسار من التنظيمي إلى الطلاقة يساوي (-.297) وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.030). والمسار من الطلاقة إلى الرغبة في العمل يساوي (0.252). وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.187). ويلاحظ من خلال الجدول (4-17) أن الأثر غير المباشر يساوي (0.074) وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.073)، ومما سبق يتضح الطلاقة لا يتوسط العلاقة بين التنظيمي والرغبة في العمل.

مما سبق يتضح ان الأبداع الإداري بأبعاده (الأصالة، الطلاقة) لا يتوسط العلاقة بين الهندرة (التنظيمي) وأداء العاملين (الرغبة في العمل)

4-15 الجدول رقم (4-18) ملخص نتائج اختبار فرضيات الدراسة

النتيجة	فرضيات الدراسة
لم تدعم	الفرضية الرئيسية الأولى: هناك علاقة إيجابية بين الهندرة وأداء العاملين
	الفرضية الفرعية:
لم تدعم	1-1 هناك علاقة إيجابية بين التنظيمي والرغبة في العمل
لم تدعم	الفرضية الرئيسية الثانية: هناك علاقة إيجابية بين الهندرة والأبداع الإداري
	الفرضية الفرعية:
لم تدعم	1-1 هناك علاقة إيجابية بين التنظيمي والأصالة
لم تدعم	1-2 هناك علاقة إيجابية بين التنظيمي والطلاقة
لم تدعم	الفرضية الرئيسية الثالثة: هناك علاقة إيجابية بين الأبداع الإداري وأداء العاملين
	الفرضية الفرعية:
لم تدعم	1-3 هناك علاقة إيجابية بين الأصالة والرغبة في العمل
لم تدعم	2-3 هناك علاقة إيجابية بين الطلاقة والرغبة في العمل

لا يوجد توسط	الفرضية الرئيسية الرابعة: الأبداع الإداري يتوسط العلاقة بين التنظيمي والرغبة في العمل
--------------	--

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2021م)

III- النتائج ومناقشتها:

1- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الهندرة وأداء العاملين، وتشير أوزان معاملات الانحدار في العلاقة بين المتغير المستقل الهندرة و التابع اداء العاملين إلى انخفاض تأثير بعد التنظيمي على الرغبة في العمل حيث بلغ معامل الانحدار (-0.02) ويفسر 0.99 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.889). وهذا ما يختلف مع دراسة دراسة العنزي (2017) بعنوان: دور إعادة هندسة العمليات الإدارية (الهندرة) في تطوير أداء العاملين في ان الهندرة تساهم في تطوير أداء العاملين في الإدارة العامة للتطوير الإداري بوزارة الداخلية، ويختلف كذلك دراسة الحربي(2017):إعادة هندسة العمليات الإدارية ودورها في رفع مستوى أداء العاملين الذي توصل الي أن أفراد عينة الدراسة موافقون على أن إعادة هندسة العمليات الإدارية تسهم في رفع مستوى أداء العاملين بإمارة منطقة القصيم بدرجة كبيرة. وأيضاً يختلف مع دراسة: لطيف وآخرون(2019) هندرة الموارد البشرية وأثرها في تطوير أداء العاملين ، في ان للهندرة دور هام في تطوير الاداء الوظيفي لدى العاملين.

2- لا توجد علاقة إيجابية بين الهندرة والأبداع الإداري، تشير أوزان معاملات الانحدار في العلاقة بين المتغير المستقل الهندرة من خلال بعد (التنظيمي) إلى انخفاض تأثير بعد التنظيمي على الأصالة حيث بلغ معامل الانحدار (0.09) ويفسر 0.99 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.526). وانخفاض تأثير بعد التنظيمي على الطلاقة حيث بلغ معامل الانحدار (0.29) ويفسر 0.99 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.025). وهذا مع يختلف مع دراسة مسرعي (2016) إعادة هندسة العمليات الإدارية (الهندرة) ودورها في تطوير الأداء الوظيفي في مستشفى الملك خالد بالخرج ان الهندرة تساعد في الأداء بجودة أفضل وبتكلفة وفترة زمنية اقل وبسرعة عالية.

3- لا توجد علاقة إيجابية بين الأبداع الإداري وأداء العاملين، وتشير أوزان معاملات الانحدار في العلاقة بين المتغير المستقل الأبداع الإداري و التابع اداء العاملين إلى انخفاض تأثير بعد الأصالة على الرغبة في العمل حيث بلغ معامل الانحدار (0.25) ويفسر 0.44 من التباين وهو

غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.185). وانخفاض تأثير بعد الطلاقة على الرغبة في العمل حيث بلغ معامل الانحدار (0.26) ويفسر 0.49 من التباين وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.159). مما يتفق مع دراسة العنزي (2017) بعنوان: دور إعادة هندسة العمليات الإدارية (الهندرة) في تطوير أداء العاملين. تتمثل أهم معوقات تطبيق إعادة هندسة العمليات الإدارية في الإدارة العامة للتطوير الإداري بوزارة الداخلية في: ضعف نشر ثقافة إعادة هندسة العمليات الإدارية لدى الموظفين، مما أثر على الأداء والأبداع.

4- الأبداع الإداري لا يتوسط العلاقة بين الهندرة وأداء العاملين، أن المسار من التنظيمي إلى الأداء يساوي (-0.297) وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.030). والمسار من الأبداع إلى الرغبة في العمل يساوي (0.252) وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.187). أن الأثر غير المباشر يساوي (0.074) وهو غير دال إحصائياً عند مستوي معنوية (0.073)، ومما سبق يتضح الأبداع لا يتوسط العلاقة بين الهندرة وأداء العاملين.

الخلاصة:

هدفت هذه الدراسة إلي قياس الدور الوسيط للابداع الاداري في العلاقة بين الهندرة وأداء العاملين-دراسة حالة الشركة السودانية للإتصالات المحدودة (سوداتل) (2021م)، توصلت الدراسة الي انه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الهندرة وأداء العاملين، لا توجد علاقة إيجابية بين الهندرة والأبداع الإداري، لا توجد علاقة إيجابية بين الأبداع الإداري وأداء العاملين، وأن الأبداع الإداري لا يتوسط العلاقة بين الهندرة وأداء العاملين، هذه الدراسة اثبتت الدراسة نظريا انه لا توجد علاقة للهندرة علي أداء العاملين وعلي الأبداع الإداري بشركات الإتصال مكان الدراسة، علي عكس ما توصلت له الدراسات السابقة في بيئات أخرى بوجود علاقة تربط بين هذه الأبعاد، وتري الدراسة ربما يرجع السبب لضعف ثقافة العاملين مكان الدراسة بعملية الهندرة أو لربما عدم تطبيقها بالمؤسسة المبحوثة، لذلك تقترح الدراسة تطبيق نفس الأبعاد علي شركات أخرى تعمل في نفس البيئة والمجال للتأكد من مدي صحة أثبات هذه الفرضيات.

التوصيات:

1- نشر و تعزيز مفهوم إعادة هندسة العمليات الإدارية " الهندرة " بين موظفي شركة سوداني للإتصالات.

- 2- تنمية الموارد البشرية في مجال استخدام التقنية، من خلال نظام تدريبي فعال ، يتيح لجميع موظفي الشركة الاستفادة من التقنيات والمعلومات لدعم متطلبات مشروع إعادة هندسة العمليات الإدارية" الهندرة".
- 3- ضرورة التزام الادارة العليا بالشركة بالتغيير وبعملية الهندرة من اجل تثقيف العاملين بأهمية الهندرة علي أداء العاملين
- 4- زيادة الاعتماد على تقنية المعلومات ودورها في تقليل الوقت الضائع وضرورة إقامة دورات وندوات تدريبية وتثقيفية لغرض تحسين وتعريف العاملين بأهمية أسلوب الهندرة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. تشامبي، جيمس: (2003) إعادة هندسة الإدارة - المطلب الحتمي للقيادة الجديدة , ترجمة عبد الرحمن , مركز البحوث , معهد الإدارة العامة , الرياض
2. أسلطان ,فهد (1997) إعادة هندسة العمليات الإدارية(الهندرة)نقله جذرية في مفاهيم وتقنية الإدارة ، الرياض
3. حريم , محمد (2003) إدارة المنظمات منظور كلي ,دار حامد للنشر والتوزيع , عمان .
4. المعاينة , رقية (2007) الارجونوميكا ، هندسة البشر ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان
5. العتيبي , صبحي (2002) تطور الفكر والأنشطة الإدارية ، الطبعة الأولى ، دار مكتبة الحامد، عمان.
6. بني عيسى، إبراهيم أمجلي(2009) : استخدام المشرفين التربويين لتكنولوجيا المعلومات في الإشراف التربوي في الأردن والصعوبات التي تواجههم من وجهة نظرهم أطروحة دكتوراه ، جامعة اليرموك، الأردن
7. طه، طارق: (2008) "السلوك التنظيمي في بيئة العولمة والانترنت" ، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، الحسناوي , سالم (2006) الآفاق المستقبلية لهندرة المنظمات ومدى تطبيقها في العراق , بحث منشور , مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية , مجلد (8) العدد(4) جامعة القادسية

8. صباح, بنو ناس: (2008م) النمط القيادي وتأثيره على الاداء الوظيفي , رسالة ماجستير, كلية العلوم الاقتصادية والتسيير, جامعة محمد خيضر بسكرة.
9. محيسن, سناء رشيد: (2015م) تأثير التدريب في تحسين مستوى اداء العاملين , رسالة دبلوم عالي, كلية الإدارة والاقتصاد, جامعة بغداد.
10. ناصر, سومر أديب: (2004م) أنظمة الأجور واثرها على أداء العاملين في شركات ومؤسسات القطاع العام الصناعي في سورية, رسالة ماجستير, كلية الاقتصاد, جامعة تشرين.
11. الغنزي , متعب بن نايف عايد (2017): دور إعادة هندسة العمليات الإدارية (الهندرة) في تطوير أداء العاملين, جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية, كلية العلوم الإدارية, قسم الإدارة العامة, رسالة دكتوراه منشورة
12. الحربي, حمزاوي(2017):إعادة هندسة العمليات الإدارية ودورها في رفع مستوى أداء العاملين: دراسة ميدانية على العاملين بإمارة القصيم, جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية, كلية العلوم الإدارية, قسم الإدارة العامة, رسالة دكتوراه منشورة.
13. خالد-, محمد إبراهيم(2016) الهندرة ودورها في تحسين الأداء, دراسة استطلاعية لآراء مسنولي الموارد البشرية بمجموعة من المؤسسات الاقتصادية في ولاية بسكرة , الجزائر, جامعة محمد خيضر , بسكرة, أطروحة دكتوراه منشورة.
14. مسرعي, إبراهيم بن محمد عبيد (2016) إعادة هندسة العمليات الإدارية (الهندرة) ودورها في تطوير الأداء الوظيفي, أطروحة ماجستير-جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية, كلية العلوم الاجتماعية والإدارية, قسم العلوم الإدارية.
15. سلطان, فهد حمزاوي (2013) دور الهندرة في تبسيط الإجراءات بالمؤسسة العامة للصناعات الحربية بالخرج, أطروحة (ماجستير)-جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية, كلية الدراسات العليا, قسم العلوم الإدارية,
16. لطيف وآخرون(2019) هندرة الموارد البشرية وأثرها في تطوير أداء العاملين: دراسة تطبيقية في معمل السجاد العراقي , العراق, جامعة بغداد, ورقة علمية منشورة .
17. سامي سلمان(2019), كيف تمنى قدرتك علي التفكير الإبداعي, الأردن, بيت الافكار الدولية,

18. عبدالحافظ عبدالفتاح نبيل(1995): مهارات التفكير الابداعي وعلاقتها بعملية إتخاذ القرارات, مسقط, عمان,
19. هشام الحلاق سعيد(2009), التفكير الإبداعي مهارات تستحق التعلم , دمشق,وزارة الثقافة.
20. فتحي جروان(2002) , تعليم التفكير ومفاهيمه وتطبيقاته , عمان, دار الفكر للطباعة والنشر,
21. Jacques Igalens, Reengineering des Ressources humains: la GRH et la performance global/.- In: PERSONNEL, n°409, mai 2000 .- pp. 61-69.
22. Uwe H Kaufmann and Amy Tan Bee Choo, 2008 , HR Optimization and Reengineering, Centre for Organizational Effectiveness, 2008, www.COE-Partners.com/Articles.htm , Singapore
23. Raymond I & Burgeon (1998): (Determinants of Business Process Reengineering success in small and large Enterprises): An Empirical study in Canadian context Journal of small Business Management vol,36,1, pp (72) .

البعد الاقتصادي في علاقات المغرب بالدول الافريقية بين الحضور

التميز وتحديات المنافسة الدولية

The economic dimension in Morocco's relations with African countries between the distinguished presence and challenges of international competition

إعداد: أ. نورالدين مورو؛ باحث في العلاقات الدولية والقانون الدولي العام

Prepared by: **Nourddin Mourou**; Researcher in international relations and public international law.

المخلص:

تحاول هذه الدراسة إبراز أهمية البعد الاقتصادي في علاقات المغرب بالدول الإفريقية بين الحضور المتميز وتحديات المنافسة الدولية، من خلال التأسيس للأرضية القانونية لهذه العلاقات في شقها الاقتصادي، بغية تطويرها وتعزيز التواجد الاستثماري المغربي بالدول الإفريقية، رغم المنافسة الدولية الشرسة سواء من طرف القوى التقليدية أو القوى الصاعدة.

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مدى أهمية العامل الاقتصادي في العلاقات المغربية الإفريقية بشكل خاص.

واعتمد الباحث على المنهجين التاريخي والتحليلي في هذا الموضوع. وأهم نتيجة خلصت إليها فالدراسة أن الأهمية الاستراتيجية للعنصر الاقتصادي في علاقات المغرب بالدول الإفريقية تحت شعار رابح رابح، وبالتالي النهوض بالتنمية الشاملة بمختلف الدول الإفريقية وانعكاساتها الإيجابية على نسب النمو الاقتصادي بالقارة الإفريقية.

الكلمات المفتاحية: البعد الاقتصادي - المنافسة الدولية - الاستراتيجية الاقتصادية - الاستثمارات.

ABSTRACT:

This research paper attempts to highlight; importance of the economic dimension in Morocco's relations with African countries between the distinguished presence and challenges of international competition; by establishing the legal ground for these relations in their economic aspect, in order to develop and enhance the Moroccan investment presence in African countries, despite the fierce international competition, whether by traditional forces (FRANCE- USA-GERMANY) or emerging powers(CHINA-INDIA-TURKEY).

This research aims to shed light on the importance of the economic factor in Moroccan African relations. I relied on the historical and analytical methodologies in my approach to This topic.the most important result that I concluded at the end of this research is the strategic Importance of the economic component in Morocco's relations with African countries under The slogan" WIN-WIN", and consequently the advancement of

comprehensive development in various African countries and its positive repercussions on the rates of economic growth in the African continent.

Keywords: the economic dimension-international competition-economic strategy - investments.

المقدمة:

تحظى العلاقات المغربية الإفريقية باهتمام مغربي له خصوصية معينة، نظرا للمكانة التي تحتلها القضايا الإفريقية، على مستوى اهتمام صانعي القرار الخارجي المغربي، باعتبارها إحدى الدوائر الأساسية المكونة لمجال السياسة الخارجية المغربية، إذ جعلها الدستور المغربي ضمن المجال الاستراتيجي الثالث، بعد كل من أولوية الاتحاد المغاربي، ثم تعميق أو اصر الانتماء إلى الأمة العربية والإسلامية.

ويعكس هذا التوجه دخول العلاقات المغربية الإفريقية، منعطفًا جديدًا يتجلى في التعاون الثنائي، بين المغرب والعديد من الدول الإفريقية، تغطي مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، فعلى المستوى السياسي، أخذ هذا البعد أشكالًا متنوعة كسعي المملكة المغربية لحل الأزمات داخل القارة السمراء، والمشاركة في عمليات حفظ السلام، كما هو الحال في مالي وجمهورية إفريقيا الوسطى وكوت ديفوار، إذ نتجت عن الخطوة المغربية تجنّب هذا البلد نزوعات العنف والتطرف والإرهاب، التي باتت تهدد منطقة الساحل والصحراء، وكذا للمساعدة في عمليات الاستقرار بهذه البلدان.

أما على مستوى الاقتصادي، فقد شكّل التعاون الاقتصادي والتجاري، دائمًا دعامة أساسية في الاستراتيجية المغربية، نحو إفريقيا جنوب الصحراء، إذ أصبحت هذه القارة ضمن أولويات صناع القرار الخارجي المغربي.

حاليًا تخضع العلاقات الاقتصادية، بين المغرب والدول الإفريقية لإطار قانوني، يتكون من أزيد من ألف اتفاقية تعاون في مجالات المعادن والطاقة الصيد البحري، التجارة، الصناعة، السياحة، الصحة، الأمن الفلاحة، المواصلات، والخدمات وتكنولوجيا الاعلام.

وتكمن أهمية هذه الدراسات في ركيزتين أساسيتين، الأولى لها علاقة بالتطورات والتحولات التي تعرفها القارة الإفريقية، والركيزة الثانية تتمثل في الإحاطة بالقوى الدولية التقليدية

والقوى الناشئة والتي تعتبر كمنافس قوي للمملكة المغربية، في الجانب الاقتصادي والاستثماري بالقارة الإفريقية.

وتأسيسا على كل ما سبق، وبالخصوص الركيزتين اللتان تكمن حولهما أهمية الموضوع، تتمظهر الاشكالية البحثية لهذه الدراسة في: إلى أي حد استطاعت المملكة المغربية فرض نفسها كمستثمر اقتصادي واعد بالقارة الإفريقية على الرغم من المنافسة الدولية والتغيرات المتسارعة التي يعرفها الاقتصاد الدولي؟

وللإجابة عن هذه الاشكالات البحثية المثارة، تمت الاستعانة بالمناهج التالية، التاريخي والوصفي التحليلي فالأول يستحضر المقاربة الكرونولوجية التاريخية لمختلف المحطات البارزة في تاريخ العلاقات الدولية، بين المغرب وإفريقيا والثاني سيمكننا من تحليل مدى قدرة الاقتصاد المغربي لخوض مقاربة مبنية على الاستثمار في مختلف القطاعات الانتاجية بالقارة الإفريقية، وتحليل طبيعة العلاقة التنافسية التي تجمع المملكة المغربية بباقي القوى الدولية المنافسة التقليدية الصاعدة.

وانطلاقا من الإشكالية البحثية لهذه الدراسة، ارتأينا مقارنته في مبحثين أساسيين:

- المبحث الأول: مقومات الاستراتيجية الاقتصادية للمغرب بإفريقيا .
- المبحث الثاني: التوجه الاقتصادي للمغرب بالقارة الإفريقية بين الحضور الواعد وتحديات المنافسة الاقتصادية للقوى الدولية التقليدية والصاعدة .

المبحث الأول: مقومات الاستراتيجية الاقتصادية للمغرب بإفريقيا:

أضحى التكتل بمختلف أوجهه وتشبيك العلاقات، خيارات استراتيجية للدول، على حد سواء في عالم اليوم، بعدما تعزز حضور المنظمات الدولية، كفاعل مؤثر في العلاقات الدولية، وداعم لمصالح الدول الأعضاء في ابعادها المختلفة داخليا وخارجيا، ولعل المغرب شكل جزء من هذا التوجه، ولا سيما التوجه الاقتصادي الجديد والذي وضع له المغرب استراتيجية نشرت رؤيتها وأهدافها ومحاور عملها في تقريرين لوزارة المالية وكذا من خلال الخطابات الملكية الأخيرة.

وتتبنى مقومات الاستراتيجية الاقتصادية للمغرب بإفريقيا، على اعتماد رؤية اقتصادية شاملة ومتكاملة ومندمجة اتجاه إفريقيا في المطلب الاول بالإضافة الى إعطاء القطاع الخاص والمقاولات العمومية دورا مهما في تعزيز الاستثمارات الاقتصادية بإفريقيا في المطلب الثاني.

المطلب الأول: نحو إقرار رؤية اقتصادية شاملة ومتكاملة ومندمجة اتجاه إفريقيا

لقد جعلت المملكة المغربية من التعاون مع القارة الإفريقية خيارا استراتيجيا، حيث وضعت على رأس أولويتها تعزيز وتطوير العلاقات في المجال الاقتصادي مع الدول الإفريقية، في إطار رؤية اقتصادية إقليمية شاملة ومتكاملة وحيوية ومندمجة في ما يعرف بشراكة جنوب - جنوب فعالة وتضامنية، هذا الخيار لا يروم فقط الحفاظ على الروابط المتجذرة مع دول إفريقيا أو ضمان توازن أفضل في علاقاتها مع الاقتصاديات الصناعية، بقدر ما يهدف الى جعل التنمية بإفريقيا التي تعاني الخصائص، رغم وفرة الموارد الطبيعية عملا تشاركيا وجهدا جماعيا¹.

ترتكز الاستراتيجية المغربية بإفريقيا على أسس مختلفة خاصة منها دعم التنمية المستدامة وتطوير المهارات البشرية وإشراك القطاع الخاص وكذا الفاعلين الجدد في نقل المعرفة وتبادل الخبرات وتستند الاستراتيجية المغربية على التعاون المالي ويتجلى ذلك في تقديم مساعدات مالية منتظمة الى الدول الإفريقية من خلال الوكالة المغربية للتعاون الدولي (AMCI)، التي يتمحور تدخلها من خلال تكوين الأطر والتعاون التقني والاقتصادي والمالي والعمل الإنساني في مجالات مختلفة كالتهذيب والصحة والطاقة المائية.

وجدير بالذكر، أن المبادرة الملكية، أثناء قمة إفريقيا - أوروبا التي عقدت بالقاهرة في أبريل 2000 التي احتضنتها العاصمة المصرية القاهرة المتعلقة بإلغاء ديون جميع الدول الإفريقية الأقل نموا، والتي تعكس الاهتمام الذي يولييه جلالة الملك لتنمية إفريقيا جنوب الصحراء بجميع مكوناتها وقد تم في هذا الصدد التوقيع، على مرسوم الإعفاء من طرف رئيس الحكومة في 10 دجنبر 2014.

كما عمل المغرب على تعزيز الانفتاح التجاري مع إفريقيا من خلال الإعفاء الكلي لصالح 34 دولة إفريقية الأقل نموا في القارة الإفريقية من رسوم الواردات قائمة من المنتجات الأساسية التي منشؤها هذه الدول، وذلك منذ فاتح يناير 2001 مما ساهم في تعزيز التكامل التجاري الإفريقي.

وفي هذا الصدد، عمل المغرب على تعزيز علاقات التعاون مع دول غرب إفريقيا و لاسيما مع الاتحاد الاقتصادي والنقدي لغرب إفريقيا (UEMOA) كما تتفاوض حاليا بشأن اتفاقيات الشراكة الحرة مع المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (EDEAO) والمجموعة الاقتصادية والنقدية لوسط إفريقيا (CEMAC)، كما يعمل المغرب على تشجيع الاستثمارات من وإلى إفريقيا، من خلال

¹ - انظر الاستراتيجية المغربية بإفريقيا: رؤية شاملة ومتكاملة، المصدر مديرية الخزينة و المالية الخارجية، مجلة المالية، العدد رقم 28 - غشت 2015، ص 4

نسج شبكة واسعة من الاتفاقيات الدولية، لحماية وتعزيز الاستثمارات ذات الطابع الثنائي والإقليمي، بلغت 69 اتفاقية للاستثمار، تشمل 65 اتفاقية ثنائية، و4 اتفاقيات إقليمية، وبذلك يحتل المغرب المركز الثاني في إفريقيا بعد مصر من حيث عدد الاتفاقيات الموقعة.

وقد كان من نتائج هذه التدابير والإجراءات، أن أصبح المغرب المستثمر الإفريقي الثاني في القارة بعد جمهورية جنوب إفريقيا، وتتميز هذه الاستثمارات المنجزة من قبل المؤسسات العمومية والقطاع الخاص في أكثر من 25 بلدا، بتنوع قطاعي، خاصة في القطاعات ذات القيمة المضافة العالية (البناء، الطاقة والمعادن، المعلومات والاتصالات، الخدمات البنكية، النقل، الصيدلة، الماء الصالح للشرب، والتعليم العالي الخاص...) ¹

ولقد سمحت الزيارات الملكية، للعديد من الدول الإفريقية، بوضع الإطار القانوني الملائم لتطوير علاقات الاستثمار والأعمال بين المغرب ومختلف شركائه الإفريقيين، وكذا تنويع مجالات التعاون، وذلك من خلال التوقيع على أزيد من 590 اتفاقية وبروتوكول في العديد من الميادين الحيوية، كالزراعة والتأهيل الحضري والتربية والبنية التحتية ².

من خلال هذا يتبين الدور المحوري الذي لعبته المؤسسة الملكية بإفريقيا، وتجسد ذلك في الزيارات المنتظمة للقارة، وما نتج عن ذلك من مساهمات كبيرة، قام بها القطاع العام والخاص لتعزيز نفوذ الدبلوماسية الاقتصادية، وكل ذلك سمح بتمكين المقاولات المغربية الخاصة والشبه عمومية من ولوج الأسواق الإفريقية.

المطلب الثاني: دور القطاع الخاص والمقاولات العمومية في تعزيز الاستثمارات الاقتصادية المغربية بإفريقيا

أفاد تقرير رسمي صدر مؤخرا عن مؤسسة تابعة لوزارة الاقتصاد والمالية وتحديث الإدارة، بأن الاستثمارات المغربية بالقارة الإفريقية، انتقلت من 907 مليون دولار عام 2007 إلى 5,4 مليار دولار عام 2019، أي ما يعادل 47% من إجمالي الاستثمارات الأجنبية المباشرة للمغرب في الخارج ³.

¹ - انظر، مرجع سابق، ص 5.

² - الندوي محسن الأهمية الاستراتيجية للدبلوماسية الاقتصادية في العلاقات المغربية الإفريقية مجلة العلوم السياسية والقانونية، المركز الديمقراطي العربي، العدد الثاني، مارس 2017، ص 110.

³ - انظر تقرير مديرية الدراسات والتوقعات المالية التابعة لوزارة المالية بتاريخ 2021/05/25

وتعتمد المقاولات العمومية وشبه العمومية على الأدوات الاقتصادية للسياسة الخارجية المغربية بإفريقيا، كما استفادت من آليات تحفيز الاستثمار المغربي بإفريقيا، وتشغل العديد من هذه المقاولات المغربية العمومية وشبه العمومية في إفريقيا كآليات اقتصادية في إطار ما يعرف بالسياسة الخارجية الإفريقية للمغرب، من أهم هذه المقاولات نجد على سبيل المثال:

- الخطوط الملكية المغربية (RAM)
- المكتب الشريف للفوسفاط (OCP)
- اتصالات المغرب (IAM)
- مجموعة التهيئة العمران

وقد ساهمت المقاولات العمومية وشبه العمومية في تيسير ولوج الاستثمار المغربي في القارة الإفريقية، ذلك أن الربط الجوي والبحري تزايد وساهم في حل مشكل النقل بإفريقيا بامتياز، فالخطوط الملكية المغربية (RAM) تتوفر على أكثر من 30 خط جوي مفتوح على إفريقيا بالإضافة إلى مكاتب تمثيلية في 11 دولة إفريقية¹.

كما يواصل المكتب الشريف للفوسفاط المغربي، سياسة الاستثمارية التوسعية في القارة السمراء بإنشائه مصنعين جديدين في كل من نيجيريا وغانا سيكونان جاهزان للعمل في سنة 2024، وسينضاف إلى هذان المصنعان الجديان، مصنع آخر للأسمدة بإثيوبيا، والذي سيكون جاهزا للخدمة في سنة 2023، أو في 2024، على أقصى تقدير.

بقدره للإنتاج تصل على 2,5 مليون طن سنويا من الأسمدة، وسيكون موجهًا للأسواق المحلية وأسواق التصدير.

ولقد عملت اتصالات المغرب أيضا في إفريقيا، من خلال مشاريع، وبذل جهود في الاستثمار والتنمية الشاملة، ولها استثمارات هامة بكل من موريطانيا واليابون ومالي وبوركينا فاسو وفي نفس السياق، دخلت مجموعة التهيئة العمران بقوة في مجال التعاون المغربي الإفريقي، وذلك من خلال الجولة الملكية الأخيرة، والتي همت زيارة لدولة جنوب السودان كأول مسؤول عربي وإفريقي من هذا المستوى لهذا البلد الإفريقي، وقد تم خلال هذه الزيارة توقيع عدة اتفاقيات أبرزها تلك التي التزمت بموجبها المملكة بتمويل دراسات الجدوى التقنية والمالية لمشروع بناء مدينة رامسيل كعاصمة

¹ محمد المودن، زكرياء إزم، الدبلوماسية الاقتصادية للمملكة المغربية اتجاه إفريقيا: الآليات والمنافسة مجلة مدارات سياسية، المجلد 1، العدد 4، مارس 2018 ص 246.

مستقبلية لدولة جنوب السودان، وتبلغ قيمة هذه الدراسات 5,1 مليون دولار، وستشرف على هذا المشروع مجموعة التهيئة العمران، وبدوره يشغل المكتب الوطني للكهرباء في إفريقيا التي انفتحت عليها انفتاحا معززا منذ سنة 2006 من خلال العدد من المشاريع التنموية¹.

بالنسبة للقطاع الخاص المغربي فقط انخرط بقوة الاستثمار بالقارة الإفريقية، وتعددت العوامل الدافعة إلى ذلك، خاصة أن بنية المبادلات المغربية، لا يمكن أن تبقى سجنية التفاعل مع أوروبا، فمصلحة أي اقتصاد رهينة بقدرته على تنويع مصادر مبادلاته حتي يستطيع في حالة الأزمات التقليل من الصدمة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يمكن للقطاع الخاص المغربي أن يستفيد من عنصر القرب الجغرافي ومن الارتباطات السياسية والثقافية والتاريخية، مع شعوب عدد من الأقطار الإفريقية².

وكإطار مؤسسي يمثل الاتحاد العام لمقاولات المغرب (CGEM) القطاع الخاص المغربي ومقاولاته، إذ يرافق جلالة الملك محمد السادس في جولاته وزياراته إلى إفريقيا، ممثلين عن (CGEM) في إطار الاستراتيجية الرامية، إلى تمكين المقاولات المغربية من ولوج السوق الإفريقية، وقد استفادت هذه المقاولات والشركات الخاصة من عديد الاتفاقيات التي كان آخرها مذكرة التفاهم التي وقعها الاتحاد العام لمقاولات المغرب، مع كل من رئيس الغرفة الوطنية الغانية للتجارة والصناعة، ورئيس فيدرالية أرباب العمل بزامبيا، والقاضية بإنشاء مجلس الأعمال المغربي- الغاني ومجلس الأعمال المغربي الزامبي، إضافة إلى مذكرة تفاهم التي وقعت بين الاتحاد العام لمقاولات المغرب، وفيدرالية جنوب السودان للمقاولات والمشغلين، وكان في آخر جولة للملك محمد السادس لكل من غانا وزامبيا³.

وفي هذا الاتجاه يعمل الاتحاد العام لمقاولات المغرب (CGEM)، على تشجيع المقاولات المغربية على الاستثمار ببلدان إفريقيا جنوب الصحراء، إذ تشكل اللجنة الإفريقية التابعة للاتحاد العام لمقاولات المغرب، من خلال المعلومات التي تبثها عن المناطق والدول الإفريقية، بديلا حقيقيا "المغرب التصدير" لدى المقاولات المغربية، كما يتوفر الاتحاد العام لمقاولات المغرب على أربعة

¹ - الحسان بوقطار، السياسة الخارجية المغربية: 2000-2013، الرباط، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، العدد 86، 2014، ص 131.

² - La direction de Brahim Fassi Fihri (2015) le Maroc en Afrique: la voie Royale, sous institut AMADEUS p 24.

³ الحسناوي لحسن، دور المحدد الاقتصادي في العلاقات المغربية الإفريقية في ظل التنافس الدولي على القارة الإفريقية- المغرب- سلا - رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، جامعة محمد الخامس- كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية 2009- ص 71

وعشرين لجنة، أبرزها لجنة العلاقات جنوب- جنوب التي حلت مكان اللجنة الإفريقية، وتتولى هذه اللجنة تشجيع الاستثمار في إفريقيا وتدعيم التعاون جنوب- جنوب¹.

المبحث الثاني، تحديات تأثير المنافسة الاقتصادية للقوى الدولية على التوجه الاقتصادي المغربي بالقارة الإفريقية

لقد أثبتت التجارب الدولية، أن المنافسة العالمية الحالية، هي منافسة اقتصادية بالأساس، تعتمد في تقييمها على معدلات النمو المرتفعة، وتدفقات الاستثمار الأجنبي الهائلة، ونسب الصادرات المتنامية، فالتوسع في الصادرات يحتاج إلى فتح المزيد من الأسواق، وكسب رضا أكبر عدد ممكن من المستهلكين، وهذا يتطلب استراتيجية تسويقية دولية²، لذلك فالقوى الدولية والصاعدة، تسخر كل إمكانياتها، في خصم المنافسة، من أجل أن تتبوأ مراكز متقدمة في هذه المؤشرات، وبالتالي تعزز نفوذها في القارة السمراء، ولمعالجة هذا المبحث من كل جوانبه سنرأى تشطيره إلى مطلبين: أولهما سنخصه للحديث عن القوى الدولية المنافسة للمغرب بإفريقيا، وثانيهما سنعنونه بالقوى الصاعدة المنافسة للمغرب بإفريقيا.

المطلب الأول: القوى الدولية المنافسة للمغرب بإفريقيا

لقد شكل الموقع الاستراتيجي الهام للقارة الإفريقية، مما جعلها تعرف سباقا محموما من قبل العديد من القوى الدولية الكبرى في العالم، والتي سعت وتسعى دائما، إلى تعزيز موقعها في كل شبر من هذا العالم، بغية اقتناص الفرص، التي توفرها القارة وثرواتها، وتندرج كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا ضمن خانة، ما يعرف بالقوى الدولية التقليدية المنافسة للتوجه الاقتصادي المغربي بالقارة الإفريقية، ففرنسا ترتبط بإفريقيا ارتباطا وثيقا، نظرا لمخلفات الحقبة الاستعمارية، التي حظيت خلالها بنفوذ قوى، على مستوى القارة الإفريقية ولازال مستمرا لحد اليوم، لكن بدرجة متفاوتة من حيث الأهمية نظرا لدخول عدة قوى خط المنافسة، ومن بين هذه القوى نجد الولايات المتحدة الأمريكية التي بنت علاقاتها بإفريقيا عبر المقاربة الأمنية، دون أن ننسى فيدرالية ألمانيا من خلال عودتها القوية للاستثمار بالقارة السمراء.

¹ - Fassi Fihri, p 25-26.

² - خالد العيموني، البعد الإفريقي في السياسة الخارجية المغربية في عهد الملك محمد السادس، المغرب، سلا، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، 2010، ص 56.

أولاً: فرنسا

يعتبر الاقتصاد ركيزة أساسية، في لعبة التنافس الدولي على القارة الإفريقية، فلقد كانت إفريقيا على الدوام مطمعا للقوى الدولية الساعية، إلى استغلال ثروات القارة المتنوعة، فالموارد الطبيعية، الزراعية الطاقية وحتى البشرية، غنية جدا، وتشكل محفزات قوية لدول عديدة، من أجل إقامة جسور للتواصل والتجارة، بأهداف اقتصادية وقد امتاز القرن الماضي بالنفوذ الفرنسي والبريطاني على إفريقيا، بحكم سنوات الاستعمار والتأثير اللغوي والثقافي لهاتين الدولتين على الدول الإفريقية، الأمر الذي انعكس على الجوانب الاقتصادية والتجارية¹، فكانت فرنسا في طليعة المتهافتين على ثروات إفريقيا، من حيث استخراج الطاقة، والاستفادة من المحاصيل الفلاحية، والأيدي العاملة، علاوة على توجيه الشركات والمؤسسات الاقتصادية لإفريقيا باعتبارها سوقا استراتيجية خالية من المنافسة، ويمكن فيها تحقيق أرباح طائلة، بعيدا عن الأسواق الأوروبية التي ما فتئت تعاني من التثبع الاستهلاكي، والتضخم المالي، المؤثرين على التنافسية.

وفي هذا السياق، توظف فرنسا ضمن سياستها الخارجية، تجاه إفريقيا في المجال الاقتصادي عدة آليات، تتوخى من خلالها الحفاظ على نفوذها في القارة وتعزيزه.

1- **القطاع الخاص الفرنسي:** بدأ القطاع الخاص الفرنسي، في تنظيم ضغوطه لمواجهة المنافسة المتصاعدة من خلال مؤسسات، مثل اتحاد صناعات البناء والانشاءات (الاتحاد الوطني للأشغال العامة)، ومؤسسات أعمال أخرى مثل المجلس الفرنسي للاستثمار في إفريقيا السوداء (CIAN)، ومؤسسة ميديف انترناسيونال المهيمنة، وتكمن من أجل حشد دعم الحكومة الفرنسية والمفوضية الأوروبية، والبنك الدولي، لمساندتهم فيما سموه معركة المبادئ، بغية الحصول على مساحة تحرك اوسع عند التنافس على مشروعات البنية التحتية في إفريقيا، الممولة، من قبل المانحين الدوليين.²

ومن أهم الشركات الفرنسية المستثمرة في إفريقيا، نجد ألتوم في مجال تولية الطاقة، شنايدر الكتريك (Electric schneider) في مجال الكهرباء، وسانوفي Sanofi في مجال صناعة الأدوية وتسويقها، وشركة Orange في مجال الاتصالات، وشركة (AREVA) في مجال استغلال واستخراج اليورانيوم.

¹ - يونس بلفلاح، المقاربة الفرنسية الجديدة في إفريقيا، تقارير مركز دراسات الجزيرة بتاريخ 14 فبراير / شباط 2018، ص 4.

² FASSI FIGHRI, P 135.

2- **المساعدات الدولية:** مسألة المساعدات تندرج في أبعادها القيمية والأخلاقية والقانونية ضمن باب التعاون الدولي، وترتكز العلاقات الاقتصادية بين فرنسا وإفريقيا أيضا على المساعدات الانمائية الرسمية، والتي هي تلك التدفقات الرسمية من الموارد المقدمة إلى أقل البلدان نموا لتعزيز التنمية الاقتصادية وتحسين الحياة¹، كما تلقت إفريقيا مساعدات ثنائية من فرنسا سنة 2010 قدرت بقيمة 3,2 مليار دولار.

ثانيا: الولايات المتحدة الأمريكية

تؤكد العديد المؤشرات والدلائل ، على دخول الولايات المتحدة الأمريكية، بشكل حثيث خلال السنوات الأخيرة، في نمط من العلاقات التفاعلية مع القارة الإفريقية، بشكل يولي الاعتبار الأمنية والمصلحية أولوية قصوى، فبعد أن حصرت الحرب الباردة الاهتمام الأمريكي في محاربة النفوذ الشيوعي في القارة الإفريقية، ودعم بعض الدول الموالية، وشهد عقد التسعينات بعد ذلك مراجعة كبيرة لتوجهات السياسة الأمريكية، وتحويل الاهتمام، والموارد الأمريكية إلى مناطق نفوذ الاتحاد السوفياتي سابقا، في أوروبا الشرقية وشرق آسيا، وهو ما أدى إلى تهميش إفريقيا في منظومة العلاقات الدولية للولايات المتحدة، وبعدها جاءت أحداث 11 سبتمبر 2001، لتحديث تغيرا هائلا في منحى السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه إفريقيا².

وقد استهدفت السياسة الأمريكية في القارة الإفريقية، السيطرة الاقتصادية على القارة وربطها بالاقتصاد العالمي، ومن أجل ذلك وظفت الولايات المتحدة الأمريكية عدة آليات أهمها:

1- **قانون الفرص والنمو (AGOA):** تم التوقيع عليه ليصبح قانونا في عام 2000، وتم تبنيه من طرف إدارة بوش، ويهدف إلى تشجيع التجارة والاستثمار بين الولايات المتحدة الأمريكية وإفريقيا، من خلال منح امتيازات تجارية لصالح الدول التي تحقق نتائج إيجابية، في ما يخص الديمقراطية والحكامة الجيدة، والانفتاح الاقتصادي، ويسمح قانون الفرص والنمو لإفريقيا وخاصة 39 بلدا إفريقيا مؤهلة، بتصدير معظم منتجاتها، من دون رسوم جمركية إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

2- **القمة الأمريكية الإفريقية،** لقد انعقدت أول قمة أمريكية إفريقية في غشت 2014، على مدى ثلاثة أيام بواشنطن، وقد حضرها 47 زعميا إفريقيا، والتي أعلن عن أهدافها الرامية إلى تعزيز العلاقات

¹ - محمد المودن، زكرياء إزم، مرجع سابق، ص 264

² - الهوسي سعيد، الأبعاد الأمنية الأمريكية الجديدة بإفريقيا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 المغرب، سلا ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، لكية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية 2016، ص 365

الأمريكية الإفريقية، بالتركيز على التجارة والاستثمار في القارة، وكذلك على الالتزام بأمن القارة وتطورها الديمقراطي يجعلها في مقدمة أولويات السياسات المشتركة، وتم الإعلان في نهاية القمة عن استثمارات أمريكية بلغت قيمتها 33 مليار دولار، تهدف إلى تعزيز التنمية بإفريقيا.

3- مجلس المقاولات حول إفريقيا (CCA): تم إنشاء مجلس للمقاولات حول إفريقيا (Copperate Council on Africa)، الذي يقوم بتدعيم روابط الأعمال بين الولايات المتحدة الأمريكية وإفريقيا منذ 1992، ويشكل هذا المجلس من المقاولات، الشركات، المنظمات، ويهدف إلى تطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية، ويمثل هذا المجلس أكثر من 85% من الاستثمارات الخاصة الأمريكية في إفريقيا¹.

وبفضل هذه الآليات حققت المعاملات التجارية بين الولايات المتحدة وإفريقيا أرقاما هامة جدا، ففي سنة 2013 شكلت كل من جنوب إفريقيا بنسبة 30,4%، ونيجيريا، 27,1%، أنغولا 6,25% وغانا 4,85% والتوغو 4% أفضل خمسة أسواق إفريقية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية².

السنة	الصادرات الأمريكية إفريقيا	الواردات الأمريكية إفريقيا
يناير 2017	1,482,7	2,780,7
فبراير 2017	1,768,5	2,224,1
مارس 2017	2,124,8	2,525,6

الجدول رقم 1: قيمة التجارة الأمريكية الإفريقية في سنة 2017³

ويوضح الجدول رقم 01 قيمة التجارة الأمريكية الإفريقية في الثلاث أشهر من سنة 2017، والملاحظ أن الصادرات الأمريكية لإفريقيا تعرف ارتفاعا ملحوظا عكس الواردات الأمريكية من إفريقيا، وتقتصر الواردات الأمريكية من إفريقيا بشكل كبير على السلع الأساسية مثل النفط، الذي يحتل نسب هامة والمعادن والكافو والبن.

وتجدر الإشارة، أن المغرب يعد حليفا استراتيجيا للولايات المتحدة الأمريكية بإفريقيا، أما في ما يخص المنافسة بين الآليات الاقتصادية، وما يقابلها من آليات أمريكية في إفريقيا، فالولايات المتحدة

¹ (Foujas; <http://www.jeuneafrique.com>)

² مركز الإحصاء الأمريكي، 11 أبريل 2018.

³ مركز الإحصاء الأمريكي، مرجع سابق.

تركز في تنافسها الاقتصادي بشكل هام، من أجل الحفاظ على مصادر الطاقة البترولية، والمغرب ولج بمقتضى الاتفاق المبرم مع نيجيريا حول أنبوب الغاز المغربي- النيجيري سوق الطاقة، وذلك باعتبار ه حلقة وصل بين المنتج والبلدان الإفريقية، فالسؤال المطروح في هذا الصدد: في ظل التقلبات الانتخابية الأمريكية بين الجمهوريين والديمقراطيين، هل يهدد هذا المشروع الهام المصالح والموارد الطاقية الأمريكية بإفريقيا؟

ثالثا: ألمانيا

ازدادت أهمية إفريقيا بالنسبة لألمانيا، بعدما كانت غائبة عنها بدرجة أو بأخرى. حتى وقت قريب، وقد لعبت عدد من التحولات الرئيسية دورا في صعود القارة على رأس أولويات أجندة السياسة الخارجية الألمانية، في مقدمتها اندلاع أزمة اللاجئين وهجرة الأفارقة إلى أوروبا في سنة 2015، إلى جانب تصاعد نشاط الإرهاب وشبكة الجريمة المنظمة في إفريقيا، ورغبة برلين في لعب دور أكبر في القارة، ما دفعها إلى إيلاء المزيد من الاهتمام لإفريقيا، والذي تجلى في عدة مستويات، في ضوء تنامي المصالح، والدوافع الألمانية تجاهها، الأمر الذي يعزز مستقبلا النفوذ الألماني بالقارة.

ثمة عدد من المداخل، التي تتبناها برلين، في سبيل تعزيز حضورها ونفوذها في إفريقيا، أبرزها ما يأتي:

- **المدخل السياسي والدبلوماسي:** تحظى إفريقيا بأهمية متزايدة في سياسة برلين، حيث تعد الزيارات المتكررة للمستشارة الألمانية ميركل إلى عدد من الدول الإفريقية وتبني الاستراتيجية الجديدة، بمثابة إشارات إلى إدراك الحكومة بالمصالح الاستراتيجية الألمانية المتزايدة في القارة، حيث عقدت برلين ثلاث مؤتمرات رئيسية لإفريقيا خلال الفترة من 2017 إلى 2019¹.

- **المدخل الاقتصادي:** تستهدف ألمانيا توثيق علاقاتها الاقتصادية مع إفريقيا، ووضع سياسات ناجعة، بشأن التنمية والحد من الهجرة غير الشرعية، حيث تستثمر حوالي 9 مليارات دولار في إفريقيا سنويا². كما يبلغ حجم تجارتها مع دول القارة حوالي 50 مليار دولار³، وتعد جنوب

¹ Christina Okello, Germany's Merkel urges more investment in Africa, rfi, 21 November 2019, available at: <http://bit.ly/2zn2udu>.

²- Germany Africa, Germany- Africa relations warm up, 11 January 2017, available at http://bit.ly/****

³- South world, Germany Military and strategic investment t in Africa, September 2014, Available at (<https://bitly/2cjpctB>).

إفريقيا ونيجيريا وغانا وكينيا وأنغولا أكبر خمسة شركاء اقتصاديين لألمانيا في القارة، وهناك حوالي 1000 شركة ألمانية تقوم بأعمال تجارية في إفريقيا¹.

– **المدخل الأمني:** ترغب ألمانيا إلى جانب دورها السياسي والاقتصادي والانساني المتصاعد في إفريقيا، أن تلعب دورا عسكريا بشكل أكبر في هذه القارة، وهو ما تجلّى في تعزيز الوجود العسكري الألماني ضمن البعثات الأهمية لحفظ السلام، حيث قامت في بداية 2020 بتمديد فترة عمل قوتين عسكريتين في مالي والقرن الإفريقي، ومساندة بعض الدول الإفريقية في مجال التدريب العسكري ومحاربة الارهاب.

– **المساعدات التنموية:** تمثل مدخلا مهما لتعزيز السياسة الألمانية في إفريقيا في ظل الأوضاع الاقتصادية والانسانية الصعبة التي تشهدها الكثير من الدول الإفريقية.

وتجدر الإشارة، إلى أن قضية الهجرة غير الشرعية وتزايد أعداد اللاجئين يظل الشغل الشاغل لبرلين وسياستها تجاه إفريقيا خلال المرحلة المقبلة، بالإضافة إلى تحد آخر يتعلق بإشكالية طمأنة الشركات والمستثمرين الألمان، للتوجه نحو السوق الإفريقية خلال الفترة المقبلة، لتعزيز العلاقات الاقتصادية بين ألمانيا وإفريقيا، وزيادة النفوذ الألماني ومحاولة موازنة دور القوى الكبرى الأخرى في القارة.

المطلب الثاني: القوى الصاعدة الجديدة للمغرب بإفريقيا: الصين – الهند- تركيا:

وجد شركاء إفريقيا الغربيون التقليديون أنفسهم في مواجهة مع التحدي الناجم عن انخراط الصين والهند وتركيا (القوى الصاعدة الجديدة)، إذ تعد كل من الصين والهند وتركيا من البلدان، التي استفادت بشكل كبير من مستجدات النظام الدولي، إذ ساهمت هذه المستجدات، إضافة إلى سياساتها الاقتصادية الناجحة، التي رفعت من قيمة اقتصادياتها في أن تصنف من البلدان الصاعدة، نظرا لما حققوه من مستويات جد متميزة على صعيد التنمية الاقتصادية.

أولا: الصين

تعد العلاقات الصينية الإفريقية من العلاقات المتميزة، ويتضح ذلك من خلال أوجه التعاون بين الصين والقارة الإفريقية في مجالات السياسية والاقتصاد والثقافة، وتمتد هذه العلاقة إلى قديم

¹ - Bob koig, Africa has mixed reaction to Germany's marshal plan "proposal, Euractiv, 7 December 2016, Available at: <https://bit.l.y/3iP3N6G>.

الزمن، ولكن نشطت وتقدمت العلاقة منذ منتصف القرن العشرين، مما طرح تساؤلا عما إذا كانت هذه العلاقة بديلا للنفوذ الغربي؟

تبنت الصين سياسة نشطة، تجاه القارة الإفريقية بعد انتهاء الحرب الباردة، وذلك سواء على المستوى السياسي، أو من خلال المستوى الاقتصادي، من حيث المساعدات والاستثمارات

والتبادل التجاري، أو من خلال التعاون الثقافي والإعلامي، والتعاون العسكري، حيث احتلت الصين المركز الثالث في مبيعات الأسلحة في القارة الإفريقية، في الفترة ما بين 2003 – 2006¹، بالرغم من أن الصين تقوم بتعزيز القوة الناعمة، وتواصل الصين والدول الإفريقية أنشطتها الاقتصادية فيما يعرف بمنتدى التعاون الصيني الإفريقي – تعميق هذا النوع الجديد من الشراكة، وأصبحت الصين أكبر شريك تجاري لإفريقيا، فهي الشريك التجاري الأول لإفريقيا منذ سنة 2009، وتعتبر إفريقيا المصدر الرئيسي للصادرات من الموارد الطبيعية للصين، وبلغ حجم التجارة بين الصين وإفريقيا 10,8² مليار دولار لسنة 2001، وازداد إلى 198,49 مليار دولار أمريكي في سنة 2012، ووصل إلى 222 مليار دولار في سنة 2014.³

وتصدر إفريقيا جنوب الصحراء، المنتجات الخام والمواد الأولية والتي تمثل 34% من الصادرات، والمعادن، تمثل 27% من الصادرات، وكذلك الوقود وذلك حسب بيانات " World Integrated Trade Solution (WITS) " لسنة 2016.⁴ وتستورد إفريقيا جنوب الصحراء من الصين السلع الرأسمالية والآلات والمعدات والسلع الاستهلاكية.

وإجمالا، يمكن القول إن الصين رغم استعمالها لكثير من أدوات القوة الناعمة (ثقافيا، واجتماعيا، واقتصاديا...)، إلا أن أدوات القوة الاقتصادية هي التي تلعب الدور الأساس في العلاقات الصينية الإفريقية، حيث أنها تتبع مبادئ ساهمت في تحقيق التوسع الصيني بالقارة الإفريقية، وتنشيط

¹ - Kent Hughes Butts and Brent Bankus, « China's pursuit of Africa's Naturel Resources » (Pennsylvania: Collins Center Study for Strategic Leader Ship (CSL); U. S Army war College, Vol. 1-09; 2009), p 8.

² - محمد شوقي عبد العالي، العلاقات الصينية الإفريقية وقضايا القارة في المنظمات الدولية، ج. م. ع: الهيئة العامة للاستعلامات، مجلة آفاق إفريقية، المؤتمر الوزاري الرابع لمنتدى التعاون بين مصر وإفريقيا، شرح الشيخ المجلد التاسع، العدد الثلاثون، عدد خاص – نونبر 2009)، ص 45.

³ - TAZARA: هو خط سكك حديد ثنائي لقومية مملوك بصورة مشتركة لحكومتى جمهورية طانزانيا المتحدة وجمهورية زامبيا على أساسه، ثم بناء خط السكك الحديدية، الذي يبلغ طوله 1860 كلم كمشروع تسليم المفتاح، بدعم مالي من جمهورية الصين الشعبية، ما بين سنوات 1970 و1975، يربط بين زامبيا غير الساحلية والميناء البحري لدار السلام في طانزانيا.

⁴ - The World Integrated Trade Solutions (WITS). <http://wits.worldbank.org>.

التجارة بين الصين والدول الإفريقية، بل والتوسع في الاستثمار الصيني بالقارة، ومساهمة الصين في دفع التنمية للبنية التحتية لدول القارة الإفريقية.

وساهم هذا التوسع، في دعم مبادرة "الحزام والطريق" التي دعا إليها الرئيس الصيني شي جين بينغ عام 2013، وهي تسعى إلى تطوير "حزام اقتصادي على طول طريق الحرير البحري للقرن الواحد والعشرين".

ثانيا: الهند

لقد اتسمت العلاقات الهندية بالدول الإفريقية، بالتغير التدريجي، وفقا للمراحل التي تمر بها، وعملت الهند بعد أن شهد النظام الدولي، تطورا كبيرا على توجيه سياستها الخارجية نحو تحقيق أهداف جديدة منسجمة، مع المدخل التقليدي للبلد، وادراكات الميدان العالمي، وأصبح تعزيز العلاقات الثنائية مع دول القارة الإفريقية هدفا استراتيجيا للهند.¹

يرجع تزايد النفوذ المتنامي للهند، في الساحة السياسية والاقتصادية إلى الاستراتيجية الوطنية الهندية القائمة على الديمقراطية والتقدم التكنولوجي، وكذا تزايد مشاركتها النشيطة في صنع قرارات السياسة الدولية، وكانت العديد من المؤشرات تشير إلى أن الهند، بما في ذلك توقعات مجموعة كولمان ساكس، وتقرير مجموعة الاقتصاد لعالمي 2007، لديها القدرة على استدامة النمو السنوي بنسبة 8% إلى غاية 2020، كما يتوقع أنها ستتجاوز الولايات المتحدة الأمريكية في الناتج المحلي الإجمالي بحلول 2050. وتبعاً لذلك، زاد الحضور الهندي في إفريقيا بشكل كبير خلال السنوات القليلة الماضية، نتيجة روابطها التاريخية مع الدول النامية في حركة عدم الانحياز.²

إن الهند شأنها شأن أي دولة، تسعى من وراء تقوية علاقاتها، بدول القارة الإفريقية إلى تحقيق أهداف عدة، وهي وإن بدت تخدم المصالح الهندية الإفريقية المشتركة، إلا أنها في المحصلة تخدم المصالح الهندية الصرفة أولاً وقبل كل شيء.³

1 - الهوسي سعيد، مرجع سابق، ص 457.

2 - بولحسن محمد حمزة، مبادرة التنمية في إفريقيا: الشراكة الجديدة لتنمية إفريقيا نبياد نموذجاً - المغرب، سلا: أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، 2016، ص 233.

3 - محمد المودن - زكرياء ازم، مرجع سابق، ص 273.

ومن أجل تحقيق أهدافها وظفت الهند آلية القمم والمنتديات الهندية الإفريقية (القمم الهندية الإفريقية)، وعلى غرار ما تقوم به الدول الكبرى، والتي لها نفوذ في القارة الإفريقية كالولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، والصين، واليابان، عملت الهند على تعزيز علاقاتها مع بلدان القارة الإفريقية، من خلال عقد مؤتمرات، والقمم الهندية الإفريقية، التي تعد بمثابة الإطار المؤسسي، الذي تعلن من خلاله، خطط التعاون، وانهقدت القمة الهندية الإفريقية الأولى في العاصمة الهندية نيودلهي في أبريل 2008، بمشاركة الهند و14 من ممثلي الدول والمنظمات الإفريقية، وقد جاءت القمة نتاج جهد هندي بدأ منذ سنوات تجسيدا للفكرة التي تم طرحها بعد زيارة رئيس مفوضية الاتحاد الإفريقي آنذاك ألفا عمر كوناري إلى الهند عام 2006، وقد أعلنت الهند في القمة، عن مبادرة لتقديم معاملة تفضيلية بالنسبة للواردات القادمة إلى الأسواق الهندية، من خلال تطبيق نظام إلغاء تعريف الرسوم الجمركية لصادرات 34 دولة إفريقية.

وفي نيودلهي 2015، انهقدت القمة الثالثة الهندية الإفريقية، إذ في كلمته خلال الجلسة الافتتاحية، قال الوزير الأول الهندي ناري ندرا مودي إن الشراكة الاستراتيجية بين الهند وإفريقيا تتجاوز الانشغالات والمنافع الاقتصادية، وأنها تقوم على الروابط العاطفية وروح التضامن التي تجمعهما، واعتبر مودي هذه القمة "وعدا جديدا" يستحضر ذاكرة النضال المشترك، من أجل بناء مستقبل مشرق للهند وإفريقيا، موضحا أن الحضور الهام لقادة ورؤساء الحكومات الإفريقية يعد دليلا قويا على الالتزام بالوفاء بهذا الوعد. وتتركز الاستثمارات النفطية الهندية في شرق إفريقيا، وبخاصة السودان بوصفها أكبر منتج للنفط في منطقة شرق إفريقيا، كما تعد الهند خامس أكبر دولة من حيث الاستثمار الأجنبي المباشر في القارة، وقد ارتفعت صادرات الهند إلى إفريقيا من 7 مليارات خلال عامي 2005/2006 إلى حوالي 25 مليار دولار، كما أن الواردات الهندية من إفريقيا في نفس الوقت من 5 مليارات دولار إلى 31 مليار دولار، ووصل التبادل التجاري بين الهند وإفريقيا سنة 2016 إلى 72 مليار دولار.¹

ثالثا: تركيا

اتجهت أنظار الدول الكبرى إلى إفريقيا، وحرصت هذه الدول على تنظيم ما عرف بالشرابات الاستراتيجية مع القارة السمراء من خلال الاتحاد الإفريقي، ولذلك وجدنا كلا من أمريكا الصين

¹ -Fassi Fihri, p 154.

وأوروبا تنظم قمما للشراكات الاستراتيجية الدورية مع هذه القارة، وكذلك فعلت بعض الدول الصاعدة، ومن بينها تركيا.

وقد مهدت تركيا لتلك الاستراتيجية من خلال توسيع رقعة تمثيلها الدبلوماسي في إفريقيا، فارتفع عدد سفاراتها بإفريقيا من 12 سفارة فقط عام 2003 إلى نحو 39 سفارة الآن.

يضاف إلى ذلك، تطور لعلاقات الخاصة بالجانب التعليمي وتقديم المنح التعليمية من قبل تركيا لأبناء الدول الإفريقية، وكذلك الجانب الصحي والعمل الخيري من قبل منظمات خيرية تركية، سواء كانت تلك المنظمات تابعة للحكومة أو تابعة للمجتمع المدني¹.

أقيمت أول قمة اقتصادية تركية إفريقية عام 2008 بإسطنبول، والتي شاركت فيها 49 دولة إفريقية، وفي نفس العام أعلن الاتحاد الإفريقي، أن تركيا شريك استراتيجي للقارة، وفي أواخر عام 2014، عقدت القمة الاقتصادية الثانية بين الطرفين بمالابو في جمهورية غينيا الاستوائية.

ويقدم حجم الاستثمارات التركية بإفريقيا، بنحو 7 مليارات دولار عام 2014، وتتميز الاستثمارات التركية في إفريقيا بحرصها على توظيف اليد العاملة المحلية، ففي عام 2015 بلغ عدد فرص العمل التي أوجدتها الاستثمارات التركية نحو 16,5 ألف فرصة عمل، إلا أن بعض التقديرات، تذهب أن الاستثمارات التركية التراكمية في إفريقيا، نجحت في توفير نحو 100 ألف فرصة عمل، ولكن ثمة جانب مهم وبارز في سماء العلاقات الاقتصادية التركية الإفريقية، هو مساهمة قطاع المقاولات التركي، الذي أقام قرابة 1150 مشروعاً في مجالات مختلفة للبنية الأساسية، وتقدر هذه الأعمال بنحو 70 مليار دولار.

وتركز الشركات التركية، في استثماراتها بإفريقيا على قطاعات بارزة منها: البناء والتشييد، والبنية التحتية، وتجارة الجملة والتجزئة، وصناعة الملابس والمنسوجات، والطاقة، والصناعات المعدنية، إلا أن قطاع البناء والتشييد والبنية التحتية، يعتبر صاحب النصيب الأكبر من الاستثمارات التركية في إفريقيا، وتقدر أعمال المقاولين الأتراك في إفريقيا بنحو 20% من إجمالي أعمالهم الخارجية على مستوى العالم.²

1 - عبد الحافظ الصاوي، تركيا وإفريقيا - سمات وأبعاد الشراكة الاستراتيجية، منشور بمركز الجزيرة للدراسات الصفحة الاقتصادية، بتاريخ 2020/12/1، ص 1.

2 - باسل الحاج جاسم، تركيا وإفريقيا إلى شراكة استراتيجية، بتاريخ 7 مايو 2015، على الرابط: <https://goo.le/g5NMXe>-<https://goo.gl/g5NMXe>

وتركزت الاستثمارات لتركية خلال الفترة من 2010 إلى 2019 في إفريقيا على مجموعة من الدول ومن بينها الجزائر، إثيوبيا، السنغال، ليبيا، الموزمبيق، غينيا، الغابون، نيجيريا، الكونغو، رواندا، تونس والكاميرون.¹

ويحمل المشروع التركيبة في المساحات التي يتحرك بها طابعين مهمين، وهما الطابع التنموي والطابع الإنساني، وهنا بعدان تفتقدهما المشروعات الأخرى التي توجد وتعمل في إفريقيا، حيث يتم التركيز على استنزاف خبرات القارة الإفريقية ودفع النزر اليسير لأهلها.

وتعكس الممارسة التركية، في جانبها الاقتصادي ترجمة حقيقية لمفهوم الشراكة، حيث تعمل عادة على إنشاء مشروعات إنتاجية، حقيقية في البلدان الإفريقية، وتحرص على وجود شراكات مع مواطني كل دولة، في حين أن المشروعات الأخرى، ترفع شعار المشاركة، وفعليا تذهب إلى الممارسات التجارية، التي عادة ما تكون في غير صالح الدول الإفريقية.

الخاتمة:

لقد ظلت المملكة المغربية لفترة زمنية، خارج الإطار المؤسسي للقارة الإفريقية، في كيان الاتحاد الإفريقي، إلا أنها عادت بقوة إلى هذا الإطار المؤسسي وهو ما تجسد ذلك في مؤتمر القمة الذي انعقد يومي 30 و31 يناير 2017 بأديس أبابا بإثيوبيا. وقد عرفت السياسة الخارجية المغربية بشكل عام، تحولات عميقة منذ اعتلاء لملك محمد السادس العرش، إذ تم اعتماد استراتيجية شاملة، تهدف إلى إعادة تموقع المغرب دوليا وإقليميا، وبرزت أركان هذه الاستراتيجية، وثمارها بشكل واضح في الجانب، المرتبط بالسياسة الخارجية المغربية اتجاه إفريقيا، فقد وظف المغرب في هذا الجانب آليات وأدوات متنوعة، بتنوع المجالات بين ما هو دبلوماسي، وما هو سياسي من خلال المقاربة السياسية، وما هو اقتصادي من خلال الدبلوماسية الاقتصادية القائمة على شعار رابح – رابح.

وعلى الرغم من المنافسة القوية للقوى الاقتصادية الدولية الكبرى، وكذلك الاقتصاديات الصاعدة الناشئة، استطاعت الدبلوماسية الاقتصادية المغربية أن تجد لها مكانا في المجال الاستثماري

¹ - مصطفى صلاح: الدور التركي في إفريقيا ... اقتصاد يحرك السياسة – مركز البديل للتخطيط والدراسات الاستراتيجية، أوراق بحثية، 2018/04/17، ص 8.

بالقارة الإفريقية، ومستقبلا قد تكون من كبار المنخرطين الأقوياء في عالم الاستثمار الاقتصادي بإفريقيا.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية

الكتب

1. الحسان بوقنطار، السياسة الخارجية المغربية: 2000 – 2013، الرباط، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، العدد 86، 2014.

الأطروحات والرسائل الجامعية

1. الهوسي سعيد، الأبعاد الأمنية الأمريكية الجديدة بإفريقيا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، المغرب، سلا – أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، 2016.
2. بولحسن محمد حمزة، مبادرة التنمية في إفريقيا: الشراكة الجديدة لتنمية إفريقيا نبياد نموذجا – المغرب – سلا – أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، 2016.
3. الحسناوي لحسن، دور المحدد الاقتصادي في العلاقات المغربية الإفريقية في ظل لتنافس لدولي على القارة الإفريقية – المغرب – سلا، رسالة لنيل دبلوم لدراسات عليا المعمقة في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، 2009.
4. خالد العيموني، البعد الإفريقي في السياسة الخارجية المغربية في عهد الملك محمد السادس، المغرب – سلا – رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، 2010.

المجلات والندوات

1. الاستراتيجية المغربية بإفريقيا: رؤية شاملة ومتكاملة، المصدر منشورات مديرية الخزينة والمالية الخارجية، مجلة المالية، العدد 28، غشت 2015.
2. محسن الندوي، الأهمية الاستراتيجية للدبلوماسية الاقتصادية في العلاقات المغربية الإفريقية، مجلة العلوم السياسية والقانونية، المركز الديمقراطي العربي، العدد الثاني، مارس 2017.
3. محمد المودن وزكرياء إزم، الدبلوماسية الاقتصادية للمملكة المغربية اتجاه إفريقيا: الآليات والمنافسة، مجلة مدارات سياسية، المجلد 1، العدد 4، مارس 2018.
4. يونس بلفلاح، المقاربة الفرنسية الجديدة في إفريقيا، تقارير مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ 14 فبراير / شباط 2018.
5. محمد شوقي عبد العال، العلاقات الصينية الإفريقية وقضايا القارة في المنظمات الدولية، ج. م. ع: الهيئة العامة للاستعلامات، مجلة آفاق إفريقية، المجلد التاسع، العدد 30، نونبر 2009.
6. عبد الحافظ الصاوي، تركيا وإفريقيا ... سمات وأبعاد الشراكة الاستراتيجية، منشورات مركز الجزيرة للدراسات، الصفحة الاقتصادية، بتاريخ 2020/12/1.
7. مصطفى صلاح، الدور التركي في إفريقيا – اقتصاد – محرك السياسة، مركز البديل للتخطيط والدراسات الاستراتيجية، أوراق بحثية، 2018/04/17.

التقارير:

1. تقرير مديرية الدراسات والتوقعات المالية التابعة لوزارة الاقتصاد والمالية بتاريخ 2021/05/25.

المواقع الإلكترونية:

1. الموقع الرسمي لمركز الإحصاء الأمريكي.
2. هناء السيد حسن عبد اللطيف غنيم، تطور العلاقات الاقتصادية بين الصين وإفريقيا، دراسات وبحوث، منشورة على الموقع الإلكتروني:

<http://www.qiraatafrican.com/home/new.sthach.WFUck4x2.dpbs>

3. باسل الحاج جاسم، تركيا وإفريقيا إلى شراكة استراتيجية، بتاريخ 7 ماي 2015، على الرابط:
[.https://goo.gl/g5NMXe](https://goo.gl/g5NMXe)[[https://goo.gl/g5NMXe

المراجع باللغة الفرنسية

1. La direction de Brahim Fassi Fihri (2015) le Maroc en Afrique: la voie royale, Sous, institut AMADEUS, 2015.
2. Alain Faujas, Etat Unis: l’Afrique au sommet, séance de rattrapage pour Barak Obama sur le site:
[http://www.jeuneafrique.com/47875/politique/tatas-Unis-L-Afrique-au--sommet-siance-de-rattrapage-pour-barak-Obama/.](http://www.jeuneafrique.com/47875/politique/tatas-Unis-L-Afrique-au--sommet-siance-de-rattrapage-pour-barak-Obama/)

المراجع باللغة الإنجليزية:

1. Christina Okello; Germany’s Merkel urges more investment in Africa; IFi, 21 November, Available at: <http://bit.Ly/2ZnZUDU>
2. Germany Africa, Germany Africa Relations Xarm up, 11 January 2017, available at: <http://bit.Ly/3ecF,ew4>.
3. South World Germany military and strategic interests in Africa; september 2014; available at: <https://bit.ly/2cjpctB>.
4. Kent Hughes and Brent Bankus; « China’s pursuit of Africa’s Naturels Ressources »(Pennsylvania:collins center study for strategic leadership (CSL); US Army war collège; VOL 01-09-2009.

The World Integrated Trade Solutions (WITS)<http://wits-worldbank.org>

جوهر الإعجاز التشريعي في حد الزنا

The essence of legislative miracles in the limit of adultery

د. إشراقه جيب الله حامد جيب الله، أستاذ مساعد في قسم الدراسات الاسلاميه، كلية التربية،
جامعة المجمعة، المملكة العربية السعودية

Dr. Eshraga Jeeballa Hamed: Assistant Professor, Department of Islamic
Studies, College of Education, Majmaah University, Saudi Arabia

Ishraga69@gmail.com

المخلص:

هدف هذا البحث لعرض الإعجاز الشرعي المترتب على استخدام عقوبة الجلد للزاني، وذلك من خلال التعرف على الإعجاز التشريعي وأهميته وأهدافه، وكذلك التعرف على الإعجاز التشريعي في إقامة حد الزنا وأخيراً عرض عقوبة الزنا بين الإعجاز التشريعي وعجز القانون الوضعي.

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي في عرض مباحث دراستها، وذلك من خلال الرجوع إلى المصادر الأولية والثانوية، من أجل الوصول إلى أفضل النتائج.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن الشريعة الإسلامية حاربت الدوافع النفسية التي تدعو إلى الجريمة بالدوافع النفسية المضادة التي تصرف بطبيعتها عن الجريمة والتي لا يمكن أن يقوم غيرها من الدوافع النفسية معها، وأن التجارب أثبتت أن التشريع القرآني المعجز تفوق على القوانين الوضعية في حل المشاكل المستعصية مثل الزنا وغيرها.

أوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها ضرورة إنشاء مراكز بحثية متخصصة لبيان أوجه الإعجاز التشريعي القرآني مقارنةً بالتشريعات الأخرى وضرورة تكثيف البرامج الإعلامية المتخصصة في بيان أوجه الإعجاز التشريعي في القرآن، وإقامة المؤتمرات والندوات في مجال الإعجاز وبيان الأسرار التشريعية.

Abstract:

The aim of this research is to display the legal miraculousness resulting from the use of the punishment of flogging for the adulterer, by identifying the legislative miraculousness, its importance and objectives, as well as identifying the legislative miraculousness in establishing the punishment for adultery, and finally presenting the punishment for adultery between the legislative miraculousness and the impotence of positive law.

The researcher used the descriptive approach in presenting the topics of her study, by referring to the primary and secondary sources, in order to reach the best results.

The study reached a set of results, the most important of which is that Islamic Sharia combats the psychological motives that call for crime with counter psychological motives that by their nature distract from the crime and that no other psychological motives can be based with it, and that experiments have proven that the miraculous Quranic legislation is superior to man-made laws in solving problems. intractable such as adultery and others.

The study recommended a set of recommendations, the most important of which is the necessity of establishing specialized research centers to demonstrate the aspects of the legislative miraculousness of the Qur'an in comparison with other legislation and the need to intensify specialized media programs in explaining the aspects of the legislative miraculousness of the Qur'an, and to hold conferences and seminars in the field of miraculousness and to explain legislative secrets.

الإطار المنهجي للدراسة:

مقدمة:

يعد الزنا جريمة تتميز بدرجة كبيرة من القبح والبشاعة، حيث جاء تجريمها في القرآن الكريم والسنة النبوية، لدرجة أن القرآن الكريم وضع الزنا بين جريمتي قتل على النحو الوارد في سورة الإسراء، ومن المؤكد أن الزنا جريمة تهفو إليها النفوس الضعيفة التي تغلب الدنيا على الدين، ولولا حرمة وجرم هذه الجريمة لشهدت البشرية نهايةً جماعيةً وفرديةً، وذلك لما لهذه الجريمة من تداعيات خطيرة على صعيد الفرد والمجتمع، فهي تؤدي إلى اختلاط وضياع الأنساب، كما تؤدي إلى انتقال العديد من الأمراض الخطيرة المنقولة عبر ممارس الجنس مثل مرض الإيدز الفتاك.

وبعد القرآن الكريم معجزاً بألفاظه وتراكيبه وبيانه وتناسق عباراته، وكذلك معجزاً بتشريعاته الخالدة التي أنزلها الله - سبحانه وتعالى - للناس كافةً لتنظيم حياتهم وإرساء قواعد الأمن والاستقرار والطمأنينة، وفي هذا البحث نتحدث عن جانب واحد من جوانب الإعجاز ألا وهو الإعجاز التشريعي، وفي جانب واحد من جوانب التشريع هو تحريم الزنا.

مشكلة الدراسة:

إن انتشار فاحشة الزنا في العصر الحاضر تهدد أمن المجتمع أخلاقياً، ولذلك فقد عمل الإسلام على محاربة هذا التصرف المشين حتى إن اقتضى الأمر جلد الزاني، وعليه؛ تدور مشكلة هذه الدراسة حول استنباط وجوه الإعجاز التشريعي في عقوبة الزنا وفق الشريعة الإسلامية.

ويمكن صياغة المشكلة البحثية في التساؤل الرئيسي التالي:

ما هي أوجه الإعجاز التشريعي المستنبطة من عقوبة الزنا وفق الشريعة الإسلامية؟

ويتفرع من التساؤل السابق مجموعة من التساؤلات الفرعية على النحو التالي:

- ما المقصود بالإعجاز التشريعي. وما هي أهدافه؟ وما مجالاته؟
- ما المقصود بجريمة الزنا؟ وما أبعادها؟
- ما هو جوهر الإعجاز التشريعي في عقوبة جريمة الزنا؟

أهداف الدراسة:

- بيان مفهوم الإعجاز التشريعي وأهدافه ومميزاته.
- استعراض الأبعاد المختلفة لجريمة الزنا.
- الكشف عن الإعجاز التشريعي في تحريم الزنا.

أهمية الدراسة:

يكتسب هذا البحث أهمية كبيرة كون أنه يسלט الضوء على القواسم المشتركة بين جريمة تمت معالجة في النصوص الشرعية وجاءت بعض التجارب العلمية موافقةً له، عما بأن هذا الموضوع يعمل في اتجاهين؛ فيسهم في عرض التدابير الشرعية الواقية من الزنا، ثم يوضح الإعجاز التشريعي في حد الزنا.

منهج الدراسة:

سلكت الباحثة المنهج الوصفي في عرض مباحث دراستها، وذلك من خلال الرجوع إلى المصادر الأولية والثانوية، من أجل الوصول إلى أفضل النتائج.

هيكل الدراسة:

قسّمت الباحثة دراستها إلى إطار منهجي وثلاثة مباحث وخاتمة ونتائج وتوصيات. جاء المبحث الأول متحدثاً عن "مفهوم الإعجاز التشريعي وأهميته وأهدافه"، واشتمل على ثلاثة مطالب، تناول الأول مفهوم الإعجاز التشريعي، وعرض الثاني أهمية الإعجاز التشريعي وبحت الثالث في أهداف الإعجاز التشريعي. بينما جاء المبحث الثاني بعنوان "الإعجاز التشريعي في إقامة حد الزنا"، مشتملاً على ثلاثة مطالب، فعرض الأول مفهوم الزنا في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، واستعرض الثاني التدابير الوقائية من الوقوع في الزنا، وأوضح الثالث الآثار المترتبة على جريمة الزنا على الفرد والمجتمع. أما المبحث الثالث فقد تناول عقوبة الزنا بين الإعجاز التشريعي وعجز القانون الوضعي، واشتمل على ثلاثة مطالب، تناول الأول عقوبة الزنا في الشريعة الإسلامية، وعرض الثاني عقوبة الزنا في القانون، وأوضح الثالث وجوه الإعجاز الشرعي في حد الزنا.

المبحث الأول: مفهوم الإعجاز التشريعي وأهميته وأهدافه.

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز التشريعي.

يعد الإعجاز التشريعي مصطلحاً مركباً، يقتضي تعريفه بيان معنى جزأيه، على النحو التالي:

أولاً: مفهوم الإعجاز

(1) الإعجاز لغةً:

مشتقٌّ من عَجَزَ عَجَزاً، فهو عاجزٌ، أي: ضعيفٌ. والمعنى: ضعف عن الشيء، ولم يقدر عليه، ويقال "أعجزني فلانٌ" إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. في حين أنّ الإعجاز القرآني مصطلح يدل على قصور الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو بسورةٍ من مثله⁽¹⁾.

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، 3/ 2816-2817.

والعجز: أصله التأخير عن الشيء، وخصُوه عند عجز لأمر، أي: مؤخره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة⁽¹⁾.

أعجزته وعاجزته، جعلته عاجزاً، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ [الحج: 5]؛ وقرئ (مُعَاجِزِينَ) على النحو الوارد في قراءة ابن كثير وأبو عمرو، فمعاجزين - قيل معناه -: ظالمين ومُقدِّرين أنهم يُعاجزوننا؛ لأنهم حسبوا أن لا بَعَثَ، ولا نشور، فيكون ثوابٌ وعقابٌ؛ وهذا في المعنى كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: 4]⁽²⁾.

فالعجز إذن هو القصور عن فعل الشيء وهو المراد هنا.

(2) الإعجاز اصطلاحاً:

تعددت آراء العلماء لكلمة إعجاز، منها قولهم إعجاز القرآن كونه أمراً خارقاً للعادة ولم يستطع أحد معارضته على الرغم من تصدي الناس له⁽³⁾، ومنهم من قال إنَّ الإعجاز ضعف القدرة الإنسانية واستمرار هذا الضعف⁽⁴⁾.

ثانياً: مفهوم التشريع

(1) التشريع لغةً:

الشَّرْعُ: نهج الطريق الواضح، يقال شَرَعْتُ له طريقاً، والشَّرْعُ: مصدر، ثم جُعِلَ اسماً للطريق النهج فقيل: شَرِعَ وشَرَّعَ وشَرَّعَةً، ثم استُعْمِلَ لفظ التشريع في الطريقة الربانية للأحكام⁽⁵⁾. فالشريعة أو الشرع هي ما شرعه الله لعباده من العبادات والمعاملات وسائر التشريعات.

(1) انظر: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، بيروت: دار المعرفة، د. ط، 1/ 419.

(2) محمد أحمد محمود، الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، الرياض: موقع الألوكة، 4 نوفمبر 2008م، انظر الرابط التالي: <https://cutt.us/RF5NT>

(3) نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، ص9.

(4) إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، مصطفى الرافي، ص 139.

(5) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 1/ 340.

قال الراغب: "الشرع: نَهْجُ الطَّرِيقِ الواضح، يُقال: شرعت له طريقاً، والشرعُ مصدر، ثمَّ جُعِلَ اسماً للطَّرِيقِ النَّهْجِ، فقيل له: شرع، وشرع وشرعية، واستعير ذلك للطريقة الإلهية"⁽¹⁾.

(2) التشريع اصطلاحاً:

الإعجاز التشريعي اصطلاحاً: عند إطلاق لفظ التشريع يراد به مصدره الأول وهو القرآن الكريم، ويمكن أن يتسع مفهومه فيشتمل على أحكام القرآن والسنة، أما الإعجاز التشريعي فهو سمو التشريعات القرآنية وشمولها وكمالها إلى الحد الذي تعجز عنه كل القوانين البشرية مهما بلغت⁽²⁾.

ونتيجة لما سبق يمكن اعتبار أن الإعجاز التشريعي في القرآن هو "إثبات عجز البشر جميعاً عن الإتيان بمثل ما جاء به القرآن من تشريعات وأحكام، تتعلّق بالفرد والأسرة والمجتمع في كافة المجالات"، و "ليس المراد من الإعجاز التشريعي هو مجرد إثبات الإعجاز، وإنما المراد منه لازمه، وهو إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم وبيان كون القرآن من عند الله عز وجل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾" [فصلت: 42]⁽³⁾.

المطلب الثاني: أهمية الإعجاز التشريعي

تحدّث العلماء عن أهمية الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة، من حيث سموه على القوانين الوضعية كلها، وبالإضافة إلى ما كتبه العلماء في هذا المجال فإن أهمية الإعجاز في القرآن والسنة تكمن في الأمور التالية:

1. الشمول:

شمل الإعجاز التشريعي العلوم الإلهية وأصول العقائد الدينية، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي الموافقة لكل زمان ومكان، وبذلك فهو يفضل كل ما سبقه من الكتب السماوية، والشرائع الأرضية، والآداب الفلسفية، كما يشهد بذلك أهل العلم المنصفون من جميع الأمم الشرقية والغربية، يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "إن الإعجاز التشريعي، لا شك، من أظهر وجوه الإعجاز، فإن علوم العقائد الإلهية والآداب والتشريع الديني والمدني والسياسي هي أعلى العلوم، وقلماً ينبغ فيها من الذين ينقطعون لدراستها السنين الطوال،

(1) كتاب الشين، للراغب، (ص: 258).

(2) فتحي رضوان، من فلسفة التشريع الإسلامي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1975م، ص8.

(3) محمد أحمد محمود، الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، مصدر سابق.

فكيف يستطيع رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ في بلد علم وتشريع أن يأتي بمثل ما في القرآن من نظم وشرائع إلا أن يكون ذلك وحيًا من الله⁽¹⁾، وهذا الشمول العظيم لا تجده في أي تشريع مهما بلغت مهارة من وضعوه، لذا فهم مضطرون لتغييره من وقت لآخر ومن مكان لآخر ومن جنس لآخر.

2. الارتباط بالوجدان الديني:

يربط الإعجاز التشريعي المكلفين برباط وثيق بين تشريعات الحياة وخالق الحياة، ويقول سيد قطب -رحمه الله تعالى- معبراً عن هذا المعنى عند تفسيره لآية الدين من سورة البقرة: "فبهذا التوجيه الوجداني يربط الله -سبحانه- بين التشريعات للحياة وخالق الحياة برباط وثيق من التقوى والخوف والرجاء، حيث يضيف إلى ضمانات التشريع القانونية ضمانات القلب الوجدانية، وهي التشريع في الإسلام متكاملان، فالإسلام يصنع القلوب ويشرع لها، ويصنع المجتمع الذي يقنن له، صنعة إلهية متكاملة تجمع بين التربية والتشريع"⁽²⁾.

3. الإيفاء بالحاجات البشرية:

يقول الزرقاني -رحمه الله- مبيناً ذلك: "إن غير المسلمين كانوا وما يزالون حائرين يبحثون عن النور الذي يضيء لهم حياتهم وينقّبون عمّا يفي بحاجاتهم في كثير من نواحي حياتهم حتى وجدوا أنفسهم في نهاية المطاف وتحت ضغط هذه الحاجة وقسوة التجارب إلى هداية القرآن وتشريعاته من حيث يشعرون أو لا يشعرون"⁽³⁾.

4. العالمية:

وتحدّث الدكتور عبد الله دراز عن شمولية التشريع القرآني مبيناً أن تعاليم القرآن الكريم ليست موجّهة إلى الأمة الإسلامية فحسب، بل هي للعالم بأسره، وللناس في شتى أنحاء الأرض بغض النظر عن جنسهم وأصلهم، أنزلت إليهم لتدخل السرور والبهجة إلى قلوبهم وتطهر نفوسهم، وتهذب أخلاقهم، وقد أكد الله -سبحانه وتعالى- في كتابه أن في القرآن حلاً لجميع قضايا البشر وذلك في قوله: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: 89]، ولهذا السبب للقرآن أعلى خطوة لدى المسلمين وهو ليس كتاب صلوات أو أدعية أو غذاءٍ روحيٍّ أو تسابحٍ

(1) رضا: تفسير المنار، (206/1).

(2) قطب: في ظلال القرآن، 1/ 334.

(3) الزرقاني: مناهل العرفان، 2/ 253.

فحسب، بل إنه أيضاً القانون السياسي وكنز العلوم ومرآة الأجيال، إنه سلوى الحاضر وأمل المستقبل⁽¹⁾.

5. أسمى من مستوى العقل البشري:

يقول الشيخ محمد أبو زهرة عن الإعجاز التشريعي "يقول علماء القانون اليوم بأن القانون الروماني يُعدُّ من أكمل الشرائع التي أنتجها العقل البشري وما يزال أصلاً لكثير من الشرائع القائمة التي نشأت وقامت على دعائمه، ولكن من أراد أن يتعرف على الإعجاز التشريعي وأنه في درجة فوق مستوى العقل البشري فليوازن بين التشريعات القرآنية وتبين ذلك القانون الروماني الذي استوى على سوقه، والذي يُعدُّ عند الغرب صفوة القوانين السابقة واللاحقة له، وفيه علاجٌ لعبوبها وسدٌ لخللها، ومن يوم أنشئت روما سنة 444 ق.م إلى سنة 533 هـ، بمعنى أنه ثمرة تجارب قانونية لنحو ثلاثة عشر قرناً، كما أن الرومان استعانوا لدعم قوانينهم بالمناهج الفلسفية التي فكر فيها الفلاسفة اليونان لبيان أمثل الطرق التي يقوم عليها المجتمع الفاضل، كالذي جاء في كتاب السياسة لأرسطو وغيرها من ثمرات عقول الفلاسفة والعلماء اليونان والرومان⁽²⁾.

6. مجال خصب للدراسة والتحقيق:

يقول الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد عن ذلك إن علم الإعجاز التشريعي علم لم يكن كافياً من قبل العلماء مثل وجوه الإعجاز الأخرى، وحثَّ على ضرورة الكتابة فيه، ورأى أن من العجيب أن وجوه الإعجاز القرآني في لفظه ونظمه وأساليبه البلاغية قد استوفاهما العلماء استيفاءً يكفي ويشفي لكن المعجزة الأصلية وهي شريعة القرآن لم يقع في علمه أن أحداً من العلماء الأفاضل قد كتب عنها على نمط علمي جامع يقرر به وجوه الإعجاز في قواعدها وخصائصها وعناصر الموازنة الفذة في بنائها، مثل المرونة والثبات والعدل والشمولية ونحو ذلك، مع أن هذا الإعجاز التشريعي هو المعجزة الدائمة التي تتحدى البشرية في كل زمان ومكان⁽³⁾.

(1) دراز: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، ص 18 وما بعدها.

(2) أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، ص 385.

(3) فتح الله سعيد، المدخل في التفسير الموضوعي، ص 49 وما بعدها.

المطلب الثالث: أهداف الإعجاز التشريعي

يسعى الإعجاز التشريعي عموماً لتحقيق جملة من الأهداف يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- 1- إصلاح الفرد والأمة، وتحقيق مقصد إصلاح الفرد فإن التشريع الإسلامي يسعى دائماً لربط الإنسان بطاعة ربه وعبادته، يقول -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: 59]، لأنه المؤدي إلى مقصد إصلاح الأمة الذي فيه التمكين والسيادة للدين وحمة لوائه، إذ قال -تعالى- في ذلك: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النور: 55].
- 2- تطهير المجتمع من الجرائم، وذلك من خلال تعزيز الوازع الديني في نفوس الناس، وإشعارهم بمراقبة الله سبحانه وتعالى، حيث جاءت السنة لتوضيح هذا المعنى في قوله -صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتكم به"⁽¹⁾.
- 3- تحقيق العدالة والمساواة، وذلك من خلال رفع الظلم عن المكلفين، عملاً بقوله سبحانه وتعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: 229].
- 4- تنفيذ الحدود، وذلك أن من أعرَضَ عن تنفيذ حدود الله منكرًا لها، أو معتقداً عدم صلاحيتها كافرٌ، قال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ} [المائدة: 44].

المبحث الثاني: الإعجاز التشريعي في إقامة حد الزنا

المطلب الأول: مفهوم الزنا في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي.

أولاً: مفهوم الزنا في الشريعة الإسلامية

1) تعريف الزنا لغةً:

ورد في كلام العرب "كلمة الزنا"، يقال زنى الرجل، يزني، زنى، مقصور وبالمد زناء، ويقال: المرأة تزني، أي تباغي، أي تمارس البغاء، أي عهرت وفجرت⁽²⁾. والزنا مصدر القول: زنى يزني زنا وزناء (بالقصر لغة الحجاز وبالمد لغة تميم)، وهو مأخوذ من مادة (ز ن ي) التي تدل على الوطاء

(1) البيهقي، المدخل إلى السنن الكبرى، 1/ 152.

(2) ابن منظور: لسان العرب، 7/ 67.

المحرّم، يقال: هو زان بين الزّنا، وخرجت فلانة تزاني وتباغي أي تفجر (وتحلّ لنفسها ما حرّمه الله) وزناه تزنية: نسبه إلى الزّنا. والأصل في الزّناء الضّيّق، ومنه الحديث: لا يصلّيّن أحدكم وهو زناء، أي مدافع للبول، ويقال: من ذلك زنا الموضع يزنو أي ضاق، وهو لغة في يزنا.

2) مفهوم الزنا اصطلاحاً:

أورد الفقهاء المسلمون تعاريف عديدة للزنا بينها تقارب وتباين. وقال الراغب: الزّنا هو وطء المرأة من غير عقد شرعي⁽¹⁾. وقال الجرجاني: الزّنا: الوطء في قبل خال عن ملك أو شبهة⁽²⁾. وقال المناوي: الزّنا شرعا هو إيلاج الحشفة (أو قدرها من مقطوعها) بفرج محرّم لعينه (وذلك بخلاف المحرّم لعارض كالحيض ونحوه) خال عن الشّبّهة مشتهي. وقال الكفوي: الزّنا اسم لفعل معلوم وإيلاج فرج (ذكر) في محلّ محرّم مشتهي يسمّى قبلا، ومعناه قضاء شهوة الفرج بسفح الماء (المني) في محلّ محرّم مشتهي من غير داعية الولد حتّى إنّّه ليسمّى الزّاني سفاحاً⁽³⁾.

عرف فقهاء الحنفية الزنا بأنه "الوطء الحرام في قبّل المرأة الحية في حالة الاختيار، في دار العدل، ممن التزم أحكام الإسلام"⁽⁴⁾. وعرفه المالكية بأنه "كالوطء وقع على غير نكاح صحيح ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين"⁽⁵⁾. وعرف الشافعية الزنا بأنه "إيلاج الذكر بفرج محرّم لعينه خال عن الشّبّهة مشتهي يوجب الحد، ودبر ذكر وأنثى كقبل على المذهب"⁽⁶⁾. أما تعريفه عند الحنابلة: فقد اتفقوا مع الشافعية في التعريف، فجعلوا الوطء في القبل كالوطء في الدبر، وأوجبوا فيه الحد⁽⁷⁾.

ثانياً: مفهوم الزنا في القانون الوضعي

يعرف الزنا بأنه "تدنيس فراش الزوجية، وانتهاك حرمتها بتمام الوطء"⁽⁸⁾. وعرفه بعض فقهاء القانون الزنا بأنه "ارتكاب وطء غير مشروع من شخص متزوج مع امرأة برضاها حالة قيام

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، ص220.

(2) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص120.

(3) كتاب الكليات للقاضي الحنفي، ص489.

(4) الكاساني: بدائع الصنائع، (33/7).

(5) ابن رشد القرطبي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (4/215).

(6) الإمام الشافعي: المهذب، (3/337).

(7) ابن قدامة: المغني، (53/9).

(8) عزت مصطفى الدسوقي، أحكام جريمة الزنا في القانون، ص33.

الزوجية فعلاً وحكماً⁽¹⁾. وهناك بعض القوانين الوضعية تعرف الزنا بأنه: "اتصال جنسي بين شخص متزوج رجل أو امرأة بغير زوجه حال قيام الزوجية حقيقة أو حكماً".

ومن تأمل هذا الكلام وجود القصور الظاهر في مفهوم جريمة الزنا في القانون الوضعي، وحيث قصره على المتزوجين فقط، وأن تكون العلاقة بين رجل وامرأة أحدهما متزوج أو كلاهما.

المطلب الثاني: التدابير الوقائية من الوقوع في الزنا

من وجوه الإعجاز التشريعي أن سلك الشارع الإسلامي مسلكاً فريداً بإغلاقه جميع المنافذ المؤدية لارتكاب جريمة الزنا، وعمل على صيانة المجتمع بالأسيجة المنيعة والسدود المحكمة حتى لا يتسرب ما يهدم كيانه ويقوّض أركانه. ويقول الله عز وجل: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: 32].

يقول عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-: "النهي عن قربان الزنا أبلغ من مجرد فعله، لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه"⁽²⁾.

ولتحقيق ذلك عمل الشارع على تنقية أجواء المجتمع بمنهج وقائي متكامل، وهذه بعض من وجوه الإعجاز التي انفرد بها المجتمع المسلم.

أولاً: الترغيب في الزواج:

لقد رسم الإسلام طريقة إشباع الغريزة الجنسية بالزواج الشرعي، وندب إليه، وفتح كل الأبواب الميسرة له، وأوصد كل الأبواب الأخرى يقول -عز وجل-: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور: 32].

كما أن الشارع ندب إلى الاقتصاد في المهور، فقد روى عقبه بن عامر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "خير النكاح أيسره"⁽³⁾. ومن هذا نخلص إلى أن الجانب الاقتصادي لا يقف عائقاً عن الزواج في الإسلام.

(1) أحمد حافظ نور، جريمة الزنا في القانون المصري والمقارن، ص9.

(2) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 106/3.

(3) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ج 2 - ص 203: دار الكتاب العربي - بيروت.

ولما أوجب الإسلام على من لم يتمكن من الزواج لعدم القدرة أن يضبط شهواته ويتسامى ويتعفف عن إشباعها بغير الطريق الشرعي. ويقول الله - عز وجل -: {وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [النور: 33].

ثانياً: الأمر بغض البصر:

حرم الإسلام النظرة إلى امرأة أجنبية وأمر بغض البصر، يقول الله عز وجل: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} [النور: 30-31]. وتعقيباً على هذه الآية فقد قال ابن كثير: هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغمضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا لما أباح لهم النظر إليه، وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحَرَّمٍ من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعاً. كما رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صحيحه من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري.

ويقول ابن القيم: "أما اللحظات فهي رائد الشهوة ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرج، فمن أطلق بصره أوردته موارد الهلكات"⁽¹⁾.

وروى أبو داود عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلي: "لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة".

ثالثاً: سد الذريعة إلى الزنا، ومنها:

أ- النهي عن الخلوة بالأجنبية: لا يجوز للرجل الاختلاء بالمرأة الأجنبية ولو كان ذلك في أعمال الخير، حيث إن الشيطان يحضر بينهما فيزين لهما المنكر من قولٍ أو لمسٍ أو مواعدةٍ ونحو ذلك مما يسخط الله. ويقول ابن القيم: "إنه -صلى الله عليه وسلم- حرم الخلوة بالأجنبية ولو في قراءة القرآن"⁽²⁾. ومن هنا كانت معجزة الإسلام البالغة حين جمع إلى تحريم الزنا وتحريم مادته من نظرة إلى محرّم.

ب- تحريم خروج المرأة متطيبة: لقد منع الإسلام خروج المرأة متطيبة، وذلك كي لا الشباب أو الرجال ذريعة الوقوع في شركها وقوعاً يترتب عليه العلاقة الآثمة ومخاطرها المترتبة عليها. يقول

(1) ابن القيم، إعلام الموقعين، 3/ 151.

(2) المرجع السابق، 361/3.

ابن القيم: "ونهى المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن تتطيب أو تصيب بخوراً، وذلك لأنه ذريعة إلى ميل الرجال وتشوقهم إليها، فإن رائحتها وزينتها وصورتها وإبداء محاسنها تدعو إليها، فأمرها تخرج تفلّة وألا تتطيب ... كل ذلك سداً للذريعة وحماية عن المفسدة"⁽¹⁾.

ج- نهى الإسلام عن الاختلاط بين الجنسين: لأن الاختلاط من شأنه أن يوفر المكان المناسب لارتكاب جريمة الزنا فهو بؤرة كل شر، ورأس كل رذيلة.

يقول ابن القيم: "لا ريب أن تمكّن النساء من اختلاطهن بالرجل أصل كل شر وبلية، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال والنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أعظم أسباب الموت العام والطواغين المتصلة، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا بسبب تمكّن النساء من اختلاطهن بالرجال"⁽²⁾.

وقد روى عقبه بن عامر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمى؟ قال: الحمى الموت"⁽³⁾.

د- نهى المرأة عن السفر لوحدها: حيث من التدابير الواقية من الزنا في الشريعة الإسلامية نهى المرأة أن تسافر إلا مع ذي محرم ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها ذو محرم) فكل سفر تسافره المرأة لزيارة أو سياحة أو دراسة أو حج أو عمرة أو يلزمها شرعا أن يكون معها ذو محرم منها سواء كان سفرها بوسيلة نقل حديثة أو قديمة.

هـ النهي عن التبرج: لقد نهى الإسلام المرأة عن التبرج والسفور والخضوع في القول والخروج من بيتها لغير حاجة وضربها برجلها ليظهر صوت خلخالها قال تعالى (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى [الأحزاب: 32-33] وقال تعالى (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ [النور: 31])

(1) المرجع السابق، 3/ 168.

(2) ابن القيم، إعلام الموقعين، 3/ 168.

(3) أخرجه مسلم، رقم (2172) كتاب الإسلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، 4/ 1711.

رابعاً: التشدد في العقاب الحدي:

تكمن وجوه الإعجاز التشريعي من خلال السياسة الوقائية التي اتبعها المنهج الإسلامي التشدد في عقوبة جريمة الزنا، لأن العقوبة الحدية تقاس بمقدار ضررها الاجتماعي، فكان ذلك في ذاته سداً ضد الجريمة ابتداءً لتطهير المجتمع الإسلامي من الرذيلة.

ومن جانب آخر فإن لعامل الرهبة والخوف من العقاب على الزنا أثراً نفسياً بالغاً، ومتى أيقن المرء أن العقاب ملاقيه انصرف عن مفارقة هذه الفاحشة، والعاقلة يوازن بين الجناية وعقاب الحد فيقصد دفع المضرة على جلب اللذة الوقتية.

ويقول محمد حسين الذهبي: "إن تقاصر العقوبة عن الجريمة حسياً ومعنوياً يفسد على النفس أمرها في مواقف الصراع أو الاختيار، لأنه يهون عليها الإقدام، ويضعف فيها عوامل الإحجام بحيث تتوافر الجرأة اللازمة لتحطيم كل الضوابط التي تحول بين صاحبها وبين اقتراف ما يريد"⁽¹⁾.

المطلب الثالث: آثار الزنا على الفرد والمجتمع

جاء الزنا مقروناً في القرآن الكريم بالشرك والقتل، ووعد الله فاعله بمضاعفة العذاب عليه إلا أن يتوب من جرمه؛ وذلك لخطورته على الفرد والمجتمع، حيث قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: 68 - 70]⁽²⁾.

وفيما يأتي ذكر لبعض هذه الآثار:

أولاً: آثار ومفاسد الزنا على المجتمع:

1- ظهور الزنا من أمارات خراب العالم:

فقد ورد في الصحيحين من خطبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في صلاة الكسوف أنه قال: "يا أمة محمد، والله إنه لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد والله لو تعلمون

(1) محمد حسين الذهبي، أثر الحدود في استقرار المجتمع، محمد، ص 56.

(2) وفا علي وفا علي، مخاطر الزنا وسبل الوقاية منه، الرياض: شبكة الألوكة، 6 فبراير 2020م، انظر الرابط

التالي: <https://cutt.us/LFRB3>

ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ثم رفع يديه وقال: اللهم هل بلغت⁽¹⁾. وقال ابن القيم: "وفي ذكر هذه الكبيرة بخصوصها عقب صلاة الكسوف سر بديع لمن تأمله، ظهور الزنا من أمارات خراب العالم"⁽²⁾.

2- اختلاط الأنساب:

يُعدُّ اختلاط الأنساب من أكبر عواقب الزنا خطورةً، لأن حفظ النسب من الكليات الخمسة التي أمر الإسلام بحفظها، وهي: النفس، والدين، والنسب، والعقل، والمال، وإن ولد الزنا الذي جاء بتلك الطريقة المذمومة في الشرع والعرف قد ينتسب إلى أسرة ليس منها وإلى رجل ليس هو ابنه في الحقيقة فيرث منهم ويختلي بمحارم تلك العائلة وينسب إليهم وهو أجنبي في الواقع عنهم⁽³⁾.

قال ابن القيم: "ولما كان الزنا من أمهات الجرائم وكبائر المعاصي لما فيه من اختلاط الأنساب الذي يبطل معه التعارف والتناصر على إحياء الدين، وفي ذلك هلاك الحرث والنسل فشاكل في معانيه أو في أكثرها القتل الذي فيه هلاك ذلك"⁽⁴⁾.

3- الأضرار الصحية:

إن المجتمع الذي تنتشر فيه الفواحش، مثل الزنا وغيره، تكثر فيه الأمراض والأوجاع المهلكة التي تدبّر المجتمع وتؤذّن بزواله مثل أمراض الزهري والإيدز والسيلان وغيرها، وهذه الأمراض ليست سهلة العلاج، وأعراضها ليست بسيطة، بل قال أحد الاطباء (توماس بران): "إن مرض الزهري أفتك وأضر بمائة ضعف من مرض شلل الأطفال، وأن خطره في أمريكا مثل خطر السرطان ... حتى أن شخصاً من كل أربعة أشخاص يذهب ضحية بسبب الزهري"⁽⁵⁾.

كما نشر الدكتور (كلومك) بحثاً في مجلة (نيو إنجلاند) الطبية عام 1985 أشار فيه إلى إمكانية نقل فيروس الإيدز (طاعون العصر) عن طريق الجماع مع المومسات، فقال: "والدراسات أجريت في رواندا في أفريقيا أكدت أن 58% مرض الإيدز من الرجال كانت لهم علاقات جنسية متكررة مع

(1) أخرجه البخاري، باب الصدقة في الكسوف، رقم 1044 / 2 / 34.

(2) ابن القيم، الجواب الكافي، ص 186.

(3) ابن القيم، الداء والدواء، 165.

(4) ابن القيم، إعلام الموقعين، 2 / 107.

(5) فضل إلهي، التدابير الوقائية من الزنا في الفقه الإسلامي، ص 55.

المومسات. وفي نفس الوقت اتضح أن 24% من النساء المصابات بالإيدز في أفريقيا يعملن في مهنة البغاء والدعارة.

ونظراً إلى ظهور حالات إيدز بين أفراد القوات المسلحة الأمريكية الموجودة في أوروبا فقد أمرت السلطات الأمريكية كلَّ منتسبها بعدم ممارسة البغاء مع المومسات⁽¹⁾.

ولا شك في أن هذه الأمراض تؤثر في بنية المجتمع من جهتين، فإما أن تؤدي إلى موت الشخص المصاب بهذه الأمراض الفتاكة مثل الإيدز والزهري، وإما أن تؤدي إلى إضعاف طبقة الشباب خاصة في المجتمع الذي يغرق في ممارسة هذه الرذائل فتجد شبابهم ضعفاء البنية الجسدية لا يتحملون أعباء الحياة بشكل طبيعي ولا يصلحون لبناء الأمم والدفاع عن الشعب الذي ينتمون إليه.

قال الرئيس كندي: "إن مستقبل أمريكا في خطر، لأن شبابهم مائع منحل غارق في الشهوات، لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأنه من بين كل سبعة شباب يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية"⁽²⁾.

ثانياً: تداعيات الزنا على الفرد:

1- الزنا يسقط قدره عند الناس فينظرون إليه بعين الريبة والحذر، فلا يأمنونه على بيوتهم وأعراضهم كما أن منزلته تضيع عند محارمه فلا يهبه كما كان سابق عهده عندما كان عفيفاً بل يجترئن عليه، وربما قلده في فعل الفاحشة إن لم يكن ثوب عفافهنّ منسوجاً من تربية دينية صادقة⁽³⁾.

2- الزنا يؤدي إلى قطيعة الرحم وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظلم الخلق، فكم من زان ترك فراش زوجته وذهب يلتمس اللذة بالحرام، وترك أولاده وبناته وضيع بيته بسبب هذه المعصية. فهذه المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصي قبلها ومعها، ويتولد عنها أنواع أخرى من المعاصي بعدها، فهي محفوفة بجند من المعاصي قبلها وجند من المعاصي بعدها، وهي أجلب شيء لشر الدنيا والآخرة، وأمنع شيء لخير الدنيا والآخرة.

3- الزنا يذهب بكرامة الفتاة ويكسوها عاراً لا يقف عندها، بل يتعداها إلى أسرتها، إذ تدخل العار على أهلها وزوجها وأقاربها وتنكس به رؤوسهم بين الخلائق.

(1) الفاضل العبيد عمر، داء الإيدز والأمراض التناسلية، ص33.

(2) محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، ص 164.

(3) انظر الداء والدواء، ص165.

4- الزنا جنائية على الولد، فإن الزاني يبذر نطفته على وجه يجعل النسمة المخلقة منها مقطوعة عن النسب إلى الآباء، والنسب معدود من الروابط الداعية إلى التعاون والتعاقد، فكان الزنا سبباً لوجود الولد عارياً من العواطف التي تربطه بأدنى قربي يأخذون بساعده إذا زلت به فعله، ويتقوى به اعتصابهم عند الحاجة إليه. كذلك فيه جنائية عليه، وتعرض به، لأنه يعيش وضيقاً في الأمة، مدحوراً من كل جانب، فإن الناس يستخفون بولد الزنا، وتتكبر طبائعهم، ولا يرون له من الهيئة الاجتماعية عذراً⁽¹⁾.

5- الزنا سبب للشر كله: مثل قلة الدين وذهاب الورع والمروءة والخيرة والوفاء من نفس من يفعل ذلك، بالإضافة إلى أنه سبب لغضب الله -تعالى-، وسواد الوجه يوم القيامة، وظلمة القلب، وضيق الصدر والكآبة في الدنيا⁽²⁾.

6- اقترن حال الزاني بحال المشرك في كتاب الله؛ قال الله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 3]، وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "لا أعلم بعد القتل ذنباً أعظم من الزنا"؛ ومن ثم لا يجتمع الزنا والإيمان؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...))؛ [متفق عليه]⁽³⁾.

المبحث الثالث: عقوبة الزنا بين الإعجاز التشريعي وعجز القانون

المطلب الأول: عقوبة الزنا في الشريعة

عقوبة الزنا لم تأت مباشرةً بالجلد والرجم، وذلك لأن الناس كانوا حديثي عهد بإسلام، بل جاءت على مرحلتين، فكانت عقوبة الزانية في صدر الإسلام الحبس في البيوت حتى الموت والأذى لهم، ولمن تعرض بهن في قوله -تعالى-: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: 15].

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا زنت وثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت، ولهذا قال

(1) انظر الداء والدواء، ص152.

(2) محمد ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، 4 / 343.

(3) وفا علي وفا علي، مخاطر الزنا وسبل الوقاية منه، مرجع سابق.

الفاحشة ويعني الزنا، فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك"، قال ابن عباس رضي الله عنه: "كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد والرجم"⁽¹⁾.

يُثَبِّتُ الزَّانَا بِالشَّهَادَةِ وَالْإِقْرَارِ

1. **الشهادة:** أجمع الفقهاء على ثبوت الزنا بالشهادة وأنه لا يثبت إلا بشهادة أربعة رجال عدول⁽²⁾ لِقَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى: {وَاللَّاتِي يَأْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ} [النساء: 15].

2. **الإقرار:** اتفق الفقهاء على ثبوت الزنا بالإقرار، لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجَمَ مَاعِزًا وَالْغَامِدِيَّةَ بِإِقْرَارِيهِمَا⁽³⁾، ويشترط في الإقرار أن يكون مفصلاً مبيناً لحقيقة الوطء لتزول التهمة والشبهة⁽⁴⁾.

عقوبة الجلد:

تعاقب الشريعة الإسلامية الزاني الذي لم يحصن بعقوبة الجلد، لأن الشريعة الإسلامية عينت العقوبة وقدرتها، فجعلتها مائة جلدة، قال -سبحانه وتعالى: {الرَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} [النور: 2].

وقد وضعت العقوبة، أي الجلد، على أساس محاربة الدوافع النفسية التي تدعو إلى الجريمة بالدوافع التي تصرف عن الجريمة، وهذا الذي يهدينا إليه التأمل والتفكير في الجريمة وعقوبتها.

والدافع الذي يدعو الزاني للزنا هو اشتهاؤ اللذة والاستمتاع بالنشوة التي تصحبها، والدافع الوحيد الذي يصرف الإنسان عن اللذة هو الألم، ولا يمكن أن يستمتع الإنسان بنشوة اللذة إذا تذوق مس العذاب، وأي شيء يحقق الألم ويذيق العذاب أكثر من الجلد مائة جلدة؟

فالشريعة الإسلامية حينما وضعت عقوبة الجلد للزنا لم تضعها اعتباطاً، بل وضعتها على أساس من طبيعة الإنسان، وفهم لنفسيته وعقليته، والشريعة حينما قررت الجلد للزنا دفعت العوامل النفسية التي تدعو للزنا بعوامل نفسية مضادة تصرف عن الزنا، فإذا تغلبت العوامل الداعية على

(1) إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 233/2.

(2) الكاساني، بدائع الصنائع 46/7، مغني المحتاج 149/4، المغني لابن قدامة 69/9.

(3) حديث ماعز والغامدية بإقراريهما: أخرجه مسلم 1321/3 - 1322.

(4) ابن الهمام، شرح فتح القدير 8/5.

العوامل الصارفة، وارتكب الزاني جريمته مرة كان فيما يصيبه من ألم العقوبة وعذابها ما ينسيه اللذة ويحمله على عدم التفكير فيها⁽¹⁾.

أضافت الشريعة عقوبة أخرى رادعة وهي "التغريب"، وتعدُّ تكميلية للجلد، والمصدر التشريعي لهذه العقوبة حديث النبي -صلى الله عليه وسلم: "البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم"⁽²⁾.

ويشترط في التغريب أن يكون مسافة تقصر فيها الصلاة، أي مكان يبعد عن بلده ثمانين كيلو متراً، لأن المقصود البعد عن أهله ووطنه.

وللتغريب علتان:

1. التمهيد لنسيان الجريمة بأسرع ما يمكن، وهذا يقتضي إبعاد المجرم عن مسرح الجريمة، أما بقاؤه بين ظهراني الجماعة فإنه يحيي ذكرى الجريمة ويحول دون نسيانها بسهولة.
2. أن إبعاد المجرم عن مسرح الجريمة يجنبه مضايقات كثيرة لا بد من أن يلقاها إذا لم يبعد، وقد تصل هذه المضايقات إلى حد قطع الرزق، وقد لا تزيد على حد المهانة والتحقير، فالإبعاد يهيئ الجاني أن يحيا حياة كريمة.
3. وظاهر مما سبق أن التغريب، وإن كان عقوبة، إلا أنه شرع لمصلحة الجاني أولاً وصالح الجماعة ثانياً⁽³⁾.

عقوبة الرجم:

الرجم عقوبة الزاني المحصن رجلاً كان أو امرأة، ومعنى الرجم: القتل رمياً بالحجارة، واتفق العلماء ما عدا الخوارج على أن حد الزاني المحصن هو الرجم، بدليل ثبوته في السنة المتواترة والإجماع والمعقول.

أما السنة فكثير من الأحاديث، منها قوله -عليه الصلاة والسلام: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة"⁽⁴⁾، ومنها قصة العسيف

(1) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي، 1/ 636، بتصرف.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب الزنا.

(3) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي، 1/ 637، بتصرف.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قوله -تعالى-: { أن النفس بالنفس والعين بالعين } (المائدة 45).

الذي زنى بامرأة، فقال الرسول -عليه الصلاة والسلام- لرجل من أسلم: "واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها"⁽¹⁾. ومنه قصة العسيف الذي زنى بامرأة، فقال له الرسول -صلى الله عليه وسلم: "واغد يا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها فعداً عليها فاعترفت فرجمها"⁽²⁾.

وأجمعت الأمة على مشروعية الرجم، ولأن المعقول يوجب مثل هذا العقاب لأن زنا المحصن غاية في القبح، فيجازى بما هو غاية من العقوبات الدنيوية.

وقد وضعت عقوبة الرجم على نفس الأساس الذي وضعت عليه عقوبة الجلد للزاني غير المحصن، ولكن شددت عقوبة المحصن للإحصان، لأن الإحصان يصرف الشخص عادة عن التفكير في الزنا فإن فكر فيه بعد ذلك، فإنما يدل التفكير فيه على قوة إشتهائه للذة المحرمة، وشدة اندفاعه لاستمتاع بما يصحبها من نشوة، فوجب أن توضع له عقوبة فيها من قوة الألم وشدة العذاب ما فيها بحيث إذا ذكر من هذه اللذة المحرمة وتذكر معها العقوبة، تغلب التفكير في الألم الذي يصيبه من العقوبة على التفكير في اللذة التي يصيبها من الجريمة⁽³⁾.

المطلب الثاني: عقوبة الزنا في القوانين الوضعية

العقوبة في القوانين الوضعية أساسها أن الزنا من الأمور الشخصية التي تمس علاقة الأفراد، ولا تمس صالح الجماعة، فلا وجود للعقوبة إن وجد التراضي، إلا إذا كان أحد الطرفين زوجاً ففي هذه الحالة يعاقب على الفعل حماية لحرمة الحياة الزوجية⁽⁴⁾ لا لصيانة وحرمة الجماعة.

وتعاقب القوانين الوضعية على الزنا بالحبس، وهو عقوبة لا تؤلم الزاني إيلاماً يحمله على هجر اللذة التي يتوقعها من وراء الجريمة، ولا تثير فيه من العوامل النفسية المضادة ما يصرف العوامل النفسية الداعية إلى الجريمة أو يكتبها⁽⁵⁾.

فرقت بعض التشريعات، مثل القانون المصري بين عقوبة زنا الزوجة وزنا الزوج، فجعلت عقوبة جريمة زنا الزوج أقل شدة، إذا يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ستة أشهر، وتعاقب الزوجة

(1) أخرجه البخاري، كتاب الوكالة باب، الوكالة في الحد. ومسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا.

(2) صحيح البخاري - الطبعة الهندية - ج 1 - الباب 3 - ص 1278.

(3) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي، 1/ 641.

(4) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي، 2/ 347.

(5) المرجع السابق، 1/ 638-639.

بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين⁽¹⁾، في حين ساوت تشريعات أخرى، مثل قانون العقوبات العراقي بين عقوبة الجرمين فجعلتها الحبس⁽²⁾.

تشتط جميع القوانين الوضعية التي تحرم فعل الزنا، أو تكتفي فيه بالجزاء المدني، وجود عقد زواج صحيح قائم فعلاً أو حكماً، لأن هذه القوانين تقرر المسؤولية عن هذا الفعل كونه تدينياً لفراس الزوجية وهدماً لروابط الأسرة التي تُعدُّ نواة المجتمع، فلا بد إذًا من أن يكون أحد طرفي الجريمة أو كلاهما مرتبطاً بعقد نكاح صحيح مستوفٍ لشرائط الانعقاد والصحة حسب ديانة الجاني⁽³⁾.

الفرق بين عقوبة الزنا في الشريعة والقانون:

تبيّن مما تقدم اختلاف مفهوم الزنا في الشريعة الإسلامية عنه في القانون الوضعي، إذ يعد الزنا في الشريعة من أهم جرائم الاعتداء على العرض وأخطرها، لذلك شددت الشريعة في معالجة هذه الجريمة فعدتها من جرائم الحدود التي حددها الشرع عقوبتها وجعلها من أشد أنواع العقوبات. لذلك كانت معالجة الشريعة معالجة شاملة ومتكاملة من أجل منع ارتكاب هذه الجريمة الخطرة.

أما التشريعات الوضعية فأغلبها قد تبنّت المفهوم الاجتماعي للعرض، فلا يحرم من حيث المبدأ إلا الممارسات الجنسية غير مشروعة التي تقع مع عدم توافر الرضى، لأنها تعد تلك الأفعال اعتداء على الحرية الجنسية للفرد، لذلك اختلفت معالجتها لجريمة الزنا عن المعالجة الشرعية.

تفرّق التشريعات الوضعية بين الزوجة الزانية والزوج الزاني في المعاملة التجريمية والعقابية، فتنشدد مع الزوجة وترفق مع الزوج، وهذا ما ياباه الإسلام الذي نشر الحق والعدل، فسوى بين الزناة المتزوجين، سواء كانوا رجالاً أو نساءً، وهذا ما يجب اتباعه، إعمالاً لقاعدة المساواة بين الناس أمام القانون.

عقوبة الزنا في القانون الوضعي الحبس، وهي ليست بعلاج رادع، فالمحبوس يخرج غالباً وقد خالط الأشرار والمجرمين المحترفين، فيخرج أكثر تصميماً على الإجرام وأكثر إتقاناً له، ونسبة الجرائم واستمرارها في المجتمعات الغربية شاهد على عدم جدوى العقوبة الشرعية الإسلامية الرادعة الحاسمة.

(1) انظر المادة (772) عقوبات مصري.

(2) انظر المادة (2/377) عقوبات عراقي.

(3) حافظ نور، جريمة الزنا في القانون المصري المقارن، ص 113.

هنا العديد من الشروط التي يفرضها القانون الوضعي للتعامل مع الزنا كجريمة، حيث اشترط القانون الوضعي لقيام جريمة الزنا ان يكون المتهم متزوجاً، كما نظر في تجريمه للزنا علي انه حماية جنائية للمجني عليه فاشترط لقيام جريمة الزنا وجود شكوى مقدمة من الطرف الآخر في علاقة الزوجية، وهناك العديد من المشاهد تخرج من إطار الجريمة، ومنها:

- الزنا بمقابل مادي تحت مسمى الدعارة التي كانت مباحة حتي منتصف القرن الماضي في مصر ومازالت مباحة في بعض البلدان مثل تونس.
- إذا كان احد طرفي العلاقة عمره أقل من ثمانية عشر عاما فالعقاب سينال الطرف الآخر تحت مسمى هناك عرض طفل بغض النظر عن مدى رضا من اعتبروه طفلاً من عدمه.
- العلاقة بين إثنين أعمارهم أكبر من ثمانية عشر عاما وغير متزوجين، أما اللواط والسحاق فلا عقاب لكل ذلك إلا إذا كان علانية تحت مسمى الفعل الفاضح⁽¹⁾.

المطلب الثالث: وجوه الإعجاز التشريعي في حد الزنا

المعجزة المستنبطة من خاصية الجلد التي أقرها الإسلام وحتمها في عقوبة الزاني غير المحصن والقاذف وشارب الخمر لها آثار صحية ومعالجة نفسية لأصحاب هذه المعاصي فناسب حجمها، ، وذلك من خلال جلد أو ضرب المدمن عدداً من المرات على ظهره، مما يساهم مساهمة فعّالة في التخلص من الإدمان، ويؤكد Dr. German Piiipenko - وفق تقرير نشرته صحيفة ديلي ميل البريطانية الشهيرة- أنه عالج أكثر من ألف حالة بهذه الطريقة، حتى إن الكثيرين يسافرون من دول بعيدة للاستفادة من هذا العلاج⁽²⁾.

ويقول علماء النفس إن هذا الأسلوب نوع من العقاب البدني على أفعال آثمة ارتكبتها مدمن الخمر أو مدمن الزنا، تشعره بذنبه وأن ما يفعله خطأ كبير لا بد من التخلص منه وعدم العودة إليه، وهو أسلوب فعال وقد استخدمه الكهان قبل مئات السنين.

ويعترف Dr. Sergei Speransky مدير الدراسات الحيوية بأن أسلوب الضرب بالقصب أو الخيزران على ظهر فعال في علاج الإدمان بسهولة، ونحن نعلم أن الله -تعالى- عالج ظاهرة

(1) طارق السيد، المجتمع وجريمة الزنا بين الشريعة والقانون، موقع رقيم، 28 أكتوبر 2017م، انظر الرابط التالي:

<https://cutt.us/ZcDpY>

(2) أطباء روس يكشفون لماذا يجلد الزاني وشارب الخمر في الإسلام، موقع الاقتصادي، 24 مارس 2016م، انظر

الرابط التالي: <https://cutt.us/rzpFW>

الإدمان على الحبس من جذورها، فهذه العقوبة سوف تطهر الزاني وتردع غيره وتقطع مشكلة الإباحة من جذورها ... وتنتقد ملايين الشباب من هذه الآفة المستعصية⁽¹⁾.

ولذلك نستطيع القول:

- 1- إن علاج مشكلة الزنا من خلال الجلد على الظهر علاج صحيح تمت تجربته آلاف المرات من خلال متخصصين في العلاج النفسي وعلاج الإدمان.
- 2- إن تطبيق حد الزنا سوف ينقذ الملايين من الموت بسبب الأمراض الجنسية المعدية، وسوف يوفر المليارات التي تنفق على علاج هذه الأمراض وسوف ينقذ ملايين الأسر من التفكك الأسري والعنف المنزلي ومشاكل أخرى قد تؤدي أحياناً للانتحار.. أيهما أفضل: مئة جلدة أم الموت والمرض؟

مع أن تكلفة جلسة عند طبيب متخصص في روسيا تكلف 60 دولاراً أمريكياً بينما الإسلام يقدم هذا العلاج مجاناً.

- 3- إن اعتراف المعالجين النفسيين أن ضرب مدمن الجنس يؤدي لنتائج جيدة في العلاج، يؤكد إعجاز القرآن في حد الزنا!! فإعجاز القرآن لا يقتصر على الحقائق العلمية اللغوية بل هنالك إعجاز في تطبيق الحدود.

وجوه الإعجاز في عقوبة الرجم:

إن الشارع قد فرق بين الزاني المحصن وغير المحصن في العقوبة تجسيدياً لمبدأ أهمية مراعاة ظروف الجاني وشخصيته في أثناء تقرير العقوبة، وذلك أن الدافع الجنسي لدى غير المتزوجين أقوى من المتزوجين، إذ يجد الأخير متنفساً مشروعاً لغرائزه، وهذا يعد نقصاً في الإرادة الآتمة، ونقصاً لإرادة يقابله نقص في المسؤولية الجنائية.

وذلك إذا تأملنا جميع الحقائق، ففي مرض خطير مثل السرطان المنتشر الآن كالنار في الهشيم، وليس له في غالب الأحيان إلا إزالة العضو المصاب، فيبتر الأطباء الجزء المصاب لإنقاذ الجسم، فهل هذا ظلم أو قسوة؟ لأن بتر الجزء المصاب أقل ضرراً من ترك سائر الجسم للهلاك وعلى النحو نفسه، موت مرتكب الزنا أقل ضرراً من النتائج الفظيعة لانتشار الزنا، من العينات الواقعية في الولايات المتحدة الأمريكية حالياً أن أكثر من 65 مليون شخص مصابون بأمراض جنسية لا يمكن

(1) الفهداوي طه والكبيسي صهيب، الحكم والأسرار المستنبطة من آيات الحدود في القرآن الكريم، 44، ج2، ص27.

علاجها، بل هنالك 15 مليون إصابة جديدة سنوياً، وكل هذا من انتشار مرض الإيدز عن طريق الفواحش المتفشية في سكانها النصارى والوثنيين⁽¹⁾، وهكذا يظهر الإعجاز جلياً حين ما حذر رسولنا -صلى الله عليه وسلم- قبل أربعة عشر قرناً حين قال: "لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا"⁽²⁾.

وهذا الحديث يعني أنّ الفاحشة، أي الزنا وما شابهها من شذوذ جنسي، إذا ما تفشى في قوم وانتشر وأعلنوا به، فلا بدّ من أن تنتشر الأمراض التي لم تكن معروفة أو مألوفة من قبل فيه، وهذا ما حدث فعلاً.

وصدق الله -سبحانه وتعالى- عندما حدثنا عن عواقب الزنا ومساوئه فقال: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً"^[الإسراء: 32]. وصدق حبيب الرحمن -صلى الله عليه وسلم- عندما قال: (خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر)⁽³⁾.

الخاتمة:

لقد بدا واضحاً من العرض السابق كيف أنّ الزنا جريمة تؤدي إلى تفكك المجتمعات البشرية، وبما أنّ الإسلام دين للعالمين فقد جرّم -من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية- هذه التصرفات الشنيعة وقدم حلولاً واقعية، كما حتّ على تفادي أو تجنب التصرفات التي من الممكن أن تقود حتى إلى الاقتراب من دائرة ارتكاب الفاحشة.

النتائج:

1. الشريعة الإسلامية حاربت الدوافع النفسية التي تدعو إلى الجريمة بالدوافع النفسية المضادة التي تصرف بطبيعتها عن الجريمة والتي لا يمكن أن يقوم غيرها من الدوافع النفسية معها.
2. في العقوبة تهذيب وإصلاح للجاني إذا ما وقع في الجريمة ليعود فرداً صالحاً مشاركاً في البناء المثمر للمجتمع.

(1) المرجع السابق، ص 27.

(2) ابن ماجه - السنن - حديث رقم 4019.

(3) تخريج السيوطي: تحقيق الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: 3240 في صحيح الجامع.

3. يقوم منهج الإسلام الوقائي من جريمة الزنا على سد المنافذ المؤدية إليه، وتقديم البدائل المغنية عنه.

4. أثبتت التجارب أن التشريع القرآني المعجز تفوق على القوانين الوضعية في حل المشاكل المستعصية مثل الزنا وغيرها.

ثانياً: التوصيات

5. ضرورة إنشاء مراكز بحثية متخصصة لبيان أوجه الإعجاز التشريعي القرآني مقارنةً بالتشريعات الأخرى.

6. ضرورة تكثيف البرامج الإعلامية المتخصصة في بيان أوجه الإعجاز التشريعي في القرآن.

7. تحديث الأبحاث في إبراز الإعجاز التشريعي فيما يستجد من اكتشافات تشريعية معجزة.

8. تفريد مادة خاصة تُدرس في الكليات الشرعية لنشر ثقافة الإعجاز التشريعية.

9. إقامة المؤتمرات والندوات في مجال الإعجاز وبيان الأسرار التشريعية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت: 476هـ)، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية.
3. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، بيروت: دار المعرفة، د. ط.
4. أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: 595هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاهرة، دار الحديث.
5. أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: 587هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، دار الكتب العلمية، ط2 (1406هـ - 1986م).
6. أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، المغني شرح مختصر الخرقي، دار إحياء التراث العربي، ط1 (1405هـ / 1985م).
7. أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (1424)، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، ط3

8. الداء والدواء لأبي عبد الله محمد أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، (ت751)، دار الفجر لتراث، القاهرة، مصر، ط1 (1999م).
9. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360 هـ) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، ط1 (1432 هـ).
10. شمس الدين أبو عبد الله بن أبيي الزرعي الدمشقي، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، مصر مطبعة المدني، (1377هـ).
11. طه الفهداوي و صهيب لكبيسي، الحكم والأسرار المستنبطة من آيات الحدود في القرآن الكريم، مجلة الجامعة العراقية، العدد 44، ج2، ص27.
12. عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، دار الكاتب العربي، بيروت.
13. عزت مصطفى الدسوقي، أحكام جريمة الزنا في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية، المكتب الفني للإصدارات القانونية، مصر، ط2 (1999م).
14. فتح الله سعيد (1411هـ - 1991م)، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية ط2354هـ، بيروت دار المعارف، ط2.
15. فضل إلهي، التدابير الوقائية من الزنا في الفقه الإسلامي، إدارة ترجمان الإسلام، حجر انواله باكستان ط3 (1988م).
16. محمد ابن القيم الجوزية (ت751)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محيي الدين الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1 (1397هـ).
17. محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، دار الاعتصام، (1398هـ).
18. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ط2 (1425 هـ - 2005 م).
19. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
20. مصطفى الرافي، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت.
21. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) المحقق، محمد زهري النجار، جدة، دار المدني، (1408هـ - 1988م).
22. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت ط1، 1419هـ.

23. جريمة الزنا في القانون المصري والمقارن، أحمد حافظ نور، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق جامعة، مطبعة مصر، ط1 (1958).
24. جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، دار الشروق، مصر، ط12 (1412هـ - 199).
25. داء الإيدز والأمراض التناسلية، للبروفسور الفاضل العبيد عمر، دار النفائس، بيروت، ط1 (1413هـ - 1993م).
26. دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، دراز محمد، دار القلم الكويت، ط2 (1394هـ-1974م).
27. سنن أبي داود أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي - بيروت.
28. سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، دار إحياء الكتب العربية.
29. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الطبعة الهندية.
30. ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط 10.
31. فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى 861هـ)، دار الفكر.
32. قانون العقوبات المصري المادة (277).
33. قانون العقوبات العراقي المادة (2/377).
34. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر - بيروت، الط2 (1414 هـ).
35. فتحي رضوان، من فلسفة التشريع الإسلامي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1975م.
36. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: 1367هـ)، دار الفكر، ط. د.
37. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.

ملامح الإبداع الأدبي لدى الشعراء الكتاب: ابن أبي الخصال الغافقي

نموذجاً

Features of literary creativity among writers poets: Ibn Abi Al-Khesal Al-Ghafiqi as a model.

إعداد الدكتور/ محمود علي عبد الحليم مصطفى

دكتوراه اللغة العربية تخصص أدب ونقد

Prepared by Dr. Mahmoud Ali Abdel Halim Mustafa

PhD in Arabic language literature and criticism

الملخص:

يروم الباحث من هذا البحث التعرف على ماهية مصطلح الشعراء الكتاب في المصنفات الأدبية والنقدية القديمة، وذلك لكثرة وروده مقترناً بالعديد من الأدباء الذين زوجوا في إبداعهم بين النظم والكتابة باختلاف أنواعها، ولكن هذا المصطلح من المصطلحات التي لم تتل حظاً وفيراً من البحث والدرس في العصر الحديث، من خلال استجلاء معالمه وما يرمي إليه، ورصد أطر تطوره بداية من نشأة المصطلح وصولاً إلى شيوعه واستقراره.

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي لمصطلح الكتاب الشعراء، وكذلك التزم بمحددات المنهج نفسه في التعرض لنتاج ابن أبي الخصال النثري والشعري بغية استجلاء ملامح الإبداع عند من توفرت لديهم آليات المزوجة بين شقي الإبداع؛ المنظوم والمنثور.

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن مصطلح الكتاب الشعراء تعارف عليه النقاد منذ القدم، وأضافوه على جملة من الشعراء منذ العصر الجاهلي، ولكن هذا المصطلح كغيره من المصطلحات قد مر بمراحل عدة، وقد تحددت ماهيته ومحدداته منذ نهاية العصر الأموي، وكثر في استعمال المصنفين في بدايات العصر العباسي الأول.

الكلمات المفتاحية: الشعراء الكتاب، مزوجة الإبداع، ابن أبي الخصال، الشعر، النثر، النقدي.

Abstract:

From this research, the researcher aims to identify the nature of the term “book poets” in ancient literary and critical works, due to its frequent occurrence in conjunction with many writers who combined their creativity between systems and writing of various kinds, but this term is one of the terms that have not received much research and study in the modern era, by clarifying its features and what it aims at, and monitoring the frameworks of its development starting from the emergence of the term to its prevalence and stability.

The researcher relied on the inductive and analytical approach of the term poets' book, as well as adhered to the limitations of the same method in the exposure to the prose and poetic productions of Ibn Abi Al-Khasal in order to clarify the features of creativity among those who had the mechanisms of pairing between the two parts of creativity; Organized and scattered.

The researcher reached a set of results, the most important of which are: that the term poets' book has been known by critics since ancient times, and they have added it to a group of poets since the pre-Islamic era, but this term, like other terms, has gone through several stages, and its nature and determinants have been determined since the end of the Umayyad era, and it has multiplied in The use of classifiers at the beginning of the first Abbasid era.

Keywords: book poets, creativity pairing, Ibn Abi al-Khisal, poetry, prose, criticism.

المقدمة:

اقترن النقد العربي باقتران ذبوع الإبداع الأدبي بمختلف أشكاله وألوانه منذ العصر الجاهلي، فلا يخفى عن الدارسين في حقل الأدب والنقد، أن النابغة كانت له خيمة في سوق عكاظ؛ يحتكم إليه الشعراء فيها، كما أن قضايا التحكيم بين المتنافرين في الجاهلية أبين من أن يُدلل عليها، فمنذ عصر ما قبل الإسلام قسموا الشعراء إلى مدرستين، مدرسة عبيد الشعر، ومدرسة الارتجال أو المطبوعين، وهذا التقسيم مع تفضيل إحدى المدرستين على الأخرى، لا ينبع إلا من تولد الجسّ النقدي مقروناً أو تالياً للإبداع الأدبي⁽¹⁾.

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، دط، بيروت: مكتبة الهلال، 1423هـ، ج 2 ص 10.

ومعلوم أن العرب قد تنبهوا إلى العديد من القضايا النقدية، التي ساعدت على الارتقاء بالحس الإبداعي، والتعرض للجماليات والمثالب في النص الإبداعي، فقد وصلت إلينا جملة من المصطلحات؛ أعيدت على غرارها قراءة أغلب النصوص الإبداعية القديمة في العصر الحديث، كقضية اللفظ والمعنى والانتحال والسرقات الشعرية و...، ولكن مع مطالع الاحتكاك بالثقافة الغربية في بدايات القرن العشرين، انجرف العديد من النقاد العرب خلف ركبهم، وقاموا بتعريب نظرياتهم ومصطلحاتهم النقدية، وراحوا يطبقونها على النصوص الأدبية العربية قديمًا وحديثًا، مع العلم أنني لست ممن يرفض الاحتكاك بين الثقافات، أو يعادي بعض السنن الكونية التي تقضي بضرورة التواصل بين الأمم، واستفادة بعضها من بعض في الشؤون الحياتية، ولكن هذا في حد ذاته قد عاد بالسلب على المرجعية النقدية العربية؛ إذ تولد لدينا جيلٌ بأكمله يجهل النظريات النقدية العربية، إلا ما تلمم لديه من معلومات عابرة تتعلق بإحدى القضايا النقدية، التي لا زالت تحافظ على مكانتها وسط ذلك التكسب والزخم من النظريات الغربية.

لذلك فإن نقدنا العربي القديم لا يزال بحاجة إلى مزيد من الجهد، للكشف عما لم يظهر في الساحات النقدية المعاصرة؛ لإحداث موازنة بين النظريات النقدية العربية، والنظريات النقدية الغربية التي تسلطت على أغلب الجامعات العربية، فلا يزال ثمة ما يحتاج فيه إلى بذل الجهد للكشف عنه، واستبانة مرماه وما يهدف إليه.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها: تكمن إشكالية هذا البحث في مجموعة من التساؤلات، التي تفرعت عن الإشكالية الرئيسية لهذا البحث، ويمكن صياغتها في التساؤل الآتي:

ما هي ملامح الإبداع الأدبي لدى المبدعين الذين توفرت لديهم ملكتي النظم والكتابة؟

والتساؤلات الفرعية الناتجة عن ذلك التساؤل الرئيس يمكن صياغتها فيما يلي:

- ما هي ملامح التطور والتغيير في مصطلح الكتاب الشعراء في النقد العربي القديم؟
- هل تؤثر إحدى ملكتي الإبداع على الأخرى لدى الشاعر الكاتب؟
- ما هي معيارية الإبداع المنظوم والمنثور في نتاج ابن أبي الخصال الغافقي؟ وهل يوجد تأثير لأحدهما على الآخر لديه؟
- ما هي دواعي شيوع مصطلح الشعراء الكتاب على العديد من المبدعين في العصرين العباسي والأندلسي؟

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي لمصطلح الكتاب الشعراء، وذلك بالتطبيق على نتاج ابن أبي الخصال النثري والشعري بغية استجلاء ملامح الإبداع عند من توفرت لديهم آليات المزوجة بين شقي الإبداع؛ المنظوم والمنثور.

أهداف الدراسة:

هدفت من خلال هذا البحث إلى التنقيب عن مصطلح "الشعراء الكتاب" أو "الكتاب الشعراء"، وذلك لكثرة وروده في المصنفات النقدية القديمة، ولكنه -ولأسف- قوبل بالإهمال، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه من المصطلحات التي لا تقترن بوقت معين كغيره من المصطلحات النقدية التي فتلت بحثاً -كما يراها البعض-؛ بل هو مصطلح قديم حديث -مع تغير الجهة القدم والحداثة- وتواجهه مقترن بتواجد الإبداع، الذي يقترن في حد ذاته بتواجد الحياة والبشر.

المبحث الأول: ماهية مصطلح الكتاب الشعراء في الموروث النقدي القديم

مر مصطلح الشعراء الكتاب -كغيره من المصطلحات- بمراحل ظهور وتطور، -كما هو الحال في النظريات والظواهر ألا تظهر مكملة الأركان دفعة واحدة- فقد ظهر مقترناً بعدد من الشعراء في الجاهلية الذين يجيدون تدوين أشعارهم.

مصطلح الشعراء الكتاب في الجاهلية:

إن اصطلاح الشاعر الكاتب في العصر الجاهلي يشير إلى كل شاعر غير أمي، أو يحسن صنعة الكتابة، وقد أغفل المؤرخون والنقاد إظهار مدى أهمية الكتابة والتدوين في ذلك العصر، ولم يشيروا إلى مدى أهميتها في نقل النتاج الأدبي الجاهلي إلى عصر التدوين، وقد اكتفوا بدور الرواة، مع أن تلك القضية أوضح من الشمس في رابعة النهار للدارس لقضية المعلقات وكتابتها وتعليقها بأستار الكعبة، وقد تعرض الدكتور ناصر الدين الأسد لهذا المصطلح، وأفرد له فصلاً كاملاً من كتابه الممتع "مصادر الشعر الجاهلي"، وانتهى في فصله هذا إلى أن ذلك الكم الهائل من أشعار الجاهليين لم يحفظ إلى عصر التدوين عن طريق الرواة فحسب، بل إن من الشعراء العرب من اعتمد على تدوين شعره كتابة، "حتى من لا يعرف الكتابة من الشعراء، يرسل إلى من يعرفها؛ ومن أنصع الإشارات إلى ذلك ما ذكره ابن الأعرابي قال: بلغ عمرو بن كلثوم أن النعمان بن المنذر يتوعده، فدعا كاتباً من العرب، فكتب إليه:

ألا أبلغ النعمان عني رسالة فمدحك حولي وذكك قارح⁽¹⁾

وهذا بدوره يحيلنا إلى أن الكتابة كان لها دور بارز في العصر الجاهلي حتى وإن قل من يحكمها، وخاصة لدى الشعراء الذين تمتعوا بأعلى المكانات في الجاهلية، فشاعر القوم هو سيدهم أو من جملة ساداتهم، وهذا بدوره يحيلنا إلى أن الشاعر الكاتب كان من أعلى الطبقات الاجتماعية في ذلك العصر، فضلاً عن تميزه عن أقرانه من الشعراء الأميين، أو الذين لا يحسنون صناعة الكتابة، ولا أدل على ذلك مما أورده ناصر الدين الأسد عن بعض الشعراء الكتاب الذين كانوا يكتبون ويترجمون في بلاط كسرى في ذلك العهد.

ولكن لنا هنا أن نلاحظ أمراً هاماً؛ وهو أن كل من ذكرهم في مصنفه من الشعراء الكتاب – وهو بالطبع لم يحصرهم جميعاً- لم يجتمعوا في طبقة واحدة من طبقات الشعراء، ومن بينهم الشاعر الكاتب الناقد النابغة الذبياني، وهو ثاني فحول الشعراء في الجاهلية كما صنفه ابن سلام الجمحي⁽²⁾، ومن بينهم عدي بن زيد العبادي، ولقيط بن يعمر الإيادي، والربيع بن زياد العبسي، وغيرهم...

لذلك فالشعراء الكتاب في العصر الجاهلي انقسموا إلى فريقين، الأول منهما: وهم طبقة الشعراء الكتاب النقاد، وهذه الطبقة لم نرصد منهم إلا النابغة الذبياني، ومن جاء بعده في عصر متأخر، ممن ينتسبون لمدرسة عبيد الشعر مثل: كعب بن زهير، وأخيه بجير، وليبيد بن ربيعة العامري، وعليه فإنه يمكننا الحكم بأن تلك الفئة من الشعراء الكتاب، امتازوا عن غيرهم بالإعمال العقلي في النص الشعري والتدخل فيه بالتدقيق والتحميص، حتى يخرج مستويًا خاليًا من المثالب والنقائص.

والفريق الثاني: أولئك الشعراء الذين أحكموا صناعة الكتابة، وسلطوها للإفادة في جانب آخر، كأمثال العديد من الشعراء الكتاب الذين عملوا في بلاط كسرى، أو كانوا سفراء لأقوامهم لدى الفرس والروم والحيرة وغيرهم، وهذا بشأنه لا يحط من قدرهم كشعراء نابغين، ولكن يضعهم - وفقاً للقرائن والدلائل المستوية أمامنا في العصر الحديث- في مرحلة تالية للشعراء الكتاب النقاد، بل ربما يأتون في مرحلة ثالثة بعد كثير من الشعراء غير الكتاب أو الأميين.

(1) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ط7، القاهرة: دار المعارف، 1988م، ص115.

(2) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، جدة: دار المدني، ج1 ص51.

ونخلص ممّا سبق، إلى أن الشعراء الكتاب في الجاهلية هم الشعراء الذين كانوا يحسنون صناعة الكتابة، فمنهم من سلط علمه بالكتابة للاستزادة من تفننه في الشعر أو الحكم بين الشعراء ونقد أشعارهم وقصائدهم، وهؤلاء هم الشعراء الكتاب النقاد، ومنهم من استعان بامتلاكه لزام الكتابة للترقّي والاتصال بالقصور والدول الكبرى آنذاك.

مصطلح الكتاب الشعراء في العصر العباسي:

ظهر مصطلح الشعراء الكتاب أو الكتاب الشعراء ظهورًا جليًا في المصنفات النقدية في العصر العباسي، وثمة فرق ببينه وبين ماهية المصطلح في العصر الجاهلي، حيث إن الشاعر الكاتب في ذلك العصر هو الكاتب المجيد لإحدى الفنون النثرية؛ كأن يكون خطيبًا أو مترسلًا، وربما يكون ناقدًا- كما سيأتي بيانه في موضعه- مع إجادته لنظم الشعر، فتجمّع لديه الإبداع الأدبي في أحد الفنون النثرية والقول الشعري.

لعل ظاهرة الكاتب الشاعر في العصر العباسي ظهرت لدى الكتاب المشهورين، فهم أئمة البلاغة في المنثور كما هو معروف عنهم، وأثر عنهم إجادتهم للنظم، كأمثال إبراهيم الصولي الكاتب، والجاحظ، ومحمد بن عبد الملك الزيات، ولعل هؤلاء الكتاب قد تأثروا بالغ الأثر- في الكتابة والترسل وترصيع بعض كتابتهم بالنظم- بعبد الحميد الكاتب، الذي كتب لآخر خلفاء بني مروان، وقتل مع مروان بن محمد على يد العباسيين، فقد نجد الكثير من رسائله التي وصلت إلينا ممزوجة بأبيات من الشعر من خالص نظمه⁽¹⁾.

وهناك العديد من الأخبار التي تدل على تأثر أغلب الكتاب في العصر العباسي بعبد الحميد الكاتب، نظرًا لامتلاكه زمام البلاغة في زمنه، وقد ظهر هذا التأثير على أعلام الكتاب في العصر العباسي، فتأدبوا بكتاباته وتأثروا بأسلوبه في الترسل، ومنهم من أجاد في طرفي إبداع الترسل والنظم، كأمثال "إبراهيم بن العباس الصولي وأخوه عبد الله اللذين كانا من وجوه الكتاب، وكان عبد الله أسنهما وأشدّهما تقدمًا، وكان إبراهيم أدبهما وأحسنهما شعراء، وكان إذا قال شعراً اختاره وأسقط رذله وأثبت نخبته"⁽²⁾، وكذلك نجد الجاحظ سلك نفس النهج في بعض ترسلاته وكتاباته،

(1) صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، طبعة 1420هـ = 2000م، بيروت: دار إحياء التراث، ج18 ص52.

(2) ياقوت الحموي، معجم الأديب = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ = 1993م، ج1 ص71.

ومن ذلك رسالته الشهيرة في أبي الفرج، والتي أورد فيها قصيدة من نظمه يمدح فيها أبا الفرج ويستعطفه⁽¹⁾.

يتضح من ذلك العرض أن مصطلح الكتاب الشعراء اتضحت معالمه جلية منذ نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي، دون أي تصريح بالمصطلح في أي من المصنفات النقدية، وذلك من خلال تمييز بعض الكتاب والنقاد في قرض الشعر، وأثرت عنهم قصائد ودواوين تنم عن شاعرية متفردة من شعراء العصر العباسي، ولم يظهر هذا المصطلح في مصنفات الأدباء والنقاد في العصر العباسي الأول، ولكن بانتشار الظاهرة في الأوساط الأدبية؛ ظهر المصطلح في مصنفات الأدباء والنقاد في العصر العباسي الثاني، حتى نجد من بينهم من يفرد كتابًا للصناعتين الكتابية والشعر⁽²⁾، أو يفرد في كتابه بابًا للكتاب الشعراء⁽³⁾.

مصطلح الكتاب الشعراء في العصر الأندلسي:

تأثر الأندلسيون بالمشاركة أيما تأثر، وظهر ذلك بداية في المعارضات الشعرية، وحاولوا أن يحذوا حذو المشاركة في أزهى عصورهم أعني العصر العباسي.

اتضح تأثير المشاركة على الأندلسيين في الشعر والترسل والتصنيف الأدبي، ولا أدل على ذلك من كتاب العقد الفريد للكاتب الشاعر ابن عبد ربه، فقد توصل بعض الباحثين في العصر الحديث، إلى مدى تأثر ابن عبد ربه في تصنيف العقد الفريد بكتابي عيون الأخبار لابن قتيبة، والأمالي لأبي علي القالي، وهذا لا يتعارض مع كون ابن عبد ربه "صاحب رأي وصاحب ذوق يطلان في كثير من الأماكن بشكل واضح وجلي، فضلا عن كونه شاعرًا بارعًا قويّ الديباجة، سلس الأسلوب دقيق المعاني، ولكن مع ميل إلى تقليد المشاركة، والعمل على محاكاتهم وإظهار

(1) عمر بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، ط2، بيروت: مكتبة الهلال-، الطبعة الثانية، 1423هـ، ص73.

(2) كتاب الصناعتين الكتابية والشعر، لأبي هلال العسكري، من المصنفات النقدية الهامة في القرن الرابع، وهو من أجمع المصنفات النقدية التي تناولت محاسن المنظوم والمنثور ومساوئه، بتحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة 1419 هـ، بيروت: المكتبة العنصرية – بيروت.

(3) من أشهر النقاد الذين اعتنوا بشعر الكتاب نجد ابن رشيق القيرواني قد أفرد بابًا من كتابه الممتع "العمدة" عنوانه (باب في أشعار الكتاب)، وتناول الظاهرة من منظور نقدي وعرض لأشعار جملة من الكتاب السابقين لعصره، انظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، بيروت: دار الجيل، 1401هـ=1981م، ج2 ص106.

التفوق عليهم في أغلب الأحيان⁽¹⁾، وقضية تأثر الأندلسيين بالمشاركة قد استقصاها العديد من الباحثين في دراساتهم وبحوثهم، وفصلوا القول في هذا الجانب، ولكن طبيعة ما تجمّع لدينا في هذا الجانب تحوّل بنا إلى تقسيم عهود الأندلس الثقافية إلى عهدين، الأول منهما؛ التأثر الواضح والتقليد المستمر للمشاركة في شتى المظاهر العلمية والثقافية والاجتماعية، وهذا في ذاته يخولنا للحكم عليهم بالتقليد المقيت، إلا أنه يمكننا إرجاع ذلك إلى حب الانتماء للهوية والقومية العربية.

والعهد الثاني؛ وهو عهد الإبداع والابتكار، وقد يبدأ مع بدايات القرن الرابع، وجملة الأدباء والكتاب والشعراء والفقهاء والفلاسفة والعلماء منذ ذلك الحين إلى نهاية عهد الأندلس، ينبئنا بالخبر اليقين في هذا الأمر، حتى وإن كان هناك معارضات في بعض الآثار الأدبية أو المصنفات النقدية في ذلك العهد؛ فقطعاً لا تخلو من التفرد والإبداع.

وإذا سرنا على ذلك التقسيم واقتنعنا به نجد أن النقاد والأدباء في المشرق والأندلس يغفرون من معين واحد، يتمثل في موروث ثقافي وديني وأدبي ونقدي واحد، وقد ظهر هذا جلياً في مراحل زمنية لاحقة، وعجت المصنفات المشرقية بأثار الأندلسيين في شتى النواحي العلمية، ولا نستثنى من ذلك النظريات النقدية والمصطلحات؛ فلقد تعرض النقاد والأدباء الأندلسيون لمصطلح الكتاب الشعراء، ولا يمكننا أن نحصي من تلقبوا بهذا اللقب، ولكنهم طوروا في المصطلح شيئاً، وأعلوا من مكانة من يتحلّى بالإبداع النثري والشعري حتى كانوا يقلدونه الوزارة، ومنهم من أثبت كفاءته وتفردته وولاهه في الوزارة الأولى، فيلي الوزارة الثانية للحاكم التالي، فيلقب بـ(ذي الوزارتين) على نحو ما سنرى في المبحث الثالث، فقلما نلمح في ترجمة أحد الكتاب الشعراء من لم يتقلد الوزارة، فكانت طائفة الكتاب الشعراء الوزراء، من أعلى الطبقات السياسية والاجتماعية والثقافية في المجتمع إذ ذاك، وتليهم طبقة الكتاب الشعراء الذين لم يسعفهم الحظ لتولي الوزارة، فكان التقسيم الطبقي عند الأندلسيين لا يختلف عن التقسيم الطبقي عند المشاركة، وهذا التقسيم كما ذكره أبو بكر الصولي يبدأ بـ"دائرة الخلفاء، ثم دائرة أولاد الخلفاء، ثم دائرة الشعراء الكتاب الوزراء، ثم الشعراء الكتاب"⁽²⁾، وهذا التقسيم ينطبق بجملة على أهل الأندلس، فيكون اتفاق أهل المشرق والأندلس في هذا مؤكداً لما ذهبنا إليه آنفاً من تقسيم الأندلس إلى عهدين.

ونخلص مما سبق، إلى أن مصطلح الشعراء الكتاب أو الكتاب الشعراء ورد إلى الأندلس متضح المعالم، ولم يختلف عما كان عليه عند النقاد المشاركة في العصر العباسي، ولكن العناية

(1) أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تقديم: مفيد محمد قميحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1404هـ، ج1 ص4.

(2) أبو بكر الصولي، الأوراق قسم أخبار الشعراء، طبعة 1425هـ، القاهرة: شركة أمل، ج1 ص32.

بتلك الطائفة ظهرت في الأندلس أكثر منها في المشرق، وربما يرجع هذا لكثرة الممالك وانتشارها في عصر الممالك والإمارات في القرن الرابع، فكان كلُّ حاكم يستوزر أحد الشعراء الكتاب النابهين في زمانه، وظلت الظاهرة تحظى بنفس الأهمية على عهد المرابطين، الذين أعلوا من قيمة العلم والعلماء، واستوزروا الكتاب الشعراء، وكانت الحركة الأدبية على عهدهم قد بلغت شأوها، فكثرت طبقة الكتاب الشعراء نظراً لتوحد رقعة الأندلس، وإزالة تمزقاتها التي سبقت عهد المرابطين؛ فكان لا يصل إلى قصور الحكام إلا من تثبتت براعته في شتى العلوم والآداب، وملك زمام البلاغة والبيان، كأبي عبد الله بن أبي الخصال .

المبحث الثاني: أهم العوامل والأسس التي تعمل على مزاجية الإبداع الأدبي:

بتقسي ذلك مصطلح الشعراء الكتاب في المصنفات النقدية القديمة وكتب التراجم؛ نجد أن الكاتب الشاعر شغل نفسه في البداية بالكتابة، وتولدت الموهبة الشعرية كمرحلة تالية لإجادته للمنثور من القول وتملكه زمام البلاغة والفصاحة، وتلك هي القاعدة العامة التي لا بد أن يشذ عنها قلة ممن يندرجون تحتها، وكما قيل: لكلِّ قاعدة شواذ.

أهم العوامل والأسس التي تعمل على مزاجية الإبداع الأدبي:

هناك بعض العوامل التي قد تخلق من الكاتب شاعراً، أو من الشاعر كاتباً، فينقسم إبداعه بين المنثور والمنظوم، ومن أول تلك العوامل: ارتفاع طبقة الكتاب الشعراء في العصرين العباسي والأندلسي عن طبقة الشعراء وعن طبقة الكتاب والنقاد، حيث اعتنى الحكام باتخاذ الكتاب الشعراء وزراء لهم، ولا يبعثهم على ذلك إلا إجادتهم التامة للكتابة والترسل -على وجه الخصوص- وقرضهم الشعر، فيكون بذلك مالكا لعنان البيان في زمانه وزمامه، ومما يعزز هذا، قول "مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال ملكه: قد احتجت إلى أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي؛ فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تدعوهم إلى حسن الظنِّ بك، فإن استطعت أن تنفعي في حياتي، وإلا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد مماتي"⁽¹⁾.

ومن أهم العوامل التي أدت إلى النبوغ في طرفي الأدب، اتساع الثقافات وانفتاح العرب على الأمم الأخرى خاصة في العصر العباسي، ويتولد عن هذا روح المنافسة التي عمت قصور الخلفاء والحكام شرقاً وغرباً، بغية العطاء وكان طموح الأديب الخامل، أن يحظى بمكانة تؤهله للوزارة

(1) أحمد ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 1 ص 73.

لدى الحاكم أو الخليفة، وترتب على ذلك "تعدّد الوزراء الكتاب الشعراء، وأصبحت المنافسة أشد وأقوى"⁽¹⁾، وهناك العديد من الأسس والعوامل التي ساعدت على خلق تلك الطبقة من الأدباء، واقتراهم بشئون الحكم والسياسة، لا يسعنا المجال لبسطها.

مزوجة الإبداع الأدبي ومدى تسلط أحدهما على الآخر قديماً وحديثاً:

تنبئنا الآثار النقدية -التي أثرت عن النقاد العرب في هذا الشأن- بمدى إخفاق شعر الكتاب، وتصنيفهم في مرحلة تالية للشعراء المتفردين بالشعر، ونلمح ذلك الأمر في أكثر من مصنف نقدي، فمن ذلك ما ذكره أبو إسحاق الحصري القيرواني عن "أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم أنه كان عالي الطبقة في البلاغة، ولم يكن في زمانه أكتب منه، وله شعر جيد مرتفع عن أشعار الكتاب، ووزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد"⁽²⁾، فصنفه في مكانة وسط من طبقات الشعراء، فشعره يفوق شعر الشعراء الكتاب، ويتبع شعر الشعراء المتفردين في إبداع الشعر، ولم يبعد علي بن الحسن الباخري كثيراً عن هذا التصنيف حين تعرض لترجمة أبي منصور الكاتب ووصفه بأنه "من أشعر الكتاب، وأكتب الشعراء"⁽³⁾، فهذا التصنيف رغم إجادته، وحسن وصفه، إلا أنه لا يخرج جودة شعره من دائرة طبقة الشعراء الكتاب، فنراه لم يزد شيئاً عما ذكره النقاد قبله في تصنيف الشعراء الكتاب.

يظهر لنا من هذا أن الشعراء الكتاب الذي زاوجوا أو عددوا في الإبداع الأدبي ما بين منثور ومنظوم، كانوا يمثلون طرازاً خاصاً بعيداً عن الأقران المتفردين في أيّ من فنون الإبداع، فلا هم في عداد الكتاب ولا هم في عداد الشعراء، لكن يتضح مدى تفردهم في الجانب النثري بلا أدنى شك، وإنّا لنلمح أنّ أغلب النقاد يضعونهم في مرحلة تالية للشعراء غير الكتاب في زمانهم، وهذا يحيلنا بدوره على أن الجانب النثري عند الشعراء الكتاب قد تسلط على الجانب الشعري، ولعل العماد الأصفهاني قد صرّح بهذا في ترجمته لأمين الدولة العلاء بن الحسن بن وهب حيث قال: "كان بليغ الإنشاء سديد الآراء؛ رسائله تعبر عن غزارة فضله، ووفور علمه، وكان نثره أحسن من

(1) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ط5، بيروت: دار الثقافة، 1978م، ص 107.

(2) أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، دط، بيروت: دار الجيل- بيروت، ج2ص483.

(3) علي بن الحسن بن علي الباخري، دمية القصر وعصرة أهل العصر، ط1، بيروت: دار الجيل، 1414هـ، ج2 ص1227.

نظمه، لتمرنه عليه، وانقطاعه إليه⁽¹⁾، فالنصوص واضحة جلية على تسلط النثر على النظم عند الكاتب الشاعر، وهذه الآراء تضعنا أمام أمر هام، وهو عدم إمكانية تعميم ذلك الحكم على كافة طبقات الكتاب الشعراء؛ إذ نلمح من بينهم من أجاد إجادة تامة في المنثور والمنظوم، ولا أدل على ذلك من الإبداع الأدبي عند الأديب الشاعر الكاتب أبي العلاء المعري، وهو شيخ البلاغة الذي لا يضاهي في زمانه بأي من الشعراء أو الكتاب، وآثاره الإبداعية من المنظوم والمنثور أبين من أن يدلل عليها، وقد أجاد ابن رشيق القيرواني حين بدأ حديثه في باب أشعار الكتاب بأن "الكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً، وأملحهم تصنيعاً، وأحلامهم ألفاظاً، وأطفهم معاني، وأقدرهم على تصرف، وأبعدهم من تكلف"⁽²⁾. فهذا يحدو بنا لئلا نعمم الحكم على النتاج الشعري لهذه الطائفة بالإخفاق، ونماذج الشعراء الكتاب الذين أبدعوا في المنظوم على مر العصور كثر، وإنما كان استدلالنا بشيخ المعرة لقرب عهده بعصر النقاد الذين ذكرنا أقوالهم أنفاً.

كما لا يخفى علينا أن من ذكرنا أقوالهم عن بعض من أشعار الكتاب هم أنفسهم ينسحب المصطلح عليهم، فالباخرزي من الكتاب الشعراء، وعلي الحصري القيرواني كذلك كان أحدهم، وكان متأثراً في نظمه بأبي العلاء المعري، وكذلك ابن رشيق القيرواني، ومن قبلهم ديوان أحمد بن عبد ربه صاحب العقد، ينبئ عن امتلاكه طرفي الإبداع الأدبي، وقلما نجد كاتباً أو ناقدًا لم يؤثر عنه شعر، ومنهم من تفرد عن أقرانه من الشعراء في زمانه، فكان سابقاً لهم في مختلف فنونه، ولعل ابن زيدون أفضل من يمكننا أن ندلل به على هذا القول، فقد كان فرد زمانه في الشعر لا يضاهي به أحد من الأندلسيين، وتأثر به كثير من المشاركة وراق لهم شعره، وكان وزيراً لابن جهور، وبعدها كان نديماً للمعتضد بن عباد، وله رسائل تكشف عن عظيم إبداعه وحسن ترسله⁽³⁾.

(1) عماد الدين الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق، تحقيق: محمد بهجة الأثري، والدكتور جميل سعيد، طبعة 1375هـ = 1955م، العراق: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ص124.

(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج2 ص106.

(3) ابن زيدون: هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي الشاعر المشهور، وكان من أعلام الشعراء الكتاب الوزراء في القرن الخامس الهجري، وقد شغل شعره الأديباء والنقاد قديماً وحديثاً، ومن أشهر رسائله الرسالة الجدية والرسالة الهزلية، فضلاً عن جملة من الرسائل السياسية والديوانية، وقال عنه ابن بسام: كان أبو الوليد صاحب منثور ومنظوم، وخاتمة شعراء مخزوم، أحد من جر الأيام جراً، وفات الأنام طراً، وصرف السلطان نفعاً وضراً، ووسع البيان نظماً ونثراً؛ إلى أدب ليس للبحر تدفقه، ولا للبدر تألقه. وشعر ليس للسحر بيانه، وللنجوم الزهر اقترانه. وحظ من النثر غريب المباني، شعري الألفاظ والمعاني. انظر: ابن

ولا يختلف حال الشعراء الكتاب كثيرًا بين القديم والحديث، فقد ظلت هذه الظاهرة مستمرة إلى العصر الحديث، وعلى مر التاريخ الأدبي نلمح من الشعراء الكتاب من كان له السبق في المنظوم والمنثور في زمانه، وقبل الشروع في رصد مدى تسلط أحد طرفي الإبداع على نتاج الكاتب الشاعر في العصر الحديث؛ يجدر بنا التنبيه على أمر هام في هذا المقام، وهو ضرورة التفريق بين الكاتب الشاعر والناقد الشاعر، فذائك مصطلحان بينهما اختلافات جوهرية واضحة، ولكن في أغلب الأحيان يُشار إلى النقاد الشعراء بمصطلح الكتاب الشعراء، والتفريق بين كل من المصطلحين يوقفنا على ماهية الكاتب الشاعر بدقة وتحريًا، وقد فطن محقق كتاب معجم الأدباء إلى هذا الخلط الحادث بين المصطلحين، ففي حديثه عن ياقوت الحموي في خاتمة الكتاب وصفه بالأديب الناقد⁽¹⁾.

ونرى في العصر الحديث أن المصطلح أصبح أكثر تحديدًا، إذ كان مصطلح الكاتب الشاعر يُسلط على فئة الأدباء الذين توفرت لديهم مزاجية الإبداع الأدبي، فنجد أمثلة للكاتب المسرحي والشاعر، أو الكاتب الروائي والشاعر، أو القاص والشاعر، وكل هؤلاء يندرجون في عداد الكتاب الشعراء، وهم بطبيعة الحال يختلفون عن فئة النقاد الشعراء الذي تلمح انتشارهم في العصر الحديث، كما كانوا في العهود القديمة وقد سبق التنبيه لذلك.

ومن أعلام الكتاب الشعراء في العصر الحديث، أمير الشعراء أحمد شوقي الذي لا يخفى إبداعه الأدبي نظمًا ونثرًا على أي من الأدباء والنقاد في العصر الحديث، ومن الكتاب النقاد الشعراء الذين لا يخفى جهدهم في الإبداع الأدبي بشقيه نظمًا ونثرًا، مؤسسو مدرسة الديوان الشعرية والنقدية؛ عبد الرحمن شكري، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم المازني، فنتاجهم النقدي والإبداعي النثري والشعري شغل الباحثين ردحًا طويلًا، ولذا يمكننا أن نخلص إلى تقرير الفرق

بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، طبعة 1981م، ليبيا: الدار العربية للكتاب، ج 1 ص336.

(1) قال الدكتور إحسان عباس محقق كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي أن ياقوت "ترك - عدا مقدمات كتبه- نموذجًا نثريًا واحدًا هو رسالته إلى القفطي- التي مرّت الإشارة إليها، وهي رسالة نقلها ابن خلكان في ترجمة ياقوت على طولها، ولم يستطع الاجتزاء ببعضها، ويبدو أنه كان معجبًا بمستواها الأسلوبي وبسببها قال الذهبي فيه "وكان جيد الإنشاء" وقال أيضا: "وتواليفه حاكمة له بالبلاغة"، فهو بهذا لا يعد من الكتاب الشعراء وإنما يوضع في عداد النقاد الشعراء، وقد أورد المحقق جملة من أشعاره في خاتمته للكتاب، وفي هذا دليل واضح على ضرورة التفريق بين مصطلحي الكتاب الشعراء والنقاد الشعراء. انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ= 1993م، ج 7 ص2925.

الواضح بين الكتاب الشعراء والنقاد الشعراء، والنقاد الأدباء قديماً وحديثاً، وقد يتحكم أحد طرفي الإبداع على نتاج الأديب، وفي الغالب يظهر أثر النشر على الشعر جلياً واضحاً، ولا يمكننا الحكم بتصنيف فئة الكتاب الشعراء في مرحلة تالية للشعراء في أي من العصور، على نحو ما عرضنا من آراء ودلائل توحى بإمكانية سبق الشاعر الكاتب لكل أقرانه من الشعراء في عصره، وقد سقنا أدلتنا على هذا من خلال ذكر بعض الأعلام من الكتاب الشعراء، كأمثال أبي العلاء المعري، وابن زيدون، وأحمد شوقي وغيرهم كثير، وقد نال كل منهم حظه من النقد لتناجهم الأدبي، وأفصحت أغلب النقاد -إن لم يكن جميعهم- على أن كلاً منهم سابق لشعراء عصره بلا منازع.

المبحث الثالث: ملامح الإبداع الشعري والنثري عند ابن أبي الخصال الغافقي⁽¹⁾

أوردت المصادر الأدبية والنقدية آثار ابن أبي الخصال النثرية والشعرية، من القرن السادس الهجري، وفي طليعة تلك المصادر التي أوردت جملاً من إبداعات ابن أبي الخصال وأخباره، كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني، وكان يرى لابن أبي الخصال ريادة على الكتاب الشعراء المعاصرين له في الأندلس، ف"هو اليوم بحيث لا تشير الأصابع إلا إليه، ولا تنطوي الأضالع إلا عليه، وله بيان لا يتعاطاه ناظم ولا ناثر، وإحسان لا يبلغ مداه أول ولا آخر"⁽²⁾، ولا يخفى من نَهَج نَهَج ابن بسام من الأدباء والنقاد الأندلسيين والمشاركة، ونهلوا من آثار ابن أبي الخصال نثرًا ونظمًا وزينوا به مصنفاتهم، وأولى الناس بذلك تلامذته النابيهون من أعلام

(1) هو ذو الوزارتين أبو عبد الله؛ محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن مجاهد بن (أبي الخصال) خلصة الغافقي، نسبة إلى قبيلة غافق إحدى القبائل العربية الشهيرة، كان من الكتاب الشعراء الذين عم فضلهم، وأظنبت النقاد والأدباء في مدحهم، ولي الوزارة والكتابة ليوسف بن تاشفين ومن بعده لابنه علي بن يوسف، قال عنه ابن دحية الكلبي: حدثني عنه خمسون شيخاً، وقال عنه ابن سعيد (ابن أبي الخصال رئيس كتاب الأندلس)، وقد اتخذ الدكتور فوزي عيسى هذه المقولة لجعلها عنواناً لكتابه الذي قدم به بن أبي الخصال لأول مرة في كتاب مستقل، قبل أن تظهر الطبعة الأولى من ديوان رسائله بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، وهو أكبر كتاب يحوي آثار ابن أبي الخصال النثرية والشعرية، وقد جمع ما تفرق من شعره في ديوان مستقل، بجمع وتحقيق: محمود عبد الحليم السَّمْطِي، للاستزادة عن أخبار ابن أبي الخصال ينظر: فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال: رئيس كتاب الأندلس، ط2010م، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص27 وما بعدها، ورسائل ابن أبي الخصال، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط1، دمشق: دار الفكر، 1988م، ص11، وديوان ابن أبي الخصال الغافقي، جمع وتحقيق: محمود عبد الحليم السَّمْطِي، ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 1438هـ= 2017م، ص6 وما بعدها.

(2) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج6 ص787.

الأدباء النقاد في دولة الموحدين، لذا سأسلط الضوء في السطور القادمة على ابن أبي الخصال كاتبًا وشاعرًا، وأرصد مدى تسلط أحد طرفي الإبداع على الآخر.

أولاً: ابن أبي الخصال كاتبًا:

هامّ ابن سعيد المغربي أحد أكابر المصنفين من الأدباء النقاد في القرن السابع، بابن أبي الخصال، حتى لا تكاد تجد كتابًا من كتبه الأدبية والنقدية خاليًا من ذكر ابن أبي الخصال، ولم تكن تلك المكانة التي وضعه فيها انحيازًا منه أو تجنيًا على غيره، بل تسرّبت إليه من حسن تذوقه لبلاغة ترسله وعذوبة كتاباته ومعارضاته، حتى لم يُعل عليه أحدًا من الكتاب في زمانه، وقارن به رفاقه من أعلام الكتاب من المشاركة، ووضعوا ابن زيدون في درجة واحدة، كأهم علمين من أعلام الأندلس في باب الكتابة⁽¹⁾.

ولم يكن ابن بسام أو ابن سعيد المغربي متفردين بتلك الآراء عن ابن أبي الخصال، وإنما عم فضله، وظهرت إمامته للبلاغة في الأندلس، حتى يعد بلا منازع جرجاني عصره ومصره، وتسارع الكثير من الأدباء والنقاد للاقتباس من ترسلاته وأشعاره وإظهارها للأجيال اللاحقة تبعًا حتى وصلت إلينا، ولا زال بعض الباحثين في العصر الحديث يكتشفون الجديد من آثاره النثرية والشعرية التي وردت عنها الإشارات قديمًا⁽²⁾، فلا زال إبداعه خصبًا، ومعين بلاغته رطبًا، وهذا ما جعل أدباء عصره ونقاده، يبيئون مرتبة إمام البلاغة في زمانه، وأحد من انتهى إليه إحكام النثر والنظم.

ومما يحدو بنا للتمثيل على براعة ابن أبي الخصال، نموذج البديع في معارضة أبي العلاء، حيث تأثر ابن أبي الخصال بشيخ المعرة أيما تأثر، وجاراه في رسالته البديعة المسماة بـ(رسالة ملقى السبيل)⁽³⁾، وقد أبدع ابن أبي الخصال في معارضته حتى نكاد نجزم بأن المعارضة قد تحاكي

(1) انظر: ابن سعيد المغربي، المقتطف من أزاهر الطرف، طبعة 1425هـ، القاهرة: شركة أمل- القاهرة، ص 87.

(2) فقد توصلت الباحثة حياة قارة إلى رسالتين جديدتين لابن أبي الخصال، لم يتضمنهما مجموع رسائله الذي أشرنا إليه من قبل بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، وقامت بعرض مضمون الرسالتين وغرضهما الذي أنشأهما من أجله، وقد صدرهما بأبيات من نظمه لم تطلها أيدي جامع ديوانه ومحققه. انظر: حياة قارة، رسائل جديدة لأبي عبد الله بن أبي الخصال، مجلة دعوة الحق، عدد: 318، المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ذو القعدة 1416هـ= أبريل 1996م.

(3) رسالة أنشأها أبو العلاء المعري في الزهد، وهي عبارة عن مقطعات صغيرة مرتبة على الحروف الهجائية نثرًا ونظمًا، ابتدأها بالهمزة وختمها بالياء، وقد عارضها الكثير من الأدباء والكتاب قديمًا، وتعد معارضة ابن أبي

الأصل المعارض في جودتها وحسن بلاغتها، فإن كان لأبي العلاء فضل الريادة، فإن لابن أبي الخصال فضل الإجابة⁽¹⁾.

وقد عارض ابن أبي الخصال جملة من مقامات الحريري كذلك، ورغم تأثره بالحريري إلا أن له أسلوبه الخاص الذي أثبت به تفرد في هذا الفن، ولو اعتنى بهذا الفن وأكثر من مقاماته لسطر النقاد اسمه بعد الحريري؛ نظراً لبراعته وحسن بيانه وبلاغته في فن المقامات، فمن نماذج معارضاته لإحدى مقامات الحريري قوله: قال الحارث بن همام:

"لما نضوت ثياب الغمر، وارتقيت قليلاً في درج العمر، وزرت عليّ الشريعة جيوبها، وطوّقتني الفرائض لزومها ووجوبها؛ وأسلمني السير إلى الجهر، وبرزت إلى الدهر، فتعاطاني مديلاً، وتعاورني مُبتدلاً. وما زال يسفَع بالنّاصية، ويشاقُّ في كلّ قاصية، حتى دفعت إلى الفدّادين أهل الفخر والخيّلاء"⁽²⁾، فيتضح أن ابن الخصال كان يتحرى الدقة في كل كتاباته، ويتخير ألفاظه ويضع كل منها في موضعه، فلا نجد لديه إخفاق المطنبيين، الذين يتكلفون في ترصيع النص من أجل إحداث نغم تمجُّه الفطرة، وتأنفه الأذان، ولم يحمّل النص بما لا يطيق من زيادة المعنى والإيجاز في العبارة، وهذا لا يحكمه إلا أديب مبدع مقتدر كابن أبي الخصال، فبهذا تفرد الحريري في فن المقامات، وكما نلاحظ مدى عذوبة اقتباساته وتضميناته، التي تشي بسعة علمه وقدرته الإبداعية.

الخصال لها هي أفضل المعارضات على الإطلاق، وهي موجودة في ديوان رسائله، انظر رسائل ابن أبي الخصال الغافقي، ص370: 390. وجدير بنا أن نذكر في هذا المقام أن المعارضات قد أعاد نشرها أيمن ميدان بتحقيقه عدد: ربيع الآخر 1430هـ= مايو 2009م القاهرة: مجلة معهد المخطوطات، المجلد 53، الجزء الأول ص28 وما بعدها.

(1) أيمن ميدان، الحوار الأدبي بين المشرق والأندلس: المتنبي والمعري.. نموذجين، د.ط، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د.ت، ص104.

(2) رسائل ابن أبي الخصال، ص420.

وقد برع ابن أبي الخصال في فن الزرذوريات⁽¹⁾، وهو فن أندلسي خالص، تطور على يد ابن أبي الخصال، فنقل هيئته من رسالة عابرة في الشفاعة، يتعرض فيها الأديب لتعديد آلام الزرذور ومواجهه، بغية استعطاف أحد الكبراء والرؤساء عليه، وجعل هيئتها كخطبة تبدأ بالحمد والثناء وتتضمن المواعظ والأشعار، وكأن قائلها الزرذور نفسه، وهذه طبيعة جُبل عليها الأديب الكاتب ابن أبي الخصال، فقد قدر الله له الإجابة في النثر حتى وإن خاض أحد فنونه ولم يكن فيه سابقًا لإبداعه.

انقسمت الآثار النثرية لابن أبي الخصال إلى شقين؛ الأول منهما يمثل جملة معارضاته لأعلام الكتاب في المشرق والأندلس، وقد ذكرنا أنه عارض أبا العلاء المعري في رسالته الزهدية ملقى السبيل، وعارض الحريري في بعض مقاماته، وكذلك استوى على يديه فن الرسائل الزرذورية.

والشق الثاني والذي يتمثل في جملة رسائله السياسية والإخوانية، وخطبه في الأعياد والمناسبات وغيرها، وكلا الشقين مكتملان، يمثلان الإبداع النثري عند ابن أبي الخصال، مع الوضع في الاعتبار أن أغلب نثره قد ضاع ولم يصل إلينا، وما بين أيدينا لا يمثل كل نتاجه الأدبي، فقد كان "الأبي عبد الله ديوان رسائل يدور بأيدي أدباء أهل الأندلس، قد جعلوه مثالاً يحتذونه، ونصّبوه إمامًا يقتفونه"⁽²⁾، وهذا ما أشارت إليه القرائن والدلائل، التي تخبرنا بتفرده ونبوغه في عصره.

ثانيًا: ابن أبي الخصال شاعرًا:

تفصح المصادر الأدبية والنقدية عن براعة ابن أبي الخصال في شتى العلوم، وبالأخص براعته التي لا تضاهي في الأدب بشقيه النثر والشعر، ومجالنا في هذه السطور الحديث عن شعر ابن أبي الخصال من منظور نقدي، وفي بعض الإشارات التي أسلفناها للنقاد؛ نراهم قد حكموا على

(1) هي رسائل أدبية ينشئها الكاتب بغرض الشفاعة لأحد المستجبرين به، وقد بدأها أبو الحسين بن سراج أحد كتاب الأندلس المعاصرين لابن أبي الخصال، يشفع فيها لرجل لقبه الزرذور، وتكلم عنه في رسالته وكأنه زرذور وعده أوصافه، فراق هذا اللون من الترسل جملة من الكتاب الأندلسيين، فراحوا يعارضونها حتى وصلت لابن أبي الخصال، وله في هذا الغرض أكثر من رسالة نهج فيها نهج الخطبة، وزاوج فيها بين الشعر والنثر، لمزيد من التحليل حول الزرذوريات ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص 295.

(2) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، مصر: دار المعارف، 1960م، ج 8 ص 410.

ابن أبي الخصال بالإجادة التامة في المنثور والمنظوم، مع ملاحظة إعلانهم من قيمة النثر عنده على الشعر.

وبمطالعة ديوان أبي عبد الله بن أبي الخصال الشعري نلاحظ أمورًا هامة توقفنا على مدى تمكنه منه النظم؛ منها أن ديوانه حوى أغلب الأغراض الشعرية التي نظم عليها الشعراء العرب سواء في المشرق أو الأندلس، وأكثر أشعاره جاءت في المديح والرثاء، هذا بخلاف قصائده في النبي صلوات الله وسلامه عليه مدحًا ورثاءً، فقد عارض مرثيات حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، وتلك المعارضات تظهر تفرد وحسن سبكه، وكذلك له قصيدته الغراء الفريدة التي لم يسبقه إلى مثلها غيره (معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب)⁽²⁾، التي أكثر الأدباء والنقاد الذين ترجموا له من ذكرها.

فقد انقسم شعر ابن أبي الخصال في مجمله ما بين شعر أظهر فيه براعته، ونبع عن عاطفة مفعمة بالحب والأسى، وهذا الشعر يتمثل في جملة مرثياته، فقد أبدع في النظم في فن الرثاء، وكذلك جاءت مدائحه منزهة عن الأغراض الدنيوية، فنستشعر بصدق أنه كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه، ومدائحه النبوية عبرت عن صدقه في محبته للنبي صلى الله عليه وسلم، والجانب الآخر ظهر فيه التكلف والصنعة فجاء أقرب إلى شعر العلماء والفقهاء، ولعل هذا الجانب قد تسلطت عليه ملكة الكتابة.

ولعل من يقرأ قصيدة من أشعار ابن أبي الخصال ينتبه إلى إلمامه بشتى العلوم، فضلًا عن إلمامه بأطراف البلاغة، فقد ظهر تأثره بالقرآن والحديث والفقه والتاريخ والفلسفة والأدب العربي وغيرها من العلوم، فأورثته طبيعته أطراف العلوم والإجادة في كل منها على حدة، فلو ذكر في أي من العلوم المذكورة عد في طليعة علمائها، فننظر إلى قوله من مرثيته لأحد الفقهاء المقربين:

يا بَاكِيًا فُرْقَةً الْأَحْبَابِ عَنْ شَحَطِ هَلَّا بِكَيْتِ فِرَاقِ الرُّوحِ لِلْبَدَنِ

(1) انظر القصيدة الدالية برقم (35) من ديوان ابن أبي الخصال، ص86، وهي من القصائد المطولات، فقد بلغت عدت أبياتها أربعة وتسعين بيتًا، وقد عدد ابن أبي الخصال فيها بعض معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته، ورصد وقع خير انتقال النبي للرفيق الأعلى على الصحابة وعلى السيدة فاطمة الزهراء، وتعرض لذكر حادثتي مقتل الحسن والحسين.

(2) انظر: ديوان ابن أبي الخصال، ص16.

نورٌ تقيّد في طينٍ إلى أجلٍ وانحازَ عَنوا وخلي الطين في الكفن⁽¹⁾

ففي هذه الأبيات تظهر النزعة الفلسفية على ابن أبي الخصال، فيرشد الباكين إلى الحقيقة المحتومة من الموت، الذي يعبر عنه بفراق الروح للبدن في البيت الأول، وفي البيت الثاني يرمز للروح بالنور، ويرمز للجسد بالطين، وما المرء إلا روح من نور وجسد من طين التقيا لوقت معلوم، وبعدها يفترقان، فينحاز النور إلى أصله ويصعد، ويترك الطين مدثرًا بكفنه في الأرض.

لذلك نجد البعض من النقاد صنف شعر ابن أبي الخصال في زمرة أشعار العلماء، الذين ظهرت على أشعارهم سطوة الذهن والفلسفة، وحتى نكون محايدين، فإننا نجد بعض النماذج التي تدل على ما ذهبوا إليه، ولكن من زعم هذا الرأي حتمًا لم يقف على جملة نتاجه الشعري، الذي يشي بأن الرجل وصف فأجاد ومدح فلم يُعَاضِل، ورثى فأوفى، وهجا فلم يقذع، وتغزل فلم يفحش، وهكذا في بقية الأغراض، وأصدق ما وصف به الرجل؛ ما شهد له به ابن الزبير، ونقله في مصنفه الشاعر الكاتب الناقد، إمام عصره، وفرد زمانه في العلوم والآداب لسان الدين بن الخطيب: "كان من أهل المعارف الجمّة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله، والتقيد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة والأدب، والنسب والتاريخ، متقدما في ذلك كله. وأما الكتابة والنظم، فهو إمامهما المتفق عليه، والمتحاكم فيهما إليه"⁽²⁾، وذكره حجة العلماء والأدباء جلال الدين السيوطي⁽³⁾.

الخاتمة:

مر مصطلح الشعراء الكتاب أو الكتاب الشعراء بالعديد من المراحل، حيث نشأ تاليًا لوجود الإبداع الأدبي متمثلًا في شقيه المعروفين: النثر والشعر، وكان أول ظهور له في العصر الجاهلي، وتغير مفهومه ودلالته في العصر العباسي، ليشير إلى نمط من المبدعين زواجوا بين فني: الكتابة باختلاف أنواعها، وقرض الشعر أو نظمه، وعلى هذا وجدنا شيوع المصطلح بصورة لافتة للنظر في العصرين العباسي والأندلسي، وقد توصل الباحث إلى وجود العديد من النماذج التي أحكمت

(1) المصدر السابق، ص166.

(2) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ، ج2 ص296.

(3) جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا: المكتبة العصرية، ج1 ص243.

وأجادت في النظم والكتابة، ومثل ابن أبي الخصال أحد أهم أولئك الأعلام، الذين ظهرت براعتهم في فنون الكتابة، وفن الشعر.

النتائج:

في نهاية رحلتنا مع هذا البحث توصلنا إلى جملة من النتائج والتوصيات التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، وينتبه إليها النقاد والباحثون في العصر الحديث، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

- أثبت هذا البحث أن مصطلح الكتاب الشعراء تعارف عليه النقاد منذ القدم، وأضافه على جملة من الشعراء منذ العصر الجاهلي، ولكن هذا المصطلح كغيره من المصطلحات قد مر بمراحل عدة، وقد تحددت ماهيته ومحدداته منذ نهاية العصر الأموي، وكثر في استعمال المصنفين في بدايات العصر العباسي الأول.
- أطنب النقاد قديمًا في الثناء على إمام المنظوم والمنثور على عهد المرابطين ابن أبي الخصال، وبإطالة النظر في نتاجه الشعري والنثري نجد أنهم فطنوا إلى مدى براعته في المنظوم والمنثور، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الرجل لم يأخذ كامل حقه من النقاد في العصر الحديث، وقوبل نتاجه بالإهمال.
- تعامل أغلب النقاد المعاصرين مع الموروث النقدي العربي على أنه رجعية، ولم يطيلوا النظر في العديد من المصطلحات التي خرج بها النقاد القدامى، ودعواهم في ذلك الانسياق خلف الحداثة، واللاحق بركب التجديد المزعوم.
- قد يتسلط الجانب النثري على النتاج الشعري للكاتب الشاعر، والنماذج في هذا الباب كثيرة، لكننا لا نستطيع تعميمه على جملة الكتاب الشعراء، فنجد من بينهم على مر العصور من صنف في مقدمة الشعراء في زمانه.
- يعد مصطلح الكتاب الشعراء من المصطلحات التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالطبيعة الإبداعية؛ لأن الكاتب الشاعر لا يكره نفسه على مزاجية إبداعه الأدبي، وإنما هي موهبة وفطرة تُجبل عليها هذه الزمرة من الأدباء، ويقصر بنا المجال عن تعداد أسماء الشعراء الذين لم يصنفوا في أي من الفنون الأدبية غير الشعر، وكذلك الشعراء الذين أجادوا في شعرهم وتفوقوا على أقرانهم بنثرهم.

التوصيات:

- نوصي بضرورة إمعان النظر في المصنفات النقدية القديمة، والوقوف عند كل المصطلحات التي خرج بها القدماء، مثل مصطلح الكتاب الشعراء، الذي لم يأخذ كامل حقه في العصر الحديث، ولفت أنظار الباحثين في الدراسات الأدبية والنقدية إلى مثل هذه القضايا القديمة المتجددة.
- نوصي بإفراد بعض الدراسات الأكاديمية لتبني مثل هذا الموضوع والكشف عن لثامه، من خلال توسيع رقعة البحث، والتنبيه إلى المصطلحات المشابهة أو المترتبة على مصطلح الكتاب الشعراء، مثل مصطلح النقاد الشعراء، ودراسة أكثر من نموذج لهم، مع التنويع بين الدراسات قديمًا وحديثًا، للوصول إلى مدى تسلط الرؤية النقدية على أدب الناقد المبدع.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ط5، بيروت: دار الثقافة، 1978م.
2. أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تقديم: مفيد محمد قميحة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1404هـ.
3. أيمن ميدان، الحوار الأدبي بين المشرق والأندلس: المتنبي والمعري.. نموذجين، دبت، الإسكندرية: دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر.
4. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ليبيا: الدار العربية للكتاب، طبعة 1981م.
5. أبو بكر الصولي، الأوراق قسم أخبار الشعراء، القاهرة: شركة أمل، طبعة 1425هـ.
6. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، بيروت: دار الجيل، 1401هـ = 1981م.
7. جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، صيدا: المكتبة العصرية.

8. الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل- بيروت، د.ط.
9. حياة قارة، رسائل جديدة لأبي عبد الله بن أبي الخصال، العدد318، المملكة المغربية: مجلة دعوة الحق، تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ذو القعدة 1416هـ= أبريل 1996م.
10. ابن أبي الخصال الغافقي، ديوانه، جمع وتحقيق: محمود عبد الحليم السَّمطِي، ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 1438هـ= 2017م.
11. ابن أبي الخصال الغافقي، رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط1، دمشق: دار الفكر، 1988م.
12. ابن سعيد المغربي، المقتطف من أزاهر الطرف، د.ط، القاهرة: شركة أمل، طبعة 1425هـ.
13. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، د.ط، جدة: دار المدني.
14. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف- مصر، الطبعة الأولى، 1960م.
15. صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، طبعة 1420هـ= 2000م.
16. علي بن الحسن بن علي الباخرزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر، ط1، بيروت: دار الجيل، 1414هـ.
17. عماد الدين الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء العراق، تحقيق: محمد بهجة الأثري، والدكتور جميل سعيد، العراق: مطبعة المجمع العلمي العراقي، طبعة 1375هـ= 1955م.
18. عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، بيروت: مكتبة الهلال، طبعة 1423هـ.
19. عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، ط2، بيروت: مكتبة الهلال، 1423هـ.
20. فوزي سعد عيسى، أبو عبد الله بن أبي الخصال: رئيس كتاب الأندلس، د.ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، 2010م.
21. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،

1424هـ.

22. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ط7، مصر: دار المعارف، 1988م.
23. أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، بيروت: المكتبة العنصرية – بيروت، 1419 هـ .
24. ياقوت الحموي، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ = 1993م.

THE SARS-COV-2: BIOLOGICAL WARFARE AND THE RESPONSE OF THE HEALTH COMMUNITY

فيروس كورونا: الحرب البيولوجية واستجابة المجتمع الصحي

Prepared by: Mr. **Benselama Ahmed Yassine**: The Head of Epidemiology
and Preventive Medicine Department, NAAMA Hospital, ALGERIA.
Student at Institute of Science and Technology Department of Biological
Sciences, Centre University of NAAMA, ALGERIA.

إعداد: السيد بن سلامة أحمد ياسين: رئيس مصلحة علم الأوبئة والطب الوقائي، مستشفى مقاطعة
النعامة، الجزائر. طالب بمعهد العلوم والتكنولوجيا، قسم العلوم البيولوجية، المركز الجامعي
النعامة، الجزائر

E-mail: ahmedyassinebenselama@gmail.com

الملخص:

إن في ظل صراع البشرية مع جائحة كوفيد-19، تطرح العديد من الإشكاليات حول الفيروس ومصدره وهل تعتبر الجائحة حرب بيولوجية، ومادى استجابة المجتمع الصحي. تهدف هذه الدراسة إلى معرفة جميع جوانب نظرية الحرب البيولوجية وذكر أبرز ردود المجتمع الصحي. بعد الاطلاع على جميع الدراسات والتجارب التي تؤيد أو تعارض النظرية يمكننا بعد ذلك الرؤية بوضوح صحة النظرية، ومعرفة مجال صناعة اللقاحات ومنطق التفكير في هذا المجال. سنخلص إلى المصدر المخبري للفيروس وبوادر الحرب البيولوجية، أما من الناحية الأبيستيمولوجية فقد تغير الكثير من المفاهيم حول الحرب البيولوجية والمفاهيم الانسانية خاصة في مجال صناعة اللقاحات والأدوية.

الكلمات المفتاحية: الأسلحة البيولوجية، المجتمع الصحي، اللقاح.

Abstract:

In humanity's struggle with the Covid-19 pandemic, the current situation poses many problems about the virus and its source, and is the pandemic a biological warfare? And how much the health community responds. This study aims to learn about all aspects of biological warfare theory and to mention the most prominent responses of the health community. After looking at all the studies and experiments that support or oppose the theory, we can then clearly see the validity of the theory, know the field of vaccine industry and the logic of thinking in this area. We will conclude with the laboratory source of the virus and the signs of biological warfare, but from an epistemological point of view, many concepts about biological warfare and humanitarian concepts have changed, especially in the vaccine and pharmaceutical industry.

Keywords: Bioweapons, Public health, vaccine.

INTRODUCTION

The race toward weapons and gaining the balance of power imposed the creation and development of weapons of mass destruction, not only government's organization but also some non-governmental organization that seek to threaten and terrorize groups of humans, societies, governments, armies (Greub V. B., 2014), destabilize the public health ... Or for economic interests. Biological weapons have become a concern for the public health. In the 10 April 1972, Convention was signed and entered into force in 26 March 1975 to ban all types of biological weapons, which have been signed by 183 so far. The BW has been defined as the use of microorganisms like bacteria and viruses, which cause death and disease among humans, animals and plants (CDC, 2018).

The security tension between the world's power poles and efforts to create a security defense system that will be the health system, including the production of medicines and vaccines, is an important criterion for the forces that will form after the pandemic.

Dr. Moulay Abdel Nasser's statement that countries do not think about the logic of passion)Dr Moulay(2021 , and the statement of lawyer Clayton Halonen that said it was all a trick to get the money (Halonen, 2020). Raises questions about the source of the virus and puts some parties in the dock? In order to answer these problems, this study will be divided into axes, the first axis:

HISTORICAL BACKGROUNDER

From an epistemological perspective, Knowing history is part of the perception of reality, as it leads to giving logical explanations that help in understanding the present and answering the problems at hand, and this is

through studying and analyzing the expected and unexpected results. If we want to know the truth of these wars, we must review the historical aspect of them in order to get a part of the truth and be the basis for research in this study. It is worth noting that the historical analysis of events involves many obstacles that we will face, which is the scarcity of accurate information for the recent emergence of microbiology and the time difference that may affect the facts. As for the obstacle that played an important role in distorting the facts and still is the political reasons, especially in the issue of sensitive like this)Greub V(2014 ‘. Through previous studies, we can divide the history of biological warfare into two parts:

THE ANCIENT ERA

The scarcity of information has made it difficult for historians to determine an exact date for the first appearance of BW. Some historians trace its appearance to the 14th century BC in the Hittite state, where tularemia (*Francisella tularensis*) spread through the carcasses of animals they threw on their enemies, causing an epidemic that swept the region from Iraq to Cyprus and Palestine to Syria (SI, 2007). Some researchers have questioned the method of infection, as the dumping of corpses could not have had this effect on the spread of the epidemic. In the second century BC, There were other methods as indicated by the Greek historian Herodianus (MD, 1979), the method of dipping arrows in poison and contaminated blood by Scythian archers, and with reference to modern science, this mixture may be the presence of *Clostridium perfringens* and *Clostridium tetani*, and this is what we will adopt later on in knowing some of the causes of diseases used in BW. In the third century BC, some anthropologists documented the human use of pathogenic animal and plant compounds in attacking the enemy. For example, Italian archaeologists found in an ancient Roman villa a bowl containing remains since 79 AD. In 2007, a study was issued on analyzes

conducted on those remains, indicating the presence of a mixture of poisonous and narcotic medicinal plants (opium and poppy seeds) with remains of reptiles. (A, 2008)

In the middle Ages, biological weapons were not limited to wars only, as they were also used to protect important documents in the state. It was also used in defense as well, and this is what happened in the siege of Atra in Mesopotamia by the forces of Septimius Severus (around 200 AD) (MD, 1979). In 1155, Barbarossa was poisoned water with contaminated corpses in Toronto, Italy (TUMBARSKI, 2020). History isn't just what we mentioned, but there are a lot of epidemics caused by biological weapons.

TABLE 1: Examples of biological warfare in the ancient era (Prepared by the researcher)

Year	Events	Disease	Pathogen	reference
14 th century BC	The Hittite state spread through the carcasses of animals they threw on their enemies	Tularemia	<i>Francisella tularensis</i>	Clinical Microbiology and Infection, 2007
2 nd century BC	the method of dipping arrows in poison and contaminated blood by Scythian archers	Tetanus Epsilon toxin	<i>Clostridium tetani</i> <i>Clostridium perfringens</i>	US National Library of Medicine National Institutes of Health, 2008
Around 200 AD	The siege of Atra in Mesopotamia by the forces of Septimius Severus	Neurological diseases	<i>Snake toxins</i>	Revue des Études Grecques, 1979

Year	Events	Disease	Pathogen	reference
1155	Barbarossa was poisoned water with contaminated corpses in Toronto, Italy	Probably Cholera	<i>Vibrio cholerae</i>	
1346	Mongols dump the bodies of plague victims on cava walls	Plague	<i>Yersinia pestis</i>	CDC, Emerging infectious disease, 2002
1650	The Polish army used rabid dogs to attack the enemy.	Rabies	<i>Rabies lyssavirus</i>	CDC. Bioterrorism Agents 2018
1710	Russian army throws plague-infected bodies at Swedish army	Plague	<i>Yersinia pestis</i>	CDC, Emerging infectious disease, 2002
1763	British officers distribute blankets containing smallpox to Native Americans	Smallpox	<i>Variola major</i>	Mayor, The Nessus shirt in the new world, 1995 G W Christopher, NIH 1997
1797	Napoleon's army spreads malaria around the plains of Mantua (Italy) to infect the enemy.	Malaria	<i>Plasmodium malariae</i>	US National Library of Medicine National Institutes of Health, 2008

THE MODERN ERA

The establishment of cell theory (Churchill, 1991), and the emergence of modern microbiology during the 19th century (Barnett, 2003), BW began to be developed and technically controlled, and diseases separated,

monitored and identified their causes. In parallel, with the advent of the media, propaganda and misleading public opinion became the main obstacle to knowing the parties involved in the biological crime, and directing the attack to a specific group with the power of influence became easy.

Among the most prominent examples in the modern era are the First and Second World Wars, in which they used many biological and chemical weapons. The Geneva Protocol in 1925 (1925 Geneva Protocol) did not succeed, and the treaty in 1972 under pressure from the World Health Organization was somewhat successful. But then terrorist attacks appeared, attributed to non-governmental terrorist groups, such as what happened in 1984 by the Rajneesh cult, where 751 people were infected with salmonella in many restaurants in Dalles, Oregon. In 1995, the Aum Shinrikyo (religious cult) poisoned the Tokyo metro with sarin gaz. (Carus, August 1998 (February 2001 Revision))

In the 21st century, the World Trade Center incident, September 2001, was one of the most prominent examples of biological terrorism. A month later, anonymous messages containing anthrax were sent to journalists and important persons in the country. 22 people were infected, 5 of whom caused complications. (Greub K. J., 2014)

One of the hot issues in the modern era is the immunity of America to the Japanese unit 731 specialized in developing biological weapons, which committed crimes against humanity during World War II, in exchange for presenting the latest findings of the development of biological weapons (Greub V. B., 2014). The emergence of two influential poles on the international scene after World War II and in light of the existing tension, accusations began to be exchanged between the two parties, for example the Sverdlovsk incident (now Ekatarinburg, Russia) in 1979 after the Soviet

Union tried to get rid of a large amount of biological weapons and infected the city. (Carus, August 1998 (February 2001 Revision))

THE SARS-CoV-2 ORIGINS

In the late 19th century, some researchers doubted, after the Russian flu epidemic between 1889 and 1890, that the oc43 virus, a member of the Corona family, was the cause. In the 1960s a new type HCoV 229E appeared. Then NL 63 in 2004 and HKU1 in 2005, but among the types that cause severe complications are SARS-CoV, which caused epidemics in 2002, and MERS-CoV in 2012. Through the figure 1 , we will review the corona family classification.

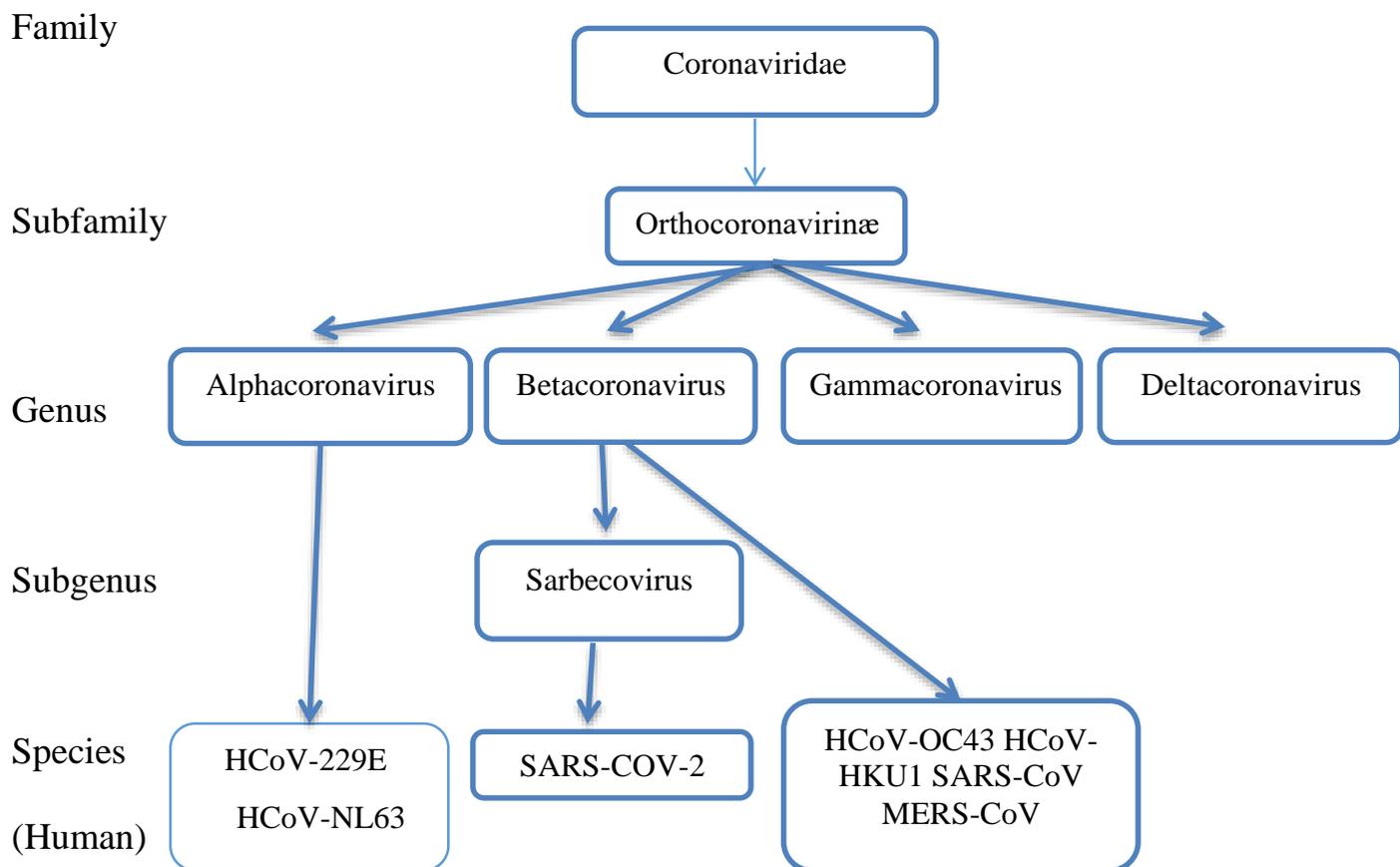


FIGURE 1: Classification of coronaviruses that infect humans

(MALIK, 2020)

After the widespread of the virus in the world and its impact on countries significantly, countries exchanged accusations, some of which were carrying arguments and the other were deaf accusations. We can sum up the accusations in two hypotheses, i) It is that the origins virus is nature, as it evolved in animal host or during zoonotic transfer, ii) that the virus was created and manipulated in a laboratory (whatever that laboratory is).

- I. **The virus origin is natural:** Before we present the content of this hypothese we must know the *The organization of the coronavirus genome is 5'-leader-UTR- replicase-S (Spike)-E (Envelope)-M (Membrane)-N (Nucleocapsid)-3'UTR-poly (A) tail with accessory genes interspersed within the structural genes at the 3' end of the genome.* (MALIK, 2020)

There are two notable features of SARS-CoV-2 virus: 1) *Mutations in the receptor-binding domain of SARS-CoV-2:* so that his RBD is very similar to ACE2 humans. 2) *polybasic furin cleavage site and O-linked glycans:* has the role of determining viral infectivity and range host.

Genetic analysis of the SARS-CoV-2 virus has shown that there is ~96% identical overall to RaTG13 the Bat virus and other viruses carried by pangolin (*Manis javanica*). Based on the genetic similarity between these viruses, we find three possibilities: i) *Natural selection in an animal host before zoonotic transfer.* ii) *Natural selection in humans following zoonotic transfer.* iii) *Selection during passage.* (Kristian G. Andersen, 2020) We note that getting viral sequences from host animals is the most effective way to prove the origins of the virus.

II. The virus was manipulated in a laboratory: This hypothesis was popularized in the form of propaganda, and the pioneers of this theory were seeking to lay charges no more, this hypothesis is political closer than scientific. According to USA Ministry of Foreign Affairs, there's a security report published about the low level of the health security system at Wuhan's virus lab. Minister of Foreign Affairs Mike Pompeo said there was "tremendous" evidence to support the theory that the virus manipulated in Wuhan's lab. (Jones, 2020)

While the French scientist Luc Montagna, who won the Nobel Prize in Medicine in 2008 for the HIV virus, confirms that the virus is manufactured in a laboratory and does not know how it came out. (Montagna, 2020)

Chinese scientists discussed the use of SARS viruses as a biological weapon in 2015. The spread of this document, which has been completely concealed, raised the possibility that the virus was manufactured in one of Wuhan's laboratories. Documents obtained by the U.S. State Department revealed that in 2015, Chinese military scientists discussed the use of coronaviruses as a biological weapon, according to a military document that predicted that biological agents would be the weapon used in a third world war.

Lawrence Slyn, a veteran expert on Covid-19 and the pharmaceutical and medical research industry, told : "The debate is resolved... Indeed, the CORONA virus was created in a laboratory in China, and now the second step is to think about the link between the CORONA virus and China's biological warfare program ... I think it is clear that those who said that the virus was born in nature have not provided any evidence, while there is a huge amount of clear evidence that it was born in a laboratory. "This virus has defects that cannot be derived from a natural developmental process." (Araabi, 2021)

This virus contains a number of imbalances that cannot be interpreted as a natural developmental process, because it is pre-prepared to cause human infection, Chinese scientists have developed this by using animal models of a human nature, and by adopting a method called serial scrolling. However, the virus contains genetically manipulated sections, specifically the location of the polybasic furin cleavage, although it does not need to be present in this site, because this structure does not exist in any of the viruses close to the current SARS-CoV-2, from which it may have evolved, and here I mean thousands of possible viruses among corona's ancestors. None of them specifically included this structure at the said location. The inclusion of this polybasic furin cleavage into the SARS-CoV-2 will make them more infective and more deadly.

We also know that scientists in China demonstrated in 2013 the possibility of including a similar structure into the virus. And he says: « *The Chinese Center for Disease Control was forced to admit that the story of the virus's release from the live meat market made no sense. So they hid data about the virus, and they may have destroyed data about it as well. So obviously their intentions weren't right* ». Lawrence Slyn concluded by saying: « In my opinion, you can describe the CORONA virus as biological warfare. They made it and didn't tell the world it was transferable between humans. They suspended internal air traffic while allowing international air traffic to be completed in order for the virus to spread. China has also concealed documents, destroyed information and continued to disseminate the theory of the birth of the virus in nature, which is wrong from the outset, but continues to do so. So if this virus they created themselves, killed the whole world and claimed millions of victims, is not part of biological warfare, I don't know what it really is. » (Araabi, 2021)

THE PUBLIC HEALTH RESPONSE TO BIOLOGICAL WARFARE

In an article published on Formiki, researcher Paolo Crepa in the Department of Defense and Security at the Center for International Studies in Italy questioned the ability of different countries to deal with threats from biological warfare, the same institute emphasizes that the widespread of the pandemic is an important criterion in assessing countries' responses to biological warfare and bioterrorism. When we speak about biological warfare and epidemics, the main part of the topic, the vaccine and pharmaceutical industry, cannot be ignored. Through the crises that have passed over the world in the last two decades, much has been revealed about that industry, where large companies have been a question mark.

In 2009, after the outbreak of the swine flu epidemic, and after four years, clinical trials of Tamiflu were revealed, where it was found that it was no more effective than Paracetamol, and more than \$ 18 billion was spent in the world as the solution to the problem, which prompted the researcher, Dr. Tom Jefferson, the British epidemiologist, to file a lawsuit against Roche, accusing it of lying and deceit, and saying in the Pandemrix vaccine: «*The experiments they used to claim that it stopped infection from one person to another had severe methodological flaws and the claim was not based on strong evidence.* »)Youtube(2020 «

In 2014, after the advent of Ebola and the emergence of the vaccine in late 2016, doubts were raised about this delay, says Dr. Amish Adalja, a researcher at the Jones Hazbekens American Center for Health Security: «*There is always concern when we talk about emerging infectious diseases and that companies do not want to invest in them because their market is not attractive ... And it's not profitable, but Corona is the whole world.* »)Youtube(2020 «

Through these statements, we can clearly see the ambitions of large companies to dominate the economies of nations and not think about the human side, says attorney Clayton Halonen, who is in charge of a case against Roche Pharmaceuticals: «*Tom Jefferson spent a lot of time scrutinizing clinical trial data to find out that it's all a hoax... Why? ... For the money.*» Youtube(2020 ،

In 2013, LeParisien published an article entitled « A worrying virus created in China », and that such experiences were discontinued in the Netherlands and the USA for fear that some terrorist would use it in Attacks. (LeParisien, 2013)

CONCLUSION

What is happening in the world now is the crisis of the 21st century, the Third World War, that humans are fighting against the epidemic, and despite all the evidence that the source of the virus is the Wuhan virus laboratory, all the evidence almost confirms it's laboratory-modified geometry and the question remains whether it leaked intentionally or unintentionally?

Through our statements, studies and explanations of the evolution of biological warfare over time, we can say that the world is witnessing a new era of biological warfare in two parts: I) strategy: the superpowers no longer rely on biological warfare but manage the crisis in their favor after the emergence of epidemics regardless of the source of natural or manipulated viruses, countries are developing health security systems and the development of laboratories and scientific research to put solutions at the world market. II) The objectives: through the aforementioned definitions of biological warfare as killing and terrorizing individuals and societies, we find them inaccurate as their objectives have become to cripple the world's

economies and dominate the market, especially through the trade in vaccines, medicines and pharmaceuticals.

Bibliography

1925 Geneva Protocol. (n.d.). Retrieved June 15, 2021, from United Nations:

<https://www.un.org/disarmament/wmd/bio/1925-geneva-protocol/>

LeParisien. (2013, May 05). *Un virus inquiétant créé en Chine*. Paris.

CDC. (2018, April 04). (Centers for Disease Control and Prevention) Retrieved

June 09, 2021, from Bioterrorism Agents/Diseases:
<https://emergency.cdc.gov/agent/agentlist-category.asp>

(2020, May 17). (E. Trade, Producer, & AlJazeera Channel) Retrieved March

17, 2021, from Youtube:
https://www.youtube.com/watch?v=HLLJjH_Ke4w

A, M. (2008). *Greek fire, poison arrows, and scorpion bombs : biological and chemical warfare in the ancient world*. Woodstock : Overlook Duckworth.

Araabi, W. (2021, June 21). *akhbaralaan*. (W. Araabi, Editor) Retrieved July 23, 2021, from <https://www.akhbaralaan.net/?p=672619>

Barnett, J. A. (2003, March 1). Beginnings of microbiology and biochemistry: the contribution of yeast research. *Microbiology*, 149(3), 557–567.

Carus, D. W. (August 1998 (February 2001 Revision)). *The Illicit Use of Biological Agents Since 1900*. Washington, D.C.: Center for Counterproliferation Research National Defense University.

- Churchill, F. B. (1991, March). Genèse de la théorie cellulaire. *The British Journal for the History of Science*, 24, 105-107.
- Dr Moulay, A. (2021). Corona and the speech of morals. Mekmen Benammar: The semi-urban library Mekmen Benammar.
- Greub, K. J. (2014, may 20). Clinical microbiologists facing an anthrax alert. *Clinical Microbiology and Infection* , 20(6), 503–506.
- Greub, V. B. (2014). History of biological warfare and bioterrorism. *Clinical Microbiology and Infection*, 20(6).
- Halonen, C. (2020, may 17). What is the greatest hidden? *epidemic trade*. AlJazeera. AlJazeera Channel, Qatar.
- Jones, J. H. (2020, july 17). *National Security*. Retrieved june 30, 2021, from Washington Post: https://www.washingtonpost.com/national-security/state-department-releases-cable-that-launched-claims-that-coronavirus-escaped-from-chinese-lab/2020/07/17/63deae58-c861-11ea-a9d3-74640f25b953_story.html?hpid=hp_hp-banner-main_foia-720pm%3Ahomepage%2Fstory
- Kristian G. Andersen, A. R. (2020, march 17). The proximal origin of SARS-CoV-2. *Nature Medicine*(26), pp. 450-452.
- MALIK, Y. A. (2020, April). Properties of Coronavirus and SARS-CoV-2. *Malaysian J Pathol*, 1(42), pp. 3-11.
- MD, G. (1979). LES RUSES DE GUERRE BIOLOGIQUES DANS L'ANTIQUITÉ. *Revue des Études Grecques*, 92(436 - 437), pp. 141 - 163.
- Montagna, L. (2020, avril 30). (Sud Radio) Retrieved july 13, 2021, from Youtube: <https://www.youtube.com/watch?v=hECevTKmwRk>

SI, T. (2007). The 'Hittite plague', an epidemic of tularemia and the first record of biological warfare. *clinical microbiology and infection*, pp. 1371 - 1374.

TUMBARSKI, Y. D. (2020). **FOODBORNE ZONOTIC AGENTS AND THEIR FOOD.** *Bulgarian Journal of Veterinary Medicine*, 23(2), 147- 159.



E-ISSN: 2789-3359

P-ISSN: 2789-7834

Arab Impact Factor 2021: 0.5

ISI: 0.367

Ibn Khaldoun Journal for Studies and Research

**A Refereed scientific journal issued by the
"Ibn Al-Arabi Center for Culture and Publishing"**

VOL 1

Part 2 of ISSUE 3

1 December 2021

 benkjournal@gamil.com

 facebook.com/benkjournal

 www.benkjournal.com

 +970593276022

